مجلة
الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
محمد صابر البريسى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٩٩٢٢
٩٠٥٥٠٦

الجزء الاول – السنة الثالثة والخمسون – المحرم سنة ١٤٠١ هـ – ديسمبر سنة ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحات ونفحات من الهجرة
دعوة وتوجيه

لفضيلة الإمام الأكبر
الدكتور / محمد عبد الرحمن بيصار
شيخ الأزهر

عندما يهل المحرم من كل عام يفوح علينا عبير هجرة الرسول الأمين .. حين تمر ذكرياتها المجيدة على القلوب فتحييها .. وعلى الأفئدة فتجلوها .. لما تنطوى عليه من لمحات ونفحات .. وما تحمله من دروس وعظات .. وما ترمز اليه من أهداف وغايات .. فمن خلالها تتجلى آيات الايمان واليقين .. وترتسم معالم الصبر والصمود .. وتشرق صور الجهاد والنضال .. وينطلق صوت الحق هاتفا فى مسمع الوجود بأن العقيدة الراسخة .. لا تنال منها العواصف .. ولا الرياح القواصف .. بل تبقى شامخة باسقة .. وأن الخلود للحق دون سواه .. وعندما نتطلع الى الهجرة النبوية الشريفة يجمل بنا أن نعيش فى رحابها .. وأن

نتأثر بها •• وأن نتلقى منها العبر لتكون لنا زادا فى حياتنا •• ونورا فى مسيرتنا •• وقدوة فى سلوكنا •• لأنها هجرة النفوس الى الحرية والكرامة •• والأرواح الى النقاء والصفاء •• والضمائر الى الطهر والحق والعدل •• ولئن كانت الهجرة المألوفة انتقالا من أرض الى أرض •• وارتحالا من مكان الى مكان •• فان هجرة محمد عليه الصلاة والسلام فوق ذلك انتقال معنوى •• وارتقاء بالعقيدة الى آفاق الانفتاح والاشراق •• وسمو بالفكرة من انضيق الى الانفراج •• ومنازل العزة •• ورحاب السكينة •• واختيار للمناخ الخصيب لتنمو فيه شجرة الايمان عميقة الجذور •• مديدة الفروع •• رحيبة الظلال •• سخية الاثمار •• اننا عندما نقف أمام الهجرة نقلب صفحاتها نرى عليها صورا مضيئة •• تمثل مضاء العزيمة •• وقوة الارادة •• والسعى الدائب •• والجهاد المتواصل •• الذى يكمن فى جهاد النفس •• بمقاومة شهواتها •• واستئصال سلطانها وقمع نزواتها •• وتخليتها من الشوائب وتحليتها بالفضائل وتهيئتها لاستقبال •• أظهر المبادىء •• وأسمى المقاصد •• وأشرف القيم •• لذلك كانت هجرتهم خالصة من المآرب الشخصية •• والمنافع المادية •• والأغراض الذاتية •• وهنا سر العظمة •• وسبب النجاح •

عرفوا الله فعبدوه •• دعاهم فأطاعوه •• قرأوا القرآن فتدبروه •• وأخذوه فطبقوه •• وجعلوا منه نور حياتهم •• وسبيل رشادهم •• وقانون سلوكهم •• ودستور •• مجتمعهم •• اقتدوا برسولهم فأقبلوا عليه ينتهلون من ينبوعه الصافى •• ويغترفون من رحيقه الميمون •• وتناقلوا سنته الشريفة ترجمة عملية •• فعكسوها أقوالا وأفعالا •• دعوا الى الجهاد فاستجابوا •• وقدموا أموالهم وأرواحهم تضحية وفداء •• لاعلاء دين الله ورفع راية الاسلام •

ان الهجرة النبوية الخالدة كانت انتفاضة ضد الظلم والاضطهاد ••

وثورة على الباطل والفساد .. ومسيرة الى الخير والسلام .. واستنفارا الى العمل والبناء والعطاء .. فدانت لهم الدنيا .. واستسلمت الحياة .. وتحقق النصر .. ورضى الله عنهم ورضوا عنه وذلك هو الفوز العظيم .

ونحن اذ نقف أمام مشارف عام جديد .. يجدر بنا أن نستعرض ما قدمناه فى الماضى .. لنحاسب أنفسنا .. وننظر الى واقعنا .. لنرى علامة استفهام ترتسم على الآفاق .. هل سرنا على النهج القويم .. ؟ هل حققنا الأخوة الصادقة كما حقق الرسول صلى الله عليه وسلم من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .. ؟ هل أعطينا لديننا الحنيف ما أعطاه الصحابة الأبرار .. ؟ هل توحدت صفوفنا كما توحدت الصفوف فى صدر الاسلام .. ؟ هل انتشرت الرحمة بيننا كما كانت فى عهد رسول الله..؟ « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود** » .

فاذا كنا على غير ذلك .. فهلا أخذنا من الهجرة الشريفة التى نحتفل بذكراها انتفاضة من غفوتنا .. وصحوة من رقدتنا .. وشحنة تدفعنا الى الامام .. ونورا يهدينا الى طريق الرشاد ..

ان صاحب الهجرة عليه السلام ينادى الأمة بتوحيد الكلمة وجمع الصفوف وتصفية القلوب .. وايقاظ الضمائر .. وتنقية النفوس .. فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ...

ان صاحب الهجرة يهتف فى أسماعنا معلنا أنه لا فلاح الا بالترابط .. ولا نجاح الا بالتعاطف .. ولا سلامة الا بالتآزر .. ولا نجاة الا بلزوم الجماعة .. : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وترابطهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

ان صاحب الهجرة يوصينا بالرجوع الى الله بالتوبة الخالصه •• والانابة الصادقة •• لتطهر قلوبنا •• وتزكى نفوسنا •• وتجلو أرواحنا •• وتصقل أخلاقنا •• « **ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين** » •

ان صاحب الهجرة يدعونا الى كتاب الله ليحكم بيننا •• ويضىء حياتنا •• ويحسم أمرنا •• ويوجهنا الى سنته الرشيدة لترسم لنا معالم الخير •• وتوضح سبل السلام •• وتأخذ بأيدينا الى السمو والجلال •• ولنحولهما الى نبض حى •• وحركة ايجابية •• ونترجمهما الى تطبيق وسلوك •• فمن تمسك بهما فاز ونجا •• ومن انحرف عنهما ضل وغوى •• « **تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى** » •

اننا عندما نتطلع الى اطلالة عامنا الهجرى •• نرى معها بداية قرن جديد •• وكأنه كتاب أبيض •• فلنسجل على صفحاته صورا حافلة بالبر والخير•• والعز والمجد •• والفوز والنصر : « **وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم** •• » « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ••• » •

فاللهم يارب الهجرة •• ارزقنا قلوبا مهاجرة اليك •• مسلمة لك •• مؤمنة بك •• متوكلة عليك •• اللهم يارب محمد •• خلقنا بأخلاق محمد •• وأدبنا بآداب محمد •• واجعلنا تحت راية محمد •• اللهم يارب القرآن •• اجمع شمل الأمة على كلمة سواء •• واجعل كتابك الكريم نور حياتنا •• وربيع قلوبنا •• وشفاء صدورنا •• فأنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت بكل شىء عليم •• يانعم المولى ويانعم النصير •

دكتور محمد عبد الرحمن بيصار
شيخ الأزهر

خواطر حول الهجرة النبوية

لفضيلة الدكتور / محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

كانت الهجرة النبوية تدبيرا وانتصارا ولم تكن هزيمة أو فرارا

يعى التاريخ الاسلامى كثيرا من الذكريات الخالدة المجيدة ، وتثير هذه الذكريات فى نفوسنا عبرا وعظات نرى من الحق علينا — نحن المسلمين — أن نتغنى بها أمام القرون والأجيال ، وأن نتخذ منها أساسا نبنى عليه أمجادنا ، ونبراسا نسير فى ضوئه الى آمالنا المرجوة وأهدافنا النضالية .

وحينما يطالعنا هلال المحرم بعد أن طويت الصفحة الخاتمة فى حياة القرن الرابع عشر الهجرى . وبدأت صفحة جديدة لتبشر بميلاد قرن جديد هو القرن الخامس عشر بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .. حينما يطالعنا هذا الهلال فانه يهيب بنا — نحن جماعة المسلمين وأمة محمد فى أرجاء هذا العالم — أن نقلب صفحات القرون التى غبرت منذ أشرق نور الاسلام لنرى ماذا قدمنا لأنفسنا ؟ وماذا حققنا من الآمال لديننا ووطننا وللمجتمع الذى نعيش فيه ؟ . فالعبرة دائما هى ضالة المؤمن والهدف المرجو لكل عاقل . وهى النبراس الذى يضىء طريق الخير ويهدى للتى هى أقوم .

ومع اطلالة هذا القرن الخامس عشر الهجرى على الوجود . ومع مطلع شهر المحرم يتحتم علينا أن نعيش تلكم الذكريات المضيئة عن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى يثرب ، ونتمثل

تلك النماذج الرائعة من التضحية والايثار والفداء ، وهى ذكريات تسعد لها النفوس وتطمئن بها القلوب • وتزيد المؤمنين ايمانا ويقينا ••

صبر وايمان :

لقد هاجر الرسول الكريم من مكة وهى أحب بلاد الله اليه وأحب بلاد الله الى الله بعد ثلاثة عشر عاما من البعثة النبوية لم يذق خلالها طعم الراحة والطمأنينة ، وكان الشيطان خلال هذه الفترة يصول بين جنبات مكة ويجول • وينفث فى أرجائها سمومه القاتلة من أفن الرأى وطغيان الهوى واستبداد الفساد • ومن الحقد البالغ على أولياء الله وأعوان الحق • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين هذه الظلمات المتكاثفة وهو يحمل فى احدى يديه مصباح الحق ليضىء للناس الطريق ، ويحمل فى اليد الأخرى سلاح الصبر والايمان ليقاوم جنود الشيطان وأعوان الظلم والعدوان ••

وكان الملأ من كفار قريش يتآمرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غدوه ورواحه ، وفى مسائه وصباحه • ويحشدون كل القوى الآثمة لاغوائه عن الحق واغرائه بالباطل • ويتفننون فى الكيد له وللمؤمنين من أصحابه حتى وصل بهم الطغيان الى مقاطعته هو وعشيرته من بنى هاشم وبنى المطلب فلا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم ، ولا يبيعونهم ولا يشترون منهم ولا يتعاملون معهم ولا يتحدثون اليهم حتى عضهم الجوع وأمضهم الحرمان ، ونبشوا صخور الجبل بأظافرهم بحثا عن عظام الحيوانات وجلودها ليطحنوها كالدقيق ويتخذوا منها طعاما • وقد استمرت هذه المقاطعة المروعة ثلاثة أعوام متتابعة — ويالها من محنة أليمة • ومصيبة عصيبة — ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظل طوال هذه الفترة الرهيبة معتصما بالصبر الجميل حتى ذهبت هذه الغمة وانجلى ليلها الطويل •

وقصة العذاب الذى صبه

المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبلاء الذى أذاقوه لأصحابه الأطهار قصة طويلة ، والأمثلة على عداوتهم البالغة وطغيانهم الآثم كثيرة تحفل بها كتب التاريخ والسيرة • ولكنها — على كثرتها — لم تنل من ايمانهم ، ولم تضعف من عقيدتهم بل زادتهم — بحمد الله — ايمانا على ايمانهم حتى جعل الله لهم من هذا الضيق المستحكم فرجا ومخرجا فكانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم هى الفجر الصادق بعد ليل داجى الجوانب • وكانت هى باب الفرج وسبيل الخلاص من هذا الشر المحدق والبلاء المطبق ••

تدبير وتقدير :

وحينما أراد الله أن تعلو كلمة الحق ويرتفع لواؤه يسر للنبى صلوات الله وسلامه عليه طريقا الى النجاة بعد أن طال ليل الظلم وظن الناس أن الصبح ليس بقريب ، وقد لاحت بشائر الفرج من جانب يثرب حينما أقبل جماعة من الأوس والخزرج وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موسم الحج عند جمرة العقبة بعد اثنى عشر عاما من البعثة النبوية وكانت بيعتهم على ألا يشركوا بالله شيئا ، وألا يسرقوا ، وألا يزنوا ، وألا يقتلوا أولادهم ، وألا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم • وألا يعصوا رسول الله فى معروف ••

ثم عادوا فى العام الذى يليه • وفى نفس المكان بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وكان عددهم ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، وكان معنى هذه البيعة أنهم يلتزمون بالدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • والتضحية فى سبيل دعوته بأنفسهم وأموالهم •• وبهذا أصبح الرسول والمسلمون فى مكة يشعرون بأن قوة جديدة تقف الى جانبهم • وأن أرضا طيبة تتهيأ لاستقبالهم • وأخذ الأوس والخزرج بعد رجوعهم الى يثرب يبشرون بالدعوة الاسلامية بين أهلهم وذويهم فتقع من نفوسهم

موقع الرضـا والقبول • ويمدون ايديهم لتأكيـد البيعة التى التزم بها اخوانهم الذين سـبقوهم الى لقاء محمد صلى الله عليه وسلم •• وهكذا أشرقت يثرب بنور الحق • وانتشرت فيها مبادىء الاسـلام وأصبحت مكانا مناسـبا يأمن فيه المسـلمون على أنفسهم من أذى المعتدين وطغيان الظالمين •

وهنا يجىء التدبير والتقدير • فقد تهيأت الفرصة المناسبة والمكان المناسـب والجو المناسـب الذى يصلح لأمن الاسلام واستقراره ، ونموه وازدهاره • ولم يعد هناك مجال لبقاء الاسلام فى مكة حبيسا فى جوها الخانق الذى يشـتعل بالحقد والضغينة • وتمزق الاثرة البغيضـة والعصـبية الحمقاء • فكانت الهجرة فى واقع الأمر تدبيرا وتقديرا • دبرها المولى الحكيم ، وقدرها العزيز العليم • ولا تعتبر هزيمة وفرارا كما يزعم الزاعمون ويرجف المرجفون ••

اخلاص فى الصـحبة وصـدق فى الصـداقة :

وفى يوم الهجـرة الخالد ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم الى صـاحبه الوفى الأمين أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقال له : يا أبا بكر • ان الله أمرنى بالهجرة• فيقول أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ؟ ويجيبه الرسـول : الصحبة يا أبا بكر • فتنهمـر الدمـوع من عينى الصـديق الأمين فرحـا وسرورا • وتقول السيدة عائشـة بنت أبى بكـر رضى الله عنهمـا تصـويرا لهذه اللحظة الخالدة : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى • ثم يجهـز أبو بكر ما يلزم لهذه الرحلة الشاقة من حر ماله مستبقيا عون الله لأهله وعياله •• ويخرج الصـاحبان العظيمان بعد ذلك فى ظـلام الليل يطاردهما الظلم بجحافله الجرارة • ويضىء أمامهما الايمان فيبدد هذا الظلم والظلام حتى يصلا بعد عناء شديد الى غار فى أعلى جبل ثور • وحينئذ يسبق أبو بكر رسول الله ليسـتبرىء هذا الغار ويضمن سـلامته من الهوام والحشرات المؤذية ، حتى اذا اطمأن لسلامته

سمح للرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول وجلس الى جواره فى هذا الغار الموحش ..

ولكن المشركين الذين تآمروا على الرسول صلى الله عليه وسلم وصمموا على قتله والقضاء على دعوته لم يهدأ لهم بال . ولم تغمض لهم عين فتتبعوا آثار الصاحبين الجليلين حتى وصلوا الى مكان قريب من هذا الغار . ودارت بينهم وبين أحد الرعاة فى هذا المكان مناقشة وتساؤل : هل رأيت هنا رجلين ؟ فأجاب الراعى : قد يكونان بهذا الغار وان لم أر أحدا أمه .. !! وحينما سمع أبو بكر هذا الكلام تصبب عرقا وفزع لهول المفاجأة واشتد خوفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله . لو نظر أحدهم الى موضع قدميه لرآنا . ـ وكأنما يريد أبو بكر من الرسول أن يشير عليه بما يمكن أن يقوم به لانقاذ الموقف والتخلص من هذا الحرج البالغ ـ فيجيبه الرسول صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما . لا تحزن ان الله معنا ..

وحقا . لقد كان الله معهما بعونه وتأييده . اذ جاء أحد المشركين وأمعن النظر فى مدخل هذا الغار فاذا به يرى خيمة كثيفة من نسيج العنكبوت قد نسجت على باب الغار فاعتقد أنه غار مهجور . فرجع مسرعا الى صحبه المتربصين وقال لهم . انه غار مهجور لم يدخله أحد من سنين وان العنكبوت قد خيم عليه من قبل ميلاد محمد .. فرجعوا خاسرين خائبين .. وبذلك ضرب أبو بكر فى صداقته وحبه واخلاصه للرسول أروع الامثال . وفى ذلك يقول الله عز وجل فى سورة التوبة : **« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم »** .

ولله قول شوقى رحمه الله :

سل عصـبة الشرك حـول الغار حائمـة
لولا مطـاردة المختـار لم تحم
هـل أبصروا الأثر الوضـاء أم سـمعوا
همس التسابيح والقرآن من أمم؟
وهـل تمثل نسج العنـكبوت لهم
كالغاب والحائمات الزغب كالرخم
فأدبروا ووجـوه الأرض تلعنهم
كباطـل من جـلال الحق منهزم
لولا يد الله بالجـارين ما سـلما
وعينه حول ركن الـدين لم يقم
تواريا بجنـاح الله واسـتترا
ومن يضم جنـاح الله لا يضـم

فما أجل وأجمل الاخـلاص فى الصحبة والصـداقة ، ويا لها من صداقة يعتز بها المسلمون على مدى الأجيال والقرون .

آيات فى طريق الهجرة :

وكم لله سبحانه من آيات تملأ الآفاق ، وتنطـق بعظيم قدرته وجليل حكمته وقد جرت سنة الله فى أنبيائه ورسـله بأن يظهر على أيديهم من الآيات والمعجـزات ما يثبت القلوب القلقة ويرشـد النفوس الحائرة . ويزيد المؤمنين ايمانا على ايمانهم .. وفى طـريق الهجرة النبوية وقعت آيات بالغـة ومعجزات دامغة تكفى الواحـدة منها لكى تضـع أيدى الناس وعقولهم على الطريق القاصـد والمحجة الواضحة ، وحسبنا الآن أن نشرى بالقليل منها وفى ذلك بلاغ أى بلاغ ..

ففى طريق الهجرة مر الرسول صـلوات الله وسـلامه عليه . وصـاحبه الصديق رضى الله عنه بخيمة أم معبد الخزاعية . وكانت امرأة تقعد بفناء الخيمة تسـقى المسـافرين وتطعمهم وتبيعهم ما يحتاجون اليه ، فسألوها تمـرا أو لحما يشترونه فلم يصـيبوا عندها شيئا من ذلك . فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة فقال : ما هـذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : هى شاة خلفها الجهد عن الغنم (أى انهـا هزيلة لم تسـتطع الذهاب الى المرعى) فقال الرسـول صلى الله عليه وسـلم : هل بهـا شىء من اللبن ؟ قالت : هى أجهد من ذلك .

قال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : نعم • بأبى أنت وأمى انهـا ليس فيها لبن • فدعا رسـول الله صلى الله عليه وسلم بالشـاة فمسـح ضرعهـا وذكر اسم الله ، وقال : اللهم بارك لها فى شـاتها ففرجت الشاة رجليها فدعا رسـول الله صلى الله عليه وسـلم باناء كبير وحلب بنفسـه الشاة فدرت بلبن غـزير حتى امتـلأ الاناء فشربت المرأة وشرب الحاضرون جميعـا حتى ارتووا ثم حلب بعد ذلك حتى امتلأ الاناء مرة ثانية وغادره عندها وانصرف • وجاء زوجها أبو معبد بعد قليل فلما رأى اللبن عنـدها عجب وقال : من أين لكم هـذا والشاة عازبة ولا حلوبة فى البيت ؟ قالت : والله انه مر بنا رجل مبارك كان من أمره كيت وكيت • وقصت عليه ما وقع • وعرف الناس بعـد ذلك أنه محمد • وأن ما وقع لأم معبد وشاتها انما هو كرامة وتكريم لمحمد • وكان الناس ــ والمؤمنون منهم ــ يـرددون فى ذلك الحين :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حـلا خيمتى أم معبـد
همـا نزلا بالبر ثم ترحـلا فأفلح من أمسى رفيـق محمـد
سلوا أختكم عن شـأنها وانائهـا فانكم ان تسألوا الشاة تشـهد

وهل أتاكم حـديث سراقة بن مالك ؟ •• انه رجل من بنى مدلج تتبع رسـول الله صلى الله عليه وسـلم طمعـا فى الجـائزة التى رصدتها قريش لمن يأتى بمحمد حيا أو ميتا ، وكانت هذه الجائزة مائة من الابل ، ويا لها من جائزة سنية يسـيل لها لعاب الطامعين فى متاع الدنيا وعرضها الزائل ••

ويذكر الرواة أن هذا الرجل قد جهز عدته وسـلاحه ، وامتطى فرسـه • وانطلق يعدو به ميمما الطريق والمكان الذى يتوقع وجود محمد فيه وكان قد سمع من بعض المسافرين القادمين من مكة أمارات واضحة تدل على الطريق الذى كان يسـير محمد فيه ، فأخذ يضلل السامعين ويعمى عليهم حتى يظفر وحده بالابل المائة • ويظفـر الى جوار ذلك بالفخـر أمام أهل مكة الذين أعياهم البحث عن محمـد

واستسلموا فى النهاية الى اليأس والفشل ..

وهكذا مضى سراقة فى طريقه حتى أصبح على مرمى البصر من محمد وصاحبه ، ولكنه فوجىء بفرسه التى لم تكب فى حياتها مرة واحدة تكبو ثلاث مرات متتابعات ، وفى المرة التالية تسوخ قوائمها فى الرمال ، ويتصاعد منها دخان كالاعصار .. وحينئذ فزع سراقة وأدرك أن سرا عجيبا وعناية خاصة تحيط بمحمد . وأنه اذا استمر فى مطاردته فسوف يسعى الى حتفه بظلفه ، فرجع سراقة عن محاولته الآثمة وعاد الى مكة وقد أشرق الايمان فى قلبه فأخذ يضلل المشركين حتى لا يلحقوا برسول الله . ثم شاء الله له بعد ذلك أن يصبح من أصحاب الرسول المخلصين المجاهدين فى سبيل الله .. وهكذا تتابعت المعجزات النبوية فى طريق الهجرة وتتابعت الآيات ، وذلك فضل الله والله ذو الفضل العظيم ..

أخوة مثالية ودولة مثالية :

وحينما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة أحاط به المهاجرون والانصار عن يمين ويسار . فدخلها فى موكب من النور .. ومنذ أول يوم استقر فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فى يثرب بدأ يؤسس الدولة الاسلامية الكبرى التى أذن الله لها فيما بعد أن تمتد فى كل اتجاه وتضم بين ذراعيها أقوى دولتين كانتا تتحكمان فى هذا العالم وهما دولة الفرس ودولة الروم .

وكان موقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الذين تركوا وطنهم وأخرجوا من ديارهم وأموالهم موقفا دقيقا يتطلب الاخلاص والتضامن . ويقتضى أن يسود التعاون بينهم وبين اخوانهم الانصار ..

وكان الانصار وهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ولا غرو فقد شعروا بحاجة اخوانهم المهاجرين وقدروا

ظروفهم العصبية فآووهم ونصروهم وضربوا فى الاخلاص لهم والتفانى فى خدمتهم أروع الأمثال ، حتى لقد وصفهم الله عز وجل بذلك الوصف الرائع حيث يقول : « **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** » أى يفضلون اخوانهم المهاجرين على أنفسهم مهما كان فقرهم ومهما اشتدت حاجتهم • وقد دعم الرسول هذا الاخلاص فعقد بين المهاجرين والانصار أخوة نادرة المثال ، اذ جعل لها من الحقوق والواجبات ما لأخوة النسب • وكانت تلك المؤاخاة أساسا لتقوية المسلمين وتوكيدا لوحدتهم وألفتهم وضمانا لحياة كريمة صافية • وعيشة راضية • بل كانت من أقوى الأسس وأهمها فى تكوين الدولة الاسلامية الكبرى •• ولايزال هذا المظهر الرائع من التضامن والتعاون هو النداء الخالد الذى يهتف بالمسلمين بعد أربعة عشر قرنا كاملة مرت عليهم •• أن تعالوا الى كلمة الحق التى آوى اليها اخوانكم الأبرار • من المهاجرين والأنصار •« **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » واتركوا العصبية الباطلة والجاهلية الجاهلة • وكونوا يدا واحدة على أعداء الاسلام ، ولا تكونوا وقودا للمطامع والأهواء والفتن الرعناء •

دروس وعبر :

وهكذا كانت الهجرة النبوية — ولاتزال — معلما على الطريق ومنارة هادية ترشدنا الى أن الكفاح سبيل الفوز والنجاح • وأن آيات الله تسير أبدا الى جوار المخلصين والمصطفين من عباده •• وأن التضامن والتعاون الذى كان أساسا بنيت عليه الدولة الاسلامية الأولى التى قوضت صروح الظلم والطغيان — هو الأمل المرجو الذى يتطلع اليه المسلمون فى هذا الوقت العصيب والجو الرهيب الذى نعيش فيه الآن •

فيا أمة الاسلام : ارجعوا الى جوهر الحق فى دينكم ، وخذوا العبرة من سيرة نبيكم واجعلوها

نورا يسعى بين أيديكم وبأيمانكم ، واعلموا أن الفجر الصادق فى حياة العروبة والاسلام لن يبزغ فى جو مشحون بالظلم والظلام والخلاف والانقسام . انما يبزغ الفجر حينما ينتهى هذا الليل الحالك وتشرق النفوس بالمودة والأخوة والايمان .

د. محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

« عبرة الهجرة »

ان فى اخلاق النبى صلى الله عليه وسلم وسجاياه ، التى لا تشتمل على مثلها نفس بشرية ــ ما يغنيه عن كل خارقة تأتيه من الأرض أو السماء أو الماء أو الهواء .

ان ما كان يبهر العرب من معجزات علمه ، وحلمه ، وصبره ، واحتماله ، وتواضعه ، وايثاره وصدقه واخلاصه ــ اكثر مما كان يبهرهم من معجزات تسبيح الحصى ، وانشقاق القمر ، ومشى الشجر ، ولين الحجر .

مرحبًا بهلال مطلع القرن الخامس عشر الهجرى

لفضيلة الدكتور / الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

مرحبا بك يا هلال مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ، نستقبلك بدعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كنت تشرق فى سمائك وضاء منذ خمسة عشر قرنا فينظر اليكْ رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه المشرق الوضاء مناجيا ربه أن يجعلك مطلع خير ، وبر ، ورشد وسلامة وأمن على الأمة الاسلامية ونحن نردد ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم عند رؤيتك ونطلب من المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها أن يرددوا معنا فى وعى وصدق قول الرسول صلى الله عليه وسلم (اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام ربى وربك الله هلال رشد وخير) (١) .

بالله حدث أمة الاسلام يا هلال مطلع القرن الخامس عشر الهجرى عن أمجاد الاسلام ، حدثهم عن المثل الرفيعة ، عن التضحية فى سبيل عقيدة الاسلام حدثهم عن نور الاسلام وسماحته ، حدثنا عن المعالم النيره الصادقة والحديث العذب البليغ الذى قاله جعفر بن أبى طالب عندما هاجر المسلمون الى الحبشه وأرسلت قريش وفدا فى أثرهم الى النجاشى ليردوهم الى مكه لتقوم قريش بتعذيبهم من جديد ، وليضيقوا عليهم ، لقد قال جعفر بن أبى طالب للنجاشى ملك

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

الحبشة قولا بليغا معبرا فيه عن فضل الاسلام وأهدافه النبيلة خير تعبيرا أوجز فيه رسالة الاسلام وسماحته ، وأقنع به النجاشى ملك الحبشة . قال أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ..

فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه : من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء .

ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام : وعدد عليه أمور الاسلام ، فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا .

فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا الى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ماكنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك ، ولماقرأ عليه صدرا من سورة مريم بكى النجاشى ثم قال، ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، ثم التفت الى عبد الله بن أبى ربيعه وعمرو بن العاص فقال لهما انطلقا فلا والله لا أسلمهم اليكما » .

حدثنا يا هلال مطلع القرن الخامس عشر الهجرى عن مؤامرة قريش فى دار الندوة للتشاور فيما يبيتون من شر لرسول الله صلى الله عليه وسلم من حبسه أو قتله أو طرده ، واستقر رأيهم على قتله ، وما دروا أن الله مطلع عليهم وأنه ناصر لرسوله وأن الله متم نوره ، عاصم لرسوله ، وقد سجل الله ذلك فى القرآن الكريم ، بقوله « واذ يمكر بك الذين كفروا

ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » (١) •

حدثنا عن يوم الهجرة وعن تضحية علي بن أبى طالب رضى الله عنه وتلبيته لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وقد بات مكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج الرسول على المشركين وهو يقرأ قول الله تعالى : **« وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون »** (٢) والقى الله النوم عليهم فلم يره منهم أحد •

حدثنا عن الصحبة والصدق والصديق وعن ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ربه وهو يقول فى غار حراء يا أبا بكر ماظنك فى اثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر لا تحزن ان الله معنا ولقد سجل القرآن الكريم ذلك فى قوله **« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن أن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم »** (٣) •

حدثنا عن موكب النور وفرحة الانصار برسول الله صلى الله عليه وسلم وردد فى سمع الزمان هذا النشيد الخالد الذى استقبل به الرسول صلى الله عليه وسلم •

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالامر المطاع
جئت شرفت المدينة
بالهدى ياخير داع

حدثنا عن أهمية المسجد ، ورسالة الطهر والتقوى التى سجلها القرآن الكريم بقوله : **« لمسجد أسس على التقوى من أوليوم أحق أن تقوم فيهفيه** رجال

(١) سورة الانفال آية ٣٠ •
(١) سورة يس آية ٩ •
(٣) سورة التوبة آية ٤٠ •

يحبون أن يتطهـروا واللـه يحب المطهرين » (١) •

ان أتباع الاســـلام متطهرون مظهرا فهم شامة الناس وضـاءون متـلألئون نظـافة فى أبدانهم وملابسهم وهم متطهرون قلوبـا ونية وسلوكا ، انهم خير للانسانية عامة لقد كانت المدينة تسمى بيثرب ولما هاجر اليها الرسول صلى الله عليه وسلم أصبحت المدينة المنورة وأصـــبحت حرما آمنا لا ينفر صيدها ولا يصلح لرجل أن يحمل السلاح فيها لقتـــال ، ولا تلتقط لقطتها الا لمن أشاد بها ، وارتفعت مكانتها وقال صلى الله عيه وسـلم ان ابراهيم حرم مكة ودعا لهـا ، وانى حرمت المدينـــة كما حـرم ابراهيم مكة ودعا لهم بالبركـة فى كل مايملكون فى مدهم وصاعهم عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم أشرف على المدينة فقال اللهم انى احرم ما بين جبليها مثل ما حـرم ابراهيم مكـة ، اللهم بارك لهم فى مدهم وصـاعهم ، وحلت البركـة وحل النور فى أرجـاء المدينـــة وأصـــبحت حرما له أحكامــه ، فالصلاة فى مسجد الرسول صـلى الله عليه وسلم بألف صلاة فى غيره الا البيت الحرام وللروضة شرفها، وللسلام على رسول الله صلى الله عليه وســلم فضـــله العظيم فان الرسول صلى الله عليه وسلم يـرد السلام على كل من سلم عليـــه حول قبره الشريف •

هل رأيت ياهلال مطلع القــرن الخامس عشر الهجرى مايحـــل بالمسلمين فى أفغانستان على أيدى الشيوعية الملحدة وما فى اليمـــن الجنوبية وما فى القدس ، ومايسفك من دماء المسلمين على يد من يدعون الاسلام فى الأوطان الاسلامية ، وهل اطلعت على تخاذل المسلمين وتفرقهم وقد طمع فيهم الأعـداء وأشاعوا الفتن بينهم ، بالله حدثهم عن منهج الاصـــلاح الذى جعله الرسول صلى الله عليه وســـلم أساسا للقوة والفلاح وهو الاخاء والتآلف ، حدثهم عـــن اخـــاء

(١) سورة التوبة آية ١٠٨ •

المهاجرين والانصار وردد على سمعهم قول الله تبارك وتعالى : **« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (١) .**

وردد على سمعهم قول الله تبارك وتعالى : **« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » (٢) .**

وردد على سمعهم قول الله تبارك وتعالى : **« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٣) .**

ذكرهم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث ، يلتقيان فيعرض هذا ، ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام ، فالخير الذى يبادر بالسلام والمصافحة والصفح لجمع الكلمة ، ففى اتحاد المسلمين قوتهم ونصرهم ، ذكرهم بقول الشاعر :

وان الذى بينى وبين بنى أخى
وبين بنى عمى لمختلف جدا
فان أكلوا لحمى حفظت لحومهم
وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

ذكرهم بسماحة الاسلام وعفوه ورحمته وبقول الرسول الخالد عندما فتح مكة وقال لمن أساءوا اليه ماتظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، وقال كلمته الخالدة الوضاءة اذهبوا فأنتم الطلقاء وقال عن أبى سفيان الذى قاد المعركة ضد الاسلام يوم بدر : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن فأى أخلاق عرفتها الانسانية تسمو الى هذه الأخلاق العملية الكريمة ، ياهلال مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ذكر المسلمين فى كل مكان بأسمى وثيقة لحقوق الانسان قالها الرسول صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع حرم فيها سفك الدماء واباحة الأعراض ونهب الأموال عندما وقف يوم النحر فقال : « فان

---

(١) سورة الحشر آية ٩ .
(٢) سورة الأنفال آية ٤٦ .
(٣) سورة ال عمران آية ١٠٣ .

دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الى يوم تلقون ربكم ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم قال اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » .

بلغ ياهلال مطلع القرن الخامس عشر الهجرى المسلمين قول الرسول صلى الله عليه وسلم وقل لهم . قال فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وردد على سمع المسلمين قول الله تبارك وتعالى : « **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** » (١) وذكرهم وقل لهم أن يتفكروا ويتدبروا فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه .

يا هلال مطلع القرن الخامس عشر قل للمسلمين ان خير احتفال بقدومك هو التآلف والاعتصام بحبل الله « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا** » (٢) .

وتحية الى المسلمين وتهنئة بمطلع القرن الخامس عشر الهجرى ودعوة لهم أن يؤلف الله بين قلوبهم كما ألف رسولهم صلى الله عليه وسلم بين الأوس والخزرج ، وبين المهاجرين والأنصار قال تعالى « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** » .

هذا وبالله التوفيق .

دكتور / الحسينى عبد المجيد هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

---

(١) سورة المائدة آية ٢ .
(٢) آل عمران آية ١٠٤ .

لمحات من الهجرة

للأستاذ / محمد صابر البرديسي
مدير المجلة

لم يكن التفكير فى الهجرة الى المدينة هو أول خاطر يخطر ببال محمد « صلى الله عليه وسلم » ، بل خامرت الهجرة نفس محمد « صلى الله عليه وسلم » منذ أوحى اليه أول مرة ، وهو فى غار حراء حين ذهبت به السيدة خديجة « رضى الله عنها » الى ورقه بن نوفل يرتجف من الوحى فقال له ورقة « انه الناموس الذى كان ينزل على الأنبياء قبلك . ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال له النبى « صلى الله عليه وسلم» أو مخرجى هم ؟ قال نعم . لم يأت أحد بمثل ما أوتيت به الا عودى ، ولئن أدركت يومك لأنصرنك نصرا مؤزرا ، انك يابن أخى لنبى هذه الأمة . » وما لبث ورقة أن توفى .

ويمكن أن نعتبر ورقة بن نوفل أول من آمن بنبوة محمد « صلى الله عليه وسلم » قبل بعثته وقبل أن يؤمن بها الناس .

ولما أمر بتبليغ الرسالة بقوله تعالى : **« يا أيها المدثر قم فأنذر »** وبقوله تعالى : **« وأنذر عشيرتك الأقربين »** آخذ يوطن نفسه على الجهاد والتضحية من أجل هذه الرسالة .

وما أن أعلن رسالته ، وعرض على قريش ما أوحى اليه حتى كذبوه وآذوه وتفنن المشركون فى تعذيب كل من يسلم ويستجيب لدعوة محمد ، وتحمل محمد وصحبه ألوانا من العذاب والهوان

والحرمان وكان أصحاب محمد من المسلمين الضعفاء ممن ليست لهم حماية أو منعة يعـذبون بالضرب والحبس وتوضع الأحجار المحمية على بطونهم فى الرمضاء اذا اشتد الحـر • فهذا بلال بن رباح ، كان أمية بن خلف يطرحه على ظهره فى الظهيرة ، ثم يضع الصخرة على صدره ، ويجلده ، ويتوعده ويهدده ليرغمه على أن يكفر بما جاء بـه محمد فما يحوله ذلك عن دين محمد وما يزيد عن أن يقول «أحد أحد» وذاك « عمـار بن ياسر » وأبوه وأمه ، كانوا يعـذبون مـن بنى مخزوم برمضاء مكة وقت الظهيرة وكان يمر بهم رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فيراهم فى هذه الصورة التى تتفتت لها الأكباد ، وتتقطع لها القلوب ، فيقول لهم « صبرا آل ياسر ، فموعـدكم الجنة » •

قعد الكفار والمشركون لرسـول الله وأصحابه كل مرصد ، وضيقوا عليهم الخناق وخاف أبو طالب عم رسول الله على محمـد أن يلحقه ضرر لا قبل له به ، فأشار عليه بأن يكف عن دعوته وأن يتريث الأمر ، فقال له قولته التى تبقى على مر الزمن ويبقى معها صـداها يوقظ كل قلب ضعف فيه الايمان ويحرك كوامن النفوس حين يغشاها الفتور والركود •

ويثبت به قلوب المؤمنين ويزداد الذين آمنوا ايمانا •

قال له : « والله يا عمـاه لو وضـعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسـارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » وبعـد أن فقد رسول الله «صلى الله عليه وسلم» الحمايتين بموت زوجه « خديجة » رضى الله عنها ، ومـوت عمـه « أبى طالب » نالت قريش منـه ما لم تنله فى حياتها وضاقت مكـة برسـول الله « صلى الله عليه وسلم » وبأصـحابه الذين التفوا حوله وأصـبح البقاء بمكة أمرا صعبا يهدد الرسول والدعوة معـا بالفناء ، ويجعـل الطريق الى نشر الدعوة طريقا مسدودا ، وكان لابد من منفذ ينفذ المسـلمون منـه للوصـول الى نشر الدعـوة

وحمايتها ، وكان لابد من الهجرة .

ومن رحمة الله بالمسلمين أن الفترة التى قضوها بمكة قبل الهجرة كانت فترة تربية للنفس ، ولقلوب حملة هذه الدعوة الراغبين اليها .

كانت هجرة نفسية تعود المسلمون فيها ـ طوال مدة وجودهم فى مكة ـ على الصبر والتضحية والاحتمال ، وعاشوا أياما بلا زاد ولا مأوى ، وهجروا ملاذ الحياة .

فترة اعداد لهجرة شاقة تكون النفوس فيها مستعدة لتحمل وعناء السفر ومشاق الغربة ، وعناء الطريق ، وبذل النفس والمال فى سبيل الله .

وجاء موسم الحج ، وتدفقت القبائل على الأسواق ، فكان الرسول « صلى الله عليه وسلم » يعرض نفسه فى كل سوق ، ويقول : « ألا رجل يعرض على قومه فان قريشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى » . فكان الناس يعرضون عنه ، لأن عمه أبا لهب كان يصرف الناس عنه ، ويتعرض له ويقول لهم : « لا تسمعوا منه فانه كذاب ، ولا ترفعوا بقوله رأسا فانه مجنون يهذى من أم رأسه ، فكان رجال القبائل يصدون عنه ويقولون : قوم الرجل أعلم به أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه ؟

وظل الأمر على هذا الحال ، محمد يعرض نفسه على القبائل ، وأبو لهب يتعرض له ، ولكن الله « جل شأنه » اذا أراد بعبده خيرا يسر له أمره ، وكشف عنه ضره ، وفرج عنه كربه « **ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ، ذلك أمر الله أنزله اليكم** » (١) .

وقد أراد الله بمحمد « صلى الله عليه وسلم » خيرا ، فقد هيأ له الفرصة لعرض نفسه على القبائل بعيدا عن مضايقات عمه أبى لهب . حيث انه توجه ناحية جمرة العقبة (٢) وهناك التقى برهطين

---

(١) سورة الطلاق ـ آية رقم ٤ ، ٥
(٢) يسار الطريق إلى منى من جهة مكة

من الخزرج من بنى النجـــار فى يثرب ، وعلى رأسهم أســـعد بن زرارة ، فدعاهم صـــلى الله عليه وسلم الى الاســـلام ، وتلا عليهم آيات من القرآن ، فهداهم الله الى الايمان وقالوا لرسول الله « صلى الله عليه وســـلم » « آمنـــا بك وصــــدقناك فمرنا بأمرك فانا لن نعصــــيك » فملأت الفرحة قلب محمـــد « صلى الله عليه وسلم » فخر ساجدا ، شاكرا لله أن هداهم للايمـــــان ، ثم فقههم فى دينهم ، وطلب منهم أن يدعـــوا قومهم الى الاسلام ، ورغبوا فى أن يرتحـــل معهم ، فقال : « حتى يأذن الله » •

ثم جاءت الاشهر الحرم ، بعـــد أن دار الـــزمن دورته ، وبلـــغ اليثربيون مكة ، والتقوا برســـول الله ، وكانت بيعة العقبـــة الكبرى وراح رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يبايع القوم ، وقد تعلقت به قلوبهم وارتبطت به نفوسهم ، كان لقاء مفعما بالحب والنشوة ، وكانت متعة اللقاء لا تدانيها متعة ، وكانت المعاهدة التى وطدت روابط الأخوة بين الأحبة •

كان المســـلمون فى يثرب ، وقد كثر عددهم ــ يصلون خلف أسعد ابن زرارة فطلبوا منـــه أن يبعث معهم رجلا من أصحابه يفقههم فى الدين ، ويقرئهم القـــرآن ، فبعث اليهم « مصعب بن عمير ، فنزل على أسعد بن زرارة وأسلم على يديه خلق كثير •

ويذكر المؤرخون أن الرســـول « صلى الله عليه وسلم » فى البيعة الكبرى كان معـــــه « العباس بن عبد المطلب عمه ، وقد تحمس له ، ووضع عيونا لحراسة ابن أخيه ، وضــــع عليا على فم الشـــعب ، وأوقف أبا بكر على فم الطـــــريق الآخر •

فهل فعل العباس ذلك وهو على دين آبائه ، أم أنه أســـــلم سرا ، وكتم اسلامه بأمر من الرســـول ، ليكون عونا له فى اعلامه بالاخبـــار بعد الهجرة •

وقد تحادث العباس مع القوم ، وأخـــذ عليهم المواثيق حفاظا على ابن أخيه ، فأخذ البرار بن معرور بيد الرســـــول « صلى الله عليه

وسلم » فبايعه وبايع قومه معه ، فقال العباس :

« اللهم انك سامع شاهد ، وان ابن أخى قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه ، اللهم كن لابن أخى عليهم شهيدا » •

ثم أخرجوا لهم من بينهم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم •

كانت تلك الساعات التى تعاهد فيها القوم مع رسول الله « صلى الله عليه وسلم » من أروع الساعات ، وأخطرها فى تاريخ البشرية ، انها تبشر بفتح قريب ، وبداية لنشر راية الاسلام فى كل مكان •

ومن بعدها كان الرسول « صلى الله عليه وسلم » يقول لمن يشكو من المسلمين ضراوة المشركين « **ان الله قد جعل لكم اخوانا ، ودارا تأمنون بها** » وكان ذلك أمرا من رسول الله بالهجرة الى يثرب ، فهاجروا اليها زرافات ووحدانا ، **مختفين ماعدا عمر** « رضى الله عنه » فكما أعلن اسلامه ، أبى الا أن يعلن هجرته متحديا المشركين ، فتقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتضى فى يديه أسهما ، وعلق جربته الصغيرة عند خاصرتيه ، والملأ حوله من قريش يرقبونه ، ثم نظر اليهم ، وقال قولته المشهورة « من أراد أن تثكله أمه ، أو يوتم ولده أو ترمل زوجته ،فليلقنى وراء هذا الوادى، وسار عمر فما تبعه أحد ، ففرح الرسول ، وانشرح صدره بشجاعة عمر ، وتحديه للجميع •

وأراد أبو بكر الهجرة ، فقال له الرسول « صلى الله عليه وسلم » « لا تعجل ، لعل الله أن يجعل لك صاحبا » •

وطمع أبو بكر أن يكون ذلك الصاحب هو رسول الله نفسه ، فزعت قريش والمشركون من تجمع المسلمين بيثرب ، وخافت أن يهاجر محمد فيكون جيشا لحربهم ، فاجتمعوا فى دار الندوة وتشاوروا فى أمره ، وانتهى أمرهم الى أن يأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا ، ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل ،

فلا تستطيع بنو عبد مناف على حربهم جميعا ، ثم تدفع لهم الدية .

وجاء خبر السماء فكشف كيدهم ، ونزل جبريل عليه السلام بقول الله تعالى : **« واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »** (١) .

وقال له جبريل **« لا تبت هذه الليلة فى فراشك الذى كنت تبيت عليه »** واجتمع القوم أمام البيت لقتله ، ورأى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » مكانهم ، فقال لعلى : « نم على فراشى **... فانه لن تخلص اليك شىء تكرهه منهم»** فنام على « رضى الله عنه » هادىء النفس مطمئنا ، ثم أخذ الرسول حفنة من التراب وتلا قوله تعالى : **« يس والقرآن الحكيم »** الى قوله ، **« فأغشيناهم فهم لا يبصرون » (٢)** .

فأخذ الله على أبصارهم فناموا فخرج « صلى الله عليه وسلم » ولم يروه بعد أن نثر عليهم التراب ثم ذهب حيث يريد .

هاجر الرسول « صلى الله عليه وسلم » ومعه أبو بكر « رضى الله عنه » مستخفين حتى اذا كانت الكعبة خلفهما نظر عليه السلام الى مكة ، وقال فى لهفة وحنين اليها :(والله انك لأحب أرض الله الى وانك لأحب أرض الله الى الله ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت) ومضيا حتى وصلا الى غار ثور فدخلاه مستخفين .

وحدثت من المعجزات على مدخل الغار ما صرف عنهما أنظار المشركين .

وقد حزن أبو بكر حين رأى الكفار على فم الغار ، وقال للرسول :

« لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا » فطمأنه الرسول « صلى الله عليه وسلم ».

---

(١) سورة الانفال ــ آية ٣٠

(٢) يس ــ ٩

وقال له : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، لا تحزن ان الله معنـــا » فانصرف المشركـــون لا يلوون على شيء » •

وجاءت الساعة المحددة لخروج النبي «صلى الله عليه وسلم» من الغار حتى اذا انتهى الى أســـفل الجبل وجد الأريقط « الدليل » في انتظارهما ثم انطلق أفضل ركب في رعاية الله •

أما علي فقد بقي بمكـــة ليؤدي أمانات وودائع كانت عند رســـول الله « صـــلى الله عليه وســـلم » يؤديها الى أصـــحابها نيابة عنه ، وهذا سبب تأخره عن الهجرة فوق ما قام به من تضحيات وبطولات •

أما قريش وقد أنهكها التعب ، وبلغ منها الجهد مبلغه ، فقد جعلت جعلا لمن يأتي بمحمد حيا أو ميتا •

وأراد سراقة بن نافع أن يفوز بهذا الجعل ، فخرج لابســـا سلاحه يجد في ســـيره حتى أدرك محمـــدا « صلى الله عليه وسلم » واذا بفرسه يعثر ويسقط عنه وقد تكـــرر ذلك مرارا ، فأدرك أنه في حماية وأنه قد منع منه • ووقع في نفسه مكانة محمد « صلى الله عليه وســـلم » فطلب الامان ، فأمنه ، ووعده رسول الله ، « وقد عرف ايمانه » أن يتســـور بســـواري كسرى ، وقد صدقت نبوءة محمد ، فان عمر بن الخطاب حين جيء له في زمن خلافته بسواري كسرى ، دعا سراقة وألبسه السوارين •

وبينمـــا يسير « صلى الله عليه وسلم » في طريقه المهجور موليـــا وجهه شطر المدينة قريبا من منازل خـــزاعة نزل أمام بيت هو بيت أم معبد ، واسمها عاتكة امرأة برزة تجالس الرجال وتتحـــدث اليهم في عفة وشرف ، وقد أقامت بيتهـــا على جانب الطريق الذي يســـلكه المسافرون تبيعهم الطعام والشراب واللبن وطلب منها الرسول لبنـــا ، ــ وكان الوقت وقت جدب ، فلم يجد عندها ما يسد حاجته ، وكان عندها شـــــاة هزيلة ، فقال لها الرسول « صلى الله عليه وسلم » : « هل بها من لبن ؟ فقالت : ليس بها لبن ، لقد أجهـــدها القحط ، فقال : أتأذنين لي في حلبهـــا ؟ ثم

أمسك الرسول بالشاة ومسح على صرعها بيده الشريفة ، وذكر اسم الله تعالى : وقال : « اللهم بارك لنا فى شاتنا » فدرت وملأت اناء اشبعهم ، ثم حلب ثانيا وترك الاناء مملوءا باللبن ثم ارتحل ومن معه داعيا لها بالبركة .

رجع زوجها «أبو معبد» فرأى عجبا ، رأى أم معبد يعلوها البشر والسرور ورأى اناء مملوءا باللبن ، فسألها :

من أين لك هذا ؟ قالت مر بنا رجل صفته كذا وكذا وحدثته بما رأت وبما حدث من رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فقال :

والله انى لأراه صاحب قريش الذى تطلبه ، ولو رأيته لاتبعته ثم طلب منها أن تصفه ، ومما جاء فى وصفها للرسول « صلى الله عليه وسلم » .

ظاهره الوضاءة (١) ، منبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة (٢) ، ولم تزريه صعلة (٣) . كأن عنقه أبريق فضة (٤) .

وسيم قسيم فى عينيه دعج (٥). الى آخر ما وصفته من أوصاف الكمال . وقد أسلمت هى وزوجها . ولحقا برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

سمع المسلمون بالمدينة بهجرة الرسول من مكة ، قاصدا المدينة ، فأخذوا يغدون كل صباح الى ظاهر المدينة (بالحرة) ينتظرونه ، حتى اذا ما اشتدت عليهم حرارة الشمس قفلوا راجعين فى قلق لتأخر وصوله ، وغاب عنهم أنه مكث فى الغار ثلاثة أيام .

وفى صبيحة يوم مشرق من أيام ربيع الأول تأهب الرسول « صلى الله عليه وسلم » لدخول المدينة « يثرب » فى رائعة النهار ، وصعد رجل الى الجبل ، فأبصر رجالا

---

(١) أى مشرق
(٢) كبر البطن
(٣) صغر الرأس
(٤) السيف يبرق
(٥) شدة سواد العين فى بياض مشوب بحمرة علامة على الشهامة .

قادمين ، وبينهم من يلبس الثياب البيض ، يضيء وجهه كالقمر فقال بأعلى صـوته : يا معشر العرب ، هذا جدكم (١) الـذى تنتظرونه فخـرج الناس فرحين مستبشرين يتطلعـون الى رؤية الهادى النبى الأمين يهللون فرحين ، وكان النساء والصبيان ينشدن :

طلـع البـدر علينـا
من ثنيـات الوداع
وجب الشـكر علينا
ما دعـا للـه داع
أيهـا المبعوث فينـا
جئت بالأمر المطـاع
جئت شرفت المدينـة
مرحبـا يا خـير داع

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ، ووفد الناس عليه من أطراف المدينة فرحين بمقدمه •

وفى غمرة الفرح طلب الرسـول « صـلى الله عليـه وسـلم » من المسلمين أن يأتوه بالأحجار ليبنى مسجدا ، وجمعت الاحجار ، وخط القبلة وبدا فى البناء ، ولم يزل به حتى أقام أول مسـجد أسس فى الاسـلام ونزل فيه قوله تعالى **« لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبـون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » (٢) •**

ثم توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، ووجـد المسـلمين هناك كثرة ، فبنى لهم مسـجدا وكان أول عمل قام به الرسول « صلى الله عليه وسلم » بعد بناء المسـجد أنه آخى بين المهاجرين والأنصـار ، وكان الأنصـار يؤثرون المهاجرين على أنفسـهم ، وفيهم نزل قول الله تعالى فى سـورة الحشر **« والذين تبوءوا الدار والايمـان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولايجدون فى صـدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسـهم ولو كان بهم خصـاصة ، ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون»(٣)•**

---

(١) حظكم
(٢) سورة التوبة ــ ١٠٨
(٣) الحشر آية ٩

وكان لهـــذه الأخوة تأثير عظيم فى وحدة المسلمين وجمع صفوفهم ، وتصـــفية قلوبهم ونبذ الأحقاد والضـــغائن التى كانت بين قبائلهم حتى أصبح المسلم للمسلم كالبنيان يشـــد بعضه بعضا ، وكان لهذا أيضـــا أثره فى قوة المســـلمين ، وما أصـــابوه بعد ذلك من الفتح والنصر المبين •

كانوا بهـــذا التآخى يتوارثون بعد الموت ، وحين عمل المهاجرون فى التجارة والصـــناعة ، وأصـــبح لكل مهاجر مسلم أسرة مسلمة ذات كيان بعد فراق زوجاتهم المشركات نســـخ الله ميراث الأخوة بآيات المواريث وبقى التآخى فى الله على الحب والاخـــلاص ، والحـــق والمســاواة •

ان هذه الهجرة حدث عظيم فى تاريخ الاســـلام ، فقد انتقلت الدعوة الاســـلامية من الضيق الى الســعة ، ومن الضعف الى موقف القوة ومن اســـتهتار المشركين بالمسلمين الى ســـيادة المسلمين وعزتهم ، وانتقلت بها الأمة العربية من جمـــود الى حركة ومن فوضى الى نظـــام ، ورفعت الهجرة من مستوى البشرية، وأخرجت الناس من الظلمـــات الى النور ، وكانت نقطة تحول فى تاريخ الامة كلها •

على أســـاس من الايمان بالله ، والثقة فيه ، والعقيدة الصـــحيحة قامت دولة الاســـلام فى يثرب — « والعقيدة السليمة أساس فى كل حركة يرجى لها النجـــاح والفلاح » — وعلى هذا الاساس استطاع الرسول « صلى الله عليه وسلم » أن يكون من جماعة مؤمنة «حكمت بكتاب الله وسنة رسوله» دولة اسلامية مستقرة نسبيا لان المشركين لم يتركوا المســـلمين فى راحة ، فاليهود داخل المدينة كانوا يكيدون لرســـول الله « صلى الله عليه وســـلم » بما يدبرون له من مؤامرات ودســـائس وخيانات ، وكثير من القبائل المجـــاورة كانوا يعاونون قريشا ويشايعونها •

وقبل أن يلتحق الرسول « صلى الله عليه وسلم » بالرفيق الأعلى كانت الانتصارات تتوالى لجيوش

المسلمين فى كل معركة يخوضـــونها وتم فتح مكة وعفا رســـول الله « صلى الله عليه وسلم » عن أهلها وقال لهم **« اذهبوا فأنتم الطلقاء »** وكان لهـــذا العفو أثره فى نفوس المشركين والمسلمين على الســواء فأسلم أهل مكة وتحابوا وتعاونوا وبسبب تلك الســـماحة انطلق الاسلام يشع نوره فى كل مكان ، وما كاد يلتحق الرسول بربه حتى انتشر الاسلام وعم أنحاء الجزيرة العربية كلها .

وحينئذ أتم الله نعمتـــه على المسلمين ونزل قوله تعالى **« اليوم أكملت لكم دينــكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »** وأدرك الصحابة أن بقاء الرســول معهم قد لا يطول . لأنه ما تم شىء الا وبدأ فى النقصـــان ، وأكد لهم ذلك أيضا ما نزل من قوله تعالى : **« اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واســتغفره انه كان توابا »** .

ولم يلبث الرسول « صلى الله عليه وسلم » طويلا بعد ذلك حتى توفى .

كان العرب قبل الاســـلام يؤرخون بالحـــوادث فيقولون : حدث ذلك فى عام الفيل أو عام كذا من الأحداث الجســام ، ولقد كان هناك بعد الاســـلام أكثر من حادث ، يمكن أن يؤرخ به كحادث البعثة ، أو فتح مكـــة ، ولكن عمر رضى الله عنـــه رأى أن يؤرخ بالهجرة الى المدينة وترك التوقيت ببقية الحوادث ، ذلك لأن الهجرة رمز للتضـحية والفداء ، وعنوان لانتصار الحق على الباطل .

ولما كانت الهجرة فى ربيع الأول رجع « رضى الله عنــه » بالتاريخ الى أول المحرم مراعاة لضـــبط الحســاب .

يدور الزمان دورته ، ويعـــود المحرم كل عام ليذكر المســـلمين بما كان عليه أســلافهم من ايمان بالله ، واعتصام بحبله ، ووحدة فى الصــف والهـــدف ، ويقين فى النصر .

ان أعداء المسلمين يقفون لهم بالمرصاد ، ويحيطون بهم من كل جانب ويتحينون الفرص للقضاء عليهم • فيجب علينا أن نواجههم بحزم وقوة وبايمان صادق وعمل خالص لوجه الله ، جاعلين كتاب الله وسنة نبيه أساس التشريع قانونا وتطبيقا وعملا فان فى نصر دين الله نصر للمسلمين **« ولينصرن الله من ينصره »**•

محمد صابر البرديسى

مدير المجلة

« حسن الجواب »

يحكى أن الحجاج الثقفى بنى هو وعبد الملك بن مروان فى المسجد الأقصى بابين فوقعت صاعقة فأحرقت باب عبد الملك ، فداخله حسد للحجاج فكتب اليه الحجاج ، انما مثل أمير المؤمنين ومثلى كمثل ابنى آدم اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، فزوى عن عبد الملك ما وجده عليه ، واستحسن جوابه •

دراسات قرآنية

الهجرة وبركتها على الاسلام
المسلمون فى مطلع القرن الخامس عشر

لفضيلة الشيخ / مصطفى محمد الطير

قال تعالى فى سورة النساء :

« ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله .. » الآية ١٠٠ .

كان لهجرة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من مكة الى المدينة أثر عظيم فى نمو المسلمين ، واتساع نطاق الاسلام ، وانتشاره فى المشارق والمغارب ، فلقد ظل الاسلام حبيسا بمكة ثلاثة عشر عاما لم يتجاوزها الى سواها ، بل لم يعتنقه من أهلها الا عدد قليل معظمهم من الضعفاء والموالى ، وذلك : لأن زعماء قريش وقفوا لدعوته وداعيها بالمرصاد ، يعرضون عنه ويصدون الناس عن سبيله ، ويتناولون من آمن به بالتشهير والايذاء ، ووصل الأمر بهم الى قتلهم بعض من آمن به من الضعفاء : كياسر وسمية والدى عمار بن ياسر الصحابى الجليل .

ولقد صبر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمؤمنون لمختلف المحن والمصائب فى سبيل ربهم ، ولما اشتد عليهم الايذاء أذن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ للمؤمنين بالهجرة الى الحبشة مرتين ، فلقوا من النجاشى كل اكرام واحسان ، وكان وفودهم عليه سببا فى ايمانه وايمان بعض

قومه ، ليصبحوا أساسا للايمان فى تلك الأرض الطيبة .

ولما استيقن الرسول من يبس القلوب وتحجر الأفئدة فى أهل مكة ، قرر الهجرة الى المدينة ، لتكون منطلقا للدعوة الاسلامية من عقالها ، وقد كان ذلك بتوجيه من الله — تعالى — كما سنبينه بعد — ان شاء الله تعالى — .

الحث على الهجرة

ولقد أنزل الله تعالى حثا للمؤمنين على الهجرة وترغيبا لهم فيها قوله سبحانه « **ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما** » (١) .

أى أن من يهاجر من بلد لا يأمن فيه دينه ورزقه ، يجد فى أرض الله موضعا للهجرة يرغمفيه أنوف أعداء الله الذين حملوه على الهجرة ، ويجد فيه سعة فى رزقه وصدره وفكره ، بعد الذى كان فيه من الذل والضيق فى أمره كله، ومن يخرج من بيته يريد الهجرة فى سبيل الله ، فقد ثبت أجره عند الله تعالى وان لم يصل الى المكان الذى قصد الهجرة اليه ، وكان الله عظيم الغفران واسع الرحمة.

وقد أوجب على المسلمين بمكة أن يهاجروا الى المدينة ، ليجتمع شمل المسلمين بالمدينة ، فيتقوى الاسلام ، ويشتد بتعاضد مسلمى مكة المهاجرين مع الأنصار بالمدينة، فقد أنزل الله سبحانه قبل هذه الآية : « **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا** » (٢) .

---

(١) سورة النساء — الآية ١٠٠

(٢) الآيات ٩٧ — ٩٩ من سورة النساء .

وبلغ من اهتمام المسلمين بالهجرة امتثالا لأمر ربهم ، واقتناعا بجدواها ، ما حكاه معمر عن قتادة قال : لما نزلت **« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ٠٠ »** الآية قال رجل من المسلمين ــ وهو مريض ــ : والله مالى من عذر ، انى لدليل فى الطريق ، وانى لموسر فاحملونى ، فحملوه فأدركه الموت فى الطريق ، فقال أصحاب النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : لو بلغ الينا لتم أجره ــ وقد مات بالتنعيم ــ وجاء نبؤه الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأخبروه بالقصة ، فنزلت هذه الآية : **« ومن يخرج من بيته مهاجرا ٠٠ » الآية ،** وكان اسمه : صخرة بن جندب ، وقيل : جندب بن صخرة ٠

لماذا لم يستجب أهل مكة قبل الهجرة ؟

كان من حكم الله تعالى اعراض أهل مكة عن دعوة الاسلام وداعيها ، وحربهم المسعورة للمسلمين على اختلاف درجاتهم ، فان قريشا لو آمنت لما هاجر الرسول ، ولقال غيرهم من قبائل العرب ــ حينئذ : هؤلاء قوم تواقون للزعامة على العرب ، لأنهم أهل البيت وحراسه ، فلهذا عمدوا الى رجل منهم وحملوه على ادعاء النبوة ، لكى يملكوا بهذه الحيلة سواهم ، وحينئذ تنصرف القبائل عن قبول دينه فرارا من زعامة قريش عليهم ٠

فمن أجل ذلك : شاء العليم الحكيم ، أن يتنكر أهل مكة للاسلام وأهله ، وأن يتابعوهم بالصد والاعراض ، وبالتشهير والايذاء ، ليهاجر الرسول وأصحابه من مكة الى المدينة ، فيؤمن به الغرباء من أهلها بالحجة والبرهان ، لا بالسيف والسنان ، ويكون ذلك دافعا لدخول الناس فى الاسلام ، اذ يقولون فى أهل المدينة : قوم لم يعمهم التعصب والاستكبار عن قبول الحق فآمنوا ، فلماذا لا نؤمن كما آمن هؤلاء ٠

الهجرة سنة المرسلين

على أن الهجرة ليست قاصرة على النبى — صلى الله عليه وسلم — فقد حدثت للمرسلين قبله ، فهاهو ذا : ابراهيم — عليه السلام — دعا قومه — أهل بابل الى ترك عبادة الكواكب والأصنام التى تمثلها ، فعارضوه وقاوموه ، وكان أبوه : آزر أول معارضيه ، ولم يفلح نقاشه اياهم بالحجة والبرهان ؛ فعمد الى أصنامهم فحطمها ليكون هلاكها برهانا على عدم صلاحيتها للألوهية ، **« فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون • ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » (١) •**

ورأوا أن ينتقموا لآلهتهم ، فأوقدوا نارا هائلة وألقوه فيها ، فجعلها الله عليه بردا وسلاما ، وقال لقومه متاركا لهم : **« انى مهاجر الى ربى سيهدين »** وهاجر الى الشام عابرا النهر اليها كسائر العبرانيين قبله وبعده ، واختار الشام ، لأنها أرض مباركة بالخير والثمر •

وها هو ذا : لوط دعا قومه الى عبادة الله تعالى ، وترك ما هم عليه من اتيان الذكور شهوة من دون النساء ، فلما أبوا هاجر مع ابراهيم الى الأرض المباركة ، وعاقب الله قومه فجعل عالى أرضهم سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ، وفى هجرتهما يقول الله تعالى فى سورة الأنبياء : **« ونجيناه ولوطا الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين » (٢) •**

وها هو ذا : موسى — عليه السلام — دعا فرعون وقومه الى الايمان بالله ، وقدم لهم تسع آيات بينات ، كبراها انقلاب عصاه حية وابتلاعها سحر السحرة أجمعين ، فأصر على كفره قائلا : **« ما علمت لكم من اله غيرى »** واستمر الجدل بينه وبين موسى فترة طويلة أرسل الله عليهم فيها

---

(١) سورة الانبياء : ٦٤ ـ ٦٥

(٢) الآية ٧١ من سورة الانبياء •

الطـوفان والجـراد والقمـل والضفادع وغير ذلك من الايات ، فلما لم يؤمنوا وأصر فرعون على الانتقام من موسى وبنى اسرائيل، أمره الله بالهجرة الى سيناء ، وفى ذلك يقول الله تعالى : فى سـورة الشعراء : **« وأوحينا الى موسى أن أسر بعبـادى أنـكم متبعون » (١) .**

وها هو ذا : المسـيح : عيسى ـ عليه السلام ـ عارضه قـومه وكذبـوه وآذوه ومن معـه من المؤمنين ، وكادوا يقتلونه ، فهاجر ومن معه من المؤمنين ، وبشرهـم **قائلا : (طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السماء) ثم قال : (افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات ، فانهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلـكم) .**

الى غير ذلك من هجرة النبيين بسبب اضطهاد أهل الكفـر لهم ، فلا غرابة فى أن يهاجر النبى من مكة بعـد أن تحجرت من أهلهـا القـلوب ، وعميت البصـائر ، وتحكمت فيهم عقائد الآباء وكبرياء الجاهلية .

الاعداد للهجرة الى المدينة

كان هناك نوعان من الاعـداد للهجرة الى المدينة : أحـدهما فى السماء ، والآخر فى الأرض ، فأما الذى فى السـماء فهو : الاسراء والمعراج فى رحلة قدسية ترفيهية، بعد الذى نال الرسول من متاعب الدعوة ليستعد بهذه الرحلة نفسيا الى مرحلة الهجرة المقبلة ، ومـا تستتبعه مشاق الدعوة والجهاد فى سبيل الله ، ولهذا : كان الاسراء والمعراج فى ليلة السابع والعشرين من رجب ، من السنة الثانية عشرة من النبوة ، أى : قبل الهجرة بعام واحد تقريبا ، ويشـير الى أن الرحلة خاصة بهذا الغرض ، قوله **تعالى : « سـبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السـميع البصـير » .**

---

(١) الآية ٥٢

أما الاعـداد لها فى الأرض : فكان من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك باتصـاله بقبائل أهل المدينة ، تمهيدا للهجرة اليها ، وذلك بأمر الله تعـالى ، فقد أخرج الحـاكم وأبو نعيـم والبيهقى باسناد حسن ، عن ابن عباس قال : حدثنى على بن أبى طالب قال : « لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب ، خرج وأنا معه وأبو بكر الى منى ، حتى دفعنا الى مجلس من مجالس العرب ، وتقدم أبو بكر ـ وكان نسابة ـ فقال من القوم ؟ قالوا من ربيعة ، قال : من أى ربيعـة أنتم ؟ قالوا : من ذهل ..) فذكر حديثا طويلا فى مراجعتهم وتوقفهم عن اجابة الدعوة . وقال : (ثم دفعنـا الى مجلس الأوس والخزرج ، وهم الذين سماهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأنصـار ، لكونهم أجـابوه الى ايوائه ونصروه ، قال : فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم) .. اهـ .

من هم الأوس والخزرج ؟

هى : قبيلتـان من ولد أخوين من اليمن ، نزحوا الى المدينة بعد انهدام سد مأرب ، وحدوث سيل العرم ، وكان يجاورهم بالمدينـة بنو قينقاع وبنو النضـير وبنـو قريظة من اليهود ، وكانت الغلبـة لهؤلاء على المـدينة ، فحـاربهم رجـال الأوس والخـزرج ، واستعادوا حقهم فى الغلبة عليها.

وكان اليهـود اذا خـذلوا فى حربهم معهم ، يستفتحون عليهم باسم نبى عربى قرب زمانه ، ثم اختلفت القبيلتان وحـدثت بينهما حروب دامية ، وحالفوا اليهـود على أنفسهم ، فحالفت الأوس بنى قريظة ، وحالفت الخـزرج بنى النضير وبنى قينقاع ، وآخر حرب بين الأوس والخزرج كانت يـوم بعاث ، وقد قتـل فيهـا غـالب رؤسائهم ، ويعتبر يوم بعـاث من أسباب النجاح للدعوة الاسلامية بالمدينة ، قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ (كان يوم بعاث يومـا

قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم) •

أقول : انه كان كذلك ، لأنه أخاف بعضهم من بعض ، فكانت كل قبيلة تريد أن تحالف من تتقوى به على الأخرى ، أو أن تجد لها مخرجا من الحرب معها •

بدء اسلام الأنصار

جاء موسم الحج فى السنة الحادية عشرة من النبوة ، فلقى فيه الرسول سته من الخزرج ، وهم أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث من بنى النجار ، ورافع بن مالك من بنى زريق ، وقطبه بن عامر من بنى سلمة ، وعقبة بن عامر من بنى حرام ، وجابر بن عبد الله بن رياب ، وهو غير جابر بن عبد الله الصحابى المعروف ، فقد كان صبيا حينئذ وقد دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ومعاونته فى تبليغ رسالة ربه، فقال بعضهم لبعض : هذا هو النبى الذى كانت تعدكم به اليهود فلا يسبقنكم اليه ، فآمنوا به وقالوا : انا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، ووعدوه المقابلة فى العام المقبل •

بيعة العقبة الأولى

فى موسم العام الثانى عشر قدم اثنا عشر رجلا ، عشرة منهم من الخزرج ، فيهم خمسة ممن اسلم فى العام الماضى ، واثنان من الأوس ، فاجتمعوا بالنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عند العقبة ، وأسلم من لم يكن أسلم منهم ، وبايعوا النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ، ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه فى معروف ، كما بايعوه على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وأن لا ينازعوا الأمر أهله ، وأن يقولوا الحق ولا يخافوا فى الله لومة لائم •

ثم انصرفوا الى المدينة يحملون مسئولية الدعوة فيها ، وكان أسعد

ابن زرارة يجمع بمن أسلم من قبل أو من بعد ، ثم كتب الأوس والخزرج الى الرسول أن يبعث اليهم من يقرئهم القرآن ويفقههم فى الدين ويجمع بهم ، فبعث اليهم مصعب بن عمير ، ومعه عبد الله ابن أم مكتوم ابن خالة خديجة ليساعده فى مهمته ، وكان المسلمون قد بلغوا أربعين — كما أخرجه أبو داود ، فجعل مصعب بن عمير يدعو بقية الأوس والخزرج الى الاسلام حتى انتشر بينهم ولم يكن لهم حديث سواه .

بيعة العقبة الثانية

فى موسم الحج من السنة الثالثة عشرة للنبوة ، رجع مصعب الى مكة وجاءها خلق كثير من أهل المدينة مسلمين ومشركين ، وكان البراء بن معرور زعيم القوم ، فلما كانت ليلة العقبة فى الثلث الأول منها ، تسلل الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، بعد أن تواعدوا مع الرسول على ذلك ، وكان قد أوصاهم ألا ينبهوا فى ذلك الوقت نائما ، ولا ينتظروا غائبا ، حتى لا تعلم قريش فتفسد الأمر بينه وبينهم .

ووافاهم الرسول فى الموعد المحدد ، ولم يكن معه سوى عمه العباس — وكان على دين قومه يومئذ — جاء يستوثق لابن أخيه ، فلما التأم الجمع قال العباس ان محمدا فى منعة من قومه فلم يمكنوا منه أعداءه ، وتحملوا فى ذلك أعظم المشقة ، فان كنتم وافين له وما نعيه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، والا فدعوه بين عشيرته فانه لبمكان عظيم .

فقال كبيرهم البراء بن معرور : والله لو كان لنا فى أنفسنا شىء غير ما ننطق به لقلناه ، ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل المهج دون رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فقال : أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم .

فقـال الهيثـم بن التيهـان : يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال عهودا وانا قاطعوها فهل عسـيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومـك وتدعنـا ، فتبسم ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقال : بل الدم الـدم والهـدم الهـدم ، يعنى ان طالبتم بـدم طالبت به ، وان أهدرتموه أهدرته، فبايعوه على ما طلب ، واختار منهم اثنى عشر نقيبا ، لكل عشيرة مهنم واحد ، تسعة من الأوس وثـلاثة من الخزرجثم قال لهم: أنتم كفلاء على قومكم كفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومى •

تسرب الخبر الى قريش

ولقد تسرب الخبر الى قريش ، فأدركت خطورة هذه البيعة ، فطار صوابهم ، وجاءوا الى الأمـاكن التى ينزل بها الأنصار ، وقـالوا يا معشر الخـزرج • بلغنا أنكم جئتم لصاحبنا تخرجونه من أرضنا وتبايعونه على حـربنا ، فأنكروا ذلك ، وجعـل بعض المشركين من أهل المدينة الـذين لم يحضروا البيعه يحلفون انه لم يحصل ذلك فى ليلتهم وقال عبد الله بن أبى ابن سلول : ما كان قومى ليفتاتوا على بشىء من ذلك •

هجرة المسلمين الى المدينة

ولما رجع الانصار من حجهـم وبيعتهم الثانية الى المدينة ، نشروا الاسلام فيها على أوسع نطاق ، وبذلك أصبحت المدينة مهجرا أمينا لمسلمى مكة ، فأمرهم الرسـول بالهجرة اليها ، فجعلوا يتسللون نحوها خوفا مـن منـع المشركين اياهم منها ، وتتـابع المهـاجرون ارسالا ، ولم يبق بمكة الا أبو بكر وعلى وصـهيب الرومى وزيد بن حارثة ، وقليل من المسـتضعفين الذين لم يتمكنوا من الهجرة •

ولما أراد أبو بكر الهجرة قال له الرسول : على رسـلك فانى أرجو أن يؤذن لى ، فقال أبو بكر : وهـل ترجـو ذلك ــ بأبى أنت وأمى ؟ ــ قـال نعـم ، فحبس أبو بكر نفسه على رسـول الله ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتـا عنده ورق السمر استعداد لذلك •

مؤامرة فاشلة بدار الندوة

ولما علمت قريش بهجرة المسلمين الى المدينة التى أصبح لهم بها أنصار بايعوا النبى على الموت فى سبيل الله ، خافوا هجرة الرسول اليهم ، حتى لا يثير بالمهاجرين والأنصار حربا عليهم ، فاجتمعوا بدار الندوة للتشاور ، وأبدى كل من زعمائهم رأيه ، وكان كل رأى يناقش من حيث أخطاره وآثاره ولا يوافقون عليه ، فقال أبو جهل : ان لى رأيا ما أراكم وقعتم عليه ، أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا ، ثم نعطى كل فتى سيفا صارما ، ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، ويتفرق دمه فى القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حربهم ، فنعطيهم فديته ، فوافقوا وتفرقوا على تحقيق ذلك: **« ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »** ، فقد بعث الله جبريل يوصى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن لا يبيت على فراشه فى الليلة التى حددوها لتنفيذ ما تآمروا عليه ، وأخبره بما حدث منهم •

فلما جاءت الليلة المتفق عليها ، اجتمعوا على بابه يرصدونه ، فأمر عليا فنام على فراشه وتغطى ببرده الأخضر ، وقال له : لن يخلص اليك شىء تكرهه ، ونفذ علي ما أوصاه به الرسول ، بائعا نفسه فداء له •

هجرة الرسول الى المدينة

تمت عملية المبادلة بين الرسول وبين ابن عمه على والقوم يرصدونه ، ولكن الله أعماهم فلم يروها ، مع أنهم كانوا يتابعون النظر اليه من فرج الباب ، ثم خرج صلى الله عليه وسلم من بين الراصدين ، ونثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو سورة (يس) الى قوله تعالى : **فأغشيناهم فهم لا يبصرون »** فأعماهم الله عن مشاهدته • وكان الرسول قد توجه ظهرا الى أبى بكر يخبره بأن الله تعالى أذن له فى الهجرة ، فسأله الصحبة فأجابه اليها ، فعرض عليه

احدى راحلتيه فقبلهـا بالثمن ، فجهزاهمـا بأسرع مـا يمكن ، وصنعت لهما سـفرة فى جراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر نطاقها قطعتين ، وربطت بقطعـة منه فم الجراب ، واستأجروا عبد الله بن أريقط ودفعـا اليـه الراحلتين ــ وكـان دليـلا ماهرا وأمينـا ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال ، ثم لقى النبى أبا بكر فى داره ليلة المـؤامرة : بعد خروجـه من بين راصديه ، ثم خرجـا من خـوخة فيها (١) ، وسارا حتى بلغا غـار ثور فاختفيا فيه ، وأما راصـدوه فقـد مر بهم رجـل أخبرهم أن محمدا أخـرج من بينهم ، ومضى لحـاجة ، وترك التـراب عـلى رءوسهم فتحسسوا رءوسـهم فوجدوا التراب عليهـا ، ولكنهم شكوا فى الخبر ، فانتظـروا حتى الصباح فاذا الذى كان نائما متغطيا بالبردة هو على ، فقـالوا : لقـد صدقنا الذى حدثنا .

ولما سألوا عليا أين صاحبك ؟ قال لا أدرى ، وكان خروجه صلى الله عليه وسلم للهجرة بعد بيعـة العقبة الثانية بثلاثة أشهر تقريبـا ــ كما ذكـره الحـاكم وابن اسحاق .

هياج قريش وحسرتهم

ولما تحققت قريش من خيبتهم ، وأنهم كانوا فى الحقيقة يحرسون عليا ، هاجت عواطفهم ، وتحسروا على ضياع تدبيرهم ، فطلبـوه من كل جهة مسـتعينين بالعرافين بالأثر ، وجعلوا لمن يأتى بالرسول أو يدل عليه مائة من الابل ، فوجد أحدهم أثره متجها الى جبل ثور ، فتبعه حتى الجبل ، وقـال : هنـا انقطع الأثر ، ولا أدرى أين اتجه بعد ذلك .

عناية الله برسـوله فى غـار ثور

كان متعـذرا على القـائف أن يعرف مصير الرسول بعد وصوله الى جبل ثور ، فقد أحاطه اللـه بعنايته ، فأنبت شجرة بباب الغار الذى ثوى اليه فيـه ، وسـخر

(١) الخوجة : باب صغير

العنكبوت فنسجت عليها وعلى باب الغار ــ كما رواه البزار وغيره ــ وأرسل حمامتين فباضتا فى مدخله، فلما أقبل فتيان قريش مع القائف، ورأوا تلك الظواهر التى اخفى الله بها رسوله ، استبعدوا دخوله فيه، وقال أمية بن خلف : وما حاجتكم الى الغار • ان فيه عنكبوتا أقــدم من ميلاد محمد ، ولو دخل لكسر البيض وقطع العنكبوت ، وفى ذلك يقول البوصيرى فى البردة :

حماية الله أغنت عن مضـــاعفة
من الدروع وعن عــال من الأطم

ويقول فى همزيته :

ويح قــوم جفوا نبيــا بأرض
لفتــه ضـــبابها والظبـــاء
وســـلوه وحن جــذع اليــه
وقلـــوه ووده الغـــربــاء
أخرجــوه منها وآواه غــار
وحمتــه حمـــامة ورقـــاء
وكفتــه بنســـجها عنــكبوت
ما كفته الحمامة الحصـــداء

خروجه من الغار ــ بعض أحداث الطريق

فى صبح الثالثة جاء الدليــل : عبد الله بن أريقط ، وقــد انقطع الطلب عنهما ، فارتحلا ، وســار الدليل أمامهما وعين الله تكلؤهما ، واتجهوا نحو الســاحل وحدثت أثناء الرحلات عدة معجــزات لا تحتمل هذه العجالة بيانها •

وكانت قريش قــد وعدت من يقبض على الرسول بجائزة ــ كما تقدم بيانه ــ وكان ممن يطمــع فيها بريدة بن الحصيب ، فتعرض له ولكن الله هداه فأسلم •

أخرج البيهقى عن بريده قال : (لما جعــلت قريش مائة من الابل لمن يرد النبى صــلى الله عليــه وسلم ، حمــلنى الطمع فركبت فى سبعين من بنى سهم فلقيته فقال : ممن أنت؟ قلت بريــدة ، فالتفت صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر وقال : برد أمرنا وصلح ، ثم قال: من أنت ؟ قلت من أسلم ، قال : ســلمنا • ثم قال : ممن ؟ قلت من بنى سهم ، قال اخرج ســهمك يا أبا بكر ، فقال بريدة : من أنت ؟ قال : أنا محمد بن عبد الله رسول الله ، فقال بريدة : أشهد أن لا اله

الا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأسلم من كان معه جميعا • قال بريدة : الحمد لله أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين ، فلما أصبح قال بريدة : يا رسول الله • لا تدخل المدينة الا ومعك لواء ، فحل عمامته ثم شدها فى رمح ، ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة) •

أفراح أهل المدينة بوصول الرسول

لما علم أهل المدينة بهجرة الرسول اليها وقرب وصوله ، كانوا يخرجون كل يوم لاستقباله ، ولايزالون حتى يردهم حر الظهيرة ، وفى يوم رآه يهودى كان على حصن من حصونهم ، فنادى الأوس والخزرج وأخبرهم بوصول الرسول الى مشارف المدينة فخرجوا الى لقائه مسرعين فرحين ونزل الرسول بقباء ، ومكث بها أربع عشرة ليلة أسس فيها مسجده الذى وصفه الله تعالى : بأنه أول مسجد أسس على التقوى ، وهو أول مسجد صلى فيه الرسول بأصحابه جماعة •

ثم خرج من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار، فأدركته الجمعة فى أرض بنى سالم بن عوف ، فصلاها بمسجد أقاموه بها ، وقد سمى بعدها بمسجد الجمعة ، ثم ركب متوجها الى المدينة ، وكلما مر على دار من دور الأنصار دعوه الى الاقامة لديهم واخذوا بزمام ناقته ، فكان يقول : (خلوا سبيلها فانها مأمورة) وقد أرخى النبى زمامها ، ثم بركت أمام مربد لسهل وسهيل ــ ولدى رافع ابن عمرو ــ وهما يتيمان يكفلهما أبو أيوب الأنصارى ، ثم قامت والرسول فوقها ، وسارت حتى بركت أمام باب أبى أيوب الأنصارى ، ثم قامت وعادت الى مبركها الأول وأرزمت ــ أى صوتت من غير أن تفتح فمها ــ ونزل عنها النبى وقال : هنا المنزل ان شاء الله تعالى :

واحتمل أبو أيوب رحله وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة ، وأخذ سعد بن زرارة ناقته ، ونزل النبى فى ضيافة أبى أيوب الأنصارى وهو من بنى النجار أخوال أبى الرسول •

وقد خرجت ولائد بنى النجار يقلن :

نحن جوار من بنى النجار
يا حبذا محمد من جار

وروى عن أنس بن مالك أن ذوات الخدور صعدن على الأجاجير (الأسطحة) عند مقدم الرسول ينشدن :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع

وروى البخارى بسنده عن البراء ابن عازب قال : (ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم)

أخوة الاسلام بين المهاجرين والأنصار وآثارها

لقى المهاجرون كل حب وايثار وبشاشة من أهل المدينة ، مكافأة من الله لهم على صبرهم على ايذاء أهل مكة لهم ، وحسبك فى تصوير هذا الحب والايثار قوله : **« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »** •

ولقد تنافس الأنصار فى ضيافة المهاجرين حتى حكموا القرعة بينهم ، وقد آخى النبى بينهم على المواساة والحق ، وأن يتوارثوا بعد الموت ، الى أن نسخه الله تعالى بقوله : **« وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله »** وذلك بعد أن فشا الاسلام فى الأقارب •

وعلى أساس هذا الحب والمؤاخاة والاخلاص لدين الله ، بنى المجتمع الجديد الذى تفجر طاقات متوثبة فى سبيل الله تعالى، مندفعة بدعوة الحق فى المشارق والمغارب تحت لواء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تنشر النور والهدى والرشاد والأمن والسلام •

وعلى منهاج الرسول سار الخلفاء

الراشدون ومن بعدهم ، فانضوى تحت لوائهم أهل المشارق والمغارب ، وأصبحوا لا تغيب عن بلادهم الشمس ، فلا يمكن أن يغلبوا من قلة ، وانما يغلبون عن تفرق •

حاضر المسلمين اليوم

كان ماضى المسلمون ما عرفت من القوة والمنعة والعزة ، بسبب توادهم وترابطهم ، وحب بعضهم لصالح بعض ، أما حاضرهم اليوم • فهو كما ترى من التفكك والانحلال والضعف ، ولا أجد وصفا لحالهم أوضح من قوله تعالى : « **كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا** » أو قوله صلى الله عليه وسلم: «**غثاء كغثاء السيل**»•

لقد أصبحوا دولا أو دويلات يكيد بعضهم لبعض فى الخفاء ، وقد يرائيه فى العلن ، ومنهم من يستعلن بكيده ، ويجاهر بعداوته ، ويستعدى أعداء الاسلام على أخيه وجاره ، على عكس ما كانوا عليه من الوحدة والألفة ، ومشابهتهم للبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ؛ وترتب على تفككهم وتعاديهم طمع أعداء الاسلام فيهم ، وامتصاصهم لدمائهم ، وضرب بعضهم ببعض ، وكل ذلك: بسبب تنكرهم لدينهم ، وتوليهم عن كتاب الله وسنة نبيهم : «**ومن يبتغ غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**» •

فلا صلاح لحالهم ولا عودة لعزتهم وقوتهم الا بالاعتصام بكتاب الله ، والعمل بسنة رسول الله ، والعودة الى الاتحاد والألفة ، فان فعلوا فلن يتمكن أعداؤهم من اذلالهم : (**ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا**) فاجعلوا فاتحة القرن الخامس عشر صيحة موقظة لكم ، ومحركة لتقاربكم ، فهل من مدكر ؟ •

التاريخ الهجرى

لما كانت هجرة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ سببا لظهور الاسلام وانتشاره ، جعلت أساسا

للتاريخ الاسلامى ، واختلف فى أول من أرخ بها ، فقيل : انه صلى الله عليه وسلم هو الذى أرخ بها ، حيث أمر بذلك عند نزوله بقباء ، رواه الحاكم فى الاكليل عن الزهرى .

وقيل انه عمر بن الخطاب ـ وهو المشهور ـ أخرج أبو نعيم فى تاريخه ، من طريق الحاكم عن الشعبى أن أبا موسى كتب الى عمر : أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ ، فجمع عمر الناس ، فقال بعضهم : أرخ بالمبعث ، وبعضهم بالهجرة ، فقال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل ، فأرخوا بها وبالمحرم ، لأنه منصرف الناس من حجهم ، فاتفقوا عليه ، وذلك سنة سبع عشرة ـ أى من الهجرة .

ومما دعا عمر الى جعل المحرم أول العام الهجرى ، مع أن الهجرة كانت فى ربيع الأول ، أن العزم عليها كان مشارفا له ، اذ البيعة الثانية كانت فى ذى الحجة ـ وهى مقدمة الهجرة ـ وتلاها هلال المحرم فناسب أن يكون أول العام ، والله تعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

« المشورة »

قيل لحكيم : ما الصواب ؟

قال : المشورة .

الصديقية

فى موكب الهجرة

للدكتور / رءوف شلبى

« الا تنصروه فقد نصره اللـــه، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصـــاحبه لا تحزن ان الله معنا » التوبة

ان مقياس الصداقة ليس هـــو التبعية الجـــوفاء ، ولا المؤازرة الخرقاء ، انه ليس الحمق فى جانبيه السلبى والايجابى .

انه تبعية لا حدود لها بقـــدر ماهو اتباع للثقة فى أداء رسالته.. وتحمل لمسئولية الاداء من غير ان يوجه طلب أو يقدم رجاء .

وقد شهد التاريخ قديما وحديثا عديدا من الصداقات على المستوى العالى لاصـــحاب الدعـــوات والنظريات .

وكم من قوم جمعتهم الفكـــرة التى تحمسوا لها فجر اللقاء ولكنهم تفرقوا بددا عندما خبرهم مقياس الصداقة :

صداقة الهدف والمصير والرسالة .. أو صداقة الوفاء للمبادىء .

وعلماء الاجتماع فيما قننـــوه لاستمرار ربط الاتباع بالقائـــد اشترطوا فى اسـلوب العمل مـــع الجمـــاعة :

وضوح عرض الدعوة .

ووضوح تحديد الهدف المنشود.

وتلك مسألة شاقة فى المستويات البشرية العادية ، عند التنفيذ وعند الاختيار ومن هنا نبرز قيـــم الصداقة التى يمكن ان تكون المحور الأساسى لاسلوب العمـــل مـــع الجماعة فى النفحات التى ورثهـــا سيدنا أبو بكر رضى اللـــه عنـــه للتاريخ الاسلامى فى لحظـــات

العسرة التى تفصح عن معـــانى الصديقية •

فقد عاش أبو بكر رضى اللـــه عنه مسلما كامل الانقياد للدعــوة زهاء ثلاثة عشر عاما فى مكة وكانت كلها مرارات وتعذيبات •• انتهت بالنقلة الى المدينة المنورة ، وتلك الفترة فترة طويلة بمقياس انانية الفرد ــ ولكنه لم يختــــزن فى مشاعره شيئا من هذه الآلام فلما جاءت لحظة الهجرة من مكة :

لم يرتض أن يكون مهاجـــرا بمفرده ، أو فى ركب مع الناس ولو فعل لكان صادقا فى ايمــــانه ، متحمســـا للنقلــة الى المدينــة « المنورة » •

كذلك :

لم يرتض ان يكون مهاجـــرا بجسده تابعا كالكل الذى هاجر •• ولو فعل لكان صــادقا فى ايمانــه ومتحمسا للنقلـــة لانه تابــع مستسلم •

ولكن الرجل منذ عرض عليــــه الاسلام وليست له كبوة ، فهــو صاحب مستوى خاص •

انه ليس هذا الذى يقبل منــه التبعية وفقط ، ولكنه بسلوكه سوف يكون مقياسا للاتباع الصـــادق فعرض على النبى صلى الله عليــه وسلم الصحبة •

وجهز لذلك وسائل السفر •

وأعد العدة لمناوأة الخصوم دون أن يطلب النبى صلى الله عليـــه وسلم منه شيئا من ذلك ، يقـــول ابن هشام :

فلما رآه أبو بكر قال : ما جـاء رسول الله صلى الله عليه وســلم هذه الساعة الا لأمر حدث ، قالت ــ عائشة ــ فلما دخل تأخر لــه أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وســلم وليس عند أبى بكر الا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال : رسول اللــه صلى الله عليه وسلم « اخرج عنى من عندك » فقال : يارسول اللــه انما هما ابنتاى ، وماذاك فــداك أبى وأمى » •

فقال : ان الله قــد اذن لى فى الخروج والهجرة قالت : فقـــال أبو بكر الصحبة يارسول الله قال :

الصحبة ، قالت فو الله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم ان أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ ..

ثم قال : يانبى الله ان هاتين راحلتان اعددتهما لهذا ..

انها للحظة عسرة وشدة يهرب منها ذو الانانية ، ويتردد فيها من يقدم يوم سبته لأحد قادم على ذمة الربح والخسارة .

وهى لحظة فى العصر الحديث كافية لاقتناع أحذق سياسى بالهرب من التبعية لقائد يفر من ديار أهله الى ديار قوم لم يمنحه التجربة معهم بعد عمرا يتعرف فيه على مستقبل الحياة معهم .

ولكن أبا بكر وهو مقياس كامل للمؤمن الصادق لم يفكر مطلقا فى شىء من هذه الخواطر لم يفكر فى ان الهجرة قد لاتتم لتكتل أهل مكة من أقارب وأباعد ، شيوخ وشبان وقد احتشدوا لقتل محمد عليه افضل الصلاة والسلام .

ولم يفكر أن الهجرة قد تتم ولكن الدعوة قد تتعثر ثلاثة عشر عاما أخرى فى يثرب كما تعثرت فى مكة .

واذن فالذى ينفقه سوف يكون هباء .

لم يفكر فى شىء من ذلك وهو لم يجازف يوم ان أعد بيته وأهله وماله لهذه النقلة لقد أدرك معنى : انه اتبع محمدا وارتضاه نبيا ورسولا ان يكون معه بالنفس والأهل والمال .

لان ذلك هو الحق وما وراء ذاك من شئون المستقبل فأمره موكول الى الله وهو لهذا يؤثر رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه فى كل شىء .

لقد آثره فى راحلتى السفر .

يقول ابن هشام :

فلما قرب أبو بكر رضى الله عنه الرحلتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم أفضلهما ثم قال :

اركب فداك أبى وأمى ..

فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم « انى لا أركب بعيرا ليس لى » •

فقال : فهى لك يا رسول الله بأبى أنت وأمى ••

قال : لا ، ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟

قال : كذا وكذا ••

قال : قد أخذتها به ••

قال : هى لك يارسول الله ••

فركبا وانطلقا ••

وفى هذه اللحظات ــ التى يعذر فيها كل من يبخل بماله : يحمل أبو بكر جميع ماله يقول ابن هشام :

لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله من خمسة آلاف درهم ، أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه •

ولو كان أبو بكر يعيش بمنطق القرن العشرين لاحتملها الى غير هذه الوجهة ••

ولكنه الصديق الذى آثر نبيه على نفسه حتى فى لحظة الضيق بالغار وهو يقول :

لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا تحت قدميه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول له يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ كان ثقلا يزن ثقل قريش•

فكانت قريش بخيلها ورجالها بمادتها وكفرها فى كفة المخاصم وكان أبو بكر وحده فى كفة الصديق • يزنها ويزيد عليها ، وبفضلها ، بما لا يقارن من الدرجات ••

فلقد كان صديقا بنفسه

وصديقا بأهله

وصديقا بماله

وصديقا بيقين لا يحد

وصديقا بعزم لايفل

كان صديقا فوق المثل كلها

مثل الاخلاص التى من أجل مستقبل منشود فى الدنيا •

مثل التضحية التى تبذل من أجل

الثمن الفعلى للمساومة عند ساعة الصفر •

مثل المحبة التى تكون من أجـل محسوبية تحطم المعاقير •

انه : صديق : فوق المثل كلهـا الامثال الصديقية التى بها لو وزن ايمان أبو بكر بايمان الأمة كلهـا لرجح ايمان أبى بكـر ، فياليت شعرى • لو قلد المسلمون هـذه الصديقية لجاءهم النصر كما جـاء صاحبى الغار نصر من الله وفتـح قريب •

هـذا :

وبالله التوفيـق ••

دكتور رءوف شـلبى

الناس والحـق

الناس والحق أصناف ثلاثة :

قليلون جدا ينصرون الحق ويتشجعون فى الجهر به والدفاع عنه •

وقليلون مجرمون يقفون فى وجه الحـق لمصـالح شخصية وأكثر الناس يحبون الحق ، ويحبـون نصرته ، ولكن ينتظرون من يجهر به ليكونوا اتباعه •

الهجرة ومشروعية القتال

للدكتور / محمد رجب البيومي

يحاول بعض الدارسين أن يجعل الهجرة الى المدينة فاصلا بين اتجاهين فى حياة المسلمين من ناحية السلام والحرب ، اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رأى هؤلاء قبل النزوح الى المدينة لا يفكر الا فى الدعوة عن طريق الحسنى ، والنقاش بالتى هى أحسن ، ثم رأى فى المدينة من أنصاره قوة قوية جعلته يعدل عن طريق السلم الى الحرب ، فأمر باعداد السرايا المتوالية تهيئة لغزو شامل ينتقم به ممن أخرجوه من مكة ظالمين !

هذا التفكير المنحرف ، يجد من يروجون له عن غرض مشبوه تارة ، وعن سلامة نية تارة أخرى ونريد هنا أن نحقق الحق بما يقضى على الباطل ، لأن اقتطاع الأحداث عن مجرياتها الطبيعية ، ومحاولة تفسيرها فى ظل وهم خادع لا أساس له من اليقين ، مما يشوه روح الدعوة الاسلامية، ومما يلجىء المخلصين الى الاعتذار من ذنوب موهومة لم يقترفها المسلمون •

ان المتابع المنصف لتيار الأحداث قبل الهجرة وبعدها ، يجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة بمكة ، قد اشترط على الأنصار أن يمنعوه مما يمنعون منه أهليهم وذويهم ، يريد بذلك أن يدافعوا عنه فقط ، لا أن يكونوا مهاجمين لمن ألقوا السلم ، وارتضوا الامان ، وقد هاجر المسلمون الى المدينة ليجدوا الأمن

وليسعدوا بالهدوء ، لا ليخوضوا المعارك الدامية ، وقد بدأ رسول الله فآخى بين المهاجرين والأنصار ، ليحدث من التلاحم الأخوى ما تقوى به الروابط ، وتتماسك الوشائج ، ثم بادر بتوقيع معاهدة مع اليهود ، يبسط اليهم يد السلام ، ويؤكد حرية العقيدة وحرمة المال والنفس كيلا يظنوا أنه يحارب معتقداتهم ، ويدعو الى استئصالها ، كما حارب عبادة الأوثان ، كما أدرك بصائب فراسته أن قوما من الأوس والخزرج دخلوا الاسلام عن نية مدخولة ، وعن حقد مستتر ، وهم المنافقون الذين يلقون المسلمين فيقولون آمنا ، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون ، أدرك هؤلاء الذين يبدون ظاهرا راضيا ويضمرون حقدا لاهبا ، فرأى أن يأخذ بظاهر القول فلا يحاسبهم على ما يضمرون، كأنه بذلك يحاول أن يسد كل منفذ يفضى الى الخلاف ! سالكا ما يوحى به العقل حين آخى بين الصادقين ، وعاهد أهل الكتاب ، وتغاضى عن الحاقدين وليس وراء ذلك من طريق للمسالمة ، وبخاصة اذا كان المهاجرون قد خرجوا من مكة مضطرين دون أن يقدروا على اصطحاب مالهم من الأموال ، فهم مضطرون أولا الى البحث عن وسائل الكسب المشروع تجارة وزراعة فى موطن جديد ليس لهم به عهد ، ومثل هؤلاء فى ضائقتهم المادية لايتجهون الى شراء السلاح وتكديس الذخيرة ، وفيهم من يعصب بطنه من الجوع يوما وبعض يوم ، وقد آثرهم الانصار ايثارا كريما شهد به القرآن حين قال الله عز وجل فى سورة الحشر (١) **(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح**

---

(١) الحشر : الآية (٩)

نفسه فأولئك هم المفلحـــون » .

ولكن الانصار مهما بذلوا عنسماح راض لا يستطيعون القيـــام بكل ما يطلب المهاجرون من ضروريات ، وحســـبهم أنهـــم يؤثرون عـــلى أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، لذلك كانت ظروف المسلمين تدعو الى المســـالمة ، لو أمنـــوا عـــلى أنفســـــهم ، ومـــا كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرغ الى بناء أمته الناشـــئة داعيا الى مكارم الأخلاق ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،واسعاد المجتمع الانســـــانى ، دون أن يضطر الى مواجهة خصوم يملكون من قوة العتاد مالا يملك ، ولهـــم حلفاؤهم المنتشرون فى القبـــائل المترامية حول المدينة ، ويوشكون أن ينقضـــــوا عليها متـــآمرين ! ما كان أحب الى رسول اللـــه أن يفرغ الى أداء الرسالة فى جـــو هـــادىء مطمئن ، ولكـــن عـــدوه ساهر مستيقظ . يرصد له المكائد، ويغرى به القريب والبعيد ، فلابد من المجابهة السافرة ، وان كانت ذات أعباء ثقال .

كانت قريش تكابـــد غصـــص الحسرة أن فاتها الرســـول يـــوم الهجرة فلم تقدر على اغتيـــاله ، وكانت حسرتها تزداد لهيبا كلمـــا تسمعت أنباء المدينة ، فعلمت أن الرسول قد نزل خـــير منزل وأن المسجد قد أسس على التقوى من أول يوم ، وأن المهاجرين قد لاقوا من الانصار أهلا بأهلومنطيبةدارا بدار ، ولم تجد أمامها متنفسا لما يضطرم من غل الصـــدور ، واحن النفوس غـــــير المستضعفين من المؤمنين الذين حالت ظروفهم دون الهجرة فظلوا بمكة قابعين ، لقد كان هؤلاء المستضعفون قبل رحيل محمد وأصـــحابه يجـــدون بعض الراحة فى لقاء النفوس، والتواصى بالاحتمال ، فأصبحوا منذ الفراق هدفا للنكال يصب عليهم صبا من أمثال أبى جهل وأميـــة بن خلـــف وعقبة بن أبى معيط . وكانت هذه الأنباء تفد الى المدينـــة فتقـــــع موقعها المـــؤلم مـــن النفـــوس ، والرسول صابر يتحمل . ولكنـــه يبحث عن حـــل لانقـــاذ هـــؤلاء المضطهدين ، اذ صـــاروا أشـــبه

بالأسرى ، لا يفك لهم عقال ، وما كابدوا برح الاضطهاد الا لأنهم قالوا ربنا الله ! وكيف يظلون هكذا دون انقاذ ، وقد نزل قول الله عز وجل « **وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله ، والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا ، الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا** » (١) ٠

يقول أستاذنا الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله فى توضيح هذه الحقيقة :

ان الحلقة الأولى (من حلقات الغزو النبوى) ظلت صفحة منسية منعزلة من قصة الحرب فلم تأخذ مكانها فى سلسلة السرد التاريخى لهذه الفترة من الزمان ، وأن مؤرخى العرب ومؤرخى الغرب معا كانوا سواء فى السكوت عنها ،فحق علينا أن نرد هذه اللبنة المفقودة الى مكانها من البنيان ٠

لقد بدأت قريش بعد هجرة النبى وأصحابه تغير أسلوب معاملتها للمسلمين المستوطنين بمكة، وهم الذين لم يجدوا سبيلا للحاق باخوانهم ، فبعد أن كانت حوادث عدوانها عليهم حوادث فردية متفرقة ٠ وكان يلطف من حدتها فى غالب الأمر مقام الرسول وعظماء أصحابه بين ظهرانيهم ، أخذت حين خلا لها الجو تهاجم جموعهم ، وتوالى التنكيل بهم وهى آمنة أن تلاقى لهم وليا حميما تخشى غضبه ، أو يلاقيها شفيع متوسل تستحيى أن ترد سعيه ، ومازال طغيانها عليهم يزداد يوما بعد يوم ، حتى عيل صبرهم ، وطفح كيل بلائهم ، فهناك أخذوا يجأرون الى الله مستغيثين ، وهناك

---

(١) النساء ٧٥ ، ٧٦

فقط أمر الله المهاجرين والأنصار أن يخفوا لاعاثتهم ـ ثم قال العلامة الكبير « فلم تكن الغزوة الأولى حملة تحرش وبدء بالعدوان كما زعم الجاهلون فذلك ذنب خليق أن يعتذر منه لو وقع ولم تكن دفعة ثأر وانتقام لجروح قديمة قد اندملت لم تكن هذا ولاذاك ولكنها كانت عملا أعلى من ذلك وأسمى ، لقد كانت قياما بواجب منزه القصد ، مبرأ الغاية عن الأغراض والمنافع العاجلة ، واجب نجدة المظلوم واغاثة الملهوف » (١) .

لم تكد تمر ثمانية أشهر على مقام المسلمين بالمدينة حتى ظهرت الحقود المستترة من اليهود والمنافقين معا ، لقد كان اليهود يظنون باديء ذي بدء أن فى طوقهم أن يخدعوا الرسول عن دينه وأن يتخذوا من دعوته بابا الى تأييد معتقداتهم لقد تعاهد معهم على ضرورة حرية العقيدة صادقا ، ولكنهم كانوا كاذبين حين أظهروا الاخلاص للمعاهدة ، لقد درسوا نفسيات المجتمع المدنى فعرفوا المؤمن من المنافق ، وبدءوا يستميلون ذوى النفاق لينشروا الدسائس قولا وعملا ، وليكونوا رأيا عاما يجمع على طرد من يصفوفهم بالدخلاء المهاجرين ، ثم رأوا أن يتشجوا بالعلم فأخذوا يجادلون الرسول فى بعض ما لديهم من أنباء التوراة يبغون الفتنة من شتى الوجوه حين يقفون على بعض الخلاف بين ما ينزل على رسول الله من آيات القرآن ، وما حرف بين أيديهم من نصوص التوراة ! قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، وقد وجدوا من المنافقين آذان سوء تسمع الشر ، وألسنة رجس تذيع الخبيث ! ولم يكن الأمر أمر هذين الفريقين وحدهما! ولكن العدو الرابض بمكة يتحسس الأنباء ، فيذيع استعداده

(١) مجلة الأزهر ص ١٨ (محرم ١٣٧٢ هـ) المجلد الرابع والعشرون

لمنازلة المسلمين فى صميم يثرب ليزيد من بلبلة الناس : ثم ينهض الى أحلافه من القبائل حول المدينة ليغريهم بمهاجمة المسلمين ، فاذا وجد بعض النفور ، بذل العتاد ، واكتفى بالمعاهدة كى يتناصر الجميع حين تأزف الآزفة ويشتعل القتال ان قريبا وان بعيدا !! لقد فكر الرسول فى كل ذلك ولمس ما يدور فى الداخل والخارج طى نفوس هالها أن يجد المسلمون فى المدينة أمنا من خوف ، وراحة بعد عناء ، ولئن طال سكوته على ما يرى فان الشرر المتقطع سيستطير فى هوج الرياح ، وسيكون ضراما يهب فيحرق ! لابد أن يثبت للأعداء جميعا أنه قادر على التحدى ، وأنه يحيط علما بما يحاك فى الظلام ، ولابد أن تعلم قريش بمكة أنه فى وضع قوى ! وأن ما يجيئها من الأخبار عن ألسنة اليهود والمنافقين كذب أثيم ، ولن يكون ذلك بغير الدليل الناهض ، يراه العيان الناظر فتأوى الأفاعى الى الجحور •

هذا مكمن السر فى اعداد السرايا التى تقدمت غزوة بدر ! وأن النظرة الفاحصة الى عدد جنود السرية الواحدة ، وعدتها الحربية لتدل فى سطوع على أنها سرية ارهاب وتخويف لا غزوة حرب وتدمير ، لقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزه بن عبد المطلب فى ثلاثين من المهاجرين ليلاقى أبا جهل يقود قافلة لقريش ومعه ثلثمائة راكب ، فسار أسد الله حتى وصل الى البحر من ناحية العيص ، وذعر أبو جهل لرؤية حمزة ، اذ حسب أنه طليعة لجيش كبير ، وكاد الشر يقع ، لولا أن تدخل سيد جهينة المقيم بالعيص بين الفريقين ! وتابع أبو جهل سيره الى مكة فى ذهول ! فما أثر ذاك ؟ أثره أن الهلع قد استولى على قريش ، وأن ما حسبوه من تضاؤل شأن المسلمين بالمدينة كان وهما خادعا ! وهذا ما عناه الرسول !

وبعد شهر واحد من لقاء أبى جهل خف عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فى ستين راكبا من

المهاجرين الى مقابلة المشركين فى (وادى رابغ) وكانوا أكثر من مائتين تحت قيادة أبى سفيان بن حرب فترامى الفريقان بالنبال وشاعت حنكة أبى سفيان أن يبذل الحيلة لينجو دون لقاء مواجه ، وكان معه من المسلمين الذين يخفون اسلامهم من اهتبلوا الفرصة فهربوا الى المدينة ! وجاءت السرية الثالثة بقيادة سعد ابن أبى وقاص ! وتتابع الموقف ! وفى كل يوم نبأ مفزع لقريش .

هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يريد بهذه السرايا قتالا صريحا ؟ سؤال يجيب عنه المؤرخ الكبير محمد حسين هيكل (١) .

« أما أنهم بهذه السرايا — يريد المسلمين — كانوا يقصدون حرب قريش وغزو قوافلها فذلك ما يقف الانسان منه موقف التردد والتفكير ، فلم تكن سرية حمزة لتزيد على ثلاثين رجلا من المهاجرين ! ولم تكن سرية عبيدة تزيد على ستين ! وكانت سرية سعد لا تتجاوز ثمانية نفر على قول ، وعشرين على قول آخر !! وكان الموكلون بحماية قوافل قريش عادة أضعاف هذه الأعداد ، وقد زادتهم قريش عددا وعدة منذ أقام محمد بالمدينة ، وبدأ يحالف القبائل التى بها والقريبة منها ، ومهما يكن من بأس حمزة وعبيدة وسعد ممن كانوا يرأسون سرايا المهاجرين ، فان عدة من معهم لم تكن لتشجعهم على الحرب ، مما جعلهم يعودون من السرايا كلها دون قتال ، الا ما قيل عن السهم الذى رمى به سعد » .

واذا كان الدكتور هيكل يقف موقف التردد والتفكير حين يتساءل عن نية المسلمين فى ارسال السرايا مرجحا أن المسألة مسألة ارهاب فقط ، فأنا أتجاوز التردد الى اليقين كل الايقان ومعى دليلى فى سرية عبد الله بن جحش الأسدى

---

(١) حياة محمد ط ٣ ص ٢٣٩ للكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل

اذ تنطق بالحكم الفاصل فى هذه القضية دون التباس •

لقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن جحش الأسدى فى (رجب) من السنة الثانية للهجرة مع جماعة من المهاجرين حتى ينزل بين مكة والطائف مترصدا قريشا كي يأتى له ببعض أنبائهم فسار عبد الله حتى نزل بمكان يقال له (نخلة) فمرت بهم عير لقريش تحمل أنواعا من التجارة وكان فى عبد الله حماسة وحمية فأخذ يذكر أصحابه كيف أخرج هؤلاء جماعة المسلمين من ديارهم ظالمين وكيف سلبوا أموالهم ؛ واحتلوا ديارهم ، وملكوا عقارهم عن بغى وعدوان ، ولئن تعرضوا لهذه القافلة فانما يستولون علي مال قد غصب منهم ظلما دون حق ، ونازعه القول من أصحابه من نازع ، وأيده من أيد حتى رجحت كفة الهجوم ، فواجهوا القافلة وأصيب رئيسها القرشى بسهم فقتله ، وأسر المسلمون رجلين من قريش ، وذهبوا بالقافلة التجارية مع الأسيرين راجعين الى رسول الله بالمدينة فماذا حدث ؟

لقد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقال لابن جحش وأصحابه : لم آمركم بالقتال ، وأبى أن يأخذ شيئا مما اقتادوا ، وتألم عبد الله بن جحش لموقف النبى منه ، وأدرك أنه جاوز الصواب حين قاتل دون اذن ، وهنا موضع الشاهد حقا ، فلو كانت هذه السرايا ذات أهداف حربية يرسلها النبى للقتال ، ماوجه لابن جحش ملام ، ولدافع عن نفسه حين لامه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن السرايا كانت ذات غرض تخويفى دون أن تتخطى حدها المرسوم ، فحين جاوزه عبد الله وأصحابه وقع الملام •

أما قريش فقد ثار ثائرها وأعلنت أن المسلمين قد انتهكوا حرمة الشهر الحرام ، ووصل الحديث الى المسلمين بالمدينة بعد أن نقلته طوائف المغرضين الى

شتى القبائل حول المدينة ليظهروا المسلمين فى مظهر المعتدى ، المستهزىء بحرمة الشهر الحرام ، كما انتقل اللغط الى اليهود بالمدينة وجماعة المنافقين من خلفهم ، فأخذوا يجوفون الأمر ويعدونه حدث الأحداث ، وجريمة الجرائم التى ما كان ينبغى أن تحدث ! وقد جاء الفرج من السماء حين نزل قول الله عز وجل .

« يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام واخراج أهله منه ، أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (١) .

والذى ينظر الى ثورة المشركين وتعظيمهم الظاهرى لحرمة الشهر الحرام يظن أنهم يحترمون الشهر حقيقة ، ويصمون السلاح أن يقعقع فيه ، ولكن الأمر ليس كذلك ، فهم يقاتلون فى الشهر الحرام اذا أرادوا ، ثم يزعمون أنهم أبدلوه بشهر آخر مما يعرف بالنسىء ، وفيهم نزل قول الله عز وجل (٢).

« انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ، ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدى القوم الكافرين » .

فليت شعرى : أى الفريقين أخلص للحق ، وأطهر فى السلوك؟! فريق يذهب الى أن القتال فى الشهر الحرام مباح اذا خيفت الفتنة ، مباح حين يوازن بما استحله المشركون من صد المسلمين عن البيت ، واخراج أهله منه ، وسلب ما يملكون ، وتعذيب المستضعفين الى درجة القتل !! أم فريق لئيم يتستر فينافق نفاقا

---

(١) سورة البقرة : آية ٢١٧
(٢) سورة التوبة آية ٣٧

آثما حين يدعى حرمة الشهر ، ثم يقاتل فيه عامدا مختارا ، ويقول انه أرجأه الى شهر آخر !! وهو تدليس دنىء وصفه الله عز وجل بأنه «زيادة فى الكفر» ، وكان على كل القبائل التى رددت هراء قريش أن تسأل نفسها ! هل حفظت قريش حرمة الشهر حقيقة أو أنه ادعاء يقال ؟! وهى لا شك تعرف الجواب الصحيح .

نخلص من هذا كله الى أن الهجرة كانت باب السلام ومناط الأمن ، لو وجد المسلمون من أعدائهم كفا عن الشر ، واحتجازا عن الدم ، وقد تركوا أرضهم ليأمنوا من خوف ، لا ليشبوا الحريق فى كل مكان ، ولكنهم فوجئوا بمن يتحرش بهم ، ويؤلب القبائل عليهم ، ويدعو الى استئصالهم فاضطروا الى مواجهة سافرة لم يكن منها بد وأمامهم قول صريح يلتزمون به ، ذلك هو قول الله عز وجل **(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم) (١)** .

محمد رجب البيومى

المقـــالات التى لا تنشر

لا تلتزم ادارة المجلة بردها

---

(١) سورة الأنفال : ٦١

الهجــــرة ومنهج التغيير

للدكتور / عبد الغني الراجحي

الطاقات الخلاقة والمبدعة والتى تصنع التغيير والتحـول لا يمكن مهما حوصرت وضيق عليها الخناق وسدت حولها المسالك الا أن تجد فى يـوم من الأيام منفـذا لفك حصارها وسبيلا لفتح المســالك حولها والانطلاق لأداء فاعليتها • والفاعلية وآثـارها تتـوقف على وجود القابل والقابليــة • فلكـل تأثير ونتيجـة فاعل وقــابل • والاسلام فى مكة وقبل الهجرة طاقة وفاعلية لكن ليست لها قابليــة • لأن القابل رافض ومعرض ومعاند واعطاه الشيطان مناعة وحصانــة ضد الاسلام وأصـبح أهـل مكة مصممون على ذلك كأنهم عند سماع دعوة الاسلام حمر مستنفرة فرت من قسورة • هذا بينما القابل فى يثرب يتحرق شـوقا الى الفــاعل ويتنطس أخبـاره للالتقــاء بــه والالتحام معه • فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى يثرب وانتقلت كلمة الاسلام ودعوة القرآن اليها أقبل أهلوهــا يعتنقونه بحــرارة ويلتفون حول رايته فتجلت الطاقة الاسلامية وأدت فاعليتها وأصبحت آثارها ونتائجها الدينية والاجتماعية والسياسية ملموسة ظاهرة للعيان وبرزت للوجود على مسرح الحياة خير أمة أخرجت للناس وصــار الأمر فى الرسول ودعوته وأصحابه كما قال القرآن الكريم « **محمـد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعـا سجدا يبتغون فضــلا من اللــه ورضوانا سيماهم فى وجـوهم من**

أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » (١) .

التقبل والقبول فى يثرب بعد الرفض والاعراض فى مكة والتجمع والتكاثر لمجتمع الاسلام فى يثرب بعد التمزق والشتات فى مكة . وكانت الهجرة حدا فاصلا بين عهدين عهد الرفض والرافضين والمعرضين عن دعوة الله من أهل مكة وعهد القبول والتقبل والاقبال على دعوة الله من أهل يثرب . وكان من الممكن لو لم يهاجر الرسول بدعوته من مكة الى المدينة أن تظل دعوة الاسلام عقيما لا تنتج وأن يستأصل الله أهل مكة بعذاب عاجل ماحق كسنته فى الذين خلوا من قبلهم ممن عاندوا رسلهم وأصروا واستكبروا استكبارا فانتقم الله منهم بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون وقال فيهم « **فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**» (٢) لكن من رحمة الله ولطفه وحكمته المقررة أزلا (٣) أن هيأ للهجرة أسبابها وظروفها فكانت خيرا وبركة وأخذا بزمام الأمور الى صالح عام حتى للكفار من أهل مكة . فما كانت الهجرة فرارا من الظالمين ولا يأسا ولا قنوطا من اصلاح

---

(١) سورة الفتح ٢٩ .

(٢) سورة العنكبوت ٤٠ .

(٣) كان القرآن يهدد كثيرا اهل مكة بأن تأتيهم سنة الاولين . لكنهم لما قالوا « اللهم ان كان هذا الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم » قال الله لرسوله « ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » سورة الانفال ٣٢ ، ٣٣ .

حالهم ولكنها كانت خطـة وحركة التفاف حول الظلم وتطويقه ليتعامل الاســلام معه بأسلوب أو بآخر حتى يهيىء اللـه لـه من أمـره رشدا • فكانت الهجرة المبـاركة منطلقا لكل ما جـرى بعـدها من غزوات وحروب مع الباطل وأهله حتى قضى عليه القضاء المبرم يوم فتح مكة وحتى نزل قـوله تعـالى **«اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت النـاس يدخلـون فى دين اللـه أفـواجا فسبح بحمـد ربك واستغفره انه كان توابا »** •

نعم كانت الهجرة حدا فاصـلا بين دورين وعهدين دور وعهـد مكى تعثرت فيه دعوة الاسـلام وأوذيت واضطهدت وضيق عليهـا الخناق وهوجمت بكل ما يتصوره العقل من أسلحة الدعوة المضـادة الهوجاء • ودور وعهد مدنى تألقت فيه دعوة الاسـلام وعزت وبزت وانتصرت وصـارت كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى • واتسع نطاقها وامتد نورها لا الى جزيرة العـرب فقط ولـكن الى مشارف كثيرة على حدود الأكاسرة والقياصرة والفراعنة والنجاجشـة حيث ارسـل النبى الكريم كتبـه يدعو بدعاية الاسلام نذيرا وبشيرا فأرسـل الى كسرى ملك فـارس وهرقـل قيصر الروم والمقوقس عظيم مصر والنجاشى ملك الحبشة والى غيرهم من عظماء عصرهم •

لا نكاد نعرف حدثا من الأحداث له فى تاريخ الاسلام وانتشـار دعوته هذه الآثار البعيـدة المدى كحادث الهجـرة النبوية الشريفة ومالابسه من مقدمات ونتائج لقد كان اختيـار عمـر للهجرة مبـدأ ومنطلقـا للتـاريخ الهجـرى والاسلامى اختيارا عبقريا موفقا له دوافعـه وهواتفه النفسـية ودلالته القوية على قيمـة هـذه الهجرة وتوجيه انظار الناس اليها والى دراستها وتعمق معانيها عبر التاريخ وطول الأزمان والدهـور فهى مبـدأ التـاريخ وهى نفس التـاريخ لأنها كطبيعـة عظـائم الأحداث لم تنطلق من فراغ ولم تنته الى فـراغ بل كانت تحـولا

تاريخيا كبيرا وكانت نقطة تحـول لا فى تاريخ العرب والمسـلمين فحسب بل فى تاريخ الانسانية كلها بقدر ما تأثر تاريخ العالم أجمـع بتاريخ الاسـلام وظهوره وما أحدثه فى العـالم من آثار لا زال يجنى ثمارها الى اليوم فان تاريخ العالم بعد ظهور الاسـلام متأثر به تابع له •

من حق الهجرة على الناس أن يحتفوا ويحتفلوا بذكراها ويقبلوا على دراسة أحداثهـا ليجـدوها شريطا طويلا يتكـون من ثـلاث حلقات يفضى بعضـها الى بعض ويتصـل بعضـها ببعض بأوثق الروابط وأقوى الصلات •

أما الحلقـة الأولى من هـذا الشريط فهى حلقـة التجهيـز والاعـداد والتخطيط للهجـرة كاستجابة طبيعية وحتمية للظروف التى تمر بها الدعوة الاسـلامية وتقتضيها طبيعة الحق ونضاله مع الباطل الذى يحاول تطويقه وخنقه فأسلحة الكفرة والدعوة المضـادة قـد تكاثرت أنواعهـا وتعـددت مصادرها ومنطلقاتها • فمن تعذيب لضعفاء المسلمين قد التهب أواره واشتد سعاره الى اتهامات رخيصة وبذيئة لصاحب الدعوة بأنه ساحر أو كاهن أو شاعر أو مجنـون أو يتلو أساطير الأولين • الى القـاء الأتربة والقاذورات على رأسـه الشريف وهو ساجد لربه أو قابع فى بيته أو ماض فى طريقـه ، الى المقاطعـة والتجويع والحصـار الاقتصادى الى عمليات العروض والاغراءات لصاحب الدعوة ليكف عنها وهو يعلن الرفض حتى لـو وضعوا الشمس فى يمينه والقمر فى يسـاره الى ما الى ذلـك مما حفلت به كتب السيرة وسـجلته على هؤلاء الأوغـاد من المخازى والضراوة فى العداوة • فلماذا لا يأخذ المصطفى صـلى الله عليـه وسلم أهبته للرحيـل عن هـؤلاء الناس الذين لا أمل فيهم وصاحب النفس الأبية يقول :

اذا نكرتنى بلـدة أو نكرتهـا
خرجت مع البازى على سـواد

ويقول :

وفى الأرض عن دار المذلة مهرب
وفى الأرض عن دار القلى متحول

ما الذى ينتظر وقد تطورت عداوتهم الى هذا المدى الذى صورته الآية الكريمة « **واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » (١) .

لقد فكر النبى فى الهجرة رأى فى منامه أنه يهاجر الى أرض ذات نخيل وفسرها بأنها مدينة يثرب وصدقت الأحداث رؤياه حيث التقى بأهل المدينة فى موسم الحج وأبرم معهم معاهدة فى بيعة العقبة الأولى ثم تكررت هذه البيعة وهذه المعاهدة فى الموسم الثانى فى بيعة العقبة الثانية وبعيدا عن أعين أهل مكة مع ازدياد كبير فى عدد أهل المدينة الذين أخذوا معهم من يعلمهم القرآن الذى صار يتلى فى بيوت أهل يثرب قبل أن يهاجر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك أعظم تمهيد لنجاح الهجرة وثبات دعائمها وكان صلى الله عليه وسلم يعلم أنه سيهاجر حتما ولكنه كتم كل شىء عن أقرب الناس اليه لأن كتمان الأسرار من عوامل النجاح . فلم يبح بشىء الا فى حينه وعندما يجد الجد وتقتضيه الضرورة نراه يفضى الى على بسره لينام فى فراشه لايهام الأعداء المتربصين به أنه هو النائم بينما يكون هو قد خرج للهجرة ونراه يذهب فى حر الظهيرة الى دار أبى بكر فى ساعة لم يكن يأتيه فيها الا لأمر ذى بال فيقول لأبى بكر قد أذن لى فى الهجرة والخروج فيقول أبو بكر الصحبة بأبى أنت وأمى يارسول الله فيقدم أبو بكر احدى راحلتيه للسفر عليها ويجند أسرته فى مخطط الهجرة فتشق أسماء بنته نطاقها نصفين تمنطقت بأحدهما وربطت الزاد بالآخر فسميت ذات النطاقين وكان أخوها عبد الله بن

---

(١) سورة الانفال ٣٠ .

أبى بكر وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر وراعى غنمه يتجهزان لدور يقومان به فى الحلقة الثانية من حلقات هذه الهجرة الميمونة .

أما الحلقة الثانية من شريط هذه الهجرة فانها تبدأ بخروج النبى صلى الله عليه وسلم من دار أبى بكر فى غسق الليل الى غارثور يختبئان فيه عن أعين الطالبين من كفرة مكة بعض الوقت . وغار ثور فى جهة غير جهة يثرب اختاره الرسول ليضلل أهل مكة الذين سوف يتعقبون أثره للاتيان به . وكان عبد الله ابن أبى بكر يذهب اليهما سرا ليخبرهما بكل مارأى وسمع من قريش فى مكة التى ودعها النبى وهو خارج منها بقوله انك لأحب بلاد الله الى قلبى ولولا أن قومى أخرجونى منك ما خرجت . وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر وراعى غنمه يذهب الى الغار ليعطى الرسول وصاحبه مايشاءان من لبن وهما فى الغار . ثم ان العنكبوت ينسج خيوطه على باب الغار وتأتى حمامة لتبيض وترقد على بيضها بباب الغار حتى اذا وجد الكفار باب الغار على هذه الحال لا يظنون أن بالغار أحدا وكان أبو بكر يقول للرسول خوفا عليه يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا فيقول له الرسول يا أبا بكر لا تخف ولا تحزن . ما ظنك باثنين الله ثالثهما . وفى هذا المشهد الطريف العجيب تقول الآية الكريمة « **الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم** » (١) .

وقد حاول البوصيرى تصوير هذا المشهد فى قوله :

---

(١) سورة التوبة ٤٠ .

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البريـــة لم تنسـج ولم يحم
وقاية اللـــه أغنت عن مضـــاعفة
من الدروع وعن عال من الأطـم

وكان صلى الله عليه وسلم قد استأجر رجلا دليلا خريتا حاذقا هو عبد اللـــه بن أريقط يعبر بهم الصحراء الى حيث يثرب فدفع هو وأبو بكر الى هذا الدليل راحليتهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما بالراحلتين صـبيحة ثلاث فارتحلا ومعهما عامر بن فهـيرة فأخذوا الطريق الى يثرب وكـان أبو بكر اذاسأله فى الطريق سائل عن الرسول من هذا الذى معـك يقول له انه هاد يهدينى الطـريق يقصد بذلك أنه هـداه الى طريق الاسلام وفى الوقت نفسـه يظن المخاطب أنه يهديه طريق الصحراء ولا يدرك أنه رسـول اللـه وكان أبو بكر من شـــدة خوفه عـلى الرسول يمشى تارة أمامه ويمشى تارة خلفه فيقول له النبى ما هذا يا أبا بكر تارة خلفى وتارة أمامى ؟ فيقول له اننى أتخيـــل العدو فى الامام فآتى أمامك ثم اتخيله فى الخلف فآتى خلفك فيقـول لـه الرسول أتود اذا نزل بنا مكروه أن يكون بك دونى ؟ فيقول نعـم يا رسول اللـه • اننى ان هلكت فانما أنا رجل من الناس ولكنك اذا ذهبت يا رسـول الله ذهب دين اللـه • وظهـر فى الطـريق من الالطاف والمعجزات فى خيمـة أم معبد الخزاعية ما أفاضت فى ذكره كتب السيرة وقال فيه القائل :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حـلا خيمتى أم معبـد
همـا نزلا بالبشر وارتحـلا به
وأفلـح من أمسى رفيـق محمد
سـلوا اختكم عن شـاتها وانائها
فانكم ان تسألوا الشـاه تشـهد

ويقال ان أهل مكة سـمعوا فى شوارعها صوتا يردد هذه الأبيات ولا يدرون مصدره • وفى الطريق كذلك كان من أمر سراقة ما هـو مشـهور ومعروف من أنه انطلق بفرسه خلف الرسول وصـاحبه ليدركهما ليحظى بجائزة قريش لمن يأتيها بخبر محمد فاذا بفرسه قد

ساخت أقدامها فى الرمال ثلاث مرات تقوم وتكبو حتى فهم سراقة أن الرسول لابد أن يكون نبيا صادقا فى رسالته مؤيدا بمعجزات من ربه وقد زاده النبى يقينا فى هذا بقوله له كيف بك يا سراقة اذا لبست سوارى كسرى • كناية عن البشارة بانتصار الاسلام واتيان المسلمين على ملك كسرى وقيصر • وقد تم ما بشر به النبى فى خلافة عمر وألبس عمر بنفسه سراقة سوارى كسرى تنفيذا وتحقيقا لبشارة الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم •

أما الحلقة الثالثة فى شريط هذه الرحلة المباركة فهى وصول الركب الميمون الى قباء واقامته صلى الله عليه وسلم فيها على مشارف يثرب أربعة أيام أسس فيها أول مسجد يقول فيه القرآن « **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** » • كانت القلوب فى يثرب تلتهب شوقا لمقدمه وازدانت المدينة وأشرقت بالبهجة والسرور وأخذ الصبيان يهللون فرحين بمقدم الرسول والجوارى يضربن بالدفوف ويغنين :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
ايها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة
مرحبا يا خير داع

ها هو ذا حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم يدخل يثرب والانصار يتنافسون فى دعوته للنزول عندهم فى بيوتهم كل واحد يريد أن يحظى بهذا الشرف ميلتفون حول الناقة ليأخذوا بزمامها فيقول لهم الرسول دعوها فانها مأمورة كأنه يريد أن زمامها بيد الله وحده يقودها حيث يشاء فلم تزل ناقته تمشى به وتمشى حتى وصلت الى فناء متسع فبركت فيه قليلا ثم قامت ومشت قليلا ثم رجعت الى نفس المكان فبركت

فيه كأنها عملية تأكيد لفظى أو معنوى فنزل من فوقها الرسول وهو يقول ها هنا المنزل ان شاء الله وكان هذا الفناء قريبا من باب أبى أيوب الأنصارى من بنى النجار أخوال النبى فأخذ أبو أيوب رحل النبى فوضعه فى منزله ليحظى باستضافة الرسول وسأل النبى عن الأرض الفناء لمن هى فقيل انها ليتيمين اسمهما سهل وسهيل فتفاءل النبى بهذين الاسمين وكان يحب التفاءل وقال لقد سهل أمرنا • اشترى النبى هذه الأرض ليبنى عليها هذا المسجد الى يومنا هذا والمدفون فيه صلى الله عليه وسلم والذى كان مركز اشعاع أضاءت به مشارق الأرض ومغاربها وطوفت كلمة الاسلام منطلقة منه بآفاق المعمورة حتى بلغ تعداد المسلمين اليوم اتباع هذا الدين الحنيف أكثر من تسعمائة مليون نسمة هم ربع سكان المعمورة تقريبا وعند استقرار النبى بالمدينة أخذ ينسق الحياة بين المسلمين بعضهم مع بعض وبين المسلمين من جانب واليهود من جانب آخر • فقد آخى بين كل اثنين من المهاجرين والانصار ليستأنس كل منهما بالآخر ويشتد أزره به ويلتحمان الى درجة التوارث بينهما • وأعطى لليهود عهدا وأمانا بالمساواة بين اليهود والمسلمين فى الحقوق والواجبات العامة والتعايش السلمى لا يعتدى فريق على فريق ولا يكيد فريق لفريق • أخذ النبى فى اعداد السرايا وتكتيب الكتائب وتجييش الجيوش ودفع المسلمين الى التكتل والاستعداد للجهاد فى سبيل الله • ثم كان ما كان من أمر غزواته مع كفرة مكة فى بدر وأحد والخندق والحديبية وغزواته لليهود فى خيبر وقريظة حتى كان فتح مكة وانتصار الاسلام انتصارا حاسما ولفظ الشرك آخر أنفاسه فى جزيرة العرب نهائيا والى الأبد •

من قلب كل مسلم تحية اعجاب وتقدير وعرفان بالجميل الى مواقف البطولة والفدائية

والتضحية فى مخطط الهجرة النبوية الشريفة . الى على بن أبى طالب فى بسالته ونومه فى فراش الرسول وهو يعلم أنه عرضة لأن يقطع بسيوف الأعداء الذين أحاطوا ببيت الرسول شاهرى سيوفهم للانقضاض عليه لولا أنه أفلت بأعجوبة والى أبى بكر الصديق وأسرته الذين أسهموا بجهود مشكورة فى هذا الصدد . الى المهاجرين الذين تجشموا الصعاب وأوذوا فى سبيل الله وهاجروا فى سبيل الله . الى الانصار أهل المدينة الذين فتحوا قلوبهم ونفوسهم للمهاجرين قبل أن يفتحوا لهم دورهم وقال فيهم القرآن « **يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (١)**.

« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » (٢) .

دكتور

عبد الغنى الراجحى

« الصبر »

قيل للمحاسبى : بم يقوى الصابر على صبره ؟

قال : اذا علم أن فى الصبر رضى المولى .

---

(١) سورة الحشر ٩ .
(٢) سورة الأنفال ٧٤ .

الهجرة بداية صراع مسلح

للدكتور / محمد محمد خليفة

كانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدنية ايذانا ببدء صراع مسلح بين الحق والباطل بعد أن بح فى مكة صوت الكلمة الداعية الى الله ثلاثة عشر عاما ، وتاهت صيحاتها بين عواصف الحقد المحموم ورياح العناء الأحمق الذى أعمى قلوب المشركين عن التبصر فيما تتدفق به الآيات القرآنية من دلائل الوحدانية وآيات القدرة الناطقة بكل دافع من سلطان الحجة •

ولم يكف الرسول خلال مقامه بمكة عن تبليغ رسالة ربه لقريش وغيرها من الجميع الذين كانوا يفدون على مكة فى الموسم ، ولم تنم قريش عن مناوأة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورميه بأفانين من الكيد ، فاتهمته بالجنون والسحر والكذب ، وقريش هى التى لقبته قبل الرسالة بالصادق الأمين •

ولقد كان يحرص الحرص كله على استجابة قومه لدعوته التى أرسله الله بها ، وكم آلمه وأحزنه عناء قومه ، ومن ثم توالت عليه الآيات من ربه لبيان مهمته : **« ان عليك الا البلاغ » (ان أنت الا نذير) (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) الكهف ٦ •**

ثم أذن الله له فى الهجرة الى المدينة يتخذ منها قاعدة للدعوة وحاضرة للدولة الاسلامية •

ولم يكد يستقر قرار محمد صلى الله عليه وسلم بين قلاع

الأمن اليثربى تحوطه عناية الله وقلوب المهاجرين والأنصار حتى راح يملأ قلوب أصحابه ثقة بوعد الله الذى فرضه على نفسه (**كتب الله لأغلبن أنا ورسلى)** **المجادلة ٢١** ــ **(انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)** غافر ٥١ ٠

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) النور ٥٥ ٠

ومازال يتلو على أصحابه قصص الأنبياء ونصر الله لمن آمنوا به وبرسله ليزيدهم ايمانا ، ويشحن قلوبهم يقينا حتى صنع من كل قلب مادة أقدر على نسف كبرياء المعارضين وعنادهم من القوى النووية قبل أن تعرف دنيا الناس ما تحدثه المادة النووية من تفجير الأرض والجبال ٠

وكم عانى محمد صلى الله عليه وسلم وعانى أصحابه من ايذاء قريش ، ولكن الله منحهم طاقات من الاحتمال والصبر تحطم أمامها كل بطش ، وأين بطش قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بطش فرعون بقوم موسى عليه السلام حين كان يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم ، وأين بطش قريش وفرعون من بطش الله **(ان بطش ربك لشديد)** البروج ١٢ ٠

ان الذى أغرق فرعون وجنوده؛ وأهلك عادا وثمود لايغلبه غالب ، وهو ناصر عبده ، ونصر جنده ولم يزل محمد صلى الله عليه وسلم يبنى نفوس أصحابه ، ويشد بالايمان أسرهم حتى اطمأن قلبه الى بناء القوة التى يواجه بها شرور المناوئين ، ورأى فى كل مؤمن قوة ضاربة لم تشهدها البشرية من قبل لها من جلال الايمان ، وصدق العزيمة ، والانطلاق فى سبيل الله لاعلاء كلمة الله ، وحب التضحية فى سبيل العقيدة ما يجعل منها معجزة يتحدى بها رسول الله قوى الشرك فى مكة قاعدة الوثنية ، وفى غيرها من القبائل المشركة التى قضى

سلطانها على الكثير من سكان جزيرة العرب والتى طالما عرفت بين العرب بالبأس والبطش وخلال الاستعداد لقتال الجاحدين نزل الكثير من آيات القتال والجهاد :

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) الحج ٣٩ ، ٤٠ .

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) الانفال ٣٩ـ

وقد تجلت حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موادعة يهود المدينة ــ قبل أن يخوض معاركه مع الوثنيين ، فكتب كتاب الموادعة وأقرهم على دينهم ، واشترط عليهم ولهم حتى يتفرغ لقريش وغيرها من عباد الاصنام . وقضى رسول الله فى المدينة عاما يبنى نفوس أصحابه حتى اطمأن الى كفاءتهم وقدرتهم علىمواجهة أعداء الله ، ثم بدأ المواجهة ببعث السرايا ، وكان أولها سرية عبيد الله ابن الحارث بعثه رسول الله فى ستين راكبا حتى بلغ ماء بالحجاز لقى به جمعا من المشركين على رأسهم عكرمة بن أبى جهل ولم تكن مهمة تلك السرية قتالية ولكنها للاستطلاع ونشر الرعب فى نفوس المشركين ، ولم يحدث بين الفريقين قتال ولا تراشق اللهم الا ذلك السهم الذى رمى به سعد ابن أبى وقاص وهو أول سهم رمى به فى الاسلام وفى ذلك يقول سعد من قصيدة :

فما يعتد رام فى عدو
بسهم يارسول اللهقبلى

كما بعث سرية بقيادة حمزة ابن عبد المطلب الى ساحل البحر الاحمر فى ثلاثين راكبا حيث لقى أبا جهل فى ثلاثمائة راكب ، وحجز بين الفريقين مجدى بن عمرو الجهنى ــ فلم يحدث بين الفريقين قتال .

وتتابعت السرايا والغزوات : كغزوة العشيرة وسفوان وسرية سعد بن أبى وقاص .

ثم كانت غزوة بدر التى خرج اليها النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا نصره

الله بهم على ألف من المشركين وقد قتل من رءوس الكفر من صناديد قريش وأسر الكثير ، وعادت قريش من بدر منكسة الهامات يلطخ رءوسها العار حيث خسرت أول معركة واجهت بها المسلمين بل فئة قليلة منهم قد اجتاح ايمانها صلف ألف ممن حسبوا أن كثرتهم تعصمهم من الموت أو الهزيمة •

وانتصر سبعمائة من المسلمين فى أحد أولا على الجيش الكثيف الذى جمعته قريش لتدمر به المدينة على المسلمين وقد هزم المسلمون أخيرا فى المعركة لأن الرماة خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الثبات على الجبل لحماية ظهور المسلمين ، ولكن فتنت الغنائم بعض الرماة ، فتركوا مواقعهم ليظفروا بنصيب من الغنائم ، فانكشفت ظهور المسلمين وهزموا بعد النصر •

وفى غزوة الخندق تكفل الله بتمزيق الألوف التى عبأتها قريش من أبنائها وحلفائها من غطفان وغيرها فأرسل الله ريحا أطارت الخيام وكفأت القدور ، ومزقت الطبيعة الثائرة برياحها ورمالها التى جندها الله كل ما عبأت الأحزاب من قوى ، ورجع المتحزبون الى الحواضر والبوادى تطحنهم الخيبة • ونصر الله المسلمين فى معاركهم مع اليهود على بنى قريظة والنضير وبنى المصطلق وغيرهم من اليهود حينما نقضوا عهودهم ومواثيقهم وغدروا بالجوار وحاولوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل من قتل وأسر من أسر وأجلى من أجلى حتى تطهرت المدينة وما حولها من اليهود وكيدهم •

وكان صلح الحديبية بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين قريش فتحا مبينا ، ثم توالت انتصارات المسلمين على المشركين ففتحوا مكة وانتصروا فى حنين والطائف ثم فى تبوك •

ودانت الجزيرة كلها للقوة الاسلامية ، وكان الايمان أعظم أسلحة ذلك الصراع ، وبقوته صرعت شوكة المسلمين عتاد الباطل وجموعه ، وعنت أمام سلطان الحق

هامات المتجبرين الذين طالما أبت نفوسهم الاستجابة الى نداء الحق •

ذلك هو الماضى المشرق الذى صنعت فيه القلة المؤمنة تاريخا مازلنا نجتره ، وسيعيش المسلمون على اختلاف أفكارهم وأجيالهم يفخرون بأمجاده •

أما حاضركم فيبكى قلوب المشفقين ، لأن كثرتكم التى تجاوزت الثمانمائة مليون قد نخر الخلاف فى كيانها فأصبحت جوفاء خاوية من كل القيم التى بنت عليها القلة المؤمنة فى فجر الاسلام سلطانها :

ان المعارك الدامية التى تدور رحاها بين ايران والعراق تدمى قلوب المشفقين على المصير المرتقب للشعبين بعد أن يأكل بعضهم بعضا ، وتضيع بين نيران المعارك قوى الدولتين وينهب الخراب والدمار اقتصادهما بل وجودهما •

وان الخلاف بين ليبيا وتونس ينذر بالشر الذى يلوك كل مقومات السلام والأمن بين الدولتين وان الأحقاد التى ألهبت حياة النظام الليبى ضد مصر وغيرها من شعوب أفريقيا لا يستفيد منها غير أعداء الاسلام الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر •

وان الخلاف بين الجزائر والمغرب لينذر بالقاء الشعبين فى صراع يعلم الله أنه يهدد وجودهما ويأتى على سلطانهما •

وان ما بين سوريا والأردن من الشرر المتطاير لينذر بأخطار الغد القريب أو البعيد •

وان الصراع الداخلى فى سوريا بين المسلمين والبعثيين يؤذن بانفجار يلتهم سلامة الشعب السورى وأمنه ، وان المعارك الدائرة فى أفغانستان بين الثوار المسلمين وعملاء الشيوعية ليذهب ضحيتها الكثير من المسلمين ، ومن عجب أن تطحن تلك المعارك فى الحواضر والقرى الأفغانيةالشيوخ والأطفال والنساء بلا رحمة وحكام المسلمين يلوذون بالصمت فلم يقدموا لأولئك الثوار عونا يقضون به على الزحف الشيوعى الذى يهدد الشرق الاسلامى •

أيها المسلمون :

ان أصابع الفتن تلهو بالشعوب الاسلامية ، وتهدد مصـــائرها بل تسوقها الى حتفها ، وليس بيــن المسلمين من رشيد يرتفع بايمانــه عن أو حال الاهواء ليدعــو الحكام والملوك الى نبذ الخلافات وتوحيد الكلمة والقوى أمام تيار الالحـــاد الشرقى والاستغلال الغربى .

أيها المسلمون :

ليتنا نتخذ ونحن فى مســـتهل القرن الخامس عشر الهجرى درسا من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم فنبعث فى نفوسنا الثقة بوعد الله ونصره للمؤمنين فان تلك الثقة زلزلها الخوف والاستســـلام والشعور بالضعف حتى أصـــبح حكام المســـلمين فى نظر الشرق والغرب معا كالدمى تحركهم خيوط تعلقت بها رءوسهم بين أصـــابع الشرق أو الغرب فلا تروح خطاهم أو تغدو فى الحياة الا حيث يشـــاء لهم أعداء الاسلام .

وليتنا ونحن فى مستهل قـــرن هجرى نذكر الهجرة على أنهـــا كانت بداية صراع بين الحـــــق والباطل فنعيد ذلك الصراع لنسترد للحق والخير مكانهما بين عـــالم ضلت به أهـــواؤه ، وانحرف عن صراط الله مساره فتشعبت مذاهبه .. وتحكمـــت فى خطى أجيالـــه وعقـــولهم مخططات الالحـــاد والانحلال .

ليتنا نثبت للعالم ونحن أحفاد القلة المؤمنة المناضلة فى سبيل الله أن كثرتنا ليست غثاء السيل وانمـــا هى كثرة تموج فى الوجود لتصنع فيه الحياة الناضرة المزدهرة بالخير والحب .

وليت حكامنا يفيئون الى ربهم ويرجعون الى القيم الكريمة التى بثها فى الحياة كتاب اللـــه وتعاليم رسول الله والتى كان أســـماها الاخوة فى الله تلك الاخـــوة التى اقتلعت من القلوب جذور الاحقاد ، وجمعتهم حـــول حبل الله ودينه فكانت لهم به منعة وعصـــمة مـــن كل شر ..

وليتنا نرى أيديهم وقد تشابكت حول كتاب الله تعلن تآلفها واتحاد كلمتها وصفوفها لتدرأ عن العالم

الاسلامى كل سلطان يسعى الى السيطرة على أقطار المسلمين واضاعة مقدساتهم ٠

انه ليس بعزيز على الله أن يخلق من كثرتنا المسلمة قوة تعنو لها كل القوى وفى بطون أرضنا ثروات نمد بها العالم وفينا علم وخبرات ولدينا من القوى البشرية مئات الملايين تستطيع لو آمنت أن تصنع المعجزات ٠٠

وانه ليس بعزيز على الله أن يلم شتات العروبة ويجمع قلوب أصحابها على خير الاسلام وشعوبه ويأخذ بأيديهم الى صراط الله فهو نعم المولى ونعم النصير ٠

د٠ محمد محمد خليفه

(رجاء الى كتاب مجلة الأزهر)

تسهيلا لعمليات المراجعة ، يرجى من السادة كتاب المجلة التكرم بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة ثم مراجعتها أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ، والمجلة لا تقبل صور المقالات التى يراد نشرها ٠

الهجرة ومطلع القرن الخامس عشر الهجرى

للدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

ـ ١ ـ

الهجرة : ذلك الحدث التاريخى العظيم ، الذى كان فاصلا بين العصور القديمة والعصور الجديدة ، وكان حدا بين الهمجية والانسانية ، وفارقا بين حكم الشورى وحكم الاستبداد .. مايزال الزمن يذكرها ، والأجيال تترنم بنشيدها ، والعصور تردد آياتها المعجزات الباهرات الضخام .

ان حادث الهجرة النبوية العظيمة من مكة الى المدينة ، كان أكثر الاحداث العالمية عظمة وجلالا ، وأثرا وذكرا ، ومفاخر ومآثر ، ونتائج كبيرة فى تاريخ الاسلام والمسلمين .

وقد عرف الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ هذا الاثر الكبير للهجرة ، فى تاريخ الاسلام ، فتوج بها التاريخ الاسلامى كله ..

ففى العام السابع عشر من الهجرة ، وفى عهد الفاروق عمر بن الخطاب ، تشاور أصحاب رسول الله فى أمر الاتفاق على تاريخ اسلامى ، يدون به المسلمون أمورهم وشئونهم ، وتواريخ أيامهم وأحداثهم ، فأخذوا يفكرون مليا فى الأمر ، ويناقشون مختلف الآراء والأفكار ، حتى انتهى بهم الأمر الى اتخاذ الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامى ، لأنها أوثق الحوادث صلة بالاسلام والمسلمين ، كما يقول البيرونى فى كتابه « الآثار الباقية » ، وقد

أجمعوا على المحرم لأنه منصرف الناس من حجهم كما يقول الطبرى •

فالهجرة هى بدأ استقرار المسلمين ، والتفاتهم الى اقامة مجتمع اسلامى كامل ، تنفذ فيه تعاليم الاسلام روحا ونظما ، تشريعا وتطبيقا ، عملا وسلوكا ، وهى بدء تكون الدولة الاسلامية فى المدينة ، التى كانت أول دول الاسلام ، وكان رئيسها هو صاحب الرسالة السماوية العظمى ، محمد بن عبد الله النبى الرسول ، الذى نزل عليه الوحى من السماء ، بكتاب منير ، وقرآن كريم :لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد •

ولم يكن للعرب تاريخ ثابت قبل صنيع عمر الفاروق فقبل الاسلام كانت بعض القبائل تؤرخ بالأحداث الكبيرة فى حياة العرب : كيوم الفجار (٣٣ ق هـ — ٥٨٩ م) وحلف الفضول ، وموت هشام بن المغيرة المخزومى اجلالا له وتكريما ، وحادث الفيل •

وقد ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعرب وقريش تؤرخ بموت هشام ، وبعام الفيل ، كما يقول المسعودى فى كتاب « التنبيه والاشراف » — ص ١٨١ — •

ومن الأحداث الكبرى التى كانت قريش تؤرخ بها : موت كعب بن لؤى (٦٨٣ ق هـ — ٤٠ ـقم)، وعام الغدر (١٦٣ ق هـ — ٤٦٤ م) وهو العام الذى نهبت فيه بنو يربوع الكسوة ، التى بعث بها ملوك حمير للكعبة ، وكذلك : بناء الكعبة على حكم الرسول صلى الله عليه وسلم (١٨ ق هـ — ٦٠٥ م) والرسول فى الخامسة والثلاثين من عمره ، وبين بناء الكعبة والبعثة النبوية خمس سنين •• وكان ميلاد رسول الله بعد عام الفيل بخمسين يوما •

وكان السبب المباشر فى وضع التاريخ الهجرى هو : أنه « رفع الى الخليفة عمر بن الخطاب صك » بتاريخ شعبان ، فقال عمر : أى شعبان هو ؟ ثم جمع أصحاب رسول الله — صلي الله عليه

وسلم — فاستشـــــارهم فى أمر الأوقات ، فقالـــــوا : يجب أن نتعرف الحياة فى ذلك من رســـوم الفرس ، فاســتحضروا الهرمزان الفارسى ، واستعلموه ذلك ، فقال : ان لنا تاريخا نعرف به حســـاب الشـــهور والأيام والأعوام ، فقال عمر لأصحاب رسول الله : ضعوا للناس تاريخا يتعاملون به ، فقال البعض : اكتبـــوا على تاريخ الفرس ، وقال البعض : اكتبوا على تاريخ الروم •

وفى تلك الأثناء جاء الى الخليفة عمــر كتـــاب من « ابو موسى الأشعرى » يقول فيه : انه تأتينا كتب — أى رسائل — من قبلك ، ليس لها تاريخ ، فوضـــع عمر التاريخ الهجــرى ، وهو التاريخ الذى دون به المســلمون أيامهم ، وشهورهم وأعوامهم ، وصـــار عنوانا لمآثر الاســلام ، ومفاخر المسلمين •

— ٢ —

والهجرة النبوية من مكة الى المدينة وضعت حدا لاضـــطهاد قريش للمسلمين فى مكة ، ولتعذيب من آمنوا برســـالة الله ودينه ، وكتب الله بها النجاة لرســول الله من المؤامراة الدنيئة ، التى دبرها المشركون سرا لاغتياله ، وللقضـــاء على كل مســـلم يعبـد الله فى الأرض ، ولاطفـــاء نور الله ووأد الدعوة والرسالة والشريعة •

وكانت الهجرة قضـــاء على كل ما دبره المشركون ، وما أعـــدوه بليل وما بيتوه بسر من خطط ومكر وكيد للاسلام وللمسلمين •

وبالهجرة زالت ســيطرة قريش على أصحاب رسول الله ، وهاجر المؤمنون الأولون الى المدينـــة زرافات ووحدانا ، وعاش المسلمون فى بيئة المدينة ، التى انتشر فيهـا الاسلام انتشارا كبيرا ، دون أن يتعرضـــوا لامتحان أو تعذيب وعاشوا بالهجرة فى أمن وسلام ، وطمأنينة وحرية •

وبذلك اهتز كيان الوثنية ، وبان زيفها وضلالها وبهتانها ، أمام نور الله ، ودين الله ، وصمود أصحاب رسول الله •

وبالهجرة انتقل الاســـلام من النظرية الى التطبيق ، فأصبح له

مجتمـــــع ، ودولة وكيان وأمة ، وقامت قوة اســـــلامية تحميه ، وجيش صامد يدافع عنه ، ووطن يأوى اليه •

وحدث عن تدبير رســـــول الله صلى الله عليه وسلم للهجرة ، وعن خروجـــــه بليـــل الى غار ثور ، والمشركون يحيطون ببيته • احاطة السوار بالمعصم ، للانقضاض على رسول الله واغتياله ، وعن خروجه من الغار ، وسيره فى طرق بعيـــدة الى المدينــــة ، وعن الذين تتبعوا آثاره هو وصـــــاحبه ابى بكـــر للانقضـــاض عليهما واعادتهما الى مكة ، وعن نجاة رســــــول الله ، ودخوله قباء ، ثم المدينة ســـالما ناجيـــــا ، محـــاطا برعاية الله وحفظه •• حــــدث عن كل ذلك ، وعما كان من سراقة ، وما حـــدث لسراقة ، ولا حرج •• فالحـــديث كله عطر وسحر وشئون وشجون •

ولا ننسى هذا الاستقبال الحافل لرسول الله وهو يدخـــل المدينة ، والأناشـــــيد التى كان المدنيون صـــــغارا وكبارا يرددونهـــــا فى اســــتقباله ، ويروى عن ابن عمر قال ، قال أهل المدينة لرسول الله : ادخل المدينة راشـــــدا مهديا ، والناس ينظرون اليه ، كلما مر على قوم وهو على ناقتـــــه قالوا : يا رسول الله هاهنا ، فقال صلوات الله عليه : دعوها فانها مأمورة ، حتى بركت على باب أبى أيـــوب ، وهو من بنى النجار ، وهم أخوال رســـــول الله ، وظل كذلك الى أن بنيت له حجرة أم المؤمنين سودة ، وبنى المسجد النبوى الشريف وبعد ذلك أطلق على يثرب اسم المدينة ، أى : مدينة النبى ، وصارت الهجرة وأيامها الخوالد مفترق الطريق ، فى حياة الرسالة والرسول ، والاسلام والمسلمين •

وبنى رسول الله المســــجد النبوى ، الذى ما لبث أن صــــار جامعة اســـلامية كبرى ، كان هو أول جامعة اســـــلامية فى حياة الاســـــلام والمسلمين ، ثم تحول المسجد الحرام بعد فتح مكة الى جامعة أخرى ، أضـــاءت بنورها المشارق والمغارب •

لولا الهجرة لعاشت الانســـانية حتى اليوم فى ظـــلال الوثنية ،

والضلال والجاهلية الاولى •• لقد صارت من أكبر الاحداث العالمية فى تاريخ البشرية قاطبة ، وفى تاريخ العالم والشعوب كافة •

ــ ٣ ــ

واليوم ، وفى ذكرى الهجــــرة النبــوية الشريفـــة ، يســـتقبل المسلمون باليمن والبشر والبشرى ، والحفـــاوة ، القرن الخامس عشر الهجرى •• كما استقبلوا من قبل أمثـــاله من قرون مضت •• وهى مناســـبة جليلة كريمة ، لا تحدث الا كل مائة عام •

ويســـتقبل المسلمون القرن الخامس عشر الهجرى ، والأخطار تحـــدق بهم من كل جـــانب ، والمؤمرات تحـــاك حولهم من كل ناحية ، ويد الأعداء تنوشهم من كل مكان •

الشـيوعية تغزو بقواتها دولة اسلامية كبيرة ، هى : أفغانستان ، وهذا الشعب المسلم الأعزل لايزال يقاوم جحافل الشـــيوعية والشـيوعيين ، متوكلا على الله ، معززا بروح الايمان ، صـــامدا صمود الأبطال ، فى معركة الدفاع عن الحرية وعن الوطن ••

والشـــيوعية بدهائها صارت تســـيطر على مقدرات الأمور فى اليمن الجنوبية ، وفى ليبيا المسلمة ، وصارت لها كلمة نافذة فى ســـوريا العـــربية ، وفى العـــراق المـــؤمن الصامد ، وفى أماكن أخرى كثيرة •

وها هى ذى العلمانية ، والالحاد والضــــــلال والشرك والكفـــر ، ودعوات الوثنية ، تطل برأسها من كل مكان ، فى محاولة للانقضـــاض على الشعوب الاسلامية المؤمنة ، الصـــامدة الصـــابرة ، ومحاولات الغزو الثقافى ، والتبشير الصليبى مستمرة دون توقف •

ومن أجل ذلك ندعو الله ــ عز وجل ــ أن يحفظ للأمة الاسلامية دينهـــا ، وعقيدتها وايمانها ، وأن يجمع شمل الشعوب الاســـلامية على الايمان ، والجهـــاد والفـــداء والتضحية •

مرحبـــا بقرننا الجـــديد ، قرن النضـــال والكفاح ، ومن أجل عزة الاسلام ، ومجد المسلمين •

محمد عبد المنعم خفاجى

هجرة الى النصر والفتح

للدكتور / السيد الطويل

مما انتهى اليـــه المؤرخـــون ، والذين توفروا على تحليــل وقائع التاريخ ، وتقويم أحداثه ونتائجه أن هجرة النبى محمد عليه الصلاة والســـلام أثرت تأثيرا بالغا فى مسيرة التاريخ البشرى ، وغيرت ـ تماما ـ وجهته وغايته .

ولم تكن هـــذه نظرة المؤرخين المسلمين أبدوها بتأثير العاطفـــة ، وفى ظل حماسة العقيدة المتأججة ، وانما هى أيضا النتيجة التى انتهى اليها علماء التاريخ والاجتماع من غير المسلمين .

ولأجل هــذا فهى أبعد ما تكون عن المبالغة والتجاوز .

واذا كانت الامــور تقـــاس بما تخلص اليه من غاية ، وبمـــدى ما تحمله فى ذاتها من بلاء وجهـــد ومعاناة فان للهجرة بنـــاء على هذا أرفع مقياس ، وأسمى مكانة .

ان الهجرة وسيلة جيدة الى غاية كبيرة ، دعت اليها أسباب ملحة .

فما الدوافـــع التى وجهت الى هذه الوسيلة المؤثرة ؟

وما أسس الامتياز وخصـــائص الجودة ، وأبعـــاد التأثير فى تلك الوسيلة الكبيرة ؟

وما هـــذه الغاية الكبيرة ؟ ولأى مدى نجحت هذه الوســـــيلة فى تحقيقها ؟

أما الدوافع فتتمثـــل فى اعتزاز قريش اعتـــزازا بالغا بما لهم من حسب ونسب ، وما أحـــرزوه من

أمجاد فى الدين والاقتصاد جعل أمر الجزيرة كلها يكاد يكون فى أيديهم • هذا وذاك جعلهم يثقون ثقة غافلة بأعرافهم وتقاليدهم ، وأذهلهم عن موروثاتهم السامية من الحنيفية السمحة دين ابراهيم واسماعيل اللذين يعتزون بالانتساب اليهما ، وخيل اليهم بتأثير جهالة الجاه والمنصب والثراء أن دعوة أخيهم محمد بن عبد الله بدع من الأمر ، وأن فيها خطرا على مكانهم ومكانتهم ، وقد صور لنا القرآن الكريم فى بيان حكيم تصورهم الفاسد ، فقال جل شأنه **(وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا • أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء ، رزقا من لدنا ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ؟)** وبعد أن تناقش الآيات تصورهم الفاسد تحذرهم قائلة : **(وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين)** •

وبناء على هذا افتن القوم فى فنون العذاب ، واحتالوا فى ألوان الاضطهاد ، وانتقلوا من اسلوب الى اسلوب أشد وأنكى •

عذبوا المستضعفين أشد أنواع العذاب مثل بلال وصهيب وخباب•

حاولوا صرف النبى عليه السلام عن الدعوة بوعود واغراءات متعددة •

قاطعوا النبى عليه السلام ، ومن معه من صحابته وذوى قرابته •

ولم تنجح أية محاولة من هذه المحاولات ، وما كان الا أن ازداد النبى عليه الصلاة والسلام استمساكا بدعوة ربه ، واصرارا على المضى على طريق الجهاد ، وعجزت حيل القوم عن الحيلولة بين الداعية والدعوة •

ان البيئة القرشية بظروفها تلك لم تنجح فى استنبات البذور الطيبة فى قلوب ران عليها غشاوة الغفلة والاعتزاز القبلى الجائر •

والاستمرار فى الدعوة على هذه الأرض ضرب من الجهد الضائع ، والداعية فيها كمن يصرخ فى واد ،

وينفخ فى الرماد ، وشأن المدعوين فى غفلتهم التى قعــــدت بهم عن الادراك السديد والتصور الرشيد كمن ينعق بما لا يســـمع الا دعاء ونــداء صـــم بــكم عمى فهم لا يرجعون ، ولا يعقلون .

وكانت للنبى عليه الصـــلاة والسلام تجربة للهجــرة فى أرض قريبــة ، وبيئة مماثلة ، ولم تنجح الهجرة ..

وتحركت مسيرة الدعوة فى خطى وئيدة واثقـــة ، نحو هجرة أخرى راشدة .

لم تكن فرارا من معاناة الجهاد وايثارا للسلامة والخنوع . وانما كانت خطة محكمة لتحويل ميــدان الجهاد الى أرض أخرى تتهيأ فيها للدعوة أسباب النصر .

ولم تكن سلبية ذليلة فى مواجهة مهمة كبيرة ، وانما كانت عمـــلا ايجابيا ذكيا فى دفع الدعوة بحكمة وتقدير الى طريق النجاح .

ولم تكن الهجرة رفضا للمجتمع المهاجر منه ، وهجرا له وانما كانت تضـــحية كبيرة بحب كبير تملكه القلوب الكبيرة للوطن والأرض .

وقالها رسول الله عليه الصــلاة والسلام غداة الهجرة ، وهو يفارق مكة متألما لفراقها : والله انى لأعلم أنك أحب بلاد الله الى الله ، ولولا أن قومى أخرجونى ما خرجت .

وعلى أرض المهاجر الكـــريم يثرب ، يرتفع صوت بـــلال يأسى علىمكة ومغانيها ووديانها وجبالها فيقول وقد أنهكته الحمى :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بواد وحولى اذخر وحليل ؟
وهل أردن يوما ميـــاه مجنة
وهل يبدون لى شامة وطفيل؟

ان الهجرة خطة جهاد سـديدة وقد أدركت قريش بوعيها السياسى خطورتها فوقفت بقوة فى وجـــه المهاجرين وحاولت أن تثنيهم عن غايتهم بالوعد والوعيد ، والاغراء والتهديد وما اســتطاعت **(ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كـــره الكافرون)** .

وذلك لان الهجرة كانت فى هــذه

الظروف لا بديل عنها ، ولامناص منها ، بل كانت التحدى القوى لايمان المؤمنين ومن أجل هذا آثرها أقوياء الايمان بما فيها من تعب ونصب على مال جمعوه وثروة أرهقهم حشدها .

لقد تحدث القرآن الكريم عن الهجرة منهجا للايمان والمؤمنين ، وطريقا للعزة وسبيلا لحرية الانسان وكرامته .

يقول جل شأنه : **(ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة)** .

وقال تبارك وتعالى : **(ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم)** .

كما قال : **(والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا)** .

لقد كانت فرضا مفروضا على المؤمنين الذين عاشوا ظروفها ، ولا يغنيهم من العقوبة يوم يقوم الناس لرب العالمين ما تعلل به بعضهم وقد قعد عنها بأن الايمان فى القلب لا تملك أكبر قوه محوه ، وأنه لابأس من القعود ومجاملة القوم حفاظا على المال والولد ، وعاشوا فى وطنهم أذلاء ظلموا أنفسهم بهذا الهوان . يقول تعالى فى شأنهم : **(ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا)** .

وفى مكانة المهاجرين عند الله تتحدث هذه الآية : **(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم)** .

ثم كانت الهجرة بوقائعها الحافلة

بالدروس والعبر ، وتمخضت عنها نتائجها المذهلة •

لقد كانت الدعوة قبل الهجـرة بلا كيان فقام لها بعد الهجرة دولة وسلطان •

كانت نظرة العرب للحـــركة الاسلامية قبل الهجرة على أنهـــا شذوذ وانخـــلاع عن أعراف القوم فأصبحت بعد الهجرة لها كيـــان كريم أخذت تتعدل نظرة القوم اليه شيئا فشيئا •

أصبح للمســـلمين بعد الهجرة ملاذ يلوذون به ، ويلتقـــون ، ويتجمعون ، ويتكاثرون ويتناسون بغضـــاء الجاهلية وأحقـــادها ، ويصبحون بعد الشقاق بنعمة الله اخوانا صنعت منهم عقيدة التوحيد أمة واحدة لا تدين الا لله وحـــده لا شريك له •

وواجهت الدولة الناشئة التحديات البالغة ، وامتحنت بالأحـــداث الجسيمة ، والخطوب الصعبة التى صـــهرتها ، وعجمت عودها ، من انتصار بـــدر الى محنة أحد ، الى تطهير لأرض الدعوة من الوجود اليهودى الآثم ، الى تحطيم لقوة الأحزاب التى التقت حول المدينة لتقضى تماما على دولة الاســـلام فيها •

ويتوقف الصراع لتقـــوم فترة سلام • تستفيد منه الدولة صاحبة الدعوة ، ويتحرك رســـلها فى كل مكان ، وتأتى للرسول عليه الصلاة والسلام الوفود من كل صـــوب وحدب •

ويدنو منهم نصر الله ، ويقترب يوم الفتح •

وتصـــحو قريش ــ وقد نقضت عهدها ــ لترى ابنها الكريم الذى خرج من مكـــة خائفا يترقب مع صديقه الصديق متسربلين بظـــلام الليل ترعاهما عين الله ورعايته ــ قد أقبل الآن فى جيش عظيم لا يجد مقاومة تذكر ، ويدخل مكة ، وينتهى الى الكعبـــة ، ويمنح النبى عليه الصـــلاة والســـلام أهله الأمن فيبذلون له عن رضـــا ويقين الايمان ، وينطلقون من خلفه جنودا لله الى ثقيف والطـــائف ، ثم الى مؤتة فى الشام ، وفى تبوك وتذعن

الجزيرة كلها باذعانهم ، وتغمرها شمس الاســـلام ، مبددة ظلام الجاهلية وظلمها •• وصـــدق الله العظيم اذ قال : **(اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا • فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) •**

ان أمة العرب التى تخرجت من مدرســة الاسلام بعد الهجرة هى مستعدة الآن لأن تنطلق فى الآفاق ليســـعد بنو الانسان من الشرق والغرب بنور الله الذى غمـــــر الجزيرة •

وهكذا كان النصر الكبير والفتح المبين نهـــاية لجهـــاد كبير ، بدايته هجـــرة عـــزيزة قـــوية • ان المسلمين الآن وهم يستقبلـــون هلال القرن الخامس عشر الهجرى فى كيان ممزق ، وثوب مهلهـــل ، ورابطة واهنة فى أمس الحاجة الى هجرة جديدة تقوى كيانهم وتلم شعثهم ، وتعزز وحدتهم ، وتنتهى بهم الى نصر وفتح •

ما هذه الهجرة ؟ وما أبعادها ؟

لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية كما قال صلى الله عليه وسلم ، واذا استنفرتم فانفروا •

انها هجرة الى الله وشريعته ، ولياذ الى دينه ومنهجه ، وهجـــر لأهواء النفوس وشريعة الانسان •

فهل من جهاد راشـــد ، وجهد خالص ، وعمل صالح يحقق الغرض ويدنى الأمل ، ويتحـــول به الحلم الحلو الى حقيقة محسة ؟ !!

والله من وراء القصـــد وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

دكتور / السيد رزق الطويل

مواكب الهجرة

للأستاذ/ جابر حمزة فراج

المحرم نفحة الدهر .. وغـرة الزمـن .. مع اطـلاله تتفتـح القـلوب .. كما تتفتح الأزاهير مع الربيع .. فعند اشراقة المحرم يفوح عبق الهجـرة النبـوية .. ويسرى نورهـا فى الأكـوان .. ويرن صوتها فى الآفاق .. مرددا أنشودة القداسة :

طلـع البـدر علينـا
من ثنيـات الـوداع
وجب الشـكر علينا
مـا دعـا للـه داع
أيهـا المبعـوث فينـا
جئت بالأمر المطـاع
جئت شرفت المدينـة
مرحبـا يا خـير داع

أهازيج قلب .. ونداء ضمير .. وهتاف وجدان .. نطقت به نسوة بنى النجار .. وأنا أقـول جئت شرفت الحياة .. لأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يشرف المدينة وحـدها .. بـل شرف الدنيـا بأسرها .. شرقها وغربها .. لأنه وسام الشرف على صدر الوجود . لأنه وشـاح الحق عـلى كتف الزمان .. لأنه تـاج المجـد على رءوس البشر .. لأنه لمسة الحنان فى وجدان بنى الانسان لأنه نبـع الرحمة فى كل مكـان .. نظـرة الى الهجرة : —

ان الـواقف أمـام الهجرة .. كالواقف وسط روضة فيحاء ... عالية الأشجار .. غنية الثمار .. وفيرة الأزهار .. فواحة العبير .. كلما شده منظر .. نادته مناظر . واذا مـا سحره مظهر .. بهـرته

مظاهر •• فالهجرة اذا ما حاول الباحث أن يتناول منها جانبا •• تألقت أمامه جوانب •• وذلك لما تنطوى عليه من أحداث جسام •• وهمم عالية •• ومبادىء سامية • وغايات نبيلة •• ومقاصد كريمة • وشيم كاملة •• ومثل ماجدة •• وأهداف بعيدة •• وآفاق فسيحة •• فهى بداية خير •• ومسيرة نور •• وثورة حق •• وانتفاضة أصلاح •• وانبثاق هدى •• وتألق ايمان •• وزرع عقيدة •• وموكب مجد •• وانطلاقه عز •• واشراقة نصر •• ونبض يقين •• ونبع دين •• ونشر فضيلة •• ودفق سلام •• وايقاظ وعى •• وتشييد حضارة •• واقامة دولة •• ورفع راية •• وتربية نفوس •• وتنمية ضمائر •• وبث مبادىء •• وغرس قيم •• الدافع الأساسى للهجرة : —

مهما كانت الدوافع •• ومهما تعددت الأسباب •• فانها تتركز وتدور حول العقيدة •• لأن وطن المؤمن عقيدته وهى وطن لا يعرف القيود أو الحدود •• ولا تحجبه الحواجز أو السدود•• واذا ما انعدمت العقيدة فلا قيمة لوطن أو سكن •• ولا لأهل أو جوار •• بل تنعدم الحياة كلها•• لأن عروة العقيدة هى الرباط بين المؤمنين •• فهى أقوى وأسمى من رباط الدم أو اللون أو أى شىء آخر •••

لقد كان من الميسور على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يكونوا فى منجاة من عذاب القوم واضطهادهم •• بل من السهل أن يحصلوا من المشركين على المال الوفير والجاه العريض •• لكنها العقيدة •• فلا شىء أغلى منها « والله ياعماه لو وضعوا الشمس فى يمينى••والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر •• ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه »•• كلمة خالدة خلود الحق •• نطق بها قلب محمد عليه السلام قبل أن ينطق بها لسانه •• لتكون شعارا للمؤمنين •• ورمزا

للمسلمين .. عبر القرون والأجيال .. ولتكون ردا على ادعاء المستشرقين بأن الهجرة النبوية كانت هروبا وفرارا ... كما أنها كانت مجردة من كل غرض مادى .. أو مأرب ذاتى .. فما أراد محمد عليه السلام أن يكون صاحب تاج أو سلطان .. وانما عاش فقيرا .. ومات فقيرا .. وكأنه يثبت للدنيا أن الهجرة كانت انطلاقا للعقيدة ..وسموا بالدعوة .. واختيارا للمناخ الصالح الخصيب ...

لمحات من الهجرة : ـ

لم يكن هناك فائدة من البقاء بمكة بعد أن تمكن العداء من قلوب عبدة الأوثان الذين عميت عيونهم .. وطمست عقولهم .. وقست قلوبهم « **وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** »(١)... أمر الله رسوله بالهجرة من مكة الى المدينة حيث الأفق الصافى .. والأرض الطيبة .. والبيئة النقية التى استبشرت بالاسلام ..

ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بأطراف مكة فى الليل الداجى يلقى عليها نظرة الوداع .. وقلبه مشدود اليها .. فهناك بيت الله الحرام أشرف بقعة على الأرض .. وهناك غار حراء الذى التقت فيه الأرض بالسماء عند نزول الوحى .. وهناك الأرض .. التى تربى فوقها .. وهناك الدروب التى مشى فيها .. وهناك الذكريات التى تملأ خاطره .. فقال : والله انك لأحب البلاد الى قلبى .. ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت ... ثم كانت بداية الهجرة .. بعد أن أبقى ابن عمه عليا بمكة لا ليخدع المشركين فحسب .. وانما لهدف أسمى وأكرم .. اذ كان من السهل أن يصحبه معه فى رحلته .. لأن الرسول عليه السلام يؤمن بأن الذى ينجى محمدا قادر على أن ينجى عليا .. لقد أبقاه بمكة ليرد الودائع والأمانات التى

---

(١) سورة يس

كانت لديه لأصحابها •• رغم أنهم من المشركين الذين حرصوا على قتله •• وكأن محمدا صلى الله عليه وسلم يقصد من وراء ذلك أن يعلن للدنيا أن الاسلام دين الحق •• دين العدل •• دين النزاهة•• دين الأمانة •••

أمادور أبى بكر الصديق فهو دور الوفاء والاخاء •• دور التضحية والفداء •• دور اليقين والايمان •• حيث جمع ما لديه من مال وحمله لينفقه فى سبيل الله•• ولم يترك لأولاده شيئا •• اللهم الا ثقته فى ربه •• أما فى مسيرته مع الرسول فكان يمثل جيشا كاملا •• فمرة يمشى أمامه ليرصد ••ومرة يسير خلفه ليحمى ••• وعندما قال له الرسول : يا أبا بكر •• أما تخشى على نفسك ؟ فقال : اننى لا أخشى على نفسى لأنى ان مت فأنا فرد •• وانما أخشى عليك لأن موتك موت أمة •• وحياتك حياة أمة •••

وتتجلى التضحية وتصل الى غايتها عندما سبق النبى صلى الله عليه وسلم ودخل الغار فى الليل المظلم •• والخطر المحدق •• وقطع من ثوبه ليسد الثغرات •• وعندما رآه النبى يفعل ذلك توجه الى السماء داعيا : اللهم اجعل درجة أبى بكر كدرجتى فى الجنة •• فسمع مناديا يقول : قد أجيب لك يا محمد ••• وكما قال فى شأنه : ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر الا أن يكون نبيا •••

وأما على بن أبى طالب فبعد أن قام برد الأمانات الى أهلها •• شرع فى الهجرة •• ومن العجيب أن نراه خرج اليها ماشيا على قدميه •• لا زاد معه ولا ماء •• ولا رفيق له ولا أنيس •• فلم ترهبه الصحراء القاحلة •• ولم تخفه الجبال الشامخة •• ولم تفزعه الوديان السحيقة •• ولم تثنه عن عزمه الليالى الموحشة •• أو الطرق الوعرة •• فالايمان دليله •• والعقيدة رائده •• والتقوى زاده •• والذكر عدته•• **« وتزودوا فان خير الزاد التقوى**

واتقون يا أولى الألبـــاب (١) •• ومع طول المسافة •• وبعد السفر •• وخطر المسلك •• اســتغرقت مسيرته أسبوعين •• ثم كان اللقاء •• فى قباء فالله أكبر ياعــلى •• لكأنى بك تضرب المثــل الأعــلى لشباب الأمة ليتخذوا من الايمان قوة لاتخمد •• وعزيمة لا تنفد •• وشــحنة لا تنضــب •• وارادة لا تعــرف العجــز أو الكلل •••

أما الصحابة الأبرار •• فلكــل منهم مع الهجرة قصــة •• ومــع التاريخ حكاية •• ومع المجـــد رواية •• فكم لاقوا من مشقات•• وصادفوا من عقبات •• وتحملوا من صعوبات •• فضربوا أروع الأمثال •• فى عمق اليقين ورسوخ الايمان •• حتى رضى اللــه عنهم ورضـــوا عنـــه وذلك هـــو الفوز العظيم •••

نفحات من الهجرة : ـــ

عندما نستعرض الهجرة النبوية الشريفة •• وعندما نتابع أحداثها •• نجد فى كل خطوة •• وفى كـــل حـــركة •• وفى كـــل نبضـــة •• بطولات نادرة •• ومواقف خالدة •• وقدوة صـــالحة •• وأســـوة طيبة •• وصورة مشرقة •• تتجلى فيها مظاهر الايمان •• وعظمــة الاســـلام •• واذا أردنا أن نذكر بعضها •• فهناك السرية التامة•• والتكتم الشـــديد •• والحـــرص البالغ •• والأخذ بالأسباب ••ثم اســـتكمال عـــوامل النجـــاح •• كاختيـــار الشــــخصيات الموثوق فيها •• مثل أسماء وأخيها عبد الله وهما ابنا أبى بكر •• وعلى بن أبى طالب وهو ابن عم الرسول عليـــه الصلاة والسلام •• وعـــامر بن فهيرة ذلك الراعى البسيط الـــذى قدم أجل الأدوار •• حين كـــان يبدد آثار أقدام النبى وصـــاحبه بأغنامه كيلا يتفرسها الأعداء •• وهناك أيضا الشجاعة المنبثقة من العقيدة الصافية •• كمـــا كان من عمر بن الخطـــاب •• حيث رفض الهجرة سرا وخفيـــة •• بل أصر

(١) سورة البقرة ــ اية ١٩٧

عليها جهـارا •• ولم يكتف بذلك بل تقلد سيفه وطاف بشوارع مكة حتى وصل الى مجلس الكفار •• ثم نظر اليهم قائلا : شـاهت الوجوه •• من أراد منكم أن تثكله أمه •• أو يأتم ولده •• أو ترمل زوجـه فليتبعنى وراء هـذا الوادى •• فلم يتبعه أحد •••

وان ننسى فلا ننسى وصـول النبى صلى الله عليه وسـلم الى قباء حيث أقام بها مسجدا — وهو أول مسجد فى الاسـلام — رغم أنه لم يمكث بها سـوى بضـعة أيام • ايكون اشـعاعة نـور •• ومصدر هداية ••• كذلك عنـدما وصل الى المدينة المنورة •• فقبل أن يبنى لنفسه بيتا •• بنى للـه مسجدا •• وكأنه صلى الله عليه وسلم يهدف من وراء ذلك أن يبين للمسلمين — فى كل زمان ومكان — أن المسجد ضرورة من ضروريات هذه الأمة •• ففيه يتعبـدون •• فيه يتعلمون •• فيه يتدارسون•• فيه يتعارفون •• فيه يتشـاورون •• فيه يخططـون •• ثم منـه ينطلقـون •• فتكـون البـركة والعطاء •••

كما أننا لو نظرنا الى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لوجدناهـا ثمـرة من ثمـار الهجـرة •• فبالمـؤاخاة قـامت المحبـة •• وانتشرت المودة •• وساد الترابط والتعاطف بين المسلمين ••• فما أحرانا •• ونحن فى رحاب هـذه الذكرى الكريمة — أن نسـتوحى منها تلك الفضـائل •• ونستلهم ما فيهـا من المكـارم •• لننهج نهجهم •• ونسلك سـلوكهم •• فنصل الى ما وصلوا اليه من مجد وفخار •••

جابر حمزه فراج

المدير العـام للاعلام بالأزهر

القرن الخامس عشر وأخلاقيات العلم

للدكتور / عبد الفتاح عبد الله بركة

الحمد لله الذى أوجد من عدم ، وعلم بالقلم ، والصلاة والسلام على من تمت برسالته النعم ، وتمم الأخلاق بأعلى مراتب الكرم ، بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الاسلامى نبدأ بما بدأ الله به حيث يقول الله تبارك وتعالى .. **« اقرأ باسم ربك الذى خلق ،خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »** العلق ١ ــ ٥ وهذه الآيات الكريمة التى كانت أول ما نزل من القرآن تحمل فيما تحمل من معانى ذلك المعنى العميق الذى يختص بالعلم . ولسنا نريد أن نشير الى كل ما يمكننا استخراجه فى هذا المجال ، بل نريد ان نشير الى ما يهمنا فى هذا البحث من أن الاسلام كرسالة الهية ، ودين ربانى يؤكد منذ البداية أن العلم نعمة من النعم العظمى التى يمتن الله بها على عباده ، فينسبه الى نفسه جل شأنه فهو الذى علم بالقلم ، وهو الذى علم الانسان ما لم يعلم ، وهو بهذا يجعل العلم حكما وفيصلا ، وهاديا ومرشدا ، ودليلا وقائدا ، وصلة وثيقة بين الانسان وربه ، وهو كذلك يعطى

※ اعد هذا البحث لالقائه فى احتفال الباكستان بمطلع القرن الخامس عشر الهجرى .

للعلم اطاره ، ويحدد له مبدأه ، ويبين له غايته .

المقصود بكلمة « العلم » :

ولعله ينبغي أن نبين المقصود بهذه الكلمة قبل أن نسترسل في الـ......... حتى لا يختلط الأمر على قارئه ، لأن هذه اللفظة العربية تستعمل بمعنى عام يشمل المعنى الذى تعنيه الحضارة المادية الحديثة وتزيد عليه ، وكما يختلف مصطلح الدين بمعناه العربى عن اللفظة المقابلة له فى اللغات الغربية ، كذلك يختلف معنى كلمة العلم عما يقابلها من كلمات فى هذه اللغات ، فلقد درجت هذه اللغات على استعمال هاتين الكلمتين بطريقة تفصل بينهما ، وتحدد لكل ميدانه الذى يلزمه ولايتجاوزه أو يتعداه ، وقد يكون ذلك راجعا الى مفهوم الدين عندهم ، وعلى عوامل كثيرة ذات جذور تاريخية ساعدت على أن يضعوا العلم فى مقابل الدين ، وأن يسلبوا الدين بطريقة ضمنية غير مباشرة أساسه العلمى ، وأن يسلبوا العلم كذلك وجهه الدينى ، وهذا المفهوم عندهم لا ينطبق على الاسلام كدين ، ولا يترتب بناء على ذلك تلك الانفصالية التى رسمتها الحضارة الغربية الحديثة بين العلم والدين .

وهذا الاختلاف فى المفاهيم هو الذى يجعل من الضرورى أن نتحدث عن مقصودنا من كلمة العلم .

فالعلم كما هو فى الحضارة الغربية قد حصر نفسه فى دراسة العالم المحسوس الذى يخضع أو يمكن أن يخضع للتجارب والمشاهدة ، وتبع ذلك أنه أصبح لا يعتمد الا على الواقع الذى تدركه الحواس ، وأصبح بحيث ينبذ كل مالا يخضع للتجارب والملاحظة والمشاهدة وينظر الى العقائد الغيبية باعتبارها أوهاما والى مقتضيات العواطف البشرية المختلفة باعتبار أنها مضللة تحول بين صاحبها وبين الوصول الى أحكام موضوعية محايدة .

وبهذا خرج العلم من اطار

الدين وهيمنته وتوجيهه ، وكف يد الدين ــ أى دين ــ عن وضع مبادئه أو رسم حدوده أو تبيين أهدافه ووسائله ، وزعم أنه نال بذلك الحرية المطلقة التى لابد منها لازدهاره وتقدمه ، ثم زعم أنه سوف يتوصل الى معرفة الحقيقة بغير أن يقع تحت تأثير خارجى أو غيبى لا يخضع للحس والتجربة والمشاهدة .

وليس من مهمتنا فى هذا البحث أن نظهر أنه فشل فى ذلك كله ، فقد تكفلت بذلك بحوث علمية أخرى كثيرة .

وانما يهمنا أن العلم فى المحيط الاسلامى لم يتعرض لمثل هذا الانحراف فى الفهم والتحديد ، بل لعله تعرض للون آخر من التطرف فى ظروف تاريخية محدودة ، فأصبح ينظر اليه على أنه ما كان يتصل بالعلوم الدينية مباشرة من عقائد وتفسير وحديث وفقه وما يدور حولها من علوم ، لكن هذه النظرة الضيقة المتطرفة ، لم تسد فى المجتمع الاسلامى الا فى فترات الجمود والانكماش ، لمقتضيات وأسباب مختلفة .

ومع ذلك فالعلم فى الاسلام ليس هو ذلك العلم الذى يدرس مسائل الدين وحده ، وليس هو العلم المادى وحده ، بل هو أعم من كل منهما لذلك كانت وسائل تحصيله أعم من تلك الوسائل التى اعتمد عليها الآخرون من ملاحظة وتجربة واستنباط . يقول صاحب العقائد النسفية : ان أسباب العلم للخلق ثلاثة الحواس السليمة ،والخبر الصادق ، والعقل، ويبين شارحه معنى العلم، بأنه صفة يتجلى بها كل ما يمكن ذكره والتعبير عنه . ثم يقول : انه ينبغى أن يحمل التجلى على الانكشاف التام الذى لا يشمل الظن ، لأن العلم عندهم مقابل الظن (١) ، فنحن هنا أمام مجال فسيح للعلم ، وأمام وسائل تتناسب مع اتساع المجال الذى ينشط فيه العلم .

---

(١) سعد الدين التفتازاني : شرح العقائد النسفية ص ٩٩ ــ ١٠٨ .

ولهذا نجد أحد علماء المسلمين يقول (١) : العلم الذى أمر بـه القرآن الكريم هو جملة المعارف التى يدركها الانسان بالنظر فى ملكوت السموات والأرض ، وما خلق من شىء ويشمل الخلق هنا كل موجود فى هذا الكون ذى حياة أو غير ذى حياة • « **أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء** » الأعراف/ ١٨٥ ، ثم يقول : فالعلم الاسلام يتناول كل موجود ، وكل ما يوجد فمن الواجب أن يعلم ، فهو أعم من العلم الذى يراد لأداء الفرائض والشعائر •

ويقول الدكتور محمد يوسف موسى : ان مداول تعريف العلم كما هو فى المصطلح الغربى Sciehce هو بعض ما يطلق عليه لفظ العلم عند المؤلفين الاسلاميين، فقد جاء فى حاشية البنانى على السعد أن أسماء العلوم المدونة تطلق على ادراك القواعد عن دليل كما تطلق على معلوماتها ، وهى القواعد التى يقوم عليها الدليل ، وعلى الملكة الحاصلة من ادراك القواعد مرة بعد أخرى ، أعنى ملكة استحضارها متى اريد •

وحقق السيد الجرجانى أن العلم فى اطلاقه على الادراك يكون حقيقة لغوية ، وفى غير ذلك اما حقيقة عرفية ، أو اصطلاحية، أو مجاز مشهور (٢) •

ومن الواضح أن كلمة القواعد وكلمة الدليل هنا مطلقة أعم من تلك التى يعتمد عليها العلم فى المصطلح الغربى ، ولذلك يمكن القول بأن اطلاق العلم على المفهوم الغربى يعتبر حقيقة عرفية أو اصطلاحية على حد تعبير السيد الجرجانى (٣) •

---

(١) عباس العقاد : التفكير فريضة اسلامية ص ٨٥ ـ ٨٦ •

(٢) مباحث فى فلسفة الأخلاق ص ١٠ ، ومقصود السيد الجرجانى أن العلم يطلق على العلوم وعلى الملكة بطريقة عرفية أو اصطلاحية أو مجازية •

(٣) وذلك عند استعماله بهذا المفهوم فى اللغة العربية •

وللامام الغزالى فى هذا المجال سبح طويل يقول فى كتابه احياء علوم الدين تحت عنوان بيان العلم الذى هو فرض كفاية : اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر أقسام العلوم والعلوم — بالاضافة الى الغرض الذى نحن بصدده — تنقسم الى : شرعية ، وغير شرعية .

وأعنى بالشرعية : ما استفيد من الانبياء — صلوات الله عليهم وسلامه — ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ، ولا التجربة مثل الطب ، ولا السماع مثل اللغة.

ثم يتحدث عن فرض الكفاية من هذه العلوم فيقول : أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب ، اذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها ، وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد ، واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين .

فلا يتعجب من قولنا : ان الطب والحساب من فروض الكفايات ، فان أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات ، كالفلاحة ، والحياكة والسياسة (١) .

وقد بين قبل ذلك ماهو من فروض الأعيان مما يلزم كل فرد من واجبات العبادات وفى هذا النص يتبين بجلاء أن العلم بمعناه الغربى الحديث داخل فى دائرة العلوم بمعناها الاسلامى ، بل بمعناها الدينى فى الاسلام حيث تعتبر من الفروض التى يفرضها الاسلام على أتباعه ، وان كانت على سبيل الكفاية بحيث تسقط المسئولية عن المسلمين اذا تكفل بها من يكفى لسد حاجة المجتمع الاسلامى اليها ، مع أنها قد ينظر اليها باعتبار أنها أمور دنيوية ،

(١) الجزء الأول ص ١٥

وانها لذلك بعيدة عن نطاق الدين وتوجيهه ، ولكن هذه النظرة ليست اسلامية ، حيث ان الاسلام قد جاء لينظم شئون الدنيا باعتبارها مقدمة لما يكون فى الآخرة ، وباعتبار أن شخصية المسلم لا تنفصم بين ما هو أخروى وما هو دنيوى ، بل كل منهما يرتبط بالاخر على صورة تتكامل بها شخصية المسلم دون تضارب أو انفصام ، واذا أمكن أن تسمى بعض العلوم بالعلوم الدينية ، وأخرى بالعلوم الدنيوية ، فما ذلك الا باعتبار الصلة التى تربطها بالدين من كونها مباشرة أو غير مباشرة ، لا باعتبار أن بينهما انفصالا ، أو أن لكل منهما طريقه الخاص به الذى لا يسمح للآخر بالتدخل فيه أو الاتصال به ، ومن هنا يقول الغزالى : ولعمرى انه متعلق أيضا بالدين ، ولكن لا بنفسه ، بل بواسطة الدنيا ، فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا ، والملك والدين توأمان (١) •

واذا كانت العلوم التجريبية — فى محيط الاسلام — علوما دينية بهذا الاعتبار فانها كذلك علوم دينية باعتبار كونها عملا يتقرب به الى الله تعالى ، « فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب ، وليس كل عمل علما ، والطبيب يقدر على التقرب الى الله تعالى ، فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل الله سبحانه وتعالى به ، والسلطان يتوسط بين الخلق لله ، فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا ، لا من حيث انه متكفل بعلم الدين، بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب الى الله عز وجل »(٢)

مبدأ العلم وغايته •

والحقيقة ان هذه التقسيمات تقسيمات فرعية عقلية نشأت من تدقيق النظر وتعميق البحث ،

---

(١) احياء علوم الدين ١٦/١ •

(٢) المصدر نفسه ص ٢١ •

ولها اعتبارها الكبير فى موضعها ، ولكن النظرة المبدئية الى العلم فى الاسلام كانت تمزج بين ما هو دنيوى ، وما هو دينى ، بغير اشعار بالتمييز أو التفريق الا ما كان من اعتبار العلم – مطلقا – وسيلة الى معرفة الله والتقرب اليه ، فما كان على هذا الاساس كان علما اسلاميا بمعنى أن الاسلام يقره ويثيب عليه ، ويعتبره علما صحيحا مقبولا ، وما لم يكن على هذا الأساس لم يحظ بهذه المرتبة ، وان كان فى نفسه علما صحيحا مطابقا للحقيقة الواقعية ، ذلك لأنه لم تكتمل له مرحلته الأخيرة وهى هدايته الى الله أو استعماله فى سبيل الله .

فشمولية العلم فى الاسلام تتبدى فى مثل قوله تعالى **« وعلم آدم الأسماء كلها » البقرة/ ٣١** قوله تعالى **« كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون »** البقرة / ١٥١ وقوله تعالى **« فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون »** البقرة / ٢٣٩ وقوله تعالى **«والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »** النحل/٧٨ وقوله تعالى **« وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم »** البقرة /٢٤٧ وقوله تعالى **« ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا » الحج / ٥** **وقوله تعالى « فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم »** غافر /٨٣ ، فهذه الآيات تذكر العلم بمعنى أعم من العلم الذى يتصل بالدين مباشرة ، وهناك آيات كثيرة مثلها ، وأخرى يمكن لمن يريد أن يقصرها على العلوم الدينية مباشرة فلم نذكرها ، وان كنا نفضل أن ننظر اليها فى ضوء مثل هذه الآيات العامة الا ما يدل

السياق على تخصيصه ، وهناك من الآيات ما يشير الى أنواع معينة من العلم خاصة تلك العلوم العملية التجريبية مثل قوله تعالى « **هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون** » يونس / ٥ وقوله تعالى « **وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون** » الأنبياء / ٨٠ وقوله « **يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء** » النمل /١٦، وآيات أخرى غيرها •

والآيات التى تحض على العلم بمختلف فنونه وألوانه ، أو بقسميه الشرعى وغير الشرعى على حد تقسيم الامام الغزالى كثيرة مشهورة خاصة تلك التى تحض على الرؤية وعلى النظر ، ولانطيل البحث بذكرها (١) •

لكننا عند مراجعتنا لمثل هذه النصوص القرآنية وما شابهها من الأحاديث النبوية نستطيع أن نتبين أن العلم الذى يتحدث عنه الاسلام يصدر عن مبدأ أساسى هو الدين أو هو التوحيد ، أو هو الله جل وعلا ، وأن بناءه على هذا الاساس هو الذى يضمن له استقامته ، وسلامة قواعده ومبادئه ، وأنه اذا ابتعد عن هذا الأساس انحرف فى اتجاهه وأسلم الى قواعد قد تكون صحيحة فى ظاهرها ، لكن هذا الخلل المبدئى فى أساسها يجعل باطن هذه القواعد غير مستقيم ، فهذه النصوص حينما تشير الى آيات الله فى الخلق بكل صوره وأشكاله وأنواعه تشير اليها فى محيط كونها

---

(١) ويمكن مراجعة هذه الآيات كمثل لها : ١٨٥/٧ ، ٤٤/١٣ ، ٧٩/١٦ ، ٦٣/٢٢ ، ٤٣/٢٤ ، ٤٥/٢٥ ، ٨٦/٢٧ ، ٧١/٢٨ — ٧٢ ، ١٩/٢٩ — ٢٠ ، ٢٩/٣١ و ٣١ ، ٢٧/٣٢ ، ٢٧/٣٥ — ٢٨ ٧١/٣٦ ، ٦/٥٠ ، ٢٤/٨٠ ، ٥/٨٦ •

من خلق الله وحده لا شريك له ، والى كونها على أحسن صنع وأتم خلق ، والى كونها على أحكم تقدير وأدق تدبير « **وكل شيء عنده بمقدار** » الرعد /٨ « **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ، وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ، وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم** » الحجر / ١٩ — ٢١ « **وخلق كل شيء فقدره تقديرا** » **الفرقان** /٢ « **يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، الذى أحسن كل شيء خلقه** » السجدة / ٥ — ٧ « **الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى** » الأعلى ٣ — ٤ « **وصوركم فأحسن صوركم** » غافر / ٦٤ « **لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم** » التين/ ٤ « **ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** » المؤمنون / ١٤ « **ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت** » الملك / ٣ « **أن ربك هو الخلاق العليم** » الحجر /٨٦ وغير ذلك من آيات كثيرة مختلفة الصيغ والأساليب .

كما تدلنا هذه الآيات وأمثالها الى أن وسائل تحصيل العلم بهذه المعلومات أو بهذه العلوم انما هى هبة ومنة من الله وحده ، فالسمع والبصر والفؤاد والعقل والقلب وغيرها من آلات العلم والادراك والمعرفة كلها هبة ومنة من الله وحده .

وأن العلم الحاصل بها انما يرجع الى الله وحده فهو الذى « **علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم** » العلق / ٤ ، ٥ وهو الذى « **خلق الانسان ، علمه البيان** » الرحمن / ٣ — ٤ وهو « **الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** » طه/٥٠ .

فبداية كل علم وأساسه ينبغى أن يكون من هذه النقطة ، يستوى فى ذلك أن يكون هذا العلم علما شرعيا أو علما غير شرعى ، ولسوف نجد أن كثيرا من العلوم

الحديثة (١) قد فرط فى هذا الاساس ، وأنه لذلك يتعثر فى كثير من مسائله وفروعه .

وكما دلتنا مراجعتنا لمثل هذه النصوص على المبدأ الذى ينبغى أن يكون للعلم فى نظر الاسلام ، فان مثل هذه المراجعة سوف تدلنا على الغاية التى ينبغى للعلم أن يقصد اليها ولقد اشارت آيات خلق آدم عليه السلام الى ذلك حين قال تعالى **« وإذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها »** البقرة / ٣٠ ــ ٣١ فالعلم لتحقيق الخلافة فى الأرض ، ومعنى ذلك أن تدبيرها واستعمارها والعمل فيها لله الذى استخلف الانسان فيها ، وان هذا التدبير والاستعمار والعمل مبنى على هذا العلم الآلهى ، الذى يستمده الانسان من الله ، وذلك كما عرفنا مرتبط بمبدئه ومادته ووسيلته ، وبهذا يصبح العلم مبدءا وغاية ، ومادة وأداه لله رب العالمين ، ولسوف نجد أن كثيرا من العلوم الحديثة قد غملت عن هذه الغاية واستعملت العلم لتحقيق غايات أخرى مقطوعة الصلة بهذه الغاية العليا ، وأنها لذلك تؤدى الى غايات محبطة وتثمر فى النهاية ثمرا مراء

وينبغى ان نلاحظ أننا حين ذكرنا المبدأ والغاية قد تخطينا مبادىء وغايات تعطى ، اختصارا للبحث وعلما أن هذه الوسائط من المبادىء والغايات سوف تنتهى فى آخر المطاف الى هذا المبدأ الأعلى ، وهذه الغاية العليا .

انسانية العلم فى تحقيق الهيته :

وهذه النسبة الآلهية التى للعلم، مبدأ وغاية ، ومادة ووسيلة ، لا تسلب من العلم انسانيته ، وانما

---

(١) وذلك مثل علم النفس الحديث ، وعلم الاجتماع الحديث .

تحققها فى أعلى مستوياتها ، وأنقى صورها .

ذلك لأنه اذا لم يستقر فى أساسه على هذا المبدأ الآلهى ، فانه لا يمكن أن يستقر على مبدأ موحد أبدا ، بل لابد أن تختلف عليه المبادىء ، تبعا لاختلاف العلماء فى عقائدهم وميولهم ، وتبعا لاختلاف الثقافات والبيئات ، بل ــ أكثر من ذلك ــ تبعا للمذاهب السياسية المتقلبة ، والتى يتحكم فيها ــ غالبا ــ هوى الحكام ، سواء كانوا فى صورة فردية أو فى صورة جماعية حسب نظم الحكم المختلفة ، بل ربما تتحكم فيها عواطف العالم والباحث نفسه فتلون بحثه وعلمه بلون خاص وصبغة خاصة بحسب ما يحب أو يكره ، وبحسب ما يستحسن أو يستقبح ، الى غير ذلك من ألوان التميز ؛ ولعل الأمثلة فى ذلك من الوضوح بحيث تثير كثيرا من العجب ؛ فعلم النفس مثلا حين يدرس فى العالم الشرقى يدرس على أساس المبادئ الماركسية ، ولكنه فى العالم الغربى يدرس على أساس مختلف ، وكذلك علم الاجتماع يدرس على أساس المبادىء الماركسية فى العالم الشيوعى ، ، ويدرس على أساس آخر فى العالم الغربى ، وهما كذلك يدرسان فى هذين المعسكرين على أساس مبادىء تختلف عن تلك المبادىء التى يعرفها العالم الاسلامى ، والذى يستمدها لا من فكر فلان ، ولا من هوى فلان ، ثم ان العالم النامى الذى لم يستقل بعد بعلومه سوف يكون له دوره فى توجيه مثل هذه العلوم حين يتخلى عن تبعيته العلمية لهذا المعسكر أو ذاك وفقا لاتجاهاته ومبادئه التى يستقر عليها ، بل اننا نشاهد فى هذين العلمين من التقلبات والتغيرات ما يتبع مزاج العلماء فى كثير من الأحيان ، وان كان ذلك لا يجردهما كلية مما فيهما من حقائق علمية ثابتة .

ولسوف نجد كثيرا من النظريات التى نسبت الى العلم ، وهى فى

الحقيقة نظريات عرفية وعنصرية ، تستخدم العلم لفرض نتائجها ، وتحقيق آثارها وفقا لمبادىء سياسية أو مطامع اقليمية •

ولا يصح أن يقال ان العلوم المادية التى تخضع للتجربة والملاحظة وتكرار المشاهدة بعينها كلما تكررت التجربة ، لا يقع فيها مثل هذا الخلط وهذا الالتباس ، بل قد يقع فيها مثل ذلك ، وكم ظهرت أمور تبين منها كيف زيف بعض العلماء بعض الاحصاءات وما يترتب عليها من نتائج توصلا الى ترسيخ فكرة معينة أو مبدأ معين حتى ظهر زيفها أو ظهر — على الأقل — عدم اعتمادها على أساس صحيح وذلك مثل النظرية الداروينية (١) والنظرية الفرويدية (٢) ، وكالنظريات التى يريدون اشاعتها اليوم بين المسلمين خاصة والبلاد النامية عن تكاثر السكان ووقوع كارثة انسانية بناء على قصور الموارد (٣) •

واختلاف المبادىء الذى يؤثر فى اختلاف العلوم واضطرابها لايساعد على أن تصبح هذه العلوم عاملا على جمع الانسانية وتأليفها ، والارتفاع بمستواها الى أفق الكرامة التى هيأها لها الخالق جل وعلا ، ومن هنا كانت الهية المبادىء التى تنبنى العلوم على أساسها عاملا مهما فى أن تكون هذه العلوم علوما انسانية بمعنى أن تكون عامل ألفة ومودة وسلام بين بنى البشر •

وكما يقال ذلك بالنسبة للمبادىء يقال مثله وأكثر منه بالنسبة للغايات خاصة تلك الغايات العليا ، التى تتجاوز تلك الغايات الوسيطة ، فالاختلاف فى الغايات الوسطى لا ضير فيه ولا ضرر منه ، مادام محكوما فى النهاية بغاية

---

(١) الخاصة بالتطور والانتخاب الطبيعى •
(٢) الخاصة باستئثار الغريزة الجنسية بمعظم التأثير فى اللا شعور •
(٣) وأصحاب الدعوة الى هذه النظرية لا يطبقونها على أنفسهم ، كأن المبادىء العلمية العامة تختلف باختلاف الأديان واختلاف الأجناس •

عليا ، وإذا كانت الغاية العليا — التى تحكم هذه الغايات الفرعية — غاية الهية كما حدها الله ورسمها لنا فان كل الغايات الوسطى سوف تتعاون وتتكامل ليصبح المجتمع الانسانى موحد الهدف موحد المشاعر ، مترابط الأفكار والعواطف مع تنوع نواحى النشاط ، وتشعب سبل العمل ، وازدهار عوامل التقدم والرقى ، دون أن يجد هذا التنوع فى النشاط وميادين العمل ، ووسائل الازدهار تعارضا أو تناقضا ، ودون أن يبذر بذور الشقاق والخلاف والعداوة ، ودون أن يثير عوامل الأنانية والأثرة ، والتعالى والاستكبار ، ذلك لأن الغاية الأخيرة ، أو الغاية العليا تقوم بالتنسيق والتاليف بين مختلف الغايات الفرعية ، أو الغايات المحلية والاقليمية والعرقية

أما اذا اختلفت تلك الغاية العليا ، أو اختفت وراء زحام الغايات المحدودة ، فمن المتوقع أن تصبح الغايات مختلفة باختلاف القبائل والشعوب والأمم ، وأن تختلف تلك الغايات فى الشعب الواحد بين أفراده ، وأن يعقد هذا الاختلاف فى الغايات اختلافا فى وسائل تحقيقها وتحصيلها والوصول اليها وأن يقع فى المجتمع الانسانى من التعارض والخلاف بقدر ما بين هذه الغايات المحدودة من التعارض والخلاف ، وأن تتدخل عوامل الأنانية والأثرة الفردية والعرقية لتثير نيران العداوة والبغضاء ، خاصة اذا تدخلت الأهواء الشخصية والنعرات السياسية لتحدد أهدافا وغايات لا تراعى فيها غير نطاق محدود ، واطار ضيق يمليه ضيق أفق الانسان من حيث هو انسان ، وقصر نظره الذى تمليه عليه حدود الزمان وحدود المكان ، وحدود بالذاتية القاصرة التى تتعالى وتستكبر فى الأرض بغير الحق .

ولو قلبنا النظر فى معظم ما ينتجه العلم اليوم لوجدنا حظ الفكر والروح فيه قليلا ، ولوجدنا للناحية المادية فيه حظا جزيلا .

فاذا أردنا أن نلقى نظرة على

تلك العلوم التى تهتم بالجانب الفكرى والروحى وجدنا أنها متأثرة كل التأثر بتلك الغايات المحدودة المختلفة ، ولا شك أن القارىء يوافقنى على أن الاسلام كدين له جوانبه الفكرية والروحية العميقة قد عانى ومازال يعانى من تلك البحوث الغربية التى خطط لها فى ضوء أفكار وغايات استعمارية وصليبية وصهونية والحادية عاتية ، وأن صورته لازالت تعانى من التشويه والتزييف حتى بين أبنائه وشعوبه الذين ورثوا الاسلام كابرا عن كابر .

واذا انتقلنا الى العلوم المادية وهى فيما يظن بعيدة عن التأثير بمثل هذا الاختلاف فى الغايات وجدنا أنها لا تخلو من مثل هذا التأثير اما بطريقة مباشرة واما بطريقة غير مباشرة ، بطريقة مباشرة كما اذا أريد تصدير معلومات زائفة الى الآخرين بغية الاحتفاظ والاستئثار بعناصر التفوق والغلبة المادية ويشمل ذلك كثيرا من فروع العلم حتى فى مجالات الصحة البدنية والنفسية، لا فى مجال استخدامات الاسلحة الحربية ، وبطريقة غير مباشرة كما يحدث بعد البحوث التجريبية نفسها فى أثناء عمليات التحليل أو التركيب ، وخاصة فى الناحية التطبيقية ، ومحاولة فرض نتائج قد تصلح لغرض محدود على شعوب وأمم ليس لهم فى هذا الفرض مصلحة ، وانما يقعون فيه فريسة لتحقيق أغراض شعوب أخرى ، اقتصادية أو عسكرية أو سياسية .

وليس أقل من أن العلم يتقدم فى هذه المسائل العرضية المادية ويهمل اهمالا يكاد يكون كاملا جوهر الانسانية فى الانسان ، ولذلك ينهمك فى كثير من التفريعات والتقسيمات التى توغل بالعلم فى المادية الخالصة وتجعله يغفل عن الهيكل الكلى الذى يجمع فى اطاره كل هذه التفريعات والتقسيمات ليعطى الشخصية والملامح الانسانية السامية .

ولقد انحرفت العلوم المادية بناء على هبوط مستوى الغايات التى تهدف اليها لكى تصبح وسيلة من وسائل الدمار ، فى الوقت الذى نعمل فيه لكى تكون وسيلة من وسائل البناء والاعمار ، وأصبحت هذه مشكلة المشاكل فى الحضارة الغربية الراهنة التى تعمل من أجل رفاهية الانسانية وتقدمها ، وهى بهذا العمل عينه تتبنى عوامل هدمه وتحطيمه وابادته ، نظرا لتلك الغايات الأنانية ، واستعمال العلم المادى لتحطيم معنويات الآخرين سلاح يمكن أن يرتد ، لأن شقاء الانسانية فى جانب من العالم لا يمكن أن يظل بمعزل عن التأثير حتى فيمن كان يعمل عليه ويجتهد فيه .

ولسنا نريد أن نتعرض الى مدى الثقة التى يستحقها العلم المادى التجريبى ، فانه يكفينا منه أنه يعترف بأنه علم تقريرى وصفى ، يعتمد على الظواهر دون حقائق الأمور وكنهها ، وأنه لذلك نسبى غير مطلق ولا أبدى ، وأن علينا أن نستفيد منه على ما هو عليه ، لأن هذا هو ما يدخل فى وسعنا وطاقتنا ، لكنه اذا أضيف الى ذلك وضعه فى خدمة هذه الأغراض والغايات المحدودة كانت نتائجه من حيث حقائقه التى يتوصل اليها أو تطبيقاته التى يستخدم فيها مفيدة لأصحابها فى تحقيق أغراضهم وغاياتهم ، ولكنها ضارة بالانسانية فى مجموعها ، محطمة لحضارة الانسان ومدنيته فى حصيلة هذا النشاط العلمى الواسع .

ويخرج الانسانية من مأزق هذا التناقض بين بناء الحضارة بالعلم ، وهدمها بالعلم ، أن تتناسق كل هذه الغايات فى اطار الغاية العليا ، وهذه الغاية العليا هى ما حدده الله للانسان على هذه الأرض ، بهذا وحده يمكن أن تتحقق للعلم انسانيته ، والا توزعتهم الغايات المختلفة ، والأهداف المتضاربة .

البقية فى العدد القادم .

دكتور عبد الفتاح عبد الله بركة
الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الاسلامية

الهجـرة والجهـاد

للدكتور / محمد محمد أبو موسى

ان التاريخ العظيم قادر على أن يخلق أمة عظيمة ، وتاريخ المسلمين وكفاحهم فى سبيل الله حافل بالمثل العالية والأنماط النادرة ، وليس من الخطأ ولا المجاوزة أن نقول ان هذه الأمة أبدعت وورثت فى هذا الباب ما لم تورثه غيرها،وأن قوله تعالى «كنتم **خير أمة أخرجت للناس**» يدل دلالة واضحة على أن عطاء تاريخها الذى هو محصلة حركتها الموصوفة بالخير هو أجل عطاء وأطهره ، وأن تراثها الذى هو أيضا محصلة كفاحها العقلى والروحى المتجه اليه وصف الخير هو خير تراث وأهداه وأفعله ، وهذا يعنى أن مسيرتها العامرة لا تزال منطوية على مزيد من الأحداث والعبر التى تنير لها طريقا هاديا ، وأن المسلمين فى واقعهم لم ينتفعوا بهذا التاريخ الانتفاع الأمثل، وأنهم لوانصرفوا اليه وتبصروه واكتنهوا أحداثه • وتعمقوا أسراره وعبره لكان لهم خيرا أى خير ، ومما لا ريب فيه أن شخصية الفرد والأمة تستمد أدق خصائصها وأفعالها من تاريخها الذى تنتمى اليه انتماء الولد الى أبيه ، وأن طاقاتها التى تواجه بها الحاضر بكل سعته وتزاحم أحداثه واحنه وتداخلها وتعقدها لا تستمد أقوى عناصرها الا من هذا التاريخ الذى يوحى الى النفوس ايحاء لا يقدر عليه سواه • ومن هنا كان بعث الماضى فى وجدان الحاضر ضرورة حضارية لكل أمة تخط

لنفسها فى وجودها مسلكا تتميز به .

وارتقاء الأمم وانحطاطها مرتبط ارتباطا وثيقا بدرجة وعيها بالتاريخ ؛ والذين يجهلون التاريخ لا يصلحون لقيادة الجماعات ، والكتاب وأهل الرأى اذا ضعفت حاستهم التاريخية كانوا مضلة ومهلكة .

وهذه الحملة العمياء الجائرة على تاريخ الأمة ، سواء فى العلم والحضارة والسياسة والأدب من أهم المعوقات التى عاقت حركة الأمة فى زمن نهضتها الحديثة الذى تطاول وعقم اذا قيس بنهضات أمم هى أقصر عمرا وأكثر عطاء من النهضة العربية .

واشاعة القدوة الصالحة من التاريخ أيسر سبيل وأفعله فى تحريك الوجدان وبعث الهمم واعادة تشكيل النفوس على سنة حسنة وطريق مستقيم .

وخطر هذا التاريخ العظيم هو سبب تلك الحملة العمياء التى اجتهدت ولا تزال تجتهد فى أن تغير وجهه فى نفوس ناشئة الأمة ، لأنه لا ريب فى أنها لا تفض خدمتها ولا تكسر حصاتها مادامت واعية به يقظة فى استلهامه .

ويعرف أهل الرأى أن هذه الحملة العمياء الظالمة على تاريخ الأمة انما أطلت أول ما أطلت من صدور أعدائها الملتهبة عليها ضغينة وحقدا ثم ما لبثت أن تلبست بعقول أخر .

ولا أحسب شيئا يفعل فى نفس المسلم بعد كلام الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم كهذه الكتب المشرقية الوهاجة التى تحدثنا عن الصدر الأول ووقائعه وفعاله ، مثل طبقات ابن سعد والاصابة والاستيعاب وما هو من هذه بسبيل ، ولا خير فى أن تعزل هذه الكتب عن موارد ناشئة الأمة ، وهى كما خطها أصحابها دانية العطاء وسهلة المأخذ وليس من الخير تجريدها ولا تلخيصها ، وانما من الخير أن يردوا مسالكها ، وأن يتعرفوا على طرائقها بأسانيدها صحيحها وضعيفها ،

وبأساليبها الجليلة العتيقة لأن في ذلك أنفاسا صالحة .

وأول ما تحدثنا به هذه الكتب في شأن الهجرة المباركة ارتباطها الوثيق بفريضة الجهاد الذى هو أفضل عمل يعمله المسلم بعد الايمان بالله ، هكذا كانت الهجرة في سياقها التاريخي وارتباطها بالأحداث ، فقد عقدت بعدها الألوية ، وسيرت السرايا ، وكانت بمثابة الاعداد النفسى لتحمل تكاليف فريضة الجهاد ، وهى أشق وأهول فريضة ، ولا ينهض بها خالصة لوجه الله الا من غلبه يقينه في ربه ، وصار أكبر ما في قلبه ونفسه هو الله ، وقد نهضت نفوس المسلمين الى الله خفيفة تواقة ، وطرحت كل ما يبطئها عن غاياتها مما يماذج النفوس ويخالطها كالصاحبة والدار والولد .

والطريق الى يثرب يروى من هذا قصصا لا ينتهى منها العجب .

فهذا أبو سلمة أول من وطأت قدماه هذا الطريق مهاجرا يمضى وفي صحبته زوجه وولده ، فيعرض له بنو المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومى رهط أم سلمة .

وينزعون منه صاحبته وولده بعد ما غلبهم على نفسه وكانت همته في الله أثبت من أن يخذ لها أمر الصاحبة والولد فخف رضى الله عنه الى غايته ، وترك سلمة وأمه ليواجها عنتا آخر من رهطه بنى عبد الأسد بن هلال المخزومى فينزع سلمة من أمه ليذهب به رهط ابيه كفاء لما فعله رهط أمه .

وتبقى أم سلمة بمنأى عن سلمة وأبيه ، ولم ينزعه منها بنو عبد الأسد نزعا رفيقا وانما ظل الفريقان بنو المغيرة وبنو عبد الأسد يتجاذبان سلمة حتى خلعت يده كما روت أمه رضى الله عنها ، وبقيت سنة لا يرقأ لها دمع فلما رق لها بنو المغيرة وخرجت مهاجرة وأرجع لها بنو عبد الأسد ولدها وضعته في حجرها وهوت بها راحلتها الى يثرب في طريق غير سابل ولا مأمون ولكنها رضى الله عنها سلكته واجفة راجية تستشعر معية الله سبحانه حتى

قبض الله لها عثمان بن طلحة أخا بنى عبد الدار ويعرف شأنها فيقول لها والله مالك من مترك ، ويصحبها أحسن الصحبة وأكرمها حتى تلقى زوجها . وتذكر أم سلمة هذا بعد ما واجه المسلمون من الأمر ما واجهوا وتشعر أن مالقيت ولقى زوجها فوق ما لقى هؤلاء جميعا فتقول رضى الله عنها والله ما اعلم أهل بيت فى الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة . وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة .

ولاريب أن أما كأم سلمة بعد هذا التمحيص أهل لأن تعد أبناء مجاهدين وأن رجلا كأبى سلمة وقد غلبه أمر ربه على كل أمر صار مهيأ لأن يطرح نفسه فى مرضاة ربه لا يلوى على شىء .

وهناك كما أشرنا صور كثيرة شهدها الطريق الى يثرب ولكننا نقف هنا لنؤكد ما نريد تأكيده وهو أن الهجرة ارتبطت بالجهاد ارتباطا وثيقا وأنها جاءت بعد العقبة الثانية وكانت بيعة حرب وجهاد ، قال ابن اسحاق « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يؤذن له فى الحرب ولم تحلل له الدماء ... فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم فى الحرب وبايعه هذا الحى من الأنصار على الاسلام والنصرة له ولمن تبعه وأوى اليهم من المسلمين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى المدينة والهجرة اليها » (١) سيرة ابن هشام ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

وليس من السداد أن نعلل حادث الهجرة وهو أخطر الأحداث فى تاريخ الدعوة بالفرار من وجه ايذاء قريش ، وان كان هذا الايذاء أمرا لا سبيل الى اغفاله وانما العلة الأم هى أن تبدأ مرحلة الجهاد والمجالدة .

والمهاجرون الأولون كان كثير منهم يعيش فى مكة فى منعة من

(١) سيرة بن هشام ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

قومه ، وأهل الدور الذين أوعبوا أى خرجوا جميعا مهاجرين وبقيت دورهم تضربها الرياح يبابا كانوا من قبائل ذات عدد ومنعة ، فبنو جحش بن رئاب الأسـدى هـم الذين كافحوا ملوك كندة ، وقتلوا حجرا أبا امرىء القيس ، وبنـو مظعـون يـن حبيب بن وهب انجمحى وهم أهل حرب وشوكة .

ولم يقل أحد أن عمر هاجر فرارا من أذى قومه . ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسـلم لما لقى الأنصار فى الشعب عند العقبـة كان معه عمه العباس وكان لايزال على دين قومه « الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيـه ويتوثق له .

قال كعب بن مالك فيمـا روى ابن اسـحاق . فلمـا جلس كان أول متكلم العباس بن عبـد المطلب ، فقـال يا معشر الخـزرج قـال : « وكانت انعرب انما يسمون هذا الحى مـن الأنصـار الخزرج خزرجها وأوسها » ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعنـاه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيـه فهو فى عز من قـومه ومنعـة فى يلده ، وأنه قد أبى الا الانحيـاز اليكم ، واللحوق بكم فان كنتـم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ، وما نعوه ممن خالفه فأنتم ومـا تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعـوه فانه فى عزة ومنعـة مـن قـومه وبلده » .

وهذا صريح فى أن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم لم تنب به فى مـكة مضـاجعه وأنـه كان فى منعة تحميه ممن يبغيه ، وأنه عليه السلام لم يهاجر اتقاء ولم يخرج هروبا ولا ضعفا ، وانما هو أمر الله الذى قضى أن تكون الهجـرة بداية مرحلة جهاد ومواجهة حتى يدخل بأمته السـاحة العظيمـة الجليلة ساحة الدم والشهادة فانه ما تركها قوم الا ذلوا .

وبيعة العقبة الثانية التى كانت الهجرة ثمرة من ثمارها كانت بيعة حرب كما قلنا ، وانما وصفت بذلك لتتميز عن بيعة العقبة الأولى التى

سميت بيعة النساء — روى ابن اسحاق بسنده عن عبادة بن الصامت قال كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثنى عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن تفرض الحرب (١) » •

وقد قال البراء بن معرور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى البيعة الثانية وكان البراء سيد قومه • والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا — أى نساءنا — فبايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر •

ولما قال أبو الهيثم بن التيهان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبين الرجال حبالا وانا قاطعوها — يعنى اليهود — فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ قال كعب بن مالك الشاعر والذى روى عنه ابن اسحاق بسنده فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » •

وكلام أبى الهيثم واضح فى ادراك خطر هذه البيعة ، وأنها لا تستهدف قريشا وانما تتجه الى كل من خاصم الدعوة والداعى «صلوات الله عليه» وعاق حركتها، واجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهبت بما تختلج به الصدور بهذا الاسلوب الحاسم وتلك النغمة القوية •

والهدم يروى بسكون الدال وفتحها ، قال صاحب اللسان « فالهدم بالتحريك « القبر » يعنى « أقبر حيث تقبرون ، وقيل هو المنزل» أى منزلكم منزلى، كحديثه الآخر المحيا محياكم والممات مماتكم أى لا أفارقكم ، والهدم بالسكون وبالفتح أيضا هو اهدار دم القتيل يقال: دماؤهم بينهم هدم أى مهدرة والمعنى ان طلب دمكم فقد طلب دمى وان اهدر دمكم فقد

(١) سيرة ابن هشام ص ٤٣٣

أهدر دمى لاستحكام الألفة بيننا ، وهو قول معروف ، والعرب تقول دمى دمك وهدمى هدمك وذلك عند المعاهدة والنصرة » جـ ٦ ص ٨٥ .

هذا واضح فى أن البيعة التى هى أصل الهجرة كانت بيعة خالصة للجهاد والنصرة ، وأن أهل يثرب كانوا متبصرين مشاقها ، وأنهم يتعرضون بها لحرب الأحمر والاسود ، وأن الله سبحانه حين نوه بهذه البيعة انما كان يعلى فريضة الجهاد فى الأمة ويذكر رجالها والقائمين عليها واقبال الله سبحانه وتعالى على الأمة وذكره والتنويه به فى كتابه العزيز يعنى شيئا كبيرا جدا .

ثم ان الهجرة وهى ثمرة بيعة الجهاد كما قلنا ذكرت فى القرآن مقترنة بالجهاد فى أكثر مواضع ذكرها فى الكتاب العزيز ، ثم ان الهجرة والجهاد كثيرا ما يذكران مقترنين بالايمان بالله . وفى هذا دلالة واضحة على أن الجهاد فى سبيل الله ضرورة لازمة لبقاء هذه الشريعة وأن اعداءها من اليهود والدين اشركوا والنصارى وغيرهم لا يرضون عن أهلها الا اذا اتبعوا ملتهم أو شايعوا ثقافتهم وحضارتهم وعاشوا تحت مظلتهم، والمهم أنه فى غيبة الجهاد لابد أن يكون هناك ضرب من التبعية وليسم صداقة أو تعاونا أو ما شئت .

قلت ان الهجرة والجهاد والايمان تقترن ثلاثتها فى الكتاب العزيز ، تجد فى القرآن هذا الاسلوب « **أن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله** » سورة البقرة آية ٢١٨ وقد يتغير قليلا تبعا لسياقات المعانى والسور فيأتى هكذا « **أن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله** » سورة الأنفال آية ٧٢ فتعطف الهجرة والجهاد على الايمان من غير أن يتكرر الموصول ويقيد الجهاد بالنفس والمال أو يأتى هكذا « **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله** » (الأنفال آية ٧٤) فيبقى الجهاد مطلقا ويرسل الكلام من غير توكيده هذه ألوان

من المعانى تتشـابه وتتغـاير وبحث تعلقاتها بسياقات معانيهـا من البحوث النفسية من كتاب الله ويسميها العلماء علم المشتبهات وهو غير المتشابهات ، والمقصـود الان هو بيان هذه اللحمة الوثيقة بين الهجرة والجهاد والايمـان وأنه مهمـا حـدث من تغيـير فى الصياغة ذلك التعبير الذى يضيف معانى وأحوالا فالأصل باق وهـو أقتران الهجرة بالجهاد وبالايمان •

ثم ان هذه المنزلة السامقة التى ذكرها القرآن للمهاجرين والأنصار ليست فقط لأن الأولين أخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيل اللـه ولا لأن الآخـرين أكرموا وفـادتهم عليهم لأن هـذا لا يبلـغ مرتبـة الجهاد فمنزلة المهـاجرين لأنهم هاجروا وجاهدوا ومنزلة الأنصار لأنهم آووا ونصروا ، وتقـديم الهجرة على الجهاد فى سـياقات القرآن كتقديم الايواء على النصرة من حيث ملاحظة ترتيب وقـوع الأحداث يعنى هو تقديم أسـبقية وليس تقديم أفضلية •

وكان سيدنا عمر بن الخطـاب «رضى الله عنه» صاحب لقانه ونفاذ لم يتهيأ لغيره الا أن يكون نبيا ، وحين جعل الهجرة بداية تـاريخ المسلمين انما قصد الى مـا يرتبط بها من الجهاد فى سبيل الله حتى تكون ذكرى الهجرة فى كل سـنة مناسـبة كريمة لذكر فريضـة الجهـاد وما تتطلبـه من تهيئـة النفوس للعطاء الذى لا حد له فى سبيل تحقيق كلمة الله على حد ما فعل المهاجرون الأولون رضـوان الله عليهم •

وتعطيل فريضة الجهـاد أو اهمالها أو شغل الناس عنها يعنى أمرا خطيرا جدا هو اعداد الأمـة لتنقض عليهـا الأمم كمـا تنقض الأكلة عـلى قصـعتها ، ثم هـو معارضة صريحة لكلمـة اللـه ــ **« يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال »** الأنفال آية ٦٤ •

نعم ان الاسلام سـلام وحب لمن ود الأمة وحفظ عهـدها ، ثم هو أيضا بغض وكره لكل من غدر وخاس وانطوى على مضغونه •

وصرف الأمة عن الجهاد والسكوت عن تحريضها عليه خطأ لا يقع فيه عاقل ينتمى الى هذه الأمة ، ويزداد حجم الخطأ والخطر اذا افرغنا نفوس ناشئة المسلمين مما يلزم لمواجهة أعدائهم الذين يكادون يسطون بهم ، والذين بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، والذين يعضون على أناملهم من الغيظ ، أقول اذا فرغنا نفوس الناشئة مما يجب أن يترسخ فيها لمواجهة هذه الضغائن السود والتى حدثنا عنها ربنا وليس أصدق منه قيلا ، يكون ذلك منا خيانة ليس لدين الله ولا للتاريخ وانما أيضا لأبنائنا وبناتنا الذين سيرثون أرضنا من بعدنا .

والله سبحانه هو الهادى الى الحق والى طريق مستقيم وصل يارب على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

د . محمد محمد أبو موسى

« الفضيلة »

الفضيلة هى الحد الفاصل بين طرفى التفريط والافراط .

وبعد تجاوز هذا الحد الى أحد ذينك الطرفين نقصا فى كمال الانسان .

المسلمون والقوة الرادعة في القرن الخامس عشر

للواء / محمد جمال الدين محفوظ

عبرة التاريخ

عن أنس رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر ، على فرس لأبى طلحة عرى (بدون سرج) والسيف فى عنقه وهو يقول : (لن تراعوا ٠٠ (رواه الشيخان) ٠٠ الى هذا الحد كانت يقظة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ودرجة استعداده العالية لمواجهة الخطر الذى يهدد أمته ، وهذا درس ينبغى أن تعيه الأمة الاسلامية وتتدبر مغزاه وهى تخطو نحو القرن الخامس عشر الهجرى ٠

ان الاسلام يعلمنا أنه ليس هناك أخطر على الأمة وعلى أمنها وسلامتها من الغفلة عن الخطر المحدق بها ، ويحثنا على اتخاذ الحيطة والحذر ، وعلى أن نكون على أقصى درجات التأهب والاستعداد لمواجهة العدوان وقمعه ، قال تعالى : **« يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم »** (النساء ٧١) ــ **« وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا »** (المائدة ٩٢)

وهل هناك أدل على ذلك من أن الاسلام يأمر المسلمين باتخاذ الحذر والحيطة والاستعداد حتى فى الصلاة التى يؤدونها لله ويكونون فيها بين يديه سبحانه :

« واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » (النساء ١٠٢) •

فالاسلام لا يرضى بالتواكل أبدا أو ترك الحذر ، ويفتح عيون المسلمين على الخطر المحدق بهم من أعدائهم المتربصين الذين ينتظرون لحظة الغفلة منهم ، ويجسد عواقب هذه الغفلة والأضرار البالغة التى يتعرض لها المسلمون من جرائها : **« فيميلون عليكم ميلة واحدة »** •

ان تاريخ هذه الأمة يشهد بأنه حين كان أبناؤها مجاهدين مرابطين عاملين بتعاليم دينهم باعداد القوة التى ترهب الاعداء ، سادوا وقادوا •• وبأنه حينما تخلى المسلمون عن الجهاد والرباط والتفتوا الى الدنيا وزينتها ، وانشغلوا بالخلافات الداخلية ، وغفلوا عن الخطر المحدق بهم ، ضعفوا وضاعوا ، ومال عليهم أعداؤهم ميلة واحدة وتسلط عليهم من لا يخافهم ولا يرحمهم فسقطوا من المكان الذى كانوا فيه فى العلياء بين الأمم ••

فاعتبروا يا أولى الأبصار •

فلابد للأمة الاسلامية اليوم أن تدرك حجم الخطر الذى يتهددها فى حاضرها ومستقبلها ، فأوقات الخطر هى دائما فرصة الأمم الحية لابراز كل ما لديها من الملكات الانسانية والذخائر المادية والحضارية لكى تستطيع مواجهة الخطر وهزيمته •

وفى يقينى أن الاحساس بالخطر يحقق لهذه الأمة أمرين فى غاية الأهمية :

الأول : توحيد كلمة المسلمين لأنه ليس هناك كالاحساس بالخطر حافز على التضامن والتعاون وتوحيد الصفوف ، وفى سجل التاريخ مواقف وحروب اتحدت فيها كلمة عدة دول ليس بينها شىء من مقومات الوحدة ، لكن جمعها

ووحد كلمتها الاحساس بالخطر المشترك وادراكها لضرورة التعاون وحيويته فى مواجهته ، بل ان فى سجل التاريخ دولا اتحدت كلمتها وحاربت جنبا الى جنب فى مواجهة خطر مشترك رغم ما بينها من تناقض صارخ فى العقيدة والمذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية (١) .

والثانى : توليد أقوى الحوافز والدوافع الى بناء القوة الذاتية القادرة على الدفاع عن الأمة الاسلامية وتأمين سلامتها فى حاضرها ومستقبلها .

كيف يفكر غيرنا ؟

لقد أحس الخبراء العسكريون الذين يرسمون الاستراتيجية العليا لدول حلف الأطلنطى « ببوادر » خلل فى التوازن بين حلفهم والحلف المضاد وهو حلف وارسو : —

(١) فقد قدروا حجم الانفاق العسكرى السوفيتى سنويا ما بين ١١ و ١٣ بالمائة من مجمل الدخل القومى مع زيادة سنوية ثابتة تبلغ خمسة بالمائة ، وهذه الأرقام تزيد ثلاث مرات على الأقل عن الارقام المماثلة لغالبية دول الاطلنطى .

(٢) وشعروا بأن السوفييت قد بلغوا درجة من التقدم التقنى (التكنولوجى) أتاحت لهم انتاج أنواع جديدة من المعدات الحربية تماثل بل وتتفوق فى بعض النواحى عن مثيلتها لدى دول الغرب .

فماذا فعلوا ؟

لقد انعقد مؤتمر قادة دول الحلف مؤخرا وقد وصفه المراقبون بأنه من أخطر المؤتمرات التى عقدت منذ انشاء الحلف حيث قرروا فيه السياسة التى يجب اتباعها لاعادة التوازن فى ميزان القوى ، وقد تبلورت هذه السياسة فى ثلاثة اجراءات واضحة ومحددة من المفيد أن نتأملها لكى ندرك كيف يفكر غيرنا :

---

(١) من أمثلة التاريخ المعاصر اشتراك أمريكا وانجلترا وفرنسا وروسيا فى جانب واحد وجبهة متحدة ضد ألمانيا الهتلرية فى الحرب الثانية ١٩٣٩ — ١٩٤٥ م .

أولا : زيادة موازنات التسلح ابتداء من عام ١٩٧٩ وحتى عام ١٩٨٤ بمقدار ٣ بالمائة سنويا على أساس الانفاق الحقيقى •

ثانيا : اتخاذ كافة الاجراءات الكفيلة برفع مستوى الكفاءة القتالية لجيوش الحلف على المدى القصير (وقد بدأت فعلا فى نهاية عام ١٩٧٩) أى سياسة قصيرة المدى •

ثالثا : اتخاذ سياسة بعيدة المدى لتحديث وتطوير جميع فروع القوات المسلحة لحلف الأطلنطى فى خلال عشرة أعوام ، والملاحظ أن هذا البرنامج يوضع لأول مرة فى تاريخ الحلف وقد سمى « ببرنامج الدفاع طويل المدى » (١)

فأين نحن من التكليف القرآنى

فى الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجرى انقسمت دول العالم فى مجال القوة الحربية الى فئتين:

(١) الفئة الأولى تضم الدول التى تملك الأسلحة النووية ، وقد شاهد العالم كيف نشأ بين هذه الدول سباق شديد لتحقيق توازن فى القوى بحيث لا تحقق احداها تفوقا ساحقا على غيرها حتى لقد بلغ المخزون لديها من هذه الاسلحة الفتاكة ما يكفى لتدمير العالم عشرات المرات لا مرة واحدة !

وقد تولد عن هذا التوازن اقتناع لدى الشرق والغرب بعدم جدوى الحرب وبأن قيامها بينهما هو الانتحار بعينه لان كلا منهما يملك القدرة على الردع والانتقام بالسلاح النووى اذا ما تلقى الضربة المدمرة أولا •

(٢) والفئة الثانية وتضم الدول التى لا تملك الاسلحة النووية ،

---

(١) وقد أكد المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية فى لندن أن الاتحاد السوفييتى وحلفاءه قد حققوا تفوقا كبيرا على دول الغرب فى مجالى الاسلحة الاستراتيجية النووية والاسلحة التقليدية ، وذكر المعهد أن الامر سيتطلب عدة سنوات حتى يمكن للغرب تخطى تفوق دول حلف وارسو ، وأضاف أنه لا يمكن توقع حدوث زيادة كبيرة فى مقدرة حلف الاطلنطى قبل أن يبدأ الحلف فى نشر نظمه الصاروخية طويلة المدى فى عام ١٩٨٣ أو ١٩٨٤ تقريبا (جريدة الاهرام ١٨/٩/١٩٨٠) •

والتى ليس أمامها الا الاسلحة التقليدية لبناء قوتها الحربية والدفاع عن نفسها ، والتى تعيش أيضا فى ظل التهديد باستخدام الاسلحة النووية ضدها ، فهى فى كلا الحالين تفتقد الاحساس بالأمن فى هذا العالم المضطرب غير المستقر .

والتكليف القرآنى يطلب من الأمة الاسلامية أن تعد القوة والمرابطة التى ترهب الأعداء وتخيفهم من عاقبة عدوانهم ، يقول الله تعالى : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** » (الأنفال ٦٠)

وواضح من تقسيم العالم الذى ذكرناه أن الدول التى تستطيع ارهاب اعدائها هى دول الفئة الأولى التى تملك الأسلحة النووية طبقا لمعطيات عصرنا الذى نعيش فيه .

ومن ذلك نستطيع على الفور أن نقرر أن الأمة الاسلامية فى العصر الحاضر يجب أن تنتهج لنفسها سياسة دفاعية تقوم فى صميمها على أساس تملك الأسلحة النووية لكى تكون لها قوة الردع الفعالة .

ذلك هو التطبيق العملى لنظرية الردع الاسلامية المتمثلة فى الآية الكريمة من سورة الأنفال وفى الحديث الصحيح « نصرت بالرعب مسيرة شهر » (من حديث طويل عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما) .

فالتكليف القرآنى باعداد القوة الرادعة قائم وباق الى أن تقوم الساعة ، ويقضى منطقيا أن تتطور القوة فى شكلها ونوعها وتركيبها وأساليب استخدامها لتناسب روح العصر الذى يحتويها .. فان لم تفعل الأمة ذلك وتخلفت عن مقتضيات عصرها ، فلن يكون لقوتها فعل الارهاب ، وقد تعجز حتى عن الدفاع عن نفسها ، وبذلك تتعرض للخطر والهلاك .

هل الطريق مسدود ؟

وقد يبدو لاول وهلة أن الطريق مسدود أمام الأمة الاسلامية لبلوغ هذه الغاية وخاصة بعد أن تخلفت

عن ركب التقدم حتى أصبحت هناك « فجوة تكنولوجية » كما يطلقون عليها بين هذه الأمة والأمم المتقدمة ■

ومما ساعد على ترسيخ هذا الاعتقاد فى الأذهان — وهو فى يقينى لون من ألوان الحرب النفسية أو الدعاية — أن هناك حملة فكرية منظمة لتعميق الشعور بالاحباط والعجز المتزايد عن مواجهة القوى الكبرى أو اللحاق بالدول الصناعية المتقدمة ، وغرس الاحساس بالتدنى وتنمية « عقدة النقص » فى مواجهة تفوقها العلمى والتقنى • ولكنه لا ينبغى أن ننساق وراء اتجاهات التثبيط أو التخذيل فأن ما لدى العالم الاسلامى من قدرات وامكانات يبشر بخير كثير فى هذا المجال لو خلصت النوايا وحشدت الطاقات وتحقق التعاون والتنسيق :

(١) فهناك عدة دول من العالم الاسلامى دخلت مجال الطاقة النووية على درجات متفاوتة نذكر منها باكستان ومصر وايران والعراق والجزائر وليبيا والكويت وتركيا وبنجلاديش وأندونيسيا ، وتبشر الجهود المخلصة التى تبذل بتحقيق تقدم كبير •

(٢) والخامات الذرية كاليورانيوم والثوريوم موجودة فى باطن الأرض الاسلامية وقد قدرت التقارير الدولية عن الخامات الذرية عام ١٩٧٧ أن لدينا ما يعادل ثمانية فى المائة من مخزون العالم من خام اليورانيوم •

(٣) ولدى الأمة الاسلامية من العلماء والمتخصصين والموارد المالية ومراكز البحوث ما يمكنها من تلبية مطالب الكشف والبحث والانتاج فى مجال الطاقة النووية •

القدرات الدفاعية والهجومية

ان الاسلام دين سلام ورحمة ، والسلام فى مبادىء الاسلام أصل فى عقيدته ، وعنصر من عناصر تربيته ، وهدف يعيش فى وجدان الفرد وفى بناء الأمة •• لكن الاسلام — فى الوقت نفسه — دين عملى ، يأخذ الحياة من واقعها وينظر الى الناس من خلال فطرتهم التي فطروا عليها ، فقد راعى طبائع

الخـلائق وميلها الى المشاحنات ، فـرأى أن يعـد أهله للقتال اذا قوتلوا ..

وهكذا اقتضت حكمة الله جـل شأنه أن يكون الاسلام دين قـوة ليدافع بها عن نفسه لا ليعتدى بها على الآخرين **« ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين »**

من أجل ذلك فان الاستراتيجية الحربية التى توجه اليـها نظرية الردع الاسلامية فى الآية الكريمة مـن سـورة الأنفـال هى « اسـتراتيجية ردع دفاعى تملك القدرة الهجومية وهو ما نوضـحه فيما يلى :

(١) ان اقتران الردع (ترهبون) وتأسيسه عـلى القـوة والمرابطة **(من قوة ومن رباط الخيل)** يفهم منه بكل وضوح أنه لابد أن تتوفر فى تلك القوة « القـدرة الهجومية التى تقنع العـدو ـ حين يضـع حساباته وتقديراته ـ بأنه سـوف يكون هو الخـاسر لـو تحـرك بعدوان .

وقـد أبرز خبراء الاستراتيجية الحربية هذا المبدأ حديثا فأكدوا : « أن العقيدة العسكرية ذات الطابع الدفاعى البحت لن تكون لها سوى قدرة ضعيفة عـلى الردع الا اذا توفرت لديها القـدرة الهجومية ، لأن مفتاح الردع هو القدرة على التهديد » .

(٢) فالقدرة الهجـومية ضرورة حيوية لأى جيش لان الحـرب تنطوى على مواقف مختلفة يتطلب كل منها شكلا مختلفا مـن أشكال العمليات الحربية كالدفاع والهجوم والمطاردة والانسحاب . والجيش الذى يدافع عن جبهة ما لا يقتصر نشاطه عـلى العمليـات الدفاعية فحسب وانما يسـتخدم مـن الاشـكال الاخـرى للعمليات ما يقتضيه الموقف .

(٣) فليس من صواب الرأى أن نجعـل « الهجـوم » مرادفا «للعدوان» لان الهجوم عمل حربى قد يقتضـيه الموقف حتى فى اطار الاسـتراتيجية الدفاعية ولصـالح الدفاع ورد العدوان ولعلنا سمعنا عن المبدأ القائل : « ان الهجوم هو خير وسيلة للدفاع » .

ونستطيع أن نستوحى من لفظ « قوة » الذى ورد فى الآية مطلقا غير محدد أنه ينطوى ــ فيما ينطوى عليه ــ على القوة الدفاعية والهجومية معا ، ونلمح هذا المعنى أيضا فى لفظ « الخيل » الذى ينطوى على مفهوم مع ما يدل عليه من المعانى العديدة •

(٤) وبتحليل الغزوات التى قادها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه (٢٨ غزوة) نجد أن سبعا منها خرج فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوة محدودة من المسلمين لمهاجمة أعداء علم أنهم يدبرون للهجوم عليه ، ففاجأهم فى عقر دارهم وأجهض تدبيرهم كما نلاحظ أن الاعداء فى هذه العمليات كانوا يفرون تاركين ديارهم وأموالهم وأنهم تخلوا تماما عن فكرة مهاجمة المدينة • وهذه العمليات هى : غزوة بنى سليم فى شوال سنة ٢هـ ــ غزوة ذى أمر فى المحرم سنة ٣ هـ ــ غزوة بحران فى ربيع الاول سنة ٣ هـ ــ غزوة ذات الرقاع فى شعبان سنة ٤ هـ ــ غزوة دومة الجندل فى ربيع الاول سنة ٥ هـ ــ غزوة بنى المصطلق فى شعبان سنة ٥ هـ ــ غزوة بنى لحيان فى جمادى الاولى سنة ٦ هـ •

وفى ضوء « استراتيجية الردع الدفاعى التى تملك القدرة الهجومية » على الامة الاسلامية أن تبنى جيوشها على هذا الاساس بحيث تملك الاسلحة الهجومية مع الاسلحة الدفاعية حتى تكون لديها قوة الردع الفعالة فى هذا العصر •

درجة الاستعداد العالية :

لقد أصبح مصير الامم فى هذا العصر متوقفا على درجة استعدادها لرد عدوان أعدائها وعلى قدرتها ــ قبل ذلك ــ على منع العدو من مباغتتها •

وكل الدول اليوم تؤسس استراتيجياتها الحربية على استخدام أحدث أساليب الانذار المبكر ووسائل الاستطلاع المتقدمة وجمع المعلومات وعلى الاحتفاظ بقواتها المسلحة (أو جزء منها) على حالة دائمة من الاستعداد للقتال الفورى • وليس أدل على ذلك مما نسمع عنه اليوم من أقمار التجسس التى تدور فى الفضاء

بصفة مستمرة حول الأرض لرؤية ما يدور على سطحها مـن حركات وتدابير حربية (١) .

من أجل ذلك فان عـلى الأمة الاسلامية أن تتخـذ كل وسـائل الاستعداد والانذار والحذر طبقا لمقتضيات عصرها ليتحقق لها الامن والسلامة من المباغتة على الأسس الآتية : ــ

(١) الحصـول مبكرا عـلى المعلومات عن الأعـداء ونواياهم واستعداداتهم العدوانية .

(٢) حرمان العدو ــ فى الوقت نفسه ــ مـن الحصـول عـلى المعلومات عن الأمة أو جيوسها (٢)

(٣) الحراسة المستمرة لحـدود البلاد وسمائهـا ومياهها الاقليمية ومواقع الجيش والمنشئات الحيوية المدنية والعسـكرية كالمـوانى والمطـارات وشـبكات الطرق والمصانع والتجمعات السـكانية والمعابر .. الخ .. لوقايتها مـن الأعمال العدوانية والتخريبية ورد العدوان عنها .

واذا كان معنى الرباط فى الماضى هـو ربط الخيـل فى الثغور التى يتوقع هجوم العدو منها بقصـد الاسـتعداد لرده وصـده وقمع عدوانه ، فانه بمفهوم العصر قـد أصبح واسع المدلول وممتدا ليشمل

---

(١) من ذلك على سبيل المثال القمر الصناعى «بيج بيرد» الذى لايتجاوز طوله ٥٥قدما وعرضه ١٠ اقدام ووزنه ١٢ طنا ، ويظل يدور فى الفضاء على ارتفاع ٢٥٠ أو ٩٠ ميلا حسبما يراد له ، ويظل يلتقط بعدساته «الالكترونية» ومستشـعراته الحرارية ، واشعته تحت الحمراء ، وموجاته التليفزيونية ، كل ما يجرى فى ميدان الحرب مرة كل ٩٠ دقيقة أو نحو ذلك ، ولمـدة ٢٥٠ يوما متصله ليلا ونهارا ، فوق مساحة تزيد مائة مرة عما كانت تستطيع أن تراة طائرة الاستطلاع (وهى الوسيلة التى كانت تستخدم من قبل) وبدقة تفوق دقتها عشرات المرات . وهذا القمر يستطيع أن يعيد ما قام بتصـويره من (أفلام) الى الارض فى نقطة بعينها حيث يتم التقاطها والافادة بمـا تحويه من معلومات كثيرة بالغة الاهمية .. وهكذا أصبح فى قدرة قمر فضاء واحد أن ينجز من المهام ما تعجز عن انجازه المئات من طائرات الاستطلاع ، وتحت ظروف جوية قد تمنع أقوى الطائرات من الاقلاع فى الجو .

(٢) انظر مقالنا فى مجلة الازهر شعبان ١٤٠٠ « الامـن ومقـاومة الجاسوسية والتخريب فى ضوء الاسلام » .

كل مساحة الدولة وليس الحدود فقط ، وليشمل أيضا سماء الدولة ومياهها الاقليمية وليس أرضها فقط ، وهكذا أصبح الرباط واجبا وطنيا على أبناء الأمة جمعاء الذين ينظمون فى أجهزة الدفاع الشعبى والدفاع المدنى والانقاذ والاسعاف والاطفاء وغيرها من الأجهزة بالاضافة الى القوات المسلحة .

القدرة على الحركة السريعة

ومن القدرات التى يجب أن تسعى الأمة الاسلامية الى امتلاكها والتجويد فيها القدرة على الحركة السريعة . وهى قدرة وثيقة الصلة بدرجة الاستعداد لرد العدوان ، اذ لا جدوى من أن يصلنا الانذار المبكر بالخطر ونحن لا نملك الحركة السريعة على مواجهته فى الوقت المناسب والمكان المناسب .

ولقد ضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم ــ كما قدمنا ــ المثل على تلك القدرة حين استطاع الحركة بسرعة نحو أعدائه الذين علم أنهم يدبرون للعدوان فوصل اليهم حتى قبل أن يستعدوا لمواجهته بدليل فرارهم من ديارهم .

ويشير الى ذلك أيضا قوله تعالى : « **والعاديات ضبحا . فالموريات قدحا . فالمغيرات صبحا . فأثرن به نقعا . فوسطن به جمعا** » (العاديات ١ ــ ٥) ففى هذه الآيات يقسم الله تعالى بخيل الجهاد المسرعات التى يسمع لأنفاسها صوت هو الضبح من شدة الجرى ، ويتطاير الشرر من تحت حوافرها من شدة قدحها للأرض الحجرية والتى يهجم بها فرسانها على العدو فى وقت الصباح ليأخذوه على غرة ، والتى يكون من شدة جريها أنها تثير غبار الطرق فى وقت الصباح ، فتدخل وسط جمع الأعداء فتشتته ، وتنطوى الآيات على تنبيه المؤمنين ليكونوا دائما على أهبة الاستعداد بالقوة وبالقدرة على الحركة السريعة فيها بهم من تحدثه نفسه باضعافهم أو العدوان عليهم .

ونحن نرى الدول الكبرى اليوم حريصة على أن يكون لديها القدرة على الحركة السريعة التى تمكنها من التدخل فى الوقت المناسب ــ وقبل أن يفوت الاوان ــ فى مناطق الاحداث التى يهمها أن تتدخل فيها

بحسب مصالحها وأهدافها الاستراتيجية ، فنراها لكى تحقق لنفسها تلك القدرة تتخذ تدابير متعددة مثل قاذفات القنابل الاستراتيجية التى تجوب البحار والمحيطات قريبا من مسارح الأحداث ، والأساطيل البحرية التى تبقى باستمرار فى المناطق الحساسة وعليها قوات وأدوات مستعدة للعمل الفورى ، ونراها أيضا تحرص على أن تتخذ لنفسها قواعد بحرية أو جوية خارج أراضيها لكى تكون قريبة من مناطق الخطر وتختصر المسافة والزمن اللازمين للتدخل الفعال .

ردع القوى المضادة

وعلى الأمة الاسلامية فى هذا العصر الذى انتشرت فيه أعمال العنف والتخريب والجاسوسية والحرب النفسية بصورة مذهلة ، أن تتدبر النظرية الاسلامية فى الردع لكى تدرك أنها لا تستهدف ردع العدو الخارجى الظاهر فقط ، بل تستهدف أيضا ردع أعداء الأمة من القوى المضادة التى تعمل ضدها فى الخفاء والتى قد يكون خطرها ــ لو غفلت عنها أو لم تتصد لها ــ أفدح بكثير من خطر العدو الظاهر .. وهذا هو ما يفهم بوضوح من نص الآية الكريمة فى عبارة « **وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** » وقد فسر السابقون هذه الفئة بالمنافقين الذين يلبسون ثوبا ظاهره الرحمة وباطنة العذاب ، وغير أنها تنطوى بلغة العصر على كل « القوى المضادة » التى تحقد على الأمة وتنفث سمومها فى الخفاء وتثير الفتنة وتروج الشائعات وتغرى بالسلبية وتقتل الارادة والايجابية .

ومن هذه الفئة من يكون داخل البلاد الاسلامية وبين صفوف أبنائها ، ومنهم من يكون خارجها يدبر ويخطط ويسعى بكل الاساليب العلمية للحرب النفسية والتخريب المعنوى والمادى من أجل ذلك فقد اشتملت نظرية الردع الاسلامية على تلك الفئة من الاعداء الخفيين، وأوجبت على الأمة اعداد كل

وسائل القوة التى ترهبها وتردعها •

والأمر الجدير بالتأمل والتدبر هو ما ينطوى عليه لفظ «ترهبون» فى الآية الكريمة من معان وتوجيهات ، حتى نعرف ما الذى يطلبه الاسلام من الأمة لمواجهة تلك الفئة •• انه يطالبها بأن تكون أعمالها وتدابيرها على النحو الذى يوقع الرهبة فى قلوب أولئك الأعداء ويخيفهم من عاقبة سلوكهم أو حركاتهم •

وهذه المسئولية لا تقع على عاتق الدولة وحدها بل تقع على عاتق المواطن أيضا : ــ

الدولة : بتدابير الأمن الوقائى بكل الاحكام والقوة •

والمواطن : باليقظة والمعرفة والوعى ومراعاة كتمان الاسرار ومعاونة السلطات •

ان الاسلام ــ كما تشير نظرية الردع ــ يريد أن تبلغ تدابير الدولة ووعى المواطن حدا ينخلع معه قلب كل من تسول له نفسه أن يقترب من جماعة ليثير فتنة ، أو يطلق شائعة ، أو يهتك سرا أو يدعو لفكرة هدامة ، أو تمتد يده بالتخريب أو التدمير لمنشأة من المنشئات •

وبدهى أن التدابير كلما زادت قوة واحكاما ، قلت فرص العمل للمخربين والقوى المضادة ، ألم تر الى اللص كيف تدفعه التدابير المحكمة لحراسة خزائن البنوك بكل أساليب العلم فى الانذار والتأمين والوقاية الى التخلى تماما عن محاولة السرقة ، وكيف تغريه التدابير الضعيفة لحراسة بيت أو متجر ؟ ثم ان النظرية الاسلامية ترشد أيضا الى أسلوب التعامل مع من يركب رأسه ولا ترهبه تدابيرنا فيرتكب من الأعمال ما يضر بأمن الأمة وسلامتها ، فتوجهنا الى أن نجعل العقاب رادعا يثير الرهبة فى نفسه فلا يعود الى فعلته مرة أخرى ، وكما يثيرها فى غيره ويكون عبرة لهم •

والخلاصة :

أن على الأمة الاسلامية أن تقيم

بكل الدقة قدراتهـا الدفاعية وأن تجعـل عـلى قمة أهدافهـا الاستراتيجية وهى تستقبل القرن الخامس عشر أن تعود اليها قدرتها على الردع كما أرادها الاسـلام على الدعائم الآتية :

(١) سياسة دفاعية تعتمد على الردع النووى •

(٢) القدرة الدفاعية والهجومية معـا •

(٣) أعلى درجات الاسـتعداد وحرمان العدو من المباغتة •

(٤) القدرة على الحركة السريعة لمواجهة الخطر •

(٥) ردع القوى المضادة لوقاية الأمـة من التخريب المعنـوى والمادى •

لواء محمد جمال الدين محفوظ

« الكياسـة »

قال معاوية يوما انى لا أضع سـيفى حيث يكفينى سوطى ، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى :

ولو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت فقيل له : وكيف ذلك ؟

قال : كنت اذا مدوهـا أرخيتهـا ، وان أرخـوها مددتها •

الهجرة ويوم الإثنين

للأستاذ / محمد كمال السيد

عندما سئل الرسول عليه الصلاة والسلام عن سبب تكريمه يوم الاثنين . قال فى حديث شريف ما معناه : (هذا يوم ولدت فيه . وبعثت فيه - أو أنزل على فيه - وهاجرت فيه) .

ويمكن أن نضيف أن وفاته عليه الصلاة والسلام كانت أيضا فى يوم الاثنين . وان ثلاثة من هذه الأمور الأربعة الهامة فى حياة الرسول وتاريخ الاسلام والمسلمين وقعت فى النصف الأول من شهر ربيع الأول . وأن الأمر الرابع . وهو المبعث . كان فى شهر رمضان . كما سنوضح باذن الله .

المولد الشريف : الاثنين ٩ ربيع الأول سنة ٥٣ ق . هـ .

اصطلح المسلمون - ولايزالون - على الاحتفال بالمولد النبوى الشريف فى ١٢ ربيع الأول من كل عام . ولكن ذكر المؤرخون تواريخ أخرى . فقيل ٢ و ٨ و ١٠ و ١٢ من ربيع الأول كما ورد فى (انسان العيون فى سيرة المأمون - الشهير بالسيرة الحلبية - حـ ١ ص ٧٨) .

والجدير بالتقدير من هذه الآراء ما ذكره المسعودى فى مروج الذهب . قال : والذى صح من مولده أنه كان بعد قدوم أصحاب الفيل بخمسين يوما . وكان قدومهم فى ١٧ المحرم سنة ٨٨٢ من عهد ذى القرنين . وكان مولده عليه الصلاة والسلام لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة بمكة . ١ هـ .

وذكر المرحوم محمود حمدى باشا الفلكى فى (التقويم العربى قبل الاسلام ص ٣٣ ــ ص ٤٤) بناء على قول المسعودى . وأقوال أغلب المؤرخين ان المولد كان فى عام الفيل فى تمام السنة الأربعين . أو الأحدى وأربعين من حكم كسرى أنوشروان (حكم من سنة ٥٣١ ــ ٥٧٩ م) . وأن ذلك كان فى ٢٠ أو ٢٢ نيسان (أبريل) سنة ٨٨٢ للأسكندر .

وبناء على مقارنة التواريخ . والدراسات الفلكية بأن أول ربيع الأول من تلك السنة بمكة وافق الأحد ٥٧١/٤/١٢ م . وبناء على الحديث الشريف السابق ذكره عن يوم الاثنين . فقد توصل الى أن المولد الشريف كان يوم الاثنين ٩ ربيع الأول سنة ٥٣ ق . هـ . (قبل الهجرة) الموافق ٥٧١/٤/٢٠ م .

وهذا التقويم المنسوب للأسكندر سابق للتقويم الميلادى بـ ٩٢يوما و ٣١١ سنة . أى أن أول تشرين الأول سنة ٨٨٢ للأسكندر (وهو أول شهور سنة هذا التقويم) وافق أول اكتوبر سنة ٥٧٠ م . وبذلك يوافق أول كانون ثانى سنة ٨٨٢ للأسكندر=أول يناير سنة ٥٧١ م.

المبعث : الأثنين ٢٩ رمضان سنة ١٣ ق . هـ .

ذهب المرحوم محمود حمدى الفلكى فى كتابه المذكور (ص ٦٠) الى أن بدء الرسالة المحمدية كان بنزول الوحى على الرسول عليه الصلاة والسلام فى تمام الأربعين سنة قمرية من عمره . فيكون فى ٩ ربيع الأول سنة ١٣ ق . هـ . الموافق ٦١٠/٢/١ م . واستدل على رأيه بأن الرسالة نزلت فى زمهرير الشتاء بدء السورة القرآنية الكريمة (المدثر) .

وفى هذا الرأى عدة أخطاء : أولها خطأ حسابى . فيوم ٩ ربيع الأول سنة ١٣ ق . هـ . وافق ٨ ــ أو ــ ٩ فبراير . وليس أول فبراير . وبصرف النظر عن هذا الخطأ الحسابى فليس هناك ما يقطع بأن الوحى نزل على الرسول عليه الصلاة والسلام فى تمام الأربعين سنة قمرية من عمره بالضبط . والثالث أن هناك خلافا

بين المفسرين فى أولى سور القرآن فى النزول • فيقال ــ والله أعلم ــ أن أولى السور هى العلق • ثم القلم • ثم المزمل • ثم المدثر • ثم الفاتحة •• الخ • (مع وجود بعض الآيات المدنية فى سورتى القلم والمزمل) • ورابعا أن الرعدة التى أصابت الرسول عليه الصلاة والسلام لم تكن ضرورة من شدة البرد • بل من الصدمة النفسية لهذا الحادث الجلل من نزول الوحى •

وأخيرا فى هذا مخالفة صريحة للنص القرآنى بالآية ١٨٥ من سورة البقرة (**شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) •

وبهذا نستبعد رأى المرحوم محمود حمدى الفلكى • ونحاول محاولة أخرى •

فعندنا النص القرآنى فى سورة القدر (**انا أنزلناه فى ليلة القدر**) • وعندنا أيضا الحديث الشريف : (تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان) •

وأشعر ببعض التردد • فمن المستبعد ألا يكون الرسول عليه الصلاة والسلام عالما بموقع ليلة القدر من الشهر بالضبط • فتعميتها فى الحديث الشريف المذكور ربما كان لحض المسلمين على الزيادة فى العبادة • أو لأسباب أخرى الله أعلم بها •

ولكن العلم فضولى • يشجع على البحث • خصوصا وقد سبق للمسلمين التحديد بالاصطلاح على أن ليلة القدر فى ٢٧ رمضان •

ففى سنة ١٣ ق • هـ • قد استكمل الرسول عليه الصلاة والسلام الأربعين سنة قمرية من عمره • ونزل فيها الوحى بعد ذلك على أرجح الأقوال • وحسابيا كان أول المحرم فى تلك السنة يوم الأربعاء الموافق ٣ ديسمبر سنة ٦٠٩ م • وحسابيا أيضا يكون أول رمضان فى تلك السنة موافقا ليوم الاثنين ٢٧/٧/٦١٠ م •

وتكون أيام الاثنين من شهر رمضان فى تلك السنة هى أيام ١ و ٨ و ١٥ و ٢٢ و ٢٩ من الشهر •

ولما كان اليوم العربى يبدأ من غروب الشمس • فليس أمامنا من

التواريخ المذكـــورة ما يتفق مع الحديث الشريف المذكور غير عشية يوم الأحد ٢٨ رمضـــان أى ليلة الاثنين ٢٩ رمضـان وهى الليلة المباركة • والله أعلم •

والاثنين ٢٩ رمضـــان سنة ١٣ ق • هـ • يوافـــق ٢٤ أغسطس سنة ٦١٠ م •

الهجرة : يوم الاثنين ٨ ربيــع الأول سنة ١ هـ •

لا جدال أن هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة كانت يوم اثنين ــ فى النصـــف الأول من شهر ربيع الأول • وعلى أرجح الأقوال بعد ثلاثة عشر عاما من مبعثه • ولكن ذكـرت تواريخ مختلفة • فقيــل ٢ و ٨ و ١٢ من الشهر المذكور •

وصادف عندما وصل الرســول عليه الصـلاة والسـلام الى قباء ــ ضـاحية المدينة ــ أن كان يوم عاشوراء اليهود ــ وهو العاشر من تشرى (سبتمبر / اكتوبر) أول شهور سنتهم المدنية • وهو عندهم عيــد الكفــارة أو الكبود • وهم يصـــــومونه حيث غفر الله لهم عبادتهم العجل فى سيناء •

وسأل الرســول صلى الله عليه وسلم عن سبب صـــيام اليهود فقالوا : يوم أغــرق الله فيـــه فرعون • ونجى فيه موسى • فقال أنا أولى بموسى • وصـــام ذلك اليوم •

وأدى هذا الحديث الى الشـــك عند بعض المؤرخين • فذهبوا الى أن الهجرة كانت فى عاشـــــوراء العرب ــ العاشر من المحـــرم ــ وهو ما يخالف الروايات الصحيحة أنها كانت فى ربيع الأول •

وتناول المرحوم محمود حمـدى الفلكى فى كتابه المذكور من ص ٢٠ ــ ص ٣٢ • هذا الموضوع • فأثبت أن عاشوراء المذكورة هى عاشوراء اليهود • وأنها لو كانت عاشــوراء العرب لعرفها الرسول عليه الصلاة والسلام • ولما سـأل عنها • وأن اليهود كذبوا عندما قالوا أنهـــا ذكرى غرق فرعــون • الذى كان بنص التوراة فى ٢١ نيســـــان (مارس / أبريل) أول شـــهور ســنتهم الدينية • اما جهلا بسبب هذا الصوم • واما خجلا من ذكر

أنه كفارة عن عبادتهم العجـــل فى سـيناء •

وبمقارنة ١٠ تشرى من السـنة العبرية مع ما يقابله من سنة ٦٢٢ م التى لا شـــك أن الهجرة حصلت فيها • ومع أيام الأسـبوع • ومع الحســاب الفلكى بأن أول ربيع الأول بالنسبة للهلال فى الحجاز كان يوم الاثنين • فقد توصل الى أن **الهجـرة النبوية كانت يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ١ هـ الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م** •

وهذا التاريخ حقيقة،ذكرها قبله أبو الريحـــان البيرونى فى كتابه (الاثار الباقية من القرون الخالية ص ٣٠) كما ذكرها أيضا أبو الفدا فى (المختصر فى تاريخ البشر حـ ١ ص ١٢٣) •

آراء مخالفة :

ولكن بعض المؤرخين ذكروا أن الهجرة كانت يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول • وهذا لا يتفق مع الحساب الفلكى • فباعتبار أول ربيع الأول يوم اثنين • يكون ١٢ ربيع الأول يوم جمعة • والهجرة ولا شك كانت يوم اثنين للحديث الشريف المذكور بأول المقال •

ويمكن التوفيق بين القولين •

فقـــد قال الطبرى فى (تاريخ الأمم والملـــوك حـ ٢ ص ٢٤٢) : وقدم دليلهما بهما (يعنى الرسول ـ ص ـ وأبا بكر الصـــديق) قباء على بنى عمرو بن عوف لثنتى عشرة ليلة خلت من شـــهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشـــتد الضحى وكادت الشمس أن تعتدل ، وأقام الرســـول عليه الصـلاة والســـلام بقباء فى بنى عمرو بن عـوف يوم الاثنين ويوم الثـلاثاء ويوم الأربعـــاء ويوم الخميس ـ وأسس مسجدهم ـ ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة • ١ هـ •

ونجد توضـيحا أكثر فى مروج الذهب للمسعودى (جـ ١ ص ٤٩٥) قال : وكان دخوله عليه الصـــلاة والســلام يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول • فأقام بها عشر سنين كوامل • وكان نزوله فى حالة موافاته بقباء على سعد بن خيثمة • وابتنى المســجد • وكان مقامه بقباء يوم الاثنين والثلاثاء

والاربعاء والخميس . وسار يوم الجمعة ارتفاع النهار . فأتته الأنصار حيا حيا يسأله كل فريق النزول عليه . ١ هـ .

فخطأ المؤرخين الذين يرون أن الهجرة كانت يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول يرجع الى الجمع بين يوم الأسبوع وبين التاريخ . فواضح من الحساب الفلكى المذكور . ومن أقوال المؤرخين المذكورين . أن الرسول عليه الصلاة والسلام وصل قباء ضاحية المدينة يوم الاثنين ٨ ربيع الأول (الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م) . ومكث بها أربعة أيام . ودخل المدينة يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول .

التأريخ بالهجرة :

وباتساع الدولة الاسلامية احتاج العرب الى تقويم لتنظيم جباية الخراج . ولتوقيت أوامر السلطة المركزية فى المدينة الى الولاة فى الأقاليم . كما توقت به تقارير هؤلاء الولاة . وغير ذلك من الشئون .

والمتواتر بين المؤرخين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب استشار الصحابة رضى الله عنهم سنة ١٧ هـ .. هل يبدأون التقويم بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام . أو بمبعثه . أو بهجرته . أو بوفاته . وكلها حوادث هامة فى تاريخ الاسلام .

والمولد والمبعث لم يكونا محددين تحديدا كافيا متفقا عليه . والوفاة لا يحتفل بها . فاستقر الرأى على الهجرة . بأن اعتبروا أول المحرم من سنة الهجرة مبدأ التقويم .

وبهذا يكون التقويم الهجرى سابقا للهجرة الحقيقية بـ ٦٧ يوما .

وذكر الطبرى أن هذا القرار كان فى سنة ١٧ أو سنة ١٨ للهجرة . ولكن البعض يحدده باليوم . بأنه كان فى ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٧ هـ .

ولعل قرار الصحابة المذكور هو ما تقرر استعماله بصفة رسمية . فالمسلمون كانوا يؤرخون قبل ذلك بالهجرة . فقد ذكر الطبرى أنه لما قدم الرسول عليه الصلاة والسلام المدينة . أمر بالتأريخ

فيما قيل • فذكر انهم يؤرخون بالشهر والشهرين حتى تمت السنة • ١ هـ •

كما ذكر البيرونى فى كتابه المذكور (ص ٣٠) أن المسلمين كانوا يسمون السنوات العشر الأوليات من الهجرة حتى وفاة الرسول بأسماء : سنة الأذن • ٢ ـ سنة الأمر • ٣ ـ سنة التمحيص • ٤ ـ سنة الترفئة • ٥ ـ سنة الزلزال • ٦ ـ سنة الاستئناس • ٧ ـ سنة الاستغلاب ٨ ـ سنة الاستواء • ٩ ـ سنة البراءة ١٠ ـ سنة الوداع • فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها ١ هـ •

واتبع المسلمون التقويم الهجرى لارتباط حساب شهوره القمرية بكثير من شعائر الدين كالصوم والحج • وبكثير من قواعد الفقه كالنفقة والعدة • ولا شك أن لله حكمة بالغة فى جعل بعض شعائر الدين كالصوم والحج تدور مع السنة حتى يمارسها المسلمون فى كل الفصول • وعلى اختلاف الطقس • فهى ليست من عروض التجارة أو أنواع الزراعة التى تخضع لجو معين •

العيد الحقيقى للهجرة :

ونحن نحتفل برأس السنة الهجرية باعتباره أحد أعيادنا الدينية • ويجب أن نحتفل أيضا بالعيد الحقيقى للهجرة فى ٨ ربيع الأول من كل سنة • فبالهجرة الى المدينة تكونت جميع العناصر والمقومات لأول دولة اسلامية : أرض • وشعب • وحكومة • وموارد مالية من الزكاة والصدقات • وتشريع ينظمه دستور منزل من العزيز الحكيم • وهو القرآن الكريم •

الوفاة : يوم الاثنين ١٣ ربيع الاول سنه ١١ هـ • وعمره عليه الصلاة والسلام •

أجمع المؤرخون على أنه توفى يوم الاثنين ١٢ ربيع الاول سنة ١١ هـ • ولكن المرحوم محمود حمدى الفلكى فى كتابه المذكور (ص ٥٩) ذكر أن أول ربيع الاول سنه ١١ هـ • بالمدينة كان يوم أربعاء • فتكون الوفاة اما فى الأحد ١٢ ربيع الاول • واما فى

الاثنين ١٣ ربيع الاول ٠

والاجماع على يوم الاسبوع أدق ٠ لأنه أثبت فى الذهن ٠ ولما أجمعوا عليه من تفصيل ما أعقب الوفاة حتى الدفن يوما بعد يوم ٠ فضلا عن احتمال اختلاف الرؤيا عن الحساب الفلكى فيختلف التاريخ ولكن لا يختلف يوم الاسبوع ٠

ولذلك نميل الى اعتبار أن الوفاة كانت يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنه ١١ هـ (٦٣٢/٦/٨م) فيكون عمره عليه الصلاة والسلام يوم سنة شمسية يوم سنة ٤٩ر٦١ وهى تساوى ٤٠ر ٦٣ قمرية ٠ وهذا يقطع الخلاف بين المؤرخين فى عمره بين ٦٠ و ٦٣ و ٦٥ سنة ٠

تأييد وتعزيز لما ذكر

لما كان المولد والمبعث والهجرة والوفاة كلها يوم اثنين كما رأينا ٠ فيجب أن تكون المدة بين بعضها والبعض الآخر أسابيع صحيحة ٠

والسنة القمرية $354\frac{11}{30}$ يوما

والشمسية $365\frac{1}{4}$ يوما تنقص احدى عشرة دقيقة وأربع عشرة ثانية ويتكون من هذه الدقائق والثوانى أقل من نصف يوم فى عمر الرسول عليه الصلاة والسلام ٠ فيمكن أن نهملها ونكتفى باحتساب السنوات الكبيسة فى كل مدة ٠ وبذلك يكون :

من المولد ٩ ربيع الأول سنة ٥٣ ق ٠ هـ ٠ (٥٧١/٤/٢٠ م) الى الوفاة ١٣ ربيع الأول سنه ١١ هـ (٦٣٢/٦/٨ م) ٢٢٣٣٠ يوما

من المولد ٩ ربيع الأول سنة ٥٣ ق ٠ هـ ٠ (٥٧١/٤/٢٠) الى المبعث ٢٩ رمضان سنه ١٣ ق ٠ هـ ٠ (٦١٠/٨/٢٤ م) ١٤٣٧١

من المولد ٩ ربيع الأول سنة ٥٣ ق ٠ هـ ٠ (٥٧١/٤/٢٠) الى الهجرة ٨ ربيع الأول سنه ١ هـ ٠ (٦٢٢/٩/٢٠ م) ١٨٧٨١

من الهجرة ٨ ربيع الأول سنة ١ هـ (٢٠/٩/٦٢٢ م) الى
الوفاة ١٣ ربيع الأول سنة ١١ هـ • (٨/٦/٦٣٢ م) ٣٥٤٩

من المبعث ٢٩ رمضان سنة ١٣ ق • هـ • (٢٤/٨/٦١٠ م) الى
الهجرة ٨ ربيع الأول سنة ١ هـ (٢٠/٩/٦٢٢ م) ٤٤١٠

من المبعث ٢٩ رمضان سنة ١٣ ق • هـ • (٢٤/٨/٦١٠ م) الى
الوفاة ١٣ ربيع الأول سنة ١١ هـ • (٨/٦/٦٣٢ م) ٧٩٥٩

وكلها أسابيع صحيحة •
نسأله تعالى الهداية والتوفيق •

محمد كمال السيد

« الاحســان »

قيل لأفلاطون: أى شىء من أفعال الناس يشبه أفعال الله قال : الاحسان الى الناس •

أحسن الى النـــاس تستعبد قلـــوبهم
فطالما اســـتعبد الانســـان احســـان

الهجرة بداية عز الإسلام

لفضيلة الشيخ / ابراهيم على النشار

لقد كانت هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة بداية نصر عظيم ، وفتح مبين يجدربنا ونحن نعمل على استعادة أمجادنا ، وجمع كلمتنا ، وتوحيد صفوننا أن نرجع اليها نستلهم منها العبرة ، ونستمد منها الدروس التى تنير لنا الطريق لتحقيق ما نصبو اليه من عز ومجد وسؤدد .

فما هاجر النبى محمد صلى الله عليه وسلم الا بعد معركة رهيبة بين جند الحق وجند الباطل سلخت من عمر الزمن ثلاثة عشر عاما هاجم فيها صلوات الله وسلامه عليه عقائد المشركين وأخلاقهم وعاداتهم ، وقرع أسماعهم بآيات القرآن الكريم فى مجتمعاتهم وأنديتهم ، ودعاهم الى الايمان بالله وحده ، ونبذ عبادة الأصنام ، ونادى بالمساواة بين الناس أبيضهم وأسودهم وأنه لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى ومكارم الأخلاق ، فثارت ثائرة قريش ، وانصرفوا يذيقون أصحاب الرسول صلوات الله عليه العذاب أشكالا وألوانا ، ولم ينج من بطشهم عظيم ولا حقير ، ولا صغير ولا كبير ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد آذوه بوضع القذى عليه وهو ساجد لربه ، وحاصروه فى الشعب ثلاث سنين ، واتهموه بالجنون فبرأه الله تبارك وتعالى : **(ما أنت بنعمة ربك**

بمجنـــون ، وان لك لأجــرا غــير ممنون ، وانك لعــلى خلق عظيم) الآيات ٢ ، ٣ ، ٤ من سورة القلم •

ولما يئست قريش من القضــاء على دعوته ، وعجزوا عن الوقوف فى طريق تيارها الجارف صــمموا على قتله ، واختاروا من كل قبيلة شابا جلدا وســـطا وأعطوهــم السـيوف ، وطلبــوا منهــم أن يضربوا الرسول الكريم ضربة رجل واحــد ليتفرق دمــه فى جميــع القبائل فلا تقدر بنو عبد منــاف على الأخذ بثأره ، ولكن الله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله تكفل بحفظه ورعايته فكشـــف له عن مكنــون مكرهم وقــال له : **(واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلـوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر اللــه والله خير الماكرين)** الآية ٣٠ من سورة الأنفال •

وأذن له فى الهجرة فخرج صلى الله عليه وسلم والشباب محيطون به وفى أيديهم الســلاح فأنامهم الله ، وتوجــه مــع أبى بكر حتى نزلا غار ثور فأحاطــه برعايته ، وسخر له الأشياء بعنايته ، وصرف عنه كيد العدو •

ولله در البارودى حيث يقول :

وجاءه الوحى ايذانــا بهجــرته
فيمم الغار بالصديق فى الفســم
فمــا اســـتقر به حتى تبــوأه
من الحمــائم زوج بارع الرنم
بنى به عشــه واحتلــه ســكنا
يأوى اليه غداة الريح والرهــم
كأنــه ديدبــان فــوق مربــأة
ترعى المسالك من بعــد ولم تنم
يخالها من يراهــا وهى جاثمــة
فى وكرها كرة ملســـاء من أدم
وأسجف العنكوت الغار محتفيــا
بخيمة حاكها من أبــدع الخيــم
كأنه ســـابرى حــاكها لبــق
بأرض سابور فى بحبوحة العجم
وارت فم الغار عن عين تلم بــه
فصار يحكى خفاء وجــه ملتثم
فياله من ســـتار دونــه قمــر
يجلو البصائر من ظلم ومن ظلم
يظل فيها رسول اللــه معتــكفا
كالدرفى البحر أو كالشمس فى الغيم

ونزل قول اللــه تبــارك وتعالى :

(الا تنصروره فقد نصره الله اذ أخرجه الـــذين كفروا ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنـا فأنزل اللــه سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) الآية ٤٠ من سورة التوبة.

ثم توالى نصر الله وتأييده لنبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه وهو فى طريقه الى المدينة ، حتى اذا أشرف عليها اســتقبله أهلها استقبالا لم تشهد له الدنيا مثيلا، وأعز الله فى هذا اليوم رسوله ، ونصر دينه •

وســـار بعد ثلاث من مبـادئه
يؤم طيبـة مأوى كل معتصــم
ولم يزل ســائرا حتى أناف على
أعلام طيبـة ذات المنظـر العمم
يوم به أرخ الاســلام عزته
وأدرك الــدين فيــه ذروة النجم

وبوصوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة بادر الى بناء بيــوت الله وتعمــيرها ليجتمــع فيهــا المسلمون لأداء الصلوات وشهود الجمعــة والجمـاعات ، ولتكون مركزا للاشعاع الروحى والتوجيه النبوى ، فبنى مسجد قباء خارج المـدينة ، وبنى مسـجده العظيم داخل المدينة وهو ثانى المســاجد العظيمة التى تشد اليها الرحال ، وفيه يقول الله تبارك وتعــالى : **(لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيــه رجال يحبون أن يتطهروا واللــه يحب المطهرين)** الآيــة ١٠٨ من ســـورة التوبة •

ولتحقيق الوحدة بين المسلمين وجمع صفوفهم آخى رســـول الله صلى الله عليــه وســلم بين المهاجرين والأنصار ، وأشــعرهم بأنهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، فكـان لهــذه الأخوة أعمــق الأثر فى نفــوس الأنصار ، فقاســموا اخـــوانهم المهــاجرين أموالهم وبيوتهم عن طيب خاطر ، وقد سجل اللــه لهم هذه المكرمة فى كتابه الكريم فقال: **(والذين تبوءوا الدار والايمان**

من قبلهم يحبون من هــاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرن على أنفسهم ولــو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الآية ٩ من سورة الحشر •

ولقد أعزهم الله بالاســلام ، وأعز الاسلام بهم فاســتماتوا فى الدعوة اليه ، والدفاع عنه ، وبهم دخل رسول الله صلى الله عليــه وسلم مكة فاتحا ظافرا ، ثم انطلق هذا النفر من أصحاب رسول الله ومن تبعهم باحســـان ينشرون رسالة الله رسالة الحــق والخير والسلام فأناروا الدنيا بعد ظلامها وملأوهــا عــدلا ونورا ورحمــة ومكارم أخــلاق ، وعــلى أيديهم أنتقل العالم من ظلمــه الشرك الى الى نور الايمــان ، وخــرج من جبروت الحكام الى عدل الاسلام، وأصبحوا فى مدة قصيرة أســاتذة الدنيــا وملــوك الأرض وحكــام العالم • بهذا أعزهم الله فى الدنيا وســجل لهم فى صــفحة المجــد والخلود أعظم أجر وأكرم مثوبة فقال :

(والــذين آمنــوا وهــاجروا وجاهدوا فى سبيل اللــه والــذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنين حقا لهم مغفرة ورزق كريم) الآية ٧١ من سورة الأنفــال •

ولما أراد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يضع مبدأ للتــاريخ الاسلامى لم يجد فى نفسه أروع ولا أقدس من حادث الهجرة مع أنه سبقه حادث البعثة والرسالة ، وجاء بعده حادث فتح مكة وقــد كان رضى الله عنه موفقا غـــاية التوفيق • ذلك لأنه ذكرى التضحية والفداء ، ذكرى انتصار الحق على الباطل والروح على المادة ، فلــو أنصف الناس لا تخذوه عيدا عالميا مشهودا ، ولذكروا بذكره مجـــد الانسانية وعظمة الرسالة المحمدية الخاتمة •

واذا أراد المسلمــون فى هــذه الأيام أن يستعيدوا مجد الآبــاء والأجداد فعليهم أن يســيروا فى الطريق الذى ســـار فيه آباؤنا

الأولون من الأنصار والمهاجرين طريق الوحدة والتضحية والتفانى فى سبيل اسعاد المسلمين ورفع راية الاسلام .

فهيا أيها المسلمون الى الوحدة الشاملة ، ونكران الذات ، فالقوة مقترنة بالوحدة ، والنصر معقود بالتضحية **(ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)** الآية ٤٠ من سورة الحج .

ابراهيم على النشار

« جرة أديب ملأته مالا »

استدعى بعض الخلفاء شعراء مصر ، فصادفهم شاعر فقير بيده جرة فارغة ذاهبا بها الى البحر ليملأها ماء فتبعهم الى أن وصلوا الى دار الخلافة فبالغ الخليفة فى اكرامهم والانعام عليهم ورأى ذلك الرجل والجرة على كتفه ونظر الى ثيابه الرثة وقال : من أنت ؟ وما حاجتك ؟ فقال :

ولما رأيت القوم شدوا رحالهم
الى بحرك الطامى أتيت بجرتى

فاستحسن الخليفة ما أبداه وملأ له الجرة ذهبا .

حرب لا يقرها الإسلام

للدكتور / أحمد عمر هاشم

فى هذه الآونة التى فجع فيها المسلمون ، بالمأساة الدامية ، والحرب الضارية التى اشتعلت بين الدولتين المسلمتين — ايران ، والعراق — يجب أن نعلن لهما وللعالم الاسلامى والعربى حقائق ضرورية وهامة :

أولا : حكم الاسلام فى هذه الحرب الدائرة بين دولتين مسلمتين .

ثانيا : واجب الأمة الاسلامية ، حكاما ومحكومين ، وأفرادا وجماعات حيالها .

ثالثا : ما ينبغى أن تقوم به الأمة الاسلامية من بناء اسلامى موحد ، وما يجب أن ينهض به المسلمون عن بكرة أبيهم من وحدة اسلامية لصيانة الأمة من أمثال هذه التصدعات ، وأسباب الدمار والضياع الذى يتهددها بين حين وآخر .

أما بالنسبة لحكم الاسلام فى هذه الحرب ، فانه لا يقرها ، ولا يحلها بحال من الاحوال ، فان دم الانسان المسلم حرام لا يحل الا باحدى ثلاث كما جاء فى الحديث:

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » رواه البخارى ومسلم .

وقد قرر الاسلام حرمة المؤمن وأكدها ، حتى ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه — وهو يطوف

بالكعبة ــ وللكعبة حرمتها ومكانتها ولكنه يعلن حرمة المسلم وأنها أعظم وآكد فيقول :

« ما أطيبك وما أطيب ريحك ، وما أعظمك ، وما أعظم حرمتك ، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ماله ودمه » رواه ابن ماجه .

كما أكد الرسول صلوات الله وسلامه عليه حرمة النفس ، وحقها فى الحياة الآمنة المستقرة ، ووضح هذه الحقيقة فى خطبة الوداع اذ يقول : « .. ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت اللهم فاشهد كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

من أجل هذا نرى أن الاسلام قد حرم كل ألوان الاعتداء على حق الحياة بأية صورة ، وعلى أى وضع كان هذا الاعتداء والظلم ، فما بالناحين يكون القتال بهذه الصورة الصارخة بين دولتين اسلاميتين ؟! وبأبشع مظاهر الدمار والهلاك ، لقد نشرت الحرب الدائرة ــ وهذه طبيعة كل حرب ــ الرعب والفزع ، وقضت على الامن والاستقرار وأشاعت الاحن والبغضاء بين النفوس ، وقضت على الروابط الانسانية ، ورملت النساء ، ويتمت الأطفال ، فكانت دمارا للحرث والنسل ، وهلاكا للرجال والمال والسلاح ..

والقرآن الكريم يتوعد قاتل المؤمن بالوعيد الشديد « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » .

ويحذر الاسلام أشد التحذير من قتال المسلمين بعضهم لبعض ، وينهاهم عن استحلالهم لدماء بعض فى القتال والغارات ، لأنهم بهذا يخرجون عن دائرة هداية الاسلام ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» رواه البخارى ، واحمد ، والنسائى

وقد حذر الاسلام أشد التحذير من حمل السلاح على الجماعة الاسلامية من أجل سفك الدماء ،

وقتل الأبرياء ، وعد حملة السلاح على المسلمين بأنهم بعيدون عن الدائرة الاسلامية وعن الخلق الاسلامى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« من حمل علينا السلاح فليس منا » رواه** احمد والبخارى ومسلم وقال بعض علماء الحديث : كل حديث فيه لفظ : « ليس منا » يخشى على صاحبه من الموت على غير الايمان • وليس الوعيد مقصورا على القاتل فحسب ، بل انه يشمل القاتل والمقتول ما دام الطرفان حريصين على القتل ، ما داما قد أشهر كل سيفه فى وجه صاحبه ، عن أبى بكر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« اذا التقى المسلمان بسيفيهما ، وقتل أحدهما صاحبة ، فالقاتل والمقتول فى النار» قيل : يا رسول الله هذا للقاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : « انه كان حريصا على قتل صاحبه » رواه** البخارى ومسلم واحمد •

وأما عن واجب الأمة الاسلامية حيال هذه الحرب ، فاننا اذا نظرنا الى دستورنا السماوى وهو القرآن الكريم نجد أنه قد أرسى قاعدة شرعية لها أهميتها وخطرها فى هذا الصدد تلك القاعدة يترتب عليها صيانة الأمة من التفكك والقلاقل وفيها قضاء حاسم على الفرقة والخصام ، لانها قائمة على الاصلاح بين المتنازعين والمتقاتلين والحد من بغى الباغين ومواجهتهم بالحق والعدل يقول الله سبحانه:

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين •

انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » • وقد قرر الاسلام حقوق أخوة الايمان ، والتى تقتضى من المؤمنين أن يخفوا لنجدة اخوانهم ، وأن يسارعوا بالاصلاح بينهم ، وأن يخمدوا نار الفتنة اذا اشتعلت فيهم ، وأن يصونوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم من

التعرض للضياع والهـــلاك ففى الحديث : يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا ويشير الى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه مسلم .

والاصلاح بين كل مسلمين أو طائفتين واجب تمليه أخوة الايمان وقد مهدت الآية الكريمة طريق الاصلاح بالتزام التقوى حتى لايحيد المصلحون ، ولا يحابى بعضهم بعضا ، بل يكون العدل رائدهم والتقوى سبيلهم .

فعلى الأمة الاسلامية اليوم حكاما وشعوبا ، أفرادا وجماعات عليهم أن يهبوا فورا لوقف الحرب الدائرة بين العراق وايران ، وأن يجمعوا رأيهم ، ويوحدوا كلمتهم ، وأن يلقوا الخلافات جانبا ، وأن يرتفعوا فوق تلك الأسباب ، ليرأبوا الصدع ويجمعوا الشمل ، ويحقنوا تلك الدماء التى تراق بين المسلمين عبثا .

ان عقيدتهم الاسلامية وقرآن الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ان كل ذلك يناديهم باسم الاسلام وباسم الحق والعدل أن يجتمع جميع الملوك والرؤساء فورا فى مؤتمر اسلامى واحد يجمع بين سائر البلاد الاسلامية وأن يأخذوا قرارا واحدا وسريعا ، لينفذوه قبل أن يتفاقم الخطر يوما بعد يوم ، وتستشرى نار الفتنة ساعة بعد أخرى .

ان الاسلام ينادى جميع أتباعه لنصرة المظلومين ومنع الظالمين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، فقال رجل : يا رسول الله أنصره اذا كان مظلوما أفرأيت ان كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : تحجزه أو تمنعه عن الظلم فان ذلك نصره » رواه البخارى ومسلم .

وأما ما يجب أن تقوم به الأمة الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها لصيانة دينها وعقيدتها ،

وأرضها وعرضها ، ودمائها وأموالها فان هذا كله لا يتأتى الا « بالوحدة الاسلامية » ، والاعتصام بحبل الله ، وتلبية النداء القرآنى : **« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .. »** .

وان جميع الانساب والاجناس تنتمى الى أصل واحد — فى نظر الاسلام — وهنا تبرز أهمية التعارف ، وضرورة اتصال المجتمعات الاسلامية وتضافرها قال الله تعالى : **« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم »** .

ويعمق الاسلام مفهوم الوحدة بأقوى رباط ينبغى ألا ينساه أحد ، ذلك هو رباط العقيدة الصحيحة التى ينتظم تحت لوائها كل المسلمين مهما تباعدت الأقطار ، واختلفت الاشكال قال صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ان ربكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا أحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر الا بالتقوى » رواه الامام أحمد فى مسنده . هذا.. وكثير من المجتمعات البشرية اليوم تعج بتيارات مختلفة تتبع غير سبيل المؤمنين من شيوعية ووجودية وماسونية وقاديانية وبهائية وما الى ذلك ، ونتيجة تلك التيارات وعاقبة من يتبعها قد بينتها الآية الكريمة : **« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »** . وكل هذه التيارات وما تنفثه من سموم فكرية ومؤامرات وأباطيل ، وما تدفع به من موجات تحليلية فى المحيط الاسلامى — بغيا وعدوانا ، وتخطيطا على مدى بعيد لاضعاف شوكة المسلمين ، وفرقتهم واختلافهم ، ومحاولة فصلهم عن بعض ليتحقق هدف الاستعمار وأعداء الاسلام .

فكيف اذا نواجه تلك التيارات وننتصر عليها ؟ وكيف نصون أمتنا من هذه الخلافات والتصدعات ؟ ان ذلك انما يتمثل فى الوحدة الاسلامية ، وفى جمع كلمة المسلمين

وتوحيد صفهم ، ونبذ الخلافات جانبا ، وتصفية القلوب ، والاستجابة لله وللرسول ، والسير على هدى الكتاب والسنة ، والبعد عن الوقوع فى الفتن .

انهما جانبان : الأول عملى تطبيقى يتمثل فى الاستجابة لله والرسول اذا دعانا لما يحيينا واتحاد المسلمين فى شتى الاقطار الاسلامية على كلمة الحق والعدل .

والثانى : وقائى وهو أن نتقى الوقوع فى الفتن ونصون الفرد والجماعة والأمم والشعوب من الوقوع فيها أو الانحراف فى تياراتها .

وحتى يكون لدينا يقين مطلق بنتيجة ذلك ضرب القرآن الكريم لنا المثل واضحا ، وبين الطريق الى القوة بعد الضعف ، والكثرة بعد القلة ، والامن بعد الخوف ، والنصر الكامل الشامل والرخاء والرزق الواسع فقال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون ، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب »** .

فيا أمتنا الاسلامية ، يا خير أمة أخرجت للناس ، حى على الفلاح والوحدة الاسلامية ، حى على الوفاق والاصلاح والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الدكتور احمد عمر هاشم

المقالات التى لا تنشر لا تلتزم ادارة المجلة بردها .

ادارة المجلة

الهجرة والقرن الخامس عشر الهجري

للأستاذ/ أحمد عبد الرحيم السايح

الرسالة الاسلامية جاءت استجابة لصرخة الحق وهو ينادى من يأخذ بناصره من العادين عليه • وكانت استجابة لأنين الانسان عبر القرون وهو يشكو ظلم الانسان وصلفه وغروره • ولقد كانت مكة تسع الناس كل الناس من أهلها والوافدين عليها • ولكنها ضاقت يومذاك برسول الله وبالمسلمين الذين التفوا حول الرسول الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام • ليصوغهم بالقرآن الكريم صياغة اسلامية ، يواجهون بها الباطل اليوم وغدا ، على كل أرض من وتحت ظل كل سماء • وكانت عناية الرحمن ترعى الرسول الكريم وتحيط به وتلازمه • وعندما أجمع المؤتمرون فى دار الندوة على التخلص من الدعوة الاسلامية ورسولها محمد صلى الله عليه وسلم ، أذن الله لنبيه فى الهجرة من مكة الى المدينة وليس ذلك فرارا من الموت أو طلبا للنجاة وانما ليرسى قواعد الحق فى أرض خصب فكر أهلها ، ويقيم دولة الاسلام فى مدينة تفتح أهلها لنور الايمان ، ولهذا كانت هجرة الرسول الأمين محمد صلوات الله عليه ، وهجرة أصحابه الذين نهضوا بايمان صادق ، ووفاء بحقوق الدين •• تعد تحولا خطيرا فى تاريخ الانسانية معبرا بوضوح عن تحرك الخير ، نحو الهدف الأسمى ومعربا عن فاعلية قوة الحق . دون ملل أو كلل ••

فى اطار قابل للتكيف حسب منطق العصر .

والهجرة حركة رائدة غيرت مجرى التاريخ ، وأعطته مددا ثرا من ماء الحياة يسقى ومع السقى خصب ويروى ومع الرى نماء ، ويعطى ومع العطاء قوة فى العلم والاخلاص والبناء .

ومن هذا المنطق .. كانت الهجرة حركة اسلامية عظيمة ، فى توطيد دعائم الاسلام ، وتثبيت ركائز الأخوة ، وبناء الجماعة الاسلامية التى أخرجت للناس لتكون خير أمة وحلقة بارزة من حلقات سير الدعوة الاسلامية فى طريقها الشائك المرير .

وتحمل الهجرة فى معانيها .. سمات التجدد والبناء ، والعظمة الشامخة ، والقوة الصامدة ، والنور المضىء ، والأمن المطمئن ، ومراقى العلا والسمو ، وبرد اليقين ، ونفحات الهدى ، وحرارة الايمان .

وذكرى الهجرة دافع قوى للأمة الاسلامية فى مقاومة الالحاد ، والمذاهب الهدامة التى تكالبت مسعورة على نهش القيم والفضائل ..

والهجرة تجىء بعد ثلاثة عشر عاما ، يدعو فيها الرسول الأمين الى الاسلام ويتحمل هو وصاحبه ألوانا من العذاب ، والتشتت ، والحرمان ..

وللهجرة دوافع وأسباب كثيرة نجملها فيما يلى : —

أولا : اشتداد الأذى بالمسلمين .. قال تعالى : « **ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . واذا مروا بهم يتغامزون . واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين . واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون . وما أرسلوا عليهم حافظين** » (١) .

وقال تعالى : « **قد نعلم انه ليحزنك الذين يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات**

---

(١) سورة المطففين آية ٢٩ ــ ٣٣ .

الله يجحدون · ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين » (١) ·

ولما أسلم نفر من أهل مكة ، واتبعوا رسول الله صلى الله وسلم ، وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم ، بالضرب ·· والجوع ، وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر ·

وكان بلال بن رباح ، صادق الاسلام طاهر القلب ، وكان أمية ابن خلف ، يخرجه اذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ·· ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى ·· فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحد أحد (٢) ·

وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وأبيه وأمه ــ وكانوا أهل بيت اسلام ــ اذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

« صبرا آل ياسر · موعدكم الجنة » فأما أمه فقتلوها وهى تأبى الا الاسلام (٣) ·

ثانيا : اشتداد الأذى على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم حيث أن الرسول لم يسلم من ايذاء المشركين فنالت قريش من رسول الله من الأذى ، ما لم تكن تناله منه فى حياة عمه أبى طالب ··

فخرج رسول الله ومعه زيد بن حارثة الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة منهم من قومه ورجاء ان يقبلوا منه ماجاءهم به من الله عز وجل ، لأنهم كانوا أخواله ·· ولكن الرسول وجد من هؤلاء صدودا واعراضا ، وأذى ·

---

(١) سورة الانعام اية ٣٣ ـ ٣٤ ·
(٢) سيرة ابن هشام · الجزء الاول · ص ٢٠٩ ·
(٣) سيرة ابن هشام · الجزء الاول · ص ٢١١ ·

ثالثا : بيعة العقبة الأولى ، وبيعة العقبة الكبرى •• وكانت البيعتان، تتمان عن الايمـــان الصـــادق ، والغراس التى بدأت تؤتى ثمارها •

فقد كانت البيعة الأولى عـــلى الايمان بالله وحده ، والاستمساك بفضائل الأعمـــال ، وقد تمت مع نفر من الخزرج ، كأنوا بعد البيعة طليعة الدعاة الى الاســـلام فى يثرب •

أما بيعة العقبة الكبرى فقد بلغ فيها الايمان أوجه •• حيث جـــاء سبعون نفرا من يثرب ، مؤمنـــين أشد الايمان بالله ، وبالحب فيه ، والأخـــوة على دينـــه ، والتناصر باسمه ، ونص البيعة كما قال عبادة ابن الصامت ، وكان من النقبـــاء • قال : بايعنا رســـول اللـــه بيعـــة الحرب و بايعناه عـــلى الســـمع والطاعة ؛ فى عسرنـــا ويسرنـــا ، ومنشطنا ومكرهنا ، وأثره علينا ، والا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم (١) •

وبهذا الحلف الجديد • انفتـــح لرسول الله ، والذين معه من أهل الايمان باب الرجـــاء ، فى حريـــة الدعوة ••

رابعا : تآمر قريش على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن معه •• قال تعالى : « **وإذ يمكر بك الذين كفـــروا ليثبتـــوك أو يقتلـــوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » (٢) •

بعد بيعة العقبة الكبرى ، ومـــا كان فيها من نصرة الاسلام ، ومنعة أهله ، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يلحقوا بالأنصار بيثرب ، عـــلى أن يتركـــوا مـــكة متفرقـــين ، حتى لا يثـــيروا ثائرة قريش عليهم ••

وبدأ المسلمون فى الهجـــرة الى يثرب فرادى ، وقد فطنت قريش للأمر ، فحاولت أن تـــرد كل مـــن

---

(١) ابن هشام • الجزء الثانى • ص ٣١١ •
(٢) سورة الانفال آية رقم ٣٠ •

استطاعت رده الى مكة ، لتفتنه عن دينه ، أو لتعذبه ، وتنكل به ، وبلغت من ذلك أنها كانت تحول بين الزوج وزوجه ، وأنها كانت تحبس من تستطيع حبسه ممن لم يطعها .

وكانت قريش تحسب لهجرة النبى الى يثرب ألف حساب .. فقد كانت تخشى كثرة المسلمين بالمدينة ، فاذا لحق بهم محمد ، كان ذلك قوة للمسلمين ، تهدد دعاة الوثنية واذا بقى محمد بمكة ، وحاولوا منعه من الخروج منها . فهم معرضون لأذى أهل « يثرب » فلم يبق الا التآمر على قتل محمد ، وأحكمت المؤامرة فى دار الندوة ، ولكن عناية الله كانت تلازم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وترعاه وتحيط به .. وقد أذن الله له فى الهجرة ، ليغرس شجرة الاسلام فى تربة تساعد على النمو . ولا تعرف أحدا أحق بنصر الرحمان ، وأجدر بتأييد الله من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لاقى فى سبيل الدعوة ما لاقى .

ولكن التأييد الالهى ، لا يعنى أبدا التفريط فى أسباب الحياة ، وترك العمل ، والأخذ بالأسباب ..

ولهذا أحكم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، خطة الهجرة ، فلم يبق بمكة الا عليا وأبا بكر ..

أما على فقد نام على فراش الرسول ، وتغطى ببردة الرسول ، وكان صلوات الله وسلامه عليه ، قد أمر عليا أن يتخلف عنه بمكة حتى يؤدى الودائع التى كانت عنده للناس ، حتى اذا أفرغ منها لحق برسول الله ..

أما أبا بكر فقد خرج مهاجرا مع رسول الله ، بعد أن أعد للهجرة ما يلزمها ، وانتهى رسول الله ، وأبو بكر فى الغار ليلا ، وأقاما فيه ثلاثا ..

ورغم الصعاب ، ووعورة الطريق .. وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكلها أفراح ، والانصار يتسابقون فى الاحتفاء بالنبى الأمين ، وتكريمه .

وبدأ صاحب الرسالة الكبرى . يضع خطوط المجتمع الاسلامى ،

ويرسم له قواعد السلوك والأخلاق •• وكان الاخاء العملى الذى قضى على كل الوان العصبية، ليتفرغ المسلمون الى مزاولة الشعائر الاسلامية ، وتطبيق أحكام القرآن الكريم ، وتعاليمه •

ومن المدينة الاسلامية ، قاعدة انطلاق الدعوة •• استطاع النبى أن يرسل كتبه الى الملوك والرؤساء ، يدعوهم الى رسالة الاسلام ••

وفى الدولة الاسلامية •• أعد المسلمون عدتهم ليكونوا قوة رادعة لكل أفاك أثيم ، ولا يمكن أن تهتم أمة باعداد القوة •• ثم تظلم من جيرانها ••

وفى الهجرة دروس مستفادة •• يمكن أن يكون فيها عظات بالغة لمن كان له قلب وعقل وتجمل بعض هذه الدروس فيما يلى :

أولا : كتم الأسرار ، والمحافظة على سير الأمور ، فى نطاق التخطيط الدقيق ، القائم على الايمان بالله وتفويض الأمر اليه وحده ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يطلع أحدا على مسيرة الهجرة •• الا من لهم صلة ماسة بها ، ولم يتوسع الرسول فى اطلاعهم الا بقدر العمل المنوط بهم ••

ثانيا : الاعتماد على الله ، مع الأخذ بالأسباب • قال تعالى : **« الا تنصروه فقد نصره الله اذا أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذا يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » (١) •**

ثالثا : الايمان هو دليل الفاعلية والحركية ، وذلك أن الايمان هو الروح التى تحرك الجسد ، فتبعث فيه الحياة ، وعندئذ تكون النفوس مستعدة لتحمل المسئوليات والتضحيات • ولابد للمؤمنين من الاختبار والتمحيص •• لأنه هو

---

(١) سورة التوبة آية ٤٠ •

الثمن الــذى تعز به العقيــدة فى نفــوس المــؤمنين • والعقــائد الرخيصة التى لا يؤدى أصحابها تكاليفهــا لا ليعــز عليهم التخلف عنها • والشدائد دائما تستجيش مكتون القوى ، ومد خور الطاقة ، وتفتح فى قلب المــؤمن ، منــافذ ما كان يعرفها المســلم الا تحت مطارق السدائد ••

رابعا : الأخوة الاســلامية ، القائمة على العقيــدة •• أخــوة لا تعتــرف بالقوميــات ، ولا بالجنســيات تلك الأخــوة التى جمعت المسلمين فى جامعة اسلامية واحدة ••

خامسا : الدستور القائم على كتاب الله ، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم •• وكتاب اللــه هو ميزان الحق •• حتى لا تحتاج الأمة الاسلامية فى مســيرتها فى الحياة الى تجارب الأمم وأفــكار ســماسرة القوانين الوضــعية ، والمذاهب الهدامة ••

وقد أثبت التاريخ والتجربة • أن كتاب اللــه خــير حــكم بين الناس •• ولم يعد المســلمون فى حاجة الى تجارب أنظمــة البشر التى تواضع الناس عليها ، وكم من الدروس يمكن أن يستقيها المسلم من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم •• ففيها مثل حية للثبــات والصبر والعزم ، والصمود وفيها : نمــاذج فريــدة فى البطــولة والتضــحية ، ونكــران الــذات والفداء •• وفيها : عمــل منظم وتخطيط مركز ، ودراسة واعية ، واحاطة تامة •• وتعــاون كامل ، واخاء شامل ، وايثار بالغ ، ووحدة رائعة ، وعزة ، واباء ، وكــرم ، ووفــاء •

والأمة الاسلامية وهى تتطلع الى غد مشرق فى مطلــع القــرن الخامس عشر الهجرى جدير بهــا أن تعرف مكانها فى هذه الارض ، وتعنى قدراتها وتعمل على جمــع كلمة أبنائها • فقد بلغت مخططات اللؤم والحقد على الاســـلام والمســلمين غايتها • وما نراه من تمزيق لمجتمعــات المســلمين ، وتشتيت لشعوبها ، وقضــاء على

مواطن القوة الأصـــلية فيها ، وانتقاص لاقطار الاســـلام من أطرافه ، وابتلاع لبعض أقاليمه ، واجهاز على حركته من داخلـه ، لأكبر دليـل على أن المجتمعـات الاسـلامية تقع فريســـة لتآمر رهيب ، وتخطيط ماكـر ، وتكالب مسعور •

ولذلك تعـانى مجتمعاتنا دبيبا عاتيا على النفوس يرهقها ويحاول تجريـدها من مقـومات الذات وعناصر الوجود ، ومن المؤسـف والمحزن الا نتنبه لهذه التيـارات المدمرة والمغرضة ، فنبيع أنفســنا لهذا أو ذاك أو نحـاول أن نرضى هذا وذاك على حســاب عقيدتنا ومبادئنا وسلوكنا ونظامنا •

اننا نملك المبادىء الاسـلامية التى تجعلنـا خـير أمة أخرجت للناس ، ونملك حيـزا جغرافيـا يجعلنـا أفضـل قـوة عرفتهـا الانسانية • ولدينـا من المـوارد والمـواقع ما يمكننا من اغنـــاء الحضارة الانسانية ، وانتشـال البشر من وهدة الضياع ، وازالة الاصفاد التى تقف فى وجه تقـدم الانسانية نحو الخير والاطمئنان•

وهجرتنا فى القـرن الهجـرى الجديد هى أن نعود الى الاسلام نستعيد المجد والقـوة والوحـدة والعدالة ، ونحقق أمل الانسـانية فى قيام الحق ، ونشر الســلام والأمن •

أحمد عبد الرحيم السايح

هجرة خاتم النبيين

للأستاذ / أحمد علي منصور

عندما يطل على الأكوان هـلال شـهر الله المحرم ، من كل عام هجرى ، يحمل الى المسلمين ، فى مشـارق الأرض ومغاربها ، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، ذكرى كريمـة ، هى بحـق من أحسن الذكريات الى نفوسـهم ، وأحبها الى قلوبهم ، لأنها تتصـل بخاتم النبيين ، وامام المرسلين ، ورحمة الله تعالى للعالمين ، سيدنا ومولانا (محمد) صلوات الله وسـلامه عليه ، وعلى آله وأصـحابه ، والتابعين لهم بأحسـان ألا وهى ذكرى هجرته عليه الصـلاة والسلام ، من مكة المكرمة ، أحب بلاد الله الى الله والى رسـوله ، وموضـع مولده الشريف ، وموطن عشـيرته وأهله ، والبلد الامين ، الذى اتصل فيه بعالم القدس والملأ الأعلى ، وتلقى فيه رسـالة ربه ، على يد أمين الوحى جبريل عليـه السلام .

الى المدينة المنورة ، عنـد السابقين الأولين من الأنصـار ، الذين أشربت قلوبهم حب الدين ، وامتلأت أفئدتهم باجـلال سـيد الأولين والآخرين ، واسـتعدوا للدفـاع عنه ، والقتـال دونه ، وباعوا أنفسهم وأموالهم فى سبيل الله ، حتى صـاروا جديرين بقول الله عز وجل فى شأنهم ، بسـورة الحشر : **(والذين تبـوءوا الـدار والايمان من قبلهم ، يحبـون من هاجـر اليهم ، ولا يجـدون فى صـدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم**

خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

والحق أن حادث الهجرة النبوية الكريمة ، حادث عظيم غير مجرى التاريخ ، وكان له فى الاسلام ، وحياة المسلمين ، على توالى الأيام والسنين ، أروع الآثار ، لأنه يصور معركة عنيفة بين الحق والباطل ، والايمان والكفر ، والهدى والضلال ، والعدل والظلم ، والرشد والغى ، والنور والظلام ، والاستقامة والفجور ، وبين عدد قليل من السلف الصالح ، سلاحهم الحجة والبرهان ، والانصاف واليقين ، وبين عدد كبير من الكفار والمشركين ، جاوزوا المدى فى ظلمهم ، ووضعوا أصابعهم فى آذانهم ، حتى لا تنفذ اليها الموعظة ، والأغطية على عيونهم ، حتى لا تبصر نور الاسلام .

ومن خلال الهجرة المحمدية الشريفة ، تتمثل أمام النفس صورة الحق ، يكاد يغلبه الباطل ، ويتركه على الأرض مهزوما ، لا يقوى على قتال ولا نضال ، ولكن نفحة من السماء تهب فاذا بالحق ينهض ، واذا به يقاتل ، واذا به ينتصر ، واذا بالباطل صريع ، وأهله فى الهالكين ، ولهم قلوب لا يعقلون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون .

وان حديث الهجرة ، حديث متشعب الأطراف ، متعدد النواحى ، يتجه الفكر فيه الى جوانب متنوعة ، تتصل بأشرف الخلائق أجمعين ، ونبينا الصادق الأمين ، الذى طلع نوره بالبلد الحرام ، وظهرت لمولده العظيم الآيات البينات ، ووجده مولاه يتيما فآواه ، وضالا فقيرا فهداه ، وعائلا فقيرا فأغناه ، وشرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، وأرسله بالهدى ودين الحق ، بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فقام فى مكة وحيدا فريدا يدعو الى الله ، ولم تلبث دعوته أن عمت مكة ، ثم امتدت حتى شملت الجزيرة ، ثم اتسعت حتى بلغت أقصى الأرض ،

فكانت أكبر من الأرض ، فانتشرت فى الزمان ، وستبلى الأرض ، ويفنى الزمان ، والدعوة المحمدية خالدة باقية .

ويتصل حديث الهجرة بالقرآن العظيم ، الذى نزل به الروح الأمين ، على قلب الشفيع يوم الزحام فى المذنبين ، بلسان عربى مبين ، ليخرج الناس من ظلمات الشرك والضلال ، الى نور الايمان واليقين ، وتحدى به الانس والجن ، على أن يأتوا بمثله فعجزوا ، وضمنه من القواعد والأحكام ما يضمن للناس سعادة العاجل والآجل ، وكفل العلى القدير ، لهذا التنزيل الحكيم البقاء ، لأنه ينمو من نفسه كما ينمو الحى ، ويضىء من ذاته كما تضىء الشمس ، ويتجدد على مر الدهور والعصور من طبعه كما يتجدد الربيع ، ويهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه تنزيل من حكيم حميد .

ويتصل حديث الهجرة بالاسلام ، ذلك الدين الحق الخالد ، الصالح لكل زمان ولكل مكان ، ولهذا رضيه الله العلى العظيم لجميع خلقه ، وأمر المكلفين أبيضهم وأسودهم باتباعه ، لأنه دين العدالة والحرية ، والحضارة والمدنية ، والكفيل بسعادة الانسانية ، والقائم على نظام يجعل الكون كله أسرة ، والناس جميعهم أخوة ، تجد فيهم الغنى ولا تجد المحروم ، وترى بينهم القوى ولا ترى المظلوم ، لأنه أنشأ بين الغنى والفقير سببا هو البر ، وأوجد بين القوى والضعيف نسبا هو الرحمة ، وجعل من أصحابه قوما هم خلاصة البشر ، وغاية ما يكون السمو الانسانى ، يرضون لله ، ويغضبون لله ، دليلهم الدين ، وقانونهم هدى سيد المرسلين ، وشعارهم شعار المتواضعين ، وعيشتهم عيش الزاهدين ، وعملهم عمل الصالحين ، وحكمهم حكم العادلين ، وفتوحهم فتوح الجبارين ، ثم هم من قبل ومن بعد سادة للناس أجمعين .

ويتصل حديث الهجرة بحالة العالم قبل الاسلام ، التى كانت

تقطع القلوب أسى ، وتملأ النفوس حسرات ، حتى ان المـــؤرخين فى الشرق والغرب ، لم يجدوا اسما يصـــــور هذه الحالة ، ويقربها للأذهان ، الا لفظ الجاهلية ، لأن الناس حينــذاك كانوا فى جاهليـــة جهلاء ، وضلالة عمياء ، وغى موف بأهله على النار .

وكسرى فى الفرس يحكم بالقوة والعنف ، وهرقل فى الــروم يملك بالنار والحـــديد ، وبين الفــرس والرومان ، حرب دائمة أو شبـــة دائمة ، ذهبت بقوة الغالب منهمـــا والمغلوب ، والناس هنا وهنــــاك يسامون سوء العذاب ، ويساقون سوق المواشى والأنعام ، يقضون سحابة يومهم ، وهزيعا من ليلهم، فى العمل المتواصل ، تحت أشـــعة الشـــمس المحـــرقة ، والبـــرد والزمهرير ، والويـــل لمن يرفـــع صوته ، مطالبا بحقه فيما عمل .

وجزيرة العـــرب على حـــافة بركان ، ولا تنطفىء فيهـــا نيران الحروب ساعة من نهار ، وأصنام معبودة ، وبنات موءودة ، وأرحام مقطوعة ، وميسر وقمار ، وليس هناك دين يجمع الكلمة ، ويوحـــد الصفوف ، ولا حاكم يرفع منـــار العدالة والانصاف ، ويضرب عـــلى أيدى الظـــالمين ، ويأخذ بحـــق المظلومين . وبهـــذا وبغير هـــذا صارت الحياة فى الشرق والغـــرب جحيما لا يطاق .

ثم تجلى الله العلى العظيم على الورى ، ولكل بداية نهاية ، فأرسل اليهم الرحمة المهـــداة ، وخير من حملته الغبراء ، وأظلته الســـماء ، فهداهم الى الحق ، والى الصراط المستقيم ، ورفع منـــار العـــدالة والانصاف ، والحرية والمســـاواة ، وقرر فى النفوس أن أكرم النـــاس عند الله أتقاهم له ، فلا نزاع ولا خصام ، ولا فسوق ولا طغيان ، ولا ظلم ولا عـــدوان ، بـــل حب وسلام ، واخاء ووئام ، وحيـــاة ملؤها العزة والكرامة ، والسعادة والرفاهية ، لكل من تظلـــه رايـــة الدين الشريف ، ويسلك سبيل قائد الغر المحجلين .

وهنا طابت الحيـــــاة ، وغدا الانسان حرا كريما بكرامتـــه ، فى

نفسه رضا ، وفى قلبه طمأنينة ، وفى روحه شعور جديد بالكون وخالقه العزيز العليم ، وشعور قوى بامام الهدى وسيد البشرية المطاع ، وحاكمها العادل ، ورئيسها الأمين المأمون . وشق الاسلام طريقه الى القلوب وشرعت العقول تفكر ، والنفوس تستبشر ، والأمن يضرب برواقه على الوجود ، وفى كل مكان عدل ، وفى كل نفس راحة ، وفى كل قلب طمأنينة ، وفى كل فؤاد ايمان ، وفى كل ضمير سعادة وأمل .

ويتصل حديث الهجرة ، بالأمة الاسلامية ، التى جعلها الله عز وجل خير أمة أخرجت للناس ، لأنهم يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ، وحملوا مصباح النور حين عم الكون الظلام ، وأرشدوا العالم الى بر السلامة وشاطىء النجاة ، حين تاه فى عباب الجهل ، حتى أمسى تاريخهم تاريخ الكمال الانسانى على وجه الأرض ، وتهاوت أمامهم تيجان الملوك والحاكمين ، وزلزلوا عروش الجبابرة والطاغين ، ونهضوا نهضة الأسود ، يحملون بأيمانهم نور القرآن العظيم ، يضيئون به للشعوب طريق المجد فى الدنيا ، والسعادة فى الأخرى ، وبيسراهم السيوف ، يردون بها الضالين الى طرق الحق والرشاد .

هكذا تكون الذكريات العاطرات ، وهكذا يبقى حديث الهجرة النبوية الكريمة جديداً على مر السنين والأعوام ، وسيستمر الكلام عن هجرة خاتم النبين طريفا ، على امتداد الشهور والأيام ، وسنحس النداء يتردد صداه فى كل قلب ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها : كنت يا أشرف الورى للانسانية كلها خيرا وبركة، وكنت يا رسول الله للعالمين هدى ورحمة ، وأنت يا امام الهدى مثال الانسانية الكامل ، وأنت ياحبيب الرحمن الجامع لأشتات الفضائل، وكان فضل الله عليك عظيما ، فأفاض عليك ما شاء ، وأفضت على الناس مما هم فى حاجة اليه ،

ورسمت للمصلحين أوضح طرق الاصلاح ، ووضعت للمشرعين أكمل قواعد التشريع ، وأبنت للعلماء أروع نظم الكون ، وأوضحت للخلق كيف يكون الامام العادل ، والرئيس المنصف ، والقائد المنصور ، والاجتماعي الحكيم الذي يضم القلوب المتنافرة ، ويطهر المجتمع من المفسدين .

ولقد كشف الغطاء عن أعين الأمم الاسلامية ، فأدركت ماجنته بالتفريط فى حق دينها ، وببعدها عن سلوك سبيل رسولها، وأدركت ما كان لسلفها الصالح ، من مجد عظيم يتغنى به المؤرخون ، كلما قلبوا صفحات التاريخ ، فى فجر الاسلام وضحاه ، فتطلعت اليه وتوثبت لأحيائه ، وفى الجو بارقة من الأمل ، فأننا قد أخذنا فى الرجوع الى أحضان الدين ، وشرعنا فى العمل بما جاء به خاتم النبيين ، وأمام المرسلين ، ووضح لنا أن العقل قد استنار ، وأن الفلك قد استدار ، وأن الاسلام الأغر ، الذى أنقذ الخليقة من ضلال كسرى أنو شروان ، ومن بغى قيصر الرومان ، جدير أن يخلصها اليوم من كل بغى وطغيان، وله من ديمقراطيته الأصيلة ، واشتراكيته المعتدلة ، وأخوته الشاملة ، مناعة من كل سوء ، وأمنة لكل جنس ، والله تعالى كفيل أن يظهره على الدين كله ، فان انتصاره انتصار للعقل ، وان انتشاره انتشار للعدل ، وان سيادته سيادة للسلام .

ولا يسعنا فى نهاية مقالنا ، الا أن نقدم للمسلمين بالمشارق والمغارب ، جميل تهانينا بالعام الهجرى الجديد ، مبتهلا الى الله جلت حكمته ، أن يجعل لنا فى كل ذكرى من ذكريات رسولنا الصادق الأمين ، عزا ومجدا ، وسعادة ورفاهية : فانه لا مانع لما أعطى ، ولا راد لما قضى ، وهو سبحانه ولينا ونعم النصير .

أحمد على منصور

بيعتا العقبة .. والطريق إلى يثرب

للأستاذ / رشدى محمد ابراهيم

عندما نقرأ سيرة رسول الله • — صلى الله عليه وسلم — ندرك أن الرسول عليه الصلاة والسلام علم منذ أول يوم نزل فيه الوحى • أنه ستأتى ساعة يغادر فيها مكة ، ويخرجه منها قومه ، فقد أخبره ورقة بن نوفل بذلك لما عرضت عليه خديجة — رضى الله عنها — أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال ورقة كما روى البخارى « هذا الناموس الذى نزله الله على موسى ، ياليتنى فيها جذعا ، ياليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — : « أو مخرجى هم •• ؟ » ، قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا » •

ولم يمهل القدر ورقة بن نوفل ، فعاجلته المنية •• ولم ينس رسول الله صلى الله عليه وسلم — أنه ستأتى ساعة يترك فيها محلة ميلاده ، ومنبت أرومته ، لكنه لم يتعجل هذه الساعة وانما بذل الجهد فى النصح لقومه ما استطاع داعيا الى ربه ، مؤديا لرسالته •• وهيأ الله له من خديجة رضى الله عنها — الصدر الحانى والقلب العطوف •• فكانت تمسح عنه عناء ما يلاقى ، مواسية له بما تملك ، وما تستطيع •• حتى لقيت ربها راضية مرضية فى نفس السنة التى مات فيها عمه أبو طالب الذى كان مصدر الحماية للرسول عليه الصلاة والسلام •

وأدركت قريش ما أصاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم من حزن لموت زوجه وعمه ، فاهتبلت الفرصة ، وراحت تصب أذاها على الرسول والمؤمنين حتى ضاقت الحلقات واستحكم أمر قريش ، فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى الطائف فلقى من أهلها العنت أشد العنت ، فما كان منه الا أن عاد الى مكة ..

وتحدثنا كتب السيرة والاخباريون بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن عاد من الطائف أخذ يعرض نفسه على القبائل فى موسم الحج وفى أسواق قريش ، يدعو الناس الى الايمان بالواحد الأحد ، ونبذ ما توارثوه عن الآباء والأجداد ، وفى أثناء تجواله بين الوافدين الى مكة . كان عمه عبد العزى « أبو لهب » يتبعه وينادى فى الناس بألا يطيعوه ، وألا يسمعوا اليه ..

حتى اذا أراد الله الخير لنبيه ، ودينه ، كان لقاء النبى صلى الله عليه وسلم برهط من الخزرج فأعجب ستة منهم بما دعاهم اليه، فآمنوا به ، ورجعوا الى قومهم فأذاعوا الأمر بينهم حتى أصبح اسم النبى علما يجرى ذكره على لسان اليثربيين ..

واذا كان غار حراء هو المكان الذى تجلت فيه أنوار الهداية الالهية ، واتصل فيه نور السماء بالأرض .. واذا كان غار ثور هو المكان الذى تجلت فيه حماية الله للمهاجر الذى ترصده عيون الشرك وتتتبعه بوازى قريش لتفتك به ، فان هنالك بقعة من الأرض ميمونة الطالع ، فيها تجلت أنوار العقيدة وهى تشق طريقها الى قلوب اليثربيين ، هذه البقعة هى «العقبة» .. وتقع بالقرب من منى فى الطريق المنحدر من عرفات الى مكة ..

فى هذا المكان تمت بيعة العقبة الأولى — فى العام الثانى عشر من البعثة — حيث جاء من يثرب اثنا عشر رجلا ، فالتقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت المبايعة بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم — على الايواء ،

والنصر ، والسمع ، والطاعة .. ثم طلبوا منه أن يرسل معهم من يقرئهم القرآن ، ويعلمهم أمور دينهم ، فاختار لهم الرسول — صلى الله عليه وسلم — «مصعب ابن عمير » ليكون أول سفير للاسلام ، وأدى مصعب رسالته خير أداء ، وظهر أثر ذلك فى موسم الحج التالى حيث وفد على مكة ثلاثه وسبعون رجلا وامرأتان ، ومعهم مصعب بن عمير ، وتحت جنح الليل ، وفى حواشى ظلمته وسكونه اجتمع الرجال سرا عند العقبة ينتظرون رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حيث وعدهم .. ولم يطل الانتظار فقد أشرق عليهم ومعه عمه العباس — وكان لا يزال مشركا — غير أن حبه لابن أخيه جعله يرافقه ليتوثق له ولذا كان العباس أول المتكلمين فقال : « يا معشر الخزرج ، ان محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عز من قومه ، ومنعة فى بلده ، وانه قد أبى الا الانحياز اليكم ، واللحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون أنكم مسلموه ، وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده » .. فقال أهل المدينة للعباس : « قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ، ولربك ما أحببت » .. فدعاهم الى الله ، ورغب فى الاسلام ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . » فقام « البراء بن معرور » سيد القوم ، ومد يده الى النبى صلى الله عليه وسلم — قائلا له : « بايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر » .. فقاطعه « أبو الهيثم بن التيهان » قائلا : « يارسول الله ، ان بيننا وبين الرجال حبلا وانا قاطعوه — يعنى اليهود — فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ..؟» فتبسم رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

ثم قال : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم ، وأنتم منى ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم » .. ثم أمرهم أن يختاروا له من بينهم اثنى عشر رجلا يشرفون على المسلمين فى قومهم سماهم النقباء ، ورجعوا الى رحالهم فى ظلمة الليل دون أن يشعر بهم أحد .

بهذا تمت بيعتا العقبة الأولى والثانية كما روتهما لنا كتب السيرة والأخباريون .. وهما بلا شك .. مقدمة للهجرة ، ولذلك ازداد انتشار الاسلام فى المدينة عقب ذلك وأصبح المسلمون يتوقعون قدوم النبى صلى الله عليه وسلم اليهم ، ومبايعة العقبة الثانية بما دار فيها من حوار ، وما قاله كل من العباس ، والبراء ، وأبو الهيثم تدل دلالة قاطعة على أن محمدا صلى الله عليه وسلم انما كان يعد لساعة ما زالت فى ضمير الغيب آنئذ ، فاذا حانت رحل عن مكة وهاجر .. فهو من ثم لم ييئس أن قومه سيخرجونه منذ علم بذلك فى أول يوم لنزول الوحى .. ولعل سائلا يسأل ، لماذا كان أهل يثرب أسرع قبولا واستجابة لدعوة الاسلام من أهل مكة الذين يعيشون فى كنف البيت الحرام والذين دافع الله عنهم حين لم يكن لهم حول ولا طول أمام جند ابرهة .. ؟

ويجاب عن هذا التساؤل بما يأتى : —

أولا : ان اليهود فى يثرب كانوا يقولون بقرب ظهور نبى يؤمنون به ويقتلون الأوس والخزرج قتل عاد وثمود ، لذا سارع اليثربيون الى الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم حتى يسبقوا اليهود .

ثانيا : مخالطة أهل يثرب لأهل الكتاب جعلتهم عارفين بتفاصيل دين كتابى يخالف عبادات الجاهلية لذا وجدوا فى الاسلام تحقيقا لنبوءة ذلك الدين الكتابى كما كان أيضا لاتصال بعض أبنائهم كحسان ابن ثابت بالغساسنة فى الشام حيث النصرانية أثر فى نفوسهم مما جعلهم يسارعون الى الاسلام .

ثالثا : أن الحروب التى كانت

بين الأوس والخزرج والتى كان آخرها يوم بعاث فى العام السابق للعقبة الأولى ـ أضعفت صفوف اليثربيين ، ولما تم الصلح بين القبيلتين كانت آثار الضعف بادية عليهما .. ولذلك كانت القلوب مستعدة لتقبل عنصر جديد يصلح من شأنها .. فكان الاسلام هو بارقة الامل التى لاحت فى الافق فقضت على الفرقة وألفت بين القلوب ..

ثالثا : أثر تلك القرابة التى كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى النجار مما كان حافزا للايمان به .

رابعا : الدور الذى أداه سفير الاسلام « مصعب بن عمير » فقد كان له من الشخصية والقدرة على ابلاغ الدعوة ما جعله يصل الى مغاليق القلوب ، فيفتح أبوابها بيسر واقتدار .

خامسا : كان للبيئة الطبيعية أثرها فالمدينة سهلة ومكة صخرية ، لذا كان فى أخلاق أهل المدينة سهولة ويسر ، وفى طباع المكيين جفاف وشدة .

سادسا : حرص الزعماء من قريش على السيادة الدينية على سائر العرب .

سابعا : حقد السادة أصحاب الرأى فى أن يكون النبى هو محمدا خاصة لذلك جهدوا فى صد الناس عن دعوته مع تيقنهم من صدقه .

لهذا كله كانت المسارعة الى الايمان من أهل يثرب ، وكانت بيعتا العقبة الاولى والثانية أول عهد على طريق النور ودرب الايمان يقوم على النصر والمؤازرة

وبهذا كله كان الطريق أمام رسول الله ـ صلى الله عليهوسلم ـ الى المدينة معبدا .. حتى حانت ساعة الخروج ، وتحرك موكب النور تحت عين الله .. وكانت النقلة من مكة الى المدينة هى الحركة التى بها تحرك الكون كله ، ولها تغيرت مجريات الأمور ، ومجريات الزمن .

رشدى محمد ابراهيم

من نفحات الهجرة

للأستاذ / محمد أبو النصر غانم

رفت على آفاقها الرايات
وهمت على جنباتها الرحمات
تجلو مجاليها ، ويشدو نايها
وتطيب فى أجوائها السبحات
هذى مواكبها تطوف ، وفوقها
منح تزف ، ورحمة مهداة
أمل يراه المسلمون ، ومشهد
نزلت على أضوائه الآيات
ذكرى العقيدة والفداء تواكبت
فيها الحياة ، وطابت النفحات
الله أكبر ، ما أعزك هجرة
تبقى ! وكل الذكريات موات
مالى وللشعراء فى ساحاتها
جاه يكافئها ، ولا خطرات
فلتخشع الدنيا ، وعند رحابها
يقف اللسان ، وتعجز الكلمات
ياصاحب الذكرى ، وكم لك نفحة
عبقت بفيض عبيرها الجنات

أنا لســـت أنسى يـــوم قمت بمـــكة
تدعــو ، وقـــومك ظالمـــون طغـــاة
مــلك الضـــلال عقولهـــم ، وتحكمت
فى أمرهـــم « عزاهــم » و « منـــاة »
واستضـــعفوك بجهلهـــم وضـــلالهم
وصـــحوا على الشرك الغنى وباتـــوا
كم عذبوك عــلى هجـــير الصـــخرمظ
لـــوما ، ولم تظهـــر عليـــك شـــكاة
هـــم يغضـــبون لما تقـــول ، وأنت ير
ضـــيك العـــذاب المـــر والطعنـــات
ولكم مددت يديـــك تطـــلب رشـــدهم
فـــاذا بهـــم فى غيهـــم أمـــوات
قابلت جهلهـــم بحلمـــك راضـــيا
وتألقت فى وجهـــك البســـمات
ولكم أتى جبريـــل يطـــلب ما تـــرى
فيهـــم ، وفيهـــم ســـادة ورعـــاة
ويقول « لو شئت الهـــلاك دعـــوت ربك »
فاســـتجيبت عنـــده الدعـــوات
فـــيراك غضـــبان الجبين لمـــا دعـــا
ك ، وتلتقـــى فى عينـــك العبـــرات
وتقـــول « يارب اهد قـــومى انهـــم
لا يعلمون » وحســـبى الحســـنات
ما بعـــد عفـــوك يا رســـول اللـــه
عفـــو أو كمثلك فى الحيـــاة عفـــاة
بـــأبى وأمـــى ، يارســـول اللـــه يـــو
م التف حـــولك مـــذنبون عصـــاة

فى دارهم عقـــدوا الأكف عــلى الأذى
وتعــــددت للفتــــك مؤتمــــرات
حلفوا على الأصـــنام أن يقضـوا عليـ
ـك ، وأن تــروى بالـــدم الســاحات
وركبت ليـل البيد ، والكفـــار حــو
ل البيت ، لـم تهـدأ لهـم خطـــوات
سـهروا عليــك ، وفى قلوبهـم الـردى
وســــيوفهـم بأكفهـــم ظمئـــات
والجهـل يغلى ، والنفــوس غضـــوبة
والثـــورة العميــــاء ، والنـــزوات
والحمق ، والحقـــد الدفـــين تضرمت
منـــه عـــلى أكبـــادهم جمـــرات
وخرجت من بيت النبــوة ، والشــــبا
ب أمـــام بيتـــك أعـين يقظـــات
هاجرت منهـــا يا محمــــد تفتــدى
دنيـــا تضـــيىء بنــوره الفلـــوات
تمضى عـــلى وجـــد المحب ، ويحتـــو
بك الشوق ، والآمـــال ، والدعـــوات
وتقـــول « لولا أن أهلـــك أخرجـــو
نى مـــا خرجت » ومـــا همت دمعـــات
لكنـــه أمـــر الســــماء ، وسرهـــا
فيـــه لكل من اســـتجاب نجـــاة
يا أرض مـــكة ، كيف أنت ، وقـــد نـأى
عنك الهـــدى ، وهـوت بك العثـرات
هذا محمـــد راحـــلا .... وبقلبـــه
لـــك ذكريـــات بالهـــدى عطـــرات

كم راح يدعـو اللـه ، وهـو مهـاجر
والشـوق يقطر منـه والزفـرات
ويقلب النظـرات فى الأفـق البعيـ
ـد وفى الرحـاب ، وتنتشى القبـلات
الكون ، والليـل الوديـع ، وضـجعة الد
نيـا ، وصـمت البيد ، والخفقـات
والأفق ، والجبل الأشـم ، وخطـرة الأ
نسـام ، والأفـلاك ، والهمسـات
والـدار ، والوطن العـزيز ، وأهلـه
والكعبـة الغنـاء ، والحجـرات
ومقـام ابراهيـم ، والحـرم الحبيـ
ـب ، ومـا حـوى فى طهـره عرفـات
ومنى ، ومـا بـين الصـفا والمـروة ار
تسـمت بقـلب محمـد لوحـات
والعهد ، والأرض الوفيـة ، والهـوى
والهـدى ، والقـرآن ، والقبسـات
والرحمـة الكبرى تلـف الغـار فى
رفـق ، وجنـد الله فيـه حمـاة
وحمـائم نـامت لتحمى ضـيفها
هـل بعـد ذلك فى الحيـاة حيـاة
بـأبى وأمـى ، يـوم رحت ليثـرب
وعليـك من نـور الهـدى هـالات
واسـتقبلتك ، وأنت ضيف الله ، والسـ
ـهل انطـوى لخطـاك ، والربـوات
حفت بك الأنصـار فى فـرح ، وأشـ
ـرق باسـمك التـاريخ والصـفحات

وحدت بين المســـلمين ، فــلا هـــوى
يهـــوى بوحـــدتهـــم ، ولانزعــــات
قد كنت قائدهـــم ، وأمــــرك بينهـــم
شـــورى ، وجاهك عزمـــة وثبــــات
هـــذى مبادئـــك العظيمـــة ، قد بنت
شـــعبا ، بنـــوه للســـلام بناة
قد علم الدنيـــا ، وأصـــبح صـــوته
وحيـــا ، وهمس حديثـــه صـــيحات
علمتـــــه أن الجهـــــاد فريضـــــة
حتى يصـــان الحـــق ، والحـــرمان
وأقمت فيـــه العـــدل ، وهـــو شريعـــة
كبـــرى ، فـــلا تاج ، ولا طبقـــات
النـــاس مـــن أبنـــاء آدم كلهـــم
والأرض أمهـــم وتـــلك عظـــات
لا فـــرق بـــين الحـــاكمين وغـــيرهم
الا التقـــى للـــه والقربـــات
فاذا بوجهـــك كالصـــباح يروعهـــم
واذا بأعينهـــم عمـــى وســـبات
ناموا لكى تســـعى ، وأمـــر الله غـــلا
ب ، وأمـــــر الكـــافرين شـــتات
يا صـــاحب الذكرى ، وحبـــك دافعى
ألـــدى الا الشـــعر والســـجعات
فى كـــل عـــام لى اليـــك قصـــيدة
أعـــلو بهـــا ، وتهـــزنى الصـــبوات
لك يا رســـول اللـــه مـــا أغـــليت مـــن
نفسى ، وفيهـــا للهـــوى لمســـات

أرخصـــت فيك الــــروح ، وهى ضئيلة
وأتيت بابــك ، والأنــام غفـــاة
كم قد سهرت على هداك ، وعشـت فى
نجــواك ، والأشـــواق ملتهبـــات
لا يســعد العشـــاق فى خلواتهـــم
الا حــديث الليـل ، والهمســـات
أشكو لروحـــك جرأتى ، وقـــد انحنى
ظــلى ، وتـاهت فى الدجى الخطـــوات
وأقـــول ، من ذا مـا عصى ؟ ومن الذى
كانت قـــوام حيـــاتـه الطـــاعات
ان كـــان يـذنب ســـواى فلى عليـــ
ـك شـــفاعة ، ومـــودة ، وصـــلات
انى لجـــأت بـكل آثـــامى اليـــ
ـك ، وفى رحـــابك تســـتر الســـوءات
من كـــان محســـوب النبى تــذوب فى
ميـــزانه الآثـــام والهفـــوات

محمد أبو النصر غانم

من وحي ذكرى الهجرة

للأستاذ / محمد عبد الرحمن صان الدين

ردى الى الحيران نور صوابه
واستنقذيه من ضنى أوصابه
وتداركيه من نداك بقطرة
تروى أوام الروح بين اهابه
وبنسمة من نفح روضك علها
تسرى سلاما فى لظى أعصابه
العالم المفتون يركض لاهثا
فى الفقر خلف مضللات سرابه
ويهيم فى تيه الضلال فيجـ
ـدع الآلام والأحزان بين شعابه
المال ملك يمينه والعلم ملك
شماله والجاه تحت ركابه
يا ويحه ما باله يشكو الظما
وكئوسه ملأى بحلو شرابه
ما باله مستوحشا فى سربه
شرقا يغص بريقه ولعابه
قد غاص فى يم الآسى متهالكا
يطفو ويرسب فى أكف عبابه

مســــتنجدا مســــتمرخا لكنـه
يرتــد مرتكســا عــلى أعقــابه
عاف الــدواء وصـــد عن فلك النـــ
جاة فظـــل يحيـــا فى أليم عــذابه
ان الــذى قــد نــد عن مــدد الســ
ــماء وتاه فى الديجـور عن أســبابه
غــول الشـــقاء تنوشــــه حتى ولو
كانت ملـوك الجن من حجـــــابه
يا نســــمة الذكـرى الحبيبة أيقظى
وســـنان حــاك النــوم فى أهــدابه
أغضى الجفـــون على القــدى متبلد ال
احســـاس ليس بشـــاعر أو آبــه
ردى الى الرحمن عبــدا شـــــاردا
كالوحش يركض فى مســــارب غابه
وخذيه فى رفــق الطبيب الى الهـــدى
وقفيـــــه ممتثــل الفــؤاد ببــابه
فلعــله بعـــد التمـــزق والضنى
يجـــد الســـكينة فى ظلال رحابه
ولعــله يحظى من العيش المتــــاح
بسره الأســـمى وحلــو لبـــابه
من ذا الذى يثرى الحياة ســوى الذى
فطر الوجـــود بخصـــبه ويبابه
هــل ثم غــير الله عقـــل مــدرك
كنــه الحيـــاة بنبضـــها المتشـــابه

الاله نــور القلب فى ظـــــلم الوجــو
د فــلا يحس ولا يـــرى الا بـــه
الله رب الكــون شرع للحيـــــا
ة ســـبيلها الباقى عـــلى أحقـــابه
دنيـــــا ودين فى ظــــلال حكـــومة
محكـــومة من ربهـــا بكتـــــابه
تعنــو الجبـــاه لحكمـــه منقـــادة
لله لا لمـــدجج بحـــــــــرابه
لا الشرق باســــتبداده وجحـوده
كـــلا ولا الغــــرب المــدل بعـــابه
هــذا وذاك كلاهمــــــا متحـــلل
ركب الضــــــلال وتاه بين ضــبابه
وكلاهمـــا فى ضـــغنه ودهـــائه
حــرب عــلى الاســـلام فى محرابه
قــولى لمن تخــــذ الكرملين قبـــلة
متخشـــــعا يجثــو على أعتــابه
هـــل أنت الا آبـــق من سربـــه
متجـــرد من لــونه وثيــــــابه
هــل أنت الا مخلب مســـــمومة
للـــدب تصـــطاد الظبـــاء لنـابه
والماهــر الصــياد يرصــد صــيده
فيحـــوذه بمــــدربات كـــلابه
خـــدعوك يا مفتــون اذ قد صـــوروا
لك جـاحم الشــــيطان جنـــة نابه
فمضـــيت تقتحم البـــوار مخــــدرا
بســــلاف ماركس لا تعى لكـــذابه

وغـــدأ تفيـــق عـــلى خـــرائب مـــوطن
قـــد كنت معـــول هـــــــدمه وخـــرابه

وغدا سينكشف القناع فتبصر الشـــــــ
ـــيطان يســـــخر من ضنى أحبـــــابه
يأيهـــــا الـــداعى الى اللـــه الـــذى
لا عـــز الا بالتزام جنـــــــــــــــابه
أنت الذى غمـــر الضـــــــياء فـــؤاده
فمضى يحلـــق فى الســـــــــــما برغابه
وانعيش قـــــــد ذهـــب الغبى بقشره

وذهبت أنت بروحـــــــــه ولبـــــــابه
فاقرع بصـــــوت الحق أســـماع الورى
واكشـــــف عن الاســــلام رين حجابه
وارفع لواء نكســـــــــته يـــد التخـــا

ذل واحتـــــواه الـــذل فى أطنـــــابه
واصـــبر على كيـــــد الضـــــلال فطالما
شرب الدعـــاة الى الهـــدى من صــابه
والليـــل يعقبـــه صـــــــــباح مشرق

يمحـــو الظـــــلام بهـــوله وســـــحابه
فيعــــــــود للاســـــــلام وارف ظـــله
ويعـــود أمن النفس بعـــــد غيـــــابه
والعدل يكتنف الحيــــــــاة فيســـبح ال
انســــــان فى أمواج ضـــوء شـــــهابه

محمد صان الدين

حكم ... وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« تقشــــــــــف »

عندما زار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ مدينة حمص جاءه أهلها يشكون واليهم ، سعيد بن عامر ، وعابوا عليه خصال ثلاث : لايخرج اليهم حتى يتعالى النهار ، ولايجيب أحدا بليل ، ويعتزل الناس يوما فى الشهر ، ويسأل عن ذلك ، فيعلم أنه : يعجن كل صــباح خبزه ويخبزه بنفسه ثم يخرج ، وأنه جعل نهاره للناس وليله لله يعبده فيه ، وأنه يغسل ثيابه مرة فى الشهر وينتظر حتى تجف •

« عــذر مقبــول »

كان معاذ بن جبل عاملا لسيدنا عمر ــ رضى الله عنه ــ فلمـــا رجع ، قالت له زوجته : ما جئت به مما يأتى به العمــال الى أهليهم ؟ ــ وما كان قد أتاها بشىء ــ فقال لها : كان عندى ضاغط ، قالت :

كنت أمينا عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعند أبى بكر ــ رضى الله عنه ــ فبعث عمر معك ضاغطا ! وقامت بذلك بـــين نسائها ، واشتكت سيدنا عمر ــ رضى الله عنه ــ فلما بلغه ذلك ، دعـا معاذا وقال : بعثت معك ضاغطا ؟ قال : لم أجد ما أعتذر به اليها الا ذلك فضحك سيدنا عمر ــ رضى الله عنه ــ وأعطاه شيئا ، وقال له أرضــها به ، ومعنى قوله : « ضاغطا » يعنى : رقيبا ، وأراد به الله تعالى •

« أنتم أحق منى بالسؤال »

وقف سائل على باب قوم فقالوا له : يفتح الله لك •

فقال : كسرة •

قالوا : ما نقدر عليها •

قال : قليل من بر أو فول أو شعير •

قالوا : لا نقدر عليه •

قال : قطعة من دهن أو قليل زيت أو لبن •

قالوا لا نجــده •

قال : فشربة من ماء •

قالوا : ليس عندنا ماء •

قال : فما جلوسكم ، قوموا : فأنتم أحق منى بالسؤال !!

« جهاد عالــم »

استدعى المندوب السامى الفرنسى فى سوريا الشيخ عبد الحميد الجزائرى ، وقال له : اما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار ، والا أرسلت جنودا لاغلاق المسجد الذى تنفث فيه هذه الســـموم ضــدنا واخماد أصواتكم المنكرة •

فأجابه الشيخ قائلا : أيها المسيو الحاكم انك لاتستطيع ذلك !!

واستشاط المسيو غضبا ، وقال : كيف لا أستطيع ؟!!

قال الشيخ : اذا كنت فى عرس علمت المحتفلــين ، واذا كنت فى مأتم وعظت المعز ، وان جلست فى قطــار علمت المســـافرين ، واذا دخلت السجن أرشدت المسجونين ، وان قتلتمونى التهبت مشـــاعر المواطنين ، وخير لك أيها المسيو ألا تتعرض للأمة فى دينها ولغتها •

« من حكم سيدنا سليمان »

من حكم سيدنا سليمان ــ عليه السلام ــ لقومه : أوصيكم بأمرين : أفلح من فعلهما ، لاتدخلوا أجوافكم الا الطيب ، ولا تخـــرجوا من أفواهكم الا الطيب ! •

« عقـــوبة متكبر »

قال : تكبرت فى موضع يتواضع الناس فيه ، فأذلنى فى موضـــع وحوله خدم يمنعون الناس من الطواف حتى لايزاحمه أحد !!

ثم مرت سنين ، فرأيته بجسر الرصافة يسأل الناس !

فسألته : ماذا جرى عليك ؟

قال : تكبرت فى موضع يتواضـــع الناس فيه ، فأذلنى فى موضـــع يتكبر الناس فيه •

« العاقل والأحمق »

العاقل : اذا أحبك بذل جهده فى المودة والنصرة ، واذا أبغضك رفع عن الظلم قدره ، واذا أحسنت اليه اعترف وشكر ، وان أسأت اليه ستر واعتـــزر •

والأحمق : اذا قربته تكبر ، واذا أبعدته تكدر ، وكلما رفعت من قدره درجة انحط من قدرك عنده درجة !!

« توجيه للمعلم »

قال عمر بن عتبة لمعلم ولده : ليكن أول اصلاحك لولدى اصلاحك لنفسك ، فان عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صـــــنعت ، والقبيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ، ولا تملهم فيه فيتركوه ، ولاتتركهم منه فيهجروه •

وروهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفه ، ولا تنقلهم من علم الى علم حتى يحكموه فان ازدحام الكلام فى القلب مشـــــغلة للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء ، وجنبهم محادثة النساء ، ولا تتكل على عـــذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك قال الشاعر :

وان مــن أدبتـــه فى الصــــبا
كالعود يسقى الماء فى غريســـــه
حتى تــــراه مـــورقا نـــاضرا
بعد الــذى أبصرت من يبســــه
ما تبلــغ الأعــداء من جاهـــل
ما يبلغ الجاهـــل من نفســـه

« من أكرم الناس ؟ »

قيل لجمعة بن رافع الدوسى : من أكرم الناس ؟

قال : من اذا قرب منح ، واذا بعد مدح ، واذا ظلم صفح ، واذا ضــويق سمح .

« ألك حاجـــة »

خرج على بن الحسين يوما من المســجد . فســـبه رجل فانتدب الناس اليه .

فقال : دعوه وأقبل عليه ، قائـــلا : ماستره الله عنك من عيوبنـــا أكثـــر !!

ألك حاجة نعينك عليها ؟

« الرفعة عند الله »

قال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ « ابتغوا الرفعة عند الله » .

قالوا : وما هى يا رسول الله ؟

قال : « تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتحلم عمن جهـل عليـــك » .

« صدق رسول الله »

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفتاوى

الاستاذ عبد الحميد شاهين

س : ما حكم الشرع فى حلق اللحى ؟

ج : من الظواهر المحمودة بخاصة بين الشباب المسلم اللحى التى تشرق بها وجوههم ، اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم واحياء لسنته • وتعبيرا عما تختلج به جوانحهم من ايمان صادق ، مؤملين أن يكون الاسلام فى حياة المسلمين عقيدة وشريعة ، قولا وعملا ، عبادة وقيادة • ينم ظاهر المسلم فيه عن باطنه ، ويكون سلوكه تعبيرا حقيقيا عن باطنه « فليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » •

ولكن صحب هذه الظاهرة الطيبة أمر يثيره البعض ــ بحسن نية أو بسوء نية ــ ألا وهو الجدل حول حلق اللحى !! هل هو حرام أم مكروه ؟ وما يتبع ذلك من اثارة للشحناء والبغضاء والتفرقة بين القلوب !! مع أننا نهينا عن ذلك نهيا شديدا •

ومنعا لذلك كله وشفاء لما فى الصدور ، وبيانا للحق ، وقطعا لدابر الفتنة ، نورد فتوى فضيلة الامام الشيخ محمود شلتوت رحمه الله تعالى فى الموضوع فيما يلى :

آراء الفقهاء :

« تكلم الفقهاء فى حلق اللحى ، فرأى بعضهم أنه محرم ، ورأى آخرون أنه مكروه ، ومنهم من شدد فوصفه بأنه من « المنكرات » وبأنه « سفه وضلال أو فسق وجهالة » •

ونحن لا نشــــك فى أن ابقاءها وعدم حلقها كمــا كان شأن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان يأخذ من أطرافها وأعــلاها بمــا يحسنها ، ويجعلها متناسبة مــع تقاسيم وجهه الشريف ، وأنه كان يعنى بتنظيفها وتخليلها بالمــاء ، عملا على كمال النظافة •

وكان الأصحاب رضــوان الله عليهم يتابعونه فى كل ما يختــاره وييســر عليه ، فى مظهره وهيئته ، حتى مشيته •

من سنن الفطرة :

وقد وردت عنه صلى الله عليه وســلم أحاديث ترغب فى توفيرها ضمن أمور تتصــــل كلها بالنظافة وتحسين الهيئة واظهــار الوقار ، وعرفت تلك الأحاديث عند العلماء بأحــاديث « خصــــال الفطــرة أو ســـننها » والكلمة تعنى الآن الأشياء التى تتفق وخلق الانسان فى أحسن ما شاء من الصور ، وكان من هذه الخصال الواردة مع اعفاء اللحية فى تلك الأحاديث (السواك ، وقص الشارب والأظافر ، وغســل البراجم ، وهى عقد الأصــــابع ومعاطفها ، واستنشــــاق الماء ، وازالة شـــــعر الابط والعانة والختان) •

وقد أخذت هذه الخصــال عند كثير من الفقهاء الباحثين عن أحكام الشريعـــة حـكم الســـــنة أو الاســـتحباب ، وأخذت حكم الكراهة •

واعفاء اللحية واحدة من هــذه الخصــال لا يعدو حكمه حكمها ، وهو السنية والاستحباب •

على أن كلمة « سنة » أخذت فى دور الاجتهاد الفقهى غير معناها فى زمن التشريع ، فهى عنـــــدهم : ما يثاب المرء على فعله ولا يعاقب على تركه •

وقد كان معناهــا الطريقـــة العملية التى يستحســنها الناس ، ويرى فيهــا النبى ما يرون فيها ، فييسر عليها ويرغب أصحابه فيها •

عادة قديمة :

وقد أرشدنا التاريخ فى قديم العرب وغيرهم الى أن اعفاء اللحية كان عادة مستحســـنة ، ولايزال

كذلك عند كثير من الأمم فى علمائها وفلاســـــفتها ، مع ما بينهم من اختلاف فى الدين والجنســـــية والاقليم ، يرون فيها مظهرا لجمال الهيئة ، وكمال الوقار والاحترام .

والرسول عليه الصلاة والسلام من دأبه ارشاد أمته الى ما يجعلهم فى مقـــــدمة أرباب العـــادات المستحسنة ، التى توفر بحســـب العرف مظاهـــر الوقار وجمـــــال الهيئة ــ ومن ذلك جاءت أحاديث الترغيب فى توفير اللحيـــــــة ، كما جــاءت أحــاديث الترغيب فى السواك وتنظيف عقد الأصـــــابع ومعاطفها .

الأمر بمخالفة المشركين :

نعم جاء فى أحاديث خاصـــــة باللحيــــة الأمر بالاعفاء والتوفير وعللت ذلك بمخـــــالفة المجـــوس والمشركين ، ومن هنا فقط أخـــــذ بعض العلماء أن حلق اللحية حرام أو منكر .

والذى نعرفه فى كثير مما ورد عن الرسول فى مثل هذه الخصال : أن الأمر كما يكون للوجوب ، يكون لمجرد الارشاد الى ما هو الافضل ، وأن مشـــــابهة المخالفين فى الدين انما تحرم فيما يقصد فيه التشبه من خصائصهم الدينية ، أما مجرد المشــابهة فيما تجرى به العادات والأعــراف العامة فانه لا بأس به ولا كراهة فيها ولا حرمة .

وقد قيل لأبى يوســف صاحب أبى حنيفة رضى الله عنهما ــ وقد رئى لابسا نعلين مخصـــــوفين بمســــامير ــ ان فلانا وفلانا من العلماء كرها ذلك ، لأن فيه تشــبها بالرهبان فقال : كان رســـول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التى لها شـــعر ، وانها من لباس الرهبان .

ونحن لو تمشـــينا مع التحريم لمجرد المشابهة فى كل ما عرف عنهم من العادات والمظاهر الزمنية لوجب علينا الآن تحريم اعفـــاء اللحى ، لأنه شـــأن الرهبان فى سائر الأمم التى تخالفنا فى الـــدين ، ولوجب الحكم بالحرمة على لبس القبعة ، وبذلك تعود مسألتها بدعة بعد أن طوى الزمان صـــفحتها ، وأخذت عند الناس مســـلك الأعراف العامة

التى لا تتصل بتدين ولا فسق ، ولا بايمان وكفر .

والحق أن أمر اللباس والهيئات الشخصية ، ومنها حلق اللحية ، من العادات التى ينبغى أن ينزل المرء فيها على استحسان البيئة ، فمن درجت بيئته على استحسان شىء فيها كان عليه أن يساير بيئته. وكان خروجه عما ألف الناس فيها شذوذا عن البيئة .. والله الموفق للسداد (١) » اﻫ .

وبعد فهل ننتهى عن الجدل فى مثل هذه الأمور التى تفرق ولا تجمع ؟ وكفانا ما يثور بين المسلمين من خلافات أدت الى حد القتال والحرب « **ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » (٢) . « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » (٣) .**

عبد الحميد السيد شاهين

---

(١) من فتاوى الشيخ محمود شلتوت رحمه الله .
(٢) الآية ١٠١ من سورة آل عمران .
(٣) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

من أنباء العالم الاسلامي

اعداد الاستاذ فهمى عبد اللاه السيد

« الحرب بين العراق وايـران لمصلحة من ... ؟ (١) »

الدماء المسلمة التى تسيل من اقتتال العراق وايران لمصلحة من .. ؟ ، لا نحسب أن هناك من يقول انها لصالح العراق ، أو انها لصالح ايران ؟ لكننا نقول ، ويوافقنا المسلمون العاقلون ، ان اسالة هذه الدماء المسلمة تخدم أعداء الاسلام ، الاعـداء الذين يسعدون حين يسيل الدم المسلم ، دون أن يخسروا قطرة واحدة من دمائهم ، حين نزهق أرواح المسلمين ، دون أن تزهق روح واحد منهم . نذكر اخوتنا المقاتلين ومن يريد الاصلاح بينهم بقوله تعالى « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، ان الله يحب المقسطين » .**

أيها المقاتلون المسلمون ، احقنوا دماءكم ، وادخروها لقتال أعدائكم المتربصين بكم جميعا ، فهم كثيرون يقظون ، وليسوا بغافلين عنكم .

وجهوا بنادقكم الى صدورهم ولا توجهوها الى صدوركم فتخسروا الدنيا والآخرة .

« شيخ الأزهر يهيب بالشعوب الاسلامية والعربية أن تستجيب لقيام الجامعة الجديدة ويقول : جامعة الشعوب الاسلامية

---

(١) صحيفة الكفاح الهندية العدد ٩

والعربية •• طريق لعزة المسلمين وقوتهم » (١) •

أهاب فضيلة الامــام الاكبر الدكتــور محمد عبــد الرحمــن بيصار شيخ الازهر بالشــعوب الاسلامية والعربية ، أن تهتــم وتستجيب لقرار الرئيس محمــد أنور السادات ، بقيام جامعــة الشعوب الاسلامية والعربية ••

ففى ذلك جمع للكلمة ، وتوحيــد للصف ، والتفاف حول راية واحدة، تلبية لقول الله تعالى **«يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكـــر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير »** •• **ولقول رســول** الله صلى الله عليه وسلم **« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »**

•• جاء هذا خلال اللقاء الذى تم فى مكتب فضيلة الامام الاكبر مــع الدكتور زكريا البرى وزير الاوقاف وقال فضيلة الامام الاكبــر : ان جامعة الشعوب الاسلامية والعربية هى الطريق الى العـــزة والنصر والقوة والمنعة والمجد والشرف ، كما أنها سياج متين فى وجه الطامعين ، وحصانة ضد المغرضين •• وأضاف فضيلته أن المســـلمين الاوائل فى صدر الاسلام لم يصـــــلوا الى ما وصلوا الا بالتوحد والتجمــع والترابط والتعـــاطف الذى كان انبثاقا من مؤاخاة الرسول صــلى الله عليه وسلم بين المهاجــرين والانصار ، فكانت هذه الخطــوة الكريمة سنة رائدة للمسلمين فى كل زمان ومكان عبر القرون والاجيال •• وصدق رسولنا الكريم فى قوله: **«مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحــد اذا اشتكى منه عضو تداعى لــه سائر الجسد بالســهر والحمى »**

وأضاف فضيلة الامام الاكبــــر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر فى تصريح خـــاص (للاهرام) ان انشاء جامعــــــة الشعوب الاسلامية والعربية يأتى مع مناسبة كريمة لها فى نفـــوس المسلمين أثر بالغ وهى تباشــــير

---

(١) الاهرام ١٠/١٠/١٩٨٠ •

العام الهجرى الجديد ، الذى يأتى مع بداية القرن الخامس عشر ، ليكون فاتحة خير وبركة ويكون انسجاما مع هجرة رائد البشرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم •• ونرجوا أن يكون انطلاقا الى العمل الجاد فى اطار البناء والعطاء والاصلاح •

تشكيل « جمعية كل مسلم »

تم تشكيل جمعية دينية جديدة باسم (جمعية كل مسلم) مقرها القاهرة ، وسيكون لها فروع فى كل بلاد العالم •• صرح بذلك الدكتور كامل البوهى رئيس اتحاد الجمعيات الدينية بمصر ، والذى اختير رئيسا لمجلس ادارة الجمعية الجديدة •• وقال ان الجمعية تهدف الى تبيان الاسلام على الصورة الصحيحة التى جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم والتركيز على الجانب الانسانى فى الاسلام ، ونبذ التعصب للرأى أو المذهب ، والاهتمام بحفظ القرآن الكريم ودراسته والعمل على اصدار جريدة اسلامية يومية على مستوى العالم الاسلامى •

« المصحف المفسر يوميا »

ابتداء من العام الهجرى الجديد تلتقى يوميا مع برنامج (المصحف المفسر) الذى يذاع على موجات اذاعة القرآن الكريم ، ويقوم من خلاله كبار رجال الدين والعلماء بتفسير وشرح آيات الذكر الحكيم •

اخبار المعاهد الازهرية

فى يوم ١٨/١٢/١٤٠٠ هـ الموافق ٢٧/١٠/١٩٨٠م قام السيد الوزير اللواء ثروت طه عطا الله محافظ سوهاج بافتتاح معهد منشاة برديس الابتدائى وبوضع الحجر الاساسى لمجمع اسلامى فى برديس ، ويشمل : « مدرسة حضانة ، مدرسة ابتدائية ازهرية ، مستوصف خيرى » وكان ذلك بحضور فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الصادق هاشم مدير منطقة سوهاج الازهرية •

والسيد / حازم صبرى أبو ستيت عضو مجلس الشعب .

والسيد / محمود على السهد رئيس مركز البلينا •

وعقب الافتتاح تفضل السيد اللواء المحافظ بمنح معهد برديس الاعدادى الثانوى مبلغ ١٥٠ مائة وخمسين جنيها .

وقد اثنى سيادة المحافظ على شيخ المعهد الاعدادى الثانوى ببرديس لما قام به من مجهودات مشكورة فى المجال الاسلامى ..

لمثل هذا فليعمل العاملون .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

فهمى عبد اللاه سيد على

كتاب الشهر

الهجرة

تأليف الأستاذ/ عبد الحميد جودة السحار

عرض وتحليل

للأستاذ/ السيد حسن قرون

منذ منتصف القرن الأول للهجرة والمسلمون يتحرقون شوقا لمعرفة حياة خاتم الأنبياء والمرسلين ، وما لاقاه من عنت فى سبيل أداء رسالاته ، التى جاءت لترتفع بالانسان من العماية الى الهداية ، ولتربط الانسان بخالقه ، ولتقوده الى معرفة منزلته : من خلافته فى الأرض ، والسير على النهج الحميد الذى يتناسب مع هذه الخلافة ، وأن يسود التعاون والبر بين بنى آدم ، ويبتعدوا عن الاثم والعدوان ، ولذلك عمل الاسلام على ازالة الجاهلية بتحطيم الأصنام والاوثان وعبادة المخلوقات ومنها الانسان ، وجعل القاعدة المثلى « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » .

وقد ازدادوا اغراقا فى التعرف عليه وعلى شمائله ، فتتبعوا ما قبل مولده ، وعنوا بآبائه الكرام ، ولاسيما اسماعيل عليه السلام وأبناؤه من بعده ، وهم أجداد محمد عليه السلام ..

فكان مروان وبنوه يكلفون علماء المغازى والسيرة والحديث ، كعروة ابن الزبير ، ومحمد بن شهاب الزهرى ، بالكتابة اليهم عن غزوة بدر ، أو حلف الفضول مثلا .

وجاء العصر العباسى : عصر التدوين ، فظهرت طائفة من كتاب السيرة النبوية ، فعنوا بها عناية فائقة ، ودققوا فى ايراد الروايات ، وأكثروا منها ، ليكون لنا منها ما ينير الطريق ، للوقوف على الأحداث والأعمال والأحاديث ، ولا ضير عليهم اذا اتخذوا مسلك الرواية فى السنة ، فأسندوا كل حدث وكل مقال الى راو يتصل عمله بمن سبقه من الرواة الى العهد الأول الذى حوى الاحداث . وقد ترك لنا العصر العباسى كتبا فى السيرة لا نظير لها فى الصدق ، والاداء الطبيعى الذى لا يكد الذهن ، ولا يستغلق على الفهم . من تلك الكتب :

ــ السيرة النبوية ، لابن هشام ، المتوفى فى ربيع الأول بمصر سنة ٢١٨ هـ مايو ٨٣٤ م .

ــ الطبقات الكبرى ، لمحمد بن

سعد كاتب الواقدى ، المتوفى سنة ٢٣٠ هـ .

ــ تاريخ الرسل والملوك ، لمحمد بن جرير الطبرى ، المتوفى سنة ٣١٠ هـ .

الى كثير من أمثال تلك الكتب التى وصل الينا منها ما نعتز به ، ونرجع اليه ، ونأخذ منه ، ونتمتع به ، ويقفنا على مسلك أسلافنا نحو الدين والدنيا ، وجهادهم فى اعلاء كلمة الله ، وانقاذ البشرية من عوامل الهدم والضلال .

وبقيت السيرة النبوية موضع العناية والرعاية على توالى العصور اللاحقة ، وكلما تباعدت الازمان عن العصر الأول ، اشتد الاقبال على السيرة ، وقد ترى بعض المؤلفين يعمدون الى كتب الأسلاف ، فيشرحونها ويضبطون بعض ما جاء منها من حديث أو شعر ، كما فعل السهيلى الأندلسى المتوفى سنة (٥٨١ هـ ــ ١١٨٥ م) فى كتابه « الروض الأنف » حيث شرح سيرة ابن هشام وأعرب بعض كلماتها .

وألهمت السيرة النبوية شعراء العصور ، فنظموا وأجادوا ، ومنهم البوصيرى صاحب البردة ، والبردة أثرت فى معاصريها ومن جاء بعدهم فقلدوها ، وكان من آثرها ظهور البديعيات التى نظمت حياة الرسول على وزنها وقافيتها ، وكل بيت منها يشتمل على محسن أو أكثر ، وقد ظنوا أنهم يحسنون صنعا ، ولكنهم جففوها ، وجعلوها أقرب الى العلم منها الى العاطفة الادبية والدينية .

ولكن شعراء العصر الحديث رجعوا بها الى نهج البردة ، فكانت قصائد منها قصيدة البارودى ، ونهج البردة لشوقى . تجد فيهما فنا عظيما ، وتعبيرا سليما ، وبعدا عن البديع والمحسنات اللفظية ، وقد فاز شوقى بالسبق وحسن الاداء .

ويهمنى فى هذا الصدد أن أذكر أن القرن الرابع عشر الهجرى الذى نودعه وقد عشنا فيه وشاهدنا مراميه كان من أزهى القرون فى العناية بالسيرة تأليفا وبحثا ومحاضرة ، وشتان بينه وبين القرن الثالث عشر الذى سبقه ،

فانك لاتجد فيه لها ذكرا الا فى مؤلف لرائد النهضة الحـديثة فى مصر (رفاعة رافع الطهطاوى) فقد ترك لنا كتابا عنوانه « نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز » فكان نادرة فى عصره ، وبيضة الديك كما يقولون .

لكن القرن الرابع عشر أشرق بضوء النبوة ، فكان كوكبا مضيئا بين القرون والعصـور ، ناهض الاستعمار بالكلمة والمقاومة الجادة ، وغالب عوادى الزمن ، ولم يخضع لجحافل المغيرين الظالمين ، وجعل من السيرة وعرضها من جديد نضالا رائعا ، وسلاحا ماضيا يدك الحصون ، ويردع المغتصبين ، لان السيرة حوت الفضـائل كلها ، وشـمائل الفتوة والقوة وحب الاستشهاد لاخذ الحرية مـن فكى الاسد ، وارساء ميزان العدالة كما فهموها من السيرة النبوية الغراء .

وفى الثلاثينيات ظهر أول كتاب لها تحت عنوان « محمد » للدكتور محمد حسين هيكل ، فكان جديدا فى عنـوانه وبيانه ، وكتب مقدمتـه الامام الراحل الشيخ (محمـد مصطفى المراغى) فكان فتحا مبينا لعالم السيرة ، وأتبعه بكتـاب « منزل الوحى » وأرخ لابى بكـر وعمر رضى الله عنهمـا ، وظهرت عبقريات العقاد ، ومنها « عبقريـة محمد » .

واستلهم السيرة الدكتور طـه حسين فأصدر « على هـامش السيرة » فى ثلاثة أجزاء ، ببيان الاديب ومنهج القاص ، فأشـبع شداة الادب ، وطلاب المتعـة الذهنية ، وجمع بين الاسـطورة والحقيقة .. وأعد له من السـيرة كتـابا لم يكتبه فيها ، ولكنه اشتمل عليها وهو كتابه « مـرآة الاسـلام » ولتوفيق الحكيم « محمد » كتبه على طريقة التأليف المسرحى .

وبجانب ذلك ظهرت مجلة الرسالة لصاحبها (أحمد حسـن الزيات) فكانت رائدة المجلات ، فى اصدار أعداد خاصـة بالهجرة ، تجـد فيها القصة والمقال والقصـيدة والبحث العلمى والادبى ، فعرفنا أدباء أجلاء من سائر الاوطـان

الاسلامية والعربية ، وقد أثرت فى المجلات الأخرى فتابعتها فى نهجها الموسمى ، فرأينا مجلة مثل « الصباح » تصدر عددا خاصا بالهجرة ، وقد شاركت أنا فى تحريره وكنت طالبا ، وهى المجلة التى عرفت بنشر القصص العاطفى والاخبار المثيرة •

ولا تحسبن الاحتفال بالهجرة أو الكتابة فيها كان يرضى عنه الاستعمار ، فلقد جاهد شباب ١٩١٠ جهادا كبيرا حتى تنازل المستعمر ، وأقر الاحتفال بالهجرة، وكان الدكتور راشد رستم — رحمه الله — فى طليعة من نادى بالاحتفال بها وجعلها من الأعياد الرسمية التى تعطل فيها المصالح والدواوين •

وجاء بعد الرواد جيل (عبد الحميد جودة السحار) •

فألف فى السيرة النبوية ، واقتبس من الهدى النبوى واتخذ له مسيرة أخرى قد تخالف الرواد، ولكنها تلتقى معهم فى بعث الماضى ماثلا أمام العيون ، واظهار شخصية الهادى فى تألقها وبهائها ، وتفجير معالم الحرية للبشرية ، لترى النموذج وتقتدى بالمثل العليا ،

والمرحوم عبد الحميد جودة السحار كتب السيرة فى عشرين جزءا جعل عنوانها : « محمد رسول الله والذين معه » وبدأها بابراهيم أبو الانبياء، وختمها بوفاة الرسول ، وأخذت الهجرة منها كتابا رقم ١١ من الموسوعة بعنوان « الهجرة » وموسوعته ما تزال تمثل فى الاذاعة والتليفزيون وهذه الاجزاء كل جزء منها فى كتاب مستقل •

وموضع بحثى أنا ينحصر فى « الهجرة » بمناسبة استقبال القرن الخامس عشر الهجرى ، الذى أتمنى وأرجو أن يكون كسابقه : معنيا بالسيرة ، حاملا لواءها ، داعيا الى وحدة أتباعها « أمة التوحيد » ليكونوا بالجهد والعمل والتعاون والاعتصام بحبل الله « **خير أمة أخرجت للناس** » وما ذلك على الله بعزيز ، اذا أحسنوا النية، وصدقوا العمل • وارتفعوا عن حب الذات ، وجعلوا ما عند الله خيرا وأبقى ،

ولهم فى رسـول الله وصـحابته أسوة حسنة ، ومعهم كتاب اللـه يتلى ، وسنة نبيه تلقى ..

وهأنذا آخذ فيما رصدت نفسى له .

موضوعات الهجرة فى كتاب الهجرة

عبد الحميد جودة السحار : لم يبدأ الهجرة باتصال النبى ببنى قبيـله الأوس والخـزرج ، وتعاهده معهـم ، وانمـا بدأها بالحـديث عن فقد عزيزين عـلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمه ، وزوجه خديجـة وختمـه بخروج قريش لحـرب النبى — الذى تعرض للقافلة التجارية التى يقودها أبو سفيان ، والقضاء على الدولة الاسلامية — التى رفعت لواءها فى يثرب .. ولو رفعت عن عيونهم الحجب لسمعوا النذير : يا قوم والله ما تساقون الا الى مصارعكم .. ومن ثم كان الكتاب التالى لها : « غزوة بدر » .

وبين هذين الحدثين : حـديث عن ضيق النبى بمكة بعد فقـد العزيزين ، ورحلته الى الطائف ، وعودته الى مكة مقهورا ليدخل فى جـوار (المطعم بن عدى) زعيم بنى نوفل بن عبد مناف .

وذكر تدريم اللـه لنبيـه فى الأرض والسماء .

فى الأرض آمن به الجن : حين سمعوه يتلو القرآن فى (نخلة) ، وقد قص الله عليـه حكايتهم فى القرآن الكريم .

وفى السماء باسرائه ليـلا الى المسجد الأقصى ، والعروج به الى السماء ، وموقف قريش من اخباره اياهـم عن رحلتـه « الاسراء والمعـراج » ، وانـكارهم له ، وتصديق أبى بكر لما أخبر به .. وتأريخ اللقاء الخالـد بين النبى وأفراد من الأوس والخزرج ، ثم بيعة الأنصار الأخيرة ، ومؤامرة قريش للفتك به .. ثم الهجرة .. ثم تكوين الدولة الاسـلامية فى المدينـة ثم بوادر الغـزوات .. وموقف اليهود وأهل النفاق ..

كل هذه الموضـوعات عالجهـا (السحار) بعقيدة المسلم ، وروح

الآديب ، وتحقيق المؤرخ فى بيان سأعطيك أمثلة منه ..

ولذا ترانى لا أغفل حديثه عن فقد العم والزوجة ، فقد عرض لهما بعبارات تقطر أسى وألما ، حتى لكانك تحس فقدهما حاضرا وفى وقتك هذا .

انظر اليه يرثى خديجة رضى الله عنها :

خمس وعشرون سنة مرت منذ تزوج (النبى) سيدة نساء قريش شاركته فيها آماله وآلامه ، وقد وقفت الى جواره فى أحسم لحظة فى تاريخ البشرية ، يوم أن جاءها من غار (حراء) يقص عليها — وهو يرتجف — نبأ نزول الملك عليه من السماء ليقول له « اقرأ » لقد صدقته ، ولو أنها خالجها أدنى شك فى صدقه لزادته رهقا ، فى الوقت الذى كان فيه أشد الحاجة الى من يثبت فؤاده ، ويذهب روعه ، ولزعزعت ايمانه بنفسه وتصديق ما أنزل اليه ..

ولا جرم فكان يحسب أن به كهانة أو جنونا ، ولكن الله اصطفاها وأعدها لتكون نعم العون لزوجها الذى سيكلف أروع رسالة، لا يقدر على النهوض بها الا أولوا العزم من الرسل .

ويستمر فى شجنه وحزنه فيقول :

لك الله ياخديجة ، يا طاهرة ياسيدة نساء قريش ، ياحاضنة الاسلام . ياأم المؤمنين ، ياحبيبة الرسول ، يامن لم يستقر له مقام فى داره من بعدك ، فقد هجره من لوعة الأسى ليبيت فى دار أم هانىء بنت عمه أبى طالب ، أو فى الحجر فى الحرم ، فى حراسة المطعم بن عدى وآله ، أو فى دار من دور بنى هاشم فى شعب أبى طالب .

فغيابك عن الدار شىء موجع أليم لقلب مرهف رحيم (١) .

وتأمل معى تلك الأوصاف التى ذكرتها لك تجدها — وان كانت صادقة — تدل على نفس أديب

---

(١) ص ٥ ، ٦ من الهجرة .

حانية قد ملكهـا الاشـفاق من أقطارها ، فرثت وبكت ، وعددت الشمائل ، وعرضت الموقف كأننـا نراه .

ويتحدث عن موت أبى طالب ، وحق له أن يتحدث عنه ، فهـو شيخ الهاشميين الحبيب ، الـذى وقف بكل ما يملك من قـوة ليذود عن ابن أخيـه ، ويدعـو أبنـاءه ليؤمنوا بما جاء به الأمين . وان لم يؤمن خوف السـبة كما كـان يعتقد .

حزن الرسول عليه ، وزاد من حزنه أن الله نهاه أن يسـتغفر له ..

وبموت العم والزوجة صـار العام « عام الحزن » وناهيك بعام يسمى عام الحزن ، لا ريب أنـه أصـاب من النبى قلبـا يخفـق بالحنين ، ويحس باللوعة ، ويشعر بالنكبة .

أفاض المؤلف فيما جرى بعدهما من اضطهاد للنبى وصحبه ، ومن هنا ذكر حادث نخلة ، وحـادث الاسراء والمعراج ، وفى جمعهما فى نظام واحد دل على فطنة واهتداء الى معالم الكريم ، ولئن صـدت قريش وتمادت فى غيها فان هناك عوالم اعظم منها تؤمن برسالته ، وتهش لاستقباله ..

الجن يسـتمعون اليـه ويصدقونه ، ويرجعون الى قومهم لينذروهم قائلين : **«انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصـدقا لمـا بين يديه يهـدى الى الحـق والى طريق مستقيم (١) »** .

ثم أسرى بـه من المسـجد الحرام الى المسجد الأقصى ، ليريه الله من آياته الكبرى ، وليعـرج به الى السماء فيـلاقى الرسـل والملائكة ، وهم أجل شأنا وأكرم منزلة عند الله من سكان الأرض ، ويتم التكريم بفرض الصـلوات الخمس ..

كان ايمان الجن بارقة أمـل فى دياجير الظلمـات ، وكان الاسراء والمعراج تقريبا له وتقوية لعزيمته ، وبرهانا على نصر رسالته .

---

(١) الاحقاف ٢٩ .

والمؤلف يعتقد اعتقادا راسخا بصدق كل من الخبرين ، ولأنه تعرض للاسراء فقد خصص له « تدييلا » فى آخر الكتاب ، اتى فيه على جميع الروايات ، واقوال السلف والخلف ، واستشهد بالقرآن ، وناقش المفكرين ، وسجل رأى الشيخ (يوسف الدجوى) وانتهى الى : « أن الاسراء معجزة تفوق تصور عقول البشر فى كل عصر فلا الطائرات ولا الصواريخ ، ولا أى من المخترعات الحديثة ، أو مخترعات المستقبل حتى يرث الله الأرض ومن عليها تستطيع أن تعطينا صورة صحيحة عن اسراء الله بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى •

أما ما يروى من أحاديث عن الاسراء فهى من اختراع القصاص ، وفى رأى — المؤلف — أن أغلب هذه الأحاديث نتاج عقول تصورت ملكوت الله على قدر علمها • وهى أول قصة أدبية اسلامية ، استوحيت من آيات سورة الاسراء ، والنجم • وقد اشترك فى تأليفها أكثر من مؤلف ، وكانت مصدر الهام أبى العلاء المعرى لما كتب « رسالة الغفران » وكانت رسالة الغفران وحى (دانتى) عندما كتب الكوميديا الالهية « جحيم دانتى » •

وما قاله المؤلف هو ما ذهب اليه جل المفكرين الاسلاميين فى عصرنا — أبناء القرن الرابع عشر الهجرى — فطه حسين يذكر حديث الاسراء والمعراج فى « مرآة الاسلام » : فيقول أن اسلوبه هو أسلوب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، نظر اليها من حيث كلامه ونهجه فى أحاديثه ، الصحيحة وكذلك العقاد فى كتاب « عبقرية الصديق » : كما أن الشيخ الشعراوى قال فيه وكتب بما لا يحتاج الى تعليل وبرهنة •
ورأى السحار يعتد به ، لأنه تناوله راويا وداريا ، لم يهمل النقل ولم يبعد عن العقل ، وذكر ما قاله أصحاب مذهب النسبة ، ورد على المفكرين قديما وحديثا •

وقد تظن أن حديث الجن أو حديث الاسراء والمعراج ، بمعزل عن الأحداث ، فمن البدهى أنهما كانا شحنة دافعة الى الاقدام ، وعرض الرسالة فى المواسم ، وقد يسر الله ما تعسر ، وجاء من يثرب من يستجيب لله ولرسوله وعلى مدى ثلاثة مواسم ارتفعت راية القرآن ، وصار لها أنصار ورثوا الحلقة عن الآباء والأجداد ، مناضلون من الطراز الأول ، مناضلون بألسنتهم وأسنتهم ، يبذلون الأموال ، ويقدمون الاشراف للدفاع وطلب « احدى الحسنيين » النصر أو الاستشهاد.

وقد عرض المؤلف صورا للقبائل فى المواسم . وكيف كانت تتعامل مع سيد الخلق ، ووصف العادات والتقاليد فى ذلك الحين ، ومن ذلك : ما عرضه علينا من نادرة مجلس بنى ربيعة ، فقد وفد عليهم الرسول وأبو بكر وعلى فتقدم أبو بكر وكان نسابة ، فسلم فردوا السلام . فقال !

ممن القوم ؟

ـ من ربيعة

ـ أمن هامتها أم من لهازمها ؟

ـ من هامتها العظمى

ـ فأى هامتها العظمى أنتم ؟

ـ ذهل الأكبر

ـ أفمنكم عوف بن محلم الذى يقال له : لا حر بوادى عوف ؟

ـ لا

ـ أفمنكم بسطام ذو اللواء ، ومنتهى الأحياء ؟

ـ لا

ـ أفمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ، ومانع الجار ؟

ـ لا

ـ أفمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟

ـ لا

ـ أفمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟

ـ لا

ـ أفمنكم أخوال الملوك من كندة ؟

ـ لا

ـ أفمنكم أصهار الملوك من لخم ؟

ــ لا

فقال أبو بكر : فلستم ذهلا الأكبر ، أنتم ذهل الأصغر .

فقام اليه غلام قد خرج شعر وجهه يقال له (دغفل) ، وقد عزم على أن ينال من أبى بكر كما نال منهم فقال له :

ــ يا هذا : انك قد سألتنا فلم نكتمك شيئا فمن الرجل ؟

ــ رجل من قريش .

فقال دغفل وهو يتفرس فى وجه الصديق :

ــ بخ . بخ ، أهل الرياسة والشرف ، فمن أى قريش أنت ؟

ــ من تيم بن مرة .

ــ أمكنت والله الرامى من صفا الثغرة (نقرة النحر بين الترقوتين) .

أفمنكم قصى بن كلاب الذى جمع القبائل من فهر وكان يدعى مجمعا ؟

ــ لا

ــ أفمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ، ورجال مكة مسنتون عجاف ؟

ــ لا

ــ أفمنكم شيبة الحمد (عبد المطلب) مطعم طير السماء ، الذى كان فى وجهه قمر يضىء فى ليل الظلام الداجى ؟

ــ لا

ــ أفمن المفيضين بالناس أنت ؟ (١)

ــ لا

ــ أفمن أهل الندوة أنت ؟ (٢)

ــ لا

ــ أفمن أهل الرفادة أنت ؟ (٣)

ــ لا

فاجتذب أبو بكر زمام ناقته فرجع الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال دغفل :

صادف درء السيل درءا يدفعه

---

(١) كانت الافاضة من المزدلفة فى الجاهلية فى عدوان احدى قبائل مضر .

(٢) دار الندوة كانت لبنى عبد الدار بعد قصى .

(٣) الرفادة والسقاية كانت فى هاشم واخوته وبنيه .

يهيضه حينا وحينا يصدعه أما والله يا أخا قريش لو تثبت لأخبرتك أنك من زمعات (رذال) قريش، ولست من الذوائب (الرؤساء)، أو ما أنا بدغفل!

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ والتفت (على) الى أبى بكر وقال:

ـ لقد وقعت من الأعرابى على باقعة (داهية).

قال أبو بكر: أجل، ان لكل طامة طامة، وان البلاء موكل بالمنطق.

وبقية القصة أن الرسول عرض عليهم الاسلام، وخلع ما يعبدون من الأنداد، ولكن أبا لهب قطع الحديث بقوله: يابنى ربيعة لا تصدقوه .. وكانت النتيجة همس القوم: أسرته وعشيرته أعلم به حيث لم يتبعوه. وكان هذا ديدن أبى لهب مع ابن أخيه كلما عرض نفسه على القبائل.

وانما نقلت اليك هذه النادرة وذلك المشهد، لتحصل على صورة مما كان يلقاه رسول الله فى سبيل دعوته ومن جهة أخرى لتعلم مدى ما يتمسك به العربى فى ذلك الزمان من معرفة الأنساب، وتتبع النجباء من كل قبيلة وحى.

ولا شك أن أبا بكر سيد من سادة، لأنه من بنى تيم بن مرة بن كعب ابن لؤى، وتيم أخو كلاب جد الرسول الخامس، وصدق دغفل، فان من ذكرهم ليسوا من مفاخر أبى بكر بين قبيلته، وكلهم من أجداد الرسول ما عدا المفيضين وأهل الندوة؛ وما ذكره عن أبى لهب تكرر منه فى كل موسم و «تبت يدا أبى لهب وتب».

بيعة العقبة الأخيرة

أثمرت جهود (مصعب بن عمير) ـ رضى الله عنه فى أهل يثرب، فدخل الاسلام قلوب كثير من الأوس والخزرج، وكان له من صباحة وجهه وحلاوة لسانه، ماهيأ له النجاح فى مهمته وفى الموسم الثالث لاتصال النبى بأهل يثرب، خرج الحجاج من يثرب أكثرهم المشركون، وأقلهم

المسلمون ، وكان المسلمون يؤدون الصلاة بعيدا عن عيون الكافرين ، معهم مصعب بن عمير ، وهم فى غاية الشوق لرؤية نبيهم ..
وحدث أن رأى البراء بن معرور وهو من سادة يثرب أن يجعل قبلته الكعبة ، وكانت القبلة أنذاك الى بيت المقدس ، واستشار أصحابه ، فقالوا له : نصلى كما يصلى نبينا الى الشام ، وحضرت الصلاة فصلى نحو الكعبة ، وصلوا هم نحو بيت المقدس .

وقد حرص (البراء) على لقاء النبى ، فمخالفته أصحابه تؤرقه ، وكان معه فى طريقه (كعب بن مالك) الشاعر ، فأخذا يسألان عن النبى وهما لا يعرفانه وسألا رجلا ءدلهما عليه ، بأنه يجلس فى المسجد الحرام مع عمه (العباس)، وهما يعرفان العباس ، ودخلا المسجد وقد ازدحم بالرجال الذين جاءوا من أنحاء الجزيرة للتجارة وتأدية مراسم الحج .. ورأيا العباس فراحا يتقدمان اليه ، ويتفرسان فى وجه الرسول الكريم ، وقد خفقت قلوبهما رهبة وحبا وأملا ، وانداح فى صدريهما انشراح ، وفطن النبى الى انهما قادمان اليه . فقال للعباس :

هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟

نعم ــ هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك . الشاعر ؟ (١)

وفرح كعب أن يكون معروفا للرسول ، وأن شعره وصل اليه ، وتبادلا التحية مع الرسول ، وظلا يصغيان الى سحر بيانه .

ثم قال البراء :

ــ يارسول الله ، انى قد خرجت فى سفرى هذا ، وقد هدانى الله للاسلام ، فرأيت ألا أجعل هذه البنية (الكعبة) منى بظهر ، فصليت اليها ، وخالفنى أصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟

---

(١) ص ٦٩ من الهجرة .

ــ قد كنت على قبلة لو صبرت عليها •• فرجع البراء الى قبلة الجماعة ، فصلى الى بيت المقدس•

ثم جاء مصعب بن عمير الى رسول الله متهلل الوجه، يخبرهبمن أسلم من الأنصار ، والرسول يصغى اليه ، وقد غمره السرور ، فقد لاحت تباشير النصر بعد طول الترقب والانتظار •

وواعد الأنصار رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ العقبة ، وكانوا يكتمون المشركين من قومهم أمرهم •• وجاءت الليلة ليلة الميعاد ، فمكثوا مع قومهم حتى اذا مضى ثلث الليل خرجوا من رحالهم لميعاد نبيهم،ويتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا ، مستخفين لا ينبهون نائما ، ولا ينتظرون غائبا كما أمرهم رسولهم •

واجتمعوا فى الشعب عند العقبة ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين : نسيبة أم عمارة من بنى النجار ، وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدى ، وطلع عليهم رسول الله ، ومعه عمه العباس ابن عبد المطلب ، وقد أوقف العباس عليا على فم الشعب ، وأوقف أبا بكر على فم الطريق الأخر عينا •

وهنا أدار المؤلف تساؤلات حول موقف العباس : أكان العباس على دين قومه وأنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، أم أن العباس قد أسلم سرا ، وأنه كتم اسلامه نزولا على رغبة ابن أخيه، ليكون قلم مخابراته فى مكة ؟ ان زوج العباس أم الفضل أسلمتبعد أن حدثتها خديجة مباشرة حديث الملك الذى نزل على زوجها بغار حراء وقد ظلت العلاقة طيبة بينها وبين زوجها العباس •• وهكذا مضىيتساءل •

والمتتبعلسلوك العباس منذرحيل أخيه أبى طالب ، يرى أنه يساند الدعوة الاسلامية ، وقد تجلى ذلك فى احداث غير قليلة ، بيد أن اتصال أمره مع قومه يسلكه معهم • ألم تر أنه كان أحد أسرى قريش فى غزوة بدر ويومها قال له الرسول حين اعترض على دفع الفدية له

ولا بنى أخيه وأنه مسلم : ظاهرك أنك لست معنا ، ودفع الفدية •

ولكن العباس قام بدوره خير قيام ، وكان مسموع الكلمة قويم الخطة ، رقيق الاعتقاد فى الوثنية من بادىء أمره ، على عكس أخيه أبى لهب ، الذى شن الغارة على الدعوة الاسلامية منذ بدئها ، « سيصلى نارا ذات لهب » •

ولقد دعانى الى ذكر كل هذا تساؤلات المؤلف •• على كل حال أسلم العباس وحسن اسلامه ، وكان اسلامه موضع فخر لبنى العباس حين تولوا الخلافة ، فكان المنصور يقول لثائر العلويين : جاء محمد بالاسلام وأعمامه أربعة أمن اثنان أحدهما : أبى ، وكفر اثنان أحدهما : أبوك — يعنى أبا طالب ؛ والمؤمن الثانى معروف : حمزة بن عبد المطلب •

بعد هذا الاستطراد الاجبارى ندخل فى الصميم ، وهو اجتماع العقبة ليلا ، جلس الأنصار وكان أول المتحدثين العباس عم الرسول، فنبه الحاضرين على مكانة محمد فى قومه ، وأنه فى عزة ومنعة ، وقد أبى الا الانحياز الى يثرب ، وقال لهم : فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ، وما نعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فدعوه ، فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده •

ورد البراء بن معرور مؤكدا الوفاء ، وبذل المهج دون رسول الله ، وبعد مناقشات طلبوا الى النبى أن يأخذ لنفسه منهم فكان جوابه : أشترط لربى عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم ، وأبناءكم ونساءكم •

فقال ابن رواحة : فماذا فعلنا فما لنا ؟

— لكم الجنة • وبايعوه ، وأكدوا ميثاقهم بكلمات تنبع من صميم قلوبهم ، ومن غريب ما جرى قول عم الرسول اثر كلامهم : اللهم انك سامع شاهد ، وان ابن أخى قد استرعاهم ذمته ،

واستحفظهم نفسه ، اللهم كن لابن أخى عليهم شهيدا .

ثم اختار الرسول منهم اثنى عشر نقيبا يكونون رؤساء على قومهم ، ثلاثة من الأوس ، وتسعة من الخزرج . ذكر المؤلف أسماءهم ، ولهم شهرة فى مستقبل الأيام ، وجعل النبى نفسه نقيبا على من آمن من قومه .

وبلغ الخبر قريشا ، فذهبوا الى الأوس والخزرج ، فقالوا : يامعشر الأوس والخزرج ، بلغنا أنكم جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين أظهرنا ، وتبايعوه على حربنا ، والله مامن حى أبغض الينا أن تشب الحرب بيننا وبينه منكم ، فراح مشركو الأوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شيء وما علمنا ، وجعل عبد الله بن أبى بن سلول يقول فى غضب . هذا باطل . هذا باطل ، وما كان قومى ليفتاتوا على بمثل هذا لو كنت فى يثرب ما صنع هذا قومى حتى يؤامرونى .

ونفر الناس من منى ، وقد عرفوا معرفة أكيدة بيعة الأنصار، فايقنوا أن الخبر حق ، فاقتفوا أثر آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو ، أما المنذر فقد أعجزهم ولحق بقومه . وأما سعد فقبضوا عليه وجروه من شعره ، وكان كثيفا ، وذهبوا الى مكة به ، ولم ينجه منهم الا جبير ابن مطعم ، والحارث بن حرب بن أمية لصلتهما به سابقا .

الهجرة

وضحت الأمور أمام قريش ، وتأكدوا حين أخذ المسلمون يهاجرون سرا أو علانية ، وكثير من المهاجرين تعرض للاضطهاد ، وتحمل ذلك صابرا آملا فى يوم آخر ينتصف به منهم ، وخرج عمر ابن الخطاب مهددا متوعدا فلم ينهض له أحد ومكث ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد أصحابه ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ، ولم يتخلف معه الا على بن أبى طالب وأبوبكر الصديق وصهيب الذى تواعد مع الرسول أن يكون معه فى

الهجرة (١) • ومن كان محبوسا أو مريضا أو عاجزا عن الخروج • ومكث صلى الله عليه وسلم بعد أصحابه ينتظر الاذن له فى الهجرة، وجاء أبو بكر يستأذنه فى الهجرة فقال له : لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا •

وطمع أبو بكر أن يكون صاحبه ، فابتاع راحلتين حبسهما فى داره اعدادا لما نوى ، وأحست قريش أن خروج الرسول الى أصحابه بيثرب يعرضهم للحرب والخطر ، فاجتمعوا فى دار الندوة (أنشأها قصى بن كلاب وجعلها لابنه عبد الدار) •

وأخذوا فى التشاور فى أمر محمد ، واجتمع فى هذه الدار كل بطون قريش ، وقالوا : لايدخلن معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة ، لأن هواهم كان مع محمد ، وراحوا يتبادلون الرأى ، واستقروا على رأى أبداه عمرو بن هشام (أبو جهل) وهو ، أن يأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا حسيبا نسيبا فى قومه ، ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يغدون اليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه ، فنستريح منه فاذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل ، فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فيرضوا منا بالعقل (الدية) فعقلنا لهم •

وأتى جبريل فأخبر الرسول بما تآمرت به قريش عليه ، وقد ذكر القرآن ذلك فيما بعد ، فقال :

« واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (٢) » •

وهذه الآية لخصت ما تبادلوه من رأى ، فهم ذكروا حبسه أو قتله أو اخراجه ، وارتضوا قتله كما قدمنا •

قال له جبريل : لا تبت هذه الليلة فى فراشك الذى كنت تبيت عليه •

---

(١) وصل صهيب الى قباء بعد وصول النبى وقد ترك لقريش ماله ، فقال النبى : ربح البيع •

(٢) الانفال ٣٠

وكان الثلث الأول من الليل حين تجمع الفتيان المختارون أمام بيت الرسول ، وأحدقوا ببابه ينتظرون الفرصة لقتله ، وأرادوا الهجوم عليه ، فرأوا ذلك عارا عليهم ، لأن فى البيت بنات العمومة .

ورأى الرسول مكانهم فقال لعلى : نم على فراشى ، واتشح بردائى الحضرمى ، فانه لن يخلص اليك شىء تكرهه منهم . فبات على فراشه لا يخاف بذلا ولا يضن بنفس ، وكان أبو جهل يقول لمن معه ساخرا : يزعم محمد أنكم ان اطعتموه كنتم ملوك العرب والعجم ، وفى الآخرة لكم جنان كجنان الأردن ، وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ، وفى الآخرة تبعثون للنار والعذاب .

وسمعه الرسول فخرج عليهم وهو يقول : نعم أنا أقول ذلك . وأخذ حفنة من التراب ، وتلا آيات من سورة « يس » فنثرها على رءوسهم ، فأخذ الله على أبصارهم عنه فلم يروه . وقد صاروا هزأة لرجل مر عليهم ونبههم لما هم فيه، ودافعوا عن موقفهم ، وتشبثوا ببقاء الرسول فى داره ، وانكشفت الحقيقة ، ورأوا عليا ، فسألوه : فنفى معرفة أمر نبيه .

نفذت الخطة وخرج الرسول وأبو بكر ليلا الى غار (ثور) جنوب مكة ؛ وطاشت حلوم قريش ، فراحوا يبحثون فى كل مكان ، أساءوا الى أبى بكر بلطم، بنته أسماء ، لأنها لم تخبرهم بخبر المهاجرين .

ومكث الرسول فى الغار ثلاثة أيام جرى فيها ما جرى ، وكان عبد الله يأتيهم بأخبار قريش ، وأسماء تأتيهم بالطعام ، وعامر بن فهيرة يرعى الغنم ليغطى آثار عبد الله وأخته أسماء .

وفى صباح اليوم المحدد جاءهم عبد الله بن أريقط بالراحلتين وراحلة له ، وقدمت أسماء لهم طعام السفر ؛ وشقت نطاقها لتربط الزاد فسميت : ذات النطاقين .

ولأن الرسول احتاط لأمره فى هجرته متبعا الأسباب للوصول الى الغاية ، معتمدا على الله ، متخذا

من كافر دليله وهو ابن أريقط كان من هذا ارشاد للمسلمين أن يتخذوا الأسباب بدلا من التواكل ، والله قادر على أن يحفظ نبيه ولكن ما جرى كان تعليما لنا ، وقد ظهرت قدرة الله حين أعمى أبصار المشركين عن رؤية الرسول وصاحبه فى الغار ، كما ألهم الحمام المتوحش أن يعشش على فم الغار ويبيض .

وسارت القافلة واتبعها مشرك لينال جائزة قريش — وهى مائة ناقة — فأصابه ما أصابه ، فعلم أن أمر محمد ظاهر ، فنادى أنا لكم ضد أعدائكم ، وطلب من الرسول: مكتوبا له ليكون له عند الحاجة ، وأجيب طلبه ، وعاد مسلحة للنبى يضلل أعداءه بقوله : ارجعوا فلم أر أحدا ، انه : (سراقة بن مالك) وقد وعده النبى « بسوارى كسرى (١) » .

ويسير المؤلف فيذكر حط الرحال عند أم معبد ، واعجابها بمنظره ومنطقه وما جرى على يديه من حلب الشاة الحائل .

وقد وصف قدوم ركب النبى على منتظريه بيثرب من المهاجرين والانصار فى عبارات آخاذة نفاذة.

يقول عبد الحميد جودة السحار : وبلغ ركب الرسول مشارف المدينة فاذا بالرجال قد ارتفعوا على النخيل ينظرون ، واذا بطلائع القوم يهرولون مهللين مرحبين بالنبى عليه الصلاة والسلام ، وقد نسوا فى غمرة السرور حرارة الشمس واذا بالعبرات تلطف حرارة المشاعر .. وراح الركب الكريم يتهادى بين الأنصار فى أمن ، والكون كله يردد ما قاله الأنصار للنبى والصديق : « اركبا آمنين مطاعين » وبلغ الركب ثنية الوداع فاذا بهتافات الترحيب تتعالى فى كل مكان ، وتقدم رسول الله على ناقته القصواء ، متواضعا لله ، يحمل أعظم رسالة حملها انسان .

البشر فى الوجوه ، والعبرات فى العيون ، والفرح فى القلوب ...

---

(١) ص ١١٣ من المصدر نفسه .

وصعدت ربات الخدور على الأسطحة يشتركن مع المرحبين بمقدمه الكريم ، فجعل النساء والصبيان والولائد يقلن :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع

كان الناس يتفرسون فى القادمين ، ولا يدرون من منهما رسولهم الكريم ، ولم يعرفوا رسول الله حتى أصابت الشمس رسول الله ؛ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرفه الناس • انه الآن فى (قباء) ضاحية يثرب وقد غصت بالوافدين من أطراف المدينة ليحيوا من يكلم من السماء•

وقبل أن أمضى فى حديث اللقاء وما ترتب عليه ، أحب أن أناقش بايجاز رأيا يقول : ان نشيد « طلع البدر علينا » قيل بعد عودة الرسول من غزوة (تبوك) سنة تسع من الهجرة ، وقد راجعت الكتب التراثية فلم أجد النشيد لا فى سيرة ابن هشام ، ولا فى الطبقات لابن سعد ، ولا فى الطبرى ، وانما وجدته فى « السيرة الحلبية » وهى متاخرة فى التاريخ عن الكتب السابقة ، ولكن لا يمنع ان يكون النشيد قد قيل عند بلوغ الرسول يثرب حين وصل اليها بعد خروجه من الغار ، لأن حجة المانعين : أن ثنية الوداع فى شمال المدينة ، وهذه الحجة لا تمنع أن يكون الرسول حين هاجر سلك هذا الطريق كما سلكه عند عودته من تبوك • وعلى كل : هو نشيد يصلح لاستقبال قادم من جديد ، ولا مانع أن يتكرر فى كل عمل مجيد •

وأعود الى مساق الهجرة ، فأذكر كما ذكر المؤلف : أن الرسول مكث فى قباء من يوم الاثنين الى يوم الجمعة حيث صلاها وخطب « فى بنى سالم بن عوف فى المسجد الذى فى بطن الوادى (١) » وفى

---

(١) سيرة بن هشام ص ١٠١ جـ ٢ •

أثناء ذلك بنى مسجد قباء ، وهو : أول مسجد اسس على التقوى ، ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته بعد الجمعة متوجها للمدينة ، وقد أرخى زمامها ولم يحركها ، وهى تنظر يمينا وشمالا ، وفى أثناء سيرها اعترضه كثير من القبائل والبطون يطلبون اليه الاقامة عندهم حيث العدد والعزة والمنعة والثروة ، فكان يقول لكل : « دعوها فانها مأمورة » فانطلقت حتى بركت فى محل من محال بنى النجار عند دار بنى مالك ابن النجار ، وعند باب (أبى أيوب الأنصارى) فلم ينزل عنها ، ثم وثبت غير بعيد ورسول الله واضع زمامها لها ، ثم التفتت خلفها ، ورجعت الى مبركها ، فبركت فيه ، فنزل عنها ، وأخذه الذى كان يأخذه عند الوحى ، وسرعان ما سرى عنه ، فراح يتلو :

« رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين (١) » .

بركت القصواء عند مربد لغلامين يتيمين لبنى النجار فى حجر معاذ بن عفراء ، وهما : (سهل وسهيل ابنا عمرو) قال أبو أيوب الأنصارى للرسول عليه السلام : ائذن لى أن انقل رحلك . فأذن له ، واحتمل أبو أيوب رحله موضعه فى بيته . وجاء سعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده ، ونزل الرسول فى دار أبى أيوب وخرجت جويرات من بنى النجار بالدفوف يقلن :

نحن جوار من بنى النجار
ياحبذا محمد من جار

فخرج اليهن رسول الله وقال : أتحبوننى ؟

نعم يارسول الله . قال : أنا والله أحبكم .

المدينة حاضرة الدولة الناشئة :

استقر النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ودعا الله أن تكون حبيبة الى قلبه وقلب أصحابه ، وينجيها من الوباء ، كما أحب وأحبوا مكة ، وكان أول ما بدأ به الاخاء بين المهاجرين والأنصار ،

---

(١) المؤمنون ٢٩ .

وكان الاخاء له منزلة النسب فى الارث والحمل والدفاع ، ثم نسخ فيما بعد ، ومع ذلك بقى له شأنه فى صدور من لمسوه وعاشوا فيه ، وقد سبق اخاء المدينة اخاء فى مكة ذكره المؤلف وسجله . قال عنه : رأى النبى — صلى الله عليه وسلم — أن بعض المسلمين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة ، فاخى بينهم على الحق والمساواة، فاخى بين أبى بكر وعمر ، وآخى بين حمزة وزيد بن حادثة ، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين الزبير وابن مسعود ، وبين عبادة بن الحارثة وبلال وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص ، وبين أبى عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة ، وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وطلحة بن عبيد الله ، وبين على ونفسه — صلى الله عليه وسلم — وقال :

أما ترضى أن أكون أخاك ؟ فقال على فى ابتهاج : بلى يارسول الله رضيت . قال الرسول :

فأنت أخى فى الدنيا والاخرة (١) .

وهؤلاء — ما عدا عليا — كان لهم اخاء فى المدينة بعد الهجرة ، ثم وضع الرسول ميثاقا للمدينة يشمل المهاجرين والأنصار واليهود ، لينظم الامن والعمل والدفاع عن المدينة ، وهو ميثاق جليل عنى به القدماء والمحدثون .

ثم بنى مسجده الذى ما يزال عامرا الى اليوم ، وسيبقى الى أن يرث الله الارض ومن عليها . وصار المسجد مثابة الدين والدنيا ، ومنه قامت حضارة اسلامية أشرقت فى العالم أجمع ، ثم شرعت صيغة الأذان ، وحولت القبلة الى الكعبة ، وبنيت للرسول حجراته بجوار مسجده ، وأخذ أصحابه يزاولون حياتهم اليومية ، وأبدى الأنصار كرما زائدا ، وايثارا خالصا سجله القرآن ،

---

(١) ص ٨٩ من المصدر نفسه .

واعترف به الرسول والمهاجرون الأولون •

ولا تحسبن أن الرسول ــ صلوات الله عليه ــ ذهب عنه الأذى ، وبعد عنه العداء حين أقام فى تلك المدينة التى سميت : « المدينة المنورة » فقد ظهر العداء له داخل تلك البلدة الطيبة ، وكان أول ما بدا من العداوة أتاه من اليهود ، وهم يسكنون مع الأوس والخزرج فيها ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فينذرونهم برسول يقوم معهم ليقتلوا المشركين قتل عاد وارم ، فلما جاءهم كانوا أول كافر به ، ظهر العداء حين بلغ قباء • يقول المؤلف : ذاع خبر نزول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقباء بين اليهود ، فراحوا يهرعون الى يهود بنى النضير وبنى قريظة وبنى قينقاع بالنبأ العظيم ، وجاء الى اليهودى الذى اشترى (سلمان الفارسى) من وادى القرى ابن عم له حتى وقف عليه فقال :

ــ قاتل الله بنى قيلة ، والله انهم لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبى •

كان سلمان على رأس نخلة لسيده وسيده جالس تحته ، فلما سمع قول ابن عمه اذا به يرتعد وينتفض من الرأس الى القدم ، حتى ظن أنه سيسقط على سيده • فنزل عن النخلة وقد خفق قلبه ، ثم ذهب الى ابن عم سيده وقد غاب عن كل شىء الا التيقن مما سمع ، فجعل يقول للرجل : (لاحظ أن سلمان عرض نفسه للرق فى سبيل الحقيقة) •

ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ فغضب سيده ، فلكمه لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك

ولكن سلمان لم يسكت ، واتصل بالرسول ، ثم أسلم ، واشترك الرسول وصحابته فى تحريره من رقه بأداء أشياء مرهقة من نخيل يغرس ، وذهب يدفع لهذا اليهودى •

وانضم الى اليهود جماعة من المنافقين من الأوس والخزرج ، فكادوا للرسول وللاسلام كيدا شديدا ، وأبدى عبد الله بن أبى

ابن سلول عداوة لداء مع اظهاره الاسلام ، وكم فعل ما يوجب قتله ولكن الرسـول الرحيم كان يرى ألا يقال عنه : انه يقتل أصحابه ، وقد حكى القرآن مواقف للمنافقين كثيرة كمـا نزلت آيات كثيرة فى شأن اليهود ونفاقهم واعراضـهم عن خبر السماء ، وتحجرهم عـلى مابأيديهم لا على ما حوته التوراة.

وزاد بغضهم وتخوفهم من دولة الاسلام ، فراحوا يسـألون النبى أسئلة تدل على رعب ومكر وتربص وتمن للأمانى الكاذبة ، وقـد روى المؤلف موقفا لليهود ، دفعنى الى روايته ما فيه من غرابة ، وكان له أثر فى الشيعة والمتصوفة فى مقبل الأيام ، وفى تحديد يوم القيامة . كان الحوار دائرا بين محمـد — عليه السلام — واليهود والكافرين والمنافقين ، والقـرآن ينزل مـن السـماء ليلزم الجمـيع الحجة ، ويبين لهم ما فيه يختلفون ، وأهل الكتاب فى دهشة من أمر ذلك الأمى الذى لم يقـرأ فى كتب الأولين ، ويعجبون من أين له هـذا العلم الغزير . ومر أبو ياسر بن أخطب برسـول الله وهـو يتـلو فاتحة البقرة : **«ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه »** فوقف ، وقد شغله ما سمع ، فأتى أخاه حيى بن أخطب فى رجال من يهود فقال : تعلموا ، والله لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل عليه : **« ألم . ذلك الكتاب »** فقالـوا فى عجب : أنت سمعته ؟ —

— نعم . فمشى حيى بن أخطب فى أولئك النفر من يهود الى رسول الله . فقالوا له : يا محمد ، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل اليك **« ألم . ذلك الكتاب »** ؟

— بـلى

— أجاءك بها جبريل من عنـد الله ؟

— نعم .

— قد بعث الله قبلك أنبياء ، ما نعلمه بين لنبى منهم ما مدةملكه، وما أكل أمته (طول مدتهم غيرك .

والتفت حيى بـن أخطب الى من معه فقال لهم ، وقد اتخـذ حساب الجمل لمعـرفة مـدة أمة الاسلام :

— الألف واحـدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهـذه

احدى وسبعون سنة . ثم أقبل على رسول الله فقال :

ــ يا محمد ، هل مع هذا غيره؟

ــ نعم

ــ ماذا ؟

ــ « آلمص »

ــ هذه والله أثقل وأطول : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون . فهذه احدى وستون ومائة سنة . هل مع هذا يا محمد غيره ؟

ــ نعم « ألر »

ــ هذه والله أثقل وأطول : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه احدى وثلاثون ومائتان .

هل مع هذا غيره يا محمد ؟

ــ نعم « المر »

ــ هذه والله أثقل وأطول : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه احدى وسبعون ومائتا سنة . وصمت قليلا ثم قال : لقد لبس علينا أمرك يا محمد ، حتى ماندرى أقليلا أعطيت أم كثيرا . ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسر لأخيه حيى ابن أخطب ولمن معه من الأحبار ــ ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد : سبعمائة وأربع وثلاثون سنة . لقد تشابه علينا أمره .

وانما ذكرت لك ذلك مما دبجته براعة السحار لتعلم الى أى مدى كان أمر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يشغل بال اليهود ، ويعلمون أنه على حق ، ويبتعدون عن الايمان والاسلام ، ويشغلون أنفسهم بالترهات والأباطيل . ومن يضلل الله فلا هادى له .

على أن الرسول قد مضى فى طريقه المستقيم يبشر وينذر ، والاسلام ينتشر ، ويعد نفسه وأصحابه لملاقاة قريش فى كل طريق . وبذلك كانت الهجرة فارقا بين الضعف والقوة ، والعزة والذلة وان الله مع المتقين .

خاتمة

هذا الكتاب ــ وهو جزء مستقل من موسوعة عبد الحميد جودة السحار : مثال رائع للتأليف فى القرن الرابع عشر الهجرى ، ولم أنقله اليك بحذافيره ، لأنه لا ينقل

بل يقرأ ، وانما قدمت اليك قراءة ذهنية عنه ، تعطيك صورة عن الهجرة ، وفكرة عن جهد المؤلف ، وقد تجد فيما سطرت جديدا يقرأ ورأيا يقال •

وكان يقال : « من ألف فقد استهدف » وانى أخالفه فى بعض الأشياء ، قد يكون منهجه القصصى ساقه اليه ، لكن الحقيقة غير ذلك، وسأنوه ببعضها ، تكميلا للمنفعة ، ووفاء للحقيقة ، وكفى المرء نبلا أن تعد معايبه) وهى من قبيل حسنات الأبرار ••

١ ــ ذكر (السماء) فى لقاء النبى بنى شيبان فى موسم الحج أنه راح يتلو : ــ

« يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا • وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » (١) وهذه الآيات من سورة الأحزاب •

وسورة الأحزاب مدنية لا مكية ولم تكن قد نزلت حين يعرض نفسه على القبائل •

٢ ــ وذكر أن الرسول ــ عليه السلام ــ أراد النزول على عبد الله بن أبى بن سلول ، ولكن عبد الله رفض • قائلا : اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم (٢) •

والواقع أن الرسول نزل على أبى أيوب الأنصارى ــ كما ذكرنا سابقا ــ وقال لمن أراد النزول عنده : « المرء مع رحله » ورحله كان عند أبى أيوب •• وانما حدث أن مر الرسول على ابن أبى وكان راكبا مردفا وراءه اسامة بن زيد فرأى أن يحترم كبير الخزرج ، فنزل وجلس فى مجلسه ، فوعظ وبشر وأنذر ، فاعترض ابن أبى ، وقد ذكر القصة بتوسع فى صفحتى ١٩٨ و ١٩٩ من مؤلفه • فكأنه ذكر الحادثة مرتين •

٣ ــ وفى صفحة ١٤٢ نص على أن أسماء بنت أبى بكر هاجرت وهى حامل بعبد الله بن الزبير بن

---

(١) الاجزاب ٤٥ ــ ٤٧ ص ٤١ من الهجرة •
(٢) ص ١٣٧ من المصدر نفسه •

العوام • ثم ولدت أسماء ولدها ، ثم وضعته فى حجر رسول الله ، فكان أول مولود للمهاجرين ولد فى يثرب •

لكن كتب التراث والمحدثين ومنهم الدكتور على حسنى الخربوطلى فى كتابه « عبد الله بن الزبير » يقول :

ولد عبد الله بن الزبير فى المدينة فى اليوم الثانى من شهر شعبان بعد عشرين شهرا من الهجرة (فبراير ٦٢٢ م) فكان بذلك أول طفل ولد فى المدينة فى الاسلام ، كما كان أكبر أولاد الزبير(١) ومعنى هذا : أن أسماء أثناء الهجرة لم تكن حاملا •• والمعقول : أن يكون زواجها بالزبير فى المدينة •

٤ — قرن السحار موت عثمان ابن مظعون الجمحى القرشى بموت أسعد بن زرارة الأنصارى (٢) ، وهذا يفيد موته فى عام الهجرة الأول ، والتاريخ يثبت : أن وفاة ابن مظعون كانت بعد ثلاثين شهرا من الهجرة ، وقد حضر غزوة بدر وأبدى بطولة حربية ، ومن الغريب أن الدكتور طه حسين فى كتابه : (الشيخان) جعله من شهداء أحد حين تحدث عن واجبنا نحو الشهداء • وابن مظعون مات على فراشه ، وكان عمر رضى الله عنه يستعظم أن يموت غير شهيد ، وهو أول من دفن بالبقيع •

٥ — ذكر المؤلف حين تحدث عن الأسواق وما فيها من تجارة قائلا :

« وامتدت الأبصار الى الشعراء ، وهم يتوجهون الى القبة التى ضربت للنابغة الذبيانى ، وغدا الناس يذكرون أسماءهم • لقد وردوا جميعا الى سوق عكاظ ، ولم يغب عنهم الا حسان بن ثابت شاعر الخزرج فقد أسلم (٣) ••»

وجعل ممن حضر الموسم : زينب بنت رسول الله وعم أبيها العباس ويفيد كلامه أن هذا كان بعد الهجرة •

ولا اعتراض لى على ما ذهب

---

(١) ص ١٣ من كتاب عبد الله بن الزبير •
(٢) ص ١٥٨ من كتاب الهجرة للسحار •
(٣) ص ٢١٥ من المصدر نفسه •

اليه الا ذكر النابغة الذبياني وقبته وأنه حضر الموسم ولم يحضره حسان بن ثابت ، والحقيقة التاريخية تقول : ان النابغة عمر طويلا ، ومات قبيل البعثة (١) ، ومعنى هذا أن النابغة لم يكن على قيد الحياة حين نبيء محمد — صلى الله عليه وسلم — ولم يحضر مقامه فى مكة ، ولا هجرته الى المدينة .

وهناك أخطاء أخرى مطبعية لا داعى للاشارة اليها ، والكتاب مطبوع سنة ١٩٧٧ .

لكن كل هذا لا يغض من شأن الكتاب ، وأنه جاء ترجمة نفسية لمؤلفه ، وأنه يأخذ مكانه فى المكتبة العربية مصحوبا بالتقدير ، فحب المؤلف للقصص دفعه الى الوقوع فى مثل هذه الهفوات وهى قليلة — رحمه الله وأفسح له فى جناته بمقدار ما ألف وأنار وهدى .

السيد حسن قرون

---

(١) ص ٦٧ من كتاب الوسيط في الادب العربى ط ١٩٢٨ .

فهـرس العـدد

الموضوع	الصفحة
● لمحات ونفحات من الهجرة « دعوة وتوجيه » لفضيلة الامام الأكبر الدكتور/محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر	١
● خواطر حول الهجرة النبوية لفضيلة الدكتور/محمد الطيب النجار وكيل الأزهر	٥
● مرحبا بهلال مطلع القرن الخامس عشر الهجرى لفضيلة الدكتور/الحسينى هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية	١٥
● لمحات من الهجرة للأستاذ/محمد صابر البرديسى مدير المجلة	٢١
● الهجرة وبركتها على الاسلام لفضيلة الشيخ/مصطفى محمد الطير	٣٣
● الصديقية فى موكب الهجرة للدكتور رءوف شلبى	٤٩
● الهجرة ومشروعية القتال للدكتور محمد رجب البيومى	٥٤
● الهجرة ومنهج التغيير للدكتور عبد الغنى الراجحى	٦٤
● الهجرة بداية صراع مسلح للدكتور محمد محمد خليفة	٧٤
● الهجرة ومطلع القرن الخامس عشر الهجرى للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى	٨١
● هجرة الى النصر والفتح للدكتور السيد رزق الطويل	٨٦
● مواكب الهجرة للأستاذ جابر حمزه فراج	٩٢
● القرن الخامس عشر وأخلاقيات العلم للدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة	٩٨
● الهجرة والجهاد للدكتور محمد محمد أبو موسى	١١٣
● المسلمون والقوة الرادعة فى القرن الخامس عشر لواء محمد جمال الدين محفوظ	١٢٢
● الهجرة ويوم الاثنين للأستاذ محمد كمال السيد	١٣٥

الموضوع الصفحة

- **الهجرة بداية عز الاسلام**
  لفضيلة الشيخ ابراهيم على النشار ١٤٤
- **حرب لا يقرها الاسلام**
  للدكتور أحمد عمر هاشم ١٤٩
- **الهجرة والقرن الخامس عشر الهجرى**
  للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح ١٥٥
- **هجرة خاتم النبيين**
  للأستاذ أحمد على منصور ١٦٣
- **بيعتا العقبة .. والطريق الى يثرب**
  للأستاذ رشدى محمد ابراهيم ١٦٩
- **من نفحات الهجرة**
  للأستاذ محمد أبو النصر غانم ١٧٤
- **من وحي ذكرى الهجرة**
  للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين ١٨٠
- **حكم وطرائف**
  - اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم . . . ١٨٤
- **باب الفتاوى**
  الأستاذ عبد الحميد شاهين ١٨٨
- **من أنباء العالم الاسلامى**
  اعداد الأستاذ فهمى عبد اللاه السيد ١٩٢
- **كتاب الشهر « الهجرة »**
  عرض وتحليل الأستاذ السيد حسن قرون ١٩٩

طبع بمطابع مؤسسة روزاليوسف

ص ١٢

مدير المجلة
محمد صابر البريسي

مجلة
الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

إدارة ...
بالقاهرة
ت :
٩٠٩٩٢٢
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثاني — السنة الثالثة والخمسون — صفر سنة ١٤٠١هـ — يناير ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم

احتفالات الأزهر الشريف

بمطلع القرن الخامس عشر الهجري

صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار
يلقي كلمة الأزهر

حفل الأزهر مساء السبت ٣٠ من ذى الحجة ١٤٠٠ هـ الموافق ٨ من نوفمبر ١٩٨٠م بالوف من العلماء وكبار رجال الدولة ، والطلبة احتفالا بالعام الهجرى الجديد وبمطلع القرن الخامس عشر الهجرى .

وقد تفضل سيادة رئيس الجمهورية السيد محمد أنور السادات فشرف هذا الحفل الكريم . وأدى صلاة العشاء جماعة .

وقد بدىء الاحتفال بقراءة آيات من القرآن الكريم ، ثم ألقى صاحب الفضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر خطابه الذى ناشد فيه المسلمين فى انحاء العالم بالعودة الى رحاب الدين والتمسك بشريعة السماء — :

بسم الله الرحمن الرحيم •• والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين •

سيادة الرئيس المؤمن رئيس جمهورية مصر العربية محمد أنور السادات •• أيها الاخوة المؤمنون فى جميع انحاء العالم •• نستقبل اليوم عاما هجريا جديدا •• نستقبل العام الأول بعد أربعمائة والف عام من الهجرة النبوية الشريفة ونقف على بداية قرن جديد هو القرن الخامس عشر الهجرى •• واذا كنا فى اعتبار دورة الزمن الحولية ننتقل من عام الى عام •• فاننا باعتبار دورة الزمن المئوية ننتقل من قرن الى قرن •• ومن هنا يأخذ عامنا الهجرى الذى نحتفل به الليلة أهميته وجدارته بالعناية لأنه علامة زمنية بارزة تفصل بين قرنين ، لذا فقد تكرمتم ياسيادة الرئيس وأوليتم هذه المناسبة عناية خاصة تعبيرا عن صدق ايمانكم وعنايتكم بالمعالم البارزة فى تاريخ الاسلام •• وكانت تلبيتكم لدعوة الازهر الشريف وتشريفكم لحفله تعبيرا عن حبكم لهذا المعهد العتيق ، وتأكيدا لحرصكم على رعاية القيم الاسلامية وتسجيل معالمها التاريخية •• وابرازا لدور مصر الاسلامى فى الحفاظ على الاسلام عقيدة وشريعة ، واخلاقا وآدابا ولغة •• وتقوية لجهودها فى مضمار الحضارة الاسلامية •

السيد الرئيس :

اننا الليلة ونحن نستقبل بحضوركم ومعكم القرن الخامس عشر الهجرى •• ونفتتح برامج الأزهر احتفالا بهذه المناسبة التاريخية ، يسرنا أن نتقدم اليكم — بصادق التهنئة •• تعبيرا عن مشاعرنا •• ومشاعر علماء الأزهر جميعا •• ونسأل الله ان تكون هذه المناسبة مباركة بكم ولكم وللأمة المصرية •• وأن يحقق الله لمصر على يديكم ما تستشرف اليه من عز ورخاء وأمن وسلام •

واننا كذلك نتقدم بالتهنئة الى

شعوب العالم الاسلامى وجماعاته وحكوماته • سائلين المولى عز وجل ان يجعل هذا العام بشير خير وسلام للأمة الاسلامية •

ونسأله سبحانه أن يمنح حكامهم ورؤساءهم واولى الأمر منهم الصواب قولا وعملا • وأن يرزقهم الحكمة « **ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا** » •

السيد الرئيس :

ان الهجرة النبوية حدث فاصل فى تاريخ الاسلام •• اجتمع به شمل المسلمين واستقرت بها الجماعة الاسلامية فنزلت أحكام الشريعه السمحة ، ووضحت معالمها الحكيمة فأزالت الفروق بين الناس •• وعدلت مقاييس الفضل بين البشر ، وكشفت عن عقولهم ، ومداركهم سلطان المادية الطاغية ، ووضعت بينهم قواعد المحبة والرحمة ، والفت بينقلوبهم بالبر وشفت صدورهم بالاحسان •• وجعلت فى المجتمع الاسلامى مثابة للخائف •• وأمنا للضعيف •

وتشريعات الاسلام وآدابه : تبنىالاخاء الذى يعم به التواصل •• وتحمى المساواة التى يستند اليها العدل •• وتدافع عن الحرية التى تتفتح فيها المدارك •

وان العالم اليوم قد شغلته نظم مادية مجردة •• تبنى الأخلاق على أساس الكسب والاقتصاد •• وتقيسها بمقياس المادة •• وتربط الحياة بقوانين الصراع ، فتثير الفزع هنا •• وتوقد الحرب هناك •• وتشحذ النفوس بجمرات الكراهية ، وتملأ الجوانح بنزعات البطش والعدوان ••فأين هذه النظم من مبادىء الاسلام ؟ • وقد دعت الى الاخاء الانسانى العام • وأرشدت الى صلات الرحم •• والقرابة بين البشر جميعا •• وكرهت العدوان فى أى عمل ودعت الى الرحمة •• بجميع الكائنات : « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** »

ولقد كانت الهجرة قدرا قدره الله تعالى بحكمته للاسلام •• وكانت فى أخطارها وأهوالها أمرا

بعيد المنال بمقياس البشر فكانت معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله تعالى مع نبيه فيها حياطة وحفظا وتأمينا « **اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها** » لقد مكر الذين كفروا فأبعدوا فى المكر •• ودبروا لرسول الله صلى الله عليه سلم ولهذا الدين وهو بعد وليد •• فأحكموا التدبير وكان تدبير الله فوق تدبيرهم •• وكان تقديره غالبا على تقديرهم « **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » •

ويقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم « **واذ يمكر بك الذين كفروا •• ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك •• ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » وكانت الهجرة فرقانا فرق الله بها للاسلام بين عهدين : عهد كان المسلمون فيه فى ضعف وفزع ، وعهد صاروا فيه ، الى أمن وقوة ، وقد جعل الله فيها للمسلمين المثل والذكرى •• يعرفون بها سنة الله فى الخلق وعدله فى الأمم •• فان الناس اذا اتقوا وأحسنوا جعل الله لهم فرقانا يصلح به أمر معاشهم ومعادهم • •واننا لنتأمل السياق القرآنى الذين امتن الله تعالى فيه على نبيه بحفظه ورعايته •• فنقرأ قوله تعالى « **يا أيها الذين أمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم** » •

ان الأمة الاسلامية تقف اليوم على مشارف قرن جديد تلتفت فيه الى ماض كريم وتاريخ عريق ، ثم تنظر الى حاضر حزين وتتطلع الى مستقبل مشرق مضىء آمن بأذن الله ، وان مصر قد حباها الله تعالى من فضله شيئا كثيرا ، فان لها من أبنائها فى ايمانهم وعزمهم واستقامتهم ذخيرة لا تنفد ، ولها بالأزهر فى نفوس المسلمين فى الشرق والغرب مكانة لاينالها أحد •

ان من سنة الله فى خلقه أن الأمم تكبو ثم تنهض ، وتضعف ثم

تقــــوى ، وتفتــرق ثم تأتلف ، ويعتورها ما يعتور الكائنات مــن عوامل التأثير والتغيير « **يقلب الله الليل والنهــار ان فى ذلك لعبــرة لاولى الابصار** » وجريا على هذه السنة لم يسلم تاريخنا الاسلامى من آفــات البشرية وشرورهــا ، وانتابه فى كثير من العصور فترات مضطربة ، فى علاقات شــــعوبه بعضها ببعض .. ويعود التــاريخ وتدور الأيام ، ويتبع المســـلمون اليوم فى مثل ما حــدث بالأمس ، وترتفع أصوات أعداء الاســلام شماته فيه وفى أبنائه ، ولكن الله العلى القــدير الــذى أذهب عن الأمة الاسلامية حزنها ، وكشــف عنها ســحائب الغمم فى الماضى ، قادر أن يكشف عنها اليوم مانزل بها ، وان يجمع وحدتهــا ، ويؤلف بين قلوبها ، فان الأمل فى اللــه لا يخبو ، والرجاء فيه لا ينقطــع ، ومن فضــل الله على هذه الأمة ، أن أرضها لا تخلــو فى عصر من العصور من امام عادل ، وسلطان ظاهر ، يجمع المســلمين ، وينهض بأمور دينهم ولا تخلو الأرض من أمة تقوم بأمر الاســلام ، يقول صلى الله عليه وســلم فيما رواه البخارى ومســلم وأحمد : « لا تزال طــائفة من أمتى قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر اللــه وهم ظاهرون على الناس » .

وكان لمصر دور كبير فى التاريخ الاسلامى تحملت به المسئولية عن الأمة الاسلامية ، وعن الحضــارة الانسانية .

واليــوم فان مصر بتاريخهــا وأبنائها ــ وبايمانهــا وبأزهرها وبحكمتكم قــادرة أن ترتاد الأمة الاسلامية طريق الصــلاح والخير والأمان .

انها بمكانتها الدينية وبحكمتكم وبرأيكم الذى تثق فيه وبفضــل الله ــ قــادرة أن تجمع العــالم الاســلامى من جديد على طريق الصلاح والعزة والأمن والرخاء .

واننا لنستبشر بأن يهل علينــا هذا القرن الخامس عشر الهجرى فى عهدكم .

سدد الله خطاكم لخير الاسلام، وعزة المسلمين ، نسأل الله مبتهلين اليه أن يؤلف القلوب على الهدى ويجمعها على التقوى ، وأن يجعل هذا العام وهذا القرن الجديد بشير خير وصلح وعز وبركة علينا وعلى المسلمين فى كافة الأقطار ، وعلى الناس أجمعين ، صلى الله على سيدنا محمد نبى الهدى ، ورسول الرحمة وخاتم النبيين ، وعلى جميع الرسل وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين الى يوم الدين « **وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين** » .

دكتور محمد عبد الرحمن بيصار

شيخ الأزهر

« قلوب مؤمنة »

لكل صحابى هاجر مع التاريخ قصة .. ومع المجد رواية .. ومع البطولة موقف ..

فعندما شرع أحد الصحابة فى الهجرة خرجت امرأته لوداعه فقالت له : يا أبا فلان : اياك اياك والكسب الحرام .. فلا تشغل نفسك بنا .. فنحن نصبر على الجوع ولا نصبر على النار ..

الإسلام ..
يحرر الفكر الإنساني من الجمود والتقليد

لفضيلة الدكتور
محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

مر الفكر الانسانى عبر التاريخ والأجيال فى مراحل متنوعة وأطوار مختلفة، فانتقل من ضعف الى قوة، ومن قوة الى ضعف ، وهو — على كل حال — ككل كائن حى لا يمكن أن يتدرج الى القوة والنماء الا اذا توفر له الجو المناسب واكتملت له عناصر الغذاء .. ثم هو — مع ذلك — يحتاج أبدا الى قيادة حكيمة : ترشده وتهديه ، وتسمو به وتعليه ؛ ومن هنا تبدو حاجة المجتمع البشرى الى الرسل والأنبياء ، ومن أجل ذلك كانت الرسالات السماوية التى حملها الله للمصطفين من عباده ليبلغوها الى الناس وينشروها بين الأمم والشعوب لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ..

واذا علمنا أن كل نبى قبل نبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم كان يبعث الى قومه خاصة . أدركنا أن الرسالات السماوية قد شملت جميع الأمكنة وجميع العصور ، وأنها لم تقتصر على قارتى آسيا وافريقية كما يزعم الزاعمون ولكنها نفذت قديما وراء بحر الظلمات فأنارت الطريق لمن كانوا يعيشون من بنى آدم وراء بحر الظلمات .. وحينما اكتشف المكتشفون الأمريكتين كانت الرسالات السماوية — فيما أعتقد — قد اكتشفهما قبل ذلك . لأن رحمة الله لا يمكن أن تترك جزءا من العالم يتخبط فى ظلمات الضلالة وتختص جزءا آخر بالهدى والنور ، وقد أخبر الله نبيه محمدا

صلى الله عليه وسلم عن بعض الرسل ممن بعثوا فى الجزيرة العربية أو قريبا منها ولم يخبره عن الآخرين الذين ظهروا فى أنحاء هذا العالم الأخرى فقال : **« ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ، رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ..** » (١) .

ورسالة محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - هى خاتمة الرسالات ، وهى الرسالة الكاملة الشاملة التى لم تقتصر على مكان أو زمان بعينهما بل شملت العالم كله ، وانتظمت جميع الأزمنة والعصور منذ بعث محمد - صلى الله عليه وسلم - الى أن يقوم الناس لرب العالمين ..

ولقد حرر الاسلام الفكر الانسانى من ربقة الجمود ، وسما به عن الارتكاس فى حمأة التقليد ، ولم يسمح له بالانطلاق وراء الوهم والخيال بل رسم له الحدود . ووضع بين يديه المعالم على الطريق ... أجل دعا الاسلام الناس الى التأمل فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله فى هذه الدنيا من عجائب، وأودع بين جنباتها من غرائب وأسرار ، دعاهم الى هذا التأمل لكى يصل بالعقلاء منهم الى نتيجة لاشك فيها ولامراء وهى « ان الأثر يدل على المؤثر والصنعة تستلزم وجود الصانع ، فلابد لهذا الوجود من اله واجب الوجود .. » .

استمعوا الى قوله تعالى فى سورة « ق » : **« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب »** (٢) .

---

(١) سورة النساء الآيتين ١٦٤ ، ١٦٥ .
(٢) الآيات ٦ - ٨ من سورة ق .

ثم استمعوا الى قوله تعالى فى سورة الغاشية : « **أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت ، فذكر ، انما أنت مذكر** » (١) • استمعوا الى هذه الآيات الكريمة لتؤمنوا بل لتزدادوا ايمانا ويقينا •• ، ثم انظروا مع ذلك الى أنفسكم فى قوله تعالى : « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** »(٢) • وفى قوله تعالى : « **فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب ، انه على رجعه لقادر** » (٣) • وفى قوله سبحانه : « **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** » (٤) •

فاذا وضعتم أيديكم على هذه الحقائق علمتم من هو الاله المعبود الخالق الرازق ؟ • ومن هو البارىء المصور • والمدبر المقدر •• ؟ ••

وقد ذكر الله لنا فى قصة ابراهيم عليه السلام نماذج حية ترينا كيف يكون التفكير السليم فى أروع صوره • وكيف يتدرج المؤمن فى أقناع الكافر بالوسائل المحسوسة والادلة الملموسة حتى ينتصر عليه ؛ وهذه النماذج التى ذكرها الله عن ابراهيم عليه السلام هى فى واقعها مبادىء اسلامية ، بعد أن سجلها الله فى كتابه ، وضربها مثلا لمحمدصلوات الله وسلامه عليه ولجميع المسلمين ، ليتبعوا سبيلها ويسيروا فى حياتهم على نهجها القويم ؛ فهذا هو الملك النمرود وكان جبارا طاغية أبطره الملك والسلطان حتى ادعى أنه اله •• ها هو ذا يجادله

---

(١) سورة الغاشية الآيات من ١٧ ــ ٢١ •
(٢) سورة الذاريات الآيات ٢١ •
(٣) سورة الطارق الآيات ٥ ــ ٨ •
(٤) سورة النحل الآية ٧٨ •

ابراهيم عليه السلام بالحجة والبرهان • ويتدرج معه فى مدارج المنطق السليم حتى يلحق به الخزى والهوان •• وفى ذلك يقول الله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « **ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم : ربى الذى يحيى ويميت ، قال : أنا أحيى وأميت ، قال ابراهيم : فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين** » (١)، وهاهى ذى قصة ابراهيم مع عبدة الكواكب حينما يتدرج بهم ليقنعهم بأن عبادتها باطلة حيث يقول سبحانه : « **وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين • فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال : هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين • فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون • انى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين** » (٢) •

ويمثل هذا الأسلوب المنطقى الرائع يتدرج ابراهيم ــ كذلك ــ مع عبدة الأصنام فيلزمهم الحجة ويضع أيديهم على الحق الذى لا ريب فيه ، وينطلق بأفكارهم فى مجال الحكمة والموعظة الحسنة لينتشلهم من وهدة الجمود والتقليد ، ونجد ذلك فى قوله سبحانه عن ابراهيم : « **اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم عاكفون ؟ • قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين • قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين • قالوا : أجئتنا بالحق أم أنت من**

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٨ •
(٢) سورة الانعام الآيات من ٧٥ ــ ٧٩ •

اللاعبين ؟ قال : بل ربكم رب السماوات والارض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا ألا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ، قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ، قالوا : فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم : قال : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ، قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ؟ » (١).

والآيات الكريمة ــ بلا ريب ــ واضحة الدلالة فى الطريقة التى لجأ اليها ابراهيم لكى يفضح زيف عبادة الأصنام وفسادها حيث بين لهم أنها لاتملك دفع الضر اذا ألم بها . ولاتستطيع الدفاع أمام من يعتدى عليها فهى قعيدة عاجزة صماء بكماء عمياء ، وهى لاتملك نصر نفسها حتى يستنصر بها هؤلاء الجاهلون السفهاء ..

ولقد نعى الله سبحانه على كل من لا يستخدم عقله فى الوصول الى الحقيقة ونزل بهم الى الدرك الأسفل فألحقهم بالأنعام بل جعلهم أضل سبيلا لأن الانعام ليست لها عقول ، ولكن هؤلاء لهم عقول خرجت بهم عن طريق الهدى وأضلتهم عن سواء السبيل ..

وتوعدهم الله بالعذاب وشديد العقاب حيث قال : « **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** »(٢).

---

(١) سورة الانبياء الآيات من ٥٢ ــ ٦٧ .
(٢) سورة الاعراف الآية ١٧٩ .

ونعى — كذلك — على أولئك المقلدين الذين لا يقدرون نعمة العقل فلا يفكرون فيما ينفعهم ويدفع الضر عنهم ، بل ينساقون وراء الفساد لأنهم ورثوه عن الاباء والأجداد . « **واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون** » (١) .. « **واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير** » (٢) .

وفى أسلوب منطقى رائع يجابه الله هؤلاء المشركين الذين جمدوا على عبادتهم الباطلة وعاداتهم الجاهلة وتقاليدهم الموروثة فيفضح بالمنطق الاسلامى السليم جهلهم . ويسخر بنفوسهم المريضة وقلوبهم العمياء فيقول « **.. آلله خير أما يشركون ؟ . أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أاله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أاله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أاله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون ، أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أاله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ؟ أاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين** » (٣) .

وهكذا وبعد أن يقيم الله هذه الأدلة القاطعة والبراهين الدامغة على وجوده ووحدانيته وعظيم قدرته يطالب الجاحدين المنكرين

---

(١) سورة البقرة ١٧٠ .
(٢) سورة لقمان الآية ٢١ .
(٣) سورة النمل من الآيات ٥٩ — ٦٤ .

أن يأتوا بدليل يؤيدهم فى زعمهم . أو برهان يساندهم فى دعواهم الكاذبةوتكلم — بلا ريب — غايةفى حرية الفكر والبعد عن أسر التقليد والجمود تتضاءل دونها كل غاية ، فليست حرية الفكر أن تطلق العنان لمناظرك يتخبط فى ظلمات الغى والضلالة ، ولكن حرية الفكر التى ينادى بها الاسلام وتؤمن بها النظم الصالحة أن تمسك بالمصباح لتضىء الطريق ، وتوضح المعالم ثم تترك لمناظرك حرية الاختيار ، فان ركب رأسه واتخذ الغى سبيلا طلبت منه على ذلك برهانا ودليلا . وكأنك بذلك تعطيه الفرصة ليراجع نفسه ويستفتى قلبهويعرف الى أية غاية يهدف ؟ وفى أى طريق يسير ؟ ..

على هذا المنهج الواضح الرشيد يوجه القرآن الكريم الفكر الانسانى ليعصمه من أمواج الفتن وعواصف الزيغ والضلال ، وليبعده عن هاوية التقليد والجمود ، ويسمو به الى المستوى الكريم الذى يريه الحق من الباطل ، ويصل به الى شاطىء النجاة فى أمن وسلام .. وفى هذا الطريق القويم سار نبى الاسلام محمد — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه الراشدون المهديون فكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يحترم الرأى الرشيد وينفذه . وكان — صلوات الله وسلامه عليه — يرخص لمن يبعد عنه من أصحابه أن يجتهد برأيه فى المسائل التى لا يجد فيها نصا من الكتاب أو السنة معلنا أن من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر .. وقد ثبت أنه — صلى الله عليه وسلم . لما أرسل معاذ بن جبل قاضيا الى اليمن قال له « يا معاذ ، بم تقضى ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فان لم تجد فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله ، قال : فان لم تجد فى سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأيى » فضرب النبى — صلى الله عليه وسلم — صدره وقال : « الحمد لله الذى وفق

رسول رسول الله الى ما يرضى رسول الله .. » .

ومن المثل الرائعة على سمو الفكر ، وانطلاقه من سجن الجمود عملا بمبادىء الاسلام واتباعا لتوجيهاته السديدة فى احترام الرأى الصائب مهما كان صاحبه ، موقف عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — من المرأة التى أرشدته الى خطأ وقع فيه . وكيف أنه لم يستبد به الغرور . أو يبطره الجاه والسلطان أمام امرأة جابهته بكلمة الحق بل انه استضاء بنور العقل والبصيرة وشكر للمرأة صنيعها وحسن توجيهها ، فيروى أن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — وقف يخطب فى النهى عن التغالى فى المهور ويضع لها حدا أعلى ويقول : لا تزيدوا مهور النساء على أربعين أوقية فمن زاد ألقيت الزيادة فى بيت المال ؟! فقامت امرأة من صف النساء وقالت وهى تصيح : ماذلك لك ياعمر ؟ قال عمر ولم ؟ قالت : لأن الله يقول : « **وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا ؟** »(١) فأشرق وجه الخليفة عمر — رضى الله عنه — بالسرور وقال فى تواضع المؤمن : أصابت امرأة وأخطأ عمر .. ، فياله من سمو فى الفكر أبعد صاحبه عن الجمود أمام رأيه حينما وضح خطؤه فارتد عنه واتجه الى شرعة الحق والصواب .. ومن هذا المنطلق السليم أعنى تحرير الاسلام للفكر الانسانى من التقليد والجمود نقول : ان اختلاف المذاهب الفقهية لدى المسلمين ما بين حنفية ومالكية وشافعية وحنابلة الى غير ذلك انما يرمز فى الواقع الى هذه الحرية الفكرية . اذ أن المسلمين لم يجمدوا أمام النصوص القرآنية أو نصوص الأحاديث النبوية ، فيقفوا عند ظواهرها

(١) سورة النساء من الآية ٢٠ .

القريبة دون أن يستوعبوا أعماقها وأغوارها ويستكهنوا دقائقها وأسرارها . بل أمعن كل منهم النظر حتى آخذ من هذه الكنوز الثمينة حسب طاقته ، وكشف من أبعادها المترامية بقدر بصره وبصيرته ، ونتيجة لاختلاف القوى فى مجال العقل والتفكير وفى مجال البصر والبصيرة كان الخلاف بين علماء الدين ورجال الفقه والفكر الاسلامى ، وهو خلاف لا يمكن أن يتعارض أو يتدابر . لأنه ينبع من أصل واحد هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ويتجه الى غاية واحدة هى اسعاد الفرد والجماعة ، وتوجيه الطاقة البشرية الى ما ينفع ويفيد ، وابعاد المجتمعات الانسانية عن شرعة الغاب ومنطق الظفر والناب .

ومن أجل ذلك فان المسلمين لا تضيق صدورهم بهذا الخلاف الذى انبعث من حرية الفكر لأنه خلاف لا يتعدى مجال الحق الثابت المرسوم ، ولأنه خلاف لا يترتب عليه شر وفساد بل يتحقق به العدل والانصاف . اذ تتعدد به مسالك النجاة وتكثر على أساسه الأبواب الى رحمة الله ورضاه .

***

وبعد فما أجدر المسلمين فى كل مكان وزمان أن يستضيئوا بآداب الاسلام ، ومبادئه السامية الحكيمة ، وأن يتعلموا من دينهم الحنيف أن اختلاف الآراء حول موضوع من الموضوعات أو مشروع من المشروعات . أو فكرة من الأفكار . لا ينبغى أن يكون سببا فى جفوة أو قطيعة . ما دام بيننا كتاب الله وسنة رسوله منارة هادية ترشد الحائرين وتهدى الضالين الى طريق الخير والفلاح .

*

هذا . ومن الله العون وبه التوفيق .

د/محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

من أئمة المحدثين

أنس بن مالك

لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

أنس بن مالك

نسبه : أنس بن مالك بن النضير ابن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى ابن النجار المدنى نزيل البصرة .

وأمة : أم سليم بنت ملحان

كنيته : أبو حمزة ويقال أبو ثمامة الأنصارى البخارى .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبى ذر وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وأمه أم سليم وجماعة .

وروى عنه الحسن وسليمان التيمى وأبو قلابة وأبو مجاز وعبد العزيز ابن واسحاق بن أبى طلحة وأبو بكر بن عبد الله وقتادة وثابت البنانى وحميد الطويل ومحمد بن سيرين وأنس بن سيرين ويحيى بن سعيد الأنصارى وسعيد بن جبير وخلائق من الآفاق .

(مع النبى صلى الله عليه وسلم)

قدم الى النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن عشر سنين وشهور فخدمه تسع سنين وشهور بعد أن قدمته أمه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ليخدمه فكان نعم الخادم ارتقع بخدمته الى أعلا مراتب السيادة والفخار وكانت له ذؤابة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمدها ويأخذ بها .

حفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم الكثير وانتفع بتوجيهاته وأسرته شيم النبوة الكريمة ومعاملة النبى صلى الله عليه وسلم المثالية • خدم النبى صلى الله عليه وسلم حتى مات فما قال له أفاقط ولا قال له لم فعلت هذا وهلا فعلت كذا ، أرسله صلى الله عليه وسلم يوما لحاجة فخرج حتى مر على صبيان يلعبون فى السوق فشاركهم اللعب فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاه من ورائه فنظر اليه وهو يضحك فقال يا أنس أذهبت حيث أمرتك ؟ قال نعم أنا أذهب يارسول الله •

وعنه : لما كان صبيحة اليوم الذى احتلمت فيه أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا تدخل على النساء الا باذن •• قال •• فما أتى على يوم كان أشد على منه ••

وكان صاحب نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدواته • دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة •

قال أنس : فقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة ، فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليتعادون على نحو المائة اليوم •

وقال للرسول صلى الله عليه وسلم : خويدمك أنس اشفع له يوم القيامة قال : أنا فاعل قال فأين أطلبك ؟ قال : عند الصراط فان وجدتنى والا فأنا عند الميزان فان وجدتنى والا فأنا عند حوضى لا أخطىء هذه الثلاثة مواضع •

وعنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا •

وفاته

ومات أنس بعد حياة حافلة بالجهاد والعلم والعمل وكانت عنده عصابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدفنت معه بين جنبيه وقميصه ولما أدركه الموت جعل يقول : لقنونى لا اله الا الله

فلم يزل يقـولها حتى قبض رضى الله عنه •

وكان آخر الصـحابة مـوتا بالبصرة مات سنة ثلاث وتسـعين وهو ابن مائة وثلاث سنين عـلى الأرجح •• وعن قتادة قال: لما مات أنس بن مالك قال مورق العجلى : ذهب اليوم نصـف العلم فقيـل وكيف ذاك يا أبا المغيرة قال : كان الرجل من أهل الأهواء اذا خالفنا فى الحديث عن رسول الله صـلى الله عليه وسلم قلنا له : تعال الى من سمعه منـه •

كـرامة لأنس

وصاحب كأنس ليس كثيرا عليه أن تظهر كرامة بل كرامات فقـد حكى أن أرضه عطشت فقام فتوضأ وخرج الى البرية فصلى ركعتـين ثم دعا فالتأم السحاب وهطل المطر فلما سكن بعث بعض أهله ينظـر أين بلغت السماء ؟ فنظر فلم تعد أرضه الا يسيرا وذلك فى الصيف •

وقد ذكر ابن عساكر من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم له الكثير مما تركنـاه خوف الاطالة (تهذيب ابن عساكر ترجمة أنس ابن مالك) •

وأصـح أسانيده ما رواه مالك عن الزهرى عنه وقيل حماد بن زيد عن ثابت البنانى عنه وقيل هشام الدستوائى عن قتادة عنـه •

وأوهى الأسانيد اليه : داود بن المحبر عن قحدم عن أبيه عن أبان ابن أبى عباس عنه •

عائشة أم المؤمنين

اسمها ونسبها : عائشة بنت أبى بكر الصديق عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب •

وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية •

وكنيتها : أم عبـد اللـه كناها رسول الله صلى الله عليه وسـلم بابن أختها عبد الله بن الزبير •

ولدت بعد المبعث بأربع سـنين أو خمس •

أم المؤمنين لقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) فى تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن وتقديرهن لا فى النسب

والميراث وما الى ذلك من الآثار القانونية المترتبة على القرابة المباشرة .

زواج النبى صلى الله عليه وسلم بها

فى صحيح البخارى : عن عائشة رضى الله عنها قالت : تزوجنى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا (بنت ست سنين) ودخل بها وهى بنت تسع سنين وكان دخوله بها فى شوال فى السنة الأولى وقيل الثانية من الهجرة ... وعنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها : أريتك فى المنام مرتين أرى أنك فى شرقة (١) من حرير ويقول .. هذه امرأتك فأكشف فاذا هى أنت فأقول ان يك هذا من عند الله يمضه

وعنها قالت : لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان ابن مظعون وذلك بمكة . يا رسول الله . ألا تتزوج قال من .. قالت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قالت : ابنة أحب خلق الله اليك عائشة بنت أبى بكر . قال فمن الثيب قالت : سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه ، قال : فاذهبى : فاذكريهما على فجاءت فدخلت بيت أبى بكر فوجدت أم رومان أم عائشة فقالت يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة فقال أبو بكر هل تصلح له ؟ انما هى بنت أخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ارجعى اليه فقولى له أنت أخى فى الاسلام وأنا أخوك وابنتك تصلح لى فأتت أبابكر فقال ادع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء فأنكحه ــ

وفى رواية البخارى : أتتنى أمى أم رومان وانى لفى أرجوحة ومعى صواحب لى فصرخت بى فأتيتها لا أدرى ما تريد بى .. فأخذت بيدى حتى أوقفتنى على باب الدار وانى لأنهج حتى سكن بعض نفسى ثم

---

(١) قطعة

أخـذت شيئا من ماء فمسحت به وجهى ورأسى ثم أدخلتنى الـدار فاذا نسوة من الأنصار فى البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر فأسلمتنى اليهن فأصلحن من شأنى فلم يرمنى الا رسول اللـه صـلى الله عليه وسـلم ضـحى فأسـلمتنى اليـه وأنا يومئذ بنت تسع سنين •

وعنها قالت : قال رسول اللـه صلى اللـه عليـه وسلم يـوما : ياعائشـة • هـذا جبريل يقرئك السلام فقلت : وعليـه السـلام ورحمة اللـه وبركاته • ترى مالا أرى تريد رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ومات النبى صلى الله عليه وسلم ولها نحو ثمانيـة عشر ربيعا بعد حيـاة حافلـة اكتسبت فيها الكثير وقد حفظت عنه شـيئا كثيرا حتى قيل : ان ربع الأحكام الشرعية منقول عنهـا رضى اللـه عنها •

علمها ومكانتها فى الدعوة

جاءت امرأة من الأنصار تسأل رسول الله صلى الله عليه وسـلم كيف نتطهر من الحيض فقال خذى فرصة من مسـك فتتبعى بهـا أثر الدم فلم تفهم فاستحيا رسـول الله صلى الله عليه وسلم فأخذتها عائشة وعلمتها وسألها أبو سلمـة ابن عبد الرحمن بن عوف ما يوجب الغسل فقالت هل تدرى مـا مثلك يا أبا سلمة ؟ مثل الفروج يسـمع الديكة تصرخ فيصرخ معهـا • اذا جاوز الختان الختان فقـد وجب الغسـل • وأتاهـا أبـو موسى الأشعرى فقال لها : لقد شق على اختلاف أصحاب النبى صلى اللـه عليه وسلم فى امر انى لأعظم أن أستقبلك به فقالت ما هو ؟ ما كنت سائلا عنه أمك فسلنى عنه فقال : الرجل يصيب أهله ثم يكسـل ولا ينز ل؟ فقالت : اذا جاوز الختـان فقد وجب الغسل • وسئلت هـل يقبل الصائم فقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وهـو صائم وكان أملككم لاربه (١) •

---

(١) حاجته

جهادها فى سـبيل الله

كانت هى وأم سـليم تمـلآن القرب فتفر غانها فى أفواه القـوم ثم تعودان الى ملئها وهـكذا يوم أحد .. وخرجت مع طلحة والزبير للقصـاص من قتلـة عثمان فلما ناقشها الصـحابة أذعنت للحـق وأرادت الرجوع فخاف القتلة من اتفاق الجيشـين عليهمـا فأثاروا القتال وأعلنت ندمهـا عـلى ذلك الخروج وقال عمار لمن خرج معها انى أعلم أنهـا زوجـة نبيكم فى الدنيا والآخرة .

آثارهـا العلميـة

روت عن النبى صلى الله عليـه وسـلم الكثير الطيب وروت عن أبيها وعن عمر وفاطمة وسـعد بن أبى وقـاص وأسـيد بن حضـير وجذامة بنت وهب وبلغت مروياتها ألفين ومائتين وعشرة وروى عنهـا من الصحابة : عمر وابنه عبد الله وأبو هريرة وأبو موسى وزيد بن خالد وابن عباس والسائب بن يزيد وغيرهم ومن غير الصحابة أختها أم كلثوم وعوف بن الحارث والقاسم وعبد الله ابنا .. محمـد بن أبى بكر وسعيد بن المسيب وعمرو بن ميمون وعلقمـة بن قيس ومسروق وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبـو وائل وآخرون كثـيرون وذكر فى الفتح الربانى جملة من فتاويهـا ج ٢٢ ص ١٢٨ .

وفاتهـا

أمرت أن تدفن بالبقيع ليـلا واستأذن عليها ابن عبـاس وهى تموت فأذنت له بعد تردد وعندها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فدخل ثم سـلم وجلس وقـال : أبشرى يا أم المـؤمنين فواللـه ما بينك وبين أن يذهب عنك كـل أذى ونصب وتلقى الأحبة محمدا وحبه الا أن تفارق روحك جسدك فقالت : وأنت أيضـا فقال : كنت أحب أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اليه ولم يكن يحب الا طيبا وأنزل الله براءتك من فـوق سبع سماوات وسقطت قلادتك بالابواء وأنزل الله « **فتيممـوا صـعيدا**

طيبا » فكان ذلك رخصة للناس عامة فى سبيلك فوالله انك لمباركة فقالت • دعنى يا ابن عباس من هذا فوالله لوددت أنى كنت نسيا منسيا ••• وماتت فى ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين من الهجرة وقيل سبع وخمسين وصلى عليها أبو هريرة ونزل فى قبرها خمسة من أولاد أخيها محمد وأختتها أسماء •

ثناء العلماء عليها

قال حسان فى حقها بعد أن برأها الله وحد الرسول صلى الله عليه وسلم من قذفها •

لقد ذاق عبدالله (١) ما كان أهله
وحمنة اذ قالوا هجيرا ومسطح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم
وسخطةذى العرش الكريم فأترحوا
فآذوا رسول الله فيها وعمموا
مخازى سوء حللوها وفضحوا

وكان مروان اذا حدث عنها قال : حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله وقال عطاء : كانت أفقه الناس وأعلم وأحسن الناس رأيا فى العامة •

وقال أبو موسى الأشعرى • ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة الا وجدنا عندها فيه علما •

وقال الزهرى : لو جمع علمها الى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علمها أفضل وأقول المثل الأعلى للمرأة العربية والأنثى المسلمة ضمت الى العلم العمل والى الأدب الشجاعة عاشرت الناس بلا تبذل وعلمت وعلمت بلا اسفاف وربت أجيالا وبنت رجالا لو اقتدت بها النساء لما كان انقسام بين ما هو كائن وما ينبغى أن يكون رحمها الله رحمة واسعة ورزقنا اتباعها والاقتداء بآثارها الى يوم الدين •

د/ الحسينى هاشم

الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

---

(١) ابن أبى

الإسلام عقيدة وشريعة

للأستاذ محمد صابر البرديسي

* الاسلام : الانقيـاد لله ، والامتثال لما جاء به النبى « صلى الله عليه وسلم » من عند اللـه ، وأوصـاه بتعاليمـه فى أصوله وفروعه ، وكلفه بتبليغه الى الناس ودعوتهم اليه ، قال تعالى : (**ان الدين عند الله الاسلام**) (١) .

* الاسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا ، فهو دولـة ووطن ، وهو خلق وقوة ، وهـو جهاد ودعوة ، وهو عقيدة وعمل ، عقيدة صادقة ، وعبادة صحيحة ، قال تعالى : « **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء ، وهدى ورحمـة وبشرى للمسلمين** » (٢) .

* ولا يكون اسـلام المرء اسلاما كامـلا الا اذا ملأ قلبـه التسليم للـه واقترن اسـلامه بالطاعة المطلقة له .

« أ » الاسـلام عقيدة :

* أساس الاسلام الايمان ، بالله ، والاعتقاد بذلك اعتقـادا جازما لا يعتريه شـك ، ولايرقى اليـه أى نـوع من الريبـة والاضطراب .

* الايمان باللـه أسـاس الفضائل ، ولجام الرذائل ، وقوام الضمائر ، والعـروة الوثقى بين الانسانية ومثلها العليا .

* لابد للعمل الصـالح من ينبوع عقدى ، ولابد للسلوك من رصيد ايمانى . والأديان جميعهـا

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٩
(٢) سورة النحل : آية ٨٩

منذ بدايتها حتى ختمت بخاتم المرسلين لم تعرف الا التسليم والانقياد لله وحده ، ومن يخضع لله ، ويستسلم له ويقر له بالعبودية وينفذ أوامره برغبة واجلال فهو فى منزلة الملائكة المقربين (**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**) (١) ٠

« ب » الاسلام شريعة :

* الشريعة : القوانين والنظم التى أوصى الله بها الى رسوله محمد « صلى الله عليه وسلم » وعلى الأنبياء قبله ، تنظم العلاقة بين العبد وربه ، وتنظم علاقة الانسان بأخيه الانسان مثل الصلاة والصوم ، وكالتعاون بين الناس وحفظ الدماء ٠

ولا تصح الأعمال التى ارتبط بها الانسان الا على أساس من الايمان بالله ، فلا وجود للشريعة الا على أساس من العقيدة ، قال تعالى : « **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم** » (٢) ٠

* فمن كفر بالله فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين ، ومن آمن بالعقيدة ، وألغى الشريعة ، ولم يمتثل أمر الله فيما أوجبه ، وفيما نهى عنه فقد بعد عن رحمة الله ، واستحق غضبه قال تعالى : « **من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا** » (٣) فاذا اجتمعت العقيدة والشريعة ، بأن امتثل أمر الله فيما أوجبه وفيما نهى عنه كمل اسلام المرء ، وفاز برضوان الله ، قال تعالى « **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** » (٤) ٠

* **العقيدة الايمان ، والشريعة الأعمال** ٠

* **الايمان** ــ أن تؤمن بالله وملائكته ؛ وكتبه ، ورسله ،

---

(١) سورة التحريم : آية ٦
(٢) سورة محمد : آية ١
(٣) سورة النساء : آية ١٢٣
(٤) سورة النساء : آية ١٢٤

واليوم الآخر ، وبالقضاء خيره وشره .

* **تؤمن بالله :** بأنه لا اله الا هو ، وبأنه المستحق للعبادة لا شريك له ولا صاحبة له ولا ولد ، وكل سعى ، وكل عمل يقوم به الانسان يجب أن يكون مبعثه وجوهره الايمان .

* **تؤمن بملائكته :** بأنهم أجسام نورانية ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وبأنهم عالم غيبى « **عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون** » (١) .

* **وتؤمن بكتبه :** الكتب المنزلة على الأنبياء جميعا (القرآن ـ الانجيل التوراة ، وصحف ابراهيم وموسى » .

* **والايمان ببعض هذه** الكتب ، والكفر ببعضها ، لا يعتبر ذلك ايمانا لأن الايمان يقتضى الايمان بكل ما أنزل من الكتب على أنبيائه ورسله .

* **وأن تؤمن برسل الله :** وهم الذين اصطفاهم الله ، وأمرهم بتبليغ رسالته الى عباده ، وتكفى المعرفة الاجمالية ، فيما كان التكليف فيه اجمالا ، وتفصيلا كالايمان بالأنبياء المذكورين فى القرآن ، وهم خمسة وعشرون(٢) جمعهم بعض العلماء فى الأبيات الآتية :

حتم على كل ذى التكليف معرفة
بأنبياء على التفصيل قد علموا
فى تلك حجتنا منهم ثمانية
من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو
ادريس، هود، شعيب ، صالح وكذا
ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

* والذين يؤمنون ببعض الرسل ، ويكفرون ببعض جعلهم الله من الكافرين ، قال تعالى : « **ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك**

---

(١) سورة الأنبياء : (٢٦) ، (٢٧)
(٢) سورة الانعام : من ٨٣ ــ ٨٦

هم الكافرون حقـــا ، وأعتـــدنا للكافرين عذابا مهينا » (١)

❋ وواجب المســلم ان يؤمن بأن هؤلاء الرسل قــاموا بواجب الدعوة اليه خير قيــام وتوارثوا هداية الخلق ونصرة الحق فأنقذوا الناس من الضلالة ومن أنفسهم ، وعرفوهم بربهم .

❋ على أنه لابد من الايمـــان بعموم رسالة محمد « صلى اللــه عليه وسلم » وأنها تشمل النــاس كــافة والبشر جميعــا الى يوم القيامة ، قال تعالى : **«وماأرسلناك الا رحمــة للعــالمين » وقـــال تعالى « وما أرســلناك الا كافــة للناس بشيرا ونذيرا »** (٢) .

❋ وكان محمد « صــلى الله عليه وسلم » بشــخصيته وطبيعة رسالته امام الأنبياء وسيد الدعاة الى الله .

❋ وسر عظمة محمد « صــلى الله عليه وسلم » وأساس فضــله المبين يرجع الى انه (صلى اللــه عليه وسلم) استطاع ــ بما وهبه الله من ذكاء ، وما فطر عليــه من حكمة وما أوتيه من فراسة وكياسة وأدب وخلق ــ أن ينفذ الى قلوب الناس ، ويغرس فيها ايمــانا لا يستخدم فى غرسه الا الوســائل المقدورة بطاقة البشر ، يفتــدون صحبــه بأرواحهم وأمــوالهم عن طيب خاطر ويؤمنون بمــا يقــوله ايمانا لا حد له ، حتى ليقول أبو بكر لمن يحدثه عن حديث محمــد صلى اللــه عليــه وســلم » عن الاسراء ، **« وان كان قــاله لقــد صدق »** .

ويرجع أيضا الى ما أنزل عليه من الوحى الذى يتضمن الــدين كله من لدن خلق الله الســموات والأرض الى يوم تقوم الساعة ، من أزل العالم الى أبده ، فالقرآن الكريم جمع كل ما ينبغى أن يعرف عن الله ، ونزهه على كل مالا يليق بجلاله « **قل انمــا أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم الــه واحــد**

---

(١) سورة النساء : آية ١٥٠ ، ١٥١

(٢) سورة سبأ : آية ٢٨

فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » (١) .

وكان محمد « صلى الله عليه وسلم » يفخر بالعبودية لله ، فمرة يصف نفسه بها ومرة يكون الوصف له من الله ، والوصف بالعبودية على أية حال حقيقة تشرف رسل الله جميعا ما يترفع عنها نبى .

* واذ كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم » عامة ، فان الرسالات السابقة له كانت خاصة، كل رسول يبعث لقومه ، قال تعالى : « **ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين** » (٢) وقال تعالى « **لقد أرسلنا نوحا الى قومه ، فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** » (٣) .

* **ويجب أن نؤمن باليوم الآخر** : الاعتقاد بالآخرة ، يدفع المؤمن الى العمل الصالح والتضحية فى سبيل الله ، وتجعله يستهين بأثقال الدنيا ومتاعبها ، ويشعر بالسعادة النفسية ، فمتاع الدنيا زائل والآخرة خير وأبقى « **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » (٤) .

* **وأن نؤمن بالقضاء والقدر** :
ان الانسان لا يمكن أن يكون له ارادة حرة فى كل النشاط الذى يمارسه ، ولا يمكن أن ينفذ كل ما أراده دون عائق ، فالانسان بعقله ، يستطيع أن يتصرف وهو حر فى المجالات التى يمكنه التصرف فيها ، ويكون له فيها اختيار ، أما المجالات التى لا اختيار له فيها ، كالأشياء الاضطرارية كحركة القلب ، وما كان ناشئا عن الوراثة فهو مقيد لا حرية له فيها ، فالانسان مجبور مختار ، مقهور فى مجال ، وحر

(١) سورة الكهف آية ١١٠ .
(٢) سورة الأعراف الآية ٨٠ .
(٣) سورة الأعراف آية رقم ٥٩ .
(٤) سورة الزلزلة آية ٧ ، ٨ .

مسئول فى مجال الحرية والمسئولية • قال تعالى :

(ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ، يضل من يشاء ، ويهدى من يشاء ، ولتسألن عما كنتم تعملون) (١) ففى أول الآية يشير الى القدر وفى نهايتها يقرر مسئولية المرء عن عمله •

وأخيرا فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، وعلى العبد أن يسعى وليس عليه ادراك النجاح •

❋ **العقائد لا زيادة فيها ولا نقص :** العقائد والعبادات فى الاسلام لا تحتمل زيادة ولا نقصا ، ولا مجال لفكر انسانى يضيف عليها شيئا من عنده ، أو يختصر منها شيئا بجهده •

❋ ان أصول الايمان وأركان العبادات جاءت من عند الله وقد بقيت كما جاءت لا تبديل فيها ولا تغيير ، ان أحدا لم يزعم أنها تغيرت أو تغير منها شىء الى يومنا هذا ، وأسلوب القرآن فى تقريره للعقائد ، وتناوله للعبادات واضح كل الوضوح •

« وتتسم بموافقتها للعقل ولا سبيل فيها للشبهات والمتناقضات»

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (٢) وقال تعالى : **(وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » (٣)** وقال تعالى : **« وهذا صراط ربك مستقيما ، قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون» (٤)•**

اللهم وفق المسلمين الى الصمود فى العقيدة والعمل بالشريعة ، ووحد صفوفهم واجمع شملهم ، واهدهم الى ما تحبه وترضاه ، انك على كل شىء قدير •

محمد صابر البرديسى
مدير مجلة الأزهر

---

(١) سورة النحل آية ٩٣ •
(٢) سورة الأنعام آية ١٥٢ •
(٣) سورة الانعام آية ١١٥
(٤) سورة الانعام آية ١٢٦

دراسات قرآنية

العدوى والتشاؤم

بين الطب والشريعة والعقيدة

لفضيلة الشيخ مصطفى الطير

قال الله تعالى فى سورة التوبة :

« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (٥١) .

البيان

من الأمور الثابتة تجربة وطبا ، أن بعض الأمراض ينتقل بالمخالطة من العليل الى الصحيح ، عن طريق زفيره أو فضلاته المختلفة ، وأن لكل مرض خاصيته فى العدوى ، وقد أثبت التحليل المعملى والمجهر والتجارب المختلفة ، أن لكل مرض معد كائنا صغيرا يسمى علميا (الفيروس) وأنه بعد انتقاله من المريض الى الصحيح ، يسبب له المرض عندما تنقضى على انتقاله مدة معينة تسمى مدة الحضانة .

ومن أجل ذلك يوصى الأطباء من يخالطون المرضى ، أن لا يستعملوا الأدوات التى يستعملها هؤلاء المرضى الا بعد غليها أو تطهيرها بالمحاليل القاتلة للميكروبات والفيروسات ، كما يوصونهم بفتح بعض النوافذ فى حجرة المريض لتجديد هوائها بطريقة صحيحة ، حماية لهم من العدوى .

وهناك بعض الأمراض لم يعرف له ميكروب يسببها ، وقد يكون له ذلك ، ولكنه لم يكشف بعد ولا يزال سره عند الله تعالى ،

فهو الذى يعلم السر وأخفى من السر .

ومما لا شك فيه أن الله تعالى قد جعل لكل داء دواء ، لأن ذلك هو اللائق بحكمة الله ، ولقوله صلى الله عليه وسلم « ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء » رواه البخارى ، ولكن بعض الأمراض لم يتوصل الأطباء بعد الى دواء يستأصله ، وان وصلوا الى تخفيف حدته حتى تحين منية المصاب به ، ولا يزالون جاهدين فى البحث عن علاج له ، رحمة للمصابين به ، وعسى أن يهديهم الله تعالى اليه ، أما معظم الأمراض فقد وصلوا الى علاجه بنجاح عظيم ، الا مع من كتب الله عليه الموت ، فان العلاج الذى عرف نجاحه مع غيره ، يصبح عديم الجدوى بالنسبة له ، قال تعالى **« فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون »** .

الاصابة والشفاء بقدر الله

ولكننا نجد القرآن الكريم يقول **« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا »** والسنة الصحيحة تقول « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » رواه البخارى، وزاد مسلم « ولاغول » وزاد النسائى « ولا تولة » فكيف نوفق بين الطب والواقع وبين تلك النصوص الشرعية التى يدل ظاهرها على نفى العدوى ، واثبات أن الاصابة بالمرض مردها الى قدر الله وقضائه المكتوب على العبد منذ الأزل .

والجواب أن لا تنافى بين الاصابة عن طريق العدوى ، وبين أنها بقدر الله وقضائه القديم ، ولكن الممنوع شرعا أن يعتقد مسلم ، أن الاصابة بالعدوى حتمية بالمخالطة ، وأنها ذاتية وليست بقضاء الله وهذا هو الغرض من قوله صلى الله عليه وسلم « لا عدوى » .

ولقد كان العرب قبل أن يشرفهم الله بالاسلام يعتقدون أن الأمراض تنتقل الى الأصحاء من المرضى ، دون أن يمر بخواطرهم أن ذلك مبنى على

مشيئة الله وقدره . على قاعدتهم من نسبان الله فى أمرهم كله . فلما شرفهم الله بالاسلام أصبح محتوما ان يتعلموا أن مرد الأمور الى الله تعالى ؛ وأن العدوى لا تكون بغير مشيئة : فلهذا قال لهم الرسول (لا عدوى) قاصدا أنها لا تكون بغير مشيئة الله ، وأن الأمور يجب أن تنسب الى قدر الله ، وان كانت لها أسبابها التى ربطها الله بها .

والدليل على أن ذلك مقصوده صلى الله عليه وسلم ، أن أعرابيا حين سمعه يقول (لا عدوى) قال : يارسول الله : فما بال ابلى تكون فى الرمل كأنها الظباء ، فيأتى البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها ؟ قال : «فمن أعدى الأول » ؟

أراد الأعرابى من سؤاله أن الجرب أمر ذاتى يأتى بمجرد المخالطة ولا يتخلف ، وقد طرح جانبا من تفكيره مشيئة الله وارادته ، وأنه تعالى هو الذى جعل المرض ينتقل الى الصحيح ؛ فلهذا رد النبى صلى الله عليه وسلم ردا مفحما ، أصلح به عقيدة الأعرابى كما صحح به واقع الأمر ؛ اذ قال : فمن أعدى البعير الأول الذى أصابه الجرب دون أن يخالط حيوانا مصابا بالجرب .

وسكوت الأعرابى بعد هذا الجواب دال على اقتناعه بأن البعير الأول حيث لم يمرض بالعدوى من حيوان مريض ؛ بل بفعل الله ومشيئته ، فان البعير المخالط للمصاب بالجرب يكون جربه بفعل الله ومشيئته — وبذلك حصل مقصود الرسول من ارشاد القوم الى أن مرد الأمور الى الله ، وتثبيت عقيدة التوحيد فى قوم كانوا فى جاهليتهم القريبة قد نسوا الله ونسبوا الأمور الى غير خالقها وفاعلها الحقيقى سبحانه وتعالى ، كقولهم : مطرنا بنوء كذا ، يعنون أن النوء هو الذى أصابهم بالمطر .

(الرسول يضع دستور الحجــر الصحى)

لقد سبق النبى صلى الله عليه وسلم الأطباء جميعا فى وضع نظام للوقاية من العدوى بالأمراض الوبائية ، أصبح يسمى نظام الحجر الصحى ، ومن ذلك قوله « لا يوردن ممرض على مصح » أى لا يأتى صاحب ابل مريضة بابله على صاحب ابل سليمة صحيحة فيخلطها بها ، حتى لا تصاب بمرضها ، ومن ذلك قوله « **الطاعون رجز ارسل على طائفة من قبلكم — أو على بنى اسرائيل — فاذا كنتم بأرض وهو بها فلا تخرجوا منها ، أو كنتم خارجها فلا تدخلوا عليها** » •

كما حذر من مخالطة المصابين ببعض الأمراض تحذيرا شديدا بنحو قوله « فر من المجذوم فرارك من الأسد » الى غير ذلك من النصائح الطبية الوقائية الدالة أوضح الدلالة على اقراره صلى الله عليه وسلم نظرية العدوى بالمخالطة ، مع ربطها بمشيئة الله تعالى ، فكم من مخالط شديد المخالطة للمرضى بالأمراض المعدية ، ينجو منها ومن آثارها المميتة ، وقد يكون ضعيف الصحة متقدما فى السن ، وكم من بعيد عن المرضى ؛ فتك به مرض أصابه عفوا وهو فى عنفوان صحته وشبابه بتقدير الله جل وعلا : فمرد الصحة والمرض الى مشيئة الله ، وما العدوى الا سبب عادى كثيرا ما يتخلف •

من حكم التعبير بقوله « لا عدوى »

من حكم قول الرسول (لا عدوى) وقوله (لا يوردن ممرض على مصح) أن يعلم الناس أن انتقال الأمراض راجع فى الحقيقة الى مشيئة الله تعالى ، حتى لا يترك الأصحاء مرضاهم ، وأن لا يهملوهم خوفا من فاعلية العدوى ، فمتى عرف الناس المخالطون للمرضى أن العدوى لا تنتقل منهم اليهم بغير

قـدر اللـه ، امتـلأت قلوبهم بالطمأنينة ، وقاموا على خدمتهم مع الاحتياط قدر الامكان باتقـاء افرازاتهم المختلفة •

ولا شك أن ايمان المخالط بذلك يرفع من معنوياته ، ويجعله أكثر مناعة ضد المرض ، من ذلك الذى يرجف فؤاده من فاعلية العـدوى وحتمية انتقالها ، فالخـوف من العدوى أقوى العوامل على ضعف أسباب المقـاومة الـذاتية فى صاحبه ، وذلك أمر مسلم به طبيا، فما اشد فتك الوهم والخـوف بصاحبه وان لم يخـالط المرضى ، ولهذا قال صلى الله عليه وسـلم « ان من القرف التلف » •

فعلى كل مسـلم أن يعلم أن المرض لا يأتيه بغير مشيئة اللـه تعالى ، وأنه سبحانه قد أعطى كل انسان سـلاحا قـويا يرد عنه عوادى المرض ــ وهو كرات الدم البيضاء ــ فهى الحارس الالهى اليقظ الذى يدفع عنه غيروسمات الأمراض ويفتك بها ، كما أن عليه أن يحترز من افرازات مريضه قدر امكانه ، ويترك السلامة بعد ذلك لله تعالى ، وليعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن ما كتب عليـه لابد أن يصيبه مهمـا اتخـذ من أسباب الوقاية ، فقد جفت الأقلام وطويت الصحف ، ولله الأمر من قبل ومن بعد •

التشـــاؤم

ومن العادات الموروثة فى الناس أن يتشاءموا ببعض الأمور ، وأن يقعد بهم هذا التشاؤم عن المضى نحو الأعمال النافعة ، وهذا نقص فى الخلق عظيم ، فان من شـأنه أن يحول دون جلب النفع أو دفع الضر ، والله سبحانه لم يجعـل ما يتشاءم به النـاس سببا لجلب الشؤم عليهم ان هم انطلقوا الى تحقيق ما يريدون من مصالحهم ، ولهذا كان لابد لصاحب الشريعـة من أن يقاوم هذا التشاؤم ويضع له حدا ، فلهذا أتبع قـوله « لا عدوى » بقوله « ولا طيرة » أى ولا تطير ، والتطير التشـاؤم ، مأخوذ من الطير ، فـان العـرب كانوا اذا أرادوا الشروع فى سفر

أو عمل ، أنفروا أول طائر يلقونه أو أزعجوه من عشه ، فاذا طار جهة اليمين تفاءلوا ومضوا لتحقيق ما يريدون ، واذا طار الى غير جهة اليمين تشاءموا وقعدوا عن تحقيقه ، كما كانوا يتيامنون بالسوانح ، وهى الطيور تمر من اليسار الى اليمين ، ويتشاءمون بالبوارح ، وهى الطيور تمر من اليمين الى اليسار ، ثم عم التطير فى التشاؤم — سواء أكان سببه الطير أم سواه .

والرسول صلى الله عليه وسلم لا يقصد بقوله « ولا طيرة » نفى ذات التطير — أى التشاؤم — فانه كان موجودا ولا يزال عند بعض الناس ، ولكنه يقصد النهى عنه ويريد أن يحول دون ازعاج الطير من أعشاشها ، وقد صرح بذلك فى قوله « أقروا الطير على وكناتها » أى اتركوها قارة فى أعشاشها ، ولا تخرجوها منها لتتشاءموا أو تتفاءلوا بها .

وكانت الفرس والعرب أكثر الناس تشاؤما ، ولا يزال كثير من الناس يتشاءمون ويحجمون عن الاقدام يائسين من الظفر بتحقيق رغائبهم ، متقلبين فى الشقاء والتعاسة ، والى جانبهم هؤلاء السعداء من المتفائلين الذين يقدمون على مطالبهم بعد أن يهيئوا لتحقيقها الأسباب ، ويثقوا بما عند الله من الخير ، فلا يصدهم خوف ، ولا يكفهم خور فى العزيمة ، ولا تثنيهم طير تمر ناحية اليسار عن الاقدام ؛ فيعودون بالفوز بالمقاصد ، وينقلبون بتحقيق الرغائب ، فان الغنم فى الاقدام ، والخيبة فى الاحجام .

فمن ابتلى بالتشاؤم فليصرفه عن نفسه فانه من الشيطان ، وليعلم أن الرزق والخير تابعان للطلب لا للهرب ، وأن ليس للطير تمر ناحية اليمين أو اليسار أو غيرهما دخل فى تحقيق ما يريد أو عدم تحقيقه ، قال عكرمة : (كنا جلوسا عند ابن عباس رضى الله عنهما ، فمر طير يصيح ، فقال رجل من القوم : خير ، فقال ابن عباس : لا خير ولا شر) : أ هـ .

ولنعم ما قاله الشاعر لبيد :

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله فاعل

وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم المضى فى المطلوب علاجا للتشاؤم « ان فى الانسان ثلاثة : الطيرة والظن والحسد ، فمخرجه من الطيرة أن لا يرجع ، ومخرجه من الظن أن لا يحقق ، ومخرجه من الحسد أن لايبغى» .

عبرة

ومن أسوأ أنواع التشاؤم ما حدث من الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فقد فتح المصحف فخرج له قوله تعالى « **واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد** »وكان فى وسعه أن لا يتشاءم بشىء من القرآن ، فانه جاء للعظة لا للتشاؤم ولكنه أبى الا أن يتشاءم بهذه الآية فمزق المصحف ــ قبحه الله ــ وقال :

أتوعد كل جبار عنيد
فها أنذاك جبار عنيد
اذا ماجئت ربك يوم حشر
فقل يارب مزقنى الوليد

فلم يلبث الا أياما حتى قتل شر قتلة ، وعلق رأسه على قصره ثم على سور المدينة ، وكان شؤمه عليه من جهة تمزيقه المصحف الشريف ، لا من جهة الآية الكريمة ، فقد تصادف البر كما قد تصادف الفاجر .

التفاؤل

أما التفاؤل فهو مشروع لأنه باعث على الجد ومعوان على الظفر بالمطلوب ، اذ هو سبب لتقوية العزم على المضى ، ولهذا كان الرسول يحب الفأل الحسن ، ويتفاءل فى غزواته وحروبه ، سمع مرة كلمة فقال « أخذنا فألك من فيك » وروى الترمذى وصححه « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج لحاجة يعجبه أن يسمع يانجيح ياراشد » وروى البخارى بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا طيرة وخيرها الفأل ، قالوا وما الفأل يارسول الله؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » ولما وصل النبى بجيشه الى حنين ليغزو هوازن قال له رجل : انى انطلقت من بين

أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشياههم اجتمعوا الى حنين ، فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم بذكر أنعامهم وشياههم وقال : « تلك غنيمة للمسلمين غدا ان شاء الله تعالى » وقد تحقق فأله وغنم منهم غنائم كثيرة •

فالاسلام يقر الفأل لأنه يشد العزيمة ويدفع الى الأمام ، بخلاف التطير فانه مرض نفسانى يدعو الى الاستخذاء والتقاعس عن الخير ، فلهذا نهى عنه الشرع ، وذلك دستور يقره الطب النفسانى ويباركه •

الهـامة

ومن عقائد الجاهلية أن روح القتيل الذى لا يؤخذ ثأره تصير هامة ، وتصيح قائلة : اسقونى من دم قاتلى ، فاذا أدركوا ثأره امتنع ظهورها ، واستقرت روحه فى قبرها •

والهامة طائر يطير فى الليل ويسمونه الصدى ، قال الزبرقان ابن زيد فى شأن الهامة حسب عقيدتهم •

ياعمرو الا تدع شتمى ومنقصتى
أضربك حتى تقول الهامة اسقونى

وقال ابراهيم بن هرمة :

وكيف وقد صاروا عظاما وأقبرا
يصيح صداها بالعشى وهامها

وهذا الاعتقاد فاسد ولا صحة له ، وقد كلف أصحابه ضحايا لاعداد لها ، فانه كان يؤدى الى قيام القبائل أو الأسر بعضها على بعض ، للأخذ بثأر أحد أفرادها ، فيفنى منهم العدد الكثير من أجل فرد واحد ، فلذلك نفى النبى صلى الله عليه وسلم الهامة قائلا « ولا هامة » ليرجع الأمر الى القضاء ، فيحكم بقوله تعالى **« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ٠٠ »** الآية • ان كان القتل عمدا ، أو يحكم بالدية ان لم يكن عمدا ، مالم يعدل أولياء الدم الى العفو ، عملا بقوله تعالى **« وان تعفوا أقرب للتقوى »**

ومما يؤسف له أن هذا الاعتقاد لا يزال له بعض الظلال والآثار فى بعض الأقاليم ، والقبائل

العربية ، فان عادة الأخذ بالثأر فى مجتمعهم أكثر ظهورا من الرجوع الى القضاء ، مع أن حكم الله أعدل ، والأخذ به ألزم ، والعدول عنه الى ماهم فيه مخل بالأمن ، وسبب لاتسنع الكوارث .

صفر والنحس

ومن عقائدهم أن شهر صفر هو شهر النحوس والفتن ، فكانوا يتشاءمون به ، فلا يعقدون فيه زواجا ولا بيعا ، ولا يسافرون فيه لتجارة ، ولا يباشرون مقصدا من المقاصد الجادة ، كما أنهم كانوا يعتقدون أن الألم الذى يشعر به الجائع ، سببه حية عظيمة فى البطن ، تنهش من أحشائه وضلوعه ، أطلقوا عليها اسم الصفر ، فنفى الرسول صحة هذين الاعتقادين بقوله فى الحديث « ولا صفر » فان ذلك من الخرف الذى لا يليق بالعقلاء .

الغول والتولة

ومن عقائدهم أن الغيلان تتراءى للناس فى الفلوات على أشكال مختلفة ، فتضلهم عن سواء السبيل وتهلكهم ، وما يهلكهم سوى هذا الوهم الكاذب والخيال العاثر ، فهو الذى يضل عقولهم فيضلون عن السبيل الموصل الى غايتهم .

كما اعتقدت نساؤهم أن حمل التولة يحبب المرأة الى زوجها ، والتولة خرز أو حجارة أو ودع أو نحوها ، وكانت نساؤهم يفعلن ذلك ، فنهى الرسول عن اعتقاد أن الغول يضل عن السبيل ، وأن التولة تنفع بقوله « ولا غول ولا تولة » وقال فى التميمة والودع « من علق تميمة فلا أتم الله له ، ومن علق ودعة فلا أودع الله له » ودخل ابن مسعود على امرأته وفى عنقها شىء معقود فجذبه فقطعه ،ثم قال«لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا » جزى الله نبينا صلى الله عليه وسلم على هذه النصائح الغالية ما هو أهله من الدرجات العلية .

مصطفى محمد الحديدى الطير

خلق الانسان فى القرآن

للدكتور محمد محمد خليفة

لقد عبر القرآن عن الجنس عند عرض خلقه بأساليب مختلفة : فمرة يذكر الانسان فيقول : لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم « ومرة يذكر البشر فيقول: **وهو الذى خلق من الماء بشرا »** وتارة يذكر الناس حين يناديهم ليأمرهم بعبادته فيقول : **« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم»** أو حين يناديهم ليخبرهم بأن البعث حق ، ويدلل على وقوعه بالنشأة الأولى فيقول : **« يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب »** •

وبهذا يشير الى أن الخلق الأول من تراب ، وكذلك يكون البعث والخلق الثانى من ذلك التراب الذى تحلل اليه جسم الانسان بعد موته « انه يبدأ الخلق ثم يعيده ، وتارة أخرى يعبر عن ذلك الجنس بضمير المخاطب فى قوله : **ومن آياته أن خلقكم من تراب »** وقد اختلفت أساليب خلق الانسان فى القرآن : فمرة يشير فى اجمال الى خلق الانسان فيقول : الله الذى خلقكم ثم رزقكم وتارة يذكر الخلق ليعطف عليه البعث والاعادة فيقول : **« وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده »** ، وتارة يذكر الخلق والتصوير اجمالا فيقول : **« ولقد خلقناكم ثم صورناكم »** وتارة يذكر الخلق والتزاوج والنسل فيقول : **« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا**

كثيرا ونساء » •

وحين يعرض لأصل الانسان يذكر مرة أنه من تراب : ومن آياته **« أن خلقكم من تراب »** ويذكر أخرى أنه من الأرض **« هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض »** ويذكر ثالثة أنه من الطين **« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين »** ويذكر مرة رابعة أنه من صلصال **« ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون »** والحمأ الطين الأسود والمسنون المنتن ومرة خامسة يذكر أنه من ماء **« وهو الذى خلق من الماء بشرا »** ومرة سادسة يذكر أنه من نطفة **« أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين »** ومرة سابعة يذكر أنه من علق **« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق »** وليس ثمة من تناقض فى أصل خلق الانسان يدل عليه تباين التعبير كما نبين فى خلال البحث ان شاء الله • والأساليب التى تناول فيها القرآن موضوع خلق الانسان هى :

الخلق الاجمالى ــ بدء الخلق واعادته ــ الخلق والتصوير ــ الخلق والتزاوج ــ الخلق من تراب الخلق من الأرض ــ الخلق من الطين ــ الخلق من الصلصال ــ الخلق من الماء ــ الخلق من النطفة ــ الخلق من العلق •

١ ــ آيات الخلق الاجمالية :

لقد ورد فى القرآن فى بعض آياته خلق الناس مجملا ليدلل على قدرة الله أو فى موطن تعداد نعمه أو غيرهما ومن تلك الآيات :

(أ) قال تعالى **(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون »** البقرة ٢١ ، ٢٢ •

نداء الله للناس عام يشمل معاصرى نزول القرآن ويمتد فى شموله الى جميع الناس حتى القيامة ، وقد نادى الله الناس ليأمرهم بعبادة ربهم الذى خلقهم

من قبلهم وكانت العلة فى ذلك الخلق هى عبادتهم له **(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)** الذاريات ٥٦ وقد دل الخلق على الخالق ، وليس ثمة من سبيل الى معرفة الخالق الا بالنظر **(وفى أنفسكم أفلا تبصرون)** الذاريات ٢١ **(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)** فصلت ٥٣ •

وقد شملت الآية خمسة دلائل تشير الى الصانع سبحانه ليستجيبوا الى أمره لهم بعبادته : أنه خلقهم وخلق من قبلهم ، وجعل لهم الأرض فراشا وجعل السماء بناء وأنزل لهم من السماء ماء ليخرج به من الثمرات رزقا لهم ـ وصاحب هذه الآلاء خليق بأن يعبد وحده ـ وانتهى من عرض النعم الى النهى عن اتخاذ أنداد لهم وهم يعلمون أنه الخالق وحده والصانع وحده الذى يستأهل العبادة ولا يشركه فيها معبود مما اتخذوه من الكواكب والأوثان على حين أنهم يعلمون أنه خالق السموات والأرض وخلقهما أعظم من خلق الناس **(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)** لقمان ٢٥ فكيف يعرضون عن عبادة من خلق السموات والأرض وخلق الناس ، أو يدعون أنهم يعبدونها ليتقربوا بعبادتها الى الله وكيف يتقربون الى الله بعبادة ما صنعت أيديهم من الأرباب ويجعلونها أندادا لله سبحانه وهكذا جعل الله من خلقه للناس وخلقه لمن قبلهم (اجمالا) بعض ما يدل على أنه الخالق ، وجدير بالخلق أن يقر بقدرة الخالق ، وأن يستجيبوا الى ما دعاهم اليه من الخضوع لأمره بعبادتهم له •

ولعل هذا يدمغ الملحدين الذين يزعمون أن الطبيعة هى التى خلقتهم (ومن ياترى خلق تلك الطبيعة ؟) فلتكن الطبيعة هى الخالقة كما يزعمون ثم لتكن الطبيعة هى قدرة الله التى جعلت من الماء بشرا •

(ب) وقال تعالى : **(الله الذى**

خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحانه وتعالى عما يشركون) الروم •

يخاطب الله الناس ليبين لهم أن الله هو الذى أوجدهم من العدم ثم رزقهم البقاء الى أجل ثم يميتهم ثم يحييهم ، وقد أثبت فى هذه الآية الحشر والتوحيد : أما الحشر ففى قوله تعالى: « **ثم يحييكم** » ودليل الاحياء والبعث قدرته على الخلق ابتداء ، وأما التوحيد فبقوله : هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء ، والاستفهام على معنى النفى ، والمعنى : ليس من شركائكم من يخلق أو يبقى أو يميت أو يحيى ثم أمر بتسبيحه وتنزيهه عن اشراك غيره معه فى شىء •

(جـ) وقال تعالى : **الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير »** الروم ٥٤ •

فبعد أن ساق الله دليلا من دلائل الكون على البعث الذى طالما انكروه فى قوله : **الله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا »** فاطر ٩ وذكر ما تفعله الرياح من دفعها للسحاب الى بلد ميت لتحييه ، ساق دليلا من نفس الانسان : وهو خلقه •• وقد بين أحواله فى قوله (**خلقكم من ضعف**) على معنى أن أصل مبناكم من ضعف ، وبهذا يشير الى أطوار الانسان وأحواله التى يكون فيها جنينا ثم طفلا مولودا ثم رضيعا ثم مفطوما وكل هذه أحوال ضعف ، ثم جعل من بعد ذلك الضعف قوة حيث ينتقل الانسان الى البلوغ والشباب والقوة ، ثم ينتقل من بعد تلك القوة الى الضعف والشيب وهو تمام الضعف وقوله : « **يخلق ما يشاء** » يشير الى تلك الأطوار وأنهابمشيئته سبحانه ، وهو العليم بما يصنع من الأطوار القادر على تحريك الانسان من طور الى آخر ، وان العليم بأحوال الخلق وتطورهم عليم بما يعملونه فى دنياهم ليحاسبهم عليه ، والقادر

على تطوير الخلـق والمعنى به بين تلك الأطوار قادر على اثابة الخلق على الخير وعقابه على الشر •

(د) وقال تعالى : **ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه**) ق ١٦ •

بعد أن ذكر الله خلق الانسان أشار الى أنه لا يخفى عليه شيء من أمر ذلك الانسان فهو يعلم ما يجول فى صدره وما تحدثه به نفسه (**يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور**) غافر ١٩ من وسوسة النفس وما يهجس فيها من خواطر دون حروف وكلمات ، والله الذى خلق الانسان بدقائق أجهزته وألم علمه بادارتها وتحريكها وكان أقرب الى الانسان من أوردته التى تحمل الحياة اليه لا يغيب عنه شيء مما يصنع الانسان أو يؤديه من عمل الخير أو الشر وانه ليحصى عليه أو يعاقبه يوم الحساب •

(هـ) وقال تعالى : (**أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون**) الطور ٣٥ •

فى هذا الأسلوب استفهام على معنى : أخلقوا أو هل خلقوا من غير شيء ويكون التقدير : أماخلقوا أم خلقوا من غير شيء ، ولقد ذكر الله الدليل على ابطال ما اتهموا به النبى صلى الله عليه وسلم من الكهانة والسحر وبدأ الدليل بأنفسهم كأنما يقول : كيف يكذبونه وفى أنفسهم دليل صدقه (**أم خلقوا من غير شيء**) أى ألم يخلقوا من تراب أو ماء (**ألم نخلقكم من ماء مهين**) المرسلات ٢٠ أو أم خالقوا بحيث يخفى عليهم وجه خلقهم بأن خلقوا ابتداء من غير سبق حالة كانوا فيها ترابا أو ماء أو نطفة ليس كذلك بل هم كانوا شيئا من تلك الأشياء خلقوا منها خلقا فما خلقوا من غير شيء حتى ينكروا وحدانية الله وقدرته أو التقدير : (**أم خلقوا من غير شيء**) أى من غير خالق أم هم الخالقون للخلق •

(و) وقال تعالى : (**الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان**) الرحمن ١ ــ ٤ •

فالرحمن علم القرآن لجبريل وغيره من الملائكة ثم أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم.

وتقديم تعليم القرآن على خلق الانسان يدل على أن القرآن قديم وكان تعليمه للملائكة قبل خلق الانسان وقد ذكر الله فى الآية خلق الانسان اجمالا ثم جاء بعد ذلك دور تعليمه للبيان — وقال بعض المفسرين المراد بالبيان : المنطق أى أن الله علمه ما ينطق به ويفهم غيره ما عنده وبهذا امتاز الانسان عن غيره من العوالم .

(ز) قال تعالى (**قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**) الملك ٢٣ .

ساق الله الكثير من الاستفهامات التى يسأل بها المكذبين من نحو قوله «**أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض؟**» (الملك ١٦)

« **أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا** » ؟ (**الملك ١٧**) ، « **أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ؟** » « **الملك ١٩** » « **أمن هذا الذى هو جند لكم ؟** « **أم من هذا الذى يرزقكم** » الملك ٢١ ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يجيبهم : هو الذى أنشأكم .. أى خلقكم وأوجدكم وأمدكم بالكثير من النعم ومنها عطاءات الذى ضيعتموه ، فلم تقبلوا ما سمعتم به ، والبصر فلم تعتبروا بما أبصرتموه من الآثار التى خلفها من قبلكم ولم تفكروا وتتأملوا فيما عقلتموه ، وبكل هذا تكونون قد ضيعتم نعم الله وأفسدتم ما وهبكم فصرفتم نعمه الى غير ما يرضيه ولم تشكروه عليها وشكره انما يكون فى الانتفاع بهباته وتوجيهها الى ما يرضيه .

(ح) وفى معرض التدليل على البعث قال تعالى : (**أأنتم أشد خلقا أم السماء**) ؟ النازعات ٢٧ .

يخاطب الله منكرى البعث على سبيل الاستفهام لينبههم الى أمر مشاهد ، لأن خلق الانسان على صغره اذا أضيف الى خلق السماء

على عظمها وعظم أحوالها يسير فخلق السماء أعظم ، واذا كان كذلك فخلق الانسان واعادته الى الحياة وبعثه أولى أن يكون فى مقدور من خلق السموات والأرض فكيف ينكر المخاطبون ذلك البعث **(أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) يس ٨١ (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس)** غافر ٥٧ وكان الخليق بهم أن يقروا بأن القادر على خلق السموات والأرض قادر على اعادة الانسان الذى خلقه أولا وعلى الرغم من قوة الدليل فان المنكرين تمادوا فى انكارهم وجادلوا بغير حجة حسدا وجهلا حيث لم يؤمنوا بعد أن أفحمتهم الحجة .

(ط) (وقال تعالى : **لقدخلقنا الانسان فى كبد)** البلد ٤ .

والكبد : المشقة ــ والمعنى أن الله خلق الانسان أطوارا تتخللها كلها الشدة والمشقة فهو يعيش حياته فى الشدائد والمشقات : فى بطن الأم : وزمن الارضاع ، وفى الكد فى تحصيل المعاش ، ثم فى الموت وقد يراد : الكد فى الدين : فهو يكابد الشكر على السراء والصبر على الضراء ، ويكابد الشدائد فى أداء العبادات وتحمل التكاليف والصبر على أدائها .

فى كل هذه الآيات أشار الله الى خلق الانسان اجمالا ليدعوه الى عبادة خالقه أو ليبين له أنه وحده الخالق الرازق المحيى وأن من يشركونه به فى العبادات ليس بقادر على فعل شىء من ذلك ، أو ليبين لهم أنه هو الذى أنشأهم وأمدهم بنعم السمع والبصر والفؤاد أو ليكشف لهم أن خلقهم واعادتهم ليس بأشد خلقا من السماء وذلك حين أنكروا البعث ، أو ليخبرهم أنه الخالق الذى يعلم خائنة أعينهم وما تخفى صدورهم وماتوسوس به نفوسهم أو ليوضح لهم أنه خلقهم أطوارا يتدرجون فيها من الضعف الى القوة ومن القوة الى الضعف وأنه العليم بتلك

الأطوار القادر على نقل الانسان وتحريكه بين أحوالها •

٢ ــ من آيات بدء الخلق وإعادته :

ولقد ذكر الله فى بعض آيات القرآن الخلق مجملا من حيث البدء وقرنه باعادة خلق الانسان وبعثه ليصل من ذلك الى بيان جزاء المؤمنين العاملين وعقاب الجاحدين الكافرن ، أو ليوبخ من يتخذ له شريكا أو ليبين أن بدء الخلق ثم بعثه بعد الموت كلاهما هين يسير على الله أو لينبه على أن نهاية الانسان ومرجعه الى الله ، أو ليوضح أن الاعادة والبعث أهون عليه من الخلق الأول ، أو ليبين أن خلقهم وبعثهم كخلق نفس واحدة لا يحتاج أمام قدرته غير (كن فيكون) •

واليكم بعض آيات الخلق والاعادة فى القرآن :

(أ) قال تعالى : **اليه مرجعكم جميعا • انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون)** يونس ٤ •

تشير الآية الى المعاد ، وكثيرا ماقدم الله ما يدل على الحشر والبعث فى القرآن من نحو قوله تعالى : **(الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور)** والمعنى : أن النشوروالبعث له دليل محسوس مشاهد فى دنيا الناس فهو يشبه المطر الذى يسوقه الله الى الأرض الميتة فتحيا وتنبت وتورق وتزدهر وتثمر فمن قدر على امداد الأرض بالحياة قادر على أن يبعث الخلق وينشرهم بعد الموت ومن نحو قوله تعالى : **(ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى)** أى كذلك الذى يفعله بالأرض من الاحياء يفعل بالموتى فيحييهم •

ومعنى المرجع فى قوله : اليه مرجعكم : الرجوع ولا يراد به الموت وانما يراد : القيامة ،

واستخدام أسلوب تقديم الجار والمجرور يدل على الحصر وأنه لا رجوع الا اليه ولا حكم الا حكمه ـ وقوله : وعد الله : مصدر مؤكد لقوله : اليه مرجعكم لأن قوله اليه مرجعكم يشير الى أن هذا وعد الله ثم أكد ذلك الوعد المفهوم من قوله اليه مرجعكم بقوله : وعد الله ، ثم أكد ذلك المصدر بقوله : حقا ، ثم قال : انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليشير الى أنه يبدأهم من العدم ثم يميتهم ثم يعيدهم من من العدم الى الحياة **(ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط)** فى هذا ما يدل على أنه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب على شرط أن يجمعوا بين الايمان والعمل الصالح ، وخص المؤمنين بالقسط والعدل ليدلل على مزيد العناية بهم وأنهم مختصون بمزيد من الاحتياط ليجزيهم بما أقسطوا ولم يظلموا أنفسم •

وليس معنى ذلك أن الكافرين لم يعاملوا بالقسط والعدل **(ولا يظلم ربك أحدا)** الكهف ٤٩ •

وأما الذين كفروا فهم يسقون ماء حميما تنقطع معه أمعاؤهم والى جانب ذلك أعد الله لهم العذاب الأليم بسبب كفرهم : وفى الآية ترغيب فى الجزاء فى وعد الله المؤكد وفيها ترهيب للكافرين ليقلعوا عن كفرهم •

(ب) وقال تعالى **(قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون)** يونس ٣٤ •

أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأل الكفار : هل من شركائكم من يبدأ الخلق •• على أية صورة من تراب أو ماء أو طين أو صلصال (ثم يعيده) الى الحياة بعد أن يتحلل الى تراب ، وقد ورد الدليل فى معرض الاستفهام •

ولما كان الأمر متقررا لا يحتاج الى اجابة ساق الكلام بعد ذلك مساق التعجب حيث ذهبوا عن هذا الأمر الواضح مستجيبين الى الهوى حين دعاهم الى المخالفة لأن الاخبار عن كون الأوثان آلهة كذب والاشتغال بعبادتها مع أنها

لا تستحق العبادة افك وكذب ولهذا قال تعالى (**فأنى تؤفكون**)٠

وهكذا قدم ذكر الخلق فى البدء والاعادة اجمالا فى هذا الأسلوب ليفحمهم بالحجة التى تدفع انكارهم ٠

(جـ) وقال تعالى : (**وقالوا أاذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ، قل كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة**) الاسراء ٤٩ ـ ٥١ ٠

ذكر الله فى هذه الآية شبهات القوم فى انكار المعاد والبعث والقيامة ، وكان الكفار قد وصفوا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه مسحور العقل ، لأنه يدعى أن الانسان بعد أن يصير عظاما ورفاتا يعود حيا ـ الرفات : (الأجزاء المتفتتة) ٠

ومدار الشبهة : أن الانسان اذا جفت أعضاؤه وتناثرت وتفرقت فاختلطتبالتراب وبأجزاء ممن ماتوا من قبل كيف يعقلعودة الحياة لكل انسان بأعيانها وأجزائها مرة أخرى ٠

والجواب : أن أجزاء الانسان وان اختلطت بغيرها فهى متميزة فى علم الله ، وأنه وحده القادر على اعادة التأليف والتركيب والاحياء كما كانت ، بل لو صارت أجزاء الانسان شيئا أبعدمن المعظم فى قبول الحياة كالحجارة أو الحديد فان الله قادر على اعادة الحياة فيها وخلق الانسان الذى صار اليها كحالته فى الحياة الدنيا وليس الأمر فى قوله : كونوا حجارة أو حديدا ٠٠ معناه أنهم يتحولون الى حجارة أو حديد وانما يراد : اذا لم تكونوا عظاما ورفاتا وكنتم حجارة أو حديدا لما أعجزتم الله سبحانه عن اعادتكم، بل لو كنتم أبعد عن قبول الحياة من الحجر والحديد وعلى صفة وحالة كانت غاية فى البعد عن قبول الحياة فالله وحده قادر على اعادة الحياة اليها وهذا معنى قوله : أو خلقا مما يكبر فى صدوركم ، وكأنهم قالوا : من هذا الذى يقدر

على اعادة الحياة بعد ذلك التحلل ، فأمر الله نبيه أن يجيب على ذلك الاستفهام : هو الذى فطركم أول مرة أى : أن الذى خلقكم أول مرة هو القادر على أن يعيدكم .

(د) وقال تعالى (**أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير ، قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة**) العنكبوت ١٩ : ٢٠ .

المراد بالرؤية فى قوله : أو لم يروا : العلم الواضح ، لأنه كالرؤية المحسوسه ، وان العاقل ليعلم أن البدء من الله ، لأن الخلق الأول لا يكون من مخلوق ، أو المراد بالبدء : خلق الآدمى أولا وبالاعادة : خلقه ثانيا والعاقل لا يخفى عليه أن الخالق ليس الا قادرا حكيما يصور الأجنة فى الأرحام من نطفة ، والمعنى : أو لم يعلموا علما واضحا أن الله كيف يبدىء خلق الانسان من تراب ثم ينفخ من روحه أو خلقه من نطفة تكونت من غذاء حيوانى مرجع غذائه الأصلى من النبات الذى تنبته الأرض أو من غذاء نباتى مرده كذلك الى الأرض ، وهذا القدر يكفى فى حصول العلم بامكان الاعادة فانها مثل الخلق الأول ، وان لم يحصل هذا العلم ففكروا فى أقطار الأرض وأعملوا عقولكم فيما حولكم لتعلموا بدء الخلق وأن القادر على بدء الخلق من تراب قادر على أن يعيد خلقه من تراب كذلك ، وذلك الخلق الثانى يسير على الله الذى خلق أولا ، وان كنتم ممن لا يفهم الا بمشاهدة محسوسة فسيروا فى الأرض أى : سيروا أفكاركم فيما حولكم مما على الأرض لتدركوا كيف بدأ الله الخلق فى كل ما على الأرض من طيور وزواحف وحيوانات وكيف أنبت النبات من تلك البذرة الجافة فاذا تم لكم ادراك ذلك علمتم أنه وحده القادر على أن ينشىء النشأة الأخرى .

(هـ) وقال تعالى : (**الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون**) الروم ١١ .

ذكر الله فى الآية السابقة أن عاقبة الذين كذبوا بآيات الله : السوأى ، وهى جهنم ، وفى بيان العاقبة دليل على صحة الاعادة والبعث ، ثم ساق دليلا آخر على صحة الحشر فذكر أنه يبدىء الخلق ومن قدر على بدء الخلق لا يعجز عن اعادته وارجاعه .

(و) وقال تعالى : **(وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) الروم ٢٧ .**

طالما كرر القرآن الأدلة على البعث وعمادها أن القادر على بدء الخلق يقدر على اعادته ، وقبل هذه الآية قدم الأدلة الدالة على قدرته من أول قوله تعالى : ومن آياته أن خلقكم من تراب وكلها يدل على قدرته على الحشر الذى هو أساس الآخرة ، ثم ساق هذه الآية ليضيف الى أدلة قدرته على الحشر دليلا ومعنى ذلك : أن من عمل عملا أولا هان عليه أن يعمله ثانيا ، أى أن اعادة الخلق أهون عليه من بدئه أولا ، أو لأن الخلق تدرج فى أطواره من النطفة الى العلقة الى المضغة الى اللحم الى العظام الى تسويته بشرا الى اخراجه طفلا ، أما الخلق الثانى فلا يحتاج من الخالق الا قوله : **(كن فيكون)** وبذلك تكون الاعادة أهون على الله من ذلك الخلق الذى تدرج به حتى صار انسانا ، أو لأن الخلق الأول فيه خلق الأجزاء ثم تأليفها ، أما الاعادة ففيها تأليف فقط ومن ثم كان أهون من بدء الخلق .

(ز) وقال تعالى : **(ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة)** لقمان ٢٨ .

ان ملكوت الله كبير ومقدوراته لا تنتهى ، واذا توهم متوهم أن الله خلق الخلق فى ملايين السنين فكيف يقدر على اعادته مرة واحدة حين البعث وقد أجاب الله بهذه الآية لدفع توهم المتوهمين فتلك الاعادة التى يعيدها الله لكل من خلق فى لمحة عين مثلها كمثل خلق نفس واحدة ويعنى نفس واحدة لا يحتاج الى زمن يعيد فيه من

خلقه من قبل فى ملايين السنين وانما يحتاج الى قوله: **(كن)** •

(ح) وقال تعالى **(وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشاها أول مرة)** يس ٧٨ : ٧٩ •

ان بعض منكرى البعث يبنون انكارهم على استبعاد اعادة الانسان ثانيا ، وعلى طريق الاستبعاد قالوا من يحيى العظام وهى رميم ، ومعنى ذلك أن استبعادهم للاعادة جاء من ناحية أنهم استبعدوا اعادة الانسان بعد تفتته وتفرق أجزائه ذلك التفرق والتفتت الذى صارت اليه عظام الانسان ، وكأنهم بذلك ضربوا مثلا بأنفسهم فجعلوا قدرة الله سبحانه كقدرتهم ، ونسوا خلقهم الأول ، وأنه وحده الذى صنعهم ، ثم أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يجيب السائل : من يحيى العظام وهى رميم بقوله : يحييها الذى أنشأها أول مرة ، ومعنى ذلك : أن الذى خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا قادر على أن يعيده وان لم يبق منه شىء •

وقد اختاروا العظم لانكار البعث والاعادة لبعده عن الحياة لعدم وجود الاحساس فيه ، ووصفوه بما يقوى الاستبعاد وهو : التفتت المأخوذ من قوله (رميم) وقد دفع الله استبعادهم من حيث قدرة الله وعلمه وأنهم نظروا الى قدرتهم ونسوا قدرة الله الذى أحياهم أول مرة فالقادر على خلقهم قادر على اعادتهم كما كانوا فى النشأة الأولى •

(ط) وقد حكى القرآن قول الكفار حول انكار البعث والخلق الثانى فى قوله : **(وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد)** سبأ ٧ •

فهولاء أنكروا الخلق ثانيا بعد أن يمزقوا كل ممزق وهذا المعنى جاء فى الآية السابقة : من يحيى العظام وهى رميم ثم راحوا

يرمون الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن سخروا من دعوى البعث بأنه مفتر على ربه وأنه مجنون ورد الله عليهم: بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال المبين .

(ى) وقال تعالى : (**ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون**) الواقعة ٦٢ .

فى هذه الآية تقرير لامكان النشأة الثانية بعد أن وقفوا على نشأتهم الأولى حينما كانوا أجنة فى بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا وان من أنشأ الأولى قادر على النشأة الثانية فهلا ذكروا قدرته على الاعادة والحشر .

(ك) وقال تعالى : (**أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد**) ق ١٥ .

اما أن يكون المراد بالخلق الأول : الانسان فيكون فى الآية استدلال على قدرة الله وانه لم يعجز عن خلقهم أولا وقد قال **الله : سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »** ثم قال : بل هم فى لبس وشك من خلقهم الجديد وهو اعادتهم وبعثهم .

وأما أن يكون المراد بالخلق الأول : خلق السموات والأرض لأنهما الخلق الأول وكأنما قال : أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها ثم قال : أفعيينا بالخلق الأول وأن انكارهم انما كان للخلق الجديد من كل وجه وكأنهم قالوا : أيكون لنا خلق جديد ، ومعناه أنهم أنكروا الخلق على كل وجه وتقدير الكلام : ما عيينا بالخلق الأول ، بل هم فى شك من خلق جديد أى أن شكهم انما هو فى الخلق الجديد .

(ك) وقال تعالى : (**نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا**) الانسان ٢٨ .

ذكر الله فى الآية السابقة أن هؤلاء يحبون العاجلة (وهى الدنيا) ثم ذكر فى هذه الآية خلقه لهم وأنه وثق فى ذلك الخلق أعضاءهم بعضها ببعض كما وثق

مفاصلهم بالأعصاب وأن حبهم العاجلة يوجب عليهم طاعة الله رغبة منهم لأنه منحهم الأعضاء السليمة التى ينتفعون باستعمالها فى لذاتهم ورهبة لأنه قادر على أن يميتهم ويسلب نعمة الحياة منهم ولكنهم لم يؤمنوا رغبة ولا رهبة بالله الذى خلقهم وشد أعضاءهم وهو الذى اذا شاء أهلكهم وأتى بأشباههم فجعلهم بدلا منهم وهو القائل : **(ان يشأ يذهبكم ويأت بقوم آخرين وهو القادر على ذلك) .**

(وسنتابع فى الأعداد القادمة ان شاء الله الحديث عن خلق الانسان) .

د . محمد محمد خليفه

« أقسام الجمال »

الجمال جمالان : ــ جمال تبتهج به وان احتقرك الناس وجمال تحتقر به نفسك وتعز عند الناس فأما الجمال الأول فهو وضوح الحق لك عن عين يقين وانتهاجك على سنته وان خالفك الناس وعادوك ، وأما الجمال الثانى فانبلاج أنوار الحق عليك حتى تضىء أرجاء حقيقتك فتعلم مقدار نفسك فتحتقرها وتظهر أنوار الحق للخلق فتحترم وتعظم فى أعينهم .

نحو إعلام إسلامي رشيد

الصحف والمجلات

للدكتور محمد رجب البيومي

(ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى) :

آية كريمة أرددها حين تجيش خواطرى كموج البحر ثم أحاول أن أنقلها للقارىء فأجدنى ذكرت شيئا وتركت أشياء ، وقد يكون ذلك عن ركود ذهنى لا يسعف صاحبه بترجمة مشاعره ترجمة وافية ، ولكنه قد يكون أيضا نزولا عند رغبات بشرية تجنح للمجاملة وايثار الراحة ، بدلا من الاضطرار الى اغضاب أناس بعضهم الزميل وبعضهم الصديق وبعضهم الأستاذ ...

ولكن هذه الخواطر المكفوفة مازالت تجيش وتهدر وتلح على أن أعيد ما كتبت لتكتمل الحلقة على وجه يأتى بالفائدة وهأنذا أمسك بالقلم لأكتب ... غير عالم بما سأقدر عليه من تصريح أو ما أضطر اليه من تلميح ، واذا كان لغيرى أن يدعى بطولة المواجهة ، وشجاعة المعارضة فما أظننى ممن يسير معه فى طريق !!

حين نرصد الحركة الفكرية فى عالم الصحافة الاسلامية نجد حملة الأقلام لدينا فريقين : فريق مخلص مثابر يرى موضع الحريق فيسارع الى اطفائه مرهفا سمعه الى كل نبأة ، وعينه الى كل اشارة ، ووعيه الى كل منطق حتى اذا جمع أمر نفسه سطا على الباطل بمنطقه فدمغ البغى ونصر الحق ، ونال مثوبة الله وتقدير المنصفين .

وفــريق ثرثار يتخذ الــكلام بضــاعة والكتابة كسبا فهو يمــلأ الصفحات ويحبر المقالات باحثــا عن صيده المادى ، دون تقدير لما يجب أن يقال وتلك ناحيــة تتطلب الايضاح لتنذر قوما تنكبوا الجادة وضلوا عن الطريق •••

نحــن نعلــم ان الحــكومات الاســلامية فى كل بلد عربى قــد عملت على اصدار مجلات اسلامية تنطق باسم الحقيقة بنبراســـها الساطع حتى أصبحنا نجد من هذه المجلات كثرة كاثرة يخطئها العد ، وكان المظنــون بمن يتصــــدرون للكتابة فى هذه المجلات الهادفة ان يعلموا أنهم جميعا يقفــون موقف الرباط على الثغور الاســـلامية ، ومهمة كل واحد منهم ان يكســب أرضا جديدة تضاف الى المســاحة الاســـلامية أو يقيم الحصـــــون الشاهقة كى يمنع الهجوم ، ويؤمن الحدود ولا نظلم الحق حين نقول ان بعض هــؤلاء الكاتبين يقــدر تبعة قلمــه فيجهد نفســـه ليأتى بالجـــديد النافع ، وللقراء وعى صائب اذ يعرفون هؤلاء المخلصين فيضـــعونهم موضـــع التقــــدير ويتابعون ثمراتهم الفكــــرية فى يقظة واعجاب •

أما غير هــؤلاء فيظن الكتــابة الاسلامية ــ وليتها الكتابة الأدبية بمفهومها الضيق ــ احترافا يجلب الكسب ويشغل الفراغ ، فهـــو يحرص كل الحرص على أن يكتب المقالات المتتابعة وان يمتد صداه الى كل أفق يستطيع أن يصل اليه ، ولا عليه بعــد ذلــك اذا اكــتفى بالمكرور الشائع من القول والتافه السـطحى من الحــديث وانمــا قصارى جهده ان يكتب وان يكافأ ، وكأن هذه المجلات الهادفة مــورد تجارة فقط ! لا منبرا حيــا يذكر الغافلين ، ويرشد الضــالين ، اذ تشتد الريب وتتكاثر الأوهام !!

انك لتأخذ بعض هذه المجلات فى يدك ثم تقرأ راجيا أن تجد ما ينقع غليلك ويروى صداك فتصعق حين تنظر الى المقــــال وتقــرأ الصفحة فلا تكاد تخرج بجديد ما على الاطلاق ، فيا لضيعة الأوراق

والمداد حين اكتفى كاتبو هذه المعادلات بنقل المعلومات الذائعة دون اضافة بل دون تنسيق !!

هذا مقال أول فى تفسير بعض الآيات الكريمة من كتاب الله ، يقبل عليه القارىء متلهفا يظن أن صاحبه قد وصل الحاضر بالماضى حين استنبط من وحى الله معنى جديدا ، أو عالج فى ضوئه مشكلة عصرية يلتمس شفاءها من كتاب الله ، ولكنه يشعر بالخيبة حين يجد الكاتب المرتزق ينقل آراء السابقين دون اضافة ! وليته اختار من هؤلاء السابقين ، أو برع فى تحليل أو غاص الى عمق ولكنه ركب الذلول الى نقول متعالمة مشتهرة ثم جرؤ على أن يوقع المقال بامضائه الكريم !!

وهذا مقال ثان يتعرض لشرح أثر من الآثار النبوية الرائعة ، يراه القارىء فينشط الى تلاوته متوهما أن كاتبه قد رأى فى الحديث النبوى الشريف ما يطلب لعلاج مرض اجتماعى مستحدث ، أو حل أزمة خلقية معقدة ، ولكنه يقرأ ويقرأ فلا يجد غير ماسبق به شراح الحديث النبوى فى كتبهم السابقة ، وكأن الكاتب الفاضل قد رأى أن مهمته الوحيدة هى النقل عن أمثال الحافظ ابن حجر فى طراز من نسج متعارف مملول ! فهل كانت رسالة المجلة الاسلامية فى مفهومه أن تنقل الورق الأصفر الى ورق أبيض فحسب ثم تختم هذه النقول بتوقيعات مزيفة لم يأت أصحابها بشىء جديد ؟ !

ويضيق صدرك فتنتقل الى مقال يتحدث عن غزوة محمدية أو بحث يتجه الى تحليل شخصية تاريخية ، أو فصل يشرح مسألة تشريعية ، فتصبر على قراءة كل ذلك فتجد صاحب الغزوة قد صاغ أسلوب سيرة ابن هشام بطريقة منبرية تنخفض الى مستوى الأميين من العامة ، وصاحب الشخصية التاريخية قد نقل عن أمثال ابن خلكان بما لا يخرج عما قال ، أما صاحب الموضوع الفقهى فقد اكتفى بحاشية مملوكية دون بصر بواقعه المعاصر !

وهكذا تنفق الحكومات الاسلامية على عشرات المجلات ليمتلىء أكثر صفحاتها بالتافه المكرر ، أما الجيد المقبول فهو من القلة بحيث يكاد يتبدد فى خضم هذه السطحيات الغافلة ، وتلك حال دفعت نفرا من الممتازين الى الانزواء أنفةمن أن يختلط جيدهم الصائب بما يحيطه من الأتربة المتراكمة اذ يخافون على أقباسهم الهادية أن يبتلعها الديجور الحالك فلا تكاد تضىء !!

والطامة الكارثة فى استخفاف هؤلاء الوصوليين : أنهم لا يخجلون من السطو على آثار المعاصرين دون حياء وليتهم يرعون واجب الامانة فيشيرون الى من اهتدوا بهديه وساروا على ضوئه ناقلين ، بل يدفعهم التبجح الشائن الى غطرسة توهم القارىء العادى أنهم أبطال الميدان وحماة السرح، فقد تفد من دول الالحاد شبهة زائفة تجد الرد القاطع من ذوى الغيرة الحقيقيين أمثال محمد عبده وفريد وجدى ورشيد رضا وعبد العزيز جاويش ممن سبقوا الى رحمة الله وأمثال أبى الاعلى المودودى وأبى الحسن الندوى ومحمد الغزالى ممن يحملون الراية الاسلامية عن جدارة واستحقاق ، ثم تنظر بعد ذلك فتجد نفرا من هؤلاء المرتزقة يعيدون الحديث عن هذه الشبه الزائفة ثم ينقلون ردود هؤلاء الافذاذ عليها دون اضافة تذكرة ، بل ربما وقعوا فى تحريف خاطىء اذ عجزوا عن الفهم الصحيح لما قاله الأصلاء ، وقد حسبوا أنهم بمسوخهم الشائهة لآراء السابقين صاروا من حماة العقيدة وذادة الاسلام ، وهم بعد لم يصلوا الى مستوى القارىء الدقيق !! •

لقد اشتهرت أراجيف أوربية فندها الأحرار تفنيدا لا يحتمل الاختلاف • ثم مضت الأيام وجاءت شرادم الوصوليين لتعيد ما قيل دون سأم ومن هذه الشبه ما فات وقته ، وكشف عن وجهه كشفا لا يقبل التكرار • وأضرب

الأمثلة على ذلك بمسألة الغرانيق ، وتعدد زوجات الرسول ، واختلاف القراءات القرآنية ، ومكانة الأسرة فى الاسلام ، فذلك قد حسم أمره وعرف وجه الحق فى موقف الاسلام منه ، فما بالنا بعد هذه الجهود الرائعة نجد أدعياء البحث يجددون من حديث هذه الأراجيف وقد حملوا أقلامهم لينسخوا كل ما قيل دون حياء وهم بعد فى نظر أنفسهم كتاب فضلاء وعلماء باحثون !!

فاذا تركنا كتاب المجلات هؤلاء الى القائمين على الصحف من رؤساء التحرير للجرائد اليومية فى بعض المجتمعات الاسلامية فاننا نحمد لبعضهم جميل اهتمامه وقوة يقظته اذ سار على الدرب القويم مراعيا دينه فيما يقدم ويختار . ونحن نبارك هؤلاء ونشد على أيديهم سائلين الله لهم حسن المثوبة وكمال التوفيق ، ولكننا لا نجهل أن نفرا من رؤساء التحرير يستغل مشاعر المسلمين لكسبه النفعى ورواجه الشخصى ، فيفرد من جريدته صفحة تهتم ظاهرا بشئون الاسلام اذ يعلم أن الجمهرة القارئة مسلمة وقد فاءت الى ربها فعرفت أن النصر لا يتاح من غير طريقه ولابد أن يحرص صاحب الجريدة على استمالتهم فيفرد للاسلام صحيفة تتحدث عن قضاياه ، ولكن هل كان صادقا مع نفسه فى هذا الاتجاه ؟ لننظر الى ما يصنع هو وأشباهه ثم لنحكم غير متحيزين . واليك اشارة لامحة تقوم مقام الدليل .

١ ــ يأتى رمضان المعظم فيعلم القائم على الجريدة أن قارئه متلهف الى صفحة دينية ، وأن صحيفة أخرى منافسة قد كسبت أكثر القراء اذ أفردت صفحة لأحاديث رمضان ، فيضطر الى أن يسارع باصدار الصفحة الدينية ، فيتوقع القارىء بادىء ذى بدء أن يجد الأحاديث النافعة والكلمات الهادفة فى موسم دينى جليل ، ولكنه يقرأ الصحيفة ذات الأعمدة الثمانية الطوال فماذا يجد ، يجد مقالا واحدا ينحو منحى الاسلام

لا يشغل غير عمود أو عمودين على الاكثر أما الباقى فممتلىء بصورة لمسجد أثرى ، أو لوحة لفانوس فوق مئذنة مع حديث عن الطراز المعمارى لبعض المآذن والمحاريب ، وأوصاف الأطباق غذاية، واعلانات عن مطاعم شهيرة وأحاديث عن سهرات مسائية ، وحوار مع عمامة مظهرية تكتفى من الاسلام بالمظهر الخادع ولا تعطى قارئها ما يفيد ، وهكذا تخدع الجريدة قارئها فتوهمه أنها تفرد صفحة كاملة عن الصيام وهى عنه بمكان بعيد !!

٢ — يكتب كاتب أوربى مقالا أو كتابا عن الاسلام لا يخلو من أخطاء كثيرة متعمدة أو غير متعمدة ، فتأتى جريدة وصولية وتضع عنوان الكتاب فى حجم بارز يشمل جميع أنهار الصفحة ثم تضع صورة المؤلف جهيرة لامعة مشفوعة بالاطراء ، وتقول انها تلخص بعض الفصول المختارة للكتاب ، فتقرأ التلخيص فلا تجد غير الهجوم الخفى حينا ، والبارز حينا آخر ، فياالله ! كيف حرصت الجريدة على ترجمة الهجوم ، ولها فى التلخيص عذر ان تركته ، ثم اذا كانت تحرص على أن تطلعنا على آراء المهاجمين فلماذا لا تكلف من كتابها من يقوم بالنقد والتفنيد كيلا يتورط القارىء فى تصديق هذه الأراجيف ؟

٣ — تحتاج بعض المسائل الاجتماعية الى ايضاح رأى الاسلام فى نواح هامة ، وبخاصة فيما يتعلق بالمرأة زيا وتبرجا واختلاطا وزواجا ، فتستغل الجريدة التاجرة ظمأ الجمهور المسلم الى معرفة رأى الشريعة الاسلامية فى كل ما يشغل الأذهان فلا تلجأ الى الفقهاء الأثبات والعلماء الأعلام ليميزوا الخبيث من الطيب وليصدعوا بكلمة الله مجلجلة دون خفاء ولكنها تعمد الى نمط خاص من أدعياء الفتوى فتوجه اليهم الأسئلة الدقيقة الحساسة ،ولهذا النمط من الأدعياء كلف بالظهور والاعلان وايثار لجذب القراء واغرائهم بالمبتدع الخادع من الأفكار ، واذ ذاك تقرأ

ما تأسف له من جاهل الرأى وفاسد النقل وشائن التدليل !

٤ — ترى التناقض السافر بين ما تضطر الجريدة الى تقديمه من الزاد الاسلامى جذبا للقراء ، وما تنحدر اليه من سلوك بغيض ينكره الاسلام ، فهى مثلا فى صفحتها الدينية التى تنشرها يوم الجمعة من كل أسبوع تكتب مقالا عن تحريم الخمر أو ذم السفور أو تقبيح الاغتياب ثم لا يكاد القارىء يترك الصفحة الى ما جاورها من الصفحات فى العدد نفسه حتى يرى الاعلانات بارزة عن بعض أنواع الخمور ، وصورا خليعة لبعض المتحللات من بنات الشاشة البيضاء ، وولوعا دنيئا فى سير بعض الشرفاء ! فيالله ماذا يقول قارىء هذه الصفحة الدينية، وهو يرى التناقض الصارخ فى العدد الواحد ؟ وكيف يصدق الجريدة الوصولية على هداية المسلمين وقد شقت عصا الطاعة لشريعة الاسلام فيما روجت من منكرات وبعثت من أراجيف .

وبعد فلم أقل كل ما أريد أن أقول ؟ وقد اضطررت الى تكرار بعض ما نبهت اليه من قبل وأرجو الا أضطر مرة ثانية الى تحديد مقالات وتعيين أسماء وتجريح جرائد ، اذ لا أزال مؤثرا نهج الاسلام فى الدعوة الى الحق بالحكمة والموعظة ، وان يكن التصريح بخطأ المخطىء مما لايعاب لدى منصف عادل ، أو مخلص نزيه .

دكتور / محمد رجب البيومى

« لا تقنع بأدنى منزل »

من يستطيع بلوغ أعلى منزل
ما باله يرضى بأدنى منزل ؟

الأحداث الكونية للقيامة والإعجاز العلمي للقرآن

للدكتور منصور محمد حسب النبي

مقـــدمة :

أشـــار القرآن الكـــريم ، الى أن هناك تغيرات كونية هائلة ، سوف تحدث عندما ينفرط عقد الكـــون يوم القيامة ، مثل : تكور الشمس وانكدار النجوم ، وتسجير البحار، وتفجيرهـــا ، وزلزلـــة الأرض ، ونسف الجبال ، وانشقاق السماء ، وانتثار الكواكب ، وغـــير ذلك من مظاهر الثـــورة الكـــونية ، التى ستؤدى الى زوال الســـــموات والأرض ، وفناء هـــذا الكـــون ، واستبداله بعالم آخر ، فى هـــذا اليوم المشهود ، الذى سنبعث فيه للحساب ، والحياة الخالدة .

ولقد اهتم القرآن بمشـــــاهد القيامة ، فى آيات كريمة متعددة ، اما لتصوير الهول الذى سيشـــمل الطبيعة كلها ، أو لتصوير مواقف الحســـاب ، من نعيم وعـــذاب ، بأسلوب يغشى النفس الانسانية ، ويهزها فى صورة حية محسوسة ، وكأنها لوحة فنية رائعة ، تتملاها النفس ، ويتابعها الخيـــــال ، ويستغرق فيها الحس ، والشـــعور والوجدان .

ولقد تميزت الآيات الكـــونية ، التى تصف القيامة ، بألفاظ بالغـــة الاثارة ، قوية الـــوقع بعنفهـــا ، كالزلزلة والرج ، والدك والنسف ، والصيحة والطامة ، والغاشـــــية والواقعـــة ، والبعثرة والزوال ، لابراز مشاهد الكون ، وقد حركها الهول العظيم يوم القيامة ، وذلك:

فى آيات قرآنية قصيرة ، تلقى فى نفس السامع احساسا بجدية الموقف الحاسم وخطره ، بحيث لا يحتمل الاطالة والتأنى كما فى قوله تعالى :

« اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبال سيرت » (١) .

« اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت » (٢) .

« فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » (٣) .

« اذا زلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها » (٤) .

« وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة » (٥) .

وغير ذلك من آيات كريمة تتعلق بنهاية هذا الكون ، علاوة على آيات أخرى تبرز الهول يوم القيامة ، فى ظلال نفسية ، وخلجات شعورية ، تخص الانسان ؛ لتصوير مواقف الحساب ، من نعيم وعذاب .

وسوف أتناول فقط فيما يلى المشاهد الكونية للقيامة ، وذلك : بعد ابراز الناحية الفلسفية لضرورة قيام القيامة .

ضرورة الآخرة :

لعل من أهم الحقائق التى يدعونا الدين الاسلامى الى الايمان بها ، هى : حقيقة الآخرة كما فى قوله تعالى :

« الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون »

(البقرة ٣ — ٤)

---

(١) الشمس ١ ، ٢ ، ٣
(٢) الانفطار ١ ، ٢
(٣) الرحمن ٣٧
(٤) الزلزلة ١ ، ٢
(٥) الحاقة ١٤

والايمان بالآخرة هو : العامل الرئيسى للاتزان النفسى للانسان، لأن الآخرة والحياة الخالدة هى العزاء الوحيد لحتمية الموت فى الدنيا . فليس معقولا أن يكون مصير الانسان الذى جعله الله خليفة فى الأرض ، مصيرا بائسا مهينا ، ينتهى بالموت ، كمصير أى حشرة ! وليس معقولا أن الحياة غدو ورواح ، كما يراها الفيلسوف الألمانى نيتشه ، والتى تمتلىء وتخلو كالساعة ولا هدف لها أكثر من ذلك . وليس معقولا أن تكون الحياة كما رآها الكفار ، هى الحياة الدنيا دون بعث :

« ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين »: المؤمنون ٣٧ .

وكأن الحياة فى نظر هؤلاء الكفار ، ما هى الا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، ولا خلود ولا جزاء، يستوى فى ذلك من أحسن غاية الاحسان ، ومن أساء كل الاساءة ! .

كلا انه لعسير على العقل البشرى ، الذى يؤمن بخالق عليم حكيم ، أن يصدق أن سوق هذه الحياة سينفض فى النهاية ، دون جزاء للناهب والظالم ، والسارق والقاتل ، أو ثواب للمؤمن والراكع ، والخاشع والمتصدق .

ولهذا فان فكرة العالم الآخر راسخة فى الضمير البشرى ،لأنها تتمشى مع ارضاء الجانب النفسى ، والأخلاقى للانسان . فالانسان ينتظر أن يكون لوجوده فى هذا الكون حكمة ، أبعد من هذه الحياة القصيرة الفانية ، وأن تكون هناك عدالة تحدد مصير الرذيلة والفضيلة ، وأن تكون هناك حياة أخرى خالدة .

ومما لا شك فيه أن الانسان سيموت ، وبهذا فالانسان ليس أبديا فى هذه الدنيا . كما أن العلم الحديث يؤكد أن الكون الحالى ليس أبديا ، فالنجوم تموت أيضا، والكون المتمدد سوف ينكمش فى المستقبل . وهكذا فان الكون

يسير حتما نحو الآخرة • وسوف أوضح فيما يلى بعض الأحداث الكونية للقيامة ، التى سوف تقع ضمن اطار الثورة الكونية الشاملة ، فى هذا اليوم المشهود ، مثل تكور الشمس وانكدار النجوم ، وتسجير البحار ، وغير ذلك من أحداث ، وردت بالقرآن ، ويعترف العلم الحديث بامكانية حدوثها ، ولا ينكرها •

ويجب أن نعلم جميعا ، أن الكون كله مهيأ للقيامة على وجه التسخير ، وأن الله — سبحانه وتعالى — اذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون • وهذه حقيقة نؤمن بها نحن المسلمين ، دون حاجتنا للبحث عن أسباب حدوثها • ولكن نواحى الاعجاز العلمى للقرآن ضرورة حتمية ، ينبغى أن يشمر المسلمون المشتغلون بالعلم للكشف عنها ، واظهارها للناس فى هذا العصر الحديث ، لأن هذا النوع من الاعجاز يعجز الالحاد أن يجد موضعا للتشكيك فيه ، ويساعد على اثبات صدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لمن ينكرونها ، على اختلاف بواعثهم • خاصة وأن هذا الانكار ، يقوم على ادعاء هؤلاء المنكرين — زورا وبهتانا — أن القرآن الكريم من تأليف البشر !

والقرآن الكريم حجة الله البالغة على عباده ، وينبغى الا يكون ادراك اعجاز القرآن قاصرا على فصحاء العرب ، لأن الانسانية كلها بجميع شعوبها على اختلاف لغاتهم مخاطبة به ، ومطالبة بالتسليم له ، أنه كلام الله ، ولهذا فلابد أن يتضح اعجاز القرآن لكل انسان ، لتلزمه حجة الله ان أبى الاسلام • ولابد اذن أن يكون لاعجاز القرآن نواحى غير الناحية البلاغية والبيانية ، وهذه النواحى هى بالتأكيد النواحى العلمية ، التى سيظل اعجازها حتى قيام الساعة ، وتخاطب بها كل شعوب العالم •

وفى مقالى السابق ، تناولت موضوع انشقاق القمر ، كاحدى

علامات الساعة ، وفيما يلى عرض لبعض الأحداث الكونية للقيامة .

أولا : تكور الشمس ، وانكـدار النجـــوم :

أشار الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ فى مطلع سورة التكوير ، بأن هذه الشمس المألوفة لنا باستقرارهـا الحرارى ، ودوامها لأداء مهمتها بانتظام ، سيأتى عليها يوم وتتكور ضمن اطار الانقـــلاب الهائل فى الكون ، كما تنص الآية الكـريمة التالية :

« اذا الشـــــمس كـورت » (التكوير : ١) .

فمـا هو المقصـــود بتكـور الشمس ، وهل هنـاك توقعـات علمية لهذا التكور ؟

وما هى آثار تكور الشمس على وظيفتها ؟ :

التكـوير معنــاه طى الشىء ، وطىء الشىء فى اللغة كنـاية عن ايذان بانتهاء مهمته ، وبهذا فان تكوير الشمس معناه انقباضـــها . وقد تندهش اذا علمت أن أحدث علــوم الفلك ، وهـــو علم طبيعة النجوم ، يؤكد أن الشمس ، بـــل وسائر النجوم تتكور ، أى تتقبض عند شيخوختها ، ووفاتها ، كمــا سأوضح فيما يلى :

١ ـــ من المعـــروف علميــا أن الشـــمس حاليــا نجم متوســـط الحجم ، على هيئـــة كـــرة من الغازات المتقدة ، وحجمها قـــدر حجم الأرض أكثر من مليون مرة ! وكتلتها أكثر من ٢ بليون بليـــون بليون طن ، أى قدر كتلة الأرض ٣٣٣٤٠٠ مرة ! . ودرجة حـــرارة باطن الشمس حاليا ، حوالى ١٥ مليون درجة مئوية عند مركزها ، بينما تصل الى ٦٠٠٠ درجة مئوية عند سطحها الخارجى ! ولونهــا أصفر ، وتبعد الشمس عنـــا ٩٣ مليون ميل ؛ ويبدو سطح الشمس لنا أملسا خاليا من التجعـدات ، والنتوءات ، وكأنهــا كـــرة تتنعم بالهدوء والتجانس ! ولكن هـــذا ليس الا خداع نظر ، فالشـــمس أقرب ما تكون الى محيط هائـــل ثائر ، متلاطم الأمواج ، ومسرح

لأشد أنواع الدوامات ، والتدفقات والأعاصير الغازية ، والعواصف المغناطيسية ، وزوابع الحمم والتفجرات ، التى تجتاح الشمس فى كل أجزائها .

ورغم هذا فالشمس متزنة ومستقرة ، بدليل ثبوت طاقتها المنبعثة من سطحها ، على مر الدهور ، ووجود حياة نباتية على سطح الأرض ، منذ حوالى ٣٤٠٠ مليون سنة ! .

وقد تسأل كيف تستقر الشمس حاليا ، بكتلتها الضخمة فى مثل درجة مئوية ، دون أن تتبعثر ، مركزها الى اكثر من ١٥ مليون درجة مئوية ، دون أن تتبعثر ، وتتناثر فى الفضاء ؟ . والجواب على هذا بسيط . فالشمس تتزن حاليا تحت تأثير قوتين رئيسيتين متساويتين ، ومتضادتين ، تؤثران على الغازات الموجودة بالشمس

أ — القوة الناشئة عن الحرارة العالية ، والتى تولد ضغطا يدفع الغاز بعيدا عن المركز .

ب — القوة التجاذبية التى تجذب الغاز فى كل مكان فى الشمس نحو المركز .

وبهذا فان القوة الأولى تجعل الشمس تنتفخ أو تنفجر ، بينما الثانية تجعل الشمس تنكمش وتنقبض . وعند تساوى القوتين تستقر الشمس دون انتفاخ أو انقباض . وهذا هو الحال منذ بلايين السنين .

ويقدر العلماء عمر الشمس الآن بأكثر من ٥ر٤ بليون سنة ، وأنها حاليا مستقرة فى مرحلة الشباب ، وتتولد الطاقة بانتظام بتحويل الايدروجين الى هيليوم ، بالاندماج النووى ، (وليس الاحتراق) فى باطنها فتنتج حرارة واشعاعات تتسرب الى خارجها ، وتحدث اثارة لغازات السطح فتتوهج وتضىء بلونها الأصفر المألوف لنا .

٢ — يتوقع العلماء أن الشمس فى المستقبل سوف تقترب من شيخوختها ، عندما يوشك الايدروجين على النفاذ ، ويزداد تركيز الهيليوم فى قلب الشمس

فينكمش هذا القلب ، ويتكـــور وينقبض انقباضا هائلا مروعــا ، فترتفع درجة حرارة باطن الشمس الى مائة مليون درجـــة مئـــوية ! وتحدث تفاعلات نووية متقـــدمة يندمج الهليوم فيها الى عنـــاصر أثقـــل ، نصـــل الى النحـــاس والحديد ، وينتج ما يلى :

تتمدد كرة الشمس الحـــالية ، بسبب ارتفاع درجة حرارة قلب الشـــمس المنقبض ، وتزداد بذلك مساحة سطح الشمس الخارجى ، بحيث تبتلع كـــوكبى عطـــارد والزهـــرة ، باعتبارهمـــا أقـــرب الكواكب لها ، بل وسيصل غلافهـــا الخارجى الى أفق الغلاف الجوى للأرض ، وبهذا تبتلع الشـــمس القمر ، وتلعق بذلك جـــو الأرض بغازاتها الحامية المســـــتعرة ، وتصبح الشـــمس بذلك عمـــلاقا أحمر • Red Giant نظرا لانتفاخ كرة الشمس الخارجية ، ووصول سطحها العملاق الى جو الأرض ! حيث يهبط درجة حرارة سطح الشمس الى ٣٠٠٠ درجـــة مئوية ، فيتغير لونها الى الأحمر ، نظرا لانتشار الحرارة على سطح أكبر ملايين المرات من ســـطحها الحالى ، وتصبح الحياة مستحيلة على كـــوكب الأرض ، لاقتـــراب سطح العمـــلاق الأحمر من أفق السماء •

ويؤكد العلماء خطورة مرحلـــة الشمس العملاقة الحمـــراء على الحياة على الأرض ، نظرا لارتفاع درجة الحرارة على سطح الأرض الى آلاف الـــدرجات ، ممـــا قـــد يؤدى الى هروب الغلاف الجوى للأرض ، وتبخر المحيطات ، وغير ذلك من أوصاف وردت فى ســـياق الآيات القرآنية الكريمـــة ، التى تصف أحداث القيامة فتأمل معى هذه الآيات فى قوله تعالى :

« اذا الشـــمس كـــورت »
(التكوير ١) •

« فارتقب يوم تأتى الســـماء بدخان مبين »
(الدخان : ١٠) •

مما قد يشير الى وصول سطح

الشمس الخارجى الى أفق السماء •

وقوله تعالى :

« **فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان** » •

(**الرحمن : ٣٧**) •

أى اذا انشقت السماء فكانت حمراء ، كالزيت المحترق ! مما قد يشير الى الشمس العملاقة الحمراء •

وقوله تعالى :

« **فاذا برق البصر • وخسف القمر • وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر** »

(القيامة ٧ : ١٠) •

وهذا يشير الى اختفاء القمر فى داخل الشمس العملاقة ، ورغبة الانسان يومئذ من الفرار من شدة الحرارة ، التى ستصل على سطح الأرض الى آلاف الدرجات ، مما يؤدى الى تبخر المحيطات ، وتفجيرها واشتعالها نظرا لتحلل الماء الى عنصرية الايدروجين القابل للاشتعال ، والأكسجين المساعد على الاشتعال ، مصداقا لقوله تعالى :

« **واذا البحار سجرت** »

(التكوير ٦٠) •

« **واذا البحار فجرت** »

(الانفطار : ٣) •

ومعنى سجرت : اشتعلت أو أحميت •

٣ ــ تنتهى مرحلة الشمس العملاقة الحمراء بوفاة الشمس ، حيث تقف تفاعلاتها النووية فتسيطر الجاذبية على جميع أجزاء الشمس فى القلب ، والغلاف ، وبهذا تتكور الشمس ، كلها الى أن يصغر حجمها آلاف المرات ، وتسمى بالقزم الأبيض ، ويحدث هذا الانكماش أيضا لجميع النجوم عند الوفاة ، حيث تنقبض جميعها ، متحولة الى قزم أبيض ، أو نجم نيوثرونى ، أو ثقب أسود ، حسب حجم النجم وكتلته ، وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« اذا الشمس كورت • واذا النجوم انكدرت »
(التكوير ١ : ٢) •

والانكدار معناه الانقباض ، فالنجوم تهوى منكمشة على نفسها ، وينحسر ضوؤها • وهذه حقيقة علمية يعترف العلم الحديث بها •

فهل قرأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، كتب الفلك الحديثة ، ليعرف أن نهاية الشمس والنجوم هى : تكورها وانكدارها ؟ ألا ساء ما يحكم الكافرون ، وهل حان الوقت للبشرية كلها أن تعلم ، أن القرآن الكريم من لدن عليم حكيم ، يعلم كل شيء فى الكون ، من البداية الى النهاية ؟ وأن يعلم الجميع صدق نبوة سيدنا محمد الذى أرسله الله للناس كافة •

حقا ان الكون الحالى نظام واحكام ، ودقة ، ولكن هذا النظام الكونى العظيم ، الذى يشبه العقد الموصول ، سوف يحدث له فى النهاية خلل يؤدى الى انفراط حباته ، عندما ينقطع الحبل الواصل بين حباته ، فى أى جزء منه •

والى لقاء آخر مع الأحداث الكونية للقيامة •

دكتور
منصور محمد حسب النبى

« ما العاقل ؟ »

قيل لبعضهم ما العاقل ؟ قال :

« هو من بيضت الحوادث سواد لمته ، وأخلقت التجارب لباس حدته ، وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته ، تصاريف أقداره وأقضيته •

محمد عبده والإصلاح الدينى

فى الذكرى الخامسة والسبعين لوفاة الإمام

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

فى اليوم السابع من رجب ١٢٨٢ هـ – الثامن والعشرون من نوفمبر ١٨٦٥ م .

جلس الفتى : «محمد عبده خير الله » وسط أقرانه فى الجامع الأحمدى ، يقرأ معهم « شرح الزرقانى » ، ويشرح لهم نصوصا منه .

وجاء شيخ مجذوب فوقف على الحلقة ، وهو يقول موجها حديثه للفتى : ما أحلى حلوى مصر البيضاء ، ويرد عليه الفتى : وأين هذه الحلوى ؟ ويجيبه الشيخ المجذوب : من جد وجد .

وصارت مصر حلما فى مخيلة الفتى الصغير ابن : «محلة نصر» – احدى القرى الواقعة بين دمنهور وشبراخيت على ترعة الانصارية – والذى ولد هناك عام ١٢٦٦ هـ / ١٨٤٩ م ، من أبوين كريمين : عبده خير الله ، وجنينة الأم – من قرية : كنيسة أورين .

وكان الفتى قد حفظ القرآن فى قريته ، وذهب الى الجامع الأحمدى لتجويد القرآن عام ١٨٦٢ ، وبعد سنتين أخذ يحضر دروس العلم فى الجامع الأحمدى ، ولكنه كره التعليم ، لأن أسلوب التدريس كان معوقا له عن الفهم .

وذهب الى قريته حيث تزوج عام ١٨٦٥ ، وبعد أربعين يوما من زواجه أجبره أبوه على العودة الى طنطا ، وخرج الفتى من قريته الى كنيسة أورين وهنا **التقى** بقريب لأخواله ، هو : الشيخ الصوفى : درويش خضر ، الذى

حبب اليه العلم والتعلم ، فـذهب الى طنطا ، وكان ما كان بينه وبين الشيخ المجذوب .

وبعد ثلاثة أشهر من حديثه مع المجذوب سـافر الى القـاهرة ، والتحـق بالجـامع الأزهر — فى منتصف شـــوال عام ١٢٨٢هـ/ فبراير ١٨٦٦ — وصار يشار اليه بالبنان بين لداته وأقرانه .

وفى عام ١٨٦٩ / ١٢٨٥ هـ علم بوجـود الشـيخ : جمـال الدين الأفغانى فى القاهرة ، فذهب اليه لزيارته فى منزله بخان الخليلى ، واصطحب معه فى الزيارة الشيخ : حسن الطويل — وكان بدء تعارفه بجمـال الـدين — ولكن زيـارة الأفغانى للقاهرة لم تسـتمر أكثر من أربعين يومـا ، حيث غـادرها الى الآستانة ، ثم عاد الى القاهرة للمرة الثانية عام ١٨٧١ ومكث بها سـنوات طوالا ، وكان الأفغانى يسكن فى حارة : الأمير — بشارع محمـد على (القلعـة) — ثم فى حارة اليهود ، واتخذ من منزلـه ومن قهوة (البوسطة) بجـوار الأزبكية — وسميت فيما بعد قهوة — (متاتيا) مكانا مختاراً ليلتقى فيه بتلاميذه وأصدقائه ، من مثل: محمد عبـده ، وسـعد زغلول ، وحسن عاصـم ، وقاسـم أمين ، وحسـن عبد الرازق باشـا ، والمويلحيين : ابراهيم ومحمـد وسواهم .

وواصل محمد عبده تعليمـه فى الأزهر وتخـرج منـه حيث نـال العالميـة منـه عـام ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧م ، وعين مدرسا فى الأزهر ، فقام بتدريس العقـائد والعلوم العقلية ، كمـا عين عـام ١٨٧٨ مدرسا بدار العلـوم للتـاريخ الاسلامى ، فقرأ لطلابه « مقدمة ابن خلـدون » ، وعين فى العـام نفسـه مدرسـا للعلـوم العربية بمدرسة : الألسن الخديوية ، حيث قرأ لتلاميذه كتاب : « تهـذيب الأخلاق لابن مسكويه » .

وفى ٢٥ يونيو من عـام ١٨٧٩ تنازل اسماعيل مضطرا عن العرش لابنه توفيق .

وعين الامام محررا فى الوقائع المصرية ، ثم رقى محـررا أول ،

واختار معه فيها : سعد زغلول ، وعبد الكريم سلمان ، وابراهيم الهلباوى ، وسيد وفا •

ولم تلبث الثورة العرابية أن قامت ، واشترك فيها محمد عبده، وكان هو واضع صيغة القسم بالاخلاص للثورة ، وواضع صيغة تنازل توفيق عن العرش •

ولما فشلت الثورة قبض على محمد عبده ، وحبس ثلاثة أشهر، حوكم فيها ، وصدر حكم بنفيه خارج مصر لمدة ثلاث سنوات ، وذلك فى ٢٤ من ديسمبر ١٨٨٢ م — ١٢ من صفر ١٣٠٠ هـ — فسافر الى الشام ، ومنها الى بيروت ، ولم يعد من المنفى الا عام ١٨٨٨ م / ١٣٠٦ هـ •

ورفض الخديوى : توفيق اعادته لوظائفه العلمية ، خوفا من تأثيره فى الشباب ، وعينه قاضيا فى المحاكم المصرية •

وفى عام ١٣١٠ هـ/ ١٨٩٢ أنشئت بجهوده « الجمعية الخيرية الاسلامية » وكان من أعضائها : محمد عبده ، وسعد زغلول ، وقاسم أمين ، وأحمد حشمت ، وحسن عاصم ، وسواهم ، واختير الامام رئيسا لها عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠ م • وفى هذا العام أختير عضوا فى جمعية : « احياء الكتب العربية » حيث قامت بطبع « المخصص لابن سيده ، والموطأ لمالك ، ومقدمة ابن خلدون » وسواها من نفائس المخطوطات •

وفى الخامس والعشرين من المحرم ١٣١٧ هـ / الثانى من يونيو عام ١٨٩٩ م عين الخديوى: عباس الثانى الامام محمد عبده مفتيا للديار المصرية وقال الخديوى لعاصم باشا : قل لصديقك اننى أعترف أن هذا المنصب قليل عليه ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها •

وفى الخامس والعشرين من يونيو ١٨٩٩ م عين عضوا بمجلس شورى القوانين ، واتجه الى تربية الرأى العام فى الأمة تربية وطنية عالية •

وبحكم منصبه فى الافتاء عين مشرفا على المحاكم الشرعية ، فعمل على توسيع دائرة اختصاصها ، وعلى عدم حصر

وظائف القضاء فى المذهب الحنفى، وعلى تحضير الأحكام الشرعية التى يحتاج اليها القضاة ، وعمل فى السنة التى توفى فيها على انشاء مدرسة للقضاء الشرعى .

وكذلك بحكم منصبه فى الافتاء صار عضوا فى مجلس الأوقاف الأعلى عام ١٨٩٩ ، وأسندت اليه رياسة لجنة لاصلاح المساجد ، فوضع لائحة لاصلاحها عام ١٩٠٣ .

وقام الامام برحلات عديدة:

فسافر الى باريس ولندن عام ١٨٨٤ وهو مقيم فى بيروت ، اذ دعاه أستاذه جمال الدين الى باريس ، وأنشآ معا جمعية : « العروة الوثقى » ومجلتها ،وكان الغرض من انشاء الجمعية :

١ ــ الدعوة الى قيم الاسلام الأصيلة فى التزام العدل فى ادارة شئون الأمة .

٢ ــ الحكم على أساس الدين.

٣ ــ العودة الى روح الاسلام.

٤ ــ انقاذ مصر والسودان من براثن الاستعمار الانجليزى .

وفى الخامس من جمادى الأولى عام ١٣٠١ هـ ــ الثالث عشر من مارس ١٨٨٤ م صدر العدد الأول من مجلة العروة الوثقى :

١ ــ للدعوة الى الجامعة الاسلامية .

٢ ــ ولبث فكرة الرابطة الشرقية .

٣ ــ ولحل المسألة المصرية والسودانية .

وصدر من المجلة ثمانية عشر عددا ، مع محاربة الاستعماريين والحكام لها ، حتى أغلقت فى ٢٦ من ذى الحجة ١٣٠١ هـ ــ ١٦ أكتوبر ١٨٨٤ م .

وفى عام ١٩٠١ زار الآستانة ، وفى عام ١٩٠٣ زار لندن وجامعاتها ، والتقى بالعلماء والمستشرقين ، وتحدث معهم عن الاسلام ، وفى يناير عام ١٩٠٥ زار السودان .

وأخيرا : توفى الامام فى الثامن من جمادى الأولى ١٣٢٣ هـ ــ الحادى عشر من يوليو ١٩٠٥ ــ عن سبعة وخمسين عاما ، وبكته الأمة بكاء حارا ، رحمه الله .

ــ ٢

حمــل الامــام : محمد عبده رسالة الاصلاح الدينى فى عصره بعزيمــة وقــوة ، وكان يرى أن الاسلام صديق العلم والمدنية ، ويدعو الى تحرير الفكر من قيود التقليد .

نقرأ ذلك فى : رسالة التوحيد ، وفى الاسلام والنصرانيــة والعلم والمدنية ، وفى رسالته فى الرد على هانوتر التى كتبها عام ١٩٠٠ ، وفى رده على فرح أنطون ، الذى رمى الاسلام بأنه عدو العقل ، وذلك فى المجلة التى كان يصدرها واسمها : (مجلة الجامعة) .

وكان سعيه دائمــا يتجــه الى اصــلاح الأزهر ، وكان يقــول : أريد أن أعمــل فى الأزهر شــيئا نافعا ، وفى ١٢ رجب ١٣١٢ هـ/١٥ ينــاير ١٨٩٥ استصــــدر قانونا تمهيديا باصــــلاح الأزهر ، الف فى ضوئه مجلس : ادارة للجــامع الأزهر ، كان هــو والشـــيخ : عبد الكريم سلمان عضوين فيه .

واستطاع بحكمته أن :

ــ يأخـــذ من الحكومة ثلاثة آلاف من الجنيهــات لاصـــلاح ميزانية الازهر .

ــ وأن يضـــــع قواعد منح كساوى التشريفات .

ــ وأن ينظم أوقات الازهر .

ــ وأن يعــدل نظـــام صرف الجراية .

ــ وأن يكون مكتبة الازهر من مكتبات الاروقة المتعددة .

ــ وأن يعنى بمســاكن العلماء والطلاب .

ــ وأن يدخل العلوم الحديثــة فى مناهج التعليم فى الازهر .

ــ وأن يمنع دراســة الحواشى والتقارير فى السنوات الاولى من التعليم فى الازهر .

وفى مجــال التعليم حرص على تعميم التعليم الــدينى ، وعــلى تيسير التعليم أمام أبناء الشعب ، ودعا الى الاكثــار من انشـــاء المدارس الليليــة والنهارية ، والى تشـــجيع الاكفاء من المدرســين والطــلاب .

وبفضل الامام أنشىء مجلس : المعــارف الاعلى فى ٣١ من مارس ١٨٨١ م ، واختير عضوا فيه .

وقد دعا الامام الى تعليم البنت تعليما صحيحا ، ودعا الى انشاء الجامعة والى انشاء مجمع لغوى فى القاهرة .

وفى أثناء اقامته فى بيروت عام ١٨٨٥ م ، ١٣٠٣ هـ اختير لتدريس التوحيد والمنطق والفقة الحنفى والعلوم العربية فى المدرسة السلطانية التابعة لجمعية المقاصد الخيرية فى بيروت . وقد درس فيها كتاب نهج البلاغة ، وكتاب : الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن الهمدانى ، ومقامات البديع ، وديوان الحماسة .

وأثناء وجوده فى بيروت كان يكتب مقالات فى مجلة : ثمرات الفنون ، وترجم رسالة الرد على الدهريين ، وكتب رسالة التوحيد، الى غير ذلك من جوانب الاصلاح . وألف هناك جمعية : التأليف والتقريب للعمل على ايجاد تقارب روحى بين مختلف الطوائف الاسلامية .

وغاية التعليم السياسية عنده خلق الوعى فى نفس المتعلم ، حتى يميز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة .

ولما تولى الافتاء كانت فتاويه كثيرة :

١ ــ أفتى بجواز الاستعانة بغير المسلمين لنصرة الله وحفظ الامة .

٢ ــ وفى الفتوى الترانسفالية أفتى :

ــ بجواز لبس القبعة .

ــ وبجواز أكل ذبائح غير المسلمين .

ــ وبجواز صلاة الشافعى خلف الحنفى .

ــ وبجواز التعامل مع صناديق التوفير .

وتزعم الامام حركة الاصلاح الدينى ، وصار رائدا روحيا لمدرسة ضخمة ، أعلامها هم كبار رجالات النهضة والفكر والأدب والثقافة فى القرن العشرين ــ فى مصر وخارج مصر ــ .

وصارت له مدرسة ضخمة فى الازهر ، من أعلامها : الشيخ : مصطفى عبد الرازق ، والشيخ : محمد مصطفى المراغى وغيرهم .

هذا كله مع محاربة الاستعمار

والخديوى له ولفكره الاصلاحى ، حتى كان الخديوى : عباس الثانى يقول عنه :

« انه يدخل على وكأنه فرعون »

وكان الامام يرد على ذلك ، ويقول : أنا فرعون أم هو ، اننى لست الا واحدا من رعيته .

وغضب عباس على أحمد شفيق باشا لانه مشى فى جنازة الامام ، وقال عباس عن الامام : « انه عدو للاسلام وللمسلمين وللعلماء » .

وهذا منتهى الافك والبهتان !!

وكان الامام أول من نادى بالجمهورية ، ففى ١٧ من أغسطس عام ١٨٨٤ قال فى لندن لمندوب الغازيت : اننا لا نريد ملكا علينا ، بل زعيما وطنيا مسلما ، ان الخديويين وجوههم مصرية وقلوبهم انجليزية .

وكان الامام يدعو الى الوحدة الوطنية ، والى تعليم البنت ، والى الحد من تعدد الزوجات ، والى أن يفيق المسلمون فى كل مكان من سباتهم ، وأن يعيشوا فى عصرهم بروح أسلافهم المسلمين العادلين ، وقد شقى الامام بالسياسة والساسة ، ولكنه عاش ملء قلبه مؤمنا بالقيم والخلق والدين ، وبعقيدة السلف ، وبما أجمع عليه جمهور الامة ، وعاش حياته عاملا من أجل الله والوطن والانسانية ، والفضائل العليا ، لا يجامل فى الحق ، ولا يخشى فيه لومة لائم .

حدث وهو قاض أن أحدث أجنبى ضجيجا فى المحكمة ، فأمر الامام بحبسه ، فبعث المستشار الانجليزى لوزارة العدل الى الامام يرجوه الافراج عن هذا الاجنبى ، لان السفراء الاجانب ثائرون ، فأبى الامام ، وقال اننى فى حدود القانون أعمل على حفظ كرامة القضاء ..

وكم ثار فى وجه أعوان عباس ، لانهم كانوا يحاولون أن ينهبوا أوقاف المسلمين لسيدهم الخديوى .. وكان الجميع يمالئونهم الا الامام .

وكان الامام يمثل شموخ المصرى واباءه ، وأنفته وكبرياءه ، وعزة نفسه وشممه .. رحمه الله .

محمد عبد المنعم خفاجى

أمر الله ورسوله

لا رأى الكثيرين

للشيخ معوض عوض ابراهيم

لا رأى الكثيرين

لا اعتبار لرأى الكثيرين ، ولا لرأى القليلين حتى يحكم لأحدهما دين الله ، ويدعم هذا أو ذاك شرعه العاصم . فالحلال ما أحله الله — وحده ، والحرام ما حرمه ، وما أحل الله غير الطيبات ، ولا حرم الا الخبيث الضار عاجلا أو آجلا ، فهو الحكيم العليم ، وهو أعلم بعباده وبما يرفق بهم من أنفسهم ، وهو الذى خلق لهم ماف الارض جميعا ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، وعصمهم بأوامره ونواهيه حتى لا يأخذوا شيئا مما نهاهم عنه ، وحتى يفرغوا وسعهم فى اتيان ما أمرهم به ..

« **يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون، قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون** » (١) .

---

(١) الاعراف ٣١ ، ٣٣ .

وهكذا تبدو للمنصفين سماحة دين يرعى كرامة المؤمنين الذين لا يتبعون أهواءهم ولا يحكمون فيما شجر بينهم ، وواجهوه من قضايا الحياة وشئون الاحياء آراءهم .. والله تعالى يقول لداود عليه السلام « **ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**»(٢) وقال « **ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن** » (٢) « **وما فوق أديم الأرض منإله يعبد أضل من هوى متبع** »(٣) ثم قرأ« **أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختمعلى سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله** » (٤) ان الكثرة لها فى كتاب الله مقام ينبغى أن نتأمله ، ولنذكر من ذلك قوله تعالى لرسوله ..

« **وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الايخرصون**»(٥)

وكان ذلك شأن الاكثرين فى الامم السابقة « **ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين** » (٦) .

وأخبر الله فى غير آية من كتابه ان أكثر أهل الأرض غير مؤمنين فقال « **ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** » (٧) .

وقال «**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**» (٨) .

« **ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين** » (٩) .

---

(١) ص ٢٦ .
(٢) المؤمنون ٧١
(٣) فى كتاب ابن القيم
(٤) الجاثية ٢٣
(٥) الانعام ١١٦
(٦) الصافات ٧١
(٧) الرعد الآية ١
(٨) يوسف ١٠٣
(٩) الشعراء

ان الكثرة والجماعة لا يعول عليهما ولا يعتد بهما حتى يكونا على حق ، فمن كان على الحق فهو الجماعة وان كان واحدا .. والله تعالى بقول « **ان ابراهيم كان أمة ..** » (١) .

والنبى صلى الله عليه وسلم نهض بتكاليف الاسلام ، والناس على شركهم وضلالهم عن يمينه وشماله ومن بين يديه ومن خلفه .. فلم يثن اجتماع الباطل من عزمه شيئا .. وفى موقف يشبه موقف هؤلاء الذين يعبدون رأيهم فى مجتمعنا ولا يرون غير وجهة نظرهم ، ويحسبون فلسفتهم للامور وفهمهم للاحداث هى ما ينبغى ان يؤثر .. يقول الشاعر .

يقولون هذا عندنا غير جائز
ومن أنتمو حتى يكون لكم عند..؟؟

انها اهواء الناكبين عن هدى الله ، وهى الشهوات الصارفة عن الحق تعالى ..

« **فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى** » (٢) .

وقال بعض الصالحين « اذا أردت الصواب فانظر هواك فخالفه » .

والبوصيرى يقول :

فاصرف هواها ، وحاذر أن توليه
ان الهوى ماتولى يصم أو يصم

ويقول ابو حيان فى تفسيره للآيتين السابقتين : « واكثر استعمال الهوى فيما ليس بمحمود واستأنس بقول الشاعر ..

فخالف هواها ، واعصها ان من يطع
هوى نفسه تنزع به كل منزع
ومن يطع النفس اللجوجة ترده
وترم به فى مصرع أى مصرع
ومن الهوى اعجاب المرء برأيه وان خالف الشرع ، وكان صدى لآراء الذين غرتهم أنفسهم وظنوا

---

(١) النحل ١٢٠
(٢) النازعات ٣٧ ـ ٤١

انهم على شيء من العلم ، وتماروا في الحقائق الدينية التي توارثها المسلمون خلفا عن سلف في اعصار بعد أعصار وسيتوارثها المنصفون اليوم وغدا والى قيام الساعة ، وان ورمت أنوف ، وضاقت لذلك صدور ، وانبهرت اصوات الذين ينبحون قافلة الحق وهي مطرودة السير « **باسم الله مجريها ومرساها** .. » متتابعة الحركة في اعلاء صرح الخير ولسان الحال من حولها ينشدون .

أن رمى فيه غلام بحجر

ومن الهوى المردى ، ان ينفخ أوداج المبطلين مظاهرة اوزاع الناس ومؤازرة كثرة من الاشياع الذين لا رأى لهم ، فهم اتباع كل ناعق ، ببغاوات وأسرى شهوات ، هؤلاء لأولئك يؤيدون ، وأولئك يعتزون بأن رأى الكثيرين يتبلور في جانبهم .. وهكذا يعطف الهوى بعض النفوس على مثلها ، كما يأتلف الاخيار ويتناجى الابرار « والأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » كما قال معلم الناس الخير صلوات الله عليه ، وكل الف يلوذ بالفه ، واذا كانت « الحكمة ضالة المؤمن » كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ،فان من مأثورها قولهم « عرفني من تصاحب اعرفك من انت » وشاعرنا العربي يقول :

خير الطيور على القصور وشرها
يأوى الخراب ويسكن الناووسا .

وصدق الله العظيم « **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ، ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون** » (١) .

---

(١) الاعراف ١٧٥ ـ ١٧٧

فهل يتفكر الذين ينسلخون من هدايات الله ، ايثارا لآراء واهواء حاجزة عن معالى الامور التى يستهدفها الاسوياء ، واظهارا لضغوط أنفس ناكبة عن الرشد لم يرض الله لها الا مثل الكلب الذى يلهث ــ كما قال الامام الشوكانى ــ فى كلا حالتى قصد الانسان له وتركه ، فهو لاهث سواء زجر ، أو ترك ، طرد أو لم يطرد ، شد عليه أو لم يشد عليه ، وليس بعد هذا فى الخسة والدناءة شىء (١) .

وما من معصبة الا وهى أثر هوى مرد ، وضلال مبين ورحم الله من قال :

سكران ، سكر هوى وسكر مدامة
ومتى افاقة من به سكران ؟!

واذا كان لهث الكلب بتدلى لسانه واضطراب أنفاسه بكل حالمن تعب أو رضى أو غضب أو عطش أو كلال كما يقول علماء اللغة ، أصلا فى ضربه مثلا لمن ينسلخون عن آيات الله وهداه ، فذلك لأنهم سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وكأن لسان حالهم يقول **« سواء علينا أو عظت أم لم تكن من الواعظين »** والصورة كما جلتها الآيات واقعة كانت أوتشبيها خليقة بأن توقظ عبيد شهواتهم وأهوائهم من سكراتهم ، ليواكبوا قافلة الحق ، وينسجموا مع أهل الفضل ، ويتناغموا مع عباد الله الذين لا يقدمون بين يدى الله ورسوله والذين لا يرضون بهدى الله تعالى بدلا ..

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم .. » (٢).

وأذكر ان الامام حسن البنا رحمه الله جاءه شاب فقال : انى أريد أن اجتهد ولا آخذ برأى الشافعى أو أبى حنيفة أو غيرهم من أئمة السلف فسأله الامام : هل

---

(١) تفسير فيض القدير ج ٢
(٢) الاحزاب ٣٦

تحفظ القرآن ؟ فقال لا ٠٠ فسأله : هل تحفظ السنة ؟ فقال : لا فسكت الشيخ هنيهة لها دلالاتها فى تصرف المربى الحكيم ثم قال : يا بنى انى أخشى أن تكون ممن قال فيهم رب العالمين « **ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** » (١) ٠

ولو كنت فى مجلس الشيخ لرجوته أن يسمع ذلك الفتى الآية التى تلى ما قرأ « **ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق** » (٢) ٠

وبعد فان الهوى هوان ، وامتهان لكرامة الانسان ، والقول بالرأى مهلكة الا أن ينطلق عن بينة وايمان ، والهدى من قبل ومن بعد ، هدى الله ٠

معوض عوض ابراهيم

قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم ، يأأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط اعمالكم وأنتم لاتشعرون ، ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم » ٠

صدق الله العظيم

(١) الحج ٨
(٢) الحج ٩

خواطر حول الخلود

للأستاذ السيد حسن قرون

الخلود من الكلمات المحببة الى النفس ، تسمعها كثيرا وتقرؤها كثيرا ، يستخدمها الشعراء كما يستخدمها الأغمار من الناس ، من ذلك خالد الذكر ، والنهر الخالد ، وتخليد الزعماء والأبطال الى كثير مما يجيء على هذا المنوال •

ومعنى الخلود فى المعاجم هو دوام البقاء ، أو البقاء الدائم ، وهو بهذا المعنى لا ينال فى العاجلة ، لأن الله خلقنا من طبيعة أرضه ، فكل من عليها وما عليها له دورة زمنية لا يعدوها ، والله فى كتابه العزيز يقول : « **كل من عليها فان • ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام** » (١) ولكن الانسان بفطرته حبيب اليه البقاء ، يود أن يطول أجله ، وتمكنه وسائله لكى يعيش سليما وطويلا فى هذه الدنيا • ولأن حب البقاء محبوب مرغوب فيه أغوى ابليس أبوينا آدم وحواء للأكل من الشجرة المنهى عنها ، ودخل عليهما من جهة الخلود ، وأن المنع كان بسببه لئلا يخلدا ، والله فى هذه يقول : « **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين • فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماوورى عنهما من**

---

(١) الرحمن ٢٦ ، ٢٧

سوءاتهما وقال ما نها كما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين » (١) . ونفس المعنى جاء فى سورة طه فقال تعالى : **« قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى »** (٢) ؟ ومن ثم وقعا فى الخطيئة رغبة فى الخلد والملك الذى لا يبلى .. وكان العقاب الحرمان والهبوط الى هذه الأرض ، ليكون لهما مستقر ومتاع الى حين .

وقد ورثنا عنهما حب البقاء ، ولكنه غير مقدور ، وأنه ليس من طبيعة هذا الكوكب الذى نسكنه ، ولكنا نحتال ليكون لنا ذكر وامتداد على مر الزمان ، ومن ثم كانت الرغبة الشديدة فى الانجاب وكثرة الأولاد ، لتتجدد حياتنا فى الأبناء والأحفاد . ولأمر قد تراه بعيدا وأراه قريبا كان اقبال المماليك فى مصر على تشييد المساجد وبناء المدارس ليبقى ذكرهم على مدى الأجيال ، لقد حرموا شجرة الأنساب ففوضوها برفع القباب ، ولو جمعوا الى ما فعلوا حسن التعامل مع الرعية لحازوا الخير من طرفيه ، أعماهم حب الاسم عن خلود الجسم ونعيم الآخرة ، وكل ميسر لما خلق له .

وخلود الأسماء تناله الحظوظ الحسنة والسيئة مثل الأرزاق تماما ، فبعض الأسماء تعيش فى دائرة ضيقة ، وبعضها يذيع وينتشر ، فلا تحده حدود ، ولا تعوقه عوائق ، ولا يحول بينه وبين الانتشار جبال ولابحار ، بل يدوى صداه فى الخافقين ، والأسماء التى تملأ الدنيا فى حياة أصحابها سواء أكانوا سياسيين أم حربيين أم من رجال الأدب والفن أو العلوم على اختلاف أنواعها يلعب بها الحظ أيضا ،

---

(١) الاعراف ١٩ ، ٢١

(٢) الآية ١٢٠

فأسماء يتناقلها الأجيال وأسماء تحجب بعد جيل أو جيلين ، فلا عجب اذن اذا رأينا أديبا كبيرا مثل ابراهيم عبد القادر المازنى يقول وقد سئل عن خلود أدبه واسمه : كيف يكون ذلك والعالم أخرج عباقرة فى كل مجالات الحياة منذ عرف الناس الكتابة وسطروا بالعلم ، كيف أزاحمهم ؟ ضعونى فى دائرتى وهى صناعة الشعر والنثر : كم شاعر ظهر فبهر ؟ كثير لا يعدون ولا يحصون وأرباب الكتابة والخطابة هل أستطيع حصرهم واحصاءهم ؟ أيبقى اسمى مع كل هذا الموج المتلاطم ؟ أو كما قال • وان كان الرجل متواضعا فان الصواب لا يجانبه والحقيقة لا تتعداه ، ان الجسم مادة ، فزمنه محدود ، هو كالنبات ينجم ثم يزكو ويترعرع ثم يكتمل فيثمر ثم يكون حطاما ، وهذا مشاهد لا يحتاج الى برهان، ويؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : أعمار أمتى بين الستين والسبعين ، ونفهم نحن مقاله على أنه متوسط الأعمار ، ومهما طالت الأعمار فهى قصيرة فى حساب الأزمان والأجيال • فكان على من أحب دنياه ،أن يكون أريبا لبيبا ينزع الى ما ينفعه ويرفعه ، ويجعل صنيعه حديث خير له ، فالعمر العريض المليء بصنع الخير ، ونفع البشر استجابة لداعى الهداية أجمل وأفضل من العمر الطويل الذى يلفه العقم من أقطاره ، وشتان بين من يفعل الصالحات وبين من ينغمس فى الطالحات ، ومن الذى يحسن ذكره ؟ ومن الذى يسوء ذكره ؟ والسعيد السعيد من عرف قدره ، ونهى النفس عن الهوى ، واغتنم فرصة العمر فاستثمر جهده فى الايمان بالله والاقبال على فعل الخيرات ، وجعل الدنيا قنطرة الآخرة • فان لم يجد له ذكرا فى الدنيا ، وجد له ذكرا فى خير منها وهى الآخرة••وعجيبهذا الانسان لو تأمل الحياة لانكشف له الغطاء ، وهو أن العمر قصير ولو سئل أكبر الناس سنا • هل لك أن تخبرنا بما

نلته مــن دنياك لأخبــرك أنه لم يحس بها . فهى شــمس تطلع ثم تغيب ثم تطلع ثم تغيب وهكذا . قالوا : لقد سئل نــوح وقد عاش ألف سنة الا خمسين عاما . كيف رأيت الدنيا قال : كدار لها بابان دخلت من هذا وخرجت من هــذا والخبر يعطيك صــورة الحيــاة الدنيــا وأنهــا الى زوال ، فمن استطاع أن يملكها بفعله الحسن فقد أفلح ؛ وكانت وسيلته الى حياة أنعم وأكرم ، يصاحب ما ناله من الكرامة الأخروية خلود اســـمه وبقاء ذكراه ، وتجدد سيرته، وليس هذا مطلب العامة فحسب ولكنــه مطلب الخاصة وخاصة الخاصة ، فقد طلب الخلود الحميد خليــل الرحمن أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام ، وحكاه عنه رب العــالمين فى الذكر الحكيم قال تعالى ذاكرا دعاء ابراهيم وهو : « **واجعل لى لسان صدق فى الآخرين . واجعلنى من ورثة جنة النعيم** » (١) ألا تراه قد حرص فى دعائه أن يجمع الله له الحسنيين : أن يكون من سكان جنة النعيم وأن يكون له الذكر الجميل على لسان الأجيال فى هذه الدنيا . والقــدوة بأبى الأنبياء منشــودة ومحمــودة ومرغب فيهــا بنص القرآن الكريم : « **قد كانت لــكم أسوة حسنة فى ابراهيم والــذين معه** » (٢) . فاذا طلبنا الى اللــه الذكر الدائم فعلينا أن نســير على أثر ابراهيم طاعة ووفــاء ، واقبالا وامتثالا وعمــلا وبنــاء وسبيلنا واضحة بينها سيد الخلق محمد صلوات الله عليه بماأوحى اليه من كتاب وسنة ، فنحلل ما حلل ونحرم ما حرم ، وأن تكون أعمالنا خالصة لله الخالق الرازق المحيى المميت الذى بقبضته الســموات والأرض والا انقلبت الآية فكانت الذكــرى شراء وبيــلا ، وداء عضالا ، فالذى ألقى ابراهيــم فى النار ، والذى حشد لموسى جنوده والذى قتل يحيى والذى رصــد

---

(١) الشعراء ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) الممتحنة ٤ .

لعيسى ، والذى حارب محمدا كل أولئك ذكراهم عقيمة لا ترفع رأسا ، ولا ترضى خلقا ، ولا تصلح ذكرا ، ولا تعطى حديثا ممتعا ، وقد تجلب لعنة ومقتا .

وما كان التاريخ الا سيرة ، وسيرة مفصلة تذكر الصالح والطالح ، والطيب والخبيث ومن أبهج الحياة وأنارها ومن كدرها وأظلمها ، ومن ملأها بالنور المبين ، ومن ضللها بالأفكار المنحرفة والاراء الفاسدة .

وانك لتمتلىء ايمانا وأريحية ، ونبلا وكرما ، وحبا وعدلا ، وهمة وأملا حين تقرأ سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ذلك أنه كان المثال المرموق لكل عمل جميل، وهدف نبيل ، به يحسن الاقتداء وفى بعث ذكراه تمثل الهداية وترى فيها خلاص الناس من منغصات الحياة — وكم فى الحياة من منغصات ؟ وانك لتمتلىء غيظا ، وتشيح بوجهك تقززا حين تقرأ حياة ظالم أو خائن أو مفسد فى الأرض فمن تعرف من الخلفاء (١) الذين حكموا على رغم الشعوب .

ان الذين حكموا الدولة الاسلامية من بعد الخلفاء الراشدين قد أصابهم التاريخ بميسمه ، وميزهم بعلامات واضحة هل تعرف قبرا لأحد من خلفاء بنى أمية أو من خلفاء بنى العباسى ؟ ان غيرهم ممن لم يحكموا لهم قبورهم التى تزار ، وأضرحتهم التى تقصد ، وسيرتهم التى تذكر .

ولذا اتجهنا فى مدارسنا ومعاهدنا الى دراسة سير الأنبياء والفضلاء لنخلق فى نفوس الناشئة صورا طيبة ، ومثلا عالية تحبب اليهم الفضائل ، وتبعد عنهم الرذائل ، تقربهم من الرحمن ، وتنأى بهم عن غرور الدنيا ووسوسة الشيطان ، وجميل أن ينشأ ناشىء الفتيان منا على ما عودناه من الخير وحب الجميل

---

(١) الخارجين على العرف والدين .

بوضع النماذج البشرية المضيئة يرون الصلاح متمثلا فى كل رسول ونبى ، وكل صحابى وحوارى ، فيتم غرس الفضيلة ، وتتوهج فى العيون الوسيلة ، فلا تجد الرذيلة مكانالها ، لأن الصورة المثلى لا تزاحمها الصورة السفلى ، ومن منا يحب أن يذكر فيلعن ؟ أو يصمه التاريخ بانظلم و الفساد أو النفاق؟ فالانسان يحب أن يذكر مع الصالحين وان لم يعمل عملهم .

يهوى الثناء مقصر ومبرز .

حب الثناء طبيعة الانسان

ولا تظنن أن خلود الاسم فى الدنيا بمعزل عن الآخرة فالله يقول وقوله الحق : « **ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا** » (١) فالهداية فى الدنيا نراها بصرا فى الآخرة . قال تعالى : « **يوم ترى المؤمنين والمؤمناتيسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم** » (٢) .

ألا ترى معى أن دنيانا المليئة بالمعاطب والمتاعب هى سبيلنا بعملنا الصالح الى النور الذى يسعى بين أيدينا وبين أيماننا فى طريقنا الى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، وهنا يكون الخلود المنشود الذى به تتم السعادة لنفس راضية مرضية بشرها الله بقوله :

« **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا منقبلوأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون** » (٣) فخلود من بشروا بهذا النعيم المقيم أساسه شيئان لابد منهما : ايمان صادق ، وأعمال صالحة ، أما الايمان فلابد أن يكتمل فى الشعور والوجدان

---

(١) الاسراء ٧٢ .
(٢) سورة الحديد ١٢ .
(٣) البقرة ٢٥ .

والعقل والتفكير والبرهان والبيان، ايمان يشمل كيان المؤمن من جميع نواحيه ، ويتغلغل فى كل ذرة فيه ، بحيث يتجه الى العمل صادقا فيه ، فرحا به ، حريصا عليه ، مخلصا فى أدائه ، يعبد الله كأنه يراه فان لم يكن يراه فان الله يراه ، فيبدو العمل ظاهر النقاء ، حسن الرواء ، خاليا من شبهة الرياء ، فيكون الجزاء جنات تجرى من تحتها الأنهار أرزاقها دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، لذتها دائمة مع اختلاف الطعوم عند كل مذاق ، تتشابه فى الأكل وتفترق فى الطعم يقترن ذلك بزوجات طاهرات يكن زينة الخلود وبهجة القلوب • ايمان الذين خيروا فاختاروا أفضل النجدين ، وكلما زادوا ايمانا وصلاحا زادهم الله ثوابا ونعيما **« للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »** (١) والاحسان يدعو الى الاحسان • ألا ترى أن الشهداء أهم مطالبهم لدى الله أن يعادوا الى الحياة من جديد ليقاتلوا ويقتلوا لما رأوا من رضا الله عنهم وتكريمه اياهم ؟ ان معرفة المزية لصاحبها متعة لا تعادلها متعة ، وهل هناك أعظم من أن يذكر المؤمن عند ربه ؟ وهل هناك أمتع وأرفع من العدالة والتفضل ؟

ولا تحسبن خلود الكفار خلوداً، فهم خالدون للعذاب ، انهم فى شغل شاغل من نار وقودها الناس والحجارة •

ألم يعلموا أن هناك حياة أخرى قد أنذروا عذابها ؟ **« بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ، اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا • واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا • لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا »** (٢) •

أهذا خلود ؟ ما أفظعه خلودا ! وناهيك بهم فى دنيانا انهم

(١) يونس ٢٦ •
(٢) الفرقان ١١ ، ١٤ •

ملعونون فى كل جيل وبكل لسان • ولا جدال فى أن المؤمن يعلم علم اليقين أنهم أجرموا فى حق خالقهم ، أنكروا فضله ونعمته ، وكذبوا به وبرسله وكتبه واليوم الآخر ، وليس هناك أقبح ذنبا من الكفر وانكار البعث ، انه يجعل الانسان وحشا ضاريا لا رادع يردعه • وأين الرادع ؟ خلا القلب من الايمان والضمير ، فهو يأتى ما يأتى علانية وسرا لا يرضى الا ما يمليه عليه هواه ، والهوى اله معبود وما يجرى فى أفغانستان صورة من الالحاد وموت الضمير والاحساس الانسانى : تريه نفسه ويوسوس اليه شيطانه أن له حياة واحدة ، فيجب أن ينعم ويسعد ولو على حساب الآخرين فهو دائما ناظر الى شىء غيره ، متحفز للانقضاض عليه ، القوة مذهبه ، والخداع مركبه ، انه يفسد الحياة ويقتل الآمال ، ويحطم الكرامة ، ويعبث بجمال الوجود وويل للمغلوب من جحافله • ومهما شرع وقنن فهو لا يتبع الا ما تمليه عليه شهواته ونزواته ، ولو آمن بالآخرة أى ايمان لكان له ضمير ينهاه عن ارتكاب الموبقات ولرده الى انسانيته • ومن ثم كان واجب البشرية أن تتوحد لتقف سدا منيعا أمام الطغيان الكافر الفاجر • ولهذا كانت الحكمة فى ارسال الرسل ليرسوا قواعد التعامل ، ولينبهوا الانسان الى مرتبته التى تعلو على شريعة الغاب • انظر الى أسلافنا وكيف كانوا ؟ لقد كانوا فى جاهليتهم وحوشا تتقاتل فى غابة ، فما أن عرفوا الله وآمنوا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حتى انكشفت حقائق الوجود ، فانقلبوا من وحوش كاسرة تئد فلذات الأكباد الى ملائكة حانية ، لهم مثالية لم يعرف التاريخ لها مثيلا • أقاموا العدل فيما بينهم ، ونشروه فيمن دخلوا فى دار الاسلام ، بل نشروه فيمن خالفهم وناصبهم العداء حتى قال قائلهم : لم تعرف الانسانية فاتحا أرحم من العرب ، وما دخلوا قرية

الا عمروها وأشاعوا الحضـــــارة فيها ، وفرق كبير بـين أسـبانيا اليـــوم ومـا كانت عليـه أيام الاسلام ، كان الانسان يسـافر من بغداد الى قرطبة فلا يحدث له شيء مـن السرقـة أو الازعـاج وكانت الظعينة ترحل وحدها من الأهواز الى مكة لتؤدى فريضـة الحج فلا يتعرض لها أحد ، ذلك أن الايمان صنع من الانسان ملاكا كريما لا تغره الدنيا ، ولا تهـزه زهرة المال أو فتنة الجمال • لقـد صقله القرآن فكان له رقيبـا لا يغفل ، ونصيحا لا يغش ، ودافعا الى الخير لا يفتر ، فاسـتحقوا رضا الله ورضا الناس •

وقد سجل التـاريخ حيـاتهم بأحرف من نور ــ كما يقولون ــ فلم نعرف فى الممالك التى قامت ، ولا فى الأديان التى نزلت أصحابا لملك أو رسول ذكروا بأسـمائهم وسماتهم وأعمالهم فى بيـــوتهم ومحافلهم ، فى ظعنهم واقامتهم ، وسلمهم وحربهم كما عرف أصحاب محمد ، كل منهم مذكور محفور فى ذاكرة التاريخ ، انهم دعـاة دين خاتم ، وبنـاة حضـارة رائدة بخلقهم وسـلوكهم وصـنيعهم وصدقهم ووفـائهم • وفوق كل ذلك ايمانهم الـذى يزيـد ولا ينقص ، ويتوهج فى كل آية وكـل سورة وكل حديث • عرفوا اللـه فعرفهم ، ودانوا لـه فرفعهم ، وأخلصوا له فى السر والعلن فثبت أقدامهم فى مواطن الشـدة وفى مجالات السلام ، وتركـوا لنـا ذخيرة • من الهدى والتقـوى لا تنـقضى ولا تـزول •• ان النموذج مازال قائما أمامنا يدعونا الى المسلك الـذى سـلكوه •• ويومئذ يسجل التـاريخ لنا مـا سجله لهم ، فنحوز خلود الاسـم فى الدنيـا ، وخلـود النعيم فى الأخرى ، وذلك مقصد يتنـافس فيه المتنافسون • والله لا يضـيع أجر العـاملين •

السيد حسن قرون

محنة المسلمين

للدكتور ابراهيم أبو الخشب

المسلمون فى محنة شديدة يعانون منها معاناة شاقة فى نفوسهم وفى أوطانهم فى آن واحد ، وهى مع ذلك لا ترجع الى فقر فى المال ، ولا الى قلة فى العدد ، ولا الى ضعف فى البنية ، ولا الى تباعد الأوطان ، وقد أصبح التقدم العلمى — الآن — يقرب المسافات ، ويطوى للناس بساط الأرض فى زمن قصير لا يكادون يحسون معه بشىء من السدود والحدود ، والنأى والقطيعة ، حتى ليمكن للرجل أن يمسى فى اليابان ويصبح فى أمريكا ، وهكذا دون أن يشعر بالاغتراب أو الوحشة ، ووسائل الاعلام وألوان الثقافة تجعل الدنيا كلها — شرقا وغربا — فى متناول يده ، وفى موقع نظره كأنها ، على رقعة من الشطرنج ، يكاد يتحكم فيها ، ويحرك القطع الكبيرة والصغيرة منها ، ومع ذلك كله لا نسأل المسلم هنا وهنالك فى قارة من قارات الدنيا القديمة أو الجديدة عن حاله الا أبدى لك الأسى والأسف لما آل اليه أمر هذه الأمة من التفكك والفرقة ، والمرض والهزال ، والعوز والعجز ، أو الهوان والمعاناة ، وربما كان هذا الذى يعلن اليك هذه الشكوى ، أو يخاطبك بهذا الأسلوب ، صحيح الجسم موفور الرزق لا يقاسى اقلالا ولا مرضا ، واذا ما حاولت أن تتعرف منه عن هذا الذى أقض مضجعه ، وأرق طرفه ، ونغص عليه مع أن

الدنيا تواتيه ، والحظوظ توافيه ، والأيام تناغيه ، والأمل يتودد اليه ، ويحنو عليه ، لم يكن له من جواب على سؤالك اياه ، الا أن هذا الدين الذى شرفنا الله بالانتساب اليه ، صارت حباله لدينا مقطوعة • وأسبابه فيما بيننا واهية ، وأصبح ذلك الفراغ الذى يملؤه من نفوس المؤمنين به خاليا من ذلك المعنى الروحى الذى كان حالا فى الضمائر والأفئدة ، يمدها بغذاء من البهجة والارتياح ، والكرامة والعزة ، والرضا والسرور ، تحتقر معه القصور والدور ، والملك والسلطان ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة •• وهذه الناحية فى قلوب الناس هى السعادة الحقة التى لا يظفر بها الا المسلمون وهم يشعرون أن هذا الدين هو الوشيجة التى جمعتهم ، والرباط الذى ألف الله به بين قلوبهم ، وقرب به ما بينهم من الأبعاد أو المسافات ، فصاروا كالجسد الواحد فى الشعور والاحساس ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر — كما جاء ذلك فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم — ولا أظن أحدا يجهل أن من القضايا التى جاءت بها هذه الشريعة أن الكفار اذا غزوا بلدا من بلاد المسلمين كان على كل بلد اسلامى أن يعلن النفير العام • وأن يجاهد هذا العدو بالمال والرجال ، ليرد عدوانه ، ويمنع زحفه ، حتى لا تدنس أقدامه أرضا فيها كلمة التوحيد — لا اله الا الله محمد رسول الله — وأنا لا أقول هذا القول لأنبه الى ما كان يجب على هذه الأمة نحو ما أصاب أفغانستان من هذا الزحف البربرى — الروسى — الذى جعلها تقف وحدها فى الميدان ، وحولها ثمانمائة مليون مسلم يقفون منها موقف المتفرج لا أكثر ولا أقل ، وربما كان ذلك يذكرنا ببلاد القوقاز التى ابتلعتها الشيوعية من قبل ، ثم حاولت سلخها عن الدين ، وأرغمتها على أن تكون فى قبضة يدها ، مسلوبة الارادة والحرية والدين •• واذا كانت الرواية لم تتم فصولها بعد

فاننا نرقب ــ ونرجو ألا يكون ــ تكرار تلك المأساة فى كل بلد اسلامى أو عربى تحاول أقدام الدب الروسى أن تخطو اليه بعنوان من العناوين التى يرددونها باسم المعونات أو الخبراء أو القواعد أو التسهيلات ــ كما يقولون ــ والتمثيليات التى يكررونها على المسرح فى البلاد التى يتعاطفون معها ، والتى لهم فيها خلايا أن تقوم الثورة فى وجوه أصدقائهم ، وهنا لك يتذرعون للزحف بأنهم يساعدون هؤلاء الأصدقاء على كبح جماح الثورة المضادة •• وأنا أخشى وكل بلد عربى أو اسلامى يتعرض لهذه المحنة أو تلك المأساة بحكم ماينادى به بعض الذين لم يعصمهم دين ولا خلق مايسمونه بحرية الرأى والفكر ، وهو الخطر الداهم الذى انحدرت اليه تلك البلاد ، وكان من أشد هذه الغرابة ما قيل من أن اليمن الجنوبية أرسلت فرقا نظامية من جيشها المحارب لتقف الى جانب الشيوعية فى أفغانستان ضد اخوانهم المسلمين ، وبهذا يمكن أن يقال أن المحنة بلغت منتهاها بأمة محمد صلى الله عليه وسلم •• والمرض الذى يدب الى عضو من الجسم يهدد الجسم كله بالخطر ، وينذره بسريان العلة الى سائر أجزائه لا محالة ، ولابد أن يفهم المسلمون فى كل بلد أنهم قد صاروا عرضة للبركان الذى سيقذف بالنار والحجارة ، ولا يمكن لشىء أن يرد طغيانه وعدوانه ، لكن لأجل أن يفهم المسلمون ذلك عليهم أن يفهموا ــ أولا وقبل كل شىء ــ معنى كونهم مسلمين ، لأن لهذا الفهم مغزى بعيدا فى اجتماع الكلمة ، ورأب الصدع ، وتسوية الصفوف ، وهو فهم لا نتخيله تخيلا ، ولا نخترعه اختراعا ، ولا نجتهد فيه اجتهادا يحيطنا بتهمة الخطأ فى الوصول الى الحق كما يفعل المجتهدون فى بعض الأحايين ، وانما هو النص الذى لا اجتهاد معه ، وذلك هو قوله سبحانه « **وان هذه أمتكم أمة واحدة** » الآية ٥٢ المؤمنون والوحدة لا يحتمل معناها الفرقة، ولا يتضمن الشتات ، ولا يأخذ فى

الاعتبار اختلاف الهوى وتباين الرأى ، ولا يتأثر بالأبعاد والمسافات ، والسدود والحدود ، أو الأوطان الشاسعة ، والمصالح المتضاربة ، والمسلم هو المسلم فى كل زمان ومكان ، يحتم عليه دينه أن ينصر أخاه ظالما أو مظلوما ،كما نطق بذلك حديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنا لا أعتقد أن فى المسلمين من يجهل ذلك أو ينكره ، ولكن الذى أعتقده أن الحكام الذين يديرون سياسة البلاد هم الذين يتجاهلون — ولا يجهلون — ويظنون ظن اليقين أن رجل السياسة من حقه أن يلعب على الحبل مادام ذلك لا يتناول الدين، ولا يطغى على العقيدة ، وكأنما هم لا يعرفون أن من مبادىء أسيادهم أن يكون الولاء — أولا وقبل كل شىء — الثورة الأم التى لا تعترف بالأخلاق ولا القيم ، ولا الآداب والسلوك ، ولا بكرامة الانسان ، وأن هذه الشيوعية التى تقودهم من الأرسان لا تنام عن هؤلاءالذين يرتبطون بعجلتها حتى يكونوا صورة مكررة للينين واستالين واضرابهما ممن ساروا على الدرب ، ولسنا هنا بصدد شرح هذه المبادىء ، وبيان ما تهدف اليه من تدمير لبناء الانسانية فىالأفراد والجماعات ، فان ذلككله قد صار من الوضوح والظهور بحيث لا يخفى على أحد ، وانما نريد أن نقول من جديد لاخواننا المسلمين فى كل زمان ومكان ، ان الغفلة التى حلت بنا ،والخداع الذى عمل عمله فينا ، ما كان يظن أحد بحال من الأحوال أن نصير اليه، وأخشى ما أخشاه أن التاريخ الذى حدثنا عن محنة المسلمين فى الأندلس حينما أرغموا على الكفر ، وارتدوا عن الدين الذى سما بآدميتهم ، ومكن لكرامتهم ، وجعلهم يشعرون بالحرية بعد العبودية ، وبالهدى بعد الضلال ، وبالأمن بعد الخوف وبالنور بعد الظلمة ، سوف يعيد نفسه على شكل آخر ، أو صورة جديدة ، على أن الفرنجة هنالك كانوا يزعمون أنهم يعملون لمبادىء عيسى الذى يؤمنون به ، أما هؤلاء فانهم يعملون للشيطان الذى يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير •

د / ابراهيم على ابو الخشب

من اعلام القرن الخامس الهجرى

الامام ابن الطلاع القرطبى

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

فقيه قرطبى مشهور ومحدث مقدم فى الشورى من أهل الفقه والفضل يقول عنه ابن فرحون (كان شيخ الفقهاء فى عصره وأسن من بقى فى وقته) أما ابن بشكوال فيصفه بقوله (كان فقيها عالما حافظا للفقه على مذهب مالك وأصحابه حاذقا بالفتوى مقدما فى الشورى عارفا بعقد الشروط وعللها ذاكرا لاخبار شيوخ بلده وفتاويهم كثير الذكر لله تعالى حافظا لكتابه العزيز تاليا له مجودا لحروفه) .

ذلك هو الامام محمد بن فرج أبو عبد الله المعروف بابن الطلاع كان أبوه مولى لمحمد بن يحيى البكرى الطلاع فنسب اليه ويبدو من المراجع والمؤلفات والكتب الاسلامية فى بلاد الاندلس أن الامام ابن الطلاع لم يكن من بيت علم وفضل لذلك كانت شهرته لاتعود الى حسبه ونسبه بل لجهوده وتفانيه فى تحصيل العلم وهذه منقبة سامية للاسلام لأنه لا ينظر الى الانساب بل يجعل معايير الفضل والشرف الى العلم والتقوى مصداقا لقوله تعالى : **(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)** سورة المجادلة ١١ وقوله سبحانه **(ان اكرمكم عند الله أتقاكم)** سورة الحجرات ١٣ .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام أحمد (من أبطا به عمله لم يسرع به نسبه) .

كـــان عصره من أروع وأزهى العصور الاســـلامية فى بـــلاد الاندلس حيث كانت مدينة قرطبة من أكثر بلاد الدنيا حضارة ورقيا — وقد بلغت العلوم فيها وقتئذ فى شتى الميادين أوج كمالها خصوصا ما تعلق منها بترجمـــــة العلوم الاجنبية من فلسفة ومنطق والهيات لذلك كانت المصادر التى وصـلت اليها يد ابن الطلاع من أجل وأغنى المصادر العلمية لكنها للأســـف صـــارت من الذكريات التى تقـــرأ أســــــماؤها فى مؤلفات العلماء وفهارس العلوم الاســـلامية من تفسير وحديث وفقه وأصــــــول وتاريخ وأدب ولغة وما الى ذلـــك ولا نجد لها أثرا فى مكتبات العالم والسبب فى ذلك تعصب النصـــارى الإسبان فى احراق واعدام الكتب والمجلدات الاســـــلامية واضاعتها وازالة وجودها من أرض الاندلس حتى لقد قيل أن كورديال أحـــرق مائة ألف مجلد وكل ذلك حــــدث عندما غربت شمس الاســـلام من بلاد الاندلس منذ القرن الخامس عشر الميلادى •

ولد الامام ابن الطلاع ســـــنة ٤٠٤ هـ بمدينة قرطبة وهى من أهم مدن الاندلس فى عصور الاســـلام الزاهية هنـــاك كانت مقر ســـلطة الاسلام وحاضرة الـــدولة يقـــول الحجارى عنها (كانت قرطبـــة فى الدولة المروانية قبة الاســـــلام ومجتمع علماء الانام الاعلام — بها استقر سرير الخلافة المروانيـــــة وفيها تمخضت خلاصة القبـــــائل المعدية واليمانية — واليها كـــانت الرحلة فى رواية الشعر والشـــعراء اذ كانت مركز الكرماء ومعـــــدن العلماء — ولم تزل تملأ الصـــدور منها والحقائب ويبـــــارى فيها أصحاب الكتب أصحاب الكتـــائب — ولم تبرح ساحاتها مجرد عوالى ومجرى سوابق ومحط معـــــالى وحمى حقائق — وهى من بـــــلاد الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد والزور من الأسد ولها الداخـــــل الفسيح والخارج الذى يمتع البصر بامتداده فلا يزال مستريحا وهـــو يردد النظر الطليح) •

ولقد بدأ نشأته بحفظ القـــرآن الكريم وتلاوته وهذا ما درج عليه

أهل الاسلام فى جميع أمصارهم حتى ترسخ منه فى قلوب الناشئة أسس الايمان والعقيدة الاسلامية وأصول العلم ذلك أن القرآن هو المحور الذى تلتف حوله الثقافة والمعرفة حتى ليمكن القول بأن الثقافة العربية والاسلامية نبتت حول القرآن واستمدت منه ماءها ونماءها ورواءها .

ولما كان المذهب الفقهى السائد رسميا فى بلاد الاندلس هو مذهب الامام مالك توجه ابن الطلاع الى دراسته حتى أتقنه أصولا وفروعا .

تلقى الامام ابن الطلاع علومه على أيدى كثير من علماء عصره نكتفى بذكر بعضهم وهم :

١ ـ الحسن بن أيوب بن محمد ابن أيوب الانصارى المعروف بالحداد كان مقدما فى الشورى راوية للحديث واللغة .

٢ ـ يونس بن عبد الله بن محمد ابن مغيث قاضى بقرطبة عالم بالحديث والفقه له عدة مؤلفات فى العبادة والزهد .

٣ ـ أحمد بن هشام بن جهور كان من أهل مرشانة وسكن قرطبة .

٤ ـ محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد العافرى عالم فقيه ومحدث كبير .

٥ ـ مكى بن أبى طالب كان عالما بالقرآن والعربية .

٦ ـ أحمد بن محمد بن عيسى ابن هلال المعروف بابن القطان كان ممن فاق أهل زمانه بالاندلس علما وحفظا .

٧ ـ محمد بن جهور بن محمد جهور الوليد كان حافظا للقرآن مجودا له ومعنيا بسماع العلم من الشيوخ .

٨ ـ حاتم بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الطرابلس كان عالما بالفقه .

٩ ـ معاوية بن محمد العقيلى أبو عبد الرحمن كان حافظا للقرآن كثير التلاوة له .

برز الامام ابن الطلاع فى الفقه المالكى حتى أسندت اليه رئاسة الافتاء وصار مقدما فى الشورى ورحل الناس اليه لسماع الموطأ

والمدونة — ولم يبق فى الاندلس أعلم منه بأصول المذهب وفروعه وسمع منه الكبار والصغار والآباء والأبناء لأنه عمر عمرا طويلا .

ولما ولى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة وعظ الناس وأفتى لهم فيما يعرض لهم من المسائل وكان فصيحا فى اللغة جميلا فى التعبير مدركا الاسرار والغوامض رأسا فى معرفة الشروط وعللها — ومعرفة الاحكام والنوازل ويشهد له بذلك كتابه الفريد الوحيد الذى ألفه وهو أقضية الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدل على تمكنه وقدرته العلمية على التأليف ويبدو أن انشغاله بالوعظ والارشاد والتدريس والتعليم والافتاء والدعوة لم تترك له وقتا كافيا للكتابة حتى يكون من المكثرين فى التأليف واستمر على ذلك حتى توفى الى رحمة الله فى ضحى يوم الخميس بعد ثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة ٤٩٧ هـ .

لقد ترك الامام ابن الطلاع وراءه جماعة من التلاميذ برعوا فى شتى العلوم نذكر منهم الآتى :

١ — محمد بن حيدرة بن أحمد ابن مغور أبو بكر كان حافظا للحديث وعلله عارفا بأسماء رجاله وحملته .

٢ — عبد العزيز بن عبد الله ابن أحمد بن حزمون كان فقيها مشاورا فى الاحكام صدرا فى المفتين .

٣ — هشام بن أحمد أبو الوليد شيخ قرطبة وفقيهها ومن كبار علمائها .

٤ — هشام بن أحمد بن سعيد ويعرف بابن العواد أبو الوليد كان من جلة الفقهاء وكبارهم وعلمائهم وخيارهم .

٥ — أحمد بن ابراهيم بن أحمد ابن ابراهيم أبو جعفر — تولى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة وكان يستشار فى الأحكام .

٦ — يحيى بن عمرو بن بقاء الجزامى أبو بكر المعروف بالمرجونى كان حافظا للفقه عارفا بعقد الشروط وعللها .

٧ — أبو على حسين بن محمد ابن حيون بن سكره الصدفى كان عالما بالحديث وعلله ورجاله .

٨ ــ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقى بن مخلد أبو الحسن وقد تولى الاحكام بمدينة قرطبة مدة طويلة •

٩ ــ عبد الجبار بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ القرشى المروانى أبو طالب كان عالما فى التاريخ وجمع كتابا فيه سماه (عيون الامامة) •

١٠ ــ ابراهيم بن محمد بن خيرة أبو اسحاق كان حافظا للحديث •

١١ ــ جراح بن موسى بن عبد الرحمن الغافقى أبو عبيدة كان أديبا حافظا حاذقا بعلوم العربية واللغة والشعر •

١٢ ــ محمد بن عبد الرحمن ابن نبيل الرعينى أبو عبد الله كان عالما بالشروط ومتقنا •

١٣ ــ محمد بن أحمد بن أحمد ابن رشد أبو الوليد كان فقيها حافظا مشهورا وهو صاحب المقدمات لاوائل كتب المدونة •

١٤ ــ أحمد بن محمد بن على ابن محمد التغلبى أبو القاسم تقلد القضاء بقرطبة مرتين •

١٥ ــ يونس بن محمد بن مغيث أبو الحسن كان عارفا باللغة والاعراب وذاكرا للغريب والانساب •

١٦ ــ عبد الله بن موسى بن عبد الله بن موسى أبو عبد الله كان متقنا فى عدد من العلوم مع الحفظ والاتقان •

١٧ ــ عبد الجليل بن عبد العزيز ابن محمد الأموى المقرى أبو الحسن كان عالما بالقراءات مجودا لها ضابطا لحروفها كما كانت له عناية بسماع الحديث وروايته •

١٨ ــ يحيى بن محمد بن أبى المطرف أبو الحكم كان عالما باللغة والادب •

١٩ ــ محمد بن أحمد بن خلف ابن ابراهيم بن لب المعروف بابن الحاج أبو عبد الله كان معتنيا بالحديث والآثار ضابطا لأسماء رجالها ورواتها ذاكرا للغريب والأنسابواللغة والاعراب وعلى علم بمعانى الاشعار والسير والاخبار •

٢٠ ــ أحمد بن محمد بن أحمد

ابن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن بقى بن مخلد أبو القاسم كان عالما بالمسائل وله الصدارة فى الفتوى بصيرا بعقد الشروط وعللها .

٢١ ــ يونس بن محمد بن مغيث ابن محمد بن يونس بن عبد الله ابن محمد بن مغيث بن عبد الله أبو الحسن كان عالما باللغة عارفا بالأعراب ذاكرا للغريب والانساب .

٢٢ ــ عبد الله بن على بن عبد العزيز بن فرج الغافقى أبو محمد كان فقيها حافظا .

٢٣ ــ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد البارى أبو جعفر المعروف بالبطروجى كان من أهل الفقه والحديث والتواريخ .

٢٤ ــ عبد الملك بن مسعود بن بشكوال بن يوسف بن داحه الانصارى أبو مروان كان ممن جمع الله له الحديث والفقه مع الأدب .

٢٥ ــ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن قزمان أبو مروان كان من صفوة الفقهاء والأدباء .

لم يكن الامام بن الطلاع من المكثرين من التأليف كما قدمنا ولعل ذلك مرجعه الى اشتغاله بالوعظ والارشاد والتدريس والتعليم والافتاء والدعوة الى الله اللهم الا مؤلفا وحيدا هو كتاب أقضية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقد سمى هذا الكتاب بأسماء مختلفة فبعض علماء الاسلام سماه (أحكام النبى صلى الله عليه وسلم كتاب الاقضية) والبعض الآخر ــ سماه (نوازل الاحكام النبوية) ولفظ نوازل هو اصطلاح مغربى يقابلها عندنا فى المشرق العربى لفظ الفتاوى وأسماء الكتاب المذكور تشير الى ما يحتويه الكتاب بين صفحاته من أقضية النبى صلى الله عليه وسلم وكذا ما يشتمل عليه من أحكام وردت عنه صلى الله عليه وسلم وأوامره ونواهيه وقد عنى بتحقيقه أخيرا الدكتور محمد ضياء الرحمن الاعظمى مدير مكتب الامين العام لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة وقامت بطبعه دار الكتاب المصرى ودار الكتاب اللبنانى بالقاهرة .

والكتاب مقسم الى عدة كتب **أولها** أسباب الحكم فى القتل والقذف والسب والسرقة والجرح والخمر والزنا واللواط والساحر ثم **كتاب الجهاد وكتاب النكاح وكتاب الطلاق وكتاب البيوع وكتاب الاقضية** كما فى الشفعة والقسمة والمزارعة **وكتاب الوصايا وكتاب الحدود وكتاب الهبة وكتاب القضاء وكتاب الفرائض والعتق** •

مثال من الاقضية التى ذكرها الامام ابن الطلاع •

يقول فى مفتتح كتابه (لا يحل لمن تقلد الحكم من الناس أن يحكم الا بما أمر الله عز وجل فى كتابه أو بما يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حكم به أو بما أجمع العلماء عليه أو بدليل من أحد هذه الوجوه الثلاثة •

واتفق مالك والشافعى وأبو حنيفة رحمهم الله على أنه لايجوز لحاكم أن يحكم بين الناس حتى يكون عالما بالحديث والفقه معا مع عقل وورع •

ثم بدأ بأقضيته صلى الله عليه وسلم فى الدماء لما جاء فى الحديث الصحيح ذكره مسلم وغيره (أن أول ما يقضى الله تبارك وتعالى بين الناس يوم القيامة فى الدماء وأول ماينظر فيه من عمل العبد الصلاة فمن وجدت له صلاة نظر فى سائر عمله ومن لم توجد له صلاة لم ينظر فى شىء من عمله وليس بعد الشرك بالله عز وجل أعظم من قتل النفس) •

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (زوال الدنيا بجميع ما فيها أهون على الله من قتل امرىء مسلم) رواه ابن الاحمر فى مسنده — (وهو محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية ابن اسحاق بن عبد الله بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان أبو بكر يعرف بأبن الاحمر) •

وقد روى ذلك الحديث الامام النسائى فى تعظيم الدم عن ابن اسحق عن ابراهيم بن مهاجر عن اسماعيل مولى عبد الله بن عمرو عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذى نفسى بيده لقتل

مؤمن أعظم عند اللـــه من زوال الدنيـــا) •

وقال عليه السلام (من أعان فى قتل امرىء مسلم بنصف كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله) •

وفى البخارى قال رسول اللـــه صلى الله عليه وســـلم (لايزال المؤمن فى فسحة من دينه مالم يصب دما حراما) •

وقال عليه السلام (من لقى الله ولم يشرك به شيئا ولم يتند بـــدم مسلم كان حقا على الله أن يغفر له) ـــ هذا الحديث أخرجه ابن ماجة فى سننه فى الديات وفى مســـند بقى والبزار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو أن أهل السماوات والارض اجتمعوا على قتل مسلم لأدخلهم الله جهنم جميعا) •

وبقى هو ابن مخلـــد صـــاحب المسند الكبير من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الرحمن قال الكتـــانى فى الرسالة المستطرفة قال ابن حـــزم روى فيه عن ألف وثلاثمائة صحابى ونيف ورتب على أبواب الفقه فهو مسند ومصنف ليس لأحد مثله ـــ وقد توفى سنة ٢٧٦ هـ •

ومما يؤسف له أن كتابه العظيم هذا صار من الكنوز الاســـلامية المفقودة بفعل التعصـــب النصرانى الأعمى باحراق وابادة التـــراث الاسلامى اثر غروب شـــمس المسلمين فى بلاد الاندلس •

وقال مالك رحمه الله تعـــالى يقال (من لقى الله ولم يشرك فى دم مسلم لقى الله خفيف الظهر)•

وفى باب آخر يذكر حكم رسول الله صلى الله عليه وســـلم فيمن ضرب امرأة حاملا فطرحت جنينها فيقـــول :

(من الموطأ والبخـــارى ومسلم مالك عن ابن شهاب عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن عن أبى هريرة أن امرأتين من هذيل رمت احداهمـــا الأخرى فطرحت جنينها قضى فيه رسول الله صلى الله عليه وســـلم بغرة عبد أو وليدة) والمراد بـــه العبد والامة وان كانا أسودين اذ الاصل فى الغرة البياض فى الوجه•

وفى حديث آخر فى كتاب مسلم

فرمت احداهما الأخرى بحجــــر فقتلتها وما فى بطنها •

وفى حديث آخر ضربتها بعمود فسطاط وهى حبلى وكانت ضربتها فقتلتها فجعل النبى صلى الله عليه وسلم دية المقتولة على عصـــبة القاتلة وغرة لما فى بطنها •

وفى كتاب النســـــائى ضربت أحداهما الاخرى بمسطح فقتلتهـا وجنينها فقضى رسول الله صــلى الله عليه وسلم فى جنينها بغرة وأن تقتل بها وكذلك ذكر غير النســائى أن النبى صلى الله عليه وســـلم قتلها مكانها وقيمة الغرة التى قضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسون دينارا أو ستمائة درهم ــ قال قتادة وغيره وبه قال مالك بــن أنس •

وفى البخارى ما يدل عــلى أن النبى عليه السلام لم يقتل الضاربة وذلك أنه قال حدثنا عبد اللــه بن يوسف عن الليث عن ابن شــهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى جنين امرأة من بنى لحيان بغرة عبد أو أمة ثم أن المرأة التى قضى عليها بالغــرة توفيت فقضى رسول الله صلى الله عليه وســـلم أن ميراثها لبنيها وزوجها وأن العقل على عصبتها •

ومن الأقضية أيضـــا ما ورد فى فى مصــنف عبــد الرزاق عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الكريم أن رجلا قال يا رسول اللــه ان أبى يسألنى مالى قال (فأعطــه اياه) قال أنه يريد أن أخــرج له منــه قال (فاخرج له منه) •

قال وقال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يوصيه (لاتعص والديك وان سألوك أن تنخلع لهما من دنياك فانخلع لهما منها) •

وفى رواية أخرى عن ابن جريج قال سمعت ابن أبى حسين يقــول خاصم رجل اباه الى النبى صــلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليــه وســلم (انت ومالك لأبيك) ثم أمر به ثم قال (انطلق به فان غلبــك فأطلعنى على ذلك أعنــك عليه) •

هذه نماذج من الأقضية فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى قليل من كثير قامت أحكامها على شريعة الله التى لاتميل الى باطل أو انحراف لانها قامت على أساس القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قال تعالى •

(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) سورة المائدة ٤٨ •

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

« اصلاح النفس »

قيل لبعض الحكماء بم ينتقم الانسان من عدوه ؟

قال : باصلاح نفسه •

مع آيات من سورة النساء

للأستاذ عبد الحميد الفضالى

من كشف الحساب وتحديد المنهج :

قد يكون معلوما أن الآيات التى صاحبتها وصاحبتنى ، وعشت معها وعاشت معى ، واقتبست من هديها وأضوائها بعض ما أرشدت اليه ، أو دلت عليه ، أو أوحت به — آيات مباركات من سورة النساء .. واسعة المعانى ، غزيرة الافكار ، متعددة الجوانب ، مليئة بالخيرات والبركات ، فياضة برحمة الله التى وسعت كل شىء رحمة وعلما ..

فهى آيات تكاد تنتظم أمور الحياة كلها .. فى أمنها واضطرابها، وفى استقامتها واعوجاجها . وهى فى جملتها سجل ضخم ، وتاريخ فسيح ، متصل الحلقات بالماضى البعيد والقريب — ومرتبطا بالحاضر العجيب ، وبالواقع الغريب .. وممتدا الى المستقبل الذى لا يعرف نهايته الا خالقه .

فهى فى ذلك كله آيات منبئة بما كان ، وبما هو كائن وبما سيكون ومبينة الآثار والعواقب والثمرات ، حلوها ومرها ، خيرها وشرها .. ووقوعها وفق ما كان من العباد فى ايثارهم لها واختيارهم لما أحبوه منها .. ووقوعها وفق ما كان من علم الله المحيط بها .. وكل شىء واقع وفق علم الله الكاشف من الازل قبل خلقها .. لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء .. !

ومع ذلك فهى آيات تحمل فى طياتها — دعوة عريضة عميقة .. لمحاربة الظلم ، ومعاداة الباطل ، ولاقامة الحق ، ونشر العدل ،

ليستقيم ميزان الحياة .. وليقف كل عند حده لا يتجاوزه ولا يتخطاه .

والى بقية المشاهد والنقاط .. من آيات الله البينات على وفق ما وعدت به .

* آيات الفرائض :

أحسست وأنا أقرأ آيات الفرائض — فى هذه الليلة المباركة — كأنى أقرؤها لأول مرة .. وتذكرت بقراءتها ما كان عليه العرب فى الجاهلية من ظلم وبغى وعدوان ، على أنفسهم ، وعلى الناس من حولهم وعلى المستضعفين فى الأرض بغير الحق .. من اليتامى والصغار والنساء والولدان ، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا كانوا يأكلون أموالهم بالباطل ، ويحرمونهم حقوقهم بالظلم ، ويحولون دون ميراثهم بالعدوان .. كان المعتدون ينظرون الى المعتدى عليهم بمنظار أعرافهم الفاسدة ، ويعاملونهم بموازينهم الجائرة .. يرونهم ضعافا لا يستأهلون أن تكون لهم حقوق ، ولا يستحقون أن يترك لهم ميراث .. فالحقوق والمواريث عندهم — للذين يقدرون على حمل السلاح ، ويقتتلون بالسيوف والرماح ، ويحذقون ركوب الخيل ، ويشاركون فى الغارة على الأعداء ، والسطو على الجيران لسفك الدماء ، واختطاف النساء ، وانتهاب الأموال ..

لقد كانت طبائعهم العدوانية ، وغرائزهم الحيوانية .. لا تقف عند حد .. انها قد ترسخت بشرورها فى نفوسهم ، وامتزجت بلحومهم ودمائهم .. حتى أنهم اذا لم يجدوا من يعتدون عليه ، أو يسيئون اليه ، من أعدائهم وجيرانهم يكر بعضهم على بعض .

وأحيانا على بكر أخينا
اذا ما لم نجد الا أخانا

وقد استهوانى فى ليلتى ، واستولى على مشاعرى واحساسى .. كمال التشريع الاسلامى فى قانون الميراث .. فقد بينه الله تبيينا ، وفصله تفصيلا ، وحدد الأنصبة فيه تحديدا ، وجعله جامعا مانعا مستوعبا لجميع الحالات

والظروف والمناسبات •• ولم يترك ليد بشر مهما كان قدره •• فرصة التدخل فيه بالتغيير والتبديل ، أو بالحذف والزيادة ••!

انه ما دخلت سياسة البشر الجائرة الجاهلة فى شىء من أمور الدين والتشريع التى حدد الله حدودها ، وأوضح معالمها وأكملها ، الا أفسدتها ، وشوهت جمالها وجلالها ، وأخرجتها عن غايتها ، وأبطلت مفعولها الكريم ، وأنكرت حكمة الله فيها ، وغايته منها •• ارضاء لنفوس أمارة بالسوء ، واشباعا لشهوات ممعنة فى الباطل ، بعيدة عن الحق •• وماذا بعد الحق الا الضلال ؟ !!

انها الفريضة الوحيدة من فرائض الله التى انفرد القرآن الكريم بها جملة وتفصيلا •• ذكرها جملة فى آية « **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ••** » وذكر ما تفصيلا حين بين نصيب كل وارث ووارثة فيما جاء بعد ذلك فى آيات المواريث محددة تحديدا كافيا شافيا •• !!

ومن كمال نظام الميراث فى الاسلام •• أن الله سبحانه وتعالى قد أقام نظامه على قاعدة انسانية راسخة ثابته ، لا يلحقها تغيير أو تبديل •• تلك هى قاعدة القرابة القائمة فعلا بين الناس ، نسبا وصهرا •• مع ملاحظة درجتها قربا وبعدا •• فالاقربون أولى بالمعروف ، وأحق بالتكافل فيما بينهم •• فالقوى فيهم يعين الضعيف ، والغنى يسع الفقير ، وهو أولى بارثه اذا مات وترك ميراثا •• وبذا يتحقق الخير للناس أفرادا وجماعات ، ذكورا واناثا •• ويرتفع الظلم الجاهلى البغيض البشع عن كواهل المظلومين المستضعفين من النساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا •• !!

* لقد قال الله سبحانه •• كلمة الحق والعدل فى هذا التشريع الحكيم المنصف ، حين أنزل قوله الكريم « **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون •• الى قوله : نصيبا مفروضا** » والأقربون كما عرفنا •• هم المتوارثون من

ذوى القـــرابات دون غــيرهم •• والنصيب المفروض ــ هو المقطوع انواجب الذى لابد للوارث من أن يحوزه •• ولا يستأثر به أحد غيره •• والا شاعت العداوة والبغضاء ، ووقعت الفرقة ، وتمزقت الوحدة واتســـــعت دوائر البغى ، وتجرد الناس من فضائلهم الانسانية •• وصــاروا حيات غادرة •• ونمورا كاسرة •• ووحوشا ضارية •• ولن يكون بهذا بين الناس حيــاة أمن وأمان •• !!

* وهنا تذكرت ما روى من أن أوس بن الصامت الأنصـــــارى لما مات أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ كان قد ترك أمرأته وثلاث بنات •• فروى ابنا عمــــه ميراثه عنهن •• فجـــاءت امرأة أوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فى المسجد ، فشـــكت له ما كان من ابن عم زوجها •• فقال صلى الله عليه وسلم : « ارجعى حتى أنظر ما يحـــدث الله » •• فنزلت الآية « **للرجــال نصــيب مما ترك الوالــدان والأقــربون ، وللنســاء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون** •• » وبمجــرد نزولها بعث رسول الله الى ابن عم أوس ابن الصـــــامت •• وقال لهما : « لا تفرقا من مال أوس شيئا ، فان الله قد جعل لهن « للنســـــاء » نصيبا » •• ولم يبين الرســـــول صلى الله عليه وسلم هذا النصيب •• حتى بينه الله سبحانه بعد ذلك فى الآيات التى حددت وأوضــحت نصيب كل وارث ووارثة •• فى قوله تعالى « **يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين** •• » وفى قوله « **ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولــد** •• » فأعطى الرسول الزوجة الثمن •• وأعطى البنـــات الثلثين •• والبــاقى لابن العم •• !!

* **وذكـــرتنى آيات المــواريث** بواقعنا الأسيف ••

هذا الواقع الذى يعيشه الناس فى أيامنا ، التى بعدنا فيها عن ربنا وشرع ربنا •• ! فقد رأيت قانون الميراث ، قد أغفله كثير من الناس ، واســـــتهانوا به •• على تفاوت درجاتهم فى العلم والمعـــرفة •• ومعظمهم لا يجهـــل حكم الله فى

آياته .. بل يحفظها ويعرف حكم الله فيها .. !

ان المبدأ القويم الذى خلص الله به عباده من ظلم الجاهلية وظلامها ، واختاره سبحانه صماما لأمن الناس ، وأساسا لخيرهم ، وقاعدة لانصافهم .. قد تركوه وعادوا الى الظلم والظلام ، والى البغى والعدوان .. عادوا الى حرمان البنات والزوجات والأخوات والعمات .. من حقوقهن وميراثهن واغتصاب أموالهن .. عادوا الى أكل أموال اليتامى ظلما .. عادوا الى ذلك ، والى غير ذلك من المحرمات .. على علم بحرمتها ، وعلى علم بسوء ما يرتكبون منها .. وعلى علم تام بمخالفتهم لصريح القرآن ، فيما أمر الله به ، أو نهى عنه .. وهذا من غير شك أشنع ألوان الضلال .. فليس أضل ممن أضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة .. !!

*** * وهنا تذكرت « الشعبى » :**

ان الناس فى عصرنا قد بعدوا عن الدين بعدا شديدا .. حتى ذكرنى هذا البعد الشديد عن الدين بقول « عامر الشعبى » التابعى الجليل .. فقد قال رحمه الله :

« تعايش الناس بالدين زمنا طويلا ، حتى ذهب الدين من نفوسهم ثم تعايشوا بالمروءة حتى ذهبت المروءة .. ثم تعايشوا بالحياء حتى ذهب الحياء .. وهم الآن يتعايشون بالرغبة والرهبة .. وسيأتى بعد هذا ما هو شر منه .. !! » .

هذا ما قاله الشعبى فى عصر بنى أمية الذى عاش فيه .. فماذا كان يقول لو عاش فى عصرنا الذى نعيش فيه .

*** * من واقع الحياة :**

ان الناس مع جهلهم بالكثير من حقائق الاسلام — لا يجهلون الحرام والحلال فى أكل الحقوق والأموال ، ولا يجهلون حرمة حرمان المرأة من حقها فى الميراث ، ولا حرمة حرمان بعض الآباء لبعض أبنائهم أو بناتهم من حقوقهم فى ميراثهم أو فى ممتلكاتهم . .. الا أن الفتوى بحل ما يرتكبه

الناس من المخالفات ، لانهم يتصرفون فى أموالهم •• تضاعف ـ لا شك ـ من ارتكاب المحرمات •• وتشجع الكثيرين من المنحرفين على طلب المزيد فى مجالات العصيان •• !!

ان معظم الذين حرموا بناتهم وأخواتهم ونساءهم عن ميراثهم•• هم من أولئك الذين فهموا خطأ أنهم أحرار فى التصرف فى أملاكهم وثرواتهم بما تهوى نفوسهم •• !

وقد توارث الناس هذه المخالفات الشرعية •• وشجعت عليها مطامعهم الشخصية وشهواتهم التى ارتكسوا فيها الى الأذقان •• فتحولت لديهم من عادات الى طبائع يرتكبونها من غير تفكير •• ولا يبالون بمن يلومونهم على ارتكابها أو يعترض سبيلهم فيها ، لأنه فى نظرهم يتدخل فيما لا يعنيه وفيما لا شأن له به ••

✻ وصية الله خير :

جاء فى مستهل الآية الأولى فى توريث الأصول والفروع ـ قوله تعالى : «**يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين** •• » وان الولد فى اللغة يطلق على كل مولود، ذكرا كان أم أنثى •• فكل مولود ولد •• ولذا جاء فى تحديد النصاب لكل من الذكر والانثى بعد كلمة « أولادكم » الشاملة للذكور والاناث ـ جاء قوله تعالى « **للذكر مثل حظ الانثيين** » والوصية فيما جرت به العادة بين المستقيمين من الناس وأسويائهم انما تكون فى الخير ، وفيما ينفع الناس ولا يضرهم ••

وتنبعث غالبا من قلب حبيب لحبيبه •• أو من أب شفيق مجرب لاولاده ، أو من أم عطوف لابنتها ليلة زفافها لتستقيم حياتها ، وتهنأ بزواجها •• أو من طبيب لطاس وفى لمرضاه ، يبغى شفاءهم من عللهم ، ووقايتهم من أمراضهم •• أو من قائد أمن حنكته التجارب ، لجيشه يرجو له السلامة والنصر فى معاركه •• أو من امام عادل يخشى الله ويرجو رحمته ، لنفسه وأمته •• ان هؤلاء جميعا وغيرهم من المخلصين فى وصاياهم •• لحريصون على أن ينيروا الطريق لأحبتهم ، ويسلحوهم بما يقدرون

عليه من أسلحة الخير والقوة والانصاف •• ويجنبوهم العثرات والأخطار ، ومتاعب الأعداء والاشرار •• ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ••

وهكذا تنبع الوصية فى أصلها الانسانى المستقيم من قلوب صفت ، ونفوس سمت ، تحب الخير وتوصى به ، وتحيا له وتدعو اليه ، ولا تدخر وسعا فى سبيله •• وانما يقدم هؤلاء المخلصون من البشر وصاياهم النافعة ، فى حدود خبرتهم المحدودة ، فيما أحاطوا به علما •• فاذا كان هذا شأن الوصية فى صدورها وانبعاثها من عباد الله محدودى القدرة والخبرة لعباد الله المرجو لهم الخير •• فما يكون الشأن فيها ، وفى صدورها وانبعاثها للعباد من خالق العباد ، ومن ربهم العليم بهم ، الحكيم فيما شرعه لهم وأوجبه عليهم لخيرهم ومصلحتهم وهو سبحانه أرحم الراحمين وقد وسع كل شىء رحمة وعلما ورأفة وحلما •• ؟

انها لا شك ــ تكون وصية الخير كله • والبر والأمن والهناء لمن خلقهم وسواهم ، ونفخ فيهم من روحه •• واذا ما استجابوا لها وحرصوا على الالتزام بها ، ووقفوا خاشعين عند حدودها ، وأطاعوا الله ورسوله بشأنها وسلموا تسليما •• !!

أما أن يسمعوا وصية الله ويعلموا بها فى قوله تعالى :

« يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين »

فلا يستجيبون للنداء ، ولا يعملون بمقتضى العلم •• وبخاصة بعد أن سمعوا من قبل بالقرار الأساسى الأول الذى اختاره الله لاقامة الحق والعدل والانصاف فى الميراث ، وفى توزيع الأنصبة والحقوق •• فى قوله تعالى

« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا »

فلم يلقوا له بالا •• وقد علموا أن المراد بالأقربين هم الوارثون من ذوى القربات دون غيرهم •• وأن النصيب المفروض هو المقطوع الواجب الذى لابد للوارث

المســـتحق له من حيازته وأخذه كاملا •• لا أن يستأثر به غيره من دونه ظلما وبغيا •• كما علموا أنهم ليس لهم اختيار بعـد اختيار الله لهم « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورســوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** » •• أما أن ســـمعوا ذلك كله ، ويعلموه حق العلم •• ثم تكون منهم المكابرة فى الحق ، والمجادلة بالباطل ــ فذلك هو الضلال المبين ، والظلم الوبيل ، والاســـتخفاف بوصـــية الله والاستهانة بتشريعه ، والتمرد على قراره ، والخروج عن اختيـــاره سبحانه ــ سبحانه •• !!

*** لماذا كان نصيب الرجـــل ضعف نصيب المرأة ؟**

لفت نظـــرى فى آية توريث الأولاد والآباء ــ مبدأ حكيم قرره رب العالمين فى قوله تعالى: **للذكر مثل حظ الانثيين** »•• انه سبحانه يعطى الرجـــل من الميراث حسب أعبـــائه •• ويعطى المـــرأة وفق أعبائها •• وليس فى ذلك محـــاباة للرجال على حســـاب النساء •• كما يهدف به بعض الغافلين •• !!

ان الرجل مكلف باعالة المرأة بعد زواجه منهـــا •• وليست الزوجة بملزمة شرعا بانفاق شىء من مالها •• كما أن المرأة فى حالة عـــدم زواجها لا تقوم الا بشئون نفسها فقط •• فما تحصل عليه من الميراث (وهو نصف ما يأخذ الرجل) •• يضعها فى ميزان العدل والانصاف والأمن والأمان ••

أما الظلم الذى لا يطـــاق ، والعدوان الذى لا يحتمل •• ففى حرمانها من ميراثها وأخذ حقهـا بالباطل •• !!

ان النظام الاسلامى فى الميراث هو أعدل نظام عرفته البشرية منذ وجدت ، والى أن يرث الله الارض ومن عليها •• يبدو ذلك جليا حينما نقارنه بالنظم الاخرى التى تجعل الميراث كله للابن الذكر •• كما هو الشـــأن فى انجلترا •• حتى لا تتفتت الثروة ــ فى نظرهم ــ ويبقى اسم الاسرة شـامخا براقا على حساب ضياع الباقين وظلمهم ، من الذكور والاناث •• !

وكذلك يبدو أن نظام الاسلام فى الميراث ــ أعـــدل الأنظمـــة حين

نقارنه بالنظم التى تجعل الميراث كله للرجال وحـــدهم من دون النســـاء ، أو من دونهن ودون الأطفـــال •• وهى نظم أقرب ما تكون من النظـــام الجاهلى الجائر ، الذى أبطله الاســـلام وأنكره ، وأقام على أنقاضـــه خير نظام •• يرعى كرامة الصـــغار والضـــعفاء ، ويورث اليتامى والنساء ، ويعطيهم جميعا حقوقهم غير منقوصـــة •• كما صان كرامة المرأة بوجه خاص ، فأنصـــفها واعترف بآدميتها وقرر لها حقوقها فى شتى مجالات الحياة •• !!

*** الاهتمام بالدين والوصية :**

ثم ظهـــر أن الله تعالى ــ قد أعطى الدين والوصية ــ مزيدا من عنايته وارشـــاده •• وجعل الوفاء بهما من التركة مقـــدما على توزيع أنصبة الورثة ــ فقد نص ــ جـل جلاله ــ على ذلك أربع مرات •• مرة فى آية : « **يوصـــيكم الله فى أولادكم** •• » فى قـــوله « **من بعد وصـــية يوصى بهـــا أو دين** » أما المرات الثلاث الباقية ففى آية « **ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد** •• » فقد ورد فيها قوله تعالى « **من بعد وصية يوصين بها أو دين** » •• وقوله تعـــالى : « **من بعد وصـــية توصـــون بها أو دين** » وقوله تعالى « **من بعد وصية يوصى بها أو دين** » •• !!

أربـــع مرات اذن ــ ورد ذكـــر الوصـــــية والدين ــ فى حالات مختلفة من الميراث وفى كل حالة من تلك الحالات قدم الدين والوصية •• للوفاء بالدين ولتنفيذ الوصية قبل التوريث •• !

أما الدين ، فهو يتعلق بحـــق الدائنين ، فلابد أن يرد اليهم ، الى أصحابه •• وأن يستوفى من مال المورث الذى استدانه •• وفاء بحق الدائن ، وتبرئة لذمة المدين •• ! والاســـلام الحنيف يعنى بابراء الذمـــة من الـــدين •• ليطمئن الدائنون الى الوفاء ، فى الحيـــاة وبعد الموت •• وهـــذا الاطمئنان ضرورى لايجـــاد الثقة التى تقوم عليها المعاملات بين الناس ، على أســـاس من الصـــدق والشرف والامانة •• وبذلك تنتظم أمـــور الحياة •• !

وهكذا تكون نظافة الاســلام ، وطهارة الايمان •• وتكون الحياة الآمنة فى ظلها الظليل •• !!

وأما الوصـــية فقد تعلقت بها ارادة المورث لحكمة يراها •• وقد جعلت أصلا لمعاونة المعوزين ، من المحجوبين من الارث •• ولتوثيــق العلاقات بينهم وبين الورثة ••

هذا •• والوصـــية لا تكون لوارث ، ولا تنفـــذ فى غير الثلث الا اذا أجـــازها الورثة حتى لا يجحف المـورث بورثتـــه فى وصيته ، ولا يضار الورثة بها •• ولذا جاءت كلمة « غير مضار » فى آخر تنبيه •• !!

أما أن الوصـية لا تنفذ فى غير الثلث ، فاســـتنادا الى حديث « سعد بن أبى وقاص » فقد جاء فيه أنه — رضى الله عنه — آتى رســـول الله — صلى الله عليه وسلم — يسأله أأوصى بمالى كله يا رســـول الله ؟ فقال : لا • قال فبنصفه ؟ قال : لا • قال : فبالثلث ؟ قال : بالثلث والثلث كثير •• انك ان تذر ورثتك أغنياء خـــير من أن تدعهم عالة يتكففـــون الناس • » وكان سعد ليس له ولد ساعتها فقال له الرســـول صلى الله عليه وسلم « لعل الله أن يعطيك من الاولاد ما تقر به عيناك » • قالوا : فكان له رضى الله عنـــــه — من الاولاد أكثر من عشرة ••

❋ ❋ آباؤكم وأبناؤكم :

ثم شــــدتنى الآية الكريمة الى قوله تعـــالى « **آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا** » •

انها تعبير موجز •• لكنـــه فى منتهى البلاغة •• بما يحمـــل فى طياته من غزارة المعانى ، ووضوح الدلالة •• أنه يحمل ضمن ما يحمل تحذيرا للقائمين على التوريث من محاباة الآباء على حساب الأبناء •• أو محاباة الأبناء على حساب الآباء •• أو بعض الأبناء على حســـاب البعض الآخر •• الخ • الى غـــير ذلك من المخالفات المؤسفة فى دنيا الأهواء والعواطف والشـــهوات ، والمفارقات الضـــــارة بالمورثين وبالورثة على حد ســـواء •• من أولئــك المنحرفين الذين لا يلتزمون بفـــرائض الله •• ولا يعجبهم شرع الله •• !!

وان فى قوله تعالى « **لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا** » دعوة لعباده بالتزام شرعه •• ونذيرا لهم بسوء ما سيلاقون من جزاء المخالفة والجهل بحقائق الأمور ، وبما قد يحدث من تقلب القلوب ، وتغير النفوس بعد التصرف الخاطىء فى الأموال •• وتعذر الاصلاح بعد فوات الأوان •• فكأن الله سبحانه يقول للمورثين حسب أهوائهم : ان الأمور قد تتغير ، والقلوب قد تتقلب ، فيبتعد عنهم من الأبناء من كان مقربا ، ويدنو من كان مبعدا ، ويعطف عليهم من حرموه ، ويقسو عليهم من آثروه • وانه بعد توزيع الثروة وتمليكها لمن يستحق ومن لا يستحق •• قد يطول بهم الأجل ، ويشتد المرض ، فلا يجدون من مالهم شيئا ، ولا يجدون من يمد لهم يد العون ، أو يسأل عنهم مجرد سؤال • فيذوقون وبال أمرهم ، وتكون عاقبتهم خسرا وعذابا أليما •• !!

هذا بعض ما يحدث فعلا فى واقع الحياة لهؤلاء الذين يتعجلون التوريث بالباطل ، ويخالفون فى توريثهم أمر الله ، ووصيته وفريضته ، بجانب ما يشاهد من العداوات والأحقاد بين الآباء والأبناء — وبين الاخوة والأخوات •• وما أبشع ما يرتكب فيما بينهم من حماقات •• ان دلت على شيء فانما تدل على تجرد النفوس من انسانيتها ، وتحولها الى نفسيات ذئاب مفترسة جائعة •• لا تبقى ولا تذر •• !!

لقد حسم الله الأمر كله بهذا التعبير الموجز المعجز ، ليطمئن قلوب عباده ، وليسلموا قيادهم له وحده لا شريك له — بنفى الدراية عن عباده بمن هو أقرب نفعا — لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا » واذا كان الأمر كذلك •• وكان الله وحده هو الأدرى والاعلم بما هو أنفع وبمن هو أنفع ، فلابد من التسليم له واتباع ما أنزل من قرآنه ، والعمل بأحكامه •• ففى ذلك التسليم والاتباع سلامنا وخيرنا وأمننا •• فى ديننا ودنيانا وأخرانا •• !!

*** * والله عليم حليم :**

تعبير كريم جاء ختاما للآية

الثانية فى التوريث .. وهو يحمل وصفين جليلين لله المشرع الحكيم ـ هما كما وصف الله بالعليم والحليم : وهما يحملان انذارا مرعبا رهيبا يوقظ الغافلين ، ويزعج النائمين ، ويرهب الظالمين .. ويدعوهم فى عنف وجبروت .. لا فى رقة اللفظ وعذوبته ـ الى تقوى الله ، والعمل على اتقاء غضبه بالتزام شرعه ، والوقوف عند حدوده . كما يحذر المخالفين العاصين من عواقب المخالفة والعصيان ـ فهو سبحانه العليم بما ينفع الناس وبما يضرهم ـ المطلع على ما كان وما سيكون منهم .. فعلمه محيط شامل . لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .. والله يقضى بالحق .. !!

وهو سبحانه الحليم الذى يمهل ولا يهمل .. فهو لا يعجل بعقوبة العصاة والمذنبين بل يعطيهم فرصا كثيرة للتوبة والاستغفار ، حتى اذا ما تمادوا فى غيهم وضلالهم .. وكفروا بأنعم الله عليهم ، وضيعوا الفرص التى أتيحت لهم غضب عليهم ، وانتقم منهم ، فهو سبحانه عزيز ذو انتقام .

وهم بظلمهم وكثرة غيهم وطول عنائهم ، وتمردهم على الله ونسيانهم له .. وكفرهم به لا يستحقون حلمه ورحمته .. بل يستأهلون غضبه ونقمته .. وصدق الله العظيم « **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملى لهم ان كيدى متين** » وصدق رسوله الكريم « ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » .. !!

هذا وانى بعد ذلك لأسأل المعتدين الظالمين وأرجو أن يصدقونى الجواب : هل يزيد العدوان أرزاقهم ؟ أو يطيل العصيان أعمارهم ؟ أو يبارك لهم فى أولادهم أو فى صحتهم وعافيتهم ؟

ان لسان لينطق بالحق . ان الحرام لا يدوم وان طال بقاؤه دمر كل شىء . فكم من بيوت كانت عامرة فصارت خرابا ـ « **فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا** » .. وان القلب سرعان ما تتوقف

دقاته فتنتهى الحيـــاة • كما أن الأنفاس قــد تخرج فــلا تعود ، أو تدخل فتتوقف عن الخروج • فيكون الانتقال من دار البلاء الى دار الجزاء • وهنالك لا ينفع مال ولا بنـــون الا من أتى الله بقلب سليم •• هنالك يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم شأن يغنيه •• !!

※ الخلود فى نار جهنم :

ثم يكــون حكم الله بتعــذيب هؤلاء العصاة المتعدين حدود الله ــ فى نار جهنم خالدين فيهـــا ، كما جاء فى قوله تعالى « **ومن يعص الله ورســوله ، ويتعد حدوده • يدخله نارا خالدا فيها ، وله عذاب مهين** » •

ان الخلود فى نار جهنم يراد به فى الآية معنيان :

أولهما : الخلود الــدائم فى نار جهنم ••

وثانيهما : المكث الطــويل فى نار جهنم •• فان كان المراد به ــ خلود العصاة الدائم فى العذاب المهين فى نار جهنم لا يبرحونهـــا أبدا ــ كما هو شأن الكافرين والمشركين ــ فمعناه أن حياة العصـــاة المذنبين الرافضين لنظام الاســـلام فى التوريث حياة تنذر بســوء الخاتمة •• وأنها قد تنتهى بشركهم والعياذ بالله ••

وليس هذا بمستبعد ، لأن الذين يستبيحون اغتصاب حقوق الضعفاء من النساء وغيرهن هم فى الحقيقة غير مؤمنين بالله خالقا ورازقا وغنيا ومغنيا وناصرا ومعينـــا •• وهم يرون أن الغنى لا يأتيهم من الله ، وانما يأتيهم من هـــذه الأموال المغصـــوبة ، والحقوق المنهوبة • والا لما اغتصـــبوها ولا انتهبوها • فهم باجرامهم وبشـــاعة ظلمهم ، واسرافهم على أنفسهم ، وقنوطهم من رحمة الله أو شـــكهم فيها واعتمادهم على غير الله فى حياتهم يعتبرون ممن يشركون مع الله آلهة أخرى ــ هى آلهة المال والجـــاه يعبدونها مع الله أو من دون الله فانتهى أمرهم الى الشرك والعيـــاذ بالله فاستحقوا عذاب المشركين فى نار جهنم خالدين فيها أبدا •• !!

أما اذا أريد بالخلود ــ المكث الطويل فى نار جهنم وبئس المصير

ــ فهو خلود مهما كانت مدته التى يعلمها الله لا يمكن أن يطيقه انسان أو يحتمله بشر • فأيام الآخرة غير أيام الدنيـــا •• من حيث الزمن أو مقـــدار الوقت •• أليس الله يقول : ((**وان يوما عند ربك كألف ســنة مما تعدون**)) ؟ فهل يطيق الظالمون هــذا العذاب الاليم ــ ماكثين فيه أبدا ، أو ما كثين فيه هذا المكث الطويل ؟ !!

ألا ما أصبرهم على النار •• !! ان العمر لقصير ، والمتاع فى الدنيا قليل •• ولا فـــرار من المــوت ، ولا نجاة منه ، ولن يخلف الله وعده ولا وعيده ، وما بعد الدنيا من دار الا الجنــة أو النار •• وليس الى الحياة الدنيا من عودة بعد أن أنهى الله بالنسبة لها المدة ، وأضاع من أضاع فيها على نفسه الفرصة ••

فاللهم اهدنا صراطك المستقيم ، وحبب الينا العمل بشرعك القويم ــ ووفقنا بفضلك ورضاك لما فيه خيرنا وخير الاســلام والمسلمين اللهم آمين ••

عبد الحميد الفضالى

((رجل الدنيا وواحدها))

من منحه الله عمرا طويلا ، ونظرا صــحيحا وسبر أصناف العباد ، وطاف أقطار البلاد ، وأبعد نفســه عن خطة الشهوات ، وقمعها عن ارتكــاب قبيح الملذات فــلا محالة يكون رجل الدنيا وواحدها ، وهــو المعنى يقــول الشاعر ((ابن هانىء)) :

ليس على الله بمستنكر .. أن يجمع العالم فى واحــد

الهجـرة .. وبناء الحضارة الانسانية

للأستاذ / عبد الحكيم النجار

ان لكل أمة فى ماضيها حوادث وعلامات بارزة مضيئة .. ومواقف حاسمة رائعة صـلبة .. تملى على تلك الامة لونا من السلوك .. يتمم ما بدأته الاجيال الســابقة .. وينســج على منوالها .. وهذه ناحية مشتركة فى الأمم ثم يتميز بعدئذ بعضها عن الآخر .. بحسب وضوح ذلك الماضى واشراقاته ..

وأمتنا الاسلامية فى طليعة الامم التى تملك ماضيا مزدهرا من العزة والقوة .. وصـــفحات خالدة من البطولات والحضارات التى عاش عليها العالم أجمـــع حتى عصرنا الحاضر .. وان أروع تلك المواقف الفذة المضــيئة فى تاريخ امتنا الاسلامية حادثة الهجرة التى قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتى تعتبر أبرز علامة فى التاريخ الاســـلامى كله .. لما فيها من بطولات وتضـحيات وقيم للحياة جميعها ..

وتعتبر حادثة الهجــرة ثالثة الحوادث الكبرى فى فجر التاريخ الاسلامى ..

أولها مولد الرسول العظيم معلم الدنيا وواحدها .. وثانيهما نزول القرآن دستور الحياة .. ثم كانت الهجرة النبوية التى مهدت لتكوين المجتمع الانســــانى فى المدينة وانطلقت من هـــذا المركز الهام الدعوة للعالم أجمـع .. وانتشر الاســـلام فى ربوع الجـزيرة العربية ..

❋ وقد اشتمل حادث الهجرة على عظات ودروس ومفاهيم تحمل معانى الكفاح والجهاد والتضحية فى سبيل المبدأ والعقيدة ..

❋ وكان من نتائج الهجرة أن صار للاسلام دولة .. وصارت له قوة ..

❋ وكانت الهجرة المقدمة الرائعة التى كتبها الرسول لانتصارات الاسلام الكبرى فى تاريخه العظيم من أجل بناء الحضارة .. واعزاز الفكر .. وسيادة الكلمة .. بل كانت ومازالت مقدمة مهدت لكل مآثر الاسلام فى خدمة الحياة الانسانية والشعوب وفى اعزاز قيم الحياة ومثلها العليا من أجل نشر الاخاء والسلام والمساواة والعدل فى الارض .. فلا غرو أن ترتفع فى سماء المدينة لأول مرة بعد الهجرة راية العدل والحق والمساواة .. وأن تعمر وتنعم أرضها بالسلام بين أهليها المسلمين .. وأن تصبح موطن قوة قوامها العقيدة الراسخة والكفاح الدائب .. والتعبئة الكاملة وظهرت الروابط الوثيقة التى ألفت بين المهاجرين والانصار ..

الايمان بالمستقبل

فلقد كان المسلمون قبل الهجرة يملكون أنصبة وافرة من الايمان بالمستقبل يعتقدون أن دينهم لن يغلب — وان ضعف اليوم لن يدوم !! ويؤدون فرائض الجهاد والبذل والعطاء وهم راضون عن ربهم راجون ما عنده ..

والمجاهدون فى سبيل الله بشر تجيش فى أنفسهم المشاعر التى تجيش فى نفوس غيرهم .. من تقدير للحياة وكفالة الاولاد .. وتأمين العيش لأنفسهم وأهليهم !! بيد أنهم وازنوا بين مطالب الحق .. وأشواق الدنيا ثم آثروا وعد الله بالعزة وتكريم الانسان ..

الصراع النفسى

ونستعرض معا هذا الحديث الذى يصور لنا الصراع النفسى لدى أنصار الحق .. وكيف

يخرجون منه أوفيـاء لله •• للحق وبالحق ومن أجل الحق ••

عن (سـبرة) ابن (الفاكه) رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(ان الشـيطان قعد لابن آدم بطريق الاسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك) ؟

فعصاه ، فأسلم •• فغفر له !

وقعد له بطريق الهجرة : فقال له : تهاجر • وتذر دارك وأرضك وسماءك ؟ فعصاه فهاجر •

قعد له بطريق الجهـاد فقال : تجاهد وهو جهـد النفس والمال • فتقـاتل فتقتـل ، فتنكح المـرأة ويقسم المال فعصاه • فجاهد •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم • فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة •• وان غرق كان حقـا على الله أن يدخله الجنة ـ وان وقصـته دابة كان حقـا على الله أن يدخله الجنة •• هـذه طبيعة ونتائج الاستمسـاك بالحق والتفانى فى نصرته ••

كلمـة الحـق

والمسلمون الأوائل لم تنقصهم الثقة فى مستقبل الدعوة التى آمنوا بهـا •• ومن أجل ذلك هاجروا وخاضـوا الحروب وبذلوا النفس والمال والولد فى سـبيل اعلاء كلمة الحق والعـدل والنهوض بحقوق الدين الجـديد •• الذى انطلقت دعوته فى جميع الأرجاء ••

كلمة أخيرة ••

لم تكن الهجرة خوفا على النفس •• أو هروبا من ميدان الكفاح •• كما يدعى بعض المسـتشرقين الحاقدين على مكانة الاسـلام •• ولكنها كانت بوحى من السـماء لحماية الدعوة التى حملها رسول الانسانية صلى الله عليـه وسلم وأبلغها عن ربه العظيم •• الواحد الأحـد ••

ان الهجرة فى مدلولها الواسـع

الشاسع وفى حقيقتها وواقعها الحى تتلخص فى كلمات منيرة اهمها ..

* هجرة النفس لما تأباه ..
* وهجرة القلب لما ينكره ..
* وهجرة العقل لما يفسده ..
* وهجرة الأرواح لما ينسجم معهـا ..

وهـــذه الهجرات المعنوية هى نتيجة طبيعية لجوهر الاســـلام ورســـالته الخالدة خلود الزمن الباقى من الـــزمن والتى أنارت الدنيا بنور الحـق والعدل والكمال والجمال ..

والله من وراء قصدنا وهو نعم المولى ونعم النصير ..

عبد الحكيم النجار

« المتحالم »

قيل للأحنف ما أحلمك قال : لســت حليمـا ولكنى أتحالم . والله انى لأسمع الكلمة فأحم لها ثلاثا مايمنعنى من جوابها الا الخوف من أن أسمع ماهو شر منها .

أم معبد

للدكتور/ محمد محمد الشرقاوي

أفردت كتب السيرة جميعها مكانا مرموقا ، وأسطرا مضيئة لأم معبد ، وخيمتها •• تلك التى كانت علامة بارزة على طريق الهجرة النبوية الشريفة ، وسجلا تاريخيا لما دار فى جنباتها من حديث ، وحدث : فأما الحديث فقد تقارضه زوج أم معبد واسمه أكثم — كما فى بعض الروايات — مع زوجته •• متعجبا فى أوله •• مؤمنا فى نهايته •• ملما بين البدء والنهاية بملامح الشخصية النبوية المهاجرة •• من وصف زوجته لها ، وتحديدها لمعالمها فى دقة بارعة ، ولهجة صادقة •• جعلت بعض السامعين له يسألونها : — كما فى الأجوبة المسكتة لابن عون — ما بال صفتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه من سائر **صفات من وصفة من الرجال •• ؟**

فقالت : أما علمتم أن نظر المرأة من الرجل أشفى من نظر الرجل الى الرجل ، وأما الحديث فهو ما دار فى تضاعيف ذلك مما سنقصه عليك .

أصبح الناس يوما فى مكة وهم يسمعون صوتا ناغما ، ولحنا عربيا صميما •• يردد على أسماعهم بيتين من الشعر •• يسمعون الصوت ، ولا يرون صاحبه ، ويطربون من وقع النشيد ولا يدركون مصدره •• حتى ان بعضهم تبعوه فى مسيرته الهاتفية •• من أسفل مكة الى أعلاها •• يستعيدونه معه حتى خرج من مكة •• وهم فى عجب

عجيب ، وشك مريب .. أهـذا صوت رجل مؤمن يكتم ايمانه من قـريش ، خـوفا منهـم ، واتقاءلهم .. ؟ أم هو صـوت الجن الذى كانوا يسندون اليـه كثيرا من الأقـوال الشـعرية وغيرها .. حسبما درجت عليـه الجاهلية ، واعتاده أهلها من حيث الشياطين لهم ، حـين يوحـون اليهـم ، أو يتنبـأون لهـم .. أو يضلونهم بنقول الغيب ، قبـل أن تعزل عنهم السـماء بعد بعثة الرسـول صلى الله عليه وسـلم بالشهب والنجوم .. أما البيتان فهما :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقـين حلا خيمتى أم معبـد
هما نزلا بالبـر .. ثم ترحـلا
فأفلح من أمسى رفيق محمد (١) .

فأما أسـماء بنت أبى بـكر الصديق رضى الله عنهما ومن كان على شاكلتها من أهل بيتها ، فقد أدركوا من ثنايا النشيد المنغوم ما سرى فيه من رموز وايحاءات .

وفى ذلك تقـول ـ فيما رواه ابن اسحاق كما فى السـير جـ ٢ : ٤ ، ٥ ـ (فلما سمعنا قوله عرفنـا حيث توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وأن وجهـه الى المدينة .. وكنا مكثنا ثلاث ليال ، وما ندرى أين وجه رسـول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبـل رجل من الجن من أسـفل مكة يتغنى بابيات من شـعر غنـاء العرب ، وأن الناس ليتبعونه .. يسمعون صـوته ، وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة .. وهو يقول .. ما يقول) وقد أورد ذلك ابن هشام فى سيرته ، ناسبا بعض الأبيات الى غير ابن اسحاق .. وفى ذلك يقول صـاحب الهمزية :

وتغنت بمدحـه الجـن حتى
أطرب الانس منه ذاك الغنـاء

الا أن بعض كتاب السـيرة المتأخرين قد استبعد صدور مثل ذلك القـول من جـن حقيقى .. فحمله على معنـاه المجازى وتأول قول أسـماء بنت أبى بكر تأولا

---

١ ـ السيرة الحلبية جـ ٢

بعيدا ليس له عليه دليل ، ولا منه الى غيره مندوحة .. اذ قال (١) : ان المذكور فى رواية أسـماء ليس الا رجلا من المؤمنين يكتم ايمانه بمكة خوفا من بطش أهلها ، وأن ذلك اشارة من أسـماء الى الجن الذى يملى على كل شاعر شعره . كما كان العـرب يعتقدون ذلك ، وأن ذلك الرجل المؤمن كان يتسمع اخبار المهاجرين .. فكان يبـدى فرحته ، ويعرب عن مشاعره بهذا الشعر فى هذا الغنـاء المرسل .. سرورا بما يلقاه المهـاجرون من توفيق .. ولسـنا ندرى .. من أين جاء صاحب هذا القول بهـذا الرأى الذى لم يشاركه فيه غيره، أهو اسـتبعاد حقيقة الجـن من حياة الانس ، أم مجرد احتمـال عقلى لا دليـل عليه الا ما عـلق بذهنه من خيـالات الشـعراء وأوهامهم الـذين كانوا يعـربون عن غرائب ما اعتمل فى قرائحهم من شعر معجب بأنه من أحاديث الجن وليس من بنـات أفكارهم ، ولا من صنع فنونهم .. أننا نرى ولا سيما فى هـذا المقام المتعلق بالنبوة والرسالة وما يكتنفهما من امكانيات المعجزة ـ انه ليس كل احتمال عقلى جائز الورود لمجرد الاعتماد على أقاويل الشـعراء ، وأفـانين المفتـونين .. وانمـا الاحتمال الجدير بالنظر هنا هو ما استند الى دليل سمعى صـحيح تدعمـه قـوة الحجـة ، ومنطق الاستدلال .. وهذا هو ما يؤيـد قول أسماء رضى الله عنها وحمله عـلى حقيقتـه دون اللجـوء فى تفسير قولها الى المجـاز المفتقر الى القرينة .. فقد وصفت ذلك الرجـل الجنى بأن القـــوم (يسمعون صوته وما يرونه) .. وهذا يتفق مع قول الله تعالى فى حديثه عن الجن : **(انه يراكـم هو وقبيـله من حيث لا ترونهم)** وقوله تعالى : **(وان الشـياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم)** وكان من المعتاد فى أعراف العرب الى وقت قريب أحـاديث الجـن

---

١ ـ فقه السيرة : ١٧٤

تلقى اليهم عن طريق التقمص بالأصنام والأوثان حاملة لهم أخبارا ببعض الغيوب المسترقة من السماء حين كان للجن فسحة فى القعود منها مقاعد للسمع قبل بعثة الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الحراسة على أنباء السماء فى ذلك الحين لم تكن من القوة والشمول الى الحد الذى يمنع ذلك على الاطلاق .. فكان المشركون وعباد الأصنام يزدادون بذلك ضلالا الى ضلال ، وغيا على غى .. ولم يكن حديث الجن للانس مستغربا فى تلك البيئة ، ولا مستبعدا فى مجالات الحياة . حتى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فكان من علامات بعثته ، وعظائم معجزاته تشديد الحراسة على السماء حتى لا يسترق عندها السمع ، ولا تتلقف منها أخبار الغيوب وهذا ما حكاه القرآن الكريم . وذكرته السنة الصحيحة .. ففى سورة الجن(١) يقول الله تعالى : **(وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)** ويقول تعالى فى سورة الملك (٢) : **(ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير)** ففى تفسير الجلالين صحيفة ٧٤٩ : (اذا استرقوا السمع بأن ينفصل شهاب عن الكواكب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الجنى أو يخبله . لا أن الكوكب يزول عن مكانه) ، وذكر أبو نعيم فى الدلائل من حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى استراق الجن السمع ليلقوه الى أوليائهم : (فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالنجوم) .. ولذا عبرت أسماء برجل من الجن يرفع عقيرته بهذا الشعر .. وأن الناس تبعوا هذا الهاتف غير المرئى وهم يسمعون صوته من حيث لا يرون صورته . حتى خرج من أعلى مكة وفارقهم وهم له سامعون .. ، فاذا أضفنا الى هذا أننا بصدد الحديث عن

---

١ ــ آية ٩ (٢) ــ آية ٥

نبى كريم أحـاطه اللـه تعـالى برعايته ، وكلاه بعنايته ، وجعـل له معجـزات لاثبات وجـوده ، وتأكيد صدق دعوته لم نستبعد ، ولا يليق أن نسـتبعد أن هـذا المتحدث الهـاتف كان رجـلا من رجال الجن على نحـو ما ذكرت أسماء بلا تجوز ، ولا تأول ، ولا استبعاد .

والبيتان يشـيران الى واقعـة عرضت للرسـول صلى الله عليه وسلم ابان رحلته التاريخيـة فى طريقه من مكة الى المدينة مهاجرا الى ربه فى صحبة ثلاثة : صاحبه الصديق أبى بكر رضى الله عنه ، وعـامر بن فهيرة ليخـدمهما ، وعبدالله بن أريقط ليدلهمـا ، ويسلك بهما طريقا غير معتـادة ، تعمية على المشركين ، ومبالغة فى الحيطـة والحـذر .. اذ كانت قريش تمد جن جنونها ، وفقـدت أعصـابها حين اكتشفت خـروج النبى من بين أظهـرها من حيث تدرى أولا تـدرى .. فلم تـأل جهدا فى البحث عنه ومطاردته فى بطون الأودية ، ومخارم الجبال ، ورصدت لذلك المـال الوفـير ، والجهد الكبـير للظفـر بمحمـد وصاحبه حيين أوميتين .. وقـد نجحت خطة دليل الرحلـة أيمـا نجاح ، وانقطعت أخبار القـافلة المهاجرة .. التى ظلت تنتقل من درب الى درب ، ومن طـريق مهجور الى مسلك مغمور .. حتى بلغت منازل خزاعة فى قديد ، وهو نفس المـكان الذى أدرك فيـه سراقة الرسول صلى الله عليـه وسلم وصاحبه وحـدث بينهمـا ما حدث .. بيد أنهما فى الجانب الآخر منـه مما يلى المدينـة .. ونزل الركب عند خيمة أم معبـد التى خلدتها احـداث الهجـرة ، وكتبت لها فى سجل المجد والشرف أروع أقصـوصـة ، وأمتـع أحـدوثة .. كـانت أم معبـد واسـمها عاتـكة امـرأة بـرزة لا تحتجب عن الرجال بل تجالسهم وتتحدث اليهم فى عفة وشرف .. وكانت جلدة أهلتها جلسـتها تلك لأن تـكون ذات طـاقة وقـوة واحتمـال .. وكانت تختبىء فى

كسر خيمتها فى بعض الطريق الذى يسلكه عادة المارة والمسافرون ليجدوا عندها ما يتبلغون به فى رحيلهم من طعام أو شراب أو لبن أو نحو ذلك .. وكانت تتكسب من ذلك .. وهى فى ذلك أشبه ما تكون بمحطات الاستراحة اليوم (الرست هاوس) فى طريق المسافرين ..

وسألها الرسول صلى الله عليه وسلم حين نزل هو وأصحابه عندها عن شىء يشترونه فلم يجدوا عندها غناء .. اذ كان الوقت وقت جدب وقحط واملاق وقالت لهم : (لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القرى) ونظر الرسول صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر خيمتها فسألها : ما هذه الشاة قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم .. فقال : هل بها من لبن ؟ .. قالت : هى أجهد من ذلك .. قال : ألا تأذنين فى حلبها ؟ قالت : والله ما ضربها من فحل قط .. فشأنك .. أى أصلح شأنك بها .. ان رأيت فيها حلبا فاحلبها .. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة ، ومسح ضرعها بيده الشريفة ، وذكر اسم الله تعالى وقال : اللهم بارك لنا فى شاتنا .. فدرت واجترت وتفاجت .. أى فتحت ما بين رجليها للحلب ، ودعا باناء يكفى الرهط .. فحلب فيه ثجا .. أى بقوة حتى علته الثمالة .. أى الرغوة .. فحلب فيه حتى امتلأ .. فسقاها ، وحاولت تقديمه فى السقى فلم يرض .. ثم سقى أصحابه حتى رووا عللا بعد نهل .. وشرب هو صلى الله عليه وسلم آخرهم قائلا : ساقى القوم آخرهم .. ثم حلب ثانيا ، وترك الاناء مملوءا لبنا ثم ارتحلوا عنها .. وفى ذلك يقول السبكى فى تائيته :

مسحت على شاة لدى أم معبد
بجهد فألفتها أدر حلوبة

ويقول صاحب الهمزية فى وصف راحته الشريفة :

درت الشاة حين مرت عليها
فلها ثرة بها ونماء

عاد بعد ذلك زوجها أبو معبد واسمه أكثم فى بعض الروايات ، ومعه أعنزه العجاف فراعه ما رأى : امرأة يفيض وجهها سرورا وانفعالا واناء مملوء لبنا خالصا سائغا للشاربين فسأل زوجته من أين لكم هذا والشاة عازب ولا حلوبة عندنا ؟ قالت : لا والله .. الا أنه مربنا رجل مبارك كان من حديثه أن طلب الشاة ودعا فدرت واجترت ، وقال : والله انى لأراه صاحب قريش الذى يطلب ، ولو رأيته لا تبعته ، ولأجتهدن أن أفعل ، صفيه لى يا أم معبد قالت : ظاهر الوضاءة، منبلج الوجه (أى مشرقة) حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة (أى كبر البطن وضخامتها) ، ولم تزريه صعلة (أى لم يقل من قيمته صغر رأسه) كأن عنقه ابريق فضة (والا بريق هنا هو السيف الشديد البريق) وسيم قسيم ، فى عينيه دعج (شدة سواد العين وكان بياض عينه صلى الله عليه وسلم مختلطا بشىء من الحمرة علامة على الشهامة التى هى من دلائل النبوة) وفى أشفاره وطف (أى على حروف أجفانه ينبت شعر طويل) : وفى صوته صحل (أى بحة من أثر السفر) ، أحور أكحل، أزج أقرن (الازج : دقيق طرف الحاجب ، والأقرن : متشابك الحاجبين) شديد سواد الشعر ، فى عنقه سطح (أى نور) وفى لحيته كثاثة (أى لا طويلة ولا دقيقة) اذا صمت فعليه الوقار ، واذا تكلم سما به (أى فاق جلساءه) وعلاه البهاء .. كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هذر ، أجهر الناس (أى أظهرهم) وأجملهم من بعيد ، وأحلاهم وأحسنهم من قريب ، ربعة (أى بين القصير والطويل) لا تشنؤه من طول (أى لا تبغضه) ولا تقتحمه عين من قصر .. غصن بين غصنين (أى اذا كان بين اثنين كان أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا) له رفقاء يحفون به .. اذا

قال استمعوا لقوله ، واذا أمر تبادروا الى أمره) ، وقد جاء فى شرح السنة للبغوى : (أنها هاجرت وزوجها وأسلما كما أسلم أخوها حبيش واستشهد عام الفتح) •• وكان لهذه الحادثة حادثة مشابهة لشاة حائل مسح الرسول صلى الله عليه وسلم بيده عليها فدرت وكان ذلك سببا فى اسلام ابن مسعود رضى الله عنه (رواه أحمد من حديث ابن مسعود باسناد جيد) كما فى العراقى على الاحياء جـ ٢ : ٣٣٤) ، وفى تاريخ العينى شارح البخارى : (أن قريشا فى طلبها الرسول صلى الله عليه وسلم بلغوا أم معبد وسألوها ووصفوه لها •• فقالت : ما أدرى ما تقولون ضافنى حالب الحائل•• فقالوا : ذلك الذى نريده •• وبعد •• فهذه أم معبد ، وتلك خيمتها وشاتها قد نطقت بذكرهم أهازيج الصحراء ، ونسجت قصتهم بيد السماء ، وتعطرت بأحاديثهم محافل الأرضين ••

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت
أتاح لها لسان حسود

دكتور / محمد محمد الشرقاوى

« الأدب أفضل من العلم »

الأدب الكثير مع العلم القليل خير من العلم الكثير مع الأدب القليل ، فأن قليل الأدب لا يعبأ به ، ولا يؤخذ عنه ، ولو أخذ عنه للحاجة كان النفع به قليلا ، وأقل ضرر ينشأ من قلة أدبه يفسد الأخلاق ، وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم — ليتمم مكارم الأخلاق •

الأمن

ومقاومة الجاسوسية والتخريب في ضوء الإسلام

للواء محمد جمال الدين محفوظ

اللسان وأمانة الكلمة :

من المبادىء المعروفة أن الامة التى تكتم أسرارها الحربية هى الأمة التى يمكن أن تنتصر ، والأمة التى لاتكتم أسرارها الحربية هى الأمة التى لا يمكن أن تنتصر وما يقال عن الأمة يقال عن الافراد ، لأن الأمة تتكون من أفراد .

اللسان الذى هو نعمة من نعم الله على عباده ، يستطيعون به التعبير عن آرائهم وتبادل المنافع مع الناس هو وسيلة الخير والسعادة فى الدنيا والآخرة اذا أحسن استعماله ، كما أنه سبب قوى للشر والشقاء فى الدارين اذا أسىء استعماله فهو سلاح ذو حدين يمكن به النفع ويمكن به الضر .. والقرآن الكريم ينبىء بأن كل لفظ من الانسان مسجل عليه ، فيقول الله ــ تعالى :

« ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » (ق ١٨) .

فالكلمة امانة عظمى لها مكانتها فى الاسلام ، وتقدير امرها ، والتدبر فيها قبل اللفظ بها مرتبط بالايمان كما يفهم من قول النبى صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » .

ويقول الله ــ تعالى ــ :

« ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ،تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ، « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة

اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار » • (ابراهيم ٢٤ — ٢٦)

والمراد بالكلمة الطيبة شهادة ألا اله الا الله ، وقيل : دعوة الاسلام ، وقيل : كل كلمة حسنة ، والمراد بالكلمة الخبيثة : كلمة الكفر ، أو الدعاء اليه أو الكذب أو كل كلمة لا يرضاها الله — تعالى •

وافشاء الأسرار التى تعود على الأفراد والأمم بالأضرار من الكلام الذى لايرضاه الله — تعالى — ، وكذلك كل كلام فيه سعى بالفساد والافساد مندرج تحت الكلمة الخبيثة •

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « ان أحدكم ليتكلم الكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغته فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيامة ، وأن أحدكم ليتكلم الكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت • فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم يلقاه » •

وعن سفيان بن عبد الله الثقفى قال : قلت : يا رسول الله ، حدثنى بأمر أعتصم به ، قال « قل ربى الله ثم استقم » قال : قلت : يا رسول الله : وأخوف ماتخاف على ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال « هذا » • كذلك قال عليه الصلاة والسلام « رحم الله امرأ أصلح من لسانه » •

كتمان الأسرار :

وينبه الاسلام الى اليقظة والحذر فى قوله — تعالى — : **«يأأيها الذين آمنوا خذوا حذركم»** من الآية ٧١ من سورة النساء (من آية النساء) وكما فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «المؤمن كيس فطن» فاليقظة والحذر والوعى والفطنة كلها تدفع الى كتمان الأسرار التى جعلها الاسلام أمانة من الامانات يجب على المسلمين أن يحافظوا عليها ، كما قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم** » (الأنفال ٢٧) وقال النبى عليه الصلاة والسلام « الا لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » وقا أيضا : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان » •

وقال عليه الصلاة والسلام «اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة» •

وقال : « انما يتجالس المتجالسان بالأمانة ، ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره» •

وقال « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » •

غرس وعى الأمن بالتربية والتوعية :

وكان الصحابه رضوان الله عليهم يعلمون أولادهم المحافظة على السر ، قال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله : انى أرى هذا الرجل ــ يعنى عمر بن الخطاب ــ يقدمك على الأشياخ (يعنى كبار الصحابة) فاحفظ عنى خمسا :

لاتفشين له سرا ، ولا تغتابن عنده أحدا ، ولا يجربن عليك كذبا، ولا تعصين له أمرا ، ولا يطلعن منك على خيانة •

وقال أنس بن مالك : أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان ، فسلم علينا ، فبعثنى فى حاجة ، فأبطأت على أمى ، فلما جئت قالت : ما حبسك ؟ (أى أخرك) فقلت : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة • قالت : ماحاجته قلت : انها سر ، قالت : لا تخبرن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا •

الصمت :

الصمت من أكبر أسباب الوقاية من أفشاء الاسرار (والوقاية خير من العلاج) والاسلام يرشد الى الصمت ويدعو المسلمين اليه ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

ــ « من سره أن يسلم فليلزم الصمت » •

ــ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » •

ــ « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه ، وأنفق الفضل من ماله » •

ــ « الصمت حكم وقليل فاعله » •

ــ « امسك عليك لسانك » •

« من كف لسانه ستر الله عورته » •

كبح شهوة الكـــلام (الثرثرة والتحدث بدون حرص) :

من الناس من تتحكم فيه شهوة الكلام أكثر مما تتحكم فيه شهوة الطعام ، فيستر جهله بادعاء العلم (وخاصة ببواطن الأمور) فيطلق لسانه فيما يعرف وفيما لا يعرف فلا يدع سرا الا أذاعه ، ولايتخيل حديثا الا جعله حقيقة ملموســة ، ولا يتــورع عن ترديد ما يلقى فى أذنيه من أبناء هدفها ايقاع الضرر بالأمة كالاشاعات وغيرها ٠

والاسلام ينهى عن ذلك كمـا يفهم من قوله تعالى :

« ومن الناس من يشترى لهـو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ، ويتخذها هزوا أولئك لهـم عذاب مهين» (لقمان ٦) ٠

وقوله جل شأنه :

« ومن الناس من يعجبك قولــه فى الحياة الدنيا ويشهد الله عـلى ما فى قلبه وهو ألد الخصام ٠ واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرثوالنسل والله لايحب الفساد »(البقرة ٢٠٤ ــ ٢٠٥)٠

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « المسلم من سلم المسلمون مــن لسانه ويده » ٠

ــ وقال « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه » ٠

ــ لاتتكلم فيما لا يعنيك فانــه فضل (فضــول) ولا آمن عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما يعنيـــك حتى تجد له موضعا » ٠

النهى عن التطفل :

من القواعــد الاساســـية فى الآداب الاسلامية أن يرعى المسلم أخاه المسلم ، فلا يظلمه ولا يخذله ولا يكشف سره ، ولايهتك ستره ، ولا يسخر منه ، ولا يتجسس عليه ومن تمام الايمان أن يحب لأخيه مايحبه لنفسه ، ويكره له ما يكره لها ، فلا يقتحم عليــه بيته دون استئذان لأن للبيوت حرماتهــا ، المصونة ، ولا يتدخل فى شــئونه الخاصة لانها لا تعنيه ، بل تؤذيه وفى هذا التدخل هتك للأســـتار وكشف للاسرار ، وانتهـــاك للحرمات ، ولهذا كانت عقــوبته من أشد العقوبات ٠

وذلك مايفهم من قوله تعالى :

« يايها الذين آمنــوا لا تدخلوا

بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم أرجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم » النور ٢٧ — ٢٨

وقوله جل شأنه :

« أن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد أحتملوا بهتانا وأثما مبينا » (الأحزاب ٥٧ — ٥٨) .

وقال عليه الصلاه والسلام :

« من اطلع فى بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم أن يفقئوا عينه » .

— « ايما رجل كشف ستراً فأدخل فيه بصره قبل أن يؤذن له فقد أتى حدا لا يحل له أن يأتيه ، ولو أن رجلا فقأ عينه لهدرت » .

— « اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » .

النهى عن الفضول :

ومن الناس من تستبد به شهوة الفضول ويحضره حب الاستطلاع على التدخل فيما يعنيه ومالا يعنيه من شئون الآخرين ، فتراه دائما يمد بصره ويرهف سمعه ، ويدس انفه فى كل أمر من الأمور ، وتراه أن وجد من الناس اعراضا عنه يسعى الى اشباع فضوله بالقاء الاسئلة فى الحاح والحاف ، وكل ذلك يتنافى مع مبدأ السرية والأمن ، ويؤدى الى كشف الأسرار ، لذلك نهى الاسلام عنه كما يفهم من قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم » (المائدة ١٠١)

ومن قوله : **« رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين » (هود ٤٧)** .

وقوله جل شأنه :

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » (الحجرات من الآية ١٢) .

وقوله :

« **يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا** » (الاحزاب ٢٠) .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام :

— « من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه الآنك (أى الرصاص المذاب) يوم القيامة » .

— « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه : لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته ، يفضحه فى بيته » .

— ونصح صلوات الله وسلامه عليه أصحابه فقال لهم « لايبلغنى أحد عن أحد من أصحابى شيئا ، فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر » .

— « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه » .

— « ذرونى ما تركتكم فانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم وخلافهم على أنبيائهم ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » .

ولقد أدى تمسك المسلمين بتعاليم الاسلام فى مجال الامن الى انه لم يرد فى تاريخ صدر الاسلام حوادث خيانه أو تخابر مع العدو .

دروس عملية فى الأمن من حياة النبى : —

والدروس العملية التى يستطيع المسلمون أن يتعلموها من النبى صلى الله عليه وسلم فى مجال السرية والأمن أكثر من أن تعد وتحصى :

فلقد كان من أسباب نجاح الدعوة الاسلامية أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بدأ سرا .

ولما شاهد على — رضى الله عنه — النبى يصلى هو وخديجة : رضى الله عنها — قال : يامحمد ماهذا ؟

قال : دين الله الذى اصطفى نفسه وبعث به رسله ، فأدعوك

الى الله وحده لا شريك لــه والى عبادته وأن تكفر باللات والعزى.

فقــال على : ــ هــذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم ، فلسـت بقــاض أمرا حتى أحــدث به أبا طالب (أى أباه) .

لكن الرســول صلى الله عليه وسلم كره أن يفشى سر الدين قبل أن يستعلن أمره ، فقــال لــه : ياعــلى ، اذا لم تسـلم فاكتم . فامتثــل عــلى للأمر حتى جــاء الرسول فى الصباح التالى وأعلن اسلامه وكتم ذلك عن أبيــه ولم يظهره .

ونحن نعــرف كيف خطط النبى صــلى الله عليــه وسلم للهجرة ، وكيف نفذها ، وكيف طبقت قواعد السرية والأمن على أكمل الوجوه ، سواء فى التخطيط أو فى التنفيذ ، وكيف أن ذلك كان من أهم أسباب نجاحها .

وعن كعب بن مالك رضى اللــه عنه أنه قال : « لم يكن رســول الله صلى الله عليه وســلم يريد غزوة الا ورى بغيرها « (ليجعــل الأمر سرا وليخدع العدو) .

ومن الأمثلــة العمليــة فى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد تأديب بنى لحيان الذين غــدروا بدعاة المسلمين ــ وكانوا ستة من كبار الصحابة ــ أظهــر أنه يريد الشــام ، وتحرك فعلا بقــواته شمالا ، فلما اطمأن الى انتشــار أخبار تحركه الى الشمال باتجــاه الشام ، عاد راجعا باتجــاه مكــة مسرعا فى حركته حتى بلغ منــازل بنى لحيان ، ولكن بنى لحيان فروا الى رءوس الجبال ، واســتطاعوا النجاة بأرواحهم وأموالهم .

ومما يذكر أيضا فى هذا المجال قصة نعيم بن مسعود الغطفــانى الذى جاء النبى صلى الله عليــه وسلم فقال له النبى : « انما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة » .

فقام نعيم بمهمته خير قيــــام ونجــح فى التفريق بين القــوى الثلاث التى تجمعت لقتال المسلمين (قريش والقبائل العربية ومنهــا غطفان قبيلته ويهود بنى قريظة)، وكان مما ساعد على نجاح مهمته مراعاة مبدأ السرية والأمن :

فقد كتم النبى صلى الله عليه وسلم اسلام نعيم ، وكتم نعيم اسلامه فلم يعرف قومه ولا بنو قريظة ولا قريش عن اسلامه شيئا ، فلو لم يطبق الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ السرية والأمن ، ولو لم يطبقه نعيم ، فهل كان بامكان نعيم أن يقوم بهذا الدور الحاسم فى تفرقة صفوف الأحزاب ، ونزع الثقة من نفوسهم ؟

وقد ابتكر الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب (الرسائل المكتوبة) مراعاة للسرية والأمن وحرمان أعداء المسلمين من الحصول على المعلومات التى تفيدهم عن تحركات المسلمين وأهدافهم .

فقد بعث صلوات الله وسلامه عليه سرية من المهاجرين قوامها اثنى عشر رجلا بقيادة عبد اللهبن جحش الأسدى فى مهمة استطلاعية ، وسلمه رسالة (مكتوبة) تحتوى على تفاصيل المهمة من حيث الهدف والمكان وغير ذلك من التعليمات ، وأمره الا يفتحها الا بعد أن يسير يومين .

وتعتبر غزوة الفتح من أروع الأمثلة التاريخية فى مجال السريه والأمن والكتمان : أن أقرب المقربين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صاحبه ابو بكر الصديق ، أول من آمن به فى الاسلام ، كما أن عائشة بنت الصديق أبى بكر كانت أحب نسائه اليه ، ومع ذلك كانت عائشة لا تفشى لابيها شيئا عن سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر الصديق وابنته عائشة لا يعلمان من أسرار رسول الله شيئا .

فحين عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة دخل على زوجته عائشة وقال لها : « جهزينا واخفى أمرك » وقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم خذ من قريش الأخبار والعيون حتى نأتيهم بغتة » .

ودخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنهما — وهى تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعمل قمحا وسويقا

(المعروف بالفريك) ودقيقا ، فقال : ياعائشة أهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغزو ؟ قالت : ما أدرى ، لعله يريد بنى سليم ، لعله يريد ثقيفا ، لعله يريد هوازن . فاستعجمت عليه حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أردت سفرا قال: نعم . قال أفأتجهز ؟ قال : نعم . قال : فأين تريد يارسول الله ؟ قال قريشا وأخف ذلك يا أبا بكر ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز ، وأخفى عنهم الوجه (أى الاتجاه) الذى يريد .. حتى كان هناك من يظن أنه يريد الشام ومن يظن أنه يريد ثقيفا ، ومن يظن أنه يريد هوازن .. وقد احتوت غزوة الفتح على الكثير من اجراءات الأمن التى كان لها أكبر الأثر فى تحقيق المباغتة الاستراتيجية وفتح مكة بلا قتال .

لواء محمد جمال الدين محفوظ

الى السادة الراغبين فى الاشتراك بالمجلة الاتصال بتوزيع الأخبار فى بلادهم .

اللغة والمجتمع

للدكتور عبد الغفار حامد هلال

كتبت فى الجزء السابع من المجلة عدد رمضان ١٣٩٩ هـ ــ أغسطس ١٩٧٩ م مقالا فى هذا الموضوع (اللغة والمجتمع) من ص ١٧٦٤ ــ ١٨٧١ تكلمت فيه عن أهمية اللغة للمجتمع ومظـــاهر ارتباطها به من جـــانبين : الجانب الأول تحدثت فيه عن الصلة بين اللغة والمجتمع وأهمية ادراكها فى الكشف عن خصائص الجماعات البشرية ، والثانى تناولت فيه العلاقة بين الفرد والمجتمع ومدى ارتباطهما باللغة تأثرا وتأثيرا ٠

وقد حللت هناك كثيرا من مظاهر تأثر وتأثير الفرد فى اللغة من ناحية الأصوات والمفردات والتراكيب ٠

ففى الأصوات بينت من خلال جولات الباحثين أن اللغة لاتخلو من أثر صوتى للفرد يؤثر فيها ويتأثر بها حسب البيئات المتعددة التى يعيش فيها والظروف اللغوية والاجتماعية التى يمر بها ولذا فان التطور الصوتى للغة يعود فى بعض نواحيه الى الأفراد ٠

أما أثر الفرد فى المفردات والتراكيب فهو واقع لغـــوى يعترف به الباحثون ٠

ولعلك ــ أيها القارىء الكريم ــ قد اطلعت على هذا البحث المنشور ويمكنك معرفة مزيد من التفصـــــيل اذا رجعت اليـــه فى عـــدد المجـــلة المشـــــار اليه ٠

والمقال الذى نحن بصدده اليوم امتداد لسابقه فهو مكمل له وأحد جوانبه التى تقيم أسسا للعلاقة بين اللغة والمجتمع ، ونتناول فيـــه آثار المجتمع فى اللغة ــ بعد أن تناولنا آثار الفرد فيها ، فنقول وبالله التوفيق •

للغة ارتباط وثيق بالمجتمع تؤكده الظواهر التى نلحظها فى أصـــوات اللغة ، ومفرداتها ، وتراكيبها ، واذا كان الفرد الذى هو خلية من خلايا المجتمع له أثره فى توجيه اللغة ورقيها أو انحطاطها ، واتساعها أو ضيقها ، وحيويتها أو خمولها ــ كما ذكرنا فى مقالنا السابق ــ فان المجتمع المؤلف من مجموع الأفراد ، والطوائف المختلفة له ــ كذلك دون ريب ــ آثاره البارزة فى اللغة ، واتجاهات سيرها •

فالجماعات المتعددة للجنس البشرى ــ بأشكالها التى أشرنا اليها ــ وطبيعة البيئة التى تعيش عليها لها فعلها ، وأثرها فى لسانها الذى تستخدمه فى حاجاتها المتجـــددة بتجدد الزمان والمكان ، والصـــــناعات والحرف ، والثقافات على تنوع مشاربها ، ومناحيها ، ومؤثراتها ، كما أن اللغة تأخذ مظاهر شتى حسب اختلاف النـــاس فى عاداتهم ، وتقاليدهم ، ونظمهم الاجتماعية ، واعرافهم ، وأوضاعهم الطبقية غنى وفقرا ، وشرفا وضعة وما يربطهم من صلات ومبادىء ، وما يخضعون له من قوانين وضوابط ، وما يهمهم من شئون الحياة ، ثم ما يدينون به من اعتقادات ، الى غـــير ذلك مما تبدو آثاره اللغوية واضحة للمتأمل ، والباحث •

وسترى ــ أيها القارىء الكريم ــ فى هذا البحث بعض الظـــواهر اللغوية التى تؤكد صلة اللغة بالمجتمع ، ومدى ارتباط كل منهما بالآخر فى عدة جوانب اجتماعية لتدرك السنن والمناهج التى تخضع لها اللغات فى سيرها وحياتها •

١ ـ اللغة والجنس :

كتبت بعض البحوث فى (علم اللغة العام) عن العلاقة بين اللغة والجنس ، فرأى بعض الباحثين أن اللغة تختلف من حيث بنيتها ونظمها ، ومجاراتها للحياة والأحداث ، باختلاف المتكلمين بها ، من الشعوب ، حسب طبيعتهم الجسمية ، فلغات مجعدى الشعر تختلف عن لغات ملس الشعر (١) ولغات مستطيلى الرءوس غير لغات مستديرى الرءوس (٢) .

وقد استغل هذه النظرية أصحاب المذاهب السياسية ، ودعاة الاستعمار والغزو فتحدثوا عن طبيعة اللغات ، وفرقوا بين اللغات الهندية الاوربية واللغات السامية والحامية ، وادعى الغزاة ـ وهم من أرباب اللغات الأولى كالألمان ، والطليان ـ أنهم شعوب راقية ، وأن متحدثى اللغات الأخرى شعوب متخلفة ، ينبغى أن يخضعوا لسيطرة الأرقى .

وارتبط بذلك الحديث عن طبيعة اللغات المتخلفة ، فهى تعجز عن التعبير عن المعانى الكلية ، تتعقد فيها النظم ، وتفتقد منها الحيوية وهى لغات قاصرة عن التعبير عن متطلبات الحياة الراقية ، والأحداث العصرية ، ولا يمكن لها فى أى وقت أن تتطور الى الحد الذى وصلت اليه اللغات الاوربية الراقية .

وقد سرى الاعتقاد ـ كذلك ـ بين بعض الباحثين بأن اللغات ترتبط بعقلية أصحابها ، فاللغات الراقية ترتبط بعقليات الأمم الراقية ، والعكس صحيح .

فيرى العالم اللغوى الألمانى ف . ن فنك انه لا يجب علينا أن ننظر الى اللغات الا بوصفها آثارا معبرة عن عقل الشعوب ، وأن اللغات ليست

---

(١) فندريس : اللغة ص ٢٩٧ .

(٢) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ٦٥ .

الا تصـــويرات لا تقدم أمام عين العالم الســـيكولوجى آية حقيقـــة واقعية ملموسة ، وأن من الخداع لأنفسنا أن ندرســـها على أنهـــا حقائق واقعية ، فيجب أن نطبـــق عليها طريقة ذاتية محضة ، بـــألا نبدأ من اللغـــة التى ليســـت الا نتيجة ، بل من العقل الذى يخلـــق اللغـــة (١) .

وقالوا : ان وجود الأقســـــام الاسمية تشير الى عقلية (بدائية) كما فى لغات البانتو (٢) .

والحقيقـــــة أن ربط اللغـــــة بالجنس ، وبالعقلية ، تحـــكم لا مسوغ له ، فليس فى لون العينين، أو البشرة ، أو شكل الجمجمة أى دليل على شكل أو طبيعة اللغـــة ، وحتى فى حال المقارنة بين الزنجى والأبيض لا نجد أى دليل على أن لون البشرة أو شكل الشفتين يقابله دماغ خاص ينتج تفكيرا مختلفـــا عن تفكيرنا (٣) .

وعلماء الانثروبولوجيـــا يمكنهم عند العثور على جماجم آدمية أن يحددوا أنواعها ، المستطيل منهـــا والمستدير ، ولكن لا يمكنهم معرفة لغـــات أصحابها (٤) لأن وجـــود الجمجمة بين أيدينا لا يســـتطيع بحال أن يعرفنا شـــيئا عن أنواع الترابط بين الكلمات والأفكـــار ، التى كانت تتكون فيهـــا ، ولا عن الصور الكلامية التى كانت تنشأ فى مراكزها المخية (٥) .

ولا نستطيع أن نقـــول بوجود روابط ضرورية بين هاتين الفكرتين اذ لا ينبغى الخلط بين المميـــزات الجنسية المختلفـــة التى لا يمكن تحصيلها الا بالدم وبين النظم من لغة ودين وثقافة التى تعد أعيـــانا قابلة للنقل ، تعار وتتبادل (٦) .

---

(١) فندريس : اللغة ص ٢٩٩ .
(٢) د. السعران : اللغة والمجتمع ص ١٤ .
(٣) فندريس : اللغة ص ٢٩٨ .
(٤) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ٦٨ .
(٥) فندريس : اللغة ص ٣٧٦ .
(٦) فندريس : اللغة ص ٢٩٨ .

ومن التحكم أن نعتبر اللغة وليدة العقلية ، أو العقلية وليدة اللغة ، لأن كلتيهما وليدة الظروف، ونتاج الثقافة والمدنية (١) •

ومن الصحيح أن نقول : ان للغة صلة بالعقلية ، اذ من الجائز أن تكون اللغة والعقلية نتاجا لأسباب واحدة ، وأن تكون المميزات التى تميزها واحدة ، دون أن يترتب على ذلك صدور احداهما عن الأخرى (٢) •

واللغة — فى بعض الأحيان — تستطيع أن تعدل من العقلية ، وتنظمها فعادة وضع العقل فى مكان بعينه دائما يمكن أن تؤدى الى صورة خاصة فى التفكير وأن يكون لها أثر فى طرق الاستدلال ، والتفكير الفرنسى ، أو الألمانى ، أو الانجليزى خاضع للغة الى حدما فان اللغة اذا كانت مرنة خفيفة مقتصرة على الحد الأدنى من القواعد النحوية سمحت للفكرة بالظهور فى وضوح تام ، وأتاحت لها حرية الحركة ، وعلى العكس من ذلك تختنق الفكرة من التضييق الذى يصيبها من لغة جامدة ثقيلة ، ولكن عقلية المتكلمين تتصرف لتعتاد أى شكل من أشكال اللغة (٣) •

ومن الثابت أن بنية أية لغة من اللغات ذات علاقة بعقلية المتكلمين بها ، ونظمهم ، وحضاراتهم المادية (٤) •

ولكن ليس من المؤكد أن الأسباب التى تؤثر على اللغة تحدث فى العقلية آثارا مماثلة •

والواقع يناقض هذا الربط ويعارضه ، فخريطة أوربا اللغوية فى العصر الحاضر تضم أخلاطا من الأجناس •

ومع هذا فان فردا ينشأ لدى

(١) نفس المرجع ص ٢٩٩ •
(٢) نفسه ص ٣٠٢ •
(٣) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ٦٥ .
(٤) فندريس : اللغة ص ٣٠٠ .

شعب غير شعبه يكتسب لغته ، وإذا أراد تعلم لغة شعبه الأصلى احتاج الى مران طويل ، وتدريب شاق شأنه فى ذلك شأن أى أجنبى يريد تعلمها ، فالزنجى أو اليابانى الذى يربى فى فرنسا فى ظروف واحدة مع الاطفال الفرنسيين يتكلم الفرنسية كأحد أبنائها ، ولو أن طفلا فرنسيا تربى فى بيئة الزنجى أو اليابانى لتكلم لغة البيئة التى نشأ فيها (١) •

وان بعض اللغات التى كتب لها الذيوع والانتشار لتؤكد بطلان هذا الربط فالانجليزية قد انتشرت فى مساحات واسعة من الأرض فى قارات كثيرة أيام سيطر الانجليز على تلك الشعوب ، واستعمروها فتكلم كثير منها اللغة الانجليزية وأجادوها ، كأصحابها الأصليين ، وكذلك العربية بعد الفتوحات الاسلامية الواسعة قد فرضت نفسها على شعوب كثيرة ، وأجادوها كأهلها ، دون اعتبار الى الجنس أو اللون أو العقلية لدى هذه الشعوب المختلفة •

والحديث عن اللغات المتخلفة والراقية حديث غير موضوعى ، فاللغات التى تتسم بسمات (بدائية) يمكن أن تتحول الى راقية لو انفسح أمامها المجال ، وأتيحت لها ظروف التغير تبعا للتحولات الاجتماعية التى تمر بها الشعوب المتكلمة بها •

وقد حكى بعض الباحثين ما حدث لبعض الطلبة الهنود الأمريكيين من امكان تعرفهم على المثل العليا الافلاطونية ، مع خلو لغاتهم من الأسماء العامة التى تستعمل دون (مغير) (٢) •

وفى امكان اللغات القاصرة ، أو غيرها ، معالجة كافة العلوم بشرط أن تزود بالمفاهيم والمصطلحات الجديدة •

فلغات الشعوب البدائية تملك اصطلاحات ثقافية قليلة ولكنها

---

(١) انظر ص ٨ وما احلنا عليه من كلام فندريس فى كتابه (اللغة) ••

(٢) د • السعران : اللغة والمجتمع ص ٧١ بتصرف

لا تقل من حيث تكييف نفسها لكافة المجالات (الحياتية) عن لغاتنا المتحضرة .

فاللغة الأراندية لا تملك مفاهيم مثل (الجبل ـ التل ـ النهر) وعلى ذلك تكون لهجة تدريس الجغرافية أمرا صعبا جدا ، ولكن علينا ألا ننسى أن فيها أسماء لكل جبل ، وحتى لأصغر التلول .

ومن السخف التكلم عن اللغات (الأفضل) و (الأسوأ) ، ان هذا شبيه بقولنا : أيهما أفضل شجرة النخيل أم شجرة الصنوبر ؟ أفريقيا أم أوربا ؟

فالناس كلهم سواسية : بغض النظر عن الجنس والثقافة ، والعرق وبنفس الطريقة تتساوى كافة لغات المعمورة فى قيمتها وحقولها (١) .

٢ ـ اللغة والمكان والزمان :

للمكان أثره فى اللغة ، فقد لاحظ اللغويون أن لغة سكان الصحراء تختلف عن لغات سكان المناطق الأخرى من سهول ، وأراض زراعية ومدن صناعية .

فلغة الصحراويين خشنة الألفاظ ، غليظة الأصوات ، كما يتضح ذلك فى لغة العرب الجاهليين ، فالعربى فى الصحراء يجد أمامه الجو الهائل من الفراغ الطبيعى ، الذى يحتاج معه الى قوة عضلية ، حتى يتضح صوته ، ويصل الى ما يريد من أماكن قد تكون بعيدة عنه .

والبيئة التى يعيش فيها ، تشكل جسمه ، وعضلات نطقه ، بطريقة تجعلها مستعدة لاخراج مثل تلك الأصوات ، على حين أن سكان المدن يميلون الى رقة الألفاظ ، وانخفاض الأصوات ، ويتضح ذلك من تأذى النبى صلى الله عليه وسلم من سماع أصوات الأعراب العالية حين قدموا عليه فى المدينة، فطالبهم القرآن الكريم بعدم رفع أصواتهم **(يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر**

---

(١) كندراتوف : اصوات واشارات ص ٨٣ ، ٨٤ ..

بعضكم لبعض) (١) •

ويكفى أن نسمع — مثلا — كلمة (افرنقعوا) — بمعنى تفرقوا — وقول بعض العرب •

خالى عويف وابو علج
المطعمان اللحم بالعشج (٢)

وقول بعضهم (لبيش اللهم لبيش) (٣) •

فهى تعبر عن صخب الأصوات البدوية ، وهكذا نجد اللهجات المتعددة وتنافر الأصوات الى جانب مافى بعضها من ضعف القواعد النحوية والعرفية ، والاشتقاقية •

وخيال الصحراء محدود بتلك البيئة ، فالوسائل التى يلجأ اليها البدوى لجمال الأسلوب لن تخرج عن مجاله البيئى ، وما يوجد فيه من سماء ، وأرض ، ونبات ، وحيوان •

ويقول النابغة للنعمان بن المنذر :

فانك كالليل الذى هو مدركى
وان خلت أن المنتأى عنك واسع

ويقول له كذلك :

كأنك شمس والملوك كواكب
اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ويصف امرؤ القيس فرسه فيقول:

مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

ويقول :

فعادى عداء بين ثور ونعجة
دراكا فلم ينضح بماء فيغسل

ولكن بعد أن تحضر العرب ، وسكنوا المدن لاحظنا تغيرا فى طرق التعبير وحسن الأصوات ، ونظام القواعد ، فقلت اللهجات ، وبرزت القرشية كلغة عامة بين العرب ، انطمس معها معظم تلك اللهجات ، وسما الخيال العربى ، وانطلق مع تقدم الأمة العربية ، على نحو يمكن معرفته ، من ملاحظة سير اللغة ، وآدابها ، فى العصر الاسلامى وما تلاه ، وبخاصة فى العصر العباسى ، الذى زاد فيه اتصال العرب بأمم ذوات

---

(١) من سورة الحجرات الآية ٢ .
(٢) ابو علج : ابو على — العشج : العشى .
(٣) لبيش : لبيك .

حضارة ، واكتساب الأدباء والشعراء لكثير من ثقافات تلك الشعوب .

ومع ذلك تظهر ملامح البيئة فيها .

فابن الرومى الذى يعيش فى الأحياء الشعبية التى يشاهد فيها صانع الرقاق يجعل ذلك مادة شعره فى أبيات هى :

ان أنس لا أنس خبازا مررت به
يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة
وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة
فى الماء يلقى فيه بالحجر

وحينما يسأل : هل يستطيع أن يأتى بمثل ما أتى به ابن المعتز فى وصف القمر من قوله :

انظر اليه كزورق من فضة
قد اثقلته حمولة من عنبر

فيقول : ويحكم ، انما يصف ما عون بيته ... !!

وقد تميزت العربية من أخواتها الساميات ـ كالآرامية ، والعبرية ـ بانتظام القواعد وعذوبة الالفاظ ، وسهولة التراكيب ، لأنها عاشت فى بيئة ـ أكثر مدنية من اخواتها (١) .

وللزمان تأثيره فى اللغة كذلك ، فالفرد يتأثر نطقه حسب مراحل سنه المختلفة كما ذكرنا فى مقالنا السابق .

وانتقال اللغة من جيل يترك أثره فى أصوات اللغة ، ومفرداتها، ونظمها وتراكيبها .

فقد لاحظ جماعة من اللغويين ان أعضاء النطق تختلف من جيل الى آخر ، فهى عند الأبناء ـ تختلف عنها عند الآباء ، وعند الآباء تختلف عن حالها عند الأجداد وهكذا تتطور أعضاء النطق عند الجماعة الواحدة ، من عصر الى عصر ، وان كان هذا التطور يسير ببطء لكنه يؤثر فى ألفاظ اللغة ، وبخاصة فى أصواتها .

ونحن نلاحظ أن بعض أصوات اللغة العربية قد تغير على لسان العرب المعاصرين سواء فى ذلك

---

(١) انظر : د . وافى : علم اللغة ط ٤ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٦ .

لسان المثقفين بالعربية أو على المستوى الشعبى ، فالجيم العربية تنطق على لسان بعض المذيعين خالية من التعطيش أو بتعطيش قليل فى مصر ، وأما على المستوى الشعبى فقد خلت نهائيا من التعطيش ، على حين أن السوريين يبالغون فى تعطيشها ، وقد غدت الثاء قريبة من السين ، والذال قريبة من الزاى على لسان بعض المذيعين وغيرهم من المتحدثين بالفصحى ، على حين انقلبت اليها على لسان العوام ، والصاد والسين والزاى قد اختلف نطقها فى الحديث عنه فى القديم ، وناهيك بالانحراف الذى يسرى على ألسنة العوام لأصوات القاف والطاء ، والظاء والضاد وغيرها مما حدث فى خلط أو ترقيق •

وماذا نقول عن فقدان الاعراب فى العاميات ، وعن تقصير الحركات الطويله أو حذفها واطالة الحركات القصيرة ، أو خلق حركات ما أنزل الله بها من سلطان •

وانظر مثلا الى قول المصريين العوام : جم — جه — بكام ؟ معاك ؟

ويمكن أن يضاف الى ذلك ما يدخله الأدباء والعلماء من ألفاظ وتراكيب كانت قديمة فيحيونها ، أو مستحدثة يبتكرونها ، أو منقولة من اللغات الأخرى للحاجة اليها فى ابراز المعنى ، أو فى تسمية المستحدثات الصناعية ، أو غير ذلك من الأغراض •

يتبع

دكتور عبد الغفار حامد هلال

« اصنع جميلا »

اصنع جميلا ما استطعت فأنه

لابد أن تتحدث السمار

الأزهر جامعاً وجامعة
أو مصر في ألف عام

للأستاذ محمد كمال السيد

توفى الخديوى محمد توفيق سنة ١٨٩٢ م • وتولى بعده ابنه « عباس حلمى » الثانى •

وكان عباس فى أول أمره وطنيا وبعبارة أخرى كان يريد أن يسترد سلطان وظيفته كاملا ، فأخذ يتقرب للشعب ويناصر الوطنيين، أمثال « مصطفى كامل » وتصادم مع الانجليز أكثر من مرة ، وكان يهزم فيها لنقص الخبرة وسوء اختيار المناسبات •

ولكن ما أن أفاقت البلاد من ذهول الهزيمة ، حتى أخذت الأصوات تعلو بجلاء الانجليز ، وتحرير الوطن •

وكان التعليم الحديث آخذا فى الانتشار ، فلم يعد الأزهر مصدر الثقافة الوحيد ، بل انصرف الكثيرون من النشء الحديث عنه لجمود علومه ، وعدم التجديد فى مناهجه ، ولما فى التعليم الحديث من فرص التوظف •

وكان التفكير فى اصلاح الأزهر قد بدأ من سنة ١٨٧١ م ، ولكنه اقتصر أولا على تنظيم الادارة والامتحانات ، دون تعديل فى المناهج الدراسية ، كما سنذكر فيما بعد • باذن الله ، ومع ذلك فقد ظل الأزهر يغذى الحياة العلمية ، والعملية بالنابهين من طلابه • وبرز الكثيرون منهم فى شتى المجالات ، ونذكر من هؤلاء البارزين :

« **السيد على يوسف** » الصحفى

المعروف ، وأحد الرواد الأوائل فى الصحافة المصرية ، من مواليد « بلصفورة » مركز « سوهاج » سنة ١٨٦٣ م ، وتوفى أبوه وهو صغير ، فكفله أحد أخواله ببنى عدى مركز منفلوط .

و « السيد » كان لقب الأشراف العلويين من نسل السيدة فاطمة الزهراء ، وكان للأشراف نقابة ترعى شؤونهم ، وألغيت نقابة الاشراف بعد ثورة سنة ١٩٥٢ م ، وأصبح (السيد) لقب كل مواطن ولو كان مسيحيا .

والتحق على يوسف بالأزهر ، حيث تلقى العلوم الدينية والأدبية التى كانت تدرس وقتذاك ، واستمع وهو يافع لدروس السيد جمال الدين الأفغانى .

وفى سنة ١٨٨٩ م أنشأ **جريدة المؤيد** ، بالاشتراك مع أحمد ماضى ثم استقل بالجريدة .

وكانت جريدة المؤيد بفضل مقالات على يوسف رائجة كل الرواج ، ويكتب فيها المشهورون من أعلام العصر ، مثل الشيخ « محمد عبده » « وسعد زغلول » و « قاسم أمين » و « حفنى ناصف » وغيرهم . وكانت تدعو الى محاربة الاستعمار والانجليز والغاء السخرة ، وتطالب بالدستور والحياة النيابية للشعب ، .

كما كان على يوسف من السباقين الى توجيه الأذهان الى عدم الانكباب على الملذات ، أو اكتناز المال ، بل توجيه المال الى الاسواق التجارية لمنافسة الأجنبى الدخيل الذى غايته من الاستعمار استغلال موارد البلاد ، كما كان يدعو الى ترقية الصناعات .

وحرر على يوسف أسلوب جريدته من السجع الذى كان سائدا بأقلام الكتاب ، واتصل على يوسف بالخديوى عباس ، فقربه عباس لاتحاد الغاية وهى محاربة الاستعمار الانجليزى . وكان على يوسف يسافر كل صيف الى استانبول ، مثل الخديوى ، وأغلب أعيان مصر ، حيث مقر الخلافة

التابعة لهـــا مصر من الوجهــة الرسمية •

قضية التلغراف :

وفى سنة ١٨٩٦ م نشرت جريدة المؤيد صورة « تلغراف » مرســل مـــن سردار الجيش المصرى فى السودان الى وزير الحربية فى مصر عن الحملة العسكرية فى دنقلــة ، وكان « التلغراف » سريا ، فاغتاظ الانجليز وقدموا على يوسف وأحد مـــوظفى « التلغـــراف » الى المحاكمة •

ولكن المحكمة برأت على يوسف ابتدائيا • واستئنافيا ، مما زاد فى غيظ الأنجليز • ودعاهم الى زيادة ثلاثة قضاة انجليــز بمحكمـــة الاستئناف ليزداد عددهم ، ويسهل الحكم على أعداء الاحتلال كتعبير جريدة المؤيد فى ١٨٩٦/٨/١٧ م•

زواج على يوسف :

واشتهر على يوسف بقضـــية أخرى هى قضية زواجه بالســيدة صفية بنت السادات ، فقد خطبهــا من أبيها ، فقبل بعد تردد ، ثم عدل فماطل فى اتمام الزفاف ، وطــال الامر بخطوبة على يوسف أربــع سنوات ، فلجأ الى السيد محمــد توفيق البكــرى ، نقيب الأشراف وقتذاك ــ فساعده ، وعقد القران فى منزل البكرى ، وكانت الســيدة صفية رشيدة •

واغتاظ الشيخ السادات ، فرفع قضية يطلب التفريق بينهما **لعــدم التكافؤ** ، وحكمت المحكمة ابتدائيا واستئنافيــا لصــالح الســادات بفسخ العقد والتفــريق بيــن الزوجين ، وفى هذا ما يعطينا فكرة عن هوان شأن مهنة الصــحافة فى ذاك الوقت •

ثم تدخل وســطاء الخــير ، فاصطلحوا على أن يعقد عقد جديد سنة ١٩٠٥ م •

الجامعة المصرية :

وكانت جريدة المؤيد من الداعين الى انشاء الجامعـــة المصرية ، وكانت فكـــرة انشائها تراود الأذهان ، وتتردد بأقلام الكتاب

فى سنة ١٩٠٣ ، ودعالها مصطفى كامل وآخرون •

وفتح باب الاكتتاب، فكانت القائمة الأولى ٤٥٨٥ جنيه ، بخلاف التبرعات العينية ، مثل الأطيان ، واجتمع المكتتبون فى منزل عزتلو (أى صاحب العزة وهو تعبير خاص برتبة البكوية) سعد بك زغلول فى ١٩٠٦/١٠/٢ وقرروا انتخاب اللجنة التحضيرية وتأجيل انتخاب الرئيس ، والدعوة للمشروع فى جميع الصحف ، وتسمية الجامعة بالجامعة المصرية.

وفى ٢٠ / ١ / ١٩٠٧ نشرت جريدة المؤيد مقالا جريئا تدعو فيه العناصر التركية والجركسية الموجودة فى مصر الى المساهمة فى المشروع ، اعترافا بجميل مصر ، وتشبها بأسلافهم الذين شيدوا العمارات الشامخة من جوامع ومساجد للعبادة ، ومدارس لنشر وتقرير العلوم والفنون ، وملاجىء للفقراء والعجزة •• الخ ، وفى هذا تلميح بأن الأسرة المالكة لم يتبرع أعضاؤها بشىء للمشروع ، (جامعة القاهرة بحث للدكتور خليل صابات بدائرة معارف الشعب المجلد الرابع ص ٦٦٢) •

وقيل أن تعيين سعد زغلول وزيرا للمعارف سنة ١٩٠٦ كان لصرفه عن الاشتغال بمشروع الجامعة •

الهلال الأحمر :

وفى سنة ١٩١١ أنشأ على يوسف جمعية الهلال الأحمر المصرى ، لمساعدة الجرحى والمرضى فى حرب تركيا مع ايطاليا فى طرابلس (ليبيا) ، وكان الهلال الأحمر أنشىء فى تركيا سنة ١٨٧٦ أثناء حربها ضد العرب ،وتوفى على يوسف سنة ١٩١٣ عن خمسين عاما ، ورثاه الكتاب والشعراء ، منهم حافظ ابراهيم بقصيدة منها

أقام فينا عصاميا فعلمنا
معنى الثبات ومعنى الجد والدأب
وراح عنا ولم تبلغ عزائمنا
مدى مناها ولم تقرب من الأرب

وخلدت بلدية القاهرة اسم على يوسف باطلاقه على شارع المنيرة سابقا (مقال للدكتور جمال الدين الرمادى ، بدائرة معارف الشعب

المجلد الخامس ص ٥٢) ، (اسماء ومسميات فى تاريخ خطط القاهرة لكاتب هذا المقال) .

ونذكر ممن نبغوا من طلاب الأزهر وشاركوا فى الحياة العامة.

حفنى بك ناصف :

ولد ببركة الحج ، بالقرب من المرج ، من ضواحى القاهرة سنة ١٨٥٥ م ، والتحق بالأزهر سنة ١٨٦٩ ، وظل به عشر سنوات كان خلالها نابها بين أقرانه متفوقا عليهم ، واستمع بالأزهر لدروس الشيخ محمد عبده (تخرج الشيخ من الأزهر سنة ١٨٧٩ كما سبق ذكره) والتقى بالسيد جمال الدين الأفغانى .

وبعد تخرجه من الأزهر سنة ١٨٧٩ التحق بمدرسة دار العلوم ، التى كانت تقبل طلبتها بامتحان تعقده للنابغين من خريجى الأزهر فكان أول الناجحين .

وقامت الثورة العرابية ، وهو طالب بدار العلوم ، فتطوع ضمن المتطوعين ، على الرماية ، وضرب النار فى ثكنات (قشلاق) عابدين.

وكانت الرجعية التى تسود الأزهر ، تنظر الى قيام مدرسة دار العلوم بعدم الارتياح ، بحجة ان ما تدرسة من العلوم الحديثة من طبيعة وكيمياء ورياضة وتاريخ طبيعى وجغرافيا ولغة فرنسية ، وغير ذلك . من شأنه أن يضعف دراسة اللغة العربية ، وعلوم الدين ، فلما تقدم حفنى ناصف للامتحان ، والممتحنون من شيوخ الأزهر حاولوا اسقاطه فى مادة النحو ليثبتوا أن أنبغ طلاب المدرسة ضعيف فى علوم اللغة ، ولكن حفنى ناصف صمد للامتحان الشفوى الذى امتد الى ساعتين بدلا من ثلث ساعة المدة المقررة له ، وأجاب على أسئلة المتحنين فى يسر وسهولة ، فلم يستطيعوا الا منحه شهادة التخرج سنة ١٨٨٢ م (حفنى ناصف بقلم محمود غنيم ص٤٠).

واختاره الشيخ محمد عبده — أثناء دراسته بدار العلوم — ليشارك فى تحرير الوقائع الرسمية وبعد تخرجه من دار العلوم عين مدرسا **لمدرسة الخرس**

والعميان ، وهى مدرسة أنشئت سنة ١٨٧٤ فى عهد اسماعيل ، وكان عدد تلاميذها عند انشائها عشرة (تقويم النيل لأمين باشا سامى جـ ٣ ص ١١٧٠ و ص ١٢٨٦) .

وكان التدريس بهذه المدرسة مهمة صعبة لم يدرب عليها ، ولكن أمكنه بما كان لديه من ذكاء وحسن استعداد أن ينجح فيها ، فبعد ثلاث سنوات استطاع أن يجعل الخرس يكتبون ويفهمون ، وبلغ من براعته أن استعانت به احدى المحاكم للترجمة بينها وبين أصم أبكم .

ثم شاءت الأقدار لحفنى ناصف أن يتحول فى حياته العملية الى ناحية أخرى ، فقد التحق سنة ١٨٨٥ بوظيفة سكرتير لشفيق بك منصور ، وكان يشتغل وقتذاك بترجمة القوانين وأحكام المحاكم من الفرنسية الى العربية ، حيث كان السائد القانون المدنى الفرنسى الذى اتخذ أساسا للمحاكم المختلطة .

والمحاكم المختلطة أنشئت سنة ١٨٧٥ ، أما المحاكم الاهلية فأنشئت سنة ١٨٨٤ م ، وشفيق منصور هو ابن منصور باشا ، زوج السيدة توحيدة بنت الخديوى اسماعيل ، وأعطاها والدها السراى المعروفة بسراى منصور باشا ، وموقعها الآن مديرية أمن القاهرة ، ومحكمة مصر بباب الخلق ، كما بنى لها سراى أخرى موقعها الآن وزارة الحربية بشارع الفلكى ، وكان شارع سكة حديد حلوان اسمه شارع منصور باشا (اسماء ومسميات لكاتب هذا المقال ، تقويم النيل جـ ٣ ص ١١٢٥) .

ولم يكن شفيق منصور متمكنا من اللغة العربية ، فاحتاج لمن يحسن له صياغة مايترجمه اليها ، وكان نتيجة لعمل حفنى ناصف معه مايقرب من سنة ونصف ، أن وجدت عند حفنى ناصف مادة قانونية أهلته أن يشغل وظيفة مدرس لمادة الأنشاء القضائى بمدرسة الحقوق سنة ١٨٨٧ ، ولم يكن عمله مقصورا على تدريس هذه المادة فقط ، بل كان يدرس أيضا البلاغة والمنطق وآداب المناظرة ، وغيرها من العلوم التى أهلت

خريجى هذه المدرســـة ، مثـل مصطفى كامل ومحمد توفيق نسيم وأحمد شوقى ، وعبد العزيز فهمى وأحمد لطفى السيد ، وأحمد زكى شيخ العروبة ، وتوفيــق رفعت ، وعزيز خانكى ، وغيرهم من الاعلام من التمكن من ناصية اللغة العربية فى خطاباتهم ومخاطباتهم .

ولما عاد حسين رشــدى من فرنسا ، بعد أن أتم دراسة القانون بها ، واشتغل بترجمــة القوانين احتاج لمن يساعده فى ايجاد ألفاظ عربية ، من مصطلحات المعاملات فى الشريعة الاسلامية ، فوقع اختياره على حفنى ناصف ، مما هيأ لـــه زيادة حصيلته فى القانون .

وحسين رشدى هو حسين باشا رشدى طبو زاده ، وصل الى مركز رئيس الوزارة وقائمقام الخديوى سنة ١٩١٤ ، ولما أعلنت انجلتــرا الحماية عـــلى مصر فى ١٨/١٢/١٩١٤ بحجة الحرب العالمية الاولى احتفظ لمصر بحقها فى تعديل وضعها السياسى بعد الحرب ، واستقال فى ٣/١٢/١٩١٨ لما رفضــت انجلترا الموافقة على سفر الوفــد المصرى برئاسة سعد زغلول الى أوربـــا لعرض طلبات مصر على مؤتمـــر الصلح بفرساى ، هذا وطبو تركية معناها نوع من الســلاح كالمضرب برأسه كرة من الحديد بها نتوءات مدببة بارزة ، هذا كمــا علمت من ابنة السفير حســين رشــدى ، وخلدت البلدية اسم حسين باشــا رشدى باطلاقه على شارع بوسط المدينة ، كان اسمه شارع الساحة سابقا (أسماء ومسميات من خطط وتاريخ القاهرة لكاتب المقال) .

ولما فكرت الحكومة فى تعميــم المحاكم الجزئية فى البلاد ، ولــم تكن مدرسة الحقوق تخرج العــدد الكافى لشغل وظائف القضــــاء ، أعلنت عن امتحان عام ، يعيـــن الناجحون فيه فى وظيفة القضــاء وتقدم حفنى ناصف ســنة ١٨٩٢ لهذا الامتحان ، ونجـــح ، وعين قاضيا .

واستمر عمله بالقضاء عشريــن عاما حتى سنة ١٩١٢ كان فيهـــا مثال النزاهة وتوخى العدالة ضد كائن من كان حتى أنه حكم بالبراءة فى قضية مظاهرة من طلبة المعهـد

الأحمدى بطنطا ضد الخديوى عباس بتهمة العيب فى ذات الخديوى ، ولم يكتف ببراءة المتهمين بل أدان فى حكمه مدير الغربية وقتذاك الموالى للعرش والانجليز •

وكان من المتحمسين لانشاء الجامعة المصرية ، ولما دخل المشروع فى حيز التنفيذ انتخب سنة ١٩٠٨ رئيسا لمجلس ادارتها ودرس فيها مادة تاريخ الأدب العربى ، وكان من تلاميذه بها الدكتور طه حسين •

ولم يكن انشاء الجامعة المصرية على هوى الأنجليز ، فكان جزاء حفنى ناصف النقل الى محكمة قنا•

ثم فى سنة ١٩١٢ نقل من القضاء الى وظيفة مفتش أول اللغة العربية ، فظل فى وظيفته المذكورة حتى أحيل على المعاش سنة ١٩١٥ عندما بلغ الستين من عمره ، ولم يوافق دنلوب الانجليزى الحاكم بأمره فى وزارة (المعارف) على مد خدمته برغم رجاء حسين باشا رشدى رئيس الوزراء وعدلى باشا يكن وزير المعارف وقتذاك •

وكان شاعرا وناثرا خفيف الروح ، يكثر من مداعبة أصدقائه فى شعره ونثره •

وله كثير من المؤلفات ،والابحاث ضاع بعضها ولم يطبع البعض الآخر ، وأغلبها فى اللغة العربية ومميزاتها وآدابها ، وبعضها فى الأمثال العامية وغريب لغة الصعيد وبعضها تاريخية فى هوية السيدة مارية القبطية ، وبعض رجالات مصر ، وبعضها رسائل فى المنطق والبديع والعروض ، والبحث والمناظرة ، والتوحيد والأصول ،

رسم المصحف :

ومن أهم مايذكر به حفنى ناصف هو قيامه بضبط املاء المصحف الشريف بالصورة المتداولة الآن ، وساعده فى ذلك الشيخان أحمد الاسكندرى ومصطفى العنانى ، وقد استغرق عمله هذا سبع سنوات ، حتى صحح آخر (بروفة) لرسم المصحف وهو على فراش الموت •

وتوفى رحمه الله فى ٢٥ فبراير سنة ١٩١٩ •

محمد كمال السيد

نبذة عن حياة الشيخ الدجوى

فى ذكرى وفاته

اعداد : الأستاذ سعيد عبد الحى

فى ذكرى وفاة الشيخ الدجوى نقدم نبذة بسيطة عن حياة عالم فاضل وشيخ جليل بذل حياته فى خدمة الاسلام والمسلمين ولما قدمه من مؤلفات وكتابات للاسلام فقد خدم الاسلام وخدمه الاسلام وهذه النبذة تقديرا منا واعترافا لما قدمه الشيخ الدجوى من جهد وعرق فى خدمة الدين •

نسبه الكريم :

هو السيد يوسف بن الشيخ احمد بن نصر بن سويلم وقد ولد سنة ١٢٨٧ هـ بقرية دجوه بمحافظة القليوبية على شاطىء النيل الشرقى (فرع دمياط) وكان ابوه من اعيان دجوه المشهورين وينتهى نسبه الى حبيب بن سعد احدى قبائل العرب الحجازية وكان مضرب المثل فى الكرم والمروءة • وكان بيته مثابه للعلماء والفضلاء وكان له فيه مكتبة عامرة بالكتب القيمة ، يختلف اليها أهل العلم للاطلاع والبحث والمدارسة •

نشـأته :

نشأه أبوه على خلاله العربية المنتقاة من التعاليم الاسلامية فلما ترعرع أخذ يهيئه الى طلب العلم فرتب له من حفظة القرآن الكريم من حفظة اياه • وفى هذه الفترة اصيب بمرض قضى على بصره • ولكن ذلك لم يقف حائلا بينه وبين حفظ القرآن فأتم القرآن فى غير طول من الزمن •

ثم بعث به ابوه الى كعبة العلم (الازهر الشريف) سنة ١٣٠٢ هـ فافتتح حياته العلميه بدراسة علوم القرآن فتلقى منها على العلامة الشيخ حسن الجريسى الكبير على التجويد فحذقه وبرع فيه .

حياته العلمية :

أخذ الشيخ بثقة على مذهب الامام مالك وتلقى علومه على خير شيوخ الأزهر والنابهين فى تدريس تلك العلوم — فأظهر من الذكاء وحدة الذهن والنبوغ ما لفت انظار شيوخه اليه وحملهم على تقدير مواهبه واكبار بحثه . ورقة تفكيره . حتى لقد كان يوحشهم ويتشوقون لحضوره اذا غاب . وكان دائم البحث والتمحيص على الرغم من انه ضعيف البنية نحيل الجسم ، وبرز فى الكتابة والشعر والنقد ولم يتجاوز مرماه الطلب.

تقدمه الى لجنة الامتحان :

تقدم الى لجنة امتحان الشهادة العالمية فى أول صفر سنة ١٣١٦ هـ وكان رئيس اللجنة الاستاذ الكبير العلامه الشيخ سليم البشرى شيخ الازهر وقتذاك . وكان من بين اعضائها الشيخ محمد راضى .

فأظهر الشيخ الدجوى من سعة الاطلاع وغزارة العلم ودقة البحث ومستفيض الشرح وحسن الأداء فأظهر أعضاء اللجنة اعجابا به ونال منهم عظيم التقدير فأقروا له جميعا بشهادة العالمية بالدرجة الأولى الممتازة وخرجوا يلهجون بذكره ويتحدثون بمواهبه العالية وصار ذكره حديث أهل العلم فى الافق الأزهرى .

حياته فى الدرس :

لم يقدر على الشيخ أن يتدرج فى التدريس (على سنة المدرسين الجدد) من أول كتاب للمبتدئين ، بل اختارته المشيخة لتدريس شرح ابن عقيل .. والذى كان طالبوه ثلاثمائة أو يزيد فما باءوا من أول يوم ان الشيخ يقرر القواعد بلسان واضعيها ويرفع اشكالات المسائل بلسان قائليها ويصدر المعانى بألفاظ يقربها من اذهان سامعيها .

فتعلقـوا به تعلق الابن البـار بابيه الرحيم • ورغبوا اليـه ان يقرأ لهم كتبا أخـرى فقـرأ لهم شرح السعد بن المعز وغـيره من الكتب فى اوقات مختلفة • ووقف الطلبة بفضله على اسرار البـلاغة فى الاساليب العربية ثم ذاع صيته وانتشر ذكره بين العلماء •

مؤلفـاته :

له مؤلفات عـديدة فى شـتى العلوم فله من الملفات ما بهر ذوى العقول ونال من جلـة المـؤلفين وفحول العلماء ومن هذه المؤلفات•

١ ــ (سبيل السعادة) الـذى الفه سـنة ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م فى فلسفة الاخلاق الدينية •

٢ ــ (الجواب المتين فى الـرد على مدعى التحريف) الذى الفه سنة ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م •

٣ ــ رسالته فى تفسير قـوله تعالى **(لا يسأل عما يفعل)** بغـير ما قاله المفسرون •

٤ ــ رسالته من علم الوضـع سـنة ١٣٣٦ هـ ١٩١٧ م ونالت الجائزة من لجنة فحص الكتب •

٥ ــ رسائل السلام ورسـل الاسلام الذى الفه سنة ١٣٤١ هـ ١٩٢٢ م •

٦ ــ ومنها • مذكرات فى الرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم فى الرد على الكتاب الـذى الفـه الأستاذ الشيخ على عبـد الرازق يطعن فيه شئون الخلافة وأصول الحكم فى الاسـلام وقد وضـعها سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م وطبعت فى حينها •

وله مؤلفات كثـيرة لا يتسـع المقام لذكرها •

مواقفه فى الذب عن الدين :

١ ــ ألف النهضـة الدينيـة الاسلامية من العلمـاء لمناهضـة المبشرين سـنة ١٩١٤ م وكـان فضيلته على رأسها •

٢ ــ ألف جمعية مسـاعدة منكوبى حرب الأناضـول فى فتح

تركيا الجديدة وكان رئيسا لها وخطيبها الأول .

ثم اختير عضوا فى هيئة كبار العلماء لملء كرسى المالكية فى اغسطس سنة ١٩٢٠م . اما مكانته الدينية ومنزلته العلمية فى الأقطار الاسلامية عامة فلا يظن ان احدا ممن سبقه قد حظى بمثلها .

مواقفه فى الذب عن العلماء :

أما شجاعته فى الذب عن العلماء وعن الأزهر فحسبك انه لا يهاب فى ذلك عظيما أو وزيرا مهما كان جاهه ومنها غضبته وثورته على أحد البشوات فى حضرة شيخ الأزهر الشيخ حسونة النواوى لأن الحق تغلغل فى نفسه وربا الدين فى قلبه وكثيرا ما كان ينصح بقول المصطفى صلوات الله عليه : « امن من أوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله » . وهناك مواقف كثير لا يتسع المقام لذكرها .

وفاته :

صعدت روح الشيخ الدجوى الى ربها فى ليلة الاربعاء الخامس من صفر سنة ١٣٦٥ هـ عن ثمان وسبعين سنة قضاها فى الاعمال الصالحة وقد أم الجماعة فى الصلاة عليه فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ مصطفى عبد الرازق . وحملت جنازته فى جماعة كبيرة جدا من علماء الأزهر وغيرهم وأودع مقره الأخير بعين شمس بعد صلاة العصر من نهار الأربعاء الخامس من صفر سنة ١٣٦٥ هـ رحمه الله ونفعنا بعلومه .

أسرة المجلة

اعداد الأستاذ سعيد عبد الحى

حكم ... وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« صفة أهل محبـة الله »

سئل عبد الله الحارث بن أسـد ، وكان من كبار الصـالحين ، عن صفة أهل محبة الله ، وكيف يستطيع الانسان أن يتعرف عليهم حين يلقاهم ؟

فقال لسـائله :

هم الزهاد من العلماء ، وهم الحكماء من النجباء ، وهم المسارعون من الأبرار ، وهم دعاة الليل والنهار ، وهم أصحاب المحن والاختبار ، هم قوم أسعدهم الله ، بطاعته وحفظهم برعايته ، يسـتقلون الكثير من أعمالهم ، ويستكثرون القليـل من نعم اللـه عليهم ، ان أنعم عليهم شكروا ، وان منعوا صـبروا ، هم قـوم أذاقهم اللـه طعم محبتـه ونعمهم بدوام العذوبة فى ذكره ومناجاته فقطعهم ذلك عن الشـهوات وداوموا على طاعة من له الأرض والسموات فغابت عن قلوبهم أسـباب الفتنة بدواهيها ، وظهرت عليهم أنوار المعرفة بما فيها :

فقال له السائل : كيف المحن على هؤلاء ؟

قال : سهلة فى علمها ، صـعبة فى اختبارها فمنحهم على قـدر قوة ايمانهم •

فقال له السائل : ومن أشدهم محنا ؟

قال عبد الله : أشدهم محنا هو أكثرهم معرفة وأقواهم يقينا وأكملهم ايمانا كما جاء فى الحديث الشريف : « أشد الناس بلاء الانبياء ثم الأمثل فالأمثل » .

« استكمال الايمان »

دخل الحسن بن محمد بن الحسين — رضى الله عنهم — على عمر بن عبد العزيز فقال له : ياعمر ثلاث من كن فيه استكمل الايمان : من اذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل ، ومن اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ، ومن اذا قدر لم يتناول ما ليس له .

« المؤمن ينظر بنور الله »

نظر أنس — رضى الله عنه — الى امرأة أجنبية فأطال فيها النظر ثم دخل على سيدنا عثمان — رضى الله عنه — فقال له :

أرى أثار الزنى بين عينيك !!

فقال أنس : ويحك ياعثمان أنبوة بعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ؟

فقال : لا ، ولكن المؤمن ينظر بنور الله .

« شكر الجوارح »

قال أبو هارون : دخلت على أبى حازم ، فقلت له : — رحمك الله ما شكر العينين — ؟

قال : اذا رأيت بهما خيرا أذعته ، واذا رأيت بهما شرا سترته .

فقلت : وما شكر الأذنين ؟

قال : اذا سمعت بهما خيرا حفظته ، واذا سمعت بهما شرا نسيته .

قلت : وما شكر اليدين ؟

قال : لا تأخذ بهما ما ليس لك ، ولا تمنع حق الله فيهما .

قلت : وما شكر البطن ؟

قال : أن يكون أسفله صبرا وأعـلاه علما .

« الفضـل لمن سبق »

وقع بين محمد بن الحنفية ، وأخيه الحسن بن على بن أبى طالب ــ رضى الله عنهما ــ جفوة ، فكتب محمد الى أخيه الحسن يقـول : أما بعد : فان أبى وأباك على بن أبى طـالب ، لا تفضـلنى فيـه ولا أفضلك ، وان أمك فاطمة الزهراء ، بنت رسول الله ــ صلى الله عليـه وسلم ــ وأمى امرأة من بنى حنيفـة فـوالله لو أن ملء الأرض من أمى ، ما عدلن أمك !! فاذا بلغك كتابى هذا فاحضر الى لتترضـانى ، فانك أحق بالفضل منى والسلام .

فما أن بلغ الكتاب الى الحسن ، حتى بادر الى أخيه وترضـاه .

« كيف رأيت ؟ »

قيل لأبى عقيل العراقى :

كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة اليه ؟

قال : رأيت رغبته فى الانعام ، فوق رغبته فى الشـكر ، وحاجته الى قضاء حاجات الناس أشد من حاجة أصحاب الحاجات .

« دعوة الى الابتهاج »

للسيدة زينب ــ رضى الله عنها ــ أبيات طيبة تدعو الانسـانية فيها الى الابتهاج فى الحياة ، وترك الأحزان بعد السـعى والعمـل

وتسليم الانسان أمره الى الله ، اذ لا قيمـة لحمـل الهم بعد بـذل العمل تقول ــ رضى الله عنها ــ :

سـهرت أعين ونـامت عيـون
لأمـور تكـون أو لا تكـون
ان ربـا كفـاك ما كـان بالأ
مس سـيكفيك فى غـد ما يكـون
فادرأ الهم ما اسـتطعت عن النفـو
س فحمـلانك الهمـوم جنـون

« نصيحة لسيدنا على »

نصح الامام على بن أبى طالب ــ رضى الـله عنـه ــ أولاده ، فقال لهم فيمـا قال : يابنى من أبصر عيب نفسـه شـغل عن عيب غيره ، ومن رضى بقسم الله لم يحزن على مافاته ، ومن سـل سـيف البغى قتل به ، ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيهـا ، ومن هتك حجـاب أخيه انكشفت عورات بنيه ، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل ، ومن جالس العلمـاء وقر ، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم ، ومن يصحب صاحبا صالحا يغنم ، طوبى لمن أخلص لله علمه وعمله ، وحبه وبغضـه ، وأخذه وتركه ، وكلامه ومحنته وقوله وفعله ٠

« دعـاء »

اللهم أنت أعلم بى من نفسى ، وأنـا أعلم بنفسى منهم ، اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون ، واغفر لى مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بمـا يقولون ٠

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

باب الفتاوى

إعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين

س : بعض الناس يدعون معرفة الاسرار ، والمغيبات بوسائل شتى، وبعض الناس يتشاءمون من أماكن او أيام أو اشياء معينة ، فهل لهؤلاء أو أولئك سند من الدين ؟.

ج : هذا السؤال وجه الى فضيلة الامام الشيخ محمود شلتوت — رحمه الله — فأجاب عليه بما يأتى :

يختلج فى نفوس كثير من الناس أن الله ربط نجاح الانسان وفشله — فيما يريد من أعمال الخير — بساعات معينة من اليوم ، أو بأيام معينة من الشهر ، وبذلك يحجمون عن مشروعاتهم فى بعض الايام ، ويقدمون عليها فى البعض الآخر .

وكذلك يختلج فى نفوسهم أن لاستطلاع الغيب المكنون فى جوف المستقبل وسائل يعرفون بها ما يهمهم أن يعرفوه ، من مسروق أو مفقود . وقد اتسع لهم مجال ذلك حتى استخدموا الوهم والتخييل ، وانصرفوا بهما عن الحقائق ، ومعرفة السنن التى ربط الله بها بين الاسباب والمسببات .

الاسلام والعلم :

وجاء الاسلام فوجد الناس يتقلبون فى طبقات من الجهل، فعنى عناية كاملة بالارشاد الى الوسائل التى تنقى المجتمع الانسانى من أدران الجهل وعبث الوهم .

ومن هنا حارب الاسلام الجهل ، وتتبعه فى كل وكر من أوكاره ، وفى كل لون من ألوانه ، حاربه بالدعوة الى توحيد الله ، ولفت نظر الانسان ليؤمن أولا

بأن العظمة التى تخضع لهـــا الرقاب ، والعلم الواســع الذى لا يعزب عنه شىء والقدرة النافذة التى لا يعجزها شىء ، فى الارض ولا فى السماء ليست لاحد سواه •

انحراف الانسان :

ولكن الانسان ــ وقد خلق من عجل ــ تملكه أمران استصعب بهما طريق العلم ، واستبطأ بهما طريق البحث والنظر ، واستعاض عنهما بطريق التخيل والتخمين :

أحدهما : رغبته الملحة فى سرعة اكتشاف الغيب وخاصة فيما يتعلق بمستقبله ، ومستقبل من يتصــل به •

وثانيهما : خوفه الشــديد من اعتراض ما يعوقه عن أهدافه التى يتجه اليها ويعزم عليها •

وفى سبيل تلك الرغبة الملحة ، أخذ يتسمع لما يجرى بين الناس من أحاديث الوهم والخيال عــن طريق معرفـــة الغيب ، فى خيره وشره ، واكتشاف المعوقات ذات الشـــؤم ، والميسرات ذات التفاؤل •

وبذلك تفتحت له طرق الوهــم والدجل ، فاستطلعوا الغيب ــ على ما يظنون ــ عن طـــريق الولاية والكهانة والتنجيم ، وعن طريق ضرب الحصى والودع والفول ، وعن طريق خطوط الرمل والفنجان والكف ، وعن طـــريق المندل ، واستخارة السبحة واســـتخارة القرآن ، وعن طريق التشـــاؤم بالزمان فى الساعة واليوم والشهر ، والمكان والاشخاص والاشــياء والكلمات وأضغاث الاحـــلام ، وبهذا كله وقع الانسان أسيرا فى حياته وأعماله وعقائده لشـــئون لا يعقل وجه اتصالها بما يســعد أو يشقى ، وعطل أعماله ، وأهمل التعويل على سنن الله التى وضعها للسعادة والشقاوة ، فكدر صــفو الحياة على نفسه : بمنظر يراه ، أو كلمة يسمعها ، أو طير يمر به من هنا أو هناك ، أو خيال يغرسه فى نفسه دجال أو منجم أو كاهن حتى وصل الامر الى اســتخدام

المصحف وأياته التى نزلت لتقوية الايمان والعزائم وطرد الوساوس والاوهام فى استطلاع الغيب والتشاؤم .

وقد أطمع الناس فى ذلك كله صدق بعض التنبؤات ، أو بعض صور التشاؤم عن طريق المصادفة .

واذا كان لصدق بعض التنبؤات أثر فى استمرار الناس على التعلق بتلك الوسائل فهناك مبرر أخر للنفوس الضعيفة فى استمرارها عليها ، ذلك هو اشتغال بعض المنتسبين الى الدين ــ ظلما وزورا ــ بكثير من هذه الوسائل .

ومما يتصل بهذا ما نقرؤه فى بعض المجلات والصحف من اعداد اطار خاص يرشد الناس الى حظ القارىء ونجمه ، والمفروض أن الصحف مصادر التثقيف والتوجيه ، وأن المشرفين عليها أرباب ثقافة أخذوا بها على عاتقهم توجيه الناس الى ما فيه خيرهم وسعادتهم .

القرآن ينكر التشاؤم :

وقديما تشاءم قوم موسى بموسى : « **فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ، وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه**» وتشاؤم قوم صالح بصالح : « **قالوا طيرنا بك وبمن معك** » وتشاؤم أهل قرية برسلهم « **قالوا انا تطيرنا بكم** » .

وكان الرد عليهم جميعا أن الشر ما جاء من قبل الرسل ، وانما جاءهم من قبل أنفسهم بكفرهم وعنادهم ، واهمالهم سنن الله فى الحياة « **الا انما طائرهم عند الله** » ، « **طائركم معكم** » .

وقد جاء فيما يتصل بعلم الغيب وأنه مما استأثر الله به قوله تعالى: « **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول** » وقوله : « **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو** » وقوله للرسول ــ عليه السلام ــ : « **قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب**

لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » .

وحسب المؤمن فى ذلك كله هذه الآية الفذة الواضحة « **ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير »** .

تحريف :

هذا وقد تعلق بعض الناظرين فى القرآن ، المروجين لسنة التشاؤم الفاسدة بقوله تعالى فى وصف العذاب الذى نزل بقوم عاد : « **انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر » « فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات » « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما »** وقالوا: « ان القرآن يرشد بهذه الآيات الى أن فى الايام نحسا وسعودا وأيدوا بهذه الآيات ما نسبت روايته عن النبى ـ صلى عليه وسلم ـ لابن عباس ـ رضى الله عنه « **آخر أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر »** .

وقد عرض الالوس فى تفسيره للروايات التى افتعلت ترويجا للتشاؤم بالايام وللتفاؤل بها ، ويعجبنى قوله فى هذا المقام : « ويكفى فى هذا الباب أن حادثة عادا استوعبت أيام الاسبوع كلها ، فقد قال سبحانه : « **سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما »** فان كانت نحوسة الايام لذلك ، فقل لى : أى يوم من الاسبوع خلا منها ؟ والحق كما قال :أن كل الايام سواء ولا اختصاص ليوم بنحوسة ، ولا لاخر بسعد .

وأنه ما من ساعة من الساعات الا وهى سعد على شخص ونحس على آخر ، باعتبار ما يقع فيها من الخير لهذا ومن الشر على ذاك .

وبعد : فواجب المؤمنين أن ينتبهوا الى عبث الدجالين باشاعة فكرة التشاؤم بينهم ووسائل

استطلاع الغيب ، هذه الفكرة التى يصيربها الانسان أسير الوهم بكلمة يسمعها ، أو بيوم يمر عليه ، أو منظر يراه ، واجبهم أن يطهروا قلوبهم من هذه الاوهـــام ، وأن يقوموا على أعمالهم ، وتصرفاتهم، وقضاء مصالحهم متى اقتنعوا بها وعزموا عليها : « **فاذا عزمت فتوكل على الله** » معتمدين فى ذلك عــلى ايمانهم النقى ، وعلى توفيق الله اياهم وبذلك تسلم حياتهـــم ، وتستقر شئونهم ، وتسير بهـــم سفينة النجاة الى شاطىء الامن والاستقرار ، والله ولى التوفيق والهداية .

عبد الحميد شــاهين

عن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول اللـــه ـ صلى الله عليه وسلم ــ « لا عـــــدوى ولا طيرة ، ويعجبنى الفأل ، قالوا : وما الفأل ؟

قال : كلمة طيبة »

من أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ فهمى عبد اللاه سيد على

«مصر مع طائفة البهرة تستقبل مطلع القرن الخامس عشر الهجرى باحياء وعمارة (الجامع الانور) أبرز آثار قاهرة المعز لدين الله الفاطمى» (١) .

منذ أكثر من عام ، ومصر مع العالم الاسلامى كله تنظر الى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى نظرة اجلال وانتظار .. ومنذ أكثر من خمسة أعوام والمؤتمر الاسلامى يدعو كل دول العالم الاسلامى الى الاعداد لاحياء هذى الذكرى بأسمى ما لديه من فكرة وثقافة وحضارة ولان مصر هى قلب العالم الاسلامى النابض ، ومنارة تراثه وفكره ، وأعرق مراكزه الحضارية ، فقد فكرت وخططت لتسهم فى احياء هذه الذكرى باحياء وعمارة (الجامع الانور) أحد أكبر مساجد الشرق ، وثانى مساجد القاهرة اتساعا ، ومن أعرقها وجودا وأداء لرسالة التوحيد ، وهو يمثل قلب قاهرة المعز لدين الله الفاطمى ، وأبرز آثارها ، وأعلاها قدرا لاعند مصر فقط،ولكن فى العالم الأوربى كذلك ، هكذا تؤكد كل مراجع الحضارة الغربية فى أوربا .

وسيصحب عمارة هذا المسجد الذى تستقبل به مصر القرن الخامس عشر الهجرى ، تنظيم لقاء فكرى وثقافى ، وندوة علمية فى القاهرة تضم كبار المفكرين الاسلاميين فى

---

(١) الاهرام ١٩٨٠/٨/٢٢ .

العالم .. وبهذا الفكر المحص ، والتراث الحضارى ، واللقــــاء الروحى تحظى القــاهرة بفضــل السبق فى سلسلة الاحتفالات بمطلع القرن الهجرى الجديد .

ولعملية احياء (الجامع الانور) وعمارته ذكرى يكشف عنهــا الآن لاول مرة . لقد تطلع سلطان البهرة الدكتور محمد برهــان الدين الى هذا الامر بعد أن افتتح مع الرئيس محمد أنور السادات المقصـــورة الجديدة للسيدة زينب رضى اللــه عنها ، وهى المقصورة الثانيـــة التى أهدتها طائفة البهرة الفاطمية بعد أن قدمت ـــ تحية للقــاهرة ، ورمزا للوفاء لاهل بيت رســول الله صلى اللــه عليــه وسلم ـــ مقصورة سيدنا الامام الحســين رضى الله تعــالى عنــه فى عــام ١٩٦٥ .

يقول الســيد محمد حســـن التهامى : انه جرى تبــادل الرأى وتم الاتفاق على أن أجمل ما تحيا به القاهرة ، وتبــدأ به احتفــالات العالم .. وبهذا الفكر المحص ، الخامس عشر الهجرى هو افتتاح هذا المركز الحى الذى أضاء سماء مصر وقاهرة المعز لــدين الله عبر قرون من الزمن ، وهو مســـجد الامام أبى على المنصــور الحاكم بأمر اللــه الفاطمى ، والجامــع الضـــخم الذى يقــوم فى حى الجمالية فى شارع المعز لدين الله خلف بوابتى القاهرة الرئيسيتين : باب الفتوح وباب النصر .

لقد مر هذا المسجد بعدة قرون تكاثر عليه فيها غبار الزمان وركود الحياة ، وكاد أن يتحول (خرابة) فى معظمه ، وكاد الناس وهــم فى قلب القاهرة الفاطمية أن ينسوا هذا الموقع الذى اعتزت به مصر وعزبه المصريون ، والذى كان (رواقا) حيا من أروقة العلم والعبادة جنبا الى جنب الازهر الشريف .

وفى لقاء مع الدكتور يوسف نجم الدين أمين الجامعة السيفية بالهند ، علم أن الــرئيس محمـــد أنور السادات سيفتتح المرحلة الاولى من عمارة هذا المسجد فى مطلـــع القرن الجديد مع سلطان البهــرة الذى قام باحيائه برجاله وبنفقاته بمساعدة محافظ القاهرة وأجهزته

الفنية ومساعدة هيئة الآثار المصرية وتتضمن هذه المرحلة استكمال بناء بيت الصلاة والصحن ويتم فى المرحلة الثانية استكمال بقية جوانب المسجد الذى أسهم فى عملية احيائه الدكتور المهندس حسن فتحى حجة العمارة الاسلامية والعربية ، والذى وضع بلمساته الفنية وبعلمه وبخبرته الاطار الفنى والاساس العلمى ، الذى قامت عليه عملية الاحياء لهذا العمل التاريخى الذى أكد سلطان البهرة أنه لايبغى به الا وجه الله الكريم ومحبة مصر وأهل مصر والاسلام فى احياء تراث مصر الحضارى الايمانى ٠

ان اهتمام سلطان البهرة بهذا العمل ، فاتحة عهد جديد فى الاخوة الاسلامية ، وابتغاء مرضاة الله ، والتعاون الخالص مع مصر وشعبها المؤمن ، وبداية خير فى احياء تراثنا الاسلامى الجليل ٠

« صندوق التضامن الاسلامى » (١)

لما كانت حضارة الاسلام قد قامت على أسس متينة فان العودة لبناء حضارة اسلامية يستلزم أن تكون على قواعد من الدين صلحت عليها حال الامة سلفا ٠

لذلك نرى العالم الاسلامى تشده صحوة فى السنوات الاخيرة ، من خلال المؤتمرات الاسلامية، على مستوى القادة والمفكرين ، ويتم اللقاء فى أنحاء متفرقة فى عالمنا الاسلامى ٠

وهذا أمر طبيعى فان الظروف والملابسات والمعاملات والمشكلات التى جدت ، ولم تكن تطفو على السطح قبل ذلك ، تتطلب تكاتف الهمم وتلاقى الايدى ، وتعاضد القوى ، وتأكيد الاخوة الاسلامية التى دعا اليها الاسلام ، وبنى عليها أول دعائم دولته ، والمؤتمرات الاسلامية التى شهدت حركة دائبة من المسلمين ، تمخضت عن نتائج على مستوى العالم كله ، تدعو وتنادى بالوحدة الاسلامية ووضع مصلحة المسلمين فى المركز الاول من الاهمية ، ولقد قرأنا عن هذه النتائج الكثير ، ومن بينها

---

(١) مجلة الوعى الاسلامى العدد ١٨٩ ٠

صندوق التضامن الاسلامى الذى أنشىء بقرار من مؤتمر القمة الاسلامى بلاهور ، الذى عقد بالباكستان سنة ١٩٧٤ م . وأقر قانونه الاساسى فى مؤتمر وزراء الخارجية بماليزيا سنة ١٩٧٤ م .

يقول الاستاذ يوسف العوضى عضو اللجنة الاسلامية والثقافية للصندوق : ان الغرض من هذا الصندوق العمل على تحقيق كل ما من شأنه رفع مستوى المسلمين فى العالم ، والمحافظة على عقيدتهم ، ودعم نضالهم ، وجهادهم فى جميع المجالات ، والتخفيف من أثر الكوارث والمحن .

وينص القانون الاساسى على المساعدات ، والمعونات للبلدان والاقليات ، والجاليات الاسلامية ، لرفع المستوى الدينى والثقافى والاجتماعى . والمساهمة فى بناء المساجد والمستشفيات والمدارس ، ونشر تعاليم الدين الاسلامى ، وتمويل الجامعات الاسلامية ، ودعم نشاط الشباب المسلم ، وتنظيم الدورات الدراسية فى قضايا التشريع ، والقانون ، والادارة والثقافة .

ويتكون المجلس الدائم من الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى وثلاثة عشر عضوا من الدول الاعضاء ينتخبون كل سنتين من قبل وزراء خارجية المؤتمر .

ومهمة هذا المجلس التخطيط والاعداد للبرامج والسهر على تنفيذها . ويشكل من : السعودية، الكويت ، الامارات العربية ، السودان ، ليبيا، العراق ، فلسطين، الباكستان ، اندونيسيا ، بنجلاديش ، تشاد ، الكمرون ، مالى .

وقد عقد آخر مؤتمر بمدينةجده بالمملكة العربية السعودية وسيعقد المؤتمر القادم بعد تشكيل المجلس من قبل وزراء الخارجية بجدة في نوفمبر ١٩٨٠ .

قام الصندوق بتمويل جامعة النيجر ، وجامعة أوغندا ، ومعهد الدراسات الاسلامية بالجابون ، وساعد على انشاء بعض المدارس فى جامبيا ، وساهم فى تمويل المساجد فى غينيا ، والسنغال ،

والجابون ، والنيجر ، وأوغنــدا ، وتشــاد ، وجزر المحيط الهادى ، والنرويج ، وفنلندا ، والسويد ، والنمسا ، وايطاليا ، والدنمــارك ، وساعد فى بناء المدارس فى كل من : سوريا ، والجـــابون ، وغانا ، وسويسرا •

ومن أهدافه: العمل على التنسيق مع المنظمات التى لها أهداف مماثلة، ومساعدة المراكز الاســلامية ، فى ألمانيا ويوغســلافيا والبرازيل وتنزانيا وكل المراكز الاسلامية فى العالم على نشر رسالتها • وقد منح الصندوق مساعدات منذ تأسيسه لدول غير أعضاء •

وقال الاستاذ يوسف العوضى : لقد شارك فى أعمال المؤتمر الحادى عشر لوزراء الخارجية الاسلامية ٣٩ دولة ومنظمــة التحــرير الفلســطينية ، وبحث بالمؤتمــر موضوعات هامة تشــغل العالم الاسلامى كله ، وتتناول بالبحث والتحليل العديد مما يعيشـــه المســـلمون وما يعانونه من مشكلات •

وقد تبرعت كل من الدول الآتية للميزانية الجديدة للصندوق بتلك المبالغ ، السعودية ١٠ مليـــون دولارا ، الكويت ٢ مليون ، قطــر مليون ، العراق مليون ، باكستان ٤٠ ألفا ، النيجر ٧٥ ألفا ، تركيا ٢٠ ألفا ، السنغال ٤٠ ألفا ،قبرص ٢٠٠ ألف ، عمان ٥٠ ألفـــا ، تونس ١٠٠٠٠٠ ألف • واتخذ المؤتمـــر قرارات هامة ، بشأن المنظمـــة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وأقر النظام الاساسى للمركـــز العالى للتعليم الاسلامى ، وصادق على ميزانية العام الاول ، ووافق على النظام الاسلامى للجنة الدولية للتراث الاسلامى ، وكذلك الموافقة من حيث المبدأ عـــلى مشروع الاتفاقية الخاصة بانشاء اللجنـــة الاسلامية للهلال الدولى •

واتخذ قرارا حول اعتماد بيان (اسلام اباد)كوثيقة لتطبيق ماجاء بها فى مجال الشريعة الاسلامية ، وقرر مجلس الوزراء الموافقة على الجدول الزمنى بشأن البرنامـــج الدولى لحلول القرن الخامس عشر الهجرى •

وأوصى المؤتمر بتكوين لجنـــة

افتاء من علماء اسلمين لبحث امكانية تحديد الاعياد وبدء شهر رمضان ، والاخذ به فى البلاد التى تتقارب فيها المطالع ، والنظر فى اصدار تقويم موحد للسنة الهجرية ، تشترك فى اعداده لجنة من علماء الفلك والشريعة ، وأوصى بتكوين لجنة للنظر فى مشروع تعليم اللغة العربية والثقافية الاسلامية وتدعيم ذلك على المستوى العالمى .

« نداء للأمة الاسلامية »

اجتمع مندوبو الجمعيات والهيئات الاسلامية بالقاهرة فى دار فرع العشيرة المحمدية لدراسة موضوع الحرب المشتعلة بين ايران والعراق بخاصة مع ما يجرى على الساحة الاسلامية بعامة من مؤامرات ضد الاسلام واضطهاد المسلمين ، وبعد المناقشة أصدروا بيانا .. ومما جاء فيه :

الحرب بين العراق وايران :

« وانه لما يدمى القلوب ، أن خصوم الاسلام يحاربون الاسلام بالمسلمين ومن داخل الأمة الاسلامية متخذين من عملائهم فيها أدوات تفريق وتمزيق وحرب وتدمير لكيان الأمة ، واضعاف لقوتها ، .... والاحتيال بكل الوسائل على استنزاف ثرواتها وتقويض نهضتها وافناء شبابها ورجالها ... فاعملوا أيها المسلمون لاطفاء الفتنة ، وحقن الدماء ، والاحتياط للنكسة وسوء المفاجأة .

فى أفغانستان :

استطاعت الشيوعية الغادرة أن تتخذ من عملائها (حكام أفغانستان) أداة تعمل لتخريب هذا البلد المسلم وافناء شعبه وتدمير اقتصادياته واخماد جذوة الاسلام فيه .... الأمر الذى يتطلب من المسلمين جميعا استمرار التصدى باستمرار لهذا الاستعمار اللئيم ونجدة المجاهدين من ثوار أفغانستان بكل الوسائل ، ولا عذر لمتخلف من الشعوب ، أو الحكومات الاسلامية قياما بحق الله حتى يأتى وعد الله .

الى الشباب :

يا شباب المسلمين : أنتم

الأمل المرتجى ، وبين أيديكم الغد المأمول ، والاســـلام أمانة الله الكبرى بـين أيديـكم ، وانمـا رسالتكم هى اســتعادة مجـده وسيادته ، وقيادته للأفراد والأمم الى عوالم الخير والاسـتقرار ، والحب والسلام والنور والعـدل والكفاية والسعادة والسـماحة ، والايمان والعمل ، وتنقية التقـدم الحضارى من شـوائب المـادية والالتـواء الفـكرى ، والخـلقى والثقافى والاجتمـاعى ، كل ذلك معلق عليكم أنتم ، فلا يشـغلنكم عن هذه الرسالة الكبرى خـلاف مذهبى ، ولا تبعية طائفيـة ، ولا دعـوة عنصرية ولا توقف عنـد المظهريات ، ولا تطرف فى فهـم الفروع ، ولا تحامل على السيف ، ولا شعوبية اقليمية ، وخذوا بيد الخلق الى الحق ، فى يسر وسماحة ورفعة ومودة ، واعذروا الناس وفقهوهم بالحسنى وانشروا الحب والسلام والأمل ، وبشروا بالوحدة الكبرى ، وكونوا نواة جمع الشمل وقادة السير بالركب الى غايتـه الشريفة ان شـاء الله ، غايـة اسلامية لا شرقية ولا غربية .

فهمى عبد اللاه سيد على

***

كتاب الشهر

أبو ذر الغفاري والشيوعية

تأليف الإمام الراحل : **الدكتور عبد الحليم محمود**

عرض وتعليق : **الدكتور محمود بن الشريف**

تهب على الأجواء الاســـلامية فى الآونة الحالية مذاهب وافدة ، وموجات فكرية مستوردة،وتيارات تحمـــل فى طياتهـا التحـلل والانحراف والاغراق فى المــادية ، ومحاربة الروحية ومناجزة التدين.

وسدنة هذا الغــزو الفكـرى اللا دينى جهلوا أو تجاهلــوا أن الدين مركوز فى الطباع ، وأنـه اذا كانت تعترى الانسانية فترات ما تبدو فيهـا انها طـرحت رداء الدين ، أو فضــت عنها ثــوب العقيدة أو عاشت فى فراغ عقدى أو جدب روحى فما ذاك الا فورة عارضة ، أو نوبة طارئة ، أو لوثة لا تلبث بعـــدها ان تثـوب الى الايمان ، والى الحق ، والله هـو الحق المبين .

وما تلك الا لحظة من لحظـات التطاول أو الانحراف الانســانى سرعان ما تتبدد وتعود الانسانية بعدها الى الفطرة التى فطر اللـه الناس عليها .. الى صبغة الله .. الى دين الله ، اذ الدين مترسب فى الأعماق منذ الانسان الأول ، بل من الأزل منذ الميثاق الأول (**وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفســهم ألست بربكم ، قالوا : بلى شهدنا**) (آية ١٧٢ :الاعراف) .

فالدين متأصل فى النفـــوس ، والاعتـــراف بالربوبية فى أعمـاق البشر منــذ الأزل ، والطـــلائع البشريـــة التى رادت طـــريق الانسانية الأول ، كــان يحدوهـا ايمــان كــامن فى الأعمـــاق ، والأمم الخـــالية التى تكـاملت حضارتها وأخذت زخرفها وازينت كان لها مع هذه الحضارة المدنيـة حضارة روحية بعيــدة الجـذور عميقة الأغوار حتى القبـــائل البـــدائية المتقـــوقعة الآن فى الأحراش والأدغال والتى لا تعرف الا شريعة الغاب والنـــاب تؤمن كذلك بالقوة الالهية .

فالدين القيم هــو فطرة اللــه وصبغة اللــه ، والأناسى جميعـا خلقوا على هذه الفطرة الدينية ، وعلى تلك الجبلـــة القائمـــة على معرفة الله والاعتراف به (**فأقم**

وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) (الروم: ٣٠) ٠

وفى مقدمة هذه المذاهب الوافدة الغازية مذهب « الشيوعية » أو « الاشتراكية العلمانية ، فكلا الاسمين لمسمى واحد ينبعان من نبع صهيونى واحد ، ويجريان فى مجرى الحادى لا يعترف بدين ، ولايؤمن بآله ٠٠ ولا يعترف الا ٠٠ بالمادة!!

وعمد لفيف من شيوعى الشرق والبلاد العربية والاسلامية !! عمدوا الى نشر ما أسموه (الشيوعية الاسلامية أو الاشتراكية الاسلامية) وأضافوا على مذهبهم « رتوشا » وهمية وظلالا باهتة زاعمين أنها من الدين ليلبسوا على الأميين أمرهم فيحسبوها أنها من الدين ٠ وآنئذ تتصيدهم شراك هذا المذهب وأحابيله ، أو على الأقل يبتعدون عن ساحة الايمان الايجابى ، بعد أن تتزلزل معتقداتهم وتتبلبل أفكارهم ، ويكفى هذا مكسبا لهؤلاء المدبرين الماكرين **(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)** (الأنفال : ٣٠) ٠

كذلك تصيد دعاة الشيوعية مواقف اسلامية أخذوا جانبا منها خالوه يقوى متجهاتهم ، وعقدوا آصرة بين هذا الجانب وبين مبدئهم ، وجسموا هذه العلاقة الوهمية الواهية وطلعوا بها على ذوى العقيدة الايمانية الآلهية منادين مهللين بأن مبادئهم الوافدة لها سند من المعتقدات ، ولها ركيزة من التراث العقدى !!

وجندوا امكاناتهم ووسائل اعلامهم ليوهموا البعض بأن الاشتراكية من الدين ، وأن الشيوعية بينها وبين الاسلام رباط ، وأن أبا ذر الغفارى كان اشتراكيا ، وأنه سبق الشيوعية بأعماله وأقواله !! وفى أسى وأسف سمعنا من يردد فى « ببغائية » وامعية صيحات هؤلاء الحانقين الحاقدين ٠

وفى أسى وأسف كذلك رأينا البعض يدين فى جرأة بهذه الواجهة

البراقة ، واجهة الشـــيوعية أو الاشـــتراكية العلمية التى تزعم أنها تأخذ من المليء الثرى لتغطى الفقير المدقع •• ومن هنا كـان التأميم الــذى هــو ســـمة الاشتراكية •

ورأينـــا التأميم يطبق ويزعم أربابه أنهم يأخذون حق الفقـــراء من الأغنياء !!

انهم تحت هـــذا الــزعم لم يســتولوا على حــق الفقراء من الأغنياء ، انما اغتصبوا كل ما عند الأغنياء ونهبوا ما بناه العصاميون بجهدهم وكدهم وحبات عرقهم•• استولوا على كل ذلك لتتنعم بــه طائفة معينة منهم ، ظل الســواد الأعظم من أشـــياعهم واتباعهم يعيشون حياة الســوائم ، اما فى المعسكرات ، أو فى الســـجون ، والمعتقلات ، لا اعترف بحرية رأى، ولا اقرار بكرامة انسان أو آدمية بشر ، لا طعام لمن لم يعمل ، ومن عمل فأجره لقيمات تمنح له عــن طريق البطاقات فى المعسكرات•وفى المعسكرات لا أسرة ، ولا علاقات أسرية ، وهل تعرف السوائم الا العلاقات الحيوانية !!

ومن أجل وضع الحق فى نصابه وبنيان علاقة الدين بهذه الأنظمة البشرية الموضوعة ••

ومن أجل ازالة ما علق بأذهان البعض من الشوائب والضـــلالات والأوهام التى أطلقهـــا الملحدون المغرضون عن علاقة الشـــيوعية بالاســـلام •

من أجل ذلك كلــه كان هـــذا الكتاب •• كتاب « أبو ذر الغفارى والشيوعية » •

ألفـــه رائد من رواد الفـــكر الاسلامى المعـــاصر ، وامام من أئمة المسلمين العالمين العاملين هو هو المغفـــور له الامـــام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق •

وكان من نافلة القول أن نرسم هنا معالم شخصيته الــدينية وأن نعرف به ، فهو غنى عن التعريف، اذ أن أى مسلم له اتصـــال ولو من بعيد بواقع المسلمين المعاصرين ومشكلاتهم وحركات التجـــديد

الدينى والاصلاح الاسلامى وصوفية المسلمين الحقة الحرة الخالية من الأوهام والخالصة من الشوائب والمتجردة من الدخيل والأباطيل يعلم مكانة الأستاذ الشيخ عبد الحليم فى كل هذه المجالات ويعلم مدى ما أسهم به فى هذه النواحى وتلك المناحى من توجيهات صائبة وتواليف قيمة .. فضلا عن لقاءاته وندواته فى عديد من بلاد العروبة والاسلام .

ومع ذلك ، وعلى الرغم من ذلك فان لشخصية الامام الراحل عبد الحليم محمود وسماته الدينية ، وتوجيهاته للمسلمين والمصلحين تفصح عنها مقدمة هذا الكتاب .

وفى الصفحات الأولى من المقدمة يكشف فيها الامام الراحل مناورة أو مؤامرة قام بها الشيوعون ضد الاسلام وضد شيخه يقول عنها الامام : « شاءت المقادير أن أساق سوقا الى معركة مع الشيوعية بسبب كلمة عابرة ، بل أقل من عابرة اذا أمكن أن يقال ذلك !! كتبتها عن الشيوعية فكان الرد على هذه الكلمة العابرة أو الأقل من عابرة صفحات من الشتائم والسباب والتهجم على شخصى وعلى ما أمثله من مجال فى مجتمعنا الاسلامى .

وفوجىء العالم الاسلامى بهذا الهجوم واشمأز منه ..

ثم يتابع الامام حديثه عن أثر هذا الهجوم فى نفسه ، فيقول : « أما أثره فى نفسى فانه لم يكن غضبا ولا ثورة ولا شتائم ولا لعنات ، لقد أنزل الله على قلبى سكينة تامة ، وغمرنى شعور بالهدوء ، وسرت فى أعمالى التى كنت مستغرقا فيها ، وكأن شيئا لم يحدث ، وكما شكا الامام ابن مشيش — رضى الله عنه — من برد الرضا فقد وجدت فى صدرى برد الرضا هذا ، ولكنى لم أشك منه ، وانما استغرقت فى تفكير مركز فى الشيوعية ، ودرست الشيوعية فى استفاضة ، وكانت النتيجة .. » .

وقبل أن نمضى مع فضيلته .. لنا هنا وقفة ، فمن هذه الكلمـات السابقة نستطيع أن نســـتشف شخصية امام المسامين الراحل ، فهو يصمد ويثبت أمام ما يثـيره أعداء الاســلام ضد شـخصه ، ويلوذ ــ كما هو شـأن المؤمن ــ بالايمان يمده بالسكينة ويعينـه على قولة الحق يقذف بها وجـوه هؤلاء الذين يزرعون الفتنـة فى الحقل الاسلامى ، ويبذرون بذور الشقاق فى الصف الاسلامى حتى ينالوا من وحدته ومن توحيـــده **(يريــدون ليطفئــوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)** (الصف آية ٨) .

وبعد البحث والدراسة ــ كما تقول المقدمة ــ عرض المؤلف فى صدق وعمق للشيوعية ــ ، وعرض بهـا ، ، وأبـان زيف مفاهيمهـا وشعاراتها الضـالة المضـــللة ، وروافدها التى انغمس فى حمأتها البعض ممن ختم اللـه على بصره وغطى على بصيرته ، وفند مزاعمها وكشف الستر عن ألوانها .

ومن حـــديثه عنهـا : « ان الشيوعية تنكيل وتعذيب ، وقتل ، واراقة دماء ، وسحل ، اذا ملكت وتحكمت ، وهى هجوم وســباب وشتائم لاسكات الأقلام والألسنة اذا لم تكن قد وصلت الى التحكم والســيطرة ، ورأيت بعد هـذا الاستغراق فى موضوع الشيوعية الذى كان نتيجته الهجـــوم على شتائم وســبابا دون مبرر ، رأيت من تاريخ الشيوعية الطويل أنهـا من أعدى أعداء الاسلام كما أنها من أعدى أعداء المسيحية .

ان من أخطــر ما يتهـددنا من الشيوعية أنها تهددنا فى عقيــدتنا وفى أخلاقنا وفى أموالنا ودمائنـا ولابد من مقاومة ذلك على الصعيد القانونى ، وعلى صعيد التوعيــة الشعبية الجماهيرية .

ان كل شـــخص يعلم حقيقة الشيوعية فانه يفر منها كما يفر من الوباء .. » .

وبعد أن أمــاط الامام اللثــام وأبان زيف هذا المذهب ، ووضعه تحت الأضواء العقيدية الكاشــفة ســـاق بعد ذلك اســـتفهامات

وتساؤلات حول سكوت ذوى العقيدة الالهية من مسلمين ومسيحيين عن مناهضة الشيوعية ، فهو يقول فى المقدمة :

« .. وتساءلت : لم سكت علماء الاسلام عنها ؟ ولم سكت أحبار المسيحية عنها ؟ بل تساءلت : لم لم أكتب أنا عنها من قبل لم لم أجعل دراستى لها وبيانها للناس من منهجى فى الاصلاح ؟ لم سكتنا عنها هذه السنوات الطوال مع أنها تسوم المسلمين خسفا وتنكيلا ، وتعادى الاسلام أفظع ما تكون العداوة وأقسى ما تكون العداوة : انها عداوة ضارية .. » .

ولم يترك الامام الراحل هذه التساؤلات معلقة من غير جواب ، فقد أجاب عنها ، وفى صراحة صريحة وضع النقاط على الحروف ، وقال اننا شغلنا بالخلافات الفرعية والمماحكات اللفظية ، وتركنا الأسس ، وبعدنا عن المجابهة والمجاهدة .

ثم دق — رحمه الله — الناقوس ، ووجه المسلمين ، عامتهم وخاصتهم ، الى ما يجب عليهم أن يتخذوه حيال ذلك الوباء الوافد والبلاء الغربى الذى هب بقتامه على الصعيد العربى الاسلامى .

يقول : « لقد شغلنا الأعداء بخلافات ما كان ينبغى أن تكون بين المسلمين يشغلون أنفسهم بها تاركين الأعداء يهدمون الدين وينكلون بالمسلمين !! هل لنا أن نكف عن الحديث عن زيارة القبور ، وعن قراءة سورة الكهف، وعن الكتابة فى الجبر والاختيار ، وعن حمل المسبحة أهو بدعة ؟! وعن شد الرحال وهل يتضمن النهى عن زيارة الأولياء أو لا يتضمنه ؟! هل لنا أن نفكر فيمن يريد أن يستأصل الاسلام من أساسه ؟ وأن يأتى عليه من القواعد ويعمل على ازالته من الوجود ؟

أرجو الله أن يتنبه علماؤنا الأفاضل ومفكرونا الأجلاء الى الخطر الآتى من الغرب ومن

الشرق ليتخذوا عدتهم لمقاومته ، وان من أخطـر ما يتهـــددنا الشـيوعية •

أما الفصل الأول من الكتـاب فقد تحدث فيـه الامـام الأكبر الراحل عن أبى ذر والشيوعية من زاوية العقيدة وأبان فيه شخصية أبى ذر وسماته وصـفاته قبيـل اسلامه ، وتطلعه واستشرافه الى الدين الحق والى العقيدة المتينـة المكينة •• ثم لقائه بالرسول صلى الله عليه وسلم وايمانه به . وعما لقى فى سـبيل ذلك الايمـان من عنت •• ورهق •• ومشقة •

وألقى ــ رحمه الله ــ الأضواء على الأجواء الايمانية التى كـان يحيــاها أبو ذر عقب ايمـانه •• وعرض عقيبها الأجواء الالحادية التى نـادى ــ وينـادى بها ــ ماركس وأعـــوانه من دعـــاة الشـــيوعية وغلاتها « وبضـــدها تتميز الأشـياء » عرض مـوقف ماركس منذ أن أوجد الشـيوعية ونادى بها وعرض شـــعاراتهـا الهادفة للتدمـير الهادمة لـــكل دين القاصدة تخريب الأفئـدة من اليقين ، وتجريد النفوس من كـل عبادة الا عبادة المادة •

ثم تحدث عن تلميـذ ماركس وخليفتـــه (لينـين) الـــذى قال ان الالحاد جـزء طبيعى من الماركسية لا ينفصـل عنهـا وأن الماركسية هى المادية المعـــادية للدين ، وأن البحث عن اللــه لا فائدة منه •

وأورد فضيلة المؤلف عقب ذلك أقوال الشيوعين عن الدين ، وساق فى هذا المجال « لونا شـاركسى » وزير التعليم الشيوعى الذى قال : « نحن نكره المسيحية والمسيحيين، وحتى أحسن المسيحيين خلقا نعده شر أعدائنا ، وهم يبشرون بحب الجيران والعطف والرحمة وهـذا يخالف مبادئنا ، والحب المسيحى عقبة فى سبيل تقدم الثورة فليسقط حبنا لجيراننا ، فان ما نريده هـو الكراهية والعداوة ، وحـين ذاك نستطيع غزو العالم •• » •

كما ساق الامام فى هذا المجال

أيضا القرار الذى اتخـذه المؤتمر الدولى الشيوعى السادس الـذى عقد فى سنة ١٩٢٨ م الذى جـاء فيه :

« ان الحرب ضـد الـدين — الذى هو أفيون الشـعوب — تشغل مكانا بين أعمال الثـورة الثقافية ، ويلزم أن تسـتمر هذه الحرب ، وباصرار ، وبطريقـة منظمة .. »

وفى نهاية هـذا الفصـل خرج الامام المؤلف بالقول الحق حينما قال أن الشـيوعية مناقضـة للاسلام مناقضة تامة .

كما أجاب عن التساؤل عن الصلة بين أبى ذر والشيوعية ، فقال ان الاجابة معروفة واضحة : انهـا الصلة بين الايمان والكفر ، الصلة بين الاسلام والالحاد .

ثم يمضى فيقول : ما نصـيب الشيوعية فى أبى ذر لو علم بها ؟ ان نصيبها منه اللعنة ، وأن نصيبها منه العداوة الى حد السـيف .. وأن نصـيبها منه مقت المؤمن لمن يحاد الله ورسوله .

وعن زهد أبى ذر — رضى الله عنه — كان الفصل الثانى من هذا الكتاب — وفيـه نرى وصـاية رسول الله صلى الله عليه وسلم له بمجالسة المساكين والرحمة بهـم والدنو منهم ، وصلة الرحم وقوله الحق ، والشجاعة الأدبية .. ثم كثرة الذكر .

وخرج أبو ذر بهذه الوصـايا المحمدية من حيز القول الى نطاق السلوك العملى « طبقها أولا على نفسه .. ثم عـلى أهـله وقومه وصحبه » . وكان هذا الارشـاد المحمدى هو المنطلق الذى حـدد ملامح شـخصية أبى ذر بعـد اسلامه ، ولون سـلوكه وكون شخصيته التى حـاول تشـويهها وتلويثها بعض الحاقدين الناقمين ، وبعض الجهلة من عوام المسلمين من ذوى النظر السطحى والنظرة العابرة الذين لا يصلون الى الغور والعمـق ، لأنهـم سطحيـون هامشـيون يأخذون الأشـياء بمظاهرها ويحكمون على الأمـور بظواهرها .

وعن زهد أبى ذر قال الدكتور عبد الحليـم : « ان أبا ذر كـان زاهدا جميلا يحب للناس الخير ، فكان يدعوهم الى الزهـد حتى لا يكون حسابهم على المال ثقيلا يوم الحساب ، وذلك أن الانسان يسأل يوم القيامة عن ماله فيما أنفقه ؟ وكان أبو ذر يحب أن يمر المسلمون على الصراط خفافا وألا يكون المال عقبة فى سبيل تيسير الحساب .

وكما أحب الخير لنفسه والتزم أن يختزن ما يكفيه وأسرته العام كاملا ، وأن يتصدق بما فضل عنده ويفعـل ذلك كل عام ويقتنى أغزا ودواب يحلب منها ويشرب ويهب ويتصـدق فـانه كان يحب ذلك لأصحابه ..

وفى موطن آخر من هذا الكتاب يواصل المؤلف حديثه التحليلى عن أبى ذر وزهده فيقول : « .. وكان زاهدا ، بل رأسـا فى الزهـد ، وزهده الذى كان زهد المتجردين . وزهـد المتجردين هـو الزهـد الاختيارى ، أى : الزهد مع قدرة الانسان على الكسب ، انه زهـد يحرر فيه الزاهد بمنتهى حريتـه من شهوات الدنيا لم يجبره أحـد على الزهد ، ولم يجرده أحد من مـال . وزهـده ودعـوته الى الزهد كل ذلك لا يمت بصلة الى استعمال القوة والقهر فى الاستيلاء على المال » .

وفى هذا الفصـل أورد الامام الراحل النصوص الاسلامية التى تحدثت عن زهد أبى ذر وعطـائه وبذله ، كمـا أورد أحـاديث ابن مسعود ، وأسـماء ، وسـعيد بن الحسين ، رضى الله عنهم أجمعين.

وعنـدما عرض الدكتـور عبد الحـليم قول الذهبى : ان أبا ذر كان لا يستجيز ادخار النقدين . علق الدكتور عبد الحليم على هذا المتجه الذى ذهب اليـه أبو ذر فقال : « ومذاهب الناس الفردية فى الحيـاة ــ مادامت خالية من المعاصى ــ فانها مبـاحة للأفراد كأفراد ومباح للأفـراد كأفـراد أن ينصـحوا ويبينوا العظـاتـ والعبر فى محيط هذه الحيـاة ، سـواء أخذ النـاس بها أم لم يأخذوا .

وإذا كـان ذلك مذهب أبى ذر الذى يشبه ـ مع فارق الايمـان والتقوى ـ مذهب زهاد الفلاسفة فى العصور القـديمة والحـديثة والذى غايته هدوء البال والراحة فى الدنيا عند الفلاسفة ، والراحة فى الدنيا والأخرة عنـد أبى ذر ، فان للأفراد ـ كأفراد ـ مذاهب أخرى ، ولكننا نحب أن نقول ان أبا ذر كان ينصـح ويعظ ليقبـل الناس على البذل مختارين ، ومـا كان يدور بخـلده قط أن يقهـر ويغتصب ، بل انه لو رأى القهـر والاغتصـاب لقاومه بسـيفه ، ولضحى فى سبيل وقفه بنفسـه ، فانه ما كان يرضى بالظلم . واذن ، فهو بعيد كل البعـد عن المذاهب الحديثة ، وليس للمذاهب الحديثة فيه نصيب ، اللهم الا حينما تلفق الآراء وتزيف الحقائق ..

وما دام لأبى ذر موقف خاص ومذهب ، وفلسفة تجاه المال كان الفصل الثالث من هـذا الكتـاب خاصا بالحديث عن أبى ذر والنظام المالى فى الاسلام . وقد أوضـح الدكتور عبد الحليم خطـوط هذا النظام المالى الاسلامى ، وكشـف معالمه وأبان ركائزه من أن المـال لله تعالى وقد استخلفنا فيه ، وأن المولى سبحانه قد وضـع قـواعد لكسب المال ، وقواعد لطهارة المال ، وقواعد للأغنياء الذين رزقهم الله المال ، وأن شريعة الله قـد نظمت الأمر فيما يتعلق بالمال من ناحيـة التجـارة والبيـع والشراء .. وحرمت فى الوقت نفسه اغتصاب المال وانتزاعه من أصحابه من غير وجه حق ، وبعدئذ يقول شـيخ الأزهر السـابق ـ رحمه الله ـ « وما دام الأمر كذلك فان أبا ذر لا يرضى أن تغتصب أرض أحد أو أن يغتصب منه شبر . ولو حـدث ذلك فى عهده وسلم له بمجالسـة المساكين والرحمة لثار ثورة عارمة فيها الاخـلاص ، وفيهـا الارادة العازمة ، وفيها الحدة التى اتسم بها ، وذلك لأنها تخالف ما عرفـه الاسلام لقد ملكت عليه شـعائر الاسـلام قلبه فكان يؤديها كمـا رآها آلاف المـرات فى سـلوك

الرسول صلى الله عليه وسلم •

وفى نهاية هذ الباب عرض الامام الأكبر صورا اسلامية كشــفت أن الاســلام لا يعادى المال • وأن دعوته للكسب والعمل ولبذل الجهد فى تحصيله تحت ظلال المبــادىء الاسلامية وفى حدود الأطــر التى حددها الشرع للعمل وللاســتثمار وللانمــاء أبان أن ذلــك كله مــن الاســــلام •

وأبان أن المسلمين كانوا يعملون فى كسب المال فى عهد رسول اللــه صلى الله عليه وسلم ، وأن البعض منهم ــ رضوان الله عليهم ــقــد أثــروا ثــراء عظيمــا ولم ينههم رسول الله صلى الله عليه وســلم عن الازدياد •

ولم يأمرهم بالوقوف عند حــد فىالتجارة والكسب •

وكان من هــؤلاء الــذين كدوا وأثروا عبد الرحمن بن عــوف • وحينما تحدث شــــيخ الأزهــر السابق عن عبد الرحمن بن عوف ، وعــن أنه أحــد العشرة المبشرين بالجنة ، وعن ملايينه ، وعن موقفه تجاه هذه الملايين ، وعن معطياتهفى ميادين المال والاقتصــاد والخدمة الاجتماعية الاسلامية حينما تحدث هذا الحديث عن عبد الرحمن بــن عوف جعــــل عنــوان الحــديث « البليونير الصالح عبد الرحمن بن عــوف » •

ولنا وقفة مع هذا العنــوان ، ومع ما ينــدرج تحته من دلالات ومعان ومضـــامين ، فالتعبــير بالبليونير الصــالح تعبير جــديد استقطب فى كلمتين اثنتين معــانى كثــيرة ودلالات عــديدة دلت فى ايجاز وتركيز على وفــرة الثروة وصلاح صاحبه ، ودلت على غــير هذا من المضــامين والدلالات التى يشير اليها قول رسول الانســانية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم : « نعم المال الصالح للعبد الصالح » •

وقد تضمن الكتاب أبوابا أخرى وخاتمة يطــول بنا الحــديث لو تناولناها بالعرض والتحليل الا أننا نقول ان الكتاب ســهل التنــاول تخلصت عبــاراته من الغمــوض

والتعقيد والحشو والاسهاب وأن كل قضية عرضها أيدها بعديد من النصوص الاسلامية الثابتة ، وأن الكتاب رائد فى موضوعه رائد فى تحليله وتعليله ، بل وفى « حجمه » و « قطعه » فقد حرص الامام المؤلف ــ كما جاء فى مقدمة كتابه ــ على أن يظهر الكتاب فى ثوب مناسب الحجم حتى يعم به النفع .

والحق معه فى ذلك ، فما أحوجنا ونحن فى عصر السرعة ، بل فى عصر حمى السرعة ــ ما أحوجنا الى كتيبات تقدم للعامة وأنصاف المتعلمين زادا دسما فى ثوب مناسب .

وما أحوج هؤلاء الذين تحول شواغلهم ومشاغلهم تحول بينهم وبين القراءات المسهبة المستفيضة ما أحوجهم الى هذا اللون من الحجم ، ليجدوا فيه بغيتهم من الافادة فى قصير من الوقت وكثير من الفائدة .

والكتاب مع ذلك كله ــ وبعد ذلك كله ــ يقدم معلوماته فى حلة قشيبة من جمال الطبع وجميل التوضيب وروعة الاخراج اللهم الا هنة هينة من خطأ مطبعى لا يخفى ادراكه على لبيب ، جاء فى السطر الأول من صفحة ٣٢ حيث وردت كلمة (تخبره) وصوابها : تجبره .

وفى النهاية نردد معه دعاءه ورجاءه الذى أنهى به المقدمة عندما قال (وأرجو الله أن يهدى بهذه الكتب وبما يتلوها ، وأن يهدى لها ، انه سميع قريب مجيب) .

الدكتور محمود بن الشريف

فهـرس العـدد

الموضـــــوع	صـــــفة
• **احتفالات الازهر الشريف بمطلع القرن الخامس عشر الهجرى**	
صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر	٢٢٥
• **الاسلام يحرر الفكر الانسانى من الجمود والتقليد**	
لفضيلة الدكتور محمد الطيب النجار وكيل الازهر . . .	٢٣١
• **انس بن مالك**	
لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية	٢٤٠
• **الاسلام عقيدة وشريعة**	
للأستاذ محمد صابر البرديسى	٢٤٧
• **دراسات قرآنيـــة**	
لفضيلة الشيخ مصطفى الطير	٢٥٣
• **خلق الانسان فى القرآن**	
للدكتور محمد خليفة	٢٦٢
• **نحو اعلام اسلامى رشيد « الصحف والمجلات »**	
للدكتور محمد رجب البيومى	٢٧٧
• **الاحداث الكونية للقيامة والاعجاز العلمى للقرآن**	
للدكتور منصور محمد حسب النبى	٢٨٤
• **محمد عبده والاصلاح الدينى**	
للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي	٢٩٣
• **أمـر الله ورســوله**	
للشيخ معوض عوض ابراهيم	٣٠٠
• **خـواطر حـول الخـلود**	
للأستاذ السيد حسن قرون	٣٠٦
• **محنـة المسـلمين**	
للدكتور ابراهيم ابو الخشب	٣١٥
• **الامام ابن الطلاع القرطبى**	
للمستشار محمد عزت الطهطاوى	٣١٩

الموضـــــوع	صـــفة

- **مع آيات من سورة النساء**
  للأستاذ عبد الحميد الفضالى ٣٢٩
- **الهجرة وبناء الحضارة الانسانية**
  للأستاذ عبد الحكيم النجـار ٣٤٣
- **أم معبـــد**
  للدكتور محمد محمد الشرقاوى ٣٤٧
- **الامن ومقا[illegible]**
  للواء م[illegible] الدين محفوظ ٣٥٥
- **اللغ[illegible]**
  لل[illegible] عبد الغفار حامد هـلالى ٣٦٤
- **الأزهر جامعا وجامعة**
  للأستاذ محمد [illegible]ال السـيد ٣٧٤
- **نبذة عن حياة الشيخ الدجوى فى ذكرى وفاته**
  اعداد الأستاذ ســعيد عبد الحى ٣٨٢
- **حـكم وطـرائف**
  اعداد الاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٣٨٦
- **باب الفتـــاوى**
  أعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين ٣٩٠
- **من أنبـاء العالم الاسلامى**
  اعداد الاستاذ فهمى عبد اللاه ســيد على ٣٩٥
- **كتــاب الشــهر**
  عرض وتعليق : الدكتور محمود بن الشريف ٤٥٢

طبع بمطابع روز اليوسف

ص ١٣
٤٤٤٤٤

مدير المجلة
محمد صابر البريدي

مجلة
الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

ادارة مجلة الأزهر
القاهرة
ت :
٩٠٩٩٢٢
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثالث - السنة الثالثة والخمسون - ربيع الاول سنة ١٤٠١ هـ - فبراير سنة ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم كما يصورها القرآن الكريم

لفضيلة الدكتور / محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الاسلامية

كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الدنيا كالشجرة الطيبة التى ثبتت أصولها ، وانبسطت ظلالها ، وآتت ثمارها المباركة فى كل وقت وحين ، بل كالمشكاة النيرة يتألق ضوؤها ذات اليمين وذات الشمال وفى كل مجال . ويهدي الله بها من يشاء من عباده .. فلما قضى الله على رسوله أن يلحق بالرفيق الأعلى ويوضع جسده الطاهر فى باطن الأرض رجع الناس بسيرته نورا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، وسوف يظل هذا النور هداية للناس ورشادا ما دامت السماوات والأرض وما بقي الوجود كله ..،

وانه لحق علينا ــ نحن المسلمين ــ أن ننتفع بهذا النور المبين ، وأن نحسن استغلاله بدل أن تعشى به أبصـــارنا فيلتوى علينا القصــد ويضيع منا الطريق •• « **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهـدى به الله من اتبع رضـــوانه ســبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهــديهم الى صراط مستقيم** » •

وقد عصم الله عز وجل رسوله محمدا ــ كما عصم سائر الرســل والأنبياء فجعلهم مفطــورين على الصدق والأمانة مبرئين من العيوب معصومين من الخطايا والذنوب • ذلك لأنهم القدوة الحسنة والمثــل الكاملـــة العليــا أمــــام الأمم والشعوب •

أجل • لقد أدب الله رســوله فأحسن تأديبه ، ومنحه من كمــال الخلق وجميل الصفات ما لم يمنحه لأحد من العالمين ، ووصفه بــذلك فى محكم كتابه فقال : « **وانك لعلى خلق عظيم** » •• وأمره بأن يكون رمزا للخير والبر فقال له : « **خــذ العفو وامر بالعرف وأعــرض عن الجاهلين** » •

وقال له فى آية أخرى : « **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل** » وقال : « **واصبر وما صـــبرك الا بالله ولا تحـــزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون** » • وقد تواترت الأخبار على حسن امتثال الرسول لما أمره الله به من هذه الصـــفات الكريمة •• فما من حليم الا عرفت له بعض الزلات والهفوات ، ولكن النبى محمدا صلوات الله وسلامه عليـــــه لم يكن يـــزداد على كثرة الايذاء الا صبرا وحلما ، وكـــان لا ينتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله ، وفيما يروى عن أنس رضى الله عنه أنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وســلم وعليه برد غليظ الحاشية فجــذبه أعرابى بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عنقه ثم قال : يامحمد • احمل لى على بعيرى هذين من مال الله عندك ، فانك لا تحمل لى من مالك ولا مال أبيك ، فسكت النبى ثم قال : المال

مال الله وأنا عبده ، .. ثم قال : ويقاد منك يا أعرابى ما فعلت بى ، قال الأعرابى : لا ، قال الرسول : ولم ؟ قال لأنك لا تكافىء بالسيئة السيئة فضحك الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أمر بأن يحمل له على بعير شعير . وعلى الآخر تمر .

وهكذا كان خلق الرسول صلى الله عليه وسلم تنفيذا عمليا لما وصاه الله به فى كتابه العزيز فى البر والخير وكريم الخلال وصالح الأعمال.لم يتخل عن هذه الصفات الكريمة فى أية لحظة من حياته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

واذا كان القرآن الكريم قد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأجل الصفات التى تؤكد طهارته وعصمته ، كما نجد ذلك واضحا فى جميع الآيات القرآنية التى تحدثت عن الرسول الكريم . فان هناك بعض الآيات القرآنية التى تبدو فى ظاهرها متجافية عن العصمة الواجبة له والواضحة فى جميع أفعاله ، ولكنها فى واقع الأمر . ولدى التأمل وامعان النظر تتكشف حقيقتها التى لا تخدش العصمة ولا توهن جانبها .. وذلك مثل قوله سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم : **« وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه »** .

وقوله : **« يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟ » وقوله « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم » .. وقوله « عبس وتولى أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى . فانت له تصدى . وما عليك ألا يزكى .وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى »** .

فهذه الآيات فيها لوم موجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم واللوم لا يكون الا عن تقصير أو خطيئة ، والتقصير والخطيئة لا يتفقان مع العصمة .. ولكن

المتـــأمل فى معانيها الدقيقـــة وفى السبب الذى نزلت من أجله لا يرى فيها شيئا يبعد عن نطاق العصمة أو يتجافى معها ..

فأما قول الله لمحمد صلى اللـــه عليه وسلم : « **وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه** » (١) . فان ذلك يرجع الى قصة زواج الرســـــول بزينب بنت جحش وكانت من قبل متزوجة من الابن المتبنى للرسول وهـــو زيد بن حـــارثة . وكـــانت طبيعتها العربيـــة تأبى عليهـــا أن ترى فى زيد كفئا لها . ولهذا ساءت العشرة بينهما . وكان زيد كثـــيرا ما يشتكى للرسول من اساءتها اليه فيقول له الرسول : « **أمسك عليك زوجك واتق الله** » .. ولما بلـــغ الأمر بزيد نهايتـــه . ولم يعد فى قوس الصبر منزع ــ كما يقولون ــ طلقها زيد وزوجها الله لرسوله أى أمره بالزواج منها . وكان ذلك لحكمة تشريعية جليلة **وهى ابطال** تلك العادة الفاســـدة التى كانت تحرم زواج المتبنى بزوجـــة ابنه المتبنى ، وذلك لأن هذه البنـــوة ادعائية فلا يمكن أن تترتب عليها آثار البنوة الحقيقية .. أما كون الرسول كان يخفى فى نفسه ما الله مبديه فليس معناه أنه كان يخفى حبها فى نفسه ولا يظهر الحقيقـــة لزيد . وانما يقصـــــد به أنه كان يخفى أمر الله له بالزواج منهـــا ، وقوله تعالى : « **وتخشى النـــاس والله أحق أن تخشاه** » معناه أنك تخشى قول الناس تزوج محمـــد من زوجـــــة متبنـــــاه ، ويؤكد ذلك قـــــول اللـــه تعالى بعـــد ذلك : « **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها** » . أى الزمناك بالزواج منها مع خـــوفك من عواقب هـــذا الزواج وعدم رغبتك فيه ..

وأما قوله تعالى : « **يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك** » (٢) .

---

(١) سورة الاحزاب آية ٢٧ .
(٢) سورة التحريم آية ١ .

فلم يكن الرسول قد حرم ما أحل الله له بما يفهم من ظاهر الكلمة . وانما تشير الآية الكريمة الى قصة معروفة وقعت بين نساء الرسول صلى الله عليه وسلم . وذلك أن الرسول كان اذا صلى العصر مر على سائر نسائه فيمكث عند كل واحدة وقتا يسيرا للايناس واذهاب الوحشة ولكنه دخل عند زينب بنت جحش فشرب عندها عسلا كان قد أهدى لها من أهلها ، وقال ذلك عدة مرات ، فاتفق نساء الرسول على أن تقول له كل واحدة منهن اذا دنا منها : « **انى أجد منك ريح المغافير** » والمغافير نبات حلو الطعم ولكنه متغير الرائحة . فلما ذهب الرسول الى عائشة قالت له هذا الكلام فقال لا ولكنى شربت عسلا عند زينب فقالت له : لعله قد جرست نحله العرفط (أى أكلت النحل من نبات العرفط وهو نبات له ريح الخمر)، ولما ذهب الى حفصة قالت له مثل هذا الكلام . وهكذا ، وكان الرسول يحب الريح الطيبة ويكره أن يأكل الطعام الذى يسبب الرائحة الكريهه ، ومن أجل تواطئهن جميعا على هذا الكلام حرم الرسول صلى الله عليه وسلم العسل على نفسه ، فنزل قوله تعالى : « **ياأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم** » (١) . وبذلك يكون ما فعله الرسول لا يتعلق بالدائرة الكبرى فى الحلال والحرام الذى يتعلق بأفعال العباد، وانما يرتبط بالدائرة الخاصة بينه وبين زوجاته فى مسألة شخصية . وفى أمر خاص لا يتعداه الى غيره.

وأما قوله تعالى : « **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** »(٢) فهى عتاب من الله لرسوله حينما

---

(١) سورة التحريم آية ١ .
(٢) سورة الأنفال آية ٦٧ ، ٦٨ .

اجتهد فأخطأ فى اجتهاده وقبل الفداء من الأسرى المشركين فى يوم بدر ولم يقتلهم وقد ظن الرسول أن الخير والمصلحة العامة فى ذلك وفقا لمشورة فريق من المسلمين فقضى به وأمضاه ، وكان عتاب الله لرسوله لكى يرشده لما يجب أن يكون بعد ذلك • وليس معناه أن الرسول قد ارتكب ما يؤاخذه الله عليه • وهذا هو ما يفهم من قوله تعالى فى الآية الثانية : « **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** » أى لولا ما حكم الله به من أن المجتهد اذا أخطأ لا يؤاخذ بخطئه لمسكم العذاب •• وأما قوله تعالى : « **عبس وتولى • أن جاءه الأعمى** » **الخ • الآيات فهو** ــ كذلك ــ خطأ وقع باجتهاد من الرسول صلى الله عليه وسلم • وذلك أن الرسول كان متصديا للحديث مع الوليد بن المغيرة يحاول أن يهديه للاسلام ، والوليد سيد من سادات قريش • وفى اسلامه كسب كبير ومغنم عظيم ، ومن أجل ذلك كان الرسول مستغرقا فى الحديث معه ومشغولا به عن كل شىء ، وفى هذه اللحظات مر به عبد الله بن أم مكتوم (الأعمى) وجعل يستقرئه القرآن وألح عليه قائلا : علمنى مما علمك الله • فشق ذلك على النبى وآلمه أن يحاول هذا الرجل صرفه عن (الوليد) الذى كان يتمنى اسلامه ويطمع فيه فعبس فى وجهه وأعرض عنه فنزلت هذه الآيات الكريمة : « **عبس وتولى** » **الخ الآيات** • فعلم الرسول أنه أخطأ فيما فعل بهذا الأعمى الضعيف • وكان كلما مر به هذا الرجل بعد ذلك يحسن استقباله • واذن فقد كان هذا الخطأ من الرسول عن اجتهاده حيث كان يعتقد أن الفرصة التى يمكن أن تتم باسلام الوليد سوف يترتب عليها اسلام عدد كبير من بنى مخزوم تبعا لاسلام سيدهم • أما عبد الله بن أم مكتوم فيمكن أن يتعلم مبادىء الاسلام فى وقت آخر لا تضيع فيه فرصة وجود الرسول مع (الوليد)وتصديه لهدايته •

وبهذا يتضح لنا أن الأمور التى عاتب الله فيها نبيه الكـريم ليس فيها مخالفـة لما أمـر به اللـه • ولا وقوع فيما نهى عنه • وهى مع ذلك لا تغض فى قليل أو كثير من المثل الأخـلاقية التى عـرف بها الرسول صلى الله عليه وسـلم ولا تتنافى مع العصـمة الواجبـة له •• وهكذا يطهر الله رسوله من شوائب النقائص ويسـمو به عن الخطايا ، ويجنبـه شر الـذنب والمعصية ، ليكون القدوة الصالحة، والأسوة الحسنة • وصدق اللـه العظيـم : « **يا أيهـا النبى انـا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى اللـه باذنه وسراجـا منيرا** » •

هذا ومن الله العون وبه التوفيق

د/محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الأزهر
وعضو مجمع البحوث الاسلامية

من أئمة المحدثين
عبد الله بن عباس

لفضيلة الدكتور/ الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

نسبه : عبد الله بن عبـاس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم النبى — صلى الله عليـه وسلم •

وكنيته : أبو العباس •

عناية النبى صـلى الله عليـه وسلم به :

عن ابن عباس قال : حدثتنى أم الفضل بنت الحرث ، قالت : بينما أنا مارة والنبى — صلى الله عليه وسلم — فى الحجرة ، فقال : يا أم الفضل ؟ قلت : لبيك يارسول الله ؟ قال : انك حامـل بغـلام قلت : كيف ؟ وقـد تحـالفت قريش لا يولدون النساء ؟ قال : هو ما أقول لك ، فاذا وضعته فائتنى به ، فلما وضعته ، أتت النبى — صلى اللـه عليه وسلم — به فسماه عبد الله ، وألباه بريقه (صب ريقه فى فيه) •

ثم قال : اذهبى به ، فلتجدينه كيسا •

قالت : فأتيت العباس فأخبرته فتبسم ، ثم أتى النبى — صـلى الله عليه وسـلم — وكان رجـلا جميلا مديد القـامة — فلمـا رآه النبى — صلى الله عليه وسلم — قام اليه ، فقبـل ما بين عينيـه ، وأقعده عن يمينه •

ثم قال : هذا عمى ، فمن شـاء فليباه بعمه ؟ قال العباس : بعض القول : يارسول الله ؟ قال : ولم لا أقول وأنت عمى وبقية آبائى ، والعم والد ؟!

كان ذلك بالشعب الذى حاصرت قريش فيه بنو هاشم ، قبل الهجرة بثـلاث سنين ، وقيل خمس —

ونلمح من هـذه الرواية ما كانت عليه العلامة بين النبى — صلى الله عليه وسلم — وعمه العباس من توطد والتئام ، رغم بقاء العباس على دينه !؟

وعن سعيد بن جبير ، عن ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : توفى النبى — صلى الله عليه وسلم — وانا ابن خمس عشرة — ورغم صغر سنه فانه استفاد من معاشرته للرسول — صلى الله عليه وسلم — الكثير ، مما رفع قدره وأعلى ذكره ، وأبقى أثره وساعد على ذلك أدبه الجم ، وأخلاقه الفاضلة .

فرغم تدليل الرسول — صلى الله عليه وسلم — له ولاخوته فيما يرويه عبد الله بن الحرث ، قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يصف عبد الله ، وعبيد الله ، وكثير من بنى العباس ، ويقول : من سبق الى فله كذا وكذا ؟ فيستبقون اليه ، فيقعون على ظهره وصدره ، فيلتزمهم ويقبلهم — : اذا بنا نلمح مظاهر هدا الأدب ، وتلك الاخلاق فيما يرويه لنا من مواقف مع الرسول — صلى الله عليه وسلم .

فعنه ، قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم — وهو يصلى من آخر الليل ، فقمت وراءه ، فأخذنى فاقامنى حذاءه ، فلما أقبل على صلاته انخنست (١) فلما انصرف قال : مالك ، أجعلك حذائى فتخنس ؟ قلت : ما ينبغى لأحد أن يصلى حذائك وأنت رسول الله !؟ فأعجبه فدعا الله أن يزيدنى فهما وعلما .

— وعنه ، قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى بيت مأمونة (٢) فوضعت له وضوءا ، فقال : اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل .

وروى البخارى بسنده عنه ، قال : ضمنى النبى — صلى الله

---

(١) انخنست : تأخرت .
(٢) مأمونة بنت الحارث خالته ، زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

عليه وسلم ــ الى صدره وقال : اللهم علمه الحكمة • وفى رواية : علمه الكتاب •

طلبه العلم :

ــ عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ قلت لرجل من الأنصار : هلم يافلان فلنطلب العلم ، فان أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أحياء ؟ قال : عجبا لك يا ابن عباس : ترى الناس يحتاجون اليك ، وفى الناس من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم من فيهم !؟ قال : فتركت ذلك وأقبلت أطلب ، أن كان الحديث ليبلغنى عن الرجل من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد سمعه من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فآتيه ، فأجلس ببابه ، فتسفى الريح على وجهى ــ فيخرج الى فيقول : يا ابن عم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما جاء بك ؟ ما حاجتك ؟

فأقول : حديث بلغنى عنك ترويه عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم •

فيقول : ألا أرسلت الى ؟

فأقول : أنا أحق أن آتيك ! ؟؟

قال : فبقى ذلك الرجل (الانصارى) حتى أن الناس اجتمعوا على ؟ فقال : هذا الفتى كان أعقل منى !؟ •

ونلمح من ذلك أدبه الجم ، وتواضعه ، وتوقيره للعلم ، وبعد نظره ، وحرصه على طلب الحديث ، وعدم المبالاة بما يستتبع ذلك من جهد ومشقة !؟

كف بصره ونهاية حياته :

ــ عن ابن عباس قال : بعث العباس بعبد الله ، الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى حاجة ، فوجد معه رجلا ، فرجع ولم يكلمه ، فقال : رأيته ؟ قال : نعم ؟

قال : ذاك جبريل ، أما انه لن يموت حتى يذهب بصره ، ويؤتى علما ؟؟

ــ وعن المسيب بن رافع ، قال : لما كف بصر ابن عباس أتاه

رجل فقال له : أنك ان صبرت لى سبعا (١) لم تصل الا مستلقيا ، تومىء ايماء ، داويتك ، فبرئت — ان شاء الله تعالى — فأرسل الى عائشة ، وأبى هريرة ، وغيرهم ، من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كل يقول : أرأيت ان مت فى هذه السبع ، كيف تصنع بالصلاة ؟ فطرف عينه ولم يداوها ؟؟ ولعل ذلك لكبر سنه ، واقتراب أجله .

وأدركه الموت فى سنة ٦٨ ثمان وستين من الهجرة ، بعد أن عمر حياة مديدة مباركة — فوليه محمد ابن الحنفية ، فكبر عليه أربع تكبيرات ، وأدخله القبر ، من قبل رجليه ، وضرب عليه البناء ثلاثا — وقال : مات اليوم ربانى هذه الأمة ؟؟ ودفن بالطائف .

كرامته :

— واذا ما مالت القلوب الى ظهور دليل على القرب من الله ، والصلاح فى الدنيا ، والاخلاص فى العبادة .. يؤنس ويرشد ، ويدل ويشهد فان ما روى عن سعيد بن جبير يعطينا هذا الدليل — :

قال سعيد بن جبير : مات ابن عباس بالطائف ، فشهدت جنازته ، فجاء طير لم يرد على خلقته ، ودخل نعشه .. فنظرناه وتأملناه .. هل يخرج ؟؟ فلم يرأنه خرج من نعشه ؟؟

فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ، ولا يدرى من تلاها ؟؟ « **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى** » — وما أصدق قول القائل :

اذا قال .. لم يترك مقالا لقائل ؟
بملتقطات ، لا يرى بينها فصلا
كفى وشفى ما فى الصدور ، فلم يدع
لذى اربة فى القول جدا ولا هزلا ؟؟
سموت الى العليا بغير مشقة
فنلت ذراها لا دنيا ولا وعلا ؟؟

---

(١) سبعا : اى أيام .

أولاده :

ـ ولد له عليا ـ وهو سيد ولده ـ وكان أجمل قرشي على الأرض ، وأوسمه ، وأكثره صلاة .

ـ وعباسا ، وهو أكبر ولده ، وبه كان يكنى .

ـ ومحمد .. وعبيد الله .. والفضل ـ ولا بقية للعباس ـ وعبيد الله ، والفضل ، ومحمد بني عبد الله بن عباس ـ وهؤلاء من الذكور ـ وولد له من الأناث : لبابه ، وأسماء ـ ولهما أعقاب ـ قاله الحاكم فى المستدرك .

ثناء العلماء عليه :

ـ عن مجاهد ، قال : كان ابن عباس يسمى : البحر ، لكثرة علمه

ـ وعن ابن الحنفية .. كان ابن عباس خير هذه الأمة .

ـ وقال أبو بكرة : قدم علينا عبد الله بن عباس البصرة .. وما فى العرب مثله : جسما ، وعلما ، وثيابا ، وجمالا ، وكمالا .

ـ وعن عبد الملك بن ميسرة ، قال : جالست سبعين ـ أو ثمانين ـ شيخا من أصحاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أحد منهم خالف ابن عباس .. فيلتقيان الا قال : القول كما قلت ، أو قال : صدقت ؟؟

ـ مناظراته مع الخوارج مشهورة (انظر .. مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٧٨) .

وعن عمر بن عطاء ، قال : شهدت وفاة ابن‌عباس .. فوليه محمد بن الحنفية .. والذى حفظنا عنه نحوا من أربعمائة حديث ؟؟

أثره فى الحياة العلمية ؟؟

ـ لقد خلف ابن عباس ثروة قيمة من الأحاديث المروية عن طريقة الآراء الاجتهادية النادرة ، والآثار المرشدة الملهمة .. والتف حوله اتباع ، ومريدون : اغترفوا من فيضه ، ونهلوا من عذبه منهم :

ـ مجاهد بن جبير المكى .. مولى السائب بن أبى السائب ـ وسعيد بن جبير بن هشام الأسدى

ـ وعكرمة البربرى المدنى .

ـ وعطاء بن أبى رباح المكى .

ـ وعمرو بن دينار .

وعبيد بن عمير .. وسعيد بن المسيب .. وعروة بن الزبير ـ

وغيرهم •

ــ ومن الصحابة : عبد الله بن عمر •• وأنس بن مالك •• وأبو الطفيل •• وغيرهم من التابعين•• وأولاد الصحابة •

جابر بن عبد الله الانصارى :

نسبه : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن كعب ابن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارى ــ ينتهى نسبه الى الخزرج •

وكنيته : أبو عبد الله •• وقيل : أبو عبد الرحمن •• وقيل: أبو محمد •

ــ روى عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعن أبى بكر ، وعمر ، وعلى ، وأبى عبيدة ، وطلحة ، ومعاذ بن ياسر ، وخالد ابن الوليد ، وأبى هريرة ، وأبى سعيد ، وأم شريك ، وأم مالك ، وأم مبشر من الصحابة ، وأم كلثوم بنتأبى بكر الصديق من التابعين •

ــ وروى عنه •• أولاده : عبد الرحمن ، وعقيل ، ومحمد ، وسعيد بن المسيب ، ومحمود ابن لبيد ، وأبو الزبير ، وعمرو بن دينار ، وأبو جعفر الباقر ، ومحمد بن المنكدر ، ووهب بن كيسان ، وسعيد بن ميناء ، والحسن البصرى ، وسعيد بن أبى هلال ، وسليمان بن عتيق ، وعاصم ابن عمرو بن قتادة ، والشعبى ، وعروة بن الزبير ، وعطاء بن أبى رباح •

مشاهده :

ــ أراد شهود بدر ، فخلفه أبوه على اخواته ــ وكن تسعا ــ وخلفه أيضا •• حين خرج الى أحد ، فلما قتل أبوه قال له ــ النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك ؟ أما ترضى أن أكون أنا أباك ، وعائشة أمك ــ وشهد ما بعد ذلك من المشاهد ؟

ــ شهد العقبة الثانية مع السبعين ، من الأنصار الذين بايعوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندها •• وكان أصغرهم يومئذ ؟؟

مواقف مع الرسول صلى الله عليه وسـلم :

ــ لقد استشهد أبوه ، وترك له تسع أخوات ، وكان صغيرا أمـام هذا العبء الكبير .. ولكن النبى ــ صلى الله عليه وسـلم ــ واسـاه وأكرمه ، وساعده وشجعه .

ــ روى مسلم فى صحيحه عن جابر قال : خرجت مع رسـول الله ــ صلى الله عليه وسـلم فى غزاة ، فأبطـأ بى جملى ، فأتى على رسول الله ــ صلى اللـه عليه وسلم فقال : ياجابر ؟ قلت : نعم ، قال : مـا شـأنك ؟ قلت : أبطأ بى جملى ، فتخلفت ، فنزل فحجه بمحجنه (ضربه بعصـاه) ثم قال : اركب ، فركبت ، فلقـد رأيتنى أكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتزوجت ؟

قلت : نعم .

قال : بكرا أم ثيبا ؟

قلت : بل ثيب .

قال : فهـلا جـارية تلاعبهـا وتلاعبك ؟

قلت :أن لى أخوات ، فأحببت أن أتـزوج امـرأة تجمعهن ، وتمشطهن ، وتقوم عليهن !؟

قال : أما انك قـادم ، فـاذا قدمت فالكيس الكيس .

ثم قال : أتبيعنى جملك ؟

قلت : نعم ؟ فاشـتراه منى بأوقية .

ثم قدم رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ، وقدمت بالغـداة ، فجئت المسجد ، فوجدته على باب المسجد ؟ فقال : الآن حين قدمت ؟ قلت نعم ؟ قال ، فـدع جملك ، وادخل فصل ركعتين !؟

قـال : فدخلت فصـليت ، ثم رجعت .. فأمر بلالا أن يزن لى أوقية ، فوزن لى بلال فأرجح فى الميزان !؟

قـال : فانطلقت ، فلما وليت قال : ادع لى جـابرا ؟ فـدعيت فقلت : الآن يرد على الجمـل ــ ولم يكن شىء أبغض الى منـه ــ فقال : خذ جملك ، ولك ثمنه .. وفى رواية : أتبيعه بكـذا وكـذا والله يغفر لك ــ مرتين !؟

ــ وكان على أبيه دين ليهودى

من خيبر ، فحضر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفاءه الدين ، ووضع يده فى التمر ، فوفى بالدين ، وبقى منه مايكفيهم المدة الطويلة !؟

— وروى مالك فى الموطأ عنه قال : كنا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى غزاة ، فبينما أنا جالس تحت شجرة ، اذ أقبل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقلت يارسول الله هلم الى الظل ، فنزل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقمت الى غرارة لنا ، فالتمست فيها شيئا ، فوجدت فيها جرو قثاء (واحدة القثاء الصغيرة ، أو الطويلة) فكسرته ، ثم قربته الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — •

فقال : من أين لكم هذا ؟

فقلنا : خرجنا به يارسول الله من المدينة ؟

قال جابر : وعندنا صاحب لنا نجهزه ، يذهب يرعى ظهرنا ، فجهزته ، ثم أدبر يذهب فى الظهر ، وعليه بردان له قد خلقا !؟ فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه •

فقال : أما له ثوبان غير هذين ؟

فقلت : بلى يارسول الله له ثوبان فى العيبة كسوته اياهما !

فقال : فادعه فمره يلبسهما ؟ ثم ولى يذهب •

فقال : صلى الله عليه وسلم — ماله ؟ ضرب الله عنقه ، أليس هذا خيرا له ؟ فسمعه الرجل ، فقال : يا رسول الله ، فى سبيل الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : فى سبيل الله •• فقتل الرجل فى سبيل الله !؟

— لقد آثر جابر الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالظل ، وقدم اليه القثاء مكسورا •• زيادة فى الأدب ، وأجابه الرسول — صلى الله عليه وسلم — وسأله عن حال غلامه ليتعرف حاجته ، ويتبين حالته ، وذلك يدل على مدى الارتباط الصادق بينه ، وبين الرسول — صلى الله عليه وسلم — لأسر الشهداء ، ومساعدته الشباب على تحمل مسئولياته فى

هذه الظروف !!؟

— ومع ثقل مسئوليات جابر ، فانه لم يدخر وسعا فى المساهمة بنفسه وماله فى سبيل الدين — :

روى البخارى فى صحيحه عن جابر قال : لما حفر الخندق •• رأيت النبى — صلى الله عليه وسلم — خمصا (جوعا) شديدا ، فانكفيت الى امرأتى ، فقلت : هل عندك شىء ؟فانى رأيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خمصا شديدا ، فأخرجت الى جرابا فيه صاع من الشعير ، ولنا بهيمة داجن ، فذبحتها ، وطحنت الشعير •• ففرغت الى فراغى ، وقطعتها فى برمتها •• ثم وليت الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — •

فقالت : لا تفضحنى برسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبمن معه فجئته فساررته — فقلت : يا يرسول الله ذبحنا بهيمة لنا ، وطحنا صاعا من شعير كان عندنا ؟ فتعال أنت ، ونفر معك ؟ فصاح — صلى الله عليه وسلم — فقال : يا أهل الخندق•• ان جابرا قد صنع سورا (صنيعا) فحيهلا بكم ؟

فقال — صلى الله عليه وسلم — لا تنزلن برمتكم ، ولا تخبزن عجينتكم ، حتى أجىء •• فجئت ، وجاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقدم الناس حتى جئت امرأتى •• فقالت : بك وبك فقلت قد فعلت الذى •• قلت فأخرجت له عجينا •• فبصق فيه ، وبارك — ثم عمد الى برمتنا ، فبصق ، وبارك ثم قال : ادعى خابزة فلتخبزه معك ، واقدحى من برمتكم ، ولا تنزلوها وهم (١٠٠٠) ألف — فأقسم •• لقد أكلوا حتى تركوه وانصرفوا ، وان برمتنا لتغط (تفور) كما هى وان عجيننا ليخبز كما هو !؟

— ونلمح فى تلك المواقف : أظهر صفحات جابر — رضى الله عنه — وهى : الجود والسخاء من ناحية •• والصبر على أعباء الحياة من ناحية أخرى •

رواياته :

— من المكثرين فى الرواية ،

روى عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ألفا وخمسمائة وأربعين حديثا اتفق البخارى، ومسلم منها على ستين حديثا، وانفرد البخارى بستة وعشرين حديثا ومسلم بمائة وستة وعشرين

ــ وكانت له حلقة فى المسجد، ويؤخذ عنه فيها، وهو ممن رحلوا فى طلب العلم •

فعنه قال: بلغنى حديث عن رجل من أصحاب النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلى •• ثم سرت اليه شهرا حتى قدمت الشام، فاذا عبد الله بن أنيس الانصارى، فخرج الى فاعتنقته واعتنقنى •• ثم سمعت منه الحديث فى المظالم •• ورحل الى مصر أيام مسلمة ابن مخلد •

وفاته :

ــ أرسل أبان بن عثمان الى أولاد جابر، يقول: اذا مات أبوكم فلا تقبروه حتى أصلى عليه؟ فلما مات •• جاء أبان فصلى عليه •

وكانت وفاته سنة سبع وسبعين، عن أربع وتسعين سنة•

وكان آخر من مات من الصحابة بالمدينة •• على الأصح •

ــ وأصح أسانيده ــ ما يرويه سفيان بن عيينة، عن عمر بن دينار عن جابر، وهو من طريق أهل مكة •

أبو سعيد الخدرى :

نسبه : سعد بن مالك بن سنان ابن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر •

واسمه •• خدرة بن عوف بن الخزرج الأنصارى •

كنيته : أبو سعيد •

ــ روى عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعن أبيه، وأخيه لأمه: قتادة بن النعمان، وأبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وزيد بن ثابت، وأبى قتادة الأنصارى، وعبد الله بن سلام، وأسيد بن حضير وابن عباس، وأبى موسى الأشعرى، ومعاوية، وجابر بن عبد الله •

ــ وروى عنه •• ابنه عبد الرحمن وزوجته زينب بنت

كعب بن عجرة .. وابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وزيد بن ثابت ، ومحمد بن لبيد .. وسعيد ابن المسيب ، وعامر بن سعد ، وعمرو بن سليم ، ونافع مولى ابن عمر ، وأبو نضرة العبدى ، وأبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف .. وغيرهم .

مشاهده :

ـ عرضه أبوه على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أحد، وله ثلاث عشرة سنة ، فجعل يأخذ بيده ، فيقول : يا رسول الله ، انه عبل العظام (ضخم أو كامل العظام) فجعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصعد فيه البصر ويصوبه ثم قال له : رده فرده ؟ فلما حدث ما حدث فى أحد سمعوا بمصابه ، فجاء أبو سعيد مع غلمان من قبيلته ينتظرون سلامته .. فلما لقيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم قال سعيد (١) قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى .. ودنوت منه ، فقبلت ركبتيه وهو على فرسه .

قال : آجرك الله فى أبيك فنظرت الى وجهه فاذا فى وجنتيه .. مثل موضع الدرهم ، فى كل وجنة ، واذا شجة فى جبهته ، واذا شفته السفلى تدمى ، واذا رباعيته اليمنى شظية ، واذا على جرحه شىء أسود ، فسأل عن ذلك ؟ فأخبروه فرجع الى أهله يخبرهم بسلامة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحمدوا الله على ذلك وقاموا !؟

ـ وشهد الخندق وما بعدها ، وهو ممن بايع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أن لا تأخذه فى الله .. لومة لائم .

وورد المدائن فى زمان حذيفة .

وحارب مع على ـ رضى الله ـ عنهما الخوارج بالنهروان .

شجاعته :

عنه أنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) الحكاية لأبى سعيد .

لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق اذا رآه أو علمه .

قال : فقد حملنى ذلك على أن ركبت الى معاوية ، فقلت : مابالكم تأخذون الصدقة على غير وجهها — ثم تضعونها فى غير أهلها ؟

فقال : مه يا أبا سعيد ؟

قلت : فما بالكم ، تكون لكم الأولاد ، فتؤثرون بعضهم على بعض .. والله يوصيكم فى أولادكم .. للذكر مثل حظ الأنثيين ؟

قال فدعا كاتبه ، وكتب بها الى الآفاق ، ونهى عن ايثار الأولاد بعضهم على بعض !؟

ملامح من حياته :

— عنه قال : استشهد أبى يوم أحد ، وتركنا بغير مال ، فأصابتنا حاجة شديدة ، فقالت لى أمى : أى بنى ! ائت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فسله لنا شيئا؟ فجئت فسلمت وجلست — وهو فى أصحابه جالس — فاستقبلنى بقوله « انه من يستغن يغنه الله ، ومن يستعفف يعفه الله » !

فقلت : ما يريد غيرى ، فانصرفت ولم أكلمه فى شىء !؟

فقالت لى أمى : ما فعلت ؟ فأخبرتها الخبر ، فصبرنا الله ، ورزقنا شيئا فبلغنا حتى ألحت علينا حاجة أشد منها .. فجئت لأسأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو فى أصحابه جالس — فاستقبلنى بالقول الأول ، وزاد فيه « ومن سأل ، وله قيمة أوقية ، فهو ملحف » !؟

فقلت : الياقوتة ناقتى .. خير من أوقية : فرجعت ولم أسأله ؟ فوالله ما رجعت الى نبى الله — صلى الله عليه وسلم .. أسأله شيئا من الفاقة !؟ حتى مالت علينا الدنيا ، ففرقتنا أو غرقتنا ، الا من عصم الله !؟

— ودخل يوم الحرة غارا ، فدل عليه رجل من أهل الشام ، فلما انتهى الشامى الى باب الغار قال لأبى سعيد : أخرج الى ؟ قال : لا ، وان تدخل على أقتلك ! فدخل عليه الشامى ، فوضع

أبو سعيد السيف وقال **« انى أريد أن تبوء باثمى واثمك ، فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين »** فقال : أنت أبو سعيد ؟ قال نعم ! قال استغفرنى ، غفر الله لك !؟

ــ ودخل عليه نفر من أهل الشام ، فنتفوا لحيته ، وضربوه ، ونهبوا ما فى بيته .. حتى ان بعضهم أخذ زوج حمام وخرجوا !؟

رواياته ومنهجه فى الرواية :

ــ ورغم هموم عيشه ، وجدب حياته ، وثقل مسئولياته ، فقد كثر المروى عنه ، حتى جاوز الألف ، فقد نقل عنه أصحاب الحديث ألفا ومائة وسبعين حديثا ، اتفق الشيخان منها على ستة وأربعين ، وانفرد البخارى بستة عشر ، ومسلم باثنين وخمسين حديثا .

ــ وكان يقول : تحدثوا فان الحديث يذكر بعضه بعضا ، ولم يكن أحد من أحداث الصحابة أفقه أكبر منه أو أعلم .

ــ وكان دقيقا فى الحديث : حدث يوما بحديث ، فقال له رجل : أنت سمعته من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فغضب غضبا شديدا ، ثم قال : أحدثكم بغير ما سمعت ؟ من كذب على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بنى له أو تبوأ مقعده من النار .

ــ وكان يعلم الناس القرآن.. خمس آيات بالغدى ، وخمسا بالعشى .

ــ وقيل له : انك تحدثنا بأحاديث معجبة ، وانا نخاف أن تزيد أو تنقص ، فلو كتبناها ؟ حفظنا .

فقال : لن تكتبوه ، ولن تجعلوه قرآنا ، ولكن احفظوا عنا كما حفظنا ثم قال مرة أخرى : خذوا كما أخذنا عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم .

وفاته :

ــ عن عبد الرحمن ابنه قال ــ: قال لى أبى : انى كبرت ، وذهب أصحابى وجماعتى ، فخذ

بيدى •• فاتكأ على حتى جاء الى أقصى البقيع ، الى مكان لا يدفن فيه •• فقال :

يابنى ، اذا أنا مت فادفنى ها هنا ، ولا تضرب على فسطاطا ، ولا تمشى معى بنار ، ولا تبكين على نائحة ، ولا تؤذن بى أحدا •

واسلك بى طريقا غير مسلوكة ، وليكن مشيك خببا •

فمات يوم الجمعة ، فكرهت أن أوذن الناس ، لما كان نهانى ، فيأتونى ، فيقولون : متى تخرجوه ؟ فأقول : اذا فرغت من جهازه أخرجه قال : فامتلأ على البقيع بالناس !؟

— وعن رجاء بن ربيعة ، قال : كنا عند أبى سعيد فى مرضه الذى توفى فيه — وهو ثقيل — فأغمى عليه •• فلما أفاق ، قلنا : الصلاة يا أبا سعيد !؟

قال : كفانى ما قد صليت ، ثم أرسل خلف نفر من الصحابة ، وقال : لا يغلبنكم ولد أبى سعيد •• اذا أنا مت فكفنونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها ، وأذكر الله فيها •• وفى البيت قبطية فكفنونى فيها — الى آخر وصيته ؟

وفيها : ولا تتبعنى باكية ، واذا حملتمونى فأسرعوا بى •• فلما خرجوا بجنازته امتلأ البقيع ناسا •

— وكانت وفاته سنة أربع وسبعين من الهجرة •• بعد حياه مديدة ، اختلط فيها العلم بالعمل ، والجهاد بالراحة ، والفقر بالغنى ، والصبر بالشكر •• وشملها — مع كل ذلك — ايمان عميق ، وصدق خالص ، وسلوك نموذجى — رحم الله أبا سعيد ، ووفقنا الى اتباع آثاره ، هو واخوانه من الصحابة — رضى الله عنهم ، ورضوا عنه — أولئك هم المفلحون •

(يتبع)

دكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

محمد صلى الله عليه وسلم
سفينة نجاة فى بحر مضطرب

للأستاذ/ محمد صابر البرديسى

كان الناس قبيل مولد الرسول « صلى الله عليه وسلم » يهيمون فى الضلال ويعيثون فى الارض الفساد ، يعبدون الاوثان ، ويقدسون الاصنام عمتهم الغفلة ، واحاطت بهم الجهالة ، غمرتهم الهمجية ، وملكتهم العصبية طبعت نفوسهم على الضغينة ، واشربوا فى قلوبهم سفك الدماء ، يموجون فى بحر مضطرب تغشاه ظلمات ، غشيت عيناهم فما يبصرون الهدى .

لقد بلغ الفساد منتهاه ، وطمست معالم الحق ، وانقادت النفوس للشرك ، وأسرفت فى البغى ، ومالت للهوى ، واتخذ كل انسان الهه هواه .

* فى هذه الفترة من هذا الزمن ، فى ليلة من ليالى ربيع الأول ، وفى اليوم الثانى عشر منه ، ولد المصطفى ، فكان مولده ، مولدا للخير ، مبشرا بمولد دين جديد ، هو دين الفطرة .

* حفلت بمولده السماء ، وزفت البشرى فى الملأ الأعلى ملائكة الرحمن وحق للوجود كله أن يفرح بمولده ، وللكون أكمله أن يبتهج بمقدمه .

« ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء »

* محمد « صلى الله عليه وسلم » الرحمة المهداة ، والأمل المرتجى ، سفينة النجاة فى بحر مضطرب **« يغشاه موج من فوقه موج ، من فوقه سحاب . ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها » .**

* ان ذكرى محمد « صلى الله عليه وسلم » تبعث فى نفوس

المفكرين ، انتفكير فى عظمة هـذا النبى ، وتحفـز البـاحثين على البحث فى جوانب هذه العظمـة ، وما كتبه المفكرون ، والباحثـون عن عظمته (صلى الله عليه وسلم) فانما هو لمحات ، من نفحات هـذا المصلح العظيم •

والمسلمون اذ يحتفلون بمولده (صلى الله عليـه وسـلم) فانما يلتمسون العظة والعبرة فى حياته •

✽ وحياته (صلى الله عليـه وسلم) كلها عظة وعبرة مـذ كان جنينا فى بطن أمه، حتى لحق بربه •

✽ يروى أن أمه حين حملت به رأت فى منامها أنها حملت بسـيد هذه الأمة « وكذلك أمهات المؤمنين يرين » •

✽ وآية ذلك أن يخرج منـه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام •

✽ وقد شاء الله أن تدرك أباه المنية ، وهو فى بطن أمـه ، ولمـا يمض على حملهـا به شـهور ، وولد محمد يتيما فقـالت الملائكة لقد بقى نبيك يتيما ، فقال سبحانه أنا خالقه وحافظه ورازقه حيثمـا صار أو كان •

✽ وكان من عادة أشراف مكة أن يسلموا أطفالهم الى المراضـع من اهل البادية ليعيشوا معهم فى الصحراء ، وليشبوا على الصفات الحميدة •

✽ وكانت السيدة آمنـة بنت وهب والـدة محمد ، من أكـرم سـيدات العـرب ، ومن أشرف بيوتهم ، وقد رزقت بأكرم مولود ، أخـذت تترقب مجىء المراضـع اللاتى يأتين الى بيوت مكة فى مثل هذه المناسبات السـعيدة لتسـلم طفلها الى احداهن •

✽ وكانت حليمة السـعدية فقيرة مسكينة تعيش هى وزوجها الحارث فى خيمة ، فى منطقة قليلة الخير ، وطافت بمكـة وبحثت فى بيوتهـا علها تجـد من يدفع اليها طفلا لترضعه فلم تجد غير محمد وكان من نصيبها ، وقبلت أن تكون مرضعة له على يتمه ، فان ما يدفع لها من المال « مهما كان » يسـاعد فى الغذاء ، فيـدر صـدرها لبنا تعطيه لمحمد ولأخيه عبد الله من الرضـاع •

❋ رجعت حليمة الى خيمتها فى أنبيداء فى بلاد بنى سعد ، تحمل بين يديها طفلا له رائحة المسك وديعا جميلا كالبدر ، أحست منذ حملته الى خيمتها بالسعادة والراحه ، لقد كان خيرا وبركة على حليمة وعلى زوجها •

❋ لقد تغير كل شىء ، السماء تمطر ، وتصبح الأرض مخضرة مليئة بالمرعى الخير كثير ، واللبن غزير وغمرت الحياة والحركة المنطقة كلها ، وسعدت حليمة ومن حولها ، حتى كان القوم يقولون : « اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب » (حليمة السعدية) •

❋ ظل محمد فى حضانة حليمة عامين كاملين ، وحين حان فطامه كان عليها أن تعود به الى أمه فى مكة ، وسلمته اليها والحنين يملأ جنبيها ، ولا تزال تفتأ تذكر السعادة التى غمرتها منذ حل محمد بواديها ، فأخذت ترجو أمه وتستعطفها حتى يعود معها ، وما زالت بها حتى قبلت آمنة بعد ان حركت حليمة فيها كوامن الشفقة عليه حين قالت لها : « انى أخشى عليه وباء مكة » •

رجعت به ورجعت السعادة مرة أخرى الى حليمة بل الى المنطقة كلها •

❋ وذات يوم جاء أخوه من الرضاع ، يجرى ويصرخ ، والفزع يملأ صدره ، وأخذ يقص على أبيه « الحارث » حول ما رآه بعينه ، رأى رجلين يرتديان ملابس بيضاء ناصعة البياض ، يأخذان محمدا بعيدا ، ويطرحانه على الأرض ، ففزعت حليمة وزوجها وأخذا يجريان بحثا عن محمد ، واذا به يقف فى هدوء يبتسم ، فى صحة وعافية ، فقلنا له : ما بالك يابنى ؟ فقال : « قد جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض •• » وقص ما حدث له •

لقد كان الرجلان ملكين من الملائكة ، شقا صدر محمد ، وغسلاه ، وطهراه اعدادا لحمل الرسالة ، وتأدية الأمانة ، وتبليغ ما أمر به الله •

❋ خافت حليمة على محمد —

وهو أمانة لديهــا ــ وخــافت أن يحدث له مكروه فتتحمل مسئوليه لا قبل لها بها وفــوق طاقتهــا • فعزمت على ارجــاعه الى أمــه ، وقد كان وقالت لحليمة : ما اقدمك به ؟ فقالت : تخوفت عليه الأحداث فأديته اليك كما تحبين ، فضــمته أمه ، وقالت : دعيه عنك ياحليمة ، وحمدت صنيعها •

وبقى محمد فى رحاب أمه ، بعد أن ترك لحليمــه المــاء والخضرة والرزق الوفير •

❋ وحين بلغ « صلى الله عليه وسلم » الســــادسة من عمره ، ماتت أمه ، وهى آيبة من المدينــة « بالأبــواء » بعد زيارتهــا لبنى النجار ، أخوال زوجها عبد اللــه فرجعت به أم أيمن الى « مكــة » حزينة عليه لفقده أبويه •

❋ وصار محمد فى كفالة جــده عبد المطلب ، وكان يحبه ، ويحنو عليه ، حنوا لا مثيل له •

❋ وتتوالى الأحزان على محمد فيموت جده عبد المطلب ، وينتقل محمد « صلى الله عليه وسلم » الى كفالة عمه أبى طالب ، وهكذا يعد الله محمدا لتحمل المشاق ويهيه لتقبل الاعباء ، ويمهد له لتبليــغ الرســاله حين ينزل عليــه وحى السماء •

❋ وفى مدة كفالة عمه له تدرب على التجاره ، فقد رحل معه الى الشام واكتسب منها خبرة وربحا وشهره ، حتى لقد أصبح حــديث الناس فى مكــة ، يتحــدثون عن صدقه وأمانته وحسن معاملته مما لفت أنظار الناس اليه •

❋ عرف فى رحلتــه أســلوب التجارة ، وعرف مسالكها ، وعرفه الناس فأحبوه ، ورغبوا فى التعامل معه ، مما مهد له فيما بعد أن يعمل فى تجارة للسيدة خديجــة « رضى الله عنها » ومما رغبها فى الزواج منه ، وكانت خديجة من شريفات مكة ، وزادها شرفا أن بنى بهــا محمد •

❋ هذا هو محمد « صلى اللــه عليه وسلم » قبــل مبعثــه ، يتم فرعاية •

❋ وبينمــا محمــد فى « غــار

حراء » يتحنث نزل عليه «الوحى» ورجع الى زوجه خديجة خائفا يرتجف ، فذهبت به الى « ورقة ابن نوفل » ، وقص محمد عليه ما رأى فأخبره « أنه نبى هذه الأمة » وأن قومه سيتعرضون له ، ويخرجون من مكة ، فقال له « صلى الله عليه وسلم » : « أو مخرجى هم ؟ » فقال له ورقة : نعم ، لم يأت أحد بمثل ما أوتيت به الا أوذى » •

ومن يومها عرف « صلى الله عليه وسلم » أن مهمته شاقة ، ووطد نفسه لتحمل هذا الأمر العظيم •

❋ مكث « صلى الله عليه وسلم » ثلاثا وعشرين سنة يدعو قومه الى التوحيد ، لقى فى أثنائها من كفار مكة ، وصناديد قريش ، أشد ألوان الأذى والاضطهاد ، حتى اضطروه أن يخرج من مكة مهاجرا الى المدينة ، وفيها توطدت دعائم الاسلام ، ومنها انبثق النصر والفتح المبين •

« وان يريدوا أن يخدعوك فأن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » (١) •

❋ وبالحق ، فقد كان محمد « صلى الله عليه وسلم » الرحمة المهداة ، والنعمة العظمى من الله •

❋ **لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وأن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (٢)** •

❋ كان « صلى الله عليه وسلم » مؤيدا بالوحى ، محفوفا ، برعاية الله وعنايته •

❋ واذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان »

❋ كان « صلى الله عليه وسلم » يرسم القدوة للناس بمسلكه ، وكان يتلو على الناس

---

(١) ٦٢ ، ٦٣ الانفال •
(٢) ١٦٤ آل عمران •

آيات الله ويشرحها لهم تطبيقا وعملا ، وكان يقوم ما اعوج من سلوك المنحرفين •

❋ سئلت عائشة « رضى الله عنها » عن خلق رسول الله «صلى الله عليه وسلم » فقالت : « كان خلقه القرآن » •

❋ ينبغى أن تكون المبادىء التى وضعها الدين ، وأكدها القرآن ، وبينها الرسول « عليه الصلاة والسلام » مطبقة تطبيقا عمليا ، لا مجرد مبادىء يعتقدها الناس •

❋ وبقدر ما يكون التطبيق العملى فى المجتمعات لهذه المبادىء السامية تكون السعادة والأمن والاطمئنان ، ويكون المدد والعون، والنصر من الله ، **« وما يعلم جنود ربك الا هو »** (١) •

(وما النصر الا من عند الله) •

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » •

❋ ومن تنحى عن التطبيق العملى لهذه المبادىء ، وترك القدوة الحسنة ، فقد وقع فى حبائل الشيطان ، وزين به فاستحق الخذلان والهوان ، وأصبحت حياته كلها ضياع وخسران ، قال : **« ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشه ضنكا »** (٢) •

وقال تعالى : **« ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى »** (٣) •

❋ تلك لمحات من الأسرار العظيمة التى أحاطت بحياة الرسول « صلى الله عليه وسلم » قبل بعثته وبعدها •

❋ وفى حياة الرسول « صلى الله عليه وسلم » جوانب لا حصر لها ، وفيها من العظات ، والعبر ، مالا قبل لانسان أن يلم بها أو يحيط بأسرارها •

❋ ولا شىء أنفع للأفراد والأمم ، من القدوة الحسنة ، **« لقد كان لكم فى رسول الله**

---

(١) ٣١ المدثر •
(٢) ١٢٤ طه •
(٣) ٨١ طه •

أسوة حسنة لمن كان يرجو الله ، واليوم الآخر وذكر الله كثيرا»(١) ولاشىء أجلب للخير والسعادة ، من العمل بكتاب الله ، والتمسك بسنة رسوله ، وفى ذلك الفوز والنصر ، قال : **« وكان حقا علينا نصر المؤمنين »** .

* فهل يتذكر المسلمون فى ذكرى مولد سيد المرسلين ، أن الفضل العظيم ، والنصر المبين ، انما أمد الله به المسلمين ، يوم أن كانوا متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله ؟ ، وهل يعلموا أن ما أحاط بالمسلمين اليوم من الضعف ، وما لحقهم من الهوان والكروب ، وما شملهم من التمزق والخلاف والحروب ، انما هو بسبب انحلال عقائدهم ، وجهلهم بدينهم ، وانزلاقهم فى ألوان الفساد وتيارات الالحاد ، وبعدهم عن تعاليم الاسلام وخلق القرآن ، وحسبوا أن فى مصادقتهم للملحدين، وتقليدهم للكافرين ، ومجاراتهم لأعمال الغربيين حضارة وتقدما !!

قال تعالى **« قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا»** (٢) **« أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون »** (٣) .

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيرا » (٤)

* اللهم وفق الأمة الاسلامية الى محاسن دينك ، والعمل بكتابك، وسنة رسولك ، واهدهم فانه لا يهدى الى محاسن الأخلاق وأقوم السبل الا أنت أنت نعم المولى ونعم النصير .

مدير المجلة

محمد صابر البرديسى

---

(١) ٢١ الاحزاب .
(٢) ١٠٤ الكهف .
(٣) ٥٠ المائدة .
(٤) ١١٥ النساء .

دراسات قرآنية

رسول الهدى ودين الحق

لفضيلة الشيخ/ مصطفى الطير
" عضو مجمع البحوث الإسلامية "

قال الله تعالى فى آخر سورة الفتح : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ٠٠ » الآيات ٠

البيـــــان

كان العالم قبـــل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى ضلال مبين ، وفى كل واد من أودية الشر يهيمون ، فهم ما بين عباد للانصاب والاوثان ، وسجد للنجوم والكواكب ، وتركع للانسان والحيوان ، ومعطلين ليس لهم اله الا هواهم ٠

وكان أهل الكتـــاب قد تأثروا بجيرانهم الوثنيين ، فاتخذوا لهم الها مع الله ، وسموه ابن الله ، فاليهود عبدوا عزيزا ، لزعمهم أنه هو الذى جاءهم بالتوراة من عند أبيه بعد فقدها فى الغزو البابلى ، والنصارى عبدوا عيسى لانه ولد من غير أب ، وكان يحيى الموتى ، فى حين أن التـــوراة يصعب عليهم نسبتها الى الله لدرجة الاستحالة ، وأن عيسى انسان كما اعترفت به أناجيلهم ، وأن احيـــاءه للموتى محـــدود ليكون آية على نبوته ، وليس له قدرة على احياء أحـــد سوى ما أذن الله به ليكون معجزة شاهدة بنبوته ، وكتبهم شـاهدة على منتهى عجزه ، حيث لم يستطع أن يدفع اليهـــود عن قتله ، وكان يناجى ربه وهو مشـــدود على الصليب استعدادا لقتله « **ايلى ايلى لما شبقتنى** » أى الهى الهى لماذا تركتنى لمن يصلبنى ويقتلنى من اليهـــود ، ولو كان ابن الله

كما يزعمون لما شكاهم الى أبيه ، بل كان يحمى نفسه منهم ولا يورطهم فى قتله كما يزعمون وصدق الله اذ يقول « **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** » .

فالحق أنه لا قدرة له ذاتيا على احياء من أحياه من الموتى ، وانما كان ذلك باقدار الله واذنه ، كما حكاه الله عنه بقوله فى سورة آل عمران « **قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله ..** » (١) فكل ما فعله كان باذن الله واقداره ، ولكنهم غفلوا عن انسانيته فألهوه ــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وكما زعم هؤلاء وأولائك البنوة لعزير وعيسى ، زعمها المشركون للملائكة ، فقالوا هى بنات الله ، وهو ما حكاه الله بقوله « **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون** » (٢) واستنكره سبحانه بقوله « **أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما** » .

ولم يكتف أهل الكتاب بما تقدم بيانه ، بل وصفوا الله بالجسمية والخطأ ، والندم والبكاء على الخطأ كما وصفوه بمصارعة يعقوب طول الليل حتى الفجر ، ولم يستطع الافلات من قوة يعقوب الا بعد أن ضربه فى حق وركه كما جاء فى توراتهم ، كما وصفوه بقيادة الجيوش حتى المهزومة ، وبالاكل والشرب وغير ذلك من سمات البشر ، تعالى الله عما زعموا فهو سبحانه فوق الخواطر والظنون ، وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك وكانت الامم مغلوبة على أمرها لملوك جائرين وولاة ظالمين وشيوخ للقبائل متجبرين .

وكان يقتسم العالم أمتان كبيرتان ــ الفرس والرومان ــ

---

(١) من الآية ٤٩

(٢) ١٩ الزخرف

والحرب بينهما سجال ، فيوم يكون الغلب فيه للفرس ، وآخر يكون الغلب فيه للرومان ، وكانت الامم المحكومة بهما وقودا للحرب المتتابعة بينهما ، وطحنا لرحى القتال التى لا تنفك عن الدوران فى مملكتيهما ، وكانت أموالهم نهبا لسادتهم ، وسلبا سهلا للمسيطرين عليهم ، ولم يكن الحكم فيهم بغير شريعة الغاب ، وقانون الفتك والعذاب ، والويل كل الويل لمن تأوه أو شكا .

وكانت الحرب بين القبائل تشب من آن لآخر لأتفه الأسباب ، فكثيرا ما يستعر لهيبها من أجل غنمة رعت فى كلا الحمى ، أو حماية لمستجير وان كان آثما ، أو ثأرا من أجل فرد واحد .

وما أفظع ما كانت تنتهى اليه حروبهم من الخراب والدمار ، فكم من قبيلة أبادتها قبيلة ، وكم من فصيلة طحنتها فصيلة .

وكانت الخمر أم الخبائث فاشية بينهم ، تحرضهم على الاثم ، وتدعوهم الى البغى ، وتفتك بأجسادهم ، وتقضى على أموالهم ، وكان الخمول مخيما عليهم ، والبطالة منتشرة فيهم ، والجهل ضاربا أطنابه بينهم ، وسوق الاخلاق الوضيعة نافقة ، وسوق الاخلاق الفاضلة كاسدة ، وبلغ بهم السفه أنهم كانوا يرتزقون بأعراض امائهم ، ولا يجدون حريجة فى صدورهم من الارتزاق بممارستهن الرذيلة ، ولا نكيرا على ذلك من ضمائرهم .

وقد امتد الفساد الى حرائرهم ، فلهذا عمدوا الى قتل بناتهم صغيرات ، حتى لا ينحرفن كبيرات ، وكانوا يقولون : وأد البنات من المكرمات ، الى غير ذلك من المفاسد الكثيرة .

مولد النور والهدى

فكان من رحمة الله وعنايته بعباده ، أن يولد من ذرية اسماعيل عليه السلام نبى واحد يكون مبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وأن يكون خاتما للانبياء والمرسلين ، ورسولا الى الناس أجمعين ، حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، وعماد رسالته أن يخرج

الناس من الظلمات الى النور ، ومن الكفر الى الايمان ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن الجور الى العدل ، ومن الجهل الى العلم ، ومن الرذيلة الى الفضيلة ، وقد أحسن شوقى فى وصف حالة العالم حين مبعثه صلى الله عليه وسلم بقوله :

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
الا على صنم قد هام فى صنم

كما أحسن العباس بن عبد المطلب فى وصف اشراق مولده الكريم بقوله :

وانت لما ولدت أشرقت الار
ض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النو
ر وسبل الرشاد نخترق

وقد وعده الله تعالى أن يظهر دينه الذى بعثه به على الدين كله ، فحقق بفضله وعده فما من دين فى الارض الا غلبه ، ولا نزال ننتظر المزيد ونرجو الاستيعاب ، والبشائر كثيرة لتحقيق هذا الرجاء ، فنحن نعلم أنه ينتشر بسرعة فى المشارق والمغارب بين طوائف المثقفين من اهل الاديان المختلفة ، وبين كبار علماء الاديان وصغارهم ، وكل ذلك يتم دون حرب ولا قتال ، فان شهرته فى سلامة العقيدة وعدالة التشريع ، ومكارم الأخلاق ، وأن الذى جاء به نبى أمى أيده ربه بالآيات البينات والمعجزات الباهرات ، جعلت أهل الفكر الرشيد من أصحاب الأديان ، يقرءون تراجم القرآن والسيرة العطرة ،ويقارنون بين ما هم عليه من الشرائع والأديان التى تبدو فيها صناعة البشر وتأليفهم اياها فى عصور التخلف الفكرى ، وبين ما جاء به الاسلام من الهدى والرشاد فلا يلبثون أن يتركوا ما هم عليه من الأديان المصنوعة ، الى ذلك الدين المؤيد من الحق تبارك وتعالى « وكفى بالله شهيدا » اذ يقول فى شأن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وفى شأن أصحابه **« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم »** ومن أجل ذلك أيده الله تعالى على من عارضه وأذى المؤمنين ، أيده بالنصر الساحق والفوز المبين

« والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

التراحم بين المؤمنين

لا يصلح أمر المؤمنين فى آخرهم الا بما صلح به فى أولهم، وقد كان السلف الصالح أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، وكانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم ، فعلى المسلمين اليوم أن يتعاونوا على من عاداهم ، وأن لا يوالوا الكفار على حساب اخوانهم المؤمنين ، وأن يتحابوا فى الله ويتراحموا فيما بينهم .

وليعلم المسلمون اليوم أنه لولا شدة السلف الصالح على من عاداهم من الكفار ، وتراحمهم فيما بينهم ، لما عز الاسلام ولما غلب جميع الأديان ، فمهادنة أعدائنا وملايينتهم تطمعهم وتؤلبهم على المسلمين ، وفقدان التعاون والتراحم بين المؤمنين ، فرق جمعهم وأضعف أمرهم ، وأطمع فيهم أعداءهم ليستولوا عليهم ويستنزفوا خيراتهم ، ويسخروهم فى مصالحهم ، وهذا — مع الاسف — هو الذى كان من المسلمين فى الحقب الأخيرة ، فهان شأنهم ، وضعف أمرهم ، واستولى عليهم أعداؤهم ، وغيروا دين بعضهم — كما حدث لمسلمى الأندلس ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وماذا كنت تنتظر لقوم قال فيهم الشاعر يمثل واقعهم .

وتفرقوا شيعا فكل قبيلة
فيها أمير المؤمنين ومنبر

فأين هذا من قوله صلى الله وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ألا وان حالة المسلمين اليوم تدعو الى الرثاء أكثر من أى وقت مضى ، فهم فى كل دولة متفرقون ، ولأعدائهم سماعون ، وفيهم صنائع لجبابرة الكافرين ، يعملون لحسابهم ، ويحدثون الثورة تلو الثورة ، لينتهى أمر أمتهم اليهم ، كما حدث أخيرا فى دولة الأفغان ، وحينئذ تدور دائرة الاحتلال عليهم ، وينتهى أمر أمتهم الى

الحرب والدمار ، أو التخلي عن القيم الاسلامية الرفيعة ، والاستسلام لا لحادهم وابتزازهم وحرية الانطلاق منهم الى غيرهم .

وهذه دولة العراق تهاجم ايران بغير رحمة ولا شفقة ، فتجيبها ايران بالمثل ، وتشتعل بينهما حرب ضروس خربت المصانع والديار ، وأشعلت فى المرافق الحيوية النار واستنزفت الأموال والرجال ولقد حق فيهم ما أنزله الله فى اليهود **« تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون »** ولا تجد دولة عربية على وفاق مع دولة عربية اخرى ، يتظاهر بعضهم لبعض بالولاء ، وبين ضلوع حكامهم الداء الدوى ، والحقد الدفين ، وتراهم يكونون جبهات ضد اخوانهم متظاهرين ، وهم بينهم متدابرون متحاسدون ، يخاف بعضهم غدر بعض ، ويقاسون من مؤامراتهم أشد المتاعب الداخلية ، وترى فيهم حكاما يهددون أهل الاعتدال منهم بالقتل فى قصورهم ، فيضطر هؤلاء الى الاستجابة الى باطلهم، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون، **فسوف يديل الله للأمم العربية** والاسلامية من حكامها الظالمين ، **« ويومئذ لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار »** .

ألا فليعلم المسلمون اليوم أن أمرهم لن يستقيم الا اذا عملوا بكتاب الله وسنة رسوله ، وتركوا التراخى فى الدين ، واعتصموا بحبل الله المتين ، ونشروا الحب بين أفرادهم وجماعاتهم وأممهم ، قال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه» ولابد من أن تعلو كلمة التراحم بينهم ، روى الامام أحمد وابن حبان والترمذى ــ وحسنه ــ عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تنزع الرحمة الا من قلب شقى » وأخرج أبو داود وابن أبى شيبة عن عبد الله بن عمر مرفوعا « من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا فليس منا » .

وقد حرم النبى صلى الله عليه وسلم أن يتقاتل المؤمنون ، وتوعد

المتقاتلين بعذاب النار فقال « اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار » فقيل : هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال « انه كان حريصا على قتل صاحبه » أخرجه البخارى وقال فى الصحيح : « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث . الثيب الزانى والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » وفيما عدا ذلك فان القتل من السبع الموبقات .

الركع السجود وعلامتهم

لقد وصف الله أصحاب الرسول الذين آمنوا معه بقوله « تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا » أى تراهم مواظبين على الصلاة من آن لآخر ، لا يبتغون من صلاتهم هذه سوى فضل الله ورضوانه ، ثم وصف أثر مواظبتهم على الصلاة بقوله « سيماهم فى وجوهم من أثر السجود » أى علامتهم ظاهرة فى وجوههم من أثر الصلاة ، والمراد بهذه العلامة ما يبدو على الوجوه من الخشوع والطمأنينة والجهد من صلاة الليل ، أما الأثر الذى يكون فى الجبهة من السجود عليها فليس هو المقصود ، روى ابن جرير وغيره عن مجاهد أنه قال : ليس له أثر فى الوجه ، ولكنه الخشوع .

وقال منصور : سألت مجاهدا : هذه السيما هى الأثر الذى يكون بين عينى الرجل ، قال لا ، وقد يكون مثل ركبة البعير وهو أقسى قلبا من الحجارة : ا هـ

وحكى عن بعض المتقدمين أنه قال : كنا نصلى فلا يرى بين أعيننا شىء ، ونرى أحدنا الآن يصلى فترى بين عينيه مثل ركبة البعير ، فما ندرى : أثقلت الرءوس أم خشنت الأرض ؟

وأخرج الطبرانى والبيهقى فى سننه عن حميد بن عبد الرحمن قال : كنت عند السائب بن يزيد اذ جاء رجل وفى وجهه أثر السجود فقال : لقد أفسد هذا وجهه ، أما والله ما هى السيما التى سمى الله تعالى ، ولقد صليت على وجهى منذ ثمانين سنة ما أثر السجود بين عينى : ا هـ

فاذا برزت خشونة فى الجبين بلا تعمد بالضغط لاحداثها ، فهى بعض آثار السجود الخالص لوجه الله ، وقد كان مثل ذلك موجودا فى جبهته على زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهما ، وفى جبهة على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم ، وكان يقال لهما : ذوا الثفنات ، أما تعمد احداث تلك الثفنات فمنهى عنه ، قال صلى الله عليه وسلم « لا تعلبوا صوركم » أى لا تحدثوا فيها سمة وعلامة ، من العلب بفتح العين وسكون اللام وهو الأثر .

ومن العلماء من قال ان سيماهم فى وجوههم من أثر السجود تكون فى الآخرة ، أخذا من حديث أخرجه الطبرانى فى الأوسط والصغير ، وابن مردويه بسند حسن عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » النور يوم القيامة) وبهذا أخذ ابن عباس والحسن ، ولا يبعد أن تكون لصلاتهم علامة فى الدنيا والآخرة ، فما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم من نورهم يوم القيامة لا يمنع من أن تكون لصلاتهم تلك الآثار التى سبق ذكرها .

واذا كان أصحاب رسول الله أشداء على الكفار رحماء بينهم ، ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وأنهم بهذه الصفات ، استطاعوا أن ينشروا الاسلام فى الأرض وأن يمكنوا له ، فعلى المسلمين أن يحذوا حذوهم ليكونوا أعزة مثلهم ، والا حق عليهم قوله تبارك وتعالى « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

« ذلك مثلهم فى التوراة »

يعنى أن ما تقدم من أوصاف أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى القرآن ، قد جاء مثله عنهم فى التوراة ، وفيما يلى ما عثرنا عليه من أوصافه فيها .

روى الواقدى عن ثعلبة بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل أبا مالك ـ ثعلبة بن هلال ـ

وكان من أحبار اليهود فقال : أخبرنى بصفات النبى — صلى الله عليه وسلم — فى التوراة فقال : ان صفته فى توراة بنى هرون التى لم تغير ولم تبدل هى (أحمد من ولد اسماعيل بن ابراهيم ، وهو آخر الأنبياء ، وهو النبى العربى الذى أتى بدين ابراهيم الحنيف ، يأتزر على وسطه ، ويغسل أطرافه ، فى عينيه حمرة ، وبين كتفيه ختم النبوة ، ليس بالقصير ولا بالطويل ، يلتبس الشملة ويجتزىء بالبلغة (١) ، ويركب الحمار ويمشى فى الأسواق ، سيفه على عاتقه ، لا يبالى من لقى من الناس ، معه صلاة لو كانت فى قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ، ولو كانت فى عاد ما أهلكوا بالريح ، ولو كانت فى ثمود ما أهلكوا بالصيحة ، يولد بمكة ، وهو أمى لا يقرأ المكتوب ، وهو الحماد • يحمد الله شدة ورخاء ، سلطانه بالشام ، وصاحبه من الملائكة جبريل ، يلقى من قومه أذى شديدا ثم يدال عليهم فيحصدهم حصدا ، تكون الواقعات بيثرب ، منها عليه ومنها عليهم ثم له العاقبة ، معه قوم هم اسرع الى الموت من الماء من رأى الجبل الى أسفله ، صدورهم أنا جيلهم ، وقربانهم دماؤهم ، ليوث النهار رهبان الليل ، يرعب عدوه مسيرة شهر ، يباشر القتال بنفسه ثم يخرج ويحكم ، لا شرط معه ولا حرس الله يحرسه) •

وقد تبين من وصف النبى فى التوراة المذكورة ما هو ترجمة لواقعه صلى الله عليه وسلم فى أمره كله ، ولما جاء عنه فى القرآن كما تبين منها فى وصف أصحابه بأنهم كانوا أسرع الى الموت من انحدار الماء من رأس الجبل ، وأن دماءهم قربانهم — أنهم أشداء على الكفار ، ومن وصفهم فيها بأنهم (رهبان بالليل) ما يطابق وصفهم فى القرآن بالركع السجود ويتفق مع الواقع من أمرهم ، هذا : وقد جاء فى سفر أشعياء

---

(١) البلغة ما يتبلغ به من الطعام القليل

(اصحاح ٣٣ فقرة ٣) قوله (واستعلن من جبل فاران ، ومعه ألوف الأطهار فى يمينه سنة من النار ، أحب الشعوب ، جميع الأطهار بيده) وهذا يطابق حاله صلى الله عليه وسلم وحال أصحابه .

(ومثلهم فى الانجيل كزرع)

يقول الله فى أصحاب الرسول « **ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه** » الآية وشطأ الزرع فراخه ، وشطأ الشجرة غصونها .

ومعنى الآية : ومثل النبى صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه كمثل زرع نبت من التربة بغير أوراق وفروع ، ثم أخرج أوراقه وفروعه ، فآزرت هذه الأوراق والفروع ذلك الزرع ، أى قوته وأعانته على أن يتحمل الرياح فى هبوبها : وكلما كثرت هذه الاوراق والفروع حول الساق ازداد الزرع قوة واستغلظ — أى صار غليظا بعد أن كان دقيقا ، واستوى بسبب ذلك على سوقه ، أى استقام على قصبه وأصوله (يعجب الزراع) بفروعه وغلظه ، وكثافته وخضرته ، وجماله وحسن منظره .

قال صاحب الكشاف : هذا مثل ضربه الله تعالى لبدء ملة الاسلام وترقيه فى الزيادة ، الى أن قوى واستحكم ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن معه ، كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها : انتهى كلامه .

وانما جعلهم الله على هذا النمط (ليغيظ بهم الكفار) بما تحدثه مؤازرتهم للرسول من القوة والانتصار عليهم ، وظهور حقه على باطلهم .

وقد ترتب على انتشار وكثرة معتنقيه ، غيظ الكفار وحنقهم عليه فعلا ، لظهوره عليهم وفاء بوعد الله تعالى « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** » .

وقد جاء فى الانجيل مثل هذا المثل المضروب فى الآية ، فقد أخرج ابن جرير وعبد بن حميد

عن قتادة (مكتوب فى الانجيل : سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، ويخـــرج منهم قـــوم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وجاء فى انجيل متى : اصحاح ٢١ مـا يؤكد ما صرحت به الآية من علو الرســول وأصـــحابه واغاظتهم لأعدائهم ، فقد جاء فيه (الحجر الذى رفضه البناءون صار رأس الزاوية من قبل الرب ، لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل اثماره ، ومـن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط عليه يسحقه) فهـل تستيقظون مـن سـباتكم أيهـا المؤمنون ، وتعرفون منزلتـكم فى العالمين ، فتنزعـوا الوهن مـن قلوبكم ، وحب الدنيا من نفوسكم والحقد على اخوانكم من صدوركم **« يأيها الذين آمنـوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » •**

مصـــطفى الحديدى الطـــير

« انا لله وانا اليه راجعون »

مجلة الأزهر تنعى الى الأمة الاسلامية •

فضيلة الأستاذ الشـيخ محمد علوانى سامون

عضو مجمع البحوث الاسلامية ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر وللفقيـد أثر محمـود فى مجـال الفتيا وتقنين الشريعة الاسلامية •

طيب الله ثراه ، وضاعف له المثوبة ، جزاء ما بذل من عطاء فى سبيل الدين ، وما قدم من جهد خدمة للاسلام والمسـلمين •

في ذكرى المولد النبوي :

شعراء مسيحيون يمدحون محمدا صلى الله عليه وسلم

للدكتور / محمد رجب البيومي

لنبى الاسلام من المحامد العالية، والمزايا الانسانية الرفيعة ، ما بهر العيون وملأ الأسماع ، وقد أنصفه كثير من أعلام المسيحية فى الغرب والشرق ، أما الغربيون فقد اتجهوا فى الأكثر الغالب الى شريعته الخالدة فعقدوا الموازنات الفقهية بينها وبين القوانين الذائعة حديثها وقديمها ، وقد كنا قبل أن يتيقظ الوعى الاسلامى فى الشرق نطير فرحا بهذه الموازنات ونسر سرورا زائدا حين نجد مستشرقا متعالما يؤيد الاسلام فى رأى أو مذهب ، وان خالفه بعد ذلك فى أكثر حدوده الفاصلة ونقاطه الجوهرية !! أما الآن فقد سرت الثقة الكاملة فى نفوس الشبيبة المحمدية ووجدت من تراثها الاسلامى ماتباهى أتم مباهاة بكنوزه ولآلئه ، دون أن تلتفت الى ثناء مموه يساق اليها متثاقلا من الغرب ، وقد يكون ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، فلا عليها أن قدح غربى أو مدح ، وحسبها أن تتمسك بكتابها الحميد وتعتقد اعتقادا راسخا أن الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه .

هؤلاء هم الغربيون ، أما المنصفون من مسيحيى الدول العربية فقد وجد فيهم – كتابا وشعراء – من يهيم بمحمد ويعترف برسالته ويسطر الكتب والقصائد متغنيا بمآثره وأفضاله على العرب خاصة والعالم عامة ، اذ أن كل عربى فى الشرق مسلما

كان أو مسيحيا يعلم تمام العلم أن محمدا قد رفع العرب جميعا الى قمة عالية ، فقد خلق من القبائل المتنافرة دولة قوية متماسكة حطمت الكسروية الطاغية فى الشرق والقيصرية الباغية فى الغرب مما عاد فخره العظيم على أبناء العرب جميعا دون استثناء ، وتلك حقيقة تاريخية لا جدال فيها ، وقد ظهرت فى سوريا ولبنان كتب تاريخية لأدباء المسيحية تنصف نبى الاسلام انصافا حميدا نذكر منها كتاب « تحت راية الاسلام » للاستاذ خليل جمعه الطوال وكتاب « دعوة نصارى العرب للاسلام » للأستاذ خليل اسكندر ألقبرصى ولا أبالغ اذا قلت ان الكاتبين الفاضلين قد ذكروا من محاسن محمد ومناقب الاسلام مالا يستطيع مسلم متشدد أن يأتى بأكثر منه (١) واذا كنا نحمد لهما ولمن سار سيرهما انصافهما البرىء واطلاعهما الفاحص الدقيق ، فاننا فوق ذلك نثنى ثناء مستطابا على الشجاعة الأدبية التى سرت فى نفسيهما سريانا ملهما فقد تعرضا مع غيرهما لحملة ظالمة من متعصبى الاسلام والمسيحية معا ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الحق وما ضعفوا وما استكانوا فقد كان غلاة المسلمين يقولون انهم متملقون كاذبون يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، كما يقول غلاة المسيحيين انهم خونة مارقون وكفار يجب تكفيرهم على رءوس الأشهاد ، وليس هذا بمستغرب فى بلد كالشام تنتشر فيها مدارس الأرساليات وبعوث التبشير انتشارا خطيرا وهى لا تفتأ تدعو الى التعصب والضغينة وتفرق بين أبناء الدم الواحد لتقوى شوكة الاستعمار وتخلق له السماسرة والأعوان !!

أما فى مصر فقد وفق الكاتب المنصف الدكتور نظمى لوقا الى

(١) و مثلهما فى ذلك الأستاذلبيب الرياشى صاحب كتاب نفسية الرسول العربى .

اصدار مؤلفين نفيسين تلتهما مؤلفات أخرى عن حياة محمد ونشأته وخصائص رسالته وحقائق تعاليمه ، فأبان عن روح عالية تطمح الى المثل الأعلى ، وتهتف بالحمد الصريح دون أن تهزها عواطف الثائرين وصيحات الناقمين ممن يسوؤهم أن يعترف بعظمة محمد قبطى مثقف يدرس الفلسفة والمنطق ويحمل درجة الدكتوراه فيها بامتياز !!

واذا كان الشاعر لا يستطيع أن يكتم نوازعه المشبوبة وأحاسيسه الجائشة اذا اقتنع بفكرة تملك عليه أفكاره فان كثيرا من أفاضل شعراء المسيحية قد بهرهم ما قدم محمد للعرب من مجد تليد وراعهم ما انتقلت اليه الجزيرة العربية على يديه من قبلية مظلمة — تعج بالدمار وتفيض بالشرور الى دولة متحضرة تزدهر بالمدنية والفضيلة والوئام ، ومن ثم نظموا القصائد الرائعة مقارنين بين الليل الجاهلى والصبح الاسلامى ومباهين بهذا الذى أوجد من القطيع النافر آسادا تحمى العرين ، وتقيم الصروح ، ولك أن تسمع الأستاذ وصفى الزنفلى شاعر حمص يسجل هذه الحقيقة الناصعة فيقول :

أو عار على فتى يعربى
أن تغنى بالسيد العدنانى
صاح بالشرق واستثار بنيه
فتنادوا بالفرس والرومان
وبنوا مجدنا المؤثل صرحا
من نثار العروش والتيجان
وأتوا قمة الزمان فكانوا
سادة الأرض فى شباب الزمان
أفكنا لولا الرسول سوى العبيد
ان ساءت معيشة العبدان ؟؟
فالتحيات والسلام أبا القا
سم تهدى اليك فى كل آن !

وانك لتجد أيضا شاعر الأرز الكبير الأستاذ شبلي الملاط وهو من أنبغ شعراء العربية فى العصر الحاضر يتحدث عن الحضارة العربية الزاهرة فىحماسة واندفاع ويتمنى للزمان فضلا كفضل محمد ، وعدالة كعدالة عمر ، كما يصف الفتوحات الاسلامية فيذكر كيف امتدت رايتها على الشرق مرفرفة فوق أباطحه وهضابه ثم انتقلت الى الغرب فملأته عدلا وسماحة وحضارة ، وللشاعر فى قريضه الناصع تسلسل وانسجام ، وانك لتحلق معه فى أجوائه العالية اذ تسمعه وهو يقول :

من للزمان يمثل عدل محمد
وعدالة كعدالة الخطاب
رفع الرسول عماد أمة يعرب
وأعزها بالأهل والأصحاب
غشت الفتوح فرفرفت راياتها
فى الشرق فوق أباطح وهضاب
وتغلغلت فى الغرب طائرة على
أكتاف صقر جارح وعقاب

ولئن كانت اللغة العربية هى قيثارة الشاعر العربى فى تغريده الرخيم فان كل أديب عربى يعرف فضل محمد على لغته الفصيحة فقد حفظ القرآن شبابها الغض ، وأمدها بذخيرة ثمينة من أفكاره ومعانيه كما كانت أحاديث نبى الاسلام مورد الأمثال ومناط الأسوة والاحتذاء ، فقد خلع على الفصحى أردية قشيبة وأجرى فى شرايينها الفتية دما حارا متدفقا فغنى ببيانه كل أديب ولمس شعراء العرب فضل محمد على اللغة والبيان بل انهم ليتضاءلون فى استحياء اذا جاروه فى ميدان الفصاحة والابداع وفى ذلك يقول الأستاذ جورج سلستى :

يا سيدى يا رســـول اللـــه معذرة
اذا كبا فيك تبيـــانى وتقصـــيرى
وأنت رب البيـــان الفــذ فى لغـــة
تشأوا اللغى حسن تنميق وتصـــوير
على لســـــانك ماجن البيـــــان به
وأقبل الشعر يرنو شبه مســـــحور
ماذا أوفيـــك من حـــق وتكـــرمة
وأنت تعلو مــدى ظنى وتقـــديرى

أما الشـــاعر اللبنـــانى الكبير الأستاذ حليم دموس فقد مـــدح محمدا بقصـــائد عديدة تدل على انصـــافه وحريته وتبلور النظرة الانسانية الى الأديان عامة بلورة أخاذة ســـاحرة وهـــو فى ديوانه الأخير « يقظة الروح » قد سطر عن جميع ســـور القرآن العظيم ومضات ساخرة ، برقت فى خاطره أثناء التلاوة العاقلة والدراســـة الفاحصة ولاح حبه لمحمد فى أكثر قصائده الوطنية والقـــومية وأنت حين تقرأ دواوينه المختلفة تلمس جلال التقدير وصـــــدق العاطفة وتشعر أن الأديب الكبير قد حلق بجناحه فى أفق فسيح لا يتســـنى لغيره أن يهيم فى سماواته العالية على أنه لم يكذب الحق والتاريخ والشعر حين قال عن جهـــاد نبى الاســـــلام :

صراع رمى جيش الضـــلالة بالهدى
كمـــا يتهاوى جلمـــد فـــوق جلمـــد
فياليتيم وهو كالشمس فى الضـــحى
وكالشمس فى ايمـــــانه المتـــوقد
تحمل من دنيـــــاه أعبـــــاء أمـــة
بهمـــة جبـــــار وجفـــن مســـــهد

سأنشرها فى الخافقين ملاحما
على نسج حسان ونغمة معبد

هذا ونحن نعلم أن البوصيرى رحمه الله قد مدح الرسول ببردته الشهيرة فلقيت من حفاوة الشعراء واقبال الأدباء ما أجلسها فى مكان الصدارة بين المدائح النبوية الكثيرة وقد عارضها عشرات الشعراء كما تناولها غير واحد بالتشطير والتخميس ، ولم يفت الأديب المسيحى الأستاذ « ميشيل الله ديردى » أن يجرى مع المتسابقين فى ميدان المعارضة ، وقارئه يؤخذ كثيرا بعذوبة الأسلوب وحراراة العاطفة وصدق المديح وقد طال نفس الشاعر دون أن يفقد قوته وتأثيره كما سمح له موضوعه الحافل أن يحلل جوانب كثيرة من حياة نبى الاسلام وأن يرسم صورا مشرقة من تعاليمه وهدايته كأن يقول :

أقول للمصطفى أعظم بما ابتدعت
آيات برك من خير ومن نعم
لو تابع الخلق ما خلدت من سنن
لم يفتك الجهل والأعواز بالأمم
ولم ير الناس أحكاما وفلسفة
فى الاجتماع ستلقيهم الى العدم
مذاهب أحدثت فى الناس بلبلة
وأورثتنا بلايا الحرب والأزم

ولو كان المجال ذا سعة لتناولت كثيرا من روائعها البليغة ، وهى وحدها تؤكد ما يثيره الاعجاب الصادق فى النفوس الشاعرة من حماسة واندفاع وبخاصة اذا اعتز الشاعر بعربيته العريقة فأدرك ما قدمه محمد للعرب من مآثر خالدات .

ولن نغفل فى هذا العرض السريع ما ترنم به المهاجرون فى الدنيا الجديدة من قصائد رائعة فى مدح النبى العربى ، فهم فى

مغتربهم النازح يشعرون بعروبتهم وأشواق الآمال لذلك نجد الشاعر المهاجرة شعورا تؤكده مرهقات محبوب الخورى الشرتونى يتحدث العيش ومضايق الحياة ، فى وطن عن العرب ورسولهم العظيم محمد مادى لا يقدس رغبات النفس فيقول :

قالوا تحب العرب قلت أحبهم
يقضى الجوار على والأرحام
قالوا لقد بخلوا عليك أحببتهم
أهلى وان بخلوا على كرام
ومحمد بطل البرية كلها
هو للأعارب أجمعين امام
قالوا البداوة قلت أطهر عنصر
صفت النفوس هناك والأجسام
الأريحية والشهامة والندى
فى الأرض حيث أيانق وخيام

أما الشاعر الشهير الياس فرحات فقد وصف ميلاد الرسول الأعظم وصف المنصف الصادق ، فتحدث عن ظلام الجهالة قبل مبعثه ، واشراق المعرفة بنبوته ، وأبان عما ضمن الاسلام من أخوة رحيمة ، وحنو كريم ، ودعا الى دراسة تعاليمه واعتناق مثله اذ يقول :

غمر الأرض بأنوار النبوة
كوكب لم تدرك الشمس علوه
لم يكد يلمع حتى أصبحت
ترقب الدنيا ومن فيها دنوه
بينما الكون ظلام دامس
فتحت فى مكة للنور كوه !!

وطمى الاســـلام بحرا زاخـــرا
بأواذى المعـــالى والفتـــوه
ان فى الاســـلام للعـــرب علا
ان فى الاســـلام للنـــاس أخـوه
فادرس الاســـلام يا جاهـــله
تلـق بطش اللـــه فيـه وحنـــوه
يارســـول اللـــه انـــا أمـــة
زجها التضـــليل فى أعمـق هـــوه
ذلك الجهـــل الذى حاربتـــه
لم يزل يظهـــر فى الشرق عتـــوه

والبيت الأخـير يذكرنا بروائع الشاعر القروى الكبير رشيد سليم الخورى فان ديوانه «الاعاصير» ثورة جبارة مضطرمة ، وصرخـة عالية فى آذان العـرب النـائمين ليهبـوا من مراقـدهم مسرعين فيقودوا ركب الانسانية الضـال فى الحديث ، كما قـادوا مواكب الحضارة والعزة والفتوح فى القديم وانه ليأسى على الحـاضر الأليم أسى بالغا حين يناجى الرســول الأعظم فيتحـدث عن أمجـاد غزواته ، وروائع فتوحه ، ويقول فى حرارة صادقة وحنين مشـبوب وهو يشـيد بميـلاد الرســول الكريم :

بدا من القفر نورا للورى وهـدى
يااللتمدن عم الـــكون من بـدوى
يا فاتح الأرض ميـدانا لقـــوته
صارت بـلادك ميدانا لـكل قـوى
يا حبذا عهـد بغـــداد وأنـدلس
عهد بروحى أفدى عـــوده وذوى
فان ذكرتم رســول اللـــه تكرمـة
فبلغوه سلام الشـــاعر القـروى

ولعل من المناسب أن أختتم هذا العرض السريع ببعض مـا قاله شاعر الأقطـار العربية الأسـتاذ خليل مطران فى رسـول اللـه ومطران فى رأيى أبلغ شـعراء العصر الحـديث ورائدهم الى التجديد والابداع فأبياته أجـدر بالرواية اذ يقول :

أعـاد ذاك الفتى الأمى أمتـه
شملا جميعا من الغـر الأماجيـد
ليـلك تاليـة القـرآن فى عجب
بل آية الحـق اذ يبغى بتأكيـد
صعبان راضهما ، توحيـد معشرهم
وأخذهم بعـد اشراك بتوحيـد

دكتـور / محمد رجب البيومى

« رأى الشيخ خير من جلد الغلام »

قال على كرم الله وجهه :

« رأى الشـيخ خير من جلد الغـلام » ، وقالت العرب : عليكم بآراء الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع ، فقد مرت على عيونهم وجوه العبر .

في ذكرى الميلاد النبوي العظيم

ميلاد جديد للإنسانية

للدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي

الأيام والاعوام والأحقاب ، وذكرى ميلاد رسول الله محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، جديدة أبدا ، مشرقة دائما ، لا تبلى جدتها ، ولا يضعف رواؤها ونورها العظيم لقد أصبحت نشيدا عذبا في فم الانسانية ، ولحنا سماويا تهتف به الأجيال ، كلما ظمئت الى نبع الحياة الكريمة ، والمثل الرفيعة ، والقيم العليا النبيلة .

في صباح يوم الاثنين ، الثاني عشر من ربيع الأول ، الثالث والعشرين من ابريل عام ٥٧١ للميلاد ، ولد في مكة ، بجوار البيت الحرام ، بيت ابراهيم واسماعيل ، طفل عظيم ، كانت حياته حياة جديدة للعالم وللشعوب وللانسانية قاطبة ، طفل قرشي في أرفع ذرى الحسب والنسب والشرف الكبير .. ولكنه يتيم .. نعم يتيم .

أمه : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، سيدة نساء بني زهرة ، وأعرقهن نسبا ، وأكرمهن محتدا .

وأبوه : عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي . أعظم شباب مكة : نسبا وحسبا وأدبا .

ولما تزوج عبد الله آمنة ، قالت قريش : لقد فاز .

وكان لعبد المطلب عشرة بنين وست بنات . وقبل أن يولد له ولد ، عيره عدي بن نوفل أحد أبناء عمومته ، فقال له : أتستطيل

علينا ، وأنت فذ ـ فرد لا أولاد لك ـ ولا ولد لك ؟ فأجابه عبد المطلب :

أتعيرنى بالقلة ؟ فوالله لئن آتانى الله عشرة من الولد لأنحرن أحدهم عند الكعبة •

وكان عبد الله هو الذى وقع عليه هذا العبء الكبير ، وكان أصغر أبناء عبد المطلب ، وأحبهم اليه ، ففداه أبوه بمائة من الابل ، كما فدى الله جده الأكبر اسماعيل بذبح عظيم •

وكان عبد الله واخوته يطوفون بالكعبة مع أبيهم ، فيبهرون الناس بجمالهم ، ويأخذون الأبصار بوضاءة وجوههم •

وكان عبد المطلب يسمى الفيض ، لسماحته وكرمه ومروءته وأريحيته • وكان أجمل الناس وأوسمهم ، وأعذبهم حديثا ، وأفصحهم لسانا ، يطعم الناس فى المحل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، وولى السقارية والرفادة فى البلد الحرام ، مكة الآمنة الرابضة وسط الجبال والصحراء •

وفجرت يدا عبد المطلب البر تان بئر زمزم ، فأحبه قومه ، وعظم خطره فيهم ، وشرف شرفا لم يبلغه أحد من آبائه ، وصار زعيم قريش ومقدمها ، وبعد قليل واجه الغزو الحبشى لمكة بقيادة أبرهة عام ٥٧١ م ولكن الله القادر المهيمن أهلك أبرهة وجيشه ، وهم على أطراف البلد الحرام ، ودحر الغزو ، وفشل التدبير الشيطانى المخبول • وعظمت مكانة عبدالمطلب بين العرب جميعا ، وصار سيد قريش ، وسيد أبناء اسماعيل قاطبة •• وعظمت العرب قريشا ، وقالوا : هم أهل الله ، قاتل الله عنهم ، وكفاهم شر عدوهم •

وحديث الطاعون ، الذى فشا فى ذلك الحين ، ورد فى تاريخ « بروكوب » الوزير البيزنطى آنذاك ، ولعله قد أهلك الله به ، جيش أبرهة بعد أن رماهم الله بحجارة من سجيل ، ويظن أن هذا الطاعون كان هو الجدرى •

ـ ٢ ـ

وجاء الميلاد النبوى الكريم ، وكسرى انوشروان (٥٣١ ـ

٥٧٩ م) على عرش فارس ، وقد تولى بعده هرمز الرابع (٥٧٩ — ٥٩٠ م) ، فكسرى أبرويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) •

وكان على عرش الامبراطورية البيزنطية (الرومانية الشرقية) القيصر جستين الثانى •

وعلى عرش اليمن يكسوم بن أبرهة الحبشى (٥٧١ — ٥٧٣ م)

وعلى عرش امارة الغساسنة فى الشام الملك المنذر بن الحارث الغسانى •

وعلى عرش امارة الحيرة فى العراق الملك قابوس بن هند (٥٦٩ — ٥٧٣ م) • وهو أخو الملك عمرو بن هند (٥٥٤ — ٥٦٩ م) •

وعلى عرش مملكة الملوك من كندة الملك المنذر ابن الحارث (٥٦٩ — ٥٨٣ م) •

وعلى عرش مصر من قبل قيصر الروم المقوقس وعلى عرش الحبشة النجاشى •

وفى الحجاز كان أهل الكتاب والكهان يبشرون بظهور نبى جديد حان زمانه ، وتجىء باليمن والخير أيامه •

وفى مكة الحرام كان الحنفاء يتطلعون الى السماء ، لتنقذ العالم مما هو فيه من ضلال وحيرة وشقاء ، هاهم أولاء : عثمان بن الحويرث ، وورقة بن نوفل ،وزيد ابن عمرو بن نفيل ، وعبيد الله بن جحش ، يجتمعون فى يوم عيد عند صنم يعظمه المكيون وينحرون له ويعكفون عليه ، وخلص الأربعة نجيا ، وأخذ بعضهم يقول لبعض • « تعلمن والله ما قومكم على شىء » •

« لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم » •

« ما حجر نطيف به ، لا يبصر ولا يضر ولا ينفع » •

« يا قوم ، التمسوا لأنفسكم دينا غير هذا الدين ، فانكم والله ما أنتم على شىء » •

وينفرد زيد بنفسه يناجيها ، ثم يقول لقومه : يا معشر قريش ، والذى نفس زيد بيده ، ماأصبح أحد منكم على دين ابراهيم

غيرى . والله لو أعلم أحب الوجوه اليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه . ثم يسجد .

أما ورقة فيستبطىء الأيام ، ويكرر قوله : حتى متى رسالة الله ؟

ويخرج سلمان الفارسى (١) وهو ابن وجيه من وجهاء فارس ، من بلاده ووطنه ، يطوف فى الشام والعراق والحجاز ، بحثا عن الرسول المنتظر الذى قد حان زمانه ..

وتستعد الانسانية كلها لسماع أعظم بشرى سمعت بها فى حياتها الطويلة .. لقد أثقلها الألم والعذاب والهوان ، فأخذت تنصت للبشريات التى يبشرها بها الحنفاء المتألهون وأضرابهم .

وكان الميلاد العظيم ، ميلاد الطفل اليتيم فى بيت عريق ماجد كريم .

وولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، يتيما ، مات أبوه عبدالله قبل المولد النبوى بسبعة أشهر ، وفى يوم الميلاد كانت البشائر الالهية الكبرى تتوالى بهذا الميلاد الجليل ، ميلاد رسول الله وخاتم النبيين . وسيد الخلق أجمعين ، صلوات الله وسلامه عليه دائما أبدا الى يوم الدين ..

رأت أمه آمنة نورا أضاءت له قصور بصرى بالشام .. ورأى قيصر الروم أن ملك العرب قد ظهر ، ورأى خالد بن سعيد بن العاص نورا يخرج من زمزم ، فيضىء فى كل مكان ، حتى تراءى له نخيل يثرب .. وخمدت نيران فارس ، وكانت لا تخمد أبدا ، واهتز ايوان كسرى .. واستبشرت مكة والكعبة والبيت الحرام .

وأرسلت آمنة الى جد الوليد ، عبد المطلب تقول له : قد ولد لابنك عبد الله ولد ، فبادر عبد المطلب بالتوجه مسرعا اليها ، وأخذ الوليد وقبله ، وحمله فى يديه ، ودخل به

---

(١) صدر عنه هذه الايام كتاب جديد بعنوان « سلمان الفارسى » للأديب السعودى الاستاذ أحمد ابراهيم الحقيل ، فى ١٧٢ صفحة .

الكعبة ، وقام يدعو الله ، ويشكر له ما أعطاه •

لحظات خالدات ليس لها مثيل فى جميع لحظات الايام والأزمان والأجيال والعصور •• لحظات وقف عندها الدهر صامتا خاشعا مكبرا •

وعاد عبد المطلب بالوليد فدفعه الى أمه وهو يقول لها :

لقد سميته محمدا ، ليحمد فى الأرض والسماء وقدمت المرضعات الى مكة تلتمس أبناء الأشراف والسادة والأثرياء ، طمعا فى كرمهن ••

وكان لحليمة السعدية شرف الفوز بمحمد ، لتكون مرضعته ومربيته الأولى • وتقص حليمة(١) قصتها مع هذا الطفل العظيم اليتيم ، فتقول انها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه — هو عبد الله بن الحارث — فى نسوة من سعد بن بكر ، تلتمس الرضعاء ، وهى فى سنة شهباء ، سنة جدب وقحط ، لم تبق لها شيئا •

قالت حليمة :

خرجت على أتان — أنثى الحمار — لى ، قمراء — بيضاء الى كدرة — معنا شارف — ناقة حسنة — لنا ، والله ما تجود بقطرة ، وما ننام ليلتنا أجمع من صبينا الذى معنا ، ببكائه من الجوع ، وما فى ثديى ما يغنيه ، وما فى شارفنا ما يغذيه • ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتانى تلك ، حتى قدمنا مكة ، نلتمس الرضعاء •

فما منا من امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فتأباه ، اذا قيل لها : انه يتيم • وذلك أنا انما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى ، فكنا نقول : يتيم ، وما عسى أن تصنع أمه أو جده ؟ فكنا نكره أخذه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معى الا أخذت رضيعا غيرى ، فلما أجمعنا

---

(١) حليمة هى بنت ابى ذؤيب من سعد بن بكر ، وزوجها هو الحارث ابن عبد العزى من سعد بن بكر كذلك ، وابناء الحارث هم : عبد الله ابن الحارث ، أنيسة بنت الحارث ، خذامة (الشيماء) بنت الحارث .

العودة قلت لصاحبي — زوجي — والله انى لاكره أن أرجع بين صواحبى ولم آخذ رضيعا ، والله لاذهبن الى ذلك اليتيم فلاخذنه •

وقال لها زوجها : لا عليك أن تفعلى ، عسى الله أن يجعل فيه بركة •

قالت حليمة : فذهبت اليه ، فأخذته ، وما حملنى على أخذه الا أنى لم أجد غيره ، ورجعت به الى رحلى ، فلما وضعته فى حجرى جاد ثدياتى بما شاءا من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه (أى من الرضاع وهو عبد الله) حتى روى ، ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك •

وقام زوجى الى شارفنا تلك فدرت باللبن ، فحلب منها ما شاء، وشرب وشربت معه ، حتى انتهينا ريا وشبعا ، فبتنا بخير ليلة ، وأصبحنا ، فقال لى زوجى :

اعلمى يا حليمة أنك أخذت نسمة مباركة فقلت له : والله انى لأرجو ذلك وتواصل حليمة حديثها الشيق الجميل ، فتقول :

وخرجنا من مكة ، وركبت أتانى، وحملت الطفل عليها معى ، فوالله لقد قطعت مسافات ما يقدر على قطعها شيء من فواره (جمع فاره) دوابهم ، حتى ان صواحبى ليقلن لى : يا ابنة أبى ذؤيب ، ويحك ، اربعى علينا — أى انتظرى علينا فى السير ، وتمهلى فيه — أليست هذه آتانك التى كنت قد خرجت عليها ؟

فأقول لهن : بلى ، والله انها لهى هى فيقلن لى والله ان لها لشأنا ، وتستمر حليمة فى حديثها العذب فتقول :

وقدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد ، وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها ، وكانت غنمى تروح على ، حين قدمنا به معنا ، شباعا ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب انسان قطرة لبن ، ولا يجدها فى ضرع ، حتى كان القوم يقولون لرعاتهم :

ويلكم ، اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب ••

فتروح أغنامهم جياعا ، ما تجود بقطرة لبن ، وتروح غنمى شباعا نحلب منها لبنا •

فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير •• حتى مضت سنتان من حياة الوليد معنا ، وفصلته ، وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمـان •• فقدمنا عـلى أمه ، ونحن أحرص شىء على مكثه فينا ، لما كنـا نرى من بركته ، فكلمنا أمه ، قلت لها :

لو تركت عنـدى بنى وقتـا أطول ، فانى أخشى عليـه وبـاء مكة ؟

ولم أزل بها حتى ردته معنا ، فرجعنا به هذا هو الطفل العظيم ، ابن العامين ، تعود به حليمة الى وطنها فى بنى سعد بن بكر ، ترعاه، وتربيه •

وتقص حليمة قصـة جـديدة عظيمة للطفل العظيم ، فتقول :

والله ، انه بعد مقدمنا بأشهر ، مع أخيـه ، لفى غنم لنا ، خـلف بيوتنا ، اذ أتانا أخوه يعدو ، فقال لى ولأبيه : ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان ، عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه ، فشقا بطنه ، فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائما ، منتقع ــ متغـير ــ الـوجه ،ــ فالتزمته ، والتزمه أبوه ، فقلنا له : مـالك يابنى ؟ قـال (كما ورد فى سيرة ابن هشام وكتب السـيرة الأخرى) :

قد جاءنى رجلان ، عليهماثياب بيض ، فأضجعانى ، وشقا بطنى ، فالتمسا فيه شيئا لا أدرى ما هو ؟ فرجعنا الى خبائنا • وقال لى أبوه: يا حليمة ، لقد خشيت أن يـكون هذا الغلام قد أصـيب ، فألحقيه بأهله قبـل أن يظهر ذلـك به ، فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه ، قـالت :

ما أقدمك به يا حليمة ؟ وقـد كنت حريصة عليه ، وعلى مكثـه عنـدك •

فقلت : نعم ، قد بلغ الله بابنى وقضيت الذى على ، وتخـوفت الأحداث عليه ، فأديته عليـك كما تحبين ••

قالت آمنة لحليمـة : ما هـذا شأنك ، فأصدقينى خبرك ، فـلم تدعنى ، حتى أخبرتهـا ، قـالت آمنة : أفتخوفت عليه الشـيطان ؟ قلت : نعم ، قـالت كلا ، واللـه ماللشيطان عليه من سـبيل ، وان

لبنى شأنا ، أفلا أخبرك خبره ؟ قلت : بلى ، قالت :

« رأيت حين حملت به انه خرج منى نور أضاء لى قصور بصرى من أرض الشام » .

ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وانه لواضع يده بالأرض ، رافع رأسه الى السماء ، دعيه عنك يا حليمة ، وانطلقى راشدة .

— ٣ —

ولقد ظهرت بميلاد خاتم المرسلين الكثير من البشريات :

فقد طرد سيف بن ذى يزن الحبشة من بلاده ، وأنهى الاحتلال الحبشى لها ، وكان هذا الاحتلال قد دام نحو نصف قرن من الزمان (٥٢٥ — ٥٧٥ م) ، وذهب عبد المطلب على رأس وقد من أشراف قريش الى اليمن ، لتهنئة محرر اليمن وقائدها سيف بن ذى يزن بهذا النصر العظيم ، واجزل الملك اليمنى للوفد ولرئيسه العطاء، وانفرد بعبد المطلب ، تنبأ له بقرب ظهور رسوله من نسله . وكان عبد المطلب يقول : لا يغبطنى أحد منكم بجزيل عطاء الملك ، وان كان كثيرا ، فانه الى نفاد ، ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولذريتى ذكره وفخره وشرفه . فاذا قيل له : وماذاك ؟ قال : ستعلمون ما أقول لكم بعد قليل .

وفى الميلاد النبوى يقول العباس عم الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

وأنت لما ولدت أشرقت الا
رض ، وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى الـ
نور وسبل الرشاد نخترق

ومرت الأيام والأعــــوام ، وتوالت البشريات :

ــ انتصار العرب فى يوم ذى قار على الفرس .

ــ نزول الوحى على محمد بن عبد الله بالقرآن الكريم فى غـــار حراء ، على جبل النور ، بالرسالة الالهية العظمى ، بالشريعة المحمدية الخاتمة ، حتى لقد قـــال ورقـــة لرسول الله : والذى نفس ورقـــة بيده ، انك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جـــاء موسى .

وقال رسول الله ، صلوات الله عليه ، : أنا دعوة أبى ابراهيـــم ، وبشرى أخى عيسى .

ــ ٤ ــ

ومرت الأيـــام ، وأدى محمد الرسالة ، وبلغ الأمـــانة ، ونشر الدين بين الناس ، وربى جيـــلا ، فتح الدنيا ، وأثل الملـــك ، وبنى الحضارة ، وشيد العمران ، وأقام للمعرفة دولة وسلطانا فى الأرض .

وكانت رسالته صـــلوات اللـــه عليه ، هى رســـالة الاســـلام والقرآن ، رسالة الاصلاح والخير للبشرية جمعاء .

قال العبـــاس بن عبد المطـــلب لصديقه عفيف بن قيس الكندى : هذا ابن أخى محمد ، يقول : انه نبى ، وانه ســـيفتح عـــلى يـــدى أصحابه كنوز كسرى وقيصر .

هذا هو محمد منقذ الانسانية ، ورسول البشرية ، ونبى الرحمة ، والذى أخرج العـــالم والأمم من الظلمات الى النور ، ومن عصـــور الوثنية والطغيان الى عصر التوحيد والعدالة والحرية والايمان .

لقد كتب عن محمد على طـــول العصور ما لم يكتب مثله عن بشر ، وكتب أخيرا آلاف العلماء شـــتى الكتب والمقـــالات والبحـــوث والدراسات عن الرســـول العربى صاحب الرسالة العظمى الى الدنيا كلها ، وكتب أخيرا جدا ميشـــيل هارت كتابه « الخالدون مائة » ، وصدره بفصل عن الرسول الأعظم ، محمد صلى الله عليه وسلم ، ومع أن المؤلف عالم فضـــاء ، الا أنه اختـــار مائـــة شـــخصية مـــن

الشخصيات التى تركت أثرا بارزا فى حياة العالم ، واختار رسـولنا الكريم على رأس المائة ، كما اختار عمر بن الخطاب من هذه النماذج الرفيعة .

ولا ريب أن هذا اعتراف جديد بفضل محمد ، صـلى الله عليـه وسلم ، وبفضل الاسـلام على البشرية والحضارة .

وماذا أقـول فى هـذا النـور العظيم ، فى هذا الأمل الكبـير ، فى هذا الحـلم الـذى تحقـق للانسانية ، فى هذه الرسالة ، التى أعزت الانسان وكرمته فى الحياة ، فى هذا الكتاب الكريم المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل مـن حكيم حميد ، وهو ناموس هذه الرسالة العظمى وكتابها الخالد ؟

وماذا أقول عن محمد بن عبد الله وكل كلام دون جلاله وعظمته ، ودون شخصيته وسيرته ، ودون مستوى المعجزات التى صـنعها محمد صلى الله عليه وسلم فى كل جوانب الحياة ، وشئون العقيدة ونواميس المجتمع .

د/محمد عبد المنعم خفاجى

الى السـادة الراغبين فى الاشتراك بالمجلة الاتصال بتوزيع الأخبار فى بلادهم .

في مواجهة الالحاد المعاصر

عجز العلم فى مجال الأخلاق

للدكتور/ يحيى هاشم

تمهيـــــد :

فى تقديرى : أن أهم القواعد التى يقوم عليها الالحـــاد المعاصر ثـلاث .

القاعدة الأولى : انكار كل ما لا يمكن اخضاعه للتجربة ، وقد رددنا على ذلك فى كتابنا : « عقائد العلم » (١) .

القاعدة الثانية : أدعاء كفاية « قوانين الطبيعـة » من ناحيـة و « والتطور » من ناحية أخرى ، والغنية بهما عن افتراض « وجود الله » ، وقد رددنا على ذلك فى كتابنا : « مزاعم الالحاد العلمى » (٢) .

القاعدة الثالثة : ادعاء كفاية « المنهج العلمى التجريبى » والغنيـة به عن المناهج الأخرى . كالتى يستخدمها الميتافيزيقا أو الدين ـ وهذا ما خصصنا للرد عليه كتابنا : « نقد العلم الخالص » (٣) .

انه اذا كان الالحاد العلمى قد فشـل فى اسـتعماله : « نصـل

---

(١) نشرة مجمع البحوث الاسلامية عام ١٩٨٠ .
(٢) تحت الطبع بدار المعارف .
(٣) تحت الطبع ايضا .

أوكام » (١) من أجل استبعاد الدين أو الميتافيزيقا .

حيث رجعت الاعتقادات من « الباب » باسم العلم ، بعد أن طردت من النافذة باسم الالحاد .

وحيث تحطمت مزاعمه التى يصاول بها الدين .

فان فشله ليبدو صارخا — لا يمكن للانسان أن يصبر عليه — فى ميدانين رئيسيين :

أولهما : ميدان القيم « الاكسيولوجيا » ، وثانيهما : ميدان المعرفة « الابستولوجيا » .

انه فى ميدان القيم تلح الحياة « العلمية » للانسان ، تلح عليه فى أن ينشط للبحث عن مصدر للهداية يحدد حركته ، ويرسم غايته .

وفى هذا البحث نضـــع أيدينا على ما يمكن أن يؤدى اليه الالحاد العلمى المعاصر من دمار فى حياة الانسان لو أنه أفلح — وهو لا يفلح أبدا — فى اقصاء الدين ... من مجال القيم .

وسنتناول فى هذا البحث أربعة موضوعات :

١ — القيم الأخلاقيـــة ..

٢ — مفهوم التقدم من خلال النظرة التاريخية .

٣ — مفهوم التقدم من خلال النظرة المادية .

---

(١) اصطلاح يقصد به : الاقتصاد فى الفروض التى نفترضها لتفسير ظاهرة من الظواهر ، أو واقعة من الوقائع .

وينسب الى أوكام أحد مفكرى العصور الوسطى (ت حوالى ١٣٤٩م) عبر عن منهجه بقوله « لا ينبغى أن نكثر من افتراض كائنات بدون مبرر » وأعلن مبدأه هذا وهو بصدد مناقشـــات كانت تدور فى أيامه بين الاسميين حول الأسماء الكلية . ويقضى مبدؤه هذا بالاستغناء عن افتراض وجـــود المدرك الكلى ، ما دام ان افتراض الجزئيات يكفى لتفسير الأسماء الكلية ، ا . هـ .

انظر هامش كتاب فلسفتى ، كيف تطورت لبرتراند رسل ترجمـــة وتعليق الأستاذ ... عبد الرشيد الصادق ص ٥

٤ ــ قيمة الانسان فى الكون كما يقدمها العلم .

أما عجز العلم فى مجال المعرفة عجزا لا يمكن الصبر عليه ، ولا يمكنه التخلص منه فهو ما قدمنا الكلام عنه فى مقالاتنا السالفة .

المبحث الأول

عجز العلم فى مجال الأخلاق

أولا : نبدأ الكلام عن ذلك عند أرباب الفلسفة الوضعية .

كان ظهور الفلسفة الوضعية فى فرنسا على يد أوجست كونت (١٧٩٨ ــ ١٨٧٥) مقصودا به فى زعم أصحابها اجراء الاصلاح الاجتماعى والأخلاقى الذى دعت اليه الثورة الفرنسية ، باسم الوضعية العلمية ، وبعيدا عن الدين والفلسفة .

واذا أردنا الكلام عن انهيار الأسس التى قامت عليها هذه الفلسفة فلذلك موضع آخر (١) ، اذ نريد هنا توضيح ما تؤدى اليه هذه الفلسفة من دمار فى القيم ، أراد كونت أن يتخلص منه بأن ابتدع الديانة التى سماها ديانة الانسانية ، وأراد أن يكون لها سلطان على الناس مثلما كان للديانة الكاثوليكية من قبل .. مدركا للضرورة الأساسية التى تجعل من الانسان تابعا لدين ما .. فوقع بذلك التناقض لخروجه على مبادئه الوضعية التى بشر بها فى كتابه : (دروس الفلسفة الوضعية) .

ولم يقتصر تناقض كونت على هذه النقطة الأساسية فحسب ، بل لقد ظهرت آثار هذا التناقض فى مفهوماته الأخلاقية التى نادى بها ، حيث جعل الانسانية « وهى كائن لا يمكن اخضاعه للتجربة » هدفا لكل نشاط أخلاقى ، كما جعل منها هدفا للعبادة .

---

(١) انظر مبحث لا حتمية القوانين ، ومبحث القوانين لا تلغى الارادة الالهية ومبحث « مذهب التطور الفكرى للمجتمعات الانسانية ، ومذهب التطور الاجتماعى فى كتابنا « مزاعم الالحاد العلمي » .

ولقد كان مناقضا لمبادئه الوضعية كذلك عندما اعتبر الخير الحقيقى هو : التقدم نحو غاية لا يمكن الوصول اليها أبدا .. (١) .

فتلك الغاية التى يستحيل الوصول اليها أبدا ، كيف يمكن أن يجعل منها المرء موضوعا لفكر وضعي يمتاز بالواقعية التجريبية العلمية ؟

ولقد ظل دور كايم أنه أكثر اخلاصا للمبادىء الوضعية من استناده ، عندما جعل الهدف من الاخلاق منحصرا فى « المجتمع » ولقد كان دور كايم مخلصا حقا عندما قدم لنا مجتمعه ذلك بأنه : « ذلك الكائن الذى يمكن مشاهدته مباشرة » ، ولكنه سرعان ما وجد نفسه مضطرا الى التملص من أسار الوضعية القصيرة النظر ، عندما أحس بأن تقديمه للمجتمع على ذلك الوجه الحسى المباشر سوف يجرد أخلاقه من قيمتها التوجيهية فذكر أن ما يقصده بالمجتمع ليس جسمه ، وانما هو روحه ، وما هى روحه تلك ؟ انها كما يقول : (مجموع الأفكار التى لا يمكن أن يحيط بها الفرد وحده والتى تتجاوز نطاق عقله ..)

ولست أدرى كيف أدرك دور كايم ذلك المجتمع الذى يتجاوز نطاق العقل دون أن يناقض نفسه ؟

وأخيرا : فما الذى يمكن استنتاجه من هذا الموقف المتناقض الذى اضطر الى الوقوف فيه زعماء الوضعية ، عندما حاولوا أن يكونوا ايجابيين فى ميدان الاخلاق وفى ميدان الاصلاح الاجتماعى .. ؟

هل معنى ذلك أن موقفهم يصبح أكثر صوابا لو أنهم أخلصوا لوضعيتهم ، وانحازوا الى جانب السلب ، ولم يحاولوا أن يرسموا للمجتمع خطة النهوض والاصلاح؟

لقد كان ليفى بريل من اتباع ذلك « الصواب » عندما قرر أنه لا يمكنه أن يقف موقفا ايجابيا وأن يضع قواعد الفن الأخلاقى

---

(١) فلسفة أوجست كونت لليفي بريل ص ٣٠٢ ، ٣٠٥ .

قبل مرور قرون على انشاء العلم الاخلاقى الوضعى .

ولئن كان ذلك الموقف الذى وقفه ليفى بريل صوابا من وجهة النظر الوضعية فانه لم يكن صوابا من وجهة النظر الانسانية ، ووجهة النظر الانسانية ، هذه من شأنها أن توجه الى ليفى بريل اعتراضا حاسما على موقفه ذاك ، عندما نتساءل : كيف يمكن البقاء دون قواعد للسلوك فى انتظار نشأة ذلك الفن ؟ ولم يكن جواب ليفى بريل بأن فكرة علم العادات الخلقية نفسها تفترض وجود قواعد عملية سابقة على وجود العلم .. لم يكن جوابه ذاك — الا هروبا من مواجهة المصير الذى تلاقيه الانسانية بناء على خلو الميدان من توجيهات الفكر اللاهوتى الميتافيزيقى فى مسائل الاخلاق بناء على أمل موهوم فى قيام فن اخلاقى بعد قرون .

ولم يكن جوابه ذاك الا دعوة الى الفوضى الاخلاقية اذ لا معنى للفوضى الاخلاقية الا أن يكون ميدان الاخلاق خاليا من التوجيه القائم على الوعى والارادة .

وبالرغم من كل ذلك فلم يكن ليفى بريل فى جوابه هذا أكثر اخلاصا لوضعيته من زميليه ، حيث لم يكن مندفعا الى الامل فى قيام ذلك الفن بناء على اسباب يمكن التدايل عليها من الناحية العلمية (١) .

ثانيا : أما عند زعماء مذهب التطور الاجتماعى ، فاننا نجد هربرت سبنسر يزعم فى كتابه : مبادىء علم الأخلاق : أن (مبادىء الاخلاق قائمة على أساس طبيعى) لأن النتائج الأخلاقية تلزم عن قانون التطور العام ، فالانسان قادر على التغير بصورة لا نهاية لها عن طريق التكيف مع الظروف ، وبخاصة التغير من الحياة الوحشية الى الحياة المدنية المستقرة ... وما المبادىء

---

(١) انظر الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية لليفى برسل صفحات : ص ، ى ، ك ٢٠٣ ، ٣٥١ وما بعدها .

الأخلاقية عنده الا القواعد التى تساعد على قيام الحضارة المتوافقة والتى يعاد تنظيمها لتكون أكثر ملاءمة .. (١) .

وعلى هذا الأساس : فانه لما كان قانون تطور الكائن الحى — كما هو عند سبنسر — يقوم على الملاءمة بين هذا الكائن وبين بيئته .

فان السيرة الانسانية أو الأخلاق تصبح هى (جملة الأفعال الخارجية المتجهة مباشرة أو بالواسطة الى صيانة الحياة وتنميتها) !!

ومن هنا : كان هذا المذهب كما يقرر الأستاذ : يوسف كرم لا يحتمل الا علما للأخلاق من طراز العلوم الواقعية يستبعد المعانى والمبادىء الميتافيزيقية . وباختصار :

فلقد كان سبنسر يؤكد المؤالفة الاجتماعية للبيئة القائمة على آلية التطور البيولوجى كما وضعتها النظرية الداروينية (٢) .

واتفق معه فى ذلك كثير ممن ينسبون الى ما يسمى « الداروينية الاجتماعية » .

نظر هؤلاء الداروينيون الاجتماعيون — ومن أهمهم باجيهوت فى كتابه : « الفيزياء والسياسة » والعالمان النمساويان همبلوفنتش وراتزنهوفر — الى تصارع الفئات العرفية والقومية والاجتماعية نظرة بيولوجية (٣) محضة ، واعتبروا أن الحرب هى العامل الأساسى فى التطور الاجتماعى . يرى باجيهوت أن صراع البقاء يجرى بين الفئات أكثر مما يجرى بين الأفراد ، ويتخذ تسابق الفئات من أجل هذا أعنف الاشكال .

---

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ١٧٩

(٢) ص ١٦٨ : ١٧٥ تكوين العقل الحديث حـ ٢

(٣) انظر مبحث مذهب التطور الاجتماعى وما بيناه من خطأ اتخاذ البيولوجيا أو الفيزيقا أساسا للعلوم الانسانية . (كتابنا : مزاعم الالحاد العلمي) .

نتائج هذه النظرة كما يمثلها الفيلسوف الألمانى نيتشه :

لقيت هذه « الداروينية الاجتماعية » مؤيدين كثيرين وأعطاها الفيلسوف الالمانى نيتشة قالبا مثاليا وطبقها علماء الحياة أمثال : جالتون وكارل بيرسون على صراع الاجناس العرقية مستنتجين برنامجا عمليا للسلالات القومية . وكانت تشكل قبل عام ١٨١٤ احدى المعاقل الرئيسية للدفاع « العلمى » عن الحرب والروح الحربية واستعملت مؤخرا لتأييد مختلف المزاعم من تفوق العنصر الشمالى (النوردى) واللاسامية . والتعصب القومى (١) .

يقرر نيتشه : أننا اذا كناجادين فى قولنا بأن التطور يقدم مقياسا أخلاقيا للحياة فعلينا أن نضع مجموعة كاملة جديدة من القيم وعلينا أن نعترف بأن الأهداف التقليدية الموروثة عن المسيحية لا يمكن أن تستمر بدون تغير فى عالم اليوم « المتنامى » .

فما كان خيرا فى العالم الذى تحكمه العناية الالهية من أجل خلاص كل نفس بشرية لم يعد خيرا على الاطلاق بالنسبة للعقل المتحرر الذى يشاهد مافى التطور من كفاح وما فيه من تنازع لايجاد نماذج أعلى للحياة ، فمثلنا العليا يجب أن تتآلف مع ما اكتشف من ظروف جديدة لتحقيقها ، واذا كنا نريد أن نحقق على هذه الأرض « جنسا » أمثل من الناس ، ومجتمعا أقدر على مجابهة قوى الطبيعة وعلى تحقيق حياة أفضل، فعلينا أن نهمل دساتير الماضى الضعيفة اللينة وما فيها من تمجيد للخضوع والضعف . وعلينا أن نكافح وأن نحارب من أجل المستقبل ، وأن نكون أقوياء واذا مادعت الحاجة فلنكن قساة غلاظ القلوب ، لئلا تتغلب علينا القوى الاخرى فى الصراع

---

(١) ١٧٦ تكوين العقل الحديث حـ ٢

الكونى ، وليس بوسعنا أن نكتفى بالحلم ، بأن تقوم حياة انسانية نبيلة بصورة آلية عن طريق محض التغير أو محض الجدة ، أو محض الاستسلام للغريزة ، بل تحتـاج هذه المهمة الى ارادة حـديدية ، وتوجيه ذاتى صـارم ، والا فلن يتمكن الانسـان قط أن يرتفع ليصـبح الهـا (!!) بل بالعكس سيتراجع الى مستوى حياة النحلة والنملة وهى حياة خامدة رتيبة •

وعلينا أن نؤالف أنفسنا ، لا مع محيطنا الحالى كما تفعل الحشرات العمياء وانما مع الشروط اللازمة لتحقيـق المزيد من النجـاح والسيطرة على الطبيعة •

أهمل نيتشه المنهاج المسـيحى فى الحياة الانسـانية فضـلا عن المنهاج المسيحى فى الكون وذهب الى أن الأخلاق المسيحية لاتصلح الا للعبيد الذين يرضـون ان يعيشوا للحاضر وحده ، أما الرجل الحر الذى قرر أن يجعل المستقبل أفضل من الحاضر فانه يـرى أن الانسان لن يصل الى علو جـديد الا باتخاذ أشـد المواقف ضـد الضعف والالتجاء الى ارادة القوة الصارمة المعتمدة على ذاتها ، كما قرر أنـه لن يـأتى السـوبرمن بالتخلى عن القتال ، بل بأن يقذف الانسان بنفسه وسط النضـال فى حمـاس كلى ، وعـلى جيش الانسانية أن يتنـاول السـيف والدرع ويمشى قدما الى المستقبل المجيد دون أن يعبـأ بأنـات الجرحى وصياح الواجفين •

أما فضائل الانسانية فيجب أن تكون فضائل المحارب والبطـل ، فان أرض الميعاد لن تكتسـب يوما بالشفقة الرقيقة وبالتواضع والمحبة ، وعلينا أن نقـدم الولاء للمستقبل لا للماضى ولا للحاضر، مهما كانت التضحية •

ويقول نيتشة :

(اننى أبشركم بالسوبرمن • الانسان شىء يجب ان نتغلب عليه فماذا فعلتم من أجل التغلب عليه؟ ان جميع الأشياء التى سـبقتكم انتجت شيئا ابعد من ذواتها فهل ترغبون ان تكونوا جزر هـذا

الطوفان الكبير ؟ أم تراكم تفضلون العودة الى الحيـوان بدلاً من ان ترتفعوا فوق الانسان ؟ ما هـو القرد ازاء الانسان ؟ أضحوكة أو عار هكذا سيكون الانسان بالنسبة للانسان الاسمى ، السـوبرمن ، أضحوكة وعارا .

لقد اجتزتم الطريق من الدودة الى الانسان ومازال فيكم الكثير من الدودة تيقظوا اننى أبشركم بالسوبرمن) .

فاذا شرعنا بالعمل على تحقيق السوبرمن ، ذلك الجنس الاعلى من البشر ، فعلينا ان نطرح كـل رأفة وكل شفقة ، ونجد الفرح فى النضال وفى فضائل البطـولة . ويقول نيتشـه على لسـان زرادشت :

(اننى أجلس وحـولى لوائح محطمة من القانون ، وحولى أيضا لوائح جديدة قد حضرت نصـف تحضير) .

أما المحبة المسيحية فهى: أخلاق العبيد ، ودسـتور خضـوع . وضعف ، ومرض .

لقد فرضها العالم الحديث حتى على الاقوياء من رجاله ، فكبتبها قوتهم وكل مزيـد من القـوة فى المستقبل . واذ كانت الحياة حربا من اجل الجنس المقبل فلابد من تغيير معنى الخير والشر .

(ماهو الخير ؟ انه كل ما يزيد فى الانسـان شعور القوة ، ورغبـة القوة .

ماهو الشر ؟ هـو كل مـا يأتى من الضعف .

وماهى السعادة ؟ هى الشعـور بأن قوتنا تنمو وأن عقبة قد قهرت وذللت .

لا القناعة بل المزيد من القوة .

لا السلام العام بل الحرب .

لا الفضيلة بل العنف .

الضعيف وغير المجدى يجب أن يداسا ، ذلك هو المبـدأ الأول من مبادىء محبتنا للانسانية .

وعـلى الانسـان أن يمد يد المساعدة من أجل هذه الغاية .

(ما الذى يؤذى أكثر من أيـة رذيلة ؟ الشـفقة على أحـوال الضعفاء وغير النافعين) .

وهكذا أخذ نيتشةعلى عاتقه المحاربة الكاملة للتقاليد الأخلاقية العريقة ، وأصبح بحق عدوا لا للمسيح فحسب ، بل للاخلاق الدينية عموما ، وكان طبيعيا أن يبدو لمعاصريه ولمن بعدهم أن مثاليته الملتهبة واخلاصه لما يسميه السوبرمن هما مجرد تبرير للوحشية ٠

ومع ذلك فمثله العليا ـ كما يقول الدكتور هرمان راندال (يتفق بمقدار كاف مع الفكر الكامن فى العصر الحديث مهما تظاهر بخدمة الفضائل المسيحية أو تجسيمها فى الديمقراطية) (١) ٠

انها تتفق مع هذا الفكر لانها تطور منطقى لمبادىء الالحاد العلمى التى يقوم عليها ٠

دكتور يحيى هاشم

(رجاء الى كتاب مجلة الازهر)

تسهيلا لعمليات المراجعة : يرجى من السادة كتاب المجلة : التكرم بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة الترابرايتر) ثم مراجعتها ـ أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية ، وتخريج الأحاديث النبوية ـ والله الموفق ٠

---

(١) تكوين العقل الحديث ح ٢ ص ٣٢١ : ٣٢٥

المقرن الخامس عشر وأخلاقيات العلم

للدكتور / عبد الفتاح عبد الله بركة

ـ ٢ ـ

العلم عبادة

بهذا الاعتبار يكون العلم :

بكافة فروعه ـ شرعية وغير شرعية ـ علما دينيا ، ويكون طلبه وتعلمه وتعليمه عبادة من العبادات ، بل يكون عبادة من أكثر العبادات قدرا عند الله • فاذا تجرد من مثل هذه الاعتبارات فقد أصبح علما دنيويا ، حتى ولو كان من علوم الشريعة •

يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى :

« ان علوم الحياة مساوية لعلوم الآخرة فى خدمة الدين وتجلية حقائقه ، غاية ما هنالك أن علوم الطبيعة تحتاج دراسات أطول ، أما العلم بالدين فميسور لمن أخلص له أياما معدودات »

« واذا كان التوسع فى فروع الشريعة يحتاج مددا فسيحة ، فهذا التوسع وظيفة اجتماعية كسائر الوظائف التى تستكثر منها الدولة أو تستقل وفق المصلحة التى تنجح رسالتها العليا » •

« وليست دراسة الحقوق والقضاء أشرف فى ذاتها من دراسة الطب مثلا ، ولو بلغ صاحبها مبلغ أبى حنيفة ، وانما يرجح الرجل صاحبه فى علمه بمقدار ما يسخر هذا العلم لنفع الناس ابتغاء وجه الله ، وانتظار ما لديه من مثوبة » •

« ان الحاجز بين ما هو دين محض ودنيا محضة يرق ويكثف

بحسب النية ، وسلامة القصد ونبل الغاية » (١) .

فهو بهذا الاعتبار عبادة ، وهو من حيث هو مأمور به من قبل الله تعالى عبادة . وهو بهذه الاعتبارات كلها من أفضل العبادات ، وفى حديث الترمذى عن كثير بن قيس قال : قدم رجل من المدينة على أبى الدرداء وهو بدمشق ، فقال ما أقدمك يا أخى ؟ قال : حديث بلغنى أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : أما جئت لحاجة ؟ قال : لا ، قال : أما قدمت لتجارة ؟ قال : لا ، قال : ما جئت الا فى طلب هذا الحديث ؟ قال : فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

من سلك طريقا يبتغى فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحتيان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، ان العلماء ورثة الانبياء ، ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، انما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر (٢) وتوجد أحاديث كثيرة أخرى فى فضل عبادة العلم ، ويكفى ما نوه القرآن الكريم به من فضل العلماء فى مثل قوله تعالى «**شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط**» آل عمران /١٨ ، وقوله تعالى «**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**» الزمر /٩ ، وقوله تعالى « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » غاطر ٢٨ .

أخلاق العلم تستمد من هذه الاعتبارات :

فى اطار هذه الاعتبارات تكونت أخلاقيات العلم فى الاسلام ، وكان لهذه الأخلاقيات من التقدير

---

(١) خلق المسلم ص ٢٢٤ .

(٢) وتروى فقرات من هذا الحديث فى روايات أخرى متعددة وبصيغ متقاربة .

والاحترام ، والتمسك والالتزام ماكان لاصولها من هذه الاعتبارات.

ولسنا نريد أن نسترسل فى بيان هـذه الأخـلاق فى جانب المعلم والمتعلم ، وهناك كتب متعددة من التراث الاسلامى تعتنى بهـذه الناحية عناية فائقة وتعتبر مـن كتب التربية الاسلامية ، ولكننا نريد أن نتحدث عن الاخلاق العامة التى لابـد منهـا حتى تتحقق للعـلم انسانيته .

واذا كانت هذه الأخـلاق التى سنتحدث عنها مستوحاة من هـذه الاعتبارات السـالفة ، وهى ذات صيغة اسلامية خالصة ، فانها تصلح فى حد ذاتها – وبصرف النظر عن هذا الاطار – لكى تكون دستورا للعلم وللعلماء ، ولكى تنقذ العلم المادى الحديث مـن هـذا المأزق الحضارى الذى يبنى فيه بيد ثم يهدم باليد الاخرى أكثر مما بناه ، ذلك أنه يبنى مـن جانب المـادة ما يساعد فى وجهه الآخر على هدم الناحية الانسانية فى الانسان ، مع اعلانه صباح مساء أنه يقـوم باكتشـافاته وابداعاته لخـدمة الانسـان .

وأول هذه القواعد الأخلاقية : الحـرية .

وليست الحرية أن توجد بحيث يمكن لك أن تختـار ، وانما بحيث تمارس فى نفسك وفكرك وعملك هذا الاختيار ، فتكون الحـرية مسألة ذاتية وجدانية أكثر مـن أن تكون مسألة بيئية خارجية ، ووجـود الفضاء حولك لا يعنى أنك تتحرك فيه ، ولكن حـركتك فيه تعنى أنك تستفيد بحركتك من وجود هـذا الفضاء . وحريتك التى تنبع مـن ذاتك فتسيطر علىميادين نشاطك بما فى ذلك ميـدان العلم يجعلك تحترم حـرية الآخرين ، وبـذلك يصبح البحث والعلم حرا لا التزام فيه لشىء الا ما يمليه على العالم وجدانه وفكره وعلمه .

ولقد كان ذلك من أول ما نادى به الاسلام حيث طلب من الناس أن يتحـرروا مـن ربقـة التقاليـد والاعتقادات والفرضـيات التى لا تستند الى عقل أو الى حقيقة أو

الى واقع ، ونعى على المقلدين والكسالى الذين لا يريدون أن يمارسوا حريتهم باستعمال عقولهم وضمائرهم وباستعمال آلات البحث والعلم التى وهبها الله لهم ، وباستعمال المواد التى خلقها الله لهم لينظروا ويبحثوا ويدرسوا .

فيقول سبحانه وتعالى « **واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون**» البقرة /١٧٠ ، ويقول « **واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير** » لقمان /٢١ ، ويقول « **واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون**» المائدة /١٠٤ ، ويقول « **وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون**» الزخرف /٢٣ .

فالعصبية الجاهلية للجنس واللون والمواريث الفكرية والحضارية التى لا تستند الى علم صحيح من المعوقات التى تنحرف بالعلم وتضلل أهله ، والتى ينبغى أن يتحرر العلم والعلماء منها فى كل فروعه ومسائله عامة ، وفى الاصول الاساسية التى تمس صميم حياة الانسان من حيث هو انسان — خاصة .

ولذلك يهيب القرآن بالانسان أن يستعمل حريته هذه بنفسه فيما يتيسر له من شئون العلم ، وينادى به أن ينظر فى كل شىء يمكن أن ينظر فيه لا أن يقف جامدا بليدا مكتفيا بما تيسر له « **أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء**» الأعراف/١٨٥، « قل انظروا ماذا فى السموات **والارض** » يونس /١٠١ ثم يشير الى أشياء محددة بعينها كما فى قوله تعالى « **أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون ، وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ، وجعلنا**

السماء سقفا محفوظا وهم عـــن آياتها معرضون ، وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون » **الانبياء / ٣٠ — ٣٣** وقوله تعالى « **ألم يـروا الى الطير مسخرات فى جـو السماء »** النحل/٧٩ « **أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن »** الملك/٩ وقوله تعالى« **قل سيروا فى الارض فانظـــروا كيف بـــدأ الخلق »** العنكبوت / ٢٠ ، **وقوله « فلينظر الانسان الى طعامه »** عبس / ٢٤ وقوله « **فلينظر الانسان مم خلق »** الطارق / ٥ وقوله « **أفلا ينظرون الى الابـــل كيف خلقــت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصـــبت ، والى الارض كيف سطحت »** الغاشـــية / ١٧ — ٢٠ والآيات فى هذا المجال كثيرة متنوعة والمقصود بهـــذه الامثلة هـــو أن الاسلام يريد أن يحرر الانسان لا من التقاليد حوله فحسب ، بل من نفسه بحيث يستعمل هذه الحرية فى البحث والنظر وتحصـــيل العلم بصورة مطلقة لا قيد عليها مـــن خارج نفسه ولا من داخلها .

القاعدة الثانية : الحق والابتعاد عن الظن :

فاتباع الحق والنظر اليه وحده والعمل من أجل التوصل اليه هـــو الذى يقود البحث العلمى فى طريقه المستقيم ، ويقيه مزالق الانحراف ، ومهاوى الضلال اما النظر الى الحق مرة ، والغفلة عنه أخرى ، أو العمل بغير نظر الى الحق مطلقا ، فان ذلك لابد أن يؤدى الى اضطراب النتائج العلمية ، أو اتخاذها مسلكا لا يتفق مع الفطرة الانسانية ويسوقها فى النهاية الى الوقوع فى حمأة الباطل أو التردى فى متاهة الضلال .

كما أن الاكتفاء بنصف الطريق ـ الاعتـــماد عـــلى الفـــروض والتخمينات والظنون وحدها بغير تحقيقها والوصول الى غاية الحق فيها يؤدى الى النتائج السيئة التى أشرنا اليها .

ولقد بين لنا الاســـلام أن كل شىء فى ملك الله سبحانه وتعـــالى قائم بالحـــق ، وأننا لكى نتعرف الى ملك الله أو الى أى شىء فيـــه لابد لنا أن نعتمد فيه على الحـــق

وحده ، وأن اتباعنا للحق فى أى شىء ندرسه سوف يقودنا الى الحق المبين ، وهو الله سبحانه كما يقول تعالى : « **ويعلمون أن الله هو الحق المبين**» النور ٢٥ ، أما أن كل شىء فى ملك الله . سبحانه وتعالى قائم بالحق فقد أعلنه الله فى مثل قوله « **وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق** » الأنعام / ٧٣ ، وقوله « **ما خلق الله ذلك الا بالحق** » يونس / ٥ ، « **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق** » الحجر /٨٥ . وأنه سبحانه ما أرسل رسله ولا أنزل كتبه ، ولا شرع شرائعه الا بالحق « **انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق** » النساء /١٠٥ « **كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق** » البقرة ٢١٣ .

ولذلك كان الأمر بالتزام الحق فى كل الأمور ، والأمر بعدم اتباع الظن أو الاعراض عن دلائل الحق ، أو التقول بالباطل فيما اتضح فيه وجه الحق (**ليحق الحق ويبطل الباطل**) الأنفال /٨ .

أما التزام الحق واتباعه ففى مثل قوله تعالى : « **فأحكم بين الناس بالحق** » .

وقوله « **والله لا يستحيى من الحق** » الأحزاب /٤ وقوله تعالى « **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر** » العصر /٣

أما عدم اتباع الظن ففى مثل قوله تعالى « **ان الظن لا يغنى من الحق شيئا** » ، وقوله « **أن يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون** » الأنعام /١١٦

وقوله « **أن نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين** » الجاثية ٣٢ وقوله « **وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون** » الجاثية /٢٤ وقوله « **يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن** » الحجرات ١٢ وقوله « **ومالهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا** »النجم / ٢٨ .

وأما عدم الاعراض عن دلائل الحق ففى مثل قوله تعالى « **بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون** » الأنبياء / ٢٤ ، وقوله « **لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون** » الزخرف / ٧٨ ، وقوله « **سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق** » الأعراف / ١٤٦ •

وأما عدم التقول بالباطل ففى مثل قوله تعالى « **ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق** » المائدة / ١١٦ ، وقوله « **ولا تقولوا على الله الا الحق** » النساء / ١٧١ **وقوله « ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله الا الحق** » الأعراف / ١٦٩ وبعد ذلك كله « **فماذا بعد الحق الا الضلال** » يونس / ٣٢ •

القاعدة الثالثة : التجرد من الهوى •

« **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن** » المؤمنون / ٧١ ذلك لأن الهوى يختلف من فرد الى فرد ، ومن أمة الى أمة ، بل يختلف باختلاف المزاج ، وهو قلب لا استقرار له ولا ثبات ، وعندما يتدخل فى المسائل العلمية فانه يوجهها بما يتفق مع اتجاهاته المتقلبة ، فلا يثبت علم ، ولا يستقر حق •

والهوى يعتمد على الحب والكراهية والغضب والرضا ، والحاجة الى الاخرين أو التعالى عليهم ، والرغبة فى أعراض هذه الحياة الدنيا من ثروة أو جاه أو نفوذ أو شهرة أو غير ذلك ، ومن الممكن تسخير العلم لتحصيل شىء من ذلك ، ولاشباع بعض هذه العواطف أو هذه الميول ، لكنها عندئذ تكون قد انحرفت عن القاعدة السابقة وهى ابتغاء الحق وحده بصرف النظر عن الرغبات الخاصة ، الفردية أو القومية ، فاذا اتبع العلم الهوى ، كان افساده أكثر من اصلاحه ، وكان تخريبه وتدميره ، أكبر من بنيانه وتعميره ، ولذلك كان النهى عن اتباعه فى كل الأمور لازما وفى

ميدان العلم على وجه الخصوص أكثر لزوما •

وكثـيرا مـا وضـع العلمـاء الفروض وسخروا الأداة العلميـة لتحقيقها والتوصل اليها لأنها تتفق مع ميـولهم ، وتنسـجم مع أهوائهم ، فلما ذهب سـلطانهم وتغيرت دولـة نفـوذهم وخلفهم على البحث آخرون أظهروا زيف ما حققوه ، وهدموا ما كانوا قـد بنوه ، ووضعوا فرضـا جديدا ، وتحقيقـا جـديدا ، وفى ذلك من تعويق التقدم العلمي ما فيه ، فوق ما فيـه من تضـليل وتـزييف لا يليق (١) •

لذلك كان نهى الاسـلام عن اتباع الهوى فى مثل قوله تعـالى « **فلا تتبعوا الهوى ان تعـدلوا** » النساء / ١٣٥ ، وقوله « **ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل اللـه** » ص / ٢٦ وقوله « **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من اللـه** » القصـص / ٥٠ وقـولـه « **وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم** » الأنعام / ١١٩ ، وقـوله « **افمـن كان على بينة من ربـه كمن زين له سوء عمله واتبعـوا أهواءهم** » محمد / ١٤ •

ومن مثل هذه الايات يتبين لنا أن الاسلام يعتبر أن الهوى آفة العلم ، وأن مـا يأتى عن طـريق الهوى لا يكون علما صحيحـا ولا مقبولا ، وأنه لذلك يجب أن نرفض كل ما يأتى به الهـوى سواء كان هوى شخصيا أو كان هـوى الجماعة المحيطـة ، « **ولا تتبـع أهـواء الـذين لا يعلمـون** » الجـاثية / ١٨ ، « **ولا تتبعـوا اهواء قوم قـد ضـلوا من قبـل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سـواء السبيل** » **المائدة / ٧٧** •

---

(١) كثير من الباحثين الغربيين فى الاسلاميات يفعلون ذلك فيضـعون نصب عينهم فروضا معينة تتفق مع هواهم فى هدم الاسلام ونقض قواعده ويتصيدون من الأسانيد هدما يحاولون تحريفه أو توجيهه بحيث يحقق لهـم النتائج التى سبق لهم افتراضها •

واتباع الهوى فى الدنيا يثير العداوات ويشعل نيران البغضاء لتعارض الأهواء واختلافها فوق ما فيه من تزييف العلم وتضليل العقول .

القاعدة الرابعة : الأمانة وتكامل المنهج .

وليست الأمانة قاصرة على نسبة الافكار والعلوم لأصحابها فحسب ، ولكنها تشمل عمل العالم نفسه فى بحثه وحكمه ، وفى تجربته واستنباطه ذلك لأن الناس تعتمد على العلماء فى ميدان علمهم ، فيأخذون أحكامهم واستنتاجاتهم مأخذ الثقة والتقدير ثم يبنون عليها آراءهم الشخصية أو تصرفاتهم الخاصة والعامة فى شئون فكرهم وثقافتهم وصحتهم وتجارتهم ، وبنائهم ، وحلهم وترحالهم ، وغير ذلك من شئون الحياة ، وذلك يضع على كاهل العلماء مسئولية الأمانة فى أن يتحروا فى بحوثهم وفيما يقدمونه للناس من نتائج هذه البحوث ، الدقة والصحة من جانب ، وما يفيد الناس ويجلب اليهم النفع دون ضرر ما ، أو بأقل ضرر يمكن ، بحيث ترجح الفائدة على المضرة ، وبحيث لا يهدم فى الانسان انسانيته ، ولا يفسد علاقاته أو أخلاقه وبحيث لا يضلله ولايخدعه ولا يلبس الحق بالباطل ، وبحيث لا يطلق حبل الأمانى الكاذبة والأحلام التى تعطل عقله وفكره ، وتزيف عاطفته ووجدانه وتتلاعب بأهوائه وخيالاته ، وتثير فيه أدنى الغرائز وأعتاها .

ولذلك كان المنهج المادى البحت منهجا أعرج ، لأنه يتجاهل الجوانب الأخرى فى الانسان ، ذلك لأن قوانين المادة قابلة للتطبيق فى مجال المادة الجامدة فقط ، أما تطبيقها على الانسان ، فلا يمكن أن يكون تطبيقا كاملا ، لأنه ليس مادة خالصة ، كما أن مادته ليست منفصلة عن بقية مكوناته كانسان حتى يمكن الاقتصار عليها عن التطبيقات المادية .

ومن الأمانة اذن أن يعطى لكل

ذى حق حقه ، فيعطى للمادة حقها من المنهج المناسب لها ، ويعطى للانسان حظه من المنهج المناسب له ، وعندئذ يتكامل المنهج الذى يحقق للانسان انسانيته فى محيط المبدأ أو الغاية السليمة .

ولذلك نجد القرآن ومنهج الاسلام التشريعى والأخلاقى فى اطار العقيدة العليا يشتمل على المنهج المتكامل ويخاطب الانسان بهذا المنهج ويرشده اليه فى كل أموره دنيوية أو أخروية ، فردية أو اجتماعية ، علمية أو فنية ، فلا تكاد تجد آية الا وهى تجمع بين الناحيتين ، حتى فى الجزاء الأخروى الذى يعيبه بعض المغرضين على الاسلام بزعم أنه يتحدث عن الثواب والعقاب الماديين ، مع أنه مما يزين الاسلام وأهله ، أنه لا يهمل جانبا من جوانب فطرته الا ويعطيها حقها بطريقة متكاملة غير منفصلة عن باقى جوانبه .

والاسلام لهذا يحرم الغش والخداع والسحر والكهانة والشعوذة وتلبيس المسائل تضليلا للناس ، وابتغاء الفساد فى الأرض .

والآيات فى ذلك كثيرة نكتفى منها — كما فعلنا من قبل — بأمثلة تدل على المراد .

يقول سبحانه وتعالى « **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** » البقرة / ١٠٢ ، ويقول « **ود الذين كفروا من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسكم من بعد ما تبين لهم الحق** » البقرة / ١٠٩ ، ويقول « **واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد** »البقرة / ٢٠٥ ، ويقول « **ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل** » ويقول « **ولا تعثوا فى الأرض مفسدين** » البقرة / ٦٠ وسورا أخرى متعددة ، ويقول « **والله**

يعلم المفسد من المصلح » البقرة/ ٢٢٠ ، ويقول **« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا »** القصص / ٨٣ ، ويقول **« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله »** الحج / ٨ ويقول **« قل يأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء »** آل عمران / ٩٩ ، ويقول « **الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا »** ابراهيم / ٣ ، ويقول **« ولا يفلح الساحرون »** يونس / ٧٧ ويقول « **انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى »** طه/ ٦٩ ، ويقول **« كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الامثال »** الرعد / ١٧ •

ويمكن أن نستأنس هنا ببعض الأحاديث الشريفة يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبرانى : « ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه الى هدى أو يرده عن ردى ، وما استقام دينه حتى يستقيم عقله » •

ويقول صلى الله عليه وسلم فيما روا الترمذى عن أبى أمامة الباهلى : « ان الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير » •

ويقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن أبى هريرة : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له •

القاعدة الخامسة : الصدق وتجنب الجدل •

وللصدق فى العلم المتطور خطورة لا تدانيها خطورة ، خاصة فى هذه الايام فقد ظهرت فيها علوم خاصة بالاعلام وكيفية التأثير على الرأى العام

ولقـــدأصـــبح هـذا العـلم بفروعه المختلفة قادرا على تحطيم دول واقامة أخرى ، واشـــعال الحروب واخمادها ، وبناء مبادىء وهدمها فاذا سيطرت عليه ووجهته نفوس خربة غير عامرة بالصدق ، فان اضراره التى تحيق بالانسانية تكون بعيدة المدى عميقة الضرر ، ومن هنا لم يكن الصدق مجـرد مطابقة الخبر للواقع بل ينبغى أن يكون فى هذا المجال مطابقة الحكم والعمل لمقتضى الحال ، بأن يكون العالم صادقا بادئى ذى بدء مـع نفســه ، ومع انســـانيته ، ومع مبادئه التى يختارها بمقتضى هذه المبادئى من حرية وحق وتجرد .

فان صدق العالم مع نفســـه ضرورى حتى يكون بحثه وعلمـه فى نفع الانسانية وتقـدمها ، وفى بناء الحضـارة وازدهارها ، واذا كان هناك تعارض أو تنـاقض بين بحثه وبين أعماق نفسه فانه يصبح ممـزق الشـــخصية ، محطم المعنويات ، وعندئذ لا يبالى خلال بحثه بما يتفق مع خير الانسـانية وسلامها ، وأمنهـا ورفاهيتهـا ، لأنه لا يشعر مع نفسه بالسـلام والاطمئنان .

ومثل هذا الشعور يدفعه دائما الى المكابرة والجحود والمجـادلة بالباطل مما يضيع معـه الحـق ، وتنطمس معالم الحقيقة ، ولاتكاد تجد صادقا يميل الى كثـرة المراء والجدال ، كما أنك لا تكـاد تجد كاذبا ينجومن رذيلة المماراةوتلبيس الحق بالباطل ، ولا شك أن ذلك لا يســاعد على تقـــدم العلم وازادهاره فوق أنه يتسـبب فى تضليل الناس وحيرتهم ، وبـذر عوامل الشك والريبة فى نفوسهم ونزع عوامل الطمأنينة والاستقرار من بينهم .

ونؤكد مرة أخـرى عـلى ذلك المارد الجديد من انتـاج العـلم الحديث ، وهو أن وسائل الاعلام التى تطورت فى هـذا العصر الى درجة مذهلة بحيث أصبحت تسيطر على ضمير الفرد ووجدانه لتشكله وتوجهه ، فاذا لم تلتزم بالصدق النابع من نفس صادقة أمينة كان

خطرها داهما وأثرها مخربا .

ولست بحاجة الى أن أشير الى ان الاسلام يعانى من تحيز وسائل الاعلام الغربية التى تسود العالم اليوم حيث لا تتحرى الصدق فى المواد التى تقدمها ، على أننا لا نقصد بذلك أن ندافع عن فكرة معينة ، ولا مبدأ خاص ، لأن الأذى الذى يصيب الانسانية من ذلك اعم من ان يصيب مبدأ هنا أو فكرة هناك انه تخريب للنفوس ، وتشويه للضمائر وتزييف للمشاعر ، وتحطيم للانسان .

وينظر الاسلام الى انكار الحق ومكابرته والمماراة فيه على أنه كذب على الله ، وكذب على النفس ، وكذب على الناس ، ويحذر من ذلك كل التحذير بل يحذر حتى من المماراة بالحق ، فما بالكم اذا كانت المماراة بالباطل .

يقول تعالى : « **انظر كيف كذبوا على أنفسهم** » الأنعام / ٢٤ ، ويقول « **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة** » الزمر / ٦٠

ويقول : « **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا** » الأعراف / ٧ وفى سورة أخرى ، يقول « **أن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون** » النحل / ١١٦ ، أما بالنسبة للجدال والمماراة فيقول جل ذكره « **وأن الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم** » الأنعام / ١٢١ ويقول : «**وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق** » غافر /٥ .

وقد روى الترمذى وابن ماجه من حديث أبى أمامة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، وتماروا به السفهاء ، ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم ، فمن فعل ذلك فهو فى النار .

القاعدة السادسة : البيان والأداء .

وهذا حق الانسانية على العلماء ، فحين تتحقق كل هذه الأخلاقيات لدى العالم يصبح لزاما عليه حقا أوليا لله ، وحقا بعد ذلك للناس أن يبين للناس ما علمه الله ، وأن يؤديه اليهم على وفق هذه القواعد .

ذلك لأن العلم من الله واليـه مبدأ وغاية ، ومادة ووسـيلة ، وكتمانه عن أهله وعمن يستفيدون به خيانة لهذا المبدأ ، واهدار لهذه الغاية وتضييع لهذا الجهد ، وليس بصاحب حق مستقل فيـه ، لأن العلم والمعلوم ليس خاصـا بـه وحـده ، ولهذا« **أخذ الله ميثـاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** » آل عمران / ١٨٧، **وينهى** عـن كتمان الحق وكتمان العـلم فى مثـل قـوله تعـالى

« **ولا تلبسـوا الحـق بالبـاطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمـون** » البقرة / ٤٢ ويوبخ من يفعل ذلك بقوله « **لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمـون** » **آل عمـران** / ٧١ ، **ويظهـر** لهم **عظيم جرمهم** ، وسوءعاقبتهم بمثل قوله : « **أن الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنـا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم اللـه يـوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عـذاب اليم** » البقرة / ١٧٤ .

ولو أن علمـاء العـالم اليـوم التزموا هذه القاعدة وجعلوا العلم ــ نظريا وتطبيقيا ــ حقا مشـاعا بين الأمم ، ولم يجعـلوه احتكارا لطائفة دون أخرى ولشـعب دون شعب ، لما وقع عالم اليم فريسـة الجوع والفقر والمرض ، ولما وقع فريسـة الخوف والهلع والقـلق ، ولسـاد العالم روح من التعـاون والاخاء والتـكامل ، مهما اختلفت الآراء والاتجاهات ، ومهما اختلفت الأديان والألوان ولعم السـلام ربوع المعمورة كما أراد الله وكما **دعا** « **والله يدعو الى دار السلام ويهـدى من يشـاء الى صراط مستقيم** » يونس / ٢٥ .

وبعـد ، فـاذا كانت هـذه الأخلاقيات العلم فى الاسـلام بحكم الاطـار الذى يحيط بها من المبـدأ والغـاية ، فانها يمكن أن تكون دسـتورا للعلماء من مختلف الملل والنحـل بصرف النظـر عن اطارها الاسلامى ، ونحن فى مطلع القرن الخامس عشر الاسـلامى نقدمها لعلماء العالم لتكون هديـة

الاسلام لهم فى مطلع هـذا القرن بين هداياه العديدة التى تسعد الانسانية وتستشرف الى أفق أرحب ، وأوسع ملىء بالآمال فى أن تنعم الانسانية فى ظلال العلم بمعرفة الحق والتزامه ، والتعاون عليه ، ومن أجله حتى يعم الرخاء ويسود السلام .

د / عبد الفتاح عبد الله بركة

« من ادعية داود عليه السلام »

كان داود عليه السلام يقول :

اللهم انى أسألك أربعا ، وأعوذ بك من أربع :

أسألك لسانا صادقا ، وقلبا خاشعا ، ولسانا ذاكرا وامرأة تعيننى على أمر دنياى وآخرتى .

وأعوذ بك من ولد يكون على سيدا ، ومن مال يكون مشبعة لغيرى بعد موتى وحسابه فى قبرى ، ومن زوجة تشيبنى قبل المشيب . ومن جار سوء اذا رأى حسنة كتمها ، وان رأى سيئة أفشاها وأذاعها .

هواتف

يارسول الله

للدكتور / ابراهيم أبو الخشب

ما تفقدت الانسانية فضيلة نادرة الا وجدتها نفحة من أدبك . أو لمحة من خلقك ، أو ومضة من نورك ، أو خطوة من سلوكك ، أو لفتة من هديك ، أو شعاعا من ضيائك ، أو شيئا من توجيهك ، أو درسا من تاريخك ، أو معنى من برك ، أو قبسا أنت أرسلت به فى الليالى الحالكة ، والسبل الملتوية ، والطرق المنبهمة ، والمعالم المشتبهة والساعات الحالكة ، والأوقات الحرجة ، والمحن الضاربة ، والفتن الصارخة ، والظروف البغيضة ، والشدائد المتلاحقة ، والأيام المتجهمة ، والنوائب المتصارعة .

وسيظل حديثك خالدا خلود الأبد ، باقيا بقاء الزمن ، شامخا شموخ الجبال ، مدويا دوى الأذان ، مضيئا كطلعة الصبح ، يتحدى الفناء ، ويدافع الاحداث، ويغالب الخطوب ، ويكافح الطغيان ، ويحارب الظلم ، ويزعزع الشرك ، ويهز الجبابرة ، ويقضى على الفساد ، ويعلن المساواة ، ويؤيد الحق ، وينصر العدل ، وينشر الأمان ، ويشيع الحب ، ويتعقب الفوضى ، ويكبح جماح الاستبداد ، ويشرع الاشتراكية ، ويقصم ظهور المتكبرين فى الأرض بغير الحق . لا لأنك رسول رب السماء الذى أيدك قرآنه ، وآزرك برهانه ، وأعانك عنوانه ، ونصرتك ملائكته، واحتميت ببطشه ، واعتززت بجاهه ، وقاتلت بسيفه ، ونطقت بلسانه ، وجهرت ببيانه ، وصانك

من بغى المبطلين ، وعـــدوان الجبارين ، وحمق المسلطين ، وعبث المفسدين ، وأفن الجاهلين ، وهو الذى لا يتغافل عـن الملحـوظين بعنايته ، ولا بلطفه ، ولا الراغبين فى رضوانه ، الطالبين لغفرانه ، المحفوفين بعنايته ، المغمـــورين برحمته ، المترامين على أبوابه .. ولكنك كنت المثل الأعلى الـذى تنشـده البشرية ، اذا ما تطلعت الى النمو ، وتحولت الى التقدم ، وأملت أن تكون فى الصـف الأول من الانسانية المهذبة ، التى أيقظها الرشد ، ونبهها الدين ، وهذبهـا الوعى ، وأدبها الادراك ، وعلمتها الايام ، وقومتها التجـارب . ووعظتها الحـوادث ، وجالدتهـا الخطوب ..

والحديث فيك — يارسول الله — حبيب الى النفوس ، خفيف على الأسـماع ، قريب الى القلوب ، لذيذ رجعه كأنه الموسيقى الحالمة ، والنغم الهاتف ، والصدى الحاكى والبيان الواضح ، والأدب البالغ ، والفصـاحة المنشـودة ، والأذان بالليل ، والوقوف فى المحـراب ، تصغى اليه الأفئـدة المتـاعة ، والجـوانح الظامئـة ، والأرواح المتطلعـة ، والقلوب المؤمنـة ، والأفئـدة الحرى ، والاكبـاد الملتهبة ، ثـلا ينتهى لـه مدى ، ولا ينقطع له جرس ، ولا تخفت له موسيقى ولا يسكت له دوى ، ولا تمله اذن ، ولا ينصرف عنـه سمع ، أو يبغضه انسان ، ينشده الأديب فيجـد الحكمة البالغـة ، والبلاغة الرائعة ، والألفاظ الحلوة والأدب الجم ، والأسلوب القوى ، والتصـوير الرائـع ، والمنطق الصـحيح ، والبيان العـذب ، والوجدان الصـادق ، والشـعور الفياض ، والنمط الذى لا يصـل اليه أساطين الكلام ، ولا دهاقين الحكمة ، ولا جهابذة الحـديث ، وأساتذة القـول .. ويتصـفحه المصلح الاجتماعى فـلا يعثر فيه الا عـلى تقويم سـليم ، وطريق مستقيم ، ودستور قويم ، ونهج حكيم ، وهدى نافع ، وتهـذيب صحيح ، وتوجيه سديد ، وارشاد واضح ، وسياسة واعية ، وتدبير عظيم ، وتربية من أسـمى ألوان

التربية ، لم يصل اليها الفلاسفة ولا الحكماء ..

وهكذا كل جوانبك سامية ، وكل جهاتك عالية ، وكل أركانك قوية ، عامرة بالايمان ، آهلة باليقين ، مملوءة بالنور ، محفوفة بالبر واليمن ، والخير والمعروف ، والسداد والرشاد ، والحكمة والعلم ، والهداية والاستقامة ، والأدب والتهذيب ، والاصلاح والنفع ، والبناء والعمران ، والسلامة والأمن ، والرضاء والاطمئنان ، والمودة والاخاء ، والحب والاقبال ... وأنا أجد فى حديثى عنك لذة لنفسى ، ومتعة لخاطرى ، وغذاء لروحى ، وضياء لقلبى ، وارواء لظمئى ، وشفاء لغليلى ، وارضاء لضميرى ، وراحة لفؤادى وقوة لبنيانى ، وتماسكا لكيانى ، ودفعا الى الأمام فى طريقى الى الفوز ، ووصولى الى النجاح ، فلا أسلك فى الكتابة عنك سبيل التاريخ ولا طريق الحوادث ، ولا نهج السيرة ، ولا ما تعود الناس أن يرددوه عنك ، أو ينسبوه اليك أو يذكروه لك ، وانما أسجل عواطف قلبى ، وهواتف نفسى ، وخلجات خواطرى ، وحرارة ايمانى ، وشعور عقلى ، وآيات اعجابى ، وليس هذا تخيلا ، ولا حلما أتوهمه ، ولا فلسفة تدور بخلدى لان الخليقة لم تعرف رجلا لفت جيد الزمن ، وشغل ألباب الناس، وحير أفكار الفلاسفة ، وتطلعت الدنيا الى ما فيه من أخلاق نبيلة، وسجايا عظيمة ، وخلال طيبة ، وسلوك حميد ، وأدب جم ، قبل أن تعرف منك ما قدمت لها ، وأغدقت عليها ، وأسديت اليها ، مما كان طبا لأمراضها ، وعلاجا لأوجاعها ، وشفاء لقلوبها ، وتقويما لسلوكها ، وتربية لنفوسها ، وسموا لأرواحها ، واطمئنانا لأفئدتها ، ونورا لبصائرها ..

والدراسة التى تناولتك يارسول الله ، والآداب التى علمتها للناس والسلوك الذى رسمته ، والهدى الذى بينته ، والنور الذى أشعته والأخلاق التى رغبت فيها ، ودعوت اليها ، كانت الدستور الذى كانت البشرية بحاجة اليه

لينير لها السبيل الى حياة أفضل ، وطريق أقوم ، وسنن اكرم ، ومجد أنبل ، وسعادة أعظم ، وامن أشمل واصـــلاح أعمق ، وعدالة أكمل ، وعيش أرغد ، وبخاصة اذا نظرنا الى تلك البلبلة التى كان عليهـــا الناس ، والى تلك الجهـــالة التى كان عليها العرب حينئـــذ ، والى تلـــك الذبذبة التى كان ممســـاها ومصـــبحها فى هـــذه الجـــزيرة ، ولا ســـيما فى مســـائل الاعتقاد والدين ، اذ كانوا فيها بركانا يقذف او بحرا يموج ، ولا هـــدف لهم يصح أن يتجهوا اليه ، ولا غاية يمكن أن يقفوا عندها ، يعبـــدون الكواكب ، ويؤلهون القـــــوة ، ويعظمون الجمـــاد ، ويســـجدون للشـــمس والقمر ، ولا يدينـــون للحـــق ، أو يفتحـــــون قلوبهم للصواب ، أو يصيخون لصـــوت الضمير ، أو ينظرون بأعينهم للنور وانما يشـــــتغلون بالخـــرافة ، ويعبـــدون الباطل ، ويأخـــــذون بالثأر ، ويئدون البنات ، ويشيعون الشـــهوات الدنيئة ، والميـــول الساقطة ، والأهواء النازلة ، وليس لهم من المعارف ما يساعدهم على ان تكون لهم حضارة تجعلهم فى صـــفوف الجماعات المناهضة ، أو الأمم المراقبة ، أو الدول المتوثبة .. وفى الحق أن للدهر أن يطأطىء رأسه اجلالا لما كان من تاريخك ، واعجابا بما كان مـــن خـــلالك ، واكبارا لما كان لك من خلق عظيم. وادب جم ، وسيرة عطرة ، وسلوك قويم ، وسجايا عظمى ، تجاوزت بهـــا حـــدود التقـــدير المألوف ، والاحترام المعروف ، وأنت معجزة الزمن ، وسيد الانبياء والرسل ، ونحن لا نشك فى أن أصـــــحاب الدعاوى ، وأرباب المبـــــادىء ، وحملة المشـــاعل ، وقادة الأمم ، وزعماء الاصلاح ، كانوا فى كـــل زمان ومكان ، لا يصـــــلون الى غاياتهم ، ولا يبلغون أهـــدافهم ، بذرابة لسانهم ، ونصاعة بيانهم ، وقوة حجتهم ، وســـداد رأيهم ، واســـتقامة نهجهم ، وســـــلامة منطقهم . وروعة بلاغتهم ، بمقدار ما كان يساعدهم على ذلك سلطانهم المرهوب ، وبأســـهم المســـــلط ، وقوتهم الضاربة ، وجيشهم المجهز

وعصبيتهم من القرابة والأهل ، أو المال الذى يشترون به النفوس والضمائر ، والقلوب والأفئدة ، ولا يتمكن نفوذهم ، وتدوى كلمتهم ، وترتفع رايتهم ، الا اذا توافر لهم هذا الاستعداد ، أو اتيحت لهم هذه الفرصة ، وأنت لم تنصرك عصبية كانت الى جانبك ولم يساعدك مال كان فى يديك ، ولا نفوذ اتيح لك ، ولا قوة يمكن أن تسخرها للبطش ، وتعلن بها الرعب ، وتحمل بها الناس على أن تلبى دعوتك ، وتستجيب لك ، غير أن سيرتك كانت قرآنا ، ونهجك كان ايمانا ، وسلوكك كان برهانا ، وخلقك كان عنوانا ، وقد استقبلت الانسانية حديثك الطيب استقبالها للأمانى المرجوة ، والأحداث الهامة . والأمور الغريبة ، والمعجزات الكبرى ، وآمنت بسبب ما عرفت منك أن لله سرا يخفى على الفطنة ، ويستعصى على الفهم ، ويتسامى على المنطق ، ويتجاوز حدود المألوف ، ويتأبى أن يخضع للعادة فلا يسع الناس أمامه الا أن يسلموا به ، ويذعنوا له ، ويردوه الى خالق السماوات والأرض ، ومدبر هذا الكون ، ومصرف ذلك الملكوت ، الذى أتقن كل شىء خلقه ..

وفيك يا رسول الله تمكن الفقر وتحكم اليتم ، واستبد الجوع والحرمان ، فما لان عودك ، ولا ذلت نفسك ، ولا هان قدرك ، ولا طأطأت رأسك ، ولا غض طرفك ، ولا ضعفت همتك ، ولا فترت عزيمتك ، ولا طاش صوابك ، والشأن فى هؤلاء ، الأطفال الذين كانوا ينشأون فى ظلال الحرمان والفاقة ، وفقد رعاية الأبوين ، وحنان الأب والام أن تضيق بهم الدنيا ، ويحيط بهم الظلام ، وتدب اليهم عوامل الفساد ، وتلعب بهم الأحداث ، وتهز كيانهم الأعاصير ، ويموت فيهم النزوع الى المجد ، والرغبة فى الكمال ، والتطلع الى الأهداف البعيدة ، والأغراض النبيلة ، والغايات السامية .. ولم يقل قائل — حتى من خصومك — ان همتك كانت واهنة ، وان عزيمتك كانت فاترة ، وان نهوضك كان كسيحا ،

وأن نزوعك كان محدودا ، وان طموحك كان ميتا ، وان قناتك لانت لغامز ، وان عودك انحنى لسخط ، وان جهادك وقف فى منتصف الطريق ٠

وفى سلوكك منذ كنت ناعم الأظفار ، غض الاهاب صغير السن ، من سمت طيب ، وخلق قويم ، وعقل بصير ، وفكر ناضج ورجولة مبكرة ، وعظمة لا تصنع فيها ولا احتيال ، ما يدل على أن مستقبلا باسما كان معك على ميعاد ، ومجدا تالدا كان مترقبا لك ٠ وجاها عظيما كان ينتظرك ، وأن الارهاص الذى يسبق المعجزة يسارع اليك ليؤذن بالنهاية الكريمة والمصير العزيز ، والخاتمة الحلوة والتاريخ الذى يتطامن له الدهر ، فلما بلغت مبلغ الرجال وكنت تقرى الضيف ، وتحمل الكل ، وتؤازر الحق ، وتنطق بالصدق ، وتعين على البر ، وتنصر المظلوم ، وتخفف ويلات المكروبين ، وتمتلىء نفسك الكبيرة بالمعانى النبيلة ، والعواطف السامية ، والأمانى الطيبة ، والنوايا الكريمة ، والغرائز المهذبة ، والخلال العظيمة ، والسجايا المحببة ، هالهم أمرك ، وعناهم شأنك ، وظنوا أن الأيام سوف تتمخض منك لا محالة عن قيصر الروم ٠ أو كسرى الفرس ، أو فرعون مصر ، أو حاكم مستبد قاهر ممن كانوا يسمعون عنهم من الاساطير والاخبار ٠٠ وحين جهرت بدينك الصحيح ، ويقينك السليم ، وايمانك القوى ، وكشفت بذلك كله عن الحق الصراح ، والسلوك السوى ، والعدل المحض ، والنهج القويم ، تضاءل فى أنظارهم كبرياء الظالمين ، وغطرسة الجاهلين ، وتهاوت تيجان الملوك والسلاطين ، وآمنوا أن هذه الدنيا التى يعيش فيها هؤلاء لا تزن الى جانب ما حباك الله به جناح بعوضة ، ولكنها غبار يتطاير ، أو سراب يخدع ، أو وهم لا ينطلى الا على الأغرار ٠٠ والعجيب الغريب أن تكون يا رسول الله مع هذه المكانة التى رفعك الله اليها من العظمة والمجد ، والسؤدد والشرف ، والجاه والسلطان ، أو السيادة

والنفوذ • متواضعا غاية التواضع ، حليما الى أبعد غايات الحلم • جامعا للمكارم كلها • تبذل وتعطى، وتصفح وتعفو ، وتنقذ المتورط • وتفك العانى • وتنسى اساءة المسىء ، وتؤثر غيرك على نفسك ، وتقابل الشر بالخير ، واللؤم بالكرم ، وكم أعلنت أنك بشر تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق ، لتعطى للبشرية الأمثال منك ، والقدوة بك ، والاتباع لك • وحاشا لخلقك ألا يكون الا كذلك ، وما عاب أحد لك صنيعا ، أو انتقد سلوكا ، أو أنكر أدبا ، ولم تكن جبارا فى الأرض ، ولا قاسيا على الناس « **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » بل كانت دعايتك بالحسنى ، وهدايتك بالرفق ، واصلاحك بالحزم ، وارشادك بالحجة ، وتوجيهك بالمنطق ، ونصحك باللين ، وسياستك بالحلم ، ومعاملتك بالادب ، وحكومتك بالقسطاس ، وغضبك لله ، وغيرتك للحق ، وانحيازك للفضيلة ، وحياتك للخير ، وهدفك أن تعلو كلمة السماء فى كل أنحاء الدنيا ••

وهكذا تكون العظمة التى لم يفرضها أصحابها بسلطان الباطل ، أو بسيف الظلم ، وسطوة الملك ، وحكم القانون ، وصلى الله عليك كلما جرى ذكرك على لسان ، أو خطر طيفك ببال انسان ، أو ترسم أحد خطاك ، أو التمس مسلم هدايتك ، أو سار على نهجك ، فانك بحق أفضل خلق الله ، وسيد الأنبياء والرسل •

د• ابراهيم على أبو الخشب

المجتمع البشرى
وكيف تهيأ لميلاد خاتم الأنبياء

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

لما كانت العقيدة حاجة روحية لصلاح البشر لذلك كان من المستحيل ان يمحى التدين من الارض لأنه شوق غريزى الى الازلى الابدى وهو الطلب الحثيث للكلى النهائى سبحانه وتعالى .

والتدين لا يختص به فريق من الناس دون باقى البشر — يقول المرحوم محمد فريد وجدى فى دائرة معارفه : يستحيل ان تتلاشى فكرة التدين لانها ارقى ميول النفس واكرم عواطفها .

واذا كان دين بنى اسرائيل هو أول الأديان الكتابية يقوم على توحيد الاله وتنزيهه فانه اختص بشعب معين دون سائر شعوب الأرض هو شعب بنى اسرائيل العبرانى أو شعب اليهود كما غلب على تسميتهم فهو اذا ليس الدين الذى يهتدى به الناس كافة ويجدون فيه شبع حاجتهم الفطرية الى العقيدة لأن بنى اسرائيل التمسوا فى الاله الواحد أن يختص بهم وحدهم لا يعبده أحد سواهم وأن يغلبهم على من عداهم من الخلق وأن يمكن لهم فى أرض الناس ورقابهم وكانت آفاقهم آفاق الدنيا فعبدوا فى الاله الواحد مصدر المعاش وسند الملك وجبروت الانتقام ومناط المعاملات بين الأفراد وانتظروا منه أن يكون لهم عونا على جبروتهم وذهبوا الى حد الاعتقاد بأن الحق والعدل مما شرع الله غير مطلوبين من العبرانى الا نحو عبرانى مثله — أما مع غير العبرانى فلا حق له عندهم

ولا شرع ولا عهد طبقا لما حرره كهنتهم فى توراتهم بعد فقد توراة موسى عليه السلام .

أما ما كان من باقى العقائد القديمة فقد كان أهل فارس يعبدون النار وشعب الرومان يعتنق النصرانية بعد أن عبثوا بمعالمها وأصولها والناس من وراء هؤلاء وأولئك صابئون منحرفون - أو عباد حيوانات أو كواكب أو أحجار أو أشجار أو بدائيون همجيون لا دين لهم ولا عقيدة مستقيمة تعمر قلوبهم .

والقانون الذى يتعاملون به هو قانون القوة والجبروت أما قانون العدالة فليسوا اليه بمهتدين أما الانحلال الاجتماعى فقد بلغ غايته وذابت الفضيلة وانهارت الأخلاق .

هكذا كانت البشرية قبل ميلاد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه فى حاجة ماسة الى دين عالمى يكون دعوة الى جميع شعوب الأرض قاطبة أبيضها وأسودها وأحمرها وأصفرها عربيها وعجميها . العقيدة فيه ترتبط الدنيا بالآخرة والانسان بالله والناس فى هذا الدين الجديد أمة واحدة مهما اختلفت فى أجناسها وألوانها وأوطانها - يؤكد وجود الله وأنه خالق الخلق والسموات والأرض وأنه الكامل المتفرد بالكمال بيده الأمر وهو على كل شىء قدير حتى تنتهى دعاوى المادة وشبهة تفردها بالوجود ابتداء - ويؤكد وحدانية الله توكيدا يقضى على مزاعم التعدد فى تصور الاله الواحد ويلزم أن يؤكد التنزيه لله حتى لا ينزل الناس الى التجسيم الذى طالما وقعوا فيه بعد كل دعوة للتوحيد بسبب غلبة الحس عليهم .

ومما لا جدال فيه أن الناس ليسوا كلهم ولا معظمهم على مستوى من الفكر يجعلهم يعرفون الله تعالى وان عرفه بعضهم بعقله فان معرفته لم تبلغ المستوى الرفيع الذى يليق به سبحانه وتعالى .

ثم ان الناس ليس لهم سبيل الى معرفة الحياة الآخرة وما فيها

من حساب وجزاء ونعيم وشقاء مما تدعو الحاجة لبعث رسالة من السماء تهدى البشرية الى سبيل الرشاد هديا الهيا بجمعها على كلمة التوحيد للاله الواحد ويرسم لها معالم العبادة ويخطط لها مناهج السلوك ويخوفها شديد العقاب فى يوم الحساب ان هى انحرفت عنه وتنكبت سبيله .

هكذا كان الناس قبل ظهور خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه بحاجة الى رسول يناط به ابلاغ هذه الرسالة السماوية العامة الهادية الشاملة الى بنى البشر لتكسب ماء الحياة على الأرض اليابسة حتى تخضر وتنبت فيها العمل الصالح ويصعد منها الكلم الطيب فتنتشر أزاهيره بعبيره الحلو فيريح النفوس والقلوب ويهفو بالارواح والأفئدة الى بغيتها فى القرب من عالم الحضرة الربانية القدسية .

المجتمع البشرى لم يفاجا بظهور خاتم الأنبياء :

والمجتمع الانسانى فى شبه جزيرة العرب وما حوله من مجتمعات لم تكن غافلة عن مستقبل يوم ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم فان المتتبع لقصص السيرة النبوية وكتب السنة النبوية المطهرة يتبين أن الله جلت قدرته قد هيأ مبشرات كثيرة توعى تلك المجتمعات بحقيقة يوم النبوة الأخيرة وملأ الجو الانسانى بأنبائه المستقبلة .

فكانت هناك ارهاصات وعلامات بدت فى جميع مستويات الأمة وعلى مراحل من الزمن حتى اشراقة مولده السعيد ـ وكانت البيئة فى مكة المكرمة وفى المدينة المنورة وفى بلاد الشام وفى بلاد الروم والحبشة والعراق فى انتظار قدوم نبى آخر الزمان حامل رسالة السماء الخاتمة وقلادة عقدها الأخير يدعو اليها جميع الأمم بعد أن كانت الرسالات من قبله رسالات قومية وهكذا شاء الله أن يهىء المجتمع الانسانى بأخبار هذا النبى وصفاته واسمه وبلده

حتى لا يكون فجأة فى ظهوره بل تكون النفوس والأفئدة مهيأة لاستقباله والقصص فى كتب السيرة النبوية عن ذلك كثيرة نجتزىء منها بالآتى على سبيل المثال :

أولا : فيما بين أهل الكتاب فى جزيرة العرب :

يروى الامام محمد بن القيم فى كتابه هداية الحيازى فى أجوبة اليهود والنصارى :

١ — عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبى صلى الله عليه وسلم عندهم قبل أن يبعث وأن دار هجرته بالمدينة فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أحبار يهود ولد أحمد الليلة هذا الكوكب قد طلع فلما تنبأ قالوا تنبأ أحمد قد طلع الكوكب كانوا يعرفون ذلك ويقرون به ويصفونه فما منعهم الا الحسد والبغى .

٢ — وفى دلائل النبوة لأبى نعيم : كانت يهود بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ويعلمون الولدان بصفته واسمه ومهاجره الى المدينة فلما ظهر حسدوا وبغوا وأنكروا .

٣ — وعن أبى سعيد الخدرى قال سمعت مالك بن سنان يقول جئت بنى عبد الأشهل يوما لاتحدث فيهم ونحن يومئذ فى هدنة من الحرب فسمعت يوشع اليهودى يقول أظل خروج نبى يقال له أحمد يخرج من الحرم فقال له خليفة بن ثعلبة كالمستهزى به : ما صفته ؟ فقال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل فى عينيه حمرة يلبس الشملة ويركب الحمار — وهذا البلد مهاجره قال فرجعت الى قومى بنى خدرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع فأسمع رجلا يقول ما يقول هذا وحده ما يقوله كل يهود يثرب يقول هذا . قال أبى فخرجت حتى جئت بنى قريظة فتذاكروا النبى صلى الله عليه وسلم .

فقال الزبير بن باطا قد طلع الكوكب الأحمر الذى لم يطلع الا

بخروج نبى وظهوره ولم يبق أحد الا أحمد ــ هذه مهاجره قال أبو سعيد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخبره أبى هذا الخبر فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود لأسلمت يهود كلها انما هم لهم تبع .

٤ ــ وعن محمد بن مسلمة قال

لم يكن فى بنى عبد الأشهل الا يهودى واحد يقال له يوشع فسمعته يقول وانى لغلام قد أظلكم خروج نبى يبعث من نحو هذا البيت (ثم أشار بيده الى بيت الله الحرام) فمن أدركه فليصدقه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وهو بين أظهرنا ولم يسلم حسدا وبغيا .

٥ ــ حدث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشه رضى الله عنها قالت : سكن يهودى بمكة يبيع بها تجارات فلما كان ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مجلس من مجالس قريش هل كان فيكم من مولود هذه الليلة قالوا لا نعلمه قال انظروا يا معشر قريش وأحصوا ما أقول لكم ــ ولد هذه الليلة نبى هذه الأمة وهو أحمد وبه شامة بين كتفيه فيها شعرات فتصدع القوم من مجالسهم وهم يعجبون من حديثه فلما صاروا فى منازلهم ذكروه لأهاليهم فقيل لبعضهم ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسماه محمدا فأتوا اليهودى فى منزله فقالوا علمت أنه ولد فينا غلام فقال ابعد خبرى أم قبله فقالوا قبله واسمه محمد قال فاذهبوا بنا اليه فخرجوا حتى أوفوا أمه فأخرجته اليهم فرأى الشامة فى ظهره فغشى على اليهودى ثم أفاق فقالوا مالك ويلك فقال ذهبت النبوة من بنى اسرائيل وخرج الكتاب من أيديهم فازت العرب بالنبوة ــ أفرحتم يا معشر قريش ــ أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق الى المغرب .

ثانيا : عند الرهبان فى أرض العراق

عن سعيد بن زيد بن عمرو أن

زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا الى راهب بالموصل فقال لزيد من أين أقبلت قال من بيت ابراهيم قال وما تلتمس قال ألتمس الدين قال ارجع فانه يوشك أن يظهر الدين الذى تطلب فى أرضك فرجع وهو يقول (لبيك حقا حقا تعبدا ورقا) قال وجاء ابنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أبى كان كما رأيت وكما بلغك فاستغفر له قال نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده .

ثالثا : صفات النبى صلى الله عليه وسلم واسمه ـ يتناقلها الملوك فى بلاد الروم والحبشة

روى الواقدى أن هرقل قيصر الروم كان يبعث الى النجاشى شمامسه وكان النجاشى أعلم الناس بكتب الله فى عصره فاذا تعلموا ما يريدونه رجعوا الى هرقل وبعث غيرهم للقراءة على النجاشى وأن قيصر قال يوما لعلماء دينه أههنا أحد ممن قرأ على النجاشى قالوا نعم عشرة من الشمامسة فاحضرهم ثم سألهم عن أعلمهم فأشاروا الى أحدهم فخلا به وقال له ألا تخبرنى عن النجاشى قال بلى أيها الملك أنا آخر من قفل عنده بعد مقام أربعة أعوام وقد عرفت أمره كله فعن أى شىء يسألنى الملك من أمره ؟ قال قيصر هل يذكر هذا العربى الذى يذكر أنه نبى ؟ قال نعم انه وضع الانجيل أمامه وليس عنده غيرى فقرأ (أحمد النبى العربى يركب البعير ويجتزىء بالكسرة ـ يخرج من مكه الى يثرب وهو خير الأنبياء يقوم بين عيسى والساعة فمن أدركه واتبعه فقد رشد ومن خالفه هلك) ورأيته يعلم هذا ابنا له .

وحضرت أصحاب محمد يتكلمون عنده فخاطبه ابن عم محمد (صلى الله عليه وسلم) خطابا أبكاه حتى بل لحيته بدموعه وقال (أشهد أنه النبى العربى وهو خير الأنبياء) .

قال قيصر صدق النجاشى ولولا أنى أضن بملكى ولا يتابعنى

الروم أن خالفت دينهم لأظهرت تصديقه واتبعته وسيظهر دينه على منتهى الخف والحافر .

رابعا : ما يذكره ثعلبة بن هلال من صفات النبى صلى الله عليه وسلم وهو من أخبار اليهود :

روى الواقدى عن ثعلبة بن أبى مالك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل أبا مالك ثعلبة بن هلال وكان من أحبار اليهود فقال أخبرنى بصفات النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال (ان صفته فى توراة بنى هارون التى لم تغير ولم تبدل أحمد من ولد اسماعيل ابن ابراهيم وهو آخر الأنبياء وهو النبى العربى الذى يأتى بدين ابراهيم الحنيف يأتزر على وسطه ويغسل أطرافه ــ فى عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة ليس بالقصير ولا بالطويل يلبس الشملة ويجتزىء بالبلغة ويركب الحمار ويمشى فى الأسواق ــ سيفه على عاتقه لا يبالى من لقى من الناس ــ معه صلاة لو كانت فى قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ولو كانت فى عاد ما أهلكوا بالريح ــ ولو كانت فى ثمود ما أهلكوا بالصيحة ــ يولد بمكة ومنشؤه وبدء نبوته ــ ودار هجرته يثرب بين لابتى حرة ونخل وسبخه ــ وهو أمى لا يكتب ولا يقرأ المكتوب ــ وهو الحماد يحمد الله على شدة ورخاء ــ سلطانه بالشام وصاحبه من الملائكة جبريل يلقى من قومه أذى شديدا ثم يدال عليهم (بمعنى تكون له الدولة) فيحصدهم حصدا تكون الواقعة بيثرب منها عليه ومنه عليها ثم له العاقبة ــ معه قوم هم أسرع الى الموت من الماء من رأس الجبل الى أسفله ــ صدورهم أناجيلهم وقرباتهم دماؤهم ، ليوث النهار رهبان الليل ــ يرهب عدوه منه مسيرة شهر يباشر القتال بنفسه ثم يخرج ويحكم لا شرط معه ولا حرس الله يحرسه) .

خامسا : صفات النبوة المنتظرة تذكرها الأوساط الثقافية فى المجتمع العربى :

لم تكن أوساط أهل الكتاب من

اليهود والنصارى فقط هي التي على علم بصفات النبوة المنتظرة بل كانت البيئات الثقافية في محيط المجتمع العربى تترقب بعث النبى الخاتم لما شاع في الناس خبره وصفاته .

ففيما يرويه صاحب الأغانى عن مصعب بن عثمان أنه قال عن أمية ابن أبى الصلت وكان من قبيلة ثقيف قال كان أمية بن أبى الصلت قد نظر في الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبدا وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل وحرم الخمر وشك في الأوثان وكان محققا التمس الدين وطمع في النبوة لأنه قرأ في الكتب أن نبيا يبعث من العرب فكان يرجو أن يكونه — ويكشف العلامة على بن برهان الدين الحلبى الشافعى أمر أمية ابن أبى الصلت في حديث له مع أبى سفيان بن حرب في قوله (أنى لأجد في الكتب صفة نبى يبعث في بلادنا فكنت أظن انى هو وكنت أتحدث بذلك ثم ظهر لى أنه من بنى عبد مناف فنظرت فلم أجد فيهم من هو متصف بأخلاقه الا عتبة بن أبى ربيعه الا أنه قد جاوز الأربعين ولم يوح اليه فعرفت أنه غيره — ولما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كفر أمية ولم يؤمن مع أنه قال لأبى سفيان عندما أخبره به أما أنه حق فأتبعه فقال له فأنت ما يمنعك ؟ فرد عليه الحياء من نساء ثقيف لأنه كان يخبرهم أنه هو فكيف يصير تبعا لفتى من بنى عبد مناف .

سادسا : أوساط الكهان كانت على علم أيضا بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم :

يقول صاحب السيرة الحلبية : ان عمر بن معد يكرب رضى الله عنه قال والله لقد علمت أن محمدا رسول الله قبل أن يبعث فقيل وكيف كان ذلك قال فزعنا الى كاهن لنا في أمر نزل بنا فقال الكاهن (أقسم بالسماء ذات الأبراج ذات الأدراج والريح ذات العجاج أن هذا الاآج ولقاح ذى نتاج قالوا وما نتاجه ؟ قال نتاجه ظهور نبى صادق بكتاب ناطق وحسام فالق قالوا وأين يظهر والى ماذا يدعو قال يظهر بصلاح ويدعو الى فلاح

ويعطل القداح وينهى عن الــراح والسفاح وعن كل أمر قباح قالوا من هو ؟ قال من ولد الشيخ الأكرم حافر زمزم ـــ وعزه سرمد وخصمه مكمد) يقصــد أنه مــن ذريــة عبد المطلب بن هاشم لأنه أعــاد حفر بئر زمزم بعد ردمها •

وقد ذكر ابن سعد فى طبقاته من تسمى فى الجاهلية بمحمد رجاء أن تدركه النبوة لما كان من خبرها فقال أخبرنا على بن محمد بن عبد الله ابن أبى سيف عن سلمة بن عثمان عن على بن زيد عن ســعيد بن المسيب قال كانت العرب تســمع من أهل الكتاب ومن الكهــان أن نبيا يبعث من العــرب اســمه (محمد) فسمى من بلغه ذلك من العرب ولده (محمدا) طمعــا فى النبــوة •

سابعا : حتى الأوساط العامة فى بلاد العرب كان لديها الكثــير من المعلومات عن النبوة الخاتمة •

فالبشارات والارهاصات عن نبى آخر الزمان كانت قد عمت أرجــاء بلاد العرب يسمعونها فى الأسواق وفى صوامع الرهبان فتمنى بعض الناس أن تكون النبوة فى أولادهم فسموا أبناءهم باسم محمد فقــد ورد فى كتب السيرة النبــوية عن خليفة بن عبدة المنقرى قال : سألت محمد بن عدى كيف ســماك أبوك محمدا ؟ قال أما انى ســألت أبى عما سألتنى عنه فقال خرجت رابع أربعة من بنى تميم أنا أحــدهم وشعبان بن مجاشــــع ويزيد بن عمرو بن ربيعة وأسامة بن مالك ابن جندب نريد ابن جفنة الغسانى فلما قدمنا الشام نزلنا على غدير فيه شجيرات وقربه دير وفيــه ديرانى فأشرف علينا وقال ان هذه اللغة ما هى لأهل هذا البلد ؟ قلنا نعم نحن قوم من مضر قــال من أى المضريين ؟ قلنا من خندف قال أما أنه سيبعث فيكم وشــيكا نبى فسارعوا اليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا • فانه خاتم النبيين واسمه محمد ـــ فلما انصرفنا من عند ابن جفنة وصرنا الى أهلنــا ولد لكل رجل منا غلام فســماه محمدا ـــ وهؤلاء المتسمين باسم محمد وان

كانوا قد عاصروروا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لكن أحدا منهم لم يزعم النبوة لنفسه أو يدعيها له أحد من الناس فالله أعلم حيث يجعل رسالته (السيرة لابن كثير) •

روى الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال (ان الله عز وجل اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب — ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار بنى هاشم فاختارنى فلم أزل خيارا من خيار) •

الارهاصات والعلامات السابقة عن اسم وصفات النبى صلى الله عليه وسلم قبل ميلاده فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية : —

ان المتتبع للذكر الحكيم يجد أنه أشار فى كثير من آياته الى تلك النبوة الأخيرة وأعلم بها الأمم الكتابية السابقة على أمة الاسلام مما يدل على أن تلك الارهاصات التى كانت سائدة فى المجتمع العربى وما حوله من مجتمعات لها نصيب من الحقيقة والواقع وأنها أثر من آثار علم تلك الأمم بها من أنبيائهم ورسلهم السابقين يحفظها الأمناء من أهل الكتاب ويعرفونها كما يعرفون أنفسهم وأبناءهم فيورثها السابقون منهم للاحقين فى الصدور وتسجيلا فى الصحف والسطور •

١ — يقول جلت كلماته **(الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم)** سورة الأعراف ١٥٧ فهو صلى الله عليه وسلم مكتوب باسمه ونعوته عند أهل الكتاب فى التوراة وهو كتاب اليهود المقدس وفى الانجيل وهو كتاب النصارى المقدس — ومن هذه العلامات أن هذا النبى الأمى يأمرهم عن الله تعالى ويكلفهم بفعل كل ما عرفته الفطر السليمة

واستحسننه الطبائع المستقيمة فان فيه خير الدنيا وسعادة الآخرة وينهاهم عن فعل كل ما أنكرته الفطر السليمة فيحرم عليهم كل ما هو خبيث وضار مما كانوا يتناولونه كالدم والميتة ولحم الخنزير أو يفعلونه كالربا والرشوة ويخفف عنهم ما ثقل عليهم من التكاليف الشاقة كقطع الأعضاء الخاطئة ، واحراقه الغنائم ، مما كان فى شرائع أهل الكتاب ويخفف كذلك الشروط المحرمة والمواثيق الشديدة التى كانت مفروضة عليهم بسبب طغيانهم وغلوهم فى الفساد والضلال .

٢ — كما يشير الى ذلك قوله تعالى **(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)** . سورة البقرة ١٤٦ فأهل الكتاب وقتئذ وهم اليهود والنصارى يعرفون أن محمدا رسول الله معرفة حقيقية كمعرفة الآباء لأبنائهم فالبشارة به كانت موجودة بوضوح فى التوراة والانجيل وعلماء اليهود والنصارى كانوا يعرفونها حقا لكن ينكرونها لمرض فى قلوبهم وعلة فى نفوسهم الا من عصمه الله منهم فأقر بالحق وآمن بالله ورسوله .

روى الامام البخارى عن هلال ابن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن **(يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر — ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا)** .

ويروى الطبرى فى كتابه جامع البيان فى تفسير القرآن عن عطاء ابن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرنى عن صفة

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال أجل والله انه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن وذكر من صفته ما هو وضح عنه سابقا .

ويقول عن قوله تعالى (**الذى يجدونه مكتوبا عندهم**) يقول يجدون نعته وأمره ونبوته مكتوبا عندهم .

ويروى ابن سعد فى طبقاته عن سهل مولى عيثمه أنه كان نصرانيا من أهل مريس وكان يقرأ الانجيل فذكر أن صفة النبى صلى الله عليه وسلم فى الانجيل (وهو من ذرية اسماعيل اسمه أحمد) .

٣ ـ والى هذا المعنى يقول الله سبحانه وتعالى حكاية عن المسيح عليه السلام (**واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد**) سورة الصف ٦ .

فهنا أشار المسيح عليه السلام الى اسم النبى صلى الله عليه وسلم صراحة وهو أحمد وهو من جملة أسمائه ففى الحديث الشريف يقول صلى الله عليه وسلم (لى خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى تحشر الناس على قدمه وأنا العاقب) أى الذى ليس بعده أحد رواه البخارى فى صحيحه وكذلك الامام مسلم فى صحيحه .

النتيجة التى يمكن استخلاصها من النصوص القرآنية السابقة وما ورد فى السنة النبوية

ومن النصوص السابقة يتبين أن النبى صلى الله عليه وسلم اختاره الله لرسالته منذ الأزل فلقد شاءت ارادة الله منذ القدم وهو يختار ما يشاء أن تحدد اصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا خاتما لرسالات السماء الى بنى البشر .

ومما يؤكد هذا النظر قوله تعالى (**واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم**

لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) سورة آل عمران ٨١ •

وفى تفسير الآية الكريمة السابقة يقول الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه والامام ابن عباس رضى الله عنهما (ما بعث الله نبيا من الأنبياء الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه — وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه) •

كما يؤيده ما رواه الامام أحمد مرفوعا عن العرباض بن سارية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انى عبد الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امى التى رأت وكذلك امهات النبيين يرين) • ورؤيا أم النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقى فى تثبيت دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة — وكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الأمة فاذا وقع على الأرض فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد — وقال فان آية ذلك أن يخرج منه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام فاذا وقع فسميه محمدا فان اسمه فى التوراة والانجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض ،،

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

وقفة مع التصوف فى رحاب الذكرى

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلى القرنى

مع هذه النسمات العطرة التى يبعثها شهر ربيع الأول والتى تهب فتملأ الأرواح بهجة ونورا ، وتذكرها بمولد أعظم مولود فى هذا الوجود . مع هذه النسمات تجدنى مشدودا الى رحاب هذا النبى الكريم ، أتطلع اليه فى أمل ، وأدعو الله عسى أن يمن على المسلمين اليوم بنفحة من نفحاته المباركة ، فيعود اليهم أمنهم وأمانهم ، وترتد اليهم عزتهم وقوتهم ، وترجع اليهم وحدتهم التى صنعها النبى صلى الله عليه وسلم على عينه بهدى من الله ووحى منه وتوفيق .

ان هذه الذكرى تعود الينا كل عام وتمر علينا فنتنسم نسماتها ونستروح عبيرها ، ولكن يبدو أننا حين نفعل ذلك نكتفى بمجرد الأنس الروحى دون أن يصاحب ذلك ثورة فى داخل النفوس تغيرها وتبدلها وتعيدها نشئا آخر فيه عزة النبوة وعظمة الرسالة ويقين الصديقية ، وبذلك يصبح استقبالنا لهذه الذكرى استقبالا مظهريا لا فائدة فيه ولا غناء .

ان جلال هذه الذكرى يجب أن تخرج عن حدود هذه المظهرية المألوفة الى جوهر يعيد للانسان المسلم شعوره الحقيقى بوجوده ويضعه أمام رسالته التى خلق من أجلها ، والتى جاءه رسوله الكريم ليهديه اليها ويعلمه اياها ، وقد أثمرت هذه الهداية مع عصبة التفوا حول النبى صلى الله عليه وسلم فباعوا أنفسهم لله واشتروا

الآخرة بالدنيا فربحت تجارتهم وبارك الله بيعتهم وسجل ذلك فى أروع كلام يتلى ابد الدهر ويتعبد بتلاوته « **أن الله اشترى من من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** » « **لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة** » « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوهم من أثر السجود . ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأة فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** » .

ان المسلم بايمانه بالله ايمانا عميقا يصبح قوة رهيبة تستطيع أن تتحدى الصعاب وتقتحم العقبات ، لأنه أصبح ربانيا الهيا يدخل فى نطاق الأثر القدسى الكريم « **عبدى اطعنى أجعلك ربانيا تقول للشىء كن فيكون** »

وهذا ما يدعو اليه القرآن الكريم فى سورة آل عمران « **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** » والربانى هو الذى يمده الله بعونه ويؤيده بتوفيقه مصداقا لما جاء فى الأثر « **ومازال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه** » .

ولهذا المعنى الذى يتحقق فى المؤمن بايمانه صححت الآيات الكريمة ادعاء الأعراب الايمان وعلمتهم كيف يقولون « **قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الايمان فى قلوبكم** » .

فالايمان له شروطه ، وهو اذ تتحقق شروطه يصبح المؤمن قوة

رهيبة تملأ الوجود ، وتبعث من حوله اشعاعات تبدد غياهب الكون وتملؤه نورا وحكمة ، وينطلق المؤمن بهذه القوة انطلاق السهم من الرمية يبنى ويعمر ويصلح وينفذ من أعمق المشكلات وأعقد الأمور ويتحدى عوادى الزمن مادام يسعى فى سبيل الحق ويجاهد اعلاء لكلمة الله ودحرا لقوة الشيطان .

فلنتذكر — وأرجو أن تنفع الذكرى — رجالا حول الرسول نشروا الحق وجاهدوا الباطل وانتشروا فى ربوع الأرض يرمقون لواء الاسلام عاليا خفاقا ، ذلك أن كلا منهم كان أمة وحده ومدرسة كاملة تتعلم منها الأجيال ويتخرج فيها الأبطال . فهذا الصديق رضوان الله عليه يقول وقد انتفضت الجزيرة العربية كلها عليه وارتدت عن الاسلام يقول فى قوة اليقين ومرارة الايمان : والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه .

وذلك الفاروق عمر رضى الله عنه الذى اشتهر عنه أنه لا يقبل الدنية فى الدين ، ويعلن كلمة الحق واضحة يتحدى بها ضلال المشركين ويضرب أروع الأمثلة فى تواضع المؤمنين الذين يزيدهم الله به رفعة وعزا . انظروا اليه كيف نور الله بالايمان قلبه وفتح بصيرته فنزل القرآن مصدقا لكلماته ، ووقف على المنبر فى المدينة يوما فكشف الله أمامه الحجب فرأى جيش المسلمين بقيادة سارية بن حصن فى الشام يكاد يطوقه الروم فهتف من أعماقه : ياسارية الجبل ، ومن العجيب أن سارية يسمعه فيتنبه لعدوه ، فيفتح الله عليه وينتصر .

وذلك أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه الذى جعل الايمان منه رجلا آخر تهون عليه المادة فى سبيل الروح والدنيا فى سبيل الدين فيضحى بأمواله اعلاء لكلمة الله وينزل فيه قوله تعالى **« أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه »** .

وذلك الامام على كرم الله وجهه أول فدائى فى الاسلام صنع منه الايمان قدوة طيبة فى الجهاد والبطولة والاستبسال ، تستعصى خيبر فى فتحها أمام حصار المسلمين فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : سأسلم الراية غدا لرجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، ويستدعى عليا الراية فيفتح الله عليه فيسلمه هذه أمثلة من مئات غيرهم زكاهم القرآن الكريم وأثنى عليهم **« للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون • والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم »** •

ولقد وضعت هذه الآيات منهجا يمكن لمسلم اليوم أن يترسمه لو أراد ليكون خلفه الذى ملأ الأرض عدلا ونورا وسلاما وأمنا • فليس الايمان كلمة تدعى أو قولة تقال أو صفة تطلق على هذا أو ذاك دون أن يكون لها ما يصاحبها من أثر يصدقها أو دليل يؤيدها وقديما قيل : من ادعى ما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان •

فالايمان الحق جهاد صادق وتضحية بالنفس واستشهاد فى سبيل الله وايثار للآخرة على الأولى بالترفع عن الدنيا ومتاعها الزائل ، واعلاء لكلمة الله ، والايمان أخوة صادقة ونظافة باطنة من الحقد والحسد والضغينة وحسن ظن بالله وبالمؤمنين وبذل للمال فى سبيل الله • والايمان اهتمام بشئون المسلمين وعمل فى سبيل اسعادهم ورفعة شأنهم ، فانه من لم يهتم بشئون المسلمين فليس منهم •

دور التصوف فى ذلك :

والمسلمون بعامة ــ جميعا ــ

مطالبون اليوم بأن يكونوا صورة صـادقة للمؤمن الحـق ، وأهـل التصوف ــ بخاصة ــ أجدر بذلك ، فهم الـذين أعلنـوا عن حبهم الصريح للمصطفى صلى الله عيه وسلم سيرا على منهج الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد ورد أن صحابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله انى اذا لم أرك اشـتقتك وأذكر الجنـة ومنزلتك منها فأعلم أننى لن أراك فيها فأحزن ، فنزل قوله تعـالى **« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الـذين أنعم اللـه عليهم من النبيين والصـديقين والشـهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقـا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما »** .

وكان حب الصـوفية الأجـلاء رضوان الله عليهم للنبى قـوامه الاقتداء الكامل به قولا وعمـلا ، واتباع سنته جملة وتفصـيلا ، وغلب عليهم هـذا الحب حتى تفننوا فى امتداحه وفى استنبـاط صيغ رائعة فى الصلاة عليه نابعـة من الحقيقة المحمدية التى أصبحت فكرة مثالية فى مقوماتهم ، وتقوم هـذه الفكـرة على أن الحقيقـة المحمدية هى العماد الذى قام عليه الوجود وهى الصلة التى تربط بين الله والناس وقد استند الصوفية فى ذلك الى الحديث الشريف : أنا سيد ولد آدم ولا فخر .

ومن هذه الصيغ ما ورد عن ابن مشيش شيخ الشاذلى رضى اللـه عنهما : اللهم صلى على من منـه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سـابق ولا لاحق فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبـروت بفيض أنواره متدفقة .

ومنها الصلاة المنسوبة للشاذلى: اللهم صـلى على سرك الجـامع الدال عليك محمدك المصطفى كما هو لائق بك منك اليه وسلم عليـه بما هو خصيص من السلام لديك واجعل لنا من صلاته صلة وعائدا تتمم بها وجـودنا وتعمم بهمـا

شهودنا وتخصص بهما مزيدنا ومن سلامه اسلاما وسلامة ينزهان ما ظهر منا وما بطن من شوائب الارادات والاختيارات والتدبيرات والاضطرابات لتأتيك بالقوالب المسلمة والقلوب السليمة حسبما هو لديك من الكمال الأقدس والجمال الأنفس •

ومن الصلاة المنسوبة للبدوى رضى الله عنه : اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد شجرة الأصل النورانية ولمعة القبضة الرحمانية وأفضل الخليقة الانسانية واشرف الصورة الجسمانية ومعدن الأسرار الربانية وخزائن العلوم الاصطفائية صاحب القبضة الأصلية والبهجة السنية والرتبة العلية •

ولهم فى المدائح درر غوال ساروا فيها على نهج من سبقهم من الصحابة الأجلاء والتابعين الأوفياء وحسبنا فى ذلك «البردة» التى أصبحت اشعاعة يدور فى فلكها العشاق للنبى صلى الله عليه وسلم من الشعراء أو ممن يريد أن يدلى منهم بدلوه فى الولاء •

أمثلة من أخلاق الصوفية القدامى :

لقد كان رجال التصوف القدامى رضوان الله عليهم أمثلة تحتذى فى الجهاد الصادق والعمل المخلص والايثار الكريم • ولننظر معا الى ما يحكيه السهروردى صاحب كتاب عوارف المعارف عن أخلاقهم التى تعلموها فى مدرسة وارثى المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى ورد فى حقه « **وانك لعلى خلق عظيم** » وندبنا الله جل وعلا الى الاقتداء به فقال جل من قائل « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » •

انه يقول فى فصل عقده بعنوان أخلاق الصوفية : من أحسن أخلاقهم التواضع ، ولا يلبس العبد لبسة أفضل من التواضع ومن ظفر بكنز التواضع فقد استراح فأراح ، وما يعقلها الا العالمون • واستشهد بالأثر

الشريف : ان الله تعالى أوحى الى أن تواضعوا ولا يبغى بعضكم على بعض ، وبقوله عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى **« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى »** أى على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس • ومن كلام الجنيد فى التواضع : أنه خفض الجناح ولين الجانب ، وسئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال : تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه • وقال : من رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب •

ومن أخلاق الصوفية المداراة واحتمال الأذى من الخلق ــ وليس المقصود من المدارة الموافقة على الضلال أو المراءاة والنفاق ــ لا بل المقصود بها التسامح ولين الجانب من أمثلة مداراة النبى صلى الله عليه وسلم من أنه كان لا يذم طعاما ولا ينهر خادما ، وأما احتمال الأذى فهو الذى يشير الى العفو عند المقدرة وعدم تجاوز الحد فى المطالبة بالحق •

وهذا هو الذى يظهر جوهر النفس ، وقد قيل لكل شىء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر • روى أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير •

ومن أخلاقهم الايثار والمواساة، ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا ، يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود • قال أبو يزيد البسطامى: ما غلبنى أحد ما غلبنى شاب من أهل بلخ • قدم الينا حاجا فقال لى : يا أبا يزيد ، ماحد الزهد عندكم ؟ قلت : اذ اوجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا • فقال : هكذا عندنا كلاب بلخ • فقلت : وما حد الزهد عندكم ؟ فقال : اذا فقدنا شكرنا ، واذا وجدنا آثرنا •

والايثار عند الصوفية هو مظهر الفتوة التى عليها يقولون ، فقد سئل أبو الحسن اليوشنجى عن

الفتوة فقال : الفتوة عندى ماوصف الله تعالى به الأنصار فى قوله تعالى :

« **والذين تبوءوا الدار والايمان** »

قال ابن عطاء : يؤثرون جودا وكرما ، ولو كان بهم خصاصة يعنى جوعا وفقرا . ولقد بلغ من ايثارهم أن قال بعضهم : الايثار ان تؤثر بحظ آخرتك على اخوانك ، فان الدنيا أقل خطرا من أن تكون محل ذكر للايثار . ونقل عن بعضهم فى ذلك أنه رأى أخا له فلم يظهر البشر الكثير فى وجهه ، فأنكر أخوه ذلك منه ، فقال : ياأخى سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة لأكثرهما بشرا ، وعشرة لأقلهما فأردت أن أكون أقل بشرا ليكون لك الأكثر .

والأخوة الصادقة مثل من أمثلة الصوفية الصادقين ورثوه عن المؤاخاة التى عقدها النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار . قيل : أتى رجل صديقا له يستعين به على أداء دين عليه . فأعطاه ما طلبه ودخل داره باكيا . فقالت له امرأته : ما يبكيك ؟ هلا تعللت حين شق عليك اجابته ؟ فقال : ما على المال أبكى انما أبكى لأنى لم اتفقد حاله حتى احتاج أن يطالبنى .

ويستلزم ذلك السخاء والكرم ، وهذا من أخص صفات الصوفى الحق ، فما ينبغى للصوفى أن يكون بخيلا شحيحا والا فقد ثقته فى ربه ولذلك قال تعالى « **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » .

ومن أخلاقهم التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة . قال سيفان : الاحسان أن تحسن الى من أساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة كنقد السوق خذ شيئا وهات شيئا . وقال الحسن : الاحسان أن تعمم ولا تخصص كالشمس والريح والغيث ، وهم متأثرون فى ذلك بقول النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أنس : رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه ؟ فقال :

للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس •

والبشر والطلاقة من سمانهم فالصوفى بكاؤه فى خلوته وطلاقة وجهه للناس ، والبشر على وجهه من آثار أنوار قلبه ، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا • ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة ، فالوجه مشكاة ، والقلب زجاج والروح مصباح ، فاذا تنعم القلب بلذيذ المسامرة ظهر البشر على الوجه •

هذه أمثلة من أخلاق الصوفية نهديها اليوم لتكون نبراسا يضىء لهم الطريق لعلهم يعودون كماكان أسلافهم مثلا عليا وقمما أخلاقية رائعة ، والقرآن الكريم يقول : ان الذكرى تنفع المؤمنين •

وما أحرى الصوفية اليوم أن يكون احتفالهم بمولد رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم عودة روحية صافية الى رحاب أخلاقه العظيمة وانطلاقة قوية تعود بنا اليه ، وتعود بها ثقتنا فى أنفسنا ويقظتنا الى واجبنا وتحملنا لتبعاتنا ومسئولياتنا فى وقت تكالبت الذئاب علينا تتربص بالاسلام الدوائر وتدبر للمسلمين المكايد ، وما يحدث فى أفغانستان كاف بأن يعيد الصواب الى الأذهان ويوجه القلوب الى الايمان •

والله وحده المسئول أن يهدينا سواء السبيل ويرزقنا حسن الاستجابة وصدق الاخلاص فى العمل • وهذا وبالله التوفيق •

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

مع العقاد فى فلسفة الحياة والموت

للأستاذ / السيد حسن قرون

حين يتقادم الميلاد ويشتعل الرأس شيبا ، ويعزف الانسان عن وسائل المنى والهوى يفكر فى الموت وما بعد الموت ويتمنى لو عاد الى الصبا والشباب ليجعل له رصيدا من دوافع التقوى ونداء الهداية ، ولكن عباس محمود العقاد (١٨٨٩ ــ ١٩٦٤) جعل وكده وجده وفكره فى النظر الى الموت وما بعد الحياة منذ صباه وشبابه ، والناظر الى ديوان العقاد « أربعة أجزاء فى مجلد واحد » يطالع قصائد كاملة فى فلسفة الموت والحياة ، فهو شيخ فى شبابه ، وشباب فى شيخوخته على حد تعبيره ، وأغلب الظن أن بيئته التى نشأ فيها كان لها الأثر الأكبر فى منهجه من تزمت أو انطلاق ، فقد تفتحت عيناه على أب وأم غارقين فى بحر محبة الله، لا تفوتهما صلاة عن وقتها ، والاب دائم الاطلاع على السيرة النبوية وتلاوة القرآن ، أما البيئة الطبيعية (أسوان) فلا يمكن أن أتخذها سبيلا الى توجيهه نحو تفكيره فى مصيره . لان أسوان كسائر المدن فيها ما فيها .. وينسحب هذا على نظرته للمال ، فالمال عنده ليس الاله المعبود أو الأمل المنشود) وأصحاب الأموال عنده لا يتميزون عن الفقراء فى شىء . يقول عن نفسه : « (١) لم تكن شيم الفتيان قط من شيمى ، وأعنى بها اللهو والغى والتمادى فى طلب المتعة

---

(١) انا ص ١٥٧ .

والسرور ، وهذا التحفظ الذى لم يفارقنى فترة فى حياتى هو القصد الطبيعى الذى حفظ لى ثروة الفتوة فجاوزت الستين وأنا أعمـل عملى فى العشرين ... » ومن شعره فى هــذا المعنى :

دون الثلاثين تعرونى وما انصرمت
الا كما تنقضى الأعوام فى الحلم
قل لابن تسعين لا تحزن فذا رجل
دون الثلاثين قد ساواك فى الهرم

فلا عجب اذن اذا جاء حديثه عن الموت فى ديوانه الأول «يقظة الصباح» صدر سنة ١٩١٦ وهو فى السابعة والعشرين من عمره مليئا بفلسفة العقاد وهى فلسفة عميقة وان جمعت تألق الشـعر وصفاء الديبــاجة . ووفرة العطاء ، وأول ما يطالعنا من الفلسفة فى يقظـة الصباح « كأس الموت » وقـــد تداوله الأدباء كثيرا وعـنوا بتلك النغمة كأس الموت فماذا قـال : قـــال :

اذا شيعونى يوم تقضى منيتى
وقالوا أراح الله ذاك المعــذبا
فــلا تحملونى صامتين الى الثرى
فانى أخاف اللحـــد أن يتهيبــا
وغنوا فان الموت « كأس شهية »
وما زال يحلــو أن يغنى ويشربا
وما النعش الا المهد مهد بنى الورى
فــلا تحزنوا فيه الوليــد المغيبا
ولا تــذكرونى بالبـــكاء وانمــا
أعيدوا على سمعى القصيد فأطربا

انك لتعجب من هــذا الانسان الذى يحب الصــخب وينهى عــن الصمت حتى فى حمله على نعشه ، والنعش عنده وليد ينبغى ألا يحزن فى مهده ولا يدفعه أحد الى البكاء وما دام الموت كأسـا شـــهية فالمناسب لها الغناء وانشاد القصيد وجميل منه أن يوضح نقلته مــن دار المتاعب وهو فيها معــذب الى مهد وثير يحسن عنده الغناء ، وهو بهذا هون علينا الموت ، وزيفه فى نفوسنا ، ولا يتركنا لنتأمل مـــا يدعو اليه ، ويهنأ به ، ويريحه من عذاب ، بل يعلن صديقه الشــاعر (عبد الرحمن شـــــكرى) بأنه سيبسم لأزاهر القبر بعد أن عبس فى وجه الدنيا بعد أن تغرب شمس عمره اذا اتفق له ما يهفو اليه من

سرى خيال الدنيا تنبئه بأخبـــار الانام ، وأن يسامره طيف منبهواه ويؤنس وحشته • ويحلم فى قبره بالنجـــوم الزاهرة ، والأزهـــار المنـــورة والغمام الرقيق ويتمنى الأمانى الحلوة •• اقرأ معى هذا فى « أحكام الموتى » •

ستغرب شمس هذا العمر يوما
ويغمض ناظرى ليـل الحمام (١)
فهـل يسرى الى تبرى خيـال
مـن الدنيـا بأنبـاء الانام
ويمسى طيف مـن أهوى سميرى
ويؤنس وحشتى ترجيع هـام
وأحـــلم بالـزواهر دائـرات
وبالـزهر المنـور والغمـام
الا ليت النيـام هنـــاك تحظى
بأحـــلام كأحـــلام النيـام
وليت الورد يورق فـــوق رمسى
فتعبـق فى نوافحه عظـــامى
وأبسـم فى أزاهـــره لدينـــا
عبست لوجهها فوق الرغام (٢)

وأهم شىء فى نظره معـــرفة أخبار الناس ، فهو معنى بهـــا ، حريص عليها ، لانها هوايته المفضلة لها عاش وكتب وألف هل يريد أنباء الأنام شـــفاها أو مراســـلة أو فى صحف أو كتب ؟ لم يوضحها ولكن توفيق الحكيم لمحها : فقد تخيـــله دخـــل الجنة وذهب يطوف بـــين أرجائها عسى أن يرى وجهة مكتبة يقف أمامها ، ويتأمل عناوين الكتب فيها فلما طال به المطاف ولم يجد مكتبة ولا كتبا ضجر منهـــا وطفق يقول : «ما هذا ؟ جنة بغير كتب؟» ويعلق العقاد عـــلى ذلـــك قائلا : وصديقنا الحكيم لم يبالغ فى تخيله لأننى فعلا لا اســـتطيع أن أعيش فى جنة لا أطلع فيها •• نعـــم لا أطلع فيها ، وليس من الضرورى أن أقرأ فى كتاب ••

انك تراه كارها للدنيا كلفا بها فى آن واحد ، ولو كان ممن يجتويها ولا يرتضيها لكف عنـــها وحـــاول نسيانها ، ولكنه معنى بأخبار من عليـــها وبالزواهر والأزهـــار التى

---

(١) الموت •
(٢) التراب •

تزينها ، ومن ثم حرص على أن يتردد اسمه ورسمه فيها :

خلعت اسمى على الدنيا ورسمى
فما أبكى رحيلى أو مقامى
حياتى فى حياة الكون طرا
كقطر الغيث فى اللجج الطوامى

لقد نفض يده من الدنيا بعد أن خلع عليها اسمه ورسمه ، ولكنه يحذرنا من العيش فيها ، ويأمرنا أن نخاف الحياة .

خف العيش فان الموت لا يفجع مولودا
وان الموت اذ يأتيك لا يلفيك موجودا

فالموت لا يستطيع أن يفجع المولود ولا غير الموجود مم نخافه؟ الخوف يجىء من العيش فالحى يمسى ويصبح وسيف المنية مصلت فوق رأسه ، وأسباب الفناء تلح عليه ، وكفى بك داء أن تصح وتسلم ، لكننا نأتى الى الدنيا وتأتى معنا مطامعنا وأشواقنا ، والعقاد يسايرنا فى تساؤلنا :

فيم عشنا وغاية العيش موت ؟
فيم متنا وغاية الموت بقيا ؟

أعجب الحالتين عندى حى
سوف يغنى لاميت سوف يحيا

ونتحير مع العقاد ونطلب تفسيرا، وتذهب عقولنا مذاهب شتى ويطلع علينا بقوله :

وما الحياة لعمرى حين نقرؤها
الا كأسطورة من وهم قوال
يشوقنا ختم فحواها ويؤسفنا
أن سوف نفرغ منها كاسفى البال
فهل يعوض منها أن سنتركها
يوما ليتلوها من بعدنا تال

وصلنا الى أن الحياة أسطورة، وأسطورة فيها الشوق والأسف ، ولكنها باقية يتلوها التالى ويرويها الراوى أهذه هى الحياة ؟ وأين الطموح والجنوح الى بهائها روائها ؟ ولماذا السعى والجهد ؟ ولم التعلق بها ؟ هات يا عقاد ما عندك لنقف على أرض ثابتة أو الى شاطىء أمين .. يقول :

قالوا الحياة قشور
قلنا فأين الصميم ؟
قالوا شقاء فقلنا
نعم فأين النعيم ؟
ان الحياة حياة
ففارقوا أو أقيموا

ان الأمر ليس بأيدينا ، ومـا بأيدينا خلقنا سعداء أو أشقياء ، ونحن نريدها ولكن اذا جاء الاجل فلا ارادة ولا رجاء ، ومن يوم أن خلقت الدنيا وكان فيها أحياء يدفن بعضنا بعضا كما يقـول المتنبى ، والقبور تملأ الأرض كما يقـول المعرى :

صاح هذى قبورنا تملأ الرحب
فأين القبـور من عهـد عاد ؟

لكن العقاد يقول :

أنا شىء فيكف أصبح «لا شىء»
اذا تـم للحيـاة مداهـا ؟
أغلب الظن أننى سـوف أرقى
غاية بعدها تفـوق ذراهـا

وهذا رأى يدنينا مـن الراحة ويبعد عنا القلق ، ولكننا نريديقينا يلقى الحـيرة فى مكان سـحيق ، ويتشـبث العقاد بالبـقاء ونحن نتابعه ونرجو أن نستقر ونستمر ، وماذا يراد بنا ؟

أرانى عـلى الحالين روحا وبنية
أحس بأن الموت ليس بمفقدى
فان كنت ذا جسم ذوى قبلمصرعى
وان كنت ذا روح فروحى مخلدى

هل أرضاك هذا ؟ بلغنا الروح والجسـد والخلود ، ومطـارح الفلاسفة ، وجدال أصحاب الجدل الخلود للروح أم للجسد أم لهما معـا ، المهم عنـده أنه خالد .. ونسير معه الى «الموت فى الكرى» فنراه يخاطبه :

يا مطعم الـدود بالصـبا
لا الدود تبقى ولا الجسد
تنسى الذى نام فى الثرى
ولست تنسى الذى ولـد

وهى نظـرة ثاقبة ، واحـاطة شـاملة بمـا يكون ، الموت يطعم الدود مـن جسـد غض الاهاب ، غوضر صـاحبه أو صـاحبته فى شرخ الشباب ، لكنه يكر بالتالى على الدود فيقضى عليه ولا يبقيه ، والموت عجيب ينسى مـن قبـر ويترصد من ولد ، والفجيعة عنـد الشاعر أن طعام الدود من الصبا ، ويذكرنى حديثه هنـا عن الجسد ما جاء فى الجزء الثانى من الديوان وقد سماه « وهج الظهيرة » عـن الجسد ومسئولية الارض ، وعتاب طويل معها عما فعلت ببنيها يقول :

أسـائل أمنـا الأرضـا

سؤال الطفل للأم
فتخبرنى بما أفضى
الى ادراكه علمى
جزاها الله من أم
اذا ما انجبت تئد (١)
تغذى الجسم بالجسم
وتأكل لحم ما تلد

وهذا يذكرنا بأخت يوشع لشوقى وهى الشمس التى يعجب منها وينكرها بقوله :

فيالك هرة أكلت بنيها
وما ولدوا وتنتظر الجنينا

لكن العقاد يسأل الأرض سؤالا يسترعى الانتباه ، وجواب الأرض عجيب ولكنه من الواقع فى قمة الصدق ، واليك السؤال والجواب

وأين عظام من نبها (٢)
من الماضين فى السير ؟
فقالت : قد صنعت بها
لكم حلوى من الثمر !

وهنا يستكين الشاعر فقد وضحت له الخفايا ، وآض الى ايمان العجائز ، ورضى بالحياة بخيرها وشرها وعرفها ونكرها وماذا يملك من أمره وأمرها ؟ انه تدبير لا يصل الى كنهه الا خبير ، وخبير ملأ اليقين قلبه ، ولفته السكينة بردائها الأخضر ، وما على العقاد الا أن يقول :

ولدت وأحببت الحياة ولم أكن معلم نفسى حبها واتقاءها
حييت وأحببت الخلود ولم أكن معلم نفسى خلدها وبقاءها
وجدت بأمر غير أمرى وهكذا سأوجد ان غالبت يوما فناءها
مآبك فى الأقدار طرا الى الذى قضاها وأجرى فى الوجود قضاءها

لقد استراح وأراح ، وان بقى دائما يلهج بالموت حتى فى « دعابة » انظر اليه يقول :

اذا الدود رواه منى دمى
فآخر ماذاق من مطعم
عذوبة ذكر الهوى فى فمى
وفى القلب راحة تلك الذكر

وهكذا يفلسف العقاد الموت

---

(١) تدفن أولادها ٠
(٢) اشتهر ٠

والحياة ، ولكنها فلسفة لا تشــق على القارىء ، ولا تلعب بالعقول ولا تفارق الهدى وقد لخص لنـا حياته فى أبيات ثلاثة هى .

زاهـد الهند نعى الدنيا وصــام
أنا أنعاها ولكن لا أصوم
طامع الغرب رعى الدنيا وهـــام
أنا أرعاها ولكن لا أهيــم
بين هــذين لنــا حــد قـــوام
وليلم من كل حزب من يلوم

رحمه الله بمقدار ما أفاد وأجـاد

السيد حسن قرون

« ست خصـــال »

من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عــن النار مهربا وهى : من عرف الله فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها .

قضية نحوية :

نون الوقاية من أوهام النحاة

للدكتور / السيد رزق الطويل

حرف النون من حروف المبانى التى تسهم فى البناء الصوتى للكلمة العربية ، ويرتبط بها صوت الغنة الذى يعد من مميزات الصوتيات العربية ، كما أنها اذا سكنت كان لما يأتى بعدها من حروف أوضاع صوتية مختلفة : من اظهار ، وادغام ، واخفاء ، واقلاب ، حسب الحرف الذى يأتى بعدها ، ويشابهها فى ذلك التنوين الذى يشترك معها صوتيا •

وفى مجال الدراسة النحوية : حملت النون وظائف هامة فى الجملة العربية من ناحية المعنى والدلالة الاعرابية، وأصبحت بهذا أيضا من حروف المعانى ، ويمكن أن نوجز وظائفها ودلالتها فيما يلى :

١ ــ نون التوكيد، وتأتى مشددة أحيانا ، وتسمى الثقيلة ، وغير مشددة ، وتسمى : الخفيفة ، وتدخل الفعل المضارع ، وفعل الامر فى أحوال معينة ، مثل قوله تعالى : « **ليسجنن وليكونن من الصاغرين** » سورة يوسف ٣٢ •

٢ ــ نون النسوة ، وهى : التى تدل على جماعة الاناث ، وتأخذ وضع ضمير الرفع المتحرك ، وتدخل الفعل الماضى ، والفعل المضارع ، وفعل الامر ، وتعرب دائما فاعلا ، مثلها فى هذه الاحوال الثلاثة : (**فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك**) النساء ١١ (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**) **البقرة ٢٣٣** • (**واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة**) الاحزاب ٣٤

٣ ــ التنوين، ويسمى : الصرف، وهو من خصائص اللسان العربى، وهو فى حقيقته صوت النون ، وكما يحدده النحويون : نون ساكنة زائدة ، تلحق الآخر لفظا ، لاخطا، لغير توكيد ، وهو : من علامات الاسمية فى الاسماء ، مادام تنوينا للتمكين أو للتنكير ، أو للمقابلة أو للعوض ، أما اذا كان الغرض منه الترنم ، وذلك : اذا لحق القوافى المطلقة ، أو كان تنوينا غالبا ، لتجاوزه حدود الوزن حين يلحق القوافى المطلقة ، أو كان تنوين ضرورة ، أو شاذا فلا تصلح مثل هذه الانواع من التنوين علامة على الاسم (١) .

٤ ــ نون الرفع : وفى هذه الحالة تكون النون علامة اعراب ، تدل على الرفع ، كما يدل حذفها على الجزم والنصب وذلك فى الافعال المضارعة عندما يتصل بها ألف الاثنين ، أو واو الجماعة ، أو ياء المخاطبة ، وهى المعروفة عند النحويين بالافعال الخمسة ، مراعاة منهم لحالتى الخطاب والغيبة مع ألف الاثنين أو واو الجماعة ، مضافا اليها ياء المخاطبة المقصور استعمالها على حالة الخطاب وحده .

٥ ــ نون الوقاية .. وهى : التى نحن بصدد الحديث عنها ، والكشف عن مدى صدق هذا المصطلح النحوى أو دقته فى الوفاء بالغاية التى وضع لاجلها .

بواعث الكتابة فى هذا الموضوع:

والذى دفعنى الى الكتابة فى هذا الموضوع : ما تناوله الباحث السورى الاستاذ : محمد الكسار المحامى ، والمعنى بالدراسة النحوية فى كتابه : المفتاح لتعريب النحو ، وهو : حلقة أولى من سلسلة يقدم اصدارها تباعا ، لتقويم مسيرة الدراسة النحوية فى تصوره ، لان النحو ــ كما يرى ــ نما ونشأ فى ظلال العجمة ، ويريد أن يخلصه من أوزار عجمته ، ويعطيه الطابع العربى الذى يجعله ميسور التناول ، سهل الاداء .

---

(١) مغنى اللبيب حـ ٢ ص ٢٥ حرف النون

وأبدى الباحث رأيه فى عدد من المسائل النحوية ، كما تناول عددا من القضايا التى نوقشت مناقشة علمية من بعض الاخوة : أساتذة اللغويات فى جامعة الازهر وغيرها (١) •

ومن هذه المسائل : نون الوقاية•

يقول : من عجيب مخترعات النحاة ، وافتراضاتهم الوهمية التى زادت فى تعقيد النحو بلا مبرر ، ولا فائدة علمية تجنى من ورائها ، ما سموه : « نون الوقاية » التى قالوا : انها نون تتوسط بين آخر الفعلوياء المتكلم لوقايته من دخول الكسر الخاص بالاسماء » ثم ينتهى بعد البحث والدراسة — على حد قوله — الى « أنها جزء من ضمير المتكلم نى » وهو : من ضمائر الفضلات المنصوبة الخاصة بالافعال ، كما تختص ياء المتكلم مجردة من النون بالاسماء والحروف ، ثم القول بأنها تقى الفعل من الكسر مجرد وهم ، لانها تأتى فى مواضع ولا يحدث فيها وقاية ، ومن ناحية أخرى قد يكسر الفعل فى مواضع ، ولم ير أحد فى ذلك بأسا ، فيلحق النون بالفعل المكسور ، كذلك مما يؤيد هذا التصور : جواز دخولها وعدمه على ان وأخواتها (٢) •

ومن هنا استوقفتنى النتيجة التى انتهى اليها الباحث ، لكن الطريق الذى قطعه من الوصول اليها كان يتطلب قدرا من الجهد ، والاناة ، والروية ، والتعمق فيما كتبه النحويون القدماء ، وذلك : حتى تكون المقدمات المبذولة مكافئة للنتيجة الكبيرة ، حتى تزداد دعما ورسوخا فرأيت أن أقوم بمثل هذا الجهد ، فعلقت على ما كتبه أوائل النحويين ، باحثا عن نشأة هذا المصطلح ، ووقت ظهوره على ألسنة النحاة وأقلامهم •

وهنا حقيقة لا ريب فيها ، أذكرها قبل أن أقدم ما انتهيت اليه، وهى : أن النحو العربى نشأ فى

---

(١) منها البحث القيم الذى كتبه الزميل الاستاذ الدكتور عبد الفتاح البحيرى ابراهيم عميد كلية اللغة العربية بالمنوفية •

(٢) المفتاح لتعريب النحو ص ١٥٨ ، ص ١٥٩ •

ظلال العجمه ، وعلى يد الاعاجم، حتى انهم كان يسمونه صنعة الموالى ، ومر أعرابى بجماعة منهم يتكلمون فى هذا النحو فقال لهم : ان كنتم أول من أصلح هذا اللسان فأنتم أول من أفسده .

كذلك : عوقت مسيرة البحث النحوى بأغلال المنطق ، حتى تهكم الفارسى بالرومانى فقال : ان كان النحو ما يقوله الرمانى فليس معنا منه شىء ، وان كان ما نقوله نحن فليس معه منه شىء (١) .

ونعود الى الحديث عن نون الوقاية : « هذا المصطلح الذى كان ظهوره وليدا من هذه الظاهرة .

النقد فى تقديرى منصب على نون الوقاية .. باعتبار أنها تأتى أحيانا بدون أن يوجد الكسر الذى تريد أن نجنب الفعل اياه ، وفى أحيان : يوجد الفعل بدون أن نلجأ الى النون لتقيه منه .

مثال الحالة الأولى :

دخول هذه النون على الافعال الخمسة ، حيث لا كسر يخشى منه على الفعل ، بقول تعالى : **«يعبدوننى لا يشركون بى شيئا»**(٢) **« أتعداننى أن أخرج ، وقد خلت القرون من قبلى »** (٣) .

وفى دخولها على الفعل فى هاتين الآيتين دليل على أن معنى الوقاية غير قائم ، وأنه ليس من مهمتها ، وبذلك فاته الحصر المانع الذى يجب أن يتوافر فى المصطلح العلمى .

وأما الحالة الثانية .

فنرى الفعل فيها مكسورا ولا نجد هذه النون .

وهنا وهم يجب أن نوضحه ، وهو : أنه استقر فى أذهان النحاة : أن الفعل لا يكسر . وهذا أمر يحتاج الى تفصيل ، فالكسر باعتباره علامة اعرابية دالة على

---

(١) نزهة الألباب لأبى البركات الانبارى ترجمة الرمانى
(٢) سورة النور / ٥٥
(٣) الأحقاف / ١٧

الجر لا يدخل الفعل ، أما الكسر الذى هو مجرد صوت يضطر اليه المتكلم عند التقاء الساكنين ، فذلك من الممكن دخوله فى الفعل ، وهذا أمر قال به المبرد .

يقول المبرد : فاذا قلت : ضربنى زدت نونا على المخفوض ليسلم الفعل ؟ لان الفعل لا يدخله جر ولا كسر .. ثم يقول : فان قلت قد يدخل الفعل الكسرة فى قولك : اضرب الرجل ، فانما ذلك لالتقاء الساكنين ، وليس بلازم ، وانما كسروا : ليعلموا أنه عارض فى الفعل ، اذ لم يكن من اعرابه »(١)

وهناك أحوال يكسر فيها الفعل لغير التقاء الساكنين ، وذلك : عندما يتصل الفعل بياء المخاطبة سواء كان مضارعا أم أمرا ، ومع ذلك : لا نأتى بنون الوقاية مما يؤكد أن الوقاية مجرد تصور غير صحيح فى أذهان النحاة ، والا لشمل كل الافراد ، وبذا يفوت هذا المصطلح خصيصة أخرى من خصائص المصطلح العلمى وهو : الشمول .

والامثلة لذلك كثيرة لا تحصى ، وأكتفى بهذه الشواهد القرآنية يقول تعالى : « **يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين** » (٢) « **فكلى واشربى وقرى عينا ، فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم انسيا** »(٣)

نخلص من هذا : الى أن ظاهرة الجر الاعرابى بعلاماته : الكسرة والفتحة والياء لا تدخل الفعل ، أما الكسر باعتباره ظاهرة صوتية فرضها التقاء الساكنين أو مناسبة الياء فهو يلحق الفعل كثيرا .

وبناء على هذا : ما الكسر الذى تقى النون الفعل منه ؟ ان أردنا كل كسر فهذا أمر يخالف الواقع اللغوى ، وان أردنا الكسر الاعرابى وحده : فهو تفريق بغير مفرق ؟! وفى كلا الحالين يتبين لنا:

---

(١) المقتضب ج ١ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩

(٢) سورة آل عمران / ٤٣

(٣) سورة مريم / ٢٦

أن هذا المصطلح غير دقيق علميا ، ولابد من تصور آخر لهذه الظاهرة اللغوية .

متى نشأ هذا المصطلح ؟

اذا رجعنا الى النحاة الاوائل نبحث فى كتاباتهم عن هذا المصطلح، لانجد أحدا منهم صرح به ، وانما أشاروا فقط الى كراهية كسر الفعل، دون أن يعدوا ذلك مصطلحا له سلطان المصطلح العلمى ، كما ذهب النحاة المتأخرون . جاء فى كتاب سيبويه : وسألته — رحمه الله — عن الضاربى ، فقال : هذا اسم ويدخله الجر ، وانما قالوا فى الفعل ضربنى ، ويضربنى، كراهية أن يدخلوا الكسر فى هذه الباء ، كما تدخل الاسماء ، فمنعوا هذا أن يدخله كما منع الجر » (١)

ويقول سيبويه أيضا : وبلغنى عن العرب الموثوق بهم ، أنهم يقولون : ليسنى وكذلك كاننى (٢) ، ليؤكد بهذا ورود هذه الصورة عن العرب ، دون أن يصرح باسم نون الوقاية .

ويقول المبرد فى عبارة قريبة جدا من عبارة سيبويه فى كتابه : وتقول : هذا غلامى ، وهذا الضاربى فيستويان ، فاذا قلت : ضربنى زدت نونا على المخفوض ليسلم الفعل ، لان الفعل لايدخله جر ولا كسر ، فانما زدت هذه النون ليسلم ، لان هذه الياء تكسر ما وقعت عليه ، فان قلت : قد قلت: الضاربى والياء منصوبة ، فانما ذلك لان الضارب اسم فلا يكره الكسر فيه » (٣) .

لكنا نلاحظ هنا فى عبارة المبرد : زدت نونا ما يقربها من تصور المتأخرين الذين يرون أن هذه النون زيدت للوقاية .

ومصطلح نون الوقاية بناء على هذا : مصطلح محدث ، فلم يكن له وجود قبل القرن السادس الهجرى ، ويتردد بكثرة فى مؤلفات

---

(١) الكتاب حـ ١ ص ٣٦٩
(٢) المرجع السابق ص ٣٥٩
(٣) المقتضب حـ ١ ص ٢٤٨

القرنين التاسع والعاشر ، والقرون التالية لهما .

وقد ذكره ابن هشام وهو من أعلام القرن الثامن فى مؤلفاته . يقول فى كتابه المغنى : الرابع نون الوقاية ، وتسمى نون العماد أيضا ، وتلحق قبل ياء المتكلم المنتصبة بواحد من ثلاثة » (١) .

ونلحظ من عبارة ابن هشام : أنه ذكر لهذه النون مصطلحا آخر ، لم يذكره المتقدمون أيضا ، ولم يشتهر بين المتأخرين ، وهو : أنها حرف عماد ، شأنه شأن الميم فى ضميرى المخاطب والغائب فى حالة التثنية واتصال الضمير مثل . عليهما — عليكما ، وأعطيتهما ، وأعطيتكما ، ومثل أيا فى ضمائر النصب فى رأى بعض النحاة .

والقول بأن النون للعماد يعنى أنها جاءت لتعتمد عليها ياء المتكلم فى أمر اتصالها بالفعل أو ما يشبهه. لكن مع ذلك يبقى السؤال قائما: ولماذا ياء المتكلم بخاصة تحتاج الى العماد ؟ ولماذا لم نلجأ الى العماد فى ياء المخاطبة أيضا ؟!

على أن العلامة الرمانى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ذكر فى كتابه معانى الحروف أن النونات ثمان : وهى الرفع ، والتثنية والجمع ، والتوكيد ، وللصرف ، والمضارعة ، والنون الاصلية والزائدة (٢) ولم يذكر نون الوقاية ولا العماد مما يدل على أنها عرفت أخيرا .

مواضع نون الوقاية :

والتصور الذى انتهى اليه المتأخرون فى المواضع التى تدخل فيها نون الوقاية لزوما أو بكثرة ، أو يستوى الحاقها بعدمه ينحصر فى خمسة أحوال ، ذكرتها فى كتابى: النحو الوسيط محصورة فيما اذا كان العامل فى الضمير فعلا ، أو اسم فعل ، أو حروفا تشبه الفعل على نحو من الانحاء وهى على النحو التالى :

١ — اذا نصب ياء المتكلم فعل مثل : (انى عبد الله آتانى الكتاب

---

(١) مغنى اللبيب جـ ٢ ص٢٥ حرف النون

(٢) معانى الحروف للرمانى / حرف النون .

وجعلنى نبيا) (١) .

٢ ـ اذا نصب ياء المتكلم اسم فعل مثل : (دراكنى) اسم فعل بمعنى أدركنى .

٣ ـ اذا وقعت ياء المتكلم اسما لليت نحو قوله تعالى : **« ياليتنى قدمت لحياتى »** ٢) ومع لعل يقل دخولها ، ومع غيرهما من أخوات ان يستوى الامران .

٤ ـ اذا دخل على ياء المتكلم حرف الجر « من » أو «عن » .

٥ ـ اذا أضيفت الى ياء المتكلم « لدن » أو « قط » أو « قد » وفى هذه الحالات : يغلب دخول النون عليها ، مثل قوله تعالى : **«قد بلغت من لدنى عذرا »** (٣) .

هذا هو تصور المتأخرين ، والقواعد التى وضعوها لضبط مواضع هذه النون على ضوء فهمهم لها ، وادراكهم لمهمتها .

ضمير النصب « نى » .

لكن ما التصور البديل لتصور المتأخرين الذى وجهنا اليه النقد آنفا ؟ وهل يمكن أن يستبدل به مصطلح آخر أكثر منه دقة ؟

والجواب : نعم .

وقبل الاجابة : أريد أن أوجز مع شمول وجوه الطعن فى هذا المصطلح النحوى أمورا وهى :

١ ـ أن الفعل الذى يراد وقايته من الكسر جاء مكسورا فى أساليب عربية صحيحة وفصيحة مما يدل على أن الكسر الصوتى ليس فى حاجة الى أن نقى الفعل منه ، وقد بسطنا القول فى ذلك آنفا .

٢ ـ دخولها على الفعل بغير مسوغ لدخولها ، لان الفعل بوضعها محفوظ من الكسر بدخول تاء الفاعل عليه ، فى قوله تعالى **« رب قد آتيتنى من الملك ، وعلمتنى من تاويل الاحاديث »** (١) أو اتصاله بواو الجماعة ، فى قوله تعالى : **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »** (٥) أو نون التوكيد فى

---

(١) سورة مريم / ٣٠ .
(٢) الفجر / ٢٤ .
(٣) سورة الكهف / ٧٦ .
(٤) يوسف ١٠١ .
(٥) الذاريات ٥٧

قوله تعالى « **قال لن أرسله معكم حتى تؤتونى موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم** » [١] وفى هذه الآية شاهدان ، أولهما : لدخول النون مع واو الجماعة ، وثانيهما مع نون التوكيد .

والنون فى كل هذه الحالات لم تؤد واجبها الذى تصوره النحاة وهو : وقاية الفعل من الكسر .

٣ ــ ثم اذا كانت مهمتها وقاية الفعل من الكسر فما معنى دخولها على غير الفعل مثل حرف الجر من وعن ، وان وأخواتها ، وكذلك دخولها على « لدن » و « قط » وعلى اسم الفعل الذى على وزن « فعال » بكسر اللام مع بقائه على كسره .

اذن هذا المصطلح غير دقيق وغير سديد ، ومن هنا نقدم هذا التصور الذى قدمه الباحث السورى وتأكد لنا صحته بالأدلة العلمية ، وهو : أن هناك ضمير نصب متصل ، وضمير جر أيضا ويستعمل فى الاحوال الآتية :

١ ــ الفعل الواقع على ضمير المتكلم ، نرى ضمير المتكلم الخاص به هو « نى » سواء أكان ماضيا أم مضارعا ، أم أمرا ، متصلا بضمير رفع أم مجردا منه .

٢ ــ يختص بأسماء الافعال التى تقع على المتكلم .

٣ ــ بعض الحروف التى لها شبهقوى بالفعل مثل : ان وأخواتها يمكن أن يكون اسمها ضمير النصب « نى » أو « الياء » يستثنى منها ليت التى لا تعرف الاساليب الفصيحة الا أن تكون « نى » اسمالها ، ومن النادر اسمية ياء المتكلم بعكس لعل .

وعلل النحاة ذلك : بأن تشديد لام لعل هو الذى أبعدها عن «نى» وجعل الياء أنسب لها فهو اذن سبب صوتى .

٤ ــ يدخل على هذا الضمير من حروف الجر « من » و « عن » ، ومن النادرة : دخولهما على ياء المتكلم ولا يدخل على « نى » حرف جر آخر غيرهما . والسر فى تقديرى

---

(١) يوسف ٦٦

هو : وجود النون فى الحرفين الذى سهل عملية الادغام .

٥ ـ من الظروف التى تضاف غالبا لهذا الضمير « لدن » و «قط» لكنها دونها فى الاستعمال الفصيح. ويقل اضافتهما الى الياء .

ومعنى هذا : أن الضمير « نى » يختص بالافعال والحروف ، والاسماء التى لا تقبل ياء المتكلم ، أو تقبلها فى الاحوال النادرة أو الشاذة .

الادلة العلمية التى تؤكد هذا التصور :

ويؤيد هذا التصور مايأتى :

١ ـ دراسات النحو المقارن بين اللغة العربية ، وأخواتها الساميات، يؤكد : وجود هذا الضمير فيها بصورة قريبة صوتيا من الضمير « نى » (١) فى اللغة العربية ، وبذلك تكون ضمائر المتكلم فى اللغة العربية تنحصر فيما يأتى :

ضمير متكلم مرفوع منفصل أنا ونحن

ضمير متكلم مرفوع متصل ضمائر الرفع المتحركة ضربت ـ ضربنا) .

ضمير متكلم منصوب منفصل اياى وايانا

ضمير متكلم منصوب متصل مثل ياء المتكلم أو « نى » أو مجرور

٢ ـ قرأ السبعة **« قل أغير الله تأمرنى أعبد أيها الجاهلون » (٢)** بنون واحدة . **يقول ابن هشام :** قيل : النون الباقية نون الرفع ، وقيل : نون الوقاية وهو الصحيح ، ويعلل النحاة صحة الرأى الاخير ، بأن : نون الرفع مأنوس حذفها ، اذا أنها تحذف فى حالتى النصب والجر ، أما نون الوقاية : فلم يعهد حذفها (٣) .

وفى تقديرى : أن العلة ليست كذلك ، وانما لان النون جزء من الضمير « نى » فلا يمكن أن تحذف وهذا الضمير من ضمائر النصب كما قلنا يختص به الفعل ،

---

(١) تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون
(٢) سورة الزمر / ٦٤
(٣) المغنى حـ ٢ ص ٢٤

ولايمكن أن يحذف جزء من الضمير، ويبقى جزء منه .

ولو عرف النحاة هذا التصور الدقيق لما سموه نون الوقاية ، لما اختلفوا فى تخريج الآية ، وتوجيه النون الباقية : أهى نون الرفع أم نون الوقاية ؟

٣ ــ وهذا التصور الذى قدمته ليس جديدا ، وانما سبق وروده على ألسنة النحويين القدماء ، ومنهم : سيبويه ، يقول : أعلم أن علامة اضمار المتكلم المنصوب « نى » وعلامة اضمار المتكلم المجرور الياء ، ألا ترى أنك تقول: اذا أضمرت نفسك وأنت منصوب: ضربنى وقتلنى ، واننى ولعلنى ، وتقول اذا أضمرت نفسك مجرورا: غلامى ، وعندى ومعى » (١) .

فمن هنا نرى امام النحاة فرق بين ضميرين : ضمير متكلم منصوب هو : « نى » وآخر متكلم مجرور هو : الياء .

ومما يؤكد اتجاه سيبويه الى اعتبار « نى » ضميرا : قوله : وسألته ــ رحمه الله ــ يعنى أستاذه الخليل بن أحمد ــ عن قولهم : (عنى وقدنى ، وقطنى ، ومنى ، ولدنى ، فقلت : ما بالهم جعلوا علامة اضمار ــ المجرور هنا كعلامة اضمار المنصوب ؟ قال : انه ليس من حرف تلحقه ياء الاضافة الا كان متحركا مكسورا ، ولم يريدوا أن يحركوا الطاء التى فى قط ، ولا النون التى فى من ، فلم يكن لهم بد من أن يجيئوا بحرف لياء الاضافة متحرك ، اذ لم يريدوا أن يحركوا الطاء ، ولا النونات ، لانها لم تذكر أبدا الا وقبلها حرف متحرك مكسور ، وكانت النون أولى ، لان من كلامهم : أن تكون النون والياء علامة المتكلم ، فجاءوا بالنون لانها اذا كانت مع الياء لم تخرج هذه العلامة من علامات الاضمار ، وكرهوا أن يجيئوا بحرف غير النون ، فيخرجوا من علامات الاضمار » (٢) .

---

(١) الكتاب حـ ٢ ص ٣٦٩
(٢) الكتاب حـ ٢ ص ٣٧٠ ، ص ٣٧١

وهذا يعنى : أن الخليل سبق سيبويه فى هذا المذهب فى اعتبار « نى » ضميرا ، اذ يقول : لأن من كلامهم : أن تكون النون والياء علامة المتكلم .

ونخلص من هذا الى : أن سيبويه يرى أن الضمير « نى » يدخل الفعل ، كما يدخل الظروف والحروف التى لا يوجد مانع صوتى من دخول ياء المتكلم عليها ، وهذه القاعدة التزمت فى الاسلوب القرآنى ، ولا تدخل ياء المتكلم على الفعل ضمير نصب أبدا ، كما لا تدخل على هذه الحروف والظروف الا نادرا (١) .

٤ ــ بالاضافة الى ما سبق نتخلص مما وجه الى مصطلح نون الوقاية من نقد وعيوب ، ونخطو خطوة لا بأس بها بقاعدة نحوية ، نحو السهولة ويسر التناول .

خاتمة :

بهذا البحث : أرجو أن أكون قد قدمت الاسس العلمية للفكرة العابرة التى طرحها الكاتب السورى ، ومن ناحية أخرى: نكون قد أضفنا لجدول الضمائر فى النحو العربى ضميرا جديدا للمتكلم خاصا بحالة النصب ، ولا يجر الا اذا أضيف الى بعض الظروف أو حروف الجر ، الذى يحتم الجانب الصوتى اضافته اليها .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

د . السيد رزق الطويل

---

(١) ومن الضرورات قول رؤية العجاج .
عــددت قومى كعديد الطيس
اذ ذهب القوم الكرام ليس
ويقول ورقة بن نوفل :
فيــاليتى اذا ما كان ذاكم
ولجت وكنت أولهم ولوجــا
وقول الآخر : أيها السائل عنهم وعنى
لست من قيس ولا قيس منى

بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

للمستشار / السيد عبد العزيز هندي

١ ــ منذ أن شرح الله صدور المصريين لنور الاسلام وهداهم الى دينه الذى ارتضاه لهم بعد أن تم الفتح الاسلامى على يد عمرو بن العاص فى عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب فى السنة العشرين من الهجرة (سنة ٦٤١م) ــ فأقبلوا على الدخول فى الدين الحنيف زارفات ووحدانا حتى صار المسلمون فى هذا البلد الطيب هم الكثرة الغالبة .

منذ ذلك التاريخ والشريعة الاسلامية الغراء وحدها هى القانون المعمول به ــ والذى يحكم تصرفات الناس حكاما ومحكومين ــ بما اشتملت عليه من أحكام تشريعية ــ أجملها القرآن الكريم وأوضحتها السنة الغراء ــ ووفاها حقها من الشرح والبيان فقهاء أجلاء ــ لا يسع الباحث المنصف الا أن يشيد بعلمهم وسعة اطلاعهم ودقتهم .

٢ ــ وظل الحال على هذا المنوال ثلاثة عشر قرنا من الزمان ــ صمدت البلاد خلالها لكل غزو جاءها من الخارج ــ من هولاكو الى جنكيزخان الى الصليبين ــ ولم يفلح أحد من هؤلاء جميعا فى صرفها عن دينها والعمل بشريعة الله الغراء ــ معتصمة بحبل الله المتين ــ فكانت بذلك درع الأمان لنفسها ولمن حولها من بلاد الاسلام ــ وسواء أكان حكام البلاد عربا أم أعاجم فقد كان لها استقلالها وذاتيتها دائما فى كل الظروف ــ ومادام الحكم قائما

على شريعة الله — ومادام أساس الحكم هو أن الله فوق الخلق فيها وحده — والنـاس تحت لوائهـا أكفاء — فان الحاكم لا يعـدو أن يكون خادما للشعب على شريعـة الله ورسوله — وان أكرمكم عنـد الله أتقاكم — يطيعونه ما أطـاع الله فيهم — فاذا انسلخ من شريعة الله — فلا طاعة له عليهم — ومن ثم فقد انعقد لها لواء النصر على جميع أعدائها وانتصرت على التتار بقياده هولاكو الطاغية سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) الذى أسقط خـلافة العباسيين سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) وكانت الجيوش المسلمة يومئـذ بقيادة سيف الدين قطز الـذى خلد له التاريخ مع النصر فى موقعة « عين جالوت » صيحته المـدوية فى المعركة — « واسلاماه » وكان ذلك وقت صلاة الجمعة فى رمضان من تلك السنة — صيحة حق ردد مثيلتها أشبالنا بعدئذ فى العـاشر من رمضـان سـنة ١٣٩٣ هـ على أشلاء حصون بارليف حين هتفـوا « الله أكبر » فنصرهم اللـه .

ولا يفوتنا أن نذكر أن شـيخ الاسلام العز بن عبد السلام كان العون الاكبر لسيف الدين قطز فى الاعـداد للجهـاد فى معركة عين جالوت — ماديا ومعنويا .

كما لا يفوتنا أن نذكر أنه بعـد أن انتهت المعركة بالنصر المؤزر — سجد الملك المظفر لربـه وأطـال السجود ثم رفع رأسه والدمـوع تبلل لحيته — وبعـد أن سلم من صلاته اعتلى صهوة جواده وخطب فى جيشه قائلا :

« أيهـا المسـلمون — اياكم والزهو بمـا صـنعتم — ولكن اشكروا الله واخضـعوا لقـوته وجلاله — وما يدريكم لعل دعوات اخوانكم المسلمين على المنـابر فى السـاعة التى حملتم فيهـا على عدوكم من هذا اليـوم العظيم — يوم الجمعة — وفى هذا الشـهر العظيم — شهر رمضـان — كانت أمضى على عدوكم من السـيوف التى بها ضربتم والرماح التى بها طعنتم — والنبال التى بها رميتم — واعلمـوا أنكم لن تنتهـوا من

الجهاد — وانما بدأتموه حتى تقضوا حق الاسلام بطرد أعدائه من سائر البلاد — ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

٣— واذ كان ذلك فان دعوى الجاهلية العنصرية التى يرددها البعض بدون روية — سواء يدعوى العروبة أم بدعوى الفرعونية — هى ارتداد الى ما قبل الاسلام والمسيحية على حد سواء — بعد أن هداهم الله جميعا للايمان — بعد عبادة الاصنام والاوثان .

ومن قبل قال الفاروق عمر بن الخطاب : « ان الله أعزكم بالاسلام — فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله » .

وصدق الله العظيم « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » .

وقد التمس العز بغير الله حكام ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم وأموالهم وتعلقهم بأذيال الترف المستورد وقطعوا ما بينهم وبين الله — فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا — وقطع ما بينهم وبين الناس وكان ذلهم على يد من اعتزوا بهم — من أمثال الخديوى اسماعيل الذى أعرض عن شريعة الله وجلب للبلاد على يد وزيره نوبار — قوانين أجنبية تتعارض فى بعض نصوصها تعارضا جليا واضحا مع ما يجب أن يكون معلوما من احكام الدين بالضرورة كتغيير العقوبات المقررة شرعا للحدود واباحة الربا — التى تحرص الدولة حاليا على الغائها واستبدال غيرها بها — بما يتفق مع الشريعة الاسلامية الغراء .

٤ — ثم جاء القرن الرابع عشر الهجرى مواكبا لنهاية القرن التاسع عشر الميلادى وبداية القرن العشرين وفيه بدأ الصراع بين أئمة الفكر الاسلامى من أمثال جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده وبين غلاة المستعمرين فى الغرب ودعاتهم — الذين هالهم صمود المسلمين فى وجه الغزوات العسكرية الشرسة من التتار والمغول والصليبيين على حد سواء

ـ فاصطنع الغزاة أسلوبا ماكرا يتسم بالخبث والدهاء ـ لقد وجدوا أن تمسك المسلمين بدينهم وشريعتهم ـ يعصمهم من كل باغ عليهم ـ ومادام المسلم يحارب فى سبيل الله ـ فان له احدى الحسنيين ـ اما النصر واما الشهادة وبالتالى فان الجهاد يقربه الى الله ـ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ـ ومن ثم فقد وجه المستعمرون كل سهامهم الى هذا الحصن الحصين الذى يعتصم به المسلمون ـ وهو دينهم وشريعتهم ـ وبدلا من قذائف الحديد واللهب التى لم تجد نفعا ـ فقد استعملوا كل ما أوتوا من مكر وخديعة ليفتنوا المسلمين عن دينهم ان استطاعوا ـ ولبسوا مسوح الرهبان ولكنهم عملوا أعمال الشياطين .

٥ ـ فبينما يقول السيد المسيح عليه السلام : « وسمعتم أنه قيل ـ تحب قريبك وتبغض عدوك ـ أما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ـ باركوا لاعنيكم ـ أحسنوا الى مبغضيكم ـ وادعوا لمن يسىء اليكم ويطردكم .

بينما يقول السيد المسيح عليه السلام هذا الكلام لحوارييه ـ ـ اذا بالمبشر المعروف زويمر يقول لحوارييه الجدد : ان مهمتكم ليست هى ادخال المسلمين الى المسيحية ـ فان هذه هداية لهم وتكريما ـ كذا ـ وانما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وبالتالى فلا صلة تربطه بالاخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها ـ وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الاسلامية ـ وهذا ما قمتم به فى خلال الاعوام المائة السالفة خير قيام وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعا كل التهنئة .

٦ ـ وما من شك فى أن مرجع ذلك كامن فى اختلاف مفهوم الناس فى الشرق الروحى والغرب المادى للمسيحية الحقة فبينما المسيحية الحقه التى جاء بها المسيح عليه

السلام وارتضتها مصر بعد آن هداها الله ثلايمان وطرحت عبادة الاوثان — كانت تعبد الله الواحد الأحد — على النحو الذى جاء به المسيح عليه السلام . وعلى النحو الذى يحدثنا به القديس مرقص فى انجيله — من أنه بينما كان السيد المسيح جالسا مع تلاميذه وحوارييه يشرح لهم تعاليم الله — أتاه احد الناس يسأله : أية وصية هى أول الكل .... فأجاب يسوع : « ان أول كل الوصايا هى : اسمع يا اسرائيل . الرب الهنا ربواحد — وتحب الرب الهك من كل نفسك ومن كل فكرك — ومن كل قدرتك .. هذه هى الوصية الأولى » — ويستحسن الرجل قول المسيح — ويتيقن بذلك من صدق نبوته — فيرد عليه قائلا: جيدا يا معلم بالحق قلت — لأنه الله واحد وليس آخر سواه (انجيل مرقص — اصحاح ١٢/ ٢٩ ، ٣٠) — وقد وردت هذه الحادثة فى انجيل لوقا أيضا .

٧ — بينما كان هذا هو مفهوم المسيحية فى مصر — ومن ثم كانوا أقرب فهما للاسلام من كل من عداهم واقرب مودة للمسلمين — فانه على العكس من ذلك تماما كان مفهوم الغرب للمسيحية .

فما أن جاء القرن الرابع الميلادى وجاء معه عهد قسطنطين (توفى سنة ٣٣٧م) وبعد أن أصدر فى سنة ٣١٣ قانون التسامح مع المسيحية — ما لبث ان دعا الى موتمر نيقية سنة ٣٢٥ الذى حضره جلة العلماء المسيحيين من كل بقاع الارض ومعهم أسانيدهم التى يستندون عليها فى معتقداتهم .

وكان عدد الحاضرين ٢٠٤٨ — وقد اتضح من أول لحظة أن الجمهرة العظمى من المسيحيين تدين بالمسيحية الحقة . على النحو الذى سلف بيانه — وكان معهم من الاناجيل ما يعضد آراءهم ولكن حاشية الامبراطور — وهى أوربية — ولم تكن تعرف من المسيحية الا تلك المعلومات التى كانت سائدة فى أوربا والتى كانت من تراث

بولس — وقد رأت أن اتجاه أغلبيه الحاضرين يتعارض مع الاتجاه الرسمى ومع معلوماتهم عن المسيحية — فقد عدوا ذلك انحرافا واثاروا الامبراطور — الذى كان على عقيدة الحاشية — كما أثاروا بابا روما • فاصدر الامبراطور أمره باخراج الرؤساء الروحانيين الموحدين ونفى الكثير منهم — وقتل العالم المصرى آريوس الذى كان يتخذ التوحيد عقيدة له — وكان يقرر بأن الله وحده هو الاله الاصلى الواجب الوجود — أما من عداه — فانها كائنات من خلق الله — فحكم عليه بالكفر والهرطقة وتقرر قتله مع مشايعيه •

ثم أمر الامبراطور بعقد المؤتمر من جديد — فحضر الاعضاء الذين كانوا يعتنقون مذهب بولس أو الخائفون والمترددون وكان عددهم ٣١٨ واتخذ هؤلاء قرارا بألوهية المسيح وكان هذا أساسا للمعتقدات الاخرى التى قال بها بولس — كما اتخذ المؤتمر قرارات بتدمير كل الوثائق التى تخالف هذا الرأى وانزال العقوبات الشديدة بمن يخفى مثل تلك الوثائق •

وتبعا لذلك اختفت المسيحية الحقيقية من الغرب رويدا رويدا — وحلت المسيحية البوليسيه مكان المسيحية الحقة التى بشر بها عيسى عليه السلام •

٨ — وبهذا المفهوم الخاطىء للمسيحية حارب الغرب الاسلام كما حارب المسيحية الحقة من قبل — ذلك بأن أول ركن فى الاسلام هو التوحيد — ويقول الحق جل جلاله فى كتابه الكريم : « **شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم** » •

ولكن حرية الفكر فى الغرب تختفى لدى الاوربى — كما يقول جوستاف لوبون — عندما يمتد فكره الى مبحث العالم الاسلامى فالمفهوم المسيحى العميق الأثر فى النفس الاوربية يحول دون حرية

الرأى اذا كان موضوع البحث هو الاسلام .

مع أن الاسلام — كما يقول جاك أسترو ى — فى كتابه عن الاسلام والتطور الاقتصادى / أن الاسلام يتمتع بامكانات هائلة — واذا ما وجد الطريق الصحيح مفتوحا أمامه — فان كثيرا من الصعوبات الاقتصادية سوف يحلها هو وحده — وهو أقدر على ذلك من غيره من مذاهب الاقتصاد الشرقية والغربية .

٩ — ومن ثم كان الغزو الفكرى وتغريب المسلمين — وصرفهم عن دينهم واستبعاد الدين من حياتهم وتفكيرهم واصطناع مفهوم خاطىء لدى ضعاف النفوس مؤداه أن الدين هو سبب التخلف الذى يعانون منه وقد كان هذا الاسقاط أيسر تقبلا لدى النفوس الضعيفة — من أن ينسبوا التقصير الى أنفسهم فيصلحوا من شأنها ليصلح حالهم .

١٠ — كما كان هذا المفهوم الخاطىء ذريعة للخديوى اسماعيل — الذى أراد أن يجعل مصر قطعة من أوربا — ليعهد الى وزيره نوبار باستيراد قوانين ومفاهيم أوربية للمجتمع المصرى المسلم تخالف مفاهيم هذا المجتمع المسلم — كما أغرق البلاد بديون ربوية فاحشة ليغطى اسرافه وسفهه وترفه الذى أوقع البلاد فى قبضة الاستعمار المالى وانتهى بها الى الخراب الخلقى والاستعمار السياسى وحق عليها قول ربها (١) — فكانت عاقبة أمرها أن طرد الخديوى اسماعيل من العرش المذهب الذى تربع عليه ، وخلف من بعده خلف أضاعوا استقلال البلاد وغزتها جيوش الاحتلال الانجليزى على يد الخديوى توفيق وهكذا ضاعت البلاد بعد أن

---

(١) يشير الكاتب الى قوله تعالى « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » سورة الاسراء .

أغفلت العمل بشريعة الله •

١١ — وقد واكب هذا الاستعمار العسكرى والسياسى — موجه من الالحاد • اصبحت سمة العصر بدعوى التحرر الفكرى — والانفلات من المعايير الخلقية تحت راية العلمانية والتحررية وغفلوا عن أن هذه الاباحية لم تكن الا رجعة للهمجية — والى جاهلية ما قبل الرسالات •

وجاءت الشيوعية — بمذاهبها المختلفة — على رأس هذه الموبقات فحاولت جاهدة أن تفصم هذه العروة الوثقى التى تربط الناس برب الناس — وأن تحطم هذه الوشائج الانسانية التى تربط الناس بعضهم ببعض وفقا لشريعة الله — ولكنها باءت فى هذا البلد الأمين بالخسران المبين — ولم تخدع هذه الحرية المزعومة أحدا من الناس •

وما أصدق وصف الشاعر عزيز أباظه لهذه الحرية المخادعة حين قال :

حرية النـاس كم من بـاغ أذلك باسمك
يطغى ويزعم أن الطغيان كافل دعمك

وقد دأب الاستعمار خلال هذه الحقبة المظلمة على تفتيت الروابط التى تربط المسلمين كافة بعضهم ببعض — تطبيقا لمبدئه « فرق تسد » — وأصبح المسلمون بأسهم بينهم شديد — بدلا من أن يعملوا بهدى الله الذى يصفهم بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم •

وهكذا رفع المسلم السلاح — بتحريض من الاستعمار الغربى — فى وجه أخيه المسلم حينما مناهم الاستعمار بالملك الاقليمى القبلى ثم خدعهم جميعا بعد أن استنفد أغراضه عقب الحرب العالمية الأولى التى مهدت للنفوذ الغربى •

كما رفع المسلم السلاح بتحريض من النفوذ الشيوعى — فى وجه أخيه المسلم فى حرب اليمن — التى مهدت لاستفحال النفوذ الشيوعى • وأخيرا وقع الصدام

الأليم المؤسف بين دولتين اسلاميتين هما العراق وايران •

١٢ — ولكن هذا الظلام الدامس — كان مقدمة لفجر مشرق جديد — وقديما قالوا — اذا جاء الشتاء فما اسرع ما يجىء الربيع — فبعد ان نسى الناس الله فانساهم انفسهم — رجعوا الى الله والى شريعة الله يدرسونها ويبصرون الناس بأحكامها وما فيها من صلاح للناس فى دنياهم واخرتهم وقام أساتذة أجلاء بتجلية شريعة الله بعد استخراج كنوزها من بطون الكتب الفقهية الاسلامية وقامت نهضة تشريعية تستمد أصولها من شريعة الله — فى مصر وشتى البلاد الاسلامية الاخرى وشهد النصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى علماء أجلاء فى الشريعة الاسلامية أمثال المشايخ — احمد ابراهيم ، وعبد الوهاب خلاف ، ومحمد أبو زهرة — كما كان الاستاذ الدكتور عبد الرازق السنهورى رائدا للفقه الاسلامى المقارن وكذلك الأستاذ عبد القادر عودة والأساتذة أحمد أمين ، وعباس العقاد روادا للفكر الاسلامى الحديث •

١٣ — كما قام الازهر الشريف ووزارة العدل بمصر بتكوين لجان عده لتقنين الشريعة الاسلامية وتعديل القوانين الوضعية القائمة على نحو يطابق الشريعة الاسلامية أولا يتعارض مع أصولها المعروفة من الدين بالضرورة — وقد قامت هذه اللجان بوضع عدة مشروعات لتحقيق هذا الهدف الحيوى النبيل قدمت بعضها للجهات الدستورية المختصة باصدارها — وهى بسبيلها لاتمام مهمتها بفضل الله وتوفيقه — كما أصدرت المحاكم عدة أحكام تقضى بأن أى حكم يخالف الاحكام المقررة فى الشريعة الغراء هو حكم باطل لا اعتداد به حتى بالنسبة لمن أصدره •

١٤ — وهكذا اتجه الناس الى الله يسألونه الهداية والتوفيق للعمل بشريعته — وكانت فاتحة ثمار توفيق الله — ان عجل لهم

بنصر العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ ـ وكف أيدى الناس عنهم ووعدهم مغانم كثيرة يأخذونها ما داموا قائمين على شريعته ـ وصدق الله العظيم اذ يقول « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ـ وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** » وحمدا لله فبعد أن استيأس الناس من النصر فى مطلع القرن الهجرى الرابع عشر ـ أشرقت الارض بنور ربها فى ختام هذا القرن وفى مستهل القرن الخامس عشر ـ والله نسأل أن يوفقنا بفضله للعمل بشريعته على الدوام •

١٥ ـ وبعد : ـ

فقد قادت الشريعة الاسلامية البشرية جمعاء الى آفاق وضاءة من العلم والنور ـ وكانت أول آية نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى « **اقرأ باسم ربك الذى خلق** » كما ورد فى القرآن قوله تعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم : « **وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا** » ووصفه سبحانه بقوله : « **وانك لعلى خلق عظيم** »

وكان المجتمع الاسلامى ـ حينما طبقت شريعة الله ـ مجتمعا مثاليا وواقعيا معا ـ أصلح أحوال الناس وقادهم الى الخير والبر والنصر ـ فماذا كسبت البشرية من تنحية الشريعة الاسلامية عن قيادتها ؟

وماذا كسب المتآمرون على الاسلام من افساد المسلمين وفتنتهم عن دينهم ـ والتآمر عليهم ؟ لا شىء على الاطلاق الا الدمار والبوار للبشرية جمعاء •

ومن ثم :

ألم يأن بعد أن يتحد المؤمنون بشريعة الله من كافة الاديان وفى جميع الاوطان ـ ليقفوا صفا واحدا ضد الالحاد والشيوعية التى تكاد تلتهمهم جميعا •

ولعل فى مأساة أفغانستان نذيرا وبشيرا ٠

نذيرا بأن من تنكر لله الخالق وجحد فضله ـ جدير بأن يتنكر لكل القيم العليا التى تربط الناس فى علاقاتهم مع الله ومع الناس ـ وبشيرا بأن اتحاد الموحدين ـ من كافة الديانات ـ هو السبيل الأوحد لوقف هذا المد الشيوعى القادم ـ والالحاد الذى لا يبقى ولا يذر ٠

والله نسأل أن يهدينا جميعا بفضله الى ما يحبه ويرضاه ٠

المستشار
السيد عبد العزيز هندى

« أتعبت الخلفاء من بعدك »

رأى على بن أبى طالب ، عمر بن الخطاب يعدو الى ظاهر المدينة ، فقال له : الى أين يا أمير المؤمنين ؟ قال : قد شرد بعير من ابل الصدقة ، فأنا وراءه أطلبه !! فقال على : أتعبت الخلفاء من بعدك !! وهكذا كان حرصهم على مال الله ، وحق الفقراء والمساكين ٠

القرآن الكريم والكلمات الأعجمية

للدكتور / عبد الباسط بلبول

القرآن الكريم هدية الله للعالمين ، وهدايته للناس أجمعين ، جاء ليصحح العقائد ، وينشر بين الناس شريعة الاسلام السمحة ، ويدعو الى العبادات التى تزكى النفوس ، ويرشد الى الأخلاق الفاضلة ، التى تدفع الى المحبة ، وتربى الأرواح على الرغبة فى الحق ، وصدق الله العظيم اذ يقول : **« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » المائدة من الآية ١٤، ١٥ .**

وقد تكفل الله بحفظ كتابه من عبث العابثين ، وأكد ذلك الحفظ بقوله : **« انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون »** . الحجر الآية ٩

وقد نزل القرآن باللسان العربى ، فحروف القرآن عربية ، وكلماته عربية ، وروعته جاءت من أسلوبه الذى بلغ الذروة فى الاعجاز ، وفى منهجه الذى أعجز الخلق جميعا عن الأتيان بمثله .

والقرآن يحرص على وصفه بأنه عربى فى أكثر من آية ، ففى صدر سورة يوسف نقرأ قوله تعالى: **« آلر تلك آيات الكتاب المبين ، انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون »** . وذلك نص صريح يفيد أن القرآن كله ومنه سورة يوسف قد نزل بألفاظ عربية ، ليتمكن الناس من فهمه ، ويعقلوه لينتفعوا به .

وفى سورة الزمر يقول سبحانه: **« قرآنا عربيا غير ذى عوج ، لعلهم يتقون »** ومعنى قوله **« غير ذى عوج »** أى هو برىء من التناقض والاختلاف .

وفى سورة فصلت ينفى الله عن القرآن أنه أعجمى يقول عز وجل : **« ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ، أأعجمى وعربى »** .

والمقصود أن القرآن لو نزل بلغة العجم لقال الملحدون من أهل قريش أقرآن أعجمى ، والمنزل عليه عربى ؟ تعجب منهم .

وفى صدر سورة الزخرف يقسم الله بأن القرآن نزل بلغة العرب يقول سبحانه ، **« حم والكتاب المبين ، انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم »** . فقوله **« والكتاب المبين »** قسم ، والمقسم عليه قوله « **انا جعلناه قرآنا عربيا** ». والمراد بالكتاب القرآن، وعلى ذلك يكون المعنى :

والقرآن المبين ، انا جعلنا القرآن عربيا .

فالله يقسم بالقرآن ، على أن القرآن عربى .

وكلمة « عربيا » تفيد صراحة ، أن القرآن نزل بلغة العرب ، ولم ينزل بلغة غير لغتهم ، وهو يدل على معانى الألفاظ الذى اصطلح عليها علماء هذه اللغة ، ودلالة هذه الألفاظ ، لا تدل الا على المعانى التى اتفقوا عليها .

ولو كان القرآن غير عربى ، لما تحدى الله به العرب ، اذ كيف يتحداهم بما ليس من جنس كلامهم ، وكان لهم أن يقولوا عند التحدى كيف يتحدانا القرآن بكلام لا نعرفه ؟

ولهذا فان من يزعم أن فى القرآن كلاما غير عربى طالبناه بالدليل العقلى والنصى يقول الفخر الرازى ، وهو يرد على من يزعم ذلك : « وهذا مذهب فاسد ، والذى يدل على فساد هذا المذهب، قوله تعالى : **« قرآنا عربيا »** وقوله « **وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه** » والوصف بأنه عربى جاء فى معرض المدح والتعظيم .

والقرآن يشير بذلك الى أن لغة العرب هى أفضل اللغات . ويضيف الفخر الرازى فى تفسيره « مفاتيح الغيب » ماخلاصته : الكلام مركب من كلمات ، والكلمات مركبة من حروف ، وحروف اللغة العربية ظاهرة المخارج ، بينة المقاطع ، ولا يشتبه شىء منها بالآخر ، وذلك بخلاف الحروف المستعملة فى سائر اللغات ، فقد يشتبه شىء منها بغيره ، فى النطق ، وذلك يخل بكمال الفصاحة .

هذا من حيث مادة الكلمة ، وكذلك من حيث الحركات ، فالحركات المستعملة فى سائر لغة العرب حركات ظاهرة ، بينة تمام البيان ، وهى النصب والرفع والجر ، وكل يتميز عن الآخر تمام التباين ، وذلك مما يوجب فصاحة الكلمة ..

هذا وفى القرآن الكريم من سائر لغات قبائل العرب .

فمن قبيلة كنانة : يعزب بمعنى يغيب فى قوله تعالى : « **وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة** » ، ولا خلاق بمعنى لا نصيب فى قوله سبحانه « **أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة** » والخراصون أى الكذابون فى قوله عز وجل ، قتل الخراصون ، وأقتت بمعنى جمعت فى قوله سبحانه « **واذا الرسل أقتت** » ، وكنود أى كفور للنعم فى قوله عز وجل : « **ان الانسان لربه لكنود** » .

ومن قبيلة هوازن . ييأس بمعنى يعلم فى قوله عز وجل « **أفلم ييأس الذين آمنوا** » . ومن بنى عبس لا يلتكم بمعنى لا ينقصكم ، فى قوله تعالى « **وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا** » ، ومن قبيلة هذيل الرجز بمعنى العذاب فى قوله عز وجل « **فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء** » . وعيلة بمعنى فاقة فى قوله سبحانه : « **وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء** » ودسر بمعنى المسامير فى قوله عز وجل « **وحملناه على ذات ألواح ودسر** » وملتحدا بمعنى ملجأ فى قوله سبحانه « **ولن تجد من دونه ملتحدا** » ، ووليجة

بمعنى بطانة فى قوله سبحانه « **ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة** » ومن قبيلة حمير زيلنا بمعنى ميزنا فى قوله « **ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم** » وينغضون بمعنى يحركون فى قوله سبحانه « **فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة ، فسينغضون اليك رءوسهم** » ، ويتركم بمعنى ينقصكم فى قوله سبحانه : « **والله معكم وان يتركم أعمالكم** » ومدينين بمعنى محاسبين فى قوله سبحانه « **فلولا ان كنتم غير مدينين** » .

ومن قبيلة جرهم كدأب بمعنى أشباه فى قوله تعالى « **كدأب آل فرعون** » وتعولوا بمعنى تميلوا فى قوله سبحانه « **ذلك أدنى ألا تعولوا** » وشرد بمعنى نكل فى قوله تعالى : « **فشرد بهم من خلفهم** » وريع بمعنى طريق فى قوله تعالى « **أتبنون بكل ريع آية تعبثون** » وحدب بمعنى جانب فى قوله سبحانه « **حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون** » .

ومن أزد شنوءة العضل بمعنى الحبس « **ولا تعضلوهن** » والرس البئر « **وأصحاب الرس وثمود** » وغسلين الحار الذى تناهى حره ، فى قوله تعالى : « **فليس له اليوم ههنا حميم ، ولا طعام الا من غسلين** » ومن قبيلة مدحج الخرطوم أ الأنف فى قوله تعالى « **سنسمه على الخرطوم** » وحقبا بمعنى دهرا فى قوله سبحانه « **لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا** » ومن قبيلة خثعم هلوعا بمعنى ضجورا فى قوله سبحانه « **ان الانسان خلق هلوعا** » وشططا بمعنى كذبا فى قوله سبحانه « **وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا** » .

ومن قيس غيلان نحلة بمعنى فريضة ، فى قوله سبحانه « **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** » وحرج بمعنى ضيق ، فى قوله سبحانه « **كتاب أنزلناه اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه** » وصياصيهم بمعنى حصونهم فى قوله سبحانه « **وأخرج الذين ظاهروهم من**

أهل الكتاب من صياصيهم » ومن قبيلة كنده فجاجا بمعنى طرقـا فى سبحانه « **لتسلكوا منها سبلا فجاجا»** وبست بمعنى فتت فى قوله سبحانه « **وبست الجبال بسا »** ومن قبيلة حضر موت منسأته بمعنى عصاه فى قوله سبحانه « **مادلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته »** ولغوب بمعنى اعياء « **ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب »** .

الى غير ذلك من كلمات القبائل العربية ، وما أكثرها .

ولهذا .

فان جمهور العلماء ومنهم الشافعى والطبرى قالوا : ان غير العربى لم يقع فى القرآن ودليهم « **قرآنا عربيا »** ، « **وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه »** ، وما ورد عن ابن عباس وغيره ، من تفسير ألفاظ بالفارسية أو الحبشية، أو النبطية وغيرها ، فمرادهم بذلك ، أن العرب كانت لهم تجارات ، ورحلات ، وأسفار الى هذه البلاد واختلاط بأهلها ، فأخذوا عنهم، ألفاظا تداولوها فيما بينهم ، وارتضوها ونطقوا بها فى أشعارهم ، ومحاوراتهم وأطلق عليها الألفاظ المعربة .

وممن اختلط بهم العرب بلاد فارس ، ومن الكلمات التى أخذوها عنهم كلمة استبرق فى قوله سبحانه « **متكئين على فرش ، بطائنها من أستبرق »** وهو ما غلظ من الديباج وخشن ، وثياب الحرير عرفها العرب من بلاد فارس ، ولم يكن لهم معرفة بها من قبل ، كما اختلطوا ببلاد الحبشة ومن الكلمات التى أخذوها عنهم وعربوها كلمة مشكاة فى قوله سبحانه « **مثل نوره كمشكاة »** والمشكاة هى الكوة فى الحائط غير النافذة ، وكلمة قسورة بمعنى الأسد ، فى قوله سبحانه « **فرت من قسورة »** وكلمة كفلين أى ضعفين فى قوله سبحانه « **يؤتكم كفلين من رحمته »** .

كما اختلطوا ببلاد الروم ، ومن الكلمات التى عربوها عنهم كلمة

قسطاس فى قوله سبحانه « وزنوا **بالقسطاس المستقيم** » والمراد به الميزان — كما كان لهم اختلاط بأهل اليمن ، ومما عربوه عنهم كلمة سامدون ، وقد سئل ابن عباس عنها فقال المراد بها الغناء وهى يمنية ، وقد ذكرت فى قوله سبحانه « **أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ، ولا تبكون ، وأنتم سامدون** » وقد قال عكرمة عن الكلمة انها حميرية وهذا يؤكد أنها يمنية الأصل ، ثم استعملتها هذه القبيلة فصارت عربية .

ومن الكلمات اليمنية كلمة لا وزر بمعنى لا حيلة ، فى قوله سبحانه « **كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر** » .

كما اختلط العرب بأهل عمان ، وهم يسمون العنب خمرا ، وارتضى العرب ذلك وعليه نزل قوله سبحانه « **انى أرانى أعصر خمرا** » وكلمة بورا بمعنى هلكى ، فى قوله سبحانه « **وكنتم قوما بورا** » . وممن اختلطوا بهم بلاد الهند وعندهم أبلع بمعنى اشرب ، وارتضى العرب ذلك ، ومنه قوله تعالى « **وقيل يا أرض ابلعى ماءك** » كما اختلطوا ببلاد المغرب ، وعندهم اناه بمعنى نضجه ، وعليه نزل قوله سبحانه « **يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى ، الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه** » .

هذا .

ويجب العلم أن الكلمة القرآنية ، متمكنة غاية التمكن فى الجملة ، ولو اجتمعت الدنيا على تبديل كلمة بأخرى ، أو زيادة كلمة ، أو حذف كلمة لاختل المعنى ، وفقدت الكلمة فصاحتها ، وفقد الأسلوب بلاغته .

وخلاصة هذا الكلام ، أن القرآن عربى ، وان وجدت فيه كلمات أصلها غير عربى ، ذلك أنها بالاستعمال والتداول ، صارت عربية .

وقد حكى أبو عبيد القاسم بن سلام خلافا فى هذه الألفاظ ثم قال:

والصواب عندى مذهب فيــه تصديق القولين ، وذلك أن هــذه الأحرف أصولها أعجمية ، كما قال الفقهاء ، الا أنها ســـقطت الى العرب ، فعربتها بألسنتها وحولتها، عن ألفــاظ العجم ، الى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن ، وقد اختلطت هذه الحروف ، بكلام العرب ، فمن قال انها عربية فهــو صادق ومن قال أعجميــة فهــو صادق قال ابن فــارس : القــول ما قاله أبو عبيد (١) ٠

دكتور

عبد الباسط بابول

---

(١) انظر الاتقان للسيوطى جـ ١ ص ١٣٧ ومابعدها ٠ الطبعة الثانية ٠ الازهرية ٠

الإخاء الإسلامى

للأستاذ / أحمد عبد الرحيم السايح

الاخاء الاسلامى .. هو الأصل الأصيل فى بناء دولة الاسلام ، وقيام الأمة الاسلامية .. ولقد كان العرب – قبل الاسلام – والناس معهم على شفا حفرة من النار . متشاكسون ، متنافرون ، متحاربون . سنين طويلة ، من أجل ناقة . فنزلت الآيات .. قيل لهم : تحابوا . قيل لهم :

تآخوا . فتآخوا .. ثم قيل لهم : انفروا . فهبوا خفافا وثقالا .. تنزلت الآيات .. فقالوا : سمعنا وأطعنا . ومؤمنو مكة ، على اختلاف قبائلهم ما عرفنا لهم اسما فى التاريخ الا المهاجرين ومؤمنو المدينة على اختلاف قبائلهم ما عرفنا لهم أسما فى التاريخ الا الانصار فاذا بالفرقاء والمتشاكسون دولة » (١)

والاسلام لم يكتف باطلاق اسم المهاجرين ، على المؤمنين من أهل مكة الذين هاجروا الى المدينة .. ولم يكتف أيضا باطلاق اسم الأنصار على قبيلتى الأوس والخزرج ، أبناء قيلة .. مع أن اطلاق اسم الانصار والمهاجرين كافيا لاعطاء العمق الاسلامى الأصيل .

لم يكتف الاسلام بهذا . ولذا نجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يبدأ فى البناء الأخوى الكامل ، ليقيم دولة الاسلام ، على أساس سليم .

---

(١) مجلة البحوث الاسلامية . العدد الأول . ص ١٦ .. الرياض .

قال ابن اسحاق : « وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين أصحابه من المهاجرين والانصار » فقال فيما بلغنا : « تآخوا فى الله أخوين أخوين » (١) .

قال تعالى « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (٢) .

لقد بلغ المسلمون الأوائل فى الايثار — بكل ماتشمله كلمة ايثار من معنى ومفهوم ومدلولى — بلغوا درجة عليا ، ومكانة عظمى . بما وقر فى قلوبهم من ايمان ، وبما أشرق فى نفوسهم من يقين .

ان قوة الايمان بالله ، والتصديق برسوله صلى الله عليه وسلم ، تجعل النفس الانسانية ، تشرق بالكثير من صفات الخير ، وتتخلق بالآداب والفضائل العظيمة ..

ولقد صنع ذلك الايمان وهذا التصديق ، جماعة اصطبغ سلوكهم بالشمائل الجليلة .. فكانوا يؤثرون اخوانهم بأموالهم ، وديارهم ، على أنفسهم ، ويتنازلون عن قسمهم فى الغنائم من أجلهم ، ويقدمون حاجة اخوانهم على حاجتهم ، حيالهم ، ورغبة فى اخوتهم (٣) .

والايثار فى الاسلام هو : تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فى الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين . وتوكيد المحبة ، والصبر على المشقة ، يقال : أثرته بكذا أى خصصته به وفضلته (٤) .

والذين سكنوا المدينة ، وأشربت قلوبهم حب الايمان ، من قبل هجرة أولئك المهاجرين .. لهم

---

(١) سيرة النبى . لابن هشام . الجزء الثانى ص ٣٥١ .
(٢) سورة الحشر . آية رقم ٩ .
(٣) الدين والحياة ع ١١٩ ص ٦ . وزارة الأوقاف المصرية .
(٤) تفسير القرآن . للامام القرطبى ج ١٨ ص ٢٤ .

صفات كريمة وشيم جليلة ، تدل على كرم النفس ونبل الطباع (١) ولذا كانوا يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ، ويبدءون بالناس قبلهم . وفى حال احتياجهم الى ذلك .. وهؤلاء تصدقوا وهم يحبون ماتصدقوا به ، وهؤلاء أثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم الى ما أنفقوه (٢) .

وجاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر : أبا دجانة سماك بن خرشة ، وسهل ابن حنيف ، والحارث بن الصمة . وقال لهم : « ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم ، وشاركتموهم فى هذه الغنيمة . وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة » .

فقالت الأنصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها (٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار : « ان اخوانكم قد تركوا الأموال والاولاد وخرجوا اليكم » ..

فقالوا : أموالنا بيننا قطائع .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو غير ذلك ؟ قالوا : وما ذاك يارسول الله ؟ .

قال : « هم قوم لايعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم التمر » . فقالوا : نعم يارسول الله .. (٤) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قالت الأنصار للرسول صلى الله عليه وسلم : أقسم بيننا وبين اخواننا النخيل . فقال الرسول : لا . فقالوا : المهاجرون ــ أتكفوننا

---

(١) تفسير القرآن للامام المراغى ج ٢٨ ص ٤٣ .
(٢) تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . ج ٤ ص ٣٢٨ بتصرف .
(٣) الكشاف . للزمخشرى . ج ٤ ص ٨٤ .
(٤) تفسير القرآن العظيم . لابن كثير ج ص ٣٢٨ . رواه عبد الرحمن ابن زيد بن اسلم .

المؤنة ونشرككم فى الثمرة ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا » (١) .

نعم .. ان الايمان الصادق اذا صادف قلوبا ، هيئت له ، تمكن فيها ونما وترعرع ، وأشرقت أثاره على من حولها ، وسعى أصحاب هذه القلوب المؤمنة ، فى بذل ما يرضى من حولهم من المسلمين .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خيرة من تمسك بفضيلة الايثار حرصا على اخوة الاسلام ، وتوادد فى ظلال الايمان .. قال تعالى : « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** » (٢) .

وقال تعالى : « **والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم** » (٣) .

والمؤاخاة فى الناس ، قد تكون على وجهين (٤) ..

أحدهما : أخوة مكتسبة بالاتفاق الجارى مجرى الاضطرار ..

والثانية : أخوة مكتسبة بالقصد والاختيار ..

فأما المكتسبة بالاتفاق .. فهى أوكد حالا ، لأنها تنعقد عن أسباب تعود اليها .. والمكتسبة بالقصد ، تعقد لها أسباب ، تنقاد اليها ، وما كان جاريا بالطبع ، فهو ألزم مما هو حادث بالقصد ..

أما المكتسبة بالاتفاق ، فله أسباب : ماهوى الا له سبب .. يبتدى منه وينشعب ..

وأول أسباب الاخاء : التجانس فى حال يجتمعان فيها ، ويأتلفان بها . ان قوى التجانس ، قوى الائتلاف به ، وان ضعف كان ضعيفا ، مالم تحدث عليه علة أخرى ، يقوى بها الائتلاف .

وانما كان كذلك ، لأن الائتلاف بالتشاكل ، والتشاكل بالتجانس ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٣٣٧ ، والحديث رواه البخارى .

(٢) سورة الفتح . آية رقم ٢٩ .

(٣) سورة الانفال آية رقم ٨٥ .

(٤) أدب الدنيا للماوردى ص ١٤٠ ط ١٧ المطبعة الاميرية ١٣٤٦ هـ .

فاذا عدم التجانس من وجه انتفى التشاكل من كل وجه ، ومع انتفاء التشاكل يعدم الائتلاف •• فثبت ان التجانس وان تنوع أصل الاخاء • وقاعدة الائتلاف •

وقد روى يحى بن سعد عن عمر ، عن عائشة رضى الله عنها ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف ، وما تناكر منها اختلف » فالأرواح بالتجانس متعارفة ، وبفقده متناكرة • قال الشاعر :

فلا تحتقر نفسى وأنت خليها
فكل امرىء يصبو الىمن يشاكل

وقال آخر :

فقلت أخى • قالوا : أخ من قرابة
فقلت لهم : ان الشكوك أقارب
نسيبى فى رأيى وعزمى وهمتى
وان فرقتنا فى الأصول المناسب

ثم يحدث بالتجانس • المواصلة بين المتجانسين • وهى المرتبة الثانية من مراتب الاخاء • وسبب المواصلة بينهما وجود الاتفاق بينهما ، فصارت المواصلة نتيجة التجانس •• والسبب فيه وجود الاتفاق • لأن عدم الاتفاق منفر • وقد قال الشاعر :

الناس ان وافقتهم عذبوا
أولا فان جناهم مر
كم من رياض لا أنيس بها
تركت لأن طريقها وعر

ثم يحدث عن المواصلة رتبة ثالثة وهى المؤانسة ، وسببها : الانبساط •

ثم يحدث عن المؤانسة رتبة رابعة وهى المصافاة ، وسببها : خلوص النية •• ورتبة خامسة •• وهى المودة وسببها الثقة • وهذه الرتبة هى أدنى الكمال ، فى أحوال الاخاء ، وما قبلها أسباب تعود عليها ، فان اقترن بها المعاضدة •• فهى الصداقة ، ثم يحدث عن المودة رتبة سادسة ، وهى المحبة ، وسببها : الاستحسان ، فان كان — الاستحسان لفضائل النفس ، حدثت رتبة سابعة ، وهى الاعظم • وان كان الاستحسان للصورة والحركات حدثت رتبة ثامنة ، وهى العشق ، وسببه : الطمع ، وقد قال المأمون رحمه الله تعالى •

أول العشق مزاح وولع

ثم يزداد اذا زاد الطمــــع
كل من يهوى وان عــالت بــه

رتبـــة الملك لمــن يهــوى تبع

وهذه الرتبة آخــــر الترتب المعدودة . وليس لما جاوزها رتبة مقدرة ، ولا حالة محدودة ، لانها قد تؤدى الى ممازجة النفــوس ، وان تميزت ذواتها . وتفضى الى مخالطة الأرواح ، وان تفــارقت أجسادها .. وهذه حالة لا يمكن حصر غايتها ، ولا الوقوف عنــــد نهايتها .. وقد قال الكنـــــدى : الصديق انسان هو أنت الا أنــه غيرك ..

ومثل هذا المروى عن أبى بكــر الصديق رضى الله عنـــــه ، حين أقطع طلحة بن عبيد الله أرضــا ، وكتب له بها كتابا ، وأشهد فيــه ناسا ، منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأتى طلحة بكتابه الى عمر ليختمه ، فامتنع عليه عمـــر .. فرجع طلحة مغضبا الى أبى بكــر رضى الله عنه ، وقال : والله مــا أدرى أنت الخليفة أم عمر ؟ فقال: بل عمر لكنه أنا (١) ..

وأما المؤاخاة المكتسبة بالقصد .. فلا بد لها من داع يدعو اليها، وباعث يبعث عليها .. وقد يكون الداعى لها من وجهين : رغبـــــة ، وفاقة .. فأما الرغبـــة : فهى أن يظهر من الانسان فضائل تبعــث على اخائه ، ويتوسم بجميل يدعو الى اصــطفائه .. وأما الفــاقة : فهى أن يفتقر الانسان لوحشــــة انفراده ، ومهانة وحـــدته ، الى اصطفاء مــن يأنس بمــؤاخاته ، ويثق بنصرته وموالاته (٢) .

وأعز ما تملكه الجمــــاعات .. الاخاء فهو الرصـــيد الثابت ، والقاعدة الصلبة والمرتكز الصاعد.

والأخوة فى الاسلام ، قاعــدة الحياة ولا حياة بدون اخــــاء ، واخوان .. والأخوة فى الاســـلام فوق كل الحواجز الجنســـية ، والعرقية ، والقومية ، والحزبية ، والسياسية .. وهى فى الاســـلام

---

(١) ادب الدنيا والدين ص ١٤٣ .
(٢) المصدر نفسه . بتصرف ص ١٤٢ .

تقوم على أصول أصيلة ، وقواعد متينة ..

ومن ذلك وحدة الأصل الانسانى فالناس جميعا على اختلاف أجناسهم ، وتمايز ألوانهم ، وتباعد أقطارهم .. يرجعون الى أب واحد ، وأصل واحد ولطالما ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة وبينها فى أساليب شتى ، وآيات متعددة لكى تكون دائما موضع الاعتبار ، والرعاية .

قال تعالى : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** » (١) .

فهذه الآية العظيمة ــ كما ترى ــ تقرر أصلا من أصول الاسلام ، وهو المساواة بين الناس .. ولقد قررت هذه الآية ، مبدأ ضخما من المبادىء الانسانية السامية .. فهى من معجزات هذا القرآن العظيم الذى أنزله الله ضياء للناس ونورا ، يهتدون به وبرهانا ساطعا ينير السبل أمامهم (٢) ..

وكان العالم قبل انبثاق نور الاسلام . يموج فى الظلم ، ويضطرب فى الفساد ، وتسوده الهمجية ، والعصبية الجاهلية ، وتخيم عليه ضلالات العصور القديمة ، وقد نشر الرعب أجنحته على الدنيا وزاد الفساد ، وتفاخر بالأنساب ، وعاشوا تحت ظل نظام الطبقات ..

فى هذه الظلمة الداكنة ، ينبثق فجر الاسلام ، فتبدد أنواره ، تلك الغيوم السوداء .. وتنزل هذه الآية الكريمة ، لتقرر مبدأ انسانيا عظيما .. وهو اعلان المساواة بين البشر ، كل البشر (٣) ..

ويهتم القرآن الكريم بالانسانية والبشرية ، اهتماما يفوق حد الوصف . وهذه كلمة « الناس » يتكرر استعمالها فى أساليب القرآن الكريم نحوا من مائة وأربعين مرة

---

(١) سورة الحجرات . آية رقم ١٣ .
(٢) نظرات فى سورة الحجرات . للشيخ محمد محمود الصواف . ص ١٤٧ طبع مؤسسة الرسالة .
(٣) المصدر السابق ص ١٤٨ .

•• كثير منها جاء خطابا للبشر عموما ، وكثير منها ورد دالا على الجنس البشرى ••

وهذه أيضا كلمة « الانسان » تستعمل فى آيات القرآن الكريم ، فى أكثر من ثمانين موضع •• فى اساليب متنوعة ، عائدة بالمفكر والعاقل ، الى أصل الانسان ، ولا شك أن ـ استعمال « الناس » و « الانسان » بهذا الاهتمام يخلق فى المسلم انسانية ، تعجز عن الوصول اليها أساليب رجال التربية الحديثة ، أمثال : جان جاك روسو ، وهربارت سبنسر ، وجون ديوى ، ووليم جيمز •• وغيرهم من فلاسفة التربية ، حتى كلمة البشر الدالة على الجنس الانسانى الواحد ، تستعمل فى القرآن الكريم ، فى أكثر من خمس وثلاثين آية • وهكذا يهتم القرآن الكريم، بكل ما من شأنه أن يوقظ فى الناس أحاسيس الانسانية ، ويربى الخلق الانسانى •• والاسلام جاء ليقيم بين البشر رابطة الانسانية القائمة على ارتباط البشر جميعا بالله خالق الأرض والسموات ••

« وفى انشاء جميع البشر من نفس واحدة ، آيات بينات على قدرة الله وعلمه وحكمته ووحدانيته •• وفى التذكير بذلك ايماء الى مايجب من شكر نعمته وارشاد الى ما يجب من التعاون والتعارف بين البشر ، وأن يكون هذا التفرق الى شعوب وقبائل مدعاة الى التأليف • لا الى التعادى والتقاتل وبث روح العداوة والبغضاء بين الناس »(١)

وعن أبى مالك الاشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ان الله لا ينظر الى أحسابكم ، ولا الى انسابكم ، ولا الى أجسامكم ولا الى أموالكم • ولكن ينظر الى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه وانما أنتم بنو آدم وأحبكم اليه أتقاكم** » (٢) •

والمسلمون هم أحق الناس بالحفاظ على الأخوة ، وأجدر

---

(١) تفسير الشيخ المراغى • الجزء السابع ص ٢٠١ •
(٢) التاج الجامع للاصول • الجزء الاول ص ٦١ •

الناس باتباع هدى القرآن وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم ..
ومن الأصول الأصيلة .. للأخوة فى الاسلام .. وحدة العقيدة ..

ووحدة العقيدة من أهم الركائز لوحدة المسلمين ، وتكامل اخوتهم. وعقيدة المسلمين واحدة ، لا تختلف باختلاف جنس من الاجناس ، أو لون من الالوان ، أو مصر من الأمصار أو جيل من الاجيال ، أو زمن من الازمان . هذه العقيدة قائمة وتقوم على الايمان بالله ، وبرسول الله وبكل مافى القرآن .. وأن الاسلام هو الاسلام .. والقرآن هو القرآن .. ومن آيات العقيدة فى القرآن .. قول الله تعالى : **« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرمن آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وأتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »** (١) .

قال الامام ابن كثير : اشتملت هذه الآية على جمل عظيمة ، وقواعد عميمة وعقيدة مستقيمة(٢)

والآية كما نرى مشتملة على خمسة عشر خصلة .. وترجع الى ثلاثة أقسام : فالخمسة الأولى منها تتعلق بالكماليات الانسانية التى هى من قبيل صحة الاعتقاد ، وآخرها قوله : « **والنبيين** » وافتتحها بالايمان بالله واليوم الآخر .. لأنهما اشارة الى المبدأ والمعاد .

والستة التى بعدها .. تتعلق بالكماليات النفسية التى هى من قبيل حسن معاشرة العباد . وأولها (وآتى المال) وآخرها (وفى الرقاب) ..

---

(١) سورة البقرة . آية رقم ١٧٧ .
(٢) تفسير القرآن . لابن كثير . الجزء الاول ص ٢٠٧ .

والاربعة الاخيرة ، تتعلـــق بالكماليات الانســانية التى هى من قبيل تهذيب النفس وأولها (وأقام الصلاة) وآخرها «وحين البأس» ولعمرى من عمل بهذه الآية فقــد استكمل الايمـــان ، ونال أقصى مراتب الايقان (١) ••

وعقيدة الاسلام •• واحدة لدى كل المســـلمين فى شرق الارض وغربها ، وشمالها وجنوبهــا • تجتمع عليها قلوبهم ، وتحفظهـا عقولهم ، وتستيقنها نفوســهم ، ووحدة العقيدة •• جددت بيــن المسلمين مامضى من قرابة الــدم القائمة بينهم ••

واذا كانت أبوة آدم عليـــه السلام ، أبوة مادية ، تجمع بيــن الامة الاسلامية ، وتوحد بينها فى الاصل •• فان العقيدة الاسلامية هى أبوة روحية ، ترجع اليها فروع المؤمنين •• والحــق أن المــؤمن حينما يستشعر جلال هذا الاصل الروحى ، الذى يجمعه واخوانه ، المؤمنين فى مشـــارق الأرض ومغاربها الى جانب الأصل المادى الــذى يرجعــه معهم الى أبــوة واحدة • فانه حينئذ يشـعر أنــه انما يحيا باخوانه ، ويحيا لهـــم ويحس كأنه غصن من أغصـــان شجرة عظيمة يحيا بحياتها ويموت بموتها (٢) •

وان رابطة العقيدة فى الاسلام — وهى رابطة فى المبادىء ، والمثل العليا ، والقيم الرفيعـــة — من أقوى عوامل التقدم والازدهار •

وتلك التعاليم هى أعلى وأقوى من رابطة الدم ، والنســـب ، والمساكنة ، فى الوطن والمشاركة فى القومية •• وهذا الاساس هـــو المنطلق الوحيد ، للخـــروج من قوقعة الأنانيات الفردية والقبليــة والقومية •• الى صعيد اللقـــاء الانسانى ، على أساس المبادىء • مبادىء الحق ، والعدل والخير •• وفى هذا الاطـــار التربوى النفسى ذاته ، عالج الاســـلام النفس

---

(١) تفسير القرآن للالوسى . الجزء الاول ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .
(٢) المسلمون أمة واحدة . عدد رقم ١٠١ ص ١٣ (الدين والحيــاة) وزارة الأوقاف .

الانسانية اعدادا لها ، لتحقيق التعارف ، والتعاون .. فعالج آفاتها وأمراضها الحائلة ، دون التعاون كالحقد والحسد والغل، التى تثيرها دوافع النفعية للذات الفردية أو القبلية أو القومية (١).

والأصل الثالث ، فى أصول الاخوة الاسلامية .. وحدة مصدر التشريع .. ومصدر التشريع واحد لدى المسلمين .. وهو القرآن الكريم . كتاب الله ، الذى أنزله ليكون دستور الخالق فى اصلاح الخلق .. ينظم الحياة ، ويعالج النفوس ، ويقوم اعوجاج المجتمع ، قال تعالى : « **وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ،وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون** » (٢) .

وقال تعالى « **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** » (٣) .

وقال تعالى : « **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم** » (٣)

---

(١) استراتيجية العالم الاسلامى . ص ٩٥ وزارة الحج والاوقاف ١٣٩١ هـ مكة المكرمة .
(٢) سورة المائدة . الايتان ٤٨ ، ٤٩ .
(٣) سورة المائدة . الايتان ١٥ ، ١٦ .

وأن الله عز وجل ذكر للنور ثلاث فوائد :

الأول : أنه يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام . اى من اتبع منهم ما يرضيه تعالى بالايمان بهذا النور ، يهديه الطريق التى يسلم بها فى الدنيا والآخرة ، من كل ما يريده ويشقيه فيقوم فى الدنيا بحقوق الله تعالى وحقوق نفسه الروحية والجسدية ، وحقوق الناس ، فيكون متمتعا بالطيبات مجتنبا للخبائث ، نقيا مخلصا ، صالحا ، مصلحا .. ويكون فى الآخرة ، سعيدا ، منعما ، جامعا ، بين النعيم الحسى . الجسدى ، والنعيم الروحى العقلى .. الثانية: الاخراج من ظلمات الجهل والوثنية ، الى نور التوحيد الخالص .. حيث يصبح الانسان حرا كريما بين الخلق ، عبدا خاضعا بين يدى الخالق وحده .

الثالثة : الهداية الى الصراط المستقيم ، وهو الطريق الموصل الى المقصد والغاية من الدين ، فى أقرب وقت ، لانه طريق لا عوج فيه ، ولا انحراف ، فيبطىء سالكه أو يضل فى سيره .. وهو أن يكون الاعتصام بالقرآن الكريم على الوجه الصحيح الذى أنزله الله تعالى لأجله . بأن تكون عقائده ، وآدابه ، وأحكامه ، مؤثرة فى تزكية النفس ، واصلاح القلوب ، واحسان الاعمال .. وثمرة ذلك سعادة الدنيا والآخرة ، بحسب سنن الله فى خلق الانسان .. (١)

والقرآن الكريم هو وحده القادر على تحديد علاقة الانسان بالوجود كله والقرآن الكريم .. هو وحده القادر على أن يرسم للمجتمع الاسلامى .. الخطوط السليمة ، ويضع له الحوافظ التى تحفظ الانسانية ، من التردى والهلاك .

والقرآن الكريم .. هو وحده الذى توجد فيه الحلول المنطقية المقبولة لكل ما وراء الحواس .. وهو وحده الذى توجد فيه الحلول العملية لكل الجوانب وبهذا كان القرآن الكريم .. غنيا بكل جوانب

---

(١) تفسير المنار . الجزء السادس . ص ٣٠٥ .

الحياة ، الروحية ، والعقلية ، والجسمية ..

والقرآن الكريم هو وحده القادر على اذكاء روح الاخوة الاسلامية وتدعيم المحبة بين المسلمين ..

وما دام القرآن الكريم يعمل على وحدة الصف الاسلامى ... فلا غرو أن يأمر الله المسلمين ان دب بينهم نزاع بأن يرجعوا الى كتاب الله ..

قال تعالى : «**يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**» فالرجوع عند التنازع فى أى أمر الى كتاب الله ، وسنة رسول الله شرط فى الايمان . وذلك كله خير محض لا شر فيه أبدا ..

ومن العجيب أن تشاهد تنازعا واختلافا بين الاخوة المسلمين ، يؤدى الى تحرك أجهزة الاعلام كلها ، لتلقى الشتائم والسباب ، والتهم .. وان هذا الامر محزن ومؤلم .. ولا يصح أن يكون بين المسلمين .. ولا شك أن المذاهب الهدامة والأحزاب البغيضة لها أثر فعال فى توسيع هوة الخلاف والاختلاف ..

والمسلمون اخوة بنص القرآن الكريم قال تعالى : «**انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**» (٢) اخوه فى الدين والحرمة لا فى النسب . ولهذا قيل : اخوة الدين أثبت من أخوة النسب ، فان أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب . (٣)

وأخوة الدين أحق وأجدر أن يهتم لها ، ويصلح ما بين المؤمنين . لأنها اخوة بنص كتاب الله تعالى . والله سبحانه وتعالى هو الذى عقد هذه الأخوة وما عقده الله تبارك وتعالى لا تحله يد بشر ، مهما قويت ، وسطت ، وظلمت .

---

(١) سورة النساء . آية رقم ٥٩ .
(٢) سورة الحجرات . الآية رقم ٥٩ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن . للقرطبى . ج ١٦ ص ٣٢٢ .

ومن عجيب أمر هذه الآية الكريمة. أنها جاءت وكأنها قررت أمرا واقعا مفروغا منه ، لا يرد ولا يصد . فقالت : « انما المؤمنون اخوة » هذا حكم الله ، وهكذا أخبر عن هذا العقد الذى ربطه فى السماء بين المؤمنين مهما اختلفت أجناسهم ، وتباينت لغاتهم ،وتباعدت اقطارهم وتناءت ديارهم فهم اخوة ، تجمعهم عقيدة خالدة ، ورسالة واحدة . وهكذا جاءت الجملة خبرية ، تقرر واقعا عظيما وتخبر عنه . فقالت : « انما المؤمنون اخوة » ولم تأت الجملة انشائية اذ لو جاءت الآية انشائية ، لكانت الاخوة غير موجودة . ولكنه عز وجل ربط قلوب المؤمنين برباط واحد ، وعقد هذا الرباط ، ثم أخبر عن هذه الحقيقة الثابتة الواقعة ، وقضى فيها بحكمة فقال : « انما المؤمنون اخوة» ثم ثنى بتقرير هذه الحقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « المسلم أخو المسلم أحب او كره » .. كما قال عليه الصلاة والسلام : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يعيبه ، ولا يتطاول عليه فى البنيان، فيستتر عنه الريح الا باذنه ، ولا يؤذيه بقتار قدره » .

وفى سنن أبى داود ، عن ابى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « المؤمن مرآة المؤمن . المؤمن أخو المؤمن ، يكف عنه ضيقه ويحوطه من ورائه » ..

وهكذا فهم الصحابة الكرام هذه الاخوة ، وعاشوا فيها ولها ، وأصبحوا بفضل الله تعالى اخوانا .. دعوتهم واحدة ، وأمرهم واحد .. تقاسموا الحب فيما بينهم وآثروا اخوانهم على أنفسهم . فقاسموهم الأموال ، ووصلوا الى درجة من الايثار،ان يقول الصاحب لصحابه . هذا مالى جعلته بينى وبينك . وهاتان زوجتاى اختر أيتهما تشاء لتتزوجها أنت (١) .

---

(١) راجع نظرات في سورة الحجرات ص ١٠٧ ، ١٠٨ للشيخ الصواف .

والأخوة فى الاسلام • أسلوب تربوى وسلوك عملى • يسمو بالمسلمين ، ويصل بهم الى ذروة مراقى الفلاح والنصر ••

وآثار الأخوة تبدو واضحة فى التعاون الذى قام بين المسلمين ، فجعل منهم أمة واحدة •• تخوض المعارك بايمانها بالله وبنصر الله•

وسوف يبقى المسلمون فى أشد الحاجة الى الاخوة الاسلامية ، لانها السياج الذى يقى المجتمع من التعثر والتبعثر •

والأمة الاسلامية تحتاج الى الجامعة الاسلامية المتكاملة فى الاخاء الاسلامى • الذى لا يعرف ولا يعترف بالحزبية ، ولا العصبية، ولا القومية ، ولا الاقليمية ، ولا المذاهب الفكرية •

وقد أتم الله للمسلمين •• وحدة الأصل •• ووحدة العقيدة •• ووحدة المصدر •• ووحدة الشعور •• ووحدة الصف •• ووحدة العادات •• ووحدة العبادات ••

وكانت آثار ذلك واضحة ، سواء فى معارك بدر ، والقادسية ، واليرموك وحطين وعين جالوت ، والعاشر من رمضان • وغير ذلك من معارك المسلمين التى خاضوها فى سبيل الله ••

وسواء فى الحب فى الله ، والتعاون المثمر ، والتكامل ، والمساواة ، والعدل والشورى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر•

ومن منطلق الاخوة الاسلامية • كانت أمتنا وما زالت تملك رصيدا ضخما ، يمكن استثماره ، لتحقيق الاخاء الاسلامى العظيم والذى يجعلنا نحس باخواننا المسلمين فى كل مكان •

والذى يجعلنا أيضا نعتز بالانتماء الاسلامى ، ونرفض كل ما عدا الاسلام من الماركسية والتقدمية • وغيرهما من الأسماء التى أبدعها القاموس الشيوعى الالحادى •

وسوف نحقق ما نأمله فى ظلال الاسلام •• وقوتنا رهينة بتمسكنا بالاسلام •• وقد أثبت التاريخ والتجربة أن الاسلام خير ماعرفته الانسانية ••

أحمد عبد الرحيم السايح

مكانة العلوم اللغوية فى تفسير الواحدى

للدكتور جودة محمد المهدى

تقوم مناهج التفسير على أسس نظرية تحددها الملكة الفطرية والمكونات العلمية عند المفسر فنجد ثلة من المفسرين يلتزمون بالمنهج الأثرى النقلى تحرجا من الخوض بالرأى فى تأويل النص القرآنى .

على حين أننا نجد فريقا آخر يدين بالمنهج العقلى ويؤمن بضرورة اعمال العقل فى فهم وتأويل التنزيل وفق ما يلتزم به من أسس ومبادىء على نحو ما نراه عند مفسرى المعتزلة مثلا .

بينما نجد فريقا ثالثا ينتهج المنهج اللغوى فى التفسير فيولى الاهمية القصوى لتفحص أسرار اللغة وسبر مدلولات الألفاظ والتعرف على المعنى فى ضوء الخبرة بالأساليب العربية . وثم من يسلك المنهج النحوى فى استكشاف معطيات النص القرآنى فيعنى بالتعرف على أوجه الاعراب ومواقع الجمل والمفردات الى غير ذلك . ويتمثل هذا المسلك وما قبله بجلاء عند أصحاب المعانى من المفسرين كالفراء والزجاج وغيرهما .

كذلك شغف فريق آخر بالمنهج البلاغى فصرف وكده الى التعرف على الأسرار البلاغية وبيان مواطن الاعجاز فى النظم القرآنى وابراز ما احتواه التعبير القرآنى من قيم جمالية ممثلة فى الاستعارات الباهرة والتشبيهات الرائعة التى تجسد المعنى فى أجمل صورة وأروع بيان وللزمخشرى القدح المعلى فى هذا الصدد .

ثم نجد الى جانب ذلك اتجاهات أخرى فى التفسير كالمناهج الفقهية والقصصية والعلمية الكونية وغيرها مما يثرى خزانة البحث القرآنى بضروب شتى من ألوان التفسير ومناهجه •

وهكذا تتنوع طرائق المفسرين تددا فى تناول كتاب الله تعالى بالدرس والتحليل وتتوفر هممهم على تطبيق تلك المناهج فى محاولات جادة ليؤكد كل منهم مثالية نظريته فى تفسير الكتاب المبين •

فماذا كانت نظرية مفسرنا الامام أبو الحسن على بن أحمد الواحدى (ت ٤٦٨ هـ) الذى شهد له أثبات العلماء بامامة القرن الخامس الهجرى فى تفسير القرآن الكريم؟؟ وما هو المنهج الذى ارتضاه لنفسه ليضيف بتطبيقه جديدا فى ميدان الدراسات القرآنية ؟؟

لقد أفصح الواحدى فى مقدمة تفسيره (البسيط) عن نظريته واتجاهه وتحدث عن دواعى تصنيفه هذا التفسير محددا مراميه من التأليف والجوانب التى يروم طرقها والضرب فى فجاجها ، من ثم رأيت أن أسجل ما حوته هذه المقدمة من أفكار وخواطر تصور اطار النظرية ومعالمها وتلقى مزيدا من الضوء على أبعادها ، وكذلك تدلل على صحتها بما يرفعها من نطاق النظرية الى حيز التقنين العلمى •

يقول الواحدى بعد أن استهل بالحمد لله والثناء والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وسلم) : ـ « •• وبعد :

فمنذ دهر تحدثنى نفسى بأن أعلق لمعانى اعراب القرآن وتفسيره فقرا فى الكشف عن غوامض معانيه ، ونكتا فى الاشارة الى علل القراءات فيه فى ورقات يصغر حجمها ويكثر غنمها والأيام تمطلنى بصروفها على اختلاف صنوفها الى أن شدد على خناق التقاضى قوم لهم فى العلم سابقة ، وفى التحقيق همم صادقة • فسمحت قرونتى بعد الاباء ، وزلت صعوبتى بعد النفرة والارتئاء • وذلك لتوفر أهل زماننا على الجهل • وظهور رغباتهم عن العلم الذى فيه شرف الدين والدنيا والاخرة والاولى)•

وتظهر النزعة الارســـتقراطية العلمية عند الواحدى الذى نهل من شتى ينابيع العلم ثم لم يجد من الرفقاء من أوعية المعرفة الا قلة قليلة والبقية ما بين جاهل ودعى • والأدعياء كثـيرون !! ومنتشرون كالنباتات الطفيلية التى تعـوق امتداد الجذور الصالحة فى الأرض الخصبة • وهنا نجد الواحدى لـم يستطرد لبيـان هؤلاء الا لبيـان أن ظهورهم وانتشارهم كـان من أقوى دواعى التأليف •

يقول ــ والحديث عن العلـم والمنتسبين اليه ــ (فقل من ترى من المستحلين بعقـــوده وقلائده ومنتحلى غرره وفرائده الا متشيعا كلابس ثوبى زور يبرق وبروقه غير صادقة يرعد وسماؤه غير وادقـة اللهم الا نفرا يقل عددهم عـــن الاحصاء وتكثر فضائلهم عن الحصر والاستقصاء ، غير أنهم الأكثرون وان قلوا ، ومواضع الأنس حيث حلوا ، لان العلم وان أصـبح فى الناس وأظهروا عن منفرة وبتـوا فحرمته لاتضاع وسواق لا تراع ولن يخبو الشىء فى جنســـه من عزته فى نفسه وان قل من يعتامه وعز من يطلبه ويستامه) ثم نـوه الواحدى ــ قبيل الافصاح عـــن نظريته ومنهجه ــ باقتضاء المنهجية لدى الكثرة من مفسرى عصره رغم ولوعهم بحشد المعلومات وشغفهم بكثرة الكمية المرهقة دون ما طائل يثرى البحث القرآنى بخطة منهجية محكمة واضحة المعالم • الأمـــر الذى عانى منـــه المتطلعون الى الريادة والتجديد والعناية بالكيـف قبل الكم • وكان الواحدى لمنزلتـه فى العلم معقد أمل هؤلاء فقـال : (هؤلاء شـــكوا الى غلظ همم المصنفات فى التفسير وان الواحدة منها تستغرق العمـــر كتابتها ، ويستغرق الروح سماعها وقراءتها ثم لايحظى صاحبها ــ بعـد أن أنفق العمر فى تحصيلها بطائل تعظم عائدته وتعود عليه فائدته) •

من ثم حدد الواحدى نظـريته وأرسى أسس منهجه فى التفسـير فقال : ــ

(ان طريق معرفة تفسير كـلام الله تعالى تعلم النحـو والأدب ، فانهما عمدتاه وأحكام أصـولها ،

وتتبع مناهجلغات العرب فيمايحويه من الاستعارات الباهرة والامثال النادرة والتشبيهات البديعة والملاحن الغريبة ، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير مما لا يوجد مثله فى سائر اللغات).

لقد ارتأى الواحدى أن علم التفسير منوط بالتبحر فى لغة الضاد أولا واتقان أصولها - وسبر أغوارها لمعرفة دقائقها وخوافيها والوقوف على أساليبها وتتبع مناهجها ثم التمرس فى دراسة آدابها ليزاوج بين الأصل النظرى والتطبيق العملى حتى يتسنى لمن يتصدى للتفسير بعد : أن يتذوق جمال التعبير القرآنى بما توفر له من دربة ومران وخبرة بخصائص التعبير ومميزاته المسجلة فى ديوان العرب ومأثور القول نثرا ونظما .

ثم يلفت النظر الى شدة حاجة المتآخرين - من المولدين الناشئين ومن لايعرفون لسان العرب - الى تعلم أصول اللغة ومعرفة المشكل والغريب حيث لم يعوز الصحابة الذين نزل فيهم القرآن الكريم علم ذلك لتوفره فيهم بالسليقة . فيقول :

« والله - تعالى ذكره - أنزل كتابه على قوم عرب أولى بيان فاضل وفهم بارع . أنزله جل ذكره - بلسانهم وصيغة كلامهم الذى نشأوا عليه وجبلوا على النطق به فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه ، ويفهمون فنون نظامه ولا يحتاجون الى تعلم مشكله وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين مع من لايعلم لسان العرب حتى يعلمه ولا يفهم ضروبه وأمثاله وأساسه وطرقه حتى تفهمها » (١).

وتعرض الواحدى فى حديثه لبيان ادوات التفسير التى توفرت للصحابة رضوان الله عليهم مع توفر الملكة اللغوية لديهم بالفطرة والسليقة . والتى ينبغى لمن يتصدى للتفسير أن يجد فى تحصيلها : - فقال

---

(١) مقدمة تفسير البسيط لوحة / ٣

« وبين النبى صلى الله عليه وسلم للمخاطبين من أصحابه رضى الله عنهم ماتمس به الحاجة من معرفة بيان مجمل الكتاب وغامضه ومتشابهه وجميع وجوهه التى لاغنى بهم وبالأمة عنه .

فاستغنوا بذلك عما نحن اليه اليوم محتاجون من معرفة لغات العرب واختلافها والتبحر فيها والاجتهاد فى تعلم وجوه العربية الصحيحة التى بها نزل الكتاب وورد البيان .

فعلينا ان نجتهد فى تعلم ما يتوصل بتعلمه الى معرفة ضروب خطاب الكتاب ، ثم السنن المبينة لمجمل التنزيل الموضحة للتأويل لتنتفى عنا الشبه التى دخلت على كثير من رؤساء أهل الزيغ والالحاد ثم على رؤوس ذوى الأهواء والبدع الذين تأولوا بآرائهم المدخولة فأخطأوا وتكلموا فى كتاب الله عز وجل بلكنتهم العجمية دون معرفة ثاقبة فضلوا وأضلوا .. » (١) .

وهكذا نجد الواحدى يركز على ضرورة معرفة اللغة كأساس للتفسير وكأداة للمفسر لاغناء عنها بحال . بل انه ليعتبرها أساس الأسس وأداة الادوات لتوقف سائر العلوم عليها . من ثم يؤكد الواحدى نظرته الى اللغة ببيان نظرة السلف اليها فيقول :

« وقد كان الأكابر من السلف يحثون على تعلم لغة العرب ويرغبون فيها ، لما يعلمون من فضلها وفرط الحاجة اليها فى معرفة ما فى الكتاب ثم فى السنن والآثار وأقاويل أهل التفسير من الصحابة والتابعين من الألفاظ العربية ، والمخاطبات العربية ، فان من جهل لسان العرب وكثرة الفاظها ، وافتنانها فى مذاهبها جهل جل علم الكتاب» (٢)

ثم شرع الواحدى يدلل على صحة نظريته ويبرهن على وجوب تعلم علم الأدب : ــ فيروى بسنده

---

(١) مقدمة تفسير البسيط لوحة / ٣ .
(٢) مقدمة تفسير البسيط لوحة / ٣ .

عن شيخه الثعلبى الى النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « ما نحل والدولده نحلة أفضل من أدب حسن » (١) •

ثم يسوق الواحدى — فى معرض التدليل على حتمية التضلع من اللغة والأدب قبل التصدى للتفسير — نموذجا يجسد ضرورة أحكام أصول اللغة وصقل الملكة اللغوية بدراسة الأدب والتضلع من مناهل القوافى وعيون الشعر الذى هو ديوان العرب •

فيروى عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه أنه قال : — « بينما عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — على المنبر فقال : أيها الناس : ماتقولون فى قول الله عز وجل « أو يأخذهم على تخوف » ؟؟ فسكت الناس فقام شيخ فقال — يا أمير المؤمنين • هذه لغتنا بنى هزيل •

التخوف : التنقص ، قال عمر — رضى الله عنه — هل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم •

قال شاعرنا أبو كبير الهذلى يصف ناقة :

تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر رضى الله عنه : — يا أيها الناس : عليكم بديوانكم الذى لايضل • قالوا : وما ديواننا ؟؟ قال : شعر الجاهلية ، فان فيه تفسير كتابكم ، ومعانى كلامكم) •

ويشفع الواحدى هذا الدليل — الذى لايقبل المعارضة — على ضرورة اتقان علم اللغة ، ودراسة الشعر العربى لمن يتصدى للتفسير: بدليل آخر يرويه بسنده المتصل عن ترجمان القرآن سيدنا عبد الله ابن‌عباس رضى الله عنهما• فيقول:

« وفيما كتب الى محمد بن عبد العزيز المروزى — بخط يده — ان محمد بن الحسن الحدادى أخبرهم عن محمد بن يحيى قال اسحق بن ابراهيم الحنظلى حدثنا

---

(١) رواه الترمزى والحاكم عن عمرو بن سعيد العاصى •

وكيع عن أسامه بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال :

اذا قرأ أحدكم شيئا من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليلتمسه فى الشعر فانه ديوان العرب .

ثم يقول الواحدى : — « وبهذا الاسناد — أى السابق مباشرة — عن اسحق بن وهب بن جرير بن أبى قال : سمعت الزبير بن خريت عن عكرمة عن ابن عباس :

أنه كان يسأل عن الشىء من عربية القرآن فينشد الشعر » (١).

لقد استند الواحدى فى مقدمة التدليل على نظريته فى التفسير الى هذه النصوص الصريحة والواضحة المعزوة الى اثنين من كبار الصحابة — سيدنا عمر والامام ابن عباس رضى الله عنهما حيث لاخلاف فى حجية كلامهما . ثم تتتابع أدلة الواحدى وتنهمر كالسيل مؤكدا حتمية توفر ركنيه علمى اللغة والادب فى التفسير . وأحب أن أثبت ما يسوقه بسنده لمعرفة طرقه فى الرواية .

يقول الواحدى : « سمعت أبا عثمان سعيد بن محمد الحيرى ، سمعت القاضى أبا الحسن على بن القاسم وأبا اسحق ابراهيم بن الحسن بن بشر وأبا القاسم جعفر ابن عبد الله الفناكى الرازيين بالرى : قالوا سمعنا عبد الرحمن ابن أبى حاتم الرازى قال أخبرنى أبى حرمل بن يحيى قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول : —

« أصحاب العربية جن الانس » .

وسمعته يقول : سمعت محمد ابن أحمد بن يعقوب يقول سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى النحوى قال : قال عبد الملك بن مروان : تعلموا العربية فانها المروءة الظاهرة وقل من تقدم فى علم من العلوم الا بمعرفة الأدب ومقاييس العربية والنحو ، وما حدثت البدع والأهواء المضلة الا من الجهل بلغة العرب .

ويروى الواحدى عن الشيخ أحمد بن أبى منصور المقرى بسنده الى الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعى يقول : « عامة من تزندق

(١) مقدمة البسيط فى التفسير للواحدى لوحة / ٣

بالعراق لجهلهم بالعربية ولغات العرب » ومن أطرف الأدلة التى ساقها الواحدى عن الاصمعى لندلالة على ضرورة حذق العربية مارواه قائلا :

(وقرأت على الاستاذ سعيد بن محمد المقرى فقلت : حدثكم طلحة ابن محمد الشاهد ببغداد قال : سمعت أبا بكر بن وريد قال قال ابن أخى الاصمعى عن الاصمعى : (تعلموا النحو فان بنى اسرائيل كفرت بكلمة قال الله لعيسى (أنت نبى وأنا ولدتك) بتشديد اللام فخففوها .

ثم يؤكد الواحدى ما سبق بقوله :

(ولئن استغنى علم عن الأدب فمن ضرورة التفسير وعلم القرآن الأدب ومعرفة اللغة العربية ولا تكاد تجد ذلك متأتيا لمن لم يمرن عليها ولم يتدرب بها) .

لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب فسر كتاب الله الا جعلته نكالا !!

ويتساءل الواحدى قائلا :

« وكيف يتأتى لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جعل معجزة فى فصاحة ألفاظه وبعد أغراضه لخاتم النبين وسيد المرسلين ــ صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ــ فى زمان أهله يتحلون بالفصاحة ، ويتحدون بحسن الخطاب وشرف العبارة ؟؟ وان مثل من طلب ذلك مثل من شهد الهيجا بغير سلاح ورام أن يصعد الهواء بلا جناح » !!

ثم نعى الواحدى على هذا الفريق من النقلة والمقلدة الذين تقحموا ميدان التفسير بلا أداة ولا استعداد فطرى لتذوق معانى التنزيل فقال :

(ثم وان طال تأمله مصنفات المفسرين وتتبعه أقوال أهل التفسير من المتقدمين والمتأخرين فوقف على معانى ما أودعوه كتبهم وعرف ألفاظهم التى عبروا بها عن معانى القرآن . لم يكن الا تابعا لهم فيما حكوه وعارفا معانى قول مجاهد ومقاتل وقتاده والسدى وغيرهم دون معنى قول الله عز وجل) .

وبخبرة الواحدى وذوقه الأدبى ساق نماذج من الشعر العربى وبعض الأمثال والأقوال المأثورة ليبرهن على أن فهم المعنى موقوف على معرفة مدلول كل لفظ على حدة والدراية بمواضع الألفاظ وطريقة نظمها فيقول مثلا فى قول امرىء القيس :

وما ذرفت عيناك الا لتضربى

بسهميك فى أعشار قلب مقتل

(.. معنى هذا البيت : أنه يقول لا مرأة : ما بكيت الا لتأخذى بمجامع قلبى . فمن عرف هذا فقد عرف معنى البيت . لكنه انما عرفه من قول من عبر عن مراد الشاعر بهذا لا من قول الشاعر . ودون أن تعرف وضع ألفاظه والمراد بكل حرف منه خرط القتاد) ثم يقول : (وعلى هذا النحو جميع كلام العرب مثل قولهم (أبى الحقين العذرة) يضرب لمن يعتذر وظاهر حاله يكذبه . ومعرفة هذا المعنى لا يفيدك معرفة هذه الألفاظ) ..

ثم ينتقل من التنظير بما أثر عن العرب من شعر ونثر الى تطبيق نظريته فى التفسير نفسه فيسوق النص القرآنى وما آثر عن السلف فى تفسيره ثم يبين موطن الحاجة الى استيعاب هذا التفسير المنقول وكيفية الوصول الى استيعابه والأداة التى يجب توافرها فيمن يروم اقتحام عقبة التقليد ليقف على المعنى بذوقه وادراكه هولا بالتلقين والحشو .

فيقول الواحدى « .. وكذلك آيات القرآن التى فسرها الصحابة والتابعون انما فسروها بذكر معناها المقصود . كقوله تعالى **« واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم »** : قال قتادة : (اذا قيل له مهلا مهلا ازداد اقداما على المعصية) . فمن أين لك أن تعرف هذا المعنى من لفظ الآية الا بعد الجهد وطول التفكر؟؟

وكذلك قوله **« انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه »** . قال السدى (يعظم أولياءه فى صدوركم) فانظر هل يمكنك أن تفرغ هذا المعنى فى قالب هذه الألفاظ الا بعد التعب فى معرفة ما ذكره أرباب النحو ؟؟

وكذلك قوله : **« من تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا »**

تدبر هل تعرف صحة هذه الألفاظ واستواء نظمها مما ذكره المفسرون ؟؟ وهل يحسن أن يقال : من قام فانه يقوم ومن ركب فانه يركب ؟؟ وعلى هذا أكثر آيات القرآن وكلام العرب » .

طرح الواحدى هذه التساؤلات ليثبت ويؤكد صدق نظريته فى قيام التفسير على معرفة أصول اللغة . ولا يكفى مجرد معرفة معنى اللفظ كيفما اتفق . بل لابد من معرفة اشتقاقه ووضعه وكيفية تداخل المعانى ومعرفة طريقة النظم الى غير ذلك .

ثم لقد أراد الواحدى من ايراد تلك الأمثلة أن يوضح أن التفسير بالمأثور يحتاج الى أداة فى المعرفة والى تحصيل وسائل علميه يتسنى بها ادراك مطابقة التفسير للمفسر .

وهذه الوسائل انما تعوز المتأخرين فى تحصيلها دون السابقين الذين زودت فطرتهم بحاسة الادراك اللغوى والبلاغى ومعرفة مواقع الكلام وتمييز أصالته من زيفه وغثه من ثمينه .

من ثم حق على المفسر — أن يجد فى تحصيل هذه الأدوات ليعوض ما يفتقده مما تهيأ للطبقة المعاصرة والقريبة من نزول القرآن الكريم .

يقول الواحدى :

« وانما ذكرت هذه الأمثلة لتعرف أن من تأمل مصنفات المفسرين ووقف على معانى أقوالهم لم يقف على معانى كلام الله دون الوقوف على أصول اللغة والنحو » .

والمعنيون بالتصنيف فى هذا العلم طبقات :

فالصحابة الذين نزل فيهم القرآن شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل . لأنهم أهل اللغة الذين نشأوا عليها كما وضعناهم قبل .

وأما التابعون والسلف الصالحون فانهم لم يتصنعوا فى جمع ما جمعوا ، ولم يتكلفوا فى تتبع الخبايا من الزوايا .

وأرباب المعانى : اقتصروا على الاعراب وبيان نهج الخطاب .

والمتأخرين مراتب ودرجات وأغراض فى التصنيف متفاوتات ، والاشتغال بما يعنينا أولى من بيان درجتهم والكشف عن نقصهم ومزيتهم .

وقل من تراه يعنى بسوق اللفظ على التفسير وافراغه فى قوالب المعانى حتى يأتى به متسعا من غير ترجح ومطردا من غير تخاذل . وعلى هذا فلم يبقوا فى القوس منزعا ولم يترك الاول للآخر شيئا . غير أن المتأخر بلطيف حيلته ورقيق فطنته يلتقط الدرر ويجمع الغرر فينظمها كالعقد على صدر الكعاب يرومه المتأملين ويونق الناظرين فيستحق به فى الأولى حمد الحامدين وفى العقبى ثواب رب العالمين » .

بهذا النص وما سبقه أوضح الواحدى نظرته للتفسير الأثرى وكشف النقاب عن حقيقة غفل عنها الكثيرون ، ألا وهى : مقدرة مفسرى السلف على افراغ الألفاظ فى قوالب المعانى مع التطابق والاتساق والاطراد . وقد سنحت هذه المقدرة للسابقين بلا تكلف ولا تحصيل فكان على المتأخرين أن يستعينوا بأصول اللغة والنحو للافادة من مرامى عباراتهم وللوصول الى معرفة ما توصلوا لفهمه من مراد الله تعالى من كلامه المبين .

د / جوده محمد المهدى

من خصائص بيت النبوة

للدكتور / أحمد عمر هاشم

لبيت النبوة سماته وخصائصه التى هيأه الله تعالى بها وميزه لحمل تراث النبوة وحيا الهيا وليس المال ولا زخرف الحياة الدنيا ولا مباهجها الزائفة وعرضها الزائل وذلك ليكون المثل الأعلى والقدوة الحسنة فى الرضا والقناعة وفى الصبر والاحتمال .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم فهو الرءوف بهم العطوف عليهم وكانت أزواجه أمهاتهم فى التوقير والاكبار وفى الاكرام والاحترام قال تعالى : ـ « **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا** » ـ سورة الأحزاب ـ ٦ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ـ « ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة اقرءوا ان شئتم ـ « **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم** » فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، وان ترك دينا أو ضياعا فليأتى فأنا مولاه ـ رواه البخارى .

ولقد ضرب صلوات الله وسلامه عليه أروع الأمثلة فى حياة التقشف والزهد والقناعة والرضا وجعل من نفسه وبيته المثال المحتذى والأسوة الحسنة فى العزوف عن الدنيا وعن الغرور بها وفى الاعراض عن زهرتها . وانما آخذ نفسه وأهله بالتقشف والزهد والقناعة لدرجة أنه لم يشبع ثلاثة أيام تباعا من خبز عن عائشة

رضى الله عنها قالت : ـ ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز حتى مضى سبيله ـ رواه مسلم : بل ان صلوات الله وسلامه عليه لم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ، عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه قال هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ـ رواه الترمذى ـ وكانت بيوته عليه الصلاة والسلام على درجة عالية من الرضا والقناعة لاسيما عندما كان العيش قليلا .. ولا يوجد لدى أمهات المؤمنين من الأطعمة ما يطهى بالنار مدة طويلة . عن عائشة رضى الله عنها قالت لعروة يا ابن أختى ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقدت فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار فقلت : ياخالة ما كان يعيشكم قالت : الأسودان التمر والماء الا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار كانت لهم منائح وكانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا .. رواه البخارى .

وكان هذا الزهد والتقشف وحياة القناعة والخشونة مثلا يحتذى ، فى الصبر والرضا انه يجوع يوما فيصبر ويشبع يوما فيشكر ويعيش حياته بين التضرع والدعاء والشكر والثناء .

قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ (ولقد مات ومافى بيتى شىء يأكله ذو كبد الاشطر شعير فى رف لى .

وعن ابى أمامه . أن النبى صلى الله عليه وسلم . قال : عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت : لا يا ربى ولكنى أشبع يوما واجوع يوما . فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك . (فيض القدير ج ٤ ص ٣١١) .

ولقد أخذ صلوات الله وسلامه عليه حياته على هذا النحو ، على الرغم مما كان فى وسعه من أن

تكون له بطحاء مكة ذهبا .. ولكن الرضا والقناعة والأسوة الحسنة التى يجب على أمته أن تتوخاها فلا تغرها الحياة ولا يغرها بالله الغرور .

فلقد عرض عليه كبراء القوم مقاليد الأمر وعرضوا عليه المال والجاه فالسلطان والسيادة ولكنه رفض باباء وقوة لا نظير لها لأنه ليس طالب مال ولا جاه وانما جاء الى الحياة وأرسل الى الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

وكانت هذه الحياة اعدادا أو تهيئة للدار الآخرة وليكون بيت النبوة مثالا يحتذى وقدوة للناس وحين طلب أمهات المؤمنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم النفقة نزلت آية التخيير تخيرهن بين الحياة الدينا وزينتها وبين الله ورسوله والدار الآخرة عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما نزلت آية التخيير بدأ بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عائشة انى عارض عليك أمرا فلا تفتتنى فيه بشىء حتى تعرضيه على أبويك أبى بكر وأم رومان رضى الله عنهما فقلت يارسول الله ما هو ؟ قال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل « **يا أيها النبى قل لأزواجك أن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** » سورة الاحزاب ٢٨ ــ ٢٩ قالت : فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أؤامر فى ذلك أبوى أبا بكر وأم رومان ــ رضى الله عنهما ــ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقرأ الحجر فقال « ان عائشة رضى الله عنها قالت : كذا وكذا فقلن ونحن نقول مثل ما قالت عائشة رضى الله عنهن كلهن » رواه ابن أبى حاتم .

ومما اختص الله به أمهات المؤمنين أن من يأتمنهن بفاحشة مبينة ــ وهى النشوز وسوء الخلق ــ يضاعف لها العذاب ضعفين فى الدنيا والآخرة وأن من يطع الله

ورسوله منهن يؤتها أجرهـا مرتين قال تعالى **« يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لهـا العذاب ضـعفين وكان ذلك على يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرهـا مرتين وأعتدنا لها رزقا كريمـا »** ويمتن الله عليهن بلطفه ، حيث خصـهن ببلوغ تلك المنزلة وانهن أهل لذلك حيث أنعم اللـه عليهن بـأن جعلهـن فى بيـوت تتـلى فيها آيـات اللـه تعالى والحكمة قال سبحانه : **« واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيراً »** الاحـزاب ٣٤ ويعـرج عـلى هـذا الأمـر الأسـتاذ عباس العقـاد رحمه اللـه حين يتحـدث عن خصوصية زواج الرسـول صـلى اللـه عليه وسلم رادا فرية المفترين على مقام النبوة فيقول : لم تكن تلك الخصوصية لتمكين صـاحبها من المتعة والاستغراق فى مناعم الحياة الزوجية فان البيت الذى يشـكو نساؤه قلة المؤونة والزينة ، لايقال عنه : انه بيت رجل تملكه أهـواء نفسه وتغلبه على رشده ولا يمد يده لاغتراف الثـروة التى تكفى زوجـاته وتملـى لهن فى الترف والزينة لن يكون رجـلا مغلـوب الحس منساقا مع غـواية المتعـة ووساوس الشـهوات ، وليس بالرجل المخلوق لطلب اللـذة من ينهض بما نهض به نبى الاسـلام من عظائم الأمـور فى مـدى ، سنوات معدودات .. الخ .

وليس معنى هذا أن فى الاسلام دعوة الى القلة والفقر أو أن فيه حجرا على التمتع بطيبات الحيـاة وانما هى القدوة المثلى والأسـوة الحسنة والنمـاذج العاليـة التى رباها الاسلام فاستهانت بزخارف الحياة ومتعها وأقبلت على ربهـا وعلى دعوة الاسلام غـير مكترثة بمال أو جاه أو ثراء أو عرض من زينة الحياة الدنيا .

أما حقيقـة الـدين فهى تجمع متطلبات الجسم والروح والدنيـا والآخرة قال الله تعـالى **« يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**

وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » « الاعراف ٣١ ، ٣٢ » .

ومن خصائص بيت النبوة ، أن الذى يتركه النبى صلى الله عليه وسلم من المال يكون صدقة فلا يسرى عليه ما يسرى على أموال سائر الناس من الميراث فقد قال صلى الله عليه وسلم : « انا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » وأما قول الله تعالى ــ حكاية عن زكريا .. « **فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب ..** » مريم من ٥ــ ٦ .

فلم يرد يرثنى مالى وانما أراد أن يرثه الحبورة لأنه كان حبرا ويرث من آل يعقوب ، أى يرث الملك . وأما قوله تعالى : « **وورث سليمان داود** » فالمراد : ورثه الملك والنبوة والعلم وكلاهما كان نبيا وملكا ، ومن الأدلة ، أيضا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يورث أنه كان لا يرث بعد أن أوحى الله اليه وانما كانت وراثته أبويه قبل الوحى .

وأما منازعة فاطمة ، أبا بكر رضى الله عنها فى ميراث النبى صلى الله عليه وسلم فليس بمنكر لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم فلما أخبرها بقوله كفت » .

وشاء الله تعالى ، أن يكون بيت النبوة نموذجا عاليا فى الصبر ، وفى الزهد والتقشف ، حتى يكون أسوة لغيره ، ولأهل الايمان على ظهر الأرض ، ولقد كان لبيت النبوة خصائصه الكريمة ، ومميزاته التى تميزه على غيره ..

فهو المثل الأعلى فى الاحتمال والصبر ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه هو الأسوة الحسنة فى كل الأمور ، قال الله سبحانه وتعالى :

« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »

د/ احمد عمر هاشم

مشكلات الشباب وحلولها
فى ضوء الكتاب والسنة

للأستاذ على القاضى

وضع الدين فى المجتمع الاسلامى:

من المشكلات التى يجدها الشاب فى العصر الحديث فى مجتمعاتنا الاسلامية وضع الدين وهل هو خاص بالمسجد أم أنه يتناول كل جوانب الحياة ـ بل أحيانا يجد فى بعض الفلسفات الغربية من ينكر الدين تماما ويرى أنه من رواسب الماضى أو انه مخدر للشعوب •

فقد غزت المدنية الغربية البلاد الاسلامية وجاءت معها أفكارها ووسائلها وقيمها وأخلاقياتها وأساليب تربيتها ـ وكان من أثر ذلك أن تغير الكثير من مظاهر حياتنا الخاصة والعامة ـ كما تغيرت نظم الحكم والادارة والقانون وبالتالى تغير نظامنا التعليمى وحل محله تعليم جديد يهتم بالناحية المعروفة وحدها ـ ولا يهتم بالروح ولا بالعواطف والسلوك والاتجاهات ولا بالقيم الدينية وأفقدنا هذا القدرة على التحكم فى حاضرنا ، لأنه نما فى كثير من جوانبه فى بيئة غير بيئتنا وأصبحنا تابعين لغيرنا فى مجال الحياة الفكرية والاجتماعية وشلت ارادتنا وقلت مقاومتنا شيئا فشيئا حتى يمكن أن نقول : انها توقفت وترتب على ذلك أننا اهتممنا بالقشور وتركنا اللباب واعتنينا بالمظاهر وتركنا الجوهر ، وأصبنا بذلك بانفصام فى شخصيتنا ، وأصبح هناك ازدواجية فى المجتمع بين الضمير ومستوى الأداء ـ بين القول والعمل ـ بين الايمان والسلوك ـ بل وأصبح المسلمون يفهمون لاسلام كما يفهم

المسيحيون المسيحية — فالاسلام خاص بالصلاة والصيام وبقية الشعائر — أما القيم والأخلاق وما الى ذلك فهى بعيدة عن اسلام المسلم مع أن العبادة فى الاسلام شاملة لكل شىء يفعله المسلم مادام ذلك يهدف الى تحقيق رسالته فى هذه الحياة .

وينظر الشاب المسلم الى المجتمعات حوله فيجدها قد خلت عن الدين وعن قيمه — ذلك لأن العداء بين المفكرين والكنيسة فى العالم المسيحى قد أدى الى بروز العديد من الفلسفات الوضعية التى تركت بصماتها بوضوح على الفكر وعلى التعليم — ولكن هذا لم يحدث بالنسبة للدين الاسلامى — ومع ذلك فان الشاب المعاصر نظرا لانه يرى الثقافة الغربية تنتشر هنا وهناك وتترك آثارها على كل ناحية فانه يتأثر بها شعوريا ولا شعوريا — وهذا هو الذى يجعل بعض المفكرين يسأل : هل علاقة الانسان بالحياة قد فهمت فهما واضحا ؟ — وفى الغرب يقولون فشل التعليم الدينى فى آداء رسالته وهم يقصدون التعليم الكنسى — ولكن الدين الاسلامى به شمول يعجز البشرية قاطبة عن الاحاطة به لانه نظام شامل للحياة كلها — ونحن نقصد بالتعليم الدينى فى الاسلام صياغة المعارف الانسانية كلها من تصور اسلامى صحيح — وحبذا لو قلنا عنه التعليم الاسلامى ليظهر تفرده من أول لحظة .

وينظر الشاب المسلم المعاصر فيرى اهتمام الافراد والجماعات قاصرا على النواحى المادية وحدها — وبذلك أصبح الانسان خطرا على نفسه باستخدام المهدئات والمخدرات وما يؤدى به الى الامراض النفسية والعقلية — وخطرا على المجتمعات من حوله — ويكفى مخزون القنابل الذرية لدى الدول العظمى — وما نراه من انتشار تلوث أخطار البيئة وانتشار الصواريخ عابرة القارات ثم عدم كفاية المواد الغذائية — وذلك يهدد بانتشار المجاعات وفناء البشرية ، وقد أصبحت السياسة مناورات لا اخلاقية — ولم يعد النصر للحق

وأصبح من المسلمات أن الغـاية تبرر الوسيلة وبذلك أصبح الانسان كطائر يطير بجناح واحد وفى هذا ما فيه من الاخطار التى تصـيب الانسان فى الصميم •

وينظر الشاب المسلم المعاصر الى مظاهر الحياة حوله فيجد أنهـا تسير بسرعة هائلة ــ وهكذا كـل منتجـات التقنية التى لا يـكاد الانسان يقدر على مسايرتها ــ ثم ينظر الى تقنية التعليم فيجد أنها جد بطيئة ــ ولهذا يقول توماس كاريل فى كتابه الانسان ومشكلات الحضارة : (ان الحضارة آخذة فى الانهيار لان علوم الجماد قادتنـا الى أرض ليست لنا فتقبلنا هداياها بلا تبصر ولا تمييز ، وأصبح الفرد ضعيفا متلصصا فاجرا غبيا غـير قادر عـلى التحـكم فى نفسه ومؤسساته) •

ومن مشكلات الشاب المسـلم المعاصر أن يرى فساد القيم ينعكس عـلى النظم التعليمية ذاتهـا فالرأسمالية والشيوعية خاليتان من القيم الدينية والأخلاقية ــ ولذلك فقـد انحطت أسـاليب الصراعات بينهما الى أدنى المسـتويات ــ وأصبح مـن سمات هـذا العصر فقدان القدرة الحسنة التى لهـا آثارها الواضحة فى كل ناحية من نواحى الحياة ــ وأصـبحنا نرى الاضـطرابات والعنف والكبت والأمراض النفسية تعم كثيرا مـن الـدول •

لقـد تخلت المجتمعات المعاصرة عن الدين كأساس للأمة ــ وأصبح الخوف، من الارتباط بأية قيـمة أخلاقية أو دينية من سمات المعاهد التعليمية المعاصرة مع أن التعليم ينبغى أن يضىء حيـاة الانسـان بتعريفه بنفسه وبحقيقة وضعه فى الكون والغاية مـن وجـوده فيه وكيف يستطيع القيام برسالته •• ولقد أصبحت نظم التعليم المعاصرة مقتصرة على نقل المعلومات وبذلك فقدت دورها التربوى فى اكتساب المهـارات والاخـلاق والسـلوك السليم ــ وفى تكوين الاتجاهات والعواطف وأصبح هـدف الطلاب من تعليمهم فى المدارس النجـاح بأية وسيلة ليحصلوا على الشهادة

وبالتالى ليحصلوا على الوظيفة المناسبة •

تربية الشاب المسلم المعاصر :

والاسلام يهدف الى تربية الانسان الصالح الذى يقوم برسالته على الوجه الأكمل وهذه التربية الكاملة المتكاملة تجعله قادرا على التحكم فى نفسه وضبط تصرفاته والايمان بالمثل العليا التى يحيا لها ويموت فى سبيلها جاعلا شعاره : (ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له) الانعام / ١٦٢ ، وهذه التربية تجعل لدى المسلم القدرة على الاستفادة من أقصى ما يصل اليه الانسان من الاستفادة التى تمكنه من أداء رسالته والتى تجعله ينتج أفضل ما يصل اليه الانسان من الاستفادة التى تمكنه من أن يفيد البشرية ويحقق هدف الاسلام السامى •

والشاب المسلم بذلك يستطيع أن يعيش حياته بقيمه وأخلاقه التى قررها الله له مع اسقاطه لكل القيم والاخلاق الواردة عن الغرب ثم انه يريد أن يتعرف على النواميس الكونية التى اودعها الله له هذا الكون المادى ليستخدمها فى ترقية الحياة ـ وحينئذ يحس بأن عمله كله عبادة •

والتقدم الحضارى الاسلامى روح تكمن وراء الانجاز المادى والفكرى فاذا تطورت الروح تغير العالم من حولها والآية الكريمة : **(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** الرعد / ١١ ، تبين ذلك ـ ونلاحظ تعبير : أنفسهم ـ فهو الذى يحدث التقدم الحقيقى الذى يتكامل فيه الظاهر والباطن ـ وغلبة هذا التعبير أن يتطابق القول والعمل وأن يعيش الناس القيم الاسلامية •

والاسلام لا يرفض التقدم المادى ولا الاستمتاع به ما دام ذلك فى الاطار الاسلامى : **(قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق)** الأعراف / ٣٢ بل يحث عليه ويطلب أن يشارك أبناءه فيه أو أن يقوموا به ما دام ذلك يساعدهم على تحقيق رسالتهم

واذا كان الفكر الغربى المعاصر

يفصل الدين عن العلم ، وينكر بعض رجاله الدين ويعترف بعضهم به ولكنه يضعه فى اطار محدد هو الكنيسة فان الاسلام ليس فيه هذا الفصل ـ فالعلم من الدين وهو يسير فى تحقيق اهداف الاسلام وهذا يمكنه من قيادة حركة الحياة بالنسبة للفرد المسلم وبالنسبة للمجتمع على السواء وفى ذلك يقول الله تعالى : **(الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)** الحج /٤١ ، والاسلام لا يقبل أن يستورد نظما غربية عنه فتحدث آثارها السيئة فى الافراد وفى الجماعات على السواء ـ هو يقبل التقنية الحديثة ولكنه يرفض القيم المصاحبة لها لأن له قيمه الخاصة به وهى التى تكون شخصية المسلم التكوين الذى يمكنه من أداء رسالته .

والاسلام دين عالمى فى نظرته للفرد والأمة وفى علاجه للمشكلات ولا يرضى باقامة الحواجز التى نشأت فى العصور المختلفة لأنه دين يهدف الى جمع البشر كافة تحت راية واحدة ـ وهو بالنسبة لهذا العالم الذى مزقته الاحقاد والتنافس بين أممه المختلفة ـ رسالة الحياة والامل فى مستقبل عظيم مزدهر .

الوطنية الغربية :

ومن مشكلات الشباب المسلم فى العصر الحديث المفهوم السائد للوطنية الغربية فى البلاد الاسلامية وقد أصبحنا نرددها ونجح الاستعمار فى حملنا عليها ـ وأصبح هناك هوة بين بعض البلاد العربية والاسلامية وبعضها الآخر ـ كل دولة تعمل على مصلحتها فى الاطار الضيق ولو تعارض مع مصالح غيرها .

ومن خصائص الوطنية الغربية الكراهية والخوف فالوطن لا يبقى الا اذا كان للشعب ما يكرهه وما يخافه ولايزال المسئولون هناك يثيرون الكامن من عواطف الخوف والكراهية .

ومن مظاهر الوطنية الغربية ما فعله الاستعمار فى نشر الخمر والحشيش والافيون والربا

والقمار والفجور بالقوة تارة وتحت عناوين براقة أخرى كالمدنية والتقدمية والحضارة وأصبحت مخترعات المدنية تستخدم فى التدمير والاعتداء ونشر الكراهية والحقد .

وقد قسمت الدول الاسلامية الى دويلات تمشيا مع هذه النزعة مثل الشام التى قسمت الى أربع دول ، وأهم من ذلك الروح التى تسود هذه الدويلات وأصبح كل قطر اسلامى يتعامل مع غيره على أساس العداوة فى أكثر الأحيان .

وتسير الجامعات فى البلاد الاسلامية على تربية المواطن الصالح بالمفهوم الغربى ويصبح الشباب المسلم فى حيرة بين مثل اسلامه وبين واقع حياته .

والاسلام يعنى بتربية الانسان الصالح وهو الذى ينظر نظرة عامة الى المجتمع الانسانى يحاول أن يحقق فيه رسالته عن طريق عمارة الارض ونشر الأمن والعدالة فيها: **(والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)** سورة العصر .

والاسلام لا يمنع الشباب المسلم أن يحب البيئة التى ولد فيها وتربى وعاش فلها حقوق الأخوة والجيرة والاصدقاء — والزكاة ينفقها صاحبها على الفقراء من أهل بلده وأقاربه والرسول الكريم يقول عن مكة : (ووالله انك لأحب بلاد الله الى الله وأحب بلاد الله الى ولولا أن قومك أخرجونى ما خرجت) — ولكن الاسلام لا يرضى بالعصبية لانه يرى أن الناس جميعا من أب واحد ومن أم واحدة وقد جعلهم الله شعوبا وقبائل ليتعارفوا لاليستعبد بعضهم بعضا ولا ليطغى بعضهم على بعض والرسول الكريم يقول: (ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية) أبو داود ، والقرآن الكريم يقولها صريحة مدوية : **(ولا يجر منكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)** المائدة/٢ .

مشكلة الحرية :

ومن مشكلات الشباب فى عصرنا

الحاضر مفهوم الحرية الذى جاء من الغرب احتضنته فلسفات مختلفة وكلها تعنى الانفلات من كل القيم والاخلاقيات بحيث يكون الانسان حرا فى كل ما يفعل وليس له ضابط خلقى أو اطار قيمى يفعل فيه ومن ذلك :

الوجودية :

وتلخيص هذه النظرية : انت مطلق الحرية فاصنع ما تشاء فان الحياة كلها سخط يورث القلق والضجر يقول سارتر (اليوم كغد والغد كبعد غد وأنه لا طعم لشىء ولا لذة ولا أمل فى شىء) مجلة حضارة الاسلام ، شعبان/١٣٩٨هـ

فهى بذلك تريد جرف الانسان الى غابة من الحرية المطلقة غير الملتزمة بأى اطار أخلاقى مثالى — غابة تسودها الفوضى وتظهر انعكاساتها السلبية على كيان الأسرة وعلى علاقات الناس بعضهم ببعض وعلى علاقات الناس بالدولة — ولقد كان حصاد ذلك كله موجات الهيبز التى تسود أوربا فى عصرنا الحاضر •

البراجماتية :

وهى فلسفة تؤله الفرد على حساب المجموع — وتضع معايير للتقدم والنجاح ولا تلقى بالا لعذاب المجتمع فى سبيل صعود الفرد حتى تصل بالنظام الاقتصادى الى مرحلة الاحتكار والاستبدال والقهر المستتر تحت أردية الحرية — ونتائج هذا ما نشاهده من مظاهرة التفسخ الاجتماعى التى تظهر دلائلها الآن فى أمريكا وتدفع بالمئات الى الانتحار الجماعى •

فلسفة التربية الاسلامية :

وهكذا نرى هذه الفلسفات التى تفسر الحرية بالانطلاق الكامل الذى يدمر الانسان لأنها فلسفات بشرية تنظر للانسان من زاوية واحدة وتنظر اليه نظرة خاصة فى وقت خاص — ومن هنا كانت الخطورة لكن فلسفة الاسلام فى التربية تجعل مفهوم الحرية بعيدا عن هذا كله لأنها تحده بقيود الأخلاق الاسلامية وترفع الانسان الى مرتبة عليا لأنه خليفة لله فى

هذه الارض يقوم بعمارتها فى حرية كامله بالاسلوب الذى يراه ولكن فى اطار الاسلام ومع الالتزام بالقيم الاسلاميه وبذلك يصبح مفهوم الحريه هو مفهوم البناء — بناء الفرد وبناء المجتمع وبناء الامة وبناء الانسانية كلها .. واذا كانت الفلسفات الوضعية قد فشلت فى تحقيق سلام الانسان مع نفسه رغم المؤتمرات العديدة التى تقوم بعقدها فان الاسلام نجح فى تحقيق سلام الانسان مع الانسان وفى تحقيق سلام الانسان مع الحيوان وسلام الانسان مع النبات وسلام الانسان مع الجماد لأن كل هذه الاشياء مخلوقة لله ، واذا كانت الدول المتحضرة فى العصر الحديث تحاول أن تثبت حقوق الانسان فان الاسلام قد فرغ من هذا كله منذ اربعة عشر قرنا وزاد عليه حقوق الكون كله على الانسان من حيوان ونبات وجماد .. الاسلام يبنى والحضارات الحديثة تهدم وتلك هى الخلفية الثقافية لكل ما يقومون به فى هذه الحياة .

ان الاسلام يحرم على المسلم أن يطأ بقدمه كسرة خبز أو مايؤكل مما يفيد الانسان أو غيره من مخلوقات الله تعالى لأن فى ذلك امتهانا للقمة التى حماها الله — فاحترام النعمة والمحافظة عليها سببه حاجة مخلوق من مخلوقات الله تعالى من ناحية وتقدير لجهد عامل من ناحية أخرى والى جانب ذلك ففيه ابتعاد عن الاسراف ومنع للفساد — ولو قارنا هذا بما يحدث فى أمريكا مثلا لوجدنا البون شاسعا — ومن ذلك أن ما يلقيه الشعب الأمريكى فى القمامة فى عام واحد يكفى العالم الثالث الجائع لمدة عام كامل .

المساواة بين الرجل والمرأة :

وما أكثر ما نادى المنادون فى الغرب — ثم فى الشرق — بالمساواة التامة بين الرجل والمرأة وما أكثر الخطوات التى اتخذوها فى سبيل ذلك حيث فتحوا لها أبواب العمل فى المجالات المختلفة التى تناسبها والتى لا تناسبها — وجعلوا التعليم واحدا للفتى

والفتاة وكان ليس لكل واحد منهما وظيفته فى هذه الحياة ــ وساعدت أجهزة الدعاية والاعلام والجمعيات النسائية فى نشر هذه المفاهيم بين الناس وافتعلت المعارك بين الرجل والمرأة ففلان نصير للمرأة وفلان عدو لها وتنشر الصحف دائما عن المكاسب التى حصلت عليها المرأة فى دولة كذا ودولة كذا .

وسارت البلاد الاسلامية فى هذا الاتجاه ــ ذلك لأن العالم الاسلامى أصبح فى موقف المستقبل لا المرسل والمتأثر لا المؤثر ــ فالغرب قد ربى أبناء الاسلام وغرس فيهم المفاهيم والقيم التى جعلتهم يسيرون فى اتجاهه وهم يظنون أن هذه الأشياء هى علامات التقدم والحضارة والمدنية ... وكانت نتيجة ذلك ما لاحظه المفكرون وعلماء النفس من ضياع أجيال واصابتهم بمختلف الامراض النفسية والعقلية لفقدانهم الرعاية والحنان والعطف والرعاية الطبيعية ــ وتركهم فى المحاضن أو مع العلامات فى المنازل ــ كما كان من نتيجة ذلك تخلخل داخل كل أسرة من الأسر ــ لأن المرأة شغلتها وظيفتها عن رعاية أسرتها ــ وكان هذا فوق ما تحتمله المرأة ــ بل وفوق ما تحتمله الجماعات الانسانية .

وكانت هذه مشكلة حيرت الشباب المسلم من الجنسين الذى وقع فى حيرة كبيرة من جراء هذه الأفكار التى تصب فى آذانه ليل نهار بينما يرى واقع الحياة على غير ما يتوقع ــ وعلاج هذه المشكلة من نشر الأفكار الاسلامية التى تنظم العلاقة بين الرجل والمرأة وتدعيمها بأحدث البحوث الغربية التى تناولت علاج هذه المشكلة والتى تبين أن المساواة بين الرجل والمرأة لا سند لها من علم أو فكر سليم فى أى ناحية من النواحى وأن هناك فروقا بين الرجل والمرأة من الناحية البيولوجية ومن الناحية الفسيولوجية ومن الناحية السيكلوجية ومن الناحية العقلية ، وان العالم اذا أراد أن يخفف من

مشكلاته فلابد وأن يعود بالمـرأة الى وظيفتها الأولى وهى تربيـة الأجيـال •

الفروق البيولوجية :

الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل للعلم يبين الفرق بين الرجل والمرأة من الناحيـة البيولوجية فى كتابه الانسان ذلك المجهول (أن الامور التى تفـرق بين الرجل والمـرأة لا تتحـدد فى الاشكال الخاصة بأعضائها الجنسية والوحـم والحمـل ــ ان هـذه الفوارق ذات طبيعة أساسية نابعة من اختلاف نوع الانسجة فى جسم كليهما ــ كما أن المرأة تختلف عن الرجل كليا فى المادة الكيماوية التى تفرز من الرحم داخل جسمها ــ فكل خلية فى جسمها تحمل طابعـا أنثويا ــ وهكذا تتكون أعضـاءه المختلفة ــ بل وأكثر من هذا فهذا هو حال جهـازها العصـبى) ، وتوجـد فروق أيضـا كثيرة بين الرجل والمرأة فى الوزن وفى العظام وفى القوة البدنية وغير ذلك •

الفروق الفسيولوجية :

ومن الناحيـة الوظيفيـة أو الفسيولوجية فان أعضـاء الجسم تتخذ شكلا يتناسب والاختلافات التشريحية فهناك فروق فى الكبـد وفروق فى الدم وما الى ذلك •• يقول فيروسيه فى دائرة معـارفه (انه نتيجة لضعف دم المرأة ونمو مجموعها العصـبى فاننـا نـرى مزاجها العصبى أكثر تهيجا مـن مزاج الرجل فتركيبها أقل مقاومة لأن تأديتها لوظائف الحمـل والأمومة والرضاعة تسبب لهـا أمراضا قليلة أو كثيرة الخطر »• كما يقـول الدكتور درفارينى فى دائرة المعارف الكبيرة (ان المجموع العضلى عند المرأة أقل منه كمالا عند الرجل وأضعف منه بمقـدار الثلث ــ والقلب عند المرأة أصغر وأخف منه بمقدار ٢٠ جـراما فى المتوسط فالرجل أكثر ذكاء وادراكا والمرأة أكثر انفعالا وتهيجا) كما يقول نيكوليه دبلـين فى دائـرة المعارف الكبـيرة (أن الحـواس الخمس عند المرأة أضعف منها عند الرجل) •

الفروق السيكلوجية :

وهناك فروق بين الرجل والمرأة فى العاطفة ـ والمرأة أكثر حساسية وتأثرا بالظواهر الطبيعية والمرأة لا تستطيع حفظ الاسرار ـ والمرأة يجذب انتباهها حادثة ما أكثر من فكرة ـ وانفعالات الرجال أعمق أثرا من انفعالات النساء ولكنها أقل بعكس النساء اللاتى تظهر عليهن الانفعالات الحادة الفجائية من غير كظم أو اخفاء ـ وقد لوحظ أن جرائم الشباب هى التشاجر والقسوة والتشرد أما البنات فان جرائمهن هى الأمور الجنسية والكذب ومحاولة الانتحار .

الفروق العقلية :

تثبت الدراسات أن هناك فروقا فى النواحى العقلية بين الرجل والمرأة يقول الدكتور جابر عبد الحميد رئيس قسم علم النفس فى جامعة قطر فى كتابه الذكاء وقياسه (لوحظ على الدوام أن الذكور يمتازون فى نواحى القدرة الميكانيكية ـ كذلك يتفوقون على الاناث فى الاختبارات العددية التى تتطلب الاستدلال ـ وتتفوق البنات فى اختبار الدقة وفى استخدام الأصابع مع الادراك الكافى للتفاصيل) .

فترات خاصة :

وهناكفترات خاصة تمر بها المرأة ولا يمر بها الرجل وتظهر فيها أمراض كثيرة تكون خلالها مضطربة قلقة لا تتمكن من أن تسير سيرا طبيعيا وهى حالات الدورة الشهرية والحمل والولادة والنفاس .. يقول فان دى فلد فى كتابه الزواج المثالى (أما الأعراض البدنية السائدة فى المرأة قبل الحيض وخلاله فهى الشعور بالتعب والضيق الغامض ـ ويظهر الصداع غالبا فيمن اعتدن الصداع فى هذه الفترات ـ ويزداد تدفق اللعاب ويتمدد الكبد ويتضخم ويحدث مغص فى الكيس الصفراوى ويضطرب الهضم كما تضطرب شهية الأكل) .

على القاضى

الباحث عن الحقيقة

للمرحوم محمد عبد الحليم عبد الله

من منظور الفن الروائى

للدكتور فتحى محمد أبو عيسى

– ٤ –

* لاشك أن تلون الموضـوعات التى تدور حولها الاعمال الروائية مؤشر ذو دلالة على نفـاذ نظـرة الروائى الى الأحداث التى تمـور بها الحياة كما أنه أمارة على ما قد ينزع اليـــه فى ركـــوب متـــن « الخيال » ، والتحليق فى أجـواء أثيرية ترتمى روايته بين أحضانها .

و « عبد الحليم » روائى لـــم يحبس أعماله فى « قمقـــم » ، أو يعزلها عن الحياة حتى تبقى صورا مكرورة فى الموضوعات والتناول على سواء .. ولعل وراء ذلك أستاذية متمكنة ، وضلاعة فنية مواتيـــة طوعها فى تطوير فنه وبث رؤاه من « عاطفية مجردة تفتعل الوقائـــع لتستندى الدموع فى روايته الأولى « لقيطة » الى انفعال مباشر تحمله أعماله الأخـــيرة الناضـــجة ،

---

* الباحث عن الحقيقة : رواية تكشف كثيرا من المعانى التى تتصـــل باسلام الصحابى الجليل « سلمان الفارسى » رضى الله عنه ..

وهى رواية تستبطن المعانى الدفينة التى خالجت هذا الصحابى الجليل منذ بحثه عن حقيقة « اسلامه » .

ولاشك أن الدراسة النقدية حين تلتحم بتلك المعـــانى التى عرض لها المرحوم « محمد عبد الحليم » تلقى ضوءا ساطعا على بعد ضخم من الابعاد الحياتية فى شخصية « سلمان » رضى الله عنه .

وخصوصا : « غصن الزيتــون » « ومن أجل ولد ى» (١) •

وهذا الملمح — فى حـد ذاته — يؤكد صدق « عبد الحليـــم » فى بعض الردود التى وجههـــا الى الدكتورة « بنت الشاطىء » (٢) ، فضلا عن موقف الفنان الـــذى يحلوله أن يظل حيث هو جامدا فى مكانه ، ثابتا فى موقعه لايريم عنهما أو يتحول ، فلا مراء — حينئـذ — فى ركود أعماله وضمورها • ومـن الظلم للفن دعواه الانتماء اليـه ، بل ومن الاهدار لأصالة الفـــن ورسالته أن نترخص فى مجـــرد تسميته « فنانا » •

وأمثال « عبـــد الحليم » من الروائيين الذين يمتلكون ناصـية « الفن » ويقتعدون غاربه ويربأون بأنفسهم عن الركون الى منطقــة الظل ، والاستسلام للدعة الفنية ، والاخلاد الى الراحة الفكـــرية ، بدليل أن أعمالا روائية غـــزيرة أبدعتها موهبته ، وتسامت به عـن العمل الفج الذى لايحمل مضمونا ينطوى على مقدرة وتبريز •

ونقرر نصفة للرجل • أن أعماله الروائية ، منذ أتيح لهـا أن ترى النور تتسم بتجدد منظوره الفنى وفقا لنزعته الفنية التى تبـدو فى تلك الاعمال مما يقطـع بتلـون الموضوعات ، واختلاف اتجاهه فى مرحلة عنها فى مـرحلة أخـرى • وتأمل ما يقوله مصداقا لذلك •

« لكن بعض أعمـــالى الأولى أخـذت الطـابع « الرومانسى » ، وهذه مرحلة تكاد تكون طبيعية عند معظم الكتاب فى السنوات الاولى من حياتهم الأدبيـة ، لكن قصصى الأخيرة مالت نحو « الواقعيـة » مثل « شجرة اللبلاب » و « غصن الزيتون» و «من أجل ولدى» (٣) •

فعبد الحليـم — اذن — ليس بدعا بين أبناء جيله من الكتـاب ، فقــد انعكست بعض مظاهـــر

---

(١) تجارب فى الادب والنقد ١٧٥ •

(٢) راجع موضوع التكرار الادبى والدكتورة (بنت الشاطىء ٩٣ — ٩٦ « قضايا ومعارك أدبية » •

(٣) مجلة الآداب (مايو ١٩٦٢) •

« الرومانسية » لدى رهط من الكتاب والروائيين ، نذكر منهم الدكتور طه حسين فى روايته دعاء الكروان ونجيب محفوظ فى رائعته خان الخليلى ويوسف السباعى فى انى راحلة وبين الأطلال وسواهم .. « وتأمل هذه الروايات يهدى الى موضوعها العاطفى وهو ما يتفق فيه كاتبنا مع كتاب عصره فى أول عهده » (١) واذا كان الطابع « الرومانسى » قد غلب على أعماله من البداية فقد تحول (عبد الحليم) الى اتجاه آخر انطبعت به رواياته فى فترة تالية عندما صار الى « الواقعية » التى سادت بعض أعماله الروائية .

ويبدو الفرق بين الطابعين عنده فى أن النظرة التى كانت تتملكه فى المرحلة الأولى اتجهت به الى المجتمع من خلال دافع عاطفى بحت . فى حين أصبحت النظرة لديه فى المرحلة الثانية ذات دافع اجتماعى عاطفى معا .. وربما يكون مرد هذا التحول الذى صار اليه الى عوامل ماجت بتيارات سياسية استقرت فى وعى المجتمع، وترسبت بين حناياه ، ونميل الى أن تكون تلك العوامل :

(أ) العدوان الثلاثى على « مصر » فى سنة (١٩٥٦ م) .

(ب) الوحدة بين « مصر » و « سورية » عام (١٩٥٨ م) ، وما آل اليه أمر تلك الوحدة بعد ذلك بقليل .

(جـ) انحسار المد الاسلامى فى عديد من صوره ، ولاسيما فى صورة وأد الفكر الاسلامى ، والتنكيل بصفوة من رجالاته ، سنة (١٩٦٥ م) .. كانت تمثل نقاء الفكرة الاسلامية ونبضها .

(د) نكسة (يونيو ١٩٦٧ م) . وما جرته على الشعب من البلبلة والكبت والتمزق .

فهذه العوامل ــ فيما أرى ــ لايمكن أن تمر مرورا عابرا دون أن

---

(١) انظر : « قضايا الفن القصصى ٨٨ ، د . يوسف نوفل .

تحدث فى وعى « الفنان » أخاديد عميقة رفدت بعض الأعمال الروائية التى واكبت هذه الأحداث

وليس أدل على تأثر الكاتب بمجريات تلك الأحداث من قوله فى حديث له مع احدى المستشرقات الروسيات يصف يوم « النكسة » وكيف كان وقعه على النفوس والمشاعر :

« اذا كان هذا اليوم (يشير الى الخامس من يونيو) حدا فاصلا فى التاريخ فكيف لا يكون حدا فاصلا بين عهدين فى شعور الناس وفى احساسهم ؟ وحين أقول « الناس » فانما أقصد جميع الناس ، فما بالنا بالكاتب والفنان الذى اتفقنا — أولا — على أنه انسان غير عادى •• اذا كان الخامس من « يونيو » ١٩٦٧ م فاصلا بين عهدين فى التاريخ ، غير شعور كل الناس والرجل العادى ، وجعل الريفى فى الحقل والعامل فى المصنع يتكلم بكلام جديد ، ويتحدث بأفكار جديدة ، فكيف لايكون فاصلا بين عهدين بالنسبة للرجل أو المرأة التى تحمل القلم أو الفنان !! أعتبر أن هذا شىء طبيعى ، كما نقول : الشتاء يأتى بعد الخريف ، والربيع يأتى بعد الشتاء ، ونحن الآن فى انتظار الربيع » (١) •

على أن العوامل السابقة التى طوعت قلم « عبد الحليم » لينزع فى رواياته منزعا واقعيا اجتماعيا عاطفيا لا تعدو أن تكون سياسية أو اجتماعية تحركت على مسرح الحياة ، فأما العوامل الفنية الداخلة فى اطار الفن والتى لعبت دورا — هى الأخرى — فى تحول الروائى الراحل من المرحلة الأولى الى المرحلة الأخيرة فتتبدى فى أن « الرومانسية » لم تعد — آنئذ — ذات بال فى معالجة القضايا وتناولها مما حدا بالكاتب أن ينزع نحو الواقعية •

يذكر الدكتور « يوسف نوفل » أن الكاتب فى المرحلة المتأخرة كان يحاول جاهدا أن يتخلص من

---

(١) مجلة الهلال أكتوبر ١٩٧٠ •

(الرومانسية) المتشبثة بكتاباته عن تغلغل وحنين قديمين ، رغبة منه فى مواكبة التطور الفنى الذى طرأ على فن القصة عالميا ومحليا فى الوقت الذى اقتنع أو حاول أن يقتنع فيه بعدم جدوى « الرومانسية » فى مواجهة قضايا العصر ، وأهمية اعتناق الواقعية فيما يكتب فى هذا الوقت ، فى هذا الوقت كان الواقعيون المحدثون قد فرغوا من اعداد وتطبيق صيغة جديدة متقدمة للواقعية ، استيعابا لقراءاتهم العالمية للواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية ، والوجودية والرمزية والنفسية ، والتعبيرية بل واللا معقول) (١) والذى يعنينا أن نلفت اليه أن (الباحث عن الحقيقة) موضوع تاريخى ، نزع عن قوس (الجنة العذراء) رواية الكاتب ، غير أن الموضوع فى (الجنة العذراء) تاريخ يصطبغ بالصبغة السياسية ، ويستمد مقوماته من الحرب العالمية الثانية ، وما صاحبها من غارات واكتنفها من ملابسات ، وآلت اليه من نتائج ، أما (الباحث عن الحقيقة) فتاريخ موغل فى القدم ينتهى الى فجر الدعوة الاسلامية ، وكيف صاغت النماذج الفريدة من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم على نحو رائع ، سيظل مضرب الأمثال فى كل آنية وأوان .

ويبدو أن انعطافه الى التاريخ الحديث له من الأسباب مايجعله مقبولا ، فقد كانت بداية التحول الاشتراكى تفرض نفسها فى عديد من مواقع العمل ، وسط قطاعات عريضة فى المجتمع ، لهذا كان التاريخ الحديث مرجعا ضروريا يستقى منه عمله ، ابتغاء أن ينطلق منه الى توضيح رؤيته .

ثم جد من الأحداث ما أتاح له أن يثوب الى نفسه ليجيل فكره فى تاريخ الاسلام ، كأنما وجد فى التاريخ الاسلامى ومواقفه دغدغة لمشاعره الحرى وقد أرهقها ما أرهقها من أحداث توالت على مسرح الحياة ، خلفت ــ بتعاقب

---

(١) قضايا الفن القصصى ١٣٦ .

الأحداث ــ نفسا مشحونة بالأسى مفعمة بالمرارة .

وما مهد للاتجاه التاريخى « أزمة نفسية عاتية تعرض لها الكاتب فى بداية « الستينيات » حيث عاش محنة قاسية نتيجة ما انتهى اليه فهمه لفساد الحياة الأدبية من ناحية ، ومشكلة الانتماء العقدى من ناحية أخرى ، فاعتزل الحياة ، وانفرد بنفسه يتأمل قسوة الحياة الأدبية بألم ، وظل فى معاناته تلك حتى تهيأ له فى « نوفمبر ١٩٦٦ م » أن يصب كل همومه النفسية ورؤاه الروحية فى هذا العمل ، ملتقيا بشخصية الصحابى الجليل « سلمان الفارسى » .

ولاشك أنه بهذه الرواية دخل أدب الكاتب قمة مرحلة من مراحل ابداعه ، وهى مرحلة يتجاوب فيها مع التاريخ ومع قضايا المجتمع فلم يعد يستند على الفطرة العاطفية والجمالية فحسب ، بل لجأ الى المجتمع ومجالات النفس ، واتخذ من معالجتها طريقا للتعبير عن الرغبة فى التغيير الاجتماعى والخلقى » (١) .

ومن الحقائق الأولية البدهية أن هيكل القصة يتفاوت فى شكل الأعمال الروائية من عمل الى آخر وفى التناول من كاتب الى سواه ، ذلك أن العمل الروائى قد يكون عاديا (تركيبيا) ، كما يكون (تحليليا) وفى كلا الشكلين يحدد الروائى موقفه ، ويجد نفسه أمام العمل التحليلى مضطرا الى سبر الأغوار واستبطان الحوادث واكتناه المواقف ، وليس هذا أمرا سهلا ، فما لم يكن الروائى ذا نظرة ثاقبة ورؤية عميقة، وملاحظة واعية فان عمله التحليلى لا يلبث أن يتوارى شيئا فشيئا فى زحمة المشاهد ، وقد يتلاشى ، وحينئذ لانرى فى العمل الروائى عنصرا من عناصر المتعة أو التشويق .

والروائى الناجح والفنان البارع هو الذى يخلع على روايته الحركة، ويوجد فيها الصراع ، ولا يتأتى

---

(١) المرجع نفسه ١٠٨ .

له ذلك الا بعد اختيار الموضوع والشخصية والهدف •

و « عبد الحليم » كان موفقا فى جعل تلك الشخصية الجليلة موضوعا لروايته الاسلامية •• وقد يتوهم بعض الناس حين يتصور أن اختيار « عبد الحليم » لهذه الشخصية خلو من الفنية ، على عكس صنيعه فى بعض رواياته الأخرى ، اذ حاول أن ينشىء لهم كيانا ، أسهمت فيه ملكاته بنصيب كبير ، معتمدا فى ذلك على حسه الفنى المتقد ، أما هو فى (الباحث عن الحقيقة) فقد تلبث أمام موضوع أو شخصية جاهزة ، فما فضله — اذن — وشخصية (سلمان) غير مغمورة ولاخاملة ؟ قد يتراءى ذلك لبعض الناس ، ولكن احساس الكاتب بانفعال تلك الشخصية المألوفة ، وتنسيق هذه الانفعالات فى مناخ نفسى متفق هو الذى يخلق فى العمل الروائى — أيا كان — روح الفن وجوهره وبهذا تتفاوت الأعمال الروائية •

وقد تهيأ لعبد الحليم فى (الباحث عن الحقيقة) مناخ نفسى أعانه على ائتلاف الشخصيات وتلاؤمها ولمس ما فى نفوس أصحابها من كوامن ، شكلت هذا المناخ بالصورة التى جاء عليها فى (الباحث عن الحقيقة) هذا « سلمان » يتحدث الى أخته (بوران) ، وقد طلبت اليه أن تحل وثاقه :

« آه يا « بوران » الغالية ، ليتك يا حبيبتى تشعرين بما أشعر به ، الجنة الآن فى داخلى •• ذراعاى خلفى ، وقدماى موثوقتان ، والراحة تملأ القلب ، عينى وراء أفقكم يا (بوران) •• هناك صلاة ذات أجنحة ترتفع بأصحابها الى السماء ، وهناك صلاة كسلاسل (الميناء) تشد السفينة الى الأرض •• = أحل وثاقك وألقى جزائى •

هتف (سلمان) بصوت كأنه آت من عالم بعيد :

لاتفعلى ، فالقوة التى حلت وثاق القلب ليست عاجزة يا (بوران) عن أن تحل وثاق

القـدم » (١) ، ان الانفعـــال النفسى فى مثل هذا المشهد ، والثقة التى داخلت (سلمان) وعاشت بين جوانحه واحساس الكاتب بكل ما تمليه تلك المواقف من حركة وجيشان من شأنه أن يحرك الأحداث ويبرز الصراع .

وائتلاف الشخصيات وتلاؤمها فى وحدة نفسية متسقة ضرب من اللمسات الفنية التى تكون أثرا من آثار معايشة الفنان للعمل الروائى الذى يتصدى له ، مما ينأى بالعمل الروائى عن طبيعة « السرد » الذى لايعول فى أغلب صوره على الغوص فى مسارب النفس وخواطرها .

ومن أمثلة هذا التلاؤم ما نراه واضحا فى شخصيات : « سلمان » و « الراعى » و « سهيل » و « العابد » من خط نفسى ينتظمهم ، فسلمان شخصية كل ما يشغلها أن تشبع الرغبة الدفينة بين حناياها وهى رغبة تظهر فى الاصرار على الاطاحة بالتقاليد الرثة البالية التى تستهين بقيمة الآدمى ، وتستخف بعقله وكرامته، وتهدر فيه الفطرة النقية ، ولا تأبه لشفافية المثل الروحية التى تشبثت بعالم الحق والخير والجمال ، ولهذا كان التردد يملؤه ، والقلق يسيطر عليه .. وكذلك كان (الراعى) .. ألم ترالية و (سلمان) يتحسس الطريق نحو داره ليلبس ملابسه يقول : « ابن الدهقان !! هذا ليس معقولا يا اله النور هل آن لك أن تنتصر على اله الظلام » ؟

وكأنى بالراعى يفصح عما بداخله من مشاعر مشحونة بالترقب والتحفز والتوثب فطالما كان لاله الظلام الذى عبده جبروت وسورة ، ولكنه جبروت يوشك الحوار أن يعصف به فيتبدد ويهتز،وهل الحق سوى اله النور؟!

أما (سهيل) فكان على غرار « سلمان » ، فاذا كان « سلمان » قد داخلته ثورة عاتية بددت هذه الرواسب التى عاشت بين جوانحه ردحا من الزمن فان (سهيلا) يبدو

---

(١) الباحث عن الحقيقة ٢٠ وما بعدها .

هو الآخر غير مقتنع بالهه الـــذى يتقرب اليه ، وربما كان ذلك مدعاة الى التهكم به ، والتمرد عليه ، على أن مظاهر العبادة التى سيق اليهــا غير موصولة بأعماقه ، هكذا كــان احساسه ، بيد أن تيار التقليــد الزائف فرض عليه لونا من الولاء ، وأنى له بمن يستمع اليه ليترجــم عن احساسه ، ويقدرمشاعره ؟

لاريب أن الاتفـــاق فى تلك الخواطر ، وفى التطلع الى من يبثها اليه : يعنى لونا من الانسجام فى المناخ النفسى لشخصيات الرواية

•• وأمام كل هذه الأصباغ الفنية يتولد الصراع وتتشابك الأحداث ، ثم يمتد سريان هذا الطابع خــلال العمل الروائى على نحو ينفـــرج قليلا قليلا حتى يبلغ الكاتب هدفه الذى توخاه منذ البداية •

(يتبع)

دكتور فتحى محمد أبو عيسى

« اقامة الألسنة »

قال عبد الملك بن مروان :

ما الناس الى شىء من العلوم أحوج منهم الى اقامة ألسنتهم التى بها يتحاورون الكلام ، ويتهادون الحكم ، ويستخرجون غوامض العلم مــن مخابئها ، ويجمــعون ما تفرق منها • ان الكلام قاض يجمع بين الخصــوم ، وضياء يجلو الظلام ، وحاجة الناس الى مواده كحاجتهم الى مواد الأغذية •

تساؤلات
بين يدى ميلاد الرسول العظيم

للأستاذ / رشدى محمد ابراهيم

اختيار الهى لا نستطيع أن نقف على أسراره جملة واحدة ، ولكننا قد نستطيع ادراك جزء من أسرار هذا الاختيار عندما نطرح هذه التساؤلات :

كيف كان العالم قبل الرسالة ..؟ وما سر اختيار النبى صلى الله عليه وسلم من العرب دون غيرهم .. ؟ ومن مكة دون سواها .. ؟ وما دلالة العلامات التى سبقت ميلاده .. ؟ والاحداث التى واكبت هذا الميلاد .. ؟

* * *

والمطلع على تاريخ العالم ، خلال الحقبة الزمنية ، التى سبقت اشراق نور الاسلام ، يجد أن العالم اذ ذاك اقتسمته امبراطوريتان عظيمتان ، تمتعتا بالمجد والسيادة ، على الدول والامارات التى تقع فى فلكيهما .. فكانت الامبراطورية الرومانية — فى الغرب — قد جعلت البحر المتوسط بحيرة تسيطر على شواطئه أطماع الرومان ، فتمتد يد الظلم الرومانى الى كل جانب .

والامبراطورية الفارسية فى الشرق بسطت نفوذها على الخليج ، وعلى الامارات المحيطة بها وتورطت الامبراطوريتان معا فى صراع دموى، فكانت الحرب بينهما سجالا .. وعلى مقربة من هذين الخصمين الكبيرين كانت تقبع شبه الجزيرة العربية بسكانها العرب الذين تلاءمت حياتهم مع مناخ الجزيرة ، فكانت لهم سماتهم الخاصة التى تغاير حياة الشعوب

الخاضعة للفرس والروم . فاتسم العرب بالشجاعة والاقدام، والكرم والوفاء والمبادرة بغوث المكروب والمستصرخ .. غير أن ظروف البيئة جعلت من القوم فى أنحاء متفرقة من الجزيرة متحاربين يدفعهم الى ويلات الحروب البحث عن المرعى الخصيب ، والعصبية والحمية .. وان كانوا على ذلك قد عظموا البيت الحرام بمكة ، وجعلوا الصدارة الدينية والزعامة لأهله ، لأنهم يحيون فى كنف هذا البيت العتيق . لذا عاش أهل مكة فى مأمن ، ومن يلذبهم فهو فى مأمن، فاشتغلوا بالتجارة شتاء وصيفا ، وعمهم الثراء ، كما عمهم الامان ، وأصبحت لهجتهم اللغوية أصفى النهجات وأنقاها ..

*** * ***

وبينما الحياة تسير فى طريقها .. كان أبناء الجزيرة قد أشربوا فى قلوبهم عقيدة ، ورثها الابناء عن الآباء ، فخالفوا بها الفطرة النقية فى الانسان ، وانقلب بذلك ميزان الحياة ، واضطربت لذلك مقادير الامور ، وتعصب هؤلاء القوم لعقيدتهم الفاسدة فجرفهم طوفان الشهوات الدنيئة ، فغصت حياتهم بالخمر والميسر والليالى الحمر ، حيث لا وازع ، ولا رادع يحجبهم عن هذا المجون السافر .. وبلغ بعضهم الغاية فى الغواية عندما رأوا فى انجاب الاناث العار لهم فجعلوا وأد البنات سنة فيهم ، وخلص الفساد الى كل حياتهم الاجتماعية، واندفعوا وراء عصبيتهم يقتتلون لأتفه الاسباب ، فمزقت أنياب القوة كرامة الضعفاء ، وحرية البائسين ولم يكن اضطراب العقيدة مقصورا على الجزيرة وحدها بل امتد الى الفرس والروم فاذا الفرس قد جذبهم تيار الزرادشية الى طوفان المادية والشهوات ، وضاعوا بين الهى النور والظلام ، والخير والشر ، وعرفت قصور الاكاسرة ضروب المتاع الحسى البغيض .. كما اختلف الرومان مع الشعوب الخاضعة لهم فى فهم المسيحية فاضطهدوهم ، وتاهوا فى هذا الخلاف محرفين بذلك العقيدة فاضطربت أمورهم ، وبدأت

أملاكهم تتقلص واستبدبهم اللهو والمتاع الحسى البغيض ..

وما كانت الحياة لتظل هكذا .. ما كانت لتظل أصناما ترفع ، وحقا يصرع ، وضعيفا يركع وبائســا يخضع ، ومستبدا يتجبر ، وطاغيا يتكبر .. وظلمات كظلمات بحـر لجى .. هكذا كانت الحيـــاة اضطرابا يموج بوجدان الكـون ومقدمات تسبق النتائج ، فلقـد تقاذفت أمواج الشهوات سـفينة البشرية فى بحار الملذات الطامية ، فافتقدت السفينة شاطىء الأمان ، وتطلع الجميع الى ربـــان وأى ربان .. انه ربان يستطيع أن ينجو بالســفينة من أثباج هذا العباب المزيد .. حتى آذن النور بالظهور .

* * *

ويتساءل العقل لو أن اختيــار النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن من العرب بل كان من أمة متحضرة مثل الفرس والروم .. هل كان بمستطيع أن يصدع بالحق والدعوة لاتزال فى المهد .. فى وجه كسرى أو قيصر .. ؟

ان عروش الظالمين والطغاة فى كل عصر ومصر تخشى نور الحـق فتقمع دعــوته وهى فى المهد وتكمم افواه الدعاة حتى يظل الطغاة أبطال الساحة المغاوير .. ؟

اذن ما كانت بلاد الفــرس أو الروم بصالحة ، لان تكون مهـدا لدعوة الحق الخاتمة .. أما جزيرة العرب فهى لا تخضع لنفـــوذ أصحاب العروش ، ولا تدين بالولاء لحاكم يبطش بأهلها ، وانما تخضع لقانون العصبية الذى يجعل من أفراد القبيلة جميعا يدا واحدة ، ومن أفراد القبائل المتحالفة قـوة واحدة فى وجه من يريد المســاس بحرمة القبيلة أو حرمة أى فـرد فيها .. لذا رأينا بنى هاشـــم جميعا يعانون المقاطعة التى فرضت عليهم لان محمدا ــ صلى اللــــه عليه وسلم ــ واحد منهم وما كانوا ليسلموه لشر أبدا ، رغم أن منهم من لا يدينون بدينه ، ولو أن أحدا من خارج مكة أراد الكيـد بالنبى عليه الصلاة والسلام ، ما كانت مكة لتتركه له رغم أنها تعـارض دعوته .. اذن فهى العصبية التى كانت سياجا لحماية الدعوة والداعى

من أى عدوان خارجي وان كانت نفس العصبية هى أداة الحرب التى وقفت فى وجه الدعوة ولكن بعد أن مكن الله لنبيه ودينه ••وكان العرب فى جزيرتهم رمزا للفطرة النقيةالتى لم تغيرها سطوة حاكم مستبد أو أمير ظالم •• وليتهم الآن يدركون رسالتهم فى الحياة ويعلمون أن دورهم فيها دور القائد الذى يتأسى به قومه ، فيعملوا على اصلاح ما تمزق من شملهم وماتناثر من أشلاء كرامتهم المبعثرة فى الشرق والغرب •

* * *

أما مكة فسر اختيارها دون غيرها ، من حواضر الجزيرة المستقرة — والله أعلم — أنها كانت رمز الزعامة الدينية ، ولها شرف الرئاسة على مناسك العرب التعبدية فى جاهليتهم •• فالمكيون هم زعماء العرب ، وسادتهم ، لانهم يعيشون فى كنف بيت الله الحرام •• ودعوة النبى — صلى الله عليه وسلم — هى نقض كامل لعقائدهم الدينية ، فكان اختيار مكة مهدا للدعوة ايذانا بانتهاء تلك الزعامة الدينية الفاسدة •• وتوجيها للدعاة ، بأن الدعوة — لكى تؤتى أكلها — يجب أن توجه أول ما توجه الى أسماع الزعماء قبل العامة •• وأيضا لو أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — بدأ دعوته من موضع آخر غير مكة لقال الزعماء : لو كان هذا بيننا — نحن المكيين — لأخمدنا دعوته منذ ذرقرنها ••

لذا كان اختيار مكة أمثل اختيار •• فكل الاعين تتطلع اليها ، وتنتظر ماذا ستفعل مكة بابنها الذى تمرد على دينها الموروث •• ولذلك لما فتحت مكة وأسلم أهلها ، دخل الناس من سائر القبائل والعشائر فى دين الله أفواجا •

* * *

ونتساءل عن تلك الاحداث التى واكبت ميلاد النبى عليه الصلاة والسلام ••فنجدها ذات دلالة خاصة •• وعلى رأس هذه العلامات قصة أصحاب الفيل التى وقعت فى العام الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه وسلم •• وأفردها الله تعالى بسورة فى كتابه الكريم ••

حيث تولى الله أمر بيته ، فوقـاه شر جيش أبرهه .. وكان هـذا اعلاما بأن قريش فى حماية الخالق فهم أهل بيته ، والقائمون عـلى أمره، وهاهم أولاء قد واجهوا كيدا يراد بالبيت ، وليس لهم قبـل برده فكان نصر الله .. وكان جند الله .. فمكن الله بذلك لقريش بين القبائل والذى يتابع النسـق القرآنى يجد أن القرآن الكريم ذكر عقب سورة الفيل سورة قريش « **لا يلاف قريش** » ومـا ذلك الا تأكيدا للمعنى السابق وهـو اعزازهم .

ونتساءل : لم هذا الاعزاز .. ؟ الأنهم هم القائمون على بيت الله الحرام .. ؟ وهم المشرفون على الاصنام .. ؟ أم أن هناك أمرا أجل وأعظم .. ؟

لاشك أن فى ضـمير الغيب كنزا مدخرا ونورا عما قريب سـوف ينبلج .. وسـوف يصـعق لـه كـل أولئـك وهـؤلاء .. أو ليس فى لجوء قريش — يوم ضاقت عليها الحلقـات ، واستحكمت الدوائر أمام جند أبرهـة — الى الخالق رب السماء والارض ، ورب البيت الذى يحمى بيته ، دليـل قاطع على عجز الآلهـة التى يعبدونها ، والا للجأوا اليها وطلبوا منها العون .. نعم لكأن القـوم فى أعماقهم احساس بضعف الآلهة الزائفة غير أنهم يكابرون فى ذلـك ويجادلون .

وحدث آخر سيظل عالقـا بذاكرة التاريخ وهو قصة فـداء عبد الله بن عبد المطلب ، لقد كان حدثا رج جنبات مكة .. فعبـد المطلب يريد أن يفى بنذره القديم ، الذى قطعه على نفسه بأن يذبـح أحد أبنائه اذا أصـبحوا عشرة رجال واليوم وقد حدث تخـرج السهام على آخرهم وأحبهـم الى نفسه ، على عبد الله ليكون هـو القربان ، ويقف أهل مكة فى وجه عبد المطلب ، وينتهى الامر باجراء القرعة بين عبد اللـه وعشرة من الابل هى فدية الرجل عندهم على أن تزاد الابل عشرا كلما خرجت القرعة على عبد الله .. وهكـذا حتى بلغت مائة انه أكبر فداء يقدم لانسان فى الجزيرة قاطبة ،ولـم تمض الا أشهر حتى كان عبد الله قد توفى بعد زواجه وخروجـه

للتجارة والناس بعد لم ينسوا ذلك الفداء الكبير •• ما السر فى ذلك اذن ••؟ ان قصة الفداء دليل على عظمة المفدى لانه يحمل أشرف نطفة لاشرف مخلوق •• وما كان له أن يعيش بعد أداء مهمته ألا وهى اخراج هذه النطفة الى حيز الوجود •• والله سيتولى أمر الرعاية والحماية والتربية فلا حاجة اذن الى امتداد حياة الأب•• وانها لعبرة لأولى البصائر النيرة •

وهناك علامات كثيرة قد سبقت البعثة النبوية وصاحبت ميلاد النبى العظيم •• وان شكك فيها البعض ممن عميت بصائرهم فانه لن يستطيع أن يطمس نور التاريخ الذى انبعث من مشكاة النبوة وهاجا منيرا •

رشدى محمد ابراهيم

عدم قصر الألفاظ على معانيها الشائعة

للأستاذ / عباس ابو السعود

تمتـــاز الفصـــحى بأن لمعظم ألفاظها أكثر من معنى ، بيـــد أن كثيرا من المثقفين وبخاصة من هى مهنتهم يكتفون للفظ بمعنى واحـــد هو المشهور ، ويهملون ما عداه .

لهذا رأيت من واجبى أن أقوم بنصيبى فى سد هذه الكلمة وتذليل تلك العقبة وذلك بأن أمدهم بمـــا ند عنهم من المعـــانى لطائفـــة من الألفاظ تكون نماذج يترسمونها ، لعلهم يهتدون بها الى ما أشـــكل عليهم أمره ، ويكشفون عما طمس الاهمال والتقصـــير معـــالمه ، ففى ذلك نماء لمحصولهم اللغوى ، كما فيه فرصة يتخيرون بها من المعانى ما يجعل أساليبهم متناســـقة لا مرسلة بددا ، ومتناظمة لا طرائق قددا .

وآنئذ تشع على قارئها وسامعها الظلال والأضواء ، وجودة السبك ، وحلاوة النســـج ولا يغيبن عـــن الأذهان أن الألفاظ هى حلل المعانى والآراء الســـليمة ، وترجمـــــان الحوادث والأفكار .

بها تتسم المسميات ، وتتخصص المبهمات ، وتتميز المســـــتحدثات والمبتكرات وعلم اللغة بما يضـــم من الفاظ ومعـــان يذكر برجـــاحة العقل طالبـــه ، وينعت بصـــــفاء الذهن صاحبه ، ويســـتحق الحمد عند كل العقلاء حاويه ، ويستوجب الثنـــاء الحسن من كل الأفاضـــل واعيه .

هو ناســـج أبراد العربيـــة ، وحائك غلائلها ، ومشرق شمسها ، ومظهر وحيها والالمام بكل معـــانى

اللفظ يروى غلة الباحث ، ويخلق منه أديبا يسماعا ، ويغريه بأن يتقيل البلقاء فى قيم نتاجهم ، ويحمله على أن يدرك ماق الآثار الادبية من ألوان البلاغة .

فمن عنى بتحصيل معانى الألفاظ وحفظها مع فهم ثاقب ، ولب راجح وقريحة صافية ، ولسان عضب فحل نثره ، وجزل شعره ، وأصبحت عيون الأدباء نحوه روامق ، وألسنتهم بمدحه نواطق .

ومن أمثلة ذلك :

أنهم يقصرون كلمة أسماء على أنها جمع لاسم كما فى قوله تعالى **« الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنى »** والحق أنها تستعمل مفردة أيضا على أنها علم لأنثى **وأصلها وسماء بالواو** .

تقول : وسم فلان من باب ظرف وسامة فهو وسيم أى جميل حسن الوجه، وهم وسماء كظرفاء، ووسام كظراف ، وهى وسيمة ووسماء ، وبهذا سموا أسماء وهمزته أصلها واو ، ومن ذلك السيدة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها وجمع الوسيمة وسام بالكسر كصبيحة وصباح .

والميسم بكسر الميم المكواة ، وكذلك هو الجمال وأثر الحسن ، وأصل الياء فيه واو جمعه مياسم على اللفظ ، ومواسم على الأصل ، تقول : امرأة ذات ميسم اذا كان عليها أثر الجمال والحسن .

ونقول : توسمت فى فلان الخير اذا تفرسته وتبينته حتى تعرفه بسمته ، فأنت متوسم ، وهم متوسمون ، ومن هذا قوله سبحانه **« أن فى ذلك لآيات للمتوسمين »** .

وقول الفرذدق :

توسمت لما أن رأيت مهابه
عليه وقلت الشيخ من آل هاشم

وتوسم الفلاح اذا طلب كلأ الوسمى ، والوسمى بفتح الواو وتشديد الياء هو مطر الربيع الأول ، وسمى بذلك لانه يسم الأرض ويزينها بالنبات والوسم بزنة الوجه هو التزين والتحسن ومنه قول الفرزدق .

انى امرؤ أسم القصائد للعداء
ان القصائد شرها أغفالها

ويقال : وسم الناس توسيما اذا شهدوا الموسم كموسم الحج وغيره ، كما يقال : عيدوا اذا شهدوا العيد .

٢ ــ ويقصرون كلمة الكتاب على المكتوب المعروف ، وعلى المنزل كما فى قوله تعالى « **ذلك الكتاب لا ريب** » وعلى الرسالة كما فى قولك : وصل الى من صديقى كتاب يقول فيه كذا وكذا .

والواقع أن للكتاب معانى عدة يجهلونها منها .

١ ــ أنه مصدر لكتب ، تقول كتب من باب نصر كتبا وكتابا أيضا والاسم الكتابة لأنها صناعة ومن الكتاب بمعنى المصدر قوله تعالى « **وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا** » فكتابا هنا مصدر مؤكد ، لأن المعنى كتب الله الموت كتابا له أجل لا يتقدم ولا يتأخر ومنه أيضا قوله سبحانه « **ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** » أى محددا مكتوبا .

٢ ــ ومنها القدر كما فى قولك حين رأيت جنازة : هذا كتاب الله تعنى قدره ، قال الجعدى .

يابنت عمى كتاب الله اخرنى
عنكم وهل أمنعن الله فعلا ؟

والكاتب عند العرب العالم ومنه قوله تعالى « **أم عندهم الغيب فهم يكتبون** » جمعه كتاب بتشديد التاء ، وكتبة بثلاث فتحات ، وكاتبون ، ومن هذا قوله تعالى «**فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون**»

وكذلك منه قوله سبحانه « **لكل أجل كتاب** » **أى لكل وقت من أى** حكم يكتب على العباد

٣ ــ ويقصرون السيد بتشديد الياء مكسورة على من يسود قومه ، اذ يقال : ساد فلان قومه يسودهم من باب كتب سيادة وسؤددا أيضا فهو سيد ان أردت الحال ، وسائد ان أردت الاستقبال ، وهم سادة ، وسيايد ، وسادات ، ولكن العرب وضعت هذا اللفظ لمعنيين آخرين زيادة على المعنى الشائع .

أحداهما : زوج المرأة كما فى قوله تعالى فى امرأة العزيز « **وألفيا سيدها لدى الباب** » .

والآخر : المسن من المعز ، وفى

الحديث « ثنى الضأن خير من السيد من المعز » •

أما السيد بكسر السين فهو الذئب والأسد ، تقول : فلان على كالسيد ، أى عدو كالذئب وهم على كالسيدان ، وزان صنو وصنوان ، ويقال للذئبة السيدانة ، ومن المجاز قولك هذه امرأة سيدانة •

٤ ـ ويقتصرون السواد على اللون المعروف ، يقال : سود الشىء يسود من باب تعب فالذكر أسود ، والأنثى سوداء ، جمعها سود بالضم كأحمر وحمر •

والحق أن للسواد معانى أخر •

١ ـ فهو الشخص جمعه أسودة كجناح وأجنحة ، وأساود أيضا ، تقول • رأيت سوادا ، وأسودة وأساود ، أى شخوصا ، قال الأعشى :

تناهيتمو عنا وقد كان منكم
أساود صرعى لم يوسد قتيلها

وتقول : كثرت سواد القوم بسوادى ، أى جماعتهم بشخصى• ومن هذا قولك : ساودت فلانا اذا ساودته ، لأنك تدنى سوادك من سواده •

٢ ـ وهو من القلب حبته كسويدائه •

٣ ـ وهو من الناس عامتهم ، تقول : عليكم بالسواد الأعظم ، أى عليكم بجماعة المسلمين •

٤ ـ وهو المال الكثير وهو من المدينة قرها ، تقول خرجوا الى سواد المدينة أى الى ما حولها من القرى والريف ، ومنه سواد العراق لما بين البصرة والكوفة ، وحولهما من قراها •

٥ ـ ويقصرون الأسود على معنى واحد هو المتصف بالسواد ، والواقع أنه يؤدى معانى أخر فضلا عن الفاشى •

١ ـ فهو الحية والعقرب ، ومنه الحديث « اقتلوا الأسودين فى الصلاة » جمعه الأساود •

٢ ـ والعرب تسمى الأخضر أسود ، لأنه يرى كذلك من بعيد ، ومنه سواد العراق لخضرة أشجاره وزروعه •

٣ ـ والأسود من السهام

هو المبارك المدمى يتيمن به كأنه اسود من كثرة ما أصابته اليد .

تقول : رمى الجندى بسهمه الأسود أى المبارك ، قال راشد :

قالت أميمة لما جئت زائرها
هلا رميت ببعض الأسهم السود

٤ — والأسودان التمر والماء ، تقول : ما طعامهم الا الأسودان .

٥ — والأسود من القوم هو الشريف الماجد ، تقول : فلان أسود القوم أى شريفهم ويصغر الأسود قياسا على أسيد بتشديد الياء مكسورة ، وعلى أسيود بكسر الواو ويصغر ترخيما على سويد .

٦ ويقصرون النفس على أنها الروح اذ يقال : خرجت نفسه أى روحه والحق أن لها عدة معان .

١ — فهى الدم ، تقول : سالت نفسه أى دمه ، ودفق فلان نفسه أى دمه ، وقولهم لا نفس له سائلة معناه لا دم له يجرى ، وفى الحديث « ما ليس له نفس سائلة فانه لا ينجس الماء اذا مات فيه » وسمى الدم نفسا لأن النفس التى هى اسم لجملة الحيوان قوامها الدم ، والنفساء من هذا .

٢ — وهى العند والحقيقة ، ومن هذا قوله تعالى « **تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك** » اى تعلم ما عندى ولا أعلم ما عندك ، أو تعلم حقيقتى ولا أعلم حقيقتك ، قال ابن الأنبارى : الأجود أن النفس فى هذه الآية معناها الغيب ، أى تعلم غيبى ولا أعلم غيبك ، لأن النفس لما كانت غائبة أوقعت على الغيب ، ويشهد لصحة هذا الرأى قوله تعالى فى آخر الآية « **انك أنت علام الغيوب** » كأنه قال : تعلم غيبى يا علام الغيوب .

٣ — وهى الانسان كما فى قوله سبحانه « **كل نفس ذائقة الموت** » وقوله « **كل نفس بما كسبت رهينة** » وقوله « **يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها** »

وقولهم : ثلاثة أنفس بالتذكير معناه أن المفرد انسان .

٤ — وهى العقوبة كما فى قوله عز شأنه « **ويحذركم الله نفسه** » أى عقوبته .

من وحي المولد الشريف

للأستاذ / محمد عبد الرحمن صان الدين

ربيب القفر والوادي الجديب
بكف اليتم فى عيش اللغوب
جفتك المرضعات وأنت غض
على مهد من الصخر الصليب
طلعت على بني الدنيا سلاما
وشمسا لا تميل الى غروب
بأخلاق كأنسام رقاق
سرت فى السكون تنفحه بطيب
رسول الله يا سر الليالى
وكنز الدهر فى طى الغيوب
وأمنية المساكين الحيارى
وحلم البيد والرمل الخصيب
رعيت سوائم الأنعام طفلا
وسست الناس ابان المشيب
فذللت الجموح بغير سوط
وألفت القلوب على القلوب
وأسبغت السلام على بقاع
هوت فى وهدة الشر الرهيب

شريعتهــــا ســـــيوف داميـــــات
بحلبـات التصـــادم والحـــروب
تصـــيح بها شـــياطين المنـــايا
وتـــركض فى المفـــاوز والــــدروب
وتشرب مـــن دمـــوع ســــاجمات
وترقص حـــول حشرجـــة النحيب
حيـــاة فى جحيـــم البغى تغـــلى
وطـاحـــون يـــدور بـــلا رقيب
وأقـــوام عـــلى الأهـــوال ســـاروا
وقـــروا بـــين ألســـنة اللهيـــب
تعابثهـــم طيـــوف شـــاردات
من الأوهـــام فى تـــلك الســـهوب
وأفـــكار عشـــاوى هائمـــات
بليل الجهـــل والســـفه الغضـــوب
خفـــافيش يروعهـــا ضـــياء
كمـــا تـــرتـــاع بالخطب المصـــيب
فلمـــا لاح فجر الحـــق مـــاتت
وكفنهـــا دجى الليـــل الكئيب
طبيب الناس قد ســـقمت قـــلوب
فذكرهـــا ببلســـمك العجيب
فما فى الخلق بعـــدك من رشـــيد
ومـــا فى الأرض غـــيرك مـــن طبيب
فـكيف أقمت من رمـــل الفيـــافى
صروحـــا لا تـــزعـــزع بالخطـــوب
وكيف صنعت مـــن قـــوم غـــلاظ
مصـــابيح الهـــداية الشـــعوب

وشـــهبا قـــد رميت بهـــا بـــلادا
تهيـــم بحمـــأة الـــرجس المعيب
فأضـــحت والفضـــائل توجتهـــا
تتيـــه بمئزر الطهـــر القشـــيب
وترتع فى ظـــلال الأمـــن نشـــوى
بمـــا بلغتـــه مـــن عـــز رتيب
أجـــل هـــو منحـــة الرحمن وحى
ضـــياء الـــروح واللـــب الأريب
فـــكان لحـــيرة الانســـان رشـــدا
وكان العتـــق مـــن رق الـــذنوب
رســـول اللـــه والأزمـــان بينا
كأنك فى ضـــحى الأمس القـــريب
حيـــاتك فى فـــم الدنيـــا نشـــيد
وذكـــرك فى المســـامع والقـــلوب
تـــردده الليـــالى راقصـــات
على قيثـــارة الدهـــر الطـــروب

محمد عبد الرحمن صان الدين

حكم ... وطرائف

اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« حب الوطن »

قدم سعد بن ضمضم علـى الحسن بن سهل ، فأنشده قصـيدة يمدحه فيها ، ويصف سوء حاله بالبادية ، ويطلب منه المساعدة فقـال له الحسن : سل ما شئت وتمن ما أحببت فلو خرجت اليك من ملـكى كـله ماكافأتك !!

فقال : تشترى لى غنيمات ثم تردنى الى البادية ، فقال الحسن تحن الى مكان فيه الفقر والفاقة ، والذل والهوان ، فقـال : الـوطن ، الوطن !! ثم أنشد :

بـلادى وان جارت عـلى عـزيزة
وأهلى وان ضـنوا عـلى كـرام

فاشترى له ألف شاة وأعاه عشرين ألف درهم ورده الى وطنه

« سؤال من شيطان »

قال حامد الأصم : ما من صباح الا والشيطان يقول لى : مـاذا تأكل ؟ وماذا تلبس ؟ وأين تسكن ؟! فأقول : آكل الموت ، وألبس الكفن ، وأسكن القبر •

« صدق وشجاعة »

جلس الحجاج يوما لقتل من خرجوا عن الطاعة ، فلما حضروا بين يديه قام من بينهم رجل ، وقال : أيها الأمير لا تقتلنى ، فان لى عليك حقا .

فقال الحجاج له : وما حقك عندى ؟

قال : انى سمعت كبيرنا يسبك فعارضته ، ودافعت عنك .

فقال الحجاج : هذه دعوى لا تثبت الا بالشاهد فهات شاهدك على ما قلت ، فالتفت الرجل الى المحضرين للقتل ، وقال : أليس فيكم من يعلم ذلك عنى ؟ فقام رجل وقال : أيها الأمير قد حصل ذلك أمامى وبمسمعى فقال الحجاج : وما الذى منعك أنت من أن تدافع عنى مثل ما دافع صاحبك هذا ؟ قال : منعنى عن ذلك بغضى لك ، فقال الحجاج : قد عفوت عن الرجلين : الأول لحقه على ، والثانى لصدقه فيما قال !! .

« الويل »

تحدث « ابن الجوزى » عن رجل اسمه « بزيه » وكان قبيح الصورة ، فلما حملت امرأته ، قالت له : الويل لك ان كان ولدى يشبهك . فأجابها : بل الويل لك أنت ان جاء يشبه أحدا غيرى !!

« أصدق الايمان »

مر عبد الواحد بن زيد على أحد الصالحين ، وقد أصابته جميع البلايا والرزايا حتى ان الدود يتناثر من جسمه بسبب جراحاته ، ومع ذلك يقول : الحمدلله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه ، فتعجب من ذلك الرجل ، ومن صبره على هذه المصائب ، ثم تقدم اليه ، وقال : يا أخى وأى شىء عافاك الله منه ؟ والله ما أجد جميع البلايا الا محيطة بك ، فرفع طرفه وقال : اليك عنى فانه عافانى اذ أطلق لى لسانا يوحده

وقلبا يعرفه ، وفى كل لحظة يذكره وأنشد :

حمــدت اللــه ربى اذ هـــدانى
الى الاســـلام والــدين الحنيف
فيــذكره لســـانى كـل وقـت
ويعـــرفه فـــؤادى باللطيــف

« أفضل صحبة ؟ »

قيل لحكيم : أى الرجال أفضل صحبة ؟

قال : الذى جاورته وجدته عليما ، واذا اختبرته وجدته حكيما ، واذا غضــب كان حليما ، واذا ظفر كان كريمــا ، واذا استعطى أعطى جسيما ، واذا وعد وفى وان كان الوعد عظيما ، واذا اشتكى اليه وجــد رحيما •

« كلكم محقون »

اختصم صديقان لجحا ، جاء أحدهما يعرض عليه شكواه •

فقال له : أنت محقق فى شكواك •

ثم جاءه الصديق الثانى فى اليوم الثانى ، فقال له : كما قال لخصمه • وكانت امرأته تسمع القصتين •

فقالت لجحا : « يالك من جاهل » خصمان مختلفان وكـــلاهما محق فى شكواه ؟

فقال لها ولماذا تغضبين ؟ فأنت أيضا محقة فيما تقولين •

« دعـــاء »

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينـــا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » •

« صدق الله العظيم »

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

باب الفتاوى

إعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين

س : ماهى حقيقة كل من الجن والشياطين ؟ وهل هما من أهل التكليف ؟ وهل تجوز المناكحة بين بنى آدم وبين الجن ؟

وما المراد بالسحر ؟ وما مدى تأثيره على المسحور ؟ وما هو حكم من يشتغل بالسحر ؟

ج : وقد عرضنا هذه الأسئلة على فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالله المشد عميد كلية الدراسات الاسلامية الأسبق ، وعضو لجنة الفتوى وعضو مجمع البحوث الاسلامية فتفضل مشكورا بالاجابة التالية :

أصل الجن : ستر الشيء عن الحاسة ، يقال جنه الليل وأجنه اذا ستره ، وجن عليه فجنه ستره .

وأصل الشيطان — من شطن أى تباعد والشيطان بعيد عن رحمة الله ، أو من شاط يشيط : بمعنى احترق غضبا .

ذكر صاحب المقاصد : ان وجود الجن والشياطين مما انعقد عليه اجماع الآراء ونطق به كلام الله تعالى ، وكلام أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ا هـ وحينئذ يكون انكار وجود هذا النوع كفرا كما صرح بذلك المفسر الألوسى فى تفسير سورة الجن .

ولكن الخلاف بين العلماء فى هذه المسألة انما هو فى مفهوم الجن والشياطين وبيان حقيقتهم وأوصافهم مما لم يرد به أدلة شرعية صريحة قاطعة .

ولهذا انقسم علماء المسلمين فى ذلك الى فريقين رئيسيين .

(أ) الفلاسفة المسلمين •

(ب) وغـيرهم من المتـكلمين والفقهـاء •

وقد انقسم الفلاســـفة الى قســـمين :

١ ــ **عرف بعضهم الجن :** بأنهم جواهر مجردة عن المادة لها تصرف وتأثير فى الاجسام العنصريـة من غير تعلق بهـا تعلق النفـــوس البشرية بأبدانها ولا تلبس •

وعرف الشياطين : بأنها القوى المتخيلة فى أفراد الانسان من حيث استيلاؤها على القوى العقليـة ، وصرفها عن الخير واكتساب الكمال العقلى ، والميل بهـا الى اتبـاع الشهوات والملذات الحسية والوهمية واختاره الامام محمد عبده •

٢ ــ أما القسم الآخـــر من الفلاسفة فقد عد الجن والشياطين متفقين فى حقيقتهـا • وذلك لأن الجن والشـياطين عنـــدهم هى النفوس البشرية المفارقة لأبدانها بعـد فنـــاء الابـدان وزهوق الارواح •

فالجن : ما كـان خيرا من تلك النفـــوس خاضعا لدواعى القـــوة العاقلة فى حياته •

والشياطين : ما كان منها شريرا فى الحياة ، ثم يعد مفارقته للأبدان أخذ يعين الناس على الضـــلال ، والانغماس فى الغواية •

اما غير الفلاســـفة من المتكلمين والفقهـــاء فقـــد اختلفـــوا فى ذلك أيضا •

١ ــ قـــال **بعضـــــهم** • الجن والشياطين متغايران بالحقيقة •

فالجن : أجسام لطيفة هـــوائية تتشكل بأشكال مختلفة ولا دليـــل لهم على ذلك ــ وقالوا منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصى •

أما الشياطين فهى أجسام نارية تقوم بالقاء النفس فى الفســـــاد والغواية •

٢ ــ وقال بعضهم حقيقة الجن والشياطين واحدة ، وهى اجسام عاقلة تغلب عليها النـــارية قابلـــة للتشكل •

والفرق بينهما : أن الشـــيطان هو المتمرد من الجن ، أمـــا الجن فهو شامل للتمرد ولغـــيره وهـــذا

هو المشهور بقول الله تعالى (**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**) (١) .

وقال الراغب الاصفهانى :

الجن يقال على وجهين احدهما للروحانيين المستترين عن الحواس كلها فتدخل فيه الملائكة والشياطين . فكل ملائكة جن ، وليس كل جن ملائكة .

وقيل : بل الجن بعض الروحانيين ، لأن الروحانيين ثلاثة .

١ـ خيارهم الملائكة .

٢ ـ أشرارهم الشياطين .

٣ ـ أوساط : فيهم أخيار وأشرار وهم الجن .

يدل عليه قوله تعالى (**وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون**) (٢) .

والشيطان : مخلوق من نار دل عليه قوله تعالى (**خلق الجان من مارج من نار**) (٣) .

لانه اختص بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة والامتناع عن طاعة الله بالسجود لآدم .

ويطلق على كل عارم من الجن والانس والحيوان .

ففى قول الله (**واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان**) (٤) المراد منهم مردة الجن ويصح أن يراد منهم مردة الانس .

وقوله تعالى (**شياطين الانس والجن**) (٥) وقوله : (**ان الشياطين ليوحون**) (٦) صالح لمردة الجن والانس وقوله : (**واذا خلوا الى شياطينهم**) (٧) بمعنى أصحابهم **وقوله (كأنه رءوس الشياطين)**(٨) وهى حباب خفيفة الحركة .

وجاء فى كتاب الأشباه والنظائر

---

(١) الآية ٢٧ من سورة الحجر .
(٢) الآية ١٤ من سورة الجن .
(٣) الآية ١٥ من سورة الرحمن .
(٤) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .
(٥) الآية ١١٢ من سورة الأنعام .
(٦) الآية ١٢١ من سورة الأنعام .
(٧) الآية ١٤ من سورة البقرة .
(٨) الآية ٦٥ من سورة الصافات .

عن السيوطى نقـلا عن غـيره : **لا يجوز المناكحـة بين بنى آدم والجن وانسان المـاء لاختـلاف الجنس .**

وســـئل الحسن البصرى عن التزوج بجنية فقال : لا يجوز ؟
وسئل : على بن أحمـــد عن تزوج المسلمة بجنى هل يجـوز ؟ فقال : يصفع الســائل لحماقتـه وجهله .

واستدلوا على التحـريم بقول الله تعالى « **والله جعل لكم مـن أنفســـكم أزواجا** » (١) **أى من** جنسكم ونوعكم ، كما قال تعـالى « **لقـــد جاءكم رســـول من أنفسكم (٢)** أى من الادميين .
وبما روى عن الزهـرى (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح الجن) وهـو وان كان مرسلا لكنه تأيد بآراء العلمـاء : الحسن ألبصرى وقتـــادة وابن قتيبـة ، وابن راهـويه ، وابن الاصم .

والجمهور على أنه لم يكن من الجن نبى وان معنى قـوله تعالى « **يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم** » بمعنى رسل عـن الرسل ســمعوا كلامهم فأنذروا قومهم ، خلافا للضـــحاك وابن حزم .

وكانت رسالة محمد عليه السلام عامة وشاملة .

واختلفوا فى مؤمنى الجن :

ذهب ابو حنيفة وجماعة : الى أنه لا ثواب لهم الا النجـاة من النار ، وزاد الليث ثم يقال لهم : كونوا ترابا كالبهائم

وقال مالك وابن ليلى : يثابون كما يعاقبون ــ وزاد الضحاك :ــ
ويلهمون مــن التسابيح والذكر ما يصيبون به من اللذة ما يصـيب بنو آدم من نعيم الجنة .

وقال عمر بن عبـــد العزيز : يسكنون حول الجنة فى ربضهـــا ولا يسكنون فيها .

وكل هذه أراء واجتهاد لم يقم

---

(١) الآية ٧٢ من سورة النحل .
(٢) الآية ١٢٨ من سورة التوبة .

عليها دليل من كتاب أو سنة وانما هي من الأمور الغيبية والسحر : هو عقد ورقى ، وكلام يتكلم به أو يكتب ، أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه ، أو عقله من غير مباشرة .

قال الشافعي واحمد :

وله حقيقة فمنه ما يقتل ، ومنه ما يمرض ، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه من غشيانها ، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه ، وما يبغض أحدهما في الآخر .

يدل على أنه حقيقة لا تخييل قول الله تعالى **« ومن شر النفاثات في العقد »** (١) يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن ، وينفثن عليه ، ولولا أن له حقيقة ما أمر الله بالاستعاذة منه .

وقال الله تعالى **« يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت »** الى قوله **(فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه)** (٢) ورد عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم سحر حتى انه يخيل اليه أنه يفعل الشىء وما يفعله .

وقال بعض أصحاب الشافعي :

ان السحر لا حقيقة له ، وانما هو تخييل لان الله تعالى يقول : (يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) (٣) .

وقال الحنفية :

أن كان شىء يصل الى بدن المسحور من عمل الساحر كدخان ونحوه جاز أن يحصل منه ماذكر من الاضرار ، فأما أن يحصل المرض والموت من غير أن يصل الى بدنه شىء فلا يجوز ذلك لانه لو جاز لبطلت معجزات الانبياء لان ذلك يخرق العادات .

قال أحمد :

فاذا ثبت ما قررناه حقيقة ثبت أن السحر وتعلمه حرام ، ويكفر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أم اباحته ، لقوله تعالى

---

(١) الآية ٤ من سورة الفلق .
(٢) من الآية ١٠٢ من سورة البقرة .
(٣) الآية ٦٦ من سورة طه .

« وما كفر سليمان » (١) وقـــوله « انما نحن فتنة فلا تكفر » (٢) •

وقال ابو حنيفة : ان اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء كفر ـــ وان اعتقد أنه تخييل لم يكفر •

وقال الشافعى : ان اعتقـــــد ما يوجب الكفـــــر كالتقـــرب الى الكواكب وأنها تقضى ما يلتمس أو اعتقد حل السحر كفر لان القرآن نطق بتحريمه والافسق ولم يكفر لأن عائشة باعت مدبرة سحرتها •

وحد الساحر عند الحنفية والمالكية القتل وهو مذهب عمر وعثمان وابن عمر وحفصة •

وقال الشافعى : لا يقتل بمجرد السحر لأن عائشة باعت مـــدبرة سحرتها ولو وجب قتلهـــا لما حل بيعها •

ولان النبى قال (لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد احصان أو قتل نفس بغير حق) والساحر بمجرد السحر ليس واحدا منهم •

وقال أحمد : حد الساحر ضربه بالسيف فقد كتب عمر الى ولاته قبل موته بسنة ــ اقتلوا كل ساحر فقتلوا ثلاث سواحر فى يوم واحد وقتلت حفصة جارية لها سحرتها •

وهل يستتاب :

المشهور عن الصــــــحابة انه لايستتاب لعدم الاثـــر أو النص بذلك ، وروى أنه يستتاب قبـــل قتله ، فان قبلت توبته لأن الساحر لو كان كافرا وأسلم صح اسلامـــه وتوبته فاذا صحت التوبة منهمـــا صحت من أحدهما •

ازالة الضرر بحل السحر وهـــــو ما يسمى (بحل المربوط) •

ان كان بشىء من القرآن والذكر فلا بأس به ، روى عن ســـــعيد ابن المسيب فى الرجل يؤخذ عـــن امرأته يلتمس من يداويه فقـــال : انما ينهى الله عما يضر ولم ينـــه عما ينفع •

أما الكاهن : الذى يدعى أن له رئيا من الجن يأتيه بالاخبار •

والعــــــــراف : الذى يحدس ويتخرص فيحبس كل منهمــــــا ويستتاب • والله الموفق

عبد الحميد السيد شاهين

(١ ، ٢) من الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

« فقيد العلم والاسـلام »
فضيلة الشـيخ محمد علوانى سامون

• ولد فضيلة الاسـتاذ الشيخ محمد علوانى سـامون فى ١٨٩٤/٩/٣٠ بالدلنجات بحيرة . والتحق بمكتب البلـدة حيث حفظ القرآن الكريم وأتمه وهو فى سن الحادية عشر . ثم انتقل الى معهد الاسكندرية الدينى وأتم الدراسة به وتقدم للحصول على شهادة العالمية النظامية واجتاز امتحانها بنجاح . وكان فى مراحل التعليم المختلفة من الاوائل .

• ولما كانت لوائح التعيين السارية آنذاك لا تجيـز التعيين لمن هو دون الخامسة والعشرين فقد اشـتغل بالمحاماة وكان من روادها حيث عمل على نصرة الحق واعلاء شأنه .

• ونزولا على رغبة والده فى أن يكرث جهده للعلم والـدين تقدم لامتحان مسابقة التدريس واجتاز الامتحـان بنجاح وعين مدرسا للعلوم العربية والدينية بالمعاهد الدينية الأزهرية .

• وعندما أنشئت كلية الشريعة أختير للتدريس بها . ثم أختير عام ١٩٤٨ مفتشا للعلوم العربية والدينية ثم عين شـيخا لمعهد المنيا الدينى . وبناء على رغبته فى العودة الى سـلك التدريس بالكلية فقد عاد الى كلية الشريعة عام ١٩٥١ وظل بها حيث عين أستاذ لمادة أصول الفقه ثم أختير وكيلا للكلية الى أن بلـغ سن التقاعد عام ١٩٥٩ . وقد تتلمذ عليه كثير من العلماء الذين تبوءوا عديدا من المناصب .

• أختـير بعد ذلك للتدريس بكلية الدراسـات الاسلامية والعربية ثم عضوا بلجنة الفتوى بالأزهر ثم أختير رئيسا للجنـة خلفا للمرحوم الشيخ محيى الدين عبد الحميد سنة ١٩٧٢ .

• شارك فى تقنين المعاملات وفقا لأحـكام الشرع المحمدى وكذلك تقنين الحدود .

• أختير عضوا بمجمع البحوث الاسلامية فى اغسطس سـنة ١٩٨٠ وتوفى فى ١٩٨٠/١٢/٢١ .

من أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ فهمي عبد الإله سيد علي

« علماء المغرب يشيدون بدور مصر فى نهضة العالم العربى والاسلامى » (١) .

صرح الشيخ المكى الناصرى كبير علماء الرباط أنه لا يوجد عربى سليم العروبة ولا مسلم قوى الايمان يستطيع أن ينكر دور مصر فى نهضة العالم العربى الاسلامى .

وقال كبير علماء الرباط فى افتتاح الموسم الجديد للمركز الثقافى المصرى بالرباط والذى حضره وكيل وزارة التربية والثقافة ، وعدد كبير من المفكرين والكتاب المغاربة ... انه لا يمكن انكاردور مصر ، والعبء الذى تحملته فى الدفاع عن قضاياها العادلة ، وفى الوقوف جنبا الى جنب مع كافة الشعوب العربية والاسلامية دفاعا عنها وعن قضاياها .

وأضاف الشيخ المكى ... لقد كنا نقصد مصر لأنها قبلة الفكر الحديث ، والنهضة الحديثة ، والتوجيه الوطنى السليم . وكانت مصر تفتح ذراعيها لاستقبالنا ، وتفتح جامعاتها ونواديها بكل عطف وترحيب وتشجيع ... ولقد ظلت مصر فى اذهاننا أمة ذات رسالة ... رسالة العروبة ، ورسالة الاسلام ، ورسالة التجديد ، ورسالة النهضة الوطنية والمقاومة

---

(١) أخبار اليوم ١١/١٠/١٩٨٠

للاستعمار ... وقد كانت الرسالة الدائمة الأولى والمستمرة لكل فترة من فترات تاريخ مصر هى رسالة الثقافة ... رسالة التربية . رسالة التعليم .

وكان قد تم افتتاح الموسم الجديد للمركز الثقافى المصرى بالرباط ليؤدى رسالته الثقافية على مدى الأشهر الستة القادمة بعد اجراء تجديدات شاملة .

ويضم المركز نحو ٢٠ ألف مجلد فى مختلف العلوم والفنون والمعرفة ... ومن المعروف أن المركز تم انشاؤه عام ١٩٥٧ م .

« جمعية علماء الهند » (١) .

منظمة اسلامية قديمة ذات دستور ونظام ، تمثل علماء الدين خاصة والمسلمين عامة فى الوطن الهندى وتحمل تاريخا طويلا ، يحفل بأعمالها المجيدة وتضحياتها الجسيمة فى سبيل كفاح التحرير قبل تقسيم الهند ، وتمتاز بخدمات مركزة ومجهودات بناءة للاسلام والمسلمين بعد الاستقلال وتقسيم الوطن ، ولعبت دورا هاما فى توجيه الأمة الاسلامية وقيادتها ، وقامت ببطولات منذ تأسيسها للمحافظة على الشعائر الاسلامية ، وفى الدفاع عن حوزة الاسلام وحقوق المسلمين، وبذلت ولاتزال تبذل جهودها المثمرة المتواصلة فى رفع مستوى المسلمين دينيا واجتماعيا واقتصاديا ، فهى المنظمة الوحيدة التى حملت بعد استقلال الهند أعباء جسيمة ومسئوليات ضخمة للدفاع عن حقوق المسلمين والمحافظة على كرامتهم ومقدساتهم والنهوض بهم فى كافة شعب الحياة ليعيشوا فى وطنهم مكرمين مطمئنين .

« المؤتمر العالمى للاعلام الاسلامى بأندونيسيا يضع لأول مرة :

ميثاق شرف للاعلام الاسلامى ....

تحية من المؤتمر لمصر المسلمة

(١) جريدة الكفاح الهندية العدد ٦ ، ٧

... وشعبها المسلم العريق » (١)

أصدر المؤتمر الدولى الأول للاعلام الاسلامى فى مدينة جاكارتا عاصمة اندونيسيا ميثاق شرف للاعلام الاسلامى أطلق عليه « اعلان جاكارتا » يقضى بضرورة التزام الصحفيين المسلمين بنشر الاسلام والعمل على ترسيخ قيمه ومبادئه الخلقية ، وجمع كلمة المسلمين ، والدعوة الى التحلى بالعقل والأخوة الاسلامية والتسامح ومجاهدة الاستعمار والالحاد فى كل أشكاله ، والعدوان فى شتى صوره ، والحركات الفاشية والالحادية .

كما يقضى ميثاق الشرف الاعلامى الاسلامى الذى يقر الأعلاميون المسلمون الالتزام به وجعله نبراس أعمالهم ، ومصدر التقنين لواجباتهم وحقوقهم ، مجاهدة الصهيونية واستعمارها الاستيطانى ، واليقظة الكاملة لمواجهة الأفكار والتيارات المعادية للاسلام ، والتدقيق فيما يذاع وينشر ويعرض حماية للأمه الاسلامية من التأثيرات الضارة بشخصيتها الاسلامية وبقيمها ومقدساتها ودرء الأخطار عنها والامتناع عن اذاعة ونشر كل ما يمس الاداب العامة أو يوحى بالانحلال الخلقى أو يرغب فى الجريمة والعنف والانتحار ، ويبعث الرعب أو يثير الغرائز سواء بطريق مباشر أو غير مباشر .

وكذلك يلتزم الاعلاميون المسلمون بمقتضى هذا الميثاق بالتعرف بالقضايا الاسلامية والدفاع عنها وتعريف الشعوب الاسلامية بعضها ببعض والاهتمام بالتراث الاسلامى والتاريخ والحضارة الاسلامية ، بين أبناء الأمة الاسلامية وخصوصا بين الأقليات الاسلامية ، وباحلال الشريعة الاسلامية محل القوانين الوضعيه ، ويتعهدون بالمجاهدة من أجل تحرير فلسطين وفى

---

(١) الأهرام ١٩٨٠/٩/١٢ .

مقدمتها القدس ، وكافة الاقطار الاسلامية المضطهدة . ويلتزمون بتثبيت فكرة الأمة الأسلامية المنزهة عن الاقليمية الضيقة ، والتعصب العنصرى والقبلى ، واستنهاض الهمم لمقاومة التخلف فى جميع مظاهره .

ولقد كان لوفد مصر فى هذا المؤتمر العالمى دور بارز فى جميع أعماله ، حيث اشترك فى كافة اللجان وشارك فى أعداد وصياغة معظم القرارات والتوصيات وقدم العديد من الأبحاث والدراسات والمشروعات التى كانت موضع تقدير المؤتمر الكبير .

« علوية القرآن فى حقيقتة العالمية » .

قال : الفيلسوف الانجليزى توماس كارليل عن القرآن الكريم عندما تحدث عن الاسلام والمسلمين ورسولهم الكريم فى كتابه الأبطال : لله علويه القرآن فى حقيقته العالمية فهو حافل بالعدل والاخلاص والدعوة التى بلغها محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ الى العالم حق وحقيقة .. لقد نظر العرب الى القرآن نظرة معجزة لما بين آياته وأذواقهم من ملاءمة ، ولعدم وجود ترجمة تذهب بجنسه وابداعه .

لقد أعطاه العرب من التبجيل أكثر مما أعطاه أهل الأديان الأخرى لأديانهم . ومابرح فى كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل ....

والقانون المتبع فى شئون الحياة ومسائلها والوحى المنزل من السماء هدى للناس وسراجا منيرا يضىء لهم سبل العيش ، ويهديهم صراطا مستقيما ، ومصدر أحكام القضاة والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستنارة به فى غياهب الحياة. وفى بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة يتقاسمه ثلاثون قارئا على التوالى . وكذلك ما برح هذا الكتاب يرن صوته حتى آذان الألوف من خلق الله وفى قلوبهم فى كل آن ولحظة .

فهمى عبد اللاه سيد على

الأزهر
لجنة ميثاق الشعوب الإسلامية

مشروع

ميثاق شعوب الأمة الإسلامية

بســـم اللـــه الرحمن الرحيم

« مذكرة تمهيـدية »

١ ــ بناء على الرسالة الموجهة من السيد رئيس ديوان السيد رئيس الجمهورية والمؤرخة ١٩٧٩/١١/٨ والتى تضمنت ما أشـــار به السيد الرئيس محمد أنور الســادات من احالة موضـــوع اقتراح تأسيس هيئة للامم الاســـلامية لتعمل على تحقيق ما عجزت عنه هيئة الامم المتحدة ـ الى فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر .

وما قرره فضيلته من تشكيل لجنة برياسة فضيلة الاستاذ الدكتور محمد الطيب النجار وكيل الازهر لانجاز هذه المهمة .

٢ ــ وتنفيذا لما سلف ــ فقد اجتمعت اللجنة المشكلة برياسة فضيلة الدكتور وكيل الازهر وعضوية كل من :

١ ــ فضيلة الاستاذ الدكتور الحسينى هاشم
الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية

٢ ــ فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الله كريم
وكيل الوزارة لشئون المعاهد الازهرية

٣ ــ فضيلة الاستاذ الشيخ عبد المهيمن الفقى
مدير ادارة البحوث والنشر بالازهر

٤ ــ السيد الاستاذ السفير عبد الشافى اللبان
وكيل وزارة الخارجية السابق للشئون السياسية

٥ ــ السيد الاستاذ المستشار السيد عبد العزيز هندى
المستشار القانونى لشيخ الازهر

٣ — وبعد أن توالت اجتماعات هذه اللجنة — وبحثت الموضوع من كافة جوانبه — رأت وضع ميثاق لشعوب الامة الاسلامية يكون بمثابة ورقة عمل ينظم علاقاتها مع بعضها البعض ومع غيرها من الشعوب الاخرى وذلك فى اطار المبادىء الاساسية المستقرة والمتفق عليها فى الشريعة الغراء .

ورأت اللجنة أن ترجىء بحث الموضوعات الاخرى التى قد تكون موضع خلاف بين شعوب الامة الاسلامية الى ما بعد انعقاد المؤتمر العام لهذه الشعوب الاسلامية .

وحسبنا فى هذه المرحلة الاولى ان تجتمع كلمة المسلمين على هذه المبادىء الاساسية المتفق عليها والعمل بموجبها حتى تستقر هذه الاصول الكلية فى نفوس شعوب الامة الاسلامية وفى معاملاتها .

٤ — وقد عهدت اللجنة الى السيدين الاستاذين / السفير محمد عبد الشافى اللبان والمستشار السيد عبد العزيز هندى — بصياغة مواد هذا الميثاق — فقاما بالمهمة الموكولة اليهما — وعرضا على اللجنة مشروع الميثاق المرفق — فأقرته باجماع الاراء .

٥ — والله نسأل أن يتقبل هذا العمل ويباركه ويهدى اليه .

ويشرح صدور شعوب الامة الاسلامية للعمل بموجبه — وأن يجمع كلمة هذه الامة على هدى الله ورسوله — فيصلح حالها بما صلح به أولها — لتعود الى سابق علوها ورفعتها وتعود الى قيادة العالم أجمع الى شاطىء الايمان والأمان .

« انه نعم المولى ونعم النصير » .

السيد عبد العزيز هندى

المستشار القانونى لفضيلة الامام الأكبر شيخ الازهر

الديباجـــة

نحن شعوب الامة الاسلامية

ـــ اعترافا منا بفضل الله علينا اذ هدانا للاسلام ورضيه لنا دينا .

فقال : عز من قائل :

« اليـــوم أكملت لكم دينـــكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

ـــ وتصديقا منا لوعد الله : اذ يقول : وقوله الحق :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصـــالحات ليستخلفنهم فى الارض كما اســـتخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شـــيئا » .

ـــ وثقة منا بقوله سبحانه : وهو أصدق القائلين :

« ولو أن أهل القرى آمنـــوا واتقـــوا لفتحنـــا عليهم بركات من السماء والارض » .

ـــ ويقينا منا بأن الله جلت قدرته ـــ قد بعث محمـــدا صلى الله عليه وسلم ـــ خاتما للانبياء والمرسلين ورحمة مهداة للناس أجمعين .

قـــد قـــررنا

ان نوحد جهودنا لتحقيق هذه الاغراض .

ولهذا فان شـــعوبنا الاســـــلامية المجتمعة على يد مندوبيها قد ارتضت « ميثاق شعوب الامة الاسلامية » هذا ليكون أساسا لعلاقاتها مع بعضها البعض ومع غيرها من الامم الاخرى .

وأنشـــأت بمقتضـــاه هيئة دولية تسمى « هيئة شـــــعوب الامة الاســــلامية » .

الباب الأول
الأمة الاسلامية

مادة (١) :

المسلمون أمة واحدة .

والشريعة الاسلامية هى المصدر الاساسى لكل تقنين .

مادة (٢) :

يجوز أن تتعدد الدول فى الأمة الاسلامية ــ وأن تتنوع أشكال الحكم فيها .

مادة (٣) :

يجوز لدولة اسلامية أن تتحد مع دولة اسلامية أخرى أو أكثر فى الشكل الذى يتفق عليه بينهم .

مادة (٤) :

اللغة العربية ــ لغة القرآن ــ هى اللغة الاساسية بين شعوب الامة الاسلامية ويجوز أن تقوم الى جانبها لغات أخرى محلية .

مادة (٥) :

الاخوة الاسلامية هى العلاقة التى يجب أن تقوم بين شعوب الامة الاسلامية على هدى من قوله تعالى : **« انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »** .

مادة (٦) :

السلم هو أساس العلاقة بين المسلمين ومخالفيهم فى الدين ــ ما لم يطرأ ما يستوجب الحرب ــ من اعتداء على المسلمين ــ أو مقاومة لدعوتهم بمنع الدعاة من بثها بالحسنى ــ ووضع العقبات

فى سبيلها وفتنة من اهتدى اليها استهداء بقوله تعالى : « **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين** » •

ـ الآيات •

وقوله تعالى : « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلمـــوا وأن الله على نصرهم لقدير** » •

مادة (٧) :

فى حالة وقوع خلاف أو نزاع بين شعبين مسلمين ـ يســـوى الموقف بينهما طبقا لما أمر الله ســبحانه به فى قرآنه الكريم اذ يقول : « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصــلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخـــــرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين** » •

مادة (٨) :

أى عــدوان أو تهـديد بعــدوان ـ خارجى ـ يقع على الامة الاسلامية أو أى شعب من شعوبها يعتبر عدوانا عليها جميعا ـ وبمثابة اعلان حرب عليها جميعها •

ويتضامن جميع أفراد الامة الاسلامية فى رد هذا العدوان ـ بكافة الوسائل ـ مع تقديم كافة التســهيلات والمعونات المادية والمعنوية ـ للشعب الاسلامى المعتدى عليه فى هذه الحالة بما فى ذلك اســتعمال الموانى الجوية والبحرية والقواعد العسكرية •

ويعتبر الجهاد فى هذه الحالة فرض عين على كل مسلم أهل للجهاد ـ وذلك تطبيقا لقوله تعالى : « **واعدوا لهم ما اســتطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** » •

وقوله عز من قائل :

« **وقاتلوا المشركين كافة كمــا يقاتلونكم كافة واعلمــوا أن الله مع المتقين** » •

الباب الثاني

منظمة شعوب الأمة الإسلامية

١ ــ تتألف منظمة الشعوب الاسلامية من مندوبين عن جميع شعوب الامة الاسلامية ــ وهى الشعوب التى تسود فيها أحكام الشريعة الاسلامية ــ أو يدين أغلبية شعبها بالاسلام ــ ويتكون المؤتمر العام لهذه المنظمة من جميع ممثلى هذه الشعوب ــ ويكون للشعوب التى فيها أقلية مسلمة ممثلون عنها بحسب الشروط التى يضعها المؤتمر العام لهذه المنظمة .

٢ ــ تستهدف المنظمة توثيق الصلات بين شعوب الامة الاسلامية المشتركة فيها ــ وتنسيق خططها السياسية والاجتماعية والاقتصادية على هدى من المبادىء الاساسية فى الشريعة الاسلامية وانماء علاقات الود والترابط بين جميع شعوب الامة الاسلامية ــ وبينها وبين غيرها من الامم الاخرى ــ على اساس من الاحترام والتعاون المتبادل ــ استهداء بقوله تعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (سورة الحجرات ــ آية ١٣) .

وبقوله تعالى :

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون » .
(سورة الحجرات ــ آية ١٥) .

٣ ــ كما تســتهدف هذه المنظمة تحقيق التعاون الاســلامى والدولى على حل المسائل الإسلامية والدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والانســانية ــ وعلى تعزيز احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية للمسلمين وللناس كافة ــ وفقا لمبادىء الشريعة الاسلامية وجعل هذه المنظمة مرجعا لتنسيق اعمال شــعوب الامة الاسلامية وتوجيهها نحو ادراك هذه الغايات الاسلامية المشتركة .

وحث مؤسساتها وحكوماتهــا على العمــل بمبادىء الشريعــة الاسلامية الغراء .

٤ ــ تكون الهيئات الآتية فروعا رئيسية للمنظمة : المؤتمر العام لشعوب الامة الاسلامية ــ المجلس الاقتصادى والاجتماعى ــ محكمة العدل الاسلامية ــ الامانة العامة .

ويحدد المؤتمر العام اختصاصات كل منها ــ وانشاء هيئات اخرى اذا اقتضت المصلحة العامة ذلك ــ فى اطار الشريعة الاسلامية الغراء .

أخى القارىء

بعون الله ومشيئته وارضاء لزوقك الفكرى وإحساسا بما تتطلبه مهنة الصحافة الاسلامية من عرض عصرى متطور للقضايا الاسلامية سنعمل على احداث تغيير شامل بقدر الامكان فى العدد القادم (عدد ربيع الثانى سنة ١٤٠١ هـ) من مجلة الأزهر وفى النية أفكار أخرى ستراها فى الأعداد التالية .

واذا كان لك اقتراح فى تطوير الشكل والجوهر فنحن فى انتظارك .

(التحرير)

فهـــرس العـــدد

اسم الموضوع	الصفحة
● **عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم** لفضيلة الدكتور / محمد الطيب النجار	٤١٧
● **من أئمة المحدثين عبد الله بن عباس** لفضيلة الدكتور / الحسـيني هاشم	٤٢٤
● **محمد صلى الله عليه وسلم سفينة نجاة في بحر مضطرب** للأستاذ محمد صـابر البرديسي	٤٣٨
● **ذكريات قرآنية .. رسول الهدى ودين الحق** لفضيلة الشيخ مصـطفى الطير	٤٤٥
● **في ذكرى المـولد النبوي** للدكتور محمد رجب البيومي	٤٥٦
● **في ذكرى الميلاد النبوي العظيم « ميلاد جديد للانسانية »** للدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي	٤٦٥
● **في مواجهة الالحاد المعـاصر** للدكتور / يحيى هاشـم	٤٧٥
● **القرن الخامس عشر واخلاقيات العلم** للدكتور / عبد الفتاح عبد الله بركـة	٤٨٥
● **هواتف يا رسول الله** للدكتور / ابراهيم ابو الخشـب	٥٠٠
● **المجتمع البشري وكيف تهيأ لميلاد خاتم الانبياء** للمستشار / محمد عزت الطهطـاوي	٥٠٧
● **وقفة مع التصوف في رحاب الذكرى** للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي القرني	٥٢٠

اسم الموضوع | الصفحة

- **مع العقاد فى فلسفة الحياة والموت**
  للأستاذ / السيد حسن قرون ٥٢٩
- **قضية نحوية « نون الوقاية من أوهام النحاة »**
  للدكتور / السيد رزق الطويل ٥٣٦
- **بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى**
  للأستاذ / السيد عبد العزيز هندى ٥٤٨
- **القرآن الكريم والكلمات الأعجمية**
  للدكتور / عبد الباسط بلبول ٥٥٩
- **الاخاء الاسلامى**
  للأستاذ / أحمد عبد الرحيم السايح ٥٦٦
- **مكانة العلوم اللغوية فى تفسير الواحدى**
  للدكتور / جودة محمد المهدى ٦٨١
- **من خصائص بيت النبوة**
  للدكتور / أحمد عمر هاشم ٥٩٢
- **مشكلات الشباب وحلولها فى ضوء الكتاب والسنة**
  للأستاذ / على القاضى ٥٩٧
- **الباحث عن الحقيقة**
  للدكتور / فتحى محمد ابو عيسى ٦٠٨
- **تساؤلات بين يدى ميلاد الرسول العظيم**
  للأستاذ / رشدى محمد ابراهيم ٦١٧
- **عدم قصر الألفاظ على معانيها الشائعة**
  للأستاذ / عباس أبو السعود ٦٢٣
- **من وحى المولد الشريف**
  للأستاذ / محمد عبد الرحمن صان الدين ٦٢٨
- **حكم وطرائف**
  اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٦٣١

اسم الموضوع | الصفحة

● **بـــاب الفتـــاوى**
اعـــداد الاستاذ / عبد الحميد شاهين ٦٣٤

● **من أنبـــاء العالم الاسلامى**
اعداد الاستاذ / فهمى عبد اللاه سيد على ٦٤١

● **الأزهـــــر**
لجنة ميثاق الشعوب الاســـلامية ٦٤٥

طبع بمطابع مؤسسة روزاليوسف

١٢٧
٣٢٢٢٦٤

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث
الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

العنوان : إدارة الأزهر
بالقاهرة
تليفون : ٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

رئيس التحرير
د. عبد المعطي محمد بيومي
مدير الإدارة
محمد صابر البرديسي

صورة الغلاف

صورة لجانب من القاهرة تبدو فيها مئذنة الازهر مع الشروق املا في شروق جديد « لهذه المجلة » ..

الجزء الرابع ـ السنة الثالثة والخمسون .
ربيع الآخر ١٤٠١ هـ ـ مارس ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم

« كلمة التحرير »

أخي القارىء ..

في هذا العدد ترى شيئا جديدا في هذه المجلة ، وقد بدأنا خطوات في تطويرها الشامل أن شاء الله .

وفي ذهننا ونحن نقوم بعملية التطوير عدة أمور :

- أن هذه المجلة ذات تاريخ عريق عراقة الأزهر تمثل هذه المؤسسة الضخمة برصيدها الضخم من جلال التاريخ .
- ثم أننا لا ننسى شيئا مهما وهو ان هذه المجلة كانت وعاء لفكر العباقرة الذين كتبوا فيها والذين رأسوا تحريرها وأشرفوا عليها من قبل .

فهنا كان يكتب الأستاذ محمد فريد وجدى ، والشيخ الخضر حسين وعباس العقاد ، وأحمد حسن الزيات ورجال الاصلاح من الأزهر الشريف ، وهنا على صفحات « الأزهر » دارت المناقشات واحتدم الحوار بين اكبر العقول في أهم القضايا .

نحن نشعر ازاء ذلك بمسئولية كبيرة ونحاول ابتداء من هذا العدد أن نتخذ من وقع خطى التاريخ تحديدا لخطانا الى المستقبل لنجمع بين الأصالة والحداثة .

ورجاؤنا للكتاب والقراء جميعا أن يكونوا معنا بفكرهم واقتراحاتهم نحو هذه الغاية .

(التحرير)

كلمة فضيلة الإمام الأكبر بمناسبة تطوير مجلة الأزهر

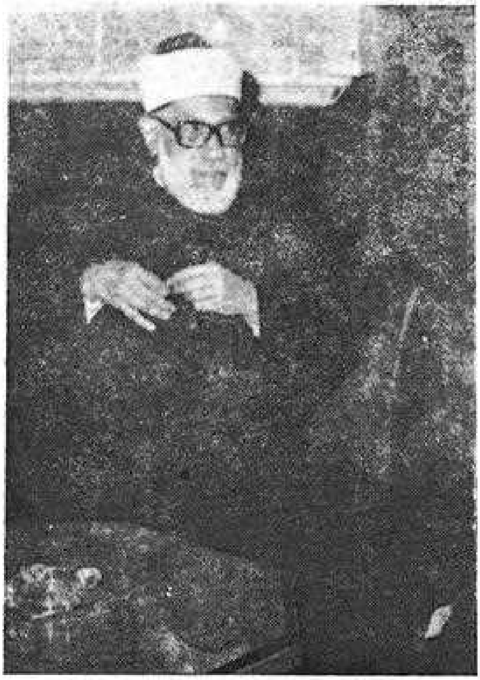

ان ديننا الحق دين متجدد يلاحق الواقع أينما كان وفى كل زمان بما ينفع الناس ويهديهم الى السعادة والرشاد ..

ولذلك كان من اللازم أن تكون مؤسسات هذا الدين متجددة باستمرار تأخذ من كل عصر أحسنه وتمد المسلمين بالمبدأ الاسلامى الذى يقيم حياتهم بطريقة تصل الى قلوبهم وافئدتهم.

ومجلة الأزهر العريقة عراقة الأزهر وأصالته مؤسسة فكرية تستمد من الاسلام رواءها وتقدم للناس صوت الاسلام فى كل ما يعرض لهم من

الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار

« شيخ الأزهر »

مشكلات بأسلوب الصحافة الذى بات من اساليب العصر الفعالة فى الدعوة الى الله ، وهو أسلوب متطور باستمرار تطور الخبرة الصحفية المتطورة فى كل يوم ٠

وقد سعت المجلة لفضيلة الامام الاكبر تسأله التوجيه ازاء هـذا التطوير ٠ فوجه فضيلته الى أننا نتواصى فيما بيننا بالاجتهاد واعمال العقل وحفز الهمم لاستنباط الحلول الاسلامية لمشكلات العصر المتغيرة ٠

ان معاملات استحدثت واوضاعا جدت فى العالم كله تتطلب من عالمنا الاسلامى ايجاد حل يقوم على حكم الله فى هذه المعاملات فلتكن مجلة « الأزهر » ندوة فكرية ومدرسة جامعة لتداول الرأى والمدارسة حـول هذه الاحكام والمعاملات امتدادا لرسالة الله فى الارض واستمرار لدور الأزهر فى خدمة هذه الرسالة الغراء ٠

ووجه فضيلته أيضا الى ان المجلة يجب ان تفتح صدرها وتوسـع من صفحاتها للباحثين المهتمين بقضايا الفكر الاسلامى المعاصر الذين لهم اسهام بارز فى حلول مشكلاته وتناول مسـائله من الأزهريين وغير الأزهريين على السواء لان الأزهر ذاته منبر لكل صاحب رأى بناء أيا كان موقعه فى الأمة الاسلامية لان منبر الازهر منبر للأمة ٠

وقال فضيلته : أن مستقبل هذه المجلة يجب ان يتساوق مع ماضيها العريق من حيث نوعية الفكر الذى تقدمه للقراء والاسلوب الذى توصل به هذه النوعية الراقية الى العقل والقلب جميعا ٠

وقال فضيلته : أرجو ان تعملوا وفى ذهنكم ابتغاء مرضاة الله هدفا أساسيا يجب أن نعمل له جميعا والله يوفقكم ويسدد خطاكم ٠

حديث الشهر

دهشة فى العالم كله مبعثها تلك الحركة الاسلامية العامة التى تعبر عن نفسها بصورة مختلفة فى أنحاء العالم الاسلامى ، وبين الاقليات الاسلامية فى أنحاء العالم ، وقد أتى على الغرب والشرق معا حين من الدهر ظنا فيه ان المسلمين باتوا فى خبر كان ، وأن الاسلام قد انتهى زمانه واختفى من الحياة العملية ، ليأوى الى ركن منزو فى متحف التاريخ ، فاذا بالصحوة الاسلامية التى يشهد العالم دلائلها هنا وهناك ، تقلب على هؤلاء كل حساب ، وتطرق عليهم كل باب ٠

وتختلف القوى العالمية فى ردود الفعل الصادرة عنها ازاء نهضة الاسلام « فالدب الروسى » أسرع الى استعمال القوة والقفز على مقدرات شعوب الاسلام ، تارة بالحصار ومحاولات التطويق فى أثيوبيا وجنوب الجزيرة العربية ، وتارة بالقوة الغاشمة باحتلال ديار الاسلام فى أفغانستان يظن أنه يستطيع بالقوة أن يحقق ما لم يستطع تحقيقه بالمساعدات الاقتصادية المشبوهة والمغرضة ، أو بمحاولات اقناع العالم الاسلامى باعتناق المذهب المركسى الذى لم يثبت له فى هذا العام قدم ولا ساق ٠

أما الأوربيون والأمريكان فقد أسرعوا الى مراكز البحث ووسائل الاستخبارات لعلهم يجدون عندها وهى « العرافة » تفسير حركة الاسلام وبدء صحوته بعد طول رقاد ولم يكن نشاط الجامعات أقل من نشاط المخابرات ٠

الإسلام .. والعالم الحديث

(بقلم رئيس التحرير)

ولم يعد عجبا أن نرى بين الحين والحين الوفود المتتابعة على الازهر الشريف وقد تغيرت اهتماماتهم عما كان عليه الحال منذ كانوا يبحثون فى الأزهر عن الأثر ويتلهفون لالتقاط صور المسجد العتيق وفى ذهنهم سؤال عن تاريخ هذه الصخرة هنا أو ذاك الجدار هناك فاذا بهم اليوم على سحنتهم معالم الجد يودون لقاء العلماء ويتلهفون لعقد الندوات وفى ذهنهم السؤال هذه الايام عن الاسلام والعالم الحديث والمستقبل .. ولماذا تجدد هذا الدين العجيب فجأة ؟ وما عوامل هذا التجدد ؟ وما مساراته ؟ وما أثره على الحركات السياسية العالمية ؟ وما الدور الذى يمكن ان يؤديه الأزهر وسط ذلك كله ؟

ولعل أوضح تصوير للدهشة العالمية من النهضة الاسلامية النامية ، ما أبرزه الدكتور الفونسو نائب مدير مركز بحوث فبراير ٧٤ للابحاث والتسجيل فى روما بايطاليا الذى زار جامعة الأزهر فى أوائل الشهر الماضى على رأس وفد من المركز والتقى بمجموعة من كبار الأساتذة والمسئولين فى جامعة الأزهر .

قال الدكتور الفونسو :

اننا نلاحظ النهضة الاسلامية المتزايدة كما نلاحظ قوة الاسلام ازاء التطورات فى العالم الحديث وما جاءت به من ثروة وتكنولوجيا .

وقارن الدكتور الفونسو ذلك مع تركيزه على أن محاولات أحياء الدين فى أوربا تفشل ازاء انتشار الالحاد .

واشار الى ان هذه القضية تشغل الأذهان هناك وأنه يود أن تعقد الندوات المشتركة لمعرفة سر قوة الاسلام .

وسر قوة الاسلام ونمو النهضة الاسلامية الجديدة ترجع الى عدة

أسباب لابد أن تكون واضحة أمام العالم ٠

* فعقيدة الألوهية فى الاسلام بسيطة واضحة فالله فى الاسلام أحد لا شريك له وهو المقصد لكل مخلوق وهو منزه عن أن يتخذ زوجة أو ولدا ومن شأن هذه العقيدة ابعاد الانسان عن الحيرة التى يسببها الغموض وعدم الفهم فى بعض العقائد مما ينجى الانسان من القلق الذى هو مرض العصر « قل هو الله أحد ٠ الله الصمد ٠ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » ٠

* أن الاسلام يدعم قضية الحرية والكرامة الانسانية فى صلب العقيدة فالناس سواء وكل منهم ارفع من أن يذل لمخلوق أو يستذل لشىء لأنه « لا اله الا الله » ، فالعبودية لله أفضل تحرير للانسان ٠

* أن الاسلام أشد الأديان والنظم محاربة للظلم الاجتماعى والاستبداد فهو يأخذ من مال الأغنياء ما يعطيه للفقراء حقا معلوما ليشعر الجميع أن المال مال الله قال تعالى : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (سورة الحديد ٧) ويهيب بالمستضعفين ألا يستكينوا للظلم والقهر « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » (النساء ٩٧) ٠

* ثم ان الاسلام يحارب الفقر ويحض على التنمية ويحارب الجهل ويعمل على نشر العلم ويحث اتباعه على تحصيل القوة فالكيان الاسلامى فى الفرد والمجتمع لا يتحقق الا بأسس متكاملة هى الايمان والعلم والقوة وليس هناك تقدم علمى صحيح يمكن أن يقف الاسلام منه موقف المعارضة ٠

* وليس فى الاسلام انشقاق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع وأسس الايمان التى يجب ان يعمل لها الفرد هى فى الوقت

« البقية على صفحة ٦٨١ »

دراسات قرآنية

مع آيات خلق الإنسان فى القرآن

دكتور محمد محمد خليفة

— ٢ —

قدمنا فى مقال سابق بعض آيات الخلق المجمل وبعض آيات الخلق المقترن بالاعادة والبعث وسنقدم ان شاء الله فى هذا المقال بعض آيات الخلق والتصوير أو التطوير ثم آيات الخلق من التراب :

آيات الخلق والتصوير والتطوير :

قال تعالى :«**هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء**» ٦ آل عمران

ان الله سبحانه هو الذى يصور فى ظلمات الارحام ذلك المخلوق البشرى فيركبه من أعضاء مختلفة الشكل من العظام والغضاريف والشرايين والاوردة ويضم بعضها الى بعض لتكون ذلك الانسان ثم يودعه الطباع المختلفة والغرائز المتباينة والصفات المتفاوتة من حيث القوة والذكاء والادراك والشعور ثم يضفى على جلده اللون الابيض أو الاسمر أو الاحمر وكل ذلك يدل على كمال قدرته حيث يخلق النطفة ثم يتناول تصويرها فى الارحام كيف يشاء .

وقد كان النصارى يجادلون المسلمين فى أمر خلق عيسى : فكانوا يقولون : أيها المسلمون أنتم توافقوننا على انه ما كان له أب من البشر فوجب أن يكون ابنا لله فأجاب الله عن هذه الشبهة بقوله : « **هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء** » لان هذا التصوير لما كان من الله فالله ان شاء صوره من نطفة الاب

وان شاء صوره ابتداء من غير الاب « **والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين** » ٩١ الانبياء

وقال تعالى : «**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين** » ١١ الاعراف .

لقد ذكر الله قصة آدم عليه السلام مع قصة ابليس فى سبعة مواضع من القرآن : فى البقرة والاعراف والحجر والاسراء والكهف وطه و (ص) .

وقد اختلفت أقوال المفسرين فى هذه الآية :

١ ــ أن قوله : «**ولقد خلقناكم**» أى خلقنا أباكم آدم وصورناكم أى صورنا آدم ثم قلنا للملائكة اسجدوا ، وذلك السجود انما كان بعد خلق آدم وتصويره ، فقوله خلقناكم ثم صورناكم كناية عن خلق آدم وآدم أبو البشر فأطلق خلقناكم وصورناكم وأريد منه خلقنا أصلكم وهو آدم .

٢ ــ أن يكون المراد من خلقناكم : خلقنا آدم ، ومن صورناكم : صورنا ذرية آدم ، قال مجاهد : خلق آدم أولا ثم أخرج أولاده من ظهره فى صورة الذر .

٣ ــ أن يكون المراد خلقناكم ثم صورناكم أنتم ثم انا نخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم .

٤ ــ أن يكون المراد من الخلق : التقدير ، وتقدير الله هو علمه بالاشياء ، فقوله : خلقناكم : اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر فى هذا العالم ، وصورناكم : اشارة أنه أثبت فى اللوح المحفوظ صورة كل شىء كائن الى قيام الساعة ، فخلق الله عبارة عن حكمته ومشيئته ، والتصوير هو اثبات صورة الاشياء فى اللوح المحفوظ ، والسجود قد يراد به : التعظيم لا نفس السجود ، أو السجود كان لله وآدم كان كالقبلة .

(جـ) وقال تعالى : « **الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم** » ٦٤ غافر .

ما أكثر ما قدم الله للانسان فى

القرآن من دلائل قدرته فى الآفاق وفى النفس الانسانية من حيث تكوين ذلك الجسد وفى هذه الآية قدم دليلين من الآفاق :: أولهما : جعله الارض قرارا أى مستقرا للانسان وموطنا له فى الحياة وبعد الموت وثانيهما : جعله السماء بناء فهى كالقبة المضروبة القائمة الثابتة بدون عمد ترونها •

ثم قدم أدلة من النفس : **أولها : أنه صورها وألفها من أعضاء وغضاريف وشرايين وأوردة وثانيها : أنه أحسن تصويرها** وابداعها من حيث تركيب الرأس وما اشتملت عليه من الاعين والاذان والفم وغير ذلك • وثالثها: أنه رزق الناس من طيبات الارزاق مما أنزل من السماء وأخرج من الارض ، وذلكم الذى فعل كل هذا هو الله تبارك الله وتعالى وتنزه عن العجز فى الخلق والتصوير والرزق •

(د) : وقال تعالى : « خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير » ٣ التغابن •

ذكر الله أن كل ما فى السموات وما فى الارض يسبح له وأنه القادر على كل شىء ، ومن دلائل قدرته أنه خلق السموات والارض بالحق أى بارادته القديمة أو للحق وهو البعث وأنه صوركم فأحسن صوركم وأحكمها على نحو لا يوجد فى غير الانسان مما خلق ، ويراد بالحسن حسن المنظر اذا قورن بغيره من خلقه ثم بين فى ختام الآية أن المرجع والمآب والمصير اليه وحده يوم القيامة للسؤال والحساب •

(ه) وقال تعالى : « مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا » ١٣ ، ١٤ من سورة نوح •

أى مالكم لاتأملون لله توقيرا وتعظيما على معنى لا تكونون على حال تأملون تعظيم الله اياكم **« وقد خلقكم أطوارا »** وخلقكم على هذا النحو موجب للايمان به فقد خلقكم أولا من تراب ، ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم لحما ثم أنشأكم خلقا آخر •

ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله : « مالكم » ثم قال : « ترجون لله وقارا » على تقدير استفهام انكارى تقديره : ألا ترجون لله وقارا أى ثباتا وبقاء وقد خلقكم أطوارا والطور : التارة : أى حالا بعد حال من التراب الى النطفة الى العلقة الخ أو يراد بالطور : الصنف والشكل ، أى خلقكم أصنافا مختلفة وأشكالا متباينة بحيث لا يشبه بعضكم بعضا .

(و) : وقال تعالى : « يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم. الذى خلقك فسواك فعدلك. فى أى صورة ما شاء ركبك » ٦ ، ٧ ، ٨ الانفطار

قيل المراد بالانسان فى الآية : الكافر ، وقيل يشمل جميع العصاة وغرك : أى : خدعك وسول لك الباطل فتركت ما فرض عليك واقترفت ما حرمه فما الذى أمنك من عقاب ربك ، أو ما الذى دعاك الى الكفر بالرسل والبعث ، وان ترك المعاجلة بالعقوبة لان الله كريم لايقتضى أن يغتر الانسان بأنه لادار بعد هذه الدار ، بل ان كثرة كرم الله ونعمه على الانسان توجب الاجتهاد فى عبادته والاستحياء من الاغترار والتوانى، وقد ذكر الله ما يدل على تحقق كرمه فيما يلى :

أولا : أنه خلقك ، وخلقك كرم منه لان الوجود خير من العدم ووجودك فى الحياة كرم من الله سبحانه .

ثانيا : أنه سواك : أى جعلك سويا سالم الاعضاء تسمع وتبصر وقد قال فى آية أخرى : « أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا » ، وقد جعل الله لك لسانا تنطق به فيجب أن تؤدى زكاة لسانك فتذكره ، وجعل لك عقلا فيجب أن تصرفه فى التفكر فى ملكوته وأن يقودك تفكيرك الى الايمان به وقد فضلك الله بما أنعم به عليك على الكثير من خلقه .

ثالثا : أنه عدلك ، أى عدل خلقك فى عينيك وأذنيك ويديك ورجليك فلم يجعل احدى العينين أوسع من الاخرى ، ولا أحد الرجل أطول من الثانية وبالجملة لم يجعل

تفاوتا بين نصفيك فى الخلق بل عدل أعضاءك فى خلقها .

(فى أى صورة ماشاء ركبك) :

قيل ان ما ليست زائدة بل هى فى معنى الشرط والجزاء .والمعنى: فى أى صورة ما شاء أن يركبك ركبك أى ان شاء ركبك فى غير صورة الانسان من كلب أو حمار أو قرد ، أو المعنى فى أى صورة تقتضيها حكمته من الصور المختلفة فانه سبحانه يركبك على مثلها ، وقيل المراد : هو الصور المختلفة بحسب الطول أو القصر والحسن أو القبح والذكورة أو الانوثة .

وقيل المراد : صورة المطيعين أو العصاة ، فليس من ركبه على صورة الولاية كمن ركبه على صورة العداوة .

(ز) : وقال تعالى: **«سبح اسم ربك الاعلى . الذى خلق فسوى »** ١ ، ٢ ، الاعلى .

قيل : المراد بقوله : **« سبح »** الامر بتنزيه الله وتقديسه ، وقيل: المراد : نزه اسم ربك عن أن تسمى به غيره وفى ذلك معنى النهى عن أن يدعى غيره باسمه ، فاسم الله يجب أن يصان عن الابتذال والا يذكر الا على وجه الخشوع له وتعظيمه ، وقد يكون المراد : سبح باسم ربك : أى مجده بأسمائه التى أنزلها عليك أو المراد: تنزيهه عن كل ما لا يليق به فى ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه وأحكامه .

وقوله : **« الذى خلق فسوى »** استئناف كأنه جواب لسؤال سائل يسأل : ان الاشتغال بالتسبيح انما يكون بعد معرفة الله فما الدليل على وجوده وكان الجواب : الذى خلق فسوى ، والمراد بقوله : الذى خلق : يحتمل أن يراد : خلق الناس خاصة ، ويحتمل : خلق المخلوقات جميعها ، والمراد من التسوية : أنه خلق ما أراد على وفق ما أراد موصوفا بوصف الاحكام والاتقان

(ح) : وقال تعالى : **« لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم »** ٤ التين .

المراد بالانسان حقيقته والتقويم : كون الشىء على ما ينبغى من التأليف ، والحسن اما أن يكون جسديا فيتناول أعضاء الانسان وأجزاءه واستقامته وكل

ما يشتمل عليه جسده واما أن يكون عقليا من حيث الفهم والادراك والعلم ، ويكون المعنى : خلقناه فى أحسن صورة ظاهرة أو فى أحسن صورة باطنة ، وقد فسر بعض العلماء : التقويم بحسن الصورة وكان دعاء بعض الصالحين : اللهم أعطيتنا فى الأولى أحسن الاشكال فأعطنا فى الآخرة أحسن الأفعال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب •

آيات الخلق من التراب :

(أ) قال تعالى : « **ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** » ٥٩ آل عمران •

نزلت هذه الآية حينما وفد نصارى نجران على الرسول صلى الله عليه وسلم ودار حوارهم معه حول خلق عيسى ، وقادهم خلق عيسى الى ادعاء بنوته لله، وقد قالوا للرسول : لما سلمت أنه لاأب له من البشر وجب أن يكون أبوه هو الله ، فقال لهم الرسول : ان آدم لم يكن له أب ولا أم ، ولم يقل أحد انه ابن الله فكذلك القول فى عيسى ، واذا جاز أن يخلق الله آدم من تراب فلم لا يجوز أن يخلق الله عيسى من دم مريم أو من التراب فنزلت الآية والمراد بقوله : **ان مثل عيسى :** صفته أى : أن صفته فى الخلق كصفة آدم •

وفى أصل خلق آدم تعددت الآيات واختلفت فى بيان الاصل :

١ ــ أنه خلق من تراب وذلك ما يدل عليه هذه الآية : « **ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب** » •

٢ ــ أنه خلق من الماء قال تعالى: « **وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا** » •

٣ ــ أنه خلق من الطين قال تعالى : « **الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين** »

٤ ــ أنه خلق من سلالة من طين قال تعالى : « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين** » •

٥ ــ أنه خلق من طين لازب ، قال تعالى : « **انا خلقناهم من طين لازب** » •

٦ ــ **أنه خلق من صلصال** قال

تعالى : « **انى خالــق بشرا مــن صلصال من حمأ مسنون** » •

وقد جعل الله التراب أصلا فى خلق آدم لانه خلق لخلافة أهــل الارض : « **انى جاعل فى الارض خليفة** » ،ولان التراب يشتمل على المعادن التى يحتاجها بناء الانسان، ثم مزج الله ذلك التراب وما فيــه من معادن بالماء ومافيه من خواص فكان الماء بعض أصل الانسان ، وبذلك المزج صار طينــــا ، وذلك الطين مكون من سلالات وأجزاء ، ثم ترك ذلك الطين فترة فتداخــل بعضه فى بعض ، والتصقت أجزاؤه ثم ييس وذلك مــا عبر عنــه بالصلصال لانه يصل اذا تحــرك واسود ، وذلك ما عبر عنه بالحمأ ، وقد تغيرت رائحته وهو حمأ وذلك ما عبر عنه بالمسنون ، ولكل هــذا اختلف التعبير عن أصل الانســان لاختلاف تطورات الخلق ولكــل طور اسمه الخاص به فمرة يذكــر التراب وهو أحد مكونات خلــق الانسان ومرة يذكر الماء وهو كذلك أحد مكونات الخلق ، ومرة يذكــر الطين حيث اجتمع الماء بالتــراب وتارة يــــذكر بعض تطــوراته كالصلصال والحمأ والمسنون •

فهل يذكر الانســان أصــله الطينى المنتن فلا يطغى ولا يختال ولا يتجبر ولا يتعالى ولا يستنكف أن يكون عبدا لله ؟ •

(ب) وقال تعالى : « **قــال لــه صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفــة ثم سواك رجلا** » ٣٧ الكهف • لقــد افتخر الكفــار بأموالهم وأعوانهم على فقراء المسلمين ، والفخــر الحقيقى يجب أن يكون بطاعــة الله وعبادته وهذا ما يســعد به فقراء المسلمين وقد ضرب اللــه مثلا برجلين : جعل الله لاحدهما جنتين من أعناب محفوفتين بالنخل، وجعل بينهما زرعا ، وآتت الجنات أكلها وفجر الله خلالهما الانهار ، واعتز ذلك بجناته وأمواله وأعوانه، وظن أن جناته لن تهلك وأنكــر الساعة والحساب ، وظن أنه اذا رجع الى الله سيجد فى الآخرة خيرا من تلك الجنات وفى حواره مــع الفقير قال له الفقير : أكفــرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة

ثم سواك رجلا ، فأنكر عليه كفره بالخالق ، ثم أرسل الله نقمته على الغنى الجاحد فأحيط بثمره وهلكت جناته وراح يقلب كفيه على ضياع كل ما كان يملكه وندم وتمنى ان لم يكن أشرك بربه وان لم يكن له أعوان أطغته قوتهم وفتنوه عن عبادة ربه .

وفى الآية ما يدل على الخلق الاول وأنه من تراب ثم من نطفة وأن القادر على الخلق الاول قادر على الاعادة والخلق الثانى وأنه خلق الخلق ليعبدوه وأن الفقر والغنى من الله وأن على الانسان أن يحمده اذا أعطاه وأن يصبر اذا ما ابتلاه .

(ج) : وقال تعالى : **« يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثملتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يراد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا »** ه الحج .

بعد أن حكى الله الجدال الذى بينه فى قوله : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم » حول الحشر ، أود ما يدل على صحة ذلك ووجههم الى التدبر فى الخلق الأول ليعلموا أن القادر عليه قادر على الاعادة ، وذكر من أطوار الخلق الأول أمورا :

الطور الأول : الخلق من تراب:
أى خلق أصلهم الاول وهو آدم من تراب وقد بين فى خلق عيسى أنه كخلق آدم من تراب ، وفى آية أخرى يتحدث عن الأرض ويبين خلق الناس فى قوله : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » والضمائر كلها للأرض .

أو أن الله خلقكممن منى الرجل وبويضة المرأة وأنهما يتولدان من الغذاء والغذاء : اما حيوانى وينتهى تسلسله الى النبات والنبات يتولد من الأرض ومن ترابها ، واما نباتى ومرجعه الى الأرض والتراب .

الطور الثانى : أنه خلقهم من

نطفة ، والنطفة : الماء القليل ، ويقصد به ماء الرجل لأنه الأصل والنطفة تتكون من الغذاء وهو اما حيوانى أو نباتى فمرجع تكوين النطفة فى النهاية الى الغذاء وأساس الغذاء ما تنبت الأرض ٠

الطور الثالث : أنه خلقهم من علقة وهى قطعة الدم المتجمد ، وبين الماء والدم المتجمد تباين فى الشكل وذلك يكشف عن قدرة الله فى ذلك التحويل ٠

الطور الرابع : المضغة وقسم المضغة الى مخلقة وغير مخلقة وقيل المراد بالمخلقة : التامة الصورة والحواس أو المصورة أو ما تم تخليقها ٠ وغير المخلقة عكسها « وقد فعل الله ذلك ليبين لكم أن تغيير المضغة الى مخلقة هو باختيار الله ولولاه لما كان ذلك التخليق » أو لنبين بتلك الأطوار ما يدفع الشك فى أمر البعث ٠

الطور الخامس : اخراجكم من أرحام الأمهات طفلا أى من الطفل

الطور السادس : طور بلوغ القوة وعبر عن ذلك بقوله « لتبلغوا أشدكم » أى كمال قدرتكم وعقلكم ٠

الطور السابع : اما الوفاة وهو فى حالة القوة واما أن يرده الله الى أرذل العمر وهو الهرم فيتحول الى ما يشبه طور الطفولة من قلة الفهم وضعف قواه العقلية وكأنه لا يعلم شيئا مما كان يعلمه ٠

وقال تعالى : « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون » ٢٠ الروم ٠

بعد أن ذكر الله قدرته على الاحياء والاماتة واحياء الأرض بعد موتها وأنه كذلك الاحياء يخرج الناس ويبعثهم يوم القيامة بعد ذلك ذكر الآيات العظيمة التى تدل على قدرته ومن جملتها خلق الانسان من تراب ، والتراب أبعد الأشياء عن درجة الاحياء ولذلك كان خلق الانسان منه آية من آيات الله :

فالتراب بارد يابس والحياة انما تكون بالحرارة والرطوبة ، والتراب كدر والروح نور والتراب

ثقيل والروح خفيفة والتراب ساكن والانسان متحرك •

فالتراب فى جملته أبعد الأشياء من قبول الحياة ولكن الله خلق منه البشرية المدركة وهذا موطن العجب بل هو الآية •

وخلق الانسان من تراب اما أن يراد به أصل الانسان وأبو البشر وهو آدم ، واما أن يراد به أن كل بشر مخلوق من التراب باعتبار أن خلقنا من نطفة والنطفة من الغذاء والغذاء اما من لحوم الحيوانات وألبانها وشحومها وكل ذلك تكون من نبات الأرض ، واما أن يكون الغذاء نباتا ، وغذاء النبات من الأرض فيكون مرد النطفة الى أنها تكونت من غذاء أرضى فتكوينها يكون من التراب وهذا لا يتنافى مع ما جاء فى آيات أخرى من نحو قوله : (**وهو الذى خلق من الماء بشرا**) وقوله فى أخرى عن خلق الانسان انه من ماء مهين والمراد بالماء فى الآيتين ذلك المنى وذلك المنى من غذاء الانسان مرجعه الى الأرض حتى الأسماك غذاؤها أغلبه ناشىء من الأرض •

ويمكن القول بأن الانسان من أصلين : الماء والتراب ، والتراب لا ينبت الا بالماء فمرجع الأغذية الى الماء والتراب وما ينبت بهما ، وقد بين فى بعض الآيات جزء من أصل الانسان وهو التراب وفى بعضها الجزء الآخر وهو الماء وجمع بينهما فى بعض الآيات كقوله : (**أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة**) •

(هـ) وقال تعالى : (**والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزوجا**) **١١ فاطر** •

يذكر الله فى هذه الآية خلق الانسان وأنه من تراب ، وقد قال بعض المفسرين : ان المراد بقوله : (**خلقكم من تراب**) خلق أصلكم وهو آدم وقوله : ثم من نطفة : اشارة الى خلق أولاده وقيل : خلقكم : خطاب للناس وهم أولاد آدم وآدم من تراب فأصل خلقكم من تراب ثم قال : ثم من نطفة ليشير الى أبناء آدم ثم جعلهم الله أزواجا ليتحقق التوالد والتناسل •

(و) وقال تعالى : « **هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا** » ٦٧ **غافر** .

ذكر الله فى الآية بعض دلائل قدرته فى خلق الانسان وتكوين بدنه ومراتب أطوار حياته من حيث القوة والضعف فبين أن خلقه من تراب وقد بينا فيما سبق أنه قد يراد خلق الانسان الأول وهو آدم وقد يراد ذريته على أنهم من نطفة ومرجع تكوين النطفة الى التراب والماء لأن منهما يتكون ويتولد وينبت غذاء الانسان وهذه النطفة تحولها قدرة الله الى علقة ودم متجمد ، ثم بين مراتب عمر الانسان :

المرتبة الأولى : الطفولة وهى دور النماء والتزايد .

المرتبة الثانية : مرتبة كمال النماء وهى التى أشار اليها بقوله: **ثم لتبلغوا أشدكم** .

المرتبة الثالثة : مرتبة التراجع الى الضعف والنقص ، وهى التى أشار اليها بقوله : **ثم لتكونوا شيوخا**» ثم قال : «**ومنكم من يتوفى من قبل** » أى من قبل هذه المراتب وهو السقط أو من قبل بلوغ الشيخوخة فيموت فى شبابه ، ويفعل الله ذلك لتبلغوا الأجل الذى كتبه لكل مخلوق .

وكل ذلك دليل على قدرة الله الذى خلق الانسان وتدرج به بين هذه المراتب .

والى اللقاء فى أعداد قادمة ان شاء الله حول آيات خلق الانسان فى القرآن .

دكتور : محمد محمد خليفة

وجه الدلالة في البيان

دكتور محمد أبو موسى

يعلم أهل العلم أن للعربية أسرارا ودقائقا فى تصـــور المعانى وتحديدها ، ولحظ الفروق والأحوال والمراتب ، وأن أحـوال الكلمـات تختلف اختلافا واسعا وأنه يتبع ذلك فروق دقيقة وملبسة فى معانيهـا ، وأن أحوال التراكيب وأوضـاع الكلمات فى بناء الكـلام تختلف كذلك اختلافا واسعا ، وأن وراء هذا الاختـلافات من الغـوامض والهواجس ما وراءها .

والمتكلم المبين يتجه الى اللغة يتحسس حضراتها ، ويتلمس دقائق الأحوال فى الافراد والتركيب ، ليجد من بينها ما وجده فى نفسه فيجعله عبارة عنه ، والمعانى والأغراض هنا تفيض بها الكلمات لأنها متلبسـة بهـا .

وقد يجد المتكلم فى نفسه شيئا لا تنتزعه الكلمات ولا تلامسه ، بل ولا تستطيع أن تشير اليه ، مع أنها حافلة بوسائل الاشـارة والرمز والايماء ، وحينئذ تنهض ملكة البيان وتصطنع وسائل أخرى تدخل بهـا وسائط بين اللغة وما التبس فى غوامض النفس ، فيتيسر بذلك سـبيل العبارة عنه ، وهذه الوسائط منتزعة من الأشياء الكائنة فى حياة الناس . والمتكلم حال اقتناصها يقلب وجهه فيما حوله أو يرجع الى أعماق نفسه يفتش عن الأشباه والنظائر والأشياء التى يحضر بعضـها بعضـا ويدل بعضها على بعض ، وكل ما يمكن أن يفتح به باب الأفهام لا يجد .

أقرأ ما شئت من صور التشبيه والمجاز والكناية فى كلام أهل الطبع ، أو انظر الى قول نصيب :

كأن القلب ليلة قيل يغدى
بليلى العامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت
تجاذبه وقد علق الجناح
لها فرخان قد تركا بوكر
فعشهما تصفقه الرياح
اذا سمعا هبوب الريح نصا
وقد أودى بها القدر المتاح
فلا بالليل نالت ما ترجى
ولا فى الصبح كان لها براح

تجد الشاعر لم يصف قلبه بالكلمات الدالة على ما يجد لأنه لا يستطيع ذلك ، ولو استطاعه لفعل ، وانما وصف قلبه بصورة هذه القطاة التى هذه حكايتها .

وكأن هذه الحكاية هى الكلمة التى وصفت قلب الشاعر .

ولا ريب فى أن نصيبا راجع الكلمات وروى فى الصياغة وبذل الجهد الذى يستهدف اثارة ما فى اللغة من طاقات فى الدلالة والايحاء ، وكان ذلك كله ليضىء جوانب تلك الحكاية ، ويكشف ما فيها من خوالج وهواجس ليجعل ذلك فى النهاية كلمة دالة على حاله .

وانظر الى اطلاقهم القرم بفتح القاف على السيد الشريف المقدم تجدك لا تدرك معنى السيد الشريف المقدم من لفظ القرم لأن معناه الفحل الذى لا يحمل عليه ولا يذلل ، وانما يصير معنى القرم بهيأته واكرامه وأنه لا يمتهن ولا يسخر ولا يكون معه ما يكون مع جنسه هو الدال على المعانى المقصودة فى السيد الشريف ، وكأنه صار كلمة .

وكذلك اذا قلنا فلان مشمر عن ساقه ، أو قلب يديه ، فان الدال على المعنى ليست الألفاظ ، وانما ما وراءها من معان وأحداث . يعنى أننا لا نفهم معنى الجد من لفظ مشمر عن ساقه ، وانما تكون هيأة الرجل وقد أنصف الساق مئزره دالة على حالة الجد . وكأنها هى الكلمة .

وقد أشار عبد القاهر الى فقه

الدلالة ، وطريقة الابانة فى هذا الضرب من الكلام ، فنكر أن الكلام ، على ضربين « ضرب أنت تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وذلك اذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج (على الحقيقة) • فقلت خرج زيد •• وضرب آخر أنت لا تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذى يقتضيه موضوعه فى اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض ، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل » « دلائل الاعجاز ص ١٧١ » •

واضح أن اللفظ لا يستقل وحده بالدلالة فى هذا الضرب الثانى ، وانما يصير معناه أيضا طريقا للدلالة ، وهذا المعنى قد يكون مفردا كمعنى الاسد والبدر ، وقد يكون مركبا حدثا أو حكاية •

واذا كانت المعانى الناشبة بالألفاظ لا تحتاج الا الى العلم بالمواصفة فان العلم بالمعانى الثوانى المدلول عليها بالمعانى الأول ، المدلول عليها بالألفاظ انما يتحصل بطريق الاستنباط ، والاستدلال ، والتعقل ، أى أن هذه الكوائن والأحداث ، أو المعانى التى تنتصب رموزا دالة وكأنها كلمات كما قلنا تختلف فى طبيعة دلالتها والتقاط الأغراض والمقاصد منها ، عن الكلمات المتلبسة بالأغراض بلا واسطة •

ولا ريب فى أن هناك فرقا بين أن تفيض الكلمات بالمعانى والمقاصد وان تفيض بها الأحداث والصور • فرق بين ما يدل عليه لفظ الشجاعة وما تدل عليه صورة الأسد ببطشه ، واقدامه ، وبأسه ، وشدته ، المعانى التى تفيض بها الأحداث والصور أغزر ، وأبين ، وأمكن ولابد أن يكون هذا القدر الزائد مقصودا ، وأن لا يكون هناك سبيل الى الابانة عنه الا هذا الطريق ، وأن كل وسيلة من وسائل البيان لا يصار اليها الا لضرورة • فلا يعرف أهل العلم أن فى الكلام شيئا يساق لتحلية الاسلوب ، أو للتفنن ، أو الطرافة،

أو الجـــــدة ، أو للقيم الجمالية كما يقول أهـل زماننا ، وانما كل شيء فى كلام أهل الطبع ركن فيه لا ينهض الا به ، فاذا رأينا تشبيها أو مجازا أو كناية وليس موقعه فى الكلام موقع ما لا يتحصل الشيء الا به فهو تكلف ســـاقط وغث مسترذل • وقد كثرت هذه الوسائل فى الكلام حتى صارت كأنها أقطاب تدور عليها المعانى فى متصرفاتها ، وأقطار تحيط بها من جهاتهـــا كما يقول الشيخ الامام • ولما تعدد مجال الحذق فيها من حيث اختيار العناصر المعبرة ــ فضلا عن احكام بنية الكلام الدال عليهـــا ــ ذكر الشـــيخ أنه بما قرى الحسن من الجهتين ، حسن النظـم ، وحسن اللفظ ، والمراد باللفظ هنـــا وفى مثله المعانى الدالة كما هو صريح كلامه فى غير هذا الموطن •

وهذه الضروب من الابانة والتى نسميها فى علم البلاغة علم البيان فيها مجالات متراحبة لم نتعرض لها فى هذا المقال لانها لا يحاط بها فى بحث ، بل ولا يحيط بها باحث ، وانما هى فى حاجة الى جهـــود صادقة وصابرة ومتكاملة •

من ذلك بحث الوســـائل التى انتفع بها كل شــــاعر فى الابانة عما وجد ، وكيف صرف هـــذه الوسائل ؟ وكيف صــاغها ؟ وكيف أقامها رموزا دالة ؟ ولا يرى قرب ذلك الا الذى لا يدركــــه • لأنه يعنى الوقوف المتوسم عنـــد كل تشــبيه ومجاز وكناية ، والتعرف على عناصره ، وطريقـــة تصريفـــه ونســـج خيوطه ، وكيف أحكم هيأته ، وظاهره وباطنـــه ، ومدى ملاءمة ذلك للسياق والغرض ؟ وغير ذلك مما يســـتوجبه فهم هذه الوسائل وتحليلها •

وهــذا يحتاج فيما يحتاج الى التعرف الكامل على بيئة الشــاعر التى طواها فى شعره وصارت جزءا فى بناء كلامه ، وهــذه وحـــدها « دونهـــا خرط القتاد » كما يقول شـــيوخنا • لأنه يعنى التعرف الواضح على أرضـــها وجبالها ، ووديانها ، وحزنها ، وســـهلها ، وأنواع أوانسها وأوابدها ، وأنواع

نباتها ثم الناس ، وقبائلهم وبطونهم ، وأيامهم ، ووقائعهم وعاداتهم وضرمهم وشرمهم ، وغير ذلك مما ترى الشعر مشحونا به وهو كثير جدا ، وخير ما ينبىء عنه قراءة قصيدة من شعر امرىء القيس أو لبيد أو غيرهما ، وتحديد صور التشبيه والمجاز والكناية ، والتعرف على ما يلزم لفهم ذلك .

وحين تفرد كل وسيلة من هذه الوسائل تعد بابا واسعا من أبواب البحث انظر الى الناقة عند زهير مثلا ، وتعرف على كيفية صياغتها فى بيانه ، وكيف انتزع منها تشبيهاته ؟ وكيف تعددت صورها عنده ؟ وقارن ذلك بما استنبطه غيره منها ، وكيف تأملوا كل شىء فيها ، وانتزعوا منه ما أبانوا به فأبانوا بحنينها ، وارزامها ، تطوافها ، ولقاحها ، ونتاجها ، وأصلابها وأعجازها وكلكلها ، وغاربها ، وبرحلها اذا مال وجاوز الحزام الطبيين . واذا اعتدل وهكذا .

وكذلك البرق ، والسحاب ، والأنواء ، والثريا ، وثور الوحش ، وحماره ، وأتنه ، الى آخر هذا الذى لو تتبعته وجدت فيه مجالات عديدة للنظر .

ومقارنات هذا الباب تكشف اسرارا فى الشعر يروع مذاقها ، تأمل ثور الوحش وقصته مع كلاب الصيد ، وكيف تصرفت الاحوال والاحداث وتشابهت وتباينت عند شاعر واحد كالنابغة ، فضلا عن أن تجعل هذه القصة أصلا للمقارنة عند جملة من الشعراء .

أو تأمل الأوابد والسباع فى تشبيهات الصعاليك ومجازاتهم ، وكيف أبانوا بالذئاب وتناديها فى الخرائب .

والمهم أن نسيج التشبيه والمجاز والكناية عند كل شاعر ومتكلم بين باب من أبواب البحث والنظر له جهات متعددة ينظر اليه منها حتى اننا نستطيع أن نجد لكل شاعر معجم تشبيه ومجاز وكناية ، يتحدد فيه ما اقتبسه من غيره ، وما أضافه ، والى أى مدى كانت صور الآخرين تتعدل عنده وتتأثر

بسليقته وطبعه ، والى أى مدى بقيت قريحة الصحراء ناشبة فى اللسان . وهكذا ينظر الى الشعراء الذين يجمعهم مذهب واحد ، أو طبقة واحدة ، أو بيئة واحدة ميزتهم كشعراء نجد والحجاز أو شعراء قيس وتميم ، وسوف نجد – لا محالة – عوامل جامعة فى باب التشبيه والمجاز والكناية لأنها أشد وسائل الكلام رقة ورهافة وتأثرا بالأحوال والطباع .

وهكذا ينظر الى المتكلمين فى كل طور متميز من أطوار الحياة الادبية ، وتجتهد الدراسات فى أن تضع معجم التشبيه والمجاز والكناية لكل طبقة أو قبيلة أو جيل ، ومحصل ذلك كله تجده معجما عاما للتشبيه والمجاز والكناية ، وبذلك تتحدد لنا نشأة كثير منها ، وأوليات كل شاعر ومتكلم ، وأوليات كل جيل ، أو طور ، أو بيئة ، وما شاع عند كل من صور .

وقد أومأ عبد القاهر الى باب من أبواب البحث فى هذا الذى نقول حين ذكر أن هناك أشياء عكف عليها خيال القوم واستنبط منها أحوالا متعددة ، وجعلها وسائل للابانة عن معان مختلفة ، وأن هذا موضع مهم من مواضع بحث التشبيه . وذكر الزند وكيف صرفوه فى أغراضهم فهو بايرائه يعطى شبه الجواد ، والذكى الفطن ، وشبه النجح فى الأمور الى آخر ما قال ، ثم ذكر البدر وأحواله التى أبانوا بها ، فهو يعطى الشهرة فى الرجل ، والنباهة والعز والرفعة ، ويعطى الكمال عن النقصان ، والنقصان بعد الكمال ، الى آخره وهذا بيان لطريق من طرق النظر فى التشبيه يغاير ما تعارفنا عليه فى أمره ، وأنه بحث الطرفين والوجه والاداة .

ومسألة وضع معجم التشبيه والمجاز والكناية لكل شاعر ومتكلم مبين ولكل طور الى آخر ما ذكرنا ليست أفكارا نبتدئها ، وانما حققها الشريف الرضى بصورة ما فى تلخيص البيان فى مجازات القرآن ، وفى المجازات النبوية ، وحققها ابن ناقتا البغدادى فى تشبيهات القرآن ، وحققها الزمخشرى فى

الأساس ، ولكننا لم نتابع هـــذا الاتجـاه •

وقد نبه ابن خلدون الى أهميـة تتبع مجازات العرب ، ووضـع المعجم الجامع لكل ما تجوزوا به من الفـاظ ، وتراكيب ودلالات ، وذكر أن الزمخشرى له فى هـذا كتاب وأنه كتاب شريف (مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٥) •

د• محمد أبو موسى

« بقية حديث الشهر »

ذاته الجسور المهمة التى يقوم عليها كيان المجتمع من المعاملة والأخلاق والتكافل •

تلك هى بعض ملامح قوة الاسلام التى تصنع التطور والتقـدم وهى نفسها علاج العصر الذى ضاق من غموض العقائد وعجزها كما ضاق بالاستبداد وقمع الحريات والتخلف والميل مرة لصالح الفرد ومرة لصالح المجموع الغريب أن بعض أبناء جلدتنا لم يستيقظوا من سباتهم بعـد •

اللغة و المجتمع

للدكتور عبد الغفار حامد هلال

تناولنا فى المقالين السابقين بعض المظاهر الاجتماعية للغة فتناولنا اللغة والجنس واللغة والمكان والزمان ونتحدث هنا عن مظاهر أخرى هى : اللغة والنظم الاجتماعية واللغة والطبقات الاجتماعية والعرف واللياقة اللغوية وتبين جوانبها المختلفة واليك القول فيها :

اللغة والنظم الاجتماعية :

تتأثر اللغة بالأنظمة الاجتماعية التى تكون عليها الأمة ، فتحمل سمات المجتمع فى النواحى السياسية ، والاقتصادية ، والدين ، فالمجتمع يطبع خواصه فى هذه النواحى على لغته ، فالكلمات ، والتعبيرات تتمشى مع شكل النظام السياسى ، والاقتصادى والدينى وغيرها من النظم الاجتماعية ..

ففى مجال السياسة نلاحظ اختلاف نظم الأمم ، فهناك النظام الديمقراطى أو النظام الاقطاعى ، أو النظام الشيوعى ، ولكل طريقته التى تظهر فى أساليب لغته ، فلغة الانتخاب ، والمراسيم ، الحكومية ، والمجالس النيابية تتجلى فيها طريقة النظام الذى تسير عليه الدولة ..

وعندما يتغير الشكل السياسى تتأثر اللغة به ، فلو درسنا الألفاظ المستعملة فى مجال السياسة الطبقية قبل الثورة ، وما استعمل بعد الثورة لوجدنا اختلافا واضحا فى كل من الفترتين ، فالنظرة الى

الفرد قد اختلفت وأخذ لفظ (السيد) مفهوما جديدا فى الاستعمال .

ونلاحظ فى أسلوب المعاهدات والمعاملات بين الدول طابع الصورة التى تكون عليها تلك الشعوب ، من النواحى السياسية، فترد عبارات : (العالم الحر) — (عدم الانحياز) — (التحالف) — (الصداقة) — (المودة) وتفسر فى ظل المفاهيم السياسية التى تراها الدول التى يجرى بينها التعامل ..

وقد نشأ عن هذا تغيير مدلولات كثير من الألفاظ والتراكيب ولودرست معانيها فى القديم والحديث — لاكتشفت فروق هائلة بين المراد قديما ، وحديثا حسب مصطلحات العصر ، وربما أتاح هذه مادة خصبة لمعجمات تضم معانى جديدة لم تعرفها العربية من قبل ..

ولنراجع معا هذه العبارات : (الظلم الاجتماعى) — (سيطرة الاقطاع) — (الخلية الثورية) — (الدفع الثورى) — (الحوافز الثورية للجماهير) (الدكتاتورية الطبقية) — (دموية الصراع الطبقى) — (نضال الشعب) الخ ..

وللحياة الاقتصادية طرائقها ، ونظمها التى تتخذ من اللغة أداة فعالة لها ، توجهها كما تشاء فى الاصوات والمفردات .

فالنواحى الاقتصادية كثيرة ، والتعامل بين الأمم له وسائله ، ودعاياته والتعامل بين أفراد الامة وجماعاتها له وسائله ودعاياته أيضا ..

فأسلوب البيع والشراء له مسالكه التى يلجأ اليها كل من البائع والمشترى وطرق عرض السلع ، والاعلان عنها يأخذ أساليب شتى ، وأسواق البيع والشراء تحوى دهاء البائع والمشترى ، ولذا تبدو فى المجال اللغوى للبيع والشراء اصطلاحات وألفاظ وطرائق لغوية تتميز بها جماعات التجار على تعدد أنواعهم وسلعهم ..

ونشاط أصحاب الحرف زراعية وصناعية وتجارية يرتبط بالمفاهيم

اللغوية الجديدة التى تتمشى مع وصفهم فى المجتمع ، فأساليب الزراع ، والصناع ، والتجار تجرى حسب ميولهم ، وأهوائهم ، ومصالحهم ، وترتبط بالأوضاع الجديدة التى تعرض لهم ..

ويكفى أن نعرف أن العمل، والعمال زراعيين، وصناعيين أصبح لهم بعد الثورة شرف الانتساب الى أعمالهم ، وتحولت معانى الكلمات (العمل ــ العامل الفلاح) من الصفة التى كانت تلاحقها فى الماضى بسخرية واستهزاء الى شرف المعنى واحترامه (١) .

وللدين كذلك أثره الفعال فى اللغة ، فالمجتمع فى طقوسه الدينية ومشاعره يسلك مسلكا لغويا اذ طابع خاص ، ولغة الدين لها ألفاظها ، وتراكيبها ، وطرائقها التعبيرية ، ولننظر الى ألفاظ الأذان ، والصلاة ، والخطب الدينية ، وطرائق المدائح النبوية، وأساليب القرآن الكريم الذى يلجأ الى طرق خاصة فى الاقناع والتوجيه ، ولا ريب أن أداء هذه المراسيم الدينية ، وقراءة النصوص ، والأدعية المأثورة لها نظمها الصوتية ، التى تحرك المشاعر ، والوجدان ..

وهناك تعبيرات شائعة لدى الناس يستمدونها من ايمانهم بخالقهم ، ويحيطونها بهالات الاكبار الذى ينبعث من الاحساس الدينى كأساليب القسم وتعويذ الاطفال بآيات الكتاب الكريم ، والأساليب الشعبية المستمدة من الدين مثل (اسم الله عليك ــ باسم النبى حرسك) ..

ولو تتبع الباحث اللغوى تاريخ الألفاظ ، والتعبيرات الدينية المأثورة قديما حتى العصر الحديث لأمكنه أن يقف على تاريخ التطور اللغوى الذى ينبعث من مشاعر دينية ، لاسيما ونحن نعلم أثر الدين فى النفوس ..

ولو درس الأسلوب القرآنى دراسة فاحصة ، لأمكن ادراك كثير من الاتجاهات ، والمسالك اللغوية التى ينتحيها ..

ونلمس فى لغة الأساليب الدينية

---

(١) د : السعران : اللغة والمجتمع ص ٧٤ ــ ٩٤ بتفصيل اكثر ..

ميلا الى الايقاعات الصوتية كالسجع ، والفواصل وتتابع الأصوات وتنغيم الكلام ..

ولو تركنا الدين الاسلامى الى غيره من الأديان الأخرى لوجدنا الطقوس الدينية التى تسلك مسالكها ، فلا تزال الكنيسة تستخدم التعابير القبطية التى يرددها بعضهم دون فهم (١) .

ولاشك أن كتابات المسيحيين باللغة العربية تحول الأساليب ، ومفهوم الألفاظ العربية ، حسب الاتجاهات التى يلجأون اليها ، فلهم عرفهم فى الاستعمالات اللغوية ويمكن ملاحظة ذلك من أساليب كتاباتهم الدينية ، وذلك أيضا يغير من ألفاظ اللغة ، وتراكيبها ومفاهيمها فيخضعها لما يريدون ..

٤ ــ اللغة والطبقات الاجتماعية :

يضم كل مجتمع عناصر مختلفة تعيش فى المدن ، والقرى ، وفيها الزراع والصناع والارستقراطيون والفقراء ومتوسطو الحال وفيها الأميون والعلماء والمثقفون ، كالطبيب والمهندس والمدرس ، وعالم الدين ، ورجل القانون ، والأديب وغيرهم ..

ولكل من هذه الطوائف خصائصها ، فى نشأتها ، وطريقة حياتها ، وعاداتها وتقاليدها ، ومستواها الاجتماعى ، ولذا تستخدم اللغة استخداما مستمدا من البيئة والأعمال التى تزاولها .

وتعرف هذه اللهجات ذوات الطوابع المتميزة بـ (اللهجات الطائفية) أو (الطبقية) أو (الاجتماعية) ، كما يسميها علماء اللغة (٢) ..

فالمشتغلون بالزراعة لهم لهجتهم الخاصة ، المستمدة من بيئتهم وعملهم ، وما يتصل به من آلات ، وأدوات ..

ففى (اللتوائية) ــ وهى لغة شعب زراعى ــ خمس كلمات للدلالة على اللون الأشهب ،

---

(١) فندريس : اللغة ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

(٢) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ٦٠ ، د . وافى : اللغة والمجتمع ص ١٤٨ .

هذه الكلمات ليست من المترادفات ولكن لأن كلا منها تقال عن شيء خاص الأوز والخيل والبقر والحيوان الداجن مما عدا ما سبق وشعر الانسان — وفيها دلالة على (المبقع) أو (الأيلق) عدد من الكلمات بقدر ما يوجد فيها من الفصائل الحيوانية ، وهذا يستلزم قوما اخصائيين فى تربية الحيوان ، (١) ..

وللزراع — فى مصر — لهجاتهم الخاصة التى تختلف باختلاف المناطق التى يعيشون فيها ..

ويبدو ذلك فى مظاهر حياتهم، وسلوكهم اللغوى ، ولعل فى هذا المثل المستمد من بيئتهم ما يؤكد هذه الحقيقة ، ففى بعض المناطق يقولون : أردب ما هو لك ما تحضر كيله تتعفر دقنك ويلزمك شيله) .

ولكل حرفة أو صناعة ألفاظها الخاصة ، فللحدادين ، والنجارين، والبحارة وغيرهم من الصناع وذوى الحرف لهجات متنوعة فى كلماتها ، وعباراتها ..

وتشتمل لهجات هؤلاء وأولئك على ألفاظ من اللغة العامة ، أو من لغات قديمة أو أجنبية ..

ففى مجال الزراعة تحتفظ العامية المصرية — من اللغة القبطية — بأسماء الشهور ، والمواسم الزراعية ، وأسماء بعض الآلات الزراعية ، وفى العامية العراقية كثير من الكلمات البابلية ، والآشورية ، والفارسية المتعلقة بهذه الموضوعات ..

وفى مجال الصناعة كلمات متوارثة ، أو منقولة من لغات أجنبية وبخاصة — بعد التطور الصناعى العالمى ، وقد دخل اللغة العربية كثير من الألفاظ الانجليزية ، والايطالية والألمانية ، واليونانية ، مما يتصل بالهندسة والميكانيكا والآلات الصناعية (٢) .

---

(١) فندريس : اللغة ص ٢٨٦ .
(٢) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ١٠٥ — ١٠٨ بتصرف ، وانظر : اللغة ص ٢٨٣ وما بعدها .

وللطبقات الارستقراطية ، والفقيرة ، والوسطى ، لهجاتها التى تنبىء عن مكانتها الاجتماعية ، وأوضاعها الاقتصادية ، وطرق معيشتها ونظامها الاجتماعى ..

يقول فندريس – عن اللهجات الارستقراطية الفرنسية – (فى كل العهود التى كونت فيها الارستقراطية طبقة مغلقة ، تحيا حياة الصالونات وتعتز بجمال اللغة أدت هذه الحال الى نشوء مفردات نبيلة أبعدت منها كل كلمة سوقية ، وهم وان استووا فى العقل مع غيرهم ظلت لهم على غيرهم من سواد الناس ميزة التعبير بعبارات خير من عباراتهم، وجمل أشهى الى النفس) (١) .

وللطبقات الارستقراطية فى مصر لهجاتها الخاصة ، ولكنها تقوم – أحيانا – على تشويه بعض أصوات اللغة العامية ، واستعمال كلمات وتراكيب أجنبية لاعتقادها أن ذلك علامة الرقى ، والتمدن (٢) .

والطبقات الفقيرة ، والوسطى أكثر استقرارا واعتدالا فى استعمال اللغة .

وقد يعرض لفرد أو أكثر من الطبقات الدنيا ثراء فجائى ينقلهم الى مستوى مادى أعلى ، فيحاولون مجاراة الطبقة الراقية، واذا كانوا يستطيعون ذلك فى المسكن والملبس ، وغيرهم من مظاهر الحياة المادية ، فمن العسير عليهم مجاراة تلك الطبقة فى لهجتها فان صعوبة التقليد الكامل تجعلهم عرضة للخطأ وتعود بهم الى طبقتهم الأولى (٣) .

وللطبقات الخارجة على نظام المجتمع – كاللصوص ، والمجرمين، والأشقياء لهجات تستخدم طرائق معينة فى استعمال كلمات اللغة العامة ، بنقلها الى معان مجازية

---

(١) فندريس : اللغة ص ٢٨٧ ..
(٢) انظر الى استعمالهم : انارب مكان ارانب – زالم مكان ظالم – السبر مكان الصبر مرسيه مكان شكرا . ونحو ذلك
(٣) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ٦٠ .

أو استعارتها لدلالات بعيدة عن مفهومها الأصلى ، أو خلق وابتكار مفردات وعبارات جديدة ، لمفاهيم يصطلحون عليها ، وربما لجأوا اليها لاخفاء جرائمهم ، وأوضاعهم الشاذة ، « ففى أمريكا — مثلا — يسمى اللصوص (الجواهر) باسم (الجليد) والجواهر المسروقة (الجليد الساخن) (١) .

ولذا تسمى لهجتهم بـ (اللهجة السرية) أو (الكلام السرى) (٢).

وقد فطن الجاحظ الى لهجات الطبقات الدنيا فى أيامه فهو يعرض للهجة المتسولين ، والمحتالين ، ولا سيما ما جاء فى كتاب البخلاء من هذا الباب كما أشار الجاحظ الى جماعة من هذه الجماعات التى ارتضت لنفسها أن تحيا حياة خاصة ، وهم اللصوص ، وقد كتب فى الموضوع رسالة أسماها كتاب اللصوص ، وجاء ذكر الكتاب فى مظان عدة(٣).

ومن امثلة تلك اللهجات الخاصة القصيدة الطويلة التى كتبها فى القرن الرابع الهجرى الشاعر الماجن المتسول أبو دلف الخزرجى الينبوعى مسعد بن مهلهل — واشتهرت باسم القصيدة الساسانية ، واختار منها أبو منصور الثعالبى قدرا لا بأس به وشرح المصطلحات الخاصة بالمتسولين (٤) .

وللعلماء والمثقفين — على اختلاف طبقاتهم ومناحى تعليمهم — من أطباء ومهندسين ومدرسين وعلماء وكتاب ، أنواع من اللهجات تتفق مع مستواهم الثقافى والعامى ..

وتبين لهجة المتكلم نوع تعليمه، ووسطه الثقافى ، فالقانونيون لهم

---

(١) نفسه ص ٦١ .
(٢) فندريس : اللغة ص ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ .
(٣) د . حسن ظاظا : اللسان والانسان ص ١١٢ .
(٤) الثعالبى : يتيمة الدهر ط ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م ح ٣ ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ . و . د . حسن ظاظا : اللسان والانسان ص ١١٢ — ١١٤ .

لهجتهم الخاصة ، وحيثياتهم التى يبنون عليها كتاباتهم وأحكامهم (١) ومثال ذلك حالة (المحضر) وحالة (القاضى) فهذان يستعملان فى تسبيب حيثياتهما أو فى تحريرهما لغة بعيدة جدا عن اللغة الجارية ، (١) ولغة المحاكم — بعامة — من هذا القبيل فكل مصطلح فيها اتخذ له دلالة نهائية على رجال المحاكم أن يحفظوها وأن يتبعوها دون أن يغيروا شيئا منها (٢) ..

وللاطباء لهجة يستعملونها عندما يحررون نشرة طبية ،وللعلماء لهجة عندما يعالجون مادة علمهم .

ويسمى علماء اللغة هذه اللهجات باسم اللهجات الفنية ، ففى كل فن علمى تستخدم كلمات اللغة العادية فى معنى خاص ، كما يفعل علماء الطبيعة ، حين يتكلمون عن الكتلة أو (السرعة) أو (القوة) وأحيانا تخترع كلمات خاصة ..

* واللغات الفنية تدين بوجودها الى الحاجة للدلالة على أشياء أو أفكار لا أسماء لها ، فى الاستعمال الجارى ، ولكنها أيضا ترجع الى الحاجة للدلالة (بصورة علمية) أى بمصطلح دقيق يرفع كل ليس على أشياء مما تعبر عنه اللغة العادية تعبيرا جيدا » (٣) .

ولرجال الأدب من شعراء ، وقصاص لهجة ذات خصائص ، والأديب فى حاجة الىأداة شخصية يعبر بها عما يوجد فى ذكائه ، وحساسيته من عناصر خاصه ، ومن أمثلة اللهجات الأدبية لغة الملحمة اليونانية وفى الهند لغات أدبية على أساس ما من اللهجات (٤) .

وللصحافة لهجتها الخاصة ،

---

(١) فندريس : اللغة ص ٣١٤ .
(٢) نفسه ص ٣١٥ .
(٣) فندريس : اللغة ص ٣١٥ .
(٤) نفسه ص ٣٤٠ .

فالصحف الشعبية فى فرنسا (لا تكاد تكتب غير اللغة المتكلمة مصبوغة بالصيغة الأدبية ان قليلا وان كثيرا) على حين أن الصحف الكبرى تستخدم اللغة التى يستعملها خير كتابنا (١) •

ومعظم الصحف والمجلات المصرية ــ الآن ــ وان اصطنعت العربية الفصحى صورة فانها تخالفها مضمونا بادخا لها كثيرا من الألفاظ والتراكيب الغريبة عليها وهى ــ بذلك ــ لها لهجتها الخاصة التى تخاطب الجماهير الشعبية •

ولكل من الرجال والنساء لهجة خاصة ، فى المجتمعات التى تفرق بين الجنسين وتعزل أحدهما عن الآخر •

وكلما ازداد البعد ، والاتصال بين الجنسين أدى ذلك الى وضوح الفروق بين لهجة كل منهما ••

أما فى المجتمعات التى تخف فيها قيود الانفصال بين الرجل والمرأة فان اللهجة تتقارب بينهما ، ولا يكون لها مظاهر الا فى اختلاف يسير فى بعض الأصوات والمفردات والتراكيب كما يشاهد فى معظم مناطق مصر الحديثه •

ولهذه اللهجات الطبقية خصائص عامة ، تشترك فيها جميعا فهى :

١ ــ تشوه أصوات بعض الكلمات ، وقوانينها الصرفية ، فلكل منها اتجاه صوتى فى نطق الكلمات •

فقد يقع للعامية الخاصة أن تتبع بعض عادات فى النطق تساعد على تمييزها ومن أمثلة ذلك نطق الطبقات الريفية والمدنية للافعال (قال ــ جاء ــ يقدر) فينطقها بعض الريفيين (جال ــ ايجه ــ يقدر) وفى المدن والقرى المتأثرة بها (آل ــ جه ــ بأدر) •

وهذا فى الحالين تشويه لأصوات وبنية بعض الكلمات •

---

(١) نفسه ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ •

كما أن طريقة الأداء الصوتى مختلفة بين الريف والحضر ، بشتى الطبقات ، ويمكن – من خلال الاتجاه الصوتى التعرف على طبقة المتكلم الاجتماعية .

« والعامية الخاصة المستعملة فى الأطراف الباريسية تحتوى على بعض الخصائص الصوتية التى تكفى للتعريف بطبقة المتكلم الاجتماعية » (١) .

وفى العامية الخاصة يستطيع المتكلم بوجه خاص أن يسمح لنفسه بنطق الكلمات فى صورة مختزلة ، لأنه يخاطب عددا محصورا من المتكلمين كلهم ممهد الذهن لفهمه ، وكلهم متفاهم معه، مقدما ، ومن ثم يجىء هذا العدد الضخم من حالات الحذف ، والاسقاط ، والتبسيط ، وحذف النهايات ، هذه العوارض الصوتية التى تجعل العامية الخاصة لا يفهمها الا العارفون (٢) .

ولذلك أمثلة كثيرة فكلمة (ولد) ينطقها بعض المصريين كاملة الأصوات ، هكذا ، وبعضهم (ول) وبعضهم (واد) وعلى هذا يختلفون فى ندائه (ياولد – ياول – يواد) .

وغنى عن البيان أن الاختصار فى استعمال اصوات الكلمات يتم اعتماده على فهم أرباب الطبقة التى منها المتكلم ..

٢ – تستعير كلمات من اللغة العامة ، وتستعملها استعمالا مجازيا .

فالكلمات العامة (مشغل – عملا – صنعة – تصنيف – علبة) تتخذ بالضرورة معه خاصا فى أفواه الذين يستعملونها وفقا لنوع المهنة التى تستخدم فيها هذه الألفاظ ، فظاهرة التخصص المعنوى تلك هى أساس العامية الخاصة) (٣) .

والاستعارات ، والنقل فى العامية الخاصة تبلى بسرعة ، وتحتاج الى كثرة التجديد ، لأن

---

(١) فندريس : اللغة ص ٣١٧ .
(٢) نفسه ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .
(٣) نفسه ص ٣١٧ ، ٣١٨

الغرض من استعمالها هو توسيع شقة الخلاف التى تفصل بين العامية الخاصة ، واللغة المشتركة والمحافظة على بقاء هذا الخلاف ، فلا يدهشنا اذا أن تستهلك العامية الخاصة من الاستعارات أكثر مما تستهلك أية لغة أخرى » (١) .

٣ ـ تستمد كلمات من لغات أجنبية ، والمراد بالأجنبية كل ما ليس من اللغة المشتركة فتدخل فى ذلك ما تنقله من اللهجات الخاصة الأخرى ، ومن كل اللهجات المتفرعة من اللغة المشتركة ، فضلا عن اللغات الأجنبية التى تتكلمها الأقطار المجاورة (فالعامية الخاصة الفرنسية على وجه العموم تحتوى على كلمات أجنبية قليلة العدد : عربية وألمانية ، وغيرها (٢) .

وفى اللهجات الخاصة المصرية ألفاظ مستمدة من لغات أجنبية حسب الطبقة أو الحرفة التى تتطلبها ..

٤ ـ قد تأخذ اللهجات الخاصة من الكتب وهو أمر فردى فى غالب الأحيان ، وهو احدى الوسائل الاصطناعية التى تدخل فى تكوين العامية الخاصة ، ويذكرون أن فرجليوس مارو النحوى الذى عاش ـ على ما يظهر ـ فى القرن الخامس بعد الميلاد اخترع لغة خاصة ، ظلت شائعة الاستعمال زمنا طويلا بين تلامذة المدارس الايرلندية ، وكانت تقوم هذه اللغة على تشويه الكلمات الجارية، بأنواع من تضعيف المقاطع ، أو بترها ، أو نقلها ، وبمضى الزمن تحورت وتمخضت عن لغة أخرى أمشاج سميت (لغة الشعراء) وهى عامية خاصة اختلطت فيها ـ على غير قاعدة ـ كلمات مستعارة ، من اللاتينية ، والاغريقية ، والعبرية ، وكلمات أهلية أهمها الاستعمال أو استمدت من النصوص العتيقة(٣).

واللهجات الخاصة لا ينفصل بعضها عن بعض ، انفصالا تاما

---

(١) فندريس : اللغة ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٢) نفسه ص ٣١٨ .

(٣) نفسه ص ٣١٩ ـ ٣٢١ .

فللطوائف الاجتماعية صـــــلات تقتضيها المصالح التى تجمعهم فى « تنوع اللغات (اللهجات) يرجع الى تعقد الروابط الاجتماعية ، ولما كان من النــادر أن يعيش فــرد محصورا فى مجموعة اجتماعيـــة واحدة ، كان من النادر أيضا أن تبقى أحدى اللغات دون أن تنفذ الى مجموعات مختلفة ، اذ يحمل كل فرد معه لغة مجموعته ، ويؤثر بلغته على لغة المجموعة المجــاورة التى يدخل فيها » (١) .

ولا تتكلــم أسرتان متجاورتان لغة واحدة اطلاقا ، ومع هذا فان لقاء الأسر المشـــترك يؤدى الى الوحدة اللغوية بينهما ، وقد تعيش أخوان معا ، ولأحدهما مهنة تختلف عن مهنة الآخر ، فتميل لهجة كــل منهما الى طائفته التى ينتمى اليها، وندب عوامل الفرقة بين لسانيهما الا أنهما يتقلبان عليها ، بلقائهمـا اليومى ، ولو أن أحدهما انفصــل عن الآخر فى حياته ، أو أدى حدث ما الى التفريق بينهما فقد يصبح لكل منهما لهجة تختلف تمـــام الاختلاف عن الأخرى (٢) .

فاللهجات الطائفية تتداخل فيما بينها لعوامل الاتصال القائمة بين أصحابها فاذا قدر لاحدى اللهجات أن تنفصل عن الأخرى ــ لعوامل تدعوا الى ذلك فان هذه اللهجــة تصبح بعيدة عن أخواتها (ولذلك كانت فى فرنسا لهجة الطبقــات الدنيا من العمال واللهجات السرية لجماعات المتصوفين ، والرهبــان، ولهجات المجرمين ، واللصــوص ، ومن اليهم ، من أكثر اللهجـــات انحرافا عن الأصل الذى انشعبت عنه ، وبعدا عن المستوى العـــام لبقية اللهجات الاجتماعية الفرنسية وكذلك الشأن فى انجلترا ، فلهجات اللصوص ، وقطاع الطـــرق ، والمجرمين الانجليز من أشـــد اللهجات بعدا عن اللغة الأصلية ،

---

(١) فندريس : اللغة ٣٠٦ ، ٣٠٧ .
(٢) نفسه ص ٣٠٧ .

وعن المستوى العام للهجات الاجتماعية (١) .

وهذه اللهجات الاجتماعية ، لا يتميز بعضها من بعض الا فى المدن الكبرى حيث تتعدد الوظائف ، ويكثر الناس ، وتتنازع الطبقات، كنيويورك ولندن ، وبغداد — فى عصر العباسيين ، والقاهرة — فى العصر الحديث ، (ويوجد داخل باريس عدد من اللغات (اللهجات) المختلفة ، تسير كلها جنبا الى جنب فلغة الصالونات مثلا ليست لغة الثكنات ، ولغة الأعيان ليست لغة العمال ، وهناك ركانة المحاكم ، والعامية الخاصة التى تتكلم فى حواشى المدنية ، وهذه اللغات يختلف بعضها عن بعض الى حد أنه قد يعرف الانسان احداها دون أن يفهم الاخرى) (٢) .

واللهجات الخاصة تنشأ من الانفصال الاجتماعى ، ولكنها تقوم دائما على مادة لغة مشتركة ، وتظل عادة تستمد منها غذاءها (٣) .

٥ — العرف واللياقة اللغوية :

فى كل مجتمع أمور يعاب التصريح بها ، أو التحدث عنها ، أحيانا بين الكبار ، وأخرى بين الصغار ، وما يباح لبعض الكفار فى موقف قد لايباح لهم فى موقف آخر .

ولكل من الصغير والكبير ، والرجل والمرأة ، وجماعة الذكور وجماعة الاناث كلام لايباح للآخر ولا يليق به .

وبعض الكلام لا يليق التفوه به فى العرف الاجتماعى ، كالشتائم وما يكون لدى بعض الناس من عاهات ، وكل ما هو جارح للاحساس ، والآداب العامة ، ويستعاض فى اللغات عن الكلمات الجارحة بأخرى تخفف من حدتها

ويكره المجتمع التحدث عن بعض الأمور التى يتشاءم منها كالموت ، والأمراض الخبيثة ،

---

(١) د . وافى : اللغة دالمجتمع ص ١٤٨ . .
(٢) فندريس : اللغة ص ٣٠٦ .
(٣) نفسه ص ٣٢٥ .

والجن ، والشياطين ، وجهة اليسار والشر ، فيلجأ عند ذكرها الى التستر والغموض .

ويتحدث الناس فى الأمور المتصلة بعالم الغيب بعبارات خاصة جرت العادة باستعمالها .

ويلجأ المجتمع فى التعبير عن الأمور الممنوعة ، أو التى تدعو الى القلق الى استعارة كلمات من الخارج ، أو الى المجاز ، أو استبدال كلمة مكان أخرى ، وتشويه بعض الكلمات أحيانا ، وتعديل عناصرها صوتيا .

فكلمة Pissoir (مكان البول) فى الألمانية أقل منها جرحا للاذن فى الفرنسية ، لأن استعارة كلمة من الخارج تخفف من افتضاح الشىء الذى يعبر بها عنه ، فهى تلعب دور الكناية (١). وكلمات (كبانيه — تواليت — دورة المياه) — عندنا — حلت محل كلمة (مرحاض) وكأن الاستعارة من اللغات الأجنبية ، أو استبدال كلمة بأخرى تجعلها أكثر مراعاة للياقة .

(وقد عدل الأطباء منذ حين عن استعمال كلمة (عملية) Operation التى صيرها الاستعمال قاسية مخوفة ، لا يسمعها المريض حتى يتصور الآلات المرعبة والملابس الملوثة بالدماء ، والجسم وقد طواه الالم طيا ، فكلمة (عملية) ضحية الصور التى تثيرها لذلك يسود الميل الى الاستعاضة عنها بكلمة Intervention (تدخل) لأنها أنضر جدة منها ، واكثر تحفظا وأشد غموضا ، أيضا لا يهلع لسماعها قلب المريض ، والكناية ليست الا صورة مهذبة متحضرة مما يسمى تحريم المفردات) (٢) .

ولما كانت أسماء المثاليب والعاهات معوضة للنهى بشكل خاص ، فلا ينبغى أن تدهش حين نرى الجرمانية تشتق من أصل

---

(١) فندريس : اللغة ص ٢٨٠ .
(٢) نفسه ص ٢٨١ .

واحد ، يدل على عاهة جسمانية ثلاث كلمات مختلفة (تدل على الصمم ، والبكم ، والحماقة) وذلك بتعديل عناصره الصوتية(١).

(وترى الشتائم فى كثير من اللغات ، تصاب بشىء من التشوه المقصود ، الذى يمكن من ادخالها فى أرقى الأوساط(٢) .

ونحن نقول فى عاميتنا : (يا نهار أحوس ـ يا خراشى ـ يخيشك) بدلا من (يا نهار أسود ـ يا خرابى ـ يخيبك) كل ذلك للتخفيف من حدتها .

أما موضوعات التشاؤم كالموت والخوف من الجن ، والأمراض الخبيثة فنلاحظ المجاز ، والكناية عنها ، واستعمال عبارات تشير الى الخوف أوتقلب معناها الى مايتمنى من الخير .

فالموت ـ فى أكثر اللغات ـ يكنى عنه بالذهاب ، وفى العربية تستعمل لفظة (الوفاة) وهى مشتقة من (الوفاء) أى رد ما يستحق الآخرون عند الانسان ويعبر عنه بعبارات كثيرة مثل : أفلت شمسه ، صعد الى بارئه (٣) ـ لبى داعى ربه .

ويكنى عن الحصبة فى العامية المصرية بـ (المبروكة) .

ويعرض الناس ـ عادة ـ عن ذكر الأمراض الخبيثة ، كالسل والسرطان ويدخلون فى كلامهم عبارات لازالة مفهومها القاسى مثل ـ ربنا يكفينا شره ـ والعياذ بالله ـ الخ ويستعيذون بالله من الأرواح الشريرة .

وجهة اليسار جهة يتشاءم منها، وكأنها جهة القوى الخفية ، التى لايراد ايقاظها (لذلك كثيرا ما قضى بالتحريم على اسم اليسار ، وكانت نتيجة هذا التحريم الاضطرار الى استعمال العبارات الملفوفة ،

« البقية على صفحة ٧٣٤ »

---

(١) نفسه ص ٢٨٢ .
(٢) جسبرسن : اللغة بين الفرد والمجتمع ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، وانظر : فندريس : اللغة ٢٨ ، ود . السعران : اللغة والمجتمع ص ١٣٠ .
(٣) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ١٣١ .

تشريع إسلامي

التهجم على الإفتاء

للدكتور محمد رجب البيومي

أحسنت دار الافتاء بالجمهورية حين شرعت فى اصدار أجزاء متتالية تحمل فتاوى الأئمة المتخصصين ممن تولوا منصب الافتاء فى مصر ، ليقرأ الناس رأى الاسلام الصحيح فى معضلات العصر الحاضر ومشكلاته ، مؤيدا بالنص ، ومدعوما بالبرهان •

ونحن نعرف أن لكل علم رجاله المتخصصين فى دراسته ، فالطب لايخوض فى مسائله غير الطبيب والقانون لايتحدث عنه غير القانونى ، والهندسة لا يناقش أمورها غير المهندس ، فاذا ألم غير متخصص ببعض مالا يمت الى ثقافته ، سأل فى تهيب وحذر ، وانتظر الجواب الصائب مذعنا لما يشير به أولو العلم دون معارضة أو لجاج ، نجد ذلك فى كل علم من علوم الحياة ، الا الفقه الاسلامى ، اذ كان من مآسيه المعاصرة أن يخوض فى مسائله كل متكلم من غير المختصصين ، فأنت تجد كاتب المقالة الاجتماعية ، وصاحب التعليقات الاذاعية ، ومحرر اليوميات الصحفية ، يتحدث فيما لم يتهيأ لدراسته ، حين يحمل الدين ما لا قبل له به من الآراء المتعجلة ، فيفسر الآية القرآنية على غير وجهها ، ويميل بالحديث النبوى منحرفا عن دلالته وتقطيعه شذورا مبتورة من سياقها التام فى كتاب الله لتكون دليلا على مايرى من وجهة نظر شخصية فاذا قلت لهؤلاء جميعا : ياقوم ، انكم تهرفون بما لا تعرفون ، وان

للتشريع الاسلامى علماءه المتخصصين ، يصدرون عن أمره ، وينهلون من حوضه فى يقظة ووعى، اذا قلت ذلك مخلصا لكتاب الله الذى يفسرون آياته على غير وجهه صاح بك الصائحون من هؤلاء : كلنا رجال الدين ، وليس فى الاسلام كهنوت ، ولا أناس يحتكرون الحديث عن مسائل الدين !

ونحن نعلم أنه ليس فى الاسلام رجال دين بالمعنى المشتهر لدى الكنيسة ، ولكن للاسلام علماءه المتخصصين فى أصول تشريعه وفقه مسائلة ، درسوا كتابه وفهموا قضاياه ، وفهموا معضلاته فهم وحدهم مصدر الافتاء فى أحكامه ، وليس لكاتب غير متخصص فى أصول الفقه وفروع التشريع أن يكون أحد هؤلاء الكبار ، لأنه أصبح بطريقة ما يملك قلما فى صحيفة أو لسانا فى اذاعة فله تبعا لذلك أن يتحدث عما لا يعرف من مسائل الدين ، مستندا الى قشوره السطحية ، ومحرفا الكلام عن غير وجهه ، فاذا تعرضت له بالنقد ورأيت أن يترك مكانا لم يتهيأ للجلوس فيه ، مكان الفتوى فى دين الله دون علم ، صاح بك فى غطرسة كاذبة ، وادعاء رخيص : ليس فى الاسلام رجل دين !!

انك لتقرأ لهؤلاء ، وتسمع منهم ما يغيظ ويحنق ، حين يتطاولون الى القضايا الدقيقة ، فيلوكون القول بألسنة مريبة ، وفيهم من يندفع فيتجاوز الفروع الفقهية المحدودة الى القواعد الأصولية الكلية التى لا يقف على أبعادها غير الراسخين من الفحول ، فيتحدث عن المصالح المرسلة ، والاستحسان وسد الذرائع ، والضرورات التى تبيح المحظورات ، وهو لا يدرى ــ شهد الله ــ من ذلك غير ألفاظ عامة لا تستقر على مدلولها الأصولى كما سبره المتخصصون ! وقد رأيت أحدهم يتبجح بقوله ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد تخطى النص القرآنى اذ عطل حد السرقة فى عام الرمادة فلنا أن نتجاوز عن النص القرآنى عند الضرورة !! وعمر الفاروق برىء مما يهرف به هؤلاء الادعياء ولحد السرقة قيود

وضوابط يعرفها الفاقهون ، ولم يخرج عمر عن نطاقها الدقيق ، ولكنه الفهم الطائش بل الفتات الساقط يلتقطه من الموائد المغرضة من لا يدرك حقيقته فيبالغ فى أمره ويفسره وفق الهوى لا الحق ويصير بعد ذلك فى نظر نفسه وعند فريق ممن يداهنونه بالملق عالما اسلاميا يرجع الى أصول التشريع والى رجال الصدر الاول من خلفاء الاسلام !! وسبب ذلك كله هو التهجم على الفتوى دون استعداد اشباعا لغرور كاذب ، دون تقدير لعاقبة خطيرة ، والا فكيف اجترأ كتاب الأعمدة الصحفية على الافتاء فى مسائل التشريع ، وفيهم من لايحسن التعبير الصحيح على وجهه العربى المستقيم !! فضلا عن أن يفهم قواعد الاصول فى كتب الثقات .

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتهيبون الافتاء ، مع رسوخ أقدامهم ، وسعة أذهانهم ، فيحيل بعضهم على بعض خشية الزلل ، حتى قال ابن أبى ليلى : لقد أدركت فى هذا المسجد ــ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ــ مائة وعشرين من الأنصار ، مامنهم أحد يحدث الا ود لو أن أخاه قد كفاه الحديث ، وحتى روى عن الامام الشعبى أنه كان اذا سئل عن مسألة فقهية ، أحال على زميل آخر يشاركه البصر فيحيل الآخر على غيره وتدور الاحالات حتى ترجع للشعبى بعد طول طواف ، فلا يجد بدا من الافتاء ، وما ذلك كله الا خوف الخطأ فى الاجابة ، مع أن المجتهد الحقيقى فى الاسلام له أجر اذا أخطأ ، وأجران اذا أصاب ، ولعل ثقة الفقيه من هؤلاء الأجلاء بزملائه ، كانت مما يدفعه الى الاحالة عليهم ، بمعنى أن اماما كالشعبى ما كان ليحيل على غيره الا اذا وثق فى شدة فهمه ، وعمق استنباطه ، وقد ولد هذا الحذر المؤمن فى النفوس المخلصة خشية كانت موضع العجب ، حتى قال بعض الأئمة (لولا الخوف من الله أن يضيع العلم بالسكوت ، لما أفتيت أحدا فتوى يكون له منها الراحة ، وعلى التعب اذا أخطأت) .

واذا تركنا الشعبى وأمثاله الى

من وليهم من أئمة الاسلام ، فاننا نجـد عالم المدينة مالك بن أنس رضى الله عنه ، يهتف بكلمتـه المأثورة (من قال لا أدرى فقد أفتى) وهي كلمة تحملنا على أن نقف لديها متأملين ، لأن الامام مالكا كان حاضر البديهة ، واضح الحجة ، عظيم الدراية ، ومثله فى جلال علمه ، وطـول تجربته . وكثرة معاناته لا يعوزه أن يجد الرد السريع فى كثير مما يوجه اليه من مسائل التشريع ، ولكنه كـان يمسك عن الاجابة فى أحيان كثيرة، ليضرب المثل الملموس فى وجـوب التثبت ، ودقة التحرى ، اذ وجد فى عصره أناسا يهجمـون على الفتوى السريعة فى كل مسألة تعنّ ويرون فى سرعة الاجـابة من التطاول والمباهاة مالا يليق برجل الفقه ، وقد يكون فيهم من يخطىء الرد عن غير عمد ، فـآثر الامام مالك أن يقول قولته (من قـال لا أدرى فقد أفتى) لينهى هـؤلاء المتسرعين عن الخبط الطائر دون تريث ، وليعظم لديهم مكانة المفتين والافتاء .

ونحن الآن فى عصر يشـتد احتياجه الى تدبر قول الامام مالك والوقوف طويلا أمامه مـوقف العظة والانتفاع فقـد طم الامر فى الفتوى الدينية حتى انتقل من الجرائد والمجلات الى المجـالس العامة ! لقد انتقلت الفتـوى من حملة العلم فى سـاحات الدروس والمراجعة الى أندية السـمر ومجالس الأفاكيه ، فقد تكون فى مجلس عام ، أكثره عاميون وأقله متعلمون ، ثم يتشقق الحـديث لينتهى الى سؤال دينى ، فتجـد تسرعا فى الاجابة ممن لا يعلـم ، فان عارضه متعلم يهديه الى الحق سمعت ما لايرضى الحق من أنواع المغالطة ، وكأن المسألة مسـألة سيطرة واستعلاء وظهـور وادعاء وليست مسألة فقه وديـن ، واذا كنا نؤاخذ هؤلاء المتهجمين عـلى الفتوى دون استعداد فاننا نؤاخذ من يميلون الى الاستماع اليهم ، والترحيب بما يهـرفون به من أراجيف ، فلو كان لدينا جمهـور يقظ لأشاح عن هؤلاء اشـاحة يجبرهم على السـكوت ، ولكنهم

يقولون فيجدون من يستمع ويحبذ فيحسبون أنهم على شيء ، والله يعلم أنهم أدعياء ، فمتى يكون لدينا رأى عام ينكر التهجم والافتيات • ويجابه المدعين والأدعياء •

وآفة بعض الصحف أن تحاول الاثارة دون اهتمام بالحق الأكيد ، فهى تنتهز الحديث عن مسألة دينية فى مناسبة طارئة ، فلا تلجأ فى الفتيا الى أعلامها المشهود لهم بالتبحر والاستقصاء ، ولكنها تختار من ذوى العمائم من أغرم بادعاء التجديد والمعاصرة دون علم ولاكتاب منير ، فما أسرع أن ينطلق صاحبنا ليرضى نزغات هؤلاء الذين يحرصون على ابتكاره ، وينشرون رسمه البارز ، وما أسرع مايتناقل الناس رأيه بين مؤيد ومعارض وكأنه من ذوى الاختصاص ! وكنت أقلب يدى حائرا متسائلا ، كيف يتصدر مثل هذا للفتوى ويترك أمثال محمود شلتوت ومحمد أبى زهرة وحسنين مخلوف من أعلام التشريع حتى ليصدق قول الأستاذ محمد الأسمر :

صرنا لما جد من هزل الخطوب بنا
نمشى على الرأس لانمشى على القدم

على أنى أعرف جيدا نفرا من ذوى العقول البصيرة يدركون فضيلة التحرى المتثبت ، والاطمئنان المتئد فلا يسرعون فى الاجابة حتى ولو علموها ، جاهدين أن يضربوا المثل الرائع فى الاحتياط المطمئن ، فتعظم مهابتهم لدى العقلاء ، وأستشهد هنا بفقيد الأدب والعلم والدين أستاذنا الأكبر مصطفى عبد الرازق رحمه الله ، وقد كان شيخ الأزهر الأسبق وأستاذ الفلسفة بالجامعة ، فى أرقى عهودها الزاهرة ، وكانت ندواته الفكرية فى منزله الآهل موردا صافيا لتمحيص الحقائق ، وتشريح الآراء ، والاستاذ الأكبر يستمع الى كل ما يدور مكتفيا بالنظر الهادئ ، والابتسام الوقور ، وقد تطلب منه الاجابة عن سؤال فى مادة تخصصه التى درسها عشرين عاما بكلية الآداب ، فيعد بالاجابة فى ندوة الأسبوع المقبل بعد مزيد الاطلاع وكثير من هذه الأسئلة المرجأة مما

يسهل الحديث عنه اذ كان مادة درسه المتكرر من قبل ، وقد هضمه الرجل الكبير هضما لا مزيد عليه ، ولكنه يرجىء الاجابة لمزيد الاطلاع ، وأحسبه بذلك يقول للناس : « لاتهجموا على الفتوى العلمية ، دون بحث متجدد ، ولن يغنيكم اطلاع الأمس عن اطلاع الغد » وهو بذلك يزداد عظمة واحتراما لدى المنصفين ، ويكون موضع الثقة كل الثقة حين يحين الموعد فيجيب ، وكان تواضعه العلمى فى بحوثه العلمية يدفعه الى كثرة الاستشهاد بالنصوص معزوة الى قائليها ، دون أن ينسب شيئا الى نفسه ، فكان بذلك من أساتذة الأخلاق نظريا وعمليا ، وسهل جدا أن يكون العالم أستاذا نظريا للاخلاق ، ولكن ما أشد صعوبة الأستاذية العملية التى تجعل السلوك مطابقا للمعرفة ، فتلك القمة العالية التى لاتنال دون استبسال .

ان هؤلاء المتهجمين على الفتوى دون علم لم يكد يخلو منهم عصر ! وقد كان الخليل بن أحمد الفرهودى عبقرى هذه الامة أدرى بهم وأخبر حين استعرض معارفه وخلطاءه من المتحدثين استعراض التأمل الفاحص ، ثم قال قولته الذائعة (الناس أربعة ، فرجل يدرى ويعلم أنه يدرى ، فذلك العالم فيسأل ، ورجل لايدرى ويعلم أنه لا يدرى فذلك الجاهل فيسأل ليتعلم ، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك الغافل فينبه ، ورجل لايدرى ويدرى أنه يدرى فذلك الأحمق فيجتنب) وهذا تقسيم جيد لا مشاحة فيه ، ونعقب عليه بأن الرجل الذى يدرى ويعلم أنه يدرى ، والرجل الذى لايدرى ويعلم أنه لا يدرى انما يسلكان مسلكا طبيعيا بين الناس فهما على الصراط القويم ، أما من يدرى ولا يعلم أنه يدرى فقد يكون متصوفا صرفه الزهد عن تقدير نفسه وقد تكون الحياة هينة فى عينه حتى ما يحس جدوى للافادة ، وأمثاله لايخفقون على الناس فهم يلحفون بالأسئلة لديهم ليضطروهم الى الجواب ! أما الذين لايدرون ويدرون أنهم يدرون فهم الداء

العياء وهم الذين من أجلهم نكتب هذا المقال • ولهم فى ادعاء الفقـــه والبصر والحنكة تطاول يدعـــــو الى السخرية ، فليتهم يعلمون أن الله يبعض كل متفيهق ثرثار ، وفى الأدب العربى طرائف مضـــحكة تروى عنهم ، اذ تنكشف جهالتهم فلا يتعظون ، وكان فى قول الامام مالك (من قال لا أدرى فقد أفتى) شفاء لهم مما يكابدون ، وانقـــاذا لأقدامهم من السقوط ، لو يتأملون ورحم الله امرءا عرف قـــــدره فاستكان •

د• محمد رجب البيومى

(رجاء الى كتاب الأزهر)

تسهيلا لعمليات المراجعـــة ، يرجى من الســـادة كتاب المجلة التكرم بكتابة مقالاتهم على الآلة الكـــاتبة ثم مراجعتها أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبـــوية والمجلة لا تقبـــل صور المقالات التى يراد نشرها •

مصادر التشريع الاسلامي

للأستاذ محمد صابر البرديسي

* **الشريعة** : ما شرعه الله تعالى لعبـــاده من الدين ، قال تعالى : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** » (١) أى لكل من اليهود والنصـارى والمسلمين شريعة عليهم أن يقفوا عند حدودها ، وينزلوا على أحكامها .

* والشرائع تختلف لأنها مبنية على مصـالح العباد ، ومصـالح العباد تختلف باختلاف الزمان والمكان .

* والدين لا يختلف فهو من بدء الأنبياء الى خاتم النبيين شىء واحد يقوم على الايمان بوجود الخالق ، وتوحيده ، والعمل الصالح ، والايمان بيوم الحساب والجزاء على العمل ، قال تعالى : « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصـــينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ، ولا تتفرقوا فيه** » (٢) .

* واذا كانت الأديان السـابقة على الاسلام ، قد جاءت لأمم بعينها ، فقد جاء الاسلام للأمم كافة ، فكان هو الدين الشامل ، والأساس الحق لكل معتقد سليم .

* ودين الاسلام دين الفطرة ، قال تعالى : « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها** » (٣).

* تدور أصول الدين الاسلامى وتعاليمه وأحكامه على أساسين :

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨ .
(٢) سورة الشورى آية ١٣ .
(٣) سورة الروم آية ٣٠ .

الأساس الأول :

التوحيد : وهو الدعامة الأولى فى الاسلام ، فالاسلام جاء ليوحد المعتقد فى الله عز وجل .

الأساس الثانى :

التشريع :

وهو العبادة الصحيحة المبنية على توحيد الله .

هو أثر خطابه تعالى المتعلق بأفعال العباد ، اقتضاء أو تخيير أو وضعا ، « هو حكم الله » .

* شريعة الاسلام عامة وشاملة ، ومن طبيعة الشريعة العامة ، أن تكون كاملة لا ينالها النقص ، متجددة لا يعتريها البلى ، صالحة لكل نفس ، ولكل أفق ، وفيها لكل مشكلة حل .

تلك هى خصائص الشريعة المحمدية التى انقطع بعدها الوحى واختتمت بها الرسالات ، وهى خير الشرائع جميعا .

* والله سبحانه وتعالى ، قد اختص بالتشريع للأحكام ، ولم يفوض أحدا من عباده أن يشرع للناس من الأحكام حسب هواه ، أو أن يحكم بينهم من عند نفسه أو بما يراه .

* والطريق الوحيد للتشريع هو الكتاب ، والسنة النبوية لأنها من الوحى ، والاجماع والقياس لأن أساسهما الوحى الالهى ومردهما اليه .

مصادر التشريع

١ ـ **الكتاب :** وهو ما بين دفتى المصحف « القرآن الكريم » المنزل على رسول الله محمد « صلى الله عليه وسلم » **« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »** (١) والذى نقل الينا نقلا متواترا .

السنة : ومعناها لغة : الطريقة ، والسيرة الحسنة أو غير الحسنة .

قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » .

من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ، ومن سن سنة

---

(١) سورة فصلت آية ٤٢ .

سيئة ، فعليه وزرها ، ووزر من عمل بها .

* والسنة فى اصطلاح أهل الشرع : تطلق على ما كان من العبادات زائدا عن الفرض ، وتطلق كذلك فى مقابل البدعة .

* وكل ما صدر عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » من فعل أو قول ، أو تقرير يجب اتباعه ، بشرط أن يصدر عنه « صلى الله عليه وسلم » بوصفه رسولا من عند الله ، ودلت الدلائل على أن المقصود به التشريع والاقتداء .

* وفى القرآن بيان كل شىء بنوعه أو جنسه ، والسنة بيان للكتاب ، قال تعالى : **« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم »** (١) .

* وهذا البيان ، اما تفصيل لمجمله ، مثل قوله تعالى : **« فأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة »** (٢) .

* واما توضيح لمشكلة ، كالأحاديث التى بينت الآيات التى فهم الصحابة منها خلاف المقصود بها كقوله تعالى : **« والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها فى سبيل الله ، فبشرهم بعذاب أليم »** (٣) .

فحين نزلت هذه الآية كبر أمرها على الصحابة ، فسألوا عنها فقال « عليه الصلاة والسلام » « ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقى من أموالكم » فلما سمعوا ذلك من رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فرحوا حتى كبر عمر .

* وقد تكون السنة بسط لمختصر الكتاب ، وقد تنشىء أحكاما لم يذكرها الكتاب ، كتحريم زواج المرأة على عمتها أو خالتها ، بالحديث الصحيح ، عن أبى هريرة « رضى الله عنه » فى قوله : « **نهى** رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنكح المرأة على

---

(١) سورة النحل آية ٤٤ .
(٢) سورة الحج آية ٧٨ .
(٣) سورة التوبة آية ٣٤ .

عمتها ، والمرأة على خالتها » •

✽ وقد دل الاستقراء على أن هناك أشـياء لا تحصى كثرة بينتها السنة ولم ينص عليها فى الكتاب •

✽ قيل لمطـرف بن عبد الله : لا تحـدثونا الا بالقرآن ، فقال مطـرف : والله ما نريد بالقـرآن بدلا ، ولكنـا نريد من هو أعلم بالقرآن » يعنى بذلك رسول الله ، وسنته ، فان حديثه يبين القرآن •

✽ قال الشـاطبى « رضى الله عنه » : « ان الاقتصار على الكتاب رأى قوم لا خلاق لهم ، خارجين عن السـنة ، اذ عولوا على أن الكتاب فيه بيان كل شىء ، فاطرحوا أحكام السـنة ، فأداهم ذلك الى الانخـلاع عن الجماعة ، وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله » •

✽ قال رسول الله « صلى الله عليه وسـلم » « ألا انى أوتيت الكتاب ، ومثله معـه ، الا وان ما حرم رسـول الله ، مثل الذى حرم الله ، ألا لا ألفين أحـدكم متكئا على أريكته يأتيـه الأمر من أمرى بما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول لا أدرى ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » (١) •

✽ فالذين يطرحون السـنة ، ويعرضـون عنها زاعمين أنهم يكتفون بالقـرآن الكـريم هم من الغافلين •

السنة تكون تشريعا وغير تشريع

✽ ما ورد عن النبى « صلى الله عليه وسـلم » ودون فى كتب الحـديث من أقواله ، وأفعاله وتقريراته فهو على أنواع •

١ ــ سنة لغير التشريع :

وهى ما كان طريقهـا الحاجة البشرية ، كالأكل والشرب والنوم والمشى •

٢ ــ ما كان سـبيلها سـبيل التجارب ، والعادة الشخصـية أو الاجتمـاعية كالذى ورد فى شئون الزراعة والطب •

٣ ــ ما كان سـبيلها سـبيل التدبير الانسـانى حسب الظروف الخاصـة مثل « توزيع الجيوش على المواقـع الحربيـة ، وتنظيم

---

(١) اخرجه أبو داود والترمزى •

الصفوف فى الموقعة الواحدة .

* وكل ما نقل من هذه الانواع الثلاثة ليس شرعا يتعلق بها طلب الفعل أو الترك ، وانما هو من الشئون البشرية التى ليس مسلك الرسول فيها تشريعا ولا مصدر تشريع .

السنة التى للتشريع :

* ١ — ما يصدر عن الرسول على وجه التبليغ بصفة أنه رسول ، كأن يبين مجملا فى الكتاب ، أو يخصص عاما ، أو يقيد مطلقا ، أو يبين شأنا فى العبادات ، أو الحلال أو الحرام ، أو العقائد والاخلاق أو شأنا متصلا بشىء مما ذكر — وهذا النوع تشريع عام الى يوم القيامة . وهو سنة يتعلق بها طلب الفعل أو الترك ، فان كان مأمور بها أقدم عليها كل أحد بنفسه ، وان كان منهيا عنها اجتنبها كل انسان بنفسه .

* ٢ — ما يصدر عنه « صلى الله عليه وسلم » بوصف الامامة الرياسة العامة لجماعة المسلمين مثل « بعث الجيوش ، وصرف أموال بيت المال فى جهاتها ، وجمعها من محالها وعقد المعاهدات ، وغير ذلك مما هو شأن الامامة ، والتدبير العام لمصلحة الجماعة .

* وحكم هذا — ليس تشريعا عاما — فلا يجوز الاقدام عليه الا باذن الامام — وليس لاحد أن يفعل شيئا منه تلقاء نفسه بحجة أن النبى « صلى الله عليه وسلم » فعله أو تركه .

* ٣ — وما يصدر عنه « بوصف القضاء » فانه كما كان رسولا يبلغ الأحكام عن ربه ، ورئيسا عاما للمسلمين ، ينظم شئونهم ، ويدير سياستهم ، كان عليه السلام مع ذلك قاضيا فى الدعاوى والبينات أو الايمان والنكول .

* وحكم هذا كسابقه « ليس تشريعا عاما » فمن كان له حق على آخر ويجحده ، وله عليه بينة فليس له أن يأخذ حقه الا بحكم الحاكم ، لأن هذا هو الذى كان شأن أخذ الحقوق عند التجاحد على عهد

رسـول الله « صلى الله عليه وسلم » (١) •

٣ ـ الاجمـاع

الاجماع فى اللغة يفيد التضامن وعدم التفرق :

* وشرعا : « كل قول قامت حجته » (٢) •

* أوهو «اتفاق جملة أهل الحل والعقد من أمة محمد « صلى اللـه عليه وسلم » فى عصر من الاعصار على حكم واقعة من الوقائع » (٣)

* قال حجة الاسلام الغزالى : « رحمه اللـه » :

* « والدليل على تصـور الاجماع وجوده ، فقد وجدنا الامة مجمعة على أن الصلوات خمس ، وأن صوم رمضان واجب ، واستدل عـلى ذلك بقوله تعـالى : **« وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله »** (٤) •

ومفهومه أن اتفقتم عليـه فهو حـق •

* وقال تعالى : **« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نـوله ما تولى ، ونصـله جهنم وساءت مصيرا »** (٥) •

* فان ذلك يوجب اتباع سبيل المؤمنين ، وهذا ما تمسـك به الشافعى « رضى اللـه عنه » •

* وقال رسول اللـه « صلى الله عليه وسلم » لا تجتمع أمتى على خطأ » •

* ـ وبعد ـ فقد تعـددت الرواية عن رسول الله « صـلى الله عليه وسلم » بألفاظ مختلفة ، مع اتفاق المعنى ، فى عصـمة هذه الامة من الخطأ، واشتهر على لسان الثقات من الصـحابة وغيرهم من نحو قوله «صلى الله عليه وسلم» « لا تجتمع أمتى عـلى الضلالة » وقوله « من فارق الجماعة ، ومات، فميتته جاهليـة » وغير ذلك من الاحاديث المماثلة •

---

(١) عن كتاب روح الاسلام ، للأستاذ عفيف عبد الرحمن (بتصرف) .
(٢) قاله النظام •
(٣) قال ذلك جمهرة من أهل العلم •
(٤) سورة الشورى آية ١٠ •
(٥) سورة النساء آية ١١٥ •

* وهذه الاحاديث لم يرفعها أويختلف فيها أحد من سلف الامة وخلفها ، ولم تزل الامة تحتج بها فى أصول الدين وفروعه •

٤ ــ القيــاس :

القياس فى اللغــة : التقدير :

* وفى الشرع : الحكم فى شىء ما بحكم لم يأت به نص مــن أجل مشابهته شيئا آخر ورد فيه ذلك الحكم •

* مثال ذلك : الصبى يولى عليه ، وحكمة ذلك عجزه عن النظر لنفسه فليس الصبا سبب الولاية لذاته ، بل لهذه الحكمة ، ولهــذا نصبوا الجنون سببا للولاية على المجنون ، قياسا على الصغير •

* وكل قياس يقوم بناؤه على أربع دعائم هى • الاصل ، والفرع والعلة ، والحكم •

* ففى المثال الســابق ترى الاصل فى الصبى القاصر عن النظر لنفسه وادراك ما يصلح شأنه ، وترى الفرع فى المجنون ، وترى العلة فى العجز عن ادراك وجوه المصالح ــ قائمة فى كل من الاصل والفرع ، ثم ترى الحكم أخيرا فى تنصيب الولى على المجنون يدبر له أمره ، كما نصب الولى على الصبى من أجل ذلك •

* **هنا ولابد أن يكون حكم الاصل ثابتا** حتى لا يكون فيــه نزاع •

* **وأن تكون علة الاصــل موجودة فى الفرع** ، فان تعــدى الحكم فرع لتعدى العلــة ، وأن وجدت العلة ، وجــد الحكم ، والافلا •

* **ولابد أن يكون الحكم حكما شرعيــا** • فان الحكم العقــلى ، والاسم اللغوى لا يثبت بالقياس ، فاننا لا نعرف كون المكره قاتلا من طريق القياس وكذلك الشريك فى القتل ، وانما نعرف ذلك بالبحث العقلى •

* وكذلك الاسم اللغــوى ، فان الفرس الاســود يســميه العرب ادهما لاجل سواده ،ولكنهم لا يجرون هذا الاسم فى كل أسود •

* **ولابد من وجود العلة :**

* وهى : وصف ظاهر منضبط مشتمل على حكمة تصلح أن تكون مقصودة للشــارع الذى شرع

الحكم ، مثل : الاسكار فى الخمر ، وقد حرمت الخمر بسبب الاسكار، فالنبيذ المسكر يقاس على الخمر لوجود علة تحريم الخمر فيه ، فيكون حراما كالخمر •

وجملة الكلام أن الكتاب والسنة ، هما المصدران الاساسيان للشريعة ، وقد الحق بهما الاجماع والقياس على أساس أنهما يستندان الى دلالات من المصدرين الاصليين (الكتاب والسنة) •

فاذا استعصى على المسلمين العثور على مصدر ونص من الكتاب والسنة اجتهدوا ، وقد أقر النبى « صلى الله عليه وسلم » « الاجتهاد » فقد سأل رسول الله « صلى الله عليه وسلم » معاذ بن جبل ، لما بعثه الى اليمن عما يحكم به فيما ليس فيه كتاب ولا سنة ، فقال : « اجتهد رأيى ، لا آلوا » فأقره رسول الله « صلى الله عليه وسلم » على ذلك •

وقد ثبت أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كان مأذونا له فى الاجتهاد ، فقد جاءته امرأة وقالت له : « يا رسول الله • ان أمى ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها ؟ فقال : « أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته ، أكان يجزى عنها • قالت نعم ، قال : فدين الله أحق أن يقضى » •

والاجتهاد :

استنباط علماء الشريعة للاحكام، بفهمها والقياس عليها فيما لم يرد فيه نص ، وهو توسيع فى تبسيط القواعد الكلية وتطبيقها على الحوادث الجزئية المتجددة ، وهو كشف لحكم الله فى حادثة ، له أساس من الكتاب والسنة •

وقد ترك لنا فقهاء الاسلام ، وعلماؤه تراثا عظيما من الأحكام الشرعية التى كان لها عظيم الاثر فى تثقيف المسلمين ثقافة اسلامية عميقة والاسلام من خصائصه انه لا يماشى الجمود ، ولا يعايش الجهل وانما يحض على تعليم ، العلم ، واستعمال العقل •

❋ ان الاسلام دين شامل يتسع لكل البشر ، يتسع لامانيهم

« البقية على صفحة ٧٢٠ »

أعلام الإسلام

صفحة خالدة من التضحية والفداء

دكتور محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الأزهر

يعى التاريخ الاسلامى كثيرا من الذكريات المجيدة ، ويضم كتابه العظيم صفحات مشرقة بالبطولة ، عطرة بالفداء والتضحية مزدهرة بالايمان والوفاء ، وانه ليطيب للنفس المؤمنة أن تتمثل أشباح هذه الذكريات ، وأن تستخرج من أطواء القرون تلكم الاحداث الخالدات ، وأن تلتمس فى ذلك مواطن العبرة والعظة ، .. ولا غرو فمن العقل أن يتأسى الانسان بغيره ، ويضم الى تجاربه تجارب الماضين حتى يكون له من وراء ذلك عدة قوية يقاوم بها الشدائد ، ونور وضاء يؤنسه ويهديه فى ظلمات الحيرة ، ويأخذ بيده الى الحق والى الطريق المستقيم .

وسنقف اليوم عند صفحة خالدة كتبها نفر من المسلمين الأولين الذين تزودوا بخير الزاد، وجاهدوا فى الله حق الجهاد حتى لقد أثنى الله عز وجل على جهادهم الكريم وجهاد أمثالهم ممن يؤمنون بالله ، ويقدمون أرواحهم ونفوسهم رخيصة فى سبيل الله فقال فى محكم كتابه :

« ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد (١) » .. أولئك هم أبطال سرية الرجيع وهم : مرثد بن أبى مرثد الغنوى ، وخالد بن البكير

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٠٧ .

الليثى . وعبد اللـه بن طـارق ، وزيد بن الدثنة وخبيب بن عدي : ستة نفر كـرام من أصـحاب الرسول صلوات الله وسـلامه عليه . كان لهم فى تاريخ الاسلام بـلاء أى بـلاء . وفى ميـدان التضحية والاسـتشهاد صفحة ناصعة بيضاء .. ، وذلك أن قوما ينتسبون الى بنى الهون بن خزيمة ابن مدركة وكانوا يسكنون بالحجاز بين مكة والطائف . جـاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسـلم سنة ثلاث من الهجرة ، فقـالوا : يارسول الله ، ان فينا اسـلاما فابعث معنا نفـرا من أصـحابك يفقهوننـا فى الـدين ويقرئوننـا القـرآن ، ويعلموننـا شرائع الاسلام ، .. وقد اسـتجاب لهم رسول الله صلى الله عليه وسـلم لأنـه لم يكن يعلم الغيب ، ولم يطلعه الله على ما تنطوى عليـه قلوبهم من غـدر وخيانـة وكفر وضلال ، وقد كان الرسول شديد الحرص على نشر الاسلام واعلاء كلمته وظن أن هذا الوفـد جـاء يلتمس النور ويبتغى الخـير فلم يضن عليهم بذلك ــ وما هـو فى الخير بضنين ــ وبعث معهم هؤلاء النفر الستة وأمر عليهم مرثد بن أبى مرثد الغنوى .. ، وخـرج القـوم من المدينـة يضربون فى البيداء المترامية وهم فى الظـاهر مؤتلفون متضامنون يهتفون بالله ربا وبالاسلام دينا ، ويتغنـون بتعاليم الـدين الحنيف وآدابـه السامية .. ولكنهم فى حقيقة الأمر . فئتان : فئـة مؤمنـة وهم النفر الستة الذين خرجوا لنشر دين الله وأعلاء كلمته ، وأخرى كافرة وهم الوفد الذين جاءوا يتظاهرون أمام الرسول بالاسلام وهم لا يزالون على كفرهم وضـلالهم .. حتى اذا وصلوا الى الرجيع وهـو ماء لهذيل بناحية الحجاز تحرك الغدر الكامن فى نفوس أولئك الكفـار المنافقين فاستصرخوا قبيلة هذيل على الستة المسلمين المسـالمين ، وما هى الا لحظـات قليلـة حتى فوجىء المسلمون بأعداد كبيرة من هـذيل وفى أيديهم السـيوف وأحاطوا بهم من كل جانب ، فأخذ المسلمون أسيافهم ليقاتلوا ، ولكن

هذيلا قالت لهم : انا والله مانريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة . ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .. وحينئذ نظر المسلمون بعضهم الى بعض وأدركوا ما يبيت لهم هؤلاء الكفار من الشر . وفهموا ما ينطوى عليه هذا القول من الخديعة والمكر . وما ينتظرهم من الويلات والأخطار بأيدى أولئك الفجار الأشرار ، وهنا وفى هذا الوقت الرهيب تشرق بشاشة الايمان فى نفوسهم وتغلى حراراته فى دمائهم ، وتتراءى أمامهم الجنة بما فيها من سعادة ونعيم وملك كبير ، فيالله . ما أروع الحق وأجمله ، وما أعظم الايمان وأجله ، !! ان النفس المؤمنة المطمئنة لتعرف جيدا قول الله تعالى : **« وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا »** (١) وقوله سبحانه **« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما »** (٢) . وان النفس المؤمنة المطمئنة لتتمثل دائما بما ينطوى عليه قول القائل:

الحر لا يموت الا مرة
والموت أحلى من حياة مره

وهى لذلك لاتهنأ بالحياة الا فى ظل العزة الاسلامية . وترى الحياة بدونها موتا وهلاكا ، ومتاعها وزينتها وميضا خادعا بل وهما باطلا وسرابا ، .. أجل ، لقد أشرقت بشاشة الايمان فى نفوس أولئكم الأبطال فحملوا سيوفهم وقاموا للقتال ، وقالوا : لا نقبل **من مشرك عقدا ولا عهدا أبدا ، وبدءوا يقاتلون هذيلا بعددها الكبير الذى بلغ المائتين ، ويالها من شجاعة مذهلة حيث يقف ستة رجال أمام مائتين ..** ومع أن الدين لا يلزمهم فى مثل هذا الموقف بالقتال الا أنهم نظروا بقلوبهم البصيرة فأدركوا أنهم لو

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٥ .
(٢) سورة النساء الآية ٧٤ .

استسلموا فسوف يقتلون ، فآثروا الا يقتلوا دون أن يلحقوا بأعدائهم المتاعب والآلام والاخطار الجسام ، ولذا فانهم قاتلوا القوم حتى قتل عاصم بن ثابت وقتل صاحباه مرثد بن أبى مرثد وخالد بن البكير . وصعدت أرواح الشهداء الثلاثة الى بارئها راضية مرضية تهتف بالعزة الاسلامية ، وترتل فى مسمع الأيام نشيد الايمان والاسلام .

واستسلم الثلاثة الباقون ، وما كان استسلامهم عن خور فى العزيمة أو ضعف فى العقيدة أو خوف من الموت ولكنه استسلام الليث الهصور وقع فى قبضة الغالب . وأطبقت عليه القوة الطاغية من كل جانب .. ، وغلل هؤلاء الثلاثة الأبرار بقيد الاسار وسارت بهم هذيل الى مكة لتبيعهم فيها ، فلما كانوا فى بعض الطريق انتزع عبد الله بن طارق أحد المسلمين الثلاثة يده من غل الأسر ثم أخذ سيفه فاستأخر عنه القوم وأخذوا يرجمونه بالحجارة حتى قتلوه ، ورأى أخواه الباقيان زيد بن الدثنة وخبيب بن عدى، عظمة استشهاد أخيهما فتمنيا لو ينتزعان القيود ويحطمان الأغلال لكى يلحقا به الى هذا المصير والمآل .. ، ولكن الأقدار أبت الا أن تسوقهما الى مكة فاستبدلتهما هذيل بأسيرين منها كانا فى مكة ..

فأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية ابن خلف الذى قتل فى يوم بدر ، وبعثوا به الى التنعيم ليقتلوه بعيدا عن الحرم .. واجتمع عليه رهط من قريش ليشاهدوا عملية قتله وكان منهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يازيد ، أتحب أن محمدا عندنا الآن فى مكانك تضرب عنقه وأنك فى أهلك ؟ ، فقال زيد : والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانى جالس فى أهلى .. فقال أبو سفيان وقد تملكه العجب : ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا .. ، ثم قتل زيد فذهب شهيد وفائه واخلاصه وحبه لله ولرسوله ..

فأية عظمة نفسية تنطوى عليها تلك النفس المؤمنة التى تستقبل الموت فى سبيل الله بابتسامة الرضا والطمأنينة ، والتى لو خيرت لاختارت القتل على ألا يصاب الرسول صلوات الله عليه بشوكة تؤذيه ؟ .. انها التربية الاسلامية التى أسست على قوله تعالى : « **قل ان كان أباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره** » (١) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ماله وأهله والناس أجمعين » .

واما خبيب بن عدى فابتاعه عقبة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه . فحبسوه حينا حتى انقضت الأشهر الحرم ثم خرجوا به الى التنعيم ليصلبوه ، وفيما يروى عنه أنه قال حينما رأى القوم قد أجمعوا لصلبه :

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدى العداوة جاهد على لأنى فى وثاق بمضيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم وقربت من جذع طويل ممنع
الى الله أشكو غربتى ثم كربتى وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى
وقد خيرونى الكفر والموت دونه وقد هملت عيناى من غير مجزع
ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى
ولست بمبد للعدو تخشعا ولا جزعا انى الى الله مرجعى

وحينما جاءوا به الى التنعيم ليصلبوه قال لهم : ان رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين اتمهما وأحسنهما ثم أقبل على القوم وقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى انما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من

---

(١) سورة التوبة الآية ٢٤ .

الصلاة ، ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم انا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ؛ .. ثم قال : اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا .

وكانت هذه آخر كلمات فاضت بعدها روحه تسجل الخزى واللعنة على هؤلاء الطغاة الظالمين، بل كانت صرخة الحق فى وجه الباطل ، ودعوة مظلوم صعدت الى الله لم يصدها حجاب ، ولم توصد دونها أبواب . فما هو الا زمن يسير حتى استجاب الله دعاءه فجاء نصر الله والفتح ، واندك صرح الظلم وتداعى ركنه، وأشرقت مكة – بعد أن كانت مباءة الأصنام والأوثان – بنور الحق والايمان .

وبعد . فهذه صفحة رائعة من الايمان الكامل تتألق فى تاريخ الانسانية كما تتألق النجوم الهادية ، ولا غرو فهى تشع بالتضحية والفداء ويتجلى فيها مدى حب المسلمين الأولين لنبيهم ولدينهم حتى لقد جاءوا فى هذا السبيل بأرواحهم . والجود بالنفس أقصى غاية الجود .

ونحن الآن فى عصر قست فيه القلوب وغشيتها ظلمات الأثرة والأنانية فمن الحق علينا – نحن المسلمين – أن نسير على نهج أسلافنا ، الأبرار ومن سار على الدرب وصل . ويومئذ يعود للاسلام مجده التليد . ويتلألأ سعده من جديد . « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

هذا ، ومن الله العون وبه التوفيق ..

د / محمد الطيب النجار

« بقية مقال مصادر التشريع »

ومصالحهم ويتطور مع تطـــور العصور، واختلاف الازمنة والامكنة مع المحافظة على أصول التشريع •

والمسلمون بمقتضى عقيدتهم ، وقواعد تشريع دينهم ، هم أقــوم الناس عدلا وأوفرهم انســانية ، وأحسنهم فى الحيـــــاة سلوكا ، وأسعدهم معيشــــة اذا ما اتقوا وآمنوا وأحسنوا •

❋ ومع تلك القـــوة الذاتية للاسلام فى العقيدة والشريعــة ، وفى الآداب والاخــلاق ، فقـد اعترى بعض المسلمين فى هــــذه الايام خلل فى سلوكهم وأحاط بهم نطاق من الوهن والخـــوف ، جعلهم يخضعون لكل مســــتبد ، ويهزمون أمام قوى الشر والالحاد، ويجعلهم هدفا لنيران العـــدو ، وطعمة لجحيمة المستعر •

❋ وسبب ذلك بعد المسلمين عن تعاليم دينهم ، واتباعهم شــهوات نفوســـهم وحبهم الاســـتئثار بالسلطة ، وارتفاع أصوات الباطل بينهم ، فضــاعت القيم ، وتبدلت أحــوال كثير من المسـلمين ، عما كانت عليـــه من ترابط وتراحم ، وعمل خالص لوجه الله تعالى :

ولكن مما يبشر بالخير أن أفرادا وجماعات فى الأمة بدأت فى هــذه الايام تستيقظ من رقادها ، وعقدت العزم على الرجوع الى كتاب الله وسنة نبيه وحملت على عاتقها عبء الدعوة الى الله على بصـــيرة ، وتوجيه الناس الى محاسن دينهم بعيدا عن التطرف والجمود ، وحث المسلمين على التآخى فى اللـــه وبعث النهضة الاسلامية الحقــة التى كانت أيام المســلمين الاوائل يوم كان المسلم ، مثالا للفضائل ، والمبادىء القويمة ، يوم كان المسلم مثلا من نيته فى اخلاق الله •

أرجوا الله أن يهىء للشـــباب المسلم فى كل مكـــان الدعـــاة المخلصين ، من العلماء العــاملين الذين يعملون علي تثقيف الشباب ثقافة اسلامية هادفة حتى يعــود للاســلام مجده ، وترتفع رايتــه وتعلو كلمته ويتحقق للمســـلمين النصر ، انه على ما يشاء قدير •

محمد صابر البرديسى

أئمة الحديث النبوى

من العلماء التابعين وتابعيهم

دكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

« الامام مالك بن أنس »

من أهم الشخصيات الاسلامية فى طبقته امام دار الهجرة « المدينة المنورة » وأحد الائمة الأربعة المشهورين ، فقد كان الامام مالك مجتهدا فى اطار الكتاب والسنة ، وأقره علمـاء عصره ، ومن بعد عصره ، على سـلامة ذوقه ، وصحة استخراجه ، ومتانة اجتهاده ، ونزاهة نظرته ، فاستحقت آراؤه المتابعة ، واستحق اسمه الخلود • انتهت اليه الامـامة فى الحجاز فى الفقه والحديث ، وتتلمذ عليه من العلماء خيارهم ، وقابل أبا حنيفة وناظره ، وأثنى كل منهما على الآخر ، واعترف كل منهما بفضل أخيه •

نسـبه :

هـو أبو عبدالله مالك بن أنس ابن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث • ينتهى نسـبه الى عمرو ابن الحارث ذى أصبع الحميرى ، من ملوك اليمن العربى الصريح •

مـولده :

ولد فى ربيع الأول سنة ثـلاث وتسعين من الهجرة على الراجح ، وكان أبوه أنس راوية للحـديث ، وكان مقعدا يحترف صناعة النبل •

نشـأته :

بدأ مالك يطلب العلم صـغيرا تحت تأثير البيئة التى نشـأ فيها ، وتبعا لتوجيه أمه له ، فقد حـكى أنه كان يريـد أن يتعلم الغناء ، فوجهته الى طلب العلم ،

يقول مالك ، حيثمـا بلغت سـن التعليم ، عممتنى وقالت : أذهب فاكتب « تريد الحديث » ولعلهـا كانت تريد أن تسترجع فيه علم جده مالك ، فقـد كان من كبـار التـابعين ، روى عن كثـير من الصـحابة ، وكان ثقة ، وهو أحد الذين كتبوا المصحف الشريف فى عهد عثمان (رضى الله عنــه) أو كانت تتوسم فيه أن يكون كأحـد الشيوخ بالمدينة ممن يشار اليهم بالبنان •

وانطلق يلتمس العلم ، فأحبه من صغره ، وحرص على جمعه ، وتفرغ له ولازم العلماء ، وحمـل عنهم العلم والعمل ، ولعل أشدهم أثرا فى تكوين عقليته العلمية التى عرف بها هو : أبو بكر عبد الله بن يزيد المعروف بابن هرمز المتـوفى سنة ١٤٨ هـ فقد روى عن مالك أنه قـال : كنت آتى ابن هـرمز من بكره ، فما أخرج من بيتـه حتى الليل ، يقضى معه اليوم كلـه من الصباح الى المساء سبع سـنوات أو ثمانى ، وكان ابن هرمز يجله ، ويخصه بمالا يخص به غيره لكثرة ملازمته له ، ولما ربط بينهمـا من حب وتآلف ووداد •

وابن هرمز ، هذا هو العـالم الثائر الجـرىء الذى خـرج مع محمد بن عبـد اللـه المعـروف بالنفس الذكيـة ضـد أبى جعفر المنصور وحمل سلاحه ، وحارب ، فلما خمدت الثورة ، وأوقف أمام الوالى سأله عن سبب خروجـه : فقال : فتنة شملت الناس فشملتنا فيهم ، فتركه الوالى لمكانه ومكانته عند النـاس •

وأخذ عن الامـام محمـد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، وهـو أول من دون الحديث ، ومن أشهر شيوخ المدينة ، وقد روى عنـه مالك فى موطئه مائة واثنين وثلاثين حديثا بعضها مرسل •

وكـذلك روى مالك عن نـافع مولى ابن عمر •

وأخذ عن جعفر الصادق الامام الشيعى من آل البيت ، وأخـرج له فى الموطأ تسعة أحاديث ، منها خمسة متصلة ، مسـنده أصلهـا حديث واحد طويل ، هو حـديث

جابر فى الحج ، والأربعة منقطعة •

وروى عن شيوخ كثيرين منهم هشام بن عروة ، ومحمد بن المنكدر ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وسعيد بن أبى سعيد المقبرى وغيرهم وقد بلغ عدد شيوخه على ما قيل ، ثلثمائة من التابعين وستمائة من أتباعهم •

وكان الامام قوى الحافظة •

وكان جيد التحرى فى رواية الحديث ، مدققا فى ذلك كل التدقيق لا ينقل الا عن الأثبات الثقات ، ولا يغتر بمظهر الراوى ، أو هيئته الصالحة •

روى مسلم فى مقدمة صحيحة عن يحيى بن سعيد قال :

سألت سفيان الثورى ، وشعبة، ومالكا ، وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبتا فى الحديث فيأتينى الرجل فيسألنى عنه قالوا ، أخبر عنه أنه ليس يثبت •

« وقال مالك » : « لقد أدركت فى هذا المسجد » (مسجد المدينة) سبعين ممن يقول : قال فلان قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فما أخذت عنهم شيئا ، وان أحدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان أمينا عليه ، الا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن » •

وقال : « قدم علينا ابن شهاب فكنا نزدحم على بابه » •

وقال : عن نفسه « ربما وردت على المسألة فأسهر فيها عامة ليلتى » •

ولقد بهر مالك أساتذته كما بهر أقرانه بمواهبه الفطرية وجهاده الدائب ، وشغفه الشديد بالعلم ، وتأدبه مع العلم والمعلمين ، ودقته وتحرياته فيما يقبل ، وفيما يظهر من العلم » •

رحلاته :

لم يرحل فى طلب الحديث ، مع أن الرحلة فى ذلك الوقت كانت من السمات المميزة لرجال الحديث ، ولعله كان يعتقد أن العلم علم أهل المدينة ، قال الليث بن سعد « وأن الناس تبع لأهل المدينة التى اليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن » •

على أنه لم يخسر بعدم الرحلة

شيئا ، لقد كانت المدينة ملاذ العلماء ، ولم يخل محدث ممن رحلوا من المرور بها لزيارة القبر الشريف ، ولتلمس العلم من مكانه ، والحديث من مصدره فالتقى مالك بأكثرهم ، واستفاد منهم •

احترامه للحديث ، وصاحب الحديث (صلى الله عليه وسلم)

وكان الامام مالك اذا أراد أن يحدث توضأ وسرح لحيته وجلس متمكنا فى جلوسه على صدر فراشه فى وقار وهيبة وحدث • فقيل له فى ذلك ، : فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ولا أحدث الا على طهارة متمكنا •

وكان يكره أن يحدث فى الطريق ، أو هو قائم أو يستعجل• وقال أحب أن أفهم ما أحدث به عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » •

وعن ابن المبارك : كنت عند مالك ، وهو يحدثنا حديث رسول الله «صلى الله عليه وسلم»فلدغته عشرة كالعقرب ست عشرة مرة ومالك يتغير لونه ، ويتصبر ، ولا يقطع الحديث ، فلما فرغ من المجلس ، وتفرق الناس قلت له : لقد رأيت منك عجبا ؟

فقال : نعم ، انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وكان يتتبع الآثار النبوية ، ويميل الى الأخذ برأى أهل المدينة ويتجنب أصحاب الأهواء ، وأهل الفرق ، ويأبى كل الاباء أى انحراف عن الدين •

فالدين فى نظره واحد لايتغير ، ويتمثل فى الأخذ بكتاب الله الكريم ، وسنة الرسول « صلى الله عليه وسلم » وما قال به الخلفاء الراشدون ، وما رواه الصحابة وأهل العلم والتقى من علماء المدينة •

ولقد كان هذا الاحترام للحديث ولصاحبه نابعا من اعتزاز منه بما أنعم الله عليه من العلم ، ولعل فى موقفه من الخلفاء ما يدل على ذلك أبلغ دلالة ، فقد روى أن هارون الرشيد ، وهو خليفة

المسلمين ، زار مالكا فى بيته ومعه بنوه ، ورغب اليه أن يقرأ عليهم الموطأ ، فقال مالك : ما قرأت على أحد من زمان ، وانما يقرأ على ، فقال هارون : اخرج الناس عنى حتى أقرأ أنا عليك ، فقال مالك : اذا منع العام لبعض الخاص لم ينتفع الخاص • وأمر معن بن عيسى أن يقرأ فقرأ ، فلم يجد الرشيد بدا من النزول على رأى مالك •

وروى عبد الله بن وهب قال : سمعت مالكا يقول : « دخلت على أبى جعفر المنصور فرأيت غير واحد من بنى هاشم يقبل يده المرتين والثلاث ، ورزقنى الله العافية فلم أقبل له يدا » •

ولما قدم المهدى المدينة بعث الى مالك بألفى دينار ، وقيل بثلاثة آلاف ، ثم أتاه الربيع فقال : ان أمير المؤمنين يحب أن يصاحبه الى دار السلام — بغداد — فقال له : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » •

من صفاته الفاضلة ، وأخلاقه السامية :

كان جوادا كريما سمح المحيا ، وكان مهيبا نبيلا محترم المجلس ، والجلساء حازما فى الدفاع عن الحق ، يكره الجدال واللغط ، ورفع الصوت خاصة فى مجلس الحديث ، ومن كلماته •

« الدنو من الباطل هلكة ، والقول بالباطل بعد عن الحق ، ولا خير فى شىء وان كثر من الدنيا بفساد دين المرء ومروءته »

ومع تواضعه الفائق ، وهضمه لذاته، كان لايهاب السلاطين ويرسم للعامة طريق المصارحة بالحق معهم •

ناظره أبو جعفر المنصور فى مسجد الرسول « صلى الله عليه وسلم » فرفع صوته فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد ، فان الله عز وجل أدب قوما فقال : لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ومدح أقواما فقال « ان الذين يغضون أصواتهم عند

رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » .

ولما قدم الخليفة المهدى المدينة أقبل الناس عليه مسلمين ، فلما أخذوا مجالسهم ، جاء مالك فقالوا : اليوم يجلس مالك آخر الناس .

فلما دنا ونظر ازدحام الناس ، وقف وقال : يا أمير .. أين يجلس شيخك مالك ؟ فناداه المهدى : عندى يا أبا عبد الله . فتخطى الناس حتى وصل اليه ، فرفع المهدى ركبته اليمنى ، وأجلسه بجانبه .

وهو فى ذلك يصدر عن فهم واسع ، وخبرة عميقة ، واحترام للعلم دفعه الى احترام نفسه فى مثل هذا الجمع .

وفاته :

وبعد حياة عريضة حافلة توفى رحمه الله فى ربيع الأول سنة ١٧٩ هـ (تسع وسبعين ومائة) عن خمس وثمانين سنة قضاها فى خدمة العلم والدين ، وأعطى صورة للعالم العامل . وصلى عليه أمير المدينة عبد الله بن محمد ابن ابراهيم العباسى ، وشيع جنازته ، واشترك فى حمل نعشه ودفن بالبقيع . « رضى الله عنه » .

آثاره :

وككل العلماء الأجلاء ، ترك الامام مالك آثارا حافلة تمثلت فى تلك النخبة من تلاميذه ، وحملة علمه .

فقد روى عنه كثيرون منهم الامام أبو حنيفة ، وقد روى عنه حديثان فى جامع مسانيده الذى جمعه الخوارزمى ، ومنهم الامام الشافعى ومحمد بن الحسن ، وله رواية للموطأ وابن المبارك ويحيى ابن سعيد القطان ، وكثيرون من شيوخ البخارى ومسلم وأئمة الحديث .

وقد روى عنه من شيوخه الامام الجليل الزهرى ، ويحيى ابن سعيد الأنصارى .

ومن أجل آثاره كتابه الخالد « الموطأ » .

وهو الكتاب الذى طبقت شهرته

الآفاق ، واعترف الأئمة له بالامانة والسبق على كل كتب الحديث فى عهده وبعد عهده الى عهد الامام البخارى • قال الامام الشافعى : ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك ، وفى رواية ، أكثر صوابا وفى رواية أنفع •

وقال القاضى أبو بكر بن العربى فى شرح الترمذى : الموطأ هو الأصل واللباب ، وكتاب البخارى هو الأصل الثانى فى هذا الباب ، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذى •

وعدد أحاديث الموطأ كما قال أبو بكر الأبهرى « جملة مافى الموطأ من الآثار عن النبى « صلى الله عليه وسلم » وعن الصحابة والتابعين ألف وسبعمائة وعشرون حديثا ، المسند منها ستمائة حديث ، والمرسل مائتان واثنان وعشرون حديثا ، والموقوف ستمائه وثلاثة عشر •

ومن قول التابعين مائتان وخمسة وثمانون » وقد رود غير ذلك فى عدده وقد عنى العلماء بشرح موطأ مالك ، رواية يحيى ابن يحيى المصمودى الأندلسى ، حتى بلغت شروحه مائة ، وصار الأمر كما قال القاضى عياض : لم يعتن بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء الناس بالموطأ •

وأهم هذه الشروح : التمهيد للحافظ أبو عمر بن عبد البر ، رتبه على أسماء شيوخ مالك ، وهو كتاب فى عشرين جزءا ، مدحه بن حزم رغم تهجمه على العلماء •

دكتور/الحسينى هاشم

عبد الوهاب عزام
أديب الإسلام

للأستاذ / محفوظ عزام

توطئـــة :

فى الثامن عشر من يناير سنة ١٩٥٩ غادر الساحة الاسلامية أحد فرسانها ، بعد ما يقرب من أربعين عاما من النضال من أجل الاسلام ٠ ذلك الفارس هو المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ، أحد أعلام القرن الرابع عشر الهجرى ، وأحد العلامات البارزة للحركة الفكرية والوطنية فى مصر ، وأحد أعلام البناء الفكرى فى العالمين : العربى والاســلامى ٠ ذلك الرجل لا يمكن الاحاطة ببحره فى مقالة واحدة ، لأنه متسع الجوانب ، ومتعدد المجالات والمواهب ، فهو شاعر وأديب ، ومفكر ، ومتصـــوف ، ورحالة ، وعالم لغة ، وسياسى ٠ ولقد حصــــل على كثير من الدرجات العلمية ، وشغل كثيرا من المناصب ، ومنح كثير من الأوسمة والنياشين ، وشارك فى كثير من المجامع والمؤتمرات العلمية والأدبية ٠ كما كان يغرف من بحر فى انتاجه العلمى ، تأليفا وترجمة وتحقيقا ، فقد ألف نحوا من خمسة عشر مؤلفا ، وترجم نحوا من ستة كتب عن الفارســـية والتركية والأردية ، وحقق ستة كتب ، هذا بالاضافة الى عدد لا يحصى من المقالات المنتثرة هنا وهناك فى المجلات المختلفة والصحف الســيارة وبخاصة فى مجلتى الرسالة والثقافة ٠

واذا كان من العسير الالمام بكل جوانب أدب وفكر عبد الوهاب عزام فلا أقل من أن نلم ببعض هذه الجوانب ، ألا وهو الجانب الاسلامى من أدبه وفكره ، رحمه الله ٠

عبدالوهاب عزام المتصوف المسلم:

العروبة والاسلام هما مفتاح شخصية هذا الرجل ، حيث كان في حياته صاحب رسالة ظل عمره يعيش لها ، ويحيابها ، ويدعو اليها ، ولما قضى مات عليها • فلقد كان الاسلام والعروبة قبلته ،مؤلفا ومترجما ودارسا ومحققا ومناضلا، كانا شغله الشاغل ، مقيما ومرتحلا، لا يشغله شيء عنهما • وكان أدبه وفكره وسلوكه كلا لا يتجزأ ، فكان دمث الخلق ، عفيف اللسان والقلم ، محبا للخير ، خاضعا ، أبيا على الباطل ، شجاعا ، وفيا ، تقيا، ورعا ، متواضعا ، عزب الروح ، محببا الى القلوب محبا للعروبة والاسلام • يقول فيه الدكتور طه حسين — رحمه الله — : « لم يكن عبد الوهاب عزام يكتفي بأن يكون مصريا عربيا ، وانما كان يريد — وقد حقق ما كان يريد — أن يكون عربيا اسلاميا ، فأتقن العلم بأمور المسلمين • جميعا ، قريبهم وبعيدهم ، وسار سيرة المسلم الصادق في اسلامه ، والمتصوف المخلص في تصوفه •• وبلغ من التقريب بين المسلمين من العرب والمسلمين من الشرق البعيد ما لم يبلغه مصري قبله » (١) •

فعبد الوهاب عزام متصوف مسلم ، نذر حياته للعروبة والاسلام ، كاتبا وشاعرا وخطيبا ؛ واستاذا في الجامعة وسفيرا • وكانت داره ملتقى العرب والمسلمين في كل وقت وحين •

ولقد اهتم بقضية التوحيد ؛ فكان يرى — رحمه الله — أن التوحيد انما يكمل بالنفي التام والايجاب ، فهما كالقطبين في الكهرباء ؛ وهما السالب والموجب . لا تكون الكهرباء بدونهما ، فصور هذه المعاني في « مثانيه (٢) » قائلا : انما التوحيد ايجاب وسلب فيهما للنفس عزم ومضاء

---

(١) د• طه حسين : مقدمة كتاب « محمد اقبال — سيرته وفلسفته وشعره » للدكتور عبد الوهاب عزام — القاهرة .

(٢) اى ديوان « المثاني » الذى نظمه ، وهو عبارة عن مقطوعات شعرية في الفلسفة والاخلاق كل قطعة عبارة عن بيتين فقط .

لا وألا قـــوة قاهـــرة

فهما فى القلب قطبا الكهرباء(١)

والاسلام عنده يجب أن يكـون هو النظام السائد فى العالم ، لان الاسلام فى عقائده وعباداته وسننه وفى مقاصده دين وسـط ، لاغلو فيه ولا اغـراق ، ولا تفـريط ولا افراط (٢) . . فالاسلام دين نظام ووحدة فيجب على المسـلم المؤمن الا يحيد عن نظامه ، لان فى نظامه وحدة :

ليت شعرى أحائد عن نظام

مؤمن بالتوحيد قلبا أضاء ؟

ان دين التوحيد دين نظام

انما النظم وحدة لامراء (٣)

واذا كان النظام الذى يتجلى فى العالم : اتقانا واحكاما وجمالا، يتجلى فى شرائع الاسلام كلها ، فعبد الوهاب عـزام يطلب مـن المسـلمين اليوم أن يكونوا أئمة الأمم فى النظـام والاتقـان والاحكام (٤) ولا سيما أن التاريخ قد حفظ لنا نظاما واتقانا واحكاما ، وعلما وتعليما وعملا ، لأسلافنا من المسلمين لم يع مثله لامة أخرى من الامم ، فقـد حفظ المسلمون أمانة العـلم التى ورثوها عـن الامم الخالية ، وصححوها وزادوا عليها، فكانت علـومهم ينبـوع العلم فى الحضارة الاوربية الحديثة ، ولبثت كتبهم عمدة القـراءة والدرس فى جامعات أوربا الى القرن السـابع عشر الميلادى .

فأول مدرسة للطب فى أوربـا أنشأها المسلمون فى « سالين » فى ايطاليا . وأول مرصد فلكى عرفته أوربا كان مرصد « أشـبيلية » . ولا يستطيع مؤرخ علم الفلك ــ كما يقول عبد الوهاب عزام ــ أن يعد فى قدماء اليونان الا بضـعة من الراصدين ، وأما الراصدون من المسلمين فلا ينالهم الحصر .

---

(١) عبد الوهاب عزام : ديوان المثانى ص ٢٨ ــ ٢٩ دار المعارف ــ القاهرة سنة ١٩٥٤ .

(٢) د . عبد الوهاب عزام : الشوارد أو خطرات عام ص ٢٩٨ ، كراتشى ١٩٥٣ .

(٣) د . عبد الوهاب عزام : النفحات ص ١٠٥ ، القاهرة ١٩٥٣ .

(٤) د . عبد الوهاب عزام : الشوارد ص ٢٣٩ .

ولا يعد فى الكيمياء مجرب واحد عند اليونان ، ويعد مئون من المجربين عند المسلمين ، فالكيمياء الحقيقية من كشوف المسلمين .

وقصارى القول — كما يقول عبد الوهاب عزام — ان العالم لم يشهد قبل المسلمين أمة مثلهم أخلصت فى طلب ، وجدت فيه ، وبذلت الجهد والوقت والمال ، وبلغت فيه الغايات التى بلغوها ، وكشفت الحقائق التى كشفوها .

ثم يوجه عبد الوهاب عزام المسلمين المعاصرين الى حقيقة بالغة الاهمية ، هذه الحقيقة هى أنه يجب على المسلمين أن يعرفوا أنفسهم ، وأن يذكروا ماضيهم ، والا ينسوا الامانة التى حملوها ليكونوا أئمة الناس فى العلم النافع ، والعمل الصالح ، ولا يكونوا كما هم اليوم عالة على العلماء وأتباعا للمفكرين ، يأخذون ولا يعطون ، ويعظمون غيرهم ويحتقرون أنفسهم . وعليهم أن يبلغوا الرسالة التى كلفوا أداءها ، ويحتلوا المكانة التى هم أهل لها ، ويرجعوا الى سيرتهم الاولى ، علماء معلمين ، وأئمة هادين يطلبون العلم من المهد الى اللحد ، ويلتقطون الحكمة أنى وجدوها ، ويكونوا خلفاء لاسلافهم ، وأوفياء لتاريخهم (١)

وكان عبد الوهاب عزام يدرك معنى «الاخوة الاسلامية» ، فكرا، وعملا ،فعمل لها ومن خلالها حتى أنه أنشأ جمعية بهذا الاسم « جمعية الاخوة الاسلامية » ، وكان هو رئيسا لهذه الجمية . فكان رحمه الله ، يرى أن بلاد العروبة والاسلام وطن له ، فهو يقول : « فأنا حينما كنت فى بلاد العرب والاسلام كأنى فى وطنى وبين قومى . **بلاد أعرفها وتعرفنى ، أعرف ماضيها وحاضرها ، وأعرف لغاتها وآدابها ، وأعرف كثيرا من أهلها ، لم أتكلف هذه المعرفة ، ولا اصطنعت هذه المودة ، ولكنها**

---

(١) عبد الوهاب عزام : مقال الاسلام والعلم ، ضمن كتاب الاسلام اليوم وغدا ص ١٥٦ — ١٥٩ — القاهرة .

وحى الاخوة الاسلامية والتاريخ والآداب . حقائق لا تزوير فيها ، ووشائج لا تكلف بها ، وأواصر لم أخلقها ، ولا اصطنعها غيرى» (١).

وكان رحمه الله — يرى أن مصر وباكستان هما دعامتا الاسلام فى هذا العصر . مصر بمكانها ومكانتها وتاريخها وحاضرها ، وأنها من العرب كالاخ الاكبر ، وباكستان بمكانها كذلك وعددها ، ووصلها بين المسلمين فى الوسط والمسلمين فى أقصى الشرق ، وبأنها دولة قامت للمسلمين بالاسلام تبغى أن تعيش به ، وتحقق مقاصده وتمضى على سنته (٢) .

كما كان عبد الوهاب عزام يرى أن شر ما تصاب به أمة أو جماعة هو الخلاف بين أبناء هذه الأمة أو الجماعة ، فيجب للامة — ان أرادت اصلاحا — أن تنبذ هذا الخلاف ، ونبذ الخلاف لا يكون بالكلام ، وانما يزول الخلاف بالعلم والفكر ، « ان الخلاف بين المسلمين يزول بالعلم والفكر ، ويستحكم بالجهل والغفلة . وعسى أن يرتفع المسلمون بأنفسهم عن هذه الجهالات وينجوا بها من هذا العار . ان الاسلام دين توحيد وأخوة ، فان اختلف المسلمون فقد خالفوا الاسلام وقواعده ، ولم يقبل منهم فى هذا عذر ، ولا يجدى عليهم بعده عمل (٣) .

أما صوفية عبد الوهاب عزام ، فهى صوفية قائمة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . فهو صوفى يرى فى آية واحدة من آى القرآن الكريم جميع ما قرأه فى التصوف ووعاه ، وملاك ما سمعه عن الصوفية وأدركه (٤) ، وهذه الآية هى قوله تعالى : **« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا**

---

(١) كتاب الشوارد ص ٤٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٠٧ .
(٣) كتاب النفحات ص ٣٦ .
(٤) كتاب الشوارد ص ٢٣٣ .

قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » (١) .

وتصوف عبد الوهاب عزام تصوف ايجابى ، وليس تصوف سلبيا ، فليس شيئا أن يعتزل الانسان فيتعبد وكفى. انما العبادة الحقة ، أن ندفع فى مضايق الحياة ومعاركها ، ونمارس فتنتها ومطامعها ، ثم لا يقطعنا شىء عن عبادة الله آخذين بالحق قائمين بالقسط . « ان العالم هو المعبد الاكبر ، فما أثرت فيه من عمل صالح ، وما قلت فيه من حكمة طيبة فهو عبادة وكل ما تعمل فى عمارة الارض من بناء أو تمهيد طريق أو زرع أو غرس فهو عبادة. وكل ما تسن للناس من سنة حسنة، وكل ما تهديهم من رأى سديد عبادة يحبها الله ويدعو اليها الدين. فاتخذ هذا العالم معبدا ، واسع فيه الى الخير أبدا ، وأصلح ما استطعت . فان تفعل فأنت فى عبادة دائمة ، ليلك ونهارك ، وأنت فى ذكر لا تفتر ، سرك وجهرك ، وصلاة لا تنقطع يجزى الله بها عباده الحسنى وزيادة » (٢) .

كان يرى أن الصوفى الحق هو الذى يجمع بين المظاهر والحقائق (٣) ، أى هو من ينال من الدنيا مالا وجاها وسلطان فيصرف ما نال بالعدل والحق والاحسان .. يملك الدنيا ولا تملكه ، وتصرفها يده ولا تتصرف هى فى قلبه . « ان الصوفى الحق من يسير فى هذه الحياة مجاهدا كادحا ، كاسبا مسيطرا ، آخذا معطيا ، محبا مبغضا ، مسالما معاديا ، مستمتعا متزينا ، ولكن لا يعد والحق والعدل وقصد الخير لنفسه وللناس ساعة ولا يغفل عن الله طرفة عين . فهو فى جهاده ودأبه كأنه قانون من قوانين الله دائمة ، لا تفارقها النية الصالحة ولا تخلو من ذكر الله » (٤) .

---

(١) سورة الكهف ٢٨ .
(٢) كتاب الشارد ص ١٨ .
(٣) المرجع السابق ص ٨٤ .
(٤) كتاب الشوارد ص ١٩٩ .

ليس شيئا تصوف مــن تقى
فر من غمرة الحيـــاة بدين
انمايعرف التصوف فى السوق
بمـــال ومطمع وفتـــون (١)

وقد عاب عبد الوهاب عزام على الباطنية وبعض الصوفية طريقهم فى تفسير القرآن الكريم ، « فقد سار الباطنية وبعض الصوفيـــة على طريق تجعل تفسير القرآن تبعا للأوهام والاهواء ، لا صـلة لها بألفاظه ، فأضلوا الناس بهذا ، وأبطلوا الاحتكام الى القرآن فيما يشـــجر بين المسلمين » (٢) مـــن خـــلاف • •

رحم الله عبد الوهاب عـــزام ، فقد كان مسلما معتزا باســـلامه ، داعيا المسلمين للوحــــدة ونبذ الخلاف ، ومعنيـــا بالاخـــوة الاسلامية فى كل أمر من أمـــوره ، متصوفا حقا • فجزاه الله عن الامة الاسلامية خير الجزاء •

محفوظ عــلى عزام

(١) ديوان المثانى ص ١١
(٢) كتاب الشوارد ص ٢٣٤

« بقية مقال اللغة والمجتمع »

والاستعارات للتعبـــير عـــن اليسار) (١) •

وهناك الامور الغيبية ، والعلم غير المنظور الذى يقتضى عبـــارات خاصة (فالرقى الســـحرية التى نعثر عليها فى قبور اليـــونان ، وايطاليا ، وافريقية مكتوبة عـــلى ألواح من الرصاص ، تطبـــق فى غالب الأحيان ، هذه الخطط نفسها: استعمال الكلمات الأجنبيـــة ، أو تشويه الكلمات الأهلية ، ولكـــن الباعث هنا يختلف ، اذ يبغون من وراء ذلك الاتصال بالعالم الآخر ، ومن ثم يدخلون فى تحرير النص اعتبارات لا صلة لها باللغة (٢) •

دكتور عبد الغفار حامد

(١) فندريس : اللغة ص ٢٨١ .
(٢) نفسه ص ٣٢١ ، وانظر ايضا ص ٣٢٢ ــ ٣٢٥ .

طرائف .. ومواقف

إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« السؤال فى القرآن الكريم »

قال تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » .

وهكذا فى السؤال عن المحيض ، وعن الشهر الحرام ، وعن الأنفال ، والروح ، وذى القرنين ، والساعة واليتامى ، ففى كل ذلك يخرج الجواب بقوله : « قل » الا فى قوله تعالى : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب » فلم يقل : « قل » .

وكأنه تعالى يقول : يا عبدى ، انما تحتاج الى الواسطة فى غير الدعاء ، وأما فيه فلا واسطة بينى وبينك .

« لا يجتمعان »

لا يجتمع حب الله وموالاة الظالمين فى قلب عالم أبدا .

ولايجتمع حب الرسول — صلى الله عليه وسلم — وموالاة أعدائه فى قلب مسلم أبدا .

ولايجتمع حب الدين وموالاة المفسدين فى قلب داعية أبدا .

« فضـــل العقل »

قال سعيد بن جبير : لم تر عيناى أفضل من فضل عقـــل يتحلى به الرجل : ان انكسر جبره ، وان صرع أنعشه ، وان ذل أعزه ، وان اعوج أقامه ، وأن عثر أقاله ، وان غوى أرشـــده ، وأن خاف أمنه ، وأن حزن أفرحه ، وان تكلم صدقه ، وان أقام بين قوم اغتبطوا به ، وان غاب عنهم أسفوا عليه ، وان بســـط يده قالوا جواد ، وان قبضها قالوا مقتصد .

« هكذا يعرف الأحمق »

بست خصـــــال يعرف الأحمق : بالغضب من غير سبب ، والكلام فى غير نفع ، والثقة بكل أحد ، وبذله فى غير موضــــع البذل ، وسؤاله عما لا يعنيه ، وبأنه لا يعرف الصـــــديق من العـــدو .

« أحوال العبد »

أحوال العبد أربع لا خامس لها : النعمـــة ، والبلية ، والطاعة والمعصـــية ، فان كنت فى النعمة فمقتضى الحق منك الشـــكر ، وان كنت فى البلية فمقتضى الحق منك الصـــبر ، وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شـــهود منته عليك ، وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار .

« سيف الله »

« ما فى جسدى موضع الاوفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو جرح بسهم ، وها أنذا أموت على فراشى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء ٠

لم يكن فى الجاهلية ولا فى الاسلام أشجع منه ، ولشجاعته سماه الرسول — صلى الله عليه وسلم — سيف الله ٠

انه خالد بن الوليد — رضى الله عنه وأرضاه — نصحه أبو بكر فقال : احرص على الموت توهب لك الحياة ٠

« زينة السماء والأرض »

زين الله السماء بثلاثة : بالشمس والقمر والنجوم ٠
وزين الارض بثلاثة : بالعلم والمطر والسلطان العادل ٠

« عدل ٠٠ وعفة »

دعى حكيم الى طعام ، فقال لداعيه : أجيبك بشرط أن لاتتكلف ولاتخون ، ولا تجور ٠

فقال الداعى : اريد مزيدا من التوضيح ؟

قال الحكيم : أما التكلف فهو أن تتكلف بما ليس عندك ٠

والخيانة : أن تبخل بما عندك ولا تقربه الى ٠

والجور : أن تجور على أولادك ٠

« أوصاف كريمة »

أحب مكارم الأخـــلاق جهـــدى
وأكـــــره أن أعيب وأن أعـــابا
وأصفح عـــن ســباب الناس حلمـــا
وشر النـــاس من يهـــوى الســبابا
ومن هاب الرجـــــال تهيبـــــوه
ومن حقر الرجـــال فلن يهـــابا

« عقـــاب »

وقف اعرابى مشوه الفم على أحد الولاة وأنشده قصيدة فى الثناء عليه التماسا للمكافأة ، لكن الوالى لم يأمر بأى مكافأة ولم يكفه هذا بل سأله : ما بال فمك معوجا ؟

فقال الأعرابى : لعله عقاب من الله .

فعاد الوالى أيضـــا يسأله : ولأى شىء عاقبك ؟

قال : لكثرة ما كذبت عليه بالثناء الباطل عـــــلى بعض الناس .

« دعـــاء »

اللهم انى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من حضارة الاسلام

الإيمان ضرورة نفسيّة

دكتور محمد سيد أحمد المسير

الايمان ضرورة تحتمها الحياة النفسية لبنى البشر ، فالانسان اذا أظلم عليه السبيل أو هاله ليل أو جاءته ريح عاصف — رجع الى صوت الفطرة ، وتضرع الى الله وحده رجاء كشف الضر ، فتتداركه عناية الله وتسبغ عليه من النعم ظاهرها وباطنها .. ولكنه هو الانسان الظلوم الجهول ما يكاد يستشعر بسطة جسم أو فضل نعمة حتى يقول — كما قال قارن — : انما أوتيته على علم عندى .. !!

وصدق الله حيث يقول :

« قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون » (١) .

وفى تصوير معجز لحال الانسان المضطربة أمام اعترافه بخالقه يقول القرآن المجيد أيضا :

« واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه » (٢) .

أى أنه فى حال شدة البحر واشراف الانسان على الغرق ينسى جميع الشركاء ولا يعتقد الا فى قدرة الله جل جلاله ، فيحقق الله رجاءه ، وينقذه مما فيه من أهوال ولكن الانسان تلهيه النعمة :

« فلما نجاكم الى البر أعرضتم

---

(١) الأنعام — ٦٣ ، ٦٤ .
(٢) الاسراء — ٦٧ .

وكان الانسان كفوراً » .

وهل نسى الانسان أن اله البحر هو اله البر ، وأن صاحب الهيمنة المطلقة هو الله وحده ؟ !

« أفأ منتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا » .

وأيضا أليس من الممكن أن تعود الشدة ، ويقف الانسان نفس الموقف السابق يحيط به الموج من كل مكان ؟ !

« أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا » .

ان الايمان هو الأمل فى هذه الحياة ، وهو الضياء لمسيرة الانسان ، وهو السعادة الكاملة ، وبدونه تصبح الحياة شقاء وبلاء وجحيما لا يطاق ..

ان الحياة قائمة على المتقابلات ، من صحة أو مرض ، ومن غنى أو فقر ومن أولاد أو عقم ، ومن شباب أو كهولة .. الخ ، وتلك سنة جارية لا تتخلف ، وليس هناك من ناموس يحكم هذه المتقابلات ويهب الناس السكينة تجاهها الا الايمان بالله ، ذلك أن الحياة فى منطق الايمان مبنية على قانون عام هو الابتلاء والامتحان .. قال تعالى « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » (١) .

وشأن المؤمن أن يكون شاكرا عند النعمة والعطاء ، صابرا فى مواقع القضاء .. واذا ضاقت نفس الانسان فما عليه الا أن يلجأ الى الله وحده فهو سبحانه رحمن رحيم ، وهو جل شأنه الحكيم الخبير ، فما من عسير الا ويعقبه يسر ، وما من ضائقة الا ولها فرج قريب ، قال تعالى **« فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا » (٢) .**

ولن يغلب عسر يسرين فان أهل اللغة يقولون ان المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت عينها ، وان النكرة اذا أعيدت نكرة كانت غيرها ، كما

---

(١) الأنبياء ــ ٣٥ .
(٢) الشرح ــ ٥ ، ٦ .

أن فى التعبير بلفظ « مع » الدال على الصحبة ما يؤكد قرب اليسر المترقب كأنه مقارن للعسر ٠

واذا كانت الحياة تنتهى حتمـا بالموت الذى قد يواجه الانسـان طفلا أو شابا أو كهـلا أو شـيخا كبيراً ، وهذا مما يؤرق البشر كثيرا ويقض مضاجعهم ، فـان المـؤمن لا ينظر الى هذا المصير المحتـوم نظر تشاؤم ومأساة ، بل هو حلقة ضرورية للخلود الأبدى ، فالانسان لم يخلق للعدم وانما خلق للبقاء ، وهذا البقاء أو الخلود يمر بمراحل فى الرحم ،أو على ظهر هذه الأرض أو القبر أو فى القيامة « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » (١) ٠

ومع تلك النظرة فليس من حق الانسـان أن يتمنى المـوت مهما اشتدت حوله الأمور فان الأمل فى الله أكبر ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم ــ كما فى صـحيح الحديث ــ :

لا يتمنين أحـدكم المـوت لضر أصابه فان كان لابد فاعـلا فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة خـيرا لى ، وتوفنى ان كانت الوفاة خيرا لى ٠ واذا كان مجرد تمنى المـوت خطيئة فى نظر الاسـلام فما بالك بمن يقدم على الانتحار ؟ !

ان الانسان لا يملك نفسـه ، فالأنفس كلها لله ، وقتـل النفس كقتل الغير سـواء بسـواء ، وفى صحيح الحديث يقول الرسـول صلوات الله وسلامه عليه :

« من تردى من جبـل فقتـل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسـمه فى يـده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنـه فى نار جهنم خـالدا مخلدا فيهـا أبـدا » ٠

وذلك لأن أفـكار السـوء ووساوس الشـيطان انمـا تأتى الانسان الفارغ من الايمان ٠٠ أما

---

(١) آل عمران ــ ٣٠ ٠

المؤمن الحق فهو دائما مسدد الخاطر ، ملهم الضمير ، ويمنحه الله هداية يفرق بها بين الحق والباطل ، والطيب والخبيث ، قال جل شأنه : يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » (١).

فتقوى الله هى النجاة من كل كروب الدنيا والآخرة ، وهى الأمل وسط ظلمات الحياة وما دياتها ..

لننظر ماذا يجرى بين الماديين المنغمسين فى شهوات النفس الآثمة والذين وصلوا الى درجة التشبع المادى الرخيص .. ولنقرأ هذه الرسالة التى كتبها « ويليام بوردرز » فى صحيفة « النيويورك تايمز » ونشرها الأهرام (٢٠/ ٣/ ١٩٨٠) :

أعلنت احدى المؤسسات البريطانية فى لندن أنها تنوى نشر كتاب خاص للراغبين فى الانتحار، ومن المعروف أن هذه المؤسسة التى يطلق عليها اسم « الخروج من الحياة » تدعو لما تسميه « الحق فى الموت بصورة مشرفة » !! .

ومن المنتظر أن يحتوى الكتاب على أساليب عديدة للانتحار تعد سهلة نسبيا حتى بالنسبة للمعوقين الراغبين فى الانتحار ، وسوف يحتوى الكتاب أيضا على قائمة بأسماء العقاقير الطبية ورأى الطب فيما يكفى من كل من هذه العقاقير لانهاء حياة الراغبين فى الانتحار ..

وصرح السكرتير العام للمؤسسه بأن أعضاء المؤسسة يكافحون من أجل حق انسانى هو الحق فى الموت .. !!

هكذا يفكر من لا ايمان له ..!!

هذا .. وان الانسانية فى حقيقة أمرها تجمع أخلاقى يرتبط بالارادة الحرة التى يكون على أساسها التكليف والمسئولية ، ولكن ما هو المقياس الاخلاقى ؟ !

ان القوانين مهما أحكمت لا تستطيع أن تسيطر على قوى الانسان الداخلية ، ثم ان القانون يحتاج الى انسان يقوم على أمر

(١) الأنفال ـــ ٢٩ .

حمايته وتنفيذه ، وهذا الانسان بدوره يحتاج الى من يراقبه لأنه لن يكون معصوما ••

ان الايمان وحده الذى يتولى تأصيل القيم والمبادىء داخل النفس الانسانية فتسارع الى الخير بمقتضى فطرتها التى صقلها الايمان • أما النفس الملحدة فتساق من ظاهرها برهبة السوط وعين القانون ، ومتى أخطأ السوط أو غفل القانون فهناك مجالات رحبة من فوضى الأخلاق والمعاملات وصراع الطبقات وسريان قانون الغاب ••

لقد علمنا الاسلام المراقبة الذاتية عندما حكى القرآن المجيد قول لقمان لابنه :

« يابنى انها أن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير » (١) •

ولعل وصية الرسول صلى الله عليه وسلم تشير الى هذا المعنى عندما قال « اتق الله حيثما كنت »

وعلى أساس هذه القيم الايمانيه آخى الرسول صلوات الله وسلامه عليه بين المهاجرين والأنصار ، وأصبحت الأموال والعقارات بينهم كالماء فى الأنابيب المستطرقة ، وتوارث المسلمون بصلة الدين دون لحمة النسب الى أن استقرت الأمور فنزل قوله تعالى « **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله**» فاقتصر التوارث على النسب ••

ومن طريف ما يروى أن سعد ابن الربيع الأنصارى قال لعبد الرحمن بن عوف — كما فى صحيح الحديث — :

أى أخى ، أنا أكثر أهل المدينة مالا فانظر شطر مالى فخذه ، وتحتى امرأتان فانظر أيتهما أعجب اليك حتى أطلقها •

فقال عبد الرحمن بن عوف : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلونى على السوق •

فذهب فاشترى وباع فربح حتى قال بعد ذلك :

---

(١) لقمان — ١٦ •

فلقد رأيتنى ولو رفعت حجـــرا لرجوت أن أصـيب ذهبـــا أو فضة •• !!

ان الناس بغير الايمان يـأكل قويهم ضعيفهم ، ويستعبد غنيهم فقيرهم ويتربصون الدوائر بعضهم بعضـــا •• فالايمـــان ضرورة لتصحيح مســـار العـــلاقات الاجتماعية التى تنمو على أساس مبدأ المحبة لله ، والمحبة فى الله ، ذلك المبدأ الـــذى يتسـامى على أهواء النفس ودنايا المادة فتنزوى الأحقاد وتنأى الخصومات ويعيش الناس عباد الله اخوانا ••

ولننظر ماذا يقول فيلســـوف ملحد مثل « فردريك نيتشه » فى كتابه هكذا تكلم زرادشت :

اذا رأيتم متداعيا الى السقوط فادفعوه بأيديكم وأجهزوا عليه ، وكل انسان تعجزون عن تعليمـــه الطيران علموه ــ على الأقل ــ أن يسرع بالسقوط •• !!

ويقـــول :

دع الصداقة اذا كنت عبدا ، ولا تطمح الى اكتساب الأصدقاء اذا كنت عاتيا •• !!

ويـــرى :

أن « ارادة الحق » هو شـــعار المذلـــة •

وأن جوهر الوجود وحقيقتـــه هو « ارادة القوة » •• !!

هكذا تكون أخلاق الملحدين •

دكتـــور

محمد سيد أحمد المسير

الماركسية

الصنم الذى يتحطم

الدكتور عبد الغنى الراجحى

كثيرا ما قرأنا فى تاريخ **الدعوات الاجتماعية والسياسية أن كثيرا منها كان يوصى فى مبادئه ولاتباعه أن يلونوا الدعوة بأكثر من لون وأن يكونوا متقربين بها الى أصحاب المبادىء الأخرى • على سبيل المجاراة والمحاولة لكسب أرض جديدة وأتباع جدد بأية وسيلة كاذبة أو صادقة مادامت توصل الى الغاية وتحقق الهدف المنشود باستيعاب حصيلة للدعوة واستقطاب آخرين لها •**

ويظهر أن الماركسية ابتدأت أخيرا تفطن الى هذه الفكرة وتستعملها للضحك على الذقون واستيعاب حصيلة لها من الدهماء والبسطاء الذين تجوز عليهم هذه الحيلة وتنطلى عليهم هذه اللعبة•

فنجد ما هو معروف ومقرر ومؤكد مبدئيا من أول ما وجدت الماركسية • من أنها عدوة للأديان ومنافية لها ومناقضة وتعتبرها مخدرا وأفيونا للشعوب وخرافة من الخرافات • وكثيرا ما ألزمت أتباعها وروادها ورجالها بمهاجمة الفكرة الدينية والأمور الميتافيزيقية باعتبارها فى نظرها معوقة عن الاشتغال بالأمور العملية ، واعتبارها وهما من الأوهام وضربا من الخيالات ، يتنافى مع العلمانية والحتمية التاريخية والجدلية المادية •• بعد أن عرف ذلك عنها وتقرر وتأكد من أقوال مؤسسيها وأساطينها من أمثال كارل ماركس القائل «**الستور والأخلاق والدين خدعة برجوازية**

يتسترون وراءها من أجل المطامع، فالدين هو افيون الفقراء هذا هو حجر الزاوية من الفلسفة الماركسية وجميع الديانات والكنائس والمنظمات الدينية تخدير للطبقة العاملة » .

ولينين القائل « أننا لا نؤمن بالله ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والاقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الله الا استغلالا » وكما ذكر لينين عام ١٩٠٥ كأساس من أسس دعوته **« ان الدين هو أفيون الشعوب ان الدين نوع من الخمر الروحية يغرق فيها عبيد الرأسمالية صورتهم الانسانية ودعواهم الى حياة انسانية كريمة والبحث عن الله لا فائدة منه** ، ومن العبث البحث عن شىء لا وجود له ، لابد من محاربة الدين ، هذا هو لب الماركسية ، ينبغى أن نعرف كيف نحارب الدين » ! وكما ورد فى تعليمات الحزب الرسمية عام ١٩٤٠ الى المعلمين فى جميع أنحاء الاتحاد السوفيتى « ان المعلم الذى يؤتمن على تعليم النشىء لا يمحنه ولا يجب أن يكون محايدا فى موقفه من الدين ان عليه أن لا يتخلص من الايمان فحسب ، بل ان يقوم بدور ايجابى فى الدعوة الى عدم الايمان بوجود اله ، وأن يكون داعيه متحمسا الى الالحاد » ! وقد جاء فى كتاب أسس الماركسية اللينية الطبعة الثانيه بالانجليزية ص ١٦ سنة ١٩٦٤ **« أن الماركسية اللينية لا تعترف بوجود أى قوى فوق الطبيعة ولا فى أى خالق ، أنها تحرر الانسانية مرة واحدة الى الأبد من الخرافات والعبودية الروحية . أن الماركسية اللينية تنظر الى العالم كما هو قائم دون أن تضيف أليه مخترعات الجنة والنار » ! وتابع ستالين أشياخه فى ذلك فقال « لا يستطيع الحزب أن يقف من الدين موقف الحياد لأن الحزب يؤمن بالعلم والعلم يتعارض مع الدين ، والدين مناوىء للعلم » وجاء فى برنامج المؤتمر السادس الدولى الشيوعى سنة ١٩٤٨ ما نصه « الحرب ضد الدين » تشغل مكانا بارزا فى**

الثورة الثقافية ونحن نعترف بحرية الضمير ، ولكن كل الوسائل ينبغى أن توجه ضد الدين لتكون التربية على أساس التصور المادى للدنيا فقط » وجاء فى كتاب **« أسس الماركسية اللينية » وهو الكتاب الرسمى للمذهب «** أن الماركسية اللينية لا تعترف بوجود أى قوى فوق الطبيعة ، ولا أى خالق ، أنها تحرير للانسان والى الأبد من الخرافات الروحية والجنة والنار » ! وجاء فى مجلة « البلشفى الصغير » ان المقام الشيوعى الرفيع لا يتمتع به الا الذى تجرد من كل عقيدة دينية ، يجب مضاعفة الجهد للتخلص من بورجوازية وخرافات الدين » .

بعد ما تقررت هذه المعانى فى أذهان الناس ، وتقرر فى عقولهم أنها طابع الماركسية ، وأيدت أقوالها بالأفعال حيث أبادت ابادة تامة كثيرا من الملايين المتدينين بالاسلام ، فى أكثر الأقاليم الاسلامية التى ضمها اليه وابتلعها الغول الشيوعى فى وسط آسيا وعندما أحست الماركسية احساسا عميقا أن العقبة الكئود فى طريقها هو الدين والتدين والمتدينون ، عادت تلف وتدور وتغير من لونها وتبدل من جلدها ، وتعدل خططها، وتطور من أساليب دعوتها ، فتحاول أن تهادن الأديان ، وأن تتقرب الى المتدينين ، فيأتى لسنوات مضت المفكر الفرنسى روجين جارودى ، فيلقى فى قاعة ندوات الأهرام عدة محاضرات يدعى فيها عدم منافاة الماركسية للاسلام ، ويجهد نفسه فى شرح هذه الدعوة غير المعقولة ، ويذكر بالنص ان كلمة الدين أفيون الشعوب ، كلمة ثبت عدم صدقها فى كثير من الاحوال والظروف » ويذكر أن الانسان يستطيع أن يكون متدينا وشيوعيا ، ويسوق بعض الأمثلة عن بعض رجال الدين المسيحى الذين ناصروا الماركسية فى بعض الجهات ، **ويقول ان ماركس ولينين لو قدر لهما أن يكونا من الاحياء اليوم لقالا مثل هذا الكلام وعدلا عن أقوالهما السابقة ، ولما عقب عليه كثير من المفكرين المصريين موافقة**

أو مناقضة ، أعلن فى نهاية المحاضرة أنه مسرور بما سمع وأنه سيأخذ على عاتقه تنمية هذه الفكرة والاضافة اليها عندما يعيد القاء هذه المحاضرة فى بلاد أخرى ومناسبات أخرى ، ومن العجيب والغريب ان هذا الجارودى قرأت عنه فى الأيام الأخيرة ، أنه اشتغل بالاخراج السينمائى ، وأنهكان يلتقط منذ أيام قلائل صورا فى الأقصر وأسوان مع بعض الممثلين والممثلات ، ولعله لما أحس بفشل فكرة التقرب بين الماركسية والأديان نزع الى فكرة أخرى هل التقريب بين الماركسية والعمل السينمائى ، لأن ماركس لما قال يجب أن يزول الدين عن المجتمع قيل له لكن الناس لابد لهم من عقيدة ، فقال ألهوهم بالمسرح . أو لعله وثق بأن البذرة التى بذرها فى أرض مصر ، عن فكرة التقريب بين الماركسية والأديان سوف تنبت وتنمو وتترعرع ، ويتبناها فى يوم من الأيام ماركسيون مصريون يطلعون علينا فيما بين حين وآخر بمقالات متتابعة فى

هذا الموضوع الذى لا يمكن أن يقف على قدميه فى يوم من الأيام، ولا أن يثبت أمام البحث المدعم بالأدلة والبراهين ، ولا أن يكون صاحب الدعوة نفسه مقتنعا جوانيا بأنه على حق فيما يقول ، فانهم يطرقون حين الحديث عن ذلك موضوعات وافكارا ليست هى محل النزاع ولا بيت القصيد، ولا مربط الفرس فى هذه القضية ، فهم يدعوننا الى أن نستورد الماركسية الى حياتنا ، بدعوى أن الاسلام يتبنى كل نافع ويحب لأتباعه أن يقتبسوا من غيرهم ما هو مفيد ، ويطيلون فى بيان ذلك بضرب الأمثلة بما فعله المسلمون الأولون ، من اقتباس بعض النظم فى تدوين الدواوين ، وتنظيم أعطيات الجنود ، وعدول عمر ابن الخطابعن تقسيم أرض العراق على الفاتحين غنيمة الى تأميمها وضرب الخراج عليها ، واقتباس المسلمين الأولين كثيرا من المعارف والعلوم العقلية والنظرية والعملية بطريق الترجمة عن دول أخرى كثيرة غير اسلامية،

وهذا كله مسلم وواضح ومبدأ اسلامي مقرر ، والحكمة ضالة المسلم أنى وجدها فهو أحق بها ، واقتباس المفيد وطلب العلم ولو بالصين ، ومحاولة الانتفاع بكل جديد ما فى ذلك شك ، لكن من قال أن الماركسية شىء نافع ومفيد نقتبسه ، وعلم وحكمة نسعى فى طلبها ، **اننا حين نرفض الماركسية لا نرفضها وهى فى نظرنا ذات فائدة لكننا نرفضها وهى فى نظرنا ونظر الحق والواقع شىء تافه وفاسد وضلال وفتنة فى الأرض ، وفساد كبير ، من سائر الوجهات الاقتصادية ، والاجتماعية ، والخلقية والدينية والانسانية •**

نرفضها لأنها منافية للفطرة والغريزة الدينية التى فطر الله الناس عليها ، فهى تجريد للنفس البشرية من أسمى غرائزها وعواطفها التى أجمعت الانسانية ما عدا الماركسية على اعتبارها • ونرفضها لأنها مناقضة للفطرة والغريزة فى حب التملك والاقتناء والاستحواز ، والشعور بالكيان الفردى والاستقلالى مع عدم منافاته للشعور الجماعى والتكافل الاجتماعى •• نرفضها لاهدارها القيم الأخلاقية والمثل العليا الانسانية • نرفضها لاعتبارها الانسان كأنه مسمار أو ترس فى آلة حديدية ، نرفضها لأنها أقسى وأقبح أنواع الدكتاتوريات التى لا تتورع فى سبيل تحقيق أغراضها من الابادة والافناء للأفراد والجماعات ، نرفضها لأنها تركيز للسلطة والقوة كلها فى يد شخص واحد هو سكرتير الحزب الذى يحاول اغتصاب مقام الألوهية من الله الواحد القهار ••

نرفضها لأنها العدو رقم واحد للحريات ، تتباكى أولا على الحرية، وتطالب بحرية الرأى والكلمة وتعدد الأحزاب ، فاذا ما تسللت وتم لها ما أرادت ، وتملكت زمام الأمور ، وقدر لها الانتصار والسيطرة على الناس ، قلبت الاسطوانة ، وقلبت للناس ظهر المجن وخلعت لافتة الحرية وثبتت مكانها لافتة القهر والجبروت والكبت وكتم الانفاس ، واراقة

الدمــاء أنهــارا فى الشـــوارع والطرقات اذا ما اقتضى الأمــر • والذى حصل فى المجر ويوغوسلافيا والولايات الاسلامية التى استولت عليها الشيوعية فى آسيا ، وعمليات السحل فى شوارع العراق فى عهد عبد الكريم قاسم ، وما جــرى فى السودان ضد النميرى وجماعته ، وما جرى فى الصومال من احراق علماء الاســلام الذين تصدوا لانحـــراف حكومتهم ذلك وغيره ليس ببعيد عن الأذهان لا ســيما ومأساة أفغانستان اليوم تجعــله ماثلا للأذهان بصورة أوضــح •• نرفضــها لأنها ضــد القوميــات والوطنيات ، ونحن لا نستطيع أن نعيش بدون قوميه ووطنية •

ان الماركسية تحاول أن تصــهر فى بوتقتها كل القوميات والشعوب فلا يكون عــلى ظهر الأرض شىء غير الشيوعية ، والولاء لها ولموسكو قبل الولاء للوطن الــذى يســكنه الشــيوعى مهما كان بعيــدا عــن موسكو • فلو تعارضت مصــلحة الوطن الأصلى للمواطن مع مصلحة الاتحاد السوفيتى فعليه أن يقدم الثانية على الأولى مادام ســيادته شيوعيا ، فهــل بعد ذلــك خيــانة وتشريع لها • وما نقوله يصرح به لينين فى قوله « هلاك ثلاثة أرباع العــالم ليس بشىء وانمــا الشىء الهام أن يصبح الربع الباقى منهم شــيوعيين ؟ وتصرح به قــرارات المؤتمر الشيوعى سنة ١٩٤٨ « ان الدفاع عن الاتحاد السوفيتى وهو الوطــن الأم للاشــــتراكية والبروليتاريا فى العالم هو واجب مقدس على كل مؤمن بالماركسية فى أى مكان • وليس على المقيمين فى الاتحاد السوفيتى وحدهم » ومن هنا نستطيع أن ندرك الربط بــين الشيوعين كمبدأ ســياسى وبــين انكارها للألوهية والأديان لقد كنت **أعجب أشد العجب وأتســاءل • ما فائدة الشيوعية كمذهب سياسى واقتصادى فى انــكارها للأديــان ولوجود الله وللقيم الروحية ، حتى رأيت مؤخرا ومؤخرا جدا كلمات للكــاتب البولندى دى بويس فى كتابه « مستقبل الغرب » الــذى نشره فى سنة ١٩٥٣ • ويقول فيه « أن الدولة التى لا تسمح بوجود**

أى ولاء الالها هى عدو لدود للدين فهى لا تســـتطيع الاعتراف بأن الروح تدين بالولاء لخالق هــذا العالم لأن هذا معناه القضاء عـلى الولاء لها • ان جميــع المـذاهب الدينية فى الصراع بـين الايمــان الرحب والمادية الضيقة لا يمكنهــا الا أن تعــادى العقيــدة المــادية الهشة • وهذا ينطبق على الاسلام والمسيحية حتى البـوذية • أمــا بالنسبة لنا نحن أبناء الحضــارة الأوربية فان الوصايا الدينية التى عرفت منذ ألفى عام والتى تدعونا الى حب الجار مازالت بالنسبة لنا خيرا من المبادىء المادية الهــدامة التى ظهرت منذ مائة عــام والتى تحض على الكراهية والبغضـــاء تجاه طبقــات معينــة مــن نفس المجتمع ، انتهى عن مقال للدكتــور حلمى مــراد اهــرام الجمعـــة ٧٥/٦/٦ • ان المركســية لهــذا السبب الذى افصح عنه الكــاتب الهولندى تأخذ على عاتقها معاداة الأديان والطعن فيها ، بينما الذين كانوا أسبق منهــا فى الانخـداع بالماديات والاعــراض عن الأديان بدأوا يفيقــون مــن غفلتهــم • ويشعرون بخطئهم ، ويعودون الى الاعتراف بالأديان والقيم الروحيه، تملجأ حصين لشفاء الانســانية من أمراضهـا الفتــاكة الاجتمــاعية والخلقية والنفسية ، وها هــو ذا الكاتب العالمى (تويمبى) يقول فى محاضرة له بجامعــة أدنبرة (ان حركة القرن الماضى فى الغرب التى بدلت التكنولوجيا بالدين ســوف تنقلب فى القرن القادم الى حــركة مضادة يعود فيها الجنس البشرى من التكنولوجيا الى الدين ، وليس القرن الحالى سوى فترة انتقال ، لتعود الأمور الى نصابها • وحتى العلوم التى تحدت الدين فى يوم من الأيام تعود الآن الى التراجع عن مساندة التفسير المادى للكون والانسان ، ومدرسة الطب النفسى تعلن أن ثلثى أمــراض البشر هى أمراض روحية وعقلية تنتج عــن الصــداع النفسى بفعـل المادية الطاغية) •

وبعد فان أخطــر كتاب ناقــد للشيوعية هو الذى صدر مؤخــرا

بعنوان « الصنم الذى تحطم» (١) وهو بأقلام قمم الفكر فى العالم الذين نزعوا عن الشيوعية أقنعتها. فى البداية خدعتهم الشيوعية فاعتنقوها كعقيدة ثم تخلوا عنها بعد أن اكتشفوا زيفها وخواءها . كانوا من شيوعيى فرنسا وانجلترا والمانيا وايطاليا وأمريكا . فى البداية توهموا أن المجتمع الشيوعى هو فردوسهم المفقود فلما درسوها بكل أبعادها اللا أخلاقية واللا أنسانية قدموا هذا الكتاب عنها رجوعا الى الحق وبيانا للناس عن خبرة وتجربة . أندريه جيد الفرنسى أحد الكتاب فى هذا الكتاب يتحمس للشيوعية أولا ويطوف بأنحاء الدولة الشيوعية ولكن تصدمه على الفور أنواع الظلم والقهر والمعاناة التى تتعرض لها جماهير الشعب السوفيتى الذى لا يحصل على الفتات مقابل كدحه وصبره فالعمال يعيشون فى فاقة مؤلمة ومن يعترض يشرد من مسكنه وتصادر حقوقه ويعتبر عدوا للشعب أو خائنا والتعليم الذى يتلقاه أفراد الشعب له وظيفة واحدة هى تمجيد النظام الشيوعى وتعاليم الحزب لا يمكن انتقادها ومناقشتها . ثم يقول أندريه جيد . لقد حان الوقت لكى يعلم العمال خارج الاتحاد السوفيتى ان الحزب الشيوعى ضللهم وخدعهم مثلما خدع العمال السوفيت . المجتمع الرأسمالى القديم أعيد بناؤه من جديد فى روسيا بصورة أكثر استغلالا واستبدادا ودكتاتورية من نوع جديد دكتاتورية البيروقراطية السوفيتية .

ان الشيوعية تتبنى نظرية اجتماعية تمجد الرزائل والنقائص البشرية والغاية عندهم تبرر الوسيلة معسكرات الاعتقالات وازهاق الأرواح لمن لم يصبحوا شيوعيين هدفه زيادة السعادة البشرية بانتصار الشيوعية فلابأس بالرزائل من أجل ذلك . هذا

« البقية صفحة ٧٦٢ »

---

(١) كما ذكرت مجلة آخر ساعة المصرية فى عددها الأسبق .

في مطالع القرن الخامس عشر الهجري

قضايا تحتاج إلى مناقشة

حركة ترجمة الفكر الغربي إلى العربية

(محاذيرها وأخطارها)

بقلم : أنور الجندي

يواجه الفكر الاسلامى فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى عديدا من التحديات التى انطلقت منذ بدأت حركة الاستشراق والتبشير والغزو الثقاف يهدف « تغريب » الاسلام وبلاده وفكره وذلك عن طريق طرح معطيات الفكر الغربى بواسطة الترجمة على نحو بالغ الخطورة اختلط فيه النافع بالضار وغلبت مترجمات الفلسفة اليونانية والقصة المكشوفة ونظريات العلوم الاجتماعية والنفس والاخلاق الغربية .

ومترجمات النظريات الاقتصادية سواء الرأسمالية أم الماركسية ، بل وطرحت من خلال هذه المترجمات نظريات مادية فى ترجمة الحياة وتفسير التاريخ ونقد الأدب وكلها تتعارض تعارضا تاما مع مفاهيم الاسلام وقيم الفكر الاسلامى ، هذه الظاهرة الخطيرة : ظاهرة المترجمات الى اللغة العربية من الفكر اليونانى الوثنى القديم والفكر الغربى الليبرالى والماركسى تحتاج الى نظرة فاحصة فى مطالع القرن الخامس عشر بهدف تحديد موقف الفكر الاسلامى منها من حيث الوجهة التى يجب ان يتجه اليها فى القرن الخامس عشر وهى وجهة التحرر من الوافد والدخيل ومن التبعية والاحتواء ، واحتلال ناصية الأصالة واعلاء الذاتية الخاصة وتمكين الوجود الاصيل المستمد من منابع الاسلام ، والنظر الى الفكر الوافد على أنه نتاج

غـــريب لقــوم لهم مفاهيمهــم وقيمهم ، ولا بأس من النظـــــر فيه والاســتئناس به للتعرف على اســاليبه ووجهته ، دون أن يكون مسيطرا أو موجها لفكرنا الاسلامى ودون أن يكون فكرنا الاسلامى — ذى الميراث الــربانى والتــراث العريق — خاضــعا له أو منصهرا فى بوتقة الاممية العالمية .

ولقد قامت الترجمــة فى العصر الاسلامى الاول بارادة المســلمين الحرة وفى ســبيل الحصــول على تراث الامم العلمى باعتبـــار ان الاســلام هو وارث الحضــارات القديمــة جميعــا ، ونظــرا لان الاسلام قد دعا الى العــلم والى النظر فى الكون فحق على أهله أن يتعرفوا على ما سبقهم من تجارب فى هذا المجال بغية تقييمها والنظر فيهـــا وتصـحيح اخطائهـــا والتماس السليم الصادق منها مما لا يتعارض مع مفهوم التوحيـــد الخالص للبناء عليه على النحــو الذى تحقق باقامة المنهــج العلمى التجريبى الاسلامى ومنهج المعرفة الاسلامى ذى الجناحين (روحــا ومادة ودنيا وعلما ودنيا وآخرة)

ومن ثم فقد يحث المسلمون جهدهم فى الحصول على اوليات العــلوم الطبية والطبيعية والفلكيــة التى كانت ميراثا عاما (من بابل وفارس ومصر والهنـــد والصين) والتى كانت قد تجمعت فى بيئــة اليونان والرومان ثم جاءت المســـيحية فرفضتها كلية ، ومــن ثم كان فهم المسلمينللترجمة فى العصر الاول دقيقا وسليما ، فقد كانوا يفرقون تفريقا واسعا بــين « العــلوم » « والثقافة » وكانوا يؤمنــون بأن لكل امه ثقافتها الخاصـــة بهــا المستمدة من عقيــدتها ومفهومهــا للحياة وميراثها الفكرى ، ولما كان التوحيد الخالص هو قمه معطيات الاسلام فقد حددوا موقفهم ازاء الشعر والأدب والفلسفة وأدخلوها فى دائرة ثقافة الامم الخاصة بهم، وأخذوا فى ترجمة العلوم والمعارف العامة باعتبارها ملك لجميع الامم، ولذلك فقد سارت نهضة الترجمة فى العصر العباسى على هذا الاساس لولا أن عــوامل معينة تدخلت فى ترجمــة الفلســـفات اليونانيــة

والفارسية وخاصة ما يتصل بعلم الاصنام اليونانى المستمد من الوثنيه اليونانية وكذلك ما يتصل بالغنوصية الشرقيه ، وكانت قد مزجت فلسفة اليونان والفلسفة الشرقيه فى المدرسة الأفلوطينية .

غير أنه ما أن ترجمت فلسفات ارسطو وأفلاطون وغيرهما حتى واجهها الفكر الاسلامى فى معارضة قوية واعتبر القائمين بها أتباعا لمدرسة اليونان حتى اطلق عليهم اسم (المشائين المسلمين) وكشف عن فساد مفاهيمها ومعارضتها للتوحيد الخالص ومن ثم نشأت مدرسة الاصالة التى بدأها الامام الغزالى ووسد قوانينها الامام ابن تيمية الذى كشف عما اسماه « منطق القرآن » فى مواجهة منطق اليونان وكان الامام الشافعى قد بدأ هذا الاتجاه حين فرق بين أرجاتون اللغة اليونانية وارجاتون اللغة العربية : لغة القرآن ، وخاصة فيما يتعلق بأن الفلسفة اليونانية تقوم على الوثنية والعبودية بينما يقوم مفهوم الاسلام على التوحيد والاخاء البشرى .

ولكن الترجمة فيما عدا هذا الجانب الفلسفى ظلت محكومة بهدف واضح وبارادة قديرة . قوامها مفهوم الاسلام نفسه ، وكل ما وجده علماء الاسلام ومفكروه معارضا للاسلام نقضوه وما وجدوه مخالفا عارضوه ، وكشفوا زيفه وأعلوا شأن مفهوم الاسلام الجامع القائم على التوحيد الخالص والمسئولية الفردية والالتزام الاخلاقى .

أما فى العصر الحديث فان الارادة الاسلامية الحرة كانت مقيدة ومغلوله حين نشأت حركة الترجمة واتسعت فى ظل النفوذ الاستعمارى المسيطر على البلاد العربية فكانت حركة الترجمة جزءا من مخطط التغريب والغزو الثقافى بالرغم من أنها بدأت فى عصر محمد على بداية صحيحة راشدة ، غير أنها سرعان ما فقدت أصالتها وتغلبت جماعات من المترجمين المارون اللبنانين (شأنهم فى هذا شأن جماعة السريان فى العصر الاول) الذين عكفوا على ترجمة

القصص الفرنسى الجنسى المكشوف ونقل القصص التافه السخيف ، وكانت الترجمة وسيلة كسب للعيش وليس عملا فنيا فضلا عن جهل لقواعد اللغة وعدم التقيد بالاصل المترجم وتشويه القصة ، وكان ابرز هؤلاء طانيوس عبده ونقولا رزق الله ، اللذين قدما فى لغه ركيكه مبتذلة عددا بلغ ستمائة قصة ، ثم ظهرت مؤامرة التمصير التى قادها عثمان جلال فكان يترجم القصص الفرنسية الى العاميه المصرية .

وظهرت مدرسة الترجمة من الادب الاغريقى بقيادة لطفى السيد وطه حسين حيث ترجمت بعض آثار أرسطو والباذه هو مروس (سليمان البستانى) ومائدة أفلاطون (لطفى جمعه) وجمهورية افلاطون (حنا خباز) وجاء بعد ذلك لويس عوض وكثيرون .

ثم ظهرت أبعد القصص الادبية اباحيه وكشفا حين ترجمت آثار موليير وراسين وكورنى .

ودخلت الى الادب العربى مفاهيم مختلفة تمام الاختلاف عن مفاهيم المسلمين فى المرأة والرجل وفى العلاقات الاجتماعية على نحو يمتهن كرامة العرض والخلق كذلك ترجم طه حسين وغيره أسوأ أشعار الأدب الفرنسى والقصص المسرحى أمثال بودلير وتوماس هاردى ، وبورجيه ، وموباسان ، وبول فاليرى ولم يسلم من هذا الاتجاه الاعدد قليل جدا من امثال فتحى زغلول وعادل زعيتر ومحمد بدران بل لقد وقع المترجمون فى ذلك الفخ الذى نصبه النفوذ الاجنبى بنسة اشعار فارسية قديمة فى الخمر الى العالم الفلكى عمر الخيام فترجمها الزهاوى والصافى النجفى واحمد رامى وعبد الحق فاضل وأحمد حامد الصراف ووديع البستانى الى العربية مشيدين بها وهى لم تثبت فى الاصل وتبين فساد مصدرها وأنها كانت محاولة خطيرة لبث روح التحلل والفساد والتمزق النفسى فى الشباب المسلم .

ويمكن القول أنه كان وراء خطة الترجمة على هذا النحو قوى كبرى

تهدف الى غاية واضحة قوامها « تغيير أعراف هذه الامة وتدمير مقوماتها » وقد كان لهذا القصص المكشوف أثره الواضح فى تدمير أعراض كثير من البيوت .

واستمرت هذه الموجة من الترجمة الموجهة ولاتزال حتى اليوم تعمل فى عدة ميادين وترمى الى غايات بعيدة منها الغض أساسا من شأن الاسلام وقيمة ومفاهيمه وشريعته ولغته وتاريخه وطرح هذا الركام المسموم فى مختلف الميادين وخاصة ما طرح فى ميادين العلوم (نظرية دارون) والنفس (نظرية (فرويد) والعلوم الاجتماعية (نظرية دوركايم) والاخلاق (نظرية سارتر) وفى العلوم الاقتصادية (نظرية الرأسمالية ونظرية الماركسية) .

وكلها تهدف الى فرض مفاهيم ونظريات وافدة معارضة لمفهوم الاسلام الاصيل الجامع الواضح فى مختلف مجالات النفس والاخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع .

واذا أحصينا هذه الاجناس والفنون المختلفة وجدنا أن أقلها ما ترجم فى ميدان العلوم والتكنولوجيا التى هى المادة الوحيدة التى نحن فى حاجه الى نقلها من الفكر الغربى ، وبالرغم من ذلك فلاتزال القيود تقيد خطوه الفكر الاسلامى فيها فلايزال مفروضا على الكليات العلمية (الهندسة والطب والعلوم والزراعة) ان تخضع للمصطلحات الغربية وتتعامل معها مع أن اساس النهضة الحقه ان تنقل العلو مالتجريبية الى احضان اللغة العربية اساسا حتى يمكن أن يقوم الانبعاث على اساس مفهوم الاسلام نفسه للعلم وليس على اساس مفهوم الغرب الذى يتمثل الآن فى الاستعلاء العنصرى والتهديد الذرى ، والصراع بين المعسكرين ، والحيلولة دون تمكن المسلمين والعرب من الحصول على التكنولوجيا سواء العامة أم العسكرية والحربية وغاية ما يقال فى هذا الصدد ان معركة الترجمة لم تبدأ من منهج صحيح مدروس ينظم مدى ما نحتاجه ومالسنا فى حاجة اليه ، وانما أخذ التغريب

والغزو الثقافى المبادرة ومضى يقدم لنا على مدى قرن كامل نتاجا سيئا غاية السوء ، قوامه ترجمة القصة المكشوفة الاجنبية والتراث اليونانى الوثنى ، والمفاهيم المادية والاباحية فى مجالات النفس والاجتماع والاخلاق والتربية ومن الاسف أن هذه الآثار قد قدمت لنا على أنها « علوم أصيلة » وليست « فرضا قابلة للخطأ والصواب » أو وجهات نظر تمثل امهما واصحابها ولم تسبق هذه الدراسات أو تلحق بما يكشف أمام القارىء العربى والمسلم مكانها من فكر أمتها وموقفنا كفكر له منهج متكامل جامع منها ، وبذلك زيفت هذه الترجمات كثيرا من العقول وأفسدت كثيرا من النفوس وخلقت أجيالا مضطربة لانها استطاعت أن تقرأ الفكر الغربى (القائم على عقائد ومفاهيم وقيم وايدلوجيات) على أنه « علم غير قابل للنقض » بينما لم تكن الا مجموعة من الفرضيات القابلة للخطأ والصواب والتى تختلف بل ربما تتعارض مع فكرنا الاسلامى العربى ، وكان القائمون على هذه الاعمال فى الاغلب من خصوم هذه الامة وفكرها ومن الراغبين الى : اتخاذ سلاح الترجمة سبيلا الى هدم هذه المقومات .

وفى نفس الوقت الذى حجبت حركة الترجمة ما يحتاج اليه المسلمون فى هذا العصر من مجالات العلوم التجربيه والطبيعه والرياضة وغيرها ، وطرح فى أفق الترجمات ركاما مضطربا عاصفا يرمى الى هدم ذلك الحائط النفسى المرتفع القائم فى النفس المسلمة بالحق والتقوى والكرامة والفضيلة والعفاف ويصور الاباحيات الجنسية على انها شرعه المجتمع المباحة كما يصور الجريمة على انها ظاهرة طبيعية ويصل تأثير هذه المترجمات المسمومه الى جميع مؤثرات العقائد والاخلاق والاجتماع ، من حيث وجود تباين واضح وخلاف عميق بين مفاهيم الغرب ومفاهيم الاسلام حيث تقوم الحياة هناك على أساس عبادة الجسد وتقديس الجمال

والنظر الى العلاقات الجنسية نظرة حرة بعيدة عن القداسة والعفاف والايمان بالعرض وكرامة المرأة حيث تختلط الصور فى هذه الترجمات المطروحه فتحدث آثارها الخطيره فى النفس العربية الاسلامية حتى تصل الى صميم العقيدة نفسها .

كذلك كان من اسوأ آثار الترجمة ذلك الخلط الشائن بين المذاهب المتعارضة والنظريات المتضادة وهى نظريات ومذاهب لم تظهر فى وقت واحد هنا لك وانما ظهرت على أزمنة متفاوتة ولكنها حين نقلت الى فكرنا الاسلامى اريد طرحها جملة ليكون لاضطرابها وتباينها واختلافها أبعد الاثر فى تدمير هذا الفكر والادالة من أصالته .

ومن العجب أن ننقل ونترجم آثار الفكر الغربى اليوم وهو يمر بمرحلة الازمة والانهيار والهزيمة. وقد احيط به واحتوته مقررات التلمودية وبروتوكولات صهيون وآوى أهله الى ذلك الاحساس الرهيب بالغربة والقلق والتمرد والغثيان ، فنقل مسرح العبث واللا معقول واللا أدب واللا فن، ومثل هذه الفنون المهدمة المضطربة التى لسنا فى حاجة اليها ولا هى تستطيع أن تعطينا شيئا يعيننا على بناء أنفسنا أو فكرنا أو أمتنا وخاصة ما كتبه سارتر وكامى ومالرو من أحاسيس بالرعب والفزع والاضطراب نتيجة ذلك الانفصال الشائن عن العقيدة والاخلاق والمسئولية الفردية وهى فى مجموعها (الفطرة) التى لا تستطيع النفس الانسانية ان تتجاهلها أو تحتويها .

كذلك فان هذه الترجمات تصور الفرد الغربى وهو يحتقر الاخلاق ويسخر من الرحمة والصدق والعفة والشرف ويحتقر الوطنية ويضحك من الاخلاص للمجتمع ويستخف بفكرة الأسرة والعائلة .

وتجد مثل هذه الترجمات تحمل ذلك المثل الردىء بان لا يحب الانسان احدا ولا يحترم أى مثل أو دين أو مبدأ ويعتبر ذلك تقييدا

لحريته وما يتصل بهذا من انكار لله تبارك وتعالى وتهجم بالعبارات الرديئة عليه (جل جلاله) على النحو الذى عرف عن نيتشه وسارتر وبيراندللوا ، فضلا عن أحياء الأساطير واتخاذها أساسا لنظريات علم النفس والاخلاق والاجتماع أو مصادر لمفاهيم الأنثربولوجيا وغيرها من المفاهيم •

هذه السموم جميعها تترجم الى لغتنا العربية وتدخل الى دائرة أدبنا وفكرنا دون أن يقول مترجموها ما هو وجه الحق فيها وما هو الزيف ، وما موقفنا منها كأمة لها عقيدتها وفكرها ومفاهيمها وقيمها ، وهم بذلك يطرحون فى افق مجتمعنا الاسلامى موجة زائفة من اليأس والتشاؤم والملل وازدراء الحياة مما لا يتفق مع طبيعتنا المتفائلة المؤمنة بالله تبارك وتعالى والتى لا تخاف شيئا ولا احدا والتى تعتصم دائما برضوان الله ورحمته •

ولعل هذه السموم التى تطرحها عملية الترجمة من أخطر ما يواجه حركة اليقظة الاسلامية اليوم وتضع أمامها صخور وجنادل تحول بينها وبين اكمال المسيرة الى الحق وتحجب كثيرا من حقائق الاسلام وتفسد العقول والقلوب فى أعماق شبابنا وأجيالنا الجديدة • ويتساءل كثير من الباحثين أمثال الدكتورة نازك الملائكة وغيرها عن الغاية التى سينتهى اليها شبابنا نتيجة تبنينا لهذا الفكر الغربى المريض الزاحف •

ونحن نقول أننا اشد ما نكون حاجة الى ان ننبه ونحذر من نتائج الاخطار والتى تطرحها عملية « الترجمة غير الموجهة » اسلاميا وان نقف منها موقف التحفظ والتحذير والكشف عن أخطائها لتهدى ابنائنا الى الحق ، ونقول لهم فى صراحة ان هذه المفاهيم دخيلة وافدة ، وانها ليست مفاهيم المجتمع الاسلامي العربى ولن تكون ، نتيجة للخلاف العميق فى الاسس والمصادر والمقومات والقيم والعقائد بين فكرنا وبين هذا الفكر ما بين امتنا

وبين الغرب •

ولقد حق اليوم على أبواب القرن الخامس عشر ان يواجه الفكر الاسلامى هذه السموم والآثار التى طرحها الفكر المترجم الوافد ، وقد بلغنا مرحلة الرشد والاصالة والقدرة على التحرر من التبعية والاحتواء والاذابة فى بوتقة الفكر الاممى علينا أن نعاود هذا الفكر بالنظر والتحليل وكشف الجوانب التى تتعارض مع الاسلام وخاصة ما كتب عن الرسول والاسلام والقرآن واللغة العربية وتاريخ الاسلام مما يحمل بذور الشكوك والتخرصات الضالة المضلة وهناك مجالات عديدة تحتاج الى النظر والمراجعة :

١ ــ ما ترجم فى مجال الفكر الاغريقى الهلسى •

٢ ــ ما ترجم فى مجال العلوم الاجتماعية والنفس •

٣ ــ ما ترجم فى مجال الادب والنقد الادبى والقصة •

٤ ــ ما ترجم من التاريخ وتفسير التاريخ •

٥ ــ ما ترجم فى مجال الاقتصاد والسياسة •

٦ ــ ما ترجم فى مجال التراجم وحياة العظماء •

أنور الجندى

« بقية مقال الماركسية الصنم الذى يتحطم »

منطقهم بينما هم لم يحققوا سعادة للأفراد لا من الوجهة الروحية ولا من الوجهة المادية • ويختم سيلونى أحد كتاب هذا الكتاب كلامه بقوله : « ان الانسان أسمى من كل النظريات الاقتصادية والاجتماعية التى تتهره وتقمعه ويستطيع أن يفرق بمهارة بين الشيوعية والاشتراكية فالأولى هى الاشتراكية العلمية بجميع نقائصها والثانية هى الاشتراكية الحقيقية هى الخالدة الباقية » •

دكتور/عبد الغنى الراجحى

لماذا يرفض الإسلام الماركسية ؟

للأستاذ مجدي عبد الفتاح

أن شر ما منيت به الأرض الدعوة الماركسية التى استباحت لترسيخ قواعدها مالا يباح ، واتخذت من الوسائل أقبحها وأقذرها وأشنعها ، ومزقت كل الفضائل والقيم ، وحاربت كل الأديان ، وألقت المثل والأخلاق وداستها حتى لا تقف فى طريقها قوة تمنعها عن السير ، وتصدها عن الانتشار .

وتؤكد الدراسات أن ضحايا الشيوعية : منذ عام ١٩١٧ م وحتى الوقت الراهن بلغت ١٤٣ مليون قتيل (١) منهم ٦٦ر٧ مليون قتيل فى الاتحاد السوفييتى ما بين سنة ١٩١٧ ، سنة ١٩٥٩ ، ٣ مليون قتيل فى نفس البلد منذ سنة ١٩٥٩ م وحتى الوقت الراهن ، ٦٣ر٨ مليون قتيل فى الصين الشعبية ، ٣ مليون قتيل ألمانى بعد انتهاء الحرب العالمية ، ٢ر٥ مليون قتيل فى كمبوديا وحدها ما بين سنة ١٩٧٥ ، سنة ١٩٧٨ ، حيث دمر الشيوعيون قرية (كامبونج ترايس) على سكانها واستشهد فيها أكثر من ثلاثة آلاف مسلم من الأطفال والنساء والشيوخ وقد تم ذلك عام ١٩٧٢ ، وفى مارس ١٩٧٣ قتل الشيوعيون معظم سكان قرية (فهوم تريا) المسلمة ، وفى نوفمبر ١٩٧٤ تم اعدام ثلاثة آلاف وخمسمائة من المسلمين فى قرية (نيونج كهنوم) ودمر

---

(١) د . طارق حجى ــ الشيوعية والاديان ص ٥٩ .

الشيوعيون سبعا وعشرين مسجدا ، ولا يفوتنا قصة شيخ الاسلام فى كمبوديا الحاج عبد الله بن ادريس ، فقد ألقى القبض عليه من قبل السلطة الشيوعية وسجن وعذب ، حتى يوم ٨ أكتوبر سنة ١٩٧٥ ثم جاءوا به وألقوا به فى اناء كبير به ماء يغلى ، وحطموا رأسه بتضيب حديدى حتى الموت .. ، وأخيرا الغزو الشيوعى الوحشى على أفغانستان والذى راح ضحيته آلاف من القتلى الابرياء . هذا خلاف ٣ر٥ مليون قتيل فى أماكن أخرى من العالم .

ان النظام الشيوعى الذى رفع شعاره ماركس ، وتبنته روسيا والدول الاشتراكية يقوم أساسا على فلسفة مادية خاصة ، تعارض الفلسفة المثالية والتعاليم الدينية، فهى تفسر التاريخ والاجتماع والاقتصاد بتفسير مادى بحت ، كما وأنها تنظر الى الانسان على أنه كائن أرضى بحت لا يرتفع بمشاعره وعواطفه عن واقع المادة ، وأنه لابد أن يصاغ فى قالب خاص من حيث تفكيره ، وسكب العقلية الجماعية فى نفسه بحيث لا يفكر الا فى المصلحة الاجتماعية ولا يندفع الا فى سبيلها ، وبذلك قضوا على الملكية الفردية وأصبحت الدولة مسيطرة على وسائل الانتاج ، واعتبرتها أساس تغير المجتمع اذ يرافق تغير وسائل الانتاج صراع بين الطبقة المسيطرة حاليا والطبقه الجديدة الصاعدة ، وهكذا ترى الماركسية ان صراع الطبقات ضرورة لتغيير المجتمع ... وبمرور الزمن تبين ان تطورات خطيرة وقعت معارضة ومخالفة لما افترضته النظرية الماركسية ، وان أساس الماركسية الذى يعطى سببا واحدا لتغيير المجتمعات ، هو تبدل وسائل الانتاج ، وان هذا التغيير يحصل عن طريق صراع بين الطبقات قد تجاوزه الواقع والتاريخ ، وأكدت الاحداث أن النواحى الروحية والفكرية وغيرها من ظواهر لها أثرها فى تغيير المجتمعات .

وقد نادى ماركس بانكار وجود

الله ، وأعلن الحرب على الاديان ، والقوى الروحية باعتبار انهـا عوامل معطلة للنشاط الفـردى ، ومخدر يجذب الناس نحو النـوم والغفلة عن ركب الحياة المتحرك ، وألغى من فلسفته الايمـان بمـا وراء الطبيعة ، وقد ربط مـاركس والماركسيون ربطا قويا بين الثورة البروليتارية وبين القضـاء عـلى الدين فى نفوس الطبقة العمالية ، فالقضاء على الدين هـو من أهم اللزوميات لاشعال الحقد الطبقى فى أنفس العمـال ، ممـا يزكى الصراع الطبقى ويؤجج تلك النار فى نفوسهم ، فيثورون فى المرحلة العليا من النظام الرأسمالى ثورة تعبـر عن تذمرهم التـاريخى وحقدهم الطبقى الذى خدرهمـا الدين طويلا ••• ثورة يحطمـون فيها بضراوة لا مثيل لها وبارهاب دموى لا حـدود له الطبقـات الأخرى غير العمالية ، وهـذا ما يؤدى من وجهة نظر الماركسـية الى انتقال البشرية من الطـور الرأسمالى الى الطور الاشتراكى الذى هو الجسر الـذى بعبـور البشرية اياه تبلغ المرحلة العليـا حيث لا ملكية خاصة ولا طبقـات اجتماعية ــ وبالتـالى ــ وعليـه فلا دين بالضرورة لأن الدين كمـا قالوا مقترن بالملكية الخاصة وبما ينجم عنها من انقسـام المجتمع •

وتحت مـادة (دين) جـاء فى الطبعـة الأولى من (القـاموس السياسى) ما نصه (١) الدين فكرة وهمية نشأت فى عقول الناس من قوة خارجـة تسـيطر عليهم فى حياتهم اليومية وهى تصور تتخذ قوى عالمنا الأرضى منه اشكالا لا تتصل بهذا العالم ، ويقـول لينين « ان الدين ليس الا أحد أشـكال القهر الاجتماعى الذى يشغل كتل الشعب المرهقة بالعمل المستمر من أجل سواهم ، والدين يرهقهـم بالفقر والعزلة » •

وفى مطبوعات سوفيتية حديثة عن « الاشتراكية والدين » جـاء

(١) د • طارق حجي ــ المرجع السابق ــ ص ٢٤ •

فيها : القضاء على الدين لا يتم تلقائيا ، بل يستلزم العمل فى تعليم كتل الشعب روح الالحاد والدعوة الواسعة النطاق للتعمق فى علوم الطبيعة والنظرة الماركسية العالمية •

ومما لا شك فيه أن الماركسية جاءت فى ظروف معينة وفى زمن معين وفى واقع معين وبالتالى فان استنتاج كارل ماركس للماركسية من هذا الواقع المعين وان كان استنتاجا عاميا ، الا انه وقع فى خطأ علمى عندما أراد أن يعمم هذا الاستنتاج ويجعله نظرية قابلة للتطبيق على المجتمعات وفى كل زمان ومكان ••• بغير تفريق بين ظروف هذه المجتمعات وبغير انتباه لتطور الحضارة فى كل مرافق الحياة من فكرية ومادية ، والادعاء بأن نظرية تفصيلية معينة يمكنها أن تحل كل المشاكل الاجتماعية الى الابد ، هو ادعاء باطل ومناقض للحقيقة كحقيقة متجددة ، ومناقض للعلمية كمحاولة مستمرة لملاحقة هذه الحقيقة والبحث المستمر عن جوانبها الغامضة وتفاصيلها المتطورة •• والا لو صح هذا الادعاء لكان دفنا للعلم وللعلمية ، وميلادا لجاهلية جديدة باسم التقدمية ، وللجمود الصنمى باسم التطور ، ولاصبح تحطيما للقدرات والعبقريات باسم الانضباط الحزبى والعقائدى •

أكاذيب الشيوعية :

يظن الماركسيون انهم انتهوا الى العلم الصحيح بكل حقائق الأرض • والسماء ، ويصدقون كارل ماركس عندما زعم أن الانسانية بأسرها تتقيد به كل التقيد ، ولن تحيد عنه قيد شعرة ، ولن يستطيع احد ان يضيف اليه جديدا لأنه نظام يحوى كل مايحتاج اليه العالم من دساتير وقوانين لاتختلف ولو بعد آلاف السنين ، ولن تقبل التبديل والتغيير لأنه نظام معصوم من النقص مبرأ من الخلل مطلق الكمال • ولقد زعم ماركس أن الأسرة ستمحى ،

والزوجية ستنفصم ، والملكية ستزول ، والوطنية ستموت ، والقومية ستفنى ، والعامل سيسود ويعيش عيشة ترف ورخاء ، والشيوعية ستصبح دين الانسانية كلها ... زعم ماركس كل هذا أو اكثر منه فما كان نصيب تكنهاته من الوقوع والتحقق ؟

*** كذبة الأسرة ستمحى :** محت الشيوعية الأسرة فى روسيا ، وجعلت كل مولود ولد للدولة ، وكل امرأة وسيلة انتاج للدولة ، ولكن لم تستطع هذه النبوءة ان تعيش الا سنوات قليلة ثم ماتت لأن الدولة اعترفت بالأسرة ، وبذلك كذب الكاهن الشيوعى الضال المضل فقد قامت الأسرة من جديد فى روسيا .

*** كذبة القضاء على الملكية :** جاء فى المادة الخامسة من الدستور السوفيتى (١) : « الملكية الفردية لا وجود لها ، والملكية المباحة هى الملكية الاشتراكية ، وهى اما ان تكون جماعية أو تعاونية » .. ثم اعترفت الشيوعية بالملكية تحت شعار جمعيات التعاون فى امتلاك الأرض ، واباحت ملكية الفرد بعد ان حرموها عليه فأصبح الفلاح يملك الأرض على سبيل الاعارة الدائم على أن تستغل على أساس تعاونى وبذلك كذبت كهانة ماركس .

*** كذبة الوطنية والقومية :** كذبت الحرب العالمية الثانية نبوءة ماركس ، وكان أول المكذبين اتباعه المخلصين وعباده الاوفياء ، فقد نادى ستالين وعصابة الكرملين بالوطنية والقومية واعترفوا بها .

*** كذبة رفاهية العامل :** فى ظل الماركسية أصبح العامل جزءا من الآلة التى أوجدها ثم عبدها وابتهل اليها وأصبح مسخرا لخدمتها ، وعندما يتنكر العامل للآلة أولا يصلى لها يحكم عليه بالموت أو السجن ، لأن شريعة

---

(١) احمد عبد الغفور ــ الشيوعية والاسلام ص ٩١ .

الشيوعية الباطلة الهدامة لاتعترف الا بالآلة ، فالشيوعية افقدت العامل الطمأنينه والسكينة ولم تتحقق الرفاهية المنشوده بل أصبح العامل فى حرمان وضياع وانهيار وانتحار .

*** كذبة الازمة الاقتصادية التى تسحق النظام الراسمالى :**
تنبأ ماركس (١) بالازمة الاقتصادية الماحقة التى تسحق النظام الرأسمالى بسبب ازدياد اجمالى الانتاج عن معدل الطلب والقدرة الشرائية نتيجة فقر العمال المدقع ، ولكن الملاحظ الى الآن أن كل أزمات الرأسمالية ذات طابع عرضى ، وبناء على نظرية ماركس فى فائض القيمة يتحدد الأجر للعامل فى الدولة الرأسمالية على أساس الحد الادنى اللازم لمعيشته ولكن الواقع كذب هذه التقديرات بفضل التشريعات الجديدة ونشاط النقابات والتعديلات التى أدخلها النظام الرأسمالى على نفسه حتى ارتفع أجر العامل .

*** كذبة أن الماركسية تحقق المساواة وتلغى الفوارق الفئوية والطبقية :** ادعاء الماركسية بأنها تحقق المساواة وتلغى الفوارق الطبقية لم يقم عليه دليل عملى حتى الآن ، بل قام الدليل على نقيضه تماما ، اذ لا تزال الفوارق بين الدخول من المجتمعات الماركسية قائمة حتى الآن ، بل وتزداد اتساعا بتزايد البيروقراطية من جهة ، وتطور المهارات والكفاءات الشخصية من جهة أخرى ، ولقد اشار الى ذلك ليون تروتسكى حيث قال (٢) : أن البيروقراطية نظرا لأنها الطبقة الوحيدة من بين كل طبقات المجتمع السوفيتى التى حلت بشكل أفضل مشكلتها الاجتماعية، فانها راضية تماما عن نفسها وعن وضعها وهى مستمرة فى الدفاع

---

(١) د . مصطفى محمود ــ الماركسية والاسلام ص ١٥ .
(٢) ليون تروتسكى ــ الثورة المغدورة ــ ص ٢٣٥ .

عن ملكية الدولة خوفا من « البروليتارية » واشار المفكر الاقتصادي اسحق دويتشر • فى كتابه تجارب اشتراكية — « الى انه بالرغم من الأسباب الموضوعية لظهور اللامساواة من جديد فى رأى ماركسى « الفاقة والندرة العامتين » فان نسبة هذه اللامساواه تتعلق بعوامل بشرية ذاتية ، كطباع الزمرة الحاكمة واندماجها الكبير أو القليل • بالفئات صاحبة الامتيازات الجديدة ، وموقفها الاخلاقى الذى يستطيع ان يشجع أو يعرقل اللامساواه ، ولقد رفض الرسميون الصينيون دائما — شأن الروس — ان يزيحوا النقاب عن الجداول الحقيقية للأجور ••• وهذا معناه انهم يؤثرون التكتم على مدى اللامساواه الموجودة فى بلادهم •

*** كذبة الشيوعية دين المستقبل** : اعلن ماركس أن الشيوعية ستصبح دين الانسانية كلها ، الا ان الواقع كذبه اشنع تكذيب ، والدليل واضح ، وهاهى الشيوعية بكل وسائلها الاجرامية تقتل الابرياء فى جميع انحاء العالم ، فقد اعتمدوا على الغش والكذب والخداع والعنف ، وطريق الخداع قصير فقد انكشفت الشيوعية على حقيقتها أمام الواعين الفاهمين الذين انخدعوا بها مثل أندريه جيد ، فكفروا بها وحاربوها ، بل ان الماركسيين أنفسهم تحللوا من نظم الماركسية ومبادئها وخرجوا عنها، لأن أقطابها عرفوا بالغريزة قبل العقل ، وان سوءاتهم هذه يجب ان يستروها ضمانا لاستمرار حكمهم وسلطانهم ، وخديعته لمن بهرهم بريق دعواهم الكاذبة ، ولما كانت الاحداث خير مصداق لأى قول فلنقدم هذه المظاهر البولندية ضد الشيوعية (١) : ورفض الملايين البولنديين الفكر الماركسى، فبعد أكثر من ثلاثين سنة من حكم الشيوعية فى بولندا ، ومن

---

(١) بمناسبة زيارة البابا يوحنا الثاني لبولندا سنة ١٩٧٩ .

انفرادهم المطلق بالسلطة وبالدعاية والتشويش والتشهير ضد الدين ، بعد كل هذا يأتى البابا الى بولندا فتخرج الملايين فى استقباله استقبالا شعبيا تاريخيا بمثابة الرد على ثلث قرن بأن كل ما فعلتم قد ذهب هباء ! •• ، وان الدين لا يزال متغلغلا فى نفوس الكافة رغم ما قلتم ــ وما أخسه ــ ورغم كل ما فعلتم ــ وما أحطه ــ وان الاستغلال الذى قلتم انكم أزلتموه من المجتمع لم يؤد للقضاء على الدين الذى وصفتموه بأنه صنو الاستغلال : وأن زوال أحدهما هو موجب حتمى ــ وفق قوانين المادية التاريخية ــ لزوال ثانيهما ! ••

شريعتنا الاسلامية ترفض الفكر الماركسى :

ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد (١) : « جاء الاسلام من جوف الجزيرة العربية يعم بالدعوة ابناء آدم كافة ، ومنهم ابناء ابراهيم بالجسد وابناؤه بالروح ••• فلم يكن فى نشأته ما يفسره املاء السوابق الدينية أو يفسره املاء البيئة العربية ، وجاء مع دعوته الانسانية بآدابه الاجتماعية أو الفردية التى يكابر المتعنت فى تعنته ما استطاع المكابرة ولا يستطيع أن يفسرها بممالأة الاغنياء والمحتكرين ، أو بانها خدر للنفس يروضها على الظل والاستكانة أو يلهيها عن الدنيا بخيال الآخرة ، فان الفجوة الواسعة بين حقائق الاسلام وهذه التفسيرات المادية تلوح للناظر من اللمحة الأولى ولا تجشمه أن يتعمق الى قرارها •• » •

لاشك أن الدين الاسلامى يتضمن المبادىء الرئيسية التى تكفل التطور المتوازن بين الروح والمادة ــ ويتسع للتطور المنهجى كى يمكن استخلاص الحلول التفصيلية الملائمة ــ لكل زمان ومكان ضمن الاطار الاسلامى

---

(١) عباس محمود العقاد ــ الشيوعية والانسانية من شريعة الاسلام ــ ص ٣٣٢ •

العام ، أما الماركسية التقليدية فانها تحبس مريديها داخل اسوار التقييد المذهبى باسم الانضباط العقائدى ، وتقيد ملكات مفكريها باسم الانقياد الحزبى ، وجاء الاسلام مقرراً مبدأ المساواه فى الفرص ، وضمان حد لكفاية الفرد ، وتحقيق التوازن بين حرية الفرد فى الربح وحقوق المجتمع ، ومبدأ الملكية الخاصة ومبدأ مصادرة الأموال للمستغلين لصالح الفقراء والمظلومين فالاسلام لا يسمح بالطبقية ، ويحرم تداول المال بين فئة محدودة من الاغنياء .

*** الماركسية تستلزم الصراع والاسلام يقر التدافع ويدعو الى التعاون :**

لا يعترف الاسلام بوجود طبقات بين الناس ، فهو الذى يقرر أن « الناس سواسية كأسنان المشط ، كلهم لآدم ، وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى والعمل الصالح (١) – وانما هو يعترف بالفئات والطوائف تبعا لاختلاف الثقافات والصنائع والمهن ، ومن ثم فهو لا يعترف بالصراع فيما بينهم ، وانما يعترف بتدافعها ويرى ذلك خيرا لها ولمجتمعاتها ، فالمسلمون جميعا فى الشريعة متساوون على اختلاف شعوبهم وقبائلهم متساوون فى الحقوق ، متساوون فى الواجبات ، متساوون فى المسئوليات ، والشريعة الاسلامية تطبق مبدأ المساواة الى ابعد مدى يتصوره العقل البشرى ، فلا قيود ولا استثناءات ، وانما مساواة تامة بين الافراد ، مساواة تامة بين الجماعات مساواة تامة بين الاجناس ، مساواة تامة بين الحكام والمحكومين ، وحتى غير المسلمين من رعايا الدولة الاسلامية ، هم والمسلمون أمام التشريع سواء ، فالاسلام جاء ليقرر وحدة الجنس البشرى . فى المنشأ والمصير ، فى المحيا والممات، فى الحقوق والواجبات ، امام

(١) جزء من خطبة الوداع .

القانون وأمام الله فى الدنيا والآخرة ، لا فضل الا للعمل الصالح ، ولا كرامة الا للاتقى ، يقول تعالى « **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** » سورة النساء : آية ١ ، فهى نفس واحدة وزوجها منها ، ومنها انبث الرجال والنساء فهم من أصل واحد ، وهم أخوة فى النسب وهم متساوون فى الأصل والنشأة يقول تعالى : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » سورة الحجرات : آية ١٣ ، فليست هذه الشعوب والقبائل لتتفاخر أو تتكابر ، بل لتتعارف وتتآلف ، وكلها عند الله سواء ، لا تتفاضل الا بالتقوى ، ولقد برىء الاسلام من العصبية القبلية والعنصرية الى جانب براءته من عصبية النسب والأسرة ، فبلغ بذلك مستوى لم تصل اليه الماركسية الى يومنا هذا .

*** الماركسية لا تعترف الا بالاعمال المادية والحسية وحدها :**

ان الاسلام لا يجرد الاعمال المادية من النوايا التى دفعت اليها أو لابست مباشرتها ، ويجعل هذه النوايا الأساس فى قياس الاعمال وتقويمها « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » (١) بل يذهب الى ماهو ابعد من ذلك حيث يجزى على النية الطيبة ، وان لم يترجمها صاحبها الى عمل مادى خارجى وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تبارك وتعالى ... « اذا هم **بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة** ... » (٢) ومن ثم كانت الماركسية لعدم اعتدادها بالنوايا فى حاجة الى رقابة خارجية ومستمرة وصارمة حتى تضمن تحقيق الانتاج المخطط كما وكيفا،

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه مسلم بلفظه والبخارى بمعناه .

ومع ذلك لم يتحقق لها ، بينما الاسلام كون عامل الرقابة الداخلية النابع مع الضمير الذاتى للانسان وعقيدته التى تدفعه الى العمل والاتقان فيه . وبالتالى كانت الرقابة فى الاسلام طبيعية ، وانسانية ومستمرة تؤتى ثمرتها فى الانتاج والاتقان دون عناء ، أما الماركسية فالشدة والصرامة ، والدقة مرهونة بيقظة الرقيب ومتابعته ، ومما لاشك فيه ان تعدد اجهزة الرقابة تؤدى الى تعويق العمل والحد من النشاط فالمواطن السوفيتى نتيجة لكونه يشعر انه يعيش تحت رقابة مستمرة يعانى من التوتر الدائم .. ولا شك ان الرقابة الشديدة الواقعه التى تحكيها قصة الاعرابية التى طلبت الى ابنتها ان تخلط اللبن ببعض الماء لتزداد كميته فيزداد الدخل من بيعه ، فردت ابنتها عليها قائلة : يا أماه اما بلغك أمر أمير المؤمنين بألا يخلط اللبن بالماء ، فقالت الأم : وهل يرانا أمير المؤمنين الآن ؟ فما كان من الفتاة الا ان ردت عليها فورا بقولها : اذا كان أمير المؤمنين لا يرانا ، فان رب أمير المؤمنين يرانا » (١) هذا هو الاسلام الذى كون الضمير الحى اليقظ فى المؤمن فأغنى بذلك عن الرقابة الخارجية من الدولة ضمانا لتنفيذ قراراتها وأحكامها .

*** الماركسية تعتمد على العنف :**

ان تاريخ الماركسية القريب المعاصر يثبت ان مذاهبهم قائم على العنف، واثارة القلاقل والفتن والحروب ، ويكفى ان نعلم ان الماركسية تمنع الخير وتدخر الشر للانسانية ، وتخمد انفاس من لا يدنيون بها ، ولو كانوا عزلا من السلاح ، أما الاسلام فهو لا يقبل الاستسلام والخنوع ، وهو يكره العنف ويمجد القوة ولكن دون اعتداء ولا ظلم ولا طغيان ولا عذر ، بل القوة فى شرف ومن أجل

(١) عبد العزيز سيد الاهل ـ الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ـ ص ١٤ ، ١٥ .

الشرف ، وهو يتحرك فى رحاب أوامر الله سبحانه وتعالى حيث **يقول** : « أدع الى سبيل ربك **بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** » سورة النحل آية ١٢٥ ، والقتال فى الاسلام لا يكون الا دفاعا لقوله تعالى **« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم»** سورة البقرة آية ١٩٠ ٠

*** الماركسية تنكر وجود الله :** نادى ماركس بانكار وجود الله وأعلن الحرب على الأديان ومن ورائه المجتمع الماركسى ، فقد جحدوا الصانع المدبر العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه بلا صانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون ابدا ، على هؤلاء فى كل زمان ومكان يرد القرآن فى استفاضة وفى تنوع ، وما من شك فى أن مسألة وجود الله لم تكن فى يوم من الايام هدفا من اهداف القرآن الكريم ، ولم تكن فى يوم من الايام هدفا من أهداف الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو أحد الصحابة وذلك أن الايمان بوجود الله مسألة فطرية وبديهية ، والواقع أن القرآن الكريم يمكن أن يؤخذ منه الرد على من انحرفت فطرتهم ، فالقرآن يرد على الجاحدين أولا بضروريات فكرية فيثبت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق (١) ولقد نسى الماركسيون دليلا هاما على وجود الخالق وهو دليل النظام أو القصد أو التدبير ، أو الغائية ، وهذا الدليل هو الذى يستند الى ما نراه فى العالم من تناسق وتضامن ، وانسجام ومن تدبير محكم بكل صغيرة وكبيرة فكلها دلائل واضحة على وجود الله ٠

*** الماركسية تنكر الملكية الفردية** : أن النظام الشيوعى

---

(١) أرجع الى التفكير الفلسفى فى الاسلام ـ للامام عبد الحليم محمود ص ٧١ من الجزء الاول ٠

لا يعرف الملكية الفردية ، فقد حرمها فى جميع المجالات وقضى بتأميها ، وتأمين جميع وسائل الانتاج للمجوع ، وكان فى هذا شذوذا عن الفطرة الاصلية التى طبع عليها الانسان • أما الاسلام فقد أقر الملكية الفرديه للحال - بوسائل التملك المشروعة ويجعلها قاعدة نظامه ، وما يترتب على هذا التقرير نتائج الطبيعة فى حفظ هذا الحق لصاحبه وصيانته له عن السرقه أو النهب أو السلب أو الاختلاس بأية طريقه من الطرق أو المصادرة بدون ضرورة عامة مع التعويض المجزى الذى لا غبن فيه ، ويضع الحدود الرادعة لكفالة هذا كله ، فوق ما يصنع من التوجيهات التهذبية لكف النفوس عن التطلع الى ما ليس لها ، وما هو داخل فى ملك الآخرين ، كما يترتب عليه نتائجه الاخرى وهى حق التصرف فى هذا المال بالبيع أو الاجارة أو الرهن أو الهبة أو الوصية ••• الى آخر حقوق التصرف الحلال وفى نطاق الحدود التى سنها للتصرفات ، والملكية العامة موجودة فى الاسلام وذلك لحماية المجتمع من اخطار الاحتكار والاستغلال لبعض موارد الطبيعة ومصادر الرزق فيها ، فانها لا تكون الا فى نطاق ما يشكل بضرورة عامة وشاملة لجميع افراد المجتمع « كالماء والكلأ ، والنار والملح » ، أو كان غير متأثر فى تكوينه أو تشكيله بالعمل الخاص (كينابيع البترول - ومناجم الفحم والمعادن على اختلافها) أو تكون فيه مصلحة عامة للجماعة الاسلامية «كالحمى» ولاشك أن ذلك كله يستهدف تحرير ارادة الفرد ورأيه - عن طريق تحرير لقمة عيشه - من أن يكون تحت سيطرة أى نوع من انواع الاستغلال ناشىء عن الملكية الخاصة حتى يمكن تحقيق التعاون بين أفراد المجتمع •

وخلاصة القول : أن الفكر الماركسى مجموعة متناقضات وخروق فى ثوب مهلهل يحاول ان يفسر الانسان والمجتمع والتاريخ والكون والنشأة من وجهة نظر شمولية ثم يعجز عن التفسير ثم

« البقية صفحة ٧٨٠ »

إستقلال الشخصية الإسلامية

الدكتور أحمد عمر هاشم

من الملامح البارزة فى حياة الانسان المسلم : استقلال شخصيته ، فهو يعتنق الحق ويسير على ضوئه ، ويعمل فى دائرته ، دون أن يكون هناك أى تأثير خارجى عليه ، لأنه يؤمن بأن جزاءه منوط بعمله ، فاحسانه لنفسه ، واساءته لها ، وقد غرس الاسلام فى نفسه أصول الحق ليتبعها : « ان احسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها » (١)

وأنار القرآن الكريم الطريق أمام المسلم ، مبينا له : أنه وحده الذى ينال مثوبة هدايته ، وأنه وحده الذى ينال جزاء ضلالته ، فلا ينجى اهتداؤه غيره ، ولا يردى ضلاله سواه ، وكل نفس وما حملت من وزرها ، فلا تحمل وزر نفس أخرى ، ولكل استقلاله وجزاؤه على حدة ، قال سبحانه : « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى » •

وقد نص القرآن على أولئك الذين وقعوا أسرى العادة والالف تجافيهم عن الحق ، وضرب مثلهم بمن ينادى على حيوان يسمع الصوت ولا يفهم له معنى ، فهم فى انهماكهم فى التقليد الأعمى ، ووقوعهم فريسة التبعية البلهاء ، كمثل الصم البكم ، قال تعالى : **« واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع**

الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلـــون » • وهـــذا الصنف من الناس : لم يعط شخصـــيته اســـتقلالها ، ولم يمنحهـــا حريتها فى البحث عن الحق ، وانما حبســـها بين أســـوار التقاليد الموروثة ، توثقها العادات البالية ، وتمتهن كرامتها وانســـانيتها ، وتتابع الســـنة الشريفة شخصـــية المســـلم فى ســـلوكها بالتقـــويم والتهذيب ، لئلا تتأرجح بين مـــد الحيـــاة وجذرها ، فتتدهور قواها المعنوية ، متابعة كل ناعق ، ومنادية كل انسان : أنا معك ، محسنا كان أو ظالما ، روى الامام الترمـــذى بســـنده عن حذيفة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكونوا امعـــة ، تقولون : ان أحسن الناس أحسنا ، وان ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفســـكم ان أحسن الناس أن تحســـنوا ، وان أســـاءوا فلا تظلموا » • فاذا كان الله تعالى قد أعد المســـلم اعدادا محكما ، وهيأه لأســـباب الحق والفلاح بما ألهمه من رؤية واضحة للخـــير حتى يتبعـــه ، وللشر حتى ينأى عنه ، فليس للمسلم أن يكون امعة ، ولم تعد له حجة ، فى تعطيل ما أودعه الله فى حسه ووجدانه ، فكيف به يقف على مفترق الطرق ، يميل مع رياح الحياة حيث تميل ؟! لقد ســـوى الحق نفسه وألهمها فجـــورها وتقـــواها ، قال تعالى : **« ونفس وما ســـواها فألهمها فجـــورها وتقـــواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها »** •

وفى اســـتقلال الشخصية حماية لقومات الحق والخير التى أودعها الله فى الانســـان ، فلا يتأثر بالعوامل الخارجيـــة ، والمؤثرات المحيطة به ، فاذا كان قاضـــيا أو شـــاهدا أو مدربـــا أو قائما بالاصـــلاح بين الناس أو مقوما لأعمـــال البعض أو ما الى ذلك من مسالك الحياة التى يرتادها ، فان عليه أن ينظر الى الحـــق ، بغض النظـــر عن أى عامل آخر أو أى مؤثر خاجى ، فاذا قام بالحكم بين الناس أو القضاء بينهم ، أو طلب منه أداء شـــهادة أو فصـــل فى

خصومة ، فعليه أن يتحرى جانب الحق فلا تؤثر عليه صلة قرابة أو نسب أو غير ذلك ، قال تعالى : **« فاذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى »** وكما دعا الاسلام الى المحافظة على استقلال الشخصية فى قول العدل دون التأثر بصلة القرابة ، أو ما يدعو الى الانحياز ، فكذلك حذر من أن تكون الكراهية والبغضاء من دواعى الانحراف عن العدل والحق ، فقال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون »** •

فشخصية المسلم تتنافى مع الظلم ، فيقيم العدل ولو على نفسه ، أو أقرب الناس اليه ، وتتنافى مع الباطل ، فيقول الحق ولو على نفسه ، ويعدل مع العدو كما يعدل مع القريب والحبيب ، فهو لا تحكمه تبعية تهدم شخصيته ، ولا يجور على عقيدته الهوى ولا تتسرب المحاباة الى داخله ، يحيا بين الناس قواما بالقسط شاهدا لله ولو على نفسه أو والديه أو أقربائه ، قال الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا »** •

واستقلال الشخصية الذى يربى الاسلام أتباعه عليه : يعنى المحافظة على النفس من التأثر بخصائص الغير التى لا تتفق مع روح الاسلام ، وتتنافى فضائله ، أما الاستبداد بالرأى ، أو التمادى فى الخطأ : فليس فيه من قوة الشخصية واستقلالها أدنى علاقة ، بل ان ذلك يتنافى معها تنافيا تاما ، فان الرجوع للحق فضيلة ، ولا يوصف من يرجع للحق بأنه لا شخصية له بل انه قوى الشخصية فى ضبط النفس ، وكبح جماحها ، والاتجاه بها صوب الحق ، فلا يتجمد عند الخطأ ، بل يفىء الى الصواب أينما كان •

وكما أن استقلال الشخصية

لا يتنافى مع الرجوع للحق ، فانه كذلك ــ لا يتنافى مع التعاون ، ومشاركة الجماعة الاسلامية ، فالمراد باستقلال الشخصية : ألا يذوب سلوك الفرد فى سلوك آخر ، وألا تذوب الجماعة فى جماعة أخرى فلكل انسان مقوماته وقدراته الخاصة ، وحين يسلب هذه المقومات : فلا تكون له حريته ورغبته المستقيمة المخلصة ، فانه يقوم حين يقوم للعمل وهو مسوق اليه ومكره عليه ، فلا يستشعر المتعة بأداء العمل ، ولا يتذوق الرغبة الدافعة الى اتقانه ، ومن ثم : يفقد روح النشاط والحيوية ، ولا يقبل على العمل بجد أو فاعلية ، بل يؤدى عمله وهو مكره متبرم ، وأيضا : لو ترك الانسان بلا توجيه سديد وأطلق لشخصيته العنان دون رعاية وضبط ومن غير حدود ، فان ذلك شر مستطر لما يترتب على سلوكه بلا مقاييس ما يترتب من انطلاق نوازعه النفسية فتنمو الأنانية والأثرة ، ويتجاوز الحدود بلا رادع أو ضابط .

ومن أجل هذا كله : أرسى القرآن للشخصية الاسلامية معالم محددة لا تتعداها ، بحيث يجد المسلم ثواب عمله الصالح ، ويتحمل تبعة اساءته ، فقال تعالى **« من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها »** ، هذا بالنسبة للفرد ، فشخصيته محوطة بدائرة الحق ، والعمل الصالح وأما بالنسبة لعلاقته مع الجماعة الاسلامية ، وعلاقة الناس مع بعضهم ، فان تلك العلاقات مع ما وفره الاسلام لها من الاحتفاظ بالمقومات ، بحيث لا تذوب فى الآخرين فانه لم يمنع الانسان أو الجماعة من التعاون والمشاركة ، بل أمر بذلك ، اذكاء لروح التعاون ، وابقاء لوحدة الأمة ، واثراء لها بالعمل المشترك والتضافر المثمر ، وذلك يتم فى اطار البر والتقوى ، وبعيدا عن الاثم والعدوان ، كما قال الله سبحانه : **« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »** .

ويتضح مما سبق أن استقلال

الشخصية ، يعنى الاحتفاظ للانسان بقدراته ومقوماته الخاصة ، بحيث لا يعتدى عليها من الخارج ، والاحتفاظ بالثقة بالنفس حين يكون على الحق فيحترم اقتناعه به ، ويقوى على ضبط نفسه وتوجيهها الى الخير حين لا يكون فى جانبه ، فيرجع للحق ، ويلبى نداء التعاون مع الجماعة حين يحتاجون اليه ، ولا يعتبر هذا أو ذاك خروجا عن استقلال الشخصية ، وانما الخروج : أن يكون امعة بين الناس ، مشتت الرأى متطفلا على أحاديث الناس وأخبارهم • ورحم الله الشافعى حيث قال : ولست بامعة فى الرجال أسائل هذا وذا ما الخبر ؟ •

دكتور/أحمد عمر هاشم

« بقية موضوع لماذا يرفض الاسلام الماركسية »

يناقض نفسه بنفسه ، ثم لا يصل الى شىء الا عدة مصطلحات وشعارات مفرغة من المعنى •

فالماركسيون كفرة لئام ، بل هم شر الكفرة ، وكل من تبعهم ممن يتظاهرون بالاسلام فمن ينكر وجود الله ووحدانيته مرتد حلال الدم واجب قتله ، وكل من اطرى الشيوعية واجب أن يستتاب والا قتل كفرا •

حمى الله الانسانية من الماركسية ورعى أمتنا العربية من هذا الشيطان الرجيم آمين •

مجدى عبد الفتاح سليمان

هل ضاع من قدمى الطريق
أو عزَّ فى سيرى الرفيق ؟

للدكتور محمد كمال جعفر

هب صديقى من نومه مذعورا يردد هذه العبارة فى هلع وفزع مشوب بالحزن العميق . وظننت أنه ربما كان أسير حلم مزعج ، يرتبط بمن يحب ، أو بما يهدف اليه ، لكنه حين تنبه الى وجودى استجمع وعيه ، واسترد نفسه رويدا رويدا ثم تثاءب متثاقلا على نفسه حين أراد أن ينهض ، فأسرعت لمساعدته على القيام ، مقدرا ظروفه وسنه ، غير أنه استكفنى شاكرا ثم عاد الى موضعه وراح يقول : —

حقيقة يا ولدى بعض الأحلام قد لا تخرج عن كونها حديث نفس وهواجس خاطر ، عجزت عن الافصاح فى اليقظة ، فتسللت فى جنح ظلام المنام ، وحقيقة يا ولدى لقد جربت كيف تكون آخر خواطرى وأفكارى فى اليقظة هى نقطة الانطلاق لأحلامى ورؤاى .

لقد شغلنى قبل الذهاب الى النوم تفكير غريب تغشاه بعض السحب الدكناء ، التى تمنع وضوح الرؤية ، وتصرف عن ادراك الحقيقة — أردت أن أعرف مصدر هذه السحب الكئيبة التى تشيع الظلام وتحجب الجمال ، فألقى فى خاطرى أنها سحب ساقتها رياح البغض والشحناء والحقد والطمع والجشع واللامبالاة ، وباختصار يا ولدى سحب تخلفت عن اغفاء الضمير وضلال النفوس .

استمعت الى الشيخ الجليل فى اهتمام بالغ ، وأردت أن أستخلص شيئا أفسر به لغز الشيخ ، ولكننى

لم أستطع أن أفهم ما يرمى اليه وما يريد أن يفضى به الى • ويبدو أنه أدرك عجزى عن فهم مرماه ، فانطلق يشرح فى صراحة ووضوح ما يقصد اليه ورأيت أن أشرك معى القارىء العزيز فى هذا الحديث الهام الذى يتصل بحاضرنا ومستقبلنا ــ نحن المسلمين ــ علنا نفلح فى استجلائه وتأمله •

قال الشيخ المهيب ، اعلم ياولدى أننى أقصد بهذه السحب الدكناء والأدخنة المتصاعدة الحالة التى تحياها الأمة الاسلامية اليوم وما يكتنفها من التمزق والتفتت بصورة تثير اشفاق العدو قبل اثارتها لحزن الصديق •

هى الآن أمة تتسابق معظم دولها فى تأريث العداوة واثارة الحروب واشاعة الخيانة وفقدان الثقة ، ونشر القسوة والعنف والصلف فى ربوع البلاد ، لا تكاد تجد دولتين من دول هذه الأمة على المستوى الذى تقتضيه شريعتها الغراء ودينها الحنيف ــ لم تقف الخصومة بين هذه الدول الاسلامية عند حد المقاطعة أو التجريح باللسان ، بل جاوزت كل حد فى القتال الساخن بلارحمة ولاهوادة، يكيد بعضها لبعض ، ويبغى بعضها على بعض بلا وازع ولا حياء ولا ضمير ، والأدهى من ذلك والأخطر أن هذه الصور المقيته أضحت مألوفة حتى لم تعد تثير لدى البعض غيرة أو تحرك ساكنا •

ومما يزيد الطين بلة أن سوء الأمر وصل الى الحد الذى جعل عدوان الملحد عن المسلم لا يثير حفيظة الأخير فلا يتقدم حتى لمجرد الشجب أو الاحتجاج على مثل هذا العدوان •

بلغت المهزلة الى الحد الذى جعل غير المسلم يستحث المسلم لمناصرة أخيه ودفع الظلم عنه ، وما كان ينبغى أن ينتظر المسلم حتى ينبه الى واجبه الأقدس نحو دينه واخوته فى هذا الدين •

اننى يابنى أتساءل : هل ضاع الطريق من قدم مثل هذه الدول ؟ هل ضلت سبيلها لأنها اتبعت السبل

الملتوية فتفرقت بها عن سبيل الله ، مخالفة بذلك التحذير الالهى فى قوله تعالى « **ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** » هل خفى عليها المسار المنير الذى يجمع الشمل ويدخر الطاقة ويرزق القوة والمنعة ويحقق الخير والرخاء والأمن والسلام ؟

هل يعقل أن يتردى المسلمون هكذا فى الظلمات •

وبأيمانهم نوران ذكر وسنة ؟ هل يجمل أن يختلف قوم بينهم الحق ، ويتفق قوم ومعهم الباطل ؟

أشفقت على الشيخ من شدة انفعاله وتشنج صوته ، فتلطفت فى الحديث معه أستميحه العذر وأطلب اليه التخفيف والرفق بنفسه وبأمته، وعرضت عليه بعض تأملاتى التى كسبتها من دراسة تاريخ هذه الأمة فأعجبه شىء من هذه التأملات وبخاصة ما أشرت اليه من سنة الابتلاء فى هذه الحياة ومن ضرورة خوض بعض المسلمين هذه التجربة ، وأن الشدائد ــ وان تكن أليمة ومحزنة ــ تستثير العزم وتوقظ غافى الهمة والوجدان ، وتستحذ القوى والملكات ، وقد ينتهى المخاض بمحمود العاقبة ومأمول الغاية من الوحدة والقوة والعز والرفاهية •

ألم يقل شاعرنا يوما :

جزى الله الشدائد كل خير
عرفت بها عدوى من صديقى :

فمن يدرى لعل ما نحن فيه الآن من تمزق وألم يدفعنا قسرا الى التقارب والتآزر لا سيما اذا علمنا أن هناك الأفواج الهادرة من الملاحدة وأعداء الانسان الذين لا هم لهم الا اطفاء نور الحق ، واضطهاد الاعتقاد والمعتقدين المؤمنين ؟

اعتدل الشيخ فى اهتمام ثم توجه الى قائلا : ما تقوله يابنى حق لاشك فيه ، ولكنى أخشى أن يسترسل أهل الغى فى غيهم فلا يدركون خطأهم الا بعد فوات الأوان فيندمون ولا ينفعهم الندم حين يرون بأس العدو وطغيانه • من أجل ذلك فزعت يا بنى وصحت بهذه العبارة التى سمعتنى أكررها وأنت مرعوب مكروب •

قلت للشيخ : وما دام الأمر

كذلك فهل الى خروج من سبيل ؟ قال الشيخ : المخرج يابنى هو قانون الله دائما ولعلك تعلمت فيما تعلمت أن القانون الالهى نوعان : نوع تشريعى ونوع تكوينى فالأول ما تعلق بأوامر الله ونواهيه تشريعا وتكليفا ، والثانى ما تعلق بالخصائص والحدود التى يلتزمها الكون بما ومن فيه •

أما الأمر التكوينى فلا يتخلف قيد شعرة لأنه قانون يحكمه السلطان الالهى الذى تذعن له سائر الكائنات بما فى ذلك الطبيعة • وهو قانون تحدوه الرحمة الالهية بالأكوان والمكونات وهو ما يعرف عندكم بالتسخير والتذليل والتطويع لمصالح العباد ، وأنت يا بنى لن تجد كائنا من الجماد أو النبات أو الحيوان — ما عدا الانسان — أو الملائكة الا وهو ملتزم بالقانون التكوينى لا يخرج عنه لحظة فلا تملك الأرض أن تبخل بالنبات مادامت العناصر الضرورية للانبات متحققة •

أما الأمر التشريعى فانه موجه لهذا المسكين الابله — الانسان ولأنه أريد له أن يكون مختارا ، فقد اختار أن يطيع أولا يطيع وهكذا رأينا البشر — من بين سائر خلق الله — هم وحدهم المعرضون للمخالفة ومجانبة الحق — وعلى ذلك فاذا أردت لقومك مخرج صدق فلن تجده الا فى شرع الله ونهجه الذى رسمه للانسان بحيث يسد أوجه النقص فيه ، ويمحو الضعف الذى يعتريه •

تمنيت أن ينطلق الشيخ بلا توقف حتى أستزيد من معرفته ولكنه راح فى صمت رهيب وتأمل عميق •

فقلت — وقد تملكنى حديث الشيخ — :

حقا ان ما أشرت اليه هو الصواب ، وهذا والحمد لله أمر واضح وقد عرفناه ، فما يمنع من تحقيقه وتطبيقه ؟ أليس فى ذلك انقاذ المسلمين وانقاذ العالم معهم ؟

ابتسم الشيخ فى مرارة وقال : يا بنى تعم جيدا هذه الحكمة التى ثبت صدقها عبر تاريخ البشرية ، وقد سجلها كثير من الصحابة

رضوان الله عليهم . بالنسبة لهؤلاء الذين يسيئون استخدام المبادىء والشعارات المقدسة من أجل غايات ومآرب غير مقدسة أو شريفة ان التعبير عن هذه الحكمة انتقل الينا فى الألفاظ الآتية: **كلمة حق أريد بها باطل** : أفهمت هذه العبارة ؟

قلت نعم فهمت وما حديث قميص عثمان رضى الله عنه بخاف على أحد ، وما حادثة التحكيم المشهورة عنا بغائبة .

قال : حسنا فأنت اذن تعى ما أهدف اليه . وهو أن كثيرا ممن يدعون أو يدعون الانتساب الى دعوة تطبيق الشريعة لا يصدرون عن جدية وفهم واستيعاب لجوهر وروح هذا الدين : انهم بين منتهز يركب الموجات العالية ، أو متقوقع جامد الفكر لا ينظر الا تحت مواقع قدميه ، أو مغتر غير منضبط فى دعواه التجربية أو ما يسميه بالتحرر ، أو متشنج لا يدرك مما يقول : الا المظهر والشكل .

ان القلة الخيرة هى التى تدرك أبعاد السعادة والخير والعزة والمجد الذى يمكن أن يتحقق من الالتزام الواعى البصير المتحرر بقانون الله فى تشريعه وأحكامه دون استثناء ، فلا يفرح مثلا لتطبيق الحدود دون فرحه بتحقيق ايجابيات الدين كلها من المودة والرحمة والتعاطف والمثابرة والانطلاق فى دروب الحياة لكسب النافع وتعميم الصلاح والخير فى ربوع الحياة .

اننى يابنى بصريح العبارة أريد زيادة خلقية فى كل موقع ، ونمطا دينيا مثاليا فى كل هيئة وفى كل مؤسسة وفى كل مجال من مجالات الأنشطة الانسانية ترشد بسلوكها أكثر مما ترشد بأقوالها ومواعظها .

أريد ريادة فى ميدان الطب وريادة فى ميدان المحاماه وريادة فى ميدان التدريس ، وريادة فى سائر المواضع الحيوية التى تتصل بمصالح الناس وسير معاشهم . أريد لهذه الطاقات الاسلامية أن يجمعها نظام ، وأن يوثق بينها الخلق النابع من الأصل الأصيل للمكارم كما تجلت فى الكتاب الكريم ، وكما برزت فى شخصية

مجمع المكارم صلى الله عليه وسلم ويوم تشييع هذه الريادة يابنى ، ويوم تتجمع هذه الطاقات ، ويوم يستيقظ الضمير المسلم فى قلوب الولاة ويوم يدرك من يحيط بهذه الريادة حلاوة الاستقامة والصراحة والمجد والالتزام والرحمة والتعاون .

يوم يتم ذلك يا بنى ستجد أمة اسلامية عزيزة واصلة حاضرها بماضيها ، جامعة بين الأصالة فى قوانينها الأزلية الثابتة وبين المعاصرة والمعايشة لأحداث العصر، مضيفة الى الحياة ـ كما أضاف الاسلاف ـ ما تجمل به الحياة وما يعد به الأحياء .

ويومها يا بنى لن تسمعنى أقول أو أتساءل .

هل ضاع من قدمى الطريق

أو عز فى السفر الرفيق

لن تجد أمتك تجرى وراء هذا أو وراء ذاك من الدول من أجل الحماية والرعاية ، بل ستكون الملجأ والمثاب للمعذبين فى الأرض .

د . محمد كمال جعفر

كتاب الشهر

تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين

للراغب الأصفهاني

عرض للأستاذ / السيد حسن قرون

« تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين » كتاب صغير يقع فى ١١٦ صفحة ، ألفه الراغب الأصفهانى فى أواخر القرن الخامس الهجرى ، ليكون نبراسا للمسلم يرى فيه منشأه ومنتهاه ، ويهديه الى الوسائل التى تعينه على تحصيل السعادتين : الدنيوية والأخروية ، فى أسلوب يرضاه المنطق وتستريح اليه العاطفة الدينية ، وكأن الراغب حين ألف كتابه هذا كان ينظر الى الغيب من ستر رقيق ، لأن العالم الاسلامى حينئذ كان يموج بالاختلافات المذهبية ، من سنة وشيعة وغيرها ، مما جعل جسم الامة الاسلامية يتمزق ، وجاء القرن السادس ثم السابع فتمخض عن نقص الامة من أطرافها بهجوم الصليبيين ، ومن صميمها بضرب الخلافة الاسلامية فى بغداد ، حيث دمر التتار عاصمة النور فى ذلك الزمان ، والراغب نبه وذكر وهدى ، ولكن صيحته ذهبت أدراج الرياح •

وللراغب مؤلفات غير هذا الكتاب منها : « الذريعة الى مكارم الشريعة » وهو كتاب كان يعجب به حجة الاسلام الغزالى (٤٥٠ ــ ٥٠٥ هـ) ويستصحبه • ولكنه اشتهر بكتابه « مفردات ألفاظ القرآن العزيز » الذى عرف بمفردات الراغب •

ونحن حين نراجع كتاب « تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين » ونبين مراميه ، نرى أنفسنا فى تفكيره ، ونراه فى تفكيرنا ، فنجده يكتب لنا كما كتب لمعاصريه منذ ٩٠٠ عام أو أكثر ، فما يقوله مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ، وهما جاءا لكل زمان ومكان ، وسترى فيما نعرضه عليك ، ونزجيه اليك من خلاصة فكره ونبض قلبه أنه معنا وان غاب عنا تلك الحقب الطوال • وأغلب الظن أنه لم يكن راضيا عن سلوك معاصريه ، ثائرا عليهم ، لائما لهم ، يصب جام غضبه على تفكيرهم وأعمالهم ، انظر اليه فى مقدمة كتابه فى حديثه عن الانسان مرة يقول :

« قد كان قولنا الانســـان لفظا مطلقا على معنى غير موجـــود ، واسما لحيوان غير معهود كعنقاء مغرب ، ونحو ذلك من الأســماء التى لا معانى لها ، كما قال تعالى فى صـــفة الأصـــنام المسمـاة آلهة : (١) « أن هى الا أســماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » ولم أعن بالانسان كل حيوان منتصب القامة ، عريض الظفر ، أملس البشرة ، ضـاحك الوجه ، ممن ينطقـون ولكن عن الهـوى ، ويتعلمـون ولكن مـا يضرهم ولا ينفعهم ، ويعلمـون ولكن ظاهرا من الحياة الدنيـــا وهم عن الآخرة معرضون » الى أن يقول :

فجلهم اذا فـــكرت فيهم
حمير أو كلاب أو ذئـــاب

وانما الانسان عنده من يعمـل لاكتساب الانسانية عن طـــريق العمل بالكتاب والسـنة ، ولذلك يقول : « واعلم أنه ليس يحسن بذى همة قد احسن الله اليــه فى خلقه وخلقه ، وقيض له من ربـاه فأحسن تربيته ،أن يرضى أن يكون حيوانا ، وقد أمكنـــه أن يكـون انسانا ، أو بأن يكون انسانا ، وقد أمكنه أن يصير ملكا أو بأن يكون ملكا ، وقد أمكنه أن يصير ملكا فى مقعد صدق عند مليك مقتـــدر ، فتقوم الملائكة بخدمته كمـا قال الله تعـــالى : « (٢) والملائكـــة يدخلون عليهم من كل باب • سلام عليكم بما صــبرتم فنعم عقبى الدار » وقـــد بين النشـــأتين وتحصيل السعادتين فى بدء المقدمة قائلا : أما النشأتان فاحداهمـــا المذكورة فى قوله تعـــالى : « (٣) ولقد علمتم النشـــأة الأولى فلولا تذكرون » والثــانية المذكورة فى قوله تعالى : « (٤) ثم الله ينشىء النشـــأة الآخرة ان اللـــه على كل شىء قدير » وأمـــا الســـعادتان

---

(١) من آية ٢٣ سورة النجم .
(٢) ٢٣ ، ٢٤ من سورة الرعد .
(٣) ٦٢ سورة الواقعة •
(٤) ٢٠ سورة العنكبوت .

فاحداهما المذكورة فى قوله تعالى : « (١) **اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم** » والثانية المذكورة فى قوله تعالى : « (٢) **وأما الذين سعدوا ففى الجنة** » •

وقد بنى كتابه على ثلاثة وثلاثين بابا ، هى بحوث ، كل بحث لا يتجاوز أربع صفحات أو أقل ، وهى مما قل ودل وأرانى لا أتقيد بعنواناته ، التى جعلها فى رأس أبوابه ، فقد رأيت أن أسير حسب منطقه فأجرى حسب ترتيب ذهنه ، وكأن كتابه قصة لها بداية ونهاية •

النفس

أورد الراغب رأيين تراهما متباينين ، وهما فى الحقيقة متواصلان ، يؤديان مطلوبا واحدا الأول : معرفة الانسان نفسه قبل غيرها ، الثانى : أول ما يلزمه معرفة الله تعالى • ومن الفضيلة أن يقدم الرأى الثانى ، ولكن الحقيقه تفرض معرفة الانسان نفسه ليصل بها الى معرفة ربه ، والقرآن يقول : « (٣) **أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون** » تنبيها على أنهم لو تدبروا أنفسهم وعرفوها عرفوا بمعرفتها حقائق الموجودات فانيها وباقيها ، وعرفوا بها حقيقة السموات والأرض ، ولما أنكروا البعث الذى هو لقاء ربهم ، كما بالنفس يعرف العالم الروحانى والعالم المادى ، ويعرف أعداءه الكامنة فيها على حد قول الرسول : « لا تكلنى الى نفسى طرفة عين فأهلك » ومن عرف نفسه وقدرها نجا من الغرور والهوى والأثرة ، ومن هنا يستطيع المؤمن أن يسوسها ، ويتسنى له أن يعدل ولا يجور فى

---

(١) آية ٤٧ سورة البقرة .
(٢) الآية ١٠٨ سورة هود .
(٣) الآية ٨ من سورة الروم .

أحكامه على غيره ، ويرى عيبه قبل أن يرى عيوب الآخرين ، ويتذكر قول الرســول « رحم اللــه امرأ شغله عيبه عن عيوب غيره » •

ويلح الراغب على أن من عرف نفسه عرف الله تعالى ، فقد روى أنه ما أنزل الله من كتاب الا وفيه: اعرف نفسك يا انســـان تعرف ربك ، وهذا معنى قوله تعـــالى : « (١) **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم** •• » وفى هذا الخبر ثلاث تأويــلات : أحــدها أن بمعرفــة النفس يتوصل الى معرفة الله عز وجل ، كقولك اعرف العربية تعرف الفقه • والثانى : أنه اذا حصــل معرفة النفس حصــل بحصــولها معرفة الله بلا فاصــــل ، كقولك بطلوع الشمس يحصل الضوء ، فيكون الضوء مقترنا بطلوعها غير متأخر عنها بزمان • والثالث : أن معــرفة الله ليســت تثبت الا أن تعرف النفس : لأنك اذا عرفتهــا على الحقيقة فقد عرفت العالم ، فــاذا عرفت العالم عرفت أنــه محدث ، وأن لابد له من محدث ، لا يشبه المحدث بوجه وذلك هــو غاية معرفة الله تعـــالى •

ويختم حديث النفس بقــــول على كرم الله وجهه : « ان العقل لاقامة رسم العبــودية لا لادراك الربوبية » وقــــول أبى بـــــكر : « يامن غاية معرفته القصور عن معرفته » وبقول اللـــه تعـــالى : « (٢) **نســـوا الله فأنســـاهم أنفســـهم** » تنبيهـــا على أنهم لو عرفوا أنفسهم لعرفوا الله ، فلما جهلـــــوه دل جهلهم على جهلهم اياها • والمراد من قـــول أبى بكر وعلى أن يكون التفكير فى مخلوقات الله لا فى ذاتــه ، ومن هنـــا كان الجهل بالنفس يؤدى الى الضلال، فمعرفة النفس فضيلة يدركها من هداهم الله اليها ، فعرفوا الخالق والمخلوقات •

موضع الانســـان من الموجودات

بدأ الراغب هذه المسألة بحقيقة

---

(١) الآية ٥٣ من سورة فصلت .
(٢) الآية ١٩ من سورة الحشر .

آمن بها المؤمنون وقررها علماء الكلام ، وهو ان الله تعالى هو الواجب الوجود الذى لا سبب لوجوده بل سبب كل موجود ، وكل موجود فمنه وبه تعالى وجوده •

والموجودات عنده ــ ضربان : المعقولات العلوية ، والمحسوسات السفلية ، وهنا يقترب الراغب من فلسفة اليونان حين يتحدث عن العلم والعقل فيقول : ليس المراد بالعقول البشرية ، بل الاشارة به الى جوهر شريف عنه تنبعث العقول البشرية • ثم يتحدث عن الروحانيات (الملائكة) وخلق الكائنات وخلق آدم (الانسان) •

وله فى ذلك فلسفة مقبولة يحسن النظر اليها ، لأنها تدل على تأمله الطويل فى القرآن الكريم ، **فهو يجعل خلق آدم تم فى مراحل تقابله مراحل خلق أبنائه فى الرحم ، وتفصيل ذلك أن آدم (الأب) جعله الله انسانا بسبع درجات حسب ما اقتضته الحكمة جاء ذلك فى مواضع من القرآن ، فقال فى موضع خلقه من تراب أشارة الى المبدأ الأول ، وفى آخر من طين اشارة الى الجمع بين التراب والماء ، وفى آخر من حمأمسنون أشارة الى الطين المتغير بالهواء أدنى تغير ، وفى آخر من طين لازب أشارة الى الطين المستقر على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة ، وفى آخر من صلصال من حمأ مسنون أشارة الى يبسه وسماع صلصلة منه ، وفى آخر من صلصال كالفخار وهو الذى أصلح بأثر من النار فصار كالخزف ، وبهذه القوة النارية حصل فى الانسان أثر من الشيطنة • وعلى هذا دل بقوله « (١) خلق الانسان من صلصال كالفخار • وخلق الجان من مارج من نار » فنبه على أن الانسان فيه من القوة الشيطانية بقدر مافى الفخار من أثر النار ، وأن الشيطان ذاته من المارج الذى لا استقرار له • ثم نبه الله على**

---

(١) الآيتان ١٤ ، ١٥ من سورة الرحمن •

تكميل الانسان بنفخ الروح فيه فقال : « (١) انى خالق بشراً من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » فهذه سبع درجات نبه عليها كما ترى .

فماذا يقابل تلك سبع الدرجات من الأجنة فى الأرحام حسب ما جعل لآدم ؟ الجواب قال تعالى : « (٢) **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** » وقد عد الطين منها لغذاء الانسان من نبات الأرض ، ولك أن تناقش رأيه فى النار وشيطنة الانسان ، ولكنه رأى لا يهمل حين الحديث عن انحراف الانسان حيث يغوى ويضل .

وهذا الانسان ــ كما يرى الراغب ــ له ميزات لا توجد فى غيره ، ففيه قوى العالم أجمع من مركباته وروحانياته وجسمانياته ، ومبتدعاته ومكوناته ، فهو كالمختصر من الكتاب الذى قل لفظه واستوفى معناه . ومن ثم قيل : الانسان عالم صغير ، والعالم انسان كبير ، ويستدل بقوله تعالى : « (٣) **ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة**» ولكون الانسان اجتمعت فيه قوى الموجودات صار وعاء معانى العالم ، وطينة صورته ، ومعدن آثاره ، ومجمع حقائقه ، وكأنه مركب من جمادات ، ونباتات ، وبهائم ، وسباع ، وشياطين ، وملائكة ، ولذلك تظهر فيه خصائص المذكورات ، ففيه من الجمادات الكسل ومن النبات ما يمدح وما يذم ، فهو أترج حينا ، وحنظل حينا آخر ، وهو

---

(١) ٧١ ، ٧٢ من سورة ص .
(٢) الآيات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ من سورة المؤمنون .
(٣) ٢٨ سورة لقمان .

كالنحل فى النفع ، وكالذئب فى الضرر ، وكالثعلب فى المراوغة ، وكالشيطان فى الاغواء ، وكالملك فى الروحانية والطاعة ، وهذه القوى المجتمعة فيه لو وضعت موضعها حسب الشرع والعقل كان خليقا بتسخير الكون له ، ورفعه فيما بعد الى الملأ الأعلى .

صلاحية الانسان للدارين

أنواع الأحياء ثلاثة : نوع لدار الدنيا وهى الحيوانات ، ونوع للدار الآخرة وهو الملأ الأعلى ونوع للدارين وهو الانسان ، فالانسان واسطة بين جوهرين : وضيع وهو الحيوان ، ورفيع وهو الملك ، جمع فيه قوى العالمين ، فجعل كالحيوانات فى الشهوة البدنية والغذاء والتناسل والمنازعة وغير ذلك من أوصاف الحيوانات ، وكالملائكة فى العلم والعقل . ووجه الحكمة فى ذلك أن الله رشحه لعبادته وخلافته وعمارة أرضه ، وهيأه بجانب ذلك لمجاورته فى جنته ، فاقتضت حكمته أن يجمع له القوتين : فانه لو خلق معرى من العقل كالبهيمة لم يصلح لعبادته وخلافته ولو خلق كالملائكة معرى عن الحاجة البدنية لم يصلح لعمارة أرضه كما لم يصلح لذلك الملائكة حيث قال تعالى فى جوابهم : « (١) **انى أعلم مالا تعلمون** » وفى تنبيه على أن الانسان دنيوى وأخروى ، وأنه لم يخلق عبثا قال تعالى : « (٢) **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون** » ولذلك كان خلق العالم وما حوى المقصود من ايجاده شيئا فشيئا هو أن يوجد الانسان ، فهو الخلاصة والزبدة ورمز الكرامة . « (٣) **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » وجعل ما سواه معونة

---

(١) من آية ٣٠ سورة البقرة .
(٢) المؤمنون الآية ١١٥ .
(٣) آية ٧٠ الاسراء .

له كما قال تعالى فى معرض الامتنان : : « (١) **هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا** » وبم فضله ؟ لم يفضله لقوةجسمه فكثير من الحيوانات أقوى منه وأطول أعمارا ، ولا بكثرة ذهبه وفضته فالطبيعة أغنى منه ، وأنما فضله بالعقل ، ومن ثم أخطأ ابليس حين نظر الى أصل خلقته وأنه من طين ، وفاته أن يهتدى الى معرفة خصائصه الروحية والعقلية ، وقد اقتدى الكفار به فى ردهم على الأنبياء حيث قالوا : « (٢) **ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم** » وقالوا : « (٣) **ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق** » فالميزة فيهم ليس بظاهر أبدانهم ، وانما لمعان فى نفوسهم عمى عنها الكفار ، ويقول القرآن للرسول : « (٤) **وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون** » فمن وعى هذا من الناس ووفق لما رشح له ثم سعى لرفعته فقد أوتى خيرا كثيرا ، وما يتذكر الا أولوا الألباب .

وهنا سؤال يطرح نفسه : ما الغرض من خلق الانسان ؟

الجواب حاضر عند الراغب ، يتلو عليك قوله تعالى : « (٥) **وما خلقت الجن والانس الاليعبدون** » وقوله : « (٦) **انى جاعل فى الأرض خليفة** » وقوله « (٧) **يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ..** » الى كثير من الآيات .

وقد خص الله مخلوقاته بأعمال يؤدونها عن طريق الالهام أو الغريزة ، وخص الانسان بأعمال تقوم على العقل والبصيرة والقصد ، ليقوم بأشياء تحتاج

---

(١) الآية ٩ من البقرة .
(٢) الآية ٢٤ من المؤمنون .
(٣) الفرقان الآية ٧ .
(٤) الأعراف الآية ١٨١ .
(٥) الآية ٥٦ سورة الذاريات .
(٦) آية ٣٠ البقرة .
(٧) الآية ١٤ الصف .

الى صـــناعة وفن وابتكـــار ، مع الانتفاع بالزمان والمكان والحركه واستخدام الأعضاء ، وجعل لكل نوع من الناس مقاما معلــوما ، وهم فى حياتهم الدنيا متباينون ، منهم من يرتفــع الى المعـــالى ، ومنهم من يسقط الى الحضيض ، ومنهم من يبلغ شاوا يعجز غــيره عنه ، والى ذلك أشـــار اللــه فى ســـوره الواقعة فقال : « **وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحــاب الميمنـــه ما أصحاب الميمنة • وأصـــحاب المشأمة ما أصــحاب المشـأمة • والســابقون الســـابقون أولئك المقربون** » وقد بين الله جزاء كل نوع فى السورة نفســها فقـــال تعالى : « فأما ان كان من المقربين **فروح وريحان وجنة نعيم • وأما أن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين • وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم** » •

ومن طرائف الراغب الذهنيـــة أن العاصين يسعون فى نصرة الله من حيث لا يشعرون ، كفرعـــون فى التقاط موسى من اليم وتربيته وجمعه السحرة ليكون ســـببا فى ايمانهم ، وكخال اخوة يوسف منه حيث أفضى عملهم الى أن يتمـــكن يوسف من أرض مصر ، وليجــد اسرائيل وأبناؤه مستقرا فيها •

ومن نظراته الصائبة الماعه الى تباين الناس واختلافهم ليتعاونوا، فكل عمل يكمل الآخر ،وكل وظيفة تغنى الأخرى ويستشهد بقـــول الرسول : « لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تســـاووا هلكوا » وما نشاهده اليـــوم من تبـــادل المنافع والمعارف أجمع يـــدل على صدق نظريته •

وهو لا يترك حديث الاختلاف حتى يبين الأسباب ، ويرجعهـــا الى عوامل كثيرة ، منها : اختلاف الأمزجـــة والبيئـــة ، ويركز على اختلاف الآباء والأمهات ، ويجعل للوراثة شأنا ، وللتربية أكبر شأن، فحق الولد على الوالد أن ينشـــأ على الآداب الشرعيـــة ، وتعويده فعل الخـــير ، وتبغيضـــه فى الشر وأهله ، يؤخذ على ذلك من الصغر

حتى يشب وتشب معه مكارم الأخلاق ، وليكون انسانا جديرا بالسعادة فى الدارين .

شجرة النبوة

الناس فى حاجة الى الرسل ، والرسل والأنبياء صنف منفرد ، ونوع واحد ، شجرتهم سامقة ، ان أمرهم واقع بين الانسان والملك ، يشاركون الملائكة فى اطلاعهم على ملكوت السموات والأرض ، ويشاركون البشر فى أحوال المطعم والمشرب ، ولا عجب فى ذلك فالمرجان حجر يشبه النبات تشدب أغصانه ، والنخل شجر ولكنه كالحيوان فى حاجته الى التلقيح .

وقد جعل الله النبوة فى ولد ابراهيم ، ومن قبله فى نوح ، كما نبه عليه بقوله :

« (١) **ولقد أرسلنا نوحا و براهيم وجلعنا فى ذريتهما النبوة والكتاب** » فهم عليهم السلام وان كانوا من حيث الصورة كالبشر ، فهم من حيث الأرواح كالملائكة ، خصوا بالقوة الروحانية . قال تعالى فى عيسى عليه السلام « (٢) **وأيدناه بروح القدس** » وقال فى محمد صلى الله عليه وسلم : « (٣) **نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين** » وقد خصهم بهذا الروح ليمكنهم من الأخذ عن الملائكة لما بينهم من تناسب الأرواح ، ويلقونه الى الناس لما بينهم من خصائص البشرية ، لذلك قال تعالى : « (٤) **ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون** » تنبيها على أن ليس فى قوة عامة البشر الذين ليس لهم هذا الروح أن يقبلوا الا من البشر ، ولما عمى الكفار عن ادراك هذه المنزلة وعما للأنبياء من تلك الميزة أنكروا ما جاء به الأنبياء ، وقد حكى الله

---

(١) الحديد ٢٦ .
(٢) البقرة ٢٥٣ .
(٣) الشعراء ١٩٣ — ١٩٥ .
(٤) الأنعام ٩ .

قولهم : « (١) **قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين** » •

وعلى هذا فالأنبياء بالاضافة الى سائر البشر كالقلب بالاضافة الى سائر الجوارح ، ومنزلتهم من أممهم منزلة الشمس من القمر ، فكما أن القمر يستمد نوره من ضوء الشمس وهو قاصر عنها كذلك منزلة الأمم من أنبيائهم فلولا الشمس ما كان القمر منيرا ، ولولا الأنبياء ما عرف الناس أمور دينهم ودنياهم • وقد دل على هذا قوله تعالى : «(٢) **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم** » فالله يزكى الأنبياء بوساطة الملائكة ، ويزكى من يشاء بوساطة الأنبياء كالطابع الذى جعل له كتابة ، ثم بوساطته يثبت فى الشموع المختلفة شكل تلك الكتابة ، وكل التمثيل من كلام الراغب •

نزعة الانسان نحو السعادة

لكل شىء كمال ينساق اليه طبعا حسب قوانين الله التى بثها فى خلائقه ، « (٣) **أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** » والانسان ينزع الى كماله الى السعادة ، ويجهد فى سبيلها ، وقد أبيح له ما فى البر والبحر من نعم لا تعد ولا تحصى « (٤) **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** » والسعادات فى مجملها على ضربين : ضرب دائم لا يبيد وهو النعم الأخروية ، وضرب يحول ويبيد وهو النعم الدنيوية ، والنعم الدنيوية ــ عند الراغب ــ ما لم توصلنا الى السعادات الأخروية سراب بقيعة ، وغرور وفتنة وعذاب • والناس يخطئون فى فهم السعادة مع أنهم لا يذوقونها الا غرارا ، ما أقبلوا

---

(١) يس ١٥ .
(٢) البقرة ١٢٩ .
(٣) طه الآية ٥٠ .
(٤) النحل الآية ١٨ .

على لذة حتى شعروا بانقضائها ، وقد تجلب لهم السعادة لو جرت على التقوى والاحسان ، ونأت عن الاساءة والعدوان ، وكانت النية فيها رضا الله كما قال تعالى : « (١) **الذين أن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** » أما الذين أذهبوا سعادتهم بزهرة الحياة الدنيا ، وعموا عن وجه الخير فيها فأولئك هم الموصوفون بقوله تعالى : « (٢) **انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون** » والسعادة الأخروية ليس لنا تصور حقيقتها ما دمنا فى العاجلة . قال تعالى : « (٣) **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين** » وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : « **أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** » .

ولم قصرنا عن تصورها ؟ واجابة الراغب أن هناك شيئين حالا بيننا وبين ادراك السعادة فى الدنيا مدارك الانسان فهو لا يتمكن من معرفة الشيء حتى يدركه بنفسه عن طريق حواسه واذا لم يدركه ووصف له كان كالأكمه توصف له المرآة ، وكذلك نحن لا ندرك اللذة الأخروية ونتصورها الا اذا طالعناها ، فاذا طالعناها شغلنا بها عن سواها ، الى ذلك أشار القرآن « (٤) **ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون** » والثانى تنوع اللذات تبعا للحواس ، فلذة العين فى النظر الى ما تستحسنه ولذة السمع فى الاستماع الى مايستطيبه ، ومثلهما الوهم والخيال ، والفكر واللمس ، وكل واحد من هذه القوى اذا عرض له آفة تعوقه عن ادراك اللذة ، فيكون الانسان كالمريض

---

(١) الحج الآية ٤١ .
(٢) التوبة الآية ٥٥ .
(٣) السجدة الآية ١٧ .
(٤) يس الآية ٥٥ .

لا يشتهى الماء وهو ظمآن ، واذا تناوله لم يجد له لذة .

واللذات الأخروية لا تدرك الا بالعقل المحض ، وأين العقول المحضة ودنيانا تغشيها بالضباب ؟ ولما أراد الله أن يقرب لنا معرفة تلك اللذات من أفهامنا ، مثلها بأنواع تدركها حواسنا ، فقال تعالى : « (١) **مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى** » ليبين لنا طيبها بما عرفناه من طيب المطاعم والمشارب وقال :« **مثل الجنه التى وعد المتقون** » ولم يقل الجنة لينبه الخاصة على أن ذلك تصوير وتمثيل .

ويرى الراغب أنه لا سبيل الى السعادة الا بأحد أمرين : أن يفارق الانسان هيكله ويخلف وراءه منزله ، أو أن يزيل قبل مفارقة الهيكل الأمراض النفسية التى تعوق عن السعادة . كما حكى عن الصحابى حارثة حيث قال للنبى : عزفت نفسى عن الدنيا فكأنى أنظر الى عرش ربى بارزا وأطلع على أهل الجنة يتزاورون وعلى أهل النار يتعاوون ، فقال له النبى : عرفت فالزم .

الزاد ليوم الميعاد

الانسان مسافر ، ومسافر الى ربه ، والسفر طويل ، ولابد له من زاد يبلغه مأمنه ، وللسفر مبدأ ومنتهى . والراغب فيما سطره جمع آدم وأبناءه فى طريق واحد مستشهدا بالقرآن من قوله تعالى : « (٢) **وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين** » وقوله تعالى : « (٣) **يأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه** » والانسان مجبول على طلب الراحة ، والراحة طلباتها كثيرة ، وهو فى طلبها على

---

(١) آية ١٥ سورة محمد .
(٢) آية ٣٦ البقرة .
(٣) آية ٦ سورة الانشقاق .

ضربين : الذين عموا عن الطريق قالوا : « **(١) ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين** » ولو عاش الراغب فى زماننا لرأى شعوبا كثيرة تعتنق هذ المذهب ، ورأى تحقيق الراحة فى المأكل والمسكن ، وكفى بالشيوعيين مثالا ، وهؤلاء فى هم ناصب ، وعذاب واصب ، وعمى كامل عن ادراك الحقيقة ، والضرب الآخر كانت له البصيرة والبصر ، فرأوا الدنيا قنطرة الآخرة ، فأعدوا للسفر الزاد الروحانى من المعارف والحكم ، والأخلاق الحميدة ، وحولوا الماديات الى نوع من الروحانيات بتزكية المال والأخلاق ، فكان جزاؤهم قول الله فيهم « **فأما الذين سعدوا ففى الجنة** » .

والموفق فى هذه الدنيا من اذا رأى نفسه قاصرة عن الجمع بين الأمرين اهتم بما يبقى وأقل العناية بما يفنى يراعى حكم الشرع ويستضىء بنوره مصغيا الى قوله تعالى : « **(٢) يأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور** » .

وقول رسوله : « **من كانت الدنيا أكبر همه فرق الله تعالى عليه همته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله تعالى شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة** » وهذا معنى قوله عز وجل :

« **(٣) من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب** » .

ويعلن الراغب أن التوفيق مرجعه الى الشرع والعقل ، ويتحدث عن العقل فيقول : ان العقل لا يهتدى الا بالشرع ، والشرع لا يتبين الا بالعقل فالعقل

---

(١) الآية ٣٧ سورة المؤمنون .
(٢) آية ٥ سورة فاطر .
(٣) الآية ٢٠ سورة الشورى .

كالاس والشرع كالبناء ، ولا يثبت بنـاء ما لم يكن أس ، ويذكـر الشـاهد والمثـل فى ذلك ثم يقرر أن العقل بنفسه قليل الغناء لا يكاد يتوصل الا الى معرفة كليات الأشياء دون جزئياتها ، فلا يعرف العقل مثلا أن لحم الخنزير والدم والخمر محرم ، وأن المحارم لا تنكح ، ولأهمية الشرع قال تعالى :

« (١) وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

فالشرع نور ودواء وشفاء ووسيلة لنيل المآرب الفاضلة ، والحياة الآمنة والراغب ينبهنا من وراء ما يذكره عن العقل أن من يعتمدون على عقولهم فقط يضلون من حيث يريدون الهداية ، ويشقون من حيث يريدون السعادة ، ومن ثم تحدث عن العبادة .

العبادة

وعلى طريقته فى تعريف أبوابه عرف العبادة بأنها « فعل اختيارى مناف للشهوات البدنية عن نية يراد بها التقرب الى الله تعالى طاعة للشريعة » .

واستخدم المنطق فى تحليل التعريف ، وانتهى الى أن العبادة ضربان : علم وعمل وحقهما أن يتلازما لأن العلم كالأس والعمل كالبناء ، والعلم أشرفهما لكن لا يغنى بغير عمل ، ولشرفه قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل يا رسول الله ؟ فقال : العلم ، فأعاد عليه السؤال: فقال : العلم فقال الرجل فى الثالثة : أسألك عن العمل لا عن العلم ، فقال عليه السلام : عمل قليل مع العلم خير من عمل كثير مع الجهل .

والعلم ضربان : نظرى وعملى فالنظرى اذا علم كفى ، ولم يحتج الى عمل كمعرفة وحدانية الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ومعرفة السموات والأرض والعملى اذا علم لم يفن حتى يعمل

---

(١) أية ١٥ الاسراء .

به كمعرفة الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وبر الوالدين .

والأعمال ثلاثة أضرب ، منها ما يختص بالقلب ، ومنها ما يختص بالبدن ، ومنها ما يشارك فيه البدن والقلب . والعلم اذا نظر اليه وهو مكتسب فاكتسابه عمل ، واذا نظر اليه قد اكتسب وتصور فى القلب خرج فى تلك الحال عن أن يكون عملا ، ومن وجه آخر ضربان ، واجب وندب ، فالواجب يقال له العدل ، والندب يقال له الاحسان، ويرتب على تقسيمه الثواب والعقاب فيقول : الفرض والعدل تحرى الانسان لما اذا عمله أثيب ، واذا تركه عوقب ، والندب والاحسان تحرى الانسان لما اذا عمله أثيب ؛ واذا تركه لم يعاقب ، والانصاف من العدل ، والتفضل من البر والاحسان ، فالانصاف هو مقابلة الخير من الخير والشر من الشر بما يوازيه ، والتفضل والبر مقابلة الخير بأكثر منه والشر بأقل منه ، فالاحسان والتفضل احتياط فى العدالة والانصاف ، ليؤمن به من وقوع خلل فيه ، مثال ذلك اذا زدت فى اعطاء ما عليك ونقصت فى أخذ مالك فقد احتطت وأخذت بالحزم كدفع زيادة زكاة الى الفقير ، وترك ما أحل لك أن تتناول من مال اليتيم ؛ فالعدالة ان كانت جميلة فالتفضل أجمل منها ، ولذلك قال تعالى فيمن استوفى فتحرى العدالة : **« (١) ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل »** وقال سبحانه بعده : **« (٢) وأن تعفوا أقرب للتقوى »** وقال عز وجل : **« (٣) ولا تنسوا الفضل بينكم »** اشارة الى أن الاحسان حسن والتفضل أحسن ، والله يقول : **« للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »** فالانسان انما يكون محسنا متفضلا بعد أن يكون عادلا منصفا ، فأما من ترك ما يلزمه ثم تحرى ما لا يلزمه فانه

---

(١) آية ٤١ الشورى .
(٢) الآية ٢٣٧ من سورة البقرة .
(٣) الآية ٢٦ من سورة يونس .

لا يقال له متفضل ولا يجوز تعاطى التفضل الا لمن كان مستوفيا وموفيا لنفسه • فأما الحاكم المستوفى والموفى لغيره فليس له الا تحرى العدالة والنصفة •

والانسان فى استفادة العلم وافادته ثلاثة أحوال : حال استفادة فقط ، وحال استفادة ممن فوقه وافادة لمن دونه ، وحال افادة فقط ، وقل من يستحق أن يوجد مفيدا غير مستفيد ففوق كل ذى علم عليم ، الى أن ينتهى الأمر الى علام الغيوب ، وانظر الى موقف موسى من الخضر وقوله له: **« هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا »** وجواب الهدهد لسليمان : **« أحطت بما لم تحط به ... »** تجد أن الكبير قد يفتقر الى الصغير فى بعض العلوم، فما دام الانسان يدب على الأرض فعليه ألا يخرج عن كونه مفيدا ومستفيدا ، ورسولنا يقول : الناس عالم ومتعلم وما سواهما همج • وهذه من الراغب لمحة دالة ، وتوجيه متوهج ، يدعونا الى طلب العلم من مظانه ، وأن يكون سبيلنا التقدم وتحقيق الحضارة ، وفى عصرنا عصر التخصصات ينبغى لنا أن نسأل أهل الذكر فى العلوم الدينية والدنيوية على السواء •

عود الى العبادة

العبادة تزكية لنا ويرجع نفعها علينا فى دنيانا وأخرانا ، والله غنى عن العالمين ، ولكنه أحنى علينا من حنو الام على وحيدها ، فهو يرشدنا الى العبادة لتطهير أنفسنا بازالة الأنجاس والأمراض النفسية وكسب الطمأنينة ، وفتح أبواب الأمل نحو حياة أجمل وأفضل •

وكما أن الانسان يرتاح الى نظافة بدنه وثوبه ومكانه فكذلك ينتعش وتأخذه الأريحية اذا برىء من الجهل والشره والعجلة والشح والظلم ، جامعا بين جوانحه العلم والعدل والسخاء والوفاء ، فتكون حياته فى الدنيا ربحا موفورا ، وكسبا كثيرا ، وفرق شاسع بين من اهتدى فاطمأن ، ومن ضل فحار واضطرب • ويقول الراغب : ان

الانسان منظور مع اصلاح نفسه، وصحيح أنه مخير ، وأن الله يقول فى شأنه « (١) **انا هديناه السبيل اما شاكراً وأما كفوراً** » وأن طريق الشر أمامه كطريق الخير ، لكنه اذا اهتدى الى الخير الفه وتعوده واذا تعوده تطبع به ، واذا تطبع به صار له طبعا وملكة واذا تمكن منه الشر فالخير فيه منظور اليه مأمول فيه ، ولولا ذلك لبطلت فائدة الوعظ والانذار والتأديب • وتلك نظرة متفائلة منه تدعونا الى استخدامها فى اصلاح من غلبهم الشر •

فضيلة الموت

ناقش الراغب منكرى المعاد والنشأة الآخرة ، ووصفهم بالجهل والسفاهة ، وأن عقولهم لم تتسع لادراك خاصية الانسان ، وهو « النظر الى العواقب » ولم يجعل الله له هذه الخاصية الا لأمر جعله الله له فى « العقبى » والا كان وجود هذه القوة فيه باطلا ، فلو لم يكن للانسان عاقبة ينتهى اليها غير هذه الحياة الدنيا لكان أخس البهائم أحسن منه حالا • وخلص من هذا النقاش المنطقى — وهو طويل — الى الموت وفضيلته ،وعرفه بأنه مفارقةالروح للبدن ، وهنا تظهر فضيلة الموت ، فبه يصل الانسان الى النعيم الأبدى : انه انتقال من دار الى دار ، فهو وان كان فى الظاهر فناء فهو فى الحقيقة ولادة ثانية ، ولادة سابقة ، فمن شرط كمال الانسان أن يفارق هيكله ، ليكون مهيأ لحياة أشرف وأرفع ، وقد سماه الله توفيا وامساكا عنده ، فقال تعالى : « (٢) **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى** » ولهذا تقول العرب : استأثر الله بفلان ، ولحق بالله ونحو ذلك ، ولذلك أحب الموت من آمنوا ووثقوا

---

(١) آية ٣ الانسان •
(٢) الآية ٤٢ الزمر •

بمقعدهم الكريم عند ربهم وكرهه من كفروا وعصوا ومن خافوا ذنوبهم . والرسول يقول : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » ولولا الموت ما وصلنا الى الجنة التى وعد بها المتقون ، فقد من الله به على الانسان فقال : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » فقدم الموت على الحياة تنبيها على أنه الموصل الى الحياة الحقيقية ، وعده علينا فى نعمه فقال: « (١) وكنتم اموانا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » فجعل الموت انعاما ، لأنه لما كانت الحياة الأخروية لا وصول اليها الا بالموت كان الموت نعمة ، لأن السبب الموصل الى النعمة نعمة ، ولذلك أحبه الأنبياء والأولياء والصالحون وكانوا يتوقعونه ويرون أنهم فى حبس فينتظرون المبشر باطلاقهم وفى هذا روى : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » .

وما الموت الا نقض للبنية لاعادتها على وجه أشرف كالنوى المغروس الذى لا يصير نخلا مثمرا الا بعد افساد جثته ، وهكذا الانسان بخروج روحه من جسده يصلح لحياة أشرف وأبهج وأبقى وأسعد .

وبعد

فان ما قدمته لك من هذا الكتاب قل من كثر ، ولكنها سبحات فى أضواء من المعرفة التى تستمد نورها من كتاب الله وسنة رسوله ، وأرانى قد أبحت لنفسى استخدام أسلوب العصر الا فى الموضوعات التى استخدم فيها منطقه، وأساليبه القائمة على التعليل والتفصيل بعد الاجمال وأسلوب الكتاب علمى متأدب ، فيه الاصطلاحات العلمية وهى يسيرة بجانب الأساليب التى يخفق فيها قلبه وتتوهج فيها مشاعره ، ولأنه يبنى معلوماته على حقائق أكثر من الاستشهاد بآيات كثيرة من القرآن الكريم ، ولم

---

(١) الآية ٢ سورة الملك .
(٢) ٢٨ البقرة .

يهمل الاستعانة بالأحاديث النبوية، ولم يذكر من أقــوال الصــحابة الا أقوال على كرم الله وجهــه ، وقول واحد لأبى بكر رضى الله عنه وأغلب الظن أن لعلى قدما ثابتــة فيما هو بصدده فلذا تمثل بقــوله مرة ومرة ، ولا تظن أن الرجــل شيعى ، بل هو سنى من قمة رأسه الى أخمص قدمه ، ومنهجه كمــا رأيت مبنى على تسلسل الأفكار ، وترابط الموضوعات ، ممــا دفعنى الى تناوله تناولا يسير على منهج انقصة التى تسلمك من منظر الى منظر ، راجيا لك أن يلقى منــك تبولا ، ونفعا وسعادة فى الدارين.

وكتاب « تفصيل النشــــأتين وتحصيل السعادتين » فى حاجة الى طبعة جديدة أنيقة محققة ، حتى يستقر فى أيدى القراء ، فيرتفع بهم عن أو ضار الحياة الى مناط الملأ الأعلى . والله الموفق للصواب .

السيد حسن قرون

* * *

شخصية فى سطور

بقلم سعيد عبد الحى

نسبه الطاهر : هو الحسن بن على بن ابى طـالب الهاشمى القـرشى

مولده • ولد رضى الله عنـه فى منتصف شهر رمضان من العـام الثالث الهجرى بالمدينة المنورة •

تسميته رضى الله عنه • سـماه والده (حربا) وسماه جده حسن• وهذا الأسـم لم يكن معـروفا فى الجاهلية وكناه أبا محمد •

وانشرح صدر فاطمة بوليـدها **الأول فجعلت ترقصه وتقول :**

أشـبه اباك يا حسـن
واخلع عن الحـق الزمن
واعبـد الهـا ذامـن
ولا تـوالى ذا الأجـن

حب الرسـول لجفيـده . رأى المسلمون حب الرسول الشديد له فسألوه عن ذلك الحب الشـديد فقال : « ان هذا ريحانتى وان هذا ابنى سيد وعسى الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين » •

خلافته رضى الله عنه بويع لـه بالخـلافه مـن أهـل العراق بعد مقتل أبيه سنة ٤٠ هـ فبلغ معاوية خبره فقصده بجبشـه فى موضع بقال له « مسكن » فهال الحسن ان يقتل المسـلمون فكتب الى معاوية يشترط شروطا للصلح ووافق معاوية فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الامر لمعـاويه سنة ٤١ هـ • وفاته توفى سـنة ٤٨ هـ على الصحيح •

سعيد عبد الحى

هكذا يكتب القراء

إعداد عبدالعزيز احمد جبرة

« شباب الاسلام »

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ جمال بشطر محمد قائلا :

ان الشباب هم أشبال الحاضر ورجال المستقبل وقواده بهم تنهض الشعوب وقد حظى بهم الاسلام لانه ينشأ ليطبق ما تعلم ليساير ركب الحياة الذى لا يتوقف حيث أراد الله واستشهد الكاتب فى كلامه بقصة سيدنا يوسف عليه السلام وحكايته مع امرأة العزيز وكان ذلك فى شبابه فاعتصم بالله وابتعد عن الفاحشة رغم نشوة الشباب ثم ننظر الى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شبابه كان مثلا يقتدى به ونبراسا يهتدى به فقد ابتعد عن الهوى واللهو والمجون واختار لنفسه (صلى الله عليه وسلم) الطريق الصحيح فلا يمرح أو يمزح كما يفعل شباب قومه وفتيانهم ولكنه كان يذهب بعيدا ليفكر فى هذا الكون ومابه من عجائب وبدائع أبدعها الله سبحانه وتعالى ويرى الكاتب أن الانسان حينما يمضى شبابه فى طاعة الله والبعد عن معصيته فقد أغتنم فرصة كبيرة بخلاف غيره من الشباب يظل فى لهوه ولعبه حتى يأتيه المشيب وينحنى ظهره فيلجأ الى الله فأى الفريقين أقرب الى رحمة الله ، ولذلك قال رسول الله (ص) **لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه ، ومن هنا**

كان لرسول الله الشخصية القوية الصادقة الأمينة التى شــهد لها الأعداء قبل الأهل والأصدقاء وكان قدوة حسنة لمن كان يرجــو اللــه واليوم الآخر •

« بداية الطريق الى اللــه »

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ أحمد مهران موسى يقول :

ان الحق سبحانه وتعالى قــال على لسان سيدنا نوح عليه السلام: **« فقلت اســتغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا »** صــدق الله العظيم ان سيدنا نوح عليــه السلام أمر قومه بالاستغفار مــن الذنوب وعبادة الواحد الديان لأنه هو بداية الطريق الذى يصل بــه العبد الى ربه ليكفر عن ذنوبه وما أقترف فى ماضيه من الذنــــوب والمعاصى وان للاستغفار فوائــد عظيمة فهو تطهــير للانســـان من الذنــــوب ونــدم عـــلى ما ارتكبه من خطيئة وهو يخــرج العبد من كل ضــيق وهــم وكرب مادام ملازما عليه لقوله ســيدنا رســول اللــه (ص) مــن لازم الاستغفار وداوم عليه آتاه اللــه من كل ضــــيق فرجـــا ومن كــــل هم مخرجا ومن فوائــد الاستغفار أيضا نزول الغيث وكثرة الاموال والاولاد والجنان والانهار التى هى قوام البشر وحيــــاتهم ولذلك عندما جاء رجل الى سيدنا عمر يسأله قلة المال وآخر قلــــة العيال وثالث قلة المطر فقال للجميع أستغفروا الله فتعجب الحاضرون فتلى قوله تعالى **« فقلت أستغفروا ربكم الى قوله تعــالى ويجعل لكم أنهارا »** ويتحدث الكاتب عن التوبة قائلا أنها الرجوع عن الذنب والكف عن المعصية والاسترشاد الى الهدى ومنبع النور واخــلاص من القلب حتى تتصل أعمال العبد بربه لأنه الله طيب لا يقبل الا طيبا والتوبة عندما تكون صادقة وخالصة للــه تمحو ما قبلهــا من ذنوب وآثام فعلى الانسان أن يستغفر اللهدائما ويتوب من ذنوبه ويندم على ماسبق منه من عمل مخالف لأوامر اللــه ونواهيه حتى يحظى برضا الله عليه ويكون من الفائزين •

عبد العزيز أحمد جبره

الفتـــاوى

إعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين

ويجب عليها فضيلة الشـــيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر ..

السؤال الاول :

« اللحوم المستوردة »

ردا على ما جاء بمجلة النهضة بالعدد رقم ١١٧ لسـنة ١٩٨٠ م الصادر بسلطنة عمان على لسان الشـيخ حسن عبيدو ، والمتضمن ما نقل اليه من جهات عدة عن كيفية ذبح الدجاج واللحوم المستوردةمن بلاد أهل الكتاب وما حكم به فى هذه المجلة بحرمة أكلهـا على المسلمين عامة .

نفيد أنه لبيان الحكم الشرعى :

نرى أن الذبح اما أن يكـــون عن مشاهدة الآكل وحضوره وامـا أن يكون فى غيبة منه ، فان كان عن مشاهدته وجب لحل آكله منه أن يكون الذبح مستكملا لشروطه من قطع الحلقوم والاوداج بما ينهر الدم غير السن والظفر عند القدرة عليه سواء أكان ذابحة مسلما أم يهوديا أم نصرانيا لاطلاق قــول الله تعالى فى أهـل الكتـــاب « **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم** » فقـــد اتفق جمهور علماء المسلمين على أن المراد من الطعام هنـا ما ذكوه لا ما أكلوه لانهم يأكلون الخنزير والميتة والدم ولا يحل لنا من ذلك شىء باجماع ، أما اذا لم تستكمل الذبيحة شروط الذبح بيد مسلم أو كتابى فلا يحل لمن شاهـــد

ذبحها حينئذ من المسلمين أن يأكل منها لانها ميتة لفقدانها شرطا أو شروطا من شروط الحل .

فان ذبحت الذبيحة فى غيبة المسلم بيد مسلم أو كتابى أبيح للمسلم الأكل منها دون التحقق من استيفاء الذبيحة لشروط الذبح لان الاصل فى الاشياء الحل والاباحة لقوله تعالى **« هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا »** وقد أشار الى ذلك ابن رشد فى بداية المجتهد وابن حزم فى كتابه المحلى فقالا « كل ما غاب عنا مما ذكاه مسلم فاسق أو جاهل أو كتابى فحلال أكله وقد استدلا لذلك بما روى من طريق البخارى قال حدثنا محمد بن عبد الله أبو ثابت حدثنا أسامة بن حفص عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين « **أن قوما قالوا النبى صلى الله عليه وسلم** » أن قوما يأتوننا باللحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا فقال عليه السلام « **سموا الله أنتم وكلوا** » .

وجاء فى الخبر المشهور من طريق شعبة عن هشام بن زيد عن أنس ابن مالك « أن يهودية أهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة أو ذراعا فأكل منها » ولم يثبت أنه عليه الصلاة والسلام سأل عن كيفية ذبحها .

وعليه فمن شاهد مخالفة لشروط الذبح فى الذبيحة حرم عليه أكل شىء منها أما من لم ير مخالفة لشروط الذبح فى الذبيحة لانها ذبحت فى غيبة منه فانه يحل له الاكل منها لاطلاق قوله تعالى : **« وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم »** حتى لا يرتفع حكم آية التحليل جملة ولان الحرام ما ثبت حرمته بيقين ولان « **الدين يسر ولن يشاد أحد الا غلبه** » « **يريد الله** بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقد ورد فى البخارى « أعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سأل عن شىء لم يحرم على المسلمين فحرم من أجل مسألته » .

السؤال الثانى :

« زكاة العقار »

السؤال من السيد/عبد الوهاب يوسف التاجورى يقول فيه :

١ ــ فى أواخر سنة ١٩٧١

اشترينا قطعة أرض لبناء عمـارة سكنية فوقها •

٢ ــ فى أوائل سنة ١٩٧٣ شرعنا فى البناء مع فكرة تمليك الشقق •

٣ ــ وكان تمويل البناء من (أ) قرض من أحد البنوك (ب) مقدم ثمن بيع بعض الشقق • (جـ) بيـع الجزء الخلفى من الارض •

٤ ــ فى يوليو سنة ١٩٨٠ سلم الجزء الاول من الشقق المباعة ، وبقية الشقق جاهزة للبيع •

٥ ــ اشترينا من ناتج الشـقق قطعة أرض بهدف اقامـة مبنى للتمليك ــ أو للايجار •

٦ ــ اشترينا قطعة أرض بهدف استعمالها كلها مخازن للتجـارة الخاصة بنا ، أو بيع جزء منها بعد استيفاء أرض المخازن ــ الاسئلة •

والمطلوب معرفة الأشـياء التى تجب فيها الزكاة ومقدارها ــ ومتى تجب •

وما حكم الزكاة فى الارض يوم أن كانت مخصصة لبناء عمـارة سكنية بالايجار •

ثم بالنسبة لها بعـد أن خصص البناء للتمليك وأصبح من عروض التجارة ، والارض الفضاء المعدة للبيع ، المال المستعمل فى البنـاء والارباح الناتجة والشقق المجهزة للبيع وكيف يقدر ثمن الارض وثمن الشقق أعلى ثمن المشترى أم على الثمن الحالى •

وما الحكم بالنسبة للقـروض والمصاريف الشخصية له وللاسرة والمبالغ التى تدفع لهيئة التأمينات ومصلحة الضرائب وتكاليف انشاء مسجد من أرض وبناء مستوصـف خيرى لمعالجة الفقراء •

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن الزكاة **لا تجب** على الارض الفضاء المعدة لبنـاء عمارة سكنية عليها • وكذلك التى تهيأ لبناء مخازن للتجارة •

أما الارض الفضاء المعـدة للتجارة **فانها من عروض التجارة التى تجب فيها الزكاة** وذلك ابتداء من نية التجارة فيها • وكـذلك

الارض التى بنيت عليها الشـــقق للتمليك من يوم أن قامت الفكــرة لبناء شقق التمليك اذ أنها أصبحت من عروض التجارة .

والمطلوب فى الزكاة أن تقـــوم الارض المعدة للتجارة **وكذلك شقق التمليك بما لها من أرض بعد سنة هجرية من بدء الفكرة** ــ ويكـــون التقويم كل عام بالسعر **الواقعى لكل عام** الشقق والارض لا بسعر المشترى . ويضاف الى قيمة كل ذلك ما يكون مع المالك من أموال سائلة وقيمة سندات مملوكـــــة وديـــون له مضـــمونة عـــلى الغير للمالك ، ومن المجموع يخصـــم المصاريف الشخصـــية له ولاسرته وما تأخـــذه التأمينات والضرائب والقروض ثم ما فضل تجب فيـــه الزكاة يستوى فى ذلك **رأس المال والربح** ، والواجب اخراجه للزكاة هو ربع العشر (٢,٥٪) **أما الارض التى تبنى عليها عمارة ســـــكنية للايجار فان ايراد العمارة يضـــاف الى مال الانسان من أموال سائلة** ومســـــتندات ديون له على الغير مضمونة التحصيل وتخـــرج الزكاة كل عام بالنسبة **المتقدمة بعد خصم** ما عليه من قروض ومصــــــاريف وتأمينات وضرائب .

ويجوز المساهمة فى بناء المساجد، والملاجىء والمشافى ببعض الزكاة لا كلها . وكذلك المســـتوصفات الخيرية لانه صرف فى سبيل الله .

عبد الحميد شاهين

قالت الصّحف

إعداد عاطف زهران

ما هو موقف الاسلام من تغير الأحوال فى هذا العالم ·

نشرت مجلة « المسلم المعاصر التى تصدر ببيروت » فى عـــددها الثانى والعشرين افتتاحية جاء فيها :

هل يعتبر الاسلام التغير ظاهرة من ظواهر النمو والتقدم البشرى ، أم يعتبره انحرافا عن سنن الأولين ؟

المتتبع لآيات القرآن ومناقشته لقضية التغير على مدى التاريخ ، يجد أن التغير هو الأصل فى الحياة فيزيائيا وبيولوجيا واجتماعيا وتاريخيا وان مقياس الحكم على التغير لا يتعلق بمبدأ التغير ذاته ، وانما باتجـاه التغير ومدى التزامه أو ابتعاده عن قيم الحق والخير والجمال ·

فالاسلام يدعو الى التغير اذا كان الواقع بعيدا عن هذه القيم · وهو يدفع عجلة الحياة باستمرار فى اتجاه الرقى بالفرد والمجتمع نحو المثل التى تظل دائما مصباح الهداية ، ويظل التغيير بالاقتراب منهـا مقياسا للنمو والتقدم البشرى ·

هذا الموقف الاسلامى من التغيير ليس قاصرا على القيم العقيـدية والخلقية فحسب ، ولكنه شامل لجميع القيم الاقتصـادية والاجتماعية والسياسية والدولية · ومن هنا كان المسلمون ومازالوا فى طليعة الحركات الاصلاحية فى كل زمان ومكان ··

امـــال

مجلة منار الاسلام التى تصدر فى أبو ظبى ذكرت فى عددها الصادر فى صفر ١٤٠١ هـ افتتاحية • نقتطف منهـا الكلمـات التاليـة : الوحـدة الاسلامية أمل يراود كل قلب مسلم ، والمحاولات التى قامت وتقـوم للوحدة فى العالم الاسلامى لاترتكز على ايديولوجية الاسلام ،بل اعتمدت على غيره من الأيديوجيات •

ومن ثم فشلت • وفشلها ليس فشلا للاسلام ، ولكنه يكون مسئولا اذا اتخذ منهج وحدة وضابط فكرة ، ولا بأس أبدا بأن تكون معه روافد أخرى من اللغة والأرض والتاريخ والمصلحة ، فانها معينة غير مثبطة ، وانها أيضا مقوية منشطة • ولا نكون مسرفين فى الآمال لو تصورنا قيام وحدة شاملة لهذه الرقعة الشاسعة من الأرض ، ولايكفى فى الاصـلاح الاسلامى الآن أن يعيش المسلمون واقعا ثقافيا واقتصاديا متوجدا • بل لابد من بناء دولة الاسلام التى نعم بها المسلمون فى القـرن الأول من تخوم الصين شرقا الى جبال البرينية فى جنوب فرنسا غربا ، فى وقت لم تكن فيه وسائل الاتصال بالشكل الذى يحظى به عالم اليوم •

الحكمة ضالة المؤمن

صحيفة الرائد الهندية تذكر فى عددها السابع والثامن من سـنتها الثانية والعشرين كلمة للكاتب الاستاذ محمد واضح رشيد الندوى جـاء فيها ، لعل أكبر اعتداء على التاريخ وأكبر تضليل وتشـويه للواقع هو القول بوجود التزمت والتحجر فى المسلمين رغم أن التاريخ الاسـلامى فى جميع عصوره خال من الاكراه والاستبداد الفكرى ، على أساس الدين أو التحيز على أساس عنصر أو جنس أو لون • فبينما يقدم التاريخ أمثلة لمشاركة المماليك فى الحكم بكل حماس واخلاص ، يقدم أمثلة لمشـاركة الموالى فى النهضة العلمية •

لقد ظل المسلمون فى سائر عصورهم يتبادلون التجارب والحكمة فى كل ميدان ، ويقتنون ما طاب وراق من سائر المصادر ، بغض النظر عن العقيدة الدينية • ووصل بسبب هذا التسامح والتوسع وحرية الفكر والحرص على توسيع المعرفة عدد من رجال العلم والأدب من غير المسلمين الى مناصب عالية • وكان هؤلاء العلماء يتمتعون بحرية تامة فى نشر علومهم وافكارهم • وقد استدعى الخلفاء والحكام المسلمون علماء من اليونان والهند ، وبلاد فارس ، لنشر العلم ، ونقل العلوم بدون أن يكرهوهم على تغيير عقيدتهم أو فرض قيود على تحركاتهم وانتقالاتهم والتقاءهم بالمسلمين • فاستفاد المسلمون من ثمار النهضة العلمية والعقلية التى كانت بلاد الروم والفرس قد وصلتا اليها • ثم وسعوا نطاق هذه العلوم ، وأقاموا بجهود مشتركة من العلماء من مختلف الجنسيات صرحا جديدا للعلم والفن والأدب •

وقد تأثرت الحركات العلمية والمذاهب الفكرية فى التاريخ من الفكر الذى حمله العلماء من مختلف الجنسيات بقدر احتكاكها واتصالها بهم مع الاحتفاظ بجوهر العقيدة الاسلامية • وكان هذا الالتقاء والتلقيح العلمى والفكرى ميزة للحياة الاسلامية فى سائر عصورها •

نحو معايشة صادقة

ذكرت مجلة (الضياء الاسلامية) التى تصدر فى دبى كل شهرين كلمة افتتاح من عددها السابع من السنة الثانية جاء فيها : جهود كبيرة تبذل من الجميع لتحقيق تعايش صادق تعيش فى ظله أمم الأرض لتنعم بالأمن والسلام والاستقرار • بدأ الانسان سيره نحو ذلك الهدف منذ بدء الخليقة ، وناضل لأجل ذلك مخترقا معوقات الجهل وحماقات الغرائز التى تدفعه نحو الفتن والشجار •

وأنزل الله عليه الكتب السماوية التى ترسم له الطريق الى تهذيب النفس والمجموعة • وأرسل اليهم الرسل والأنبياء والمصلحين ليقولوا

ويقودوا الركب ، ويحدوا الانسانية الى تعايش صـــادق ، وسار الركب نحو المسعى النبيل ، وعمل جاهـــدا وتحت كل الظروف رخاءا كانت أم شدة ، ثراء أم فقرا ، قوة كانت أم ضعفا ، ساعيا نحو هدفه ، ومع تقدم المساعى ورغم طول المسيرة الانسانية ، ورغم تقدم المعارف ، فقد ظلت روح الشرور تعمل بجانب روح الخير • وهذه هى المناقشات الفردية تســـــمع فى كل بيت وفى كل ناد ، والمؤتمرات الصغرى والكبرى تنعقد وتنفض والدعاة فى كل مكان يتكلمون ويبشرون وينذرون ، الجمـــــوع البشرية تنظر الى أممها بين اليأس والرجاء وجاءت عصبة الأمم وما هى الا ســـنوات حتى أطاحت بها قوى الشر واندلعت حرب ضروس ظلت سنوات تأكل الشباب والرجال بل والنساء والأطفال ، وتحيل عمران الأرض خرابا ، وتجعل عاليها ســـــافلها • حتى اذا ما وضعت الحرب أوزارها تعالت الأصوات هنا وهناك : أن أفيقوا واجمعوا أمركم على تعايش سلمى يهنأ فى ظله الانسان ، وقامت الامم المتحدة ومؤسساتها الكثيرة التى شملت جميع جوانب البناء والاقتصاد والعمران • وهدفها الأكبر العيش فى سلام لينعم الجميع بالهدوء والسلام والاستقرار •

ولأن التاريخ لم يحتفظ فى ســـجلاته بأن أمة من الأمم احتفظت بمجدها من بدايته وحتى نهايته كاملا غير منقوص ولم يخبرنا بأن دولة قد احتلت مركز القوة الى الأبد ، ولم يحدثنا عن فقر استمر مخيما طوال القرون على مدينة أو قطر بل ينبئنـــا دائما بأن الأمم والدويلات كانت ولاتزال تتأرجح بين الغنى والفقر والقوة والضعف والهزيمة والانتصار فاذا كان كذلك فلم الاستبداد ؟ ولم العنصرية ؟ ولم الأنانية القاتلة ؟ ولم الثأر المضاعف ؟ انه انتقام يخبىء له القدر انتقامين ؛ وغدر يرصد له الغدر غدرين • لن يفلت الظالم • ولن يهزم المظلوم • تلك هى القاعدة الثابتـــة والتى تبرز ولو بعد مئات السنين • اذن لابد من التعايش الانســـانى العادل •

عاطف زهران

أخبار العالم الإسلامي

إعداد أحمد عبد الرحيم السايح

— سافر فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر الى المملكة العربية السعودية خلال الشهر الماضى لاختيار الفائزين فى جائزة الملك فيصل العالمية ، وقد التقى فضيلته فى المدينة المنورة بالامير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة كما التقى بعلماء وأساتذة الجامعة الاسلامية فى المدينة .

— تمكنت اللجنة الاستشارية الأولى للمشاريع المشتركة بين الدول الاسلامية من تحديد الخطوات العملية لانشاء السوق الاسلامية المشتركة .

— يعقد بالخرطوم فى مارس القادم بمشيئة الله المؤتمر العالمى للدعوة الاسلامية وستوجه الدعوة للمفكرين والعلماء من مختلف أنحاء العالم لحضور المؤتمر .

— تدرس الحكومة الألمانية الطلب المقدم من الاتحاد الاسلامى العربى التركى فى ألمانيا الغربية المتضمن اعتراف ألمانيا الرسمى بالدين الاسلامى .

— يعتزم الاتحاد الاسلامى العربى التركى فى ألمانيا الغربية اصدار صحيفة اسلامية « الاسلام » وستصدر الصحيفة فى ثلاث لغات هى العربية والتركية والألمانية .

— تقرر الزام طالبات المدارس بدولة الامارات العربية المتحدة بجميع مراحل التعليم بارتداء الزى الاسلامى .

ـ افتتح مؤخرا فى مدينة (نورث هانلى) الكندية أول مركز للدراسات الاسلامية • وفى مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة •

ـ كما تم افتتاح جامعة الشرق والغرب للدراسات الاسلامية •

ـ تبرعت الحكومة الدانمركية بقطعة أرض مساحتها ٢٧ ألف متر للجالية الاسلامية فى كوبنهاجن لانشاء مركز اسلامى ثقافى عليها •

ـ صدر الجزء الأول من الموسوعة الفقهية عن وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت • والجزء الأول يشتمل على قسم كبير من حرف الألف بدءا من مصطلح أئمة حتى مصطلح « اجزاء » •

ـ وصفت صحيفة (ناواى وقت) الباكستانية الدعوة الى قيام محكمة عدل اسلامية • بأنها خطوة عملية وجادة •

ـ فى شهر فبراير سيقام معرض متنقل للكتاب الاسلامى فى دول الخليج الاسلامى • تشارك فيه الدول الاسلامية •

ـ ٢٥٠ ألف مسلم فى استراليا من بينهم ٧٠ ألف مصرى يطالبون من القاهرة كل تسجيلات الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وبرامج اسلامية •

ـ وافق رئيس جمهورية (سيرى لانكا) على تأسيس ادارة للشئون الدينية والثقافية والأوقاف فى سيرى لانكا •

ـ عقد المركز الاسلامى فى مدينة سيونيخ مؤتمره السنوى العام لمناقشة الامور التى تهم الجالية الاسلامية فى ألمانيا الغربية •

ـ تقرر أنشاء كلية اسلامية للمعلمين فى شيكاغو بالولايات المتحدة الامريكية •

ـ احيل مشروع حد السرقة الى مجلس الشعب السودانى لدراسته واجازته •

— أكد المدعى العاه للجمهورية الموريتانية بأن عمليات الاجرام والسرقة قد انخفضت وفى طريقها الى الانحسار بعد أن طبقت أحكام الشريعة الاسـلامية .

— تبدأ فى مدينة « سبر نجفيلد » بولاية الينوى بالولايات المتحـدة الأمريكية اجتماعات المؤتمر السنوى الثالث لرابطة الشـباب المسلم العربى بأمريكا الشمالية .

— تقوم الجمعية الاسلامية فى « غويانا » وجزر الكاريبى ببناء مشروعين اسلاميين أحدهما جامع والآخر كلية .

— تم طبع خمسة ألاف نسخة من معانى القـرآن الكـريم باللغـة النرويجية حيث يعيش فى النرويج ٢٠ ألف مسلم .

— تصدر قريبا بالصين النسخة الكاملة لترجمة معانى القرآن الكـريم للاستاذ محمد مكين المدرس بجامعة بكين .

— تم بمدينة « ترور » بالهند تأسيس جمعية أسـلامية تحت اسم « جمعية الدعوة الاسلامية » وتهدف الى نشر رسالة الاسلام .

— يقوم معهد بندونج للتكنولوجيا باصـدار مجلة شهرية تهتم بالثقافة الاسلامية وتشرف على تغطية النشـاطات الدينية فى اندونسـيا بشـكل عـام .

— نشرت مجلة (كوريا اسلام هيرالد) أن قرية « سانق ريونق » الواقعة فى مقاطعة كيونق فى كوريا قد اعتنقت الاسلام وعدد افرادها ٦٣١ شخصا واصبح اسم القرية هو القرية الاسلامية .

— عقد فى مكة والطائف خلال الشهر الماضى مؤتمر للقمة الاسـلامية ناقش فيه ملوك ورؤساء العالم الاسلامى قضايا القدس وفلسطين خاصـة .

أحمد عبد الرحيم السايح

اخى الكاتب .. والقارىء

تهتم المجلة بمعالجة الموضوعات الآتية :

* الموضـــوعات التى تعالج موقف الدين من التيارات المادية الالحادية المعاصرة ، كموقف الاســـلام من الماركســية والوجودية ، ومذاهب المنفعة وغيرها من التيارات التى تتنازع شـــبابنا المعاصر .

* الموضوعات التى تعالج مشكلات الشباب المتعددة من نواحيها النفسية والاجتماعية وعلاج الدين لهذه المشكلات .

* الموضوعات التى تعالج النظرية الاقتصادية الاسلامية وتبحث عن حلول المشكلات الاقتصادية والرأسمالية والماركسية وتعمل على تأصيل الاقتصاد الاسلامى .

* الموضـــوعات التى تعالج بعض العادات والتقاليــد الاجتماعية التى تتنافى مع المبادىء والقيم الاسلامية نحو تكوين مجتمع اسلامى افضل .

* الموضوعات التى تقارن بين الاســـلام وتشريعاته والتشريعات والقوانين الوضعية فى سبيل ابراز أفضلية التشريع الاسلامى على هذه التشريعات البشرية .

فهـــرس العـــدد

الموضوع	صفحة
● كلمة فضيلة الامام الأكبر بمناسبة تطـــوير مجلة الأزهر	٦٥٨
● الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر	٦٥٩
● حديث الشـــهر	٦٦٠
● الاسلام والعالم الحديث بقلم رئيس التحـــرير	٦٦١
دراسات قرآنية	
● مع آيات خلق الانسان فى القرآن للدكتـــور محمد محمد خليفـــة	٦٤٤
● وجه الدلالة فى البيان للدكتور محمـــــد أبو موسى	٦٧٥
● اللغة والمجتمع للدكتور عبد الغفار حامد هلال	٦٨٢
تشريع اسلامى	
● التهجم على الافتاء للدكتور محمـــــد رجب البيومى	٦٩٨
● مصادر التشريع الاسلامى للأستاذ محمد صابر البرديسى	٧٠٥
أعـــلام الاســـلام	
● صفحة خالدة من التضحية والفداء للدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر	٧١٤
● أئمة الحديث النبوى من العلماء التابعين وتابعيهم للدكتور الحسينى هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية	٧٢١
● عبد الوهاب عزام أديب الاسلام للأستاذ محفـــوظ عزام	٧٢٨
● طرائف ... ومواقف اعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٧٣٥

الموضوع **صفحة**

من حضارة الاسلام

• **الايمان ضرورة نفسية**
للدكتور محمد سيد أحمد المسير ٧٤٠

• **الماركسية الصنم الذى يتحطم**
للدكتور عبـــد الغنى الراجحى ٧٤٦

• **حركة ترجمة الفكر الغربى الى العربية**
بقلم أنور الجندى ٧٥٤

• **لماذا يرفض الاسلام الماركسية ؟**
للأستاذ مجدى عبد الفتاح ٧٦٣

• **استقلال الشخصية الاسلامية**
للدكتور أحمد عمـــر هاشم ٧٧٦

• **هل ضاع من قدمى الطريق أو عز فى سيرى الرفيق ؟**
للدكتور محمـــد كمال جعفر ٧٨١

• **كتـــاب الشـــهر**
عرض الأستاذ/السـيد حسن ٧٨٧

• **شخصية فى سطور**
بقلم سـعيد عبد الحى . . ٨٠٨

• **هكذا يكتب القراء**
أعداد عبد العزيز أحمـــد جبرة . . ٨٠٩

• **الفتـــــاوى**
اعداد الأســـتاذ/عبد الحميد شاهين ٨١١

• **قالت الصحف**
اعـــداد عاطف زهران ٨١٥

• **أخبار العالم الاسلامى**
اعداد أحمد عبد الرحيم السايح ٨١٩

طبع بمطابع مؤسسة روزاليوسف

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

○ ◯ ○

العنوان : إدارة الأزهر بالقاهرة
تليفون : ٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

● ● ● ● ●

رئيس التحرير
د. عبد المعطي محمد بيومي
مدير الإدارة
محمد صابر البرديسي

صورة الغلاف

مشربية قديمة تظهر منها بعض آثار ومساجد مصر الإسلامية

الجزء الخامس — السنة الثالثة والخمسون — جمادى الاولى ١٤٠١ هـ — مارس ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

« كلمة التحرير »

هناك أشياء كثيرة نريد أن نقولها للقارىء فى هذا الحيز الضيق المخصص لهذه الكلمة ولسنا ندرى بأى شىء نبدأ أو ماذا نقدم .

فهناك ملحق أسبوعى (مجلة كاملة) سيصدر نصف شهرى مؤقتا بأسم « رسالة الازهر » تواكب تطور الفكر وتوالى القارىء المسلم بالتوجيه فى مشكلاتنا اليومية .

وهناك مناسبة أخرى تستحق التنويه ، وهى أن هذا العدد الذى بين يديك عزيزى القارىء لم يصدر منذ أكثر من نصف قرن لأن مجلة الأزهر كانت تصدر عشرة اعداد فقط كل عام ، ولكن ابتداء من هذا العدد ستصدر شهريا على مدار العام .

وهناك أشياء أخرى سنقولها فيما بعد ..

التحرير

حديث الشهر

قوة الإسلام المتجددة : لماذا ؟

ظن بعض الناس أن التطور العالمى بما حفل به من تغـيرات ، وازدياد فى الثروة سيؤثران على قوة الاسلام باضعافه وزحزحته فى كل المجالات فاذا بالثروة لا تعارض الاسلام ولا تحد من ازدياد الوعى الدينى بل كانت عونا له وسندا ، واذا بالتطور ومتغيراته السـياسية والاجتماعية والعلمية يدعم الدين ويكشف حاجة الانسانية اليه كعلاج للأوضاع العالمية الشاذة .

وربما كان هناك اشفاق على الدين فى الأربعينات وخوف عـلى مسـتقبله فى مواجهة الثورة العلمية وازدهار المذاهب الاجتماعيـة والاقتصادية : كالرأسمالية والشيوعية ، ولذا كان المتدينون يجهدون أنفسـهم فى اثبـات أن الدين لايعارض العلم ، أو انه لايمانـع الرخاء الأقتصادى والرقى الأجتماعى ، فاذا بالعلم ومكتشفاته يناصر الدين ، واذا بالتغير الاجتماعى والسـياسى يثبت ضرورته لهـذا العالم الذى لم تستطع المادية أن تريح ضميره ولم يستطع الرخـاء الاقتصادى أن يسد كل حاجاته ولم يقدم له العلم انجازاته فى خدمة الانسان بقدر ما قدم له انجازاته فى مجالات الحرب وأسلحة الخـوف

بقلم ... رئيس التحرير

والدمار ، حتى أن هذا العلم الذى كان أمل الانسانية وملاذها منــذ أربعين عاما ينتج الآن ســـلاح « النيوترون » الذى يميت الحيــاة والأحياء ، ويحافظ على المنشآت والمبانى ٠

وهكذا تقتل الانسانية نفسها بما ظنته أملها المرجو من قبــل ، ويخيب أملها فى كل شىء غير الدين ٠

وبلا أدنى تعصب نقول : ان الاسلام وحده هو الحـــق ، لأنه يزاوج بين الدين والدنيا ، ويقدم الأسس الاخلاقية والعملية لحياة دنيوية أفضل ، ويجعل الحياة هادئة ميسرة ٠

ولكى نبرهن على هذه القضية فاننا نرى العالم يعانى من عـــدة أوضاع هى التى تعكر صفوه وتجعل الحياة مظلمة بائسة من أهمها :ـ

- الخوف والقلق ٠
- الاستبداد والظلم ٠
- طغيان القوى الكبرى على القوى النامية والكيانات الصغيرة٠
- تراكم الثروة وتبديدها فى ترف غير ضرورى ، فى جانب من العالم ، وقلة الامكانات والفقر والموت جوعا فى جانب آخر ٠

وعند الرجوع الى الاسلام نجد أنه قد وضع الوقاية للحيلولــة دون ظهور هذه الأوضاع ، وحدد العلاج فى حالة ظهورها ٠

فظاهرة الخوف والقلق التى تعم العالم الآن ، ويشعر بهـــا كل انسان فى أى ركن من الأرض مهما كان موقعه بعيدا عــن الصراعات

الدولية لأنه ليس بعيدا من التهديد النووى ، فكمية الاسلحة التدميرية المخزونة الآن تكفى لتدمير الحياة البشرية كلها .

وليس بعيداً أن تتسبب غلطة صغيرة فى تدمير الأرض ، ويكفى أن نتذكر فى هذا المجال أن أمريكا أعلنت حالة الاستعداد فى قواعدها النووية فى احدى ليالى أكتوبر سنة ١٩٧٣ دون مشورة أو ابلاغ حلفائها الأوربيين ، وذلك كله لأن المصريين استطاعوا أن يستردوا جانبا من صحراء سيناء من اسرائيل !!

كما يكفى أن نتذكر أن الاتحاد السوفيتى يقتحم البيوت الآمنة ، وينتهك حرمات الشعب الأفغانى المسلم ، غير عابىء لا بالعالم الاسلامى الكبير الملىء بالثروة ، ولا بالقوة العالمية الأخرى ، مع أن هجومه على أفغانستان من شأنه أن يضايق هذه القوة ، ويقلب حساباتها وأسس الوفاق معها .

فاذا أضفنا أن الادارة الأمريكية الجديدة أعلنت سياسة « العصا الغليظة » أو سياسة « العين الحمراء » فى مواجهة التحديات السوفيتية فمعنى ذلك أن فترة قادمة من عمر البشرية ستكون ملأى بالمخاوف والمخاطر ، والقلق والترقب .

• أما عن الاستبداد والظلم فأنه باستثناء بعض الأماكن القليلة جدا فى العالم فان الديمقراطية تنهار أمام طغيان الاستبداد بحيث لايكاد الانسان يجد القدر الكافى من الحرية فى ظل نظم الحكم الشمولية التى تسود أكثر انحاء العالم مما تسبب كثيرا فى نشأة حركات النشوز والارهاب فى كثير من المجتمعات ، وقد تزايد عدد الحركات الارهابية فى العالم زيادة مروعة فى الفترة الاخيرة .

• ولم تضع القوى الكبرى علاجا نافعا لظاهرة الارهاب لانها نفسها سبب من أسباب هذه الظاهرة ، فهى لا تقيم العدالة ولا تحافظ

على استقلال القوى النامية ، والجماعات والشعوب المضطهدة حتى ان بعض السياسيين يرى أن الاستقلال فى عالمنا أصبح خرافة.فحقوق الانسان فى محنة والدول الكبرى تعمل على نشر مذاهبها بالقوة وراء الحدود وتقيم علاقاتها على اظهار القوة وتخويف الغير والتحرش .

ولو اتبع العالم هدى الاسلام فى ذلك كله ، لما كانت هناك فرصة لوجود هذه الأوضاع .

. فالاسلام لايعمل على نشر العقيدة وراء الحدود بالقوة ابتغاء توسع النفوذ ، لانه لا يقوم على الاكراه ويحترم اردة الانسان واقتناعه احتراما شديدا بعد أن يبين له الحق من الباطل يقول سبحانه : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » (البقرة ٢٥٦) .

جاء فى الوثيقة الاولى التى وضعها الرسول صلى الله عليهوسلم مع يهود المدينة :

« لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ (يهلك) الا نفسه وأهل بيته (١) .

ثم ان الاسلام يحترم حقوق الجار ، ففى الوثيقة نفسها .. « وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم » (٢) .

كما يرى الاسلام ان اساس العلاقات الدولية يجب أن يقوم على البر ، لا على العدوان والتحرش .

ففى هذه الوثيقة أيضا « وان يهود الأوس مواليهم وأنفسهم

---

(١) « سيرة ابن هشام » ص ١٤٩ جـ ٢ ص ٣ دار احياء التراث العربى : بيروت .

(٢) المصدر نفسه ونفس الصفحة .

على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض (الخالص) وفى رواية « مع البر الحسن » وفيها « وان الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » •

يقول تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » (الممتحنة ٨) •

وما شرعت الحروب فى الاسلام الا لمراعاة أمورأهمها :

ــ للدفاع ومقابلة المعتدى بمثل عدوانه قال تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » (البقرة ١٩٤) كما قال تعالى : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » (الممتحنة ٩) •

ــ كذلك كانت القوى الحاكمة تحول بين الناس والاسلام وتمنع دعوة الله أن تصل اليهم ، فلم يبدأ الاسلام بحرب هذه القوى الغاشمة الا بعد ان أرسل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الرسائل الى الملوك والأباطرة يدعوهم فيها الى الاسلام وان يبقوا على ملكهم وما تحت أيديهم ، ولهم حينئذ عز الدنيا والآخرة •

فليست الحرب فى الاسلام لأجل الاستعمار وتوسيع الارض واستيطانها واستغلال ثروات الشعوب يقول تعالى : « ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا » (النساء ٩٤) •

على أنه اذا قامت الحرب فان لها أدبا فى الاسلام لا تتجاوزه ، والسمة العامة لهذا الأدب : أنه لايجوز قتل غير المقاتل الذى يحمل السلاح ويتصدى للمسلمين ، فلا يجوز قتل الصبى والمرأة والشيخ بل

لا يجوز التعرض للرهبان فى صوامعهم ، ولا يجوز الاعتداء عـــلى المؤسسات المدنية ، ولا على الزروع والثمار ، وأدوات الانتاج •

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وســلم ــ « رأى امرأة مقتولة فى بعض مغازيه فأنكر قتل النساء والصبيان » (متفق عليـــه) •

كذلك ينهى الاسلام عن الخيانة والغدر وكثيرا ما نقل عن عمر رضى الله عنه « لا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا واتقوا الله فى الفلاحين كما روى عنه « لا تقتلوا هرما ، ولا امرأة ، ولا وليــــدا ، وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان ، وعند شن الغارات » •

وفى ضوء هذه التعاليم الاسلامية ما كان للعالم أن يعرف هذه الأسلحة المدمرة التى لاتفرق بين المقاتلين وغير المقاتلين ، ولا بيــن مؤسسات الحرب ومؤسسات الانتاج •

وفى ضوء هذه التعاليم تتضاءل اتفاقيات منع انتشار الاسلحة النووية التى تحلم بها البشرية التى تصبو الى الأمان •

وذلك بعض ما يقدمه الاسلام للعالم المعاصر مما يحتاج اليه • وذلك نفسه ما يعطى هذا الدين قوة متجددة •

وامتياز هذه التعاليم ناتج من أنها تحدد نطاق الحرب وميدانها وأدواتها كما أنها تحد من نشاط العلماء التجريبيين وتوجه هــــذا النشاط لخدمة الانسان فتمنع منذ البداية اختراع وســـائل الدمار الشاملة •

وقد جاء فى وصايا جابر بن حيان أن لاتعلموا الكيمياء الا لرجل تأمنون دينه خشية ان يصل بعلم الكيمياء الى اختراع مفاعـــلات مدمرة تخرج بالعلم عن رسالته فى خدمة الانسان •

ولكن الحضارة الغربية أطلقت للعلم زمامه ولم تضع له حدودا توجهه للخير فقط فما جنى الناس من وراء العلم الا الترويع والفزع ٠

ولم تفكر الحضارة الغربية فى هذه النتيجة وما دعا الداعون الى منع انتشار السلاح النووى فى العالم الا بعد فوات الأوان ولـــذلك فان الخير للبشرية أن تصغى لصوت الاســـــلام وتذعن لمبادئه فى السلام والحرب وفى توجيه الحياة وذلك خير لها وابقى ٠

دكتور

دراسات قرآنية

الإيمان ومقوماته

للدكتور / محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الازهر

هذا الكون العجيب الذى لا تدرك أسراره · ولا تسبر أغواره ، وهذا الملكوت الواسع بأرضه وسمائه ، وزرعه وثمره وكواكبه ونجومه ·· يوحى الى العقل بالتأمل ويصل بأصحاب العقول الراجحه الى نتيجة حتمية لا غموض فيها ولا خفاء ، وهى أن الأثر يرشد الى المؤثر ، والصنعة تدل على الصانع · ووجود المخلوق يؤكد وجود الخالق ·· ولكن من هذا الخالق ؟ وما حقيقة هذا الصانع الذى أوجد هذه الصنعة وأبدع هذه الآثار ؟

كل هذه الأسئلة تحتاج الى جواب · وتلح على الانسان منذ وجد ليظهر له الحق الذى يرشده ويهديه · ومن هنا كانت حاجة البشر الى الرسل والأنبياء ليكونوا سفراء بين الخالق وبين عباده يكشفون لهم الطريق الصحيح · ويرشدونهم الى العبادة السليمة والايمان الصحيح وهو الايمان الصادق بالخالق الرازق الواحد الأحد الذى بيده ملكوت كل شىء · والذى ليس كمثله شىء ··

وللايمان فى لغة العرب استعمالان لأنه أن تعدى بنفسه يكون معناه التأمين أى اعطاء الأمان ومنه قوله تعالى : « **وآمنهم من خوف** » وان تعدى بالباء أو اللام يكون معناه التصديق ومنه قوله : « **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم** » · وكلا المعنيين يهدف الى غاية واحدة هى الأمان والاطمئنان ·

وللايمان ركائز ومقومات لا يتم الا بها وقد أشار الله عز وجل اليها فى قوله : « **انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم**

ايمانا وعلى ربهم يتوكلون • الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون • أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » •• ففى هذه الآيات يبين الله صفات المؤمنين وأحوالهم التى يختصون بها دون غيرهم • وهى ، وجل القلب عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة آياته • والتوكل عليه دون سواه واقامة الصلاة والانفاق فى سبيل الله •• فيقول : **« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم »** وذكر الله يكون باللسان ويكون بالتذكر واستحضار القلب لعظمة الله وجلاله وانما بنى « ذكر » للمفعول ليكون أعم وأشمل اذ يتناول ذكر الانسان بنفسه • وسماعه الذكر من غيره • والوجل هو الخوف والفزع يقال وجل يوجل اذا خاف وفزع ومنه قول الشاعر :

لعمرك ما أدرى وانى لأوجل
على أينا تعدو المنية أول

وانما يخاف المؤمن ويفزع لدى ذكر الله استعظاما له وتهيبا من جلاله أو خوفا من عقابه •• وقد يبدو أن هناك تعارضا بين هذه الآية وبين قوله تعالى : **« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب »** وقوله فى آية أخرى : **« ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله »** •

ويجاب على ذلك بأن المؤمن لــه حالتان : حالة اطمئنان قلبى وهذه تكون عن شرح الصــــدر بمعرفة التوحيد • وحالة وجل وهى أنمــا تكون من خوف العقــــوبة أو من الهيبة التى يشعر بها المخلـــوق الضعيف أمام الخالق القوى •• ثم يقول سبحانه : « واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا » فتكشف هذه الجملة الحكيمة عن الصفة الثانية من صفات المؤمنين والمقصـــود بآيات الله القرآن الكريم • ومعنى زادتهم ايمانا أى يقينا وطمأنينــة نفس فان تظاهر الأدلة وتعاضــد الحجج والبراهين موجب لزيـــادة الاطمئنان وقوة اليقين • وقيل ان نفس الايمان الذى هو التصديق القلبى لا يقبل الزيادة والنقصـــان وانما زيادته باعتبار زيادة الأشياء التى يؤمن بها الانسان فكلمـــا نزلت آية صدق بها المؤمن فـــزاد ايمانه عددا أى كثرت الأشياء التى يؤمن بها وأما الايمان نفسه فهـــو بحاله •• ولكن الراجـــح الـــذى يميل له القلب وتعضده الأدلة أن الايمان الذى هو التصديق يقبـــل الزيادة والنقصان ، وذلك للفـــرق الظاهر بين يقين الأنبياء وأربـــاب المكاشفات • وبين يقين آحاد الامة وللفرق الظاهر بين ايمان الشخص الذى سمع وايمان الشخص الذى رأى وسمع •• ولأن النفـــوس البشرية فى تأثرها بالمعلـــومات المختلفة مثلها كمثل الأجســـام الصلبة فى تأثرها بالحفر والنقـــر فكلما كانت آلة الحفر حادة وكانت ضربات الحفار متكررة كان الأثـــر أعمق غورا وأبعد عمقا وأطـــول عمرا ، وكذلك كلما كثرت الأدلـــة والبراهين على شىء من المعلومات كان أشد رسوخا فى النفس وأعمق أثرا فى القلب ، بل ان النفـــوس البشرية لتختلف فى بعض الافراد عن البعض الآخر كاختلاف معادن الأجزاء المتنوعـــــة من الأرض • فهناك أرض تستجيب لمن يصلحها فى يسر وسهولة ثم تـــؤتى أطيب الثمرات • وأرض تحتـــــاج فى اصلاحها الى مجهود عنيـــف ثـــم تؤتى ثمارا أقل وأرض لاتصـــلح مهما بذل فيها من جهود وكـــذلك يختلف الناس فى ايمانهم باختلاف

نفوسهم واختلاف الأدلة والبراهين التى تتاح لهم .

وأما قوله تعالى : « **وعلى ربهم يتوكلون** » فهى جملة تفيد القصر وطريقة تقديم الجار والمجـــرور يعنى : لا يتوكلون الا على ربهم . ومعنى التوكل على الله الاعتمـــاد عليه دون ســـواء ، وهـــذه الحالة درجة عالية ومرتبة شريفة لايكـــاد يصل اليها الا القليل .

وفى مثل هؤلاء المتوكلين يقـــول الرسول صلى الله عليه وســـلم : « لو أنكم تتوكلون على الله حـــق توكله لرزقكم كما يرزق الطـــير تغدو خماصا وتروح بطانا (١) ».

وهذا التوكل المقصود فى الآيـــة هو التوكل النقى الخالص الـــذى يبعد كل البعد عن التواكل والاهمال لأن التواكل هو ترك الأســـباب الموصلة التى جعلها الله أســـاسا لعمارة الكون ونظامه ، والاســـلام يدعو الناس الى العمل وترك الامر بعد ذلك لله فى النتيجة التى تترتب على هذا العمل وحينما يرزق اللـــه الطير اذ تغدو خماصا وتروح بطانا فانما يرزقها لانها خـــرجت من أعشاشها لتبحث عن رزقها وتنقب عنه فى السهول والوديـــان وفى الاشجار والثمار وفى الانهـــار والبحار . ولو أنها بقيت حبيســـة العيش ونامت عن طلب رزقهـــا لوقعت فريسة للجـــوع والعطش ودفعت حياتها ثمنا للتواكـــل والخمول .. ولله قول عمـــر بـــن الخطاب رضى الله عنه « لا يقعـــد أحدكم عن طلب الرزق ويقـــول اللهم ارزقنى وقـــد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » .

ولما كانت الصفات الثـــلاثة المتقدمة وهى وجل القلب عند ذكر الله ، وزيادة الايمـــان عند سماع آياته ، والتوكل عليه ، لماكانت هذه الصفات من أعمال القلوب ناسب أن ينتقـــل منها الى أعمـــال الجـــوارح . ورأس الاعمـــال والطاعات المعتبرة فى ذلك الصلاة والصدقة . وهذا ما يتضمنه قوله تعالى « **الذين يقيمون الصـــلاة**

---

(١) رواه الترمذى وصححه .

ومما رزقناهم ينفقون » واقامة الصلاة أداؤها كاملة لانقص فيها ولا عوج . ويكون ذلك بالخشوع وتجرد النفس من النزوات والهواجس . أما مطلق القيام والركوع والسجود دون خشوع وخضوع فهى صلاة ناقصة لايتحقق فيها معنى الايمان الكامل.

والصلاة الناقصة لاتنهى عن الفحشاء والمنكر وانما تنهى عن الفحشاء والمنكر اذا صاحبها الشعور الدينى القويم الذى يصل الانسان بربه أثناء صلاته اذ يناجيه قائما وقاعدا وراكعا وساجدا . فاذا تمت هذه المناجاة على هذا الوضع الكريم والاساس السليم تمت اقامة الصلاة واكتملت مقوماتها وآتت ثمارها المباركة ؛ وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن (١) » .

والانفاق فى سبيل الله يكون بالزكاة المفروضة وبالصدقة النافلة وانما قدم الجار والمجرور فى قوله: « **ومما رزقناهم ينفقون** » ليفيد الحصر أى انهم لا ينفقون الا ممارزقهم الله وهو الحلال كما ذهب الى ذلك المعتزلة الذين لايعتبرون الحرام رزقا . ولاشك أن الصدقة النافلة لاتكون الا بعد أن تؤدى الزكاة المفروضة . لأن الصدقة النافلة تزيين وطلاء والزكاة المفروضة دعام وبناء ، ولن يتم الطلاء الا بعد قيام البناء.

وأخيرا وبعد ذكر هذه الاوصاف التى يتميز بها المؤمنون الكاملون جاء بما يؤكد ذلك فقال : « **أولئك هم المؤمنون حقا** » أى أولئك الموصوفون بما ذكر هم المؤمنون ايمانا حقا . فيكون بين هذه الجملة وما قبلها كمال الاتصال . و «حقا» صفة لمصدر محذوف أى ايمانا حقا أو مفعول مطلق لفعل محذوف أى حق ذلك حقا ...، ولاريب أن مثل هذا الايمان الكامل المقصود فى الآية انما يتحقق فى القليل من الناس فلقد روى أن الحسن سأله

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم

رجل : أو مؤمن أنت ؟ . فقــال : الايمان ايمانان ، فان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبــه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن ، وان كنت تسألنى عن قوله تعالى : **« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم .. الخ »** فوالله لا أدرى أنا منهم أم لا ؟

وأما قوله تعالى : **« لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريــم »** فهو واقع فى جواب سؤال تقديره : وماجزاء هؤلاء الموصوفين بالايمان الكامل ؟ فأجاب الله بقوله **« لهم درجات عند ربهــم »** واذا كانت . مقابلة الجمع بالجمــــع تقتضى القسمة آحادا فان المعنى حينئذ : لكل مؤمن درجته عند ربه ، وهــى درجة معنوية أى كرامة ومكانــة عالية ، والتنوين فى « درجــات » للتفخيم والتعظيم ، ولهم مع ذلك « مغفرة »عظيمة لما فرط منهــم « ورزق كريم » أى دائم مستمر كثير مقرون بالاكرام والتعظيــم وهو ما أعد لهم من نعيم الجنة .

وقال بعض المحققين معنى كون الرزق كريما أن رازقه كريم ومن هنا وصفوه بالكثرة وعدم الانقطاع فان من عادة الكريم أن يجـــزل العطاء ولا يقطعه فكيف بأكــــرم الأكرمين تبارك وتعالى ؟

وبعد فهذه مقومات الايمـــان ودعائمه ، وتلكم صفات المؤمنيــن الذين خالطت بشاشة الايمــان قلوبهم وامتزجت حلاوته بنفوسهم وسرت فيها مسرى الدم والجسم ولقد ضرب أسلافنا الأولون فى هذا المجال أروع الامثــال . وتألقت سيرتهم فى تاريخ الانسانية كمــا تتألق النجوم الهادية تحت قيــادة النبى العظيم . وفى ضوء ما أنزل عليه من الذكر الحكم . ومن الحق علينا ــ نحن المسلمين ــ أن نسير على نهج أسلافنا الأبــرار . وأن نتجه الى تحقيق الايمان فى حقيقته وجوهره لا فى شكله ومظهره . ومن سار على الدرب وصل ، **« ولـلــه العزة ولرسوله وللمؤمنين »** هذا . ومن الله العون وبه التوفيق .

دكتور محمد الطيب النجار

رئيس جامعة الازهر

الإسلام يؤلف القلوب ويحقن الدماء

لفضيلة الشيخ / مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى فى سورة آل عمران :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » •

(آل عمران : ١٠٣)

البيان

قارىء التاريخ يعرف ما كان عليه العرب قبل الاسلام من تفرق وشتات ، لا دين يجمعهم ، ولا حكومة تردعهم ، ولا قانون يحكمهم ، الههم هواهم ، ودنياهم غايتهم ، فلا هدف لهم فى تلك الحياة سوى تلك الحياة بنقائصها ومتناقضاتها ، وتراهم يعاقرون المسكرات ويحبون الفخر والحماسة ، ويحمون المستجير ولو كان ظالما ، الى غير ذلك من العادات والغرائز التى تحول بينهم وبين تقدير العواقب ، فلهذا كله كانوا محتربين متقاتلين ، لا تخبو بينهم نار ، طلبا لثأر ، أو حفاظا على كرامة يحسبون أنها مست من قريب أو من بعيد ، أو حماية لنزيل مستجير ، وان كان غير جدير ، أو غير ذاك من البواعث التى كانت تدفعهم الى اراقة الدماء ، مع امكان علاجها بالحكمة والأناة •

وأوضح دليل على ضآلة عقولهم ، وضحالة تفكيرهم : عبادتهم للاوثان ، واشراكها بالواحد الديان ، واسنادهم

الامطار والارزاق ، والامراض والشفاء منها ، الى أنصابهم التى يعبدون ، مع أنها لا تستطيع حماية أنفسها من الذباب **« وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب »** •

فلهذا كله بعث الله اليهم رسولا منهم ، فى حين أنهم لم يشرفوا من قبله بنبى عربى ، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى **« لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك »** •

فلما جاءهم محمد رسول الله ، دعاهم الى عبادة الواحد الاحد ، وترك عبادة الاوثان التى تشبه بيوت العنكبوت **« وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون »** •

كما دعاهم الى ترك التعصب لغير الحق ، وأفهمهم أن الحياة الدنيا وسيلة لا غاية ، وأن الآخرة هى دار القرار ، وأنها سبيل الى جنة ذات نعيم مقيم ، أو نار ذات عذاب أليم ، فأما الاولى فقد أعدت للمؤمنين أصحاب الخلق العفيف والمسلك النظيف وحب السلام ونبذ الفرقة والخصام ، والشدة فى الحق ، والرحمة وحسن المودة بين المؤمنين ، والتائبين المستغفرين •

وأما الثانية فقد أعدت للكافرين الجاحدين ، والملحدين والمفسدين ، والضالين والمضلين **« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »** •

أما من مات من عصاة المؤمنين دون استغفار ولا متاب ، فأمره الى مالك الملك والملكوت فان شاء شمله بعفوه وغفرانه ، وان شاء حاسبه على مآثمه ومعاصيه ، وفى كلتا الحالتين فهو أحكم الحاكمين ، وأكرم الاكرمين • والحازم الفطن من قدم تقواه ، وخاف العقاب على ما قدمت يداه •

وفى تبليغ الرسول لدعوة ربه ، لم يمنع الناس من زينة الحياة الدنيا وعمارتها والسعى فى سبيلها ، الى جانب العمل للآخرة ، مبلغا أمر ربه فى ذلك بقوله سبحانه **« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا »** •

أثر الدعوة عند العرب

ولقد شرح الله صدور العرب

لهذه الدعوة النظيفة الخالية عن الخرافات ، الحاقنة للدماء ، الداعية الى السلام ونبذ الخلاف والخصام ، الحاكمة بين الناس بالعدل ، المسوية بين طبقاتهم فى الاختصام الى الحكام ، الآخذة بأيديهم الى مناط العزة والمتعة ، فلهذا أقبلوا عليها فرادى وجماعات ، ثم دخلوا فى دين الله أفواجا ، فعزوا وعز بهم الاسلام ، ورفرفت ألويته على ربوع العالمين ، وفى ذلك يقول الله تعالى مذكرا لهم بما كانوا عليه وما آلوا اليه **« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا • وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها »** •

الاوس والخزرج قبل الاسلام

الاوس والخزرج قبيلتان مدنيتان ينتميان الى أصل واحد ، فأبوهما الذى يجمعهما اسمه حارثة بن ثعلبة ، وينتهى نسبه الى يعرب بن قحطان ، وأمهما الاولى التى تجمعهما اسمها قيلة ، وكانت القبيلتان مشهورتين بالانتساب الى أمهم ، فيقال لهم جميعا أبناء قيلة ، وكانت القبيلتان من مأرب باليمن ، فهاجرتا الى المدينة ، وكانت تسمى يثرب وقتئذ ، وكان فيها أسواق وحولها قرى محصنة يسكنها يهود بنى قينقاع والنضير وقريظة وقارسلة وزعورا وغيرهم ، فلما نزل بها الاوس والخزرج وشاهدوا مساكن اليهود وحصونهم ، ابتنوا المساكن والحصون ، الا أن الغلبة والحكم فى يثرب كان لليهود ، لسبقهم فى الهجرة اليها ، ثم رأى الاوس والخزرج أن يتخلصوا من حكم اليهود ، فان يثرب أرض الحرب ، وما اليهود الا مهاجرون اليها ، فحاربوهم حتى غلبوهم وانتزعوا السلطة والحكم منهم ، وظل أمر الاوس والخزرج على اتفاق ووئام واجتماع ، الى أن حدثت بينهم حروب عديدة وكان لليهود أثر فى الايقاع بينهم ، وتأليب بعضهم على بعض ، وكانت كل قبيلة منهما تستعين بطائفة من اليهود على الاخرى •

يوم بعـاث

كان بين قريظة والنضـير وبين الخزرج ثأر بسبب قتـل الخزرج أربعين غلاما كانوا رهنـا عندهم حتى لا يحـالفوا الاوس عليهم ، وانما قتلوهم بسبب ما علمـوه من أنهم حالفوا الاوس ردا على شاعر خزرجى وصمهم بالذلة حتى رهنوا أولادهم لديهم ، فلما علم الخزرج حلفهم مع أعدائهم من الاوس بعد قتلهم أولادهم ، جمعوا جموعهم وبعثوا الى حلفائهم من أشـجع وجهينـــة ، وبعثت الاوس الى حلفائهـا من مزينة ، ومكث هؤلاء وأولئك يتجهـزون للحرب أربعين يوما ، والتقوا ببعاث فى قريظـة ، وتخلف عبد الله بن أبى بن سلول ومن تبعه عن مشـــاركة قومه الخزرج فى قتالهم ، وتخلف بنـو حارثة الاوسـيون عن قومهم ، فلما التقى الجمعـان اقتتلوا قتالا شـديدا وصبروا جميعا ، ثم ان القتل اشتد فى الاوس ، وراح منهم ضحايا كثيرون ، فولوا منهزمين .

ولكن حضيرا والد الصحابى الجليل أسيد بن حضير لم يرض بالفــرار الذى كان من قومـه الاوس ، فعقر قدمه بسنان رمحه وقال : واعقــراه ، والله لا أعود حتى أقتــل ، فان شـئتم يا معشر الاوس أن تسـلمونى فافعلوا ، وكان حضـير قائدا لقومه ، فدافع عنه غلامان من بنى عبد الاشـهل يقال لهما محمود ويزيد ابنا خليفة حتى قتلا ، وأصاب سهم عمرو بن النعمان قائد الخزرج لا يدرى من أرسله فقتله ، فانهزمت الخزرج ، ووضع الاوس فيهم السلاح فاكثروا القتل فيهم ، فصاح صائح يا معشر الاوس : أحسـنوا ولا تهلكوا اخوانكم ، فجوارهم خير من جوار الثعالب – يريد اليهود – فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم ، وانما سلبهم يهود قريظة والنضير وكانت حرب بعاث آخر حرب وقعت بين الاوس والخزرج ، حيث جاءهم الاسلام فألف بينهم ، بعـد أن خسروا فى هذه الحرب معظم رؤسـائهم ، وكثيرا من رجالهم .

كيف ألف الاسلام بينهم ؟

بعـد الحـروب المتتابعـة بين الاوس والخـزرج طوال عشرات

السنين ، والتى كان آخرها حرب بعاث الهائلة ، التى أودت بمعظم شيوخهم ورؤسائهم بعد تلك الحروب التى أوقدت فى قلوب القبيلتين النار ، لم يكن أحد يدور بخلده أن يسكت هؤلاء أو أولئك عن الاخذ بالثأر ، ولهذا أراد من بقى من رؤساء الاوس أن يحالفوا قريشا على الخزرج ، اتقاء لثأرهم مما أصابهم يوم بعاث ، فأرسلوا اياس بن معاذ وأبا الحير أنس بن رافع مع جماعة يلتمسون ذلك الحلف فى قريش ، فلما جاءوا مكة ، لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم : هل لكم فى خير مما جئتم له ؟ أن تؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئا ، وقد أرسلنى الله الى الكافة ، ثم تلا عليهم القرآن ، فقال اياس بن معاذ : هذا والله خير مما جئنا له ، فحصبه أبو الحيصر ، وقال له : لقد جئنا لغير هذا فسكت :

ولما جاء موسم الحج بعد هذا اللقاء ، لقى الرسول فيه ستة من الخزرج ، وهم أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث من بنى النجار ، ورافع بن مالك من بنى زريق ، وقطبة بن عامر من بنى سلمه ، وعقبة بن عامر من بنى حرام ، وجابر بن عبد الله بن رباب (١) ، فدعاهم الى الاسلام ومعاونيه فى تبليغ رسالة ربه ، فقال بعضهم لبعض : هذا هو النبى الذى كانت تعدكم به اليهود ، فلا يسبقنكم اليه فأمنوا به ، وقالوا انا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، ووعدوه اللقاء فى العام القادم ، فكان منهم الوفاء والمبايعة .

ولعله يشير الى هذا اللقاء ما أخرجه الحاكم وأبو نعيم والبيهقى باسناد حسن عن ابن عباس قال : حدثنى على بن أبى طالب قال : لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب ،

---

(١) وهو غير جابر بن عبد الله الصحابى المشهور ، لانه كان صبيا حينئذ .

خرج وأنا معـــه وأبو بكر الى منى حتى دفعنا الى مجلس من مجالس العرب ، وتقدم أبو بكر وكان نسابة فقال : من القـــوم ؟ فقالوا : من ربيعة ، قال : من أى ربيعة أنتم ؟ قالوا : من ذهل ، فذكر حديثـــا طـــويلا فى مراجعتهم وتوقفهم عن اجابة الدعوة .

قال : ثم دفعنـــا الى مجلس الاوس والخزرج ، وهم الـــذين سماهم الرســـول صلى الله عليه وسلم الانصـــار ، لكونهم أجابوه الى ايوائـــه ونصروه ، قـــال : فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم) انتهى .

وفى موسم العام التالى قدم اثنا عشر رجـــــلا ، عشرة منهم من الخزرج واثنان من الاوس ، وفى الخزرجيين خمســة ممن اسلم فى العام الماضى ، فاجتمعـــوا بالنبى صلى الله عليه وســـلم عند العقبة وأســـلموا وبايعـــوه على أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولايزنـــوا ولايقتلوا أولادهـــم ولا يأتوا ببهتـــــان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصـــوه فى معروف ، كما بايعوه على الســـمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، وأن لا ينازعوا الامـــــر أهله ، وأن يقولوا الحق ولا يخافوا فى الله لومة لائم ــ وكانت هـــذه بيعة العقبة الاولى .

ثم انصرفوا الى المدينـــة بعـــد الحج ، وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم ، وكان الاسلام قد انتشر بين الاوس والخزرج ، فبعثوا الى النبى صـــلى الله عليه وســـلم أن يبعث اليهم من يقرئهم القرآن ، فبعث اليهم مصـــعب بن عمـــير ، وأمـــره أن يعلمهم أحكام الاســـــلام الى جانب اقرائهم القرآن ، وأن يجمـــع بهم ، وكان يسمى بالمدينة المقرىء والقارىء ، ويروى أنه بعث معه عبد الله بن أم مكتـــــوم ــ ابن خالة خديجة ــ ليساعده فيما جاء من أجله ، وكان المسلمون قد بلغوا أربعين كما رواه أبو داود .

وعلى يدى مصعب أسلم أسيد ابن حضير ، وتلاه ابن عمه سعد بن معاذ سيد الاوس ، ولما أسلم سعد رجع الى قومه بنى الاشهل ــ وهم

بطن من الاوس — وقـال لهـم : ما تعدوننى فيكم ؟ قالوا سـيدنا وابن سـيدنا ، قال : كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تسلموا ، فلم يبق بيت من بيوتهم الا أجابه ، ثم انتشر الاسلام فى دور المدينة ولم يكن لهم حديث سواه •

وفى العام التالى رجـع مصعب ابن عمير فى موسم الحج الى مكة ، كما جاءها خلق كثير من أهل المدينة مسلمين ومشركين ، وكان البـراء ابن معرور زعيم القوم •

ولما مضى الثلث الاول من ليـلة العقبة ، تسلل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وسـبعون رجلا وامرأتان بعد أن تواعدوا مع الرسول على ذلك ، وقد أوصـاهم أن لا ينبهوا فى ذلك الوقت نائما ، ولا ينتظروا غائبـا ، حتى لا تعلم قريش فتفسد الامر بينه وبينهم •

ووافاهم الرسـول هناك ، ولم يكن معه سوى عمه العباس — وكان على دين قومه — جاء ليسـتوثق لأمر ابن أخيه ، فقال العباس : ان ابن أخى لايزال فى منعة من قومه، حيث لم يمكنوا منـه أحـدا من أعـداءه ، وتحملوا فى ذلك أعظم المشقة ، فان كنتم وافين له ومانعيه ممن خالفه فأنتم وما تحمـلتم ، والا فدعوه بين عشـيرته فانهم لبمكان عظيم •

فقال كبيرهم البراء بن معرور : والله لو كان لنا فى أنفسنا شىء غير ما ننطق به لقلناه ، ولكننـا نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فقال الرسـول صلى الله عليه وسلم : أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شـيئا ، ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم •

فقـال الهيثم بن التيهـان : يا رسـول الله • ان بيننا وبين الرجال عهودا وانا قاطعوها ، فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ، فتبسم الرسـول وقال : بل الدم الدم والهدم والهدم يعنى انهم ان طالبوا بدم طالب به ، وان أهدروه أهدره •

فبايعـوه على ما طلب ، وتخـير

منهم اثنى عشر نقيبا ، لكل عشيرة منهم واحد ، تسـعة من الخزرج وثلاثة من الاوس ، ثم قال لهـم : أنتم كفـلائى على قومكم ، كفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومى — وهـذه بيعـة العقبة الثانية ولما بلغ خبرها قريشا طار صوابهم ، فجاءوا حيث ينزل الانصار ، فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم لصاحبنا تخرجونه من أرضنا ، وتبايعونه على حربنا ، فأنكروا ذلك ، وجعـل بعض المشركين من أهل المدينـة يحلفون أنه لم يحصل منهم ذلك ، لانهم لم يحضروا البيعة ولا علم لهم بهـا ، وعبد الله بن أبى بن سلول يقول : ما كان قومى ليفتاتوا عـلى بشىء من ذلك •

ثم هاجر النبى صـلى الله عليه وسـلم فى حماية الله ورعايته الى المدينة ، وهناك آخى بين المهاجرين والانصار ، وزالت المحن والاحقاد من نفوس الاوس والخزرج ، بعد الحـروب الدامية بينهم قبـل الاسـلام ، وأصبحوا بنعمة الله اخـوانا ، وفى ذلك يقـول الله مذكرا بنعمتـه عليهم بالاخاء بعد العداء « **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعـداء فألف بين قلوبكم فأصـبحتم بنعمته اخوانا ٠٠** » • الآية •

العبرة مما تقدم

من هـذه الوثيقـة القرآنيـة والتاريخية **ندرك أن للخصـام والمعاداة بسبب الاسـتماع الى دسائس الوشاة أصحاب المطامع أثرا قويا فى احـداث الفرقة والانقسام بين الاقارب والاحبة ، وأن هـذه الفرقة ان لم تعالج بالحكمة من أصـحاب العقول** الراجحة ، **والقلوب النيرة ، فانها تنتهى الى الصراع والقتـال ، والحرمان من الامن والسلام ، وأن الاعتصـام بكتاب الله والاحتكام اليه عن رضـا وطمأنينة ، يعيد للمتفرقين وحدتهم وللأعـداء** مودتهم ، ويؤلف بين **القلوب حتى** يعود أصحابها بنعمة الله اخوانا •

تورط المسلمين فى المتاعب

ولم يتـورط المسـلمون فى المتـاعب ، ويدب فيهم الوهن ، الا حين **عادوا الى خلق الجاهلية ،**

فنبذوا السـلام الى الخصـام ، والحفاظ على الحرمات الى اهدار الدماء ، وتحكيم الاسـلام فى خلافاتهم ، الى تحكيم أعـداء الاسـلام ، والاستماع الى دعاة الفتنـة ، واهدار موازين القوة ، ومبادىء الرشاد فى كتاب الله وسنة رسـوله ، والغفلة عن تذكر الله الرحمن الرحيم « ومن يعش عـن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » .

الضـحية الاولى لاعـداء الاسـلام

أول ضـحية لفتنة المتآمرين أعداء الاسـلام ، هو عمر بن الخطـاب رضى الله عنه ، فقد كان سعد بن أبى وقاص قائدا لجيشـه فى فتح فارس ، وكان من آن لآخر يبعث اليه بأسـارى الفرس وغنائمهم ، ومن هؤلاء الاسـارى قائد يسمى الهرمزان ، وهو رجل خـداع وداهية ، وقد تركه عمر بالمدينة طليقا ، وكان يرى أسارى الفرس يأتون تباعا فيأكل قلبـه الحقـد على عمر ، وكان أولئك الاسـارى يجتمعون بالهرمزان المذكور ، ومنهم أبو لؤلؤة ، وكان يقول : أكل كبـدى عمر ، لانه هو الذى أرسـل الجيوش الى الفرس ففعلت بها الافاعيل .

وكان بالمدينة رجل من نصارى الانبار أقدمه سـعد ليعلم أبناء المسلمين بالمدينة القراءة والكتابة ، اسمه جهينة ، وكانت الانبار تابعة للفرس ولجفينـة بهم الف ، فكان يجتمـع بالهرمزان وأبى لؤلؤة ، وقد رآهم عبد الرحمن بن أبى بكر يتناجـون وهم جلوس ، فلما رأوا عبد الرحمن وقفوا ، فسقط بينهم خنجر له رأسان ونصـابه فى وسطه .

وكان أبو لؤلؤة هذا عبدا للمغيرة ابن شعبة ، وأبو لؤلؤة كنيتـه ، أما اسـمه فهو فيروز ، وفى أحـد الايام كان عمر يمر بالسـوق ، فجاءه أبو لؤلؤة يشـكو له المغيرة من أنه جعـل عليه خراجا يوميا مقداره درهمان ، فسـأله عن صـناعته ، فقال : انه نجار حداد نقاش ، فقال عمر ما أرى خراجك بكثير على تلك الصـناعات ، لقد بلغنى أنك تقول : لو أردت أن أعمل

رحى تطحن بالريح لفعلت ، قال : نعم • قال : فأعمل لى رحى ، قال : لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بهـــا من بالمشرق والمغرب ، ثم انصرف يقول : لقد وســع الناس عـــدل عمر غيرى ، فقال عمر لسامعيه : لقد توعدنى العبد آنفا ولم يؤاخذه بهذا الوعيد ، بل كان فى نيته أن يلقى المغيرة ويوصـــيه أن يخفف عن عبده مروءة لاحقا ، وسيأتى ما يدل على ذلك •

وبعـــد أربع ليال وثلاثة أيام خرج لصـــلاة الفجر ، وكان يوقظ الناس فى طريقه الى مصلاه ليؤدوا معه صـــلاة الصبح ، ولما أقيمت الصلاة سوى عمر الصفوف ، ولم يكد يتجـــه الى القبلة حتى عاجله هذا العبـــد بالخنجـــر الـــذى رآه عبد الرحمن بن أبى بكر حين مر به وهو مجتمع مع الهرمزان وجهينة ، فطعنه به ست طعنات احـــداها فى بطنه تحت سرته ، وهى التى قتلته ، فدعا عمـــر عبد الرحمن بن عوف ليؤم الناس فى الصلاة •

ولما حمل الى منزله عرف من ابنه عبـــد الله أن قاتله هو أبو لؤلؤة ، فقال : ولماذا يقتلنى وقد أمرت به معروفا — يعنى أنه أوصى به سيده المغيرة بن شعبة أن يحسن اليه ، ثم حمد الله على أن قاتله لم يسجد لله ســجدة ، ولم يجعل الله له حجة يحاجه بها يوم القيامة أمام الله •

فانظـــر كيف أدى التآمر من أعداء الاســـلام الى ارتكاب هذا الجرم الفظيع ، الذى أصاب الامة الاسلامية فى أعز بنيها ، وأصوبهم رأيا ، وأعـــدلهم حكما ، وأقومهم قيلا ، وأعظمهم نشرا للاســـلام وتوحيدا للمسلمين •

فليحـــذر المســـلمون أعـــداء الاســـلام ، فلا يســـتمعوا لدسائســـهم ، ولا يتخذوهم أولياء لهم ، وليكن بعضـــهم لبعض وليا ونصيرا •

ولولا الاطالة لذكرت كثيرا من الامثـــال قديمهـــا وحديثهـــا ، وما يجرى اليوم بين المســـلمين والعرب خير شـــاهد على ما يبذله الاعداء من دسائس ، **« فليـــحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »** •

مصطفى محمد الحديدى الطير

الأحداث الكونية للقيامة
في ضوء الإعجاز العلمي للقرآن

للدكتور / منصور محمد حسب النبي

— ٢ —

ثانيا : زلزال الأرض :

كوكب الأرض هو : دنيـانا التى نعيش فيها ونتمتع بخيراتها • ونحن على سطح الأرض أشـبه ما نكون بركاب سـفينة فضـاء الهية ، سـقفها الغلاف الجوى ، تدور حول نفسـها ، وحول الشمس ، وتدور أيضا مع الشمس حول مركز مجرة سـكة التبانة ، وتتحرك أيضا مع هذه المجرة التى تجرى مع بلايين المجرات فى هذا الكون الشـاسع ، وعلى هذا فالأرض التى تراها ثابتة مستقرة سـاكنة ، هى فى الواقع كالدابة تتحرك ، بل ترمح وتركض بسرعات مختلفة ، دون أن تقذف بنا من على ظهرها ، ودون أن تتعثر خطـاها ، ودون أن نشعر بحركاتها ! • ولكن هذه الأرض الطيبة يمسـك الله بزمامهـا ، فلا تثور الا بقدر ولا تجمـح الا لثوان معدودات • فقد تتحـول من دابة ذلول الى وحش جامح ، اذا فتحت أفواههـا من براكين ، أو رقصت رقصـة الرعب فى الزلازل ، وغير ذلك من الظواهر التى تجعلنـا نحن معشر البشر ، كالفئران الصـغيرة المحصورة فى قفص الرعب ، حيث نقف جميعـا عاجزين عن كبح جماحها ، ولا نسـتطيع التدخل فى أحداثها ، ولا نملك مهما أوتينا من

العلم الا أن نسجد لله — سبحانه وتعالى — ونطلب منه أن يعيدها الى الهدوء والاستقرار • واذا كان هذا هو حالنا عند حدوث الزلازل العادية ، التى تقع فجأة فى أماكن متفرقة على سطح الأرض ، فما بالك بزلزال القيامة الذى سيحدث على نطاق واسع ليشمل الأرض كلها ! ، والذى يصفه الله — سبحانه وتعالى — بقوله :

« اذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها » •

(الزلزلة ١ — ٢)

ويبدو من الآية الكريمة أن بناء « زلزلت » للمجهول أسلوب بيانى لتركيز الاهتمام فى الحدث ذاته ، وللايحاء بأن الأرض تزلزل عن طواعية ، واستجابة لتسخير تلقائى من الله عز وجل • وأما التعبير بالفعل الماضى : فهو تأكيد لحدوث الزلزال فى المستقبل ، كما أن « اذا » لها أثرها البيانى فى هذا الموقف الذى يأتى بغتة امعانا فى الترهيب ، وأما اضافة الزلزال الى ضمير الأرض ، فيدل كما قال الزمخشرى : أنه زلزالها الشديد الذى ليس بعده زلزال ، وكما قال أبو حيان : زلزالها التى تستحقه ويقتضيه جرمها • وتستطرد الآية الكريمة لتؤكد أن الأرض سوف تخرج أثقالها عند حدوث هذا الزلزال العظيم • فما هى يا ترى هذه الاثقال ؟ وما سر اندفاع الارض للتخلص من هذه الاثقال وعدم التردد فى القائها ، والتخلى عنها اذا أتيح لها ذلك ؟ مصداقا لقوله تعالى :

« واذا الارض مدت ، وألقت ما فيها وتخلت »

(الانشقاق ٣ — ٤)

وللاجابة على هذا : فان العلم الحديث يؤكد وجود أثقال فى باطن الارض من الحديد والنيكل فى درجة ٥٠٠٠° مؤية ، وتحت ضغط ٤ر١ مليون ضغط جوى ! وكأن باطن الارض جهنم طبيعية ، تلتهب تحت بحارنا ومدننا ، وأننا واقفون الآن على ظهر لغم عظيم ، سوف ينفجر فى أى وقت ليدمر الأرض كلها ، بكتلتها التى تصل الى الف بليون بليون طن !

وطبقا لاحدث القياسات فى الطبيعة الارضية ، فقد ثبت علميا أن الارض تتكون من ثلاث طبقات ، هى على الترتيب ، من الخارج الى الداخل كما يلى :

(أ) القشرة الرقيقة :

وسمكها يتراوح بين ثلاثين وخمسين كيلو مترا فى مناطق القارات ، وستة كيلو مترات تحت قاع المحيطات • وفى أعلى القشرة الارضية توجد صخور رسوبية يليها طبقة من الجرانيت ثم طبقة أخرى من البازلت ، ثم طبقات من الصخور تزداد كثافة كلما ازداد العمق ، مع ملاحظة أن القشرة عند قاع المحيطات تتكون فقط من البازلت • وتتراوح كثافة صخور القشرة فى المتوسط من ٢ر٧ الى ٣ر٣ جم/سم^{3} عند سطح يدعى سطح موهو ، الذى يفصل القشرة عن الرداء •

(ب) الرداء :

ويصل عمقه تحت القشرة الى حوالى ٣٠٠٠ كيلو مترا ، ويتكون من صخور الاولفين التى تتزايد كثافتها الى ٥ر٥ جم/سم^{3} عند أسفل الرداء ، وهذه الصخور أكثر شبها بالسائل الكثيف اللزج منها بالجسم البللورى الصلب ، وتتكون غالبا من أكاسيد الفلزات الثقيلة كالحديد •

(جـ) القلب أو النواة :

ويمتد بعد الرداء مباشرة الى الداخل ، مسافة تصل الى ٣٤٠٠كم حيث تنتهى عند مركز الأرض • وقلب الارض يتكون من الحديد والنيكل مع نسبة ضئيلة من السيليكون والمواد المشعة ، وتصل الكثافة الى ١٢ جم/سم^{3} ودرجة الحرارةالى ٥٠٠٠° مئوية، والضغط الى أكثر من ٤ر١ مليون ضغط جوى !

وبذلك يتضح أن قلب الارض هو أثقل طبقاتها ، ونظرا لارتفاع الضغط ودرجة الحرارة فان هذه الاثقال سوف تندفع عندما تتصدع الارض نتيجة الزلزال العظيم يوم القيامة ، وبهذا تلتهب الارض ويحدث الدمار الشامل !

وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم » .

(الحج : ١)

ثالثا : نسف الجبال وتسييرها ؟

لقد ورد ذكر الجبال فى آيات قرآنية تتعلق بالقيامة وأشراطها ، ويتضح من هذه الآيات أن مصير الجبال يتفق مع الأحداث الكونية التى سبق شرحها . فالجبال سوف تتحرك حركة شديدة وتصبح رملا متناثرا بعد أن كانت حجارة صلبة متماسكة كما فى قوله تعالى :

« يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا » .

(المزمل : ١٤)

« اذا رجت الارض رجا ، وبست الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا » .

(الواقعة ٤ ــ ٦)

ونظرا لشدة الحرارة على سطح الارض يوم القيامة ، فان الجبال ستنفجر تلقائيا ، وبهذا يتم نسفها ، وتصبح كالصوف المنفوش المتطاير ، كما فى قوله تعالى :

« ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا . فيذرها قاعا صفصفا . لا ترى فيها عوجا ولا أمتا » .

(طه ١٠٥ ــ ١٠٧)

« يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش » .

(القارعة : ٤ ، ٥)

وسوف يكون المصير النهائى للجبال هو الزوال التام ، كما يتضح من الآيات الكريمة التالية :

« يوم تمور السماء مورا ، وتسير الجبال سيرا » .

(الطور : ٩ ، ١٠)

« واذا الجبال سيرت » .

(التكوير : ٣)

« وسيرت الجبال فكانت سرابا »

(النبأ ٢٠)

وزوال الجبال يقودنا الى الحديث عن زوال السماوات

والأرض ، عندما يحدث التصادم الكونى العظيم ، وتلتقى جميع المجرات بنجومها وكواكبها وأقمارها ، فى انفجار هائل تلتقى فيه المادة والمادة المضادة فيزول الكون . ان اصطدام الاجرام السماوية ليس بغريب مطلقا ، بل الغريب حقا هو عدم وقوع هذا الاصطدام ! وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة » .

(الحاقة : ١٤)

رابعا : زوال السماوات والارض :

لقد أشار القرآن الكريم الى فناء الكون بزوال السماوات والارض ، اذا تغير نظام هذا الكون بارادته سبحانه ، كما أشار الى عجز جميع الكائنات عن منع هذا الزوال عند حدوثه بقوله تعالى :

« ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده » .

(فاطر : ٤١)

« واذا السماء كشطت » .

(التكوير : ١١)

« يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار » .

(ابراهيم : ٤٨)

فتأمل معى هذه الآيات ، واعلم أن زوال السماوات والأرض واعادة تشكيلهما حدث حقيقى ، يعترف به العلم الحديث ، على ضوء اكتشاف المادة والمادة المضادة ، وتحول المادة الى طاقة ، وتحول الطاقة الى مادة ، طبقا لقانون أنيشتين !

فلقد اكتشف علماء الطبيعة منذ سنوات قليلة جسيمات ذرية مضادة للجسيمات الذرية العادية تماما ، كما اكتشف الانسان صورته فى المرآة ! . وعلى سبيل المثال فالذرة العادية تتكون من نواة بها بروتونات موجبة الشحنة ، ونيوترونات متعادلة ، ويدور حول النواة اليكترونات سالبة . أما الذرة المضادة فتتكون من الجسيمات المضادة فالبروتون الموجب له ضد يدعى البروتون

السالب • والنيوترون له ضـــديد يدعى النيترون المضـــــاد بعزم مغناطيسى معاكس • والاليكترون السالب له ضديد يدعى الاليكترون الموجب ، أو ما يسمى بالبوزيترون

•• وتشير الآيات الكريمـــة التالية الى هذه الحقيقة العلمية الهامة ، التى تم اكتشافها حديثا :

« ومن كل شىء خلقنـــا زوجين لعلكم تذكرون » •

(الذاريات : ٤٩)

« ســبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » •

(يس : ٣٦)

ولقد أصبح علماء الطبيعة الآن يبحثـــون تلقائيـــا عن الجســـيم المضـــاد ، اذا اكتشفوا أى جسيم ذرى جديد !

ومن خواص الجســـــــيمات المضـــــادة ، أنها تفنى سريعا فور تقابلها مع الجســـيمات العادية المناظرة لها ، لتحولهما معـــــا الى طاقة ، وذلك فى عملية افنـــاء ذرية معروفة لدى علماء الطبيعـــة ، وتم اكتشافها خلال التفاعلات النووية •

ولا يمكن الاحتفاظ بجسيمات المادة المضادة فى عالمنا • ويتوقع العلماء أن ذرة المادة المضادة لا تختلف فى صـــــفاتها عن ذرة المادة العادية ، واحداهما صورة معكوسة للاخرى ، ولا يمكن التمييز بينهمـــــا الا اذا تقابلا فتحدث الكارثة بفنائهمـــا ، وتحولهما الى طاقة فى شكل أشعة غير مرئية ، مثل أشـــعة جاما • (كما أن الاشـــعة قد تتحول الى نوعى المادة ، ويحدث ما يســـمى بالتجســـيد) •

ويعتقد العلماء الآن أن الكون قد نشأ من طاقة تحولت الى نوعى المادة ، بحيث أن كميـــة المادة فى الكون لابد وأن تساوى كمية المادة المضـــادة ، وبحيث يظل النوعان متباعدين بدليل تباعد النجـــوم والمجرات عن بعضـــها بمسافات خيالية شـــاسعة ، وهذا التباعد ضرورى ، حتى يمنع تلاقى المادة مع المادة المضادة ، وبالتالى يمنـــع فناء الكون وزواله •

ولقد ثبت علميا أن الكون الحالى يتمدد ويتسع وتتباعد المجرات عن

بعضها ، وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » •

« الذاريات ٤٧ »

ويتوقع العلماء أن تمدد الكون حاليا ما هو الا حالة مؤقتة سيتبعها تقلص عندما تسيطر الجاذبية على قوة الاندفاع (التى سبق أن اكتسبتها المجرات منذ الانفجار الكونى العظيم عند نشأة الكون) • ويبدأ الكون فى الانكماش حتى يصل فى النهاية الى التصادم والاندماج فى البيضة الكونية ، وعندئذ تلتقى المادة مع المادة المضادة ، ويتحول الجميع الى طاقة ، ويزول الكون المادى ، وتشير الآية الكريمة التالية الى هذا المعنى بقوله تعالى :

« يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين » •

(الانبياء ١٠٤)

وفى ضوء هذه الوقائع العلمية لم تعد مسألة نهاية الكون وزواله غير مفهومة ، وأن استبدال السماوات والارض أمر قائم ، وأن القيامة يجب أن تكون حقيقة معلومة فى أعماقنا ، ونحن اليوم نعرفها غيبيا ، ولسوف نلقاها فى صورة الواقع الذى أشارت اليه آيات القرآن الكريم ، وحقائق العلم الحديث • وأما تحديد موعد القيامة فهذا أمر يعجز العلم عن تحديده • وليس هذا غريبا فنحن نعلم حقيقة الموت ولكننا نجهل موعده ! وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« يسألونك عن الساعة أيان مرساها • فيم أنت من ذكراها • الى ربك منتهاها » •

(النازعات : ٤٢ ، ٤٤)

وبهذا صرف القرآن عن السؤال عن مرسى الساعة ومستقرها ، وأوانها ، لان الله تعالى قد استأثر بعلمها ، فاليه وحده منتهاها :

« اليه يرد علم الساعة »

(فصلت : ٤٧)

« ان الله عنده علم الساعة » •

(لقمان : ٣٤)

وسوف تحدث الساعة بغتة حتى يظل للقيامة رهبة المجهـول وعنف المفاجأة :

« حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة »
(الانعام : ٣١)

وليعلم الكفار أن الساعة آتيـة لاريب فيها وأن العلم الحـديث لا ينكر أحداثها ، كمـا وردت فى القرآن الكريم ، فى اعجـاز علمى بالغ •• وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« وقال الذين كفروا لا تأتينـا الساعة • قل بلى وربى لتأتينكم »
(سـبأ : ٣)

حقا سوف تأتى الآخرة كضرورة أخلاقية للثواب والعقـاب •• وكضرورة نفسية لان البعث هـو العزاء الوحيد لحتمية الموت ، بل لأن الوجود الانسانى كله ليس له معنى بدون الآخرة •

حقا سوف تأتي الآخرة كضرورة علمية ، كما وضح فى استعراضـنا لبعض الاحداث الكونية ، كتكور الشمس ، وانكدار النجوم وزلزلة الارض ، ونسف الجبال ، وزوال الكون •

والحمد لله الذى هدانا لهـذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ومنذر العالمين •

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا •• ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنـا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنـا وآتنـا ما وعدتنا على رسـلك ولاتخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد » •

(آل عمران)
١٩٣ — ١٩٤

دكتـور

منصور محمد حسب النبى

كيف تقرأ البخاري ؟

للأستاذ / محمد أحمد بدوي

من معاد القول ومكروره أن صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل .

فعند الاستشهاد أو الاستدلال بأحاديث البخاري ، - ومثله في ذلك صحيح مسلم - لا يحتاج الأمر فيه الى التعقيب على الحديث بأنه صحيح لأنه علم أن جميع ما فيهما صحيح ، الا أحاديث قليلة جدا تكلم فيها ، وحصل الرد على ما تكلم به فيها .

أما عند الاستشهاد بما في أمهات كتب الحديث الأخرى ، فان الأمر يقتضي التعقيب على الحديث بحالته من الصحة ، أو الحسن أو الضعف .. اما من المصنف نفسه ، واما من أحد الأئمة المشهورين بالعلم في الجرح والتعديل ، لأنه علم أن هذه المصنفات تجمع .. الصحيح ، والحسن ، والضعيف .

وقد بذل البخاري في نقد رواة حديثه وغربلتهم أقصى ما في الطاقة البشرية ، في ذلك الوقت ، بل وقد سبق زمنه بقرون ، ويكفي أنه اختار « الجامع الصحيح » من مئات الالوف من الأحاديث .

البخاري ليس مجرد جمع للحديث :

ان للبخاري في مصنفه عملا بارزا واجتهادا ولستنتاجا وفقها قال العلامة ابن حجر : « .. ثم رأى ألا يخليه من الفوائد الفقهية ، والنكت الحكمية ، فاستخرج من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب » .

ولو كان مقصد البخارى مطلق التحديث ، لصنع صنيع مسلم •• فى تجميع الأحاديث والطـرق فى مكان واحد ، توحى به المناسـبة التعبدية ، التقليدية البـــارزة فى الأحاديث ، ولاكتفى بتحكيــــم منطوق الأحـــاديث ، أو المعنى التعبدى فيها •• فى صياغة تراجم الأبواب •

ان تبويب البخارى يمتـــــاز بالتنوع الذى يظهر فيه ســـبق العصر فقد أوفى الأبواب التقليدية المتداولة فى عصره حقهـــــا من الاستيعاب والاستقصاء •

ثم استنتج أبوابا اجتماعيـــة ، وسياسية ؛ وحربية ، ودولية •• وفى الزرع ، والصناعة ، والتجارة، والشركات ، والصلح ، والشهادات والحكم والأدب ؟

وقد انتبه البخارى ــ بعبقريته ــ الى الأطر الاجتمـــــاعية ــ الشكلية ــ وأهميتها فى المضـــمون الاجتماعى لســـــلوك النـــــاس وحياتهم •

ففى (٥٦ ــ كتاب الجهاد) ذكر أبوابا للفرس والحمار ، وتسميتهما واضمار الخيل ، والمجن ، والترس والحمائل •• وتعليق الســـيف فى العنق ، وفى الشجر •• والخروج فى السفر بعد الظهر ، وفى آخـــر الشهر ، وفى رمضان •

وذكر فى اللباس •• الثيـــاب•• البيض ، والخضر ، والحمـــــر ، والخمائص ، والقمصان ، والازر المهدبة •

وقد فضل بعض المغاربة صحيح مسلم على صحيح البخارى ، لأنه ليس فيه بعد خطبته الا الحديث السرد •• وليس فى سرد مســـلم للحديث ــ بدون التفقه واستنتاج المعانى ــ أى ميزة له ، وانما الميزة للبخارى فيما زاده عـــــن سرد الجــديث •

وقد أشبع ــ العالم الكبـــير الأستاذ الدكتور الحسينى هاشم ــ هذا المعنى فى رسالته للدكتوراه ؟؟

وقال فى كتاب أئمة الحديث ! وقد أكثر البخارى فى كتابه مـــن التراجم ، فقبل أن يذكر الحديث يذكر الترجمة التى تناسبه ، كأنها شرح له ، أو توجيه الى بديعـــــة فيه ، أو معني خفي يدرك باجهـــاد

الذهن •• وغرضه من ذلك ــ كما قال الامام النووى « الاستنباط منها ، والاستدلال لأبواب أرادها •• من الفقه ، والأصول ، والزهد، والأدب والامثال وغيرها ، وربط كثيرا من أحاديثه بآيات من القرآن وأقوال السلف ، وما يستنبطه من الأحاديث فكانت مقدمة لفهــــم الحديث وشرحا مركزا شرح بــه البخارى صحيحه ، حتى قيل : ان فقه البخارى فى تراجمه » أ هـ

ومنهج البخارى فى هذا جعلــه أقرب الى أن يكون كتابا للخاصة ، ففيه أمور كثيرة تحتاج الى مراجعة الشروح كلما اعترض القارىء منها شىء ؟؟

ونحاول هنا تزويد القـــــارىء ببعض الملاحظات التى تعينه على الاستفادة من أثمن كنوز الســنة قراءة وفهما ، واستشهادا ؟

سمى البخارى مصــــــنفه : « الجامع الصحيح المســـند من حديث رسول الله صلى الله عليــه وسلم وسننه وايامه » •

وكلمة « المسند » هنا تعنى •• أن أسانيد أحاديثه متصـــلة من البخارى الى النبى صلى الله عليه وسلم فى المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم أو الى الصحابى ، أو التابعى ، فى المرسل ، والموقوف؟

فالكتاب كما سماه البخارى •• منهج حياة الأمة الاســـــلامية ، والدولة الاسلامية ، ممثلة فى سنن الرسول وأيامه •

والكتاب •• مقســم الى كتب تبلغ سبعة وتسعين كتابا •

والكتب مقسمة الى أبواب •• تقرب من أربعة آلاف باب ــ يطلق الشراح عليها ، وعلى مشتملاتهـا •• لفظ التراجم ، وهـــى التى سنستخدمها فى هذه الدراسة ؟

مقصود البخارى من صحيحه ؟؟

يصادف قارىء البخارى كثير من الأمور الغامضة نجمـــــل أهمها ونوضحه فيما يلى ــ :

أولا ــ : يلاحظ القــــارىء اشتمال التراجم على الآيـــات القرآنية الكريمة ، وما لا يســوق له البخارى اسنادا ، أو يســوق له جزءا من السند ، من الآثار عن الصحابة ، والتابعين ، والأئمــة ، والأحاديث المنســوبة الي النبي

صلى الله عليه وسلم وهذه تسمى المعلقات ، والمتابعات .

كما يجد القارىء هذه المعلقات والمتابعات ، فى ثنايا الأحاديث وقبلها وبعدها .

وأحيانا يجزم البخارى بما يسوق منها .. بأن يقول .. قال : فلان ، أو رواه فلان .

وأحيانا لا يجزم .. فيسوق عبارة تفيد التمريض (التضعيف) مثل : ويذكر عن فلان .

وبعض هذه المعلقات والمتابعات يكون البخارى وصلها فى مكان آخر من صحيحه .

وبعضها قد يكون وصله غيره من أئمة الحديث .

ففى أول باب من (٢ ــ كتاب الايمان) يجد القارىء جزءا من حديث مرفوع يأتى فى الباب ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس ، وآيات قرآنية ــ وقولا للبخارى ، وهو قول وفعل ، ويزيد وينقص ــ وآثارا عن عمر بن عبد العزيز ، ومعاذ ، وابن مسعود ، وابن عمر ، ومجاهد ، وابن عباس .

قال العلامة ابن حجر فى (هدى السارى) : « المقصود من هذا التصنيف (الجامع الصحيح) بالذات : هو الأحاديث الصحيحة المسندة ، وهى التى ترجم لها ، والمذكور ــ بالعرض والتبع ــ الاثار الموقوفة ، والأحاديث المعلقة ، نعم : والآيات المكرمة ، فجميع ذلك مترجم به » أ هـ

وتوضيح مقصود البخارى مما هو مذكور بالتبع والعرض .. يرجع فيه الى الشروح المطولة ، ولم يسبق لاحد أن علق على البخارى بخلاصة ما فى هذه الشروح .. خاص بذلك .. لا فى المخطوط مما خدم به البخارى ، ولا فى المطبوع ؟؟

ولا يجزىء من ذلك ما أفرد له ابن حجر كتابه (تغليق التعليق) الذى لم يطبع الى الآن من نسخته الوحيدة الكاملة فى الآستانة !؟

ان القارىء العادى ، بل والمتخصص يحب أن يسعف بكل ما يعينه على تمييز ما يقرأ .. بعضه من بعض ، وفى الموضع نفسه !؟

وخفاء كثير من ذلك على كثير من الدارسين ، جعلهم : يدخلون تعليقات لم يصلها البخارى فى أى مكان من صحيحه ، من صلب مقصوده .. فرقموها .. بالرغم من تنبيه الشروح .. الى عدم وصل البخارى لها !؟

والأمثلة متوفرة فى بعض طبعات البخارى الى الآن .

كما جعل بعض الباحثين يقعون فى خطأ نسبة كل ما تضمنه البخارى من تعليقات ، ومتابعات ، وآثار .. الى الصحيح — فيقولون عند ذكر شىء منه : رواه البخارى فى صحيحه !؟

يلاحظ القارىء أن بعض التراجم يدل على مطابقة ما فى عنوان الباب مع ما تحته من أحاديث ، كأنه يقول : هذا الباب الذى فيه : كيت وكيت — أو باب الدليل على الحكم الفلانى — كما فعل أئمة الحديث من قبله ومن بعده .

وبعض هذه التراجم قد يأتى بلفظ الحديث ، أو بجزء منه أو بمجمل معانيه أو بمعنى من معانيه ؟

ومن أمثلة ذلك فى (٢ — كتاب الايمان) فى (٨ — باب حب الرسول من الايمان) * والحديث:لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده .

وفى (٩ — باب حلاوة الايمان) ونص الحديث فى الباب : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان .. أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ،وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر ، كما يكره أن يقذف فى النار — فقد ترجم هنا بما يدل على مجمل المعانى بلفظ من الحديث .

ثم كرر الحديث فى الكتاب نفسه تحت ترجمة من لفظ الحديث ، وهى : (١٤ — باب من كره أن يعود فى الكفر ، كما يكره أن يقذف فى النار) .

(*) تنبيه — الرقم الموضح هنا ، ثم فى سائر المقال .. هو للكتاب ، والباب من كتاب (صحيح البخارى) منقول من الطبعات الجديدة التى طبعت منه بالقاهرة ، كطبعة المكتبة السلفية ، او طبعة الدكتور مصطفى كمال وصفى بمكتبة دار الشعب بالقاهرة — لهذا لزم التنويه .

ثم كرره فى (٧٨ ــ كتاب الادب) تحت ترجمة من ألفاظ الحديث وهى (٤٢ ــ باب الحب فى الله) •

ثم كرره فى موضع رابع فى (٨٩ ــ كتاب الاكراه) تحت معنى مقارب لجزء من الحديث فى (١ ــ باب من اختار الضرب ، والقتل ، والهوان •• على الكفر) •

غير أن كثيرا من التراجم يخفى فيها وجه المطابقة بينها وبين ما تحتها من أحاديث • وهذه التراجم هى التى توسع فيها البخارى ، وسلك فيها أوسع السبل، ومنها ــ:

١ ــ ما يكون فى لفظ الترجمة احتمال لأكثر من معنى ، فيورد الحديث ليعين أحد الاحتمالات تفقها من البخارى ــ وهو لا يجزم بشىء فى هذه التراجم •

ومثال ذلك فى (٦٨ ــ باب البول فى الماء الدائم) من (٤ ــ كتاب الوضوء) وساق الحديث بالنهى عن التبول فى الماء الدائم •

ومثال ذلك أيضا فى (٣٩ ــ باب كتابة العلم) من (٣ ــ كتاب العلم) فانه لم يجزم فى الترجمة •• لا بنهى ، ولا اباحة ، وساق الاحاديث •• مبينا فيها مشروعية كتابة العلم •

٢ ــ ويفتح البخارى أبوابا من العلم بصيغة الاستفهام ، وذلك ــ كما قال ابن حجر ــ « حيث لا يتجه له الجزم بأحد الاحتمالين ، وغرضه : هل يثبت ذلك الحكم أم لا يثبت ؟ لينبه على أن هناك اجمالا أو أن المدرك مختلف فى الاستدلال به » •

ومثال ذلك : (٣٥ ــ باب هل يجعل للنساء يوم على حدة ؟) من (٣ ــ كتاب العلم) وفى الحديث ــ المسوق له الترجمة ــ أن رسول الله جعل للنساء يوما •

ومثلة : (٤ ــ باب المتيمم ، هل ينفخ فى يديه ؟) من (٧ ــ كتاب التيمم ، وفى الحديث : أن رسول الله نفخ فى يديه حين التيمم) •

٣ ــ قد يفتح للبخارى بابا من العلم حديث ليس على شرطه ، فيأتى بمعنى الحديث أو بنصه ترجمة لباب يسوق فيه أحاديث على شرطه بمعنى ما يريد •

ومثال ذلك (٤٣ ــ باب قول

النبى صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين ، وعامتهم) .

هذا الحديث ليس على شرطه ، وأخرجه مسلم ــ لكنه ساق فى الباب أحاديث على شرطه فى هذا المعنى.

ومثال ذلك أيضا : (٣٥ ــ باب اثنين فما فوقهما جماعة) فى (١٠ ــ كتاب الأذان) وهذا نص حديث ليس على شرطه ؟ وأورد فى الباب حديث مالك بن الحويرث ، وفيه .. قول الرسول صلى الله عليه سلم لمالك وصاحبه : « فأذنا وأقيما ، ثم ليؤمكما أكبركما » .

واذا لم يجد البخارى فى الباب حديثا على شرطه ، فانه يذكر الترجمة بلفظ الحديث الذى ليس على شرطه ، ويورد معها أثرا أو آية قرآنية ، أو جزءا من حديث ــ على شرطه ــ يسوقه معلقا (بدون سند) ويكون وصله فى مكان آخر من صحيحه ، أو جزءا من حديث ليس على شرطه ووصله غيره ، فكأنه يقول : لم يصح فى الباب شىء على شرطى .

ومثال ذلك (١٠ ــ باب العلم قبل العمل) من (٣ ــ كتاب العلم) فانه ساق فيه آيات قرآنية وآثارا وأجزاء من أحاديث .. واحد منها فقط على شرطه وهو « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » ولم يجد البخارى فى هذا الباب حديثا على شرطه ؟

٤ ــ من التراجم ما ظاهره قليل الجدوى ، لكنه اذا حققه المتأمل اكتشف جدواه كقوله (٢٠ ــ باب قول الرجل : « فاتتنا الصلاة » من (١٠ ــ كتاب الأذان) وأشار به الى الرد على من كره ذلك اذ أورد فى الباب قول الرسول صلى الله عليه وسلم « ما فاتكم فأتموا »

وكقوله (٢٦ ــ باب قول الرجل: ما صلينا) من (١٠ ــ كتاب الأذان) فانه أشار به الى الرد على أن كراهة قول ذلك ــ المحكية عن النخعى ــ ليست على أطلاقها ؟

٥ ــ قد يبوب بما ليس فى الخبر الذى يسوقه تحت الباب تصريح به ، ولكنه يشير الى ما ورد فى بعض طرقه من معنى هذه الترجمة ..

ومن ذلك (٢٣ ــ باب من اطلع

فى بيت قـــوم ففقئوا عينه ، فلا دية له) من (٨٧ ــ كتـــاب الديات) فقد ساق فيه ثـــلاثة احاديث ليس فيها تصريح بمـــا جزم به من نفى الدية •• لكـــن فى الحديث الثالث نفى الجناح •• لا نفى الدية ••

٦ ــ قد يبوب البخارى بسبب لفظة تكون فى احدى روايـــات الحديث ليست فى الروايات الأخرى لـــه ••

ومثال ذلك (١١ ــ باب التصيد على الجبال) من (٧٢ ــ كتـــاب الصيد) لوجود جملة فى رواية من روايات حديث أبى قتادة فى صيده حمار الوحش ، وأكل أصحابه منه وهم محرمون ، والجملة قـــول أبى قتادة : وكنت رقاء على الجبال

ثانيا الاختصـــار

مما يصادف القارىء فى البخارى ما فيه من اختصار أوقع كثيرا من الشراح فى الخطأ •• كما قـــال ابن حجـــر •

ويصادف القارىء اختصارا فى المتون ، أو فى الاسناد ، أو فيهمـــا معـــا ؟

الاختصار فى المتون

أما اختصار المتـــون فانه قـــد يحذف المتن بكامله •

(أ) حينما يكون عنده حـــديث ساق متنه باسناد ، وعنده المتـــن نفسه ، أو نحوه باسناد آخر •• فانه لا يعيد ذكر المتن ، ويقول بعد السند الثانى : بهذا أو بنحوه ــ وبعض المرقمين لأحاديث البخارى لا يرقم هذا الحديث !؟

(ب) حينما يكون البخارى عنده متن واحد ، باسنادين مختلفين ،أو أكثر ، فانه يسوق المتن مـــرة واحدة •

وقد يضع رمز التحويل (ح) بين الأسانيد ــ وقد لا يضع ، وهو حرف الحاء المفرد •

والمثال الواضح على ذلك : أنه ساق متنا واحدا من أربعة متون ، بأربعة أسانيد •• عن النعمان بـــن بشير يقول النبى صلى الله عليـــه وسلم « الحلال بين والحرام بين » فى (٢ ــ باب الحلال بين والحرام بين) من (٣٤ ــ كتاب البيوع) •

(ج) حينما يكون عنده متـــن باسنادين ، متفقين فى جميع الرواة

عن صحابيين ، فانه لا يكرر السند كما لا يكرر المتن .

وقد يختصر من المتن جزءا .. ويبقى جزءا اذا كان الجزء المحذوف مذكورا فى متن سبقه مباشرة ، ويكتفى بذكر ما حصل فيه اختلاف الثانى عن الأول ، وقد يكون الجزء المحذوف من أول الحديث أو من آخره ؟

ومثال ذلك فى (١١ باب شهود الملائكة بدرا) من (٦٤ ــ كتاب المغازى) قد ساق حديثا عن رافع الزرقى ، وكان عنده هذا المتن لكن بسند آخر فذكر منه أوله (وكان رافع من أهل العقبة ، فكان يقول لابنه : ما يسرنى أنى شهدت بدرا بالعقبة ــ قال : سأل جبريل النبى صلى الله عليه وسلم بهذا .. أى سأله : ما ذا تعدون أهل بدر فيكم .. ؟ الخ ما فى الحديث السابق .

وقد يكتفى من المتن الثانى بكلمة واحدة ، هى ما حصل به الاختلاف بين الروايتين ؟

ومثال ذلك فى (١٧ ــ باب من أسرع ناقته اذا بلغ المدينة) من (٢٦ ــ كتاب العمرة) فانه بعد أن ذكر حديث أنس فى هذا .. تام الاسناد والمتن ، ساق اسنادا آخر عن أنس وقال : جدرات ــ والمعنى: أن المتن المحذوف مماثل للمتن السابق ، الا فى قوله : جدرات .. بدل : درجات ؟

٢ ــ الاختصار فى الأسانيد

أما الاختصار فى الأسانيد ، فيكون ــ :

١ ــ من أولها فى المعلقات ، والمراد من التعليق : ما حذف من مبتدأ اسناده واحد أو أكثر ، ولو الى آخر الاسناد .

وهذا التعليق .. اما أن يكون البخارى وصله فى مكان آخر من صحيحه ــ أى ساق له اسنادا واصلا اليه .. واما أن يكون وصله غيره من أئمة الحديث .

وتارة يجزم به ، بأن يقول : قال فلان .

وتارة يذكره بصيغة التمريض (التضعيف) كأن يقول : ويذكر عن فلان .. ولا يعرف هذا الا من الشروح وخفاؤه جعل بعض مرقمى البخارى يرقمون تعليقات لم يصلها

البخارى فى صحيحه !؟

ومثال التعليق الذى وصله البخارى فى موضع آخر من صحيحه •• جزء من حديث فى ترجمة (٢٢ ــ باب الجنة تحت بارقة السيوف) من (٥٦ ــ كتاب الجهاد) وهو قوله : وقال المغيرة بن شعبة : أخبرنا نبينا عن رسالة ربنا •• من قتل منا صار الى الجنة ــ وهذه الجملة جاءت ضمن حديث وصله البخارى فى أول (٥٨ ــ كتاب الجزية) •

ومثال التعليق الذى لم يصله البخارى ، ووصله غيره قوله فى ترجمة (٨٨ ــ باب ما قيل فى الرماح) من (٥٦ ــ كتاب الجهاد) ويذكر عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم (جعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى) •

وفى هدى السارى : وصله أبوداود •

وصيغة (يذكر) وما شابهها من صيغ التمريض التضعيف تكثر فى المعلقات التى لم يصلها البخارى فى موضع آخر ، أو وصلها لكن بالمعنى !؟

أما أكثر ما أوقع الشراح فى الخطأ •• فهو أجزاء من أحاديث ، أو أحاديث كاملة لها هيئة التعليق ، أو صورته •• باختصار جزء من أول السند ، فيظن بعض الشراح أنها معلقة •• وقد استدرك ابن حجر فى كثير منها على الشراح ، ومنهم الكرمانى نفسه واتهمه واتهم غيره بالخطأ والوهم !؟

ومثال ذلك فى (١ ــ باب بدء الوحى) حيث قال بعد أن ساق حديث عائشة عن بدء الوحى ، قال : قال ابن شهاب ، وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن •• أن جابر بن بن عبد الله الانصارى قال وهو يحدث عن فترة الوحى ، فقال فى حديثه : بينما أنا أمشى ، اذ سمعت صوتا من السماء •• الخ

قال فى الفتح : وأخطأ من زعم أن هذا معلق ، وان كانت له صورة التعليق ؟

وفى (٩ ــ باب الصلاة فى القميص والسراويل ، والتبان) من (٨ ــ كتاب الصلاة) بعد أن ساق الحديث عما لا يلبس المحرم من الثياب •

قال البخارى : وعن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله •

وقال ابن حجر فى الشرح (وزعم الكرمانى •• أن قوله : وعن نافع •• هو تعليق من البخارى ــ وقد قدمنا •• أن التجويزات العقلية لا يليق استعمالها فى الامور النقلية)•

٢ ــ قد يختصر البخارى الاسانيد من آخرها اذا كان الآخر مشتركا مع السند السابق :

ومثال ذلك فى :

(٣ ــ باب الدخول على الميت) • من (٢٣ ــ كتاب الجنائز) بعد حديث أم العلاء عن موت عثمان ابن مظعون •• ساق البخارى اسنادا لم يتمه ، قال : حدثنا سعيد بن عفير عن الليث •• مثله ــ وبين الليث ، وبين أم العلاء ثلاثة رواة •• حذفهم لوجودهم فى السند السابق •

٣ ــ الاختصار فى الاسانيد والمتون معا

قد يختصر البخارى فى الاسانيد والمتون معا •• وفى موضع واحد حينما يكون فى حديثين متتابعين ــ قدر مشترك ــ فى الاسناد ، وقدر مشترك فى المتن •

ومثال ذلك فى (٤٥ ــ باب مسح الرأس مرة) من (٤ ــ كتاب الوضوء) بعد أن ساق حديث عبد الله بن زيد عن وضوء النبى صلى الله عليه وسلم قال : وحدثنا موسى ، قال : حدثنا وهيب ، قال : مسح رأسه مرة •• والمعنى : أن الرواة من وهيب الى عبد الله ابن زيد ، وعددهم ثلاثة ، مذكورون فى السند السابق ، والمتنان متساويان الا لفظ « مرة » فانه ليس فى المتن السابق ؟

أقصى اختصار فى البخارى للاسناد والمتون •• فى موضع واحد يبلغ البخارى أحيانا حدا بعيدا فى الاختصار ، فيشير الى الحديث كله ــ سنده ومتنه ــ بكلمة واحدة فيقول : فيه فلان ، أو رواه فلان ، أو تابعه فلان ••

مثال ذلك فى ترجمة (١١٤ ــ باب من غزا ــ وهو حديث عهد بعرس) من (٥٦ ــ كتاب الجهاد) قال : فيه •• جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم وبيان هذا : أن البخارى أخرج بسند تام الى جابر حديثا طويلا ، فيه : أنه غزا وهو

حديث عهد بعرس ، وذلك فى (١١٣ ــ باب استئذان الرجل الامــام) من (٥٦ ــ كتاب الجهاد) •

ثالثا ــ التكرار

قد يلاحظ القارىء تــكرارا فى الاحاديث أحيانا باسهاب ، وأحيانا باختصار ، ولكنه قلما يجد حديثا مكررا باسناده ومتنه ، الا فيمــا ندر ، ويدل هذا على أمور ننبه •• منها على أمرين مهمين :

أحدهما : فقه البخارى ، الــذى يستخرج من الحديث •• معــانى كثيرة ، يضع لها أبوابا يضمنهــا الحديثبكامله ــ مطولا أو مختصرا ــ أو يضع الاحاديث فى الابواب التى تناسب كل معنى فيها ؟؟ كمــا سبق توضيحه فى (٩ ــ باب حلاوة الايمان) ؟

سبق البخارى الى الفهرسة الحديثة ؟؟

ثانيهما : سبق البخــارى عصره بمئــــات السنين الى الفهرســـة الحديثة التى تهدى البــاحث الى مطلوبه اذا كانمتذكرا لأحد عناصره ففى حديث حلاوة الايمان من (٩ ــ باب حلاوة الإيمــــان) ثلاثة عناصر ، أيها يهدى البــاحث الى الحديث فى الباب الذى يتضمنه ــ ولو لم يلزم البخارى نفسه بــأن لا يذكر حديثا الا اذا كان له عنده سند مستقل : لزاد حجم البخارى أضعافا مضاعفــة ، ولأرانا ــ من تفننه فى التبويب ، وفتح أبــواب العلم ــ العجب العجاب ، ولأعطانا أعظم فهرســة للسنة وأدقهــــا ، وأوفاها ؟

وقد تكفــل ما اهتـــدى اليه الباحثون ــ مؤخرا ــ من التعقيب على الأحاديث بمواضع تكرارها • بتحقيق جزء من أهداف البخارى •

أما المضى بمنهج البخــارى الى غاياته • فهو يشكلأحدث مااهتدى اليه الباحثون ، من الفهرســــــة العلميــة الشاملة ، التى تهـــدى الباحث الى جميع مواضع كل معنى فى أحاديث البخارى ؟ •

وقد يسر الله تعالى ــ لهــذا الضعيف ــ الاهتداء الى هـــذه الفهرسة ، ومنهجها ، والبــدء فى فهرسةعلمية شاملة : للصحيحين فى كتاب (كفاية •• المسلم فى الجمع بين البخاري ، ومسلم) •

وأسأل الله العلى أن يعين على هذا العمل الشاق المضنى ، والذى تتكافأ ثمرته مع أى جهد يبذل فى سبيلها •

أسباب التكرار فى البخارى

زيادة على ما سبق — منذ قليل — فقد ساق ابن حجر عن محمد ابن طاهر المقدسى •• أن البخارى كان يذكر الحديث فى كتابه فى مواضع ، ويستدل به فى كل باب باسناد آخر ويستخرج — بحسن استنباطه وغزارة فقهه : معنى يقتضيه الباب الذى أخرجه فيه — وقلما يورد حديثا فى موضعين باسناد واحد ولفظ واحد ، وانما يذكر ممن طرق أخرى لمعان • منها :

١ — أنه يخرج الحديث عن صحابى ، ثم يورده عن صحابى آخر •• ليخرجه عن حد الغرابة •

٢ — ومنها : أحاديث يرويها بعض الرواة تامة ، ويرويها بعضهم مختصرة ، فيوردها كما جاءت ، ليزيل الشبهة عن ناقليها ؟

٣ — ومنها : أن الرواة ربما اختلفت عباراتهم فحدث راو بحديث فيه كلمة تحتمل معنى ، وحدث به آخر فعبر بكلمة تحتمل معنى آخر فيورده بطرقه — اذا صحت على شرطه — ويفرد لكل لفظة بابا مفردا ؟

٤ — ومنها : أنه ربما أورد حديثا عنعنه روايه (يعنى •• قال : عن فلان ••) فيورده من طريق آخر صرح فيه هذا الراوى بالسماع ، فقال : سمعت فلانا ، أو حدثنى فلان — على ما عرف من طريقته : فى اشتراط ثبوت اللقاء فى المعنعن؟

اقتراحات

يجب أن يتضمن أى عمل للبخارى : مقبل ، أو للجمع بينه وبين مسلم •• الأمور الآتية — :

١ — تمييز ما عناه البخارى بصحيحه من الأحاديث المسندة الموصولة مما ذكره بالتتبع ، والعرض ؟؟

٢ — ترقيم الأولى ترقيما جديدا — لا يتقيد فيه بأن ترقيم سبق •• يكون قد أدخل فى البخارى ماليس فيه ؟؟

٣ — بيان من وصل كل تعليق ومتابعة ؟؟

وذلك لتلافى اضافة ماليس فى البخارى اليه ، والله ولى التوفيق •

محمد أحمد بدوى

في التشريع الإسلامي

الأدلة الشرعية المرنة

الاستصحاب ● المصالح المرسلة ● الاستحسان

للدكتور/ محمد محمد الشرقاوى

تتسع شريعتنا الاسلامية السمحة لكل متطلبات الحياة المعاصرة، وما تتمخض عنه من حوادث وقضايا لم يسبق بها عند الفقهاء عهد، ولم يكن لها لدى المسلمين الأوائل وجود ٠٠ وذلك بعرضها على الأدلة المتفق عليها عند جمهور الفقهاء ومنهم الأئمة الاربعة ٠٠ من كتاب أو سنة صحيحة أو اجماع أو قياس لاستنباط أحكامها، واستشفاف نظائرها وأمثالها ٠٠ على أن ثمت ألوانا أخرى من الأدلة المرنة كانت مجالا واسعا لاجتهاد الفقهاء، وحلبة رحبة لاستباق العقول، ومباراة الأفهام ٠٠ مما جعلها مثارا للتنازع عليها، والاختلاف فيها، والاعتماد عليها ٠٠ وفقا لما اهتدى اليه كل فقيه بفكره، وما وعاه من علمه ٠٠ ومهما يكن من أمر اختلافهم أو تنازعهم فان هذه الأدلة الخارجة عن اطار اتفاقهم ٠٠ كانت وستظل علامة بارزة على سعة أفق الشريعة، ورحابة صدورها، ومدى ما تتيحه لأبنائها ومجتهديها من سعة ويسر، وما تمنحه للفكر الفقهى من حرية وانطلاق ومرونة ٠٠ ونستطيع أن نجمل ذلك فيما يأتى :

١ ــ الاستحسان ٠

٢ ــ عدم الدليل دليل على عدم الحكم ٠

٣ ــ المصالح المرسلة ٠

٤ ــ تعارض الأشباه .

٥ ــ الاستدلال .. ويشمل : (شرع من قبلنا ــ الاستصحاب ــ التلازم ــ وجود السبب ــ وجود المانع ــ فقدان الشرط) .

٦ ــ قول الصحابى .

واليك فكرة موجزة عن كل منها :

١ ــ الاستحسان .. وبه أخذ الحنفية ورده غيرهم لأنه قول بالهوى والتشهى .. وهو مما لا يجوز فى الشريعة .. والحق أن الاستحسان الذى اعتمده الحنفية دليلا فى أحكامهم الاجتهادية ليس هو القول بالتشهى ولا بالهوى فهذا مما لم يخطر ببالهم .. وانما هو فى أحسن أقوالهم قياس له علة خفية فى مقابلة قياس له علة ظاهرة فى موضوع واحد .. فالاخذ بما ظهرت علته يسمى قياسا ، والأخذ بما خفيت علته يسمى استحسانا ومن هنا لم يكن هناك خلاف فى الحقيقة ، كما لم يكن هناك محل لقول من قال : (من استحسن فقد شرع) ومن أمثلته : حفظ القرآن الكريم بجمعه فى مصحف ، وتوسيع المسجد النبوى .

٢ ــ عدم الدليل دليل على عدم الحكم : لم يأخذ به الحنفية وأخذ به غيرهم .. وبامعان النظر نجد أن الخلاف هنا لفظى لا حقيقى .. لأنهم جميعا متفقون على انعدام الحكم اذا انعدم دليله .. الا أن الحنفية يجعلون ذلك من باب العدم الأصلى لا من باب العلة .. اذ العلة لاتكون الا أمرا وجوديا .. بينما يرى غيرهم أنه من باب العلة التى لامانع لديهم أن تكون أمرا عدميا .

٣ ــ المصالح المرسلة : وقد أثبتها مالك بكثرة والشافعى فى قوله القديم ، ومنعها الحنفية وغيرهم لعدم مايشهد لها من نص معتمد ــ فى رأيهم ــ بينما يرى مالك وأتباعه أنها وان لم يشهد لها أصل معين .. لكن شهدت لها مجموعة أصول متعددة .. تدور كلها فى فلك المصلحة التى تتلقاها بالقبول عقول الفقهاء والمجتهدين ، وقد دافع القدافى عن مذهب مالك بقوله : (ان الجميع يقيسون

ويفرقون بين قيـــاس وآخـــر بالمناسبات لا بطلب شاهد بالاعتبار أو الالغاء ، ولامعنى لذلـــك الا المصالح المرسلة) ، وقد عمـــل بالمصالح المرسلة على نطاق واسع امام الحرمين فى كتابه (الغياثى) ونسج على منواله الغـــزالى فى (شفاء الغليل) ومستندهم فى هذا مطلق المصلحة •

٤ ـ تعارض الأشـــباه : أى تعارض الأدلة فى موضوع مشترك بحيث لايمكن الترجيـــح ، وبذا ينص الحكم على العدم الاصـلى •• مثل قـــول زفر من الحنفية : لايدخل غسل المرافق فى الوضـــوء فى قوله تعالى (**وأيديكـــم الى المرافق**) لوجود التعارض فى المراد بالى التى تفيد الغاية •• حيث جاء **قوله تعالى (وأتموا الصـيام الى الليل)** فلم يدخل الليل فى الصيام •• وجاء أيضا قوله تعالى : (**من المسجد الحرام الىالمسجد الأقصى)** فدخل مابعدها فيما قبلها •• فوقع الشك فى مدلولهـــا •• ولايثبت الوجوب بالشك ، فبقى حكم غسل المرافق علي العدم الأصلي •

وهذا كلام يدل على الفقاهـــة وعمق النظر ••وان كان غيره قد رد عليه بأن ما بعد الى ان كان جـزءا مما قبلها دخل فى حكم ما قبلها •• والا فلا •• والمرافق داخلـــة فى الأيدى طبيعة ولغة لانها اســـم للجارحة المخصوصـــة من رءوس الأصابع الى الابط •• بينما لـــم يدخل الليل فى مطلق الصيام ، لان مطلقه يصدق ولو بالامساك ساعة •• وأحسن ما يقال هنا : ان غسل المرافق دخل فى وجوب غسل اليدين احتياطا فى العبادات والاحتياط فى صحتها واجب •

*** الاستدلال بشرع من قبلنا** •• أى بوجـــود الحكم فى شرائع الامم السابقة اذا حكاه القـــرآن الكريم أو الســـنة الصحيحة بدون انكار أو نسخ أو تأقيت أو انفساخ كقول القرآن الكريم فى ذكر قصـــة موسى عليه السلام (**وأقم الصلاة لذكرى**) فقد أخـــذ منها وجـــوب قضاء الصلاة التى نام عنها صاحبها متى ذكـــرها ويكون ذلك كفـــارة لتأخيرها عن وقتها ، وقد أخذ بذلك الحنفية وعامة المتأخرين وخالف فى

ذلك غيرهم •

٦ ــ الاستدلال بالاستصحاب : وهو القول ببقاء الاحكام السابقة والظن بامتـــــدادها ما لم يظن ارتفاعها ، وهو حجة عند الشافعية والحنابلة لان سبق الوجود دليـــل على الامتداد والبقاء حتى يوجـــد الناقض لذلك ولذلك بقيت رسالات الرسل ودلالات الكتب والهــدايا المرسلة الى الغير الى حين وصولها ســارية المفعول ، ويرى أبو زيد وشمس الأئمة وفخر الاسلام : أنها حجـــة للدفـــع لا للاثبــــات والاستحقاق ، ويرى الحنفية انها ليست حجة مطلقا •• والدفع مبنى على العـــدم الأصـــلى لا عـــلى الاستصحاب •• لان مثبت وجود الشيء غير مثبت بقائه وامتداده ، اذ يحتاج هذا الاخير الى دليل آخر وهو ظهور الناسخ بالنسبة لشريعة عيسى عليه الســـلام وعدمه فى حق شريعة محمد صلى الله عليه وسلم •

٧ ــ الاستدلال بالتلازم : أى باثبات الحكم الثابت لاحـــــد المتلازمين للاخر اذا ثبت بالتتبـــع والاســـتقراء أنهما متلازمان طردا وعكســـا ايجابا وسلبا مثل : كل من صـــح طلاقه صح ظهاره وذلك عند الشافعى الذى يجوز ظهار الذمى ، فانه يقال كذلك : كل من صح ظهاره صح طلاقه ومثل ذلك فى السلب •

٨ ــ الاستدلال بوجود السبب •• أو بوجود المانع •• أو بفقدان الشرط : مثال الاول : سوق الدابة التى تلف بها مال حيث يضـــاف الحكم الى سائقها •• ومثال الثانى الجنون المطبق مانع من وجـــوب الصـــلاة ومثال الثالث : انعدام النيـــة أو الطهارة فى انعـــدام الصلاة ، والحنفية لا يســـتدلون بهذه الثلاثة لأنها كدعوى بلا دليل معين ، وغيرهم يســتدل بها لأنها مأخوذة من أدلة فى الجملة •

٩ ــ قول الصحابى : وهو دليل شرعى فيما له حكم الرفـــع الى الرسول صلى الله عليه وسلم •• وهو أنواع :

(أ) ما لا مجـال للاجتهاد فيه كصلاة على كرم الله وجهه صلاة الكســـوف فى كل ركعة بأكثر من ركوعين •

(ب) الاخبار بالثواب أو العقاب

على أمر من الأمور لأنه لا يعرف الا بالتوقيف ٠

(جـ) اضافته الى زمن النبى صلى الله عليه وسلم كقول جابر (كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ٠

(البخارى ومسلم)

(د) قول الصحابى : أمرنا بكذا أو نهينا عن كذا مثل (أمر بلال أن يشفع الاذان ويوتر الاقامة) ٠

(البخارى ومسلم)

(هـ) قول أحد الرواة عند ذكر الصحابى : يرفعه أو ينميه أو يبلغ به أو رواية مثل حديث الاعرج عن أبى هريرة رواية : (تقاتلون قوما صغار الاعين) ٠

(البخارى)

(و) تفسير الصحابى لسبب نزول آية : مثل (كانت اليهود تقول : من أتى امرأته من دبرها فى قبلها جاء الولد أحول ٠٠ فأنزل الله تعالى : (نساؤكم حرث لكم ٠٠ الآية) ٠

أما اذا كان قول الصحابى مما لا يدخل فى حكم المرفوع فليس بحجة لأنه ليس منسوباً الى النبى صلى الله عليه وسلم وانما هو منسوب اليهم ٠٠ وكل ما يفيد ذلك تقوية بعض الاحاديث الضعيفة ٠٠ أو أولوية العمل به باعتباره صادرا من أولى الالباب والبصائر ٠

دكتور محمد محمد الشرقاوى

من توجيهات الخليفة الراشد

"عمر بن الخطاب" إلى رجال القضاء

للمستشار محمد عزت الطهطاوي

ذكرنا فى مقال سابق أن القاضى يلزم بقوله وأن المفتى لا يلزم بفتواه وان كان قولهما اخبارا عن حكم شرعى لذلك كان القاضى خطره أشد ـ أما المفتى فانه يكون أقرب الى السلامة من القاضى •

ولهذا جاء فى القاضى من الوعيد والتخويف ما لم يأت نظيره فى المفتى •

روى أبو داود الطيالسى من حديث عائشة رضى الله عنها أنها ذكر عندها القضاة فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة قط) •

وفى السنن من حديث ابن بريدة عن أبيه قال ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(القضاة ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة ـ رجل عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة ـ ورجل قضى بين الناس بالجهل فهو فى النار ـ ورجل عرف الحق فجار فهو فى النار) •

وفى سنن أبى داود من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ـ ومن غلب جوره عدله فله النار) •

وفى سنن البيهقى من حديث ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الله مع القاضى مالم

يجر فاذا جار برىء الله منه ولزمه الشيطان) •

ولقـــد أورد الامام شمس الدين محمد بن قيم الجـــوزية فى كتابة اعلام الموقعين نص كتـــاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الأشعرى وهو ما رواه ســعيد بن أبى بردة (أما بعد ــ فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ــ فافهم اذا أدلى اليك ــ فانه لاينفع تكلم بحق لا نفاذ له ــ آس الناس فى مجلســك وفى وجهك وقضائك ــ حتى لا يطمع شريف فى حيفك ــ ولا ييأس ضـــــعيف من عدلك ــ البينة على المدعى واليمين على من أنكر ــ والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ــ ومن ادعى حقا غائبا أو بينه فاضرب له أمدا ينتهى اليه ــ فان بينه أعطيته بحقه وأن أعجزه ذلك استحالت عليه القضية فان ذلك هو أبلغ فى العذر وأجلى للعماء ــ ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت لرشدك أن تراجع فيه الحق فان الحـــق قديم لا يبطله شىء ــ ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطــل ــ والمسلمون عـــدول بعضهم على بعض الا مجريا عليه شهادة زور ــ أو مجلودا فى حد ــ أو ظنينا فى ولاء أو قرابة ــ فان الله تعالى تولى من العبـــاد السرائر ــ وستر عليهم الحدود الا بالبينات والايمان ــ ثم الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن ولا سنة ثم قايس الأمور عنـــد ذلك واعرف الأمثال ــ ثم اعمد فيما ترى الى أحبها الى اللـــه وأشبهها بالحق ــ واياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر عند الخصومة أو الخصوم (شـــك الراوى) فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ــ ويحسن به الذكر ــ فمـــن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين بما ليس فى نفسه شانه الله ــ فان الله تعالى لا يقبل من العباد الا ما كان خالصا ــ فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام عليك ورحمة الله) •

وقد تلقى العلماء والفقهاء الاسلاميون هذا الخطاب بقبول حسن وبنوا عليه الأصول التى يقوم عليها الحكم والشهادة ولنجتزىء منه الفقرات المهمة الآتية :

« قوله (القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة) يشير فى ذلك أن ما يحكم به الحاكم نوعان أحدهما فرض محكم غير منسوخ — ومثاله الأحكام الكلية التى أحكمها الله فى كتابه والثانى أحكام سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذان النوعان هما المذكوران فى حديث عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم (العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل — آية محكمة — وسنة قائمة — وفريضة عادلة) .

وقوله (فافهم اذا أدلى اليك) تعنى صحة الفهم وحسن القصد — وكما يقول الامام شمس الدين ابن قيم الجوزية عنهما أنهما من أعظم نعم الله بها على عبده بل ما أعطى عبد عطاء بعد الاسلام أفضل ولا أجل منهما — بل هما ساقا الاسلام وقيامه عليهما — وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم وطريق الضالين الذين — فسدت فهومهم ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم فى كل صلاة .

وصحة الفهم نور يقذفه الله فى قلب العبد يميز به بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والهدى والضلال والغى والرشاد ويمده حسن القصد وتحرى الحق وتقوى الرب فى السر والعلانية ويقطع مادته اتباع الهوى وايثار الدنيا وطلب محمدة الخلق وترك التقوى .

فعلى القاضى أن يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه الى معرفة حكم الله ورسوله كما توصل شاهد يوسف عليه السلام بشق القميص من دبر الى معرفة براءته وصدقه — وكما توصل على بن أبى طالب كرم الله وجهه بقوله للمرأة التى حملت كتاب حاطب لما أنكرته (لتخرجن الكتاب أو لنجردنك)الى

استخراج الكتاب منها •

وقوله (فما أدلى اليك) أى ما توصل به اليك من الكلام الـــذى تحكم به بين الخصوم ومنه قولهم أدلى فلان بحجته ــ وأدلى بنسبه ومنه قوله تعالى (**ولا تأكلـــوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بهـا الى الحكام**) سورة البقرة الآيـة ١٨٨ أى تضيفوا ذلك الى الحكام وتتوصلوا بحكمهم الى أكلها ويكون هذا عن طريق رشوتهم •

وعن وجوب تنفيذ الحق قولـه (فانه لا ينفـع تكلم بحق لا نفاذ له) والمقصود بذلك التحريض على تنفيذ الحق اذا فهمه الحاكم ــ ولا ينفع تكلمه به ان لم يكن له قـوة تنفيذه فهو تحريض منه على العلم بالحق والقوة على تنفيذه ــ وقـد مدح الله سبحانه أولى القـوة والبصائر فى الدين فقال (**واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدى والابصار**) سورة ص الآية ٤٥ فالايدى تعنى القوة على تنفيذ أمر الله ــ والأبصار تعنى البصائر فى دينه •

وقوله (وآس الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك) فاذا عدل القـاضى أو الحكام فى هذا بين الخصمين فهو عنوان عدله فى الحكومة ــ لكـن اذا خص أحد الخصمين بالدخول عليه أو القيام له أو بصدر المجلس والاقبال عليه والبشاشة له والنظر اليه كان هذا عنوان حيفه وظلمـه وفى تخصيص أحد الخصـــمين بمجلس أو اقبال أو اكـــرام مفسدتان احداهما طمعه فى أن يكون الحكم له فيقوى قلبه وجنـانه والثانية ــ ان خصمه الآخـر ييأس من وصول العدل اليـه فيضعف قلبه وتنكسر حجته •

وقوله (البينة على المـدعى واليمين على من أنكر) ويقصـد بالبينة فى كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكلام الصـحابة اسم لكل ما يبين الحق فهى أعـم من البينة فى اصطلاح الفقهاء حيث خصوها بالشاهدين أو الشـاهد واليمين قال تعالى (**لقد أرسـلنا رسلنا بالبينات**) سورة الحـديد الآية ٢٥ ويقـول جلت كلماته

(وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون،بالبينات) سورة النحل الآية ٤٣ وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم لمن كان يدعى حقا له (ألك بينة) لذلك كان المقصود بقول عمر رضى الله عنه (البينة على المدعى) ان المدعى يجب عليه تبيان الحق بتقديم الشهود أو الدلالات فان الشارع فى جميع المواضع مقصده اظهار الحق بما يمكن ظهوره به من البينات التى هى أدلة عليه وشواهد له واثبات الحقوق جائز فى نظر الشارع الاسلامى بأى دليل وعلى القاضى أو الحاكم أن يحكم بالحجة التى ترجح الحق اذا لم يعارضها مثلها والمطلوب من أى منهما أن يعلم ما يقع ثم يحكم فيه بما يجب فالأول مداره على الصدق والثانى مداره على العدل قال تعالى **(وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم)** سورة الأنعام الآية ١١٥

ـ وأى الخصمين ترجح جانبه جعلت الشريعة اليمين من جهته لما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قضى بالشاهدين واليمين وثبت عنه أنه عرض الايمان فى القسامة على المدعين أولا فلما أبوا جعلها من جانب المدعى عليهم.

وقوله (والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا) وهذا القول مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما ــ والمسلمون على شروطهم الا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما).

وقد ندب الله سبحانه وتعالى الى الصلح بين الطائفتين فى الدماء فقال **(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما** سورة الحجرات الآية ٩

وندب الزوجين الى الصلح عند التنازع فى حقوقهما فقال جلت كلماته **(وان امراة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير)** سورة النساء الآية ١٢٨

وقال تعالى (**لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس**) سورة النساء الآية ١١٤ .

واصلح النبى صلى الله عليه وسلم بين بنى عمرو بن عوف لما وقع بينهم — ولما تنازع كعب بن مالك وابن أبى حدرد فى دين على ابن أبى حدرد أصلح النبى صلى الله عليه وسلم بأن استوضع من دين كعب الشطر وغريمه بقضاء الشطر — وقال لرجلين اختصما عنده (اذهبا فاقتسما ثم توخيا الحق ثم استهما ثم ليحلل كل منكما صاحبه وقال (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم — وان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته — وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) .

وجوز صلى الله عليه وسلم فى دم العمد أن يأخذ أولياء القتيل ما صولحوا عليه — ولما استشهد عبد الله بن حرام الانصارى والد جابر وكان عليه دين سأل النبى صلى الله عليه وسلم غرماءه أن يقبلوا ثمر حائطه ويحللوا اياه — وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان لايرى بأسا بالمخارجة يعنى الصلح فى الميراث — وسميت المخارجة لأن الوارث يعطى ما يصالح عليه ويخرج نفسه من الميراث .

وصولحت امرأة عبد الرحمن ابن عوف عن نصيبها من ربع الثمن على ثمانين ألفا — وقد روى عن محارب قال قال عمر (ردوا الخصوم حتى يصطلحوا — فان فصل القضاء يحدث بين القوم الضغائن) ويروى عنه أيضا قوله (ردوا الخصوم لعلهم أن يصطلحوا فانه آثر للصدق وأقل للخيانة) .

وقوله (ردوا الخصوم اذا كانت بينهم قرابة فان فصل القضاء يورث بينهم الشنآن) .

الحقوق التى تقبل الصلح :

ان حقوق الآدميين هى التى تقبل الصلح والاسقاط والمعارضة عليها — والصلح العادل هو الذى أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى (**فأصلحوا بينهما**

بالعدل وأقسطوا) سورة الحجرات الآيـة ٩ .

أما الصلح الجائز فهو الظلـم بعينه ـ وكثير من الناس لا يتحرى العدل فى الصلح بل يصلح صلحا جائرا يرضى به صاحب الجـاه القادر ويكون له فيـه حظ أما الضعيف فله الاغماض والحيف ولا يمكن المظلوم من أخذ حقه ـ وهذا ظلم ـ لكن تقرير العدل أن يمكن المظلوم من استيفاء حقه أولا ثـم يطلب اليه برضاه أن يترك بعض حقه بغير محاباه لصاحب الجاه .

ومن المسلم به أن حق الله لا مدخل للصلح فيه كالحـدود والزكوات والكفارات ونحـوها ـ وأن الصلح بين العبد وبين ربـه فى اقامتها لا فى اهمالها وتركهـا ولهذا لا يقبل الصلح بالحدود ـ واذا بلغت السلطان فلعن اللـه الشـافع والمشفع .

كما أن الصلح الجـائز بيـن المسـلمين هو الذى يعتمد فيـه رضا الله سبحانه رضا الخصـمين فهذا أعدل الصلح وأحقه ـ وهـو يعتمد العلم والعدل فيكون المصلح عالما بالوقائع عارفا بالواجب قاصدا للعدل ـ فدرجة هذا أفضل مـن درجة الصائم القائم ـ كما قـال النبى صلى الله عليه وسـلم (ألا أنبئكم بأفضل من درجـة الصائم القائم قالوا بلى يارسول الله قال اصلاح ذات البين ، فـان فساد ذات البين الحالقة أما انى لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلـق الدين) ويقول جلت كلماته : **(انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بيـن أخويكم ـ واتقوا الله لعلكـم ترحمون)** سـورة الحجـرات الآية ١٠ .

وأما قوله (من ادعى حقا غائبا أو بينة فاضرب له أمـدا ينتهى اليه .. .. ..) فهذا من تمـام العدل فان المدعى قد تكون حجتـه أو بينته غائبة ـ فلو عجل عليـه بالحكم بطل حقه لذلك فانه ان سأل أمدا تحضر فيه حجته أجيب اليه ـ والحاجة تقدر بقدرها فان ظهر للقاضى عناده لم يضرب له أمـدا بل يقوم بالفصل فى الخصومة فان ضرب الأمد انما كان لتمام العدل لكن اذا كان فيه ابطال للعـدل لم

يجب اليه الخصم .

وقوله (ولا يمنعك قضاء قضيت به اليوم فراجعت فيه رأيك وهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق فان الحق قديم ولا يبطله شيء ــ ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل) يريد أنه اذا اجتهد القاضى فى خصومة ثم عرضت له خصومة أخرى مشابهة فلا يمنعه الاجتهاد الأول من اعادته فان الاجتهاد قد يتغير ولا يكون الاجتهاد الأول مانعا من العمل بالثانى اذا ظهر أنه الحق فان الحق أولى بالايثار لأنه قديم سابق على الباطل .

وقوله (والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجريا عليه شهادة زور أو مجلودا فى حد أو ظنينا فى ولاء أو قرابة) يعنى أن شهادة أى من المسلمين مقبولة فى مواضع الشهادة فهم عدول بعضهم على بعض الا من قام به مانع الشهادة ومن أمثلة موانع الشهادة:

(أ) من جرب عليه شهادة الزور فلا يوثق بعد ذلك فى شهادته .

(ب) أو من جلد فى حد لأن الله سبحانه وتعالى نهى عن قبول شهادته .

(ج) أو متهم بأن يجر الى نفسه نفعا من المشهود له كشهادة السيد لعبده الذى سبق له أن أعتقه بمال .

(د) أو شهادة العتيق لسيده اذا كان فى عياله أو منقطعا اليه يناله نفعه .

أما عن شهادة الأقارب بعضهم لبعض ــ فمن الفقهاء من جوز شهادة القريب لقريبه مطلقا كالأجنبى ولم يجعل القرابة مانعة من الشهادة بحال ــ **قال بذلك** علماء أهل الظاهر ومنهم الامام أبو محمد بن حزم الأندلسى .

ومن الفقهاء من منع قبول شهادة الاصول للفروع والفروع للأصول خاصة ــ وجوزوا شهادة سائر الأقارب بعضهم لبعض .

أما حجتهم فى المنع فهى أن الأبناء بضعة من الآباء فاذا شهدوا لأبنائهم فكأنما لبعضهم قالوا والشهادة ترد بالتهمة ــ والوالد متهم فى ولده فهوظنين فى قرابته .

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الولد (أنت ومالك لأبيك)

فاذا كان مال الابن لأبيه فاذا شهد له الأب بحال كان قد شـــهد به لنفسه قالـــــوا ولان بينهما من البعضية والجزئية ما يمنع قبـــول الشهادة كما منع من اعطائه مـــن الزكاة وهذا ما يشير اليه قولـــه تعالى (**وجعلوا لــه من عبــاده جزءا**) سورة الزخرف الآيــة ١٥ (أى ولدا) فالولد جزء فلا تقبـل شهادة الرجل فى جزئه .

قالوا وقد قال صلى الله عليــه وسلم (ان أطيب ما أكل الرجـل من كسبه ــ وان ولده من كسـبه) فكيف يشهد الرجل لكسبه قالــوا والانسان متهم فى ولده ــ مفتون به قــال تعــالى (**انما أمــوالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجـر عظيم**) ســورة التغابن الآية ١٥ والفتنة محل التهمة .

الا أن فريقا من الفقهاء جــوز شهادة الوالد لولده والولد لوالده والأخ لأخيــه اســـتنادا الى ما روى عن الزهـــرى قــــال لم يكن يتهـم سـلف المسلمين الصالح فى شهادة الوالد لولده ولا الولــد لوالده ولا الأخ لأخيه ولا الزوج لامرأته ــ ثم دخل الناس بعد ذلك فظهرت منهم أمور حملت الولاة على اتهامهم فتركت شهادة من يتهم اذا كانت من قرابة وصار ذلك من الولـــــد والوالد والأخ والزوج والمرأة لم يتهم الا هؤلاء فى آخر الزمان .

ولقد ذكر أبو عبيد فيما رواه عن شبيب بن غرقدة قال (كنت جالسا عند شريح فأتاه عـــلى بن كاهل وامرأة وخصم فشهد لها على بن كاهــل وهــو زوجها وشــهد لها أبوها فأجاز شريح شهادتهما فقال للخصم هذا أبوها وهذا زوجهــا فقال له شريح (أتعلم شيئا تجرح به شهادتهما ؟ كل مسلم شــهادته جائزة) ويبدو أن ما رآه القــاضى شريح له ما يؤيده فى كتاب اللــه تعالى وذلك فى قوله (**يا أيها الذين آمنوا شـــهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنــان ذوا عدل منكم**) سورة المائدة ١٠٦ ولاريب فى دخول الآباء والأبنــاء والأقارب فى هذا اللفظ كدخـــول الأجانب وتناولها للجميع بتنــاول واحد ــ ولم يستثن الله سبحانه

ولا رسوله من ذلك أبا ولا ولدا ولا أخا ولا قرابة ولا أجمع المسلمون على استثناء أحد من هؤلاء وتطبيقا لهذا النظر روى عن شبيب بن غرقدة قال (سمعت شريحا أجاز لامرأة شهادة أبيها وزوجها **فقال** له الرجل انه أبوها وزوجها قال شريح فمن يشهد للمرأة الا أبوها وزوجها) .

كما روى عن عبد الرحمن بن عبد الله الانصارى قال (أجاز عمر بن عبد العزيز شهادة الابن لأبيه اذا كان عدلا) .

وقد ذكر الزهرى أن الذين ردوا شهادة الابن لابيه والأخ لأخيه هم المتأخرون — وقد سبق تبرير ذلك بأن سببه دخل الناس أى ما ظهر فيهم من المكر والخديعة والفساد وقوله (الا مجريا عليه شهادة زور) يدل على أن المرة الواحدة من شهادة الزور تكفى لرد شهادة صاحبها — وقد قرن الله سبحانه فى القرآن الكريم بين الاشراك بالله وقول الزور فى قوله تعالى (**فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به**) سورة الحج الايتان ٣٠ ، ٣١ وفى الصحيحين قول النبى صلى الله عليه وسلم (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك بالله ثم عقوق الوالدين — وكان متكئا فجلس ثم قال ألا وقول الزور ألا وقول الزور — ألا وقول الزور — فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت — وفى الصحيحين أيضا عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (أكبر الكبائر الاشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقول الزور) .

وقوله (أو مجلودا فى حد) المراد به عدم قبول شهادة القاذف اذا أقيم عليه حد القذف فاذا ما تمت توبته فان شهادته تكون مقبولة فى رأى بعض الفقهاء وهم الامام مالك والامام الشافعى والامام أحمد — أما الامام أبو حنيفة وأصحابه فيرون عدم قبولها باعتباره فاسقا حتى ولو تاب ويحتجون فى ذلك بأن الله تعالى أيد المنع من قبول شهادتهم بقوله (**فاجلدوهم ثمانين**

جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبـدا وأولئك هم الفاسقون الا الـذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فـان الله غفور رحيم) سورة النـور الآيتان ٤ ، ٥ فحكم عليهم بالفسق ثم استثنى التائبين من الفاسقين لكن بقى المنع من قبول شهادتهـم على اطلاقه وتأبيده لأنه جعل من تمام عقوبتهم •

أما فى السنة فقد روى عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده عـن النبى صلى الله عليه وسلم قولـه (لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا محدود فى الاسـلام ولا محدودة ولا ذى غمر على أخيـه رواه ابن ماجه ورواه البيهقى •

أما من يرى قبول شهادة المجلود فى الحد بعد التوبة فيرى أن النص القرآنى السابق الالماح اليه حجة لهم اذ الكلام تبع بعضه على نسق واحد فقال **(ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسـقون الا الذين تابوا)** فانتظم الاستثناء كل ما كان قبله •

أما فى السنة فان الامـام الشافعي كان يقول عن ابن عباس أنه كان يجيز شهادة القاذف اذا تاب ــ وأن ما ورد فى الحديث عن عدم قبول شهادة المجلود فهـو محمول على غير التائب لأنه ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أن التائب من الذنب كمن لا ذنب لـه وأن عمر وابن عباس رضى اللـه عنهما قبلا شهادة المجلود بعـد توبتـه •

ويلحق بالمجلود فى الحد فى عدم قبول شهادته من وصم بالكفـر والسحر وقتل النفس وعقـوق الوالدين والزنا لكنهم لو تابوا من هذه الأشياء قبلت شهادتهم •

وقوله (أو ظنينـا فى ولاء أو قرابة) ويعنى ذلك أن الشهادة لا ترد بالقرابة كما لا ترد بالـولاء وانما ترد بتهمتها لأن الظنين هو المتهم وهذا تأكيد لماسبق أن ذكرناه فى قبول شهادة القرابة بعضـهم لبعض فقد روى عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن عمر بن الخطاب أنه قال تجوز شهادة الوالد لولده والولد لوالده ، والأخ لأخيه اذا كانوا عدولا كما روى أبو عبيدة عن أبي حبيب أن عمر بن عبد العزيز

كتب أنه تجوز شهادة الولد لوالده — وفى ذلك يقول اسحق بن راهويه (لم تزل قضاة الاسلام على هذا — وانما قبل قول الشاهد لظن صدقه فاذا كان متهما عارضت التهمة الظن فبقيت البراءة الأصلية ليس لها معارض مقاوم) •

وقوله فان الله تبارك وتعالى تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود الابالبينات والايمان يشير بذلك الى أن الله سبحانه لم يجعل أحكام الدنيا على السرائر بل على الظواهر ، والسرائر تبع لها فمن ظهرت منه علانية خير قبلت شهادته ووكلت سريرته الى الله — أما أحكام الآخرة فعلى السرائر والظواهر تبع لها •

والذنوب التى نهى الله عن قربانها سترها الله وهى التى عناها كتاب الخليفة الراشد بلفظ الحدود اذ الحد يراد به الذنب تارة والعقوبة تارة أخرى •

ويريد بالبينات كما قدمنا آنفا الأدلة والشواهد — فانه قد صح عنه اقامة الحد فى الزنا بالحمل فهو بينة صادقة وأقوى من الشهود — وكذلك اقامة حد الخمر على شاربها من واقع رائحة الخمر فى فيه فهى بينة عليه فى شربها •

ومقصوده بالأيمان الزوج فى اللعان — وايمان أولياء القتيل فى القسامة فهى قائمة مقام البينة • وذهب جمهور الفقهاء الى أن اليمين تشرع من جهة أقوى المتداعيين فأى الخصمين ترجح جانبه جعلت اليمين من جهته — وذهب باقى الفقهاء (وهم أهل العراق) الى تكليف المدعى عليه وحده باليمين على تفصيلات كثيرة يمكن الرجوع اليها فى مراجع الفقهاء المختلفة •

وقوله (ثم الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن ولا سنة — ثم قايس الأمور عند ذلك — وأعرف الأمثال ثم اعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق) •

يعنى بذلك الى أعمال القياس — وقد أرشد الله تعالى الناس فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم الى أهمية القياس فمنها على سبيل المثال :

١ ـ قاس النشأة الثانية على النشأة الأولى فى الامكان وجعل النشأة الاولى أصلا والنشأة الثانية فرعا عليها •

٢ ـ قاس حياة **الأموات بعد** الموت على حياة الأرض بعد موتها بنمو النبات عليها •

٣ ـ قاس الحياة بعد الموت على اليقظة بعد النوم •

فالله ضرب الأمثال وصرفها فى الأنواع المختلفة وكلها أقيسه عقلية ينبه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله فان الأمثال كلها قاسات يعلم منها حكم الممثل من من الممثل به قال تعالى **(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)** سورة العنكبوت الآية ٤٣ •

فالقياس فى ضرب الأمثال من خاصة العقل ـ وقد ركز الله فى فطر الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين وانكار التفريق بينهما والفرق بين المختلفين وانكار الجمع بينهما •

أما عن تقسيمات القياس ـ فمنها الصحيح ومنها الفاسد فالصحيح هو الميزان الذى أنزله الله مع كتابه والفاسد ما يضاده والأقيسة المستعملة هى قياس علة وقياس دلالة وقياس شبه وقد وردت كلها فى القرآن الكريم •

فمثال قياس العلة قوله تعالى : **(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)** سورة آل عمران الآية ٥٩ فأخبر الله أن المسيح عيسى نظير آدم فى التكوين بجامع ما يشتركان فيه من المعنى الذى تعلق به وجود سائر المخلوقات وهو مجيئهاطوعا لمشيئته وتكوينه فكيف يستنكر وجود المسيح من غير أب من يقر بوجود آدم من غير أب ولا أم ـ ووجود حواء من غير أم ؟ فآدم والمسيح نظيران يجمعهما المعنى الذى يصح تعليق الايجاد والخلق به •

أما قياس الدلالة فمثاله قوله تعالى **(ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربتان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شيء قدير)** سورة فصلت الآية ٣٩ فدل سبحانه عباده بما أراهم من الأحياء الذى

تحققوه وشاهدوه على الأحياء الذى استبعدوه وذلك قياس احياء على أحياء واعتبار الشىء بنظيره ـ والعلة الموجبة هى عموم قدرته سبحانه وكمال حكمته واحياء الأرض دليل العلة .

أما قياس الشبه فلم يحكه الله سبحانه الا عن المبطلين ومثاله قوله تعالى اخبارا عن اخوة يوسف عليه السلام أنهم قالوا لما وجد صواع الملك فى رحل أخيهم **(ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل)** سورة يوسف الآية ٧٧ فلم يجمعوا بين الأصل والفرع بعلة دليلها وانما ألحقوا أحدهما بالآخر من غير دليل جامع ـ سوى مجرد الشبه الجامع بينه وبين يوسف فقالوا هذا مقيس على أخيه بينهما شبه ذاك قد سرق من قبل فكذلك هذا ـ وهذا قياس فاسد اذ التساوى فى قرابة الأخوة ليس بعلة للتساوى فى السرقة لو كانت حقا ولا دليل على التساوى فيها فيكون هذا القياس لنوع شبه خال من العلة ودليلها ـ وبالجملة فلم يجىء هذا القياس فى القرآن **الا مردودا** مذموما .

والحكم الشرعى يدور وجودا وعدما مع علته ـ **أى أنه يوجد** حيث توجد علته ـ وينتفى حيث تنتفى علته فهى أمر ظاهر منضبط يمكن التحقق من وجوده ووجود الحكم بناء عليه أو انتفائه وانتفاء الحكم بناء عليه وهو مناسب للحكم أى أن الشأن فيه أنه مظنة تحقيق الحكمة ـ وأن الحكمة تتحقق ببناء الحكم عليه وجودا وعدما فلأجل هذا أدار الحكم وجودا وعدما مع العلة التى هى مظنة الحكمة لظهورها وانضباطها ـ ولم يدر مع نفس الحكمة لخفائها وعدم انضباطها ومادام الشارع قد ربط الأحكام بعللها الظاهرة المنضبطة وجعل الحكم يدور وجودا وعدما مع علته لا مع حكمته فليس للمفتى أن يبنى فتواه ولا للقاضى أن يبنى قضاءه الا على مراعاة العلة .

المستشار محمد عزت الطهطاوى

أعلام الإسلام

من أئمة الحديث النبوى

الإمام أحمد بن حنبل

لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

امام جليل ، طبقت شهرته الآفاق ، وأجمع الكل على احترامه ، دافع عن الدين دفاع الأبطال ، ولم تأخذه فى الله لومة لائم .

انه الامام الجليل ، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى ، أبو عبد الله المروزى ، ثم البغداوى . ساق البيهقى نسبه الى ابراهيم الخليل « عليه السلام » فهو عربى من العرب الخلص ، ومع ذلك لم يتعصب لعربيته ، ولم يفتخر بها ، قال ابن معين « ما رأيت خيرا من أحمد ، ما افتخر علينا بالعربية قط » .

وقال محمد بن الفضل السدوسى الملقب بعارم : قلت لأحمد يوما : « بلغنى أنك من العرب ، فقال : يا أبا النعمان ، نحن قوم مساكين . قدم به أبوه من مرو ، وهو حمل فى بطن أمه ، فوضعته أمه فى بغداد فى ربيع الأول من سنة أربع وستين ومائة، وتوفى أبوه وهو ابن ثلاث سنين ، فكفلته أمه ، يقول أحمد : فثقبت أذنى ، وجعلت فيها لؤلؤتين ، فلما كبرت دفعتهما الى فبعتهما بثلاثين درهما .

توجه فى حداثته الى دراسة الفقه فى مجلس القاضى أبى يوسف ، ثم ترك ذلك وتوجه الى سماع الحديث ، فكان أول طلبه له وسماعه اياه من مشايخه ، سنة تسع وثمانين ومائة وقد بلغ من العمر ست عشرة سنة ، وخرج الى

الحج لأول مرة سنة سبع وثمانين ومائة ، ثم خرج اليه مرة ثانية سنة احدى وتسعين ثم سنة ست وتسعين ، وجاور فى سنة سبع وتسعين ثم حج فى سنة ثمان وتسعين وجاور الى سنة تسع وتسعين ، وسافر الى اليمن فقابل عبد الرازق الصنعانى فكتب عنه •

قال أحمد : حججت خمس حجج ، منها ثلاث راجلا ، أنفقت فى احدى هذه الحجج ثلاثين درهما • ولقد ضللت فى بعضها عن الطريق وأنا ماش ، فجعلت أقول : يا عباد الله، دلونى على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق •

وكان رحمه الله فقيرا فى المال غنيا فى النفس ، قال عن نفسه : خرجت الى الكوفة ، فكنت فى بيت تحت رأسى لبنة ، ولو كان عندى تسعون درهما لرحلت الى جرير ابن عبد الحميد بالرى ، ولقد خرج بعض أصحابنا ولم يمكنى الخروج لأنه لم يكن عندى شىء ولعل حجه ماشيا انما كان لهذا العذر •

وعن الشافعى قال : وعدنى أحمد بن حنبل أن يقدم على مصر، فلم يقدم •

قال ابن أبى حاتم : يشتبه أن تكون خفة ذات اليد منعته من أن يفى بالعدة •

ورغم نشأته فى بغداد ــ بلد الخلافة والعلم والحضارة ، والمدنية المتقدمة فى ذلك الوقت ، لم يكتف بما لقى فيها من كبار العلماء ، وأجلة الحفاظ ، مقيمين ووافدين ، بل رحل الى بلاد العالم الاسلامى يستنشق عبير العلم ، ويتغذى بلبانه ، ويتيح لنفسه فرصة المقارنة بين مختلف المدارس ، والبيئات ، فرحل الى الكوفة حوالى سنة ١٨٣ هـ والى البصرة سنة ١٨٦ هـ والى مكة والمدينة وجاور بهما بعض الوقت كما قدمنا والى اليمن والشام والعراق •

شيوخه وثناء الأئمة عليه :

سمع من كثيرين ، وروى عن عدد وفير من العلماء ، والحفاظ • فروى عن بشر بن المفضل ، واسماعيل بن على وسفيان بن

عيينه ، وجدير بن عبد الحميد ، ويحيى بن سعيد القطان وأبى داود الطيالسى والشافعى ، وقد ذكر أحمد فى المسند وغيره ، الرواية عن الشافعى ، وأخذ عنه جملة من كلامه فى أنساب قريش وأخذ من الفقه ما هو مشهور ، حتى أنه لما توفى وجد عنده فى تركته رسالتى الشافعى القديمة والجديدة ، وقد بلغ مارواه أحمد عن الشافعى من الأحاديث حوالى عشرين حديثا ، وكان الشافعى يقدره ويحترمه ويجله ، فقد قال له ، لما اجتمع به فى الرحلة الثانية الى بغداد سنة ١٩٠ ﻫ : « يا أبا عبد الله .. اذا صح عندكم الحديث ، فأعلمنى به، أذهب اليه حجازيا كان أو شاميا أو عراقيا أو يمنيا ، وهو قول يبين مدى ثقة الشافعى فى مكانة أحمد فى الحديث وتفوقه فى ذلك على أقرانه ، وقد أثنى عليه كثير من الأئمة المتقدمين غير الشافعى .

فعن أبى اليمان قال : كنت أشبه أحمد بن حنبل بأرطاة بن المنذر . وعن أحمد بن سليمان الواسطى قال : ما رأيت يزيد بن هارون لأحد أشد تعظيما منه لأحمد بن حنبل ، وكان يزيد يقعده الى جنبه اذا حدث ، ولما مرض أحمد ذات مرة ركب اليه يزيد وعاده .

قال

طلب المأمون من الناس القول بخلق القرآن ، ولم يكتف باعتقاد ذلك ، بل حاول فرضه بالقوة ، وكلف نائبه ببغداد اسحق ابن ابراهيم بن مصعب بذلك ، فاستدعى جماعة من أئمة الحديث ودعاهم الى ذلك فامتنعوا ، فتهددهم بالضرب والمضايقة وقطع الأرزاق عنهم ، فأجاب أكثرهم مكرهين أخذا بالرخصة التى منحها الله للمكره ، قال تعالى : **« الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان »** ، وفى الحديث « **رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** » .

ولم يمتنع من ذلك الا أحمد ابن حنبل ، ومحمد بن نوح فحملا مقيدين على بعير ، وهددا بالقتل ، ومات المأمون ، فردوهما الى بغداد مع بعض الأسارى ، ومات ابن نوح بالطريق ، فانفرد الامام بالمعارضة ــ وأودع السجن نحوا

من ثمانية وعشرين شهرا أو نيفا وثلاثين شهرا ، ثم أخرج الى الضرب بين يدى المعتصم وكان يصلى بالسجن بمن فيه وهو مقيد من رجليه •

ولما خرج الى المعتصم مكنه من مناظرة خصومه ، فطلب احمد على القول بخلق القرآن دليلا من القرآن أو السنة ، وبين أنه لايقول الا بهما ، وأن الاسلام قام عليهما ، ولكن خصومه يئسوا من التغلب عليه ، وهيجوا عليه الخليفة ، وخوفوه من تعلق الناس به ، وكبر على الخليفة أن يمتنع أحمد عن اجابته ولو ظاهرا ، لئلا تذوب الفكرة بعد طول تثبيت فى قلوب الناس ، فأمر بضربه وسحبه واقاموه على كرسى ، وظلوا يضربونه بالسياط حتى أغمى عليه مرارا يدعونه كلما أفاق الى الاستجابة فيأبى حتى يئسوا منه ، وخافوا من الفتنة بقتله ، فأطلقوا سراحه ، وأخرجوه من سجنه الى أهله ودوى مما أصابه حتى شفى ، وسأل لكل من آذاه العافية الا أهل البدع • هذه هى المحنة التى رفعت اسم احمد عاليا ، وشهرت ذكره ، ورفعت قدره بين أهل عصره ، حيث باع نفسه فى سبيل الله ، فكان آلمه املا وصبره عزا ، وكلل الله جهاده بالنصر والفخار •

ولما خلص من المحنة لزم منزله لا يخرج منه لجمعة ولا جماعة ، وامتنع من التحديث ، واكتفى بايراده من ملك له يدر سبعة عشر درهما فى الشهر ينفقها على عياله صابرا محتسبا ، فلما ولى المتوكل على الله الخلافة استبشر الناس بولايته ، وكان الفرج على يديه ، فمنع القول بخلق القرآن ، واستدعى نائبه الامام أحمد اليه وأكرمه وعظمه ــ وحدث ما منع لقاءهما ــ ثم استدعاه الخليفة مرة ثانية ، فامتنع عنذلك لمرضه ، فألح عليه فاستجاب وامتنع عن قبول مظاهر الملك ، واكرام الخلافة ، واكتفى بالصيام وشرب السويق ، وأقام على مضض ، حتى اذن له الخليفة بالعودة الى داره ، وتوفى رحمه الله يوم الجمعة الثانى عشر

من ربيع الأول من سـنة احـدى وأربعين ومائتين ، وله من العمـر سبع وسبعون سنة « رحمه الله » قال عبد الوهاب الوراق ، ما بلغنا أن جمعـا فى الجاهليـة ولا فى الاسلام اجتمعوا فى جنازة أكثـر من الجمع الذى اجتمع على جنازة أحمد بن حنبل .

منهجه فى الحديث وأثره فيه

كان بارع الفهم لمعرفة الحديث صحيحه وسقيمه حتى لقـد تعلم الشافعى منه اشـياء من معـرفة الحديث ، وكان الشافعى يسـأله حديث كذا وكذا قوى الاسـناد محفوظ ؟ فاذا قال أحمد : نعـم ، جعله أصلا ، وبنى عليـه . وكان الامام يتشدد فى قبول أحـاديث الأحكام ، ويتساهل فى أحـاديث الفضائل ، فقد روى عنـه قال : « نحن اذا روينـا فى الحـلال والحرام شـددنا ، واذا روينا فى الفضائل تساهلنا » . وكان يأخذ بما فيه ضعف قريب محتمل يزول بتعدد الطرق ، وهو الحسن لغيره فيها وكان يقدم السند على أقوال الرجال ، ويود أن يكون الفقه مبنيا على النقل قبل أى اجتهاد ، قـال أبو زرعة الرازى : كان أحمد يحفظ الف الف حـديث ، فقيـل لـه : وما يدريك ؟ قال : « أخذت عليـه الأبواب » ـ وقال الخليلى : كان أفقه أقرانه وأورعهم ، وأكفهم عن الكلام فى المحدثين الا فى الاضطرار وهذا أدب زائد منه :

ومن أشـهر اثاره مسـنده فى الحديث ، ذلك الكتـاب الخـالد أبو السنن وأكثر المراجع فى مجال السنة من كتب أئمة الحديث التى كتب لها البقاء .

مسند الامام أحمد :

سمى بالمسند لأنه يقوم عـلى جمع أحاديث كل صحابى على حدة دون نظر الى موضوع الحديث ، وهذا هو المسـند فى اصـطلاح المحدثين . وقد رتبه على حسـب فضل الصـحابة ، فبـدأ بالعشرة المبشرين بالجنة ، ثم بمن بعدهم ، وقد شهد له المحدثون قديما وحديثا بأنه أجمع كتب السنة للحـديث ، وأوعاها لكل ما يحتاج اليه المسلم

فى أمر دينه ودنياه . قال أحمد فى مسنده : عملت هذا الكتاب اماما اذا اختلف الناس فى سنة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » رجعوا اليه . وقد انتقاه من ألوف الأحاديث التى كان يحفظها ، حتى لقد قيل انه انتقاه من سبعمائة وخمسين ألف حديث .

وقد اشتمل المسند على أربعين ألف حديث بالمكرر ، وثلاثين ألفا من غير المكرر ، ومع ذلك لم يستوعب كل الأحاديث ، قال ابن كثير لا يوازى مسند أحمد كتاب مسند فى كثرته ، وحسن سياقاته وقد فاته احاديث كثيرة جدا بل قيل : « انه لم يقع له جماعة من الصحابة الذين فى الصحيحين قريبا من المائتين » ولكنه أكبر جهد بذله عالم فى مجال السنة وجمعها والعناية بها . والمسند الذى بأيدينا اليوم ، ليس كله من رواية الامام أحمد ، ولكن أضاف اليه ابنه عبد الله زيادات ليست من رواية أبيه ، وكذلك فعل الامام أبو بكر القطيعى راوى المسند عن عبد الله بن أحمد ، قال الشيخ أحمد الساعاتى : « بتتبعى لأحاديث المسند وجدتها تنقسم الى ستة أقسام :

١ — قسم رواه عبد الله بن أحمد سماعا من أبيه ، وهو المسمى « بمسند الامام أحمد » وهو كبير جدا يزيد على ثلاثة أرباع الكتاب.

٢ — قسم سمعه عبد الله من أبيه ومن غيره وهو قليل جدا .

٣ — قسم رواه عن غير أبيه وهو المسمى « بزوائد عبد الله » وهو كثير بالنسبة لما عدا القسم الأول .

٤ — قسم قرأه على أبيه ولم يسمعه منه .

٥ — قسم وجده فى كتاب أبيه بخط يده .

٦ — قسم رواه الامام أبو بكر القطيعى عن غير عبد الله وأبيه « رحمهما الله تعالى » وهو أقل الجميع .

« البقية صفحة ٩١٢ »

منهج الحكيم الترمذي في التفسير

للدكتور / محمد ابراهيم الجيوشي

يرتكز فكر الحكيم أساسا على فهم القرآن الكريم ، والتعمق فى استخلاص أسراره ومعانيه الظاهرة والباطنة ٠

وقد بدأ اهتمامه بالقرآن منذ رحلته الى الحج التى حدثنا عنها فى رسالته « بدء الشأن » والتى يقول فيها « فقدمت مكة فى بقية شعبان فرزق الله المقام بها الى وقت الحج وفتح لى باب الدعاء عند الملتزم فى كل ليلة سحرا ، ووقع على قلبى تصحيح التوبة ، والخروج مما دق وجل ، وحججت فرجعت وقد أصبت قلبى ، وسألته عند الملتزم فى تلك الأوقات أن يصلحنى ويزهدنى فى الدنيا ويرزقنى حفظ كتابه ، وكنت لا أهتدى لشىء من الحاجات غير هذا ، فرجعت ، وقد ألقى على حرص التحفظ للقرآن فى طريقى ، فأخذت صدرا منه فى الطريق ، فلما وصلت الى الوطن يسر على ذلك بمنه حتى فرغت منه ، فاقامنى ذلك بالليل فكنت لا أمل من قراءته حتى انه كان ليقيمنى ذلك الى الصباح ، ووجدت حلاوته (١) وقد انعكس هذا الفهم على آثار الحكيم كلها فى شتى فروع المعرفة التى ناقشها فى كتبه ورسائله المتعددة ٠

وبين مؤلفات الحكيم كتب ورسائل تتصل مباشرة بالقرآن

---

(١) بدو الشان مخطوط اسماعيل صائب ورقة ٢١٠ ٠

الكريم ، وتكشف عن جوانب مهمة من فهمه لكتاب الله عز وجل ، وهذه الكتب هى :

١ ــ كتاب الأمثال من الكتاب والسنة مخطوط بباريس وأسعد افندى وكلكتا •

٢ ــ كتاب تحصيل نظائر القرآن مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية وطبع أخيرا بمعرفة الاستاذ حسنى زيدان •

٣ ــ تفسير آية لا شرقية ولا غربية ، وقد تناول تفسيرها فى أكثر من موضع ، ويوجد كتاب فى تركيا يحمل هذا العنوان وقد بينا انه ليس له •

٤ ــ طائفة كبيرة من المسائل يتناول كل منها تفسير آية من القرآن الكريم ومعظمها موجود ضمن مجموعة ليبزج •

٥ ــ تفسير القرآن الكريم، ذكر الهجويرى (١) ، انه بدأ فيه فى آخر حياته ، ولكنه لم ينته ولم يعثر علىأثر لهذا التفسير حتى الآن ولم يلتزم الحكيم منهجا واحدا فى تفسيره للقرآن الكريم بل يجد الباحث له اكثر من منهج ، وان كان الاتجاه الصوفى يغلب على اكثر ما كتبه فى حقل التفسير ، فهناك التفسير الظاهرى الذى جرى عليه أغلب مفسرى القرآن نجده فى كثير من الآيات التى تناولها ، وهناك التفسير الذى يعتمد على التركيز على المعنى الباطن لكلمات القرآن الكريم معتمدا على أن لكل كلمة من القرآن ظاهرا وباطنا ، وهناك التفسير القائم على استنباط أسرار الحروف التى تتألف منها الكلمات •

هذه هى الاتجاهات العامة التى تجدها مبثوثة فى رسائله وكتبه فى التفسير وهناك اتجاهات خاصة قد نجد معها أحد هذه الاتجاهات الثلاث وخاصة الاتجاه الثانى والثالث • هذهالاتجاهات الخاصة قد يوجهها الهدف الرئيسى الذى يقصده من الكتاب ، ففى كتابه المسمى تحصيل نظائر القرآن عمد

(١) ترجمة كشف المحجوب لنيكلسون ص

الى طائفة من الألفاظ التى تداولها القرآن الكريم أكثر من مرة متناولا المعانى المختلفة التى استعملت فيها هذه الكلمات مشيرا الى الرابطة اللغوية بين المعنى الاصلى للكلمة والمعنى الفرعى الذى استعملت فيه ، وقد ظننت أول الأمر أن هذا المنهج من ابتكار الحكيم وانشائه حتى وجدت فى السطور الاولى من مقدمة الكتاب ما يفهم منه أن هناك كتابا آخر نهج هذا النهج اطلع عليه الحكيم ثم نسج على منواله وبعد البحث تبين أن هناك كتابا الفه مقاتل بن سليمان سماه الأشباه والنظائر وسلك فيه المسلك الذى سلكه الحكيم حتى أنه بدأ بالكلمة التى بدأ بها الحكيم ، وهى « الهدى » وتوجد نسخة مخطوطة من كتاب مقاتل فى مكتبة تشستر بيتى بايرلندا .

وقد تناول الحكيم فى كتابه هذا ثمانين كلمة قرآنية بين المعانى المختلفة التى استعملت فيها كل كلمة ، ويلاحظ ان الحكيم فى استعراضه للكلمات التى تناولها يستطرد فيذكر معانى الكلمات والمقصود منها وخاصة بالنسبة للفهم الصوفى ، واحيانا يعطى تفسيرات ذات معان بعيدة كما فى حديثه عن — الحكمة والوحى والذكر وهذه قائمة بالكلمات التى جاءت فى الكتاب :

١ — الهدى ولها ثمانية عشر وجها .
٢ — الكفر .
٣ — الشرك .
٤ — السواء .
٥ — المرض
٦ — الفساد .
٧ — المشى .
٨ — اللباس .
٩ — السوء .
١٠ — الخزى .
١١ — باءوا .
١٢ — الرحمة .
١٣ — الفرقان .
١٤ — قانتون .
١٥ — الذكر .
١٦ — الخوف .
١٧ — الصلاة .
١٨ — الناس .

١٩ ـ كتب ٠
٢٠ ـ الخير ٠
٢١ ـ الخيانة ٠
٢٢ ـ الامام ٠
٢٣ ـ الأمة ٠
٢٤ ـ الشقاق ٠
٢٥ ـ ألوجه ٠
٢٦ ـ الفتنة ٠
٢٧ ـ العدوان ٠
٢٨ ـ الاعتداء ٠
٢٩ ـ الفرص ٠
٣٠ ـ العفو ٠
٣١ ـ الطهور ٠
٣٣ ـ ان ٠
٣٢ ـ أنى ٠
٣٤ ـ الظن ٠
٣٥ ـ الحكمة ٠
٣٦ ـ المعروف ٠
٣٧ ـ الطاغوت ٠
٣٨ ـ الظالمين ٠
٣٩ ـ اطمأن ٠
٤٠ ـ السعى ٠
٤١ ـ الفواحش ٠
٤٢ ـ أدنى ٠
٤٣ ـ التأويل ٠
٤٤ ـ الاستغفار ٠

٤٥ ـ أندين ٠
٤٦ ـ الاحساس ٠
٤٧ ـ الاسلام ٠
٤٨ ـ الايمان ٠
٤٩ ـ الشكر ٠
٥٠ ـ الفضل ٠
٥١ ـ الصر ٠
٥٢ ـ البأساء والضراء ٠
٥٣ ـ الوكيل ٠
٥٤ ـ المحصنات ٠
٥٥ ـ الشهيد ٠
٥٦ ـ الد ج ٠
٥٧ ـ الردى ٠
٥٨ ـ شيعا ٠
٥٩ ـ مناع ٠
٦٠ ـ الضحى ٠
٦١ ـ الخاسرين ٠
٦٢ ـ الاستطاعة ٠
٦٣ ـ فتولى عنهم ٠
٦٤ ـ الروح ٠
٦٥ ـ الاحزاب ٠
٦٦ ـ التقوى ٠
٦٧ ـ الصـــف ٠
٦٨ ـ الحشر ٠
٦٩ ـ الرجاء ٠
٧٠ ـ الوعى ٠

٧١ ــ الجبار •
٧٢ ــ السوى •
٧٣ ــ اللغو •
٧٤ ــ ظل •
٧٥ ــ الأسباب •
٧٦ ــ الحق •
٧٧ ــ بغير حساب •
٧٨ ــ الماء •
٧٩ ــ الكبير •
٨٠ ــ يوزعون •
٨١ ــ السبيل •

اما كتاب الامثال فهو منهج فريد فى استعراضه لظاهرة خاصة فى التعبير عن المعانى تعمد الى ضرب الأمثال للايضاح والبيان، وقد بين الحكيم فى مقدمة الكتاب أن الله ضرب الأمثال للعباد لحاجتهم اليها ، ليعقلوا بها ويدركوا ما غاب عن أسماعهم وأبصارهم بقياسه على المشاهد المرئى ، والذى يوحى به عنوان الكتاب أنه اقتصر على الأمثال التى وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، غير أننا لا نكاد نمضى بضع صفحات حتى نجده قد أضاف الأمثال الواردة على السنة الحكماء والعلماء • وهذا الجزء الاخير قد استغرق أكثر صفحات الكتاب ، وقد تناول فيه المعانى التى تجذب انتباهه كواحد من شيوخ الصوفية الذين يرسمون الطريق لمن يأتى بعدهم من السالكين والسائرين فى الطريق •

أما الامثال القرآنية التى جاءت فى الكتاب فقد بلغت حوالى ثلاثة وعشرين مثلا وهى :

١ ــ مثل المنافقين •
٢ ــ مثل اليهود مع نبينا صلى الله عليه وسلم •
٣ ــ مثل المنافقين بتكذيب القرآن •
٤ ــ مثل محمد ودعوته مع الكافر كمثل الذين ينعق بما لا يسمع دعاء ولا نداء •
٥ ــ مثل المنفق ماله فى طاعة الله •
٦ ــ مثل المرائى والمشرك •
٧ ــ مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها

صر والمقصود هنا اليهود •
٨ ــ مثل الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث •
٩ ــ مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء •
١٠ ــ مثل الحق والباطل **« أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها »** •
١١ ــ مثل دعاء الكافر كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه •
١٢ ــ مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة •
١٣ ــ مثل اعمال الكفار كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف •
١٤ ــ مثل الوثن كمثل عبد مملوك لا يقدر على شىء •
١٥ ــ مثل ناقض العهد كالتى نقضت غزلها من بعد قوة •
١٦ ــ مثل أصنام أهل مكة **« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له »** •
١٧ ــ مثل قلب المؤمن وأعماله ••
١٨ ــ الله نور السموات والأرض مثل نورة كمشكاة فيها مصباح •
١٩ ــ مثل أعمال الكفار كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا •
٢٠ ــ مثل آخر للكافر •
٢١ ــ مثل العنكبوت اتخذت بيتا •
٢٢ ــ مثل آخر للشرك : **« ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم »** •
٢٣ ــ مثل اليهود مثل الحمر **« مثل الذين حملوا التوارة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا »** •

ويوجد فى مجموع كلكتا كتاب بعنوان « تبيان الامثال » تحدث فى مقدمته عن الغاية من ضرب الأمثال كما فعل هنا مع اختلاف طفيف فى الكلمات لا فى الأفكار ثم اتبعه بذكر الأمثال التى جاءت هنا والحقيقة أنه نسخة أخرى من

الأمثال مع – اختلاف فى بعض التعبيرات فقط .

أما الكتاب المسمى تفسير آية لا شرقية ولا غربية مع تأويل أربعين حديثا الذى ذكره الدكتور عثمان يحيى فليس فى الحقيقة من كتب الحكيم ، والسبب فى ذلك أن مؤلف الكتاب صدره برأى الحكيم فى شرح الآية المذكورة ، فتوهم من قرأ بعض الورقة الأولى أن الكتاب له ، وليس كذلك ، وقد عقب مؤلف الكتاب بايراد اربعين حديثا وتناول شرحها متبعا الطريقة التى سار عليها الحكيم فى شرح الآية ، وهى الطريقة التى تقوم على استخلاص أسرار ومعان من الحروف الا أن صاحب الكتاب قد أغرق منى ذلك اغراقا شديدا .

ولم تأت الاحاديث مرتبة حسب أرقامها ، فالحديث السادس عشر يأتى بعد الثالث ، ثم الثانى عشر ، وهذا الترتيب يعطى فكرة واضحة عن مدى الاضطراب فى هذا المخطوط .

وفى نهاية الكتاب ورقة ١٣٣ بعد أن ينتهى من شرح الحديث الاربعين يقول ناسخه فى الهامش : هنا ما كتبنا من شرح الحديث لابراهيم بن محمد الطاوسى انتسابا والعردينى ولادا ، والذى الفه بعد الانتقال من بلاد خراسان الى مدينة همذان .

والذى يبدو أن هذا الكتاب والذى يليه فى المجموع من تأليف ابراهيم الطاوسى الذى ذكره الناسخ فى الورقة ١٣٣ ، ويرجح هذا أنه فى الورقة الثالثة ١٣٤ يأخذ فى الاشارة الى كتاب آخر يبين فيه معنى التقوى والوسيلة ودرجاتهما وشرائف اسرار مبادئهما وغاياتهما ، وبيان ترتيب الجهاد ، ثم يشير الى كتاب آخر تحدث فيه عن بيان مراتب الايمان وباطنه وظاهره ، وأصل شجرته وشعبه وعروقه ويسميه « تحرير البيان فى تقرير شعب الايمان ورتب الاحسان » .

وقد تناول الحكيم فى أماكن متفرقة من كتبه ورسائله طائفة من آيات القرآن الكريم ، بالشرح والتفسير بلغت أربعا وأربعين آية ، وكانت آية النور « الله نور

السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار» • أوفرها حظا وأوضحها فى الكشف عن منهج الحكيم فى التفسير وفهم القرآن الكريم ، وقد اعتمد بعض المفسرين الكبار على رأى الحكيم فى تفسير هذه الآية ونقلوا عنه فهم القرطبى من قدامى المفسرين فى تفسيره المشهور ، والشوكانى فى المحدثين فى تفسيره « كشف القدير » •

ومنهج الحكيم فى تفسير القرآن الكريم ذو اتجاهات ثلاث :

أولها المنهج الظاهرى فى فهم الآيات والذى جرى عليه جمهور مفسرى القرآن الكريم على اختلاف العصور •

ثانيهما : التفسير الصوفى الذى يرى أن للقرآن ظاهرا وباطنا •

وثالثها : استخلاص معانى واشارات خاصة من الحروف التى تتكون منها الكلمات ويرتبط هذا بوجهة نظره فى المعرفة حيث يرى أن الحروف أصل العلوم كلها من الاسماء والصفات •

وهذا الاتجاه الثالث يرتبط ارتباطا وثيقا بالاتجاه الثانى ، وكان من الممكن ان نقف على منهج كامل للحكيم فى التفسير لو أننا اهتدينا الى التفسير الذى قال الهجويرى ان الحكيم بدأه فى آخر حياته ولكننا لم نقف على أثر له حتى الآن •

ويجب ألا يفوتنا الاشارة الى ان فهم الحكيم لكثير من الأصول الصوفية وعرضه لها فى أسلوبه الخاص انما يستمد أساسا من فهمه للقرآن الكريم والسنة المطهرة ، فهو وان لم يكتب تفسيرا للآيات فى عرضه لهذه الأصول الا أن استلهامه لمعانيها كما فهمها كان واضح الأثر فى تلوين تفكيره وصبغه بالصبغة التى تطالع الباحث من خلال دراسته لكتبه ورسائله •

ويجدر بنا قبل أن ندع الحديث عن منهج الحكيم فى التفسير أن

نقدم نموذجا من تفسيره ، وهو تفسير الآية الكريمة « **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء** » قد كثرت التفاسير لهذه الآية من وجوه شتى كل حسن ، ولكن التفسير ما فسره الحكماء من الحكمة العليا التى خرجت من خزائن المعرفة ونطقت بها ألسن أهل العقول من بحور الالهام حتى سالت منها أودية ملأت الافق أما قوله عز وجل « **الله نور السموات والارض** » فان الانوار كلها تسعة ، وهن كلهن من نور الله ، فأما النور الأول فنور الشمس ولباسه الضوء ، وأما النور الثانى فنور القمر ، وليس عليه لباس ، وانما معناه فى ذلك لباس الباطن لا لباس الظاهر ، فأما لباس الظاهر فان لكل واحد منهما لباسا ، فلباس الشمس من العرش ، ولباس القمر من الكرسى ، هذا فى المجاز وفى التحقيق لا يقال لما ذكرنا لباس ، انما ذاك كسوة ، والكسوة سوى اللباس ، الكسوة بها توارى العورة ، واللباس ما يلبس فوق الثياب ، ذلك للنفس وهذا للعين ، وشتان ما بينهما عند من له فقه ولب فى التمييز بينهما ونكتة أخرى أن الكسوة لحاجة النفس واللباس فرح القلب ، وفيه ما لا يمكن الفحص عنه ، ولو قصدت ذلك طال الكتاب ، رجعنا الى ماكنا فيه ، وأما النور الثالث فنور الكواكب ، وأما النور الرابع فنور النهار ، وأما النور الخامس فنور البرق ، وأما النور السادس فنور النار ، وأما النور السابع فنور العين ، وأما النور الثامن فنور الجواهر ، وأما النور التاسع فهو رأس الأنوار وملكها ، وذلك أنه خرج من الوحدانية ، وعليه لباس الربوبية ، يدل على الألوهية ، ويشير الى الفردية ، وذلك قوله « **أفمن كان على بينة من ربه** » فهو نور المعرفة « ويتلوه شاهد

منه » فهو نور الشواهد والعلائم الذى معه يدل على اللـه ويشير اليه ، ويؤدى عنه بالصفات والذات والاسماء الدالات ، وانما صار أبهى الأنوار واعلاها وأشرفها ، وكلهن من رب واحد لأن تلك أنوار الظاهر ، وهذا نور الباطن ، فبنور الظاهر ترى الظاهر ، وبنور الباطن ترى الباطن لو أنك اردت أن تنظر الى ما غاب عنك بنور بصرك لم تطق ذلك أبدا ، ونكتة أخرى أن بنور الباطن ترى الظاهر والباطن كلاهما ، وبنور الظاهر لا تطاق الرؤية الا للظاهر ، فجميع الأنوار التى ذكرنا بدت من ملكه وقدرته والنور الأشرف وهو نور المعرفة انما بدا من الوحدانية ، فتلك دالة على الملك والملكوت لانها بدت منها ومن نوريته خرجت هذه الأنوار كلها ، فوصف نوريته الذى بدا من الملك لأهل السموات وأهل الأرض ثم عطف على النور الأعلى والأشراف ، وهو نور المعرفة الذى بدا من الوحدانية فذكره ، وضرب له مثلا

ليفهمه خلقه وليعرفوا كرامتهم التى أكرمهم الله بها من بين خلقه وليشكروه على صنعه بهم ونظره لهم وعطفه عليهم فى سابق علمه بهم حيث لا أرض ولا سماء ولا عرش ولا كرسى ولا قدر ولا فضاء ولا شىء ولا مقادير ، نظر اليهم فى هويته وفرديته وديموميته وقدمه ، فاجتباهم وهداهم واختارهم لنفسه وجعل اسماءهم عنده فى سابق علمه ليوم خروجهم وربيتهم الله بين يديه فى غيبه المكنون اليهم ، وكنفه بالمحبة عليهم ، فيباهى بهم خلقه وخليقته حتى يمجدونه ويثنون عليه ويركعون ويسجدون له ، وحيث يسلون سيوفهم النورانية من أغمادها مموهة بماء المحبة محددة بالمعرفة ، مصقلة بالاخلاص فيهزونها بالشوق بين يدى الجليل على بساط الفرح فتلمع سيوفهم وتشرق منها أنوار فتحرق الحجب هيبته ، ويحير الملائكة سلطانه ، وتحرق الشرك والكفر نيرانه ، ويرتعد من الشوق الى صاحبها عرش الجليل ، وتتبع وتزهر جنان

انفراديس من طيبه ، فياله من عز (منزلة) وياله من شرف لــو كنت تعقل •

رجعنا الى ما كنا فيه فقــال : مثل نوره كمشــكاة فيها مصــباح المصــباح فى زجــاجة الزجــاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة • يقول يوقد القنــديل من دهن شجرة مباركة وهى الزيتونة « لا شرقية ولا غربية » يقــول : ليست الشجرة بشرقية ولا غربية « يكاد زيتها يضىء » يقول : يضىء القنديل بغير نار « ولو لم تمسسه نار : يقول : يضىء ضياء لو لم يكن « نور على نور » يقول : هو نــور يعنى الزيتون على نور يقول : على الزجاجة : « يهدى الله لنوره من يشاء » واما المثل فانه يقــول كأن بيتا له مشكاة وهى الكوة ، وفيهــا قنديل معلق ، قد صــب فيــه ماء وفوقه دهن الــزيت الى أن جاوز البأرق وصــارت الفتيــلة فيهــا مصبوغة ، ــ والقنديل يضىء اهل البيت بضــوء الدهن الذى فيه ، وهو دهن الزيتون من غير نار كأنه كوكب درى فى شدة ضوئه ودريته،

وأما تفســير مثــل القنــديل فان المشكاة الكوة ، والبيت الصــدر ، والمصــباح السراج ، والمصــباح الآخر الفتيلة ، والزجــاجة بابرق القنديل ، والزجاجة الاخرى نفس القنديل ، ووقوده من دهــن زيت لا شرقية ولا غربية بلا نار ، وأما معنى مثل القنــديل فان المشــكاة وهى الكوة هى الفم والبيت الذى فيه الكوة هو الصــدر والمصــباح المنسوب الى السراج الاقــرار ، والمصباح الآخر المنســـوب الى الفتيلة اللســـان ، والزجــاجة المنســوبة الى الفايزق الخــلق ، والزجاجة المنســـوبة الى نفس القنديل القلب ، وأما الوقود الذى ذكر أنه من الزيتون هو المعــرفة ، وأما الذى هو تحت الدهن فهو ماء الرحمة ، وأما تفسير القلب حيث سماه بالزجــاجة من بين جميــع الاشياء والحواجز فانما شبه القلب بالزجاجة لان الزجــاجة جوهرة أصلها من النور واستعمالها بالنور، وهى النار ، فلما اجتمعا ودخــل سلطان النار فيها ازدادت نــورا وضياء • وييســت من ســلطان

حراريتهماحرارة النار وحرارةالنور تضعفت ورخوت فمهما اصابتها يد اللامس (الادميين) انكسرت من غلبة سلطان النور وحرارته عليها ، ولذلك قال حكيم من الحكماء انما شبه الله تعالى قلب المؤمن بالزجاجة لانها سريعة الانكسار بطيئة الانجبار ، اذا انكسرت لا تقبل الجبر ولا تصلح حتى لا تصيبها النار فسماه لضعفه وسرعة انكساره وشدة نوره وضوئه بالزجاجة التى وصف •

وأما تفسير القلب حيث شبهه بنوره وضوئه ودريته بغير نار بالكوكب من بين الأشياء النورانية (الدريات) وانما شبهه بالكوكب لأن الكوكب أصله من النور ولباسه النور ، وهو معلق من السماء يضىء لأهل الأرض من مسيرة خمسمائة عام وأكثر بغير نار بالنور الذى هو جوهره والنور الذى هو لباسه فشبه قلب المؤمن بضوئه ونوره وضوء المعرفة التى فيه من الأرض لأهل السماء بغيرنار بالكوكب الذى يضىء لأهل الارض من السماء بغير نار ، فقال كأنها كوكب درى ، وكما أن القنديل يعلق من الهواء بحبل ، والكوكب معلق من السماء ، وكذلك القلب معلق من السماء ؛ وسماؤه العرش ، وجعله الأيمان وهو الاقرار به •

وأما تفسير قوله : توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار قال : أما شجرة الزيتون فان أصلها ومنبتها من شجرة طوبى التى هى الجنة أهداها الله تعالى لآدم عليه السلام يوم تاب عليه وزوده بها وسماها باسم سوى اسم طوبى، وهو الزيتون ، ولكنه بلطفه وحكمته غير حروفها ، وأبدل كل حرف منها بحرف آخر ، وختمها بحرف زائد ليس فيها وهو النون من الزيتون ، وذلك أن طوبى أربعة أحرف : طاء وواو وباء وياء وزيتون أربعة أحرف أيضا زاى وياء وتاء وواو ، وزيادة حرف فى آخره وهو النون ، واما تفسير الزيتونة فانها فى الحروف خمسة أحرف كما ذكرنا ، وهى الزاى والياء ، والتاء والواو والنون وكل

حرف منه يدل على فعــله ، ما فى حشــوه ، فالزاى زاى الـزاد ، والياء ياء اليوم ، والتاء تاء التوبة، والواو واو السمة حيث وسم الله تعالى شجرة طوبى حين غرسها ، ولها قصة نذكرها فى بابها ان شاء الله ، والنــون نون النــور فاذا جمعت بين حروفهــا المتفرقة دلك على أن الله جــل وعز زود آدم عليه السلام بها يوم تاب عليــه ، والنــون علامة النور فى الزيتونة ودلالته على أن فيها نــورا يضىء القنديل بنوره من غير نار كما قال: يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسســه نار ، ها هنا تم الكلام ، ثم استأنف الكلام فقال : نور عــلى نور •• « أى لأن الزيتون نور على نــور الزجاجة : وهى القلب ، والزيتونة المعرفة يقول : كما أن دهن القنديل من شــجرة الزيتونة كذلك دهــن القلب من شجرة التوحيد ، وشجرة التوحيد هى التى ذكرها الله تعالى فى القرآن ، ومثــل كلمــة طيبــة كشجرة طيبة « وهى التوحيد أصلها ثابت فى قلب المــؤمن وفروعها فى السماء وهو العرش » تؤتى أكلها يعنى ثمرها كل حين كل ساعة باذن ربها ، نقول لا تثمر الا باذن ربها•

وأما تفسير قوله مبــاركة فان قصتها فى ذكر قصــــة طــوبى ، وسنذكره فى موضعه ان شاء الله مع سمتها التى ذكرنا •

وأما تفسير لا شرقية ولا غربية فذلك أن الله عز وجل حيث اهداها الى آدم يوم أهداها غرســـها فى قلعة من الأرض ولم يكن يومئــذ حيطان توارى عنها الشمس ولا ظل وكانت الدنيا فيافى وبرارى أهدى اليه حبة من حبات ثمر شـــجرة طوبى حين تاب عليــه وقبــل له يا آدم : أن فيك داعية تدعوك الى جوهرها ولابد لك من اتباعها وهى جوهرة الثواب ،وهى التى دعتك الى أن أخرجتك من الجنة ، وأسكنتك الارض ، وهى كما دعتك من الجنة الى أن اخرجتــــك من الجنـــة ، وأسكنتك الأرض ، وهى كما دعتك من الجنة الى أن أخرجتك من جوارى وأسكنتك الارض ، فهى لا تــدعك أن ترجع الى جوارى ودارى لأنها تحب جوهرتها وتطمئن اليها وهى الأرض ، وتنسيك الآخرة فرحمتك

يا آدم وزودتك هذه الحبة لأنهـا من الجنة لتكون داعية الى جوهرها وهى الجنة ، كما أن جوهرة التراب تدعوك اليها ، وهى الأرض فخـذ هذه يا آدم واغرسها فغرسها آدم، فلما نبتت واستغلظت وأخرجت شطأها فازدهرت واستوت عـلى ساقها أعجب آدم عليه السـلام نباتها ، وكانت اذا طلعت الشمس طلعت عليها واذا غربت غربت عنها فأينعت وازدهـــرت وأورقت واخضرت وتسـنبلت وأثمـــرت وأخرجت على كل ورقة منها سمة منقوشة بالسورية «لا اله الا الله» فلما نظر اليها أعجب بهـا وقـال ليتنى اعرف اسـمها ، فقيـل له : يا آدم هذه شجرة الزيتون ، قال يارب ولم سميتها شجرة الزيتون، وهى من شـجرة طوبى ، قـال : لأنى زودتك بها يوم تبت عليـك فالزاى زاى الزاد والياء ياء اليوم، والتاء تاء التوبة ، قال : يارب فما الواو الذى فيه قال : تلك عـلامة السمة التى وسمت بها أمها ، وهى طوبى فأخرجت هذه تلك السـمة قال : وما سمتها ، قال سمة طوبى

أنى أنا الله ، وسمة هـذه هـذا المنقوش على أوراقها وهو لا الـه الا الله قال : فما هـذه النون فى عقبها ؟ قال : ذلك علامة النـور الذى وضعت فيها ، فان فيها نورا يضىء منها ، وهو الذى قال : يكاد زيتها يضىء ، ولو لم تمسسه نار رجعنا الى ما كنا فيه فشـبه دهن شجرة القلب وهى المعـرفة بدهن شـجرة الزيتونة التى لا شرقيـة ولا غربية ، وهى التى غرسها آدم عليه السلام يومئذ ، يقول : فكما أن الزيتونة اذا كانت بتلك الحال يكون اجود لثمرها وأحسن كذلك يكون ثمر شجرة المعرفة أحسـن وأجود اذا كانت لاشرقية ولاغربية فشمس الزيتونة شمسنا هـذه ، وشمس شجرة المعرفة نظر اللـه الجميل اليها كل يوم بكرة وأصيلا، وليس فيما بينه وبينها شىء يمنعه عن النظر اليها ، ذلك أنه اذا كان بين نظره وبين الشـجرة هوى أو ذنب أو شىء لم يقع النظر على الشجرة ، كمـا أنه اذا كان بـين الشجرة وبين الشمس حائط أوستر لم يقع عليها الشمس ، وبقت تحت

ظل الحائط فسقمت وذبلت وتناثرت أوراقها واصفرت وتغيرت عن حالها ؛ وما أخرجت من الثمار أخرجت نكدا لا مذاقة لها وصف عليها اليبس ؛ ولذلك قيل ان الزيتون لا يستقر فى بطن المنافق حتى يضىء ولا يطيق اكله الا مؤمن طيب لانه من طوبى وطوبى من الجنة ولا يستقر ثمر الجنة فى بطن المنافق (١) •

دكتور : محمد ابراهيم الحبوشى

(١) راجع كتاب غور الامور مخطوط اسعد افندى رقم ١٣١٢ من ورقة ١٠٢٣ حتى ورقة ٢٦ ، وراجع كتاب الاعضاء والنفس مخطوط اسعد رقم ١٤٧٩ من ورقة ١٤٧ أ حتى ورقة ١٤٩ أ وكذلك مخطوط باريس رقم ٥٠١٨

بقية مقال من أئمة الحديث للدكتور الحسينى هاشم

وكل هذه الأقسام من المسند الا زيادات عبد الله ، وزيادات القطيعى « القسم الثالث والسادس » وقد امتاز مسند أحمد بثلاثياته ، وهى الأحاديث التى ليس بينه وبين الرسول « صلى الله عليه وسلم » فيها الا ثلاثة رواة ، وتزيد هذه الأحاديث فى المسند عن ثلاثمائة حديث • وقد جمع الامام مسانيد كثيرة من الصحابة • قال أبو موسى المدينى : أما عدد الصحابة فيه فنحو سبعمائة رجل ومائة ونيف امرأة ، وبلغ عدد شيوخه الذين روى عنهم فيه مائتين وثلاثة وثمانين رجلا •

(وبعد) فما زال مسند الامام أحمد مدرسة كبيرة ومجالا واسعا لفرسان الحديث نقدا واستخراجا وشرحا وتعليقا الى اليوم •

« د • الحسينى هاشم »
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

طرائف .. ومواقف

إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أطيعوني ما أطعت الله

من خطبة عمر بن عبد العزيز عند توليه الخلافة :

أيها الناس : ان هذه الأمة لم تختلف فى ربها ، ولا فى دينها ، ولا فى كتابها ، ولا فى نبيها .. وانما اختلفت فى الدينار والدرهم ..

وانى والله لا أعطى أحداً باطلا ، ولا أمنع أحداً حقاً .

أطيعونى ما أطعت الله ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم .

لكل شيء آفة

تزعم العرب أن لكل شىء آفة :

فآفة الحلم : الغضب ، آفة العقل : العجب ، وآفة العلم : النسيان ، وآفة السخاء : المن ، وآفة الكرام : مجاورة اللئام ، وآفة الشجاعة : البغى ، وآفة المال : سوء التدبير ، وآفة الكامل من الرجال : العدم (أى الفقر) .

رضيت بما رضي الله به

قال الأصمعى : رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولهـا زوج قبيـح •

فقلت : ياهذه : أترضين أن تكونى زوجة لهذا ؟

فقالت : لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلنى ثوابه • وأسأت فيما بينى وبين ربى فجعله عقابى •

« التقى الصـادق »

التقى الصادق : قوته : ما وجد ، ولباسه : ما ستر ، ومسـكنه حيث أراد •

الدنيا : سجنه ، والقبر : مضجعه ، والخلوة : مجلسه •

القرآن : حديثه ، والرب أنيسه ، والذكر : رفيقه ، والزهـد : قرينـه •

الحكمة : كلامه ، والتراب : فراشه ، والتوكل : حسبه ، والعقل : دليله والعبادة : حرفته ، والجنة ـ ان شاء الله ـ وطنه !! •

« بين الجاهل والعالم »

قيل لأفلاطون : لم يبغض الجاهل العالم ، ولا يبغض العالـم الجاهـل ؟!

قال : لأن الجاهل يستشعر النقص فى نفسه ،ويظن أن العـالم يحتقره ويزدريه فيبغضه !

والعالم لانقص عنده ، ولا يظن أن الجاهل يحتقره ، فليس عنده سبب لبغض الجاهل •

معرفة الأمور

قال الجاحظ : انك لا تعرف الأمور مالم تعـرف : أشباهها ، ولا اقبها ما لم تعرف : أقدارها ، ولن يعرف الحق من يجهل الباطل ، ولا يعرف الخطأ من يجهل الصواب ، وكيف يعـرف السـبب من يجهل المسـبب ! •

لها ... وعليها

عن عائشة ـ رضى الله عنها ، قالت : سألت النبى
ـ صلى الله عليه وسلم ـ أى الناس أعظم حقا لى المرأة ؟
قال : زوجهـا •
قلت : فأى الناس أعظم حقا على الرجل ؟
قال : أمـه •

مال البخيل

وذى حرص تراه يلم وفرا
لوارثـه ويـدفع عـن حماه
ككلب الصـيد يمسك وهو طاو
فريسـته ليأكلهـا سـواه

تذكرني بالراعي

قال بعض الوزراء لهارون الرشيد ، وقد رآه ينفق أموالا طائلة على العيون والجواسيس :

انك يا أمير المؤمنين تذكرني بالراعي الذي خاف على غنمـه من الذئاب فاصطحب كثيرا من الكلاب لكنه اضطر بعد ذلك الى ذبح نصف قطيعه لاطعامها .

حُبَّان لا يَجتمعَان

حب الله وحب المعاصي ، حب الجهاد وحب الحياة ، حب التضحية وحب المال ، حب الاصلاح وحب السلامة ، حب العدل وحب الاستبداد ، حب الشعب وحب الطغيان .

دعاء

« اللهم انى أعوذ بك أن أضـل أو أضـل ، أو أذل أو أذل أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل على » .

« صدق رسـول اللـه »

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من حضارة الإسلام

الفارابى
الفيلسوف المفترى عليه

للدكتور / أحمد عبد الحميد الشاعر

في العـــام الماضى حضر الى القـــاهرة المســـتشرق الفرنسى الدكتور آرنالديز أستاذ الدراسات الاسلامية بجامعة الســـوربون • وقـــد رغب سيادته فى لقاء فكرى خاص مع أعضاء هيئة التدريس فى قســـم العقيـــدة والفلســـفة بكلية أصول الدين ـ القاهرة ـ جامعة الازهر • وقد صادفت تلك الرغبة هوى فى أنفســـنا • فنحن نرحب بالحـــوار النزيه • مهما اختلفت الآراء ، وتباينت المعتقدات •

وفى ملتقى فكرى خاص تحققت رغبـــة الدكتور آرنالديز • وكان حـــديثه يدور حـــول « فلســـفة الفارابى المعلم الثانى » • ولـــم يكتف بهذا اللقاء • وانما رغب فى أن تتاح له الفرصة العاجلة لالقاء محاضرة خاصة عـــن « فلســـفة الفـــارابى وآرائه فى المدينـــة الفاضلة » وقد سعدنا بذلك رغبة منا فى التعـــرف عـــلى الرؤية الصحيحة للفكر الأوربى المعاصر فى الفلسفة الاسلامية •

وبعـــد يومين حضر الدكتور آرنالديز • وألقى محاضرته تلـــك بمبنى الكلية باللغـــة الفرنسية • حيث أنه لا يجيد التحدث باللغـــة العربية •

وعلى ضـــوء ما أثاره الرجـــل مـــن قضايا وأفكار ، تأكد لدينـــا ما اســـتقر فى نفوسنا مـــن نظرة الغالبية من المستشرقين نحـــو الفلاسفة المسلمين • وهى نظرة تصدر عن الاعتقاد • بأن الفلسفة الاســـلامية ترجـــع فى حقيقتـــها

وأصـــولها الى الفلســـفة اليونانية بصـــفة خاصة • ولكن نفرا مـــن المتصـــفين للحقيقة يعترف بقيمة الفكر الاسلامى • وأصـــالته • فى اعزاز واجلال واكبار • ويعتقد ــ بحق ــ أن الحضــــــارة الأوربية تعتمد فى جوهرها عــــلى الفــكر الاسلامى الصحيح •

وقد حاول الدكتور آرنالديز ــ بذكاء ــ أن يكون منصـــفا • كما جاهد أن يعترف ــ مجاملا ــ بشىء من الاستقلال والاصالة لفيلسوفنا فى « المدينة الفاضلة » مخالفا بذلك أفلاطون فى كتابه عن «الجمهورية»

وبالطبع حوصر الرجل ــ برفق ــ بكثير من التساؤلات حول هذا الموضوع • ولكنه سرعان ما أنهى الموقف بقـــوله « انا أنا مؤرخ للفلسفة ولست بفيلسوف » •

وقد خرجت من هذا اللقاء بعده نتائج أهمها : ــ

أولا : أنى أكبرت الرجل • رغم تباين العقيدة ، واختلاف وجهات النظر • فهو يعلم ــ يقينا ــ دور الأزهـــر • وجامعة الازهـــر • فى الدراســـات الفلســـفية بخاصـــة والاسلامية بعامة • ومع ذلك جاء الينا ليطرح فكرة • ويلقى بآرائه •

ثانيا : شـــعرت بمرارة وأسف شديد لدى ما نحن فيه من تقصير فلماذا لا توفد جامعة الازهر نفرا من الاساتذة المتخصصين فى مختلف فروع العلم والمعرفة الى جامعات العالم لطرح الرؤية الصحيحة فى مختلف القضايا الراهنـــة • ؟ ان هذا ما تفعله الجامعات • خاصـــة أن الجامعات الاجنبية بدأت تتجه الآن نحو الأزهر وجامعته • مثلما حـــدث ، الصـــيف الماضى • حيث حضر الينا وفد من جامعات السويد وأقيمت عدة لقاءات لبحث كثير من المشـــكلات الفكرية والاقتصـــادية والاجتماعية •

انى لا أكون مغاليا • وأرجو أن أكون مقـــررا لحقيقة واقعـــة اذا ما قلت : ان الحضــــارة الأوربية الآن بدأت تفقد الثقة فيها • وأن العالم الأوربى فى شك من هـــذه الحضــــارة بل ان المخلصين مـــن المفكرين الأوربيين نفضوا أيديهم منها وهم ــ بلا شـــك ــ عـــلى محـــوره فى هـــذا حيث أن تلـــك

الحضارة عجزت تماما عن الوفاء بتوازن الانسان وتحقيق متطلبات الانســـانية • وان حققت الكثـــير والكثير من حاجاته المادية واشباع رغبته ونزواته •

أليس كل ذلك مما يتيح الفرصة للأزهـــــر وجامعته فى أن يـــؤديا رسالتهما نحو العالم بأسره ؟

ثالثا : لقد شـــغلت بما أثاره « أدنالدين » من قضايا • لا لانها جـــديدة علينـــا ، بل لأن الرؤية الصحيحة فيـــها لا تزال غامضة • ولأن الكثير مـــن الباحثين يجانبهم الصواب فى ايضاح الحقيقة خاصة فيـــما يتعلق بتقـــدير الفلاســـفة المسلمين •

مـــن هنا كان اهتمامى بهـــذا الموضوع • جلاء للحقيقة ، وانصافا للحق • ومن ثم يبدو واضحا أننا حينـــما نعنى بمثل هـــذا البحث لا يفهم منه أننا نسلم بكل ما جاءت به الفلسفة الاســـلامية ولا بكل ما قاله الفلاسفة المسلمون • فنحن نختلف معهم فى بعض القضايا • ونخالفهم فى بعض الآراء •

من منطلق الحيدة والانصاف • فنعطى كـــلا منهم حقه بما له وما عليه خاصة اذا كانت المسألة مناط البحث ــ تتعلق بالعقيدة • فذلك مسألة خطيرة لا نسمح لأنفسنا أن نلقى فيها القول جزافا أو نصـــدر الحكم عليها اعتباطا •

المعلم الثانى « أبو نصر الفارابى »

وفى موضـــوعنا هـــذا عـــن « الفارابى » نعنى خاصة بموقفه مـــن النفس الانسانية ومصـــيرها بعد الموت فهل تبقى أم تفنى ؟

واذا كانت السعادة هى الغاية المنشودة التى يستهدفها • فهـــل تتحقق تلـــك السعادة فى الحيـــاة الآخرة أم لا ؟

الموضـــع اذن يتعلق بعقيـــدة الرجل مـــن حيث الكفر والايمان على ضوء ما انتهى اليه من فلسفته وآرائه •

ومن الحق أن نضع فى تقديرنا أمرين :

الأمر الاول : أن الفـــــارابى المتوفى عام ٣٣٩ هو أول فيلسوف مسلم عنى بدراسة وشرح مؤلفات أرسطو « المعلم الأول » بصـــفة

خاصة ، والتعرف على الفلسفة اليونانية بصفة عامة • ومن هنا اعتبر « المعلم الثانى » كما أن الفارابى أول فيلسوف مسلم بلغت به الفلسفة الاسلامية ذروتها خاصة فى الجانب الاخلاقى منها • واذا كان يعتبر أستاذا لابن سينا المتوفى عام ٤٢٨ هـ فى الفلسفة بعامة • فان الشيخ الرئيس لم يشذ عن آرائه الأخلاقية بخاصة •

الأمر الثانى : أن الفارابى هو الفيلسوف المسلم الوحيد من بين الفلاسفة الالهيين الذى يعتبر صاحب مدرسة أخلاقية أهم شيوخها يحى بن عدى ٣٦٤ هـ ، وأبو سليمان المنطقى ٣٩٤ هـ ، وأخيرا ابن مسكويه ٤٢١ هـ •

ومن الحق علينا ان نؤكد : أن الفارابى وان تأثر بالفلسفة اليونانية — فتلك حتمية التلاحم الفكرى وهى مسألة بدهية — الا أنه يتميز بطابعه الخاص — وسماته المميزه • وانتمائه — عقيدة وعملا الى الاسلام ومن هنا كان الرجل — رحمه الله — ينطلق فى منهجه على أساس من محبة الحقيقة • ولو خالفت مذهب أرسطو • (١) أما فى واقع حياته فقد كان صوفيا زاهدا • أو على حد تعبير الشيخ مصطفى عبد الرازق رحمه الله — «فيلسوف زاهد • وموسيقى شاعر » (٢) •

السعادة الانسانية •

ان السعادة — كما أسلفنا — هى الغاية التى يستهدفها الفارابى من فلسفته وهى محور جهده وفكره ومن هنا كتب فيها « التنبيه على سبيل السعادة » ، « تحصيل السعادة » ، « نصوص الحكم و « المدينة الفاضلة » وغير ذلك من مؤلفاته : وهو يرى « السعادة أن تصير نفس الانسان من الكمال فى الوجود وبحيث لا تحتاج فى قوامها الى مادة •

ويوضح الطريق الى تلك الغاية بأن النفس « انما تبلغ ذلك بأفعال

---

(١) تاريخ الفلسفة ، الاسلام ص ٢٠١ ديبور ترجمة الدكتور عبدالهادى أبو ريده ط ٤ سنة ١٩٥٧ .

(٢) فيلسوف العرب والمعلم الثانى ص ١٤ ط ١ سنة ١٩٤٥ .

ارادية : بعضها أفعال فكرية وبعضها أفعال بدنية . وليست بأى أفعال اتفقت بل بأفعال محددة ومقدرة . تحصل على هيئات ما وملفات ما . مقدرة ومحددة .. والأفعال الارادية التى تنفع فى بلوغ السعادة هى الأفعال الجميلة .. والهيئات والملكات التى تصدر عنها هذه الافعال هى الفضائل . وهذه ليست خيرا لذاتها بل لما تجلب من السعادة » (١) .

النفس الانسانية بين البقاء والفناء .

اذا كان هذا هو رأى الفارابى فى السعادة « والطريق اليها بصورة موجزة فهل يا ترى : السعادة عنده دنيوية محضة . أم هى متحققة فى الآخرة أيضا ؟ بالطبع . لا نستطيع أن نحزم برأى فى هذا الموضوع الا اذا وقفنا على رأى الفارابى فى النفس الانسانية .

فهل النفس الانسانية — فيما يعتقد الفارابى — باقية بعد الموت أم فانية ؟ واذا كانت النفس باقية بعد الموت فهل جميع الانفس تبقى أم بعضها ؟ .

تلك هى مشكلة المشاكل التى يرى معظم المفكرين قديما وحديثا أن الفارابى قد زل بها زلة لاثقال وعزة ليس بعدها جبر — فأين وجهه فى هذه المسألة ؟

رأى ابن طفيل ومناقشته :

قبل أن ندع المجال للفارابى ليعرض لنا بنفسه آراءه فى ذلك . نرى أن نذكر رأى ، الفيلسوف الأندلسى « ابن طفيل » فى موقف الفارابى من هذا الموضوع لما له من قيمة علمية لدى الباحثين ولما يترتب عليه من أفكار عن الفارابى سنرى أهى على الحق أم على الباطل ؟

يقول ابن طفيل المتوفى عام ٥١٢هـ فى رسالته «حى بن يقظان» : **وأما ما وصل الينا من كتب أبى نصر فأكثرها فى المنطق وماورد منها فى الفلسفة فهى كثيرة الشكوك . فقد أثبت فى « الملة**

---

(١) آراء اهل المدينة الفاضلة ص ٧ ط بيروت ١٩٥٥ م .

الفاضلة » بقاء النفوس الشريرة بعد الموت فى آلام لا نهاية لها بقاء لا نهاية له ثم صرح فى « السياسة المدنية » بأنها منحلة وصائرة الى العدم . وأنه لا بقاء الا للنفوس الفاضلة الكاملة .

ثم وصف فى « كتاب الاخلاق » شيئا من أمر السعادة الانسانية وأنها انما تكون فى هذه الحياة ثم قال بعد ذلك كلاما هذا معناه : وكل ما يذكر غير ذلك فهو هذيان وخرافات عجائز ، فهذا قد أيأس الخلق جميعا من رحمة الله تعالى وصير الفاضل والشرير فى مرتبة واحدة اذ جعل مصير الكل الى العدم . وهذه زلة لاتقال وعثرة ليس بعدها جبر (١) .

هذا هو رأى ابن طفيل « فى المعلم الثانى » جعل مصير الكل الى العدم وما دام الامر كذلك فالسعادة عنده – لا تكون الا فى هذه الحياة . وتلك زلة كبرى وعثرة لاتقال !!

على أية حال ينبغى أن نضع فى تقديرنا لرأى « ابن طفيل – اعتبارين لابد منهما :

الأول : أن « ابن طفيل « كما أثبت فى النص – لم يطلع على ما سجله الفارابى عن السعادة والنفس الانسانية فى كتبه الاخرى . « كالتعليقات » وعيون المسائل ونصوص الحكم » ورسالته فى اثبات المفارقات و « التنبه على سبيل السعاده » و « تحصيل السعادة » .

الثانى : أن ابن طفيل فى نفسه شىء من الفارابى حمله على هذا الرأى . وفى ذلك يقول أستاذنا الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله « كان ينفر من الفارابى وكان يصفه بصفة المعتقد فى النبوة ويرى انه ليس فى حاجة الى ذكر آراء الفارابى لشكوكه ولسوء معتقده (٢) .

وعلى ضوء هذا كان رأى ابن طفيل وتقريره : انكار الفارابى للسعادة الأخروية لأن مصير الكل عنده الى العدم . وهذا رأى جرىء

---

(١) فلسفة ابن طفيل ورسالته ص ٦٢ ط ٢ . (٢) نفسه ص ١٧ وص ١٧ وص ٣٣٩ – ٣٤٠ من التفكير الفلسفى .

يعوزه الدليل ـ كما سنرى بعد ـ وقد جرى عليه كثير من الباحثين دون بحث أو تمحيص • وكأن رأى ابن طفيل أمر مسلم يجب الاقتناع به والسير عليه •

ولعل هـذا ما حمل « ديبور » عـلى أن يقول « كان فيلسـوفنا (الفارابى) غانيا فى مجردات العقل وكان زهده وتقواه موضع العجب من معاصريه • وكان بعض تلاميذه يجلونه ويرون أن الحكمة تجسدت فيـه •• أما علمـاء المسـلمين الحقيقيون فقـد رموه بالزنـدقة فرسم بها الى الأبد (١) •

وفى رأينا : أنه عند الحكم على رأى الفيلسوف فى موضوع ما لا يقصر النظر على ما سجله فى بعض فترات من كتبه ولكن يجب الرجوع الى كل ما كتب وسجله بنفسه فى الموضـوع الواحـد بل الى حياته وانطباعاته النفسية فبهـذه النظرة الموضوعية التكاملية يكون الوصول الى الرأى الصـحيح والحـكم الصائب دون انحراف أو قصور • وهذا ما لم يفعله ابن طفيل ومن شائعة على رأيه وسار على نهجه•

وقد لمس هذه النظرة الموضوعية اثنان من كبار المستشرقين وهما : البارون كاراديفو « فى مقاله بدائرة المعارف الاسلامية » وديبـور فى كتابه «تاريخ الفلسفة فى الاسلام» وان كانا لم يضعا بين أيدينا النص القاطع من كلام الفارابى نفسه •

يقول ديبور « فى خلود النفس عند الفارابى « على أن مقـارنة النفس الناطقة لبدنها تعطيها كل ما للعقل من حرية • ولكن هل تبقى نفسا مسـتقلة بذاتها ؟ أم تكون جزءا مـن العقل الكلى ؟ ان رأى الفارابى غامض فى هـذه النقطة ويناقض بعضه بعضـا فى مختلف الكتب » (٢) •

أما البارون كارادیفو • فيعرض لنفس الموضـوع ويتسـاءل كما تساءل ديبورا الا أنه كان أقطع فى الرأى وأوضح اذ يقول « لا سبيل

---

(١) تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ . فى لام الام ط الانجلو سنة ١٩٦٤ •

(٢) تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ١٨ •

الى الشك فى أنه « الفارابى » كان يعتقد بخلود كل نفس على انفرادها • وقد زعم ابن طفيل وكان لا يميل الى رأى أبى نصر على ما يظهر أن فيلسوفنا كان متشككا فى خلود كل نفس على انفرادها وهذا الاتهام يجب أن يعزى سره الى بعض فقرات كتبها الفارابى على وجه غامض (١) •

ونحن من جانبنا — نرى — انصافا للحقيقة — أن الفارابى كان — كما يعتقد — يقول بخلود النفس الانسانية خيرة كانت أم شريرة لتلقى جزاءها من السعادة أو الشقاوة وهذا بالطبع لا يتأتى الا اذا كان الخلود لكل نفس على انفرادها • والمسألة فى غنى عن الاستنتاج والحوار والرجوع الى الباحثين الآخرين ما دامت نصوص الفارابى واضحة وصريحة فى ذلك •

اننا نرى الفارابى فى رسالته التى وضعها فى اثبات المفارقات (٢) يجعل الرابع منها على حد قوله « النفوس الانسانية وهى كثيرة بالأشخاص » وحينما يعرض للصفات العامة التى تنظم المفارقلت تراه يقول « الثانية » أنها لا تموت ولا تفسد هكذا باطلاق دون قيد الخيرة أو الشريرة •

وهذا أوضح وأشمل مما كتبه الفارابى فى كتابيه « الملة الفاضلة والسياسة المدنية ، وأغلب الظن أنه فى هذين الكتابين قد غلبته النزعة الخلقية الكريمة وما كان يتصف به من زهد وتصوف • فأراد أن ينفر من الشرور وأهلها ويدفع الى الخير وحسن خاتمته فقال ما قال • وان كان أسلوبه قد تناقض فيها ولكن مع ذلك كان أوضح وأقطع فى الرأى فى كتبه الاخرى •

وهنا يكمن المعتقد الحق والرأى

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثانى مادة « أبى نصر الفارابى » طبعة دار الشعب •

(٢) رسالة الفارابى فى اثبات المفارقات ص ٣ طبعة حيدر اباد سنة ١٣٤٥ هـ •

الواضح لفيلسوفنا • فهو يقول فى « التعليقات » « الجسم شرط فى وجـود النفس لا محالة فأما فى بقائها فلا حاجة لها اليه ــ ولعلها اذا فارقته ولم تكن كاملة كانت لها تكميلا من دونه • ولم يكن شرطا فى تكميلهـا كمـا هـو شرط فى وجـودها » (١) •

والفارابى الـذى يقول بخلود النفس على هذا الوضوح ليس من المعقول أن يقصر سعادتها على أمر الدنيا فحسب والا فعلى أى حال يكون خلودها ؟

وفى الحق ــ كما يرى الفارابى ــ أن السعادة عنـده متحققه فى الحياة الآخرة بل لا تكمل الا فيها يقول أبو نصر فى « عيون المسائل » « لا يجوز وجود النفس قبل البدن كما يقول أفلاطون ، ولا يجـوز انتقال النفس من جسد الى جسد كما يقـول التناسخيون • وللنفس بعد موت البدن سعادات وشقاوات وهـذه الاحوال متفاوته للنفوس وهى مستحقة وذلك لها بالوجوب والعدل (٢) •

والفارابى فى هـذا لا يرى السـعادة والشـقاوة فى الآخرة فحسب وانما يذهب الى أكثر من هذا فيرى أن ذلك واجب عـلى الذات الالهية بمقتضى عدلها وهذا رأى اعتزالى صريح كمـا يرى أن السعادة الاخروية هى الجديرة بأن تسمى سعادة وما عداها فهى غايات دنيوية فقط وفى ذلـك يقـول فى « احصـاء العلوم » ان التى فى الحقيقة سعادة لا يمكن أن تكون فى هذه الحياة بل فى حيـاة أخرى بعد هذه الحيـاة • والمظنون به سـعادة مثـل الثروة والـكرامة واللذات انما جعلت هى الغايات فى هذه الحياة » (٣) •

بعد كل هذا : ينبغى أن نشـير

---

(١) التعليقات ص ١٣ حيدر أباد سنة ١٣٤٦ هـ •

(٢) عيون المسائل ضمن كتاب المجموع للفارابى ص ٧٥ ط ١ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٧ م •

(٣) احصاء العلوم ص ١٢٢ تقـديم الدكتور عثمان امين ط ٣ الانجلو المصرية ١٩٦٨ •

الى أن الفارابى كان مؤمنا صادق الايمان بل صوفيا زاهدا وكما يقول الدكتور عثمان أمين « فيلسوف مسلم بأجمل ما لهذه الكلمة من معان » (١) فهو فيلسوف زاهدا وتصوفه بتخلل جميع مذهبه وعبارات الصوفية واضحة فيه يقول « كاراديفو » عن تصوف الفارابى أنه يتخلل جميع مذهبه وعبارات المتصوفه شائعة تقريبا فى كل أقواله • وكأنما التصوف عنده ليس نظرية من النظريات وانما هو حالة ذاتية وقد ساهمت هذه الحالة الذاتية فى جعل مذهبه غامضا بعض الشىء (٢) •

ويقول الدكتور ابراهيم بيومى مدكور « اذا شئنا أن نعرف أقدم صورة للافكار الصوفية عند فلاسفة الاسلام وجب علينا أن نصعد الى أبى نصر الفارابى ، فانه أول من صاغ الفلسفة الاسلامية فى ثوبها الكامل ووضع أصولها ومبادئها ، أقام دعائم مذهب فلسفى متصل الحلقات ومن أهم أجزاء هذا المذهب وعلى قمة البناء ترى نظرية صوفية امتازت بها الفلسفة الاسلامية عن كثير من الفلسفات الاخرى — فالتصوف اذن قطعة من مذهب الفارابى الفلسفى •

ولا أدل على هذا من أن هناك ربطا وثيقا يربط النظريات الفارابية الاخرى نفسه كانت أو أخلاقية أو سياسية وقد أثر هذا التصوف تأثيرا بينا فيمن جاء بعد من فلاسفة الاسلام » (٣) •

رأى الدكتور محمود قاسم ومناقشته :

واذا كان الفارابى صوفيا الى حد أن يصبح التصوف جوهرا لفلسفته وأمرا ذاتيا فى مذهبه وانطباعا نفسيا فى حياته اذا كان الامر كذلك فاننا نستطيع القول بأنه رغم تأثره بالمعلم الاول فقد

---

(١) نفسه ص ٤٧ المقدمة • (٢) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثانى • مادة ابى نصر الفارابى •

(٣) فى الفلسفة الاسلامية ص ٣٠ للدكتور ابراهيم بيومى مدكور الطبعة الثانية ١٩٦٨ •

خالفه مخالفة تامة فيما رآه من خلود النفس والسعادة الأخروية.

وبهذا يتبين فساد زعم القائلين بأن الفارابى عجز عن التحرر من فلسفة أرسطو فى مسألة خلود النفس ومن هؤلاء الدكتور محمود قاسم الذى يقول « ربما كان أبو نصر هو الفيلسوف الوحيد الذى عجز عن التحرر تماما من فلسفة أرسطو فى هذه المسألة (١) وعلى هذا رأى الدكتور محمود قاسم أن الفارابى يقول بخلود بعض النفوس أى الخلود الجزئى على حد تعبيره زاعما أن الفارابى يحاول بذلك التوفيق بين فلسفة أرسطو والدين الاسلامى .

وقد اعتمد الدكتور فى هذا الرأى على بعض ما كتب الفارابى وفاته أن يذكر الفارابى من مصادره الاخرى وبذلك وقع فيما فيه فيلسوف الاندلس ابن طفيل من قبل مما أدى الى التجنى على أبى نصر الفيلسوف الصوفى المسلم ، وخير ما نختتم به هذا الموضوع قول الفارابى فى كتابه « نصوص الحكم » ان لك منك غطاء فضلا عن لباسك من البدن . فاجتهد أن ترفع الحجاب وتتجرد فحينئذ تلحق . فلا تسأل عما تباشره ــ فان ألمت فويل لك . وان سلمت فطوبى لك . وأنت فى بدنك كأنك لست فى بدنك وكأنك فى صقع الملكوت فترى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاتخذ لك عند الحق عهدا الى أن تأتيه فردا (٢) .

أبعد هذا ثمة شك فى السعادة الاخروية لدى المعلم الثانى ؟؟ انه فيها الرجل المؤمن . وكما دعا بحق الى محبة الحقيقة ولو خالفت مذهب أرسطو فتلك هى الحقيقة فى جبين فلسفته والله ولى التوفيق .

دكتور/أحمد عبد الحميد الشاعر

---

(١) فى النفس والعقل ص ١٥٩ للدكتور محمود قاسم الطبعة الثانية ١٩٥٤ .

(٢) نصوص الحكم ص ٨ ط حيدر اباد سنة ١٣٤٥ هـ .

التربية الدينية « تصور للإصلاح »

للأستاذ / علي عبد العظيم

مقـــدمة :

قبل رسم مناهج التربية الدينية ووسائلها وأساليبها يجب علينا أن نحمى أبناءنا ومجتمعنا من التيارات وللعواصف والاوبئـــة التى تجتاحنا من حيث ندرى ولا ندرى فتهدم ما نؤسسه وتحطم ما نشيده وبهذه الحماية نصون مجتمعنا وبخاصة الشبيبة من عوامل التمـــزق والتصدع والفراغ والتهافت ، وبهذا نستطيع أن نبث فى النفـــوس روح التوعية الدينية ونحن آمنون عليها من التصدع والانهيار .

أما عوامل الهدم فيمكن اجمالها فيما يلى :

١ ـــ للغزوات التبشيرية التى تنصب علينا فى صورة مدارس ومعاهد وكليات ومستشفيات وجمعيات خيرية هدفها جميعا تشـــويه سمعة الاسلام ، والدعوة الى اعتناق المسيحية بأســـاليب مختلفة ووسائل متباينة .

٢ ـــ المغزوات الفكرية التى تطالعنا فى صورة أبحاث علمية مثـــل ما يكتبه المستشرقون من دراسات تاريخية وجغرافية وحضارية يدسون فيها ما يشاء لهم التعصب من تشويه الاسلام .

٣ ـــ للغزوات الفلسفية التى تتجلى فى المذاهب الفكرية الغريبـــة

مثل الوجودية والبرجماتية (النفعية) والمادية الجدلية ٠

٤ ـ الغزوات العلمية مثل الفرويدية (اتباع فرويد ومدرسته النفسية) والداروينية (اتباع دارون ومدرسته الطبيعية) والدوركامية (اتباع دوركايم ومدرسته الاجتماعية) ٠

٥ ـ الغزوات السياسية : مثل الشيوعية والرأسمالية والاستعمارية من استعمار اقتصادى أو استعمار سلوكى أو استعمار اجتماعى ٠

٦ ـ الغزوات المذهبية : الوافدة فى صورة انحرافية مثل مذاهب السخط أو العبث أو اللامعقول ، أو الهيبيزية (أتباع ماتسون) ٠

٧ ـ الغزوات التعصبية : مثل الصهيونية والماسونية وأندية الروتارى والليونز ٠

٨ ـ الغزوات الطائفية : مثل البهائية والأغاخانية والقاديانية والماهوشية (دين جديد) ابتدعه المارقون ليحل محل الاسلام ٠

الى غير ذلك من أنواع التخريب والتدمير والتشويه لهدم العقيدة الاسلامية ليسهل بهذا القضاء على الامة الاسلامية وتمزيقها شر تمزيق ٠

القائمون على التربية الاسلامية

ان اهم الاجهزة التى تشرف لدينا على التربية الدينية هى :

١ ـ الازهر عن طريق معاهده وكلياته وعن طريق جهاز الوعظ والارشاد وما ينشره مجمع البحوث الاسلامية من مطبوعات ٠

٢ ـ وزارة التربية والتعليم عن طريق المدارس العامة ابتدائية واعدادية وثانوية ٠

٣ ـ وزارة الاوقاف عن طريق أئمة المساجد وجهاز الدعوة الاسلامية ٠

٤ ـ الجمعيات الدينية عن طريق المحاضرات والمجلات وما يقوم به الدعاة المتطوعون وان اختلفت ثقافتهم وميولهم ٠

٥ ـ الطرق الصوفية ولها

طقوسها واساليبها الخاصة بها .

ونلاحظ أن هناك جهات عديدة كان من الممكن أن تؤدى دورها فى التربية الدينية والتعبئة الروحيــة ولكن لا يلقى لها بالا ، مثل المجلس الأعلى للشباب والجامعات وبعضها يؤدى دوره فى تكاسل واضطراب مثل الصحافة والاذاعة والتليفزيون والأحزاب السياسية كما نلاحظ انه لا تعــاون بين الجهـــات المعنية بالتربية الدينية فكل منها تكاد تكون منقطعة الصلات بالجهات الاخرى فالازهر فى واد ، ووزارة التربية والتــعليم فى واد آخـر ووزارة الاوقاف فى واد والجمعيات الدينية فى واد آخر والأئمة جهاز وظيفى يؤدون ادوارهم كمهنيين محترفين وادارة الدعــوة فى واد والمجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى واد آخـر ، وكــل جمعية دينية تكاد تعادى سائر الجمعيات والصحافة تعنى بنشر التيارات والغـزوات الفكرية المناوئة للاسلام اكثر مما تعنى بالقيم الاســلامية وتكتفى بمقالات هزيلة متهافتة عن الظواهر الاســلامية ، وكذلــك الاذاعــة والتليفزيون وتأتى السينما فتكاد تقضى على كل مقومات الاخـــلاق الاسلامية والسلوك الروحى وكل المشتغلين بالشئون الدينية فى واد والطرق الصوفية تكاد تنعزل عــن الجميع فى واد سحيق .

لهذا ينبغى اقامة هيئة عليــــا للتربية الدينية والتعبئة الروحيــة برياسة شـــيخ الازهر تقـــوم بالتخطيط العلمى والتنفيــذ العملى والمتابعة للتنفيذ على أن تشـــترك فيها الهيئات التالية :

الازهر ــ الاوقــاف ــ التربية والتعليم ــ الثقافة والارشــاد ــ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ــ ثلاثة منــدوبين عــن الجمعيات الدينية ــ المجلس الاعــلى للطرق الصــوفية ــ المجلس الاعـــلى للشــباب ــ نقــابة الصحافيين نقابة المعلــمين ــ رئيس اللجنــة الدينية بمجلس الشــعب منــدوب الحـــــزب الوطنى ــ بعض الشخصيات التى لها قدم راســخة فى الدعوة الاسلامية .

اما ترك الامــور فــوضى دون تنسيق وتنظيم بحيث تنعزل كــل

هيئة عن بقية الهيئات فان ذلك ينتج خلطا وخبطا وتعارضا فى الوسائل والاهداف بحيث لا ينتج عنه الا الدمار والخراب •

أسباب ضعف التربية الدينية

الاسرة الاسلامية :

هى الاساس الأول فى التنشئة الدينية فان الابوين هما المعلم الاول والقدوة العملية للاطفال والطفل يقلد والديه فى أداء الشعائر الدينية وفى التمسك بالفضائل الاسلامية ، والاسرة الاسلامية تكاد تتلاشى الآن فقد يكون الأب متدينا ولكن الام ضعيفة الايمان وقد يكتفيان بأداء الشعائر الدينية دون أن يفرضاها على الابناء ، وبهذا يدرج الاطفال بعيدين عن الدين كل الابتعاد •

المدرسة :

يكاد التعليم الديني عن طريق المدارس يكون معدوما أو شبه معدوم فان أسس التعليم الدينى تقوم على :

١ ـ المدرس الصالح لان يكون قدوة حسنة لتلاميذه فى التوجيه والارشاد العلمى السليم والعلم الغزير بأسرار الدعوة الاسلامية•

٢ ـ الكتاب الصالح لبسط الحقائق فى لغة سهلة الفهم وبأسلوب صالح للتطبيق العملى دون تطرق للخلافات الفرعية •

٣ ـ المنهج السليم الملائم للتدرج العقلى المناسب لاعمار التلاميذ وأخشى أن تكون الاسس الثلاثة غير قائمة او غير سليمة أو غير مطبقة •

المجتمع :

المجتمع الرشيد وهو يكمل الاسرة المدرسية والمجتمع القائم الان غير دينى والمتدينون من أفراد أغلبيتهم العظمى تأخذ الاسلام عن طريق غير متكامل فهم اما رجعيون متحجرون واما مجددون متطرفون واما محصورون فى نطاق خاص بحيث يرون أن جميع المسلمين ما عداهم كفار ومشركون ولا التقاء بين هذه الاطراف جميعها بأى حال •

والمجتمع القائم الآن يتأثر بالصحافة والاذاعة والتليفزيون

والسينما وكلها بعيدة عن العناية بالتربية الروحية والدينية ان لم تكن حربا على الاسلام ، والمجتمع القائم الآن لا يطبق الشريعة الاسلامية والقانون الاسلامى لقوته وهيبته وتأثيره ، والقانون المصرى وليد القانون الفرنسى وما أبعده عن النفحات الروحية مع اغراقه فى المادية وبعده عن الثبات والاستقرار .

لهذا كله لا تجد غرابة فى أن ينشأ الشباب بعيدا كل البعد عن الاسلام .

وسائل العلاج

ان اصلاح الأسرة واصلاح المجتمع يقومان على تنظيم وسائل الاعلام وفى مقدمتها الوعظ والارشاد بالأزهر وجهاز الدعوة والأئمة بالأوقاف وأجهزة الاذاعة والتليفزيون والسينما والصحافة والنشر ، أما تربية الأطفال والشباب فتقوم على أساس المناهج السليمة والكتاب الصالح والمدرس السليم العالم العامل ثم على تنظيم حوافز مادية وأدبية للاقبال على الثقافة الدينية كاقامة المسابقات ورصد الجوائز وتيسير دخول الجامعات للطلبة الحاصلين على درجات عالية فى مادة الدين او من يحفظون القرآن الكريم .

ويمكن اجمال وسائل الاصلاح فيما يلى :

١ -- انشاء الهيئة العليا الاسلامية التى تخطط وتنفذ وتتابع التنفيذ على أن تكون برياسة فضيلة شيخ الأزهر واشتراك الجهات التى أشرنا اليها سابقا على أن يتم تقسيمها الى اللجان الآتية .

١ ــ لجنة المناهج التعليمية (سواء مناهج الأزهر أو التربية والتعليم او الجامعات أو اللجنة العليا للشباب أو منظمة الطليعة ...) .

٢ ــ لجنة الكتب (وسواء الكتاب الأزهرى او المدرسى او الجامعى أو الكتب العامة فى الثقافة الاسلامية) .

٣ ــ لجنة اعداد الدعاة من أئمة ووعاظ واختيار المدرسين الصالحين .

٤ ـ لجنة للاشراف على التنفيذ والمتابعة •

٥ ـ لجنة لمتابعة وسائل الاعلام وامدادها بالملاحظات والتوصيات المناسبة •

٦ ـ الاتصالات الخارجية لتوثيق الصلات الثقافية بالعالم الاسلامى واستقبال الطلبة وايفاد العلماء وتبادل الاساتذة والكتب القيمة •

٢ ـ اعداد هيئة رقابة دقيقة لرقابة الشباب وابعاده عن التيارات الانحرافية وذلك بالتعاون مع وسائل الاعلام من الصحافة والاذاعة والتليفزيون والأفلام السينمائية والقصص المسرحية والأناشيد الدينية والكتب العامة •

٣ ـ استخدام وسائل الإعلام الحديثة فى نشر الثقافة الدينية وذلك باصدار كتب للأطفال تشمل القصص الهادفة والمسرحيات الموجهة والاناشيد الروحية واصدار سلاسل من الكتب للشباب وللمثقفين ثقافة عامة لابراز شعائر الاسلام وقيمه المثالية وحضارته المادية والروحية والانتفاع بالاذاعة والتليفزيون وأفلام السينما الدينية فى هذا المجال •

٤ ـ تعميم المساجد وأماكن العبادة بجميع المدارس والمعاهد والكليات والمصانع والهيئات والمؤسسات والوزارات •

٥ ـ تعميم الاحتفالات للمناسبات الدينية الهامة مثل الهجرة النبوية ومولد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والاسراء والمعراج وليالى شهر رمضان الكريم •

٦ ـ اقامة مسابقات عامة واعداد جوائز مجزية لحفظ القرآن الكريم وتجويده ودراسة الثقافة الاسلامية العامة وتيسير الالتحاق بالكليات الجامعية لمن يحفظون القرآن الكريم أو ينالون درجات عالية فى امتحان الثانوية العامة فى مادة الدين •

٧ ـ تعميم التعليم الدينى فى جميع مراحل التعليم المختلفة بما فيه التعليم الجامعى •

٨ ـ انشاء مجلة اسلامية كبرى

تتفق وزعامة مصر الاسلامية للعالم الاسلامى واعداد قاعة كبرى للمحاضرات العلمية ودعوة كبار العلماء فى مصر وفى الأقطار الاسلامية لالقاء هذه المحاضرات بصفة دورية وطبعها ونشرها على نطاق واسع فى ربوع العالم •

٩ ــ اعداد قوافل الدعوة الاسلامية المتنقلة فى أرجاء البلاد على أن تعنى بالمصانع والمؤسسات والشركات الكبرى لنشر الوعى الاسلامى فى أوسع نطاق على أن تضم كل قافلة واعظا ومنشدا وفيلما سينمائيا أو تسجيلات صوتية •

١٠ ــ تشجيع الجمعيات الاسلامية القائمة وكليات الجامعات وامدادها بالمحاضرين المستنيرين والكتب القيمة والارشاد والتوعية والتوجيه الرشيد •

١١ ــ جدية الامتحان فى مادة الدين والتاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية وفى حفظ القرآن الكريم وبخاصة بين طلبة الأزهر •

١٢ ــ العناية بالاذاعة المدرسية وبالمكتبات الأسلامية والصحف الدينية بالمدارس والمعاهد والكليات والمعاونة على نشر القصص والاناشيد الدينية لانها محببة الى نفوس الأطفال والشباب والاهتمام بالاناشيد الدينية وبالمسرحيات الاسلامية •

١٣ ــ العناية بمؤسسات الشباب واعداد منهج دينى واف ليكمل التربية الرياضية والدينية العلمية •

١٤ ــ اعداد المسجد اعدادا كاملا لأداء رسالته الروحية والعلمية والاجتماعية وتزويده بالمكتبة الاسلامية المتكاملة •

١٥ ــ معاونة الجمعيات الدينية على أداء رسالتها والتنسيق بينها وامدادها بالمكتبات وبالتسجيلات الصوتية والأفلام الدينية •

١٦ ــ العناية باصلاح مناهج المعاهد والكليات الأزهرية وبخاصة كلية الدعوة الأسلامية لتخريج الدعاة الاسلاميين الصالحين لأداء رسالتهم الدينية بالداخل والخارج على السواء •

« البقية على صفحة ٩٤٦ »

الصّوفية ووجه الحقيقة

للأستاذ / موسى محمد على

يحلو لكثير من الناس الاعتقاد فى الصوفية ، أنهم متســاهلون فى الاقتداء ، متهاونون فى الاتباع ، وأنهم رواد الابتداع والالتزام بما لم يأت فى الشرع التزامه ، مما يقــولون به ، ويعملون عليــه ، ويسيرون نحوه •

والحق أن الصوفية الحقيقية على تباين كامــل لهذا الــزعم المفترى ، بل هم على خلاف ذلك قولا وعملا ، لأنهم لم يعتقدوا ذلك ، ولم يقولوا به ، فهم على اتباع دائم ، واقتداء مستمر •

فأول شىء بنوا عليه طريقهم هو اتباع ما جاءت به السنة النبوية الشريفة ، واجتناب ما نهت عنه مما يخالفها •

يقول الامام القشيرى رضى الله عنه معبرا عن الصوفية الحقة :

« انهم اختصوا باسم التصوف انفرادا به عن أهل البدع ، فقد ورد أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يتسـم أفاضلهم فى عصرهم باسم علم سوى الصحبة ، اذ لا فضيلة فوقها ، ثم سمى من يليهم : التابعين ، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب ، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية فى الدين : الزهاد والعباد ، ثم ظهرت البدع وادعى كل فريق أن فيهم زهادا وعبــادا ، فانفرد خواص أهل السنة ، المراعون أنفســهم مع الله تعــالى ، الحافظون

قلوبهم عن الغفلة عنه سبحانه باسم التصوف ..

ويقول ابن خلدون رحمه الله تعالى عن التصوف :

« هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة ، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها ، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، طريقة الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف ، فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده ، وجنح الناس الى مخالطة الدنيا ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية » .

أما الامام الحافظ جلال الدين السيوطى رضى الله عنه ، فانه يقول فى كتابه تأييد الحقيقة العلمية :

« ان التصوف فى نفسه علم شريف ، وان مداره على اتباع السنة وترك البدع ، والتبرى من النفس وعوائدها ، وحظوظها وأغراضها ، ومراداتها واختياراتها ، والتسليم لله تعالى ، والرضى بقضائه ،وطلب محبته والاكتفاء بفضله عمن سواه سبحانه » .

ثم استطرد يقول :

وعلمت أنه قد كثر فيه الدخيل من قوم تشبهوا بأهله وليسوا منهم ، فأدخلوا فيه ما ليس منه ، فأدى ذلك الى اساءة الظن بالجميع، فوجه أهل العلم التمييز بين الصنفين ليعلم أهل الحق من أهل الباطل، وقد تأملت الامور التى أنكرها أئمة الشرع على الصوفية فلم أر صوفيا محققا يقول بشىء منها ، وانما يقول بها أهل البدع والغلاة الذين ادعوا أنهم صوفية وليسوا منهم .

وقال الشيخ محمد عبده رحمة الله تعالى :

« قد اشتبه على بعض الباحثين فى تاريخ الاسلام وما حدث فيه من البدع والعادات التى شوهت جماله ، السبب فى سقوط المسلمين فى الجهل بدينهم ، فظنوا أن التصوف من أقوى الأسباب لوقوع المسلمين فى الجهل بدينهم ، وبعدهم عن التوحيد الخالص الذى هو أس النجاة ومدار صحة الأعمال وليس الأمر كما ظنوا ، فنذكر لك الغرض منه على وجه الاجمال ، وما آل اليه أمره بعد ذلك :

ظهر التصوف فى القرون الأولى للاسلام ، فكان له شأن عظيم ، وكان المقصود منه فى أول الأمر تقويم الاخلاق وتهذيب النفوس ، وترويضها بأعمال الدين وجذبها اليه ، وجعله وجدانا لها ، وتعريفها بحكمة وأسراره بالتدريج •

وكان الفقهاء الذين وقفوا عند ظواهر الأحكام المتعلقة بأعمال الجوارح والمعاملات ينكرون عليهم معرفة أسرار الدين ، ويرمونهم بالزيغ والالحاد ، وكانت السلطة للفقهاء لحاجة الأمراء والسلاطين اليهم ، فاضطر الصوفية الى اخفاء أمرهم ، ووضع الرموز والاصطلاحات الخاصة بهم ، وعدم قبول أحد منهم بشروط واختبار طويل ، فقالوا :

لابد فيمن يحب أن يكون معنا أن يكون أولا طالبا ، فمريدا ، فسالكا ، وبعد السلوك اما أن يصل واما أن ينقطع •

فكانوا يختبرون أخلاق الطالب وأطواره زمنا طويلا ليعلموا أنه صحيح الارادة صادق العزيمة ، لا يقصد مجرد الوقوف على أسرارهم ، وبعد الثقة يأخذونه بالتدريج شيئا فشيئا •

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى :

« لقد انفرد الصوفية بركن عظيم من أركان الدين لا يطاولهم فيه مطاول ، وهو التهذيب علما وتخلقا وتحققا ، ثم لما دونت العلوم فى الملة كتب شيوخ هذه الطائفة فى الأخلاق ومحاسبة النفس » •

ويبين الامام الجنيد رضى الله

عنه أن التصوف هو الالتزام بالاقتداء والاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول فى وضوح واضح :

الطرق كلها مسدودة على الخلق، الا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقال :

« من لم يحفظ القرآن ، ولم يكتب الحديث ، لا يقتدى به فى هذا الأمر ، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة » .

ويقول سهل التسترى رحمه الله تعالى :

« أصولنا سبعة أشياء : التمسك بكتاب الله تعالى ، والاقتداء بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق » .

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى يقول :

« اذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف ، وقل لنفسك : ان الله تعالى ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة ، ولم يضمنها اى فى جانب الكشف والالهام » .

وقال أبو الحسن الوراق رحمه الله تعالى :

« لا يصل العبد الى الله الا بالله ، وبموافقة حبيبه صلى الله عليه وسلم فى شرائعه ، ومن جعل الطريق الى الوصول فى غير الاقتداء يضل من حيث يظن أنه مهتد » .

وسئل أبو يزيد البسطامى رحمه الله تعالى عن الصوفى فقال :

« هو الذى يأخذ كتاب الله بيمينه ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بشماله ، وينظر باحدى عينيه الجنة ، وبالأخرى الى النار ويأتزر بالدنيا ، ويرتدى بالآخرة، ويلبى من بينهما للمولى : لبيك اللهم لبيك » .

ومن جملة توجيه أبى يزيد رحمه الله تعالى قوله :

« عشرة أشياء فريضة على البدن : أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، والتواضع لله ، وكف الأذى عن الاخوان ، والنصيحة للبر والفاجر ، وطلب مرضاة الله

فى جميع أموره ، وطلب المغفرة ، وترك الغضب ، والكبر والبغض والمجادلة من ظهور الجفا ، وأن يكون وصى نفسه يتهيأ للموت » .

وقال سرى السقطى رضوان الله تعالى عليه :

« التصوف اسم لثلاثة معان : وهو الذى لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ، ولا يتكلم بباطن علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب ، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله تعالى » .

وفى شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى فى ترجمة أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، ومن كلامه :

« كل علم تسبق اليك فيه الخواطر ، وتميل النفس وتلتذ به فارم به وخذ بالكتاب والسنة » .

وفى هذا الباب كلام واسع وعبارات كثيرة ولا يتسع المقام للاطالة هنا :

وهؤلاء فوق ما اتصفوا به من تهذيب النفس والورع والزهد والعبادة ، قد قاموا فى عصورهم بالواجب عليهم ، من ارشاد الخلق الى الحق تعالى والدعوة اليه سبحانه ، وصدهم الناس عن التكالب على الدنيا وجمع حطامها ، والاسترسال فى الشهوات والملذات مما يؤدى الى الانهماك فى المحرمات .. والغفلة عن الواجبات ، ماخلق الانسان له ، وتكون نتيجة ذلك انتشار الفوضى ، وظهور الفساد .. وكثرة البغى والهرج .

فكان هؤلاء بوعظهم وارشادهم .. والحكم التى تفجرت من ينابيع قلوبهم ، هم حراس الاخلاق الفاضلة ، والآخذين بيد الامة الى مناهج الحق وسبيل الرشاد ، والدعاة الى السعادة الحقيقية وهى قيام الانسان بجميع ما أمر به مع عدم نسيانه نصيبه من الدنيا ، فكانوا فى جملة السامعين فى هذه الامة والمجيبين لقوله تعالى :

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

فسلف الصوفية هم أعلام الملة وسادة الامة وسراجها الوهاج ، وبهم وبأمثالهم من المحدثين والفقهاء ، اهتدت الامة الى

الصراط المستقيم ، وسلكت المنهاج القويم ، وانتظمت أحوال معاشهم، وصلحت أمور معادهم •

وإذا تتبعنا آثار الصوفيـــــة وتراجمهم فى كتب تراثنا الصحيحة المعتمدة تجد بحق لا شبة فيه :

كان للواحد منهم أتبـــاع يعدون بالألوف ، كلما انتسب اليه شخص آخى بينه وبين سابقيه فتمكنتمن اتباعه أواصر الالفة وروابط المحبة •• وتواسوا فيما بينهم ، وتواصوا بالحق ، وعطف غنيهم على فقيرهم، ورحم كبيرهم صغيرهم ، فأصبحوا بنعمة الله اخـــوانا ، وصــــاروا كالجسد الواحد ، وكانوا فى منتهى الطاعـــة والانقيـــــاد لشرع الله الحنيف ودينـــه القـــوى المتـــين ، يقومون لقيامه ويقعدون لقعوده ، ويمتثلون أوامره ، ويتبـــــادرون لادنى اشاراته •

ومن جليل أعمال الصــــوفية ، وآثارهــــم الحســـــنة فى الامة الاسلامية ، أن الملوك والامراء متى قصدوا الجهاد ، كان الكثير مـــن هؤلاء يحرضون أتباعهم عـــــلى الخروج الى الجهـــــاد ، ولعظيم اعتقادهم فيهم ، وانقيادهـــم لهم كانوا يبتـــدرون الى الانتظـــام فى سلك المجاهدين ، فيجتمع بذلك عدد عظيم من أطراف ممالكهم ، وكثيرا مادان أولئك يرافقـــــون الجيوش بأنفسهم ويدافعون ويحرضـــون ، فيكون ذلك سببا للظفر والنصر •

وإذا تتبعت بطــــون التاريخ وجدت من ذلك شيئا كثيرا ، عــلى أننا لا ننسى أن مثل هذا العمـــل ، كان فى كثير من المحدثين والعلماء العاملين •

يقول أبو الحســـــن الندوى فى كتابه المسلمون فى الهند :

أن هؤلاء الصوفية كانوا يبايعون الناس على التوحيــــــد والاخلاص واتباع السنه ، والتوبة عن المعاصى •• وطاعة الله ورسوله ، ويحذرون من الفحشـــــاء والمنكر والاخلاق السيئة والظلم والقسوة،ويرغبونهم فى التحلى بالاخـــلاق الحســــــنة والتخلى عـــن الرذائل ، مثل الكبر والحسد والبغضاء والظلم وحـــب الجاه ، وتزكية النفس واصلاحها ، ويعلمونهم ذكـــر الله والنصـــــح لعباده والقناعة والايثار •

وعلاوة على هذه البيعـــة التى كانت رمز الصلة العميقة الخاصـــة بين الشيخ ومريديه ، انهم كانـــوا يعظون الناس دائما ، ويحاولون أن يلهبوا فيهم عاطفـــة الحـب لله سـبحانه ، والحنين الى رضـــاه والرغبة الشديدة لاصـــلاح النفس وتغيير الحال •

ثم تحدث عن مدى تأثير أخلاقهم واخلاصـــهم وتعليمهم وتربيتهم ، ومجالسهم فى المجتمع والحيـــاة ، فتحدث عن الشيخ أحمد الشـــهيد فقال :

ان الناس أقبلوا عليه اقبـــالا منقطع النظير ، وانه لم يمر ببلدة الا وتاب على يديه وبايعه عدد كبير من الناس •

ثم تحدث عن شيخ الاسلام علاء الدين رحمه الله تعالى فقال :

« ان السنوات الاخيرة من عهده تمتاز بأن كسدت فيهـــا ســـوق المنكرات من الخمـــر والغرام ، والفسق والفجور والميسر والفحشاء بجميع أنواعها ، ولم تنطق الالسن بهذه الكلمات الا قليلا ، وأصبحت الكبائر تشبه الكفر فى أعين الناس ، وظل الناس يستحيون من التعامل بالربا والادخار والاكتنـــاز وندرت فى السوق حوادث الكذب والتطفيف والغش •

فتربية هؤلاء الصوفية والمشايخ ومجالسهم كانت تنشىء فى الانسان رغبة فى افادة الناس وحرصـــا على خدمتهم ومساعدتهم •

ثم بين الأستاذ الندوى أن تأثير هذه المواعظ ، ودخـــول الناس فى الدين ، وانقيادهم للشرع أدى الى ان تعطلت تجارة الخمر ، فى أكبر مـــدن الهند ومـــركز الانجليز ، وكسدت سوقها ، وأقفرت الحانات واعتذر الحمارون عـــن دفـــع الضرائب للحكومة ، متعللين بكساد السوق ، وتعطل تجارة الخمر ••

ثم قال :

ان هذه الحالة كانت نتيجـــة أخلاق هؤلاء الصـــوفية والمشايخ وروحانيتهم ، التى اهتدى بهم فى هذه البلاد الواسعة عدد هائل من النـــاس ، وتابوا عـــن المعاصى والمنكرات واتباع الهوى ، ولم يكن بوسع حكومة أو مؤسسة أو قانون أن يؤثر فى هذه المجموعة البشرية

الضخمة ويحيطها بسياج من الأخلاق والمبادىء الشريفة لزمن طويل ..

وتحدث الاستاذ أبو الحسن الندوى فى كتابه رجال الفكر والدعوة فى الاسلام عن الصوفية وأثرها فى نشر الاسلام بصدد حديثه عن الصوفى الكبير سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه فقال :

وكان يحضر مجلسه نحو من سبعين ألفا ، وأسلم على يديه أكثر من خمسة آلاف من اليهود والنصارى ، وتاب على يديه أكثر من مائة ألف ، وفتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه ، فدخل فيه خلق لا يحصيهم الا الله ، وصلحت أحوالهم،وحسن اسلامهم .. وظل الشيخ يربيهم ويحاسبهم .. ويشرف عليهم وعلى تقدمهم ، وأصبح هؤلاء التلاميذ الروحانيون .. يشعرون بالمسئولية بعد البيعة والتوبة ، وتجديد الايمان .

ثم يجيز الشيخ كثيرا منهم ممن يرى فيه الاستقامة والمقدرة على التربية ، فينتشرون فى الآفاق يدعون الخلق الى الله ، ويربون النفوس ، ويحاربون الشرك والبدع والجاهلية والنفاق ، فتنتشر الدعوة الدينية وتقوم تكنات الايمان ومدارس الاحسان ومرابط الجهاد فى أنحاء العالم الاسلامى.

وقد كان لخلفائه وتلاميذه ، ولمن سار سيرتهم فى الدعوة وتهذيب النفوس من أعلام الدعوة وأئمة التربية فى القرون التى تلته فضل كبير فى المحافظة على روح الاسلام وشعلة الايمان ، ولولاهم لابتلعت المادية التى كانت تسير فى رجال المدنيات ، هذه الامة ، وانطفأت شرارة الحياة والحب فى صدور أفرادها ، وقد كان لهؤلاء فضل كبير لنشر الاسلام فى الاقطار البعيدة التى لم تغزها جيوش المسلمين ، أو لم تستطع اخضاعها للحكم الاسلامى وانتشر بهم الاسلام فى افريقيا السوداء وفى اندونيسيا وجزر المحيط الهندى وفى الصين وفى الهند .

فالصوفية ينشرون الاسلام فى العالم ، وتذكر أنه منذ خمسين

عاما كتب الشيخ البكرى كتابا ذكر فيه نقلا عن المبشرين يقول :

ان هؤلاء يقولون : ماذهبنا الى أقاصى المناطق البعيدة عن الحضارة والمدنية فى أفريقيا وأقاصى آسيا الا وجدنا الصوف يسبقنا اليها ، وينتصر علينا .

هذا هو منهج الصوفية الصحيح السليم الذى ارتضاه الله ورسوله وسار عليه أهل التصوف ، أما ما عليه الدخلاء الذين تشبهوا بالصوفية بلباسهم وكلامهم ، وباينوهم بأفعالهم وأخلاقهم ، وقلوبهم فالتصوف منهم براء .

ذلك أنه لا يستحق من لايتبع الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعا صحيحا ، ولا يتقيد بما أرشد اليه من صراط الحق ، أن يسمى نفسه صوفيا اسلاميا ، فان مثل هذا التصوف ليس من الاسلام فى شىء أبدا ...

فان التصوف فى حقيقة الامر عبارة عن الحب الصادق لله ولرسوله ، بل الولوع بهما والتفانى فى سبيلهما ، والذى يقتضيه هذا الولوع والتفانى آلا ينحرف المسلم قيد أنملة عن اتباع أحكام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فليس التصوف الاسلامى الخالص بشىء مستقل عن الشريعة ، وانما هو القيام بأحكامها بغاية من الاخلاص وصفاء النية وطهارة القلب .

فليت المسلمين يفهمون ماق الصوفية من قوة روحية ومادية ، فقد ثبت أن رأى الكثير من الناس أن على حدود الحبشة والسودان وأريتريا بعثة سويدية للتبشير ، ووجدت الى جانبهم أكواخا أقامها الصوفيون ، وأفسدوا على المبشرين السويديين اقامتهم أربعين سنة .

فما علينا الا أن نفهم ماحققته الصوفية من جهاد وبذل لصالح الاسلام ، فنقتدى بفعالهم ، ونتعاون لاخماد الحركات التى تؤذينا دينيا وسياسيا ، خاصة وأن الذين يحملون على الصوفية ليسوا فوق مستوى الشبهات ، بل هم غارقون فى الشبهات ، حتى كان من أكبر المصائب التى أصابت المسلمين من المنتسبين الى الاسلام

أنفسهم ، وهم ليسوا منه فى شىء .

أما الصوفية الحقيقية فقد ألزموا أنفسهم الا يأخذوا بالرخص بل بالعزائم ، مع أن الله سبحانه يحب أن يؤتى رخصة كما يحب أن تؤتى عزائمه .

أخذوا بالعزائم لان مذهبهم يقوم على أساس الزهد الذى جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، زاهدا فى هذه الحياة ولذائذها .

« اللهم اجعل رزق آل محمد فى الدنيا قوتا » .

وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المثل الاعلى للمسلمين كافة ، والصوفية قد ألزموا أنفسهم ، كما نصوا على ذلك فى كتبهم ، على أن لايكون بينهم صوفيا الا من استمسك بالكتاب والسنة ، ووضعوا لذلك أصولا فى كتبهم :

منها : الرسالة القشيرية لأبى القاسم القشيرى ، واحياء علوم الدين للغزالى ، وكتاب حلية الاولياء لأبى نعيم الاصفهانى ، وكتاب قواعد التصوف لأحمد زروق وغير ذلك مما ذخرت به مخبات التراث الاسلامى .

ها هى الصوفية ووجه حقيقتها التى سارت عليه منذ أن قامت بدورها ، وأخلصت النية فى تبليغ دعوتها ونشر رسالتها .

أما اليوم فانه لا يخفى على من به مسحة من ايمان ، أننا لو تلمسنا أحوال الطرق الصوفية ، وما هى عليه الآن من تقصير خطير فى وظيفتها ، وتقاعس أليم عن القيام بواجبها ، لو جدنا أنها بحق فى بعد تام عن أداء رسالتها .

ولا عجب من هذا القول ، ولا اتهام فيه ، فان لكل شىء أمارة تدل عليه ، وأمارة الايمان بالشىء العمل الجاد الذى هو فرع عن تصوره .

والامارة الصادقة تدل : أن دور الصوفية فى عصورها السالفة يقرر فى وضوح واضح ، ما حققته الصوفية فى عصورها السالفة من عظيم الخدمات ، وجليل الافعال للاسلام والمسلمين .

كما أن الامارة الصادقة من الواقع الحالى للطرق الصوفية

نقرر أيضا أن الذى يعايش الطرق الصوفية اليوم ، ويتفقد أحوالها ، ويمارس بالتجربة واقعها الملموس يجد انها فى تقصير كامل عن القيام بدورها ، وانسلاخ حقيقى عن لب واجبها ، حتى صارت وكأنها فى غربة عن المجتمع الاسلامى لا ترقب فيه الا جشع المادة ، والتمسك بالاغاليط ، والتمسح بذكريات الافاضل من مشايخ السلف وشيوخهم ، حتى ضلت طريقها ، فآثرت التخاصم والتشاجر . على التسامح والسماحة ، وناصرت الفرقة والتناحر على الاعتصام والتآلف.

فى حين أن درب الاسلام واسع .. وصراطه المستقيم ممتد ، وحقل دعوته متسع ، وحالة المجتمع فى المشارق والمغارب أحوج ماتكون الى الدعاة المخلصين ، والأوفياء المجاهدين .

لهذا : نرجو ونؤمل أن يهىء الله سبحانه لصوفية اليوم من أمرها ما يعيدها الى خطيرة قدسها الأولى ، وينزع من صدور روادها جشع المادة ، حتى تفعم بأنوار ذاته انه هو السميع المجيب .

« ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

بالله التوفيق ..

موسى محمد على

« بقية مقال التربية الدينية »

١٧ ـ العمل الجاد على تطبيق الشريعة الاسلامية وتنفيذ الحدود الشرعية لتكوين مجتمع اسلامى متكامل ملتزم بأداء الشعائر الاسلامية والتمسك بالفضائل الأخلاقية لينشأ الاطفال والشباب فى جو مشبع بعبير الحقيقة السمحاء والروحية العطرة والانسانية الكاملة المتكاملة التى تدرج على سطح الأرض وهى متصلة بالسماء .

على عبد العظيم

ملتقى الفكر الإسلامي بالإسماعيلية يناقش :

مستقبل العالم الإسلامي في عصر العلم والتكنولوجيا

مشكلات الشباب في مجتمع الإيمان

الإعلام الديني وقضايا المجتمع الإسلامي

إحياء التراث الإسلامي

* الملتقى يوصى بضرورة التعاون بين الدول الاسلامية لحسن استغلال قواها البشرية ومواردها المادية .

* على الشباب ضرورة التمسك بالقرآن الكريم كمنهج حياة وسيرة الرسول كأسوة حسنة .

* الاعلام الدينى مطالب بالتصدى للتيارات الفكرية الواحدة والالتزام بقيم وتعاليم الاسلام .

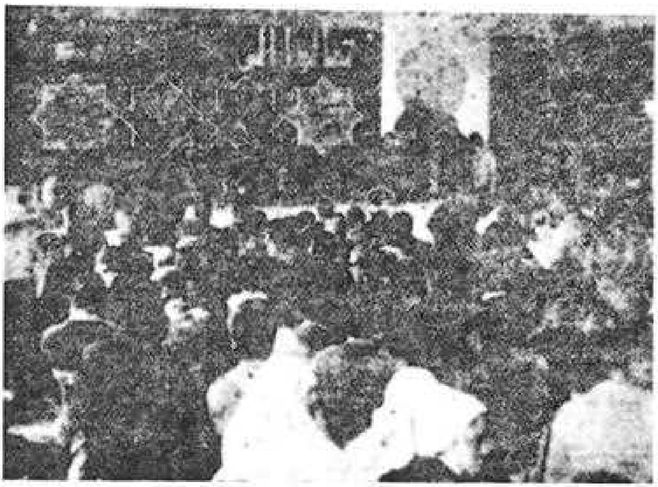

المهندس عثمان أحمد عثمان يشهد ملتقى الفكر الاسلامى بالاسماعيلية

فى اطار احتفالات مصر بمطلع القرن الخامس عشر الهجرى نظمت مدينة الاسماعيلية فى الفترة من ٢٤ ــ ٢٨ ربيع الاول ملتقى للفكر الاسماعيلى حضره واشترك فى جلساته نخبة من كبار رجال الدين والعلم والفكر والاعلام الاسلامى . وقد افتتح المؤتمر عقب صلاة الجمعة بمسجد خالد ابن الوليد بمدينة الاسماعيلية حيث أدى خطبة الجمعة وأم المسلمين الاستاذ الدكتور محمد الطيب النجار مدير جامعة الأزهر بحضور الرئيس محمد أنور بحضور الرئيس محمد أنور السادات وكبار رجال الدولة والوزراء .. من بينهم المهندس عثمان احمد عثمان نائب رئيس الوزراء للتنمية والمهندس مشهور احمد مشهور نائب رئيس الوزراء ورئيس هيئة القناة والدكتور مصطفى كمال حلمى وزير التعليم والدكتور زكريا البرى وزير الدولة للاوقاف والدكتور عبد المنعم النمر وزير الاوقاف السابق والسيد عبد المنعم عمارة محافظ

الاســـماعيلية • كما حضر الملتقى عدد من السفراء ورجال السلك السياسى الاسلامى من بينهم سفيرا الصـومال وماليزيا وقـد دارت جلسـات الملتقى الكبير حول أربعة موضوعات رئيسية هى :

*** مستقبل العالم الاسلامى فى عصر العلم والتكنولوجيا •**

*** الشباب فى مجتمع الايمان •**

*** الاعلام الدينى •**

*** احياء التراث الاسلامى •**

فى الجلسة الاولى التى ناقشت مستقبل العالم الاسلامى فى عصر العلم والتكنولوجيا قدمت أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا عـدة أبحاث ودراسات غاية فى الاهمية حول هذا الموضـوع من بينها : **التكامل الاســـلامى فى العلوم والتكنولوجيا كســـبيل للتقدم** للدكتـور ابراهيم بـدران رئيس الاكاديمية وصـــحة الاسرة فى **الاســلام** للدكتور فؤاد الحفناوى الاستاذ بكلية طب الازهر **والقوى البشرية فى العالم الاســـلامى** للدكتور احمد اسماعيل الاسـتاذ بكليـة الاداب جامعـة القاهـرة **والتنميـة والملكيـة ودور العنصر البشرى فى المجتمع الاســلامى** للدكتور حاتم القرنشاوى الاستاذ بكلية التجارة جامعة عين شمس •

وقد اتخذ الملتقى عدة توصيات وقرارات فى هذا الجانب الهام من بينها :

* ضرورة اســـــــتخدام التكنولوجيـــا الحديثة فى تقييم الموارد الطبيعية وحسن استغلالها لرفع مستوى الوطن الاســلامى اجتماعيا ودينيا وثقافيا •

* ضرورة التعاون بين الدول الاسلامية لحسن استغلال القوى البشرية اللازمة لتنميـة الموارد فى كل منها وذلك بتحـديد موارد كل دولة ووضـــع خطة للتكامل بينها لتحقيـق نوع من الاكتفاء الذاتى للعالم الاسلامى •

* ضرورة الاهتمام بصـــحة المسلم من خلال التوسع فى صناعة الدواء وتقديم الخدمات الصـحية مع الاهتمام بالاسرة المسلمة •

* حسن توظيف مصادر القوى البشرية فى العالم الاســـلامى بما يكفل أعلى قدر من التقـــدم

للمجتمعات المسلمة مع ضرورة تأمين قدرة الدولة فى الوقت ذاته مع توفير الاستقرار والامن الداخلى والخارجى بالمفهوم الشامل ، أى بأبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

*** توظيف كافة الامكانات المتاحة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وعلميا لتحقيق رفعة شأن الاسلام والمسلمين .**

*** الشباب فى مجتمع الايمان**

وفى الجلسة الثانية من الملتقى الاسلامى الكبير نوقش موضوع الشباب فى مجتمع الاسلام بحضور وزير التعليم وعمداء بعض الكليات الجامعية واساتذتها ورئيس المجلس الاعلى للشباب وعدد كبير من الشباب وأعضاء الاتحادات الطلابية فى الجامعات وقد طرح الملتقى الموضوع من جميع جوانبه ، واستمع لجميع وجهات النظر وانتهى الى اتخاذ عدد من التوصيات والقرارات من بينها :

* وضع خطة متكاملة لحل مشكلات الشباب ورفع المعاناة عنه تشترك فيها جميع الهيئات والمؤسسات المعنية بالشباب .. وعلى الهيئات والمؤسسات الدينية بوجه خاص ضرورة ايجاد الحلول للقضايا الدينية المعاصرة التى تشغل أفكار الشباب ولا يجدون اجابات عنها ومن ذلك القضايا المتعلقة بالاقتصاد والمعاملات المصرفية .

*** على الشباب ضرورة التمسك بالقرآن الكريم كمنهج حياة وبالرسول صلى الله عليه وسلم كقدوة وأسوة حسنة .. ففى ذلك ما يغنيهم تماما عن الايدلوجيات المعاصرة .**

* ضرورة وضع خطة **للتنمية الروحية** لدى الشباب تواكب الخطط الخمسية المرتبطة بالشئون المادية .

* يدعو الملتقى الشباب الى عدم الخوف من أى فكر مادام محصنا بالاسلام وقيمه الخالدة ؛

ويدعوهم الى الانطلاق فى الحياة للتزود منها بما يكون شخصيتهم •

* الاعلام الدينى

وخصص ملتقى الاسماعيلية للفكر الاسلامى الجلسة الثالثة لمناقشة موضوع الاعلام الدينى فى حضور عدد كبير من رجال الدعوة الاسلامية والاعلام الدينى فى الاذاعة والصحافة والتليفزيون وأساتذة الاعلام فى الجامعة •• وفى هذه الجلسة تعرض الملتقى لبحث ودراسة الاعلام الدينى كواجب وضرورة ومسئولية وأمانة والاعلام الدينى وقضايا المجتمع الاسلامى •• وضرورة التنسيق بين أجهزة ومراكز الاعلام الدينى المختلفة ••

وقد تحدث فى هذه الجلسة من رجال الاعلام الاساتذة **صبرى ابو المجد** نائب رئيس مجلس ادارة **دار الهلال ومحمود مهدى رئيس** الشئون الدينية **بجريدة « الاهرام » وفهمى عمر** مدير اذاعة الشعب ومن رجال الدعوة بجانب وزير الاوقاف فضيلة الشيخ **محمد حافظ سليمان** والدكتور **جمال الدين محمود** والدكتور **محمد الأحمدى أبو النور** ومن أساتذة الجامعات الدكتورة **اجلال خليفة استاذة الصحافة** بكلية الاعلام •

وعن قضايا المجتمع الاسلامى التى يجب أن يوليها الاعلام اهتماما كبيرا قال الاستاذ **محمود مهدى** فى الدراسة التى قدمها للملتقى حول هذا الموضوع ان أهم هذه القضايا **قضية التيارات الفكرية الوافدة** وما يتبعها من قيم دخيلة على أصالتنا الاسلامية وهو ما يمكن تسميته بالغزو الفكرى ويمكن معالجة هذا الخطر بطرح تراثنا الاسلامى الاصيل على النحو الذى يحصن المسلم ضد هذه التيارات من ناحية ويعينه على معايشة عصره من ناحية اخرى •

ثم كانت هناك قضية **الفراغ الدينى** الذى دفع ببعض الشباب الى التحلل وألقى بالبعض الآخر فى مهاوى الافكار المادية الملحدة ثم ولد تيارا متطرفا فى غياب الفكر الدينى المستنير •• **وكذلك قضية**

الجهل بحقيقة قدرات المسلمين البشرية ومواردهم المادية لدى كثير من أفراد المجتمع الاسلامى ، وعلى الاعلام مسئولية كبرى فى تعريف المسلمين بواقعهم .. ومن القضايا أيضا قضية طرح البدائل الاسلامية للمعاملات الاقتصادية المعاصرة .. ثم القضايا المتعلقة بالتمزق والخصام والنزاع والقتال الذى يجرى الآن فى بعض الدول الاسلامية .. على الاعلام ضرورة التبصير بتعاليم الاسلام التى تحض على الحب والاخوة والاعتصام والسلام بين الناس .

وقد اتخذ الملتقى فى مجال الاعلام الدينى عدة توصيات من أبرزها :

* التزام الاعلام بشكل عام بقيم الدين وسلوكياته ، وهو مسئولية وأمانة وواجب .
* الابتعاد عن الخلاعة والمجون وكل ما يسىء الى قيم المجتمع والدين .
* الاهتمام باعداد الدعاة الدينيين اعدادا خاصا .

* احياء التراث الاسلامى

وفى الجلسة الرابعة والاخيرة للملتقى الاسلامى ناقش المؤتمر موضوع احياء التراث الاسلامى ودارت أبحاث دراسات المشتركين فى الجلسة حول جذور الثقافة الاسلامية ومصادرها ـ دور مصر فى تطوير واثراء التراث الاسلامى ـ ماذا نأخذ وماذا ندع ـ استخدام أساليب العصر فى حفظ ونشر التراث ـ احياء التراث الاسلامى احياء لحضارتنا الممتدة .

وقد رأس الجلسة المهندس مشهور احمد مشهور نائب رئيس الوزراء وحضرها الدكتور عبد المنعم النمر وعدد كبير من أساتذة الجامعات والعاملين فى مجال التراث والمهتمين به .. من بينهم الدكاترة أحمد الحوفى وأحمد شلبى وأحمد النجار وأنور الجندى ومحمد المعلم وحسن صالح العنانى .

وقد أوصى الملتقى بضرورة اعداد جيل من المحققين من بين

طـلاب الدراســـات العليـا فى الجامعات ليخلف جيـل الرواد فى هذا المجـال •• كما أوصى المؤتمر بضرورة تحقيق ونشر كتب التراث ذات الصـلة بواقعنا المعاصر •• وما يخدم منها اهتمامات الشباب •

وقد وافق رئيس هيئـة القناة على أن تتكفل الهيئة بنفقات طبـع ونشر خمسة كتب سنوية من كتب التراث ••

*** أمسيات دينية**

وقد نظم الملتقى خـــلال أيام انعقاده عدة أمسيات دينية اشترك فيها فضـــيلة الشيخ احمد حسن الباقورى والدكتور محمد الاحمدى والاستاذ عمر التلمسانى والدكتور حسن صـــالح العنانى وعدد من الشعراء الاسلاميين منهم المستشار محمد التهامى وتاج الدين نوفل •

كما اتخـــذ الملتقى خطوة عملية على طريق توحيد جهـود الاعلام والاعلاميين وتنســـيق العمل الاعلامى الاســلامى بينهم ، حيث أعلن عن قيــام أول اتحـــاد للاعلاميين الدينيين فى مصر يضم رجال الاعلام الدينيين فى الصحف والاذاعة والتليفزيون مع الكتـاب الاســلاميين ذوى الانتاج الدائم لهـــذه الأجهـــزة والمؤسسات الاعلامية •

إلى شعب أفغانستان :

اشدد يديك

للأستاذ / حامد الجوجرى

أشـــــدد يديك ولا تخضـــــع لطغيـــــان
انا جميعــا معــا يا شـــعب أفغـــــان

ان العقيـــــدة فيمـــا بيننــــــا رحم
تظللنــــا كلنــــا رايــــات ايمــــان

ما طعنـــة فى حنـــــايا مســـلم نفـــذت
الا تنـــزى بجنبى الــــــدم القـــــانى

ولا جـــرت دمعــــة من جفن شـــــاكية
الا وجـــــدت لظـــاها بين أجفـــــانى

لا فرق فى الـــدين والاســــلام لحمتنــــا
مــا بين فـــرس وأتـــراك وعربـــــــان

لولا يـــــد فرقت من شـــملنا قـــد مـــا
ســـــدنا البـــرية من قـــاص ومن دان

شـــعب على الحـــق والاســـلام مجتمـــع
وان تفـــــــرق فى دور وأوطـــــــــان

يا شـــعب أفغـــــان لا كانت حيـــاتى ان
لم أمض جنبـــك ايمــــــانا لايمـــــان

لمـن أهب ومن بالـــــروح أوثـــره
ان لم أهب لاســـلامى وايمـــانى

لمـن اذن غضـــبتى ان لم أعـــذبها
فى أرضـــك الطهـر أترابى واخـــوانى

لمـن اذن دمى المصـــهور أســـفحه
الا لأجـــل فتـــاك الثـــائر العـــانى

لأجـل شـــيخ يمـد الكف مرتعشـــا
بدعـــــوة ما لهـــا الاى اذنـــــان

من أجـــل طفـــل بكـأس اليتم باكـــره
باغ ومـــا كان بالعـــــادى ولا الجـــانى

من أجـل عـذراء أحمى عرضـها قدسـا
من ســـفلة أو غلـوا فى الشر مجـــان

لبيــك أفغـــان بالدنيـــا ومــا جمعت
بالنفس والمـــال لا شمـــــاه ولاوانـــى

يا زارع النـــار فى الآجـــام يحصـــدها
ماض الى حتفـــه ســـــاع لخسران

يا صـــاحب الرايـــة الفرعـــاء ظامئـــة
الى دمـــاء الأعـــادى شر قربـــان

فى كـل درب أقـم قبـــرا يضـــمهم
وافتـــح على كل ســـفح جـوف بركـــان

وكن لهـــم رصـــــدا كالشـــهب يتركهم
صرعي ويرجمهم فى كـل ميـــــدان

ولا تنخـــدع بدعـــــاواهم مزيفـــــة
فكـــم خدعنـــــا بتضـــــليل وبهتـــان

حتى رمتهم يــد الســــــادات قـــادرة
وحققت بعــــدهم نصري وســـــــلطانى

يا عــالم اليــوم أين العـــــدل فى زمن ؟
أضـحى الســــــلام به فى كف شـــيطان

رهـــــائن قلـــة ثـــار الوجـــود لهم
وفجـــر الغضـــب العـــــاتى كبركـــان

من أجلهم قـــامت الدنيـــا وما قعـــدت
فمن لشـــــعب رهـــين خلف قضـــبان

حامد الجوجرى

يارباه

للأستاذ محمد عبد الرحمن حسان الدين

أتغسل كل أخطائى الدموع
ويمحوها التبتل والركوع
اذا ما الليل فاض على الروابى
وغلصت فى دياجره الربوع
ولف الصمت حولى كل شىء
وغشى أعين الناس الهجوع
مددت اليك يارباه كفا
يجللها من القلب الخشوع
ويبتهل اللسان اليك جهرا
وأومن أنك البر السميع
أتحرقنى بنارك يا الهى
وضعفى عند بابك لى شفيع
أيعظم يا رحيم لديك ذنب
وعفوك بحره جم وسيع
فمن بالعفو والغفران يحظى
اذا ما فاز بالخلد المطيع
معاذ الحق أن يعصاك عبد
على عمد وفطرته الخضوع

فجـــد النــاس آدم من تــراب
وفيـــه الى طبيعتـــه نـــزوع
من المســـنون كان أبو البـــرايا
فكـــان جبلــة منــه الوقـــوع
وكنت بــه رحيمـــا حيــن ينأى
وتقبلــه اذا كـــان الرجـــوع

* * *

أنــا يــا خــالقى أخشى ذنــوبى
فاخـــذك ان أخـــذت بهــا مريــع
ولكنى أرجى منـــك عفـــوا
وراجى العفــو عنــدك لا يضـــيع

محمد عبد الرحمن صان الدين

الفتـــاوى

إعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين

س : ما حكم حضـــور النســـاء لصلاة الجماعة فى المساجد ؟

ج : اختلف العلماء فى جــواز حضور النساء الجماعة ، والمعتمد عند متــأخرى الحنفية : منع كل النساء من حضور الجماعات مطلقا الآن ولو لسماع الوعظ ، لفســاد الزمان وانتشار الســفه فى كل الاوقات •

ومذهب الامام أحمد : أنه يباح لهن حضور الجماعة مع الرجال ، ولكن صلاتهن فى بيوتهن خير لهن وأفضل •

فقــد جاء فى المغنى لابن قدامه ص ٣٥ من الجزء الثانى ما نصه : (ومباح لهن حضــور الجماعة مع الرجال ، لأن النساء كن يصلين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) قالت عائشة رضى الله عنها « كان النساء يصلين مع رسول الله صلى الله عليه وســـلم ، ثم ينصرفن متلفعات بمروطهن ما يعــرفن من الناس » • متفق عليه •

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا اماء الله مســاجد الله وليخرجن تفــلات » يعنى (غــير متطيبات) رواه أبو داود •

وصـــلاتهن فى بيوتهن خير لهن وأفضـــل ، لما روى ابن عمر قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تمنعوا نســـاءكم المســاجد وبيوتهن خير لهن » رواه أبو داود ، وقال صـــلى الله عليه وسلم : « صـــلاة المرأة فى بيتها أفضـــل من صـــلاتها فى حجرتها ،

وصـــلاتها فى مخدعها أفضــل من صلاتها فى بيتها » رواه أبو داود ـ انتهت عبارة المغنى ••

(والمراد من الحجرة فى الحديث صحن الدار ، قال ابن مالك أراد بالحجرة ما تكون أبواب البيــوت اليها •• والمخـدع : بضم الميم وتفتح وتكسر مع فتح الــدال فى الكل ـ هو البيت الصــغير الذى يكون فى داخل البيت الكبير تحفظ فيه الأمتعة النفسية) ذكر هذا فى شرح عون المعبود لسنن أبى داود •

والظاهر لنا ما ذهب اليه الامام أحمــــد من اباحة حضـــورهن الجمـــاعة • للاحــاديث الكثيرة الواردة فى ذلك • نعم ينبغى تقييد هذه الاباحة بما اذا لم يترتب على حضــورهن مفسدة ، كما يرد عليه ما جاء فى الحـــديث من الامر بخــروجهن تفــلات أى غــير متطيبات ، ومثل الطيب فى معنـــاه من حسن الملبس • والتحلى الذى يظهر أثره والزينــة الظاهرة وغير ذلك ومما مدعاة للفساد •

وفضل أفضلية الصلاة فى البيت عن الصلاة فى المسجد محمولة على ما اذا كانت الصلاة فى المسجد غير مقترنة بســـماع وعظ ونحوه مما لا يتيسر للنســاء فى بيوتهن ، أما اذا كان حضــورهن للصــلاة ولسماع ما يصلح شأنهن فى أمور دينهن وتربيـــة أولادهن والقيام بحقـــوق أزواجهن ، فالظاهر أن حضورهن فى هذه الحالة أفضل •

س : ما حكم المسلم الذى يترك الفرائض الاسلامية ، من صــلاة وصـــيام وحج • هل يعد بتركها كافرا ؟

ج : لا خلاف بين المسلمين فى أن من ترك شيئا من فرائض الاسلام وأركانه ، منكرا لوجـــوبه ، كان خارجا عن الاسلام ، وحكمه حكم المرتدين •

أما الترك مع اعتقــاد الوجوب والفرضـــية ، فهو بالاجمـــاع وبالدلائل الصريحـــة ، كبيرة من الكبائر ، يســـتحق فاعلها الجزاء الأخروى الذى توعد الله به أرباب الكبائر ، ولا يطهره منها ســوى

التوبة الصادقة ، أو الحج المبرور . وهذا هو الحكم الأخروى .

أما الحكم الدنيوى الذى يجب على امام المسلمين اقامته على التارك ، فانا لا نعلم فى ثبوته بالنسبة للحج رأيا يعتد به لأحد الأئمة ، غير أنهم أجمعوا على تعزيره والتشهير به بالنسبة للصوم والزكاة ، كما أجمعوا على أن الزكاة يجب على الامام أن يأخذها قهرا من تاركها .

وأما قوله تعالى بعد آية الحج : **« ومن كفر فان الله غنى عن العالمين »** (١) فليس المقصود منه الكفر بترك الحج ، وانما المقصود الكفر بفرضية الحج على الناس وهى المذكورة قبل بقوله تعالى : **« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »** (٢) .

نعم : تكلموا فى تارك الصلاة كسلا ، وكان لهم فيها مذاهب ثلاثة :

أولها : أنه يخرج عن الاسلام ويقتل كفرا كالمرتد .

وثانيها : أنه لا يخرج عن الاسلام ولكن يجب قتله حدا اذا لم يتب ويصلى .

وثالثها : أنه لا يخرج عن الاسلام ولا يحد بالقتل وانما يعزر بالضرب والحبس حتى يصلى .

وبالنظر الى أدلة هذه المذاهب رأينا أن أقربها الى الصواب هو المذهب الأخير ، لا كفر ولا قتل وانما الضرب والحبس ، وحجته قوله عليه الصلاة والسلام « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : كفر بعد ايمان ، وزنى بعد احصان ، وقتل بغير حق » .

أما الاحاديث التى استدل بها القائلون بالقتل ، فان ما صح منها وكان فى الموضوع وهو الترك كسلا ، وذلك كقوله عليه السلام : « بين الرجل وبين الكفر ترك

---

(١) الآية ٩٧ من سورة آل عمران .

(٢) الآية السابقة .

الصلاة » وقوله : « العهد الذى بيننا وبينكم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » فانه يجب حمله على التغليظ والتوبيخ ، ومعناه أنه فى صورة الكفر باعتبار العمل ، وليس كفرا على الحقيقة ، وانما وجب حمله على التغليظ لا على الحقيقة لقيام الأدلة على أن صاحب الكبيرة لا يخرج بها عن الاسلام .

أما القول بالقتل حدا . فقد قال فيه الامام ابن رشد المالكى : (انه قول ضعيف ، ولا مستند له الا قياس ترك الصلاة على القتل ، باعتبار أن الصلاة رأس المأمورات ، وأن القتل رأس المنهيات ، وهو قياس ضعيف ، ولا يباح بمثله دم موثوق بايمان صاحبه) .

أما بعد : فهذه خلاصة موجزة عن آراء الأئمة فى تارك الصلاة كسلا وحسب المسلم المؤمن بالله واليوم الآخر فى المحافظة عليها قوله تعالى : « **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** » (١) .

وقوله : « **واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين ، الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون** » (٢) وقوله : « **وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون** » (٣) وقوله : « **ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين ، الذين هم على صلاتهم دائمون** » (٤) .

كيف وهى الشعار الخاص الذى يعرف به المسلم من غيره ؟ ، وهى غذاء الايمان الذى يقرب العبد من مولاه .

عبد الحميد السيد شاهين

---

(١) الآية ٢٣٨ من سورة البقرة .
(٢) الآية ٤٥ ، ٤٦ من سورة البقرة .
(٣) من الآية ٤٥ من سورة العنكبوت .
(٤) الآيات من ١٩ — ٢٣ من سورة المعارج .

هكذا يكتب القراء

إعداد عبد العزيز احمد جبرة

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ جمال محمد محمود بخيت يقول :ـ

شرع الله سبحانه وتعالى الصلاة على نبيه وفرضها عليه صلى الله عليه وسلم فى ليلة الاسراء والمعراج وكانت فى البداية خمسين صلاة ولكن سيدنا موسى عليه السلام قال له ارجع يامحمد وسل ربك التخفيف فظل هكذا يسأل ربه التخفيف الى ان جعلها الله خمسا فى العمل وخمسين فى الأجر وذلك رحمة بأمة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى فى كتابه الحكيم **(ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)** صدق الله العظيم وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام فى حديثه الشريف (بنى الاسلام على خمس :

١ ـ شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

٢ ـ واقام الصلاة .

٣ ـ وايتاء الزكاة .

٤ ـ وصوم رمضان .

٥ ـ وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .

ومن هنا كانت الصلاة صلة بين العبد وربه فمن حافظ عليها وأداها فى اوقاتها وبخشوع لله تعالى كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن نجا من حسابها والسؤال عنها نجا من هول هذا اليوم لأنها أول ما يحاسب عنها العبد يوم القيامة ولذلك نجد أن الله تعالى وصف المحافظ على آداء الصلاة فى خشوع وخضوع وفى

توقيتها المعلوم قائلا (**قـد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صـلاتهم خاشعون الى ان قال والـذين هم على صلواتهم يحافظـون ، أولئك هم الوارثـون ، الـذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**) صدق الله العظيم والفردوس هذا أعلى درجات النعيم فى الجنة بدليل ان الرسول صلوات الله وسـلامه عليه قال (أسألوا اللـه الفردوس فانها أعلى مكان فى الجنة) وعلينا نحن المسلمين المحافظة على الصلاة وتعليم اولادنا الصـلاة وذلك فى سن مبكرة من عمرهم لقوله صلى الله عليـه وسلم (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليهـا لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع) والرسول عنـدما يأمر المسـلمين بتعليم أولادهم الصـلاة وهم فى بداية العمر فهو يعلم مدى الفائدة التى تعود على هؤلاء الأولاد اذا تعلموا الصلاة فى سن السـابعة وهو مرحلة الصبى وذلك لينشـأ الطفل متمسكا بربه قوى الايمان بدينه لأنه اذا شب على شىء شاب عليه ثم يأتى الكـاتب الى تـارك الصلاة فيذكر أن الانسـان اذا حافظ على صلاته لفت فى ثـوب أبيض وقالت وهى صـاعدة الى السماء حفظك الله كمـا حفظتنى واذا تهاون العبد فيها وتكاسل عن تأديتها لفت فى ثوب خرق وضرب بها على وجهه ورجعت من السماء وهى تقول ضيعك الله كما ضيعتنى وهنا يذكر الكاتب قوله تعالى (**ويل للمصلين الذين هم عن صـلاتهم ساهون**) ويذكر حـديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم الـذى يقول فيه (ليس بين المؤمن والكافر الا الصلاة فمن أقامها أقام الدين ومن هدمها فقد هـدم الـدين) صدق رسول الله وجعلنـا اللـه واياكم من المقيمين للصـلاة المحافظين عليها الآمرين بها أولادنا والله أسأل النجاة من هول يـوم القيامة .

القرآن دستور المسلمين

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ يسرى المتولى حورية يقول : ــ

جاء النبى محمد صـلى اللـه عليه وسلم خاتما للنبيين وكـذلك رسالته خاتمة الرسالات السماوية

فهى رسالة عامة وقد أكد عمومها الله عز وجل فى كتابه الكريم فقال « **وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) صدق الله العظيم .

ولقد تميزت هذه الرسالة فوق عموميتها بأنها صاحبة كتاب ان صح هذا التعبير يتميز من بين سائر الكتب بأنه معجزة ومنهج بينما الكتب السابقة عليه كانت منهجا فقط ومن هنا فان هذا الكتاب العظيم قد اشتمل على كل ما يصل الانسان بربه أولا ثم ما يصل نفس الانسان بالمجتمع الذى يعيش فيه ثانيا فأما صلة الانسان بربه فتتحقق بما عرف لدى علمائنا بالعقيدة والشريعة وما من شك فى أنه عندما يستقيم هذا الجانب لدى الانسان ينتج عنه الاستقامة فى الجانب الآخر وهو المجتمع فيتحلى الانسان بالصفات الفاضلة والاخلاق الحميدة والافعال الكريمة وهنا تكون المعاملة الطيبة ولعل ذلك ما قصده الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله « الدين المعاملة »

اذا فالاسلام عقيدة وشريعة ومعاملة وأخلاق ومصدر هذا انما هو القرآن الكريم فقد نزل هذا الكتاب على النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وجاء بما جاء من أحكام ومعاملات وعبادات لينظم حركة الحياة عقيدة وعبادة وينظمها اقتصاديا وفكريا وكل ما تتطلبه الحياة من نظم فهو الخير كله فقال فى العقيدة (**قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**) صدق الله العظيم وفى العبادة قوله تعالى (**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون**) وفى الجانب الاقتصادى (**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**) وفى الجانب العسكرى (**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل**) صدق الله العظيم وهذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر وأخيرا قد عرفنا أن القرآن هو دستور الحياة للمسلمين وفقنا الله لما فيه الخير .

عبد العزيز أحمد

قالت الصّحف

إعداد عاطف زهران

« الدولة الاسلامية »

فى عددها الأخير لشهر ربيع الآخر سنة ١٤٠١ نشرت مجلة الوعى الاسلامى الكويتية تحت هذا العنوان أفتتاحية ننتقى منها ما يلى :

الشريعة الاسلامية التى أنزلها الله تعالى حملت فى كيانها الخصائص التى تحقق هذا الهدف السامى ، فكانت شاملة لكل شئون الحياة من عبادات ومعاملات ، وعقائد وأخلاق ٠

وهذا الشمول يقتضى أن يكون من أحكامها وقواعدها ما يتعلق بنظام الحكم فى الدولة ، كمبدأ الشورى ، ومسئولية الحاكم ، وأحكام الحرب والسلم ، والمعاهدات والعقوبات ٠

والدولة الاسلامية هى التى تقوم على تنفيذ هذه المبادىء والأحكام بمقتضى مالديها من قوة وسلطان ، فتقيم المجتمع على العدل والانصاف ، والنظافة والطهر ، والعمل الشريف الجاد ٠

وفى رحاب هذا المجتمع يسهل على الفرد أن يقيم علاقاته مع غيره فالانسان كائن اجتماعى ٠ يتأثر بالبيئة التى يعيش فيها ٠ فان كانت بيئة صلاح وخير اتجه الفرد نحو الصلاح والخير ، وان كانت بيئة فساد وضلال اتجه نحو الفساد والضلال ٠

فالدعوة الى الله يتذكر بها أولوا الألباب ، ويلوى عنها أرباب الفسا وأعوان الباطل ، وهؤلاء لا يردعهم عن غيهم وينجي

المجتمع من شرورهم الا القـوة الفعالة • ورضى اللـه عن عثمان ابن عفاف صاحب القولة الخـالدة « ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » •

ان قيام الدولة الاسلامية التى تؤمن بالاسلام وتعمل بأحكامه ، وتنفـذ فى الأمـة تعـاليمـه ، وتقود الأمة فى مكافحة الأعداء • أمر يفرضه الله على المسـلمين ، لتسـتقيم أمورهم ، ويعـزوا فى أرضهم • وفى هذا يقول الحق جل شأنه لرسوله صـلى الله عليـه وسـلم :

« ثم جعلناك عـلى شريعـة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين

مؤتمر القمة الاسلامى والتحديات الكبيرة

تحت هذا العنوان كتبت مجلة الأمة القطـرية افتتاحية نقتطف منها (١) •

انعقد مؤتمر القمة الاسلامى الثالث فى مدينة الطـائف ، ويأتى انعقاده موازيا للصحوة الاسلامية التى بدأت تعبر عن نفسها فى أكثر من مجال ، وبأكثر من وسيلة ، ترفض الأفكار المستوردة ، والعقـائد الجاهلية ، وجميع ألوان الولاء وشتى مبرراته ، والعمالة الحضـارية والثقافية والسياسية لأية كتلة شرقية كانت أم غربية •

يأتى انعقاده فى الوقت الذى تشتد فيه الهجمة الشرسـة عـلى العالم الاسلامى ، وتكثر الجروح النازفة هنا وهناك ، وتدرس ظواهر الوعى الدينى المتعـاظم ، وتنصب له الفخـاخ والشراك ، وتدرس الوسائل المدمرة له ، وتتشكل اللجان المتخصصة ، وتربى أدوات التنفيذ على عين أعداء الاسلام •

---

(١) العدد الرابع ربيع الآخر سنة ١٤٠١ هـ •

لا يعلمون ، أنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين » •

انعقد المؤتمر فى وقت تزداد فيه خيام اللاجئين ، وأرض النازحين من أفغانستان ضحية الغزو السوفيتى ، ووسائل الفتك والارهاب التقدمية الى الأوغادين، ومن أريتريا الى الفلبين ، الى سائر الأقليات الاسلامية المسمومة تحت عناوين وشعارات الحرية والتقدم الى الغربة والاغتراب ، وهجرة العقول من بلاد الاسلام لسبب أو لآخر ، الى غربه المسلم وغربة اسلامه فى بلاد العالم الاسلامى نفسه •

ان هذه الجروح النازفة لاينفع معها الا الاسعاف السريع ، وان استمرار الاعتماد على الدول الكبرى نوع من الخداع • فالذى ذبح المسلمين وتنكر لهم ولحقوقهم فى فلسطين لا يمكن أن ينتصر لهم فى أفغانستان أو يدافع عنهم ، والذى يذبح المسلمين فى أفغانستان لا يمكن أن ينتصر لهم ويدافع عنهم فى فلسطين ، التى اعترف بها دولة لليهود من اللحظة الأولى ، وأمدها بكل العناصر البشرية التى شكلت الاستعمار الاستيطانى والمادة البشرية اللازمة •

لقد استهلكت خلال الثلاثين سنة الماضية كل الشعارات ، والحلول المطروحة فى المنطقة العربية لتحرير فلسطين ، ولم يبق الا الحل الاسلامى ، فهل نلتزم به باخلاص وصدق ؟ وهل نعد له عدته بكل مقوماته ومقدماته كما أراده الله وبينه رسوله الكريم بسنته العملية ؟

صحوة الاسلام فى الاتحاد السوفيتى

تحت هذا العنوان كتبت مجلة الثقافة فى عدد مايو سنة ١٩٨٠ م موضوعا نقتطف منه : لا تتوقف الصحف الفرنسية عن تقديم الدراسات حول العالم الاسلامى • خاصة بعد الثورة الايرانية والثورة الأفغانية •

وكانت من آخر تلك الدراسات ما نشرته صحيفة « لوموند » فى أربعة أعداد متوالية عن الاسلام فى آسيا وعن الظروف الاقتصادية

والفكرية والسياسية لأربعمائة مليون مسلم فى آسيا غير العربية •
ومن القضايا الاسلامية التى نوقشت كثيرا قضية مسلمى الاتحاد السوفيتى الذين يتعاظم عددهم بطريقة سريعة سوف تصل — ان شاء الله — بهم فى نهاية هذا القرن الى ثلث سكان الاتحاد السوفيتى •
دأبت وسائل الاعلام السوفيتية فى الترويج عن عمد من أن الذين يطبقون الاسلام فى الداخل لا يزيدون عن ثلاثة ملايين من العجائز وان معلوماتهم ضئيلة ، وأن الاسلام ليس الا بقايا من ذكريات الماضى •

ان عدد المسلمين فى الاتحاد السوفيتى يزيد حاليا على خمسين مليون مسلم وهم يشعرون بالانتماء الى الأمة بمفهومها الاسلامى •
ومن الشائع جدا أن يوصى المسلم بأن يدفن بأرض لم يدفن فيها شيوعى وقد مرت بهم أوقات — كثيرة — عصيبة •

ووصفوا الدين الاسلامى بأنه « دين رجعى ابتكره أحد التجار العرب الذين كانوا يمتصون أرزاق الطبقات الفقيرة » •
كما حرمت الدولة الصوم والزكاة والحج ووصفت نشاط علماء الاسلام بأنه مضاد للثورة ، وأغلقت المساجد واختفت كلمة مسلم من الأوراق ليحل محلها « مواطن سوفيتى » •
والسؤال المطروح : هل استطاعت الشيوعية القضاء حقا على الاسلام فى الجمهوريات الواقعة تحت حكمها ؟

وهل الشعور الدينى فى هذه الجمهوريات بعيد عن الشعور العام بالصحوة فى البلاد الاسلامية المتاخمة — أفغانستان — باكستان — ايران ؟؟

عاطف شحاته زهران

أخبار العالم الإسلامي

إعداد أحمد عبد الرحيم السايح

بعث فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر البرقية التالية الى السيد الرئيس محمد أنور السادات تعزية فى استشهاد فقيد الأمة المجاهد الشهيد أحمد بدوى ورفاقه من المجاهدين .

السيد الرئيس المؤمن محمد أنور السادات

ان المصاب الفادح بوفاة البطل الفدائى المشير أحمد بدوى ورفاقه الأمجاد هز المشاعر وأثار الخواطر لما للفقيد الراحل من مواقف خالدة فى الجهاد الصادق والنضال الدائم لسحق الأعداء وتطهير البلاد ورفع راية العزة والكرامةبعد معارك دامية وحروب طاحنة أثبت فيها بقيادته الحازمة بطولة الجندى المصرى وعزمه الأكيدواصراره على تحرير أرضه وحماية وطنه بالهمة العالية والشجاعة النادرة والايمان العميق ..

لقد كان الفقيد الراحل مثلا للصبر والصمود والمثابرة ورمزا للبذل والعطاء وصورة ناطقة للتضحية والفداء وقلبا نابضا فى معركة المصير فيبقى حيا فى ضمير التاريخ ..

واننا اذ نحتسبهم عند الله فانما نضرع اليه تعالى أن يظلهم

برحمته ويشملهم برضوانه وينزلهم جنات النعيم مع الابرار والشهداء والصديقين ••

ألهمكم الله الصبر والسلوان وأعظم لكم الأجر والثواب « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين •• الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون •• »

دكتور / محمد عبد الرحمن بيصار
شيخ الأزهر

كما نعى فضيلته المجاهدين الشهداء الى العالم الاسلامى بهذه الكلمة ••

بقلوب مؤمنة راضية بقضاء الله ينعى شيخ الأزهر وعلماؤه الى العالم الاسلامى والعربى البطل المجاهد ورفاقه البواسل بعد حياة حافلة بالكفاح والتضحيات فى ميادين النضال والجهاد فى سبيل الله وساحات الشرف والكرامة مسجلا أروع البطولات وأخلد المواقف فى الصمود والتصدى لمواجهة الأعداء الطامعين فحقق النصر ورفع أعلام الحرية خفاقة على أرض الوطن •• وأعاد العزة والكرامة لكل عربى ••

رحم الله الفقيد الراحل وصحبه الامجاد وشملهم برضوانه وأسكنهم رحاب جنانه لينعموا فى الفردوس الأعلى مع الصديقين والشهداء والأبرار « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا •• »

القاهرة :

* تستعد « اسلام أباد » عاصمة الباكستان لاستقبال فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ـ شيخ الازهر ـ خلال زيارته فى مارس ضمن جولة فى عدة دول آسيوية اسلامية ، تحول

باكستان كثيرا على هذه الزيارة لتدعيم العلاقات الدينية مع مصر .

* **يجتمع بالقاهرة خــلال شهر مارس المؤتمر العالمى للشباب المسلم وتنظمه جامعة الأزهر ، وتشهده وفود من شباب الدول الاسلامية والدول التى بها أقليات اسلامية .**
* تقرر فى مصر انشاء معهد اسلامى لتدريب القضاة الحاليين عــلى العمــل بأحكام الشريعة الاسلامية التى ستطبق قريبا بعد اقرار قوانينها فى مجلس الشعب ..
* ذكر مصدر مسئول أن لجنة تقنين الشريعة قد انتهت من اعــداد القانون المدنى والبحرى ، وســـيعرضان على اللجنة التشريعية بمجلس الشــعب .
* اعلن الدكتور صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب أن المنــاخ العام قد أصبح مواتيا لتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية .

الســعودية :

* **وجه المسئولون السعوديون الدعوة لجامعة الازهر باعتبارها أكبر وأقدم الجامعات الاسلامية للاشتراك فى مؤتمر الجامعات الــذى يعقد بمكة المكرمة خلال شهر فبراير لمناقشة اسلوب دعم هــذه الجامعات والتعاون بينها ، وتقرر أن يرأس فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار مدير جامعة الازهر وفد الجامعة بالمؤتمر .**
* قررت لجنة البرامج بمنظمة اذاعات الدول الاسلامية فى اجتماعها الذى عقد بجدة خلال شهر ربيع الأول مواجهة التحــديات التى تواجه المسلمين .

الســودان :

* ذكرت الأنباء أن ثلاثة عشر رجلا من علماء اللاهوت بالســودان أشهروا اسلامهم وأعلنوا عن تحولهم الى دعاة اسلاميين فى غرب الســودان .

المغـــرب :

* يقام فى مدينة طنجة بالمغرب مركز اسلامى للتنمية التجارية مهمته تشجيع المبادلات التجارية بين البلدان الاسلامية .

الصـــومال :

* قررت الحكومة الصومالية اعتماد اللغة العربية لغة رسمية للبلاد فى مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية .

صنعاء :

* يبحث المؤتمر الثانى لوزراء العدل العرب فى اجتماعهم المقرر عقده فى صنعاء خلال شهر فبراير اقرار خطة توحيد التشريعات العربية على أساس الشريعة الاسلامية .

الباكستان :

* يصدر قريبا قانون محكمة العدل الاسلامية التى تتولى قضـــايا الأمة الاســـلامية .

* أوصى البنك المركزى الباكستانى فى تقريره الســـنوى بضرورة ادخال النظام الاسلامى للزكاة لجمـــع الضرائب من الأغنياء فى الريف والمدن كاجراء يساعد على حل مشاكل الفقراء .

* سيعقد فى « اسلام أباد » اجتماع المائدة المســـتديرة لوزراء الصناعة فى الدول الاسلامية .

* تمت فى « اسلام أباد » اجتماعات مكتب التنسيق الاســـلامى الأسيوى ، وقد حضرها ممثلون عن الدول الاسلامية .

* **محمد عز الدين شرف سفير مصر فى باكستان أصدر قرارا هـــو الأول من نوعه فى سفارات مصر بالخارج . اذ قرر ألا تشـــترى**

السفارة أو رجالها أو مكاتبها الفنية أى نوع من الخمور وألا تقدم الخمور فى حفلاتها العامة والخاصة • وقد لاقى القرار المصرى ترحيبا كبيرا من المسئولين الباكستانيين اذ أنه يتمشى مع سياسة باكستان الاسلامية •

* أصبحت اللغة العربية لغة اجبارية فى جميع مدارس باكستان الابتدائية ليتمكن الطلبة من قراءة القرآن الكريم ويتوقع أن تصبح اللغة العربية هى اللغة الأساسية خلال السنوات القادمة•

السنغال :

* أثبتت الدراسة التى قام بها الصحفى الفرنسى « جاك لاكوت » أن المسلمين فى السنغال يشكلان ٨٠ ٪ من مجموع السكان •

ماليزيا :

* تم مؤخرا انشاء بنكين اسلاميين فى ماليزيا • وبهذا يصبح عدد البنوك الاسلامية العاملة فى الدول الاسلامية خمسة عشر بنكا •

لوكسمبرج •

* عندما أعلن الرئيس السادات فى خطابه التاريخى من فوق منبر البرلمان الأوربى فى لوكسمبرج « أن الاسلام لا يمكن الحكم عليه بأخطاء من يدعون الانتماء اليه فالاسلام دين تسامح وحب وليس بغضا وكراهية وتعصبا • ان ثورة اسلامية لا يمكن الا أن تقوم على الرحمة والعدل والحفاظ على كرامة الانسان وحريته » قوبل بالوقوف والتقدير من جميع أعضاء البرلمان الأوربى •

أحمد عبد الرحيم السايح

فهـــرس العـــدد

الموضـــوع	صفحة
• **حديث الشهر**	
للدكتور عبد المعطى محمـد بيومى	٨٢٦
دراسات قرآنية	
• **الايمان ومقوماته**	
للدكتور محمد الطيب النجار	٨٣٤
• **الاسلام يؤلف القلوب ويحقن الدماء**	
لفضيلة الشيخ مصطفى الطير	٨٤٠
• **الأحداث الكونية للقيامة فى ضوء الاعجاز العلمى للقرآن**	
للدكتور منصور محمد حسب النبى	٨٥٠
• **كيف تقرأ البخارى**	
للأسـتاذ محمد أحمد بدوى	٨٥٨
التشريع الاسلامى	
• **الأدلة الشرعية المرنة**	
للدكتـور محمد محمد الشرقاوى	٨٧٢
• **من توجيهات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب الى رجال القضاء**	
للمستشار محمد عزت الطهطاوى	٨٧٧
أعلام الاسلام	
• من أئمة الحديث النبوى الامام أحمد بن حنبل	
للدكتـور الحسينى هاشم	٨٩٢
• **طرائف .... ومواقف**	
اعداد عبـد الحفيظ محمد عبـد الحليم	٩١٣

الموضـــــوع صفحة

من حضارة الاسلام

● **الفارابى : الفيلسوف المفترى عليه**
للدكتور أحمد عبد الحميد الشاعر ٩١٨

● **التربية الدينية « تصور للاصلاح »**
للأستاذ على عبد العظيم ٩٢٩

● **الصوفية ووجه الحقيقة**
للأستاذ موسى محمد على ٩٣٦

● **ملتقى الاسماعيلية للفكر الاسلامى** ٩٤٧

● **الى شعب أفغانستان**
للأستاذ حامد الجوجرى ٩٥٤

● **يارياه**
للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين ٩٥٧

● **الفتاوى**
للأستاذ عبد الحميد شـــاهين ٩٥٩

● **هكذا يكتب القراء**
للأستاذ عبد العزيز أحمد ٩٦٣

● **قالت الصحف**
اعداد : عاطف زهـــران ٩٦٦

● **أخبار العالم الاسلامى**
للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح ٩٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

بعد خطى التطوير التى حققناها ، وكانت موضوعا لكثير من رسائل القراء لابد أن نوجه الشكر الجزيل لفضيلة الامام الأكبر فهو الذى يدفع مسيرة المجلة الى الأمام ويوليها عنايته الشخصية .

كما أن فضيلته صاحب البادرة الطيبة باصدار قرار مجلة « رسالة الأزهر » التى نعد لها حتى باتت وشيكة الصدور .

ونشكر كتابنا الذين كان اهتمامهم بالموضوعات التى تحدد موقف الاسلام من التيارات الفكرية المعاصرة .

وفى هذا العدد يلاحظ القارىء أننا خصصنا بعض الصفحات « لملف الشهر » حول قضية دينية لغوية أثارها كتاب مقدمة فى فقه اللغة العربية للدكتور لويس عوض .

وبهذا تؤدى مجلة الأزهر رسالتها فى تصحيح الأفكار والدفاع عن اللغة والدين .

التحرير

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث
الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان إدارة الأزهر
بالقاهرة
تليفون ٩٠٥٠٧٣ / ٩٠٥٠٧٣

رئيس التحرير
د. عبد المعطى محمد بيومى

صورة الغلاف

محراب الرسول : وهنا يتسابق المسلمون لاداء ركعتين حيث يضع المسلم جبهته موضع الجبهة الشريفة .

الجزء السادس — السنة الثالثة والخمسون — جمادى الآخرة ١٤٠١
ابريل ١٩٨١ م

رسالة العروة الوثقى

كلمة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار
شيخ الأزهر
بمناسبة مرور مائة عام على صدور مجلة العروة الوثقى

بسم الله الرحمن الرحيم

أيهـا السـادة :

أحمد الله تعالى اليكم ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد صاحب الرسالة الجامعة ، والدعوة الشاملة « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيهم أجمعين ٠

وبعـد :

فقد كان القرن الثالث عشر الهجرى ، والتاسع عشر الميلادى فى حياة الأمة الاسلامية قرن الدعاة والمصلحين الذين نهضوا لايقاظ الأمة ، وجمع كلمتها ، واصلاح ما اعتل من شئونها ، فى جوانب الدين والسياسة ، والعلم والاجتماع ، وكانت الأمة فى حاجة اليهم ٠

نهض من هؤلاء الدعاة رجال كبار ، فى مصر والشام ، وفى الهند وتركيا ، وفى شمال أفريقيا ٠

وكانت أصداء دعواتهم لانهاض الأمة الاسلامية تتجاوب بها الأرجاء فى مختلف الأقطار ٠

كانت حركة الأفغاني ومحمد عبده أكثر الدعوات تنبيهًا للرأي الإسلامي العام

وكانت أكثر الدعوات بركة ، وتنبيها للرأى العام الاسلامى هى الدعوة التى قامت فى مصر على يد جمال الدين الأفغانى وتلميذه محمد عبده المصرى •

التقى الرجلان على حرية الضمير ، وصدق اللهجة وعفة النفس ، ودقة النظر ، وقوة الحجة ، والسعى لتوحيد كلمة المسلمين ، وجمع شتاتهم فى مختلف الأقطار تحت شعار واحد : شعار الأمة الاسلامية ، التى أمر الله أن تعتصم بحبله ، وألا تتفرق •

ولقد وجد جمال الدين فى تلميذه محمد عبده عنصر الاباء ، والفروسية والاعتزاز بالنفس ، والشجاعة فى الحق ، فنمى فيه هذه الطبائع الأصيلة ، وقربه من بين تلاميذه وأفاض عليه من آرائه وتجاربه ، وثقافته الواسعة ، وخبرته بالأمم وبالشعوب •

فصار التلميذ عونا لأستاذه ، وامتدادا لرأيه ، ولسانا لدعوته الاصلاحية •

نشأ جمال الدين فى أسرة من أشهر البيوت شرفا ونســـبا فى أفغانستان ، فهو ينتمى الى الامام أبى عيسى الترمذى ، صـــاحب السنن ، ويرتقى فى النسب الى الامام الحسين بن عــلى ، رضى الله عنهمـــا ٠

وهو من أمة الأفغان ، وهى أمة عزيزة النفس ، شديدة البأس ، لم تذل لحاكم ، ولا لأجنبى قط ٠

أمة تعظم آل البيت النبـــوى أكبر التعظيم ، وتوليهم مكانة رفيعة ، لقرابتهم من النبى صلى الله عليه وسلم ٠

وكان جمال الدين عضوا من أعضاء الحكومة ، وركنا من أركان الزعامة فى بلده ، لدى أمير له شأن فى بيت امارتها ، وهو الأمــير : (محمد أعظم خان) ٠

أما محمد عبده : فهو ابن فلاح مصرى ، فيه طبيعـــة الوفاء ، والصبر والاكتفاء ، والأنفة وعزة النفس الفطرية ٠

ولم يكن بيته ذا وجاهة على مستوى القطر المصرى ، لكنه كان أوجه بيت فى قريته ، وكانت هذه المنزلة ذات أثر فى نفس الشـــاب الناشىء محمد عبده فى اطار عالمه الصغير ٠

كانت وراثة السيد/جمال الدين ، ومكانته فى بلده ناهضـــة به الى الآمال الكبار ، حافزة له الى مقاومة الظلم والفساد ، داعية الى الاصلاح ، سواء على مستوى الدول ، أو مستوى الجماعات ٠

وقدم جمال الدين الى مصر ، والتقى بمحمد عبده ، وهو شاب طموح ، تواق الى المعرفة والعمل ٠

فغذاه جمال الدين من غذائه ، وعلمه مما تعلم ، وعرفه بأحوال الأمم وسير الممالك ، وفتح له الى المعرفة آفاقا جديدة ٠

وعمل الرجلان معا فى مجال الاصـــلاح السياسى والاجتماعى ، فطالب محمد عبده باقامة نظـــام نيابى فى حكم مصر ، وعمل على اصلاح التعليم فى وزارة المعارف ٠

فلما قامت الثورة العرابية ، ونفى محمد عبده من مصر ، دعاه السيد/جمال الدين للعمل معه فى جمعية العروة الوثقى ، التى أنشـأها فى باريس ، للعمل على ايقاظ العالم الاسـلامى ، والسعى لاجلاء الجيوش البريطانية عن بلاد الشرق ٠

الجامعة الإسلامية أهم أهداف العروة الوثقى

وكان الهدف البعيد لهذه الجمعية ـ كما يقول السـيد محمـد رشيد رضا ـ اعادة الحكم الاسلامى ، وهداية الدين الى ما كان عليه من الطهارة والعـدل والكمال فى العصر الأول : بتأسيس حكومة على قاعدة الخلافة الراشدة فى الدين ، وما تقتضيه حـالة العصر لمجـد الاسـلام فى أمور الدنيا ، ويتبع هذا : انقاذ المسلمين وغيرهم من الشرقيين من الاستعمار المذل لهم ٠

وأما الغرض القريب لها : فهو انقاذ مصر والسـودان من الاحتـلال ٠

واستجاب الشيخ محمد عبده لنداء أستاذه ، وسافر الى باريس ليساعده تجاه هذه الأهداف ٠

وأنشآ معا مجلة « العروة الوثقى » ، وصدر العدد الأول منها فى ٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٠١ هـ ، الموافق ١٣ من مارس سـنة ١٨٨٣ م ٠

وكان جمال الدين يدير سياستها ، ويضع أفكارها ٠ وكان الشيخ محمد عبده يحررها ويقدم مبادئها ، ويصوغ دعوتها بأسلوبه ٠

ولقد حددت العروة الوثقى لنفسها أربعة أهداف وهى : الجامعة الاسـلامية ، والرابطة الشرقية ، والقضـية المصرية ، والقضـية السودانية ـ ازاء الاحتلال البريطانى لهما ٠

وكانت الرابطة الشرقية مرتبطة بالجامعة الاسـلامية فى العمل لهما ، ولم يكن بالمجلة فصول تخص احداهما دون الأخرى ، وقلمـا تخلو مقالة عن الجامعة الاسلامية من ذكر الرابطة الشرقية ، ووجوب الجمع بينهما ٠

لم تكن العروة الوثقى مجلة طائفية .. بل كانت للجميع ولإنهاض الجميع على كلمة ســواء.

وكانت المجلة ــ وهى تقوم بالخدمة الاسلامية تعطى الرابطة الشرقية والروابط الوطنية حقهما كاملا ٠

لقد دافع الشيخ محمد عبده ــ وهو منفى بسوريا ــ عن بطرس باشا غالى حين اتهمته بعض الجرائد المصرية آنذاك بالتعصب فى بعض أعماله ، فأورد الشيخ محمد عبده ما ذكرته الصحف فى هذا الموضوع ، واهتم بمقالة الصحف التى دافعت عن الوحـــدة الوطنية فى مصر ، وأيدها فى نفى أية حزازات بين المسلمين واخوانهم فى الوطنيـــة من الأقباط ، وأورد الأدلة التى أقامتها الجريدة على ارتباط المســلمين والأقبـــاط فى مصر بالألفة والمحبة ، وأخذ كل منهم بعضد أخيه عند الشــدة ، ورسوخ ذلك فى نفوسهم بالتوارث عن أســلافهم ، وأقوى برهان على ذلك : وقوف الأقباط مواقف القتال مع اخوانهم المسلمين ، فى مواقف الحروب فى فتنة كريت وحرب الحبشـــــة ، وفى المعارك الســـودانية ، وما سبق ذلك وما لحقه ، يناصرونهم ويؤازرونهم ، فكانوا حربا لمن حاربهم ، وسلما لمن سالمهم ، وأن الخلاف المذهبى لم يحدث شقاقا وطنيا فى زمن من الأزمان ٠

ثم قال الشـــيخ محمـــد عبـــده : فنحن نرى رأى الجريدتين المحاميتين خصوصا عن طائفة الأقباط فى مصر ، فانها اظهرت بحسن

سيرها مع المسلمين من مواطنيها ما أهلها لوجوب المحافظة على وصية النبى ــ صلى الله عليه وسلم : فقد عهد الى أصحابه اذا فتحوا مصر أن يستوصوا بقبطها خيرا ، وقد كان حسن حال الأقباط مظهرا لصدق نبئه عليه الصلاة والسلام •

على أن كثيرا من أســــــلاف هذه الطائفة كانوا أمناء على مال الحكومة المصرية فى الدول الاســـــلامية المتعاقبة ، بما أجادوا من صناعتى : الحساب والكتابة فى تلك الأوقات ، ولم تعهد لهم فتنة ، ولم تذكر لهم على البلاد غائلة ، فلا ينبغى لمبتغى الحق أن يمس شـــأنهم بالعنوان العام •

ثم قال : وأما بطرس باشا غالى فهو رجل ذكى ، حاذق فى عمله ، بصير بأمره ، تقلب فى وظائف الحكومة من عنفوان شبيبته ، ورقى به اجتهاده الى ما وصل اليه من ســـامى وظيفته ، ووثقت به الحكومة الخديوية فى كثير من أعماله المهمة ، ونال فيها مكافآت على ما أدى من الأعمال التى نيطت به ، فمن الظن ألا يصدر عنه ما يبعث عليه لائمة من مصيب فى رأيه ، محق فى حكمه •

وكان جمال الدين أول من وضــع أســاس الجمع بين الرابطة الشرقية السياسية والجامعة الاسلامية ، وتوجيه العمل لكل منهما من غير تعارض بينهما •

وقد اعترف بهذا كل من ترجم له من المسلمين والمسيحيين على سواء ، وكذلك كان تلميذه من بعده •

كانت لكل الناس :

وقد اشتبه على بعض الناس أمر اللهجة الاســـلامية فى العروة الوثقى ، وظنوا أن عملها خاص بالمسلمين فدفع صاحباها هذه الشبهة عنها ، بكلمة نشرت فى العدد الثامن الذى صدر فى باريس ١٨ من رجب سنة ١٣٠١ هـ الموافق ١٥ من مايو سنة ١٨٨٤ م ، ونصها :

« لا يظن أحد من الناس أن جريدتنا هذه بتخصيصها المسلمين بالذكر أحيانا ، ومدافعتها عن حقوقهم تقصد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم فى أوطانهم ، ويتفق معهم فى مصالح بلادهم ، ويشـــاركهم بالمنافع من أجيال طويلة ، فليس هذا من شأننا ، ولا مما نميل اليه ، ولا يبيحه ديننا ، ولا تسمح به شريعتنا ٠

ولكن الغرض تحذير الشرقيين عموما ، والمسلمين خصوصا من تطاول الأجانب عليهم ، والافســـاد فى بلادهم ، وقد نخص المسلمين بالخطاب ، لأنهم العنصر الغالب فى الأقطار التى غدر بها الأجنبيون ، وأذلوا أهلها أجمعين ، واستأثروا بجميع خيراتها ٠

المجلة والجامعة الاسلامية :

وأما دعوة المجلة الى الجامعة الاسلامية ، فكان الغرض منها :

أرشاد المسلمين الى الوحدة الاسلامية ، والاسترشاد بالقرآن الكريم ، وبسنة النبى صلى الله عليه وسلم وسيرته ، وسيرة الخلفاء الراشدين الى اقامة النظام الاسلامى ، وتأسيس حكومة اسلامية ، والاقتداء بسيرة السلف الصالحين فى هدايتهم ، والالتزام بمذاهب الائمة المجتهـــدين ، ومناهجهم العلمية فى تدوين أحكام الشريعـة الاسلامية ، واحياء الدراسات العلمية والفنون الاســـلامية لبناء الحضارة ، وتوجيه جميع شعوب المسلمين الى الاســتقلال وتقارب بلادهم ، وتعاونها على احياء مجد الاسلام ، وترك عصبيات المذاهب والجنسيات التى تفرق كلمة المسلمين ٠

وقد ظن بعض الناس أن جمال الدين أراد بالجامعة الاسلامية : أن يكون للمسلمين جميعا دولة واحدة ٠

لكن هذا المقصد لم يظهر على الاطلاق فى مجلة العروة الوثقى ٠

وقد حرر الشيخ محمد عبده مقاصد أســتاذه فى دعوته الى الجامعة الاسلامية ، فكتب مقالا نشر تحت عنوان : « الوحدة الاســلامية »

بالعدد التاســع بالعروة الوثقى ، فقال : « لا ألتمس بقولى هذا عن الوحدة الاســـــلامية أن يكون مالك الأمر فى الجميع ـــ أى جميع البلاد ـــ شخصا واحدا ، فان هذا ربما كان عسيرا ، ولكننى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه ، يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع ، فان حياته بحياته ، وبقاءه ببقائه » .

ألا أن هذا ـــ بعد كونه أســاسا لدينهم ـــ تقضى به الضرورة وتحكم به الحاجة فى هذه الأوقات .

وطلب المقال : أن تقيم أيران وأفغانستان اتحادا بينهما ، شبيها بالاتحـــاد الذى أقامته الشـــعوب الجرمانية فى أوربا ، وبينها من اختلاف المذاهب شىء كثير ، فكان هذا الاتحاد سبيلا لقوة الشعوب الجرمانية .

والظاهر : أن جمال الدين كان يكتفى فى الوحدة الاســـــلامية بالوحدة الدينية ، وبالاصـــــلاح الاجتماعى والثقافى والاقتصــادى والعســكرى للشــعوب الاســلامية وأن تعقد المحالفات بين دولها « كالترك والفرس والأفغان فى ذلك الوقت » وأن تعترف كل مجموعة لأقوى دولة بينها برياســـــة الحلف أو الرابطة أو الاتحاد ، ممثلة للخلافة الاسلامية .

المجلة والمسألة المصرية :

أما المســـألة المصرية : فكانت مقالات العروة الوثقى : تهتم بالدفاع عن مصر ، وتسعى لانقاذها من الاحتلال الانجليزى ، باثارة الرأى العام الاسلامى : فى مصر والهند وغيرهما على الســــلطة البريطانية ، وحث الدولة العثمانيـــة على اخــراج الانجليز من مصر بالسياسة والقوة معا ، ومحاولة اقناع فرنســـا وغيرها من الدول الأوربية بمساعدة مصر للتخلص من الاحتلال .

وكذلك كانت جهودهما موجهة لاخراج الانجليز من السودان ، واقناعهم بتركه ، ولقد حاولا أن يذهبا الى السودان خفية ، لتنظيم قوة السيد محمد أحمد المهدى ، توسلا لانقاذ مصر بجيشه ، وتأسيس دولة قوية من مصر والسودان ، يعتز بها الاسلام والشرق ٠

هذه هى مقاصد العروة الوثقى وأهدافها ٠

فهل كان من الممكن أن يسمح لها الانجليز أن تحقق أهدافها ؟ وأن يتركوا لها فرصة الحياة ؟

لقد عرف الانجليز جمال الدين من قبل ، واشتهر لدى ساستهم بأن له الأثر الفعال فى اثارة الرأى العام ضدهم ، لما فعلوه فى بلاده وفى بلاد الهنـــد ٠

وأن له تأثيرا كبيرا فى السياسة المصرية فى آخر عهد اسماعيل باشا ، مما جعل الخديوى يميل الى الفرنسيين ٠

ولذا : فان القنصل الانجليزى هو الذى أغرى الخديوى توفيق باخراج جمال الدين من مصر ، كذلك فقد حجرت عليه حكومة الهنـــد ومنعته من مغادرة كلكتا ابان الثورة العرابية ، بعد أن حجبت عنـــه أخبـــارها ٠

مواجهة الاستعمار :

لهذا كله : حسب الانجليز لصحيفة العروة الوثقى كل حساب ، وجهر بعض الســـــاسة البريطانيين بتحريض حكومتهم عليها قبل صـــــدورها ٠

ولم يمض وقت طويل بعد صدور المجلة ، وتتابع أعدادها ، حتى صـــــدر قرار فى مصر والهند بمنع دخولها اليه وعمل الانجليز على مطاردتها ، فتوقفت عن الصدور بعد العدد الثامن عشر ، فى ٢٦ من ذى الحجة سنة ١٣٠١ ــ ١٦ من أكتوبر سنة ١٨٨٤ ٠

لقد حملت العروة الوثقى الى العالم الاسلامى رسالة اصلاحية كبرى ، تتناول مختلف الجوانب للمجتمع الاسلامى ٠

رسالة العروة الوثقى فى عهدها الجديد

وقد آن لها أن تعود الى الحياة فى ظل جامعة الشعوب الاسلامية والعربية ، فتجمع العالم الاسلامى والعربى على وحدة الفكر ، والمشاعر والأهداف ، ومناهضة الاحتلال الأجنبى فى جميع أشكاله ، وبث روح العزة القومية عن طريق العقيدة الدينية الصحيحة ، وتوثيق الصلات بين الشعوب الاسلامية كلها لتتعاون على دفع أذى الأجنبى عنها ، وتأسيس الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية على أصول الاسلام القويمة ، وطرد العقائد والافكار الدخيلة المفسدة ، التى تريد أن تتسلل الى بلاد المسلمين وتوعية الشعوب جميعها بأن الاسلام فى مبادئه القيمة صديق للعلم ، لا يعارض المدنية ، ولا يمنع السبق فى مضمار الكشف ، وميدان الرقى والحضارة ٠٠

والله ولى التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير ٠٠

حديث الشهر

العروة الوثقى ... بين ميلاد وميلاد

ما أعجب ما تأتى به الأيام ..

منذ مائة عام كانت القوة الحاكمة فى مصر تمنـــع دخـــول مجلة « العروة الوثقى » الى البلاد وتتعقب من تصـــــل اليه وتضبط من تضبط معه .

وكانت هذه المجلة أخطر على الحكومة القائمة حينـــذاك من أى خطر لأنها تنادى بالحرية والشرف والوحدة الاسلامية .

ودارت الأيام مليئة بالكفاح والجهد والجهاد لتتولى الحكومة فى مصر اصدار العروة الوثقى لتتوالى أعداد المجـــلة من جديد بعد أن عطلت مائة عام .

واذا كان هـــذا الحـــدث العجيب يبعث السرور فى النفس فان الأعجب فى الوقت نفسه ان يجد المسلمون انفسهم بعد مائة سنة ان الحاجة الى اصـــــــدار المجلة العتيدة مازالت قائمة وأن دعوتها الى الوحدة الاسلامية مازالت ملحة كأن هذه الوحدة التى كافح من أجلها محررا المجلة الشيخ جمال الدين الأفغانى والأستاذ الامام محمد عبده ظلت معطلة هذا العمر الطويل .

كأن الأمس لم يمض بعد !

وكأن شريط التاريخ والأحداث قد توقف وتجمـــد الزمان ولم تتقدم الأمة الاسلامية خطوة على طريق الوحدة التى قامت من أجلها المجلة مما دفع الغيورين على الامة الاسلامية الى اعادة اصدارها بعد

بقلم ... رئيس التحرير

قرن لتعيد الدعوة الى أهدافها بنفس الصبر والالحاح والمثابرة والأمل .

وكأنى بالشيخين المجاهدين وقد بعثا من مرقدهما الذى طال عليه الأمد فاذا بتلاميذهما المخلصين يجددون الدرب ويبعثون الصوت هذه المرة من القاهرة لا من باريس وبامكانات اكبر دولة فى العالم الاسلامى قوة وتأثيرا ، بأمكانات مصر لا بامكانات شيخين غريبين فقيرين ، لا يملكان سوى الغيرة والرغبة فى الاصلاح والأمل فى الله .

وبين الميلادين عبرة التاريخ ..

الميلاد الأول يوم حطت رحال الشيخ جمال الدين الافغانى فى باريس بعد ان طارده الاستعمار الانجليزى فى بلاد الاسلام المفككة المستعمرة المغلوبة على أمرها من الحكام المستبدين والمستعمرين الظالمين .

وفكر جمال الدين فى ادارة الصراع ضد الظلم والاستبداد والاستعمار فارسل الى تلميذه محمد عبده المنفى فى بيروت ليوافيه فى باريس .

ووافى التلميذ شيخه الذى سأله : ما العمل ؟

قال محمد عبده بمنطق المربى : أرى أن ننشىء مدرسة نعلم فيها بعض أبناء الاسلام من البلاد العديدة حتى اذا رجعوا الى اهلهم بذروا بذور الحرية والوحدة والثورة على الظلم .

رد الامام جمال الدين محنقا : « انما انت مثبط ! » .

كانت روحه الوثابة وحدة مزاجه تستعجل الاصلاح .

فرأى أن تؤلف منهما وممن ينضم اليهما جمعية تسمى العروة الوثقى

تصدر مجلة بنفس الاسم يوجهانها رسالة الى الشعوب لتوقظ الشعور فى العالم الاسلامى ٠

كان القسم الذى يقسم به كل داخل فى جمعية العروة الوثقى بأن « يبذل كل ما فى وسعه لاحياء الوحدة الاسلامية ، وانزالها منزل البنوة والأبوة الصحيحة والا يقدم الا ما قدم الدين والا يؤخر الا ما أخره الدين ولا يسعى قدما واحدة يتوهم فيها ضررا يعود على الدين جزئيا كان أو كليا ، وان يطلب الوسائل لتقوية الاسلام عقلا وقدرة وان يوسع معرفته بالعالم الاسلامى من كل نواحيه بقدر ما يستطيع » ٠

وسرعان ما اصبح للجمعية فروعها (السرية) فى العالم الاسلامى وكانت تعقد اجتماعات دورية لتدارس أحوال المسلمين وفى ختام الاجتماع يتبرع الاعضاء فى صندوق خشبى له ثقب بحيث لا يعرف احد بكم تبرع الآخرون ٠

وفى يوم الخامس عشر من جمادى الأول سنة ١٣٠١ هـ (١٣ / ٣ / ١٨٨٤ م) صدر العدد الأول من مجلة العروة الوثقى وعلى صدر صفحاتها الأولى بيان اهدافها فى خدمة الشرقيين عن طريق بيان الواجبات التى كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف وتوضيح الطريق التى يجب سلوكها لتدارك ما فات مع بيان العلل التى دفعت بهم الى هذا التفريط ٠

* كشف الشبهات التى تشغل أوهام المترفين باليأس من مداواة العلل ، وبيان ان طريق الخلاص ليس طويلا كما يصوره الوهم ٠

* ان دفع الكوارث التى حاقت بالشرقيين انما يلزم له التمسك ببعض الأصول التى كان عليها آباء الشرقيين واسلافهم ولا ضرورة فى ايجاد المنعة الى اجتماع الوسائط التى جمعها وسلكتها بعض الدول الغربية الأخرى ، ولا ملجأ للشرقى فى بدايته ان يقف موقف الأوربى فى نهايته بل ليس له أن يطلب ذلك ٠

* كشف ألوان الخداع والمسالك الدقيقة التى تسـلكها الأمم الغربية للنيل من الشرقيين .

* دفع ما يرمى به الشرقيون عموما والمسلمون خصوصـا من التهم الباطلة التى وجهها اليهم من لا خبرة لهم بحقائق أمورهم وابطال زعم الزاعمين بأن المسـلمين لا يتقدمون الى المدنية مادامو على اصولهم التى فاز بها آباؤهم الأولون .

* تبليغ الشرقيين ما يمسهم من حوادث السـياسة العمومية وما يتداوله السياسيون فى شئونهم مع اختيار الصادق وانتقاء الثابت .

* تقوية الصلات العمومية بين الأمم وتمكين الألفة بين افرادها وتأييد المنافع المشـتركة بينها والسياسات القيمة التى لا تميل الى الحيف والاجحاف بحقوق الشرقيين .

وقد تولى جمال الدين ادارة المجلة بنفسـه فكانت افكارها له واسلوبها فى الغالب لمحررها الأول الشيخ محمد عبده .

وكانت المجلة ترسـل مجانا لمن تعرف اسماءهم ومن كان يريد الحصول عليها فما كان عليها الا ان يكتب لادارتها فترسل اليه .

وقد سعى الاستعمار الانجليزى الى تعطيل صدورها عندما علم بفكرة أصدارها واهدافها فلما لم يتمكن من ذلك منع دخولها الى الهند ومصر وسعى الى الدولة العثمانيـة فمنعت هى الاخرى دخولها الى احد من رعاياها .

ومع ذلك استطاعت المجلة رغم كل هذا الحصـار الدولى أن تعيش سبعة أشهر أصدرت فيها ثمانية عشر عددا ، اذا بالأحرار وذوى الغيرة يسعون للحصـول عليها بكل ما فى طاقتهم من حيلة وكانوا يتناقلونها بينهم ويتدارسون افكارها ويروجونها فكان أثرها فى العالم الاسلامى كله اكبر من حجمها ومن طاقتها بل كان أثرها اكبر من الزمن الذى صدرت فيه .

ونظرة واحدة الى اهدافها تلك تبرر الميـلاد الجديد أو بعبارة أصح اعادة الاصـدار .

❋ فمازالت الأمة الاسلامية فى حاجة الى كشف أوهام المترفين اليائسين الذين رضوا بالحيـاة الدنيـا واطمأنوا اليها وتخاذلوا فى مواجهة القوى العظمى التى راحت تعبث بمقدرات الشعوب الاسلامية وتخدعها بكل ما تستطيع باسم الصداقة والتعاون المشترك .

❋ ومازالت الامة الاسلامية فى حاجة الى اثبات أن الاصـول التى سـلكها اباؤهم الأولون هى الجديرة بأن تؤدى بهم الى العزة والمنعـة .

❋ كما ان هذه الامة مازالت فى حاجة ملحة الى تمكين الألفـة بينها وتقوية الروابط والتفاهم وازالة اسباب الخلاف .

❋ ❋

ولقد أحسن القائمون على اصـدار العروة الوثقى حين جعلوا العدد الجديد يأخذ رقم التاسع عشر بعد أن فصل الزمان بينه وبين سابقه بقرن لتستمر العروة الوثقى ولا تنفصم أملا فى الله أن يؤكـد هذه العروة فى أمة الاسلام فتكفر بالطاغوت وتؤمن بالله وتلتقى على كلمة سواء يعيد لها مجدها الأصيل ويرد لها مكانتها الرائدة فى التاريخ « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسـك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » .

« ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور » (٢) .

---

(١) سورة البقرة ٢٥٦ .
(٢) سورة لقمان ٢٣ .

دراسات قرآنية

التولى يوم الزحف

لفضيلة الدكتور / محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الأزهر

يقول الله عز وجل : « **يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير** » الأنفال آية ١٥ و ١٦ وفى هاتين الآيتين الكريمتين يرسم الله عز وجل الطريق السليم للمؤمنين عند لقائهم للكفار • ويحثهم على الصبر عند جهاد عدوهم والثبات فى ميدان القتال ، وينهاهم عن التولى والفرار اذا جد الجد والتحمت الجيوش حتى تعلو راية الاسلام وتقوى هيبة المسلمين على توالى الأزمنة والعصور •• ومن يتتبع الآيات القرآنية التى تعرضت للقتال يتجلى له أنها تهدف الى غرضين : أولهما الدفاع عن النفس ورد الظلم والعدوان • وثانيهما الدفاع عن الدعوة اذا وقف أحد فى سبيلها بفتنة من آمن أو بصد من أراد الدخول فى الاسلام • أو بمنع الداعى من تبليغ دعوته ، وفى ذلك يقول الله عز وجل فى سورة الحج : « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير • الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز • الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف**

ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » ففى هذه الآيات يظهر السبب الذى من أجله فرض القتال على المسلمين وهو أنهم ظلمـــوا وأخرجوا من ديارهم بغير حق • ثم تنبه الآيات المؤمنين الذين أذن لهم فى القتال الى ما يجب أن يفعلـــوه اذا هم انتصروا على عـــدوهم وهو أن يقيموا الصــــلاة ويؤتوا الزكاة ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ليكونوا خير دعامة لهـــذا الدين الحنيف •

ثم يأمر الله المسلمين بعد أن رد الظلم والعدوان الذى أصابهم من قـــريش بأن يقـــاتلوا كل من يتعرض لهم بسوء أو يبدؤهم بشر فيقـــول فى ســـــورة البقرة : **« وقاتلوا فى ســـبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتـــــدوا ان الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخـــرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشـــد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيـــه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جـــزاء الكافرين »** •• ثم يأمرهم بالقتال لتعزيز حرية العقيدة والبعد بهـــا عن الأغراض والاهواء كى يكتمل لها الجـــــو الملائم فينضـــوى تحت لوائها من يشاء دون خوف من اضطهاد وفتنة وذلك بقوله فى السورة نفســـها : **« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنـــة ويكـــون الدين لله فان انتهـــوا فلا عدوان الا على الظالمين »** •

من أجـــل ذلك كان الثبات فى ميدان القتال أمام الأعـــداء من أقرب القـــربات الى الله • وكان الفرار والتـــولى يوم الزحف من الكبـــــائر الموبقـــة وقد ثبت فى الصحاح عن الرســـول صلى الله عليه وسلم أنه قال : **« اجتنبـــوا الســـبع الموبقات »** وذكر منهـــا التولى يوم الزحف • وانما شـــدد الله العقاب على هـــؤلاء الـــذين يفرون عند لقاء العـــدو لأنهم وباء خبيث ينشر الضعف والخـــــور ويقضى على العزة والكرامة • وقد أدركت القوانين الوضـــــعية هذا المعنى فجعلت الاعـــــدام عقوبة الفرار من ميدان القتال ••

على أن الله فى تكليفـــه لعباده ـــ وهو انما يريد الخـــير لهم ـــ

لا يطالبهم الا بما يستطيعون • ولذا كان التولى يوم الزحف من الكبائر الا اذا كان عدد الأعداء أكثر من الضعف فان التولى — حينئذ — لا شيء فيه مادامت الضرورة تدعو اليه ، ويكون ذلك داخلا فى قوله تعالى : **« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »** وقد وقع ذلك فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى غزوة مؤتة حيث تولى خالد بن الوليد قيادة جيش المسلمين بعد استشهاد ثلاثة من القواد الأبطال هم زيد بن حارثة • وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة •

وذلك أن خالدا دبر خطة للفرار وأحكم تدبيرها • فنظم الجيش من جديد بأن جعل مؤخرة الجيش مقدمة ، ومقدمته مؤخرة وجعل الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة • فلما أصبح الصباح ظن العدو أن مددا قد جاء للمسلمين فلم يهاجموهم وفرحوا حين سكت المسلمون عن قتالهم وتمنوا أن يعودوا دون اشتباك ، أما خالد فقد آثر المحافظة على المسلمين بالانسحاب • وكان هذا الانسحاب بهذه الطريقة مهارة بارعة حيث استطاع أن ينقذ جيش المسلمين من خطر محقق • واعتبر هذا الانسحاب نجاحا وانتصارا ولم يعتبر فرارا • اذ كان عدد المسلمين لا يزيد على ثلاثة آلاف ويقابلهم من الأعداء ما يقرب من مائة ألف ، ولذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على خالد وأعجب بمهارته الحربية وحينما وجد بعض المسلمين يقول لخالد ومن معه : يا فرار فررتم من الميدان وتركتم الجهاد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : لا • ليسوا فرارا وانما هم كرار •• وقد أشار الله عز وجل الى ذلك بقوله : **« الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين »** •

أما اذا كان عدد العدو لا يزيد على الضعف فان الفرار حينئذ يكون جريمة كبرى يبوء صاحبها بالاثم والغضب وسوء المنقلب •

وهذا هو ما يشير اليه قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ٠٠ »** الخ والزحف مصدر زحف القوم زحفا اذا مشوا قليلا قليلا ، وزحف الصبى على الأرض قبل أن يمشى ٠ والزحف الجيش الكثير العدد الذى يرى لكثرته كأنه يزحف ويدب ٠ وهو هنا فى هذه الآية مؤول بالمشتق لأنه حال من « الذين كفروا » والمعنى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا حال كونهم زاحفين عليكم ، ويصح أن يكون «زحفا» مفعول مطلق أن يزحفون زحفا ٠ **« فلا تولوهم الأدبار »** أى فلا تفروا وتولوهم ظهوركم ، والأدبار جمع دبر وهو ما يقابل القبل ويطلق على ما يقابل البطن وهو الظهر وهذا المعنى هو المرادوهوكنايةعن التقهقروالانهزام لان المنهزم عادة يولى ظهره للعدو أى يجعل ظهره موجها له ، وانما ذكرت كلمة الأدبار بدل الظهور فلم يقل فلا تولوهم الظهور ومن يولهم يومئذ ظهره ليكون فى ذلك تعريض بهذا العمل القبيح وهو الفرار وذلك بذكر حالة تستهجن من فاعلها وهى حالة الفرار المهينة وهذه الحالة يناسبها لفظ الدبر أكثر مما يناسبها لفظ الظهر ٠٠

ولما كان الفرار فى ميدان القتال يلحق بصاحبه العار والصغار ويعرضه يوم القيامة للنكال والوبال بين الله تلك العاقبة الوخيمة والنهاية الأليمة بقوله : **« ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله »** ، ويلاحظ فى هذه الجملة أنها تحتوى على فعل الشرط وجوابه فأما فعل الشرط فهو قوله **« يولهم »** وأما جوابه فهو قوله : **« فقد باء بغضب من الله »** ٠ وقد فصل بين الشرط وجوابه بقوله : **« الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة »** ليشير الى حالتين لا ينطبق عليهما حكم الفرار ، وقد قدمهما على جواب الشرط ليسارع الى تطمين من يتصف باحدى هاتين الحالتين وهما التحرف للقتال أو التحيز الى فئة أخرى من المسلمين ، فأما التحرف للقتال فهو

الكر بعد الفر حيث يخيل الى عدوه أنه منهزم ثم يكر عليه بعد ذلك . وهو من باب خدع الحرب ومكايدها . وأما التحيز فهو الانضمام الى فئة أى جماعة أخرى من المسلمين يستنجد بها سوى الفئة التى هو فيها ليقاتل العدو من جديد . اذ لا ريب أن هذه الحالة مع سابقتها تدلان على قوة الروح المعنوية والاخلاص فى الجهاد وهما لا يعدوان أن يكونا تلونا فى أساليب الحرب أو اختيارا لطريق أقوى أثرا وأكثر فائدة ، ومعنى **« باء بغضب من الله »** أى رجع ومعه غضب من الله يصاحبه بدل الغنيمة التى كانت تنتظره لولم يفر من الجهاد . كما أنه رجع ومعه الأسباب الموجبة للعذاب يوم القيامة بدل الثواب الذى أعده الله لمن يقاتلون فى سبيله ، ووصف الغضب من الله ليدل على مدى الهول الذى يترتب على ذلك فهو القوى القهار وأخذه للظالمين أليم شديد . ولذا أتبع ذلك ببيان النتيجة التى تترتب على غضب الله على كل من يفر من الجهاد فقال : « ومأواه » أى المكان الذى يأوى اليه ويستقر فيه **« جهنم وبئس المهاد »** أى وبئس المرجع والمصير .

وبعد فهذا منهج الاسلام فى القتال ، اخلاص يدفع بصاحبه الى الجهاد والتضحية ، ورحمة تمنع الانسان أن يلقى بنفسه الى التهلكة ، وحكمة تنأى عن التهور وتضع كل شىء فى موضعه المناسب يكون الكر على العدو حمقا وطيشا وغرورا . وأحيانا يكون هو المنهج القويم والطريق السليم .

والايمان الحقيقى هو الموجه الى التوفيق والمرشد الى أقوم طريق .

د / محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الأزهر

واجب التأمل فى الظواهر الكونية

من القرآن الكريم

للدكتور / عبد الغنى الراجحى

يلقى القرآن الكريم على الانسان واجب التأمل اذ يتردد ذكر الانسان كثيرا فى معرض الآيات الكونية من أرض وسماء وشمس وقمر وليل ونهار ونبات وجماد وحيوان . كواحد منها بل وسيد وأمير لها كأنه حجر الزاوية فيها وانسان عين الموجودات جميعها على اعتبار أنها خلقت من أجله . وكما يحرضه القرآن ويحثه على التأمل فى هذه الكائنات بجميع أنواعها علويها وسفليها يحرضه كذلك ويحثه على التأمل فى نفسه والتدبر فى كيانه وشئونه وأحوال كأنه لوحة حية من لوحات هذا الكون الواسع الجنبات المترامى الاطراف . والحكماء يقولون ان الانسان هو الكون الصغير وجميع الكائنات الاخرى هى الكون الكبير والله تعالى يقول : « **وفى الارض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون** » [1] (سورة الذاريات ٢١) ويقول : « **فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولا ناصر** » (سورة الطارق) .

---

(١) يخطىء كثير من الكتاب حتى خواصهم فى ايراد هذه الآية بطريقة «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» حيث يعطفون المعطوف عن المعطوف عليه متوهمين أنها جملة مستقلة والواقع أنها معطوفة على ماقبلها .. والمعنى وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم آيات للموقنين ثم يقع الاستئناف بقوله (أفلا تبصرون) (أبصروا وفكروا) .

فمن خلال الكائنات والموجودات يرى الانسان ربه ويعرف عظمته وجلاله ومن خلال التأمل فى نفسه يدرك عظمة خالقه • وبمقدار معرفتنا بأنفسنا وبالكائنات المحيطة بنا تكون معرفتنا بالله • وقد نقلوا عن الفيلسوف بيكون قوله : « اننا نعرف الله بضوء منكسر » يعنى أن أشعة منبعثة من الله من خلال الكائنات من انسان وغيره العالم الصغير والعالم الكبير • بواسطة هذه الاشعة الواصلة الينا من خلال هذه الكائنات ومن خلال ذواتنا نعرف الله منبعها ومبدأها ومصدرها • فالله نور السموات والارض ولقد قارن القرآن بين العوالم المستوردة والانسان وقرن فى الذكر والخلق بين السموات والارض وبين الناس فقال فى مقام التمدح بالقدرة على الخلق والايجاد « **لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » • (سورة غافر ٥٧) وقال فى سورة النازعات ٢٧ ـ ٣٣ : « **أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم** » وقال فى شأن منكرى البعث فى سورة يس الآية ٨١ : « **أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم** » • وقرن بين الانسان وكثير من المخلوقات فى مجال التأمل والنظر والحث على ذلك فقال فى سورة السجدة الآية ٧ : « **الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون** » وقال فى سورة فاطر الآية ٢٧ ، « **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء • ان الله عزيز غفور** » الماء من السماء ، وعالم النبات والثمرات المختلفة

الالوان وعالم الجبال المختلفة الالوان ، والخلائق من الناس ، والدواب من الخيل والبغال والحمير والانعام من الابل والبقر والغنم ، واختلاف الالوان فى هذه العوالم من الحيوانات والناس ، كاختلاف الالوان فيما سبقها من عوالم الثمرات والجبال كل ذلك فى لوحة واحدة • من الظواهر الكونية فى معرض القرآن الكريم ويعاود القرآن الكريم عرض لوحات أخرى قريبة من ذلك للاتيان بالانسان فى معرض غيره من الكائنات فيقول تعالى فى سورة الحج (الآية ١٨) **« ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس »** •

وفى سورة الجاثية (الآية ٣ ، ٤ ، ٥) : **« ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون »** • وفى سورة النحل **« خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ، خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين »** •

وفى سورة الشمس الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ **« والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها، والليل اذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والارض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها • قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها »** • وفى سورة **فصلت** (الآية ٥٣) : **« سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم حتى** يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف **بربك أنه على كل شىء شهيد »** •

لقد ربط القرآن فى اعجاز فائق برباطات وثيقة بين الانسان وسائر الكائنات التى هو واحد منها ، وسيد لها ، يحيا بها ويعيش فيها ويمشيها ويلامسها ويراها رأى عين مندمجا فيها متفاعلا معها ، وذلك أوفق شىء بتربية الله له ومن أظهر مظاهر لطفه تعالى بالانسان وتيسيره عليه ، وتقريبه من متطلبات حياته • حيث لم يكلفه

شططا ولم يبعد به عن المحيط الذى هو فيه والكون الذى هو منه ويحتويه فمن تحت قدميه وفوق رأسه وحواليه ومتناول يديه ، مابه يحيا ويسعد ، ويرى فى مرآته الخالق الاوحد ، فالكون بما فيه محراب كبير . تأملات الانسان فيه وتطلعاته وتفاعلاته معه : عبادة وصلوات ، وقربات الى الله ، وتحقيق للغاية التى أبرز الله من أجلها الكائنات من العدم الى الوجود ايجعل سيدها الانسان خليفة عنه فيها أثر يدل على المؤثر ، وصنعة تدل على الصانع . ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا .

ان آيات ربنا ثاقبات
لا يمارى فيهن الا الكفور
خلق الليل والنهار فكل
مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم
(١)
بمهاة شعاعها منشور

وفى ضرورة التأمل فيما حوالينا من الكائنات والحث عليه والتثريب على من أعرض عنه ورفع درجة من يمارسه يقول القرآن : **« وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون »** سورة يوسف ١٠٥ ويقول أيضا **« ان فى خلق السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذى يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »** سورة آل عمران (الآية ١٩٠) : يقول : **« انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون »** سورة يونس الآية ١٠١، والآيات القرآنية المنطوية على أمثال هذه المعانى والناطقة بها كثيرة الذكر والورود فى كتاب الله تحث على التفكر والتدبر وفى هذا المقام يروون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رفع درجة التفكر والتدبر على كثير من العبادات فقال : **« تفكر**

---

(١) المهاة : هى الشمس .

ساعة خير من عبادة ستين سنة ».

ان التأمل والتفكير والنظـــر والتقدير كرامة كرم الله بهـــا الانسان ، وضريبة فرضها الله على ما خصه به من العقــل والتمييز . وهى مفرزة انسانية ومقتضى نظرته ونوعيته وطبيعته وهى الامانة التى عرضت على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان . فاذا ما كان الانسان فى حياته متفاعلا بحسه وروحه مع هذه الموجودات بما فيها هو نفسه . فقد عرف قيمة نفسه. واذا كان قصارى أمره أن يعيش مع هذه الكائنات كواحد منهـــا فقد حق عليه قول الله سبحانه فى سورة الاعراف (الآيـة ١٧٩) : **« ولقد ذر أنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون»**

ان القرآن يعرض اللوحة مــن الكائنات والمخلوقات يذيلها فى نهاية حديثة عنها بالامر الصريح بالنظـر والتدبر منوها بما فيها من الدلائل التى بواسطتها يحصل الايمان فى قلوب المتوجهين اليه فالســماء وما ينزل منها من ماء والنبات ولونه الاخضر والحب المتراكب بعضـه فوق بعض والنخل وطلعها وعراجينها المتدلية والحــدائق من الاعنــاب والزيتون والرمان متشابها وغــير متشابه يختم ذلك كله بقول الآية الكريمة فى ختامها : **« انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعــه ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنـــون »** وفى ذلك فائدة النظر اليه أحق بالذكـــر والتنويه من فائدة الاكل منه فان بالاول غذاء الـــروح والنفس وبالثـــانى غـــذاء البطن واللحم والشحم والشاعر يقول :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجســم انسان

« وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنــــا به نبــــات كل شىء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخــل من طلعهـــا قنوان دانيـــة وجنــات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغــير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقـــوم يؤمنون » (الانعام آية ٩٩) .

دكتور عبد الغنى الراجحى

النحو .. دراسة قرآنية

للدكتور / السيد رزق الطويل

من الحقائق التى يسجلها تاريخ الحضارة الاسلامية أن العلوم التى نشأت منذ مشرق الاسلام لسانية كانت أو دينية كان القـرآن الكريم محورها ومدارها ، اذ كانت الأولى بدافع من الغـيرة عليه ، وصيانته ، وتيسير فهمه وادراك جوانب البيان فيه ، حتى تستمر آيته قائمة ما بقيت الدنيا ، كما كانت الثانية مستنبطة منه ، شارحة له ، حتى تكون الأحكام التشريعية فيه دانية القطوف عند التطبيق •

ومما تميز به القرآن الكريم لسانه العربى ، لأن هذا اللسـان قد أتيح له من خصائص التعبير والفصاحة والبيان التى أستمدها من بيئته الأولى وبداوته الخالصة ما لم يتح ذلك للسان آخر من ألسـنة البشر الذين يسكنون أرجاء المعمورة • يقول تعالى : (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يوسف / ٢ وقال تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) الشعراء من ١٩٣ — ١٩٥ وقال تعالى : (فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنـذر به قوما لدا) مريم / ٩٧ • فاذا كانت هذه الآيا تتؤكد ميزه اللسـان العربى التى أهلته لأن يكون وعاء كريما ووافيا للقـرآن الكـريم فان القرآن قد منح هذا اللسان مزيدا من القوة والخصوبة والحيوية كما ضمن له البقاء والخلود وحرص القرآن على التعبير باللسان أقوى من التعبير باللغة ، وأدل على المراد منها •

ولأجل هذا عندما انتشرت الفتوح الاسلامية ، واختلطت ألسنة العجم بلسان العرب وبدأ اللحن يظهر فى محيط الفصحاء فزع الغيم على القرآن من أن يصل أمر اللحن بالعرب المسلمين الى حال يصعب عليهم معه فهم الكتاب العزيز الذى يسره الله لهم بلسانهم المبين لاسيما وأنه قد وصل الى مسامعهم قول النبى صلى الله عليه وسلم لرجل لحن أمامه :أرشدوا أخاكم فقد ضل ٠٠ (١)

وتقدمت الفتــوح ، وتــكاثر اللحن ، وأهل العلم والســلطان جميعا يتابعون ما يحدث بقلق بالغ حتى انهم أرخوا لكل شىء يتصل باللحن ، وفكروا بكل ما أوتوا من جهد عقــلى وعلمى فى التمــاس الوسائل التى تعصم اللســان من الخطأ فى القرآن ٠

ومن مظــاهر اهتمامهم أنهــم قالوا : أول لحن ظهر بالبادية هذه عصاتى ٠٠ وصوابها عصاى ، وأول لحن ظهر بالحاضرة كان بالعــراق وهو قول مؤذنهم حى على الصلاه بالكسر ، والصــواب الفتح ، بل وصل بهم الأمر الى أنهم حصروا من لم يلحنوا ٠ قــال الأصمعى : أربعة لم يلحنوا فى جد ولا هزل : الشــعبى وعبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف وابن القرية ، والحجاج أفصحهم ٠

ثم كان وضع القــواعد الأولى للنحو فى عهد عمر بن الخطــاب ، أو فى عهد على بن أبى طالب عــلى يد أبى الأسود الدؤلى واليه على الكوفة ، كما ذكرت ذلك الروايات المختلفة التى رواها الأنبــارى فى كتابه نزهة الألبا ٠

وكان هناك عامل آخر فى ظهور الدراسة النحوية ونضجها واكتمالها يتمثل فى هذه الكثرة من المسلمين غير العرب ، ولابد لهم من فهم القرآن والوعى به ، ولا ســبيل لهم الى ذلك الا باتقان لسانه فأسهموا فى عملية التعقيد النحوى خدمة للسان

---

(١) هذا الحديث الشريف نسب للشعبى فى معجم الأدباء جـ ١ ص ٨٢ وجاء فى الخصائص جـ ١ ص ٤٠٨ باب ترك الأخذ من أهل المدر ٠

القرآن الذى أصبح لسانا للمسلمين فى كل مكان .

وظاهرة اشتغال الموالى بالنحو كانت لافتة للنظر . قال المبرد : مر الشعبى بقوم من الموالى يتذاكرون النحو فقال لئن اصلحتموه افكم أول من أفسده) (١) .

وسر هذا حاجتهم اليه من أجل المعرفة بالكتاب الحكيم الذى آمنوا به وبالرسول الذى أنزل عليه بل ان مشاهير النحويين الذين خدموا هذه الدراسة كانوا من الموالى ، فعبد الله بن أبى اسحاق الحضرمى كان مولى لآل الحضرمى ، وعيسى ابن عمر الثقفى كان مولى خالد بن الوليد والأخفش الأكبر كان مولى قيس بن ثعلبة ، ويونس بن حبيب الضبي كان لبنى ضبه وسيبويه امام النحو وصاحب الكتاب فارس الأصل ، والأخفش الأوسط وهو أشهر الثلاثة ، وهو المراد عند الاطلاق وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة كان مولى بنى مجاشع بن دارم بطن من تميم ، والجرمى صالح بن اسحاق كان مولى لبنى جرم من قبائل اليمن ، والمازنى أبو عثمان كان مولى بنى شدوس والرياش كان مولى محمد بن سليمان الهاشمى ، وكان الرؤاس مولى لمحمد بن كعب القرظى ، وكان الكسائى مولى لبنى أسد ، وكان ثعلب مولى لبنى شيبان (٢).

ومن الطريف أن اشتغال هؤلاء الموالى بهذه الدراسة كان سلاحا ذا حدين ؟ اذ نهض بها من ناحية ، وكساها ثيابا من العجمة من ناحية آخرى . مثال ذلك : ثعلب الكوفى برغم تعمقه فى الدراسة النحوية ، وشططه فى فلسفتها كان يقول لتلاميذه : أتعدوا بفتح الهمزة بمعنى أنه لم يكن يلتزم الفصيحة فى لسانه بل انه كان اذا كتب كتابا لبعض اخوانه من أصحاب السلطان لا يخرج فيه عن طبع العامه (٣) .

---

١ ــ رغبة الآمل من كتاب الكامل جـ ٤ ص ١٩٣ .
٢ ــ راجع نزهة الألبا ، ووفيات الأعيان فى ترجمة هؤلاء الأعلام .
٣ ــ العربية : يوهان فك ص ١٤٠ ، ١٤١ .

لكن هــذا كله لا يمنعنا من ذكر قضيه نؤكدها هى أن الباعث لهؤلاء هو صيانة القرآن ، وتقويم اللسان الاعجمى ليتسنى له فهمه ، وترشيد اللسان العربى الذى ضلله اللحن. وبهذا كان النحو دراسة قرآنية .

وشىء آخر يعزز هذه القضــية وهى أن النحو نشأ فى ظلال القرآن ومن أجله .

يقول ابن هشام عن ســيبويه امام النحاة وقد بدأ حياته دارسا للحديث النبوى : جاء سيبويه الى حماد بن سلمة لكتابة الحــديث ، فاستملى منه قوله صلى الله عليــه وسلم : ليس من أصحابى أحد الا ولو شئت لأخــذت عليه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه : ليس أبو الدرداء فصــاح به حمــاد لحنت يا سيبويه انما هذا اســتثناء فقال ســيبويه : واللــه لأطلبن علمــا لا يلحننى معه أحــد ، ثم مضى ، ولزم الخليل وغــيره (١) فأجــاد النحو وصــار اماما فيــه ، وذلك لأنه مع اللحن تسقط منزلة الانسان مهما أجــاد ما أجــاد من علــوم ومعارف .

واذا نظــر بعض الأوائل الى الدراسة النحــوية على أنها بعيدة عن الدين ، وليس لها فضل العلوم الاسلامية كالتفســـير والحديث والفقه فذلك فى تقديرى فهم غــير سديد ، لأن النحو من علوم الآلات والوسائل التى لا تصلح غاياتهــا الا بها فمن يعرفها تخضع لها كل معرفة ، ومن لا علم له بها يصعب عليه كل دراسة .

قال أبو بكر بن مجاهد كنت عند أبى العباس ثعلب فقال : يا أبا بكر ، اشتغل أهل القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا ، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا واشتغلت أنا بزيد وعمرو ، فليت شعرى ماذا يكون حــالى فى الآخرة ؟! فانصرفت من عنده تلك الليلة فرأيت النبى عليه الصــلاة والسلام فى المنام ، فقــال أقرىء أبا العباس عنى السلام ، وقل له : أنت صاحب العلم المستطيل (٢) .

---

١ ـــ مغنى اللبيب ـــ ص .

٢ ـــ نزهة الألبا ص ٢٣١ ترجمة ثعلب .

وسواء أكانت هذه الرواية صحيحة أم من وضع نحوى يريد أن يؤكد فضل دراسته فانها تشير الى قضية لاخلاف عليها هى ان

أعلام النحاة كان لا يزايل نفوسهم المهدف الأسمى وهو المحافظة على القرآن الكريم ، ولو أن الباحثين فى علوم القرآن الكريم اتبعوا منهجا سديدا ووافيا فى دراستهم ما قصروا علوم القرآن على أسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، ورسم المصحف ونحو هذا ولعدوا علوم النحو والبلاغة فى مقدمة علوم القرآن •

ان القرآن الكريم كان جماع العلوم وجامعتها • وهو المنهل العذب الذى استمد منه العرب كل معرفة صحيحة فى ظلال حضارة الاسلام الوارفه •

كبار النحاة والدراسة الاسلامية •

ان نظرة متأنية لمشاهير النحاة تجدهم فى ظلال دراساتهم فى النحو كانوا مبرزين فى التفسير والحديث والفقه والعقيدة والقراءات •

فالزمخشرى وهو من أساطين النحاة كان مفسرا ذائع الصيت ، مجادلا عملاقا فى فكر المعتزلة فى العقيدة •

وأبو حيان من نحاة الأندلس كان مفسرا عظيما وتفسيره البحر المحيط يشهد له بتلك •

والسهيلى من نحاة الأندلس كان عالما بالفرائض ، ومن شراح السيرة النبوية •

ومن قبل هؤلاء جميعا نرى الكسائى امام المدرسة الكوفية من أئمة القراء •

بل ان نحاة المدرسة الكوفية اتخذوا لهم منهجا فى النحو خالفوا به مدرسة البصرة يقوم على أساس التعقيد لكل سماع صحيح عن العرب ، وذلك من أجل توجيه القراءات •

والأنبارى صاحب الأنصاف كان أديبا ، ومفسرا وفقيها •

وكل علم من أعلام الثقافة الاسلامية شهد له تاريخ الحضارة كان له ضلع قوى فى النحو ونظرات ثاقبة فيه •

ومما اتفق عليه العلماء أن من شرط المفسر للقرآن أن يكون مجيدا للنحو ، والمجتهد فى الفقه لمن يتأتى له ذلك : لا بالتعمق فى النحو ، والدراسة الأصولية دراسة نحوية.

وكتب التراث التى وصلت الى أيدينا عندما نلقى النظر عليها نجد الفكر النحوى يغالبها وقد يغلبها .

فأى كتاب من كتب التفسير خلا من قضايا النحو والاعراب ؟

وهناك عشرات من الكتب ألفت فى اعراب القرآن .

والفراء النحوى الكوفى المبرز ألف كتابه المشهور معانى القرآن .

كما ألف الزجاج معانى القرآن واعرابه ، وكلاهما من الكتب التى طبعت وحققت ، وتتداولها الأيدى فى عصرنا الحاضر القرآن مصدر الدراسة النحوية .

لقد كان القرآن الكريم هو المصدر الأول والأوثق للدراسة النحوية،فمنه أخذ النحاةشواهدهم التى أقاموا عليها قواعدهم .

ففى كتاب سيبويه من الشواهد القرآنية أكثر من ثلاثمائة آية .

يقول المازنى وقد عرض عليه أحد الذميين مبلغا كبيرا من المال ليعلمه كتاب سيبويه فاعتذر ، وقال فى سبب اعتذاره : ان هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائه وكذا آية من كتاب الله عز وجل ، ولست أرى ان أمكن منها ذميا .

وسار النحاة على هذا الدرب وهو التماس الشواهد من القرآن الكريم ولو أنهم عمقوا هذا الاتجاه لكانت دراستهم أكثر خصوبة ويسرا وأرقى فهما .

وممن أكثروا من شواهد القرآن فكانوا مبرزين فى النحو ابن هشام الأنصارى سئل هلا فسرت القرآن أو أعربته قال أغنانى المغنى اذ أن الشواهد القرآنية فيه بلغت نحو أربعة آلاف آية بما يقرب من ثلثى القرآن تقريبا ويقول : انى وضعت الكتاب ويقصد كتابه مغنى اللبيب — لافادة متعاطى التفسير والعربية جميعا (١) .

ومما يؤخذ على بعض النحاة

---

١ — مغنى اللبيب آخر الباب الخامس .

بهذا الصدد وبخاصة نحاة البصرة أو بعضهم أنهم كانوا يتوقفون أمام بعض قراءات القرآن السبعية بينما يقولون على بيت من الشعر قد يكون مجهول القائل .

فتوقفوا أمام قراءة حمزة لقوله تعالى : **(واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام)** (١) . بكسر الميم وذلك لأن فى رأى البصريين لايصح العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار .

وتوقفوا أمام قراءة ابن عامر لقوله تعالى : **(قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون)** (٢) . ببناء يجزى للمجهول وذلك لأن من قواعدهم أن غير المفعول لا ينوب عن الفاعل مع وجود المفعول به . ويركبون متن التأويل فى هذه الآية ويعدون نائب الفاعل ضميرا مستترا عائدا على الغفران المفهوم من الآية .

وأما الكوفيون ــ وكانوا قراء قرآن ونشطت فى بيئهم القراءات ــ يقبلون القراءتين بل ويقيمون لأجلهما قاعدتين مخالفين بذلك مدرسة البصرة ، فيجيزون العطف على المجرور من غير اعادة الجار كما يجيزون أن ينوب غير المفعول عن الفاعل مع وجود المفعول به .

ماذا لو اكتفينا بالقرآن الكريم وقراءاته ؟

وفى ختام هذه الدراسة التى أكدت فيها أن النحو ربيب الدراسة القرآنية نشأ فى مهدها ، وكان صباه فى رحابها ، وشبابه غير بعيد عنها أريد أن أطرح هذه القضية : ماذا لو اكتفينا فى الاستشهاد بالقرآن الكريم ، وأقررنا من القواعد ما سار عليه الكتاب العزيز بقراءاته المتواترة ، وعضضنا الطرف عن القواعد التى عف القرآن الكريم عن استخدامها ؟ الا يكون فى ذلك دنو من الفصيحة، ونأى عن العجمة ، واعفاء للدراسة

---

١ ــ سورة النساء / ١ .
٢ ــ سورة الجاثية / ١٣ .

النحوية من أثقال الفلسفة والمنطق، ومتاهات العلل الثوانى والثوالث والضرب فى بيداء فلسفة العامل ؟

ان القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين ، معنى هذا أن القواعد التى لها صدى وشاهد فى القرآن تمثل الأسس الصادقة والخصائص الصحيحة للسان الأمة العربية •

لقد اتجه الباحثون أخيرا الى ربط الدراسة النحوية بالقرآن وهو اتجاه حميد ، لكنه فى التطبيق المنهجى غير سديد • فقد كتبوا فى أسلوب النفى فى القرآن ، وأسلوب القسم فى القرآن ، والتوكيد فى القرآن الخ •• وكان عملهم مجرد احصاء يغنى عنه تماما الحاسب الآلى ، وبالاضافة الى ترديد القواعد التى ذكرها النحاة • وكان المنتظر لو كان المنهج سديدا ، ومحققا للغاية الكبيرة التى نرجوها من ربط الدراسة النحوية بالقرآن أن يتبع الباحث احصاءاته بتصورات كاملة للقواعد النحوية التى أقامها على القرآن الكريم وحده • لكنهم لم يفعلوا •

ولا يزال الأمل قائما فى عودة الدراسة النحوية الى القرآن الكريم لتثرى وليسلس قيادها ، وتدنو للشادين تطوفها كما تتجنب السهام التى تنوشها وترمى نحو العربية بالصعوبة والجمود •

على أننى أؤكد أن دراسة قامت لخدمة الكتاب العزيز لن تدوى ولن تموت •

دكتور / السيد رزق الطويل

القيمة الحقيقية لكتاب
مقدمة فى فقه اللغة العربية

ألف الدكتور « لويس عوض » كتابا أسماه « مقدمة فى فقه اللغة العربية » أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، ويقــع فى ٦٥٢ صفحة من القطع الكبير .

وكنا نعتقـــد أن الدكتور لويس سيلتزم فى هذا الكتاب المتخصص منهج البحث العلمى المحايد الذى يعنى بالوصول الى الحقيقة ويؤمن بهـــا ، الا أنـــه التـــزم منهـــج المستشرقين الذى يلبس فى الظاهر صورة العلم ولكن جوهره بعيد عن البحث عن الحق .

فهـــو يؤمن بفكـــرة مســـبقة ويتلمس لهـــا بعـــد ذلك من كتب التراث وأقوال السلف ومذاهبهم مقتطفات ونتفا منقوصة ليضـــم بعضها الى بعض ويلوى الجميـــع ليتخذ منها فى النهـــاية ما يظنـــه دليلا على دعواه وفكرته المسبقة.

وفى هذا الكتاب يقدم عقيـــدة قـــدم الكلام الالهى ويتخـــذ من مشكلة خلق القرآن معبرا لتشويه العقيدة الاســــــلامية والطعن فى اللغة العربية ، ولو أنه سمى هـــذا « الكتاب » مقدمة فى هدم الاسلام واللغة العربية لكان صادقا .

ولقـــد أثار هذا الكتاب العلماء والباحثين ودفعهم الى التقـــويم

الصحيح لما جاء فيه ووضـــعه فى مكانه المناسب وكشـــف المغالطات والاخطاء التى احتـــواها هـــذا الكتاب ٠

وفى هذه الصفحات نختار مما وصـــلنا مقالين : ، المقـــال الاول للاستاذ أنور الجنـــدى البـــاحث الاسلامى المعروف ٠

المقال الثانى : للاستاذ الدكتور عبد الغفار هلال رئيس قسم فقه اللغة بجامعة الأزهر ٠

والكاتبـــان كمـــا يبـــدو مـــن المتخصصين فى هذه الدراسة الذين تعمقـــوا فى فهم النصـــوص التى أوردهـــا المعتزلة وأهـــل الســـنة وغيرهم ممن استشهد بهم الدكتور لويس وهم بهذا يكشفون الى أى حد أخطأ الدكتور لويس فى فهـــم النصوص أو توجيهها والاستدلال بهـــا ٠

وبذلك لا تبقى لهـــذا الكتـــاب « مقدمة فى فقه اللغة العربية » أى قيمة علمية ٠

المؤامرة على الفصحى لغة القرآن

للأستاذ / أنور الجندى

ماتزال المؤامرة على الفصحى لغة القرآن مستمرة منذ قدم النفوذ الاجنبى الى العالم الاسلامى وحاول السيطرة عليه ومنذ ذلك الوقت ماتزال المعاول تضرب فى جدار اللغة العربية بهدف ادخال اللغة العربية الى المتاحف كما دخلت اللغات اليونانية والسريانية والفرعونية وعشرات من اللغات ، ولكن هيهات فان اللغة العربية الفصحى خالدة باقية لانها تحمل على جناحيها آيات القرآن الكريم التى لا تزول .

هذه المؤامرة تلبس فى بعض حلقاتها ومراحلها ثوب البحث العلمى وتحاول ان تعتمد على بعض النصوص (١) التى وردت فى كتابات الباحثين المسلمين فى فترة من الفترات التى غلبت فيها الفلسفة اليونانية وتأثر بها بعض العلماء أو بعض الشعراء على النحو الذى نراه فى كتابات المعتزلة عن قصة خلق القرآن على النحو الذى كتبه القاضى عبد الجبار أو من تأثر بالمفاهيم اليونانية الفلسفية من الشعراء امثال أبى العلاء المعرى ، ثم يجىء اليوم بعض الباحثين

---

(١) حتى هذه النصوص لم يستطع الدكتور لويس ان يفهمها كما اراد اصحابها او فهمها ووجهها توجها يتناسب مع مقصوده فى الطعن على القصيدة واللغة . « انظر المقال التالى للدكتور عبد الغفار هلال » .
(التحرير)

ليستخدم هذه النصوص فى الغض من شـأن اللغة العربية أو الادعاء عليها بدعاوى مختلقة يراد بهـا انقاصها وانقاص شرفها فى حمـل ايات القرآن الى العالمين •

ونحن نعرف أن قضية الفلسفة اليونانيـة وترجمتهـا الى اللغـة العربية وتأثيراتها ليست قضـية مسـتقلة ، وانما هى موجة من موجات هذا الفكر قد واجههـا العلماء المسلمون بالرد الواضـح الذى زيف هذه الاثار التى لبستها بعض أقلام الفلاسفة أو الكتاب أو الشعراء •

وقـد كان واضـحا وضـوحا لا شـك فيه أن علوم فقه اللغـة والنحـو والتاريخ قـد نشـأت وترعرعت وتكامـل مفهومهـا الاسـلامى قبـل ترجمـة الآثار اليونانية وهى علوم عربية أصيلة، لم تتأثر بالفكر اليـونانى وانمـا الـذى تأثر هـو علم الكـلام والبلاغـة وهى تأثرات لم تستمر كثيرا فان المحـاولات التى حاول بعض الباحثين التأثير بهـا عـلى المضامين العربية قد لفظتها اللغة والآداب العربية كما يلفظ الجسم القوى الجسـم الغريب ، ولذلك فانـه سرعان ما ارتفعت صـيحة الاصـالة التى حـررت الفكـر الاسلامى كله من هـذه التأثيرات وبرز مفهوم السنة الجامعة الذى استصفى وصـهر فى أعمـاقه كل ايجابيات فرق المعتزلة والشـيعة والخـوارج ، ولـم تبـق هـذه الكتابات الا بمثابة وثائق تاريخية ولكن التغريب والاستشراق يحاول أن يعيد هذه القضـايا الجزئيـة خارجـة عن اطارها فى المعـركة العامة بين الفلسـفات اليونانية وبين أصالة الاسـلام التى ردت كل ما يتعـارض مـع التوحيـد الخالص ، وقضية خلق القرآن ، هى احدى القضـايا التى جـرت حولها أبحاث كثيرة وانتهى الرأى فيها الى مفهوم أهل السـنة وهى أن القرآن كلام الله غير مخلوق•

وان كتابات أمثـال القـاضى عبد الجبار فى هـذا المعنى ليست

الا جزءا من هذه القضـــية التى انتهت والتى كانت تمثـــل تـــلك المحـــاولات التى حاولها قـــدامة ابن جعفر فى البلاغة أو الفارابى وابن سينا فى الفلسفة أو ابن‌عربى والحلاج والسهروردى فى‌التصوف ووحـــدة الوجود ، كل هـــذا رده الفكر الاسلامى الاصـــيل وكشف زيفه وتأثره بالفلسفات اليونانية وقد تعالت هـــذه الصـــيحة الى تحرير الفكر الاســـلامى من آثار الاغريق والمجوســـية وغيرها فى عشرات من الدراسات والابحاث التى قطعت معها جهيزة قـــول كل شعوبى فى القديم والحديث •

تاريخ متصل فى الطعن على اللغة:

ومن هنا فان هذه المحاولة التى يقدمها الدكتـــور لويس عوض فى كتابه : (مقـــدمة فى فقـــه اللغة العربية) ليست الا حلقة جـــديدة من حلقات حربه المتصـــلة للغـــة العربية الفصحى التى بدأها منـــذ ظهور ديوانه (بلوتولاند) الذى طبعه عام ١٩٤٧ وأعلن فيه الحرب على الفصحى وما يتصل بذلك من دعوتـــه الى العامية وكسر عامود الشعر ، وقـــد ادعى من قبـــل أن استخدام العامية سيؤدى بعـــد قرنين الى ترجمـــة القـــرآن الى العامية ، وقد أراد الدكتور لويس عوض فى كتابه الجـــديد الدخول الى هذا الموضوع بأسلوب جديد ومن ذلك دعاوى زائفة منها دعواه العريضة بأن العـــرب لم يكونوا الا قوما من القوقاز هاجروا الى الجزيرة العربية وقد ادعى هـــذه الدعوى المعارضة لطبائع الاشياء ولمختلف صور الهجرات التى ترى أن المهاجرين يخرجون من الارض الجافة الى الارض الخصبة ، وأن الصـــحيح الذى ثبت أن الجزيرة العربيـــة هى التى كانت منزحـــا لهجرات كثيرة منها الى خارجها ، ولكن الدكتور لويس عوض يعارض كل نواميس الكون والحضارة من أجل أن يصـــل الى غرض بعيـــد المدى هو الادعاء بأن اللغة العربية ليست الا فرعا من فروع الشجرة التى خرجت منها المجموعة الهندية الاوربيـــة وأن هنـــاك من الادلة ما يشير الى وجـــود علاقـــة بين

العربية وبين القوطية والجرمانية القديمة •

وبدلا من أن يقال أن اللغة العربية قد دخلت اليها عشرات أو مئات الكلمات من اللغات الاجنبية يجيء الدكتور لويس عوض ليعلن هذا الرأى الخطير الذى لم يقدم له أى دليل علمى أو تاريخى أو حتى مجرد افتراض افترضه باحث قبله فهو يحاول القاء هذه الشبهة على نحو غريب لم يعهده البحث فى العلماء الذين يقدمون بين يدى أبحاثهم بالوثائق والاسانيد ويقول فى جرأة غريبة :

« وقد انتهيت من أبحاثى الى أن اللغة العربية هى احدى فروع الشجرة التى خرجت منها اللغات الهندية الاوربية » ثم يصل بعد أن يعتبر اللغات اليونانية فرعا من هذه الشجرة ، واللغات العامية فرعا آخر ، الى القول : فالامر اذن يتجاوز أن يكون مجرد اقتباس اللغة العربية لمئات الالفاظ أو آلاف الالفاظ من اللغات الهندية الاوربية المحيطة بها كاليونانية واللاتينية والهندية وأكثرها من ألفاظ الحضارة كما كان يظن بعض فقهاء اللغة ، لان اللغة العربية كغيرها من اللغات السامية ليست فى صلبها وسمتها الاصلى الا تطورا طبيعيا من نفس الجذور التى خرجت منها السنسكريتية وايرانية الزند واليونانية واللاتينية والمجموعة التيوتونية وان ما نجده من أسماء الاعداد والحيوانات والنباتات مشتركة فى الجذور يشتبه فى أن هذا التواتر ليس نتيجة للتأثر والتأثير وانما هو نتيجة لوحدة فى الاصول » •

ولا ريب أن هذه النظرية مرفوضة أساسا لانها لا تقوم على أى دليل علمى ولا سند واضح وانها ليست سوى فرضية تحيطها كلمات الاحتمال المغرض الذى يطوى من ورائه غرضا مبيتا وهدفا مقصودا لا يخرج عن الخط الذى سار عليه الدكتور منذ مطالع حياته •

ولقد ترددت محاولات الدكتور

لويس عوض بين امتعاض اللغة العربية والغض من قدرها أو محاكمتها الى منهج علم اللغات الغربى الذى وضع تحت ضوء تطور اللغات الاوربية بعد انفصالها عن اللاتينية وتحولها من لهجات محلية الى لغات ، هذه الظاهرة التى تختلف فيها عن اللغة العربية التى حماها القرآن من التحول الى لغة تاريخية كما تطمح أهواء الاستشراق وكما جرت المحاولات المتعددة لاعلاء العاميات العربية للقضاء عليها دون جدوى ان محاولة اخضاع اللغة العربية لعلم اللغات الاوربى هى محاولة فاسدة ومضللة ، واذا كان الدكتور لويس عوض يحاول أن يغض من شأن العرب واللغة العربية لانها من نتاج الالف الاولى قبل الميلاد وقد سبقتها أمم وحضارات كأشور وبابل والبطالسة ويونان ومملكة سبأ ومعين وفينيقيا فأين هى الآن هذه كلها من العرب الذين خلد ملكهم باللغة العربية التى اتخذها القرآن الكريم أداة له وهى اللغة التى لم يقل العرب والمسلمون يوما بأنها مقدسة وانما كرمها نزول القرآن بها وأعطاها هذه الميزة ،التى تعلو فيها وتختلف عن اللغات التى نزلت بها التوراه (العبرانية) والانجيل (الارامية) وهى لغات انطوت وانتهت بالرغم من محاولة الصهيونية احياء لغة جديدة عبرية تختلف عن لغة التوراه .

والدكتور لويس عوض يعرف كيف سيطرت اللغة العربية بفضل حملها رسالة القرآن على اللغات المختلفة التى كانت تعيش فى هذه المنطقة كالارامية والقبطية وغيرها وكيف قطع القرآن الامتداد التاريخى فى هذه المنطقة بين ألف سنة من حكم الرومان والفراعنة وبين ظهور الاسلام وكيف انتهت وثنية فارس والهند والرومان عن هذه المنطقة العربية هذا الانقطاع التاريخى الذى تحدث عنه المؤرخون المنصفون غير ذوى الاغراض والاهواء .

والدكتور لويس عوض يعرف أن هذه « السامية » المدعاة هى زيف من الزيف ، وأنها ليست

حقيقة تاريخيــة ، وانمــا هى من مبتكرات أحد المتزلفين الى اليهود حتى تنسب اليهــا أمجاد التاريخ العربى القديم وسلبه من أصحابه الحقيقيين وخاصـــة اسـماعيل ابن ابراهيم وأبنــاءه وأحفــاده واضافة ذلك كله الى مصدر غامض ليس لــه ســند علمى ويســتمد مصدره الاساسى من التوراة التى كتبها اليهود بأيــديهم وليســت التوراة الحقيقية المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام وذلك بهــدف اشراك اليهود مع العرب فى هــذه الامجاد بينما لا يوجد لليهود أى اتصال بانشاء هذه الحضارة .

ذلك أن «الابراهيمية الحنيفية» هى أم هذه الحضــارة الحقيقية ولما كان مطمح اليهود هــو طمس هذه الحقيقة فقــد ابتكر شلوسر هذه الدعوى « السامية » اعتمادا على ما جاء فى التوراة المكتـــوبة بأقلام الاحبار فى بابل ، بينما لم يرد هذا المصطلح مطلقا فى كتابات العرب والمسلمين على مدى التاريخ وهذا (شلوسر) الذى اتكأ عليــه الدكتور لويس عوض فى دعــاواه وهو موضـــع الشبهة نتيجة لهذه الخطة الواضحة الهدف .

وقد برز هــذا المعنى فى ظــل تقسيم مستحدث ظهــر فى أوربا ابان اســتعلاء نزعــة العنصرية الاوربية التى قســمت العالم الى ساميين وآريين لتضــع العـــرب والمسلمين فى قائمة موازية للجنس الآرى غير أن المحــاولة التى رمت الى ترويج مصطلح الســامية فى دراسات اللغات فى الجامعات انما كان يرمى الى حجب الابراهيمية الحنيفة الام الحقيقيــة للعــرب والعربية وهى محاولة ماكرة خطيرة تهدف الى نسبة أمجــاد التاريخ الاسلامى الى اسم قديم لا يعرف التاريخ له مصــدرا واضــحا أو صحيحا .

والغربيون يعرفون أن التوراة التى فى أيدى الناس اليــوم هى توراة مكتوبة بأيدى الاحبار ، وقد تطور الفكــر الاستشراقى مرحلة أخرى هى التى يقدمها لنا اليــوم الدكتور لويس عوض بــدعواه أن اللغــة العربية فرع من شــجرة واحدة مع اللغات اليونانية .

يقـــول الدكتـــور لويس عوض « القضــية التي حاولت طرحهـــا واثباتها في هـــذا الكتـــاب هي أن صلب اللغة العربيـــة ذاته كان من نفس الشجرة التي تفرعت منهـــا المجموعة الهندية الاوربيـــة حتى قبـل هجرة العـــرب من موطنهم القوقازى الى شبه الجزيرة التي تحمل الآن اســـمهم وبالتالي فان ما نجده من عناصر غـــير هنـــدية أوربية هو الدخيـــل وليس صلب الاصلاب » •

وهـــذه مغالطة واضحة وادعاء باطل لا دليل له ، ترمي الى ماذكره الدكتـــور لويس عوض بعـــد ذلك بقليل وهو الغض من شـــأن مكانة اللغة العربية ، والقول بأنها واحدة من اللغات التي نزلت بهـــا الكتب المقدسة من ناحية وأن ما يقال عن اعجاز القرآن لا يعدو أن يكون في صرف الله قلوب العرب عن محاولة الاتيان بمثله وهو ما كان يقول به فريق من المعتزلة ومن أجـــل ذلك ركز على كتاب القاضي عبد الجبار وقـــد التقط الدكتور لويس عوض بعض عبارات من كتب فقـــه اللغة (المزهر للســـيوطي ، والالفـــاظ والحروف للفـــارابي الجـــوهري والخصائص لابن جني) ليثير بها الشـــبهات حول اعجاز القرآن ، وهـــاجم الدكتـــور لويس عوض ما أسماه تطرف الاحساس بشرف اللغة العربية وعلوها عـــلى غيرها من اللغات بعد نزول القرآن بهـــا الى حد أنهم ينظرون الى وجـــود الالفاظ الاجنبية في اللغة العربيـــة نظرهم الى شيء بخس ينبغي أن تنزه عنه اللغـــة أو عـــورة ينبغي الاعتذار عنها •

ولا يهدف من هـــذا التقول غير الالحاح بالاشارة الى ازالة مكانة اللغة العربية (بوصفها لغة القرآن) ومحاولة هدم مكانتها بالنقـــل من الكتب بعض النصـــوص المبتورة التي تؤيـــد وجهـــة نظـــره ، أو الاســـتعانة برأى القائلين بخلق القرآن والتشكيك في قدم اللغـــة العربية أو مكانتها لان هذه مكانة تشترك فيها مع كل اللغـــات التي نزلت بها رسالات الانبياء ، ونحن نعـــرف أن القـــاضي عبد الجبار ومفاهيمه كلهـــا داخلة في دائـــرة

الفلسفة اليونانية وأنها تقلل من فكرة تقبل الالفاظ المستعارة من اللغات الاخرى ، ولقد كان المسلمون على خطة تختلف بل وتتعارض مع رأى القاضى عبد الجبار فقد كافحوا هذا التدخل وصنعوا الالفاظ العربية لكل المفاهيم التى قدمتها العلوم المترجمة ، وكشفوا عن أن هذه الالفاظ الاعجمية المدعاة فى القرآن (مثل سندس واستبرق وسجيل) هى كلمات عربية الاصل .

بل أن الدكتور لويس عوض يريد أن يعلى من شأن القاضى عبد الجبار على الامام الشافعى صاحب الصيحة الاولى فى رد المسلمين عن الفكر اليونانى المستمد من علم الاصنام ، ويعترض على قول الامام فى أنه يقرر أنه حينما يجد لفظين متشابهين فى اللغة العربية وفى لغة أجنبية ، أن اللغة الاجنبية هى التى أخذت من العربية وليس العكس لان الناقص يأخذ من الكامل ويشكك الدكتور لويس عوض فى رأى الامام الشافعى بأن لسان العرب أوسع الالسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا ويقول أن هذا الموقف ينسب الى العرب ولغتهم عراقة ليست لهم دلالتها بين الحضارات القديمة .

وفى ثنايا البحث يدس الدكتور لويس عوض كثير من السموم فهو يعتمد على كتاب (الخوارج والشيعة) ليوليوس فلها وزن فى الوصول الى القول بأن القول بشرف اللغة العربية هو مصدر الخلاف الذى نتجت عنه فرقتا الخوارج والشيعة ، وأن دعاة السيادة العربية هم الذين كانوا حريصين أشد الحرص على اثبات نقاء القرآن من كل كلمة أعجمية ، أما الشعوبيون فقد حرصوا على أن يثبتوا أن القرآن قد داخلته ألفاظ أعجمية عديدة ولا شك أن هذا ادعاء غير صحيح فان نظرية الموالى التى ركز عليها لم تكن على هذا النحو الذى ضخمه المستشرقون ، وأن أبناء الاقطار المفتوحة كانوا أشد اعتزازا بالقرآن وباللغة العربية من أهلها العرب وأن الامور لم تكن على هذا النحو من أنحاء الخلاف بين

الحاكمين العرب فى عهد الدولة الاموية والمحكومين من كافة المسلمين •

علماء لا رجال دين :

كذلك فقد أخطأ الدكتور لويس عوض عندما وصف الحكومة الاسلامية بأنها حكومة(تيوقراطية) على نحو الحكومة الدينية التى عرفتها أوربا ، وهذا النوع لم يعرفه العالم الاسلامى ولا يقره مفهوم الاسلام الصحيح فليس فى الاسلام أساسا رجل دين وانما هناك عالم دين لا يعدو مكانه فى توجيه الحاكم والنصح له •

ويحاول الدكتور لويس عوض أن يقدم نصا من رسالة الغفران للمعرى يسخر فيه من أن اللغة العربية هى لغة الجنة ، وأن آدم كان يتكلمها فى الجنة فلما نزل الى الارض تكلم بالسريانية ، ونحن نعرف أن المعرى كان من ضحايا الفلسفة اليونانية وأنه تردد كثيرا بين هذه المفاهيم الزائفة •

ولا ريب أن فكرة خلق القرآن هذه فكرة دخيلة على الفكر الاسلامى ، وأن هناك من كان يقول بخلق التوراة ، وانها جاءت مع سموم الفكر اليونانى وقد صفت حركة اليقظة الاسلامية هذه المفاهيم جميعا ولقد كان مفهوم أهل السنة والجماعة الذى قال به الامام أحمد بن حنبل أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ولم يقل بقدم القرآن ، وان المفهوم العقلانى المطلق الذى ذهب اليه المعتزلة لم يكن مفهوم الاسلام الصحيح وهذا ما صححه من بعد ظهور الامام الاشعرى ومن العيب الذى وقع فيه الدكتور لويس عوض ومن قبله الدكتور زكى نجيب محمود ، هو التقاط(شبهات) من خلال معركة طويلة استمرت قرنين كاملين لطرحها من جديد اليوم وبلبلة الافكار بها ولقد كان حقا على الباحثين المنصفين أن يتحدثوا عن هذه القضايا فى اطار عصرها وأن يكشفوا الحقيقة التى انتهت اليها وهى سقوط مذهب الشعوبية كاملا واستصفاء السنة الجامعة لكل ما هو ايجابى من هذه المذاهب والفرق وليعلم

« البقية على صفحة ١٠٤٢ »

اللغة واعجاز القرآن

دكتور / عبد الغفار هلال

لقد بنى الدكتور لويس عوض كتابه « مقدمة فى فقه اللغة » على محاولة اقحام بعض النظريات الغربية على الاسلام من خلال عرض قضايا لغوية قد يظنها القارىء بعيدة عن الدين ولكنها — فى الحقيقة — تحمل فى طواياها ما يريد الدكتور لويس من وصل الاسلام بالمسيحية وأنهما يتفقان **— فى زعمه — على مبدأ التثليث .**

كما يحاول رمى الاسلام بالعنصرية والعصبية من خلال محاولته رمى العرب بأنهم عنصريون متعصبون وأن علماء العربية عربا ومستعربين كانوا — فى زعمه — كذلك عنصريين .

والكتاب يشتمل على كثير من المغالطات وهو يعرض لاية قضية لغوية .

ونحب أن ننبه الى أننا نقوم فى هذه البحوث التى ننشرها ببيان وجه الحقيقة الاسلامية البعيدة عن الزيف وان لها طبيعتها التوحيدية الخالصة ثم انها لا تنبنى على عصبية أو همجية ، ونناقش القضايا العلمية واللغوية بموضوعية البحث العلمى البعيد عن الزيغ والهوى والضلالة .

وهنا نعرض لقضية واحدة من قضايا الكتاب المشار اليه آملين أن نناقش — بعون الله — كل فصوله فى بحوث أخرى ننشرها تباعا .

ولما كانت قضية اعجاز القرآن قضية رئيسية من قضايا البحث الدينى واللغوى على سواء فقد آثرت أن تكون أولى القضايا التى

تعرضها ونبرز المغالطات الكثيرة التى وقع فيها الدكتور عند عرضه لها ونبرز خفايا توجيهاته الملتوية فيها .

فنقول وبالله التوفيق :

حاول الدكتور لويس أن يفلسف لآراء علماء العرب فى نشأة اللغة وذهب فى هذه الفلسفة مذاهب غريبة فى الفصل الثانى من كتابه وعنوانه (اللغة ونظرية اللوجوس) (من ص ٥١ — ٩٥) وفيه زعم بأن اعجاز القرآن يرتبط بنظرية اللوجوس اليونانية المسيحية القائمة على قداسة الكلمة التى عبر عنها بـ (روح القدس)(١) ودار فى هذا الاطار دورات بعيدة المدى حاول — من خلالها — أن يطمس معالم الحقيقة الناصعة وأن يصرف الاذهان عما يريد بعرضه لنظرية التعصب الذى وقع فيه العرب الذين حملوا رسالة الاسلام وجعل هذا التعصب يقوم على الطعن فى اللغة العربية من مدخل القول بقدم القرآن .

فقد عرض — كما يرى — وآراء المعتزلة واهل السنة فى ذلك وحاول دائما — أن يلقى التبعة على أهل السنة الذين قالوا بقدم القرآن وروج لمذهب المعتزلة القائل بخلق القرآن وادعى أن الفريق الأكبر من علماء العربية قال بقدم اللغة العربية رابطا بينها وبين القرآن ، فاذا كان القرآن قديما فاللغة العربية كذلك قديمة ، وادعى كذلك — أن معظم علماء العربية ذهب الى هذا الرأى ، أما المعتزلة الذين تحرروا من جعل القرآن قديما فقد ذهبوا الى القول بحداثة اللغة العربية .

فقد عرض لمشكلة خلق القرآن نظرية من سماهم غلاة السنة ثم الاشاعرة فى قدم القرآن ووجوده بنصه فى عقل الله واللوح المحفوظ قبل الخليقة وما انبنى عليها من نظريتهم فى أن اللغة العربية التى نزل بها القرآن قديمة قدم الله أو على الأقل قدم الخليقة وأن

---

١ — مقدمة فى فقه اللغة العربية ص ٨٥ ، ٨٦ .

آدم كـان يتـكلم العربيـة فى الجنة (١) .

تلك المنـاظرة الكبـرى التى شطرت الفكر الاسلامى نحو ثلاثة قرون أى منذ المائة الأولى بعـد موت الرسول (صلى الله عليـه وسـلم) مباشرة الى شـطرين عظيمين : شطر يرى رأى السـنة والأشاعرة وغيرهم بأن الله موجود بذاته وصفاته وبأن الجبر يحـكم الوجود الانسانى وبأن القـرآن قديم قدم الله أو قدم الخليقـة ، ومثل القرآن فى القدم اللغة العربية التى نزل بها وشـطر يرى رأى المعتزلة وغـيرهم أن الله موجود بذاته فقط أما صـفاته فهى غـير مساوية لذاته لأنهـا لو سـاوتها لا متنع التوحيد وانفتح الباب أمام تعـدد الآلهـه من جـديد وبأن الانسان مخـير لا مسـير والا لامتنع العدل ، وبأن القرآن ومعه اللغة العربية التى نزل بهـا محـدث أو مخـلوق وليس قديما (٢) .

واتفق أكثر الفريقين على اعجاز القرآن ــ وان كان الفريق الأول مرجعا له الى المعنى والفريق الثانى اختلف فى وجوه الاعجاز وجعـل الصرفة أحداها ، وهـذا فى رأى الدكتور لويس ــ كان يمثل تيارين الأول متعصب للعرب والعـروبة والسيادة العربية والثانى كان داعيا للسيادة الاسلامية أو المساواة فى الاسلام (٣) .

وفى زعـم الدكتـور لويس أن الغلاة من أصحاب النظرية الأولى ربطوا بين اعجاز القرآن واعجاز اللغة العربية فهما اشرف لغـات الارض وأفصـحها وأنضـجها وأعظمها اسـتعدادا التعبـير عن الوحى ، وقد كان التعبير الفلسفى عن اعجاز القرآن نظـرية قـدم القرآن التى تساوت فى علـم الـكلام بنظـرية قـدم الـكلمة

---

١ ــ مقدمة فى فقه اللغة العربية ص ٥٢ .
٢ ــ المصدر السابق ص ٥٣ وانظر ايضا ص ٦٩ .
٣ ــ المصدر السابق ص ٥٣ ، ٦٤ .

وملازمتها لعقل الله أو انبثاقها منه قبل الخليقة ، وبالتبعية ظهرت نظرية قدم اللغة العربية كلها حتى قال البعض ان آدم كان يتكلم العربية فى الجنة وهى النظرية التى سخر منها المعرى فى رسالة الغفران (١) .

وأما المعتزلة فرأيهم أن كلام الله (القرآن الموحى) محدث وليس قديما ، فكلام الناس (اللغات) من باب أولى تكون محدثة وليست قديمة بما فى ذلك اللغة العربية ، وهذه من النظريات الهامة التى وضعها فقهاء المعتزلة فى تاريخ اللغة العربية (٢) .

*** أخطاء ومغالطات فى تصوير عقيدة المسلمين فى خلق القرآن**

وقد وقع الدكتور لويس فى مغالطات كثيرة أهمها ، أنه وصل قضية القول بقدم القرآن بنظرية اللوجوس التى تقول بقدم الكلمة ، ففى نظره أن فقهاء الاسلام اجتهدوا أن يضعوا نظرية الوحى فى الاسلام على غرار نظرية اللوجوس Logos فى اليونانية المسيحية وهى كلمة الله المرادفة لعقل الله أو للروح القدس أو نظرية الفيربوم Verbum أو الخلق الأول بكلمة (كن فيكون) فكان الكون وهى فى نهاية الأمر صورة من صور اللوجوس المرادف لعبارة (روح الله وكلمته) (٣) .

ولعلى لا أكون مجاوزا للصواب اذا قلت : ان القائلين بقدم القرآن ـ أهل السنة والاشاعرة ـ لم يكونوا يقصدون ذلك الذى ادعاه الدكتور لويس فقد خصوا كلام الله القديم بالكلام النفسى ، فالمعنى النفسى فى القرآن قديم واللفظ المعبر به عنه حادث ، وهم يقصدون ـ فى الحقيقة ـ تنزيه الذات الآلهية عن الحدوث لاعن أنيكون هناك اله ثان كما يفهم من بعض من ذكر ذلك ،وكما يقول الفيلسوف

---

١ ـ د . لويس : ص ٦٤ .
٢ ـ المصدر السابق ص ٨٨ .
٣ ـ المصدر السابق ص ٨٥ ، ٨٦ .

ابن رشد : ان الاشعرية خافوا أن تكون ذات الله محلا للحـــوادث فقالوا : ان المتكلم هو الذى يقوم الكلام بذاته وأن الكلام ــ بالنسبة لله سبحانه ــ صفة قديمة كالعلم وهذا يصـــدق على كلام النفس لا اللفظ (١) •

فالكلام ــ عند أهل الســنة ــ صفة أزلية قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صـوت منزهة عن التقـدم والتأخـر والاعراب والبناء ومنزهة عن السكوت النفسى بأن لا يدبر فى نفســه الكلام مع القدرة عليه (٢) •

وعلى هذا فهم يقصدون بقولهم: « ان القرآن قديم » المعنى النفسى أما اللفظ من الحروف والكلمـات فلا جـــدال فى أنهم يعتقـدون حدوثها • ويقول صاحب الجوهرة فى ذلك •

ونزه القـــرآن أى كلامه
عن الحدوث واحذر انتقامه

قال الشارح : مذهب أهل السنة أن القــرآن بمعنى الكلام النفسى ليس بمخلوق وأما القــرآن بمعنى اللفظ الذى نقرؤه فهو مخلوق لكن لا يقــال ذلك الا فى مقام التعليم لأنه ربما أوهم أن القــرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق ، ولذا امتنعت الأئمة عن القول بخلــق القرآن ، فربما يتوهم من اطلاقه أن القرآن حادث أن الصـــفة القائمة بذاته تعالى حادثة (٣) •

فالمعتزلة قالوا : ان الكـلام هو ما فعله المتكلم ــ ويقصــد منــه حيـنئذ ــ اللفظ فقط ولهــذا قال هؤلاء ان القرآن مخلوق باعتبـــار حروفه وكلماته الملفوظة ، أما المعنى النفسى فهو فى نظرهم ــ ايضا ــ كأهل الســنة ــ صـفة قديمة له تعالى •

فالخلاف بين القائلين بقـــدم القرآن أو خلقه خــلاف لفظى لان كل فريق منهم ينظر الى ناحيـــة

---

١ ــ مناهج الادلة فى عقائد الملة لابن رشد ص ١٦٤ •
٢ ــ شرح البيجورى على الجوهرة ص ٨٤ •
٣ ــ شرح البيجورى على الجوهرة ص ٦٤ وما بعدها •

واحدة (١) فأهل السنة والمعتزلة متفقون على أن كلام الله النفسى قديم ، وأما حروف القرآن وكلماته المنطوقة فهى حادثة .

واذا فان القائلين بقدم القرآن لم يكونوا يقصدون الازدواجية التى تؤدى الى وجود قديمين متداخلين على حد نظرية اللوجوس التى توهم الدكتور لويس وصلها بقدم القرآن وانما يراد من القول بقدم القرآن تنزيه الله سبحانه وتعالى عن أن يلتصق به شىء محدث وبهذا يبعد مذهب الاشاعرة السنية عما ذهب اليه الدكتور .

*** أهل السنة لم يقولوا بالجبر كما يزعم الكاتب**

وقد ارتكب الدكتور لويس ف سبيل عرض هذه الفكرة خطأ علميا حين وصف أهل السنة بالقول بالجبر ، واستنبط ذلك من عدم حكمهم على مرتكبى الكبائر بالكفر واستمرار وصفهم بالايمان لمرتكبيها .

ونقول للدكتور انه لم يفهم عقائد السنة فى ذلك وأن عليه أن يرجع الى مصادر أهل السنة التى تقول : ان أهل السنة يجعلون للعبد كسبا كما يقول صاحب الجوهرة :

وعندنا للعبد كسب كلفا (٢)

وهذا استنادا الى الآيات القرآنية الكثيرة التى تجعل للعبد كسبا يجازى عليه :

قال تعالى : « **اولئك لهم نصيب مما كسبوا** » (٣) ـ « **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** » (٤) ـ « **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** » (٥) ـ « **ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه** » (٦) ـ « **يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون** » (٧)

---

١ ـ من كلام الدكتور محمود قاسم فى شرح رأى ابن رشد ص ٧١ .
٢ ـ شرح البيجورى ص ٩٤ ـ ٩٦ .
٣ ـ البقرة الآية ٢٠٢ .
٤ ـ البقرة الآية ٢٨٦ .
٥ ـ النساء الآية ٣٢ .
٦ ـ النساء . الآية ١١١ .
٧ ـ الانعام : الآية ٣ .

ـ « ولا تكسب كل نفس الا عليها » (١) •

ثم ان عدم حكمهم بتكفير مرتكبى الجرائم قائم على أصول اسلامية صحيحة ، فالايمان يتعلق بالتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر •

أما ربط الدكتور لويس لنشأة اللغة وقدمهاوحداثتها بالقولبقدم القرآن وحداثته فهذا ربط لا يجد دليلا عليه ، وقد ذكرنا اتجاه القول بقدم القرآن وأنه خاص بالمعنى النفسى وأن الحروف والكلمات المنطوقة التى هى تعبير لغوى حادثة ، واذا ينتفى ما بناه الدكتور على ذلك من قدم اللغة ، وينتفى الربط بين الامرين •

على أن القول بقدم اللغة ، وأنها وحى ليس أمرا خاصا بالعرب ، بل قال به المحافظون من اصحاب الديانات المختلفة ومن الفلاسفة كهيراكليت وأفلاطون واستدل أصحاب الديانات من غير القرآن بالتوراة (٢) •

ويؤخذ على الدكتور انه يصم الفكر العربى بالتوقف وأن أكثر علماء العربية على القول بالتوقيف، وكأن مسألة قدم اللغة العربية وامتدادها حتى تصل الى آدم شغلت الفكر الاسلامى واللغوى العربى الى حد الجمود عندها ، والأمر ليس كذلك •

الحقيقة من المصادر الاصيلة :

ولو أن الباحث رجع الى المصادر الاساسية ــ كما ذكرت ــ وقرأها لوجد أن المحققين من علماء اللغة تركوا الخوض فى مسألة نشأة اللغة نهائيا فهى بحث لم تنضج أدلته ولنقرأ معا ما أورده السيوطى فى المزهر عن بعض علماء العربية وهو قوله : الصحيح عندي أنه لا فائدة لهذه المسألة وهو ما صححه ابن الأنبارى وغيره ، ولذا قيل : ذكرها فى الأصول فضول (٣) وهذا هو

---

١ ــ الانعام الآية ١٦٤ •

٢ ــ انظر كتابنا اللغة العربية خصائصها وسماتها •

٣ ــ المزهر ١/٢٦ •

ما ذهب اليه علماء اللغة المحدثون يقول الدكتور كمال بشر « ان أكثر ما كتب فى هذا الموضوع لم يتجاوز مرحلة التخمين والافتراض » (١) ويذكر الدكتور على عبد الواحـــد وافى أن المحدثين من علماء اللغـــة اعرضوا عنه لان منهج البحث فيه لا يتفق فى شىء مـــع ما ينبغى أن تكون عليـــــه مناهج البحث فى العلوم (٢) .

وعلماء العربية ــ فى بحث نشأة اللغة ــ لا يتحـــدثون عن العربية وحدها وانما يتحدثون عن اللغات ــ بصـــــــورة عامة ــ وقد حكى الســـيوطى فى المزهر آراء متعددة كلهـــــا دائرة بين التـــــوقيف والاصــــــطلاح فى جميع اللغات ، ونقل ذلك عن المعتزلة وأهل السنة كذلك قال : ولم أر من صرح عن الأشعرى بخلافه ، والذى أراه أنه انما تكلم فى الوقوع وأنه يجـــوز صدور اللغة اصطلاحا ، ولو منـــع الجواز لنقله عنه القاضى وغيره من محققى كلامه ، ولم أرهم نقـــلوا عنـــه ، بل لم يذكره القاضى وامام الحرمين وابن القشيرى والاشعرى وذكر امام الحرمين الاختـــلاف فى الجواز ثم يقول : والمختـــــار أن العقل يجوز ذلك كله (٣) .

وقد ساق حديث العلماء عن ذلك بما يؤكد انهم يتكلمون عن جميـــع اللغات وليس عن العربية وحدها .

قال الزركشى فى البحـــر : حكى الاستاذ أبو منصـــــور قولا : ان التوقيف وقع فى الابتداء على لغـــة واحدة وما سواها من اللغات وقع التوقيف عليها بعد الطوفان من الله تعالى فى أولاد نوح حين تفرقوا فى أقطار الارض .

والجمهور وأهل التحقيق على أن التوقيف يقع فى لغة واحـــــدة ثم يجوز بعدها أن يكون ما بعدها من اللغات اصطلاحا ، وأن يكون توقيفا ولا يقطع بأحدها .

---

١ ــ قضايا لغوية ص ١١٢ .
٢ ــ علم اللغة د . وافى ط ١٩٣٨ ص ٥ ، ٦ .
٣ ــ المزهر ٢١/١ ، ٢٤ .

والأقوال دائرة ــ كذلك ــ حول أول لغة هل هى العربية أو سواها ، ويذكر ان العربية الباقية ربما كانت اصطلاحا بين اسماعيل وجرهم ورثها عنهم (١) •

فأين التعصب أو القول بقدم العربية على وجه الخصوص ، ان الحديث عام شامل وعرض لآراء متعددة مبعثها اعمال العقل والفكر كما ذكر السيوطى وليست هناك أدلة موضوعية على هذا أو ذاك •

بيد أن الدكتور لويس ــ كذلك ــ يضم معظم علماء اللغة العرب بأنهم قالوا بالتوقيف ولا يعرض فى هذا لرأى آخر الا لابن جنى الذى نقل عنه القول بالمواصفة والاصطلاح ورجوعه عنه الى القول بالتوقيف •

وقد أثبتنا للباحث والقارىء بما نقلناه عن السيوطى وما تذكره المراجع المختلفة أن علماء العربية وعلماء الفقه والأصول قالوا بالأمرين معا : التوقيف والاصطلاح ولم يخصوا ذلك بلغة دون أخرى •

ثم ان ابن جنى يقف على رأس القائلين بأحدث الآراء العصرية فى نشأة اللغة وهو صدورها عن محاكاة الاصوات يقول : « ان أصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوى الريح وقصيف الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبى ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد » ثم يقول : وهذا عندى وجه صالح ومذهب متقبل (٢) •

وبهذا الرأى أيضا قال الخليل ابن أحمد من قبله • نقل عنه ابن جنى قوله « كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : صر وتوهموا فى صوت البازى تقطيعا فقالوا : صرصر » (٣) •

وذهب الى ذلك من المحدثين

---

١ ــ المصدر السابق ١/٢٧ ، ٢٨ •
٢ ــ الخصائص ١/٤٦ ، ٤٧ •
٣ ــ المصدر السابق ٢/١٥٢ •

احمد فارس الشدياق يقول : انى رأيت معظم اللغــــة مأخوذا من حكاية صوت أو صفة » (١) وهذا هو رأى معظم الباحثين المحدثين من العرب وغيرهم ·

وعلى هذا فشأن العربية شـــأن غيرها من اللغـــات دون ربط لذلك بقدم القرآن تعصبا أو عنصرية ·

على أن وصف العربية بأنها أولى اللغات ليس بدعا من القـــول فان كثيرا من شــــعوب العالم حاولت ــ ولا تزال تحاول ــ أن تجعــل لغتها أصل كل اللغات ، فالعبريون يزعمون أن لغتهم أولى اللغـــات جميعا وقد وقف مســئول تركى فى العصر الحديث فى مؤتمر لغوى عقد سنة ١٩٣٤ وادعى أن التركية هى الاصـــل الذى اشتقت منه جميع لغات العالم (٢) ·

واذا فلا معنى للقول بأن علماء العربية جمدوا أمام شرف اللغــة وقداستها وانما هم وقفوا مذهولين أمام دقتها وجوهرها الاصـــيل مفسرين لذلك تفسيرا علميا ولغويا يقول ابن جنى :

« واعلم فيما بعــــد اننى على تقادم الوقتدائم التنقير والبحث عن هذا الموضـــع فأجد الدواعى والخوالج قوية التجاذب لى مختلفة جهات التنفول على فكرى وذلك أننى اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيهـــا من الحكمـــة والدقة والارهاف والرقة ما يملك على جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر »(٣)·

دكتور عبد الغفار هلال

---

١ ــ سر الليالى فى القلب والابدال ص ٢٢ ·

٢ ــ د · ابراهيم انيس : دلالة الالفـــاظ ص ١٠ وانظر أيضا : كتابنا « علم اللغة بين القديم والحديث » ص ٨ ·

٣ ــ الخصائص ١/٤٧ ·

فى التشريع الإسلامى

من توجيهات الخليفة الراشد

"عمر بن الخطاب" إلى رجال القضاء

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

- ٢ -

الشروط الواجب توافرها فيما يكون علة للحكم ثلاثة : —

١ — أن يكون وصفا ظاهرا أى مما يدرك بالحس ويمكن التحقيق من وجوده وعدم وجوده لأن العلة علامة على الحكم ويهتدى بها الى حكم ما لانص فيه — فالاسكار وصف ظاهر فى الخمر يدرك فيه بالحس ويمكن التحقيق من وجوده فى أى شراب آخر مما يسمى بالشراب الروحى .

٢ — أن يكون وصفا منضبطا — ومعنى انضباطه أن تكون له حقيقة معينة تتحقق فى الأفراد على السواء أو بتفاوت غير مؤثر لأن أساس القياس تساوى الأصل والفرع فى العلة حتى يبنى على هذا تساويهما فى الحكم — فالاسكار الذى فى الخمر توجد حقيقته فى أى شراب روحى آخر .

٣ — أن يكون وصفا مناسبا للحكم — ومعنى مناسبته له أن يكون ربط الحكم به ودورانه معه وجودا وعد ما مظنة تحقيق الحكمة التى شرع لأجلها الحكم وهى جلب المصلحة أو درء المفسدة فالاسكار فى الخمر وصف مناسب لتحريمها لأن فى تحريم المسكر حفظ العقل — وذلك لأن قصد الشارع من تشريع الأحكام هو جلب مصالح الناس ودفع الضرر عنهم .

أما المسالك التى يهتدى بها الى معرفة علة الحكم الشرعى فأشهرها ثلاثة : —

المسلك الأول النص ــ فاذا دلت آية من آيات القرآن الكريم أو حديث من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم على أن هذا الوصف علة للحكم كانت هذه العلة المنصوص عليها أساس القياس وثبت الحكم المعلل بها لكل فرع تحققت فيه •

ودلالة النص هذه قد تكون دلالة صريحة قاطعة لا تحتمل أى وجه آخر ومثاله قوله تعالى بعد أن قص نبأ قتل أحد ابنى آدم بفعل أخيه « **من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا** » سورة المائدة الآية ٣٢ • وقد تكون دلالة النص على أن الوصف علة ليست صريحة ولكنها دلالة بالايماء والاشارة وذلك كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لايقضى القاضى حين يقضى وهو غضبان) فان اقتران النهى عن القضاء بالغضب يشير الى أن الغضب علة النهى عن القضاء •

المسلك الثانى : الاجماع ــ فاذا اتفق مجتهدوا عصر من العصور على أن هذا الوصف علة هذا الحكم كان الوصف علة وبنى عليه القياس ــ وهذا مسلك فرضى لأن الاجماع لم يتحقق انعقاده على حكم فأولى لم يتحقق انعقاده على علة حكم ــ فضلا عن ذلك فان فريقا من فقهاء الشيعة والظاهرية لايحتجون بالقياس أصلا فلا يجمعون على علة أو تعليل •

المسلك الثالث ــ المناسبة ــ والمراد بمناسبة الوصف للحكم ملاءمته له بحيث يكون فى ربط الحكم به ودورانه معه وجودا وعدما تحقيق ما يقصده الشارع بتشريع هذا الحكم من جلب مصلحة أو درء مفسدة ومثاله الصغير والصغيرة تثبت عليهما ولاية التزويج لعصبتهما ولم يدل نص ولا اجماع على علة ثبوت الولاية عليهما ويوجد فى كل منهما وصف ظاهر منضبط مناسب للحكم وهو الصغر لأن الصغر مظنة العجز عن ادراك المصلحة ــ وفى ثبوت الولاية بناء عليه دفع الضرر عن العاجز فهو علة الحكم •

وليس كل وصف ظاهر منضبط مناسب يصلح أن يكون علة للحكم فان من الأوصاف الظاهرة المنضبطة المناسبة ما ألغى الشارع اعتباره فلا يصلح علة للحكم ومثاله ماروى أن بعض ملوك المغرب أفطر عامدا فى نهار رمضان بغير عذر فأفتاه أحد فقهاء المغرب بأن كفارة افطاره عامدا صيام شهرين متتابعين — مع أن هذا الصيام غير متعين عليه لأنه قادر أن يكفر باعتاق رقبة — وقد علل ذلك المفتى فتواه بأن تعيين الصيام كفارة له لأنه هو الذى يشق عليه وهو الذى يردعه عن العودة الى مثل هذا الافطار — وأما اعتاقه رقبة فهو ميسور له — فهذا الذى علل به مناسب لأنه يحقق مقصد الشارع من حفظ فرائض الدين وردع من ينتهك حرمتها عامدا ولكنه أخذ بالمشقة ومخالفة النص والشريعة قامت على دفع المشقة عن المكلفين فتعليل الحكم بأنه مشقة تعليل بوصف ألغى الشارع اعتباره •

ونكتفى بهذا القدر عن القياس ومن أراد التوسع فعليه بالرجوع الى كتب الفقه المختلفة خصوصا ما تعلق منها بعلم الأصول •

وقول الخليفة الراشد عمر رضى الله عنه (واعرف الأمثال ثم اعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق) ومن هذا ما وقع فى القرآن الكريم من الأمثال التى لا يعقلها الا أرباب العلم فانها تشبيه شىء بشىء فى حكمة — وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر ومثاله قوله تعالى **(انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس — كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)** سورة يونس الآية ٢٤ ففى هذه الآية الكريمة شبه سبحانه الحياة الدنيا فى أنها تتزين فى عين الناظر فتروقه بزينتها وتعجبه فيميل اليها ويهواها اغترارا منه بها حتى اذا ظن أنه

مالك لها قادر عليها سلبها بغتة وهو أحوج ما كان اليها وحيل بينه وبينها فشبهها بالأرض التى ينزل الغيث عليها فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر فيغتربها ويظن أنه قادر عليها مالك لها فيأتيها أمر الله فتدرك نباتها الآفة بغتة فتصبح كأن لم تكن فيخيب ظنه وتصبح يداه صفرا منها ــ فكذا حال الدنيا والواثق بها سواء .

ولما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات والجنة سليمة منها قال سبحانه عن الجنة (**والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء**) سورة يونس الآية ٢٥ فسماها دار السلام وذلك لسلامتها من هذه الآفات التى ذكرها فى الدنيا فعم بالدعوة اليها لكنه خص بهدايته من يشاء من عباده .

ومنها قوله تعالى (مثل الذين اتخذوامن دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) سورة العنكبوت الآية٤١ .

فذكر سبحانه أن هؤلاء المشركين ضعفاء وأن الذين اتخذوهم أولياءهم أضعف منهم فهم فى ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتا ــ وهو أوهن البيوت وأضعفها فهؤلاء المشركون أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء الا ضعفا ــ وهذا مصداق قوله تعالى (**وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ــ فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب**) سورة هود الآية ١٠١ ــ والتتبيب هو الخسران .

ومنها قوله تعالى (**أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ــ ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا**) سورة الفرقان الآية ٤٤ ــ فشبهأكثر الناس بالأنعام والجامع بين النوعين التساوى فى عدم قبول الهدى والانقياد له ــ وجعل الأكثرين أضل سبيلا من الأنعام لأن ــ البهيمة يهديها سائقها فتهتدى وتتبع الطريق لكن أكثر الناس يدعوهم رسل الله ويهدونهم

السبيل فلا يستجيبون ولا يهتدون ولا يفرقون بين ما يضرهم وما ينفعهم والأنعام تفرق بين مايضرها من النبات والطريق فتجتنبه وما ينفعها فتؤثره ــ والله تعالى لم يخلق للأنعام أفئدة تعقل بها ولا ألسنة تنطق بها وأعطى ذلك لهؤلاء الناس ومع ذلك فلم ينتفعوا بما جعل لهم من العقول والقلوب والألسنة والأسماع والأبصار فهم أضل من البهائم فان من لا يهتدى الى الرشاد والى الطريق المستقيم مع الدليل اليه أضل وأسوأ حالا ممن لا يهتدى حيث لا دليل معه •

ومنها قوله تعالى فى تشبيه من أعرض عن كلامه وتدبره (**فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة**) سورة المدثر الآية ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ شبههم فى اعراضهم ونفورهم عن القرآن الكريم بحمر رأت الأسد أو الرماة ففرت منه ــ فهم فى جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحمر وهى لا تعقل شيئا فاذا سمعت صوت الأسد أو الرامى نفرت منه أشد النفور ــ وهذا المثل غاية الذم لهؤلاء المعرضين فانهم نفروا عن الهدى الذى فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها ــ بل انها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضا وحضه على النفور •

ومنها قوله تعالى (**ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون**) سورة ابراهيم الآيتان ٢٤ ، ٢٥ فشبه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون (الكلمة الطيبة) هى (شهادة أن لا اله الا الله) فانها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فكل عمل صالح مرض لله ثمرة هذه الكلمة •

ويرى آخرون من المفسرين أن (كلمة طيبة) هذا مثل الايمان ــ (فالايمان الشجرة الطيبة وأصلها الثابت الذى لا يزول الاخلاص فيه

وفرعه فى السماء خشية اللـــــه) فشجرة التوحيد ثابتة راســـخة فى القلب التى فروعها من الأعمـــــال الصالحة صاعدة الى الســـماء ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمـــال الصالحة كل وقت بحسب ثباتهــا فى القلب ومحبة القلب لها واخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامـــــه بحقوقها ومراعاتها حق رعايتها .

وفى معرفة الأمثال وفقهها يتبين للحاكم أو القاضى مدى ما تشتمل عليه من تسوية بين المتماثليـــن فيسهل عليه الحاق النظير بنظيره واعتبار الشىء بمثله والتفريق بين المختلفين وعدم تسوية أحدهمـــا بالآخر وهذا ما فطر الله به العباد بأن هداهم الى أن حكم النظيرحكم نظيره وحكم الشىء حكم مثله وعلى انكار التفريق بين المتماثلين وعلى انكار الجمع بين المختلفين والعقل والميزان الذى أنزله الله ســبحانه شرعا وقدرا يأبى ذلك ـ لذلك كان الجزاء مماثلا للعمل من جنســـه فى الخير والشر فمن ستر مسلما ستره الله ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخـــرة ـ ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة الخ ..

وقوله (واياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالنـــــاس ـ والتنكر عند الخصـــــومة ـ أو الخصوم ـ شك الراوى ـ فــان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر) .

والتحذير من الغضب له مـــا يبرره فهو غول العقــل يغتاله كما تغتاله الخمر ـ ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وســلم أن يقضى القاضى بين اثنين وهو غضــبان لأن الغضــب نـــوع من الغلــق والاغلاق الذى يغلق على صــاحبه باب حسن التصور والقصد .

ومن علاج الغضب التحــريض على تنفيذ الحق والصبر عليـــه وجعل الرضا بتنفيذه فى موضــع الغضب والصبر فى موضع القلــق والضجر ـ والتحلى به واحتساب ثوابه فى موضع التأذى .

والتنكر للخصوم من جـــانب القاضى فيه اضعاف نفوسهم وكسر قلوبهم واخراس ألسنتهم عـــن

التكلم بحجتهم خشية معرة التنكر ولا سيما أن يتنكر لأحد الخصمين دون الآخر – فان ذلك هو الداء العضال •

وعبودية الحكام وولاة الأمر والقضاة التى تراد منهم هى القضاء فى مواطن الحق فهى توجب لهم من الله الأجر فلله سبحانه على كل واحد من خلقه عبودية بحسب مرتبته سوى العبودية العامة التى سوى بين عباده فيها •

فعلى عالم الاسلام من عبوديته نشر أحكام السنة والعلم الذى بعث الله به رسوله وعليه من عبودية الصبر على ذلك ما ليس على غيره •

وعلى الحاكم من عبودية اقامة الحق وتنفيذه والزام من هو عليه به والصبر على ذلك والجهاد عليه ما ليس على المفتى •

وعلى الغنى من عبودية آداء الحقوق التى فى ماله ما ليس على الفقير •

وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز عنهما •

ثم ختم الخليفة الراشد كتابه الجليل الى أبى موسى الأشعرى بقوله (فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين بما ليس فيه شانه الله فان الله لا يقبل من العباد الا ما كان له خالصا فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته) فالعبد اذا خلصت نيته لله تعالى وكان قصده وهمه وعمله لوجهه سبحانه كان الله معه فانه سبحانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون – ورأس التقوى والاحسان خلوص النية لله فى اقامة الحق والله سبحانه لا غالب له فمن كان الله معه لم يغلبه غالب أو يناله أحد بسوء •

ولايكفى التزام القائم فى الحق لله اذا كان على غيره حتى يكون أول قائم به على نفسه فحينئذ يقبل قيامه به على غيره والا فكيف يقبل الحق ممن أهمل القيام به على نفسه وتدليلا على ذلك فانه لما خطب عمربن الخطاب يوما وعليه

ثوبان فقال أيها الناس ألا تسمعون فقال سلمان لا نسمع فقال عمر ولم يا أبا عبد الله ؟ قال انك قسمت علينا ثوباً ثوبا وعليك ثوبان فقال لا تعجل • يا عبد الله يا عبد الله فلم يجبه أحد فقال يا عبد الله بن عمر فقال لبيك يا أمير المؤمنين فقال نشدتك الله الثوب الذى ائتزرت به أهو ثوبك ؟ قال نعم • اللهم نعم فقال سلمان أما الآن فقل نسمع •

وأما قوله **(ومن تزين بما ليس فيه شانه الله)** — لما كان المتزين بما ليس فيه ضد المخلص فانه يظهر للناس أمرا وهو فى الباطن بخلافه عامله الله بنقيض قصده فمن تزين للناس بما ليس فيه من الخشوع والدين والنسك والعلم افتضح فيشينه ذلك من حيث ظن أنه يزينه وأيضا فانه أخفى عن الناس ما أظهر لله خلافة فأظهر الله من عيوبه للناس ما أخفاه عنهم جزاء له من جنس عمله •

وقوله (فان الله لا يقبل من العباد الا ما كان له خالصا) أى ما كان لله خالصا ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم موافقا — أما المردود فهو ما فقد منه الوصفان أو أحدهما يشرح ذلك الفضل ابن عياض فيقول — الخالص أن يكون لله — والصواب أن يكون على السنة ثم قرأ قوله تعالى **(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)** سورة الكهف الآية ١١٠ • وجزاء المخلص عند الله عظيم يرزقه الرزق العاجل اما للقلب أو للبدن أو لهما معا ورحمته مدخرة فى خزائنه فان الله سبحانه يجزى العبد على ما عمل من خير فى الدنيا ثم فى الآخرة يوفيه أجره مصداقا لقوله تعالى **(كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة)** سورة آل عمران الآية ١٨٥ •

وقد دل القرآن فى غير موضع على أن لكل من عمل خيرا أجران — أجر فى الدنيا ثم يكمل له أجره فى الآخرة يقول جلت كلماته •

١ — **(للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين)** سورة النحل الآية ٣٠ •

٢ ـ **(والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)** سورة النحل الآية ٤١ ٠

٣ ـ **(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)** سورة النحل الآية ٩٧ ٠

« المستشار »

محمد عزت الطهطاوى

(بقية مقال المؤامرة على الفصحى)

هؤلاء أن محاولة اعادة بث هذه الشبهات من جديد للتقليل من شأن القرآن أو اللغة العربية هو عمل مكشوف مفضوح قد تنبه اليه المثقفون المسلمون فلم يعد يخدعهم وانه لمن المؤسف حقا أن يعتمد الدكتور لويس عوض فى اثارة هذه القضية الكبرى على مصدر غربى مشبوه (هو شلوسر) ومصدر اسلامى له وجهة نظر جزئية هو القاضى عبد الجبار فى اثارة مثل هذه القضايا وما أظن هذه الاثارات ببالغة شيئا ولن تحدث من الدوى أو الاثارة ما أحدثته كتابات طه حسين وعلى عبد الرازق من قبل فقد مضى ذلك العهد وانقضى وتكشف أمام الناس جميعا فساد مذاهب الاستشراق ودعاواه وتساقطت أهواؤه وسمومه فلم يعد يخدع بها أحد٠

أنور الجندى

ترشيد الإنفاق في ضوء تعاليم الإسلام

للأستاذ / مجدى عبد الفتاح سليمان

يعد الاستهلاك فى واقع الامر ، سمة مميزة من سمات هذا العصر ، اذ لا يكاد يخلو أى نظام اقتصادى من ارتفاع متزايد فى معدلات الاستهلاك سواء كان هذا النظام رأسماليا أم اشتراكيا ، متقدما ام ناميا ، ومع التسليم بعمومية هذه الظاهرة ، الا أنه من الملاحظ تزايد معدلات الاستهلاك فى البلاد الاسلامية بصورة خطيرة ، باتت تهدد مصالح هذه الدول ، وتعوق مجهوداتها الانمائية ، وفى مواجهة هذه الظاهرة وضع الاسلام قيودا محكمة على الاستهلاك ، ايمانا بأن حرية الاستهلاك تؤدى فى النهاية الى اصابة الاقتصاد القومى بأفدح الأضرار .

وتشير الدراسات (١) الى ارتفاع قيمة الواردات الاستهلاكية الى اجمالى الواردات من نسبة تدور حول ١٠٪ فى النصف الثانى من الستينيات ، الى متوسط سنوى بلغ ٢٨ر٣٪ عن الفترة من ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ ، وأخذت اتجاها مطردا فى النمو حيث بلغت متوسطا سنويا ٣٤ر٧ ٪ من اجمالى الواردات عن الفترة من ١٩٧٤ ـ ١٩٧٧ ، هذا وقد أخذت نسبة الواردات الاستهلاكية الى الدخل المحلى الاجمالى فى التزايد فمن متوسط سنوى ٣ر٧ ٪ عن الفترة

---

١ ـ انظر الأهرام الاقتصادي ، العدد ٥٨٩ ص ٦ .

من ١٩٧٠ — ١٩٧٣ ، ارتفعت وبسرعة فائقة الى ٩٫٧ ٪ ما بين الفترة من ١٩٧٤ — ١٩٧٧ بما يفيد بأن هناك استنزافا متزايدا للدخل • نستخلص من البيانات السالفة الذكر **أن ظاهرة الاستهلاك الكبير والمتضخم قائمة ومستمرة ، ومعنى استمرارها هو انفاق كل الدخل الفردى والقومى ، وتسرب مدخراتنا وأموالنا الى الخارج لتمويل شراء السلع الاستهلاكية ، ايضا سنواجه مصاعب امام التنمية ، تؤدى الى مزيد من المشاكل الاقتصادية ، وتزداد الصعوبة امام المسئولية عن حل تلك المشاكل** ، ولا يفوتنا فى هذا **المقام ما حدث فى السوق المصرية خلال شهر رمضان الماضى فقد زاد حجم الاستهلاك** من كل السلع الغذائية بنسب مرتفعة جدا ،

ومما لا شك فيه أن ترشيد الاستهلاك يعتبر من الامور الحيوية التى يجب التفكير فيها جديا ، بسبب ما سيترتب عليه من آثار فى مصلحة الاقتصاد القومى ، وكفى بالمرء اسرافا ان يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه ، فكثرة الطعام تميت القلوب فقد قال صلى الله عليه وسلم **« لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء »** (١) •

ينبغى أن نترك هذا التقليد الأعمى المدمر ، وهذه العادات السيئة ، والجرى وراء أوهام وسراب الاستهلاك ، وأن نعود الى تعاليم هذا الدين الحنيف ، فهو السبيل الوحيد لانقاذ البشرية من أزماتها وهو وحده كفيل بأن يحقق للانسان ما ينشده من كمال ورفعة وتقدم وازدهار وارتقاء •

*** الاستهلاك وتعاليم الاسلام :**

الاستهلاك والاستفادة والانتفاع بما خلق الله تعالى أمر طيب فى الاسلام ، طالما أنه لا يقوم على ادخال الضرر بالنفس أو الاضرار بالغير ، والاسلام يكلف الفرد تمتيع

---

١ — احياء علوم الدين — للامام الغزالى — ج ٣ — ص ٧٨ دار احياء الكتب العربية •

ذاته فى الحدود المشروعة ، ويكره الناس أن يحرموا فى غير محرم ، لأن الحياة لابد أن تستساغ وأن تجمل ، وأن تكون بهيجة فى غير لهو ولا اسراف ، فهو يأمر بنى آدم بأن يتزينو الزينة اللائقة فقال تعالى : **((يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون))**(١) فالاسلام(٢) يطلب الاستمتاع بمباهج الحياة المعقولة للناس جميعا ، كبيرهم وصغيرهم ، وغنيهم وفقيرهم ، لذلك وجه الخطاب هنا الى « بنى آدم » فاذا دعا من بعض الأحيان الى الصبر والرضا فليست هذه دعوة الى التزهد والحرمان ، انما هى دعوة لاحتفاظ النفس بطمأنينتها على الشدائد الى أن تزول أو تزال ، أما بعد ذلك فكل فرد مطالب بأن يستمتع المتاع الحلال ، والجماعة مطالبة أن تهيىء هذا المتاع لأفرادها جميعا ، فلا تحرمهم مما يدعوهم الله أن يستمتعوا به فى الحياة هذا كله من ناحية ، أما أن يتضخم هذا التمتع والتنعم كما هى صفة المجتمع غير الربانى فأمر لا يقره الاسلام ويصفه بالأسراف والتبذير ، من هنا فان للاسلام تعاليم تهدف الى تنظيم الاستهلاك وترشيده فحرم الاسلام حياة الترف ، ونهى عن الاسراف والتبذير والسفه ، وأمر بالاعتدال فى الانفاق على الاستهلاك دون مغالاة أو امساك .

* تحريم الاستهلاك الترفى :

حرم الاسلام الاستهلاك الترفى بكافة صوره وأشكاله ، فالرسول

---

١ ــ سورة الأعراف : ٣١ ــ ٣٣ .
٢ ــ سيد قطب ــ العدالة الاجتماعية فى الاسلام ص ١٤٣ .

صلى الله عليه وسلم يقول : **« لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما ، فانها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة »** متفق عليه والحديث دليل على تحريم الأكل والشرب من آنية الذهب والفضة وصحافهما سواء كان الاناء خالصا ذهبا أو مخلوطا بالفضة ، اذ هو مما يشمله أنه اناء ذهب وفضة ، وقال الامام النووى: **« انه انعقد الاجماع على تحريم الأكل والشرب فيهما ، واختلف فى العلة فقيل للخيلاء وقيل لكونه ذهبا وفضة »** (١) ويصور لنا الرسول صلى الله عليه وسلم عقاب من يخالف ذلك فيقول : **« ان الذى يشرب فى آنية الفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم »** متفق عليه ولمسلم : ان الذى يأكل أو يشرب فى اناء الذهب والفضة (٢) .

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير والذهب بالنسبة للرجال أما النساء فأبيح لهن الحرير والذهب ،فعن أبى موسى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **« احل الذهب والحرير للاناث من أمتى وحرم على ذكورها »** (٣) .

ونهى عليه الصلاة والسلام الجلوس على الحرير فعن حذيفة رضى الله عنه قال : « **نهانا النبى صلى الله عليه وسلم أن نشرب فى آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه** » البخارى .

ومن يلبس الحرير فى الدنيا يحرم منه فى الاخرة ، فقال صلى الله عليه وسلم **« من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة »** البخارى .

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن التعالى فى البنيان والتوسع فيه لغير ضرورة ، **وقد روى أبو داود وابن ماجه والطبرانى(٤)** أنه عليه السلام خرج يوما فى

---

١ ــ سبل السلام ــ للصنعانى ــ ج ١ ص ٢٩ .
٢ ــ نيل الأوطار ــ للشوكانى ــ ج ١ ص ٦٨ .
٣ ــ ورواه احمد والنسائى والترمذى صححه .
٤ ــ البهى الخولى ــ الثروة فى ظل الاسلام ــ ص ١٥٨ .

بعض صحابته فرأى قبة مشرفة فقال : ما هذه ؟! قالوا هذه لفلان فقال : كل ما كان هكذا فهو وبال على صاحبه وعلم الرجل فهدمها وسواها بالأرض ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلم يرها ، فسأل عنها فأخبر بما صنع صاحبها فقال : **« يرحمه الله، يرحمه الله »** والرسول صلى الله عليه وسلم ــ **يسمى بيوت المترفين بيوت الشياطين** لما ينبع فيها من الفساد ، ولما يخرج منها من الفتنة (١) : « تكون ابل للشياطين، وبيوت للشياطين ، فأما ابل الشيطان فقد رأيتها يخرج أحدكم بنجيبات معه قد أسمنها ، فلا يعلو بعيدا منها ، ويمر بأخيه قد انقطع فلا يحمله ، وأما بيوت الشياطين فلا أراها الا هذه الأقفاص التى تستر الناس بالديباج » «أبوداود»

واذا كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رآها ابلا للشياطين لا حاجة بأصحابها الى ركوبها ، بينما المنقطعون لا يجدون ما يركبون.، فنحن نجدها سيارات فخمة تروح وتغدو للتافه الصغير من الأمور ، وألوف لايجدون أجرة الترام ، ومئات لا يجدون حتى أرجلهم للمشى بها ، فهى مقطوعة ذهبت بها الآفات ! أما البيوت التى رآها محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الأقفاص التى تستر الناس بالديباج ، فنحن نراها ووسائل الترف فيها فلم تخطر على قلب بشر فى ذلك الزمان •

ان الترف منبع شر يملأ القلوب حقدا وضغينة ويقضى على حياة الأمن والاستقرار ، يصل بأصحابه الى جحود الحق وانكار الشرائع ، ويغرس فى نفوسهم الأثرة وفتنة الطبقات • اذن فلا جرم أن يكون الترف سبب العذاب فى الآخرة ــ فيقول الله تعالى فى سورة الواقعة: آية ٤١ ــ ٤٨ **« وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم ، وظل من يحموم ، لابارد ولا كريم ، انهم كانوا قبل ذلك مترفين ، وكانوا يصرون على**

---

١ ــ سيد قطب ــ المرجع السابق ــ ص ١٤٦ ، ١٤٧ •

الحنث العظيم،وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون » •

ولكن هذا الهلاك والعذاب لا يصيب الفرد المترف وحده ، بل يصيبان الجماعة التى تسمح بوجود مترفين « **واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** » سورة الاسراء آية ١٦ — ذلك أن وجود المترفين فى الجماعة ، وسماح الجماعة بوجودهم ، وسكوتهم عليهم، وقعودها عن ازالة أسباب الترف وتركها المترفين يفسدون •• كل ذلك أسباب تؤدى حتما الى الهلاك والتدمير •

*** تحريم الاسراف والتبذير والسفه :**

الاسراف هو الانفاق فى الحلال بصورة تزيد كثيرا عن الحاجة والمعقول وهو محرم ، وحقيقة هذا الاسراف مجاوزة الحد فى كل فعل أو قول (١) ويقول الحق تبارك وتعالى : « **كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين** » سورة الأنعام : آية ١٤١ فقوله : « **لا تسرفوا** » نهى عن الاسراف فى كل شىء ولا شك أنه صحيح ، وقد ورد فى تفسير ابن كثير : أى لا تسرفوا فى المأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد** » (٢) •

ونظر المصطفى صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه بأصبعه وقال : لو كان هذا من غير هذا لكان خيرا لك (٣) أى لو قدمته لاخرتك وآثرت به غيرك •

وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم : **أى الناس أفضل قال : من قل مطعمه وضحكه ورضى بما يستر به عورته** (٤) •

---

١ — أنظر سبل السلام للصنعانى ج ٤ ص ١٥٩ .
٢ — احياء علوم الدين — للامام الغزالى ج ٣ — ص ٨٤ .
٣ — نفس المرجع السابق ص ٨٦ .
٤ — احياء علوم الدين — المرجع السابق ج ٣ ص ٧٨ .

أما التبذير فهو النفقة فى معصية الله تعالى . وفى غير الحق والفساد ، وقال مجاهد (١) : لو أنفق انسان ماله كله فى الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق مدا فى غير حق كان مبذرا » وقد شبه القرآن الكريم المبذرين بالشياطين اعداء البشرية ، فيقول الله تعالى : **« ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » الاسراء : ٣٧**

أما السفه فهو التبذير وعدم حسن التصرف فى المال ، والسفيه عند الشافعية (٢) : المبذر فى ماله ، والذى ينفقه فيما لا يعود عليه بمنفعة عاجلة أو آجلة ، كأن يقامر به أو ينفقه فى اللذات المحرمة الضارة بالبدن والعرض والدين كالزنى ، وشرب الخمر ، أو ينفقه فى المكروهات كأن يشرب به الدخان أو يضيعه بسوء تصرفه كأن يبيع ويشترى بالغبن الفاحش » .

ويقول الحق تبارك وتعالى : **« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما »** سورة النساء الآية ٥ .

وفى تفسير هذه الآية يقول الامام النسفى **« ولا تؤتوا السفهاء »** المبذرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغى ولا قدرة لهم على اصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للأولياء وأضاف الى الأولياء أموال السفهاء بقوله **(اموالكم)** لأنهم يلونها ويمسكونها ، فالأموال التى بأيدى السفهاء انما هى فى الحقيقة أموال المجتمع ، وتوجب الشريعة الاسلامية على ولى الأمر معاقبة السفيه بالحجر عليه وغل يده عن أمواله .

*** تحريم استهلاك السلع والخدمات الضارة :**

يحرم الاسلام كل مايضر بالمجتمع من سلع وخدمات ضارة

---

١ ــ انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ــ ج ٣ ــ ص ٣٦ .
٢ ــ عبد الرحمن الجزيرى ــ الفقه على المذاهب الاربعة ــ ج ٢ ص ٣٧٠ .

بالجسم أو العقل أو تؤدى الى تبديد الموارد من غير فائدة حتى لو لم تكن فى نفسها ضارة ، فحرم الاسلام أكل الميتة والدم ولحم الخنزير .. ، وحرم الخمر والميسر : وحرم الاسلام الخبائث .

يقول الله تعالى **« حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ماذكيتم وماذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق .. »** سورة المائدة آية ٣ .

نهى المولى سبحانه وتعالى عن تعاطى هذه المحرمات من الميتة وهى ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد ، وماذاك الا لما فيها من المضرة لما فيها من الدم المحتقن ، فهى ضارة للدين وللبدن فلهذا حرمها الله عز وجل ، وقد أحل الله لنا ميتتان ودمان فيقول المصطفى صلى الله عليه وسلم **« احل لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالسمك والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال »** رواه أحمد بن حنبل وان ماجه .

وحرم (الدم) أى المسفوح وهو السائل ، وحرم لحم الخنزير وكله نجس ، **« وما أهل بغير الله به »** أى رفع الصوت به لغير الله .

(والمنخنقة) التى خنقوها حتى ماتت أو اتخنقت بالشبكة أو غيرها **(والموقوذة)** التى أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت **(والمتردية)** التى تردت من جبل أو من بئر فماتت **(والنطيحة)** المنطوحة وهى التى نطحتها أخرى فماتت بالنطح **(وما أكل السبع)** بعضه ومات بجرحه **(الا ماذكيتم)** الا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطرب المذبوح والاستثناء يرجع الى المنخنقة وما بعدها فانه اذا أدركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلت **«وما ذبح على النصب»** كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ويتقربون اليهاتسمى الانصاب (١)

(البقية على صفحة ١٠٨٠)

---

١ — النسفى — تفسير النسفى ج ١ ص ٢٠٩ .

أعلام الإسلام

من أئمة المحدثين :

الإمام البخاري

للدكتور / الحسيني هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

لا أحد فى العالم الاسلامى يجهل شخصية الامام البخارى وما قدم للعالم الاسلامى من خدمات . فماذا قدم ؟ ومن هو هذا الرجل اللامع الاسم الذائع الصيت ؟

نسبه :

أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ابن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفى ولاء ، البخارى مولدا ، شرف الله جده المغيرة بالاسلام ، على يد اليمان الجعفى والى بخارى، فانتمى اليه بولاء الاسلام وسرى منه هذا الولاء الى ذريته جيلا بعد جيل ، ومنهم الامام البخارى . وبخارى مدينة من أعظم مدن ما وراء النهر (نهر جيحون) وهى الآن تحت النفوذ السوفيتى بولاية « أزبكستان » فى آسيا الوسطى .

مولده :

ولد رحمه الله ببخارى لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة (١٩٤ هـ) فى بيت مبارك بالعلم ، معطر بالتقوى ، فقد كان أبوه اسماعيل من العلماء العاملين ، والنبلاء الورعين ، قابل مالكا ، وابن المبارك وحدث عن جماعة من مشاهير المحدثين ، وحدث عنه بعض العراقيين وشهد له كثيرون بالصدق والوثوق ، وكان الى جانب علمه وتقواه كثير المال الخالص الحلال .

واستقبل منزل الحديث والتقوى والثراء العريض محمد بن اسماعيل البخارى فقرت به عينا والديه ثم

ما لبث الوالد أن توفى وتركه يتيما فى ظل والدته التقية تحبوه بعطفها، وتستلهم السبيل القويم لتربيته •

عصر البخارى :

ولدا البخارى فى عصر راجت فيه سوق الحديث وانتصرت مدرسته بعد صراع عنيف مع المتبـــدعة برز فيه دور الامام أحمد بن حنبل واستمر فى عهد المأمون والمعتصـم والواثق حتى ختمه المتوكل على الله ابن المعتصم برفع المحنة عن أهـل الحديث ، والوقوف ضـد المبتدعة وهو صراع امتد من سـنة ٢١٢ هـ من عهد المأمون الى سنة ٢٣٢ هـ فى عهد المتوكل أى عشرين عامـــا كاملة ــ وككل معارك الفكر لم يكن الجمهور بعيدا عن الصراع ، وكان ميل أهل التقوى مع المحدثين طوال المحنة ، فلما زالت عنهم زاد الميل اليهم وكثر جمهورهم •

من هنا ، كان توجه والــدته فى تربيتها له الى مجال العلـــوم الدينية والحديث عـلى وجـــه الخصوص • أضف الى ذلك ما كان عليه الوالد من طلب العلم ، وبذل التعليم ، وبالجملـة ، كان البيت تفوح منه رائحة العلوم الزكية ، وتهب عليه نسائم العلم التى تملأ جو الشرق الاســـلامى فى ذلك الوقت •

ولقد هيأ الله للامام البخارى ، وسائل الرفقة ، وآيات الارتقـــاء فظهرت عليه مخايل الزكاء والنجابة فى صغره بصورة واضــحة نادرة فحفظ القرآن ، وبدأ يحفظ الحديث وهو فى سن العاشرة •وما أن جاوز العاشرة ودخل فى سن الحـادية عشرة حتى ترك الكتاب وانصراف الى مدارس الحديث فى دائرة وطنه لينهل من مواردهم حاملا عقـــلا وقادا وذاكرة واعية وخلقا كريما ، فاكتسب بذلك ثقـــــة مكنته من التحصيل ، ودفعته لان يقف وهـــو فى سن مبكره ليصحح ما أخطأ فيه استاذ من عمالقة الحديث • وهـــو استاذه « الداخلى » ويدخل معـــه فى مناقشة علمية انتهت بتســـليم استاذه له ، واعترافه بصـــحة ما قال به البخارى عن ذلك ، فيقول: ثم خرجت من الكتاب بعد العشر ، اختلفت الى الداخلى وغيره فقـــال يوما فيما كان يقرأ على الناس :

(سفيان عن أبى الزبير « المكى » عن ابراهيــم النخعى • فقلت له : يا أبا فلان ، ان أبا الزبير لم يرو عن ابراهيم ، فانتهرنى • فقلتله: ارجع الى الاصل ان كان عندك ، فدخل ونظر فيه ثم خرج ، وقال : كيف هو يا غلام ؟ فقلت : هو الزبير ابن عدى عن ابراهيم ، فأخذ القلم منى ،وأحكم كتابه ، فقال : صدقت ــ فقال له بعض أصحابه : ابن كم كنت اذ رددت عليه ؟ قـــال : ابن احدى عشرة سنة •

رحلة البخارى فى طلب الحديث

لم يشبع قطر البخارى نهمه ولم يحقق حاجته فرحل عنه بعد أن أتى على ما فيه من علم وخير ما فيه من علماء ، فطار على أجنحة همة عالية يطوف فى أرجاء الدنيا طالبا للحديث ورجاله ، جامعا لكل ما يمكن منه ، متعرف على كل ما يدور فيه وحوله•

ملامح من صفاته الرشيدة :

كان البخارى لا يجهل مكانته ، وحب الناس له ، فآثر أن لا يترك مجالا يمكن أن ينفر منه هذا الحب كأثر مادي فى حياته • فقـــد حكم « وراقة » أنه ســـــمعه يقول : ما توليت شراء شىء قط ولا بيعه ، كنت آمر انسانا فيشترى لى ، قيل له : ولم ؟ قال : لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط وكان غاية فى الحياء والكرم والسخاء والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة ، وكان له مال كثير ينفق منـــــه سرا وجهرا لاسيما فى طلب العلم وعلى طلبته ، وقد قال عن نفسه : كنت استغل فى كل شهر خمسمائة درهم فانفقها فى الطلب وما عند الله خير وأبقى •

وكان دائم المراقبة لله تعالى فى حركاته وسكناته وكل اموره •

قال البخارى : دعوت ربى مرتين فاستجاب (يعنى فى الحال) فلن أحب أ نأدعو بعد فلعلـــه ينقض حسناتى ــ وقال : لا يكـــون لى خصم يوم القيامة فقيل لـــه : ان بعض الناس ينقمون عليك التاريخ يقولون فيه اغتياب الناس فقال : « انما روينا ذلك رواية ولم ننقله من عند أنفسنا ، وقد قال صـــلى الله عليه وســـلم « بئس أخـــــو العشيرة » وقال : ما اغتبت أحـــدا قط منذ علمت أن الغيبة حرام » •

وكان يصلى ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة ، فلما قضى صلاته قال : انظروا أى شىء هذا الذى آذانى فى صلاتى فنظروا فاذا الزنبور قدورمه فى سبعة عشر موضعا ، ولم يقطع صلاته ، وكان قليل الاكل كثير الاحسان ، مفرط الكرم ، وبالجملة كان مثالا فى قوله وفعله سرت السنة فى لحمه وعظمه، وسيطرت على سلوكه وتصرفاته ومشاعره فكان قدوة فى كل مجال ومن شعره الحكيم •

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع
فعسى أن يكون موتك بغتة كم
صحيح رأيت من غير سقم • ذهبت
نفسه الصحيحة فلتة •

مؤلفاته :

وشخصية كشخصية الامام البخارى رغم أثرها الهائل فى مجال الدرس والتعليم والرواية والدراسة لم يخل أثرها من مؤلفات فى شتى المجالات التى تتصل بالحديث الشريف والسنة النبوية الكريمة ومن هذه المؤلفات •

١ ــ الجامع الصحيح « صحيح البخارى » •

٢ ــ الادب المفرد ــ مطبوع •

٣ ــ رفع اليدين فى الصلاة ــ مطبوع •

٤ ــ بر الوالدين •

٥ ــ التاريخ الكبير (مطبوع)•

٦ ــ التاريخ الاوسط •

٧ ــ التاريخ الصغير ــ مطبوع

٨ ــ كتاب الضعفاء ــ مطبوع • « موجود بمكتبة الجزائر » •

٩ ــ كتاب التفسير الكبير

١٠ ــ القراءة خلف الامام « مطبوع » •

١١ ــ الكنى « مطبوع » •

١٢ ــ العلل •

١٣ ــ أسامى الصحابة •

١٤ ــ الاشربة •

١٥ الوجدان •

وهذه الكتب اما فى مجال جمع الحديث فى مجالات خاصة أو بصوره عامة أو مجال البحث عن رواة الحديث من ناحية الجرح والتعديل والتمييز بين الرواة رغم

عددهم الهائل ومجال انتاجهـــم الغزير •

صـحيح البخارى :

قال فيه العلماء بحق أنه أصح كتاب بعد كتاب الله وهو الكتــاب الذى أصبح به البخــارى أمير المؤمنين فى الحـديث وكتب له به الخـلود ورفع ذكــره مقترنا بالصحيح من حديث رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) سـماه البخارى (الجـامع الصـحيح المسـند) المختصر من حـديث رسول الله « صـلى الله عليه وسلم » وسننه وأيامه ، ولما كانت ميزته الكبرى التى اختص بهـا هى وصفه بالصحيح اشتهر بذلك اختصارا فقيـل « صـحيح البخارى » •

سبب تصنيفه :

كان البخارى خلاصـة عصره فيما يتصل بالسنة النبوية الكريمة وكان أقدر الناس على هذا العمل الجليل ، وقد طلبمنه ذلك أستاذه الجليل « اسحق بن راهوية » فى مجلس حافل بالعلماء ، فاستحث همته وقوى عزيمته •

ثم انه رأى النبى (صلى الله عليه وسلم) وهو واقف بين يديه، يذب عنه بمروحة فى يده فىالمنام ، وفسرت الرؤيا بأنه يذب الـكذب عن رسول الله (صـلى الله عليه وسلم) •

قال ابن حجـر ، فلمـا رأى البخارى هذه التصانيف(الموجودة فى عصره) واستنشـق رباها ، واستحلى محياها وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف فتحـركت همته لذلك •

وقـد استغرق انتقاء الجـامع الصحيح ستعشرة سنة ، وخرجه من ستمائة ألف حـديث ، وكان يغتسل ويصلى ركعتين قبـل أن يكتب فيه حـديثا ، ويستخير الله تعالى فى كتابته •

منهجه فى الجامع الصحيح :

لم يضع فى كتابه الا ما صـح مسنده ، واتصل بنقل العـدول الضابطين ، وخلا من الشـذوذ

والعلة واشترط أن يثبت لقـــاء الراوى من روى عنه ولو مرة اذا روى بعن زيادة فى التأكد ، وانتقى من الرجال أكثرهم صـــحبة لمن روى عنهم ، وأعرفهم بحـديثه ، وأشـــهرهم بالراوية عنه ولا ينزل عن ذلك الا فى حديث له أصل ثابت بالطـريق الأولى ، لذلك أجمـع العلمـاء كابن حجـر والنـووى والسيوطى وغيرهم على وجـوب العمل بأحاديث البخارى ، بل لقد قال ابن الصلاح ومن تابعه أن كل ماورد فى البخارى ومسلم بالاسناد المتصـل مقطوع بصحته والعـلم النظرى حاصـل بصحته فى نفس الأمـر لأن الأئمـــة تلقت ذلـك بالقبول .

وعدد أحاديث صحيح البخارى كما قال ابن حجر بالمكرر ســـوى المعلقات والمتابعات سـبعة آلاف وثلثمائة وسبعة وتسـعين حديثـا وجملـة ما فيـه من التعليق الف وثلثمائة وواحد وأربعون وأكثرها مخرج من أصـول متونه ، والذى لم يخرجه مائة وستون . — وفيها من المتـابعات والتنبيهـات عـلى اختلاف الروايات ثلثمائه وأربعـة وثمانون .

ومعنى المعلق . ما ورد بسـند غير متصل بأن حذف من أول اسناده راو أو أكثر ، وجاء به البخـارى هكذا ليبين أنه ليس من مقصـود كتابه ، وانمـا أتى به ايناسـا واستشهادا ، ولزيادة التوضيح .

وقد أكثر فى كتابه « الصحيح » من التراجم فقبل أن يذكر الحديث أو الأحاديث يذكر الترجمـة التى تناسبه كأنها شرح له أو توجيه الى بديعة فيـه ، أو معنى خفى يدرك باجهاد الذهن معه ، وغرضـه من ذلك ، كما قال الامام النـووى ، الاستنباط ، والاسـتدلال لابواب أرادها من الفقه والأصول ، والزهد والأدب والأمثال . وغيرها ، وربط كثيرا من أحاديثه بآيات من القرآن وأقوال السلف ، وما يستنبطه من روح الأحـاديث ، فكانت مفتاحا لفهم الحديث وشرحا مركزا شرح البخارى صحيحه .

وقد سمى كتـابه (الصـحيح بالجامع لجمعه كل أو أكثر مقاصد العلم الدينى وشموله لكل ما عبرت

عنه السنة من أوجه النشاط كالعقيدة والعبادة والسلوك وغير ذلك •

ومن فوائده :

١ ــ الحكم على أساس ما فيه من الأحاديث الصحيحة على اجتهاد المجتهدين تصويبا أو تخطيئا •

٢ ــ الرد على المبتدعه والزنادقة والمفسدين بما فيه من الأحاديث الصريحة الصحيحة •

٣ ــ تنشيط مدرسة الحديث وعلومه وفتح المجال للانتقاء والمبالغة فيه •

٤ ــ تدعيم النشاط فيما يتصل بلغة العرب وقواعده والاستشهاد لها وبها •

وفاة البخارى :

وفى سن الثانية والستين بعد حياة حافلة بالعلم خرج البخارى الى (خزنتك) «من قرى سمرقند» ونزل ضيفا على بعض أقربائه بعد أن أنهكه الجهاد ، وأرهقه العمل فدعا قائلا : « اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضنى اليك» وأقام فى « خزنتك » أياما فمرض حتى وجه اليه رسول من سمرقند يتلمسون منه الخروج اليهم ، فأجاب ، وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم ، فلما مشى عشرين خطوة أو نحوها الى الدابة ليركبها ، قال : أرسلونى ، فقد ضعفت ، فتركوه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى •

وكان ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ بعد أن ملأ الدنيا نورا بأحاديثه عن النبى (صلى الله عليه وسلم) وترك الأثر الخالد الذى ينير الطريق أمام البشرية ويهديها الى الصراط المستقيم •

دكتور الحسينى هاشم

الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

المنحى الإسلامي عند العقاد

للدكتور / محمد رجب البيومي

يحــــار الكاتب حين يدرس اسلاميات العقاد ، لانه الكـــاتب الكبير متعدد الثقافـــة ، متنوع المواهب ، غزير الانتاج فى اتجاهات كثيرة ، تصل من قريب أو بعيـــد بالحقل الاسلامى الذى أولاه أكبر اهتمامه ، فأثمر فى روضة دوحـا يانعا يؤتى أشهى الثمار ، وينفرد بسمات خاصة لا تتاح لسواه .

لم يعرف عن الكاتب الكبـــير الاستاذ عباس محمود العقـــاد انحراف دينى فى كل ما كتب عـلى امتداد عمره السعيد ، بل كان قلمه بمنجاة مما تورط فيه بعض الكبار من زملائه حين أخذوا فى شبابهم الاول ببعض بهارج الاستشراق ، وحين رحلوا الى أوربا فى عهد كانت فيه سيدة الشرق ومصباح النـور عند قوم ، فنقلوا بعض ما يسمعون منبهرين ، وفيما نقلوه مـا ينحى باللائمة ظلما وافتراء على الاسلام كان الاستاذ العقاد منذ نشـــأته الاولى بمنجاة مما تورط فيه هؤلاء ، لان فطرته الصافية قد هدته الى الطريق القويم فكان يقرأ فى كـل اتجاه لا ليكون أسيرا لما يقرأ ، بل ليصبح صاحب الرأى الاول فيما يطالع ، لم تخدعه الاسماء المجلجلة ، ولم تعشـه الانوار الفـاتنة ، بل عرف كيف يميز الخبيث من الطيب عن فطرة خالصة يمـــدها البصر الثاقب ، والفكر المطمئن السديد .

لقد اتجه فى مطلع حيـــاته الى الفكر الادبى ثم الى النضـــال السياسى ؛ ولم ينذر نفسه للدفاع عن حقائق الاسلام منذ ملك اليراع

القوى ، والبيان الصارم النافذ ، ولكنه كان فى هذه المرحلة يستحصد ويقوى ويكابد ويعـالج حتى اذا بلغ أشده ، وجاوز الاربعين شـاء الله له أن يلج المضمار الاسلامى وقد ملك قوة العقل ، وسـطوة البيان ، مع ايمان مطمئن لحقائق الاسلام ، ايمان تغـذى بالحب والصدق والاستقلال والنزاهـة ، واذا وجدت هذه الصفات مع عقل مفكر ، وخاطر واثب ، وبصر لامح فلا عجب أن يبدع صاحبها فى حقل الثقافة الاسلامية ما أبدع عباس محمود العقاد .

بين الرافعى والعقاد :

عرف اتجاه العقـاد فى المنحى الاسلامى منذ كتب نقده لاعجـاز القرآن الذى ألفه قريعه المبـدع الاستاذ مصطفى صادق الرافعى رحمهما الله ، فقال فيما قال «فليكن كتابه (الرافعى) نموذجا فى البلاغة البدوية أو تسـبيحا بالآيات القرآنية . أو تحية يقرأها المسلم فيرتاح اليها ، ويقرأها غير المسلم فلا تزيده بالقرآن علما ، ولا تطرق من قلبه أو عقله مكان الايمـان والتسليم » (١) واذا كان فى هـذا القول بعض الشطط حين جعـل كتاب الرافعى نموذجا للبـلاغة البدوية وحدها : مع أنه نمـوذج البلاغة العربية فى أرقى عهـودها الزاهرة ذات الحضارة المثمرة ، فان منحى العقاد فى اقناع غير المسلم ، هو الهدف الذى يجب أن يوضـع صـوب العينين لـدى كل كـاتب اسلامى ، لان العقاد يـرى أن الاسلام رسالة عالمية ، ويجب على من يكون من فرسانها أن يخاطب العقل البشرى كافة بمنطق العقـل وحده ، لذلك جاءت كتابة عبـاس محمود العقاد الاسلامية مقنعـة هادية لمن يتلمس الحقيقة الخالصة بعيدا عن التحيز ، وكان الفكـر الاسلامى على يد العقاد صـالحا للرواج فى آفاق بعيدة تتنكـر للاديان بعامة ، وللاسلام بخاصة ، وأعنى بالرواج دوام النظـر

---

١ ــ ساعات بين الكتب ص ١٠ ط ٤ .

والتأمل ، وان لم يدفع الى الاعتناق لان الايمان لدى الكثيرين ليس قضية اقتناع بالدليل ، ولكنه ارث يمتد من الاجداد الى الاحفاد لدى الكثرة الكاثرة الا من استضاء بمصباح التأمل بعيدا عن الجواذب والحوائل ، ومن يكتب له الهداية من هؤلاء يكون فى تأثيره واحدا بألف ! لقد كتب العقاد مؤلفاته الاسلامية جميعها وفى اعتقاده أن قارئه لجوج « ملحاح » يريد الدليل المقنع ، والمنطق الجاد، ويتربص بالثغرات والمنعرجات ليصل منها الى ما يريد من العناد ، فكانت هذه المؤلفات جميعها نمطا من الجدل الهادف ، ذى الحسم الواضح ، وقد ذكر الكاتب الكبير فى مقدمة « عبقرية محمد » أنه يكتب عن رسول الله بالقدر الذى يطمئن اليه المسلم وغير المسلم ، فاذا أنس القارىء من كاتبه بسطا فى الجدل ، وعمقا فى النقص ، وتلمسا للسيطرة الملزمة ، فليعرف أنه فارس فى ميدان ينازل فرسانا ملئوا الساحة بالضجيج عن غرض مريض •

ولسنا هنا فى مجال السرد لمؤلفات العقاد الاسلامية وقد ناهزت الاربعين كتابا ، يحتاج كل كتاب منها الى بحث مستقل، ولكننا نسلط الاضواء على اتجاهه الفكرى فى الطريق الاسلامى ، حين نختار من هذه المؤلفات ما يقرب فكره الدينى تقريبا ملموسا لمن أراد الاطلاع السريع ، وقد تحدث الكاتب الكبير عن حقائق الاسلام فى عدة مؤلفات، وعن أباطيل خصومه فى مؤلفات أخر على التفصيل ، وان تعرض لهذه الاباطيل اجمالا فى حديثه عن حقائق هذا الدين ، كما تحدث عن حالة الاسلام المعاصر مقارنا بما كان من مجده السالف ، وعزه الغابر ، ومتطلعا الى مستقبله المشرق باذن الله ، أما حديثه عن أعلام الاسلام فقد اشتهر اشتهارا ذائعا اذ كان ولايزال موضع الدراسة لطلاب التعليم الثانوى فى مدى فسيح ، وقد حظى من التقدير والاحتفاء بما لم يحظ به جانب آخر من جوانب الحقل الاسلامى ، لان حديث الاعلام ذو جواذب وجدانية تجعله أكثر بريقا ، وليس

معنى ذلك أنه يفوق فى مادته العلمية شتى الجوانب الاخرى ولكن معناه أن الحظ السـعيد قد مضى به الى أفق فسيح •

وسنختار فى مجال الحديث عن حقائق الاسلام ماكتبه تحت عنوان (حقائق الاسلام وأباطيل خصومه) وتحت عنوان (الفلسفة القرآنية) وتحت عنوان (التفكير فريضـة اسلامية) لان هذه البحوث تدور فى فلك واحد ، وبعضها مكـرر معاد ، ولكن تكرار العقاد لا يعنى اعادة السابق كما مر ، ولكنه يعنى التفصيل للمجمـل والتوضـيح للغامض ، والايجـاز للمسهب ، لدواع يتطلبها موقف دون موقف ، والنظرة الفاحصة لكتاب (حقائق الاسلام) تدل على أنه كتبه للخاصة أولا ، وقد تملكه شعور بأن كتابه سيترجم الى عدة لغات (وهـذا ما قام به المؤتمر الاسلامى فعلا) وسيقرؤه نفر كثير من خصـوم الاسلام ، وفى هؤلاء الخصوم من يرتفع بذكائه الى مستوى سقراطى بحيث لايعييه أن يمارى فى سطوع الشمس اذا شاء ، لذلك نجد الطابع الفلسفى الرصين يعم هذا الكتاب الثمين فى كل ما تعرض له الكاتب الكبير من بحوث ، نجده فى الباب الاول حين تحدث عن حقيقة الدين، وعن ضرورته اللازمة فى الحياة ، فذكر أن أكبر الشـبهات التى تعترض عقول المتشككين والمفكرين شبهتان ، هما شبهة الشر ، اذ لا يستطيعون التوفيق بين وجـود الشر فى العالم ، وبين الايمان بالله رحيم قدير فى جميع الصـفات ، وشبهة الخرافة فى كثير من العقائد الدينية حين تعجز بعض العقـول عن التوفيق بين العقـائد وبعض المحسوسات والمعقولات ، والمدار مدار فلسفى جاد سبق فيه الباحث سبقا يعتمد على الحجة العقليـة والنقاش المفحم ، وقارىء هـذا الفصل يجده دفاعا عن حقيقـة الاديان السماوية بعـامة ، وعن الاسلام بخاصة باعتباره الصورة الصحيحة لدين الله منذ نزل مـن السماء الى الارض ، وقد اكتمل اكتمالا وضيئا على يد محمـد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، وقد أصاب الكاتب مفصل الحـق

حين وازن بين الاسلام وغيره ، فذكر أن الديانة (أى ديانة) تفضل سواها بمقدار شمولها لمطلب الروح وارتقاء عقائدها وشعائرها فى آفاق العقل والضمير ، وكـذلك كانت الديانة الاسلامية كما آمنا بها ، ملة لا تفضلها ملة فى شمول حقائقها ، وخلوص عبادتها وشعائرها من شوائب الملل الغابرة حين حرفت عن مسارها الصحيح ، اذ أن بعض العقائد يصيب النفس بما يشبه داء الفصام لانه يقسم الشخصية الانسانية على نفسها ، ويمزق الضمير الحائر بين نوازع الجسد ، ونوازع الروح ، وبين سلطان الارض وسلطان السماء ، وبين فرائض السعى ، وفرائض العبادة ؛ وشمول العقيدة الاسلامية هو الذى يعصم ضمير المسلم من هذا الفصام الروحانى ، وهو الذى يعلمه أن يرفع رأسه حين تدول دولته أمام المسيطرين عليه ، وهو الذى يحفظ كيان الدولة الاسلامية أمام الضربات التى تلاحقت عليها من غارات الفاتحين والاستعمار والحروب الصليبية والتبشير .

ثم أفاض الباحث افاضة مشبعة عن العقيدة الالهية فى الاسلام فوازن بين الاله فى رأى افلاطون وأرسطو مبينا خطأ الاثنين معا وهما من أصحاب العقول المثالية ؛ واستعرض عقائد الهنود والمصريين منتقلا الى ما يدين به أهل الكتاب فى افاضة واشباع لينتهى الى أن الله رب العالمين فى الاسلام لم يكن صورة محرفة من صورة الله فى العقائد الكتابية كما يوحى بذلك بعض المبشرين بل كان هو الأمل الذى يئوب اليه من ينحرف عن العقيدة فى الاله الكامل كأكمل ما كانت عليه ، وكأكمل ما ينبغى أن يكون .

ووالى الحديث عن النبوة فى القديم والحديث ليرى أن النبوة فى الاسلام كانت كمال النبوات وختام الرسالات عن حق صريح ثم تحدث عن الانسان والشيطان حديثا يجمل ما فصله فى كتابين مستقلين عن الموضوعين ، وخص العبادات والمعاملات بفصلين رائعين ، وجاء الفصل الثالث ليعمد

الى اللباب من حقائق التشريع ، فيتحدث عن الحرية الاسلامية والامة والاسرة والرق ، وزواج الرسول ، وحقوق الحرب فى الاسلام وحق الامام ، وقد أكثر من الشواهد والنقول عن أئمة الاسلام من المحافظين والمجددين معا ليبين أن هؤلاء الاعلام مع اختلاف مناحيهم فى التجديد والمحافظة قد فهموا جوهر الاسلام، عن ادراك واع صحيح فلم يحدث بينهم من الاختلاف ما نراه لدى بعض النحل المخالفة حين يقف المفكر من أخيه فى ساحة الدين الواحد موقف النقيض من النقيض! أما الفصل الرابع فقد تحدث عن الاخلاق والاداب حديث المثقف المعاصر ، وقد كان المؤلف صريحا حين ذكر فى خاتمة كتابه أنه لم يؤلفه ليبشر بالاسلام هؤلاء الماديين المتعطشين الى انكار كل معنى شريف من معانى الحياة البشرية ، ولكنه كتب هذا المؤلف للمتدين المنصف الذى ينظر الى دينه نظرة واعية ثم للمسلم الذى يتلقى حملات الخصوم ليعلم أنه حقيق بالاطمئنان الى حقيقة دينه ، وبمواجهة المستقبل بعزيمة وايمان •

أما كتاب الفلسفة القرآنية فقد تحدث عن أكثر ما جاء فى كتاب الحقائق ، وهو حديث اذا اتفق فى النتائج والنصوص والاحداث التاريخية قد اختلف فى السياق والتركيب وتعدد التناول النظرى للحقائق ، وقد ذكر العقاد أنه فى كتابه هذا بين صلاح العقيدة الاسلامية لحياة الجماعة البشرية ، وأن الجماعات التى تدين بها انما تستمد حاجتها من الدين الذى لا غنى عنه ، ثم لا تفوتها منه حاجتها الى العلم والحضارة ولا استعدادها لمجاراة الزمن حيثما اتجه بها مجراه •

وقد جاء الباب الاول ليتحدث عن القرآن والعلم ليوضح أن الاسلام يفتح أبواب المعرفة للمسلمين ، ويحثهم على ولوجها والتقدم فيها ، وقبول كل مستحدث من العلوم على تقدم الزمن ، وليست فضيلته الكبرى أنه يقعدهم عن البحث والنظر كما يزعم الواهمون • وتوالى الحديث عن

الاسباب والخلق ، وعن الاخــلاق المثلى فى منطق الاسلام ورجوعها الى المصدر الالهى وحده ، لانها فى مناطها الاعلى لاتتعلق بمنفعـــة المجتمع ، ولا باستطاعة القـــوة ، ولا بالقانون والسلطان ، بل تتعلق فوق ذلك كله بما فى الانسان مـن حب للجمال ، وشوق الى الكمال ، وكلاهما نفحة من الخالق يهتدى بها الاحياء عامة فى معارج الرفعـــة والارتقاء .

وفى الحديث عن الطبقات أوضح الباحث الكبير كيف أعطى القرآن بنصوصه المفصلة المساواة حقها ، كما أعطى التفاوت بين الاحـــاد والطبقات حده ،فلا يمتنع التفاوت، ولا يكون مع هذا ســببا للظلم والاجحاف بالحقوق بل سببا لاعطاء كل ذى حق حقـــه ، ولو كان من المستضعفين فى الجنس ، أو مــن المستضعفين فى المنزلة الاجتماعية، وقد اتسع الحديث لنقد الشيوعية نقدا واعيا بصيرا ، وهو حـديث صحب العقاد فى شتى مراحل حياته عن ثقة وايمان ، وربما كان كتابه عن (الشيوعية والانســانية فى شريعة الاسلام) من أوفى وأدق ما كتب فى موضوعه ، وهو حديث يفصح عن خلق العقاد الشـجاع قدر ما يفصح عن عقله النافـــذ البصير .

ولا نقف عندما قال عن المـرأة والزواج فى الفلسفة القرآنية اذ أن العقاد أفرد لذلك كتابا مستقلا ، ولكننا نشير الى أن قارىء هذين الموضوعين فى كتاب الفلســـفة القرآنية يشعر أن الكاتب الكبـير سيد الموقف ، وأنه حين يوجـــز الحديث يطوى من المعانى مايلحظه القارىء البصير من خلال السطور، أما حين يبسط الحديث فى الموضوع نفسه ، فأن القارىء البصير يشعر براحة نفسية اذ يجد ما استشعره من خلال الكلمات قد جاء مبسوطا مسهبا ، ومعنى الاسهاب لـــدى العقاد يختلف عن معناه لدى سواه، لان اسهاب العقاد هو استرســال فى الحجة واستطراد فى الاقناع ، واحاطة بالموضوع من كافة نواحيه وليس قطا لالفاظ تتسع وتمتد دون أن تضيف الجديد ، واذا أضافت شيئا فليس بالرائع الباهر .

الفلسفة القــرآنية :

وفى كتاب الفلسفة تقرير لحقائق قوية عن الرق فى الاسلام مقارنــا بسواه وعن العلاقـــات الدولية ومسألة الروح والقضاء والقدر ، والتصرف ، والحياة الاخرى ، وكلها بحوث عويصة لم تكتب بالسهولــة التى يظنها القارىء حين يستمرىء طعاما شهيا قد نضج عـــلى ناره الهادئة ، فيظن أن طاهيه لم يتكلف شيئا ! ولكنه لو أحاط علما بما قرأ الكاتب الكبير حين قدم هــذه الفصول من مراجع فلسفية ، ذات استعصاء ، لادرك أى عناء كان ، وطبيعى أن يكون عناء التحدث عن القضاء والقدر والروح والمــادة والحياة الآخرة والجنة والنــار وموقف الحساب والعقاب ، وأمثال هذه الشوائك الدقيقة مما يتطلب برهانا قويا ، لان العقاد لا يجعل النص وحده دليله بل يجعل العقل مفسر النص ومؤيده وهاديه ! وقد يضطر القارىء الى مخالفة الكاتب الكبير فى بعض اتجاهاته كما جاء فى بعض حديثه عن نعيم الجنــة الروحى ولكنها مخالفة من يقــدر وجهات النظر واعتماد الباحث على نصوص قويــة لأئمــة كبــار من المفسرين والمتكلمين ، بلغوا الذروة الشاهقة فى دنيا النظر الصــائب والجدل السديد ، مع مقــارنات طريفة بين ما قاله أعلام الاسلام وأحبار الديانات الاخرى تنتهى الى قول العقاد الدقيق « اذا أعطينــا أسلوب العقيدة حقه من التعبير ، ففى العالم الآخر كمــا يدين به المسلم رضا للوازع الأخــلاقى ، ورضا لدوافع التفكير ، ورضــا لعقيدة الدين » .

أما كتاب (التفكـــير فريضـــة اسلامية) فقد كتبه العقاد متأففا من قوم يدعون أنهم درســـوا الاسلام وتبطنوا حقائقه فــرأوه يدعو الى الانقياد والتسليم دون تفكير وتأمل : وهؤلاء يكذبون عن عمد حين يزعمون أنهم درســـوا الاسلام ، وانتهوا الى نتيجتهــم الباطلة ، لأن دارس الاسلام لابد أن يقف على نصـــوص القرآن والحديث وتطبيق السلف لما جــاء بهما ! وكل ذلك يدل دلالة صريحــة على أن الاسلام دين العقل ، ولكن

المغرضين من هؤلاء يبذلون أعنف الجهد فى جمع مايوحى ببعض التعارض من النصوص ، للوهلة الأولى محاولين أن يضربوا الاقوال بعضها ببعض ليجبروا القارىء على أن يعتقد أن الاسلام يقف فى طريق التفكير ، لهؤلاء وأمثالهم أعاد المؤلف الكرة ليجمع فى كتاب واحد ما يؤكد أن التفكير فريضة اسلامية محتومة ، وأن مزية القرآن الأولى ، هى التنويه بالعقل والتعويل عليه ، فالعقل لايذكر فى كتاب الله ! الا فى مقام التعظيم والتنبيه الى وجوب العمل به ، والرجوع اليه ولاتأتى الاثارة اليه عارضة ولا مقتضبة فى سياق الآية بل هى تأتى فى كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، ومن خصائص العقل ملكة الادراك التى يناط بها الفهم والتصور ، كما أن من خصائصه أنه يتأمل فيما يدركه ويقلبه على وجوهه ، ويستخرج منه بواطنه وأسراره ليعرف كيف يهتدى الى الحكم الصحيح ، والرشد من أعلى خصائص العقل الانسانى اذ هو تمام تكوينه وثمرة وجوده ، ثم يكثر الأستاذ من النصوص القرآنية الصريحة فى تأييد ذلك كله ليصل الى أن العقل الذى يخاطبه الاسلام هو العقل الذى يعصم الضمير ويدرك الحقائق • ويميز بين الأشياء ويوازن بين الأضداد حتى يصل صاحبه الى مرتبة الحكمة (**ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا**) •

وفى باب الواقع والأعذار تحدث الكاتب عما يمنع أشعة العقل من النفاذ الى الحقائق ، وأكبر هذه الموانع عبادة السلف فى عرفها السائد ، والاقتداء الأعمى بأصحاب السلطات الدينية ، والخوف المهين من أصحاب السلطة الدنيوية ، والاسلام يأبى على المرء أن يحيل أعذاره على السلف من الآباء والأجداد ، كما يأبى له الخضوع الى ذوى الكهانة من المحترفين ، ويدعو المسلم الى الجهاد والهجرة فرارا بعقيدته من الاضطهاد ، وصفوة القول — فى منطق العقل — أن الاسلام لا يعذر العقل الذى ينزل عن حق الانسان رهبة للقوة

أو استسلاما للخديعة ولا حدود لذلك الا حدود الطاقة البشرية كما تنهض بها الأمم دون أن تقتصر على طاقة فرد •

عن المنطق :

وفى مجال اكبار العقل تحدث الكاتب عن المنطق باعتباره جامعا لأسباب النظر والتمييز ، وقد فرق فى دقة بالغةبين المنطق والجدل ، فالمنطق فى أصل وضعه علم يبحث عن الحقيقة منطريق النظر المستقيم والتمييز الصحيح ، أما الجدل فيبحث عن الغلبة والالزام بالحجة وقد يتحرى مجرد السبق والفوز فى مجال المناقضة دون نظر الى الحق فى ذاته ، وكل ما يشير الى كراهة المنطق فى بعض أقوال الأئمة من السابقين يختص بالجدل وحده ، لأنه فى كثير من أموره لجاج وعناد وتطاول ، أما المنطق العاصم من الشبهة ، والمانع من الخطأ ، فلن يكرهه أحد ، وقد استشهد العقاد بنصوص صريحة للغزالى وابن تيمية والسيوطى تعضد دعواه ثم جال القلم الجبار جولاته الموفقة متحدثا عن الفلسفة والعلم والفن الجميل ، وعن المعجزة والاجتهاد فى الدين وعن فنون تتعلق بالتصوف والمذاهب الفكرية والاجتماعية والعرف والعادات ، لينتهى الى أن التفكير الصحيح واجب محتوم فى الاسلام ، وليقول انه ليس من روح الدين الحنيف أن يجمد المؤمن على عادة موروثة لأنها عادةموروثة فحسب ،وليس من روحه أن يرفض عادة جديدة لأنها عادة جديدة فحسب ، ولكن المسلم يعتصم من روح الاسلام بحصافة تعيذه من سحر الغلبة ، فلا تهوله بروعتها ، وتلك مفخرة للاسلام تتمناها الامم متى اختارت لنفسها الصراط القويم •

دكتور

محمد رجب البيومى

منهج الحكيم الترمذى

فى الحديث والفقه

للدكتور / محمد ابراهيم الجيوشى

— ٢ —

(ب) الحكيم المحدث :

ظهرت عناية الحكيم الترمذى بالحديث منذ صباه الباكر ، فقد كان ابوه — محدثا ، وروى عنه احاديث كثيرة فى كتبه المختلفة ، وقد كانت امه كذلك ذات اهتمام بالحديث ، وروى عنها حديثا فى كتابه الرد على المعطلة (١) وكذلك كان جده ولعله جده لامه ، هذا الجو الأسرى العام الذى أحاط بالحكيم منذ صغره لفت نظره منذ الصبى الى طلب الحديث رواية ودراية ، وقد أخذ عن كثير من شيوخ المحدثين فى عصره ، وقد تبين من تتبع شيوخهمن المحدثين انهم بلغوا السبعين ومائة ، وان دل ذلك على شىء فانما يدل على مدى العناية والاهتمام اللذين أولاهما الحكيم لعلم الحديث ، وليس عجيبا بعد ذلك أن يقلب بالمحدث فقد اضفى عليه ذلك الوصف كثير من الذين ترجموا له ، ويصفه الذهبى فيما يصفه بقوله « الحافظ » (٢) وقال عنه أبو نعيم : كتب الحديث مستقيم الطريقة ، يرد على المرجئة وغيرها من المخالفين ٠ تابع للآثار (٣) ويقول عنه السلمى : كتب الحديث الكثير ورواه (٤) ٠

---

(١) مخطوط الاسكندرية ورقة ٨٨ ب ٠
(٢) تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ١٩٧ ٠
(٣) حلية الاولياء جـ ١٠ ص ٢٣٢ طبع الخانجى ٠
(٤) طبقات الصوفية ص ٢١٧ تحقيق شريبة ٠

وقال عنه ابن السبكي : المحدث .. سمع الكثير من الحديث بخراسان والعراق (١) وقد نقل ابن حجر ما قاله عنه ابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد فقال : كان اماما من أئمة المسلمين ، له المصنفات الكبار فى أصول الدين ومعانى الحديث وقد لقى الأئمة الكبار وأخذ عنهم ، وفى شيوخه كثرة (٢) .

وقال عنه شارح الرسالة القشيرية : انه من أقران البخارى وفى شيوخه كثرة (٣) وقد أخذ عنه الحديث جماعة من علماء خراسان رووا عنه كتابه المشهور .. نوادر الاصول فى معرفة أخبار الرسول.

وقد انعكس المام الحكيم الشامل بالحديث رواية ودراية علىطريقة تفكيره وهيأ له اطلاعه الواسع على الحديث مادة غزيرة يشرح بها آراءه ، ويقرر أفكاره فى التصوف ، ولا يخلو كتاب من كتب الحكيم من مجموعة من الاحاديث مروية بأسانيدها بل لا تخلو صفحة مما كتب من حديث أو أكثر يرويه فى تأييد أو شرح الفكرة التى يتناولها ويحاول تجليتها ، وبالاضافة الى هذا فقد ترك كتبا تقوم أساسا على الحديث جمعا ورواية أو رواية ودراسة وهذه هى الكتب التى خصصت بأكملها للحديث أو كانت دراسة لأحد موضوعاته :

١ — المنهيات وكل ماجاء من حديث بالنهى — مخطوط
٢ — نوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول — مطبوع
٣ — الفرق بين الآيات والكرامات — مخطوط
٤ — الامثال من السنة جزء من كتاب الأمثال من القرآن والسنة (مخطوط) .

والمستعرض لآثار الحكيم فى الحديث يرى أنه لم يسلك الطريق

---

(١) طبقات الشافعية جـ ٢ ص ٢٠ الطبعة الاولى .
(٢) لسان الميزان جـ ٥ ص ٣٠٨ طبع حيدر آباد .
(٣) شرح الرسالة القشيرية وشرحها المسمى نتائج الافكار القدسية جـ ٢ ص ١٦٤ .

التى تعارف عليها المحدثون من قبل والتى تقوم على جمع الأحاديث وانتخابها وتبويبها ، بل اتجه اتجاها آخر نابعا من منهجه العام الذى أخذ به فى تآليفه القرآنية ، ذلك أنه كان يعمد الى موضوع من الموضوعات فيستوعب الأحاديث التى جاءت فيه ، ويحشدها جميعا فى كتاب واحد حتى لا يدع مجالا للشك فى صحة ما يدعو اليه ، وأحيانا يكون عمله قاصرا على جمع الأحاديث فقط من غير أن يتبعها بشرح واستنتاج كفعله فى كتاب الرد على المعطلة ، الذى حشد فيه كل ما وقع عليه من أحاديث ترد ما ذهب اليه المعتزلة من قولهم بنفى الصفات وتؤيد وجهة نظر أهل السنة الذين يثبتون الصفات لله سبحانه ، وأوضح أن موضوع الكتاب داخل فى علم الكلام وهو اثبات الصفات أو نفيها ، ولكن الجهد الذى بذل فى جمع الأحاديث وروايتها بأسانيدها هو جهد محدث .

اما المجموع الثانى فهو ، كتاب المنهيات وكل ماجاء من حديث بالنهى فالذى يوحى به عنوان الكتاب ان الحكيم عمد الى طائفة من الأحاديث التى تناولت امرا منهيا عنه وحشدها جميعا فى سياق واحد ، الا أنه اتجه هنا الى احصاء الامور المنهى عنها مبينا أسباب النهى كاشفا عن الاضرار التى تلحق بالشخص اذا ما خولفت هذه المنهيات ، وعمله هنا على العكس من المجموع الأول ، فهناك ترك الأحاديث تعطى القارىء ما يريد المؤلف أن يقوله بدون تدخل منه بشرح أو استنتاج ، وهنا يتدخل شارحا موجها معللا لماذا كان النهى عن أمر من الامور .

أما المجموع الثالث فقد طبع فى تركيا منذ حوالى تسعين عاما وبالتحديد سنة ١٢٩٣ هـ وقد عمد الحكيم فى هذا الكتاب الى جمع مائتين وواحد وتسعين حديثا اعتبر كلا منها أصلا من الأصول التى يحتاج اليها المسلم فى سلوكه وسعيه ومعاملاته وعباداته، وهو هنا يأتى بالحديث ثم يأخذ فى شرحه شرحا وافيا مستفيضا

يستخلص منه ما يراه من معـــان وأسرار ، وفى شرحه هذا يخوض فى كل المعارف الدينية الظـــاهرة والباطنة . ويكشـــف عن أسرار النفس والقلب وجوهر العبـــادة والســـلوك ، وينتقـــل بين أنواع العلوم من فقه الى تفســـير الى توحيد الى كشف عن خبايا النفس وأسرار القلوب ، وأنواع المعارف والعطايا الالهيـــة ، والاتجـــاه الصوفى فى كل هذه المجالات هـــو الميزان الـــذى يزن به الأمـــور ، ويحـــكم به على ســـير القلـــوب وسيرها ، ومن خلال عرضه لهـــذه الأصـــول قـــد ألم بكل الأفكـــار الصوفية التى أخـــذ على عاتقـــه تجليتها والابانة عن مراميها مثـــل الولاية والأوليـــاء ، وطبقـــاتهم والوحى ، والحديث ، والالهـــام ، والفراسة ، وما الى ذلك ممـــا لا يسمح المجال هنا بحصره .

موقف الحكيم من قبول الحـــديث أو رفضه :

وللحكيم رأى فى قبول الحديث أو رفضـــه جاء به فى كتابه نوادر الاصول فقد عقد فصلا عن صدق الحديث افتتحه بحديث يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وســـلم يقول : « اذا حدثتم عنى بحديث تعرفونه ولا تنكرونه قلته أو لـــم أقله فصـــدقوا به ، وانى أقـــول ما يعرف ولا ينكر ، واذا حـــدثتم عنى بحديث تنكرونه ولا تعرفونه، فكذبوا به فانى لا أقول ما ينـــكر ولا يعرف » وفى اتيان الحكيم لهذا الحديث فى صدر الأصل ٤٤ ما يدل على رأيه فى تقـــويم الأحـــاديث ودورانها بين القبـــول والرفض ، فهو يرى أن الحـــديث الذى يقبله العقل ويستسيغه تصح نسبته الى النبى صلى الله عليه وسلم قـــاله أو لم يقله ، وأما ما يرفضه العقل ويأباه فلا يقبل نســـبته الى النبى صلى الله عليه وسلم والمبدأ الذى قرره الحكيم فى مجمـــوعه مقبول الا أن المشـــكل فيه قوله « قلتـــه أو لم أقله » فكيف يطلب التصديق بنسبة حديث الى النبى وان كان لم يقله ، ؟ ويبين الحكيم هـــذا فيقول :

أن الرسول وان لـــم يقل لفظ

الحديث المروى الا أن أصله ومعناه وارد عنه قطعا ، ما دام ليس فيه ما يصادم العقل ، وقد جعل المقياس فى ذلك اطمئنان القلب لما يروى وعدم اطمئنانه •

ثم أخذ فى تطبيق هذا المبدأ بأن أورد عددا من الأحاديث المقبولة لتلقى القلب لها بالقبول ، وعددا من الأحاديث المرفوضة لموقف القلب منها •• موقف الرفض والانكار (١) وقد يقوى وجهة نظر الحكيم هنا الحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يقول فيه :

« استفت قلبك وان أفتاك الناس وأفتوك » •

(ج) الحكيم الفقيه :

لم ينتسب الحكيم الى مذهب من مذاهب الفقه الاسلامى المشهورة وان كان ابن السبكى فى كتابه طبقات الشافعية قد عده من علماء الشافعية ، ولكن المتتبع لكتابات الحكيم فى حقل الفقه لا يجد فيها اشارة من قريب أو من بعيد الى انتسابه لهذا المذهب أو ذاك ، وتجد فى بعض رسائله نقدا لاذعا لطائفة من الفقهاء يستغلون معارفهم الفقهية لنيل مغنم دنيوى ، أو الحصول على كسب مادى ، وهذا النقد نابع من اتجاهه العام الذى يرى أن المعرفة لابد أن تنعكس آثارها على منهج العالم وسلوكه ، والعلم النافع هو الذى يهدى صاحبه الى الطريق الموصل الى الله سبحانه ومعرفته، وقد عاب الحكيم أصنافا من العلماء يفنون حياتهم فى دراسة خلافات الناس ومشاكلهم لأن ذلك يشغلهم عن الهدف الاول للمعرفة وينعكس أثر هذه المشاكل على سلوك الدارسين لها حتى أنهم لا يجدون لانفسهم فرصة للتدبر والتمعن فى آيات الله والاهتداء بهدى النبى صلى الله عليه وسلم خلال أقواله وأفعاله ولذلك تظلم قلوبهم وتقسو فلا تستشعر برد الهدى • ولا تبصر ضياء المعرفة ، وقد ذكر

---

(١) نوادر الاصول الاصل ٤٤ ص ٥٩ •

الحكيم أصحاب أبى حنيفة كأمثلة لهؤلاء الصنف من العلماء الذين يضيعون اعمارهم فيما لا ينفع من العلم ولا يهدى صاحبه الى الحق، وقد ذكر طائفة من المسائل التى تبين عن هذا المذهب المذموم ، وتعتبر استغلالا سيئا للعلم ، وسماها المسائل العفنة ، حشد فيها طائفة من الأمور التى يلجأ الفقهاء فيها الى استعمال الحيل للخروج ظاهريا من الالتزامات المترتبة على هذه الاحكام سواء كانت التزامات أدبية أو مادية ، ويقصد بعرضها مجتمعة أن يعطى أمثلة لسوء استغلال المعرفة بالأحكام الفقهية.

وقد كتب الحكيم عددا من الكتب والرسائل تتصل مباشرة بموضوعات فقهية الا أن الملاحظ عليها عامة أنه يعنى أولا بابراز الآثار والاهداف الروحية التى تعود على المرء من القيام بألوان العبادات المختلفة بصرف النظر عن التفريعات التى أولاها الفقهاء عناية خاصة •

وثانيا يحاول أن يكشف عن العلل التى من أجلها جاءت العبادات على الصورة المعروفة وثالثا : يبنى أغلب هذه التعليلات على ماجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من أحاديث تتعلق بالموضوع الذى يناقشه •

رابعا يتحدث عن الآفات التى تعطل هذه العبادات عن تحقيق الأهداف الروحية المقصودة والآثار النفسية المترتبة عليها •

العالم •• والفقيه

وليس عسيرا على الدارس أن يلمس سيادة التفكير الصوفى على هذا الجانب من كتابات الحكيم كما هو الحال بالنسبة للجوانب الأخرى ، والحكيم يرى أن هناك فرقا بين العلم والفقه وبين العالم والفقيه •

« فالفقه هو معرفة الشىء بمعناه الدال على غيره ، والعلم هو تجلى الأشياء له بنفسها ولذلك يوصف الله تعالى بالعلم ولم يوصف بالفقه (١) » والذى يفهم

---

(١) مخطوط ليبزج ورقة ٦٦ •

مراد الله فى الأشياء حسب ما يمنحه من توفيق فى تعظيم أمره سبحانه واجتناب نهيه هو الفقيه فى أصول الدين وفروعه •

والفقه فى الحقيقة هو فقه القلب • كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « رب حامل فقه الى من لا فقه له ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه » •

والفقه فى الدين هو النور الذى يقذف الله تعالى به فى قلب عبده المؤمن مثل السراج يبصر به ، والفقيه الذى نور الله قلبه بنور البصر ، هو الذى أشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : اذا أراد الله بعبد خيرا فقهه فى الدين، وبصره عيوب نفسه وبصره بداء الدنيا ودوائها ، واستنباط الفقيه فى الاحكام هو استنباط المسائل على موافقة السنة واقامة الشريعة، واستنباط الفقيه فى باطن العلم هو استنباط الخواطر على موافقة الحقيقة ومشاهدة الربوبية ويتضح الفرق بينهما فى استنباط معنى فى الباطن والظاهر لآية ما يوجب ظاهرها حكما ويكون تحت ظاهرها من العبارة التى فى باطنها اشارة وعلم فيستنبط الفقيه ما يوافق حجة الله تعالى ، ويستنبط الحكيم ما يوافق مراد الله تعالى ، ويهدى الى محجته (١) •

ولهذا يرى الحكيم أن ادراك علل العبادات انما يأتى من طريق الحكمة التى يمنحها الله عباده (٢) •

ومؤلفات الحكيم فى الفقه وفلسفته وأصول أحكامه هى :

١ — اثبات العلل فى الامور والنهى مخطوط ولى الدين وخراجى اوغلو •

٢ — الحج وأسراره مخطوط بباريس • وطبع أخيرا بمعرفة حسنى زيدان •

٣ — سبب التكبير للصلاة مخطوط خراجى أو غلو •

٤ — شرح الصلاة ومقاصدها

« البقية على صفحة ١٠٩٣ »

(١) بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩

(٢) اثبات العلل مخطوط ولى الدين ورقة ٣٨ •

طرائف .. ومواقف

إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

خشية من رسول الله

بكى عمرو بن العاص قبيل وفاته !! •

فقال له أحد الحاضرين : ما يبكيك أجزعاً من الموت ؟ •

فرد قائلا : لا جزعاً من الموت ، ولكن خشية من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — •

اذا لقيته أن أكون قد قصرت فى عهده ، أو ظلمت أحدا من عباد الله ، وقد أسلمت وما استطعت أن أملأ عينى منه حياء واجلالا فكيف أقابله فيسألنى عن أمته ، وقد أكون نسيت أو أخطأت •

---

٥ × ٥

وضع الله — سبحانه وتعالى — خمسة فى خمسة :

العز فى القناعة ، والذل فى المعصية ، والهيبة فى قيام الليل ، والحكمة فى بطن جائع ، والغنى فى ترك الطمع •

مراتب الذكر

قال بعض المفسرين فى تفسير قوله تعالى : « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات .. »

الظالم لنفسه : هو الذاكر بلسانه فقط .

والمقتصد : هو الذاكر بقلبه .

والسابق : هو الذى لا ينسى ربه .

حسن تعزية

لما مات العباس بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه ـ جلس ولده عبد الله للناس يعزونه ، فجاء أعرابى ووضع يده فى يده ، وقال :

اصبر نكن بك صابرين فانما
صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس أجرك بعده
والله خير منك للعباس

حقا

أولها عناء ، وآخرها فناء ، فى حلالها حساب ، وفى حرامها عقاب ، من أمن فيها سقم ، ومن مرض فيها ندم ، ومن استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن .

هى : « الدنيا » !!

شركة الأبدي منها

قال الامام الغزالى : تلاوة القرآن حق تلاوته هـو أن يشترك فيه :

اللسان ، والعقل ، والقلب ·

فحفظ اللسان : تصحيح الحـروف بالترتيل ، وحفظ العقل : تفسير المعانى ، وحفظ القلب : الاتعاظ والتأثر ·

فاللسان يرتل ، والعقل يترجم ، والقلب يتعظ ·

قيـل ...

امتداح المرأة قبل الزواج من قبيل العطف ، أما امتداحها بعد الزواج فهو من قبيل الضروريات للمحافظة على الهناء العـائلى ·

وصيـة فى ليلة الزفاف

قالت أعرابية توصى ابنتها ليلة زفافها :

انك فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذى فيـه درجت ، الى وكر لا تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكونى له أمة يكن لك عبدا ، واصطحبيه بالقناعة ، وعاشريه بحسن السمع والطـاعة ، ولا تعصى لـه أمرا ولا تفشى له سرا وكونى أشد الناس له اعظاما ، وآثرى هواه على هواك ·

متى الامتحان ؟ وفيم ؟

يختبر ذو البأس : عند اللقاء ٠
والأهل : عند الفاقة ٠
والاخوان : عند النوائب ٠
وذو الامانة : عند الأخذ والعطاء ٠

من هو ؟

قوام كل مائل ، وقصد كل حائر ، وصـلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ونصرة كل ملهوف ٠
يسمع كلامه الله ويسـمعهم ، ينظر الى الله ويريهم ، ينقاد الى الله ويقـودهم كالقلب بين الجـراح تصـلح بصلاحه ، وتفسد بفساده ٠

« الامام العادل »

دعاء

اللهم انى أعوذ بك : من علم لاينفع ، ومن قلب لايخشع ، ومن عين لا تدمع ، ومن دعاء لا يسـمع ، أعـوذ بك من هؤلاء الأربع ٠

عبد الحفيظ محمد عبد الحـليم

بقية موضوع ترشيد الانفاق

أما بالنسبة للشراب فقد حرم الاسلام شرب الخمر وما اشتق منها وما شابهها وقد جاء تحريم الخمر فى قوله تعالى : « **انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » سورة المائدة آية ٩٠ •

*** التوسط والاعتدال فى الانفاق على الاستهلاك :**

يهدف النظام الاقتصادى فى الاسلام الى تحقيق رفاهية المجتمع ودعم قدرته الاقتصادية بصفة مستمرة حتى يتمكن من تحسين مستويات المعيشة ، ولا يمكن أن يتحقق ذلك الا بالاعتدال والتوسط ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول « **خير الأمور أوسطها** » (١) •

ويقول الله تعالى « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** » سورة الاسراء الآية ٢٩ يقول العلامة ابن كثير فى تفسيرها يقول تعالى آمرا بالاقتصاد من العيش ذاما للبخل ناهيا عن السرف « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك** » أى لاتكن بخيلا منوعا لا تعطى أحدا شيئا « **ولا تبسطها كل البسط** » أى ولا تسرف فى الانفاق فتعطى فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوما محسورا أى فتقعد ان بخلت ملوما يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك» •

وقال صلى الله عليه وسلم « **كل واشرب والبس وتصدق فى غير سرف ولا مخيلة** » « أخرجه أبو داود وأحمد » •

وهذا الحديث يدل على تحريم الاسراف فى المأكل والمشرب والملبس والتصدق ، فهو جامع لفضائل تدبير الانسان نفسه ، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد فى الدنيا والآخرة •

مجدى عبد الفتاح سليمان

---

١ ــ احياء علوم الدين ــ للامام الغزالى جـ ٣ ص ٥٦ .

من حضارة الإسلام

الشعوبية أمس واليوم

للأستاذ / السيد حسن قرون

هل الشعوبية التي نراها اليوم هي الشعوبية التي تسعرت نارها ابان العصر الاسلامي والعصر العباسي أو هي شيء آخر ؟

سؤال تجيب عنه الأحداث من القديم والحديث ، فما نراه اليوم من تفكك وانقسام ، وتمزق واصطدام في العالم العربي والاسلامي وما أداه الانقسام من تخلف حضاري ، وبعد عن مقتضيات الايمان ، وانحراف عن المثل العليا وغيرها يدفعنا الى التفكير في المصير ، والخوف من الضياع ، وكفانا أن مواردنا الطبيعية من نبات وشجر وبترول وحيوان لا نستفيد منها الا بمعرفة الدول المتقدمة ، ولا تزيدنا الأحداث الا تباعدا وتماديا في الخصام والصدام كأننا لم تكن لنا دولة اسلامية يقول أحد خلفائها وقد رأى السحابة اذهبي كيف شئت فان خراجك راجع الينا .

ومعروف وموصوف أن الاسلام حين ظهر في الجزيرة العربية بالوحي المنزل على خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وهو من أشرف أرومة ، وأطهر جرثومة كان من أوضح مبادئه وأجل تعاليمه المساواة التامة بين البشر ، وأن الناس يتفاضلون بالأعمال الصالحة لا بالاباء والاجداد ، ويقول : الناس سواسية كأسنان المشط . لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى ، وهو في هذا مستجيب لقول ربه في القرآن الكريم : « ان

أكرمكم عند الله أتقاكم » وبهـذا الروح العظيم حمل أصـحابه الدعوة بعده الى مشـارق الارض ومغاربها ، وبدءوا بأهل الجـوار رغبة فى انقاذهم من الفسـاد والارتفاع بهم الى عبـادة رب العالمين حتى ينجوا من عذاب النار التى وقودها النـاس والحجارة ، واسـتجابت الشـعوب المفتوحة للدعوة ، وغمرهم نور أضاء ما بين أيديهم وما خلفهم فسـاروا على النهج القويم ، والصراط المستقيم ، ونعموا بالاخوة الاسـلامية ، وشـاركوا فى النهضـة العلمية والادبية ، وصـاروا من تراث الاسلام نذكر علم علمائهم ، وشعر شـعرائهم ، وبطولة المجاهدين منهم ٠

ولما كانت الدولة الاسـلامية تحتضن شعوبا وأجناسا لها تاريخ وحضارة فقد ظهر من تلك الشعوب أناس أسـلموا ولم يملأ الايمان قلوبهم فمالوا الى التعصـب لشـعوبهم وأجناسهم وأوهام تاريخهم ٠ فاضـطغنوا العداوة للعـرب وعملـوا على الحط من شأنها ، مع أن النبى صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة العامة رمى مبغض العرب بالنفـاق فى حديث جرى بينه وبين سلمان الفارسى ، لان العرب حملوا النور الى غيرهم ممن يعيشون فى الظلام ، والعدل لمن جار عليهم الحكام ، والسعادة لمن غشيتهم الشقاوة ٠ ولم يظهر منهم أثناء الفتح ولا بعده ما يثير العداوة والبغضاء ، ولا ما يفرق بين المسلم والمسلم ، وليس ببعيد أن يكون الذى جرى كان من تدبير أعداء الاسلام آن ذاك من الروم واليهود والحسـاد لتلك الدولة الناشـئة التى اكتسحت الجيوش والجحـافل التى أرادت وأدها فى مهدها ، وفى مدة قصيرة أقل قرن من الزمان خفقت رايتها على نصف المعمورة ، فعاش فى ظلهـا فى دار الاسلام الناس من جميع الأجناس فى اسـتقرار وحياة آمنة مطمئنة يأتيهم الرغـد من كل مكان ، وهل هناك أجمل من المساواة بين الراعى والرعية ، وما يجرى على الصغير يجرى على الكبير ، تحكمهم وتحفظ كرامتهم شريعة سـماوية عادلة ،

فليس فيها فاضل ولا مفضـــول ، ولا سيد ولا مسود ، مبدأ لا يرجع فيه الى العـــرق أو النســب فالأعرابى الفزارى هو وجبلة بن الايهم فى الامية ســواء ، يقتص من الملك للســوقة ، ويغضـب الخليفة عمر بن الخطاب من واليه عمرو بن العاص لان ابنــه أهان مصريا فيقول له : متى استعبدتم الناس وقد ولـدتهم أمهـــاتهم أحرارا ؟ ويأمر بالقصاص من ابن الأكرمين • فلم الشـــعوبية اذن والعدل قد عم الجميع ؟

ويقول المؤرخون ان الفتنة بدأت باستلحاق زياد بن ســمية بأبى سفيان ، اذ جعله معاوية أخاه لأمر جرى فى جاهلية أبيه ، ولكن العرب لم تقر له بذلك لعلمهم بنسـبه • قالوا : فألف زياد كتابا ذكر فيـه مطالب العرب وألصـــق بهم كل نقيصـــة ، وليس هناك شعب مبرأ من العيــوب ، ومن فتش عن عيب وجده •

وليت الأمر وقف عند هذا الحد فهو محتمل ، ولكن الشعوبية راحوا يمعنون فى تحقير العرب بكل باطل من القول وزور ، وخلفاء المسلمين حتى فى عهد بنى أمية الذين يقال فى خلافتهم انها عربيــة أعرابيــة كانوا يغضون الطرف عن أشــياء تغضب الحليم ، وتقض مضــاجع الحكيم ، فشاعر مثل (اسماعيل بن يسار) وقد بلغ فى التعصب غايته أو على حد تعبير صاحب الأغانى أبى الفرج الأصــفهانى : « كان أصــله من الفرس ، وكانت فيهم شــعوبية شديدة وتعصب للعجم على العـــرب (١) •• » دخل اسماعيل هذا على هشـــام بن عبد الملك وهو خليفة ، وخليفة يمتد ملكه من غانة الى فرغانة الى شمال الأندلس ويعامل الشعوب جميعها بميزان الاســلام ، وهو ميزان ينهى عن التفاخر بالآباء والاجداد

---

(١) تهذيب الاغانى لابن واصل الحمدى ـ المجـــلد الثانى ـ اخبار اسماعيل بن يسار

ليقول أمامه وقد جاءلمدحه :

انى وجدك لاعودى بذى خور
عند الحفاظ ولاحوضى بمهدوم
أصلى كريمومجدى لايقاس به
الى لسان كحد السيف مسموم
منمثل كسرىوسابورالجنودمعا
والهرمزان لفخر أو لتنظيم ؟

مما جعل الخليفة هشاما يغضب ويقول له على تفخر وتنشد قصيدة تمدح بها نفسك وقومك ؟ ثم طرده من مجلسه والرصافة التى كان مقيما فيها ، ولكنه لم يعاقبه بالضرب أو السجن .. وبقى هذا الشعوبىالى آخر عمره وقد طال يشتم ويهجو العرب .. طال عمره ولم يحسن عمله وأغلب الظن أنه هو الذى فتح الباب أمام شعراء جنسه ليقولوا شعرا فى هجاء العربكأبى نواس وبشار وغيرهما .

وجاء العصر العباسى ، وبلغت فيه حرية القول حماقة الفوضى ، وبدت البغضاء من أفواه وأقلام الزنادقة والمنحلين وأدعياء اللغة والادب يؤلفون الكتب وينظمون الشعر ويملئون القلوب بالضغائن بذكر مثالب العرب ، ويذكرون أمورا تضحك من غثاثتها وتفاهتها وتعجبلامام العربية عمرو بن بحر الجاحظ فى تصديه للرد على الشعوبية تعجب به وترثى له فى آن واحد ، فما يقوله الشعوبيون لا يستحق كل هذا العناء من الجاحظ ، فماذا يضير العرب أن يقال فيهم زمن جاهليتهم أنهم كانوا رعاة ابل وغنم ؟ أو أنهم يحملون العصا عند خطبهم ؟ أو أنهم يحاربون نهارا ولا يحاربون ليلا ؟ أو أنهم يفخرون بطول الرمح وقصر السيف ؟ أو ما الى ذلك مما لا يشين الشريف ولا يخدش البطل .. وينبغى أن نفهم أن الجاحظ لم يغضب ذلك الغضب ، ولم يتجشم ما تجشمه الا بعد أن طفحالكيل وفاض الاناء ولم يجد مندوحة عن الرد ، فقد لمس حقد الشعوبية واكثارهم من القول ولو فى أدنى الهفوات التى لا تبرأ منها الشعوب مما جعله يقول فى البيان والتبيين فى الصفحات الاولى من الجزء الثالث :

« أعلـــم أنك لم تر قوما قط أشقى من هـــؤلاء الشعوبية ، ولا أعدى على دينه ، ولا أشـــد استهلاكا لعرضه ولا أطول نصبا ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة . وقد شفى الصدور منهم طـــول جثوم الحسد علىأكبادهم ، وتوقد نار الشنآن فى قلـــوبهم .. ولـــو عرفوا أخلاق كل ملة ، وزى كـــل لغة ، وعللهم فى اختلاف اشاراتهم وآلاتهم وشمائلم وهيئـــاتهم ، وما علة كل شىء من ذلك ؟ ولـــم اختلقوه ولم تكلفوه ؟ لأراحـــوا أنفسهم ولخفت مئونتهم على من خالطهم .. » وينطلق الجاحظ فى هذا المجال مستدلا بالعقل والنقل كـــأنه يدافع عن دين أو مذهب ، والمثالب كلها لا تعـــدو الحـــديث عن الادوات ومطالب الحياة .

وثورة الجاحظ حقا لـــم تـــأت عفو الخاطر ولو لاول اثارة ، فقد حاول بكل مالديه من بلاغة الكلم والقلم أن يوحد بين هذه الشعوب والاجناس ليكونوا فى بوتقـــة الاســـلام كيانا واحدا قـــوامه كتاب الله وسنة رســـوله ، فكتب رسالة الى الفتح بن خاقان وزير المتوكل على الله الخليفة العبـــاسى تعد كتابا صغيرا وهى الثالثة من رسائل الجاحظ عنوانها « رســـالة الى الفتح بن خاقان فى منـــاقب الترك وعامة جند الخلافة عـــالج فيها مسألة الشعوبية معالجةالخبير ببواطن الامور الناظر الىالمستقبل بعين الأريب ، وكأنه يعلم ما يجره الخلاف الى الانفصال وتجـــزئة الكيان الواحد ، وجند الخـــلافة ولا ريب يمثلون الشـــعوب التى نشئوا فيها ، ولهم حنين اليهـــا ، فاذا اختلفوا وبلغ الخلاف حـــد التماسك بالأيدى أو التضـــارب بالسلاح ، فقد انفض الجمـــع وانفرط العقد ، وضاعت الخـــلافة وهان أمر المسلمين على أعدائهم ، والدولة الاسلامية فى ذلك الحين كانت مترامية الاطـــراف ماتزال شعوبها مرتبطة بحاضرة الخـــلافة بغداد ، ولم ينفصل عنها غـــير

---

(١) تهذيب الأغانى لابن واصـــل الحمدى ــ المجلـــد الثانى ــ أخبار اسماعيل بن يســـار .

الاندلس والمغرب ، ففى الأندلس بنو أمية وفى المغرب الأدارسة العلويون ، وهما امارتان لم يدع حكامهما الامامةوالخلافة • وهكذا كانت الدولة على عهد المتوكل وخلافة من ٢٣٢ ه الى ٢٤٧ ه (١) حيث قتل وقتل معه وزيره الفتح ابن خاقان الرسل اليه •

وكاتب الرسالة الجاحظ (١٦٠ه ـ ٢٥٥ ه) عاش عمره الطويل وشاهد الدولة فى شبابها ، ويود أن تبقى حافظة (دار الاسلام) بيد أن أمرا جليلا شغله وشغل الناس فى ذلك العهد هو الجند الجدد الذين طرءوا على أجناد الخلافة « الجند الاتراك » فقد استحدثهم الخليفة المعتصم ابن الرشيد (٢١٨ ه ـ ٢٢٧ ه) وبنى لهم مدينة « سر من رأى » على نهر دجلة فضم بهم الى الشعوبية عنصرا آخر ، وصار جند الخلافة خمسة أنواع ، خرسانى ومولى وعرب وبنوى (٢) وترك ، وكل نوع تعصب لجنسه فذكر محاسنه وما أداه من خدمة لبنى العباس ، وبنظرة عابرة تدرك أن سر التحزب الجديد هو ظهور العنصر الجديد وما حظى به من العناية والتشريف ، وبعد أن كانت الساجلة بين الشعوبية والعرب أصبحت الساجلة ذات ميادين ، لكن الامر أخيرا يعود على العرب بالقدر ، فمنذ قامت الدولة العباسية والامور تدفع العرب الى الوراء ، وزاد الطين بلة جند « سر من رأى » فقد استأثروا بالوظائف القيادية ، ومن هنا كان على الجاحظ والغيورين على الدولة أن يعالجوا الوضع الجديد • ورسالة الجاحظ جاءت فى وقتها والرسل اليه تركى ولكنه مثل الجاحظ فى الحفاظ على الدولة والطاعة للخليفة والاخلاص للاسلام والاعتصام بحبل الله ويريد أن يبقى الكيان الموحد سليما ، وأن لهما مايريدان ؟

أورد الجاحظ فى مقدمة الرسالة

---

(١) من هذا التاريخ بدأت الدولة فى الضعف •
(٢) يطلق البنوى على من نزول اليمن من أبناء الفرس •

تقولات المتقولين ممن نـأى عنهم الظل ، وتخلى عنهم السلطان وحرموا الصدارة غلب العنصر التركى وتقهقر العنصر الفارسى والخراسانى والعربى وأبناء الدعوة ، وقد حرص الجاحظ على تعداد فضائل كل نوع ، وقد حمد للفتح بن خاقان موقفه من الوحدة فقد عاب الفتح خطبة أحد الخطباء لانه عد أنواع الجند ونسبهم الى شعوبهم مع أن الخطيب شكر الله على أياديه وسابغ نعمه أن ألف على الطاعة هذه القلوب المختلفة والاجناس المتباينة ، ولم يعجب الفتح هذا ، ووصف الجند جميعا بالاتفاق ، وأنكر التباعد فى النسب والتباين فى السبب . وهنا ينداح الجاحظ كعادته مبينا وسائل الاتفاق فى النسب الى أن أرجعهم الى أب واحد ، اما بالعرق واما بالولاء ، والولاء لحمة كلحمة النسب ، وأسهب فى بيان مزايا كل فريق ، وخص الجند التركى بمزايا تجعله جامعا لخصال العرب وشجاعة الخوارج وطاعة أبناء الدعوة من الخراسانيين وغيرهم ، ويضرب المثل لتقارب الجند مع اختلاف النسب بالعرب ، وأنهم جذمان : عدنانى وقحطانى ولكنهم فى آخر الامر عرب ، ويسأل سؤالا ويجيب عنه . فان قلت ، فكيف كان أولادهما جميعا عربا مع اختلاف الابوة ؟

قلنا : ان العرب لما كانت واحدة فاستووا فى التربة واللغةوالشمائل والهمة وفى الانف والحمية ، وفى الاخلاق والسجية ، فسبكوا سبكا واحدا ، وأفرغوا افراغا واحدا ، وكان القالب واحدا تشابهت الاجزاء ، وتناسبت الاخلاط حتى صار ذلك أشد تشابها فى باب الاعم والاخص ، وفى باب الوفاق والمباينة من بعض الارحام ، وجرى عليهم حكم الاتفاق فى الحب ، وصارت هذه الأسباب ولادة أخرى حتى تناكحوا عليها وتصاهروا من أجلها ، وامتنعت عدنان قاطبة منمناكحة بنى أسحق وهو أخو اسماعيل ، وجادوا بذلك فى جميع الدهر لبنى قحطان وهو ابن عابر ... وهو بهذا يوشك أن يسلك جند الخلافة فى نسب

واحد بالمعانى التى ذكرها ، ويقرر أن ولاء الاتراك للبـــاب قريش ولمصاص عبد مناف وفى سر هاشم ــ يقصد بنى العبـاس ــ جعلهم يشاركون العرب فى أنســـابهم والموالى فى أسبابهم .. وهـــذا التكلف من الجاحظ ليجعل جميــع جند الخلافة متفقين فى النســب والسبب ليبقى الكيان لدار الاسلام قائما وسليما . ويقارب بين العرب وكل جنس خوف أن يميل الخلفاء كل الميل للعنصر الجديد ، فيجعــل الدعاة الاول فى خراسان من العرب أمثال ابن قحطبة أو مواليهم مثل أبى مسلم ، وهـكذا يقارب بين باقى الجند .. ويؤكد المماثلة بين الترك والعرب فينكر خصــائص الشعوب فى زمانه من الصـــين واليونان والهند ، فالصين أصحاب عمل واليونان أرباب فلسفة ومنطق والهنـد لهم معرفة بالحســاب والهندسة وشـــئون الزراعة .. والعرب لم يكونوا تجارا ولا صناعا ولا أطباء ولا حسابا ولا أصحاب فلاحة، فلم يكونوا مهنة ولا أصحاب زرع لخوفهم من صغار الجــزية ، ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ولا احتكار لـــا فى أيديهم وطلب ما عند غيرهم ولا طلبوا المعــاش من ألسنة الموازين ورءوس المكاييل ولم يفتقروا الفقر المدقع الــذى يشغل عن المعرفة ولم يســتغنوا الغناء الذى يورث التبليـد (١) ، والثروة التى تحدث الغـيرة ، ولم يحتملــوا ذلا قط فيميت قلوبهم ، أو يصغر عندهم نفوسهم ، وكانوا سكان فياف ، وتربية العراء (٢) . أذهان حداد ونفوس منكرة ، فحين حملوا حدهم ووجهوا قواهم لقول الشعر وبلاغة المنطق وتشـــقيق اللغة وتصاريف الكلام ، وقيـافة البشر بعد قيافة الاثر وحفــظ النسب ، والاهتداء بالنجـــوم والاستدلال بالآثار وتعـــرف الانواء ، والبصر بالخيل والسلاح وآلة الحرب ، والحفظ لكل مسموع

---

(١) التبليد = ترك الاتجاه لشىء .
(٢) الفضـــاء .

والاعتبار بكل محسوس واحكام شأن المناقب والمثالب بلغوا فى ذلك الغاية ، وحازوا كل أمنية .. وببعض هذه العلل صارت نفوسهم أكبر ، وهممهم أرفع ، وهم من جميع الامم أفخر ، ولأيامهم أذكر .. وكذلك الترك أصحاب عمد وسكان فياف وأرباب مواش وهم أعراب العجم كما أن هذيلا أكراد العرب ، فحين لم تشغلهم الصناعات ولا التجارات ولا الطب والفلاحة والهندسة ، ولا غرس ، ولا بنيان ، ولا بشق أنهار ، ولا جباية غلات ، ولم تكن هممهم غير الغزو والغارة ، والصيد وركوب الخيل ، ومقارعة الابطال وتدويخ البلدان ، وكانت هممهم الى ذلك مصروفة أحكموا ذلك الامر بأسره .. فلما كانوا كذلك صاروا فى الحروب كاليونانيين فى الحكمة ، وأهل الصين فى الصناعات ، والاعراب فيما عددنا ونزلنا ... وبذلك أعطى الترك القرابة والمماثلة العرب ونبه الى الحاجة الى العنصر العربى .

والجاحظ حريص على أن ينفى عن نفسه الهوى ، وأن سبيله التوحد لا التعدد ، وأنه لم يسلك طريق أصحاب الخصومات فى كتبهم وطريق أصحاب الاهواء فى الاختلاف الذى بينهم ، « وكتابنا هذا انما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم ان كانت مختلفة ، ولنزيد فى الالفة ان كانت مؤتلفة ... » .

وأنا على مذهب الجاحظ وعلى نهجه أنحو ، فلست أريد غير الاتفاق بين شعوب العالم الاسلامى ، وأود أن يسود شعور الانسان المسلم على شعور العرق والجنس ؛ واذا كان موقفى يختلف عن موقف الجاحظ فذلك لا يعوق الاتجاه الى الهدف النبيل ، فقد كان يعالج جند الخلافة ويوفق بينهم بكل صدق أو مجاملة خوفا على كيان الدولة أن ينهار ، أما أنا فأنا أدعو الى الاخاء الاسلامى فى العالم الاسلامى الذى لاخلافة له ، ولا رياسة تضم أطرافه ؛ وأفضل اتجاه هو اتجاه الانصار فيجب الاقتداء به ، ولهم موقف يحسن النظر اليه ومحاكاته ما وجدنا الى ذلك سبيلا .. فقد تركوا

نسبهم وهو عظيم الى نسب أعظم منه وهو أنصار الرسول • ذكر أن وفود الانصار حضرت باب معاوية ابن أبى سفيان ، فخــــرج اليهم صاحبه (سعد بن أبى درة) فقالوا له : استأذن للأنصار ، فدخل اليه وعنده عمرو بن العاص فاستأذن لهم فقال عمرو : وما هذا اللقب ياأمير المؤمنين ؟ أردد القوم الى أنسابهم فقال له معاوية : انى أخاف من ذلك الشفاعة •• فقال : هى كلمة تقولها ان مضت غضــــتهم ونقصــتهم والا فالاسم راجع اليهم • فقال : أخرج اليهم فقل : من كان هنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل ، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم الا الأنصار فنظر معاوية الى عمرو نظر منكر ، فقال له باعدت جدا . فقال : أخرج فقل : من كان ها هنـــا من الأوس والخزرج فليدخل • فقالهـــا فلم يدخل أحد ، فقال معاوية : أخرج فقل : من كان ها هنا من الأنصـــار فليدخل ، فخــرج فقالها فدخلوا يقدمهم النعمان (١) بن بشير وهو يقول :

ياسعد لا يعد النداء ، فمالنا
نسب نجيب به سوى الأنصـــار
نسب تخيره الا لــــه لقومنا
أثقــــل به نســـبا على الكفار

والاقتداء يكون اليوم بالنسب الذى لا يعلوه نسب وهو الاسلام فليست الانساب حائلا يحول بين المسلم وأخيه المسلم ، وما أعظــم أن نعود الى ما دعاناه اللــــه من الاخوة والتعاون على البر والتقوى وأن نكون عند قوله صلى الله عليه وسلم : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » • وكفانا اختلافا وافتراقا ؛ فقد كان الخلاف سببا فى ضياع الخلافة العباسية بعد أن تقسمت الى دويلات بسبب أخطاء جنـــــد سر من رأى ثم بالزحف التترى •• ثم هيأ الله لنا خـــلافة الاتراك العثمانيين ولكنها ضاعت تحت براثن المؤامرات من أعـــداء

---

(١) الاغانى اخبار النعمان بن بشير •

الاسلام ، ومن أبنائها فى الداخل حين اتجهوا الى الغـــرب وتناسوا الاخوة الاسلامية ، وما جرى من أتاترك من التبــاعد عن الـــدين وتعاليمه لا تمحوه الايام .

كتب الاستاذ فتحى رضـــوان مقالا فى مجلة عربية تحت عنوان « فى مذكرات الزعيم محمد فريد » جاء فيها وذلك أثناء الحرب العالمية الاولى : يقـــول محمـــد فريد : « حضرت خطابة ألقاها (يوســـف أفجورة) من أنصار التتريك يـــوم الجمعة ١٦ مـــارس ١٩١٧ فكانت كلها على تاريخ الترك القــــديم والأتراك الموجودين بروســـــيا ، والجامعة التركية الى غـــير ذلك ، فاستغربت جدا لاشتغال الأتــــراك باخوانهمبالشمال ، وعدماهتمامهم بالمسألة العربية : بغداد والجزيرة فان الخطيب لم يذكر كلمة عن هذا الموضوع ، مع أن بغـــــداد قد سقطت فى يوم ١١ هذا الشهر .. مارس ١٩١٧ ، هذا دليل عـــــلى عدم اهتمام الترك ببلاد العرب ، واعتقـــادهم بامكانهم البقـــاء بمفردهم بدون أن تكون بـــــلاد العرب معهم وهى شماتة عظيمـــة سمعتها من الكثيرين ، ولكنهم بكل أسف يضـــــيعون مملكتهـــــم ، وسيخرجون من هذه الحرب دولة صغيرة كالعجم أو الأفغان،وتصبح كل البلاد العربية فى أيدى الانكليز أو الفرنساويين » وهذه شـــهادة تاريخية صدقها الواقع وأيدتهـــا أحداث التاريخ ، وقبل كـــل شىء تدل على نظرة ثاقبة تســـتشف المستقبلبمنظار السياسى الحصيف .. وأين يقع كلام الخطيبالتركى الحديث منمنطق العربىالجاحظ ؟ ان التركى الحديث شعوبى غفـــل لا يتدبر العواقب ، والجاحظ عربى اسلامى همه كله أن يرى المسلمين جميعا فى اطار واحد ، التركى فى يده ثروة يبددها دون مبـــالاة ، والجاحظ فى يده ثروة يعض عليها بالنواجذ ، كأن الجاحظ يـــود من أتراك عصره أن يكونوا عند حسن الظن بهم ولكنهم عاثوا فى الارض فسادا ، ومن غير تفكير فى الجاحظ اتجه اتجاهه الزعيم محمد فريد ، فلم يرقه أن يكون خطيب التـــرك يعمل على قومية لم يكن لها جذور

يقف عليها زهر وثمر ..

ان الترك اليوم أو أيـــة دولة اسلامية لا اطمئنان لها ، ولا ضمان لكيانها مادامت منعزلة عن أخواتها المسلمات فى ذلك العصر القائم على التكتلات ؛ وهذه التكتلات أتيح لها من العلم والابتـــكار والاختراع ما جعلها تتفوق وتملى ارادتهـــا على الشعوب المتخلفة ، وما يحدث فى أفغانستان نذير لكل من أعمتـــه قوميته أو غرته شـــعوبيته . ولو كان للمسلمين خلافة أو جامعـــة تربطهم ، ولو اتجهوا الى كتـــاب الله وسنة رسوله ما حـــل العداء بينهـــم ، ولكانت كل أرض هى للمسلمين جميعا .

سقطت الخلافة العباسية ولـــم نتعظ ، وسقطت الخلافة العثمانية ولم ننتبه فمتى نبصر الطريق ؟

اننا نريد من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم أن يســـتجيبوا لدعوته ، ويعود الاخاءبينهم ليقوم البناء من جديد.لقد صاغ الله لهم دستورهم ، وهل هناك أوضح من قوله : « انما المؤمنون اخوة » ؟

السيد حسن قرون

منهج الحكيم الترمذى فى الحديث والفقه ــ بقيـــة

طبع سنة ١٩٦٥ القـــاهرة بتحقيق وعناية الاســـتاذ حســـنى زيدان وتوجد منه نســـختان مخطوطتان بباريس وأسعد أفندى .

٥ ــ المسائل العفنة مخطـــوط وتوجد منه ثلاث نســـخ بالظاهرة وليبزج واسماعيل صائب ، وقـــد سماها الدكتـــور عـــلى حســـن عبد القادر والبرفسوز آربرى .. المسائل النفسة ، وجـــاء الدكتـــور عثمان اسماعيل يحيى فى مقـــدمة كتاب ختم الأولياء فسماها المسائل العفة وليست واحـــدة من كلتـــا التسميتين صحيحة ، والصـــحيح العنوان الذى أثبتناه .

٦ ــ كيفية الوضوء والســـواك والصلاة أو علل الشريعـــة وهـــو مخطوط وتوجد منـــه نســـختان احداهما فى ولى الدين والأخـــرى فى القاهرة .

دكتور / محمد ابراهيم الجيوشى

الإسلام وتقرير العقائد

دكتور / محمد سيد أحمد المسير

يتفرد سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – من بين سائر الأنبياء بأن معجزته كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يحمل دليله معه وينادى صباح مساء :

« وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » (١) .

لقد كان لكل نبى معجزة تتناسب وعصره الذى عاش فيه ، فموسى عليه السلام بعث فى قوم انتشر فيهم السحر ، فكانت معجزته أن انقلبت عصاه حية تسعى وتلقف ما يأفكون ، فأدرك سحرة فرعون الفرق بين فعل الخلق وفعل الخالق فسجدوا ايمانا برب العالمين .

وأرسل عيسى عليه السلام الى قوم برعوا فى الطب واشتهروا به ، فكانت معجزته شيئا يفوق طورهم ويعلو مقدرتهم ، وقد عبر القرآن عن ذلك فقال :

« ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » (٢) .

ثم كانت أمة العرب ولها شأنها فى الغلب بالقول والبيان فى الحجة

---

١ – البقرة – ٢٣ .
٢ – آل عمران – ٤٩ .

والسـبق الى امتلاك المشاعر والتأثير الوجـدانى ، فبعث محمد صلى الله عليـه وسلم — من تلك البيئة ومعـه القـرآن المجيـد فسجدوا له قبل أن يؤمنوا لسمو بلاغته وعظم معانيه •

وحيث كانت رسالة الاسـلام خاتمة لمطاف الرسـالات الالهية ، وعامة لجميـع الأزمنة والأمكنة ، وخالـدة الى أن يرث الله الارض ومن عليها فقد ارتكزت على التفكير العلمى وأشادت بالعقل الانسانى اذ هو أعدل الأشياء قسـمة بين البشر •

ولقد بدىء القرآن العظيم بتلك الاشراقة الأولى للوحى فى قـوله سبحانه :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم » •

هذه الاشراقة الأولى أرشـدت الى بداية الطـريق العلمى وهو الأمر بالقراءة والكتـابة فى قوله « اقرأ » فان القراءة تسـتلزم مقروءا أى مكتـوبا ، ثم بينت القانـون العـام الـذى يحكم الطريق ، وهو أن يسلك باسم الله واهب الملك والملكـوت ، ثم ألمحت الى أن يكون العلم بحثا عن حقائق الأشـياء ، ورمزت لذلك بالعلق الذى هو أحـد أطوار الجنين فى رحم أمه ، وبقوله : «مالم يعلم» من مكنـونات نواميس الارض والسماء •

وحين اشـتد عناد المشركين للدعوة الاسـلامية نزل القرآن يقول :

« قل انما أعظكم بواحـدة أن تقـوموا لله مثنى وفـرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عـذاب شديد » (١) •

وحول هذه الآية الكريمة يقول الامام الزمخشرى :

والمعنى انما أعظكم بواحدة ان

---

١ ـ سـبا ـ ٤٦ •

فعلتموها أصبتم الحق ؛ وهى أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين ، وواحدا واحدا ، ثم تتفكروا فى أمر محمد ، صلى الله عليه وسلم — وما جاء به .

أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه ، وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين ، لا يميل بهما اتباع هوى ، ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه .

وكذلك الفرد يفكر فى نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها ، ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجارى أحوالهم .

والذى أوجب تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ، ويعمى البصائر ، ويمنع من الروية ، ويخلط القول ، ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا لنصرة المذهب .

وأراهم بقوله « **ما بصاحبكم من جنة** » أن هذا الأمر العظيم الذى تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان :

اما مجنون لا يبالى بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز ، بل لا يدرى ما الافتضاح وما رقبة العواقب .

واما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من أهل الدنيا ، لا يدعيه الا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه ، والا فما يجدى على العاقل دعوى شىء لا بينة له عليه ؟!

وقد علمتم أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — ما به جنة ، بل علمتوه أرجح قريش عقلا وأرزنهم علما ، وأثقبهم ذهنا ، وآصلهم رأيا ، وأصدقهم قولا ، وأنزههم نفسا ، وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به » ا هـ .

ولعل هذا الفرق بين المعجزة العقلية لسيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — المعجزات الحسية

لباقى الأنبياء هو ما أشار اليه المصطفى الكريم عندما قال — كما فى الحديث المتفق عليه — :

« ما من الأنبياء من نبى الا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

من هذا المنطلق أرسى القرآن قواعد البحث وأصول التفكير على النحو التالى :

١ — حرر العقل من رواسب التقليد وعادات البيئة فقال :

« وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » (١) .

٢ — نعى على اتباع الظن والهوى والاسترسال مع الباطل فقال :

« وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا » (٢) .

٣ — أرشد الى العناية بحواس الانسان والحفاظ على سلامة استخدامها فقال :

« ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (٣) .

٤ — أمر بالبحث فى ظواهر الطبيعة ونواميس الكون فقال :

« ان فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (٤) .

٥ — لفت النظر الى قوانين الاجتماع وسنة الله فيما سلف

---

١ — الزخرف — ٢٣ .
٢ — النجم — ٢٨ .
٣ — الاسراء — ٣٦ .
٤ — البقرة — ١٦٤ .

من الأمم ، وأكد استمرارها فقال :

« قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » (١) .

وحرصا على هذه الأصول قرر القرآن عقائد الايمان كلها مدعمة بالحجة والبرهان ، وليس به قضية بلا دليل أو دعوى بلا بينة حتى فى باب الادب الخلقى فقال :

« ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » (٢) .

والشعار الذى رفعه القرآن العظيم فى حجاجه مع المخالفين هو :

« قل هو عندكم من علم صادقين » (٣) .

« قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » (٤) .

ان القرآن المجيد قد أحصى الجدل الذى دار على عهد النبوة احصاء دقيقا وفصل الشبهات تفصيلا كاملا فى الالوهية والوحدانية ، وفى النبوة والرسالة وفى البعث والنشور .. وأردفها بالدليل والبرهان ، وما على المرء الا أن يفتح المصحف الشريف حيث شاء ليجد صدق ما نقول ، سيجد نماذج لعقائد الدهريين الذين كذبوا بلقاء الآخرة ، وعقائد المشركين الذين عبدوا غير الله ، وعقائد اليهود والنصارى الذين انحرفوا عن منهج الله .

وانطلاقا من هذه الاصول القرآنية للفكر الراشد

اتفقت كلمة جمهور المسلمين على أن عقائد الاسلام فى الالوهية والنبوة يجب العلم بها والبحث فيها ببرهان ودليل قاطع للوصول الى اعتقاد جازم مطابق للواقع .

ولما كانت الادلة التفصيلية ورد

---

١ ــ آل عمران ــ ١٣٧ .
٢ ــ فصلت ٣٤ .
٣ ــ النمل ــ ٦٤ .
٤ ــ الانعام ــ ١٤٨ .

الشـبهات لا تتيسر لكافة الناس قالوا ان المعرفة الاجمالية واجبـة على كل مكلف بمعنى أن يسـأل الانسان عن دليله على وجود الله تعالى فيقول مثلا : هـذا العالم ، أو هذا النبات الذى يخـرج من الارض ، أو هذا الانسـان الذى يولـد من الرحم •• ويكتفى بذلك من غير بيان لدقائق الصنع وغرائب التدبير ، ومن غير مقدرة على دفع ما يثيره الخصوم •

واذا كان الانسان أهلا للنظـر والبحث الفكرى وجب عليه تفصيلا معـرفة ما يجب وما يجـوز وما يسـتحيل فى جانب الالوهية والرسالة •

وهنـاك بحث طريف لعلمـاء التوحيد عن أول واجب على المكلف هل هو المعرفة ؟ هل هو النظـر ؟ هل هو القصد الى النظر ؟

بل ذهب أبو هاشم من المعتزلة الى أن أول واجب على المكلف هو الشك فهو مفتاح اليقين •!!

وقد أجمع العلماء على نقصـان ايمان المقلـد الذى يؤمن ايمـانا جازما بالحق فى الاله والنبى دون معرفة دليل تفصيلى ولا اجمالى • لان القرآن العظيم يقول :

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (١) •

وغالى بعضهم فزعم أنه لا نجاة معـه وأن المقلد كافر لان المعرفة واجبة وجوب الأصول ، وأن الأمر القـرآنى صريح بالعلم وليس بالايمان وحـده قال تعـالى : **« فاعلم أنه لا اله الا الله (٢) »•**

وقد يتساءل انسان ويقـول :

دع عنك هذا التشدد ، ولسـنا فى حاجة الى كل هذه التعقيـدات فان دين الله يسر ، وغاية جهدنا أن نصل الى ايمان كايمان العـوام ، وقد كان صحابة رسـول اللـه ــ صلى الله عليه وسلم ــ مقلـدين

---

١ ــ الزمر ــ ٩ •
٢ ــ محمد ــ ١٩ •

لا شـأن لهم بدليـل أو برهان ، وما علم الرسول دليلا على وجود الله .. !!

وأقول : رويدك يا أخى .. !!

ان الأعرابى فى باديته .. وهو أول من فقه اللغة وتذوقها ــ سجد للقرآن المجيـــد قبل أن يؤمن به وعرف أسراره البلاغية واعجـازه البيانى وتروى كتب السير أن عتبة ابن ربيعة قدم الى رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعرض سخى وقال :

يا ابن أخى : ان كنت تريـــد بما جئت به من هـــذا الأمر مالا جمعنـــا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكـــا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه .

فلما فرغ عتبة من عرضه قال له الرسول الكريم :

فاستمع منى ثم قرأ : **بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصـــلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمـل انـنـا عاملون . قــل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحــد فاستقيموا اليه واســتغفروه وويل للمشركين » .**

ثم مضى رســول الله فيها وهو يقرأها عليه ، فلما ســـمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما حتى انتهى الرسول الى السجدة منها فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك .

وفى رواية فلما بلغ قوله تعالى : **« فان اعرضـــوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود »** .

قال عتبة : حسـبك حسـبك ، وأمسك على فيه وناشده الرحم ثم رجع الى أصـــحابه فقال : لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثـله قط ، والله ما هو بالســـحر ولا بالشعر ولا بالكهانة .. !!

هذا وقد قال الأعـــرابى فى جاهليته : البعرة تدل على البعير ، والاثر يدل على المسير ، فســـماء ذات أبراج وأرض ذات فجـــاج وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على العليم الخبير • !!

هذا العقل الفطرى تلقى هدى القرآن فآمن به عن اقتناع ، فهذا الأمين محمد ما عرف عنه الكذب ••

وهــذه الأصـــــنام لا تضر ولا تنفع ••

وهذه الكواكب الساهرة لابد لها من مكوكب ••

والدين الذى جاء به محمد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ••

وقد عبر عن ذلك جعفر بن أبى طالب أمام نجاشى الحبشة فقال :

أيها الملك كنا قوما أهل جاهليـــة نعبد الأصـــنام ونأكل الميته ونأتى الفواحش ونقطـــع الرحم ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف •• فكنا على ذلك حتى بعث اللـــه الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفـــافه ، فدعانا الى الله عز وجل لنوحـــده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجـــوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهـــــانا عن الفواحش وشهادة الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة •

ـ وأخذ جعفر يعدد له محاسن الاسلام ـ فصدقناه وآمنا به ••

هكذا تكلم جعفر بن أبى طالب فى صـــدر الاســـلام يوم هاجر المســـلمون الى الحبشة ، ولا أظن انسانا من الصحابة رضى الاسلام دينا الا وتعقل هذه المعانى كلها •

ان الاسلام يوم دعا الناس فى مكة الى عقائده لم يكن لديه مغريات مادية ، فالحق وحده له ســـــناؤه وصـــــــولته بل لقد رفض منطق المســـاومة وتخطى موقف الترغيب المادى الســـــخى وانحنى التاريخ وهو يستمع لســـيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قائلا :

« والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هـــــذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » •

وحين حاولت أم سعد بن أبى وقاص صرف فلذة كبدها عن هذا الدين الجديد وأضربت عن الطعام والشراب كى تموت صبرا ويعير بها ولدها ان لم يرجع قال لها بلسان المؤمن على بصيرة :

والله يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا فكلى أو لا تأكلى .. !!

ولقد ذاق المسلمون ألوان الأذى وصنوف الاضطهاد ابتداء من التعذيب الفردى الى الحصار الاقتصادى لجماعة المؤمنين مدة ثلاث سنين فى شعب بالجبل أكلوا خلالها أوراق الأشجار ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا بل صدقوا ما عاهدوا الله عليه ..

فهل كان ذلك كله ناشئا عن تقليد أعمى وانسياق مجرد وارتجال ساذج ؟!

سبحانك هذا بهتان عظيم .. !!

ان مما لا شك فيه أن الصحابة جميعا تلقوا القرآن المجيد من فم الرسول صلى الله عليه وسلم وعقلوه وأدركوا مقاصده ، وهم الذين شاهدوا النبوة فى لألائها ، وعاينوا المعجزات الحسية للمصطفى الكريم ، وسايروا الوحى فى تشريعه ، ولمسوا الحقيقة عن قرب ولذلك كانوا خير القرون.

دكتور

محمد سيد أحمد المسير

التربية الصوفية وعناية الصوفية بالمرشد

للأستاذ/عبد الحفيظ فرغلى القرنى

— ٢ —

المتابعة فى التربية :

انتهينا فى المقال السابق الى عناية الصوفية بالمرشد واشتراطهم وجوده ، فالشيخ محمود أبو الفيض المنوفى يقول فى ذلك « وتربية النفس ليست من الأمور السهلة ، بل هى محتاجة الى طب وخبرة وبعد نظر ، وكل ذلك لا يتم الا على يد شيخ عارف بعلم الدين والسلوك ومفاوز الطريق ، عرف الحقيقة وأرضى الله حتى أحب الله » .

ويقول الشيخ حسن رضوان : جهاد النفس لا يتم بدون دليل عارف .

ويقول القشيرى فى رسالته «ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فان لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدا» ويقول أبو اليزيد البسامى « من لم يكن له أستاذ فامامه الشيطان ، وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق لكن لا تثمر ، كذلك المريد اذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا فنفسا فهو عابد لهواه لا يجد نفاذا » .

لقد نبهوا على ضرورة الشيخ لأن المريد لا يمكنه التقدم بنفسه فى مراحل الطريق التى يجهلها ولا يمكنه بنفسه معرفة خفاياها ، انه يجهل وساوس النفس ولايمكنه التفرقة بين حقها وباطلها . ويعز عليه أن يدرك دقائق ما تبطنه من رياء يكمن فى كثير من النفوس

ويستعصى فهمه على كثير من الناس •

وقد تمكن الصوفية الراسخون من معرفة هذه الدقائق ولهم فى بيانها ومعرفتها طرائق متعددة تدل على نفاذ البصيرة ودقة الفهم ومعرفتهم نوازع النفس واتجاهاتها وخصائصها يدل على أنهم قطعوا شوطا بعيدا فى ادراك ذلك ادراكا عمليا مبنيا على قواعد ثابتة من الحس والكشف واليقين •••

والشيخ الصادق لا يغفل فى تربيته عن مريده ، انه يلاحظه بعين يقظة ويتابعه بعزم صادق ، وعلماء التربية يقولون : ان كل عمل يضيع بلا ثمرة اذا لم يتتبع صاحبه الجهود المبذولة فيه ، وهذه قاعدة صوفية قديمة ، فالقائد الصوفى يقظ حريص متتبع لخطوات أبنائه ليعرف مدى حرصهم على تنفيذ تعليماته وتوجيهاته ، يأخذهم بالحزم والشدة متى رأى التفريط والاستهانة فى ورد أو طاعة أو ذكر أو غير ذلك مما يرشدهم اليه •

من طرق التوجيه : وقد يكون — بعد القدوة الطيبة — للنظرة القاسية أو الصد والجفاء والاعراض أثر أشد من ضرب السياط أو أكثر ألما من لفح النار ، لأن الطريق صاعدة الى الله ، والقائد فيها أمين الله على هذا الركب الصاعد اليه ، فينبغى التعلق به والتأدب معه والاخلاص له • ثم ان العلاقة التى تحكم الشيخ بمريديه هى المحبة الخالصة والوداد الصادق والوفاء التام ، فالجفاء هنا عقاب ما بعده عقاب •

ضرورة المتابعة : والمفروض أن يتابع الشيخ مريديه أو يكل هذه المتابعة الى من يثق فيه من أبنائه الذين وصلوا الى منزلة تهيىء لهم ذلك ، فيعرف من هذه المتابعة مدى مداومة تلاميذه على الذكر وحرصهم على الورد واستقامتهم على الطريق واستجابتهم للتوجيهات التى تلقى اليهم •

ويطلق على الذى يعهد اليه الشيخ بأمر هذه المتابعة لقب « شيخ التربية » ويعهد اليه بأمر

المبتدئين فيجتمع بهم وينصحهم ويتعرف على أحوالهم ، فاذا وجد من أحدهم استعدادا قويا أعده لمرحلة أخرى عن طريق ورد آخر أو تكليف جديد . كالتزام نوع من السلوك رنون من المجاهدة ومن ذلك الزامه الخلوة أو السياحة أو الانقطاع أو غير ذلك مما يقضى على مألوفات النفس وعاداتها السيئة . وكثيرا ما تختلف حالة مريد عن مريد .

ومن أمثلة ذلك ما يقصه علينا الدكتور حسن الاشمونى فى كتابه التعبئة الروحية فى بناء المجتمع : تاب « أبو بكر الشبلى » فى مجلس « خير النساج » ولما أراد أن يتخذ له شيخا دلوه على « الجنيد » فذهب اليه وقال له : لقد حدثونى أن عندك جوهرة العلم الربانى ، فاما أن تمنحنيها أو تبيعنيها .

فقال الجنيد : لا أستطيع أن أبيعكها فما عندك ثمنها ، وان منحتها لك أخذتها رخيصة فلا تعرف قدرها ، ولكن ألق نفسك غير هياب فى عباب المحيط مثلما فعلت لعلك ان صبرت ظفرت بها .

فسأله الشبلى عما يفعل ، فقال الجنيد : اذهب بع الناس كبريتا .

وفى ختام العام قال له : لقد شهرتك هذه التجارة بين الناس فكن « درويشا » لا تشغل نفسك بغير السؤال ، وفى خلال العام كان الشبلى بجوس شوارع بغداد يسأل المارة احسانهم ، بيد أن أحدا لم يأبه له .

ثم رجع الى الجنيد فقال له : أرأيت الآن ؟ لست فى أعين الناس شيئا فلا تصرف فكرك اليهم ولا تقم لهم وزنا ، وقد كنت فى بعض أيامك حاجبا ثم اشتغلت حاكما لبعض الأقاليم فاغد اليه ، واسأل جميع الذين أسأت اليهم أن يعفوا عنك .

وأطاع الشبلى وصرف أربعة أعوام يذهب من باب الى باب حتى ظفر بالعفو من كل أحد الا واحدا فشل فى العثور عليه . فقال الجنيد حين عاد اليه : لا يزال فيك ميل الى الشهرة ، اذهب واسأل الناس عاما آخر . وفى كل يوم كان الشبلى يحضر الصدقات التى أعطيت له للجنيد فيفرقها على

الفقراء ، ويدع الشبلى بلا طعام الى الصباح التالى ، حتى انقضى العام على هذا المنوال ، وتقبله الجنيد مريدا من مريديه على أن يخدم المريدين عاما ، فلما انقضى العام سأله الجنيد : ماذا تظن فى نفسك الآن ؟ فأجاب الشبلى : أعد نفسى أحقر مخلوقات الله ، فقال له شيخه : الآن توثق ايمانك •

فانظر كيف قطع الشبلى طريقه مجاهدا تحت نظر شيخه وملاحظته حتى صار اماما يعرف الناس قدره •

لا يقول قائل : ان فى ذلك امتهانا للكرامة الانسانية ، فالصوفية من أحفظ الناس للكرامة الانسانية وأحرصهم على صيانتها وهم فى مجاهدتهم لنفوسهم انما يرفعون من قدرها ألا تسمعهم يقولون : من دفن نفسه فى أرض الخمول نبت ؟ والصوفية انما يهمهم ــ فى المقام الأول ــ أن يرتفعوا فى نظر الخالق لأن ذلك هو الفوز العظيم •

من هو الشبلى ؟ والشبلى هو أبو بكر دلف بن مجدر الشبلى ، خراسانى الأصل بغدادى المولد والنشأة ، صحب الجنيد ومن فى عصره من الشيوخ، جاهد حتى صار أوحد وقته حالا وعلما ، وكان عالما فقيها على مذهب الامام مالك ، وكتب الحديث ورواه وعاش سبعا وثمانين سنة ومات فى ذى الحجة أربع وثلاثين وثلاثمائة ودفن فى مقبرة الخيزران وقبره بها ظاهر ــ والحديث الذى رواه هو : « عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال : الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا ، قال : يارسول الله ، كيف لى بذلك ؟ قال : ماسئلت فلا تمنع وما رزقت فلا تخبأ ، قال : يارسول الله ، كيف لى بذاك ؟ قال : هو ذاك والا فالنار •

ومن أقوال الشبلى : التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك • التصوف التآلف والتعاطف • من عرف الله خضع له كل شىء لأنه عاين أثر ملكه فيه •

هذا هو الشبلى الذى وصل الى

هذه المنزلة بمتابعة شيخه الجنيد له • فمن هو الجنيد ؟

هو من أئمة القوم وسادتهم واسمه أبو القاسم الجنيد بن محمد الحزاز ، ولد ونشأ بالعراق وكان فقيها تفقه على أبي ثور وكان يفتى فى حلقته ، وصحب السرى السقطى والحارث المحاسبى وغيرهما من أئمة القوم ، والجنيد مقبول على جميع الألسنة توفى سنة سبع وتسعين ومائتين ، أسند الحديث الآتى •• عن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احذروا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى ، وقرأ : ان فى ذلك الآيات للمتوسمين • قال : للمتفرسين » •

ومما ينسب الى الجنيد من أقوال : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف هو صفة المعاملة مع الله تعالى وأصله التعزف عن الدنيا ، كما قال حارث: عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى (١) •

ومن أقواله : الطرق كلها مسدودة على الخلق الامن اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته فان طرقات الخير كلها مفتوحة عليها — من طبقات السلمى —

فى العصر الحديث : هؤلاء الصوفيون القدامى كانوا يتابعون تلاميذهم متابعة دقيقة ، وسار على نهجهم صوفية العصر الحديث ومن أمثلة ذلك ما يحدثنا عنه الشيخ محمد عبده رحمه الله وما فعله معه أستاذه الصوفى الذى كان له أكبر الأثر فى اقباله على العلم بعد أن انصرفت نفسه عنه وعزم على ترك الاشتغال به •

قال : « حملنى أبى الى طنطا وكانت سنى أربعة عشر عاما لأدرس العلم الازهرى وبدأت بتلقى شرح الكفراوى على

---

١ — يشير الكاتب الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقى حارث ·· كيف أصبحت يا حارث ؟ قال أصبحت مؤمنا حقا ·· قال : وما حقيقة ايمانك ؟ قال : عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكانى أنظر .... الخ .. الحديث .

الأجرومية فى المسجد ، وقضيت سنة ونصف سنة لا أفهم شيئا ..»

وكان هذا سببا فى يأسه من التعليم ورجوعه الى قريته واشتغاله بالفلاحة وتزوجه . ولكن أباه أمره بمعاودة الدرس مرة أخرى ، فرفض وهرب الى قرية خال أبيه الشيخ درويش الصوفى، الذى أخذ بزمام الشيخ محمد عبده ومازال به حتى استطاع بتربيته الصوفية أن يحبب اليه العلم ويرغبه فيه ويصل ما انقطع منه .. وعاد الى طنطا مرة أخرى ثم الى الأزهر الشريف فى القاهرة.

وظل الشيخ درويش يتابعه أيضا ، فكلما كان يعود فى اجازة من اجازاته يسمع منه طرفا من البرامج التى يدرسها ثم يقول له : هل درست المنطق ؟ هل درست الحساب ؟ هل درست الهندسة ؟ يفتح ذهنه الى مختلف العلوم ويحضه على تحصيلها . يقول الشيخ محمد عبده : «فكنت اذا رجعت الى القاهرة ألتمس هذه العلوم عند من يعرفها فتارة كنت أخطىء فى الطلب وتارة كنت أصيب ، الى أن جاء السيد جمال الدين الأفغانى الى مصر أواخر سنة ١٢٨٦ هـ ، وقد صاحبته وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكيمة والكلامية » .

ويبدو أن الامام محمد عبده تأثر بما سمع من كلام ونقد موجه الى دروس الأفغانى ، ، فسرعان ما وجد عند شيخه الصوفى جواب ذلك مما شفى صدره وأرجع اليه يقينه ونشاطه فى تلقى هذه الدروس فقد قال له : ان الله هو العليم الحكيم ولا علم يفوق علمه وحكمته ، وان أعدى أعداء العليم هو الجاهل وأعدى أعداء الحكيم هو السفيه ، وما تقرب أحد الى الله بأفضل من العلم ، فلا شىء من العالم بممقوت عند الله ولا شىء من الجاهل بمحمود لديه الا ما يسميه الناس علما وليس فى الحقيقة بعلم كالسحر والشعوذة وغيرها .

وكان لهذه الكلمات صدى طيب فى نفس الامام فقد استراحت مما لحقها من شكوك ووساوس ، ثم تظل متابعة شيخه له وملاحظته

بعين رعايته ، فيخرجه من عزلتــه التى فرضها على نفسه ويحرضــه على نفع الناس بعلمه الذى تعلمه قائلا له : أن من لم ينفع بما تعلم فقد أضاع أهم ثمرة تقصــد من غراس المعرفة ، فعليك أن تخالط الناس وتعظهم وترشـــدهم الى الطريقة القويمة والسنة الصالحة.

وكان هــذا الدفع القــوى من أستاذه الصوفى سببا من أسـباب دخوله فى غمار المجتمع وقيـــامه بدعواته المتكررة فى مختلف نواحى الاصلاح الدينى والاجتماعى .

نفاذ الى الأعماق واصـــلاح السرائر : لم يكتف الصــوفية فى تربيتهم باصلاح الظواهر فحسب، ولكنهم اعتنــوا باحيـــاء ميزان المراقبة فى نفــوس المريدين حتى تحيا الضمائر ويتهذب الوجدان ، وربما اعتنت التربية الحـــديثة بالنواحى الخلقيـــة ولكنهـــا كثيرا ما تقف عند الظاهر لا تتعـــداه ، فهى تحث على الأمانة مثلا ثم تترك الانسان يباهى بذلك أمام الملأ دون ضير فى ذلك ، أما الصوفية فيهمهم فى المقام الأول نكران الذات وقتل تطلعات النفس وشهواتها ، فهــذه هى التربيـــة الحقيقيـــة لمن أراد السعادة الكاملة والوصـــول الى أعلى مدارج الكمال . وفى قصـــة الشبلى مع الجنيد السابقة دليـــل على ذلك .

وهذا نموذج من نماذج التربية يضـــعه أمامنا الدكتـــور أبو الوفا التفتـــازانى من ســـيرة المرسى وتلميذه ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنهما فيقول : « كان من أبرز صفات المرسى كأستاذ اكرامه الطلبة اذا جاءوه ، وكان ينهى أن يعوق المريد اذا جـاءه ويقـــول : المريد يأتى بشعلة همته فاذا قيـــل له : قف ساعة أطفأت ما جاء به ، وكان لا يدلـــه على المتـــــاعب والمشقات ولا يلزمه ذلك ، وكـــان يحكى عن شيخه الشاذلى : ليس الرجل من دلك على تعبك وانمـــا الرجل من دلك على راحتك » .

وليس فى هذا تعارض مع سلوك الجنيد مع الشبلى ، فالشـــــبلى كان متطلعـــا الى أقصى درجـــات الكمال فلابد أن يركب الصـــعب ، ولم يشك الشبلى من صـــعوبة

ما دلفه ولكنــه كان يستســهله فى سبيل الوصــول الى غايتــه ، وما أصدق الشاعر الذى يقول :

لابد لشهد من نحــــل يمنعه
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وينفــد المرسى الى أعمـــاق السـكندرى فيقضى على داء كان يعترض طريقه هو داء الوسوسة . قال له شيخه المرسى حين شكا لــه هذا الخــاطر الـــذى يعتريه فى وضوئه وطهــارته فينغص عليــه حاله : هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب بها .وكان للثقة العظيمة التى بثها فى تلميــذه أثر كبير فى القضاء على هذا الداء .

صــعوبة الرســالة التربوية : وتربية الرجال ليست أمرا هينــا ولكنها مهمة شاقة تحتاج الى صبر ومعاناة وتحمل وقد ندب الصوفية أنفســــهم لها لأنهم هم الــورثة الحقيقيون للأنبياء عليهم السلام، فالعلماء ورثة الأنبياء كما جــاء فى الأثر الشريف ، وأشرف العلــوم علوم تهدى الى الله وتنير الطريق اليــه وتحض على التعرف به عن طريق تهذيب الروح والاخلاص فى الطاعة . وقد أشرت ســابقا الى أن من طرق الصــــوفية أحيانا فى التربية اظهار القســوة فى بعض المواطن على المريد تربيه لوجدانه وتنقية لمعدنه وتصفية لجــوهره ، والشاعر الحكيم يقول :

فقسا ليزدجروا ومن يكُ حازما
فليقس أحيــانا على من يرحم

يحدثنا نجــل الشــيخ حسن رضوان فى مقــدمة كتــاب روض القلوب المستطاب عن تربية أستاذ والده له فيقول : « واستعمل له فى مدة الاقــامة معه من أنواع الطب والتربية ما يعجز عن الصبر عليه الفحــول ، مع الاختبـــــارات والامتحانات الهائلة التى لا يثبت معها الا ذوو النفــوس الكاملة ، فمرة يصدعنه ومرة يهجره ومــرة بدون سبب يزجره ومرة ينــاديه بنداء يشعره بأنه من جملة أعاديه، ويوما يبــدى الــود لمن يؤذيه ، وتارة يذكره بين المريدين وغيرهم بأقبح ذكر ، وطورا يلزمه الاقامة وحده بالمكان القفر شهرا أو أكثر من شـــهر ، ثم يقــول لجميــع المريدين : من جلس معه فى قفاره

أو قضى له مصلحة من مصالحه فهو مطرود عن المحبين .. وقد اجتاز الشيخ حسن رضوان هذه الامتحانات القاسية بنجاح باهر أهله الى أن يقود الرجال ويربى بعد ذلك الأبطال .

جدوى هذه الطريقة : وهذه سياسة عليا تحيى ميت القلوب وتصقل جوهر الروح وتربى فى النفوس ملكة المحاسبة والمراقبة وتظهر الصامد من غيره ، وتؤتى هذه السياسة ثمارها عند الصوفية لأن العلاقة القائمة بينهم قوامها الحب الخالص العميق ، وهى سياسة مقتبسة من أدب القرآن الكريم الذى يقص علينا قصة الثلاثة الذين خلفوا فى غزوة تبوك ، وهم كعب ابن مالك ومرارة ابن الربيع وهلال بن أمية ، وقد أعرض النبى صلى الله عليه وسلم بعد عودته من الغزوة عنهم وأمر المسلمين بمقاطعتهم . فلم تزد هذه المقاطعة هؤلاء الثلاثة الا حبا للنبى صلى الله عليه وسلم وصحبه ، وتمسكا بالدين وحرصا عليه حتى تاب الله عليهم ان الله هو التواب الرحيم .

ان التربية الصوفية تسير فى سياستها وفق مناهج سليمة مستمدة من نور القرآن الكريم والسنة الشريفة المطهرة . وتقوم أولا وأخيرا على توثيق العلاقة بين المريد ومربيه ، وفى الحديث القادم بمشيئة الله بيان لمنزلة المربى لدى الصوفية . وبالله التوفيق .

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

بلال بن رباح الإنسان

للأستاذ / حامد الجوجري

لك نفسي بــــلال من كــل ضر
كم تــلاقى من محنــــة وتعـــانى
أى ذنــب جنيت حتى تداعـــــوا
ليذيقــوك مــن ضنى وهـــوان
كنت فيهـم نعـم المطيـع اذا مــا
أمــروا لم تمـــل الى عصــيان
راعيــا شــاءهم دءوبا ذلـــولا
لا تبـالى بالقهـــر والحـــرمان
ساعيا فى شـــعاب مـكة حـــير
ان بدنيا من صـــنعة الشـــيطان
بـــذر الشرفى ربـاهـــــا وألقـى
ظـــله فى الوهـــاد والوديــــان
بشر كالســـوام هــاموا مـع الشر
ك ، وســاغوا عبــادة الأوثـــان
بـــين بطش القـــوى والقيـم الشـــو
هاء ضـــاعت كرامة الانسان
ظلمــات كأنهــا كشــف الليـــل
وظـــلم كوقـــدة النـــيران

ثـم أبصرت يا بـــلال ضـــــياء
يعمر الأفـق من ســـنا الايمـــان
ورســــــولا يهــــدى الى البـــر
والخير ويدعو العــدل والاحســـان
ويـــرى للعبيـــــد منكم حقوقــــا
فى حيـــــاة كريمـــة وأمــــان
كل من فوقهـــا ســـواء ولاسلـ
ـطـــان الا لمالــــك الأكــــوان
فتبعت النـــور الجـديد ومنـــذا
ينكـر النـــور باديـا للعيـــان
قلت (ربى الرحمـــن) لا اعبد الار
بـــاب شـــتى من جلمد صـــوان
أتراه جـــرما اذا ادرك العقـــــ
ـــل حـدود الهـــدى من البهتـــان ؟
انمـــا المـــرء فـــكرة ويقـــين
بهما صـــار من بنى الانســـان

حامد الجوجرى

شخصية فى سطور

بقلم سعيد عبد الحى

* هو محمد بن عبده حسن خير الله ولد سنة ١٨٤٩ م — سنة ١٢٦٦ هـ بقرية من قرى الغربية ولكنه نشأ بقرية محلة نصر بالبحيرة ..

* حفظ القرآن فى فترة وجيزة جعلت والده يأمل فيه الخير .

* ذهب الى الجامع الأحمدى وتعلم به التجويد وأتم فنونه وبعده انضم الى دروس العلم فى المسجد ولم تعجبه طريقة التدريس التقليدية فتركها ..

* ذهب الى الجامع الأزهر فى شوال سنة ١٢٨٢ هـ — ١٨٦٦ م .

* حصل على العالمية سنة ١٢٩٤ هـ رغم ما كان يكنه له اعضاء اللجنة وذلك لاشتغاله بالفلسفة وكتابته عنها فى فصول بجريدة الأهرام وقد زاده ذلك نشاطا ورغبة فى الاصلاح ..

* كان الشيخ محمد عبده ثائرا على الاحتلال الأجنبى ولكنه كان على خلاف مع الزعيم أحمد عرابى فى برنامجه العملى .. ولم يجمع العزم على تأييد العرابيين الا لتوحيد الصفوف فى وجه الاحتلال الأجنبى بعد التجاء الخديوى توفيق الى الدولة البريطانية ..

* ولما استفحلت الحركة العرابية وضرب الأسطول الانجليزى

الاسكندرية انضم محمد عبده الى العرابيين ووضع يده فى أيديهم ٠٠ وكان ما خاف ان يكون ٠٠ فلم يسعه الا ان يكون مع قومه على الغريب ولو كانو مخطئين ٠٠

* بعد اخفاء عرابى اتهم الشيخ محمد عبده بالتآمر مع رجال الثورة وحكم عليه بالسجن ثم بالنفى ثلاث سنوات ٠٠ فاختار سوريا وأقام بها وذلك سنة ١٨٨٣ م ثم سافر الى أوربا على موعد مع أستاذه السيد جمال الدين الأفغانى ٠٠

* وقد كافح الشيخ محمد عبده ضد الاحتلال الاجنبى الى اقصى جهد وبلغت به الصراحة وقال لهم فى عقر دارهم فى صحيفة «البال مال» البريطانية لما لا تغادرون بلادنا فى الحال ٠٠ لقد علمنا الانجليز شيئا واحدا ٠٠ هو التضامن فى مطالبتكم بالجلاء ٠٠ ولما سأله محرر الصحيفة عن الخديوى توفيق قال : ان توفيقا اساء الينا ابلغ الســــوء لأنه مهد لدخولكم بلادنا وانضم أيام الحرب الى اعدائنا ولا يمكننا أن نشعر أزاءه بأقل احترام ٠٠ قال هذا وهو لا يبــالى ان يظــل منفيــا عن بلاده ابدا ٠٠

* أنشأ جريدة العروة مع السيد جمال الدين الأفغانى بباريس فى ١٣ مارس سنة ١٩٨٤ م ٠ التى أوقفها الانجليز بعد صدور ثمانية عشر عددا فقط ومع قصر عمرها فقد كان لها أثرها على الشـــعوب الاسلامية وغيرها ٠

* عاد الى مصر سنة ١٨٨٨ م واستقر بها الى ان توفى ســنة ١٩٠٥ م رحمه الله ٠٠

سعيد عبد الحى

الفتــــاوى

إعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين

ويجيب عليها لجنة الفتـــوى بالأزهر

س : يحكم بعض الناس عقولهم فحسب فى فهم كتـاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعملون على نشر فهمهم هذا بدعوى أن هذا هو الفهم الصحيح للاسلام •

فمثلا يقولون : انه ليس لمسـلم أيا كان أن يلزم مسـلما آخر بفرائض الدين وأركانه معتمـدين فى ذلك على ظاهر قوله تعـالى : (لا اكراه فى الدين) ويقولون : ان نفى الاكراه فى الدين كما ينصب على العقيدة ينصب كذلك على أركان الاسلام وفرائضه ، وبذلك فليس لنا أن نكره أحدا على الصلاة أو الصيام أو غير ذلك من أركان الاسـلام وأوامـره •

ج : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد •

فنفيد : بأنه ليس لمسلم أن يجتهد فيما فيه نص قاطع من كتاب أو سنة اذ لا اجتهاد مع النص أما مالم يرد فيه نص قاطع من كتاب أو سنة فانه يكون محلا للاجتهاد من أهل الاجتهاد وهم الذين توفرت فيهم الأهلية لذلك من دراية تامة بعلوم القرآن وعلوم السنة وأصول الفقه واللغة وغير ذلك •

فهؤلاء هم الذين يستطيعون استنباط الأحكام من أدلتها وليس لغيرهم أن يسلك هذا الطريق اذ أن العقول التى يعتمد عليها وحـدها

متفاوتة فى الفهم والاســـــتعداد والحكم على الأشياء ولو ترك الأمر للعقول لاختلفت الأحكام تبعا لتباين العقول واختلافها من حــل الى حرمة ولا اختلط الحلال بالحرام وضل الناس بذلك .

وما ذكروه مثلا ، غاب عنهم أن المقصود من الدين فى قول الله تعالى (**لا اكراه فى الدين**) هو المعتقد والعلة بدليل قوله تعــــالى : (**قد تبين الرشد من الغى**) ومعنى الآية على ذلك أنه ليس لمسلم أن يكره أحدا من أهل الكتاب على الدخول فى الاسلام .

وهذا المبدأ تعلمه الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والتزموه فى كل البلاد التى دخلوها وأجمع المسلمون على الالتزام به والعمل بمقتضاه .

أما من دخل فى الاسلام فانه يلتزم بفرائضه وأركانه وأوامره وليس له أن يخالف شيئا منها فاذا اترك ركنا منها أو خالف أمرا مــع القدرة عليه كان على الامام أن يلزمهبهذا الركن الذى تركه ؛ والا أقام الامام الحد الذى فرضه الله عز وجل على تارك هذه الفريضـــة فان أجمع جماعة على ترك فريضة من فرائض الاسلام كان على الامام أن يقاتلهم حتى يعودوا الى أداء ما تركوه ومن هنا كان حــرب أبى بكر رضى الله عنه ــ لما نعى الزكاة وقال : واللهلأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة :

والذى يقيم الحد هو الامام أو نائبه دون غيره من الافراد حتى لا يؤدى ذلك الى فتنة لايعلم مداها الا الله (**واتقوا فتنة لا تصيبن النين ظلموا منكم خاصـــــة**) (**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**) والله تعالى أعلم .

س : جندت فى القوات المسلحة وأنا شاب ملتحى وطبقا للقانون المعمول به بالقوات المسلحة بعدم اطلاق اللحية طلب منى حلق لحيتى فرفضت فقدمت للمحاكمة فحكم بستة أشهر فى الســـجن مع الزامى

بحلقها غرفضت فحكم على مرة ثانية بتكرار العقوبة فما هو موقف الاسلام منى ؟

ج : حالتك هذه تخضع لقانون الجندية المعمول به فى القوات المسلحة ويجب عليك شرعا حلق لحيتك ، على أن هذه حالة ضرورة وتستوجب الطاعة .

س : رجل قتل رجلا وامرأة ، وقد قتل هذا القاتل ، واليوم تريد عائلة الرجل والمرأة المقتولين أن يقتصا من هذا القاتل فى شخص ابن عمه فهل يجوز ذلك ؟

ج : القصاص يكون من القاتل نفسه ، ولا يجوز أن يقتص من أحد أقاربه أو يتعرض له بسوء ، والذى ينفذ القصاص انما هو الحاكم وليس لانسان مهما كان أن يقتص من القاتل بنفسه ، ومادام هذا القاتل قد قتل فقد سقط القصاص .

س : شاب عقد على فتاة ثم توفيت قبل الدخول والخلوة ، فهل يجوز لهذا الشاب أن يتزوج من أم الفتاة التى عقد عليها وتوفيت ؟

ج : لا يجوز شرعا لهذا الشاب أن يتزوج من أم زوجته التى عقد عليها وتوفيت قبل الدخول ، لأن القاعدة الشرعية تقول : « العقد على البنات يحرم الأمهات » .

س : رجل يعطى زكاة أمواله لرؤساء المؤسسات والمعاهد وأئمة المساجد ليقوموا بتوزيعها على أربابها . فهل تبرأ ذمته بذلك ؟

ج : الأولى والأفضل للانسان أن يباشر توزيع الزكاة بنفسه حتى يضعها فى موضعها قدر المستطاع ، وليبدأ بالأقربين ممن لا تجب عليه نفقتهم والجيران ، وليصرفها فى باقى المصارف كذلك .

فاذا وكل غيره فى توزيع الزكاة صح هذا التوكيل ، وبرئت ذمته بتوزيع الوكيل للزكاة ... فاذا تيقن أن الوكيل لم يقم بالتوزيع فان ذمته لا تبرأ من الزكاة والله وأعلم .

عبد الحميد السيد شاهين

قالت الصّحف

إعداد عاطف زهران

هذا العار على الأمة الاسلامية :

تحت هذا العنوان كتبت مجلة الاعتصام القاهرية تقول :

أولى سماحة العالم الجليل ـ ابن باز ـ بحديث لجريدة أخبار العالم الاسلامى فى مكة . دعا فيه الى تحكيم شرع الله تعالى فى النزاع القائم بين العراق وايران .ودعا قادة الدول العربية والاسلامية الى التشاور لازالة عوامل الفرقة والنزاع . وقال سماحته : « ان الطريق الأمثل والوحيد فى حل ما قد ينشأ من نزاع ومشاكل هو اتباع كتاب الله وسنة رسوله الكريم . وتحكيم شريعته السمحاء .. » .

وهذا حق لا مراء فيه .. وكان يجب أن يكون منذ الساعات الأولى للقتال ..

ان أرض العراق هى أرض الاسلام وليست ملكا للبعث . وأرض ايران هى أرض الاسلام وليست أرض الفرس .. فكيف يقاتل المسلمون بعضهم بعضا على أرض اسلامية بدلا من أن يقاتلوا معا على أرض اسلامية مغتصبة لغير المسلمين . فى فلسطين وأرتيريا .لقد صرح رئيس هيئة الأركان الاسرائيلى أثر الأزمة السورية الاردنية قائلا : « ان الحرب بين دولتين عربيتين مما تسر له اسرائيل » لأنها دون شك فى مصلحة اسرائيل . فهل يتدبر العرب مثل هذا الكلام .. ؟

ان حرب ايران والعراق وصمة عار فى جبين الشعوب المسلمة

قاطبة .. هذه الشـعوب الراكدة لن يعذرها الله .

تآمر عالمى على الاسـلام

تحت هذا العنوان كتبت مجلة الارشاد اليمنية فى عددها الصادر فى (ربيـع ثانى) سـنة ١٤٠١ هـ تقول :

هذا هو واقع المسلمين اليوم .. غزو ثقافى ، وتمزق سـياسى ، وتخلف اقتصـادى ، وتحلل اجتماعى . ومع كل ذلك هناك تآمر عالمى رهيب من أعداء الاسلام .. اليهودية العالمية .. الشـيوعية العالميـة ، وعمـلاء كل فى الأرض المسلمة .

وهذه بعض أقوالهم :

فى أفتتاحية جريدة الحـزب الشيوعى فى أوزباخسـتان قال المحرر « من المسـتحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الاسـلام نهائيا » !!

وقالت صحيفة أخرى :

« ان العقيدة الاسـلامية هى القوة المظلمة التى لا تزال تفسـد العقول ، وحياة الشعوب ، وتعيق النمو . وتقف كأى حاجز فى طريق السعادة والنور والمعرفة » !! .

وقـال بن غوريـون ـ رئيس وزراء اسرائيل الأسبق ـ :

« ان أخشى ما أخشاه أن يظهر فى العالم العربى محمد جديد »!!

وقال لورانس براون :

« ان الخطر الحقيقى كـامن فى نظام الاسـلام وفى قـدرته على التوسع والاخضاع وفى حيـويته .. انه الجدار الوحيد فى وجـه الاستعمار » ..

وبعد : فهذه بعض مقولاتهم . دليلا على بغضـهم لدين اللـه الحنيف . والكيد الـدائم لـه . وما خفى كان أعظم . فهل ننتبه . ونأخذ حذرنا .. ؟ !! ياليت !! .

من سعادة الخلافة

الى شـقاء التبعية

فى عددها الأخير ـ الثـامن . جمادى الأولى سـنة ١٤٠١ هـ ـ نشرت مجلة البعث الاسـلامى الهندية افتتاحية قالت فيها :

رغم أن الانسان المعاصر قد قام

بتجارب منوعة فى المجالات الحيوية . واستطاع أن يخترع أساليب من العلم والفكر والحضارة ، وأيدلوجيات جديدة يستند اليها فى ترقية الحياة واسعاد المجتمع . لم يساعده الحظ على تحقيق غايته . وظل يتيه فى متاهات من القلق والخوف والفوضى والأنانية . ويعيش فى يأس وتشاؤم وجو خانق يبحث لنفسه عن مخرج من المأزق فلا يكاد يجده .

ومن ثم التجأ الى أساليب أخرى لتهدئة اليأس القاتل .. كتعاطى المخدرات والانزواء الى الخنفسة ، أو الانتحار . كل ذلك فرارا من تكاليف الحياة . وتخلصا من عار الاخفاق فى احراز السعادة .

هذا الانسان الذى أظلمت عليه دروب الحياة هو الذى خرج عن ولاية ربه فلم يغن عنه علمه وحضارته ، وفكره وفلسفته مما كان يتصوره قمة التقدم . نشأت أفكار ومذاهب خدعت الانسان . أنسته وظيفته التى خلق من أجلها فتمادى فى الغى والضلال كثيرا ، وانحط عن مكانته وتسفل . حتى نشأت معسكرات السباق الدولية فى مجال التعرى عن لباس الانسان الطبيعى ، وقامت معارض عالمية للمنجزات الابليسية فى عواصم العالم الكبرى . وتحقق قول الله سبحانه فى الانسان بنوعيه ــ الفاسق والمؤمن ــ :

« أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون .. »

« ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون .. » (١) والعذاب الأدنى ماثل أمام أعين العالم فى أشكال شتى .

أليس ما يعانى منه الانسان اليوم من اشتراكية ، وشيوعية ، وبلشفية ورأسمالية ، وديمقراطية ، وجماهيرية ، ودكتاتورية .. وما اليها من

---

(١) السجدة آية ١٨ ، ٢١ .

لافتات وشارات • أليس كل ذلك مثالا للعذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ؟ •

فهل يفهم الناس ويرجعون ، أم ينخدعون ويعذبون ؟

وهل الى الرجوع الى منهج الله من سبيل ؟ !!

المد الاسلامى •••

كتبت مجلة الأمة (١) القطرية تحت هذا العنوان مقالا للأستاذ أنور الجندى قالت فيه :

لم تعد ظاهرة المد الاسلامى موضع شك من خصوم الاسلام والمراقبين على السواء •

هذا المد الذى كان ثمرة العمل الذى تولته بصدق واخلاص طلائع اليقظة الاسلامية • فكشفت عن زيف التجربة التى فرضت على الأمة الاسلامية منذ وقعت فى براثن النفوذ الأجنبى • حين خدعها ذلك الجيل الذى خرجته مدارس الارساليات ، ومحافل الماسونية ، وتلاميذ المستشرقين من التغريبيين والشعوبيين • الذين انبثوا فى المجتمع الاسلامى ليخدعوا المثقفين بأن أسلوب العيش الغربى هو الوسيلة الوحيدة للخروج من أزمة التخلف التى يمرون بها •

واليوم ينكشف بوضوح أن تلك المدرسة العصرية التقدمية • كانت مضللة وفاسدة • رفضها الحس الاسلامى • ولم يخدع بها الا القليل • وتبين أن مدرسة اليقظة الاسلامية كانت صادقة فى وجهتها حين دعت الى التماس المنابع الاسلامية من القرآن والسنة ، واقامة المجتمع الربانى ، والتحرر من النفوذ الوافد •

ومن هنا فان القوى الاسلامية كلها مطالبة بحماية هذا المد وترشيده ودفعه الى الطريق الصحيح ، وتحريره من عوامل العنف والتعصب حتى يبلغ رسالته

---

(١) العدد الخامس جمادى الاولى سنة ١٤٠١ هـ

الحقة الى عالم الغرب الذى تجتاحه مخاوف كاذبة تبثها الصهيونية ، بينما الاسلام كان ولا يزال رسالة السماحة والرحمة والاخاء .

ان القوى الخصيمة للاسلام تحاول اليوم محاولات جديدة فى مجال الاستشراق والتبشير والتغريب . من أجل أن تحول بين المسلمين وبين اقامة المجتمع الربانى الأصيل . وتجرى الآن هذه المحاولات لهدم مشروعية الجهاد ، وهدم ترابط الدين بالدولة ، وانتقاص الشريعة الاسلامية والتشكيك فى التاريخ الاسلامى واللغة العربية .

كما أن هناك محاولات تمزيق الوحدة الاسلامية بالدعوات الاقليمية والعنصرية والقومية .

ولقد بدأت هذه المحاولات منذ أكثر من قرن ، وقاومتها حركة اليقظة الاسلامية . وكشفت زيف هذه القضايا التى ثارها الاستشراق الغربى والشعوبية المحلية ودعاة التغريب .

وستكون هذه القوة الاسلامية الجديدة قادرة دائما على دحض هذه الشبهات والانتقال من مرحلة « المقاومة » الى مرحلة «الأصالة»

ويؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ..

عاطف شحاته زهران

هكذا يكتب القراء

إعداد عبدالعزيز احمد جبرة

من اخلاق الرســـول الاعظم

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ/محمود الشرقاوى يقول :

كان محمد صلى الله عليه وسلم أحسن قومه خلقا وأصدقهم حديثا وأفضلهم مروءة وحلما وقد سمى صلوات ربى وسلامه عليــه بالصادق الأمين وكان عليه السلام هو الفاصل فى الخصــــومة بــين قومه ، ومما يدل على ذلك ما حدث عندما ارادت قريش تجديد بنــاء (الكعبة) فأتموا البناء وهم متفقون الى أن وصلوا الى وضــــــع الحجر الاسود فى موضعه وهنا نشب الخلاف بينهم وتنافس اشرافهم على ذلك الامر فاختلفوا اختلافا كاد أن يوقع بينهم حربا تقضى على اتفاق كلمتهم منذ بداية البناء ، وظل هذا الاختلاف اربعة أيام فقــال أبو أمية ابن المغيرة المخزومى (وكان أكبر اشراف قريش سنا) يا قوم لا تختلفوا وحكموا بينكم من ترضونه حكما فقالت قريش (نكل الامر لاول داخل) وحينما كانوا ينظرون ناحية القادم فاذا به الامين المأمون محمد صلى الله عليه وسلم فاستبشروا به وقالوا هذا محمد رضيناه حكما فحل لهم المشكلة بان جعل كل قبيلة تأخــــذ بطرف من الرداء ووضعوا الحجر الاسود مكانه وقضى صلوات ربى وسلامه عليه على هذا الخلاف ومن هنا نرى أن الله سبحانه وتعالى رفع شأنه بين قومه ، ذلك الانسان الذى سيبعثه الله نبيا ورسولا لهم وللناس اجمعين ،

وكان أمر الحجر الاسود ارهاصا لنبوته واعلاما لرسالته وليكون حجة عليهم حينما يختلفون ٠

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته جامعا الخصال الحميدة والاراء السديدة باغضا للاوثان لم يحضر لها عيدا ولم يأكل مما ذبح على النصب كما حرم الخمر على نفسه ، وهكذا كان الرسول صلوات الله عليه وسلامه يخالف عادات قومه الجاهلية وتقاليدهـــم السيئة وذلك لم يكن بنزول أمر سماوى ٠ بل بارادة من ربه الذى أراد أن يربيه ويؤدبه ويؤهله تأهيلا الهيا ليكون على استعداد لمـــا سيوحى اليه من قبل ربه من تحمل للرسالة وتأدية للامانة ، ولذلك قال صلوات ربى وسلامه عليه فى حديثه الشريف(أدبنى ربى فأحســن تأديبى) وقال الله فى كتابه العزيز واصفا له مادحا اياه (وانك لعلى خلق عظيم) صدق الله العظيم ، ومحمد صلى الله عليه وسلم قد ولد يتيما ٠ مات أبوه قبل ولادته وماتت أمه وهو فى السادسة من عمره ولم يتركا له شيئا ولكنه بلغ مبلغا لم يبلغه من قومه وأهله من عاش أبوه وأمه ٠ فبعث الامل فى قلوب البؤساء وكان قدوة حسنة فى تجارته مع السيدة خديجة رضى الله عنها التى اختارته عندما سمعت عن صدقه وأمانته فربحت تجارتها منذ تولى أمورها ٠ وصدق الله حين قـــال (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) فصلاة وسلاما على رسول الله الكريم ، وعلينا أن نترسم خطاه قولا وعملا حتى نصل الى الخير دائما وفقنا الله واياكم للعمل بتعاليم ديننا الحنيف ولا قتداء برسولنا العظيم صلوات الله وسلامه عليه ٠

***

هـــــذه هى الدنيـــــا

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ/عبد المعبود محمد عبد المعبود يقـــول :

الدنيا لفظ أتى من الدنو وعكسها الآخرة وهى خير وابقى وهـــذه

الدنيا بما حبت فانها فانية بمن عليها وهذا الفناء قد جـاء حكمة فى القرآن الكريم فقال تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجـــه ربك ذو الجلال والاكرام) والحقيقة ان هذه الدنيا غرور تجذب النـــاس اليها ببريقها الخادع الكذاب، بل ولن ينجذب اليها الا من دنت نفوسهم وتحولوا الى طلاب لها ، ولا ننسى هنا حديث رسول الله الذى يقول فيه ما معناه (لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء) أن الدنيا التى هبط اليها سيدنا ادم عليه السلام بعد أن أكل من الشجرة المحرمة ليست شراً على الاطلاق أو خيراً على الاطلاق وانما هى كالسوق بما فيه من أوراق رابحة وأخرى خـاسرة يكسب فيها من كسب ويخسر فيها من اساء لنفسه ولغيره من بنى البشر أى أنه ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى • وأيضاً قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خير يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) • معنى هذا أننا نحيا بهذه الدنيا ونعمل فيها كأننا نعيش أبدا وأن نعمل للآخرة كاننا نموت غدا متمثلين قول الله(وابتغى فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كمـا أحسن الله اليك) • وأما عن الانسان وعمره المحدود وما يأخذ منهـا وما يعانيه فيها فهو شريط «سينمائى» يعرض مرة واحدة وخيرنا فى هذا الوجود من يتخذ لنفسه طريق الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فعال للخير لا لشيء الا لانه خير فى ذاته ولذاته حتى لا يكون كأجير السوء يعمل من أجل العطاء ، وأما الذين يتمثلون أدوار شـياطين فتبا لهم والنار أولى بهم وسيصـــلون ســـعيرا • والدنيــا يا ولدى كمـا يراهـا العقـــلاء هى مزيج من المتناقضـــــات المكونة للوجـــود ، الخـير والشر فيهـا كامنان كمون النار فى الحجـــر الصوان فان أو ريتها أورت وان تركتها توارت فاورى الخير فيهـــا ماستطعت ليتحول الى نور يهدى الناس جميعا الى طريق الاخلاق والقيم الرفيعة والايمان القوى المتين ، وهذا الخير سيأخذ بيد أمتك

الى الامن والامان والحب والود والصفاء ويعم الرخاء جميـــــع البشر لانهم يبحثون عنه ويفعلون الخـــير من أجــله ، اتــرك الشر ولا تبحث عنه ودعه يموت فهو كالفتنة النائمة لعن الله موقظها ، وليكن ياولدى وجودك فى هذه الدنيا ذكرا وصمتك فكرا وحديثك عبرة فان عرفت خيرا تشيعت اليه مسرعا وجاهدت فى سبيله حتى يعم الناس جميعا ٠ وان لم تقدر على فعل الخير فعليك بالصمت عن ضده وعدم مساعدة من يفعله وانصح بالخير وانه عن الشر واعلم بأن الله وحده هو الذى سيجزيك عما تفعله من خير أو شر كما قال تعالى (من عمــل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها) واذا لحق بك أى ضرر ففوض أمرك الى الله وحده فانه سوف يحاسب كلا على عمله ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا وابتغ دائما فى عملك مرضاة الله دون انتظار مثوبة من احد لان عطاء الله كبير وكثير لانه صاحب الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الملك وهو على كل شىء قدير ٠ ولتعلم ياولدى دائما أن ســلبيات الدنيا هى تجارة شياطين البشر وأما ايجابيات الدنيا فهى غذاء لقلوب وارواح عباد الله المخلصين الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون ٠

فانعم بايجابياتها عن طريق التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ٠ وما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل وأن الآخرة هى خير وابقى لمن عمل صالحا والتزم الحق فى دنياه ، واخيرا ياولدى تربت يداك والى طريق الايمان والحق هداك ورعاك امين يارب العالمين ٠

عبد العزيز أحمـــــد

أخبار العالم الإسلامي

إعداد أحمد عبد الرحيم السايح

ـ وافق الرئيس أنور السادات رئيس الحزب الوطنى الديمقراطى على المشروع الذى تقدمت به دار مايو الوطنية للنشر والخاص باصدار جريدة دينية اسبوعية من ٣٢ صفحة من الحجم النصفى وغلاف بالألوان وتباع بخمسة قروش ٠

وقد قرر الرئيس السادات تسميتها : « اللواء الاسلامى » ومن المنتظر صدور أول عدد خلال الأشهر القليلة القادمة حيث يتولى تحريرها نخبة من كبار المفكرين الاسلاميين ٠

ـ وجه السيد الرئيس أنور السادات يوم ٣١ مارس رسالة الى الشعوب العربية والاسلامية بمناسبة مرور قرن هجرى على اصدار جريدة « العروة الوثقى » وذلك بقاعة الاحتفالات الكبرى قاعة محمد عبده بجامعة الأزهر ٠

القاهرة :

ـ تجرى دراسة مشروع لانشاء شركة اسلامية لطبع كتب التراث الاسلامى من جديد وتقديمه للمسلمين فى صورة طباعة معاصرة وبعد تخليص كتب التراث من المدسوسات ٠

ـ جامعة الشعوب الاسلامية والعربية ستصدر من أول مايو مجلة « العروة الوثقى » العدد التاسع عشر ٠ وكان الامام جمال الدين

الأفغانى والشيخ محمد عبده قـد اصدرا منها ١٨ عددا فى باريس فى الفترة من ١٣ مـارس حتى ١٤ أكتوبر سـنة ١٨٨٤ م ثم أغلقتهـا بريطانيا ٠

السـعودية :

ـ صرح وزير المالية السعودى بأن انشاء سوق مشتركة للدول الاسلامية سيكون ذا أهمية كبرى بالنسبة لتنمية التعاون التجارى بين الدول الاسلامية ٠

ـ وضع المركز العالمى لابحاث الاقتصاد الاسـلامى بجـدة « ثبتا » بالمراجع المعاصرة فى الاقتصاد الاسلامى ٠

ـ تعقد بمكة المكرمة خلال شهر جمادى الآخرة المسابقة الدولية الثالثة للقرآن الكريم ويشترك فيها متسابقون من خمسين دولة وجمعية اسـلامية ٠

اليمن :

بحث المؤتمر الثانى لوزراء العدل العرب خطـة اقرار توحيـد التشريعات العربية على أساس أحكام الشريعة الاسلامية ٠

باريس :

ـ الملتقى الدولى عن الاسلام الذى عقد بمقر منظمة اليونسكو فى باريس طالب من منظمة المؤتمر الاسلامى العمل على اعادة الفكرة الحقيقية للاسلام فى الغرب ٠

ـ تم فى باريس افتتاح مسجد باسم مسجد طنجة الجـديد ، وأدى فيه المسلمون صلاة الجمعة فى احتفال اسلامى رائع ٠٠

ـ يجمتع المسلمون فى فرنسا خلال فبراير للبحث فى أوضـاع المسلمين الاجتماعية والثقافية ٠٠

الولايات المتحدة الامريكية :

ــ لجنة الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجرى بالولايات المتحدة الامريكية والتى تضم عددا من الشخصيات الامريكية ستقوم بعدد من المشاريع والبرامج لتعريف بالحضارة الاسلامية ، وتفيد التقارير الواردة من امريكا أن عدد المسلمين فى امريكا الجنوبية أكثر من مليون مسلم ٠

ــ افتتح متحف « هاريسون » بواشنطن معرض الفن المعمارى الاسلامى الذى يحتوى على التصاميم التى حازت على جائزة فن للعمارة الاسلامية ٠

ــ تقرر فى الولايات المتحدة الامريكية اعتبار يومى العيدين : « الفطر والاضحى » عطلة رسمية للمسلمين فى امريكا ٠٠

ــ قام المسلمون فى مدينة « فورت كوليتز » الامريكية بشراء كنيسة وتحويلها الى مسجد لاقامة الشعائر الاسلامية به ، وليكون مركزا لنشر الدعوة الاسلامية ٠

ــ أقيمت فى واشنطن ندوة بمناسبة مرور عشرة قرون على ميلاد العالم الاسلامى ابن سينا واشرفت على اقامة هذه الندوة منظمة التنمية الاسلامية فى واشنطن ٠٠

تم تشييد مركز اسلامى جديد فى مدينة « باتثيستا » بولاية « ماويلاند » لاستقبال الراغبين فى الدخول فى الاسلام ٠٠

سيرلانكا :

ــ وافق رئيس جمهورية « سيرلانكا » على تأسيس ادارة للشئون الدينية والثقافية والأوقاف الاسلامية فى سيرلانكا ٠

ــ قررت حكومة سيرلانكا تدريس اللغة العربية والقرآن الكريم فى جميع المدارس الحكومية وبجميع مراحل التعليم واصبحت اللغة العربية مادة اجبارية ٠

ــ تصدر الجامعة التنظيمية الاسلامية بسيرلانكا مجلة اسلامية

شهرية باسم الفكر الاسلامى باللغة الانجليزية ولغة « التأمل » لغة المسلمين هناك .

الهنـــد :

— شهدت حيدر أباد بالهند مؤتمرا اسلاميا كبيرا تناول بالدراسة والتحليل قضايا الأمة الاسلامية وكيفية مواجهة التحديات .

— ندوة العلماء بدار العلوم بلكهنو تعقد فى الشهر القادم ندوة عالمية حول الأدب الاسلامى وما يجب أن يكون عليه .

بريطانيـــــا :

— يقوم المركز الاسلامى بلندن بترجمة الفقه عـــلى المـــذاهب الأربعة الى اللغة الانجليزية ليتمكن المترددون على المركز من الرجوع الى الفقه يعرض لهم من وقائع وأحداث .

— قرر المجلس الاسلامى لأوربا بلندن أصدار ميداليات تذكارية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجرى .

— أقيم بلندن معرض للكتاب الاسلامى تحت اشراف منظمـــة المؤتمرات الثقافية الاسلامية ضم مؤلفات اسلامية حضارية وفلسفية .

بروكســــــل :

عقد مؤخرا فى بروكسل المجلس القارى للمساجد فى أوربا واتخذ عدة قرارات وتوصيات هامة منها :

— العمل على اعداد أئمة للمساجد فى أوربا قادرين علميا وثقافيا ودينيا على الدعوة الى الله .

— الاهتمام بالاسرة المسلمة وربطها بالمســـجد وانشاء المدارس لأبناء المسلمين لتنشئتهم النشأة الصالحة .

— اقامة مجالس محلية للمساجد فى أوربا لتكون مصدر اشعاع ودعم لحقوق المسلمين فى حرية العبادة والعيش الكريم .

السـودان :

يناقش المؤتمر العالمى للدعوة الاسلامية بالخرطوم القضايا الاسلامية ، وخطة لنشر الدعوة الاسلامية على مستوى العالم ٠

الفلبين :

سيقام فى « مانيلا » عاصمة الفلبين معهد اسلامى يقوم بالتعليم ونشر الدعوة الاسلامية ٠

اندونسـيا :

ــ تم فى جاكرتا افتتاح مقر المجلس المحلى للمساجد فى جاكرتا للبحث فى رسالة المساجد فى العالم الاسلامى ٠

المـانيـا :

تبحث حكومة المانيا الغربية مشروعا لاعتراف الدولة الرسمى بالدين الاسلامى كأحد الأديان المعترف بها فى ألمانيا ، ومن الملاحظ أن المسلمين بألمانيا يشكلون نسبة مؤثرة فى الحضارة القائمة ٠

طشـقند :

اذاعت وكالة الأنباء الفرنسية تقريرا هاما بعث به مراسلها من طشقند ٠ عن أن الخبراء الغربيين يتوقعون حدوث انفجار اسلامى فى الاتحاد السوفيتى الذى يقطنه أكثر من ستين مليونا من المسلمين نظرا للزيادة المذهلة فى عدد السكان المسلمين وتمسك السكان بالتقاليد الاسـلامية ٠

ازربيجان :

فى جمهورية ازربيجان الاسلامية الواقعة تحت وطأة الاستعمار السوفيتى حركة اسلامية نشطة تعمل على عودة الاسلام الى الحياة ٠

الارجنتين والبرازيل :

ــ يقوم المسلمون فى البرازيل بانشاء جامع كبير فى مدينة

« سان باولو »٠٠ كما تشـــهد الأرجنتين والبرازيل اهتمـــاما بتعليم الاســـلام ٠

فنلنـــدا :

تم فى فنلندا انشاء مركز اسلامى لخدمة المسلمين الذين يقـــدر عددهم بثلاثة آلاف مسلم ومعظمهم ذوى النفوذ والجاه ٠٠

اســـبانيا :

ـ تسعى جمعية المسلمين بأسبانيا الى انشـــاء مسجد بغرناطة واقامة مدرسة للأطفال ٠ والجمعية الاسلامية تضم مائة عضـــو الى جانب خمسمائة طالب مسلم من البلدان الاسلامية ٠

ـ تشهد أسبانيا زحفا اسلاميا هائلا وقد ظهـــرت بوادر هـــذه الحركة منذ انشاء « جمعية دعوة الاسلام الى اسبانيا » ٠٠

أحمد عبد الرحيم السايح

اخى الكاتب ٠٠ والقارىء

تهتم المجلة بمعالجة الموضوعات الآتية :

* الموضوعات التى تعالج موقف الدين من التيارات المادية الالحادية المعاصرة ، كموقف الاسلام من الماركسية والوجودية ، ومذاهب المنفعة وغيرها من التيـــارات التى تتنازع شبابنا المعاصر ٠

* الموضوعات التى تعالج مشكلات الشباب المتعددة من نواحيها النفســـية والاجتماعية وعلاج الدين لهـــذه المشـــــكلات ٠

* الموضـــوعات التى تعالج النظرية الاقتصـــادية الاسلامية وتبحث عن حلول المشـــــكلات الاقتصـــادية والرأسمالية والماركسية وتعمل على تأصـــيل الاقتصـــــاد الاســـــلامى ٠

* الموضوعات التى تعالج بعض العادات والتقاليد الاجتماعية التى تتنافى مع المبادىء والقيم الاسلامية نحو تكوين مجتمع اسلامى افضل ٠

* الموضوعات التى تقارن بين الاسلام وتشريعاته والتشريعات والقوانين الوضعية فى سبيل ابراز أفضـــلية التشريع الاسلامى على هذه التشريعات البشرية ٠

الموضـــوع صفحة

● رسالة العروة الوثقى

كلمة فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر ٩٧٨

● حديث الشهر

بقلم رئيس التحـــرير ٩٨٨

دراســـات قرآنيـــة

● التولى يوم الزحف

لفضيلة الدكتور / محمد الطيب النجـــار ٩٩٤

● واجب التأمل فى الظواهر الكونية من القرآن الكريم

للدكتور / عبـــد الغنى الراجحى ٩٩٩

● النحو .. دراسة قرآنية

للدكتور / السيد رزق الطـــويل ١٠٠٤

● القيمة الحقيقية لكتاب

مقدمة فى فقة اللغة العربية ١٠١٢

● المؤامرة على الفصحى : لغة القرآن

للأستاذ / أنور الجندى ١٠١٤

● اللغة واعجاز القرآن

دكتور / عبد الغفـــار هلال ١٠٢٣

فى التشريع الاسلامى

● من توجيهات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب الى رجال القضاء

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى ١٠٣٤

● ترشيد الانفاق فى ضوء تعاليم الاسلام

للأستاذ / مجـــدى عبد الفتاح ســـليمان ١٠٤٣

أعـــلام الاســـلام

● من أئمة المحدثين : الامام البخارى

الدكتور / الحسينى هاشم ١٠٥٣

- **المنحى الاسلامى عند العقاد**
  للدكتور / محمد رجب البيــومى ١٠٥٩
- **منهج الحكيم الترمذى فى الحديث والفقه**
  للدكتور / محمد ابراهيم الجيــوشى ١٠٦٩
- **طرائف .. ومواقف**
  اعداد عبد الحفيظ محمــد عبد الحليم ١٠٧٦

من حضــارة الاســـلام

- **الشعوبية امس واليوم**
  للاستاذ / السيد حسن قــرون ١٠٨٢
- **الاسلام وتقرير العقائد**
  دكتور / محمد سيد [illegible] ١٠٩٤
- **التربية الصوفية [illegible]**
  للأستاذ / عبد الحفيظ [illegible] ١١٠٣
- **بلال بن رباح انسان [illegible]**
  للأستاذ / حامد [illegible] ١١١٢
- **شخصية فى سطور**
  بقلم ســعيد عبد الحى ١١١٤
- **الفتــاوى**
  اعداد الأستاذ عبد الحميد شــاهين ١١١٦
- **قالت الصحف**
  اعــداد عاطف زهران ١١١٩
- **هكذا يكتب القراء**
  اعداد عبد العزيز احمــد جبره ١١٢٤
- **اخبار العالم الاسلامى**
  اعداد أحمد عبد الرحيم السايح ١١٢٨

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث
الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان : إدارة الأزهر
بالقاهرة
تليفون : ٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

رئيس التحرير
د. عبد الحليم بسيونى

المسجد الأقصى الذى بارك الله من حوله

الجزء السابع ـ السنة الثالثة والخمسون رجب ١٤٠١ هـ ـ مايو ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

« كلمة التحرير »

سلاما على وطن السلام. سلاما على الأرض المقدسة، سلاما على القدس. مهبط الانبياء، وملتقى الرسالات، ومسرى رسولنا العظيم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

سلاما على قبلتنا الأولى، من الأزهر الشريف الذى اهتزت جنباته يوم احتل المسجد الاقصى سنة ١٩٦٧ م ولم يسكت علماؤه لحظة عن مطالبة الأمة الاسلامية حكومات وشعوبا أن تهب لتخليص القدس وكان أسبق من الجميع فى المطالبة بالجهاد المقدس من خلال مؤتمراته التى عقدها مجمع البحوث الاسلامية كل عام وكانت القضية الاولى فيها هى قضية: القدس وتخليص المسجد الأقصى.

وفى هذا العدد يرى القارىء « ملفا » كاملا لاهتمام الأزهر بالقضية التى نرجو أن يعمل المسلمون أمة واحدة متكاتفة فى سبيل تخليصها بكل الوسائل المتاحة.

التحرير

الرئيس محمد أنور السادات
يكرم علماء الأزهر

فى حفل كبير ضم اكثر من خمسة آلاف من شباب الازهر طلابه واساتذته اجتمعوا فى قاعة محمدعبده يوم الاثنين ٢٤ من جمادى الاولى سنة ١٤٠١ هـ حيث استقبلت جامعة الازهر السيد الرئيس محمد انور السادات ليفتتح سيادته ((مؤتمر مشكلات الشباب فى العالم الاسلامى)) الذى عقده مركز الدراسات والبحوث السكانية بجامعة الازهر فى الفترة من ٢٤ – ٢٧ من جمادى الاولى سنة ١٤٠١ هـ (٣/٣٠ – ١٩٨١/٤/٢ م) وقد حضر الحفل فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر ، والدكتور فؤاد محيى الدين نائب رئيس الوزراء ، والدكتور مصطفى خليل نائب رئيس الحزب الوطنى للشئون الخارجية ، والمهندس سيد مرعى رئيس هيئة مستشارى رئيس الجمهورية ، والدكتور صوفى أبو طالب ، والدكتور صبحى عبد الحكيم ونواب رئيس الوزراء والوزراء والدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الازهر .

وقد استقبل الرئيس السادات استقبالا باهرا لدى وصوله الى قاعة محمد عبده التى دوت بالهتافات والتكبير والتصفيق الحار تأييدا له وترحيبا به .

وقد القى سيادة الرئيس كلمة فى الحفل اشاد فيها بدور الازهر وحمايته للاسلام على طول الف سنة كاملة ، كما اشاد باثره فى النهضة الاوربية وتأثيره فى جامعات العالم .

الرئيس يقول :
دافع الأزهر عن الإسلام ألف سنة كاملة .

الرئيس يشيد بتأثير الأزهر في جامعات العالم .
وتأثيره في النهضة الأوربية .

الرئيس يهدي إسم الإمام محمد عبده أعلى وسام
لرؤساء الدول وقلادة الجمهورية لفضيلة الإمام الأكبر
الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار .

قال السيد الرئيس :

فضيلة الامام الاكبر

علماءنا الاجلاء

أبنائى وبناتى شباب الأزهر :

أعد نفسى لكى أتحدث اليكم وانما جئت لاشاركم هذا الحفل حتى نستطيع أن نتمم كما اتفقت مع فضيلة الامام الأكبر أن يكون احتفالنا الأكبر بالعيد الالفى للأزهر . لعلى أرجىء كلمتى الى هذا اليوم المشهود بعد أن سمعتمونى وسمعنى العالم كله أقول لهم : لقد دافع الأزهر عن الاسلام كل الهجمات الشرسه من الاستعمار ومن كل المفسدين دافع الأزهر عبر ألف سنه كاملة عن الاسلام .

من أجل هذا لابد أن يكون احتفالنا بالعيد الألفى مساويا لما للأزهر من مكانة ليس فقط فى أمة الاسلام وانما كما سمعتمونى أتحدث الى البرلمان الاوربى وقد بدأوا يستقون فى أوربا علوم عصر النهضة من هنا من الأزهر والجامعات الاندلسية ولعل . ما يملؤنا فخرا أن كرسى الاستاذية الذى أخذت به كل جامعات العالم منشؤة كرسى علماؤنا الافاضل فى الأزهر هنا . وعلى ذلك فالى لقاء يوم أن نحتفل بالعيد الالفى

للأزهر • ولكننى قبل أن أترك مكانى هذا لابد لى أن أصحح بعض ما أحسه ولعلكم تعلمون أننا فى جامعة الشعوب الاسلامية والعربية سنبدأ فى اصدار أو فى اكمال ما بدأه الامام محمد عبده والامام جمال الدين الافغانى ونحن اليوم نبدأ هذا التكريم ولا يجب أبدا أن ننساه باسم شعب مصر وباسم المؤمنين فى كل العالم الاسلامى أهدى لاسم الامام الشيخ محمد عبده قلادة النيل وهى أعلى وسام لرؤساء الدول تهديه الدول •

وأستأذنكم أيضا أن نكرم اماما جليلا وصديقا عزيزا ومسلما أبيا متفتحا هو فضيلة الامام الأكبر أهدى اليه قلادة الجمهورية •

بقى مدير جامعتكم ولقد أحسست وسعدت لعاطفتكم نحوه فنحن نبنى مجتمع العائلة • ولقد كان باسمكم جميعا يا من أكرمتموه وكرمتموه أهدى اليه وسام الجمهورية من الطبقة الاولى وأهدى اليه سنتين أخريين •

أبنائى وبناتى من كل قلبى أعبر اكم بكل الحب عن شكرى لهذه المشاعر : وأطلب منكم أبنائى وبناتى أن نتجه الى اقامة البناء الجديد على العلم والايمان كما اخترنا أطلب منكمأن نبنى الانسان المصرى الجديد بكل قيم هذه الارض التى علمتها لنا شريعتنا السمحاء •

وفقكم الله والسلام عليكم عليكم ورحمة الله وبركاته •

طهرتم مجتمعنا من خبراء الشر والمفسدين

كما ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة رحب فيها بالرئيس وأشاد بدور سيادته فى تطهير المجتمع من « خبراء الشر » والمفسدين فى الأرض وما حققه سيادته من استقرار للمجتمع.

قال فضيلة الامام الأكبر :

حمدا لله تعالى ، وشكرا لأنعمه ، وصلاة وسلاما على سيدنا محمد النبى الكريم ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين.
السيد الرئيس : محمد أنور السادات

فى هذا اليوم العظيم ، الذى تفتحون به المؤتمر الاسلامى بجامعة الازهر الشريف ، لمناقشة موضوع :

« مشكلات الشباب فى العالم الاسلامى »

وفى رحاب الازهر الشريف ، ذلك المعهد العريق ، يستقبلكم اليوم : ــ أساتذة ، وطلابا ، وعلماء ، وعاملين ــ فخورا بكم ، مشيدا بفضلكم وعملكم له ولمصر ، وللامة الاسلامية جمعاء .

فمرحبا بكم ، فى هذا الرحاب الطاهر ، والحصن المنيع للاسلام والمسلمين ، على أرض مصر ، كنانة الله فى أرضه .

لقد أنفق الازهر من عمره ألف عام أو تزيد ، عاكفا على تراث الاسلام ، وفقه الدين ــ أمانة وحفظا ــ يعلم الناس ما أنزل اليهم من ربهم ، على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ــ عقيدة وشريعة ، وأدبا وقيما ، وأخلاقا وسلوكا .

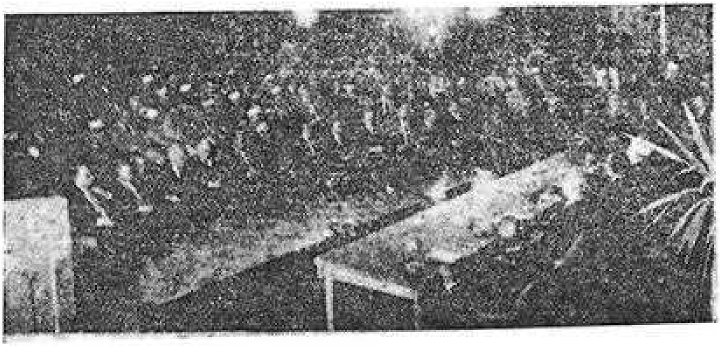

ولقد مر بالازهر دهر طويل ، رأى فيه تقلب الايام ، وتعاقب الليل والنهار ، ثم جاء عهدكم البهيج ، ففتح الله له أبواب الخير ، ومهد لـــه سبيل الامل ، فبسط جناحيه آمنا ، واستأنف طريق التجديد ، والبنـــاء والاصلاح ، دءوبا مثابرا ٠

اشادة الرئيس بالازهر :

ولقد أشدتم بالازهر ــ يا سيادة الرئيس ــ فى كل مكان ، وفى كل مناسبة ، وعرفتم به آفاق العالم : (غربية وشرقية) وذكرتم جهوده فى العمل الاسلامى ، واسهامه فى الثقافة العالميـــة ، واعتززتم به ثمرة من عطاء مصر ، ومكرمة من مكارم الامة الاسلامية ٠

وان الازهر ــ يا سيادة الرئيس ــ ليعتز بكم كذلك ، ويذكر فضل الله علينا وعلى الناس ، بعملكم لبلدنا ولأمتنـــا ، وبتـــوفيق الله لكم ، ومعونته اياكم ، وتسديده لخطاكم ٠

أصلحتم يا سيادة الرئيس مسار المجتمع :

لقد أصلحتم ــ يا سيادة الرئيس ــ مسار مجتمعنا ، وســـلكتم به طريقا جديداً ، هو طريق الخـــير والامان ، وطـــهرتموه من خبراء الشر وأعداء الدين ، ودرأتم عنه قوى رهيبة ، تحمـــل معهـــا مبادىء الكفر

وأسباب التدمير ، فلولا توفيق الله لهذا العمل العظيم لأصـــبحت مصر بلداً جريحاً تنتهك حرماته مثل تلك البقاع من العالم التى ابتـــلاها الله ببلاء أولئك الظالمين ، وأصابها بافسادهم وتخريبيهم كأفغانستان الجريحة وغيرها من البقاع ٠

أمنتم الناس :

لقد أمنتم الناس يا سيادة الرئيس ، وأذهبتم عنهم سلطان الخوف والفزع ، ووضـــعتم عنهم اصرهم ، وأغلالا غلت بها أيديهم وعقولهم ، وفتحتم لهم أبواب الحرية ، ومسالك الحياة الكريمـــة ، وداويتم جراح الماضى فى كل قرية ، وفى كل بيت ، وغرستم غراس المحبـــة والتراحم ، ونفيتم البغضاء والكراهية بين طبقات الناس فى هذا البلد ، وأعدتم روح الاخاء والوحدة والتسامح الى ربوعها ٠

لقد حاربتم باسم الله ، وسالمتم باسم الله ٠٠٠ حاربتم حين كانت الحرب عزما ، وسالمتم حين كان السلم حكمة وحزما ٠

نصركم الله فى الحرب والسلم :

ولقد نصركم الله فى الحرب والسلم معـــا ، فأعدتم لمصر أمنهـــا ، وسلامها ، وفتحتم آفاق البناء لعهد الرخاء ، ورفعتم لواء الريادة للامة الاسلامية الى مناهج الخير والسلام ، وأفاء الله عليكم كلمـــة التقوى وكنتم أحق بها وأهلها ، فحقق لكم ولامتكم الأمان النفسى والأمـــان المادى والأمان فى العاقبة ، ان شاء الله ٠

لقد أعلنتم على أعلى منبر ، وعـــلى مســـمع من العالم : أنا رئيس مسلم لأمة اسلامية ، وأنا رئيس مصرى لأمة مصرية ٠

خط واحد ، وعمل واضح ، وهدف متكامل ، ينتظم بـــه الصـــف ، وتجتمع به الامة ، وتغلق به منافذ الفتن ٠

رفضتم الالحاد :

ولقد رفضتم أن يكون للالحـــاد شأن فى بلدنا ، فيبث الشر وينفث السموم ، ويهدم قواعد الدين القويمة ، ويزرع الفساد ويغرى الناشئة بالتمرد والانحراف ٠

ولقد قلتموها كلمة صريحة : لا مكان لملحـــد فى وســـائل الاعلام ، ولا تنكر للدين أو الأخلاق فى بلدنا ، وجعلتم هدفكم أن تستقر النفوس على الايمان بالله ، وأن تشيع الفضيلة والأخلاق الكريمة بين الناس ، وأن تقوم نهضتنا على دعائم الايمان والعلم ٠

اخترتم منهج الشريعة :

واخترتم منهج الشريعة الاسلامية أساســا للتقنين ، ورفضـــتم ما يعارضها من المناهج ، وجعلتهم مبادئها السمحة ، وحكمها القويم حجر الأساس لتشكيل القوانين التى تضبط حياة المجتمع ، وتصحح أوضاعه ، وتنظم أموره ٠

الرئيس فى البرلمان الاوربى :

اننا لا نزال نذكر ــ يا سيادة الرئيس ــ ذلك اليوم العظيم الذى وقفتم فيه على منبر البرلمان الاوربى ، تخاطب نواب الغرب جميعـــا ، معتزا بدينك ووطنك وبالازهر الشريف ، حين قلت : « ان بلادنا مهـــد الديانات وموطن الحضارة ، ومنارة العلم منذ القدم » ٠

ولقد كانت الجامعات الاسلامية فى أوربا وفى الشرق مراكز الحرية الفكرية والمنهل الذى تقصده أوربا للمعرفة ، وكان اسهام مصر ــ موطن الازهر الشريف ــ فى هذا العمل كبيرا لا يمكن انكاره ٠

ليس هذا فحسب يا سيادة الرئيس ، بل دفعكم ايمانكم بالله الى ايضاح الصورة الحقيقية للاسلام وأنه دين التسامح لا التعصب ، دين الحب لا الكراهية والحقد ، وأنه يشكل كيانا متكاملا يقوم على النظام ، فلا يعرف الفوضى ، وأن مبادئه تقوم على الرحمة والعدل ، وأنهـــا أولا ــ وقبل كل شىء ــ تجسيد لكرامة الانسان وحريته ٠

فكنتم أول رئيس مسلم يقف فى مجمع الغرب ليقول لهم : « هــذا هو الاسلام » ٠

ويجهر بينهم أننا أمة متسامحة ، ذات دين سمح ، تستعد للتعاون مع أرباب القيم والديانات السامية ، محافظين عـلى ديننـا ومنهجنـا ومبادئنـا ٠

وضعتم أساس جامعة الشعوب الاسلامية :

ولقد وضعتم ــ يا سيادة الرئيس ــ أســاس جامعة الشــعوب الاسلامية ، فأحييتم أملا ، وبعثتم رجاء كنا نرتجيه لهذه الامة ٠

وطلبتم أن تكون هذه الجامعة سبيلا لتحقيق أهدافكم الاســلامية العامة ، وهى توثيق أواصر الاخاء والترابط بين الشعوب الاســلامية ، وبناء أمن مشترك ، وتعاون سياسى واقتصادى واجتماعى بينها ، وانشاء برلمان اسلامى عربى ، وسوق اسلامية عربية مشــتركة ، وأن تجعــل الجامعة قضية « بيت المقدس » فى مقدمة القضايا الاســلامية والوطنية التى تعمل لها ٠

هذه أهدافكم الاسلامية العامة تفتحون لها سبيل العمل ٠

وأنتم وقد حملتم أهدافكم السامية فى ضميركم تعملون لها فى أناة الحكماء ، وصبر الهداة ، وثقة المؤمنين ٠

ولقد ثارت الأنواء أحيانا ، وأطبق الضباب ، وأختفى المنار ، وفقد الناس سبيل الرأى ، وران اليأس ثقيلا على النفوس ٠

وكنتم بفضــل الله على أملكم فى رحمتــه ، ومعرفتكم بالطريق ، وحكمتكم فى الريادة ، وسدادكم فى الرأى ، وثقتكم بنصر الله ٠

من أجل هذا ــ وأكثر من هذا ــ يعتز الازهر بكم ، ويرى فضــل الله علينا وعلى الامة الاسلامية بتوفيقكم ٠

وان من واجبنا ــ وفاء وتقديرا ــ أن يعــرف أبنــاؤنا الشــباب

ما قدمتم لأمتنا ، وما أجراه الله من خير وسلام على أيديكم وفى عهدكم للازهر الشريف ، وما نأمله للغد ولما بعد الغد من ريادتكم المباركة ٠

ان عنايتكم بدراسة موضوع اليوم : « مشكلات الشباب فى العالم الاسلامى » لأكبر دليل على حرصكم على أبنائنـــا الشـــباب ، وعنايتكم بسلامة مسيرته ، وشرف غايته ٠

السيد الرئيس : ان الازهر ــ منذ كان ــ أمين على أحكام الدين وسط فى الرأى سمح ميسر للناس فى فتواه ، حرى بثقتكم وثقة المسلمين فى أمانته واعتـــداله ٠

ثقـــة وتأييـــد :

وانه ليثق فى رجل مصر العظيم محمد أنور السادات ، ويؤيـــده ، ويناصره ، ويضع يده فى يده ، عهدا مباركا من الله ، وميثاقا لـــه عـــلى طريق الخير والامان ٠

حفظكم الله ورعاكم وأيدكم بنصره ومدده العظيم ، انه نعم المولى ونعم النصير ٠

رسالة الأزهر هى رسالة العلم والإيمان الذى حملتم رايته يا سيادة الرئيس

كما ألقى فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار مدير جامعة الأزهر كلمة فى هذه المناسبة نوه فيها بدور الأزهر على مر السنين .

نحمد الله سبحانه وتعالى ونصلى ونسلم على خير انبيائه ورسله وعلى خاتمهم محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته .

السيد القائد المؤمن الرئيس محمد أنور السادات حفظه الله .

حضرات السادة الاجلاء . منذ أربعة عشر قرنا كاملة انتصب فى سماء المدينة المنورة منبر الرسول صلى الله عليه وسلم فتضاءلت أمام جلالته عروش الأكاسرة والقياصرة وولد تاريخ جديد حافل وانبثق . مجد عظيم شامخ واشرقت الارض بنور العلم والايمان وانسابت كلمة الحق بين الامم تحيى موات الانفس والأرواح والقلوب . ومنذ عشرة قرون كاملة انتصب فى سماء القاهرة منبر الأزهر الشريف فكان ولا يزال بحمد الله الكعبة السامية للاسلام والمنارة العالية للعلم والدين يتلقى النور من منبعه كما يتلقى القمر ضوءه من الشمس ، ويستقى الهدى من مصدره كما يستقى الغيث الهدور ماءه من البحر . وغدا منذ قرون عشرة منبر العلم والفلسفة والدين والموئل للعلوم الاسلامية والعربية كلها يدرسها ويحفظها ويلابس جوانبها رائدا سباقا ويسمو مع المعلومات ويتعمق معها ويسجل آثاره العلمية بطونا وشروحا وحواش وتقارير ويتركها للاجيال تقرأ فيها جهود العلماء والعاملين المخلصين . يا سيادة الرئيس : هذا شباب الأزهر بين يديك وهو شباب والله يرجى منه الخير الكثير للوطن والدين انهم

شباب غضية عن الشر أعينهم • ثقيلة عن الباطل أرجلهم تواقه الى الخير نفوسهم وهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلـــوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا •

ورسالة الأزهر : هى رسالة العلم والايمان الذى حملتهم رايتـــه ووليتهم قيادته وزعامته ولن تتم الدعوة الاسلامية فيما أعتقد الا بهذا الشباب الصالح لأنه سيتخرج منهم وفعـــلا يتخرج منهم الآن الطبيب الداعية والمهندس الداعية والتجارى الداعية والعلماء الدعاة يتألقـــون نجوما هادية يضيئون للنفس طريق الحق ويهدون بالتى هى أقوم والذين يرجى منهم الخير وتعقد عليهم الآمال •

يا سيادة الرئيس : ادفعهم الى الامان بعونك وتأييدك بعد عون الله وتأييدة • ادفعهم الى الامام بيدك القوية الامينة •

وأرجوا يا سيادة الرئيس أن تأذن لى بتواضع واستحياء أن أعرض عليك فى كلمة موجزة بعض الآمال التى تجيش فى نفوس أبنائنا الطلاب •

انهم يريدون ضم مستشفى الجلاء الى جامعة الأزهر • وهذا فيما أعتقد طلب عادل لانهم فى الواقع قد ضاقت عليهم المستشفيات بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ولم يجدوا ملجأ بعد الله الا أنت •

نريد يا سيادة الرئيس وهم يريدون دعما لاسكان الطـــلاب دون الطالبات لأن اسكان الطالبات قد حله بفضل من اللـــه الســـيد الدكتـــور فؤاد محيى الدين وبهذه المناسبة نقدم له الشكر الجزيل على شـــعوره النبيل فالطلاب فى اسكانهم يحتاجون الى دعم يتمم لهم الاستقرار •

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأزهر وجامعته يرحبان بك ويؤيدانك

وكان الدكتور عبد اللطيف خليفة نائب رئيس جامعة الأزهر لشئون الطـلاب قد قدم الحفل بكلمة قال فيهـا :

سيادة الرئيس المـؤمن محمد أنور السادات :

اهلا بك فى الأزهر الشريف وفى جامعته العريقة ومرحبـا •• فقد شرفت الأزهر وجامعتـه بزيارتكم •• شرف الله قدرك •• وكـرمت بهذه الزيارة أهل العلم وخـدامه •• ورفعت من شأنهم رفع اللـه من شأنك •

ان الأزهر وجامعته يا سـيادة الرئيس يعيشان اليـوم فى عيـد وبهجـة وفرح •• يرحبـان بك ويؤيدانك لانك اقمت نظام حكمك على أسس من العلم والايمان •• يرحبـان بك ويؤيدانك لانك تبنى حساباتك فيما تتخذ من قرار على أساس من القيمة المؤكدة لمبادىء الحق والشرف والمروءة والخير •• ولقـد أذهلت العالم كله وبهـرته قادة وحكاما وشعوبا لأنهم الفوا فى عصر المادة ان يتخذ القرار عـلى أساس من عائده بالفـائدة ربحـا أو خسارة •• أما انت فعائد قرارك قيمة انسانية تقوم على اعلاء قيم الحق والشرف والمروءة •• ولقـد بدأ الناس يلتفتـون الى مصر من خلالك •• الأزهر وجامعته يرحبان بك ويؤيدانك لانك حين وليت أمر مصر كانت على شفا جرف يوشك أن يهوى بها الى الهاوية والى قرار سـحيق فأخذت بيدها يا سـيادة

الرئيس فى مودة بالغة وحب يخالط شغاف قلبك ومضـيت بها من نصر الى نصر يؤيدك اللــه ويرعاك •• وكانت قمته نصر رمضان •• نصر من عند الله الذى يقول سـبحانه وتعالى •• وكان حقـا علينا نصر المؤمنين •

اعادة القيم الفاضلة :

الأزهر وجامعتـه يرحبـان بك ويؤيدانك لانك تعيد الى مجتمعنا قيمه الفاضلة وأعراقه الشريفة •• ولانك تصر فى ايمـان على تنميـة مجتمعنا فى مجالاته المتعددة حبـا لمصر وايثـارا لهـا •• الأزهـر وجامعتـه يرحبـان بك ويؤيدانك لانهما يحيطان فى ظل حكمك الراشد بالرعاية الطيبة والعناية الكريمة •• وان من حولك رجالا مخلصين من حقهم علينا أن نشـيد بمعاونتهم الأزهر وجامعته •• وأن نذكرهم بالخير عندك فمن لا يشكر الناس ويذكر صنائعهم لا يشكر الله ••

وفى مقدمة هـؤلاء الرجـال نائب رئيس الوزراء الدكتـور فـؤاد محيى الدين الذى يدبر للأزهر كل مطالبه ويسـتجيب لآماله المهندس ونائب رئيس الـوزراء المهنـدس عثمان أحمد عثمـان الـذى يؤثر الأزهر وجامعته بكثير من العـون الصادق والجهد المخلص الكـريم •• ونائب رئيس الوزراء اللـواء النبوى اسماعيل الذى يسهر مـع رجاله المخلصين على أمن الجامعة واسـتقرارها •• ونـائب رئيس الـوزراء الأسـتاذ الدكتـور عبد الرزاق عبد المجيـد الـذى لا يضن على جامعة الأزهـر بمـا تحتاجه من مال دعما لمطالبها التى تلقى منه كل عنـاية وتقـدير •• والسيد وزير الاعلام ووزير شئون الرئاسة السيد الأستاذ منصـور حسن الذى يفيض قلبه بمشـاعر الحب والتقدير والتأييد للأزهـر وجامعته والذين يعاونون الجامعة من رجالك لا أحصـيهم عددا •• فلهم جميعا شـكرنا ولهم مـع

شكرنا الجـزاء الاوفى من اللـه سبحانه وتعالى •• وشباب الجامعة وشـباب مصر هو أملنا لمسـتقبل وطننا وتتجه نشاطات الجامعة فى مستوياتها المتخصصـة لمواجهـة مشكلاتهمن خلال رؤية اسلامية •• والأستاذ الدكتور فؤاد الحفناوى مدير المركز الدولى الاسـلامى للبحوث والدراسات السكانية مثل نابض بالوفاء لمصر فى تفان وصدق •• اسمحوا لى يا سيادة الرئيس أقدمه ليقول كلمة المركز الـدولى الاسلامى والبحوث السكانية ••

جَلسَات المُؤتَمر

وقد تتابعت جلسات المؤتمر بعد ذلك فى مبنى جامعة الشعوب الاسلامية بالقاهـــرة **ففى اليوم الثانى :** الثلاثاء ٢٥ من جمادى الاولى ١٤٠١ هـ (٨١/٣/٣١) **كانت الجلسة الأولى : عن الحياة الدينية والشباب .**

وكان رئيس الجلسة فضيلة الامام الاكبر الدكتور/محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر .

وكان رئيس الجلسة المشارك هو الدكتور / سيد نوفل اما مقرر الجلسة فكان الدكتور / محمد سعيد عبد ربه .

وقد تحدث فى هذه الجلسة ..

— فضيلة الامام الاكبر الشيخ / محمد عبد الرحمن بيصار عن « القيم الدينية والحياة الحديثة »

— و فضيلة الاستاذ الشيخ / جاد الحق على جاد الحق عن « دلالة الاجتهاد — تطبيقاته وحدوده وعلاقته بحاجات الشباب »

و — فضيلة الاستاذ الشيخ / احمد حسن الباقورى عن « التعليم الدينى » « الخبرات السابقة والابحاث الحديثة »

و — فضيلة الاستاذ الدكتور / محمد ابراهيم الجيوشى عن « دور الشباب فى نشر الدعوة الاسلامية فى العالم العربى »

و — فضيلة الاستاذ الدكتور / بدوى عبد اللطيف عن « جهاد الشباب فى فجر الاسلام مثل يحتذى به »

— **اما الجلسة الثانية :** فى نفس اليوم فقد كانت عن

((قضايا الفكر))

— **وكان رئيس الجلسة :** السيد الوزير المهندس / عثمان احمدعثمان
وشارك فى رئاسة الجلسة : المهندس / مشهور احمد مشهور

ـ **وقد كان مقرر هذه الجلسة :** الاستاذ الدكتور / عبد اللطيف خليف
ـ **وقد تحدث فيها :**

ـ السيد الوزير الدكتور / عبد الحميد حسن عن	« رعاية الشباب فى مصر »
ـ والاستاذ الدكتور / عبد العزيز كامل عن	« الدلالة المصرية لرسالة العلامة محمد اقبال للشباب المسلم »
ـ والاستاذ الدكتور / محمد الاحمدى أبو النور عن	« الضغوط الفكرية ومشاكل الشباب المسلم »
ـ والاستاذ الدكتور / عبد الرحيم عمران عن	« اسهام الاسلام فى تقدم العلم والتكنولوجيا »
ـ والاستاذ / جابر حمزه عن	« رؤية اسلامية فى العلم والقيم الخلقية »

اما الجلسة الثالثة : فقد كانت

« المشكلات الاجتماعية والاقتصادية »

وقد عقدت مساء من الساعة ٧ ـ ٩
وراس الجلسة : السيد المهندس / سيد مرعى

وشارك فى رئاستها : فضيلة الاستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود
ـ **وكان مقرر هذه الجلسة :** هو الاستاذ الدكتور / صلاح نامق

وقد تحدث فيها :

ـ الاستاذ الدكتور / احمد عبادة سرحان عن	« انتقال الثروات العلمية الى خارج العالم الاسلامى »
ـ و الاستاذ الدكتور / محمد العيسوى عن	« القوى العامة والعمل فى الدول الاسلامية »
ـ والاستاذ الدكتور / جلزار بانو عن	« الترابط الاجتماعى والاقتصادى للمراة المسلمة فى المجتمع الاسلامى » ـ تجربة باكستانية ـ
والاستاذ الدكتور / محمد على محمد عن	« الشباب والتنمية الاجتماعية والاقتصادية »
ـ والاستاذ الدكتور / عادل بلبل عن	« الشباب حديث الزواج » ـ دخله ومسئولياته ـ

أما اليوم الثالث الاربعاء ٢٦ من جمادى الاولى سنة ١٤٠١ هـ .
الاربعاء ١ من ابريل سنة ١٩٨١ م .
فقد عقدت الجلسة الرابعة بعنوان

« مشكلات التعليم والتكنولوجيا »

ورأسها الاستاذ الدكتور / محمد عبد القادر حاتم .
وشارك فى رئاستها : ــ الاستاذ الدكتور / أحمد فتحى الزيات .
وكان مقرر الجلسة : الاستاذ الدكتور / محمد سيف الدين .

وكان المتحدثون فى هذه الجلسة : ــ
ــ السيدة الاستاذة الدكتورة / نعمات فؤاد عن « أزمة الشباب »
ــ السيدة الاستاذة الدكتورة / زينب راشد عن « دور الازهر فى تعليم الفتيات »
ــ السيد الاستاذ الدكتور / محمد سيف الدين عن « حاجات الشباب ومطالبها من النظم التعليمية »
ــ السيد الاستاذ الدكتور / عمر حسن كاسول عن « **الشباب الافريقى** والتحدى الثقافى »

أما الجلسة الخامسة : ــ فقد كانت عن .

« المشكلات الثقافية والنفسية »

ــ **وراس الجلسة : ــ السيد الوزير الدكتور** / زكريا البرى وزير الاوقاف .
ــ **وشارك فى رئاستها : ــ** فضيلة الشيخ / عبد الله كريم وكيل وزارة لشئون **المعاهد**
ــ **أما مقرر الجلسة : ــ** فقد كان فضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان .
وكان المتحدثون هم : ــ

الاستاذ الدكتور / سليمان حزين عن « الاتجاهات الثقافية بين الشباب فى المجتمعات الاسلامية » .
والاستاذ الدكتور / حسان حتحوت عن « مشكلات المراهق المسلم »
والاستاذ الدكتور / نفزات يلشينتاين عن «تطلعات **الشباب التركى**»
والاستاذ الدكتور / سالم نجم عن « حاجة الشباب الى ثقافة اسلامية »
والدكتور / محمد الشيخ عن « القيم وعلاقتها بالتوافق النفسى » لدى طلبة جامعة الازهر .

اما الجلسة السادسة فقد عقدت لبحث : ـ

« المشكلات الصحية »

وكان رئيس الجلسة : السيد الوزير الاستاذ الدكتور / ممدوح جبر .
وكان رئيسها المشارك : الاستاذ الدكتور / المهدى بن عبود .
ومقررها : الاستاذة الدكتورة / سميحة الباجورى .

وتحدث كل من : ـ

ـ الاستاذ الدكتور / أحمد فتحى الزيات	عن « فروق النمو بين الفتى والفتاة وآثارها »
والاستاذ الدكتور / فوزى جاد الله	عن « ادراك أهمية الصحة لدى الشباب المسلم » حقائق مصرية .
والاستاذ الدكتور / محمد شعلان	عن « مكونات الشخصية عند الشباب »
والاستاذة الدكتوره / خيرية عمران	عن « الحمل فى سن ما قبل العشرين »

اما اليوم الرابع : ـ الخميس ٢٧ من جمادى الاولى سنة ١٤٠١ هـ ، ٢ من أبريل سنة ١٩٨١ م .

فقد عقدت الجلسة السابعة : ـ على شكل مائدة مستديرة اشترك فيها .

فضيلة الاستاذ الدكتور / محمد الطيب النجار

ـ فضيلة الاستاذ الدكتور / عبدالمنعم النمر	ـ فضيلة الاستاذ الدكتور / عوض الله حجازى
ـ الاستاذ الدكتور / محمد حسن فايد	ـ الاستاذ الدكتور / سيد نوفل
ـ فضيلة الاستاذ الدكتور / ابراهيم نجا	ـ الاستاذ الدكتور / عبده سلام
ـ فضيلة الاستاذ الدكتور / ابراهيم الدسوقى	ـ الدكتور / عبد الفتاح شوقى .
ـ الاستاذ الدكتور / سمير القلماوى	ـ فضيلة الاستاذ الدكتور / عبد الرحمن النجار .

وقد اشترك فيها أيضا : ـ

ـ سفير الصومال	ـ سفير عمان
ـ سفير أندونسيا	ـ سفير السودان
ـ سفير باكستان	ـ سفير تركيا
ـ سفير أفغانستان	

حديث الشهر

الإسراء والمعراج
ومنهج الكمال البشري

كانت معجزة الاسراء والمعراج ملهمة للكتاب والباحثين عبر التاريخ ، مثيرة لتأملاتهم العقلية ، ومشاعرهم الوجدانية فكتبت فيها الكتب ، وسودت الصحائف ، بحيث يخيل للمتأمل فى هذه المعجزة الكبرى ، انه لن يجد بعد ما كتب موقعا لخاطرة ، او سبيلا الى فكرة .

ومع ذلك، لا يجد الانسان مناصا من الرغم فى التأمل امام عظمة المعجزة ، ونتائجها الجليلة ، ودروسها التى يمكن ان تستفاد منها فى كل العصور ومختلف الأحداث .

★ ★ ★

ولقد عجبت حين اخذت اتأمل ما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة الرائعة من الاسراء به فى لحظة من مكة الى الشام ، والعروج به فى لحظة من الشام من بيت المقدس الى الملأ الأعلى وسدرة المنتهى مرورا بالسموات السبع واختراقا خاطفا لكل عوالم الأملاك .

وعجبت اكثر للذين شغلوا عن منهج الكمال البشرى الذى تضمنه الاسراء والمعراج بالجدل حول تحديد الاسراء والمعراج بأى شىء كان بالجسد او بالروح .

بقلم ... رئيس التحرير

ولقد قرأت ذلك التراث الضخم ، الذى تضمن أدلة الفريقين وغضب الذين قالوا بالجسد على الذين قالوا بالروح ، واخذوا بظاهر قول السيدة عائشة رضى الله عنها : « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أسرى بروحه » مع ان الأمر كله لا يحتمل هذا الخلاف مادامت المعجزة ذاتها ثابتة ثبوتا قطعيا لا شبهة فيه .

ولا يقلل القول باسراء الروح ومعراجها من جلال الحدث ، فان روحا بشرية يحصل لها من المشاهدات الأرضية ما حصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تصل الى الملأ الاعلى وسدرة المنتهى لهى روح متفردة بهذا الشرف الذى لا تطيقه روح اخرى ولا تصل اليه .

فقد نقل ابن اسحق فى سيرته أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما حدث الناس بما وقع له من الاسراء الى بيت المقدس .

عجبوا وقالوا ما آية ذلك يا محمد فانا لم نسمع بمثل هذا قط ؟

قال : آية ذلك انى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا فانفرهم حس الدابة فند لهم بعير فدللتهم عليه وانا موجه الى الشام ، ثم اقبلت حتى اذا كنت بضحنان مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشىء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان .

وآية ذلك ان عيرهم الان تصوب من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جمل اورق عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى برقاء .

قالت (أم هانىء) فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم اول من الجمل كما وصف لهم وسألوهم عن الاناء فأخبروهم انهم وضعوه مملوءا ماء ثم غطوه وانهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ولم يجدوا فيه ماء وسألوا الآخرين وهم بمكة فقالوا صدق والله لقد انفرنا فى الوادى الذى ذكر وند لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا اليه حتى اذا اخذناه (١) . .

---

(١) سيرة ابن هشام ٤٣ ، ٤٤ جـ ٢ طبعة دار احياء التراث العربى . بيروت .

كما ثبت ان الرسول صلى الله عليه وسلم وصف لقريش المسجد الأقصى جميع جهاته وأبوابه ونوافذه ولم يثبت أن زاره من قبل قط .

عن جابر بن الله رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن آياته وانا انظر اليه (١) ..

واذا كانت هذه المشاهدات فى الارض فقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام تخطى السموات وصعد الى مستوى سمع به صريف الأقلام والتقى بالانبياء ووصف بعضهم ولم يثبت أنه قرا اوصافهم فى كتاب من قبل .

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به « رايت موسى واذا رجل ضرب (نحيف) رجل (طويل) كأنه من رجال شنوءة (قبيلة من قحطان) ورايت عيسى فاذا هو رجل ربعة (متوسط الطول) احمر كأنما خرج من ديماس ، وانه اشبه ولد ابراهيم » (٢) .

فاذا كانت كل هذه المشاهدات الصادقة فى عالم الأرض والسماء قد وقعت للروح فأى روح تلك ؟

وقد اشار الامام الفخر الرازى الى تفرد روح النبى صلى الله عليه وسلم بذلك مما لا يقدح فى كونه معجزة له فقال :

« فان قالوا فالاسراء بالروح ليس بأمر مخالف للعادة فلا يليق به أن يقال **(سبحان الذى أسرى بعبده)** .

قلنا : هذا ايضا بعيد ، لأنه لا يبعد أن يقال : انه حصل لروحه من انواع المكاشفات والمشاهدات ما لم يحصل لغيره البتة فلا جرم كان هذا الكلام لائقا به » (٣) .

---

(١) متفق عليه أخرجه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار باب حديث الاسراء . راجع اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان حديث ١٠٩ .

(٢) متفق عليه واللفظ للبخارى اخرجه فى كتاب الانبياء باب قوله تعالى وهل اتاك حديث موسى . راجع اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان حديث ١٠٦ .

(٣) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ج ٢٠ ص ١٥١ الطبعة الاولى ١٣٥٧ هـ القاهرة .

فليكن الاسراء والمعراج به كان بالروح أو بالجسد أو بهما معا فلا يقلل أى منهما من عظمة الواقعة وأثرها فى الاسلام .

وصدق ابن اسحق حين قال :

« وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — يقول تنام عيناى وقلبى يقظان والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه ، وعاين فيه ما عاين من أمر الله على أى حال كان نائما أو يقظان كل ذلك حق وصدق .

على أن الاسراء بالروح سواء كان معه الجسد أو لم يكن انما يفتح صفحة جديدة فى تاريخ السمو الانسانى الى الكمال ويثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الروح الانسانى يستطيع أن يرقى الى أعلى الدرجات اذا وصل الى درجة من الصفاء أو التصفية والمجاهدة بحيث ترق الروح ويرق الحس ويعلو على دركات المادة وشهواتها التى تسفل بالمخلوق البشرى .

وليس الطريق الى الكمال بعيدا عن متناول الأرواح البشرية فقد تضمن المعراج المنهج الذى يوصل الانسان الى الكمال المنشود حين بدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرائى المجسدة التى تحولت فيها الاعمال الى صور من الجزاء فى عالم الملأ الأعلى فاذا بهذه الصور ترسم طريق الحياة المثلى والكمال الانسانى لمن يريد هذه الحياة وذلك الكمال .

واساس السمو الانسانى انما يقوم على اساس من الايمان بالله لانه يطهر الروح والجسد ويبدو من حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بنى آدم فيقول لبعضها اذا عرضت عليه : خيرا ويسر به ، ويقول روح طيبة خرجت من جسد طيب ويقول لبعضها اذا عرضت عليه اف ويعبس بوجهه ويقول روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال هذا ابوك آدم ، تعرض عليه أرواح ذريته فاذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها وقال : روح طيبة خرجت من جسد طيب واذا مرت به روح الكافر منهم انف منها وكرهها وساءه ذلك وقال روح خبيثة خرجت من جسد خبيث (١) .

ذلك أن الكافر قد يستطيع اغفال الحقيقة وبطوى قلبه على دخل

---

(١) ابن هشام جـ ٢ ص ٤٦ .

لا يبدو على صـــورته فى الدنيا شىء لكن فى عالم الحقيقة عالم الآخرة حيث تبدو الاشياء على حقيقتها ((**فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**)) حينئذ ينكشف خبث الروح الكافرة وتنجلى طهارة الروح المؤمنة .

وفى منهج الاسلام ان الذى يضاعف من خبث الروح الكافرة عدم قبول اى عمل صالح يمكن ان ينير النفس لان اساس قبول الاعمال هو الايمان وبدونه تذهب حســـــنات الكافر هباء ، يقول تعالى ((**والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب**)) (١) .

وتمضى قصة المعراج على درجات المنهج الى السمو الاخلاقى اذ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرائيه بعد ذلك .. بعد الاســـاس الذى يقوم على الايمان فيخبر عليه الصلاة والسلام عن الذين يظلمون الناس فى حقوقهم المالية أو فى حقوقهم الاجتماعية فيقول صلى الله عليه وسلم :

« ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل (٢) فى أيديهم قطع من نار كالأفهـــار (٣) يقذفونها فى أفواههم فتخرج من ادبارهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة اموال اليتامى ظلما » .

وذلك الذى رآه الرسول صلى الله عليه وسلم تصوير مجسد لما ذكره الله تعالى فى قوله ســـبحانه : ((**ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا**)) (٤) .

وانما كان جزاء من يأكل اموال اليتامى ظلما على هذه الصـــورة لان العدوان على مال اليتيم فى حقيقة امره عدوان مادى واخلاقى .

فهو عدوان مادى لانه اعتداء على مال الغير بغير حق .

وهو عدوان اخلاقى لان الغير الذى اكل منه المال ظلما لا يســـتطيع الدفاع عن نفسه لانه ضعيف بل لا يدرك ابعاد العدوان الذى وقع عليه لانه دون الرشد فهو اعتداء على ضعيف قاصر لم يدرك بعد ما له من حقوق ولم يبلغ بعد السن الذى تمكنه من الانتقام لنفسه والقصاص ممن أخذ حقه .

---

(١) سورة النور الآية ٣٩ .
(٢) شفاه كشفاه الابل .
(٣) الافهار جمع فهر وهو حجر على مقدار ملء الكف .
(٤) سورة النساء الآية ١٠ .

والمنهج الاسلامى هنا يؤكد طابعه العام من رعاية الضعيف وتهذيب القوى وذلك ارقى ما يمكن ان يصل اليه الكمال الخلقى فى الانسان اذ ينتصر على نفسه وأطماعه ويهذب غرائزه وينصف الضعفاء من نفسه ويرعاهم ما استطاع الى ذلك سبيلا .

ومن رعاية اموال الضعاف واليتامى يمضى المنهج الاسلامى الذى تضمنه المعراج بعد ذلك الى رعاية حقوق الاموال بشكل عام وصيانتها من الربا الذى هو افدح أنواع الظلم للنفس وللناس .

ويخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صورة المرابين بأنه رآهم ليلة المعراج ببطون لم ير مثلها قط وقد القى بهم فى طريق آل فرعون الذين هم أشد الناس عذابا يوم القيامة يعرضون على النار غدوا وعشيا فيمرون كالابل الهائمة يطأون ذوى البطون الهائلة من اكلة الربا ولا يقدر هؤلاء على التحول عن طريق آل فرعون .

« قال عليه الصلاة والسلام » ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط ، بسبيل آل فرعون ، يمرون عليهم كالابل المهيومة حين يعرضون على النار ، يطأونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اكلة الربا .

وما استحق المرابون هذا العقاب الهائل الا لأنهم داسوا على حقوق غيرهم **واكلوا اموالهم ، فامتلأت بهذه الأموال** بطونهم فأعجزتهم واقعدتهم — دون أن يشعروا — **عن انصاف الناس وتطهير أنفسهم** .

والاسلام الذى حرم الكسب الحرام عامة وجعله سحتا وجعل كل جسد ينبت منه طعمة للنار كما قال صلى الله عليه وسلم « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » فقد شدد النكير على الربا خاصة لأنه كسب حرام من ناحية وظلم للغير من ناحية أخرى ولانه فيه شبهة قد يتعلل بها بعض الطامعين فى اموال الناس من ناحية ثالثة ولذلك يقول الله سبحانه : **« الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون »(١) .**

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٥ .

وامتلاء البطون بأموال الربا كما يبدو من ما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم فى المعراج ليس امتلاء عافية وصـــحة وانما تتجلى حقيقة هذا الامتلاء فى الآخرة بانه عذاب يقعد صاحبه عن الحركة ويعجزه عن النجـــاة والتحـــول عن طريق آل فرعون ، فكما يطأ المرابون حقوق الناس الذين اســتغلوا حاجتهم فى الدنيا فانهم بهذا يصــيرون موطئا تحت اقدام اهون الناس على الله وأحقرهم فى الآخرة واكثرهم عذابا وهم آل فرعون .

ثم يمضى استعراض المنهج برسول الله صلى الله عليه وسلم بعـد صيانة الاموال الى صيانة الأعراض فيرى عليه الصلاة والسلام صورة الزناة الذين يتركون حليلاتهم الى غيرهن من المحرمات عليهم يزين لهم الشـــيطان ما حرم الله على ما أحل .

قال : « ثم رأيت رجالا بين ايديهم لحم سمين طيب الى جانبه لحم غث منتن يأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون الى ما حرم الله عليهم منهن » .

ولم يأخذ الزنا هذه الصورة القبيحة الا لأنه فى الواقع انحطاط بشرى ، وعندما يهوى الانســـان فيه انما يهوى فى الحقيقة بعد تحطم كل القلاع الانسانية فى قلبه وينهار كل اثر للمروءة وكل اختصاص للانسان عن الحيوان لان الحدود الانســـانية هى التى تجعل الرجل يختص بحليلة فاذا ما حطم الزانى هذه الحدود الانسانية وتجاوزها فان معنى ذلك انه خرج على كل ضـــابط .

ولما كان الايمان هو سياج الانسانية فقد اشار الرسول صلى الله عليه وسلم الى خروج الزانى عن حدود الايمان فى حالته تلك . قال عليه الصـــلاة والسلام « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » لان ذرة ايمان واحدة فى القلب كفيلة بأن تمنعه وتقيه من الســـقوط فى هذا الانحطاط البهيمى الذى لا يفرق فيه بين الغث والسمين .

ذلك أن ذرة الايمان تستتبع قدرا من الخوف من الله والشعور بمراقبته وعمل الحساب للقائه ومن ثم يســـتتبع الخوف من الله كل اخلاق الشرف والمناعة من السقوط .

وليس ذلك خاصا بالرجال وحدهم وانما للنســـاء اللائى يحدن عن المنهج عقوبة تزيد على ما يعاقب به الرجال .

قال عليه الصلاة والسلام « ثم رأيت نساء معلقات بثديهن فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم » .

وهكذا تضمن منهج الكمال الخلقى كما صور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة المعراج :

١ ـ رعاية حق الله بتأكيد الايمان به وابراز صورة المؤمنين .

٢ ـ رعاية حقوق الناس التى تتعلق بالمال ، بصيانة اموال الضعفاء والبعد عن الظلم والاستغلال واكل الربا .

٣ ـ رعاية حقوق الناس التى تتعلق بصيانة الكرامة والعرض وحفظ الأنساب والحرمات .

وباطلالة واحدة على سورة الاسراء فى القرآن الكريم نستطيع ان ندرك ارتباط حادث الاسراء والمعراج بهذا المنهج الاخلاقى والاجتماعى اذ نرى فى هذه السورة افتتاحها بآية واحدة عن الحادث الجلل وهى الآية الأولى **« سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير »** ولا يرد عن ذكر الاسراء والمعراج بعد ذلك الا آية واحدة فى وسط السورة تقريبا يقول الله فيها سبحانه : **« وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس » (١) .**

وتفيض السورة الكريمة بعد ذلك فى الحديث عن القيم والتأكيد على الوصايا الخلقية والاجتماعية التى من شأنها تطهير المجتمع وتزكية الاخلاق وتحقيق الكمال الانسانى من :

- النهى عن الظلم وشجب ظلم بنى اسرائيل خاصة .
- تأكيد ان القرآن هو المصدر الوحيد للحياة الفاضلة « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »
- تحديد المسئولية والجزاء .
- رعاية الوالدين وذوى القربى والمساكين وابناء السبيل .
- القصد فى الانفاق .
- **النهى عن قتل الاولاد خشية الفقر** والنهى عن القتل كله .
- النهى عن الزنا واكل مال اليتيم .
- **التأكيد على الوفاء بالعهود والمكاييل والموازين .**

---

(١) الآية ٦٠ من السورة .

● الامر بالتواضع والنهى عن الاستكبار فى الأرض .

● التأكيد الشديد على توحيد الله سبحانه واثبات هذا التوحيد بكل وسيلة وتصوير حال المشركين بأنهم لا ينتفعون بحواسهم لانهم لا يرون بها حقيقة الايمان بالله الواحد واقامة البراهين على أن الذين يتخذون الشركاء مع الله لا ينفعونهم بشىء وبيان أن الشرك ينافى كرامة الانسان الذى فضله الله على كثير من خلقه فاذا به يذل نفسه لغير الله .

● بيان طريقة لتربية النفس من الخلو الى الله بالليل بعبادة وذكر وعدم الاغترار بالنعمة .

● بيان ان المنهج الذى رسمه الله هو الذى يربى الروح لان الروح من أمر الله وهو خالقها فلا يستطيع أحد ان يرسم لها طريق التزكية الا هو سبحانه .

● عظمة القرآن وانه معجزة لا يستطيع أحد أن يأتى بمثلها ومنه يستمد المنهج الصحيح ، وانه اذا كان رسول الله بشرا فذلك هو المناسب لاصلاح البشر .

● تأكيد قدرة الله سبحانه مع تأكيد حرية الانسان « **قل آمنوا به أو لا تؤمنوا** » وان الذين اوتو العلم هم الذين يختارون جانب الايمان والتوحيد « **ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا** » (١) .

هكذا كانت مناسبة الاسراء والمعراج :

١ — مناسبة للبرهان على أن الروح الانسانى يمكن ان يسمو ويصل الى آفاق بعيدة من الكمال البشرى .

٢ — ان هذا الكمال البشرى له منهج تبدى فى مرائى المعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى سورة الاسراء التى سجلت الحادث الجلل وما أحاط به .

لتكون هذه المعجزة الباهرة مصدرا من مصادر البناء الانسانى وزادا ينهل منه طلاب الخير والمثل الأعلى منهجهم الصحيح الى الكمال .

---

(١) سورة الاسراء الآية ١٠٨ ، ١٠٩ .

دراسة قرآنية

بين يدى الإسراء والمعراج

لفضيلة الدكتور / محمد الطيب النجار
رئيس جامعة الأزهر

كان الاسراء والمعراج ثمرة طيبة مباركة لجهاد شاق مرير وكان ـ كذلك ـ حصادا مبرورا لسعى دائب مشكور ، وقد بدأ هذا الجهاد الشاق والسعى الدائب منذ بدأت الدعوة الاسلامية بين صخور مكة وأحجارها الصم . ووسط الظلمات المتكاثفة التى كانت تخيم على أرجاء الجزيرة العربية فتطغى على القلوب وتحجبها عن الحق وتعمى عليها مسالك الخير والنجاة .. ذلك بأن قريشا قد رأت فى هذه الدعوة الخطر الداهم الذى يهدد كيانها المادى والأدبى اذ كانت الكعبة مركز عبادة الأصنام ، وكانت مجمع العرب ومورد ثروتهم . وكان زعماء قريش يستمدون مجدهم وفخارهم وعظمتهم على سائر الناس من صلتهم بالبيت الحرام وقيامهم على حراسة الأصنام . كما كانوا يعتبرون ذلك العمل على حراسة الأصنام مورد رزق وينبوع ثروة بما يأخذونه من نذور وقرابين ، وما يديرونه من تجارة فى مواسم الحج الى هذه الأصنام وكان قيام الدعوة الاسلامية معناه ضياع حتمى لسلطانهم الأدبى والمادى ، ولذا عظم الأمر عليهم واشتد فصممت قريش على أن تقف من محمد صلوات الله وسلامه عليه موقف الحزم والصرامة بل موقف القسوة البالغة والعنف الشديد وأن تعمل على قتل الدعوة الاسلامية باضطهاد الرسول ومن يؤيد دعوته ويسير فى طريقه . وقد أفاضت كتب السيرة فى سرد المساءات التى

لقيها الرسول منهم • ونضرب لذلك بعض الأمثلة عسى أن يكون فيها عبرة وتبصرة • وعسى أن تكون درسا عمليا يعلم الناس كيف يكون الصبر على البأساء والضراء • وكيف تكون التضحية المخلصة من أجل المبدأ والعقيدة » •

فمن ذلك مايرويه البخارى فى صحيحه حيث قال : « بينما كان النبى يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنق الرسول صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » •

ومن ذلك ما روى فى كتب السيرة أن طارقا المحاربى قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السوق يقول : « أيها الناس ، قولوا لا اله الا الله تفلحوا » ورجل يسير وراءه يرميه بالحجارة حتى أدمى عقبه ويقول : لا تطيعوا محمدا فانه كذاب فقلت من هذا ؟ قالوا : محمد وعمه أبو لهب . وكذلك ما فعلته زوج أبى لهب وهى أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان فكثيرا ما كانت ترمى الشوك فى طريقه وتلقى بالقاذورات النجسة أمام بيته • ولم تترك عملا فيه ايذاء للرسول صلى الله عليه وسلم الا وفعلته حتى باءت وزوجها بالويل والثبور واللعنة وسوء المصير ، وسجل الله ذلك بقوله عن أبى لهب : «سيصلى نارا ذات لهب » وبقوله عن زوجته «وامرأته حمالة الحطب • فى جيدها حبل من مسد » أى أنها تعذب فى جهنم وفى عنقها حبل تجر به فى النار • امعانا فى النكال والصغار •

الى غير ذلك من ألوان الأذى والعنت الذى لم يقتصر على الرسول وحده بل تعداه الى كل من آمن به واستجاب لدعوته ولكنهم لم يهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ولم يضعفوا أو يستكينوا بل كانوا مثلا عليا فى التضحية والفداء •

« وأمام هذا العزم والتصميم من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الأبرار فكرت قريش

فى سلاح رهيب تقاوم به هذا الشر الذى يتفاقم خطره وهو سلاح المقاطعة الاقتصادية فاتفقت على أن تقاطع بنى هاشم وبنى المطلب وهم عشيرة الرسول الذين كانوا يحمونه من عدوان قريش — مقاطعة تامة فلا يتزوجون من نسائهم ، ولا يبيعون لهم شيئا ، ولا يشترون منهم ولا يقبلون منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل ، وسجلوا هذه القرارات فى صحيفة ختمت بأختام وعلقت فى جوف الكعبة تأكيدا لاحترامها فيكون الخروج عليها أو عدم الوفاء بما فيها بمثابة الخروج على العقائد الموروثة .

وازاء هذه المقاطعة الجائرة الغاشمة انتقل بنو هاشم وبنوا المطلب ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شعب كان يطلق عليه شعب أبى طالب بظاهر مكة يعانون الحرمان ألوانا حتى لقد بلغ من سوء حالهم أن أكلوا أوراق الأشجار ونبشوا صخور الجبال بأظافرهم بحثا عن الجلود والعظام ليطحنوها كالدقيق ويجعلوها كالطعام ، وقد استمرت هذه المقاطعة المروعة ثلاثة أعوام متتابعة لقى فيها محمد وأصحابه من المتاعب والآلام ما ينوء بالابطال .

« ثم فوجىء محمد صلوات الله وسلامه عليه بعد خروجه مع أهله من الشعب بفاجعتين كبيرتين وكارثتين طامتين وهما موت عمه أبى طالب . وموت زوجه السيدة خديجة رضى الله عنها ولقد حزن الرسول عليهما حزنا شديدا لما كان لهما من أثر بالغ فى نصرة الاسلام والدفاع عنه ضد أعدائه ، فأبو طالب وان كان قد مات مشركا ولكنه كافح وجاهد فى مؤازرة محمد صلى الله عليه وسلم فى أحرج الظروف وأعنف الأزمات حتى قال الرسول عنه : « والله ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » وأما خديجة رضى الله عنها فحسبنا ما قاله الرسول عنها فى مواجهة نسائه الأخريات : « لقد آمنت بى اذ كفر الناس .وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله

ولدها اذ حرمنى أولاد النسـاء » « فلا عجب اذ سمى هذا العام فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم عام الحزن لكثرة ما أصاب الرسول فيه من الهموم والأحزان » .

« وكان ذلك من أهم الاسباب التى جعلت الرسول يخـرج الى الطائف لعله يجد من قبيلة ثقيف ـ وهى أهم قبائل العرب بعد قريش ـ من ينصره ويؤازره ، ولكن ـ ويالأسف ـ لم يجد منهـم الا الجحـود والاعراض والسـخرية والاستهزاء حتى لقد أغـروا به سفهاءهم وعبيدهم يسـبونه ويصيحون وراءه ويقـذفونه بالحجارة حتى ابتعد عن الطائـف ولجأ الى حديقة مملوكة لعتبة وشيبة ابنى ربيعة فاحتمى بها وجلس فى ظل شجرة من أشجارها وقد أجهده التعب ودميت عقبه وضاق صدره واشتد به الكرب والبلاء ، ثم لجأ الى الله بهذا الدعاء الخالد : «اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس . يا أرحـم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ؟ أو الى عدو ملكته أمرى ؟ ، ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الـذى أشرقت له الظلمات وصلح عليـه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سـخطك لك العتبى (الرضـا) حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك » .

وقد رجع الرسول بعد ذلك الى مكة فوجد قريشا تقف له بالمرصاد لكى تمنعه من الدخول . فاستجار بالمطعم بن عدى فأجاره المطعـم وتسلح هو وبنوه لحمايته حتى دخل مكة وطاف بالبيت ثم انصرف الى منزله فى حراسة المطعـم وأولاده ليعـود الى الكفـاح من جـديد وليستأنف تبليغ الدعوة فى هذا الجو العاصف الملىء بالأخطار والمخاوف وبين هـذه العواصـف العتيقـة والأخطار المخيفة التى كانت تحيط بمحمد صلى الله عليه وسلم تمتـد يد الرحمن بالرحمة والخير والحنان وتحتضن العناية الالهية محمـدا صلى الله عليه وسلم لترتفع به الى أسمى مكان ، ويقع حادث الاسراء والمعراج تكريما من الله لنبيـه ، ليكون فى ذلك عوض أى عـوض

عما لحقه من أذى المشركين وعنتهم وما أصابه من آلام ومتاعب فى طريقه الشاقة الى غايته الكريمة **« ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما »** (١) ولقد وقع الاسراء والمعراج فى السنة الثانية عشرة من البعثة النبوية وفى الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب كما هو المشهور ، وثبت الاسراء بصريح القرآن حيث يقول الله تعالى : **« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير»**(٢) وثبت الاسراء والمعراج معا بالأحاديث النبوية الصحيحة التى لا يتطرق اليها الضعف والوهن ، ومن ذلك ما جاء فى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، الى أن قال :

ثم عرج بى الى السماء الدنيا ثم الى السماء الثانية ، وهكذا حتى قال : ثم عرج بى الى السماء السابعة ، ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فأوحى الله الى ما أوحى .

« وهكذا كان الاسراء والمعراج رحلة مباركة فى ملكوت السماوات والأرض رأى فيها الرسول مارأى من آيات ربه الكبرى . وهيأ الله له بهذا الحادث العظيم مالم يتيسر لأحد من العالمين » .

« وبعد فهذه لمحات خاطفة للأحداث التى مرت بالرسول صلى الله عليه وسلم بين يدى الاسراء والمعراج . وهى ــ بلا ريب ــ آية صادقة على أن النجاح هو الثمرة المرجوة أبدا من الجهاد والكفاح وأن طريق الجهاد شاق طويل محفوف بالمتاعب ، ولكن نهايته نصر من الله وفضل كبير . وصدق الله العظيم : **« فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا »** .

أ ــ د محمد الطيب النجار

رئيس جامعة الأزهر

---

(١) سورة النساء اية ٧٠ .

(٢) سورة الاسراء اية ١ .

حول الإسراء والمعراج

للأستاذ / السيد حسن قرون

لا جدال فى أن الاسراء والمعراج حدثا ونزل فى شأنهما قرآن كريم ، وأسلافنا جعلوا منكر الاسراء كافرا ، لانه ينكر نصا واضحا وهو أول سورة الاسراء ، قال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير» . ولم يسمو منكر المعراج بالكفر ، لان النص لم يكن صريحا ، يعنون بذلك الآيات التى جاءت بسورة « النجم » .

وهناك أحاديث شريفة أوردها الراوة ، وهى تتفق فى الحدث وتختلف فى طرق الرواية وتفصيل الاحداث ومعلوم أن رواية السنة تأخرت تدوينا عن زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدء القرن الثانى الهجرى حين أمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بكتابة السنة ، فشمر الرواة عن سواعدهم وأخذوا يجمعونها ، ويضربون آباط الابل فى الرحلة لاجلها ، وتأخر الرواة عن كتابة السنة أدى الى تضارب الاقوال وتعدد الرواية ، وكلما تقدم الزمن كثرت الرواية وكثر التفسير والجمع بين الروايات كما يفعل صاحب السيرة الحلبية ، فهو يورد الروايات ويجهد نفسه فى التوفيق بينها . وتراهم يختلفون متسائلين هل الاسراء والمعراج حدثا فى ليلة واحدة أو أن كلا منهما حدث فى وقت غير وقت الآخر ؟ ولما كان البخارى قد جعل عنوانين أحدهما للاسراء والآخر للمعراج

أخذ دارسو البخاري يدافعون عن صنيعه وأنه لم يقصد أن يكون المعراج قد حدث وحده، بل ليوضح ما جرى في كل منهما الى آخر ما قالوه •

ويكاد المؤرخون يجمعون على أن الاسراء كان قبل الهجرة بعام واحد أو ثمانية عشر شهرا على أكبر تقدير ، وتبقى معنا مشكلة سورة النجم • فمتى نزلت تلك السورة ؟ ومعلوم أنها خاصة بالمعراج ، وبالمعراج فرضت الصلوات الخمس • والدليل على أن سورة النجم نزلت قبل التاريخ الذي عينوه للاسراء وهو عام أو أكثر قليلا كما قدمنا أن محمد ابن سعد في الطبقات الكبرى يروى عن أحداث الهجرة الاولى للحبشة فيؤرخ لها راويا عن (محمد ابن عمر) قوله : « فكانوا (المهاجرون) خرجوا في رجب سنة خمس (من المبعث) فأقاموا في (الحبشة) شعبان وشهر رمضان ، وكانت السجدة في شهر رمضان ، وقدموا في شوال سنة خمس » •

والسجدة التي عناها هي ما قال عنها : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا عنه فجلس خاليا فتمنى فقال : ليته لا ينزل على شيء ينفرهم عني ، وقارب قومه ودنا منهم ودنوا منه ، فجلس يوما في ناد ، فقرأ عليهم « **والنجم اذا هوى** » حتى بلغ « **أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى** » ألقى الشيطان كلمتين على لسانه : «تلك الغرانيق العلا ، وان شفاعتهن لترتجى » فتكلم رسول الله بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلها وسجد وسجد القوم جميعا •• فلما أمسى جاءه جبريل فعرض عليه السورة ، فقال جبريل جئتك بهاتين الكلمتين؟ فقال رسول الله : قلت على الله مالم يقل ، فأوحى الله اليه :

« **وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا** » الى قوله : « **ثم لا تجد لك علينا نصيرا** » (١) فشت

---

(١) الآيات ٧٣ ـ ٧٥ من سورة الاسراء •

تلك السجدة فى الناس حتى بلغت أرض الحبشة ، فعاد المهاجـرون فوجدوا العداوة أشد وأقسى .

ومع ايمانى بأن الرسول لم يقل « تلك الغـرانيق العـلا ، وان شفاعتهن لترتجى » الا أنى آخذ بالتأريخ لسورة النجم وأنها نزلت سنة خمس من بعثة رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، وقبـل أن يقع الحصـار عـلى بنى هاشـم والمطلب وقبـل الهجـرة الثانيـة للحبشة ، وحكاية الغرانيق نفاها الامام محمد عبـده ، وتابعـه فى نفيها الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه (حياة محمد) وتعيين نزول سورة النجم بأنها نزلت سنة خمس من المبعث يعطينا نورا يوضـح فرض الصلوات الخمس فالصلاة وهى الركن الثـانى من أركان الاسـلام الخمسـة والتى أمر الرسول بأدائها بعد نزول الوحى عليه (١) بغار حراء لا يتصـور أن تبقى مدة أحد عشر عاما أو تزيد دون فرض الصـلوات الخمس ، وهم يقولون بتأخير نزول سورة الفاتحة ومعلوم لنا أن لا صـلاة بدون الفاتحة، فينبغى لنا أن نراجع السيرة جيدا والتأريخ لنـزول السور حتى نقف على أرض صلبة كما يقولون . ومن ثم يستقيم لنا القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم حين أسرى به ليـلا الى المسجد الاقصى ببيت المقـدس صلى بالانبياء والرسل وتعـرف على ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ويستقيم لنا ما جـرى فى المعراج من مشاهد ، وسؤال كل سماء .. فاستفتح جبريل فقالوا : من أنت ؟ قال جبريل .. قالوا : ومن معك ؟ قال محمد . قالـوا : وقد بعث اليه . قال : نعـم .. ففتحوا . ولا يكون هـذا الا فى المعراج وهو سـابق للاسراء ، اذ لو كان صلى بهم ثم عرج اليهـم لما قالوا بعث اليـه ، ولا داعى لتأويل بعث اليه بمعنى أرسـل اليه ليتلقى من ربه ما يتلقى .

والذى يهمنا فى قصـة الاسراء والمعراج أنهما حدثا ، وأنهمـا من تكريم الله رسوله محمدا وبيان

---

(١) أوحى اليه يوم الاثنين وصلى يوم الثلاثاء .

فضله على سائر الانبياء والرسل وأنهما من سبيل المعجزة وان كان الرسول اكتفى بمعجزة القرآن ، وكفى بها دليلا على نبوته ورسالته ان أسلافنا من رواة الحديث وكتاب السيرة والمؤرخين لم يقصروا ، وقد اجتهدوا فجمعوا لنا ما سمعوا وعلينا نحن أن ننظر فيما تركوه لنا بعين الفاحص المتثبت لنصل الى الحقيقة أو ما يقاربها ، لقد بحث الاسلاف حتى بلغوا فى الدرس والمساءلة الى الموازنة بين فضائل ليلة الاسراء وليلة القدر والعشر الاوائل من ذى الحجة أيها أفضل؟

وينقل ابن قيم الجوزية عن أستاذه ابن تيمية الاجابة عن هذا السؤال ، وقد أفاض فى الجواب ، وخلص الى أن ليلة الاسراء فى حق رسول الله أفضل من ليلة القدر ، وليلة القدر أفضل من ليلة الاسراء بالنسبة للامة الاسلامية . أذكر ذلك لابين المعاناة فى سبيل الوقوف على فضائل الايام التى فضلها الله تكريما لعبده ورسوله .

على أن كتب التراث وفى مقدمتها البخارى لم يدققوا فى الرواية فى شأن الاسراء والمعراج كما ينبغى فالبخارى وفضله لا ينكر حين تحدث عن الاسراء أوجز ، وحين تعرض للمعراج أطنب ، وخلط بين الأمرين فى رواية المعراج وروى شق صدر رسول الله قبل اسرائه وكثير من العلماء ينفى أن يكون شق صدره وهو كبير ، وجعلوا شق صدره فى طفولته حين كان مسترضعا فى بنى سعد بن بكر ، ومن العلماء المحدثين من ينفى شق صدره ومنهم الشيخ عبد الجليل عيسى كذلك يروى البخارى أن النيل والفرات ينبعان من الجنة .

ويورد البخارى فى حديثه عن المعراج كلمة صدرت من موسى عليه السلام لا تصدر من رسول . قيل له وقد تجاوزه النبى — صلوات الله عليه — ما يبكيك ؟ قال : « أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى » ولا داعى لتحسين الكلام بأنه سبق فى الزمان فمحمد صلى الله عليه وسلم كان فى الخمسين من عمره حسب تقديرهم حين الاسراء والمعراج ،

وليس بين الانبياء تحاسد ولا عداء فهم اخوة مهمتهم تخصيص الله بالعبادة وهدايتهم للناس ، بل انهم يبشرون بمن يأتى بعدهم لحمل الرسالة وأداء الامانة ...
وموقف موسى من حب التخفيف عن أمة الاسلام فى شأن الصلاة ـ ان أخذنا بما روى ـ ينفى أن يقول عن الرسول غلام ، ومن هذا القبيل لا أتقبل ما تقوله كتب التراث نقلا عن منكرى رسالته من قريش انه يتيم أبى طالب أو ما شاكل ذلك ، والقرآن نقل ما قالوه ، ولم يجىء فيه وصف بالغلام أو اليتيم من أقوال الكفار .

على أن ابن هشام فى السيرة النبوية قارب ولم يشتط فى حديثه عن الاسراء والمعراج ، لانه يروى عن ابن اسحق وابن اسحق توفى سنة ١٥١ هـ وعاصر الامام مالكا وكان بينهما ما بين المتعاصرين من التنافس، وله المام برواية الحديث فهو يقدم على غيره فى الرواية ممن تأخر عنه .. وقد روى أحاديث تخص الاسراء وأحاديث تخص المعراج فى عبارة عربية تنبض بالاداء العربى البعيد عن الصناعة أو التكلف . واقرأ معى ما رواه عن موسى .. يقول الرسول : ثم أصعدنى الى السماء السادسة ، فاذا فيها رجل آدم(١) طويل أقنى (٢) كأنه من رجال شنوءة فقلت له : من هذا يا جبريل .قال: هذا أخوك موسى بن عمران .. قال ابن اسحاق : ومن حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى أن جبريل لم يصعد به الى سماء من السموات الا قالوا له حين يستأذن فى دخولها : من هذا يا جبريل ؟ فيقول : محمد ، فيقولون : أو قد بعث اليه ؟ فيقول نعم ، فيقولون : حياه الله من أخ وصاحب حتى انتهى الى السماء السابعة ، ثم انتهى الى ربه ففرض عليه خمسين صلاة فى كل يوم ..

قال رسول الله : فأقبلت راجعا فلما مررت بموسى بن عمران ،

---

(١) آدم : أسود .
(٢) أقنى : مرتفع قصبة الانف .

ونعم الصاحب كان لكم • سألني كم فرض عليك من الصلاة ؟ فقلت : خمسين صلاة كل يوم ، فقال : ان الصلاة ثقيلة وان أمتك ضعيفة فارجع الى ربك فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك ، فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي فوضع عني عشرا ، ثم انصرفت فمررت على موسى • فقال لي مثل ذلك ، فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي ، فوضع عني عشرا ، ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك ، فرجعت فسألت ربي فوضع عني عشرا ، ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك كلما رجعت اليه ، قال فارجع فاسأل ربك حتى انتهيت الى أن

وضع ذلك عني الا خمس صلوات في كل يوم وليلة ، ثم رجعت الى موسى فقال لي مثل ذلك فقلت : قد راجعت ربي وسألته حتى استحييت منه ، فما أنا بفاعل • فمن أداهـا منكم ايمانا بهن واحتسابا لهن كان له أجر خمسين صلاة •• وهذا هو المنتظر من الانبياء والمرسلين والذين يجعلون من موقف موسى صفة بني اسرائيل واهمون فأين شئون الروح والعبادة من شئون المادة والتجارة ؟

ان الاسراء الى بيت المقدس كان من حكمة الله تعالى لربط بيوته بعضها ببعض ، وان كانت الكعبة لقدمها وأنها أول بيت وضع للناس هي الام الا أن بيوت الله قوامها الايمان وتوحيد الله ،وبما أن أمة الاسلام هي جامعة الرسالات وجهها الله بالاسراء الى الهيمنة على الاماكن المقدسة ، وقد قام الصحابة رضواء الله عليهم بما يجب نحو بيت المقدس ، وسار على نهجهم المسلمون في جميع العصور ، لم يفرطوا في المسجد الاقصى ولا في بيت المقدس ، وقد تصدوا للصليبيين على مدى قرنين من الزمان حتى أجلوهم وطهروا بيت المقدس من دعاة الصليب والاستعمار وانك حين تقرأ تاريخ الحروب الصليبية ترى بطولة مؤمنة سجلها القلم بمداد من نور وأدب الحروب الصليبية أدب دام متدثر برداء أخضر من أكسية الجنة •• اقرأ معي مايقوله الشاعر

الجوينى حين فتح صــلاح الدين بيت المقدس تجدعلامة على ماأقول قال :

جند السماء لهذا الملك أعــوان
من شك فيه فهذا الفتح برهان
متى رأى الناس ماتحكيه فى زمن
وقد مضت قبل أزمان وأزمان ؟
هذى الفتوح فتوح الانبياء وما
لها سوى الشكر بالافعال أثمان
أضحت ملوك الفرنج الصيد فى يده
صيدا وما ضعفوا يوما ولاهانوا
تسعون عاما بلاد الله تصرخ والا
ســلام أنصاره صــم وعميان
للناصر ادخرت هذى الفتوح وما
سمت لها همم الاملاك مذ كانوا

لو أن ذا الفتح فى عصر النبى لقد
تنزلت فيـــه آيات وقــرآن

وها نحن أولاء الآن فى موقف شبيه بموقف المسلمين من الصليبيين فمتى نعيد المســجد الأقصى الى دار الاسلام ؟ انه مسرى رســول الله ، وثالث مساجد المسلمين التى تشد اليها الرحال، وتراث الصحابة وذكرى صلاح الدين • والمسلمون فى جميع الأقطار الاســـلامية مطالبون بعودة المســجد الاقصى اليهم ويومئذ يفرح المؤمنون •

السيد حسن قرون

المَادَة المَعجَمِيَّة

معناها وتطور بعض ألفاظها الإسلامية

للدكتور/ أمين فاخر

لم تذكر المعاجم العربية معنى محددا لكلمة (المادة) ولكنها ذكرت فى تفسيرها معنى عاما لا يبين بوضوح ما نفهمه منها الآن • فقد ذكر الجوهرى فى الصحاح والفيروز أبادي فى القاموس المحيط وغيرهما أن المادة هى الزيادة المتصلة كما ذكر ابن فارس فى معجمه مقاييس اللغة فى (مد) أن من معانى (الميم والدال) : اتصال شىء بشىء فى ازدياد •

ولكنا حين نتأمل كلام علماء اللغة قديما وحديثا نجد أنهم قد يعنون بالمادة تلك الحروف الاصلية التى تتكون منها الالفاظ الدالة على المعانى •

وربما يمكن الجمع بين ما قاله أصحاب المعاجم فى معنى المادة • وبين ما استعملت فيه هذه الكلمة لدى علماء اللغة وغيرهم بأن يقال ان المادة عبارة عن سلسلة متصلة من الحروف الاصلية ــ فلا يوجد بينها حروف زائدة ــ ولذلك يسميها بعضهم تركيبا أو بناء أو أصلا أو جذرا ، فالحروف الثلاثة (ع ل م) مثلا يتكون منها صيغ كثيرة ، منها : علم وعالم ومعلوم وعلم ويعلم وأعلم وتعلم يتعلم الخ • وقد ذكر علماء اللغة أن هذه الصيغ المتفرعة من المادة الاصلية قد يؤخذ بعضها من بعض بشرط الاتفاق فى المعنى وفى ترتيب الحروف الاصلية بغض النظر عما يتخللها من زوائد ، وذلك ما سموه بالاشتقاق الصغير أو الاشتقاق

العام الـــذى هـــو أكثر أنـــواع الاشتقاق ورودا فى العربية •

ويفيد كلام السيوطى ـ حكاية عن بعض علماء اللغة ـ أن أصـــل هذه الصيغ جميعا هو المصدر لانه يدل على الحدث وحده ، أما بقية الصيغ فتدل عادة على معنى زائد عن هذا الاصل ـ ســـواء تساوت معه فى عـــدد الحروف أم اختلفت عنه فى الزيادة أو النقصان ـ وقد أورد مثالا لذلك هو « ضرب » فانه دال على مطلق الضرب فقط ، أما ضارب ومضروب ويضرب واضرب فكلهـــا أكثر دلالة وأكثر حروفا ، وضرب المـــاضى مســـاو حروفا ، وأكثر دلالة ، وكلهـــا مشتركة فى (ض ر ب) وفى هيئة تركيبها »(١)

وفى الحق أن اعتبـــار المصـــدر أصل المشتقات كما يذهب الى ذلك البصريون أو اعتبار الفعـــل هـــو الاصـــل كمـــا يـــذهب الى ذلك الكوفيون انما هـــو رجـــوع الى توضيح معنى الاشتقاق عند علماء الصرف الذين يقصرون الاشتقاق على الانواع السبعة المعروفة التى هى (اسما الفاعل والمفعول والصفة المشبهة باســـم الفـــاعل واســـم التفضيل وأســـماء الزمان والمكان والآلة) •

اما علماء اللغة فانهم يوسعون دائرة الاشتقاق حيث يعتبرون من المشتقات كل صـــيغة أخـــذت من غـــيرها بشرط الاتفـــاق فى المعنى والحروف ، والذى يجمع كل هذه الصيغ المتفقة فى الحروف وترتيبها والمتفقة كذلك فى المعنى أو المتقاربة فيه ، أو البعيدة فيه أحيانا انمـــا هو تلك الحـــروف الاصـــلية التى تسمى بالمادة •

ومن هنا يمكن القول بأن المادة أو هـــذه الحروف الاصـــلية هى الاصل الذى يؤخذ منه أو تشـــتق منه كل الالفاظ المتفرعة منها بشرط أن تكون محتفظـــة بنفس الترتيب لهذه الحروف • ولعل هذا يوضح ما نســـب الى بعض كبـــار علماء اللغة القـــدامى من ان الكلام كله

(١) المزهر للسيوطى ج ١ ص ٣٤٧ •

فقـــد ذكر السيوطى فى المزهر **أن الآراء فى ذلك ثلاثة :**

١ ـ « فقال سيبويه والخليل وطائفـــة : بعض الكلم مشــــتق وبعضه غير مشتق » .

٢ ـ وقالت طائفة من المتأخرين اللغـــويين : كل الكلم مشـــتق ، ونسب ذلك الى سيبويه والزجاج .

٣ ـ وقالت طائفة من النظار : الكلم كله أصل » (١) .

وعـــلى الرغـــم من تضـــعيف السيوطى ـ أو من حكى عنـــه ـ لهذا الرأى حين ذكر أن « الرأى الاوسط تخليط لا يعد قولا ، لانه لو كان كل منهما فرعا للآخر لدار أو تسلسل ، وكلاهمـــا محال ، بل يلزم الدور عينا ، لانه يثبت لكل منهما أنه فرع وبعض ما هو فرع لابد أنه أصل ، ضرورة أن المشتق كله راجع اليه أيضا .. » (٢) .

نقول عـــلى الرغم من ذلك فان أصحاب هـــذا الرأى القـــائل بأن الكلام كله مشتق كانوا ـ حتما ـ يقصـــدون من ذلك أن الحـــروف الاصلية التى هى المادة أصل لكل ألفاظ اللغة ، فلم يكن ليخفى عليهم أن اشتقاق كل الالفاظ بعضها من بعض يؤدى الى شىء محال هـــو الدور أو التسلسل .

ومن اللغويين المحدثين أيضا من ذهب الى هـــذا المذهب مؤكدا أن الحروف الاصلية للمادة فى المعاجم هى التى تربط بين الالفاظ المأخوذة من هذا الاصل وأنه « اذا صـــح لنا أن نوجد رابطة بين الكلمـــات فينبغى لنا أن لا نجعل واحدة منها أصلا للاخرى وانمـــا نعـــود الى صنيـــع المعجميين بالربط بيـــن الكلمات بأصول المادة ، فنجعـــل هذا الربط بالاصول الثلاثة أصل الاشتقاق ، فالمصدر مشتق منها ، كذلك » (٣) .

ويبدو أن هؤلاء لا يشـــترطون للاشتقاق حينئـــذ الاتفـــاق بين المأخوذ والمأخوذ منـــه فى المعنى ،

---

(١) ، (٢) المرجع السابق ص ٣٤٨ .

(٣) اللغة العربية مبناها ومعناها ـ د. تمام حسان ص ١٦٩ .

وانما يرون أنه مطلق الاخذ ، أى أخذ كلمة من حروف متشابهة معها فى اللفظ فقط فلا نستطيع على رأيهم « أن ننسب الى الاصول الثلاثة أى معنى معجمى .. وانما نجعل لهذه الاصول معنى وظيفيا هو ما تؤديه من دور تلخيص العلاقة بين المفردات » (١) .

ولكن يبقى أمامنا هذا السؤال: هل يمكن أن نسمى بالمادة كل أصل من هذه الاصول مع ما تفرع منه من كلمات ؟

والاجابة على هذا التساؤل – فى الواقع – ليست بالامر السهل ، فلقد قامت دراسات لغوية من جانب بعض المحدثين حول بعض المعاجم العربية حاولوا فيها تحديد معنى المادة اللغوية ،وقابلوا فى ذلك بعض الصعوبات ، ذلك أنه مثلا قد شاع بين الباحثين من علماء اللغة « أن الصحاح قد اشتمل على أربعين ألف مادة ، زانها الحسن والصحة والبيان ، وأن صاحب القاموس توسع فجمع فيه ستين ألف مادة ، ولسان العرب اشتمل على ثمانين ألف مادة » (٢) .

فاذا أردنا تطبيق هذه الاعداد على ما وجد فى هذه المعاجم من حروف أصلية كالاصل (ع ل م) مثلا دون ما تفرع منه من ألفاظ ، فان المواد الموجودة فى هذه المعاجم لا يمكن أن تصل الى ربع هذا العدد أو خمسه ، ففى دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح وجد أن الجوهرى قد أورد فى معجمه جذورا عددها ٥٦٣٩ جذرا فقط (٣) وليس أربعين ألفا كما هو شائع .

واذا أردنا تطبيق هذه الاعداد على الاصل مع ما يتفرع منه مثل: علم ، يعلم ، اعلم ، عالم ، معلوم عليم ، عالمان ، عالمون ، متعلم ، اعلمى ، اعلما ، اعلموا .. الخ . فذلك قد يصل بعدد المواد الى أضعاف ما ذكر من هذه الاعداد .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) مقدمة تاج العروس ص ٢٣ .

(٣) أنظر مثلا : دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح (باستخدام الكمبيوتر) للدكتور على حلمى موسى ص ١٩ .

ويوضح ما تقدم قول أحمد فارس الشدياق فى دراسته للقاموس المحيط : « ان قول المحشى وغيره ان القاموس جمع ستين ألف مادة فيه نظر ، لانهم ان أرادوا بالمواد مثل : كأب ، وكبيب ، وكتب ، وكثب ، فهذا المقدار أى الستين ألفا كثيرة ، فانى تتبعت القاموس من أول حرف الهمزة الى آخر الظاء ،وهو نصف حجمه تقريبا ، فلم أجد سوى خمسة آلاف وأربعمائة واحدى وخمسين مادة من جملتها المواد الزائدة على الصحاح ولا شك أن الباقى أقل ، وذلك لطول المواد فيه ، فربما ملأت المادة الواحدة منها صفحتين ، وان أرادوا المادة وما يشتق منها فذلك فوق العدد فربما أناف على المليون » (١) .

ومن هنا حاول بعض الدارسين تحديد معنى المادة تحديدا أكثر دقة ، وخلاصة ما توصل اليه فى ذلك (٢) أن الجذر ليس وحده المادة ، كما أن الالفاظ المتفرعة منه ليست كلها مواد ، وانما قديحتوى الجذر على عدة أصول تتفرع منها كلمات بالتجريد أو بالزيادة ، ويمكن أن يطلق على كل أصل من هذه الاصول المتفرعة من الجذر أنه مادة .

وما قيل فى الصحاح والقاموس يمكن أن يقال فى « لسان العرب » حيث أن تحديد ما فيه من المواد بثمانين ألفا فيه نظر .

وتتفق المعاجم العربية جميعها فى أنها تتخذ الحروف الاصلية أساسا لما تفرع منها من ألفاظ ، ولذلك فحين نكشف عن معنى كلمة فى أى معجم منها لابد من ملاحظة أمرين :

الاول : تجريد الكلمة من الزوائد فكلمة (استكبر) مثلا يبحث عنها فيما وضع تحت الحروف (ك ب ر)

والثانى : ارجاع الحروف المبدلة الى أصلها ، فكلمة (قال)

---

(١) الجاسوس على القاموس ص ١٠٦ — ١٠٧ .
(٢) انظر : دراسات فى القاموس المحيط — د . محمد مصطفى رضوان ص ٨٦ .

مثلا يبحث عنها فى (ق و ل) لان الالف أصلها واو ، وهكذا .

ولكن المعاجم العربية تختلف بعد ذلك فى ترتيب هذه الاصول وأبوابها وفصولها ، ولعل هذا هو السبب الذى من أجله تعددت المعاجم حيث قسمت فيما بعد الى أنواع ثلاثة :

فالنوع الاول سار فى ترتيب المواد حسب التقليبات فى حروف هذا الاصل وهذه التقليبات قد تكون على حسب مخارج الحروف حيث يبدأ بالابعد مخرجا وهى حروف الحلق ، وتنتهى بالاقرب مخرجا وهى حروف الشفة ، وتسمى بالتقليبات الصوتية وقد أخذ بهذا الترتيب الخليل بن أحمد (١٧٥ هـ) فى معجمه العين ،وتبعه فى ذلك أبو على القالى (ت٣٥٦هـ) فى معجمه « البارع » ، والازهرى (٣٧٠ هـ) فى تهذيب اللغة ، والصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) فى المحيط ، وابن سيدة (٤٥٨ هـ) فى المحكم ، وقد تكون التقليباتحسب الترتيب الابجدى الشائع الآن ، وقد أخذ بهذه الطريقة ابن دريد (٣٢١ هـ) فى معجمه الجمهرة .

ويمكن أن نمثل لذلك بالجذر (ع ر ف) فانه يأتى فى باب العين عند من اتبع نظام التقليبات الصوتية لان العين فيه أبعد الحروف مخرجا ، ويأتى مع هذا الجذر (ع ف ر) ، (ر ع ف) ، (ر ف ع) ، (ف ع ر) ، (ف ر ع) ويشرح المستعمل من الجذور وينبه على المهمل منها .

ولكن هذه الجذور كلها تأتى فى معجم الجمهرة المتبع طريقة التقليبات الابجدية فى باب الراء لانها أقرب الحروف من الناحية الابجدية المعروفة .

وأما النوعان الثانى والثالث من المعاجم فقد سار أصحابها فىتنظيم المواد حسب الترتيب الابجدى العادى الا أن أحدهما رتب فيه المواد على الحرف الاخير من الكلمة فجعل بابا وجعل الاول فصلا وهذا الترتيب هو المعروف بنظام القافية أو مدرسة القافية ، وأخذ به الجوهرى (٣٩٨ هـ) فى

معجمه الصحاح وتبعه فى ذلك ابن منظور (ت ٧١١ هـ) فى لسان العرب ، والفيروز أبادى (٨١٧ هـ) فى القاموس المحيط .

ورتبت المواد فى النوع الآخر حسب الحرف الاول ثم الثانى والثالث وسمى بعض الباحثين هذا النظام بمدرسة الابجدية العادية. وقد اتبع هذا النظام ابن فارس (٣٩٥ هـ) فى معجميه : مقاييس اللغة ، ومجمل اللغة ، مع اختلاف يسير فى ترتيب حروف المادة ، ولكن أكثر الباحثين يعدون الزمخشرى (٥٣٨ هـ) فى أساس البلاغة أول من اتبع هذا النظام باحكام ، وقد تبعه فى هذا كثير من أصحاب المعاجم ، وظل هذا الترتيب متبعا فى المعاجم الحديثة لما يمتاز به من السهولة واليسر .

فهذا الأختلاف فى ترتيب المواد ــ كما أشرنا ــ هو الذى قسم معاجمنا العربية الى الانواع الثلاثة السابقة ، وان كان كل معجم منها له ميزة تميزه عما عداه ولكل واحد من أصحابها هدف خاص يرمى اليه من تأليف معجمه .

أما ترتيب المشتقات المتفرعةمن أصل المادة فيكاد أصحاب المعاجم جميعا يتفقون على عدم التزامهم فى ذلك بنظام معين يتبعونه فى شرح هذه المشتقات وترتيبها ، فلم يلتزموا مثلا بتقديم الافعال على الاسماء ، أو تقديم بعض أنواع كل من الاسم والفعل على بعضها الآخر وغير ذلك .

وربما يحسب بعض الباحثين عدم ترتيب المشتقات فى المادة عيبا يمكن أن يؤخذ على معاجمنا العربية ، ولذلك رأينا اللجنة التى قامت بوضع معجم جديد هو المعجم الوسيط قد حرصت على تلافى ذلك ، حيث سارت على خطة موضوعة فى ترتيب هذه المشتقات فى المادة الواحدة[١] ، فلاحظت تقديم الافعال على الاسماء ، والمجرد من الافعال على المزيد ، والمعنى الحسى على المعنى العقلى

---

(١) انظر فى ذلك مقدمة المعجم الوسيط ص ١٤ .

والحقيقى على المجازى ، والفعل اللازم على المتعدى ، ورتبت الافعال المجردة أو المزيدة على نحو معين •

كما رأينا من المحدثين وخاصة المستشرقين من أخذ على معاجمنا العربية أنها لم تتجه فى شرح الالفاظ الى بيان تاريخها ، ولذلك فكر بعضهم فى وضع معجم عربى حديث يبين هذه النواحى التى قصر فيها الاقدمون ويراعى فيه ما لاحظه الاوربيون فى معاجمهم •

وكان من أبرز هؤلاء المستشرق الالمانى (بروفيسير فيشر ت ١٣٦٨ هـ ، ١٩٤٩م) الذى عنى كثيرا بدراسة المعاجم ولهجات الشعوب المختلفة ، وقد دعا الى وضع هذا المعجم العربى الحديث فى تقرير قدمه الى المجمع اللغوى بمصر ، وكان عضوا فيه ، وبين فى تقريره عيوب المعاجم العربية القديمة التى كان من أهمها أنها قد أهملت النواحى التاريخية للكلمة كما لم تبين كيف استعلمت الكلمة فى بادىء الامر ولا كيف تطورت فى استعمالها لدى الشعراء أو الكتاب وخاصة فى عصور الاحتجاج •

وقد بدأ هو بالفعل فى وضع هذا المعجم الذى رتبه على المصادر وعكف على اعداده أربعين عاما ، ثم قدم أصوله الى المجمع اللغوى الذى أقر طبعه ، وقد عرف هذا المعجم باسمه (معجم فيشر) •

هل يمكن وضع معجم جديد ؟

والحقيقة أننا لا ننكر أن هذا المستشرق الالمانى قد أجهد نفسه فى وضع هذا المعجم اللغوى العربى ، ولكننا مع هذا نرى أنه لا يمكن لاحد من المحدثين أن يضع معجما فى العربية أفضل مما وضعه المتقدمون من علمائنا العرب القدامى ، وليست هذه دعوة الى الجمود أو الرجعية أو التعصب ، ولكنها قد تكون دعوة الى المحافظة على لغتنا العربية الفصحى لغة القرآن الكريم التى ينبغى أن تظل كما هى وكما نطقها العرب الفصحاء ، وأن لا يلحقها من

التغير والتطـور ما لحق اللغـات الاخرى عـلى الرغم من أن هـذا التطور قد يكون أمرا طبيعيـا فى اللغات •

ونحن كـذلك لا ننكـر عـلى المحدثين أن يضعوا معجمـا عربيا حديثا يعتمد على معاجمنا العربية القديمة فى مادته وفيما يحتويه من ألفاظ ومعان كمـا وضـع المعجم الكبير والمعجم الوسيط وكذلك تلك المعجمات التى وضعت لاختصـار بعض المعاجم القـديمة أو تنظيم موادها وترتيبها ترتيبا سـهلا كما فى مختار الصحاح ونحوه ، ولكن الـذى ننكره أن نضـع تاريخا أو تطـورا لبعض ألفـاظ العربيـة الفصحى قد لا تكون عـلى بينـة منه •

وما ينادى به المستشرق فيشر وغيره من وجود نقص أو مآخذ فى معاجمنا العربيـة القـديمة يكاد ينحصر فى نظرى ــ فى ثلاثة أمور هى :

١ ــ أنهـا خلت من ذكر تاريخ الالفاظ •

٢ ــ أنها خلت من بيان التطور اللغوى الذى أصـاب كثـيرا من الالفاظ فى استعمالها ودلالتها •

٣ ــ أنها لم تذكر المعنى العام الذى يجمع معانى المادة اللغوية، وكذلك لم تذكر ما بين الالفـاظ المتفرعة من هذه المادة من علاقات وأواصر •

أما الامر الاول فان البحث فى تاريخ الالفاظ أو الاتجاهالتاريخى فى دراسة اللغة بصـفة عامة وفى وضع المعاجم بصفة خاصـة قـد يـؤدى أحيـانا الى الخـلط والاضطراب ، وهذا ما ذهب اليه بعض المحدثين من علمـاء الغرب أنفسهم أمثال اللغوى السويسرى (فرناند دى سـوسيير) الـذى يعتبره بعضـهم زعيم المدرسـة اللغوية الحديثة حيث يقرر هـذا اللغـوى ــ كمـا يذكـر بعض الباحثيـن[١] ــ أن العـوامل

---

(١) د • عبد الرحمن أيوب فى كتابه : اللغة والتطور انظر ص ٦٠

التاريخية فى الحكم على اللغة الواقعية قد يجر الى كثير من الخطأ ، وأن التسلسل التاريخى للحقائق اللغوية لا وجود له من وجهة نظر المتكلم الذى يواجه وضعا لغويا ثابتا ، وأن مذهب اللغويين القدامى « كان سليما فى حد ذاته ، حيث كانوا يهدفون دائما الى تحرى واقع اللغة ، ولا يغرقون فى الجرى وراء الخيال الذى يطمح بهم الى محاولةتصور الاصل الذى كانت عليه ، ومن ثم فقد كانوا أكثر واقعية من أصحاب المدرسة المقارنة » التى هى أساس الدراسة التاريخية •

هذا بالاضافة الى أن دراسة تاريخ الالفاظ — فى العربية خاصة — أمر صعب ذلك أن الباحثين لم يستقروا بعد على معرفة شىء محقق عن طفولتها الاولى ، وما ورد الينا من شعر رصين ونثر قوى انما ينبىء عن لغة بلغت غاية الكمال ، ولا يكشف شيئا عن طفولتها وكيف تطورت(١)

التطور فى الالفاظ :

وأما عن التطور فى الالفاظ ،فان لغتنا العربية — رغم حدوث تطور فى كثير من ألفاظها — تختلف عن كثير من اللغات فى هذا الامر ، وذلك بسبب حرص المتكلمين بها وكذلك الدارسين لها على بقائها ثابتة لا تتغير ، فقد جاءت دراسة اللغة لتخدم القرآن الكريم ، ولو أن أصحاب المعاجم اتجهوا هذا الاتجاه فدرسوا فى معاجمهم الالفاظ بعد تطورها لكان شأنهم فى هذا كمن يدرس اللهجات العامية التى أصبحت تمثل لهجة أو لهجات بعيدة كل البعد عن اللهجات العربية الفصيحة وعن اللغة الفصحى لغة القرآن الكريم فى حين ينبغى أن تكون هذه الدراسة بعيدة عن معاجمنا العربية •

واذا كانت بعض المعاجم العربية قد أهملت ذلك التطور

---

(١) أنظر فى ذلك : اللهجات العربية د• ابراهيم نجا ، ص ٦٢ •

الموجود فى معانى بعض الالفـــاظ لعدم الوقوف عـــلى معرفة أصلها ونشأتها وتطورها فاقتصرت عـــلى ذكر المعنى الاصلى الذى قد يكون هو المعنى الموضوع له اللفظ فـــان معظم هـــذه المعـــاجم ان لم يكن جميعها قـــد عنى بـــذكر المعـــانى الجديدة التى أحدثها الاســـلام ، فمعروف أن الاسلام كان لـــه أثر كبير فى اللغـــة فقـــد أمات بعض الالفاظ وأبدل بها ألفاظا أخرى ، كما استحـــدث ألفـــاظا وتراكيب جديدة اقتضتها تعاليمه ، كمانقلت بعض الالفاظ من معانيها الوضعية المعروفة لدى فصــــحائهم منـــذ نشأتهم الى معان جديدة اقتضتها أيضـــا تعاليم الاســـلام ، ولذلك وجدنا كثيرا من هذه المعاجم يعنى فى مواده اللغوية بهـــذا التطـــور اللغوى الكبير .

كما نبه الى هذا التطور الـــذى أحدثه الاسلام فى الالفاظومعانيها كثير من علماء اللغة فى بحوثهم فى فقه اللغة ، وقد نقلوا ذلك أحيانا من كتب المعاجم .

فيذكر السيوطى (ت ٩١١ هـ) مثلا فى كتابـــه المزهر بابا ســـماه (معرفة الالفاظ الاسلامية)يحكى فيـــه أقوال علمـــاء اللغـــة فى أثر الاسلام فى بعض الالفاظ ســـواء من ناحية الترك والازالة أو النقل لبعض الالفاظ من المعنى الوضعى الى معنى جديد استحدثه الاسلام ومن هؤلاء العلماء الذين حكى عنهم السيـــوطى : ابن فارس فى كتابه الصاحبى فى فقه اللغـــة وســـنن العرب فى كلامها ومعجمه : المجمل فى اللغة ، وابن برهان فى كتـــابه الاصول والتاج السبكى وابن دريد والجوهرى فى الصحاح والثعالبى فىفقه اللغة والتبريزى وابنخالويه وغيرهم .

دكتور / أمين فاخر

قضية القدس

تقدم مجلة الأزهر فى هذا العدد ملفا كاملا يحتوى على :

* القدس فى القرآن والسنة .
* القدس فى التاريخ .
* مواقف الأزهر فى العمل لهذه القضية حتى يتبين للقارىء دور الأزهر فى هذه القضية الاسلامية التى تهم أكثر من ألف مليون مسلم كما تهم كل انسان باحث عن الحرية والكرامة فى هذا العصر .

بيت المقدس
في القرآن والسنة

للأستاذ / عبد العزيز عبد الحميد الجزار

غلب على مدينة القدس بعد الفتح الاسلامى اسم : بيت المقدس ، أى : المكان المطهر من الذنوب ، واشتقاقه من القدس وهى الطهارة والبركة ،ومعنى بيت المقدس : المكان الذى يتطهر فيه من الذنوب ، ويقال : المرتفع المنزه عن الشرك •

والبيت المقدس : أى المطهر ، وتطهيره واخلاؤه من الأصنام •

وبيت القدس — بضم القاف والدال ثم تسكين الدال •

بيت المقدس فى القرآن :

وبيت المقدس بقعة من بقاع الجنة ، هو قبلة المسلمين الأولى ، وسيد البقاع ، ومهبط الرسالات ، وثالث الحرمين ، ومحل الرحمة ، وموطن البركة ، وحذوه باب من السماء ، يهبط منه كل يوم سبعون ألف ملك يستغفرون لمن يجدونه يصلى فيه ، وهو أرض المحشر والمنشر ، واليه أسرى بسيد البشر — صلوات الله وسلامه عليه — ، ومنه عرج به الى السموات العلى ، الى سدرة المنتهى • قال الله تعالى : **(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير)** •

أى تنزيها لله تبارك وتعالى عما لا يليق به وهو الذى سير عبده محمدا — صلى الله عليه وسلم — من مكة الى مسجد بيت المقدس

الذى بارك الله حوله فكان مقر الأنبياء المصطفين الأخيار ، وكان قبلتهم ، ومهبط الملائكة والوحى ، وفيه يحشر الناس يوم القيامة وهذه فضيلة لبيت المقدس ولو لم يكن له من الفضيلة غير هذه الآية لكفت لانه اذا بورك حوله ، فالبركة فيه مضاعفة ، ومع ذلك نجد كثيرا من الآيات التى ذكرها الله فى فضل هذا البيت فيقول عز وجل اخبارا عن نبيه موسى عليه السلام :« **وأذ قال موسى لقومه ادخلوا الأرض المقدسة ...** » أى المطهرة . وروى فى قوله تعالى « **ونجيناه ولوطا الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين**) قال هى الأرض المقدسة بارك الله فيها للعالمين . وقال تعالى : « **أن الأرض يرثها عبادى الصالحون** » قيل فى أحد الأقوال أنها الأرض المقدسة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وقال تعالى : « **وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين** » قال ابن عباس هى بيت المقدس وهو قول قتادة وكعب وقال تعالى : « **واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب** » المنادى هو اسرافيل عليه السلام ينادى من صخرة بيت المقدس بالحشر .

وسمى بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ، وقيل : كان أبعد مسجد عن أهل مكة فى الأرض يعظم للزيارة ، وقيل : لبعده عن الأقذار والخبائث ، ولكثرة سلام الملائكة فيه وعن عطاء الخراسانى قال : بيت المقدس بنته الأنبياء ، وعمرته الأنبياء ، والله ما فيه موضع شبر الا وقد سجد فيه نبى .

فى السنة المطهرة :

واذا كانت هذه مكانة القدس فى القرآن فان السنة المطهرة تشيد بمكانتها بمثل ذلك .

روى الامام أحمد رضى الله عنه فى مسنده من حديث أمامة قال: : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ،

ولا ما أصـــابهم من اللأ واء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك ، قالوا يارسول الله وأين هم ؟

قال : ببيت المقدس ، وأكنـــاف بيت المقدس •

وقد كلم اللــــه موسى فى أرض بيت المقدس ، وتاب الله على داود وسليمان عليهما السلام فى أرضه ، ورد الله على سليمان ملكه فيـــه ، وبشر اللـــه زكريا بيحيى فى بيت المقـــــدس ، وأوصى ابراهيم واسحاق عليهما السلام لما ماتا أن يدفنا بأرض بيت المقدس ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وســـلم لأبى عبيدة بن الجراح رضى اللـــه عنـــه : النجـــاء النجـــاء الى بيت المقدس اذا ظهرت الفتن • قـــال يارسول اللـــه فان لم أدرك بيت المقدس ؟

قال « فابذل واحـــرز دينك وفى لفظ آخـــر « فابذل مالك واحـــرز دينك » •

والصخرة فى المســجد الأقصى كالحجر الأســــود فى المســـجد الحرام ، اذ هى سيدة الصـــخور وعن وهب بن منبه رضى الله عنه يقول : قال رب العزة جل وعـــلا لصخرة بيت المقدس لأضعن عليك عرشى ، ولأحشرن عليك خلقى » •

وعن أم عبد الله ابنة خالد بن سعدان عن أبيها : لا تقوم الساعة حتى تزف الكعبة الى الصـــخرة ، فيتعلق بهـــا جميـــع من حجهـــا واعتمرها ، فاذا رأتها الصـــخرة قالت : مرحبا بالزائرة والمزورة •

فيها فرضت الصلاة :

وفى سماء القدس فرض اللــــه الصــــلوات الخمس على نبيـــه صلوات الله وسلامه عليه ومن هنا علت مكانته ، وعظمت قدســـيته وأولاه المسلمون عنايتهم وبذلـــوا أرواحهم ودماءهم فى ســـــبيل الحفاظ على صبغتها الاســـلامية ، وأبقوها وديعة فى أعناق المسلمين من أهل هذا الزمان •

عبد المعز الجزار

القدس في التاريخ

للأستاذ / حمدى الليثى

أنشأ الكنعانيون وهم عرب فى الألف الرابعة ق ٠ م ٠ مدينة أسموها « يورد سالم » أو « يورو شالم » — أى منشأة الاله سالم أو شالم — وظل هذا الاسم شائعا ، منذ ذلك العهد الى يومنا هذا مع شىء من التغيير — علاوة على الأسماء الأخرى التى ظهرت فى بعض المراحل التاريخية .

ومن « يورد سالم » هذه جاء الاسم الغربى etusalew المستعمل فى اليونان واللاتينية والألمانية والفرنسية والانجليزية وما اليها هذا الاسم أيضا جاءت «أورشليم» الواردة فى الكتاب المقدس .

استولى العبرانيون على المدينة فى القرن العاشر ق ٠ م على يد الملك داود الذى اتخذها عاصمة ملكه ووحد الأسباط وعزم على بناء الهيكل ولكنه توفى فبناها ابنه سليمان ونقل اليه تابوت العهد وصار الهيكل بيتا مقدسا يذكر فيه اسم الله .

وانحرف العبرانيون عن الصراط المستقيم فعبدو الأوثان وتنكروا لرسالة الله الواحد الأحد وارتكبوا الفواحش وظلموا وتكبروا وقتلوا الأنبياء بغير حق فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر وسلط عليهم أعداءهم .

فقضى الأشوريون سنة ٧٢١ ق ٠ م على مملكة اسرائيل وقضى البابليون سنة ٥٨٥ ق ٠ م على مملكة يهوذا ودمروا الهيكل وسبوهم وعانى اليهود فى السبى ما عانوا .

ثم أحسن اليهم الفرس وأعادوا

من أراد منهم الى بيت المقدس سنة ٥٣٨ ق • م ولكنهم لم يتعظوا بما حل بهم ولم يصغوا الى أنبيائهم فضربهم الرومان سنة ٧٠ ب • م على يد الامبراطور (تيطوس) الذى دمر المدينة وأحرق الهيكل ومرة سنة ١٣٥ ب • م على يد الامبراطور (حدريانوس) الذى محا المدينة محوا تاما وغير اسمها الى : ايليا كابيتولينا — أى اليا العظمى — وشتت سكانها •

وحين تنصر الرومان فى القرن الرابع الميلادى اشتدت الوطأة عليهم بسبب غدرهم بالسيد المسيح وحرمت المدينة عليهم وصار مكان الهيكل قمامة تجمع فيها القاذورات من المدينة ومن خارجها وفتح المسلمون المدينة فى السنة السابعة عشرة للهجرة — ٦٣٦ م وبدأت صفحة جديدة لم يعرف اليهود أجمل منها ولا أكرم •

أزال الخليفة «خليفة المسلمين» عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيده ما تراكم على الصخرة من قاذورات « وجد على الصخرة زبلا كثيرا مما طرحته الروم غيظا لبنى اسرائيل فبسط رداءه وجعل يكنس ذلك الذبل وجعل المسلمون يكنسون معه الذبل ومضى نحو محراب داود فصلى فيه ثم قرأ سورة ص وسجد (١) وتتبع المسلمون مساجد الأنبياء واحدا واحدا ابتداء من ابراهيم الى آخر من دفن منهم فى فلسطين وبيت المقدس فأعادوا بناءها وحافظوا على قدسيتها وطهروها تطهيرا •

وبدأ اليهود بعد الفتح الاسلامى يعودون الى المدينة للزيارة ثم للعمل والسكن والعبادة بعد أن حرموا من ذلك حرمانا تاما زمن الرومان : وثنيين كانوا أو مسيحيين وأسند الى أفراد منهم : خدمة المسجد الأقصى وعمل « القناديل والأقداح والثريات وغير ذلك لا يؤخذ منهم جزية — جاريا عليهم وعلى أولادهم أبدا ما تناسلوا من عهد عبد الملك بن مروان (٢) وبعد طردهم من أسبانيا

(١) مجير الدين الحنبلى ، الانس الجليل ، القاهرة ١٢٨٣ هـ ج ١ ص ١٥٣ ، ٢٢٧ •

(٢) المصدر السابق ١٤٩ ، ٢٥٠ •

سنة ١٤٢٩ م ذهب عدد كبير منهم الى الشرق العربى وفى خلال سنوات قليلة انضم الى يهود القدس ١٣٠ أسرة من أسبانيا حتى بلغ عددهم فيها ١٥٠٠ شخص واستمر تدفقهم على المدينة وصار عددهم سنة ١٥٢٢ م ١٣٠٠٠ أسرة (١) قامت ببيت المقدس أثناء الحكم الاسلامى حضارة رومانية فذة وتلاصقت المساجد والكنائس والمعابد وارتفع اسم الله عاليا واطمأنت القلوب وانشرحت الصدور • ولم يخل الحال من أوقات ضيق عانى منها جميع السكان ولكنها لم تشتد حتى تبلغ محاكم التفتيش أو حرق المعابد وأراد اليهود فى هذه المرحلة السمحة أن يحرفوا اسم المدينة الكنعانى القديم فأطلقوا عليها اسم «يرو شالايم » بدل « يرو شالم » باضافة لاحقة عبرية كى تصبح عبرية النطق ولكن جميع الشواهد الأثرية والتاريخية واللغوية تثبت أن الاسم كنعانى قديم وأن التحريف طارىء •

وغلب على المدينة بعد الفتح الاسلامى اسم (بيت المقدس) أو « البيت المقدس » وهو دليل صدق على أن من استعمله أراد لهذه المدينة أن تكون مقدسة طاهرة خالصة لله تعالى يؤمها المؤمنون جميعا للعبادة والطهارة •

ويؤخذ من ذلك أيها القارىء الكريم أن الحكم الاسلامى دام١٣ قرنا تمكن فيه الصليبيون من الاستيلاء على أجزاء من فلسطين وعلى بيت المقدس وهذه أطول مدة فى تاريخ المدينة المقدسة ذاقت فيها حلاوة الاستقرار •

مزاعم مردود عليها : ـ

يزعم الاسرائيليون اليوم أن بيت المقدس لهم بمثابة الرأس للجسم ، ونحن نسأل أين بيت المقدس هذه التى يتحدثون عنها ؟ انها أور شليم التاريخية التى هدمها الرومان مرتين وأزالوا اسمها من الوجود وهى التى تنبأ السيد المسيح بخرابها حين قال لها

---

(٣) دائرة المعارف اليهودية ، لندن ١٩٠٤ ج ٧ ص ١٢٣ .

« يا أور شليم يا قاتلة الانبيــاء وراجمة المرسلين اليها هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا » وحين قال لأحد تلاميذه .

« انتظر هذه الأبنية العظيمــة لا يترك حجر على حجر لا ينقضه» بل أن نبيهم سليمان تنبأ لها بهذا المصير حين قال لهم : « فانى أقطع اسرائيــل عن وجــه الأرض التى أعطيتهم ايــاها والبيت . الــذى قدسته لاسمى أنفيه من أمامى ».

ان أورشليم هذه اندثرت بسببهم هم ثم جاء المسلمون وفتحوا على كنائسها ومعابدها وفى أثناء الحكم الاسلامى وحــده شرع اليهــود يعودون اليها ويقيمون فيها المعابد والمعاهد وفق الشروط التى وضعها الاسلام لأهل الذمة ثم ان المسلمين فى أثنــاء الاثنى عشر قــرنا التى حكموا فيها فلسطين اتخذوا بيت المقدس عاصمة لهم وتملكوا أرضها بالطرق الشرعية وأوقفــوا أكثرها على الخير والبر والعبــادة ولم تهدم المدينــة ولم تحرق طــوال حكمهم كما فعل اليهــود اليــوم بالمسجد الأقصى ثم ان المســلمين بنوا المساجد والمــدارس والزوايا والتكايا والبيوت بأموالهم وظــلوا فيها مرابطين صــابرين واختلطت دماؤهم وعظامهم بتربتها .

فبأى حق ــ بعد هــذا يدعى الاسرائيليون اليــوم أنها مدينتهم المقدسة ؟

اذا كان بحق التاريخ ، فالتاريخ يحكم بأن مدينتهم اندثرت كليــة منذ ثمانية عشر قرنا .

واذا كان بحق البناء فالتــاريخ يحكم أن المسلمين هم الذين بنــوا وعمروا .

واذا كان بحكم الملكية فالتاريخ يحكم أن المســلمين هم المتلكون مدة اثنى عشر قرنا .

مواقف الأزهر المشرفة

قرارات وتوصيات المؤتمرات المتتابعة التى عقدها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

قرارات وتوصيات المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية الذى انعقد بالقاهرة فى سنة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م وقد أوصى المؤتمر بالآتى

ـ بأن يولى المسلمون جميعا قضية فلسطين كامل عنايتهم وجهودهم حتى يتم تحرير هذا الوطن العربى الاسلامى المغتصب تحريرا كاملا .

ـ أن تتولى الهيئات والمؤسسات الاسلامية فى كل بلد اسلامى متابعة القضية الفلسطينية وتنوير الرأى العام بشأنها وانشاء مراكز اسلامية فى القدس .

ـ أن تنفذ الحكومات العربية جميعا قرارات مؤتمرى القمة العربيين نصا وروحا وأن تساندها الدول الاسلامية فى ذلك مساندة كاملة .

قرارات وتوصيات المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية الذى انعقد فى سنة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م فهى :

يوصى المؤتمر : ـ

* تنبيه المسلمين فى جميع أقطار الأرض الى أن العمل الجدى

الدائم على انقاذ فلسطين من أيدى الصهيونيين الباغين الغاصبين هو فرض فى عنق كل مسلم ومسلمة ــ وأن الحرم الابراهيمى فى الخليل مسجد اسلامى مقدس وكل اعتداء على أى جزء منه يعتبر انتهاكا لحرمته وقدسيته .

قرارات وتوصيات المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية

الذى انعقد سنة ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨ م فكانت كالآتى :

* يدعو المؤتمر الى انشاء صندوق لتمويل كفاح أبناء الشعب الفلسطينى ورعاية أسر المجاهدين والشهداء والعمل على أن تكون للصندوق فروع فى كل بلد اسلامى وتخصيص قدر من الزكوات لتمويله ، فان الانفاق فى سبيل الله من البر الذى أمر الله به ومصرف من مصارف الزكاة الشرعية التى نص القرآن الكريم عليه .

* يهيب المؤتمر بالمسلمين أن يبادروا الى تعبئة القوى الروحية وتعميق القيم الاسلامية فى المدارس والمعاهد والجامعات والمساجد والقوات المسلحة وفى كل وسائل النشر والاعلام وبحثهم على التمسك بتعاليم الاسلام وآدابه وحشد القوى فى جميع المرافق والمصانع والمزارع استعدادا لمواجهة احتمالات الموقف .

* ان المؤتمر يقدر ما تقوم به الحكومات والشعوب الاسلامية من جهود حميدة فى سبيل الهدف المشترك يوصى بالمزيد من هذه الجهود وبالتنسيق بينهما ليقف المسلمون صفا واحدا فى مواجهة الموقف الحاسم .

* يدعو المؤتمر الى تأليف وفد للعمل على تنفيذ هذه التوصية

لتوثيق عرى المودة والتآخى والتعاون الفعال بين البلاد الاسلامية تمهيدا لقيام الجامعة الاسلامية المنشودة .

* يوصى المؤتمر بالتعاون الاقتصادى بين الدول العربية والاسلامية الى أقصى الحدود والعمل على تنسيقه بما يحقق التكامل بين الدول الاسلامية والعربية .

* يهيب المؤتمر بالمسلمين فى كل مكان ألا يغفلوا لحظة عن واجبهم الدينى فى تخليص بيت المقدس وسائر الأرض المحتلة والحفاظ على قداسته وعروبته فهو أول القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجه ومثوى الشهداء من صحابته .

* يؤكد المؤتمر الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم فى الضفة الغربية بالأردن بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ هـ (الموافق ٢٢ أغسطس سنة ١٩٦٧ م) والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن ومسجد الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما وما عليه السور وفيه الأبواب وأن العدوان على أى جزء من ذلك يعتبر انتهاكا لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته .

أما المؤتمر الخامس الذى انعقد سنة ١٣٨٩ هـ (سنة ١٩٧٠ م) فقد كان من مقرراته :

* يقرر المؤتمر أن اقدام اسرائيل على احراق المسجد الأقصى المبارك يمثل ذروة الجرائم على بيوت الله تعالى وقمة الاعتداء على مشاعر المسلمين حيثما كانوا .

* يؤكد المؤتمر قراره فى العام الماضى بتأييد الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين ومفتيهم وقضاتهم فى الضفة الغربية للأردن

بتاريخ ١٧ من جمادى الأول سنة ١٣٨٧ هـ (٢٢ أغسطس سنة ١٩٦٧ م) التى تنص على أن المسجد الأقصى المبارك بمفهومه وتحديده الاسلامى يشمل المسجد الاقصى المعروف الآن،ومسجد الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما وما عليه السور وفيه الأبواب وأن العدوان على أى جزء من ذلك كله هو انتهاك لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته وأن الحرم الابراهيمى المبارك فى الخليل مسجد اسلامى مقدس وأن كل اعتداء على أى جزء منه انتهاك لحرمته وقدسيته .

❋ يقرر المؤتمر أن المسلمين كما يجب عليهم المحافظة على المقدسات الاسلامية والدفاع عنها يجب عليهم كذلك المحافظة على مقدسات المسيحيين فى فلسطين والدفاع عنها والتمكين من حرية زيارتها عملا بحكم العهدة العمرية وتعاليم الشريعة الاسلامية .

أما المؤتمر السادس الذى انعقد سنة ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) فقد أكد على أن :

❋ المسجد الأقصى المبارك وسائر المقدسات الاسلامية ملك المسلمين جميعا لا يملك أحد التصرف فيها والانتقاص من قدسيتها ، كما أن المقدسات المسيحية من واجب المسلمين حمايتهاوتأمين زيارتها لكل المسيحيين فى العالم عملا بالعهدة العمرية وأحكام الشريعة الاسلامية .

❋ وأكد المؤتمر الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم فى الضفة الغربية بالأردن بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ٢٢ من أغسطس سنة ١٩٦٧ م والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن ومسجد الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما وما عليه السور وفيه الأبواب وأن العدوان على أى جزء من ذلك يعتبر انتهاكا لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته ، وأن الحرم

الابراهيمى فى الخليل مسجد اسلامى وكل اعتداء على أى جـزء منـه يعتبر انتهاكا احرمته وقدسيته •

❋ وقد استنكر المؤتمر استمرار اسرائيل فى تغيير معالم القدس والعدوان على آثارها الدينية والتاريخية والحضـارية ويطـالب الأمم المتحـدة بتنفيـذ قراراتها المتعلقـة بذلك وردع اسرائيل عن المضى فى جرائمها •

❋ وقد أدان المؤتمر موقف اسرائيل المتمادى فى اهدارها لحقوق الانسان فى المناطق المحتلة بوسائل التعذيب الوحشية وهـدم المنـازل وطرد المواطنين واغتصاب الأراضى والمبانى واقامت المستوطنات لاسكان اليهود الغرباء باحلالهم محل الأهالى العرب الأصليين ويعلن أن هـذا أفظع صورة من صور التمييز العنصرى •

قرارات وتوصيات المؤتمر السابع للأزهر بشـأن القـدس : ـ

بتوفيق من الله تعالى وبهدى من دينه القويم قـد اجتمع المؤتمر السابع لمجمع البحوث الاسلامية تحت راية الاسلام وفى رحاب الأزهر فى فترته الاولى التى بدأت من أول شعبان سـنة ١٣٩٢ هـ التاسـع من سبتمبر سنة ١٩٧٢ م حتى السادس من شعبان سنة ١٣٩٢ هـ الرابـع عشر من سبتمبر سنة ١٩٧٢ م ممثلا لنحو أربعين قطرا ومجمعا اسلاميا فى القارات الثلاث آسيا ، وافريقيا وأوربا ، وقد اجتمع الأعضـاء مع اخوتهم أعضاء المجمع الممثلين للبلاد الاسلامية واستمعوا الى البحوث التى ألقيت والى الدراسات التى قدمها الأعضـاء من أحوال المسلمين فى بعض البلاد ويعلن المؤتمر :

تأكيد ما سبق أن أعلنه فى دوراته السابقة من أن الجهاد بالأنفس

والأموال أصبح فرضا عينيا على كل قادر من المسلمين لا يجـــوز أن يتخلف عنه من ينتسب الى هذا الدين القويم •

وأن هذا الواجب لا ينتهى الا بعد تحرير الأرض والقدس الشريف والمسجد الأقصى وجميع الأراضى الاســـلامية العربيـــة التى احتلتها اسرائيل •

وأوصى المؤتمر جميع الحكومات الأخرى والشعوب والمؤسسات والهيئات العربية والاسلامية أن تقـــدم المعـــونة الفعـــالة على جميع المستويات التى تتطلبها ضراوة المعركة كما يوصى الحكومات الاســـلامية بمد يد العون المادى والمعنوى للعمل الفدائى •

كذلك يقرر المؤتمر أنه لا يصح ولا يقبل بحـــال من الأحـــوال أى حل أو تسوية لا يعيد القدس الى سيادتها العربية والاسلامية ولا يعيد كذلك الأراضى العربية المحتلة ولا يعيد سائر الحقوق العربية والاسلامية الى أصحابها : ــ

وفى مؤتمرنا هذا نتوجه الى أصحاب السلطة الشرعية فى البـــلاد الاسلامية والعربية بحق ما لهم من ولاية وبحق مالنا من نصيحة يأمرنا بها الاسلام أن يوحدوا كلمتهم ويعـــدوا عدتهم ويجمعـــوا قـــواهم ومواردهم لمجابهة العدو وأن يستعملوا حقوقهم ضد مصـــالح المؤيدين لاسرائيل فى بلادنا وأن يستخدموا ما منح الله بلادهم من أسباب القوة الرادعة للدول المؤيدة لاسرائيل استخداما يؤكد أملنـــا فيهم ويحقـــق مصلحة أوطاننا المهددة ويبرهن للمعتـــدى ومناصريه أن دمـــاء المسلمين والعرب لن تذهب هدرا •

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

قرارات توصيات المـــؤتمر الثامن
والذى عقد فى القاهرة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م

● يؤكد المؤتمر ما سبق أن اعلنه من توصيات وقرارات فى دوراته السابقة بخصوص تحرير الارض العربية التى اغتصـــبتها اسرائيل فى فلسطين ، وسوريا ، والاردن ، ولبنان ، ومصر ويؤكد دعوته للجهاد من أجل تحريرها ، ويقرر ضرورة عودة الفلسطينيين الى ديارهم ، واقامة دولتهم بارادتهم الحرة المستقلة .

● ويعلن المؤتمر ان لاهل فلسطين الذين اخرجوا منها الحق كل الحق فى ان يعودوا اليها ، وان يقيموا مع سائر الفلسطينيين دولتهم المستقلة التى يريدونها ، على أرض وطنهم فلسطين بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية التى تعبر عن ارادتهم الحرة .

بيان للمسلمين

ولقد تتابعت الحروب وباقى أثر حرب حتى بلغ عددها أربع حروب كبيرة غير الاشتباكات المتعددة خاصة حرب الاستنزاف التى اسـتمرت قرابة عامين كاملين ٦٨ ا ١٩٦٩ دون أن تحل مشكلة فلسطين والقدس •

وأخيرا رأت زعامة مصر أن أسلوب الحرب فى ظل الظروف العالمية الراهنة لن يقدم شيئا لفلسطين فاختارت أن تجرب أسلوبا آخر فى تناول المشكلة فقام الرئيس محمد أنور السادات بمبادرته المعروفة سنة ١٩٧٧ بزيارة القدس والاجتماع بأهلها والقاء خطـاب فى الكنيست الاسرائيلى يطالب فيه برد الحقوق الى أهلها واستعادة مدينة القدس وسائر الاراضى العربية المحتلة كاملة دون تفريط فى أى شبر خاصة القدس ورغم ان هذا هو هدف كل مسلم الا ان الامة الاسلامية اختلفت بها الآراء حول هـذا الاسلوب الجديد •

ولما رأى الازهر أن وحدة الامة الاسلامية قيمة كبرى وانهـا هى الطريق الى استرداد القدس وسائر الاراضى العربية خاصـة ان قيادة مصر تعمل فى الوقت نفسه بكل الاسـاليب المتـاحة عـلى تحقيـق أمل المسلمين الذى لم يحدث فيه أى تفريط حتى الآن والحمد لله وكان ينبغى على المسلمين جميعا أن يرجعوا الى كتاب الله لالتماس الحكم الشرعى فى المعاهدة المصرية الاسرائيلية فى ضوء الكتاب والسـنة وفى رفق واناه

وهدوء وموضوعية تحقيقا لقول الله تعالى « فان تنازعتهم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .

لذلك اجتمع علماء الأزهر يمثلون هيئاته العديدة وأصدروا بيانهم التالى :

نص البيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فقد عاش الازهر أكثر من ألف عام حافظا لتراث الاسلام موضحا لأحكام الشريعة فى كل ما يشغل المسلمين حافظا لأحكام الدين ومفاهيم الاسلام رعاية لحق الله فى النصيحة وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وكان الازهر ولا يزال حريصا على وحدة الامة الاسلامية وتوثيق روابط الاخوة بين أبنائها داعيا الى الوفاق والى رأب الصدع اذا المت المحن .

ضارعا الى الله تالى أن يحفظ على الامة الاسلامية وحدتها وسلامتها وأن يقوم قادة الامة بالعمل على جمع الكلمة وحفظ روابط الاخوة بين المسلمين .

واليوم ــ وقد اشتبهت الامور فى أذهان بعض الناس عن جهل بحكم الشرع أو عن رأى قابل للمراجعة ــ فقد رأى الازهر أنه قد آن الاوان لاعلان رأى الاسلام فى محنة لا شك أن الله تعالى سينجى المسلمين من آثارها بتوفيقهم بقبول حكم الله فيها وما وجه فيها رسوله الكريم منذ عهد الرسالة .

ان الازهر ممثلا فى جميع هيئاته (مجمع البحوث الاسلامية) (جامعة الازهر ، المجلس الاعلى للازهر ، لجنة الفتوى ، الادارة العامة للدعوة والارشاد ، المعاهد الازهرية) .

يتقدم اليوم الى العالم الاسلامى ببيان للحكم الشرعى فيما تردده بعض الجهات بخصوص المعاهد المصرية الاسرائيلية ان مصر بلد اسلامى وهى ثغر من ثغور المسلمين ، ومن واجب ولى أمرها أن يسهر على حمايتها ، فاذا رأى أن مصلحة المسلمين فى موادعة الاعداء ومهادنتهم جاز ذلك .

لان أمر الحرب ، وأمر الصلح وتقدير المصلحة فيهما مفوض اليه فهو أعلم بشئون رعيته ، وأقدر على تبين مواطن القوة والضعف تجاه عدوه فى حدود ما أمر الله تعالى ورسوله الكريم .

ان لقيام المعاهدات بين المسلمين وأعدائهم نظاما أقره الاسلام منذ عهد النبوة بشروط واضحة .

والقرآن الكريم أمرنا بالصلح مع العدو اذا رأى الامام مصلحة المسلمين فى ذلك بصريح قوله تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) سورة الانفال آية ٦١ .

وجمهور أئمة المسلمين على أن هذه الآية مخصصة لآيات القتال وليست منسوخة بها فقتال العدو واجب لحماية المسلمين الا اذا جنح للسلم وكان للمسلمين مصلحة فى ذلك .

واستدل الائمة الاربعة على جواز الصلح مع العدو متى كان فيه مصلحة للمسلمين بصلح الحديبية الذى صالح فيه الرسول عليه الصلاة والسلام وهو على رأس جيش قوى مظفر يستطيع أن يفرض به رأيه .

صالح الكفار على الشروط المعروفة لهذا الصلح ، والتى عارض

فيها فى بادىء الامر كثير من المسلمين ، حتى أقنعهم الرسول بصــواب الصلح وحتميته شرعا •

كذلك عرض الرسول عليه الصلاة والسلام على غطفان أن يتركوا قتاله فى غزوة الاحزاب وأن ينفصلوا عن تحزبهم مع المشركين عــلى أن يكون لهم ثلث ثمار المدينة •

ويرى علماء الأزهر أن المعاهدة المصرية الاسرائيلية تقوم فى حدود الحكم الاسلامى فهى قائمة من موضع القوة بعد خوض معركة الجهــاد والنصر الذى أحرزته مصر فى العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ •

كما كان صلح الحديبية من موضع القوة فى جيش الرســول عليــه الصلاة والسلام ••

ذلك الى أن ما تحققه هذه المعاهدة هو خير لا شــك فيه للمسلمين برد الاراضى الاسلامية الى أهلها ، بعضها عاجل طبقا لنظام متفق عليه وبعضها آجل طبقا لشروط كذلك •

ثم ان هذه المعاهدة قد دعت من لهم مصــلحة من المســلمين الى المشاركة فى هذا الصلح وأن يتقــدموا لينالوا نصــيبهم من مســئولية المفاوضة للحصول على ما لهم من الاراضى •

ومن أهم شروط هذا الصلح الاحتفاظ بحق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم ، وهو أمر لم تعترف به قوة من القوى العالمية ، منذ عهد النكبة الفلسطينية حتى حققته مصر فى جميع المجالات الدولية •

كما أن هذه المعاهدة وملحقاتها الرسمية لا تنطوى على تفريط مصر فى عروبة القدس واســلاميته بل انهــا تمســكت بذلك باســم ملايين المسلمين •

وبعد هذا البيان عن الحقيقة الشرعية وحكم الله فيها يتجـه علماء

الأزهر الى الله سبحانه وتعالى أن يحفظ على الامة الاسلامية وحدتهـا وأن يدرأ عنها شر أعدائها • وأن ينجيها من الفتن ما ظهر منها وما بطن •

ثم يتجهون بعد ذلك الى حكام المسلمين وعلمائهم وشـــعوبهم : أن يرعوا الله • وحقه عليهم وأن يعتصموا بحبله المتين ، وصراطه المستقيم فيتوخوا فى أقوالهم وأعمالهم جمع كلمة المسلمين ، والحفاظ على تعاليم الاسلام وكيانه وأحكامه أمام جميع التحديات •

ونذكرهم جميعا بالنداء الالهى (ولا تنــازعوا فتفشــلوا وتذهب ريحكم ••) وقوله تعالى (ومن يعتصــم بالله فقــد هــدى الى صراط مستقيم ••)

في التشريع الإسلامي

نحو نظام اقتصادى إسلامى

للدكتور / احمد عبد العزيز النجار

١ – جذور علم الاقتصاد :

طلعت علينا المكتبة الاسلامية فى الآونة الاخيرة بعديد من البحوث التى تناولت قضية النظام الاقتصادى فى الاسلام ، وبعض هذه البحوث يمثل فى الحقيقة محاولات رائدة ومقدامة ولكنها على كل الاحوال لم تضع أيدينا على ما تقول به عناوين هذه البحوث .

وكل هؤلاء معذورون فالذى يكتب عن النظرية فى الاقتصاد الشرقى أو الغربى انما يقدم ما يمكن أن نقول عنه أنه معالجة وصفية لشىء قائم أستند فى الاصل الى تجارب ومشاهدات ثم هو يجرى تحليله أو تفسيره على هذه المعالجة الوصفية فيستطيع فى النهاية أن يصل الى نتائج محددة معقولة أو غير مقبولة أما الموقف بالنسبة للمفكر الاسلامى الذى يعالج قضايا الاقتصاد فى الاسلام فهو على خلاف ذلك ، فهو يكتب عن الشىء المأمول أو عن الشىء الذى نفتقده ونسعى للوصول اليه وبخاصة وأن ظروفنا التاريخية لم تتح لنا التجربة المتحررة الامينة الصادقة الخاضعة للشريعة ، ومن ثم فانه لم تتوافر لدينا الممارسة والمشاهدة التى بنوا هم عليها نظرياتهم التى بشروا بها بيننا .. فموقف الذين يكتبون عن النظرية الشرقية أو الغربية هو موقف الملاحظ بينما موقف المفكر المسلم من هذه القضية هو أقرب ما يكون

الى موقف المكتشف وللاكتشاف مجاهله وعقباته ومحاذيره •

ويعتبر علم الاقتصاد كغيره من العلوم التى انشقت حديثا مستقلة بنفسها منفردة بذاتها متميزة عن غيرها فى مناهج البحث ووسائل الدراسة وطرائق القياس • ويعنى هذا أن علم الاقتصاد كان قبلا كغيره من العلوم مختلطا بعديد من المعارف التى كان يعالجها العالم أو المفكر ويتلقاها الدارسون ••• واننا نجد لهذا العلم قبل استقلاله اشارات ومعالجات ربما وردت فى الدراسات التى كانت تتصدى للفلسفة أو تتصدى لعلم التاريخ على الوجه الذى تراه فى مقدمة ابن خلدون مثلا • ونجد فى كتابات بعض الاقدمين اشارات وأحاديث متفرقة عن بعض القضايا التى أصبحت تشكل حاليا جزءا من ذلك العلم بعد أن استقل ببنائه النظرى نجد فى بحوث هؤلاء معالجات هنا وهناك عن أحوال المعيشة أو عن المقايضة أو عن الحرف •• غير أن هذه المعالجات ما كانت لتشكل بحوثا مستقلة نستطيع بتجميع بعضها الى بعض أن نصل الى بناء فرع من العلوم له وحدته واستقلاله •• على أن الذى ينبغى أن نقرره منذ الآن أن كل هذه المتفرقات انما كان يتم تقديمها أو معالجتها داخل اطار مذهبى خاص •

ومع موجة المد الاسلامى واتساع رقعته ومع الظروف التاريخية التى صاحبت ذلك والتى نعرفها جميعا بدأ الغرب الافادة من ثمرات جهود المفكرين المسلمين وعكف على المعارف التى قدمها هؤلاء المفكرون باحثين ومحللين ومجمعين وصاحب هذه المرحلة ذلك التمزق والتدهور أو فلنقل التجمد الذى أحاط بمفكرى الاسلام فخلت الحلبة للغرب ليتولى الصدارة فى مجالات البحث ومناهجه •

وتشعبت أسباب الحياة وزادتها مبتكرات المدنية الحديثة تعقيدا وصعوبة واكتشفت الوسائل التى سهلت المواصلات والاتصالات ويسرتها وصاحب ذلك كله بروز صور وأشكال جديدة من العلاقات وقاد ذلك كله فى النهاية الى ضرورة

التخصص العام ثـــم التخصص الجزئى •• وتمايزت العلوم بعضها عن البعض الآخر فأصبح الطب علما مستقلا والفلك علمـا مستقلا والاجتماع علما مستقلا والبحوث المتصلة بالنفس علما مستقلا وقـد كانت هذه جميعها فروعـا للفلسفة من قبل • كما أصبحت الرياضيات علما مستقلا والاحصاء علما مستقلا والاقتصاد كذلك علما مستقلا •

ولا ينبغى أن نفهم ان استقلال علم عن غيره من العلـــوم يعنى انعزاله واقامة حدود وسدود بينه وبين غيره من العلـــوم فذلك مالا يمكن القول به لأن كل علـم يتأثر بغيره ويؤثر فيـه بل وأكثر من ذلك فان جميع العلوم تخضـع فى مناهجها وطرائق بحثها بل وفى نتائجها لأصل فكرى ينطلق منـه الباحث •• ونحن عندما نقـــول بالاستقلال انما نعنى وجود بنـاء متميز وواضح للعلم ووجود منهاج له وطريقة تجعل له خصائصه التى تميزه عن غيره •

ويرجع تاريخ علم الاقتصاد — كما وضعه الغرب كعلم متميز — الى منتصف القرن الثـامن عشر الميلادى تقريبا •• وبدأت مدارسه بظهور آدم سمث فى انجلترا ومما قد تجدر الاشارة اليه أن هـــذه المرحلة التاريخية كانت هى بـداية ظهور المصانع وتغيير هيكل الانتاج من الزراعة والحرف اليـدوية الى الصناعة • ومعلوم أن هذا الانتقال أو التغيير واكبه بالضرورة تغييرات واسعـة فى نظام العـــلاقات فى المجتمع •

وعلى مدى القـرنين الماضيين احتكر الغرب مجالات الدراسة فى العلوم التىأقاموا أبنيتها ومنها علم الاقتصاد ، وحتى الفـكر المقابل للمدرسة الغربية فى الاقتصاد انما يعتبر فى الواقع منشقا عنـه أو رد فعل لبعض آثاره وسنرى فيما بعد أن أصولا وملامح عديدة تجمع بين الفكرين وان غالى أحدهما فى تأكيده على الفردية وغالى الاخر فى تأكيده على الجماعية ، ولا يفوتنا هنا أن نشير الى أن كلا الفكرين الغـربى والشرقى انما كان متأثرا أساســا بالظروف الموضوعية والخلفيـــة التاريخية والاخلاقية للارض التى

نشأت عليها هذه الافكار وليس أدل على ذلك من أننا نستطيع عـــلى سبيل المثال أن نضع أيدينا دائمـــا على فكرة كفكرة الصراع لــــدى معطيات كلا الفكرين •• وتقودنـــا هذه الحقيقة الى أن نعى منــــذ البــداية أن جميع مفـــاهيم كلا المدرستين الغربية والشرقية ينبغى أن نقيمها وننظر اليها دائما لا على أنها حقائق مطلقة ولكن على أنهـــا مفاهيم وآراء متأثرة بنوازع بشرية فى حدود ظـــروف خاصة وأنهـــا بالاضافة الى ذلك نسبية وأنهـــا انعكاس وتعبير عن العــــلاقات الاجتماعية والاقتصـــادية التى عاصرتها •

ونستطيع أن نجد لدى المدرسة الغربية بالذات فروعـــا مدرسية متعددة ولكن هذا التعدد نجـــده دائما اما نتيجة لعملية تطوير فكرة من الافكار فى ضوء التجربة والتطبيق واما نتيجة رؤيا أيدلوجية معينـــة ينطلق منها الباحث •• ولكن الامر الذى لا خلاف حوله هو أن هـــذه المدارس على تعددها والاختلافات الشكلية بينها تصدر عن أصـــل واحد •

وقد نستطيع أن نشير بايجـــاز شديد ونحن نعرض هذا المدخـــل الى أن ذلك الاصل يؤكد تأكيدا على الفصل بين النشاط الاقتصـــادى والاخلاق، فعالم الاقتصاد لا يعنيه أن يكون النشاط الاقتصادى أخلاقيا أو غير أخلاقى •• حراما أم حلالا عدلا أم ظلما •• وانما يعنيـــه أن يحقق منفعته فحسب •• هذا لدى المدرسة الغربية وهو كذلك لـــدى المدرسة الشرقيـــة فهى وان رفعت شعارات للعدالة الا أن العـــدالة عنـــدها لا ترتبط بقيم مطلقـــة ولا تستمد من أصل روحى وانمـــا ترتبط عند البحث والتدقيق بفكرة الصراع وترتبط بانكار الجـــانب الروحى انكارا تاما ولا نجدهـــا فى النهاية تتعامل الا مع حيـــوان اقتصادى •

بعبارة أخرى فاننا اذا غضضنا النظر عن الخلافات التى تتصـــل بنتائج أو شواهد علمية أو جزئيات فى ظاهرة مابين مدرسة وأخـــرى الا أننا نستطيع فى النهاية أن نصنف هذه المدارس الى مجموعتين تمثلان

نتائج وحصيلة نشاطهم الفكرى •
الاولى : تنحو منحى ماديــــا لا ينكر الجانب الروحى أو الجانب الاخلاقى ولكنه يؤكد فى معــالجاته على الفصل بين الجــانب المادى والجانب الأخلاقى •• لا يتعرض للجانب الاخير ولا يضـــــعه فى اعتباره •

الثانية : تنظـر الى العـــامل الاقتصادى فحسب بصفته المحرك الحقيقى لمـــوكب البشرية فى كل الميادين وتنطلق فى فكرها من مرتكز محــــورى مؤداه أن الوضـــع الاقتصادى لكل مجتمع هو الـــذى يحـــدد أوضاعه الاجتمــاعية والسياسية بل وعقيدته الدينيـــة وبعبارة أخرى فانهم يبـــدءون من فكرة أن الانتاج ووسائل الانتـاج هى القوة الكبرى التى تصنع للناس تاريخهم وتطورهم ومســيرتهم المحتومة وفق تقدير هذه المدرسة •

٢ ــ الاقتصاد علم حار العلمــاء فى تعريفه :

بعد أن تحدثنا فى مقالنا السابق عن جذور علم الاقتصاد •• نتحدث اليوم عن ماهية الاقتصاد •

واقــد تعددت تعريفـــات علم الاقتصاد بدرجة تجعل من الصعب أن يقوم أحد بحصرها فى مدخــل كهذا •• وسنكتفى بأن نورد أكثر هـــذه التعريفات انتشــارا حتى نستطيع أن نلتقط ولو بشكل عــام الاتجاهات الفكرية التى تقف وراء هذه التعريفات ، والفلسفات التى ترتكز عليها •

يقول البعض أن علم الاقتصــاد هو علمدراسة الانشطة التى تسبب وجود تبادل بين الافراد ســـواء استخدمت النقود فى هذا التبــادل أم لم تستخدم •

ويقول آخرون أن علم الاقتصاد هو العلم الذى يدرس كيف يختار الانسان استعمال الوسائل النادرة لانتاج سلع مختلفة وتوزيعها على أعضاء المجتمع لاستهلاكها •

ويقول فريق أنه علم دراســة الناس فى حياتهم المــادية وكيف يكسبون وينعمون فى الحياة ••• وفريق يقول أن علم الاقتصاد هو ذلك الفرع من المعرفة التى تتصل بالثروة أو هو ذلك العلم الـــذى

يختص بدراسة الوسائل التى يمكن لأمة بواسطتها أن تغتنى .

ويقولون : أن الاقتصاد هو ذلك العلم الذى يدرس الانسان فى أعماله التجارية اليومية وأنه يتناول ذلك الجزءمن حياة الانسان الذى يتصل بكيفية حصوله على الدخل .. وكيفية استخدامه لهذا الدخل .

ويقولون انه علم دراسة المبادىء العامة لادارة الموارد سواء كانت للفرد أم لرب الاسرة أم للمشروع أم للدولة .. وتتناول كيفية معالجة الفاقد لها .

ويقولون : أنه هو العلم الذى يبحث محاولة اشباع الحاجات المادية أى هو العلم الذى يبحث فى الوسائل المتاحة للحصول على أكبر حصيلة ممكنة أو حصيلة معينة بأقل وسيلة ممكنة .

ويقولون : أنه هو العلم الذى يدرس الرفاهية الاقتصادية لشعب من الشعوب أو أمة من الامم .

وواضح من كل هذه التعاريف أن جميع الذين قالوا بها يتكلمون عن شىء يكاد يكون واحدا ولكنهم لا يتفقون على المعطيات الاساسية لهذا الشىء .

وهذا بالفعل ما أدركه أحدهم وهو روبنز فطفق يقول :

« كلنا نتكلم عن الشىء نفسه ، ولكننا لم ننته بعد الى ما هو ذلك الشىء الذى نتكلم عنه » .

وأعطى روبنز تعريفا أتيح له انتشار واسع حتى اعتبره بعضهم مغنيا عن التعريفات السابقة وهذا التعريف هو « علم الاقتصاد هو ذلك العلم الذى يدرس السلوك الانسانى كعلاقة بين أهداف وبين وسائل نادرة ذات استعمالات بديلة » .

وأبرز مافى تعريف روبنز أنه يعتبر الاختيار صفة مميزة للسلوك الاقتصادى غير أنه قد عيب على هذا التعريف أنه وان كان الاختيار عنصرا متأصلا فى السلوك الانسانى بوجه عام وأنه يجوز دائما تفسير السلوك الانسانى على أساس التعبير عنه فى صورة سلالم تفضيل الا أن

تعريف روبنز لم يبين لنـــا أية تفصيلات أو قرارات تدخل فى نطاق علم الاقتصاد ومن ثم عدل بعضهم تعريف روبنز لعلم الاقتصـــاد الى الصورة التالية :

علم الاقتصـــاد هو العلـــم الاجتماعى الذى يدرس الكيفيـــة التى يحاول بها الافراد تطبيـــق الندرة على حاجاتهم والطريقةالتى تتفاعل بها هذه المحاولات بعضهـــا مع بعض عن طريق التبادل •

ولسنا بحاجة الى أن نشير مرة أخرى الى العلـــة التى تقف وراء تلك الخلافات الشكلية أو اللفظيـــة التى نجدها بين تعريف وآخـــر فبالرغم من وحدة القاعـــدة التى ينطلق منها الباحثون والمفـــكرون الا أن زاوية الرؤيا تختلف كما قلنا من باحث الى آخر •

وعلى العموم فانه يمكن اجمـــال هذه المحاولات جميعا فى تعريفعام أورده بعضهم حيث يقول « علـــم الاقتصاد هو ذلك الفرع من العلوم الاجتماعية الذى يتوافر علىدراسة سلوك الافراد فى محاولاتهم لتوزيع الموارد النادرة ذات الاســـتعمالات البديلة بين الاهداف المتعددةوكيفية بذل هذه المحاولة عن طريق اجراء عمليات المبادلة فى السوق » •

فاذا ما انتقلنا الى المدرســـة الاخرى وجدنا أنها لا تقدم لنـــا تعريفا محـــددا منفصلا وانمـــا تعرض الاقتصاد من خلال مفهـــوم الفكر الماركسى اللينينى •• وهـــذا الفكر يتركب عندهم من أجزاءثلاثة هى الفلســـفة والاقتصـــاد والاشتراكية العلميـــة ، ويحتـــل الاقتصاد الجزء الرئيسى من هـــذه الاجزاء الثلاثة وذلك استنادا الى أن المعطيات الاساسية للفـــكر الماركسى تنحصر فىذلك التأكيد على العلاقة بين الوضع الاقتصـــادى وبين الحياة الفكرية للانسان بشتى أشكالها ومناحيها والقوى المنتجـــة عند هذه المدرسة هى التى تحدد كل المضمون التاريخى لحياة الانســـان فالفكر مهما اتخذ من أشكال عليـــا ومهما ابتعد فى مجاله الاجتمـــاعى عن القوة الاساسية فلا يعدو عند

التحليل أن يكون ـ بشــــكل أو بآخر ـ نتاجا للعامل الاقتصادى • وهم يؤكدون فى كتاباتهم دائما على أنه « ينبغى البحث عن منبع الافكار الاجتماعية والسياسية والحقوقية والدينية فى الاقتصــــاد قبـــل كل شيء »

ومن خلال ذلك تحدد بحثهم عن السبب الاصيل لنشــــوء الدين فى الوضع الاقتصادى للمجتمــع •• وعندهم أن الواقع السيىء الــذى تعيشه الطبقة المضطهدة تفجــر فى ذهنها الافكار الدينية لتستمد منها السلوى والعزاء •

وان كنا لسنا فى هذا الجزء من الحديث بصدد كشف الــزيف عن هذه الدعاوى وتوضيح بطلانهــا الا أننا نكتفى بأن نتســاءل : اذا كـــان الــدين هو أيديولوجيــة المضـــطهدين النابعة من واقعهم السيىء وظروفهم الاقتصادية كما يزعمون • فكيف نفسر اذن وجود العقيدة الدينية منفصلة عن الواقع السيىء وظــروف الاضـــطهاد الاقتصادى ؟! وكيف أمكن لغـــير المضطهدين أن يتقبلوا من الطبقــة المضطهــدة أيدلوجيتها التى نبعت من واقعها الاقتصادى ؟

وهل يمكن أن تنكر هذه المدرسة وجود العقيدة الدينية عند أشخاص ليسوا من الطبقـــة المطحـــونة والمضطهدة اقتصاديا ؟ •• وهـــل ينكرون عمق العقيدة وتغلغلهـــا فى نفوس بعضهم الى درجـــة تدفعهم الى التضحية بأنفسهم فى سبيلها ؟

واذا كانت هنالك حتمية تاريخية كما يقولون ، واذا كان التـــاريخ محكوما بالعامل الاقتصادى وأنـــه يسير وفقا لقوانين طبيعية فلمـــاذا اذن يبذل أصحاب هذه المدرســة جهودهم فى سبيل استثـــارة أكبر عدد ممكن لشن الثورات الفاصلة ؟ ولماذا لا يدعون قوانين التـــاريخ تعمل فتقوم عنهم بهذه المهمـــة الشاقة ؟

وهل يستطيعون من واقع التجربة أن ينكروا أن لكل انسان دوافــع أخـــرى لا تمت الى الناحيـــة الاقتصادية بصلة بل قد يضحى فى سبيلها بمصالحه الاقتصادية وبحياته كلها فى بعض الاحايين ؟

٣ ـ النشاط الاقتصادى بين المادية الغربية والعقيدة الاسلامية

ان المادية تسيطر على المدرسة العربية بقسميها الرأسمالية والشيوعية ٠

فالرأسمالية تحترم فى الفرد السعيد الحظ أنانيته فتؤمن له حرية الاستغلال والنشاط فى مختلف الميادين ، وبينما توفر هذه المدرسة لأولئك المحظوظين اشباع دوافعهم الذاتية وتنمى نزعاتهم الفردية تتجه المدرسة الشيوعية الى غيرهم من الافراد الذين لم تتهيأ لهم تلك الفرص فتركز دعوتها على أساس اثارة دوافع الأنانية فيهم والتأكيد على ضرورة اشباعها ٠

وتسعى بمختلف الاساليب الى تنمية هذه الدوافع بوصفها القوة التى يستخدمها التاريخ فى تطوير نفسه وحتى تتمكن من تفجيرها ثوريا ٠٠ وتصرخ فى آذان أولئك الذين تتصل بهم أن الآخرين يسرقون جهودكم وثروتكم ٠

فالمدرستان تركزان على شىء واحد : هو الدوافع المادية البحتة فكلتاهما تتبنى اشباع هذه الدوافع وتنميتها وانما اختلافهما ينحصر فى الحقيقة فى أن وقود الاولى يركز على الفرد بينما يركز وقود الثانية على طبقة معينة ٠

ونضيف الى ما تقدم ملاحظة ينبغى أن نؤكد عليها كنقطة مفتاحية لمناهجنا الاسلامى الذى نريد أن نشق الطريق اليه ٠٠ هذه الملاحظة مؤداها أن كلتا المدرستين التى سلفت الاشارة اليهما انما هى فى الواقع نتاج أخلاقية خاصة ومزاج معين وأرضية معينة وتاريخ معين ٠

ننتقل بعد ذلك الى نقطة التأزم الحقيقى التى يواجهها المفكر المسلم عندما يريد أن يبنى نظريته الاسلامية أو أن يكتشفها من خلال تراث الفكر الاسلامى ٠

ان المسلمين عندما فتحو أعينهم على التقدم الغربى الهائل وقرروا أن يلحق عالمهم ذلك العالم الذى سبقهم ٠٠ فتحوا أعينهم مبهورين وانخدعوا منذ البداية عندما وجدوا العالم ينقسم الى دول متقدمة اقتصاديا ودول متخلفة اقتصاديا وصورت لهم الامور على أن مشكلة

العالم الاسـلامى هى التخلف الاقتصادى عن مستوى البـلاد المتقدمة التى أتاح لهـا تقدمهـا الاقتصادى الزعامة المادية للعالم وأصلحت هـذه البلاد المتقـدمة المسـلم عنـدما لقنتـه أن الاسلوب الوحيد للتغلب عـلى المشكلة هو اتخاذ حياة انسان هذه البلاد المتقدمة تجربة رائدة وقائدة وترسم خطوات هذه التجربة لبناء اقتصاد كامل شامل قـادر على الارتفاع ببلاده المتخلفةالىمستوى الشعوب الحديثة المتقدمة •

وعاد الينا مبعوثونا ينقلـون ويترجمون فى ولاء سـلبى مبهور وضيقوا على أنفسهم مجال الاجتهاد بمقتضى مسلمات ضمنية يمكننا أن نحصرها فى :

١ ــ ان الفكر الاقتصادى قـد بات محددا فيما بشر به الشرق أو الغرب من مناهج وأن ذلك هـو نهاية الطريق •

٢ ــ أن الوسيلة المثلى لتنميـة المجتمعات الاسلامية واللحاقبركب التقدم المادى لا تتأتى الا من خلال نقل الوسائل والادوات أو الاجهزة التى استخدمت على أرض هـذا المنهج أو ذاك ، وأن مجرد التفكير فى رفض هذه الوسيلة واستبدالها بوسائل أخرى يعتبر بمثـابة تخلف ورجعية وجمود •

وكانت هذه هى نقطة التأزمالتى بدأ منها تعثر الفكر الاقتصـادى الاسلامى حيث اصطدم بصعوبات نشأت من طبيعة موقفه من الاشياء لا من طبيعة الاشياء ذاتها •

فالمسلمة الاولى تجعلـه يضطر الى الاختيار ما بين المدرستين التى أشرنا اليهما •

فاذا ما اختار احداهما فانه يجد نفسهمهما كانتميوله أمام مشكلات فنية أو مذهبية أو على الاقـل أخلاقية لا يجد لها حلا الا عـلى حساب مبادئه الاصيلة •

ويكفى هنا مثل واحد فلـو أن المسلم اختار المدرسة الغربية مثلا فانه لن يصطدم فى هذا الاتجـاه بلا أخلاقية الرأسمالية فحسب بل سيصطدم أيضا ببعض شروطهـا الفنية • فالرأسمالية تنظر الى المال كوسيلة لدفع عجلة الاقتصاد مجردا من وظيفته الاجتماعية واذا بهـا

تنجأ الى طرق تكوين رأس المـال الى البنوك والشركات النامية فتعهد اليها بمهمة الاتجاه بالنقود عـلى أساس الربا فى عمليتى التجميـع والتمويل وعندئذ نجد المسلم الذى يختار هذا الاتجـاه يغوص فى محاولات تخليص الرأسماليـة من الربا لانه محرم فى شريعة الاسلام واذا تورط فى ذلك يصبح مثله كمثل من يسعى لتخليص روح من جسد ثم يتوقع أن تستمر الحياة فى ذلك الجسد الخالى من الروح ٠

وهكذا نصل الى مربط الفـرس كما يقولون ، فالمفكر الاقتصـادى المسـلم اذا ما أراد أن ينقب عن المنهج الاقتصادى فى الاسلام أو أن يكتشف نظـرية الاسـلام الاقتصادية فان نقطة البداية يتحتم أن تكون عدم الانطلاق من مسلمة غربية وانما ينبغى أن تكون نقطـة انطلاقه من دائرة العقيـدة وهى القاعدة المركزية فى التفكير الاسلامى التى تحدد نظرة المسلم الرئيسـية الى الكون بصورة عامة ، ومن دائرة المعطيات الاسلامية التى تعـكس وجهة نظر الاسلام فى تفسـير الاشياء على ضوء النظرة العـامة التى توضحها العقيدة وتحددها ٠٠

ولا نعنى بقولنا أن المفكر المسلم يتحتم عليه ألا ينطلق فى اجتهـاده من مسلمة غربية أننا نهدر الخبرات العلمية المتراكمة فذلك أبعد ما يكون عن تفكير الاسلام الذى ننطلـق جميعا منه ٠

فالاسلام لا يحارب الانتفـاع بتجـارب وخبرات الآخرين بل ويحض على التماس هذه الخبرات والتعرف عليها وان القرآن الكريم ليزخر بالآيات الدالة على طلب العلم والترغيب فيه وتحصيله ٠٠ ولـكن الذى نعنيه هو أن يتسلح المسـلم أولا بالرصيد العقائدى الذى يوفر له الادوات والمعايير التى يستطيع بها أن يناقش وأن يمحص وأن يقيم ما يتلقاه أو ينظر فيه فان وافـق ذلك العقيدة ومفاهيمها فلا بأس من قبوله أما اذا خرج أو انحرف عنها فقد تحتم رفضه ٠

دكتور / أحمد عبد العزيز النجـار

الإعلام في رسالات السماء

للأستاذ : محمد كمال الدين

يتفق علماء الاعـلام فى العصر الحديث على تعريف الاعلام بـأنه الاخبار أو الانباء أو التبليغ بخبر أو نبأ أو حدث من الاحداث لم يكن الناس يعرفونه من قبـــل ، أو مختصرا أو مشوها ، ودور المعلم أو المبلغ أو المنبىء هو تثبيت هذا الخبر أو النبأ وتأكيده واذاعته أو نشره واعلام الناس بصورة كاملة ومقنعة ، وقد يصدقوه أو يكذبوه ، وحينئذ ما يكون على الرســول الا البلاغ ، والهداية والارشاد ، **« فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين»** (سورة النمل الآية ٩٢) .

ولقـد نزلت الاديان السماوية من عند الله بلاغا للناس ، ودعوة الى الحق والى طريق مستقيم ، ورسالة ترسم خطة الحياة الصالحة الطيبة **« فهل على الرسل الا البلاغ المبين ؟ »** (سورة النحل الآية ٣٥) **« وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله »** (سورة النساء الآية ٦٤) ، وذلك لان المبلغ أو المنبىء انما يوحى اليه بأمر ربه ، كمـا أن الرسالة هى أيضا وحى من عند الله ، **« وما أرسـلنا من قبـلك الا رجالا نوحى اليهم »** (ســورة يوسف الآية ١٠٩) **« ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات »** (سورة الروم الآية ٤٧) وهذه الآية الكريمة تبين لنا أن أى رسول هو من قومه ، أى واحدامن قومه يعرفهم ويعرفونه يتكلـــم لغتهم ، ويعمل عملهم ، ويعـــرف أحوالهم ويسلك سلوكهم ، ولكـن

بفارق أنه معروف عنه الصـــلاح والامانة والشرف والخلق القويم ، وهذه الصفات تيسر له سبل التبليغ وتجعله فى مكانة التصديق والايمان برسالته ، وأهلا للثقة فى أقـــواله وأفعاله ، وسلوكه •

فالاديان فى حد ذاتها اعـــلان ، وقد احتوت مبادئها على كل أسس الاعلام قديمه وحديثه، واستخدمت فى دعوتها وسائل تبليغ تتفق مـــع بيئتها وعصرها وتقاليد مجتمعهـــا وظروفه الحضارية ، هكـــذا كانت رسالات الانبياء والرسل منذ عهد آدم عليه السلام، والى عهد رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، خاتم الانبياء والمرسلين ،وغاية الرسالات السماوية الى يوم الدين •

كان آدم أول نبى مرسل ، وفى حديث لابى ذر الغفـــــارى عن الرسول محمد صلى الله عليـــــه وسلم : قلت يا رسول الله أنبيـــا كان مرسلا ؟ (يعنى سيدنا آدم) قال : نعم • وقال القرطبى : كان آدم رســــولا الى ولده ، وكانوا أربعين ولدا فى عشرين بطنا ، فى كل بطـــن ذكر وأنثى ، وتوالدوا حتى كثروا » وقال ابن قتيبة انه أنزل على آدم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وأول كتاب سماوى أنزل عليه كان فى احدى وعشرين ورقة • (انظر كتاب : الانبياء والرســـل للدكتـــور محمـــد وصـــــفى) ، وظل آدم عليه السلام يدعو الى رســـالة التوحيد والايمان قـــرابة قرون ثمانية اذ مكث على الارض ألف سنة الا سبعين عاما ، ولاشك أن نسله على هذا المـــدى الزمنى الطويل قد تكاثر وانتشر ، وتباينت آراؤه ونظراته واعتقاداته فى قوى الطبيعة وظواهرها ،وظهرت نوازع النفوس من حب وكراهية ، وخير وشر ، وعدل وظلم ، الامر الذى استدعى أن تنزل على آدم رســالـــة التوحيد والايمان بالله الواحد ، خالق كل هذه الظواهر الطبيعية ، من شمس وقمر ، وليل ونهـــــار ، وصخور وجبال ، ورياح وصواعق ، وبرد وحر ، وماء وشجر •• الخ •

وتعتبر رسالة آدم أول تبليـــــغ اعلامى من الله عز وجل الى قـــوم

آدم ، أول قوم عمــــروا الارض واتخذوا فيها المأوى وطرق العيش، وفى هذا البلاغ الالهى أمر اللــه البشر باتباع رسالة الحق ، وكرم هذا البشر فأمر الملائكة بالسجود له . فما يدل على تكريم الانسان ، وأن الخير مراد له منذ الازل والى الابد ، وأنه أحق المخلــــوقات بالتكريم والتوجيه والارشــاد ، وأوجبها لطاعة الله واتباع هديه ، وبفضل هذه الرسالة الســماوية الأولى عرف الناس أن هناك حياة وموتا ونشورا وأن فى الآخر نعيما مقيما أو عذابا أليما ، وأن هنــاك ثوابا وعقابا ، **« فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحــزنون والذين كذبوا بآياتنا واسـتكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيهــا خالدون »** (سورة الاعراف الآيتان ٣٥ ، ٣٦) .

ثم جاء شيث ، ولد آدم ، أو هبة الله ، وهذا معنى الاسم ، بعد ذلك، وعاش تســعمائة عام واثنى عشر عاما ، وحفظ نســله ومعــاصروه الاحاديث والعقائد عن أسلافهم الى زمن طوفان نوح عليه السلام ، وقد وجد شيث فى عهــد آدم ، ويروى أبوذر رضى اللــه عنــه فى حديث عن الرسول صلى اللــــه عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى أنزل على شيث خمسين صــحيفة، وعهد اليه آدم ، وعلمه ساعات الليل والنهار ، وعلمه عبـــادات تلك الساعات،ويذكر ابن قتيبة أن شيثا كان أجل ولد آدم ، وأفضــلهم ، وأشبههم بآدم ، وأحبهــم اليه ، وكان وصى أبيه وولى عهده ، وهو الذى ولد البشر كلهم . واليـــه تنتهى أنساب الناس ، وهــو الذى بنى الكعبــــة بالطين والحجارة (كتاب الرسل والانبياء ص ٣٤) .

وتمضى حقبة من الدهر ، بــل أحقاب تقدر بثلاثين قرنا ،تعاقبت على البشرية فيها من سلالة شيث أنبياء آخرون مثل (أنوش وعاش تسعمائة عام وخمســة أعوام) ، و (قينان : وعاش تسعمائة عــام وعشرة أعوام) ، و (ومهلئيل : وعاش ثمانمائة عام وخمســـــة وتسعين عاما) ، و (يارد : وعاش

تسعمائة عام وثلاث سنين) ، حتى جاء ادريس عليه السلام ، وقد ذكره الله عز وجل فى قرآنه الكريم « **واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا** » (سورة مريم الآية ٥٦) ، وسمى ادريس لكثرة ما كان يدرسه من كتب الله ، وقد أنزلت عليه ثلاثون صحيفة ، وهو أول من خط بالقلم ، وأول من خاط الثياب وألبسها ، واستجاب لدعوته ألف انسان من نسله ونسل من سبقه أو عاصره ، أما رسالته فهى امتداد أيضا لرسالات من سبقه من رسل وأنبياء وتقوم أساسا على توحيد الله ، وبيان جزاء المؤمنين والكافرين ، ومعانى العذاب والثواب والتوبة ، وقد قص على قومه قصص الاولين ، وأهمها معصية آدم لربه وتوبته عليه ، وقتل قابيل لاخيه هابيل ، وقد عاش سيدنا ادريس ثلاثمائة وخمسة وستين عاما • (انظر كتاب الرسل والانبياء ص ٣٨ — ٤٠) •

وتستمر القرون فى تعاقبها ، وتمضى منها ثمانية عشر قرنا أخرى ، حتى يجىء نوح عليه السلام ، فيعيش الف عام الا خمسين عاما ، ويحدث الطوفان الشهير فى عهده وهو ابن ستمائة عام ، ليبدأ بعده عهد جديد على البشر والبشرية ، أما رسالته السماوية ، فقد أخبر بها الله عز وجل فى كتابه الكريم حين قال : « **لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ، ما لكم من اله غيره ، انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم** » (سورة الأعراف الآية ٥٩) •

وقد ظل نوح يدعو قومه مائة وعشرين عاما قبل الطوفان ، وأوحى اليه وعمره أربعمائة وثمانين عاما ، وظل بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين عاما أخرى يدعو الى توحيد الله والتعريف به ، وترك عبادة التماثيل والاوثان والاصنام ، وأخذ يعدد لقومه نعم الله عليهم ، وهى دليل وجوده وقدرته ووحدانيته ، فلما كذبه بعض قومه ، أرسل الله لهم الطوفان « **فنجيناه ومن معه فى الفلك ، وجعلناهم خلائف ، وأغرقنا**

الذين كذبوا بآياتنا » (ســورة يونس الآية ٧٣) •

وبعد ذلك جاءت رسالة سيدنا هود فى قوم عاد « **والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان انتم الا مفترون** (سورة هود الآية ٥٠) ، وهكذا قامت رسالته — كرسالات من سبقه — على أسس التوحيد والتقوى والطاعة ، فلما كذبه بعض قومه أرسل الله عليهم « **ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر ، تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر »** (سورة القمر الآية ١٩ ، ٢٠) ، وكان قوم عاد يعبدون ثلاثة أصنام هى صدا وصخورا وهرا ، وكان سكنهم فى الاحقاف بين عمان وحضر موت ، بأرض تطل على البحر يقال لها الشحر ، وفى خيام لها أعمدة ضخمة ، وهم أول من عبد الاصنام بعد طوفان نوح ، (كتاب الرسل والانبياء ص ٦٤) •

ثم تعاقبت رسالات السماء ، فكان نبى الله صالح فى قوم ثمود ، وكان ابراهيم ، وكان صديقا نبيا ، ثم كان لوط ، معاصرا لسيدنا ابراهيم ، وابن أخيه فى نفس الوقت ، وقد هاجر معه الى الشام ، فنزل ابراهيم أرض فلسطين ونزل لوط أرض الاردن ، ثم كان من بعدهما اسماعيل واسحق ، ابنا ابراهيم عليه السلام ، ثم جاء من بعدهما يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام . ثم الاسباط الاثنا عشر ، وهم الانبياء من ولد يعقوب ، وقد ولد كل منهم أمة من الناس ، فسموا اسباطا ، كل سبط فى قوم يشبهون القبيلة فى نظام حياتهم •

وبعد الاسباط جاء نبى الله أيوب عليه السلام ، وهو من نسل اسحق ويعقوب ، وكانت أمه ابنة لوط ، وعاش فى قومه مائة وأربعين سنة ، رأى فيها أربعة أجيال من نسله ، ومن الانبياء الذين جاءوا بعد أيوب نذكر : ذا الكفل ، وشعيبا — الذى أرسل فى قوم مدين « **والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، ولا تنقصوا المكيال والميزان ، انى اراكم بخير وانى أخاف عليهم عذاب يوم محيط »** (سورة هود الآية ٨٤) ، وكان

جزاؤه من بعض سفهاء قومـــه التكذيب والتسفيه ، فكان أمر الله فيهم **« ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منـــا ، وأخذت الذين ظلموا الصـــيحة فأصبحوا فى ديارهم جـــاثمين »** • (سورة هود الآية ٩٤) •

لقد تضمنت تلك الرســـالات السماوية السابقة خصائص الاعلام فى أقوامها وســـايرت تفكيرهم وأحوالهم الاجتمـــاعية ، وكانت معجزات الرسل أو الرسول نفسها تتفق مع الاعمال وأطرف الصناعات التى برع فيها القوم أو برزوا ، كما كان الجزاء من جنس العمل ، وقد يتساءل متســـائل : اذا كانت الرسالات تتفق مع أحوال الاقوام وتبسط لهم أمورها ، وتـــراعى ظروفهم الفكرية والاجتمـــاعية والحضارية ،فلماذا كان المكذبون بها أكثر عددا ونفيرا من المؤمنين بها ؟ والرد على ذلك بسيط اذا عرفنـــا ان كل رسالة سبقت الاسلام كانت موجهة الى قوم بذاتهم ، وتقتصر على فئة من الناس هم قوم الرسول أو دوو قرباه ، ولم يكن من اليسير أن تسيطر قلة على كثرة ، فـــاذا عرفنا أن الأقوام المتجاورة كانت تؤثر فى بعضـــها البعض ، وأن الفروق الزمنية بين رسالة وأخرى كانت تمنع وصولها الى أكثر مـــن قوم ، واذا عرفنا أيضا أن وساوس النفس ونزعات الشيطان كانت فى أخصب مراحلها، وأن تراث الاقوام وعباداتهم الســـابقة كانت تنتشر بينهم انتشار النار فى الهشيم ،وأن التقاليد الموروثة كانت راســـخة وقوية فيهم ، اذا عرفنا ذلك ، كان من اليسير أن نرد على ذلك السؤال وكان أمل البشرية بعد كل رســـالة أن ينشر الناجون الرسالة ولكـــن قلتهم كانت أضعف من أن يزيد بها عدد المؤمنين ، وهكذا كانت سنة الله فى الخلق **« وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون »** (سورة يوسف الآية ١٠٦) •

ولكن النصر فى النهاية يكون لعباد الله المؤمنين **« انا لننصر رســـلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيـــا ويوم يقوم الاشهاد »** (ســـورة غافر الآية ٥١) •

محمد كمال الدين

أعلام الإسلام

من أئمة المحدثين

الإمام مسلم

للدكتور / الحسيني هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

هو الامام أبو الحسين مسلم ابن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيرى النيسابورى •

ولد بنيسابور (أحسن مدن خراسان) وأجمعها للخير « جمع الحاكم تاريخ علمائها فى ثمانية مجلدات » وكان مولده سنة مائتين وست من الهجرة فى عصر كان للحديث مجده ، وللسنة سلطانها • وكان العلماء الأفذاذ فى كل قطر من أقطار الاسلام لهم فيه نشاط سابق ، لكن بلاد ما وراء النهر كانت أنشط الاقطار ، وأكثرها تدفقا بالحيوية والنشاط فيما يتصل بالحديث •

شخصيته : اتسمت شخصية الامام مسلم بالبحث العلمى الجاد ، ولم تتح له ظروف عصره أن يظهر بما ظهر به البخارى من الجاذبية العلمية العنيفة ، والبروز الحاد ولكنه مع ذلك استطاع أن يلفت الأنظار اليه بشدة حينما أظهر صحيحه الذى أصبح صنو صحيح البخارى ، وأصبح به ثانى اثنين فى جمع الصحيح من الحديث •

وكان تام القامة ، أبيض الرأس واللحية ، يرخى طرف عمامته بين كتفيه بعد أن استمر به السن فى دراسة الحديث •

وكان له ضياع ينفق منها على مطالبه الشخصية والعلمية • **وبدأ حياته « بزازا » الى جانب طلبه للحديث ، وكان أبوه الحجاج من المشيخة ، فورث عنه طلب العلم والاتجاه الى دراسة الحديث •**

تكوينه العلمى ورحلاته :

كان فيض العلم فيما يتصل بالحديث وفنونه ينهل منه كل طالب ، فالتمس الامام مسلم تحصيل ما يمكن تحصيله ، وجد واجتهد فى طلب العلم ، ورحل فى سبيل ذلك الى كثير من الامصار والاقطار ، فضم الى علم بلده علوم البلاد الاخرى حتى أصبح من حملة التراث الاسلامى بكل ألوانه وصوره •

فرحل الى العراق ، وسمع بها من كثيرين منهم : أحمد بن حنبل ، وعبد الله بن مسلمة •

والى الحجاز ، وسمع بها من كثيرين ، منهم : سعيد بن منصور ، وأبو مصعب الزهرى •

والى « الرى » وسمع بها محمد ابن مهران الجمال ، وأبا عسانه وآخرين •

والى مصر وسمع بها ، عمرو بن سوار ، وحرملة بن يحيى ، وآخرين •

وسمع بخراسان يحيى بن يحيى واسحق بن راهويه وآخرين •

وسمع من كثيرين من أساطين المحدثين ، وكبار رجال السنة •

وجالس الامام البخارى ، واستفاد منه ، حتى لقد قال الدار قطنى :

« لولا البخارى لما ذهب مسلم ولا جاء » •

وقال الخطيب : « انما قفا مسلم طريق البخارى ، ونظر فى علمه فحذا حذوه •

ولما ورد البخارى نيسابور آخر مرة لازمه مسلم ، وأدام الاختلاف اليه •

وبقدر ما حصل من العلم ، واستفاد من العلماء بقدر ما بذل من العلم وأفاد ، فقد روى عنه أبو عيسى الترمذى حديثا واحدا ، وروى عنه يحيى بن صاعد ، ومحمد بن مخلد ، وأبو عمرو الخفاف ، ومحمد بن عبد الوهاب الفراء وغيرهم •

(مؤلفاته)

تنوعت مجالات البحث عند الامام مسلم ، وشملت من فنون

الحديث أبدعهـا وكلهـا تدل على ما كان لدى الامام مسلم من تمكن ودراية وفهم ، ومن هذه المؤلفات .

١ ــ أوهام المحدثين .

٢ ــ طبقات التابعين .

٣ ــ الأسماء والكنى .

٤ ــ السؤالات عند أحمد بن حنبـل .

٥ ــ العلل .

٦ ــ المخضرمين (نقـل عنـه السيوطى فى الحديث عن التابعين فى كتاب تدريب الراوى) .

٧ ــ الوحدان .

٨ ــ مشايخ الثورى .

٩ ــ مشايخ مالك .

١٠ ــ مشايخ شعبة .

وغـير ذلك من المؤلفات الكثيرة التى لم يبق فيها الا ذكراها الطيبة العطرة والتى نتنسـمها فى أثره الشامخ الخالد صحيح مسلم .

صحيح الامام مسلم :

والأثر الهام البـاقى من تراث الامام مسـلم هو صحيحه الذى طبقت شهرته الآفاق ، وسار ذكره فى الأمصار ، استغرق تأليفه خمس عشرة سنة وجمع فيه أربعة الآف حديث من غير المكرر ، انتقدها من ثلاثمائة ألف حديث مسـموعة ، والمكـرر أكثر من ثمانية آلاف أو اثنى عشر ألف سند وطريق الى الاحاديث المسندة فيه .

قال أحمد بن سلمه : « كتبت مع مسلم فى تأليفه لصـحيحه خمس عشرة سـنة ، وهو اثنا عشر ألف حديث » وقد امتاز صحيح مسلم بخصـائص ومزايا جعلت بعض العلماء يقـدمه على صـحيح انبخارى .

أول هذه المزايا ، هى خلوصه للحديث دون غيره ، فليسـت فيه استنتاجات فقهية أو أصـولية أو تفريعات علمية فى أى مجـال ، بل جعل لكل حديث موضعا يليق به جمع فيه طرقه التى ارتضـاها واختار ذكرها ، وأورد فيه أسانيده المتعـددة ، وألفاظه المختلفـة ، فيسـهل على الطالب النظر فى وجوهه واستثمارها ، ويحصـل له الثقة بجميع ما أورده مسلم من طرقه .

وثانى هذه المزايا : أن مسـلما

صنف كتابه فى بلده بحضور أصوله فى حياة كثير من مشـايخه ، فكان يتحرى فى الالفـاظ ، ويتحرى فى السياق ولا يتصدى لما تصدى له انبخارى من اسـتنباط الأحكام ليبوب عليها •

وثالث هذه المزايا : أنه رسـم خطة بحثه فى أول صحيحه ، وذكر فيهـا سبب جمعـه الصـحيح ، وأقسام الأخبار ، والمنهج الحقيقى فى تقدير الرواة ورأيه فى الحديث المعنعن . وبهذا كان صـحيحه عبـارة عن منهج وتطبيـق لهـذا المنهج ، وهو مسـتوى من المستويات الرفيعة فى أى مؤلف من المؤلفات •

ذكـر مسـلم فى مقـدمة صحيحه ، أنه سئل أن يلخص مؤلفا فى جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله (صلى الله عليه وسـلم) فى سنن الدين وأحكامه ، وما كان منها فى الثـواب والعقاب ، والترغيب والترهيب ، وغير ذلك من صـنوف الاشـياء بالاسانيد التى نقلت بها وتداولها أهـل العلم فيما بينهم بلا تكرار ، لان ضبط القليل المتقن أيسر من معالجة الكثير عنـد من يحتاج الى أن يميز له غيره الحديث (غير المتخصص) •

ولأن القصد الى الصحيح القليل أولى من زيادة السـقيم وبين أن استجابته لذلك ستعود فائدتها عليه قبل كل شيء لان القليل الصـحيح خير من الكثير السـقيم واذا كان العلماء المتخصصون يهجمون على الكثرة الغامـرة من الاحـاديث المختلطة من الصـحيح والضعيف والموضوع يميزون منها ما يصـح مما لا يصـح ، وما يصـلح مما لا يصلح ، فان العوام لا نفع لهم فى هذا الكثير ، ولا فائدة لهم منه ، بل ان هذه الكثرة كثيرا ما تنحرف بهم الى الاخذ بما لا يصلح الاخذ به ، والعمل بما ينبغى عدم العمـل به •

فصحيح مسلم برز الى الوجود نتيجـة باعثين : باعث الطالب المباشر من أحـد المعاصرين أو من فئة معينة منهم ، ولا شك أن طالب الشيء انمـا يطلبـه غالبا ممن يستطيع القيام به ، وفى ذلك ما يدل على مكانة الامام مسلم •

وباعث الطلب غير المباشر : طلب الحالة الحاضرة التى كان عليهـــا الحديث قبل جمع الصحيحين من اختلاط الصـحيح بالسـقيم ، والقوى بالضعيف ، وقصـــور الاســتفادة من الاحاديث على الخاصة دون العامة .

ومسلك الامام مسلم فى صحيحه طريق التيقيظ والتحوط ، وقسـم الاخبار المسـندة عن رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) الى ثلاثة أقسام ، وثلاث طبقات من الناس على غير تكرار الا لضرورة تقتضى تكرير الحــديث كزيادة معنى فى الطريق الآخر ، أو كشـف علة فى اسناد بمقارنته بغيره من الاسانيد .

القسم الأول :

ما نقله الثقات المتقنــون الذين بلغوا أقصى درجات القـــوة فى الــرواية كابن عـــوف ، وأيوب الســختيانى ، مع الحسن وابن سيرين .

القسم الثانى :

ما يقع فى اســناده من ليس موصــوفا بالحفظ والاتقان ، لكنه صادق متعاط للعلم مستور أى فى الدرجة الوسطى من رجال الحديث (كعوف بن أبى جميلة ، وأشــعث الحمـــرانى مـــع الحسن وابن سيرين) .

القسم الثالث :

ما رواه متهمـــون بالكــذب أو الوضع أو الغفلة أو سوء الحفظ أو ما الى ذلك من عيوب الرواة عند أكثر المحدثين أو عند كل المحدثين ، وهذا القسم قد تركه مسلم ، ولم يعرض عليه ، ولم يدخل شيئا منه فى صـحيحه كمحمد بن ســعيد المصــلوب ، وغياث بن ابراهيم وغيرهم ممن اتهم بتوليد الاخبار ووضع الحديث .

أهم شروح صحيح مسلم :

١ ــ المعلم بفـوائد كتـــاب مسلم ، للامام أبى عبد الله محمد ابن على المازنى المتوفى سنة ٥٣٦ هـ وهو محفوظ بدار الكتب المصرية .

٢ ــ اكمـــال المعلم فى شرح صـحيح مسلم للامـام القاضى عياض بن موسى اليحصبى المالكى

المتوفى سـنة ٥٤٤ هـ وهو محفوظ بدار الكتب المصرية .

٣ ـ شرح الامام محيى الدين ابن شرف النووى الشـافعى ، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ وسماه المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج

وهناك شروح للزواوى المتـوفى سنة ٧٤٤ هـ والسنوسى سنة ٨٩٥ هـ والشيخ زكريا الانصـارى المتوفى سـنة ٩٢٦ هـ ، والسيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ وعلى القارىء الحنفى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ ، ومن الشروح التى لم تتم كتاب فتح الملهم البشير العثمانى الدينويندى ، وقد طبـع منه ثلاثة أجزاء كبار قبل وفاته .

وفاته :

وتوفى رحمه الله عشية الاحد ، ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سـنة ٢٦١ هـ احدى وستين ومائتين . ودفن بنيسـابور ، وقد حكوا فى سبب وفاته أنه أجهـد نفسـه فى البحث عن حديث بين الكتب والدفاتر ، وغفل عن نفسه ، فكان يتناول تمرا بجانبه فمرض من كثرة الاجهاد وعسر الهضم ، وتوفى بسبب ذلك .

رحم الله مسـلما رجلا أخلص للعلم فوفقه الله فيه ، وأبلغه درجة من الدرجات العالية التى لا يصل اليها الا المخلصون **(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)** .

دكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

غزالى القرن الرابع عشر

للدكتور / عبد الفتاح بركة

قل فى بلاد الاسلام من لم يسمع باسم حجة الاسلام الامام أبى حامد الغزالى وباسم كتابه الشهير « احياء علوم الدين » .

وندر بين الباحثين فى الاسلام من لم تستلفت نظره هذه الشخصية الشامخة بكثرة انتاجها ، وتنوع معارفها ، وعمق تأثيرها فى تيار الثقافة الاسلامية وما تأثر بها من ثقافات أخرى .

ولقد ذاع هذا الاسم ، وانتشر هذا العلم ، ولايزال محتفظا بقدرته على الذيوع والانتشار ، لما يمتلك من طاقة وحيوية فياضة ، ولما عالج من مسائل ومشاكل عامة ومتجددة ، ولما فيه من بساطة ووضوح ، وحسم ويقين .

ومن أهم القضايا التى واجهها الامام الغزالى وعالجها فى عزم وحسم قضية الدين والعقل وقد برزت هذه القضية فى أتم صورة فى ميدانين هما ميدان علم الكلام ، وميدان الفلسفة .

ولم يكن لمثل هذه القضية أن تحتاج الى مواجهة والى علاج ، لو أنها ظلت فى حدودها التى يقتضيها العقل نفسه ، ويرسم لها قواعدها وغاياتها ووسائلها ، ولكن العصر الذى نبغ فيه الغزالى كان قد شهد انحرافا هائلا فى طريقة استعمال العقل تحت حماية مظلة دينية ، وكان من تحت هذه المظلة

---

* ما بين الاقواس منقول ببعض تصرف من كتاب الامام الاكبر عبد الحليم محمود : التوحيد الخالص .

الدينية يعمل على تقويض دعائم الايمان وقواعد الدين نفسه •

هذه المظلة الدينية التى كان العقل البشرى يحتمى وراءها هى دعوة الاسلام على لسان كتابه ورسوله الى تحرير العقل والاعتماد عليه ، ونبذ التقليد وترك الجمود ، حتى يمكن للعقل أن يميز بين الحق والباطل ، ويمكن للانسان اعتمادا على عقله أن يلتزم بالحق وأن يهجر الباطل •

وقد وضع الاسلام على لسان كتابه ورسوله أمام الانسان الحقائق الالهية والدينية التى لا يستطيع بعقله أن يتوصل اليها على استقلاله ، وطلب منه أن يعتبر ليهتدى بها فى عقائده وأخلاقه وتشريعاته ، حتى تستقر حياته فى الدنيا على قواعد من الحق ، ومبادىء من العدل ، وأسس من الخير •

ودعوة الاسلام الى استعمال العقل صريحة واضحة لا تحتمل شكا ولا تأويلا ولاتزال هذه الدعوة قائمة تميز الاسلام كدين الهى صحيح عن كثير غيره من الاديان •

ولقد فهم المسلمون الاوائل هذه الدعوة ، واستجابوا لها ، وعرفوا قواعدها فلزموا حدودها ، وظل الامر على ذلك حتى تسللت بين أفكار المسلمين وبين عناصر ثقافتهم عوامل غريبة تعتمد على ترجمة تراث اليونان فيما وراء الطبيعة وفى مجال الاخلاق •

وبدأ بعض المسلمين يفهمون دعوة الاسلام الى استعمال العقل والاعتداد به بطريقة تجاوز به حده ، وتجشمه التطلع الى أفق أعلى من مستواه ، فبدأ التفلسف وظهرت الفلسفة ، وبدأت مسائل العالم الغيبى مما تسميه الفلسفة ما وراء الطبيعة وفوقها تعالج بالعقل فى ميدان الفلسفة ، بعد أن حددها الوحى وبينها الدين ، وعندما كانت نفس المسلم العادى تختلج بشىء من الريب والتشكك تجاه هذا الاتجاه العقلى الجديد ، كانت الفلسفة تتذرع بذريعة من الدين نفسه من حيث حثه على العقل وعلى استعماله ، وعلى تحريره من ربقة التقليد والجمود ، وكانت الفلسفة تدعى تلك الدعوى البديهية ،

أن الحق لا يناقض الحق ، ثم ان العقل بما يتوصل به الى الحــــق يكون ظهيرا لما أتى به الوحى من الحق • وأنه حين يظهــر شيء من الخلاف أو الاختلاف بين مقولــة الوحى ، ونتائج العقل ، فلابد أن يكون هنا مجال للتوفيق بينهمــــا بطريقة تزيد الحق وضوحا ويقينا •

ومثل هذه الاقاويل ، وان بدأ عليها سمة من القبول تخول العقل سلطات أكبر من طاقاته ، وتزج به فى ميدان أوسع من قــدراته ، ثم توائم بين سلطانه وسلطان الدين نفسه ، ثم ترفع بعد ذلك سلطانه فوق سلطان الدين نفسه لتجعـــل منه حكما فى كل ما أتى به الدين من أخبار عن عالم الغيب ، ومن قواعد للاخلاق ، ومن قوانين للتشريعات •

ولو كانت طاقات العقل وقدراته تخول له هذا السلطان ، وتمكنه من التجول فى ســـاحة الغيب ، ومن الثبات فى ميــدان التشريع ، ومن التبصر فى مجال الاخلاق ، لما ظلت الانسانية فى فترات انقطاع الوحى والرسالات تتشوف الى أنوارها ، وتستشرف الى هدايتها ، ولما كان الوحى حين يستجيب لها يستجيب بذلك فى غير ترديد ولا تشــكيك ، ولا حسم •

ولكن الدين حسم كل هــــذه الابواب ، ومهدها أمام العقـــل ليتفهمها ، ويستهدى بها لا لــكى تكون مجالا للقبــول أو الرد ، أو محلا للزيادة والنقص ، أو لمساومة العقل فيها ترديدا وتشكيكا ، وذلك لان العقل ــ بكل مافيه من قوى وطاقات ــ معزول عن التحكم فى هذه الســاحات ، أو الســـير فى مسالكها بغير هاد ولا دليل •

ولاشك أن للعقل مجالاته التى يستطيع أن ينشط فيها وهو آمــن مطمئن أنه يحقق فيها أفضل النتائج بعد أن يضع أقدامه على أســاس من الدين فيمــــا يتعلق بالغيب والشريعة والاخلاق ، هذه المجالات هى المجالات الحسية والمادية ، أو هى مجالات الطبيعة بكل ما فيهــا وهى مجالات تختلف عن مجــالات ما وراء الطبيعة من حيث أن العقل اذا أخطأ فيها أمكن له بمعــاودة البحث والنظر أن يصحح أخطاءه وأن يقوم ــ من جديد ــ مساره •

ولذلك نجد الدين يترك هـــذا المجال للعقل بغير تحديد، ولاتقييد، بل ينبهه ويحثه ، ويحفزه ويستفزه للاستفادة بكل طاقاته فى هـــذا المجال •

ولكن الفلاسفة ، ـ والعقلانيين على وجه العموم ـ لم يقبلوا هذا التحديد الدقيق واتسعت أمامهـم دائرة العقل فظنوا أنها بغير حدود ولا قيود ، وظنوا أن الدين نفسه يظاهرهم ويؤيـــدهم على ذلك فتوسعوا ما شاءت لهم أوهامهـم حتى طرقوا بعقولهم أبواب الغيب يريدون أن يكتنهوا أغـــواره ، ويعبـــروا أسراره ، فتخبطوا ، واختلفوا وتفرقوا •

واستمرار هـــذا التخبط ، والاختلاف ، والتفرق باسم الدين تنكث غزله وتوهى أركانه وتنقض بنيانه •

لذلك انتهض الامام الغـــزالى لمقاومة هذا الاتجاه العقلانى الذى تمثل فى عصره فى مظاهر مختلفـــة كان من أبرزها : الفلسفة •

« وحمل الامام الغزالى عـــلى الأساس الذى تقوم عليه الفلسفة وهو « العقل » حملة عنيفـــــة وهجم عليه هجوما قويا » فى كثير من تآليفه وتصانيفه ، وخـــرج على العالم كله بهذا التراث الخالد « تهافت الفلاسفة » الذى ســوف يظل الى الابد فيصلاً فى بيان قصور العقل ومحدوديته وعدم قدرته على تجاوز تلك الساحات المنيعـــة ، والعتبات الرفيعة التى اختصــت بها الأديان الصحيحة •

ولم يكن الامام الغزالى بدعـــا فيما أتى به ، ولم يخرج فيـــه بشىء جديد لم يكن فى الاسلام من قبل ، أو لم يكن علماء الاســلام على وعى كامل به ، ولكن أصـــالته وابداعه تظهر فى قدرته عـــلى استخدام العقل نفســـه فى بيان حدوده ومداه ، وعلى مناقشـــة الفلاسفة بمنهجهم وأسلوبهـم ، وعلى وضع هذه القضية وضعـــا منهجيا منظما مستقلا فى مواجهـة ظروف جديدة على العالم الاسلامى كادت تزيف عليه ثقافته ، وتفســد عليه فكره ، وتفتنه فى دينه وايمانه، ولو أردنا أن نعبر عن هذه الظروف ببعض عبارات العصر لقلنا أنهـــا

غزو فكرى وثقافى ، أو معركة بين الاصالة والتغريب أو ما شاكل من هذه المصطلحات الجديدة .

« لقد كان كتابه » « تهافت الفلاسفة » محاولة موفقة كل التوفيق ، جريئة كل الجرأة ،طريفة كل الطرافة ، وما كان المقصد الاول ، والهدف الأساسى لهجومه هدم الآراء فى نفسها ، فبعضها صحيح موافق للدين ، ومع ذلك فقد هدم الامام الغزالى المنهج العقلى الذى استندت اليه هذه الآراء .. انه لم يلتزم فى هذا الكتاب الا تكدير مذهبهم والتعبير فى وجه أدلتهم بما يبين تهافتهم ، ويقول : أنا لا أدخل فى الاعتراض عليهم الا دخول مطالب مفكر ، لا دخول مدع مثبت ، فأبطل عليهم ما اعتقدوه ، مقطوعا بالزامات مختلفة .

« وما من شك فى أن حملة الامام الغزالى انما كانت موجهة أولا وبالذات الى العقل ، والقضية المتنازع عليها هى : قضية استطاعة العقل الوصول الى المعرفة اليقينية فى عالم « ما وراء الطبيعة » ، الامام الغزالى ينكر ، ويثبت انكاره بالاخفاق المتتابع للفلاسفة ويثبته أيضا بهدم العقل لكل ما بناه العقل نفسه فى هذا الميدان .

« والتعارض اذن بين الامام الغزالى والفلاسفة انما هو تعارض كلى ، ولذلك فان المحاولات الكثيرة المتعددة لتصحيح آراء الفلاسفة أو لتصحيح بعضها ، ونقد الامام الغزالى فى حملته على هذا الرأى أو ذاك ، والانتصار لوجهة النظر الفلسفية فى هذه أو تلك ، ان ذلك كله غير مجد فى القضية التى أثارها الامام الغزالى ، وهى محاولات جهل القائلون بها موضوع النزاع على حقيقته أو تجاهلوه .

« ومن هنا كانت محاولة ابن رشد ـ وهو أكبر المدافعين عن الفلاسفة ـ تصويب آراء الفلاسفة فى كتابه « تهافت التهافت » عملا غير مفيد فى حسم النزاع » .

واذا صح أن التاريخ يعيد نفسه فاننا سوف نجد كثيرا من التشابه بين هذه الحقبة التى نعيش فيها وتلك الحقبة التى عاش فيها الامام الغزالى .

فلقد ورثنا تركة مثقلة من ركام الثقافة الغربية بتأثير الاستعمار الذى جثم على صدورنا ردحا من الزمن ، ورثناها تحت مظلة الدين وحمايته ، من حيث أن الدين لا يتعارض مع العقل ، ولا مع اعماله وتحريره من ربقة التقاليد ، ومن حيث أن الدين يحفز العقل ويستنهضه ليجول فى ميدان العلوم قدر وسعه وطاقته ، خاصة وقد شعر العالم الاسلامى حين ابتلى ببلاء الاستعمار أنه قد تخلف كثيرا فى ميدان العلم ومحيط الثقافة ،وأن هذا التخلف هو الذى هيأه للوقوع فريسة فى أيدى أعدائه ، فأصبح وقد ازداد اقتناعه ــ بالاضافة الى ما فى دينه من دوافع وحوافز ــ بضرورة العمل على معالجة هذا الداء ، وتلافى هذا النقص .

ولقد كان من الممكن أن يكتفى فى مجال العقيدة والشريعة والاخلاق بما فى تراثه الاسلامى العريق ، وأن يلتمس علاج نقصه وتلافى أسباب تخلفه فى النواحى العلمية المادية التى كان مقصرا فيها كل التقصير ، ولكن الخطأ الذى وقع فيه الفلاسفة من أسلافه فحسبوا أن مظلة الاسلام تبيح للعقل أن يتجاوز حدوده فيبحث من جديد فى الاسس والقواعد التى فرغ الدين من بيانها وتحديدها مساعدة للعقل فى ميدان لا يستطيع أن يستقل بالبحث فيه ، هذا الخطأ الذى وقع فيه الفلاسفة من أسلافهم كان هو الخطأ عينه الذى وقع فيه بعض رواد الفكر فى هذا العصر بوعى منهم أو بغير وعى ، وكان من نتائج ذلك أن تابعنا الحضارة الغربية فى أخطائها الفكرية والثقافية بل حتى فى أوهامها وخيالاتها العقلانية .

ولقد نلتمس لأصحاب هذه الحضارة بعض العذر فى اتجاهها العقلانى ، حيث نشأت هذه الحضارة ونمت بعد فترة « كانت الكنيسة فيها مسيطرة على العالم الاوربى سيطرة تامة : ما كان هناك شىء يفعل ، أو شىء ينتهى فيه الامر ، ولا شىء يقام أو يهدم ، وما كان انسان يقدم على أمر ، وما كان انسان يحجم عن أمر الا باستئذان الكنيسة ، وباستئذان

رجال الدين ، ولكن الكنيسة ورجال الدين تعسفوا فى استعمال سلطتهم، حتى لقد أنشأوا محاكم التفتيش » .

وشهرة محاكم التفتيش مستفيضة ، كتب عنها الكثيرون من أهلها ومن غير أهلها فصوروا بشاعتها وقسوتها ، فكانت أبشع صورة وأسوأ مظهر ، كتب عنها الكاثوليك كما كتب البروتستانت ، وكتب الانجليز كما كتب الفرنسيون ، وكتب المسيحيون كما كتب غيرهم ، وقد وضح مما كتبوا أن الانفجار الانسانى ضد الدين قد كان له هناك ما يبرره من هذا الكبت العنيف الذى كان يغمر أوربا فى هذا العصر .

« وأخذ قادة الحضارة — مبتدئين من هذا الاتجاه الانسانى — يقررون أن الانسان له كيانه ومكانته ، له شخصيته وذاتيته ، له حدوده وتقديراته ، له كرامته التى يجب أن يتمتع بها ، وأن يحتل من أجلها المكانة التى تليق به .

ومن هنا كانت كلمة الانسانية التى تطلق كرمز مميز على هذه الحضارة .

« ولكن حينما بدءوا يتحدثون عن الانسان فى ثورة عواطفهم القوية ، وفى غمرة نفورهم الشديد من رجال الدين ، كانت كلمة الانسانية توحى — عند قادتهم — بانفصال الانسانية عن الالهية ، أو انفصال الانسانية عن الكنيسة ، أو انفصال الانسان عن الدين ، أو بالتعبير الحديث انفصال الدين عن الدولة » .

« وتلفت ممثلوا هذه الحضارة يلتمسون الأصول والقواعد التى يمكنهم أن يقيموا عليها نظمهم البشرية ، وتساءلوا : ماذا يمكن أن يحل محل الدين ؟

« ان الدين نظام اجتماعى وتشريعى وأخلاقى ، فاذا أردنا أن نتخلص من هذه النظم لأنها نظم دينية يقوم عليها رجال الكنيسة ورجال محاكم التفتيش ، فما هى المصادر والمنابع التى نستقى منها اذا أردنا أن يسود الاطمئنان فى المجتمع ؟

« أما المصادر فما كان يمكن —

خارج نطاق الدين ـ الا أن تكون فى مصدرين •

١ ـ العقل فى ناحية ما وراء الطبيعة •

٢ ـ الضمير فى ناحية الاخلاق » •

ومن الواضح أن مثل هذه المبررات لم يكن لها وجود فى المجتمعات الاسلامية حتى تلجأ لتلك المصادر البشرية بعيدا عن عصمة الوحى فى الامور التى تتعلق بالغيب والتشريع والاخلاق ، ولكن التوسع فى فهم وظيفة العقل وفى حث الاسلام على استعماله فى مجاله وفى ميدانه جعل رواد الفكر فى هذا العصر بوحى من شعورهم الخاص ، وبتشجيع من رجال الاستعمار ، وبطريقة أو أخرى من طرق الايحاء النفسى ، يتجهون الى تقليد العقل من مقاليد الحكم والبحث ما لا قبل له من ناحية ، وما صرفه عن التركيز والابداع فيما كان ينبغى عليه من ناحية أخرى •

وهكذا أمكن تحت وطأة الاستعمار من جانب ، وفى غفوة الشعور والوعى الدينى من جانب ، أن يعزل الدين عن مجال التشريع، وأن ينصب العقل فى مجال التفلسف، وسرت الينا تلك الدعاوى والقضايا الفلسفية والاجتماعية التى سيطرت على الحضارة الغربية بوجهها المادى الاصم ، وبأسسها وقواعدها ومبادئها التى لا يهديها دين ، ولايعصمها وحى •

وقد ترتب على ذلك أن تعددت المذاهب واختلفت الآراء ، وتعارضت الأفكار وتضاربت الاتجاهات ، وازدادت الأمة الاسلامية وهنا على وهن، وتفجرت جراحها الداخلية بأعنف وأقسى مما تفجرت به جراحها الخارجية ، وأصبحنا فاذا بنا نجد من بيننا من يدعو الى بدعة الوجودية ، واللا معقول ، والعبث ، ومن يدعو الى الشيوعية أو الاشتراكية العلمية ، أو الرأسمالية الغربية ، ومن ينادى بالديموقراطية اشتراكية أو رأسمالية ومن ينعق بالقومية والوطنية ، والانسانية بمفاهيمها العنصرية والمذهبية •

ووراء هذا الركام الذى حطبناه فى ليل الهزيمة من حصاد العقلانية

المفتونة ، وخلف هذا الغثاء الذى أفرزناه فى غشية الوعى من كبرياء العقلانية الواهمة ، كانت حقائق الدين الجلية الناصعة ، وكان هتاف الوحى المعصوم النقى القوى ينتظر رجلا كالامام الغـزالى ليصـيح بالعقل تلك الصيحة المجلجلـة أن يكفكف من غلوائـه ، وأن يلـزم الحدود التى تهيأ لها بفطرته ، وأن يلتمس هداية الدين وارشاده فيما يمكن له أن يتلقاه عن الدين فى باب الغيب والاخلاق والتشريع ، وليؤذن بين المسلمين بذلك الاذان المدوى أن حى على الصـلاة ، حى عـلى الفلاح ، وأن عودوا الى رشدكم ، وثوبوا الى دينكم ، وأعملـوا عقولكم فى اتباع هذا الدين •

هذا هو غزالى القرن الرابـع عشر ! انه أستاذنا الامام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود •

انه من الصعب أن يجد الانسان نفسه فى متاهة ذات مسالك متشعبة ومتضاربة ثم يجرد من نفسه انسانا يتسامى ليشرف بنظره طائر عـلى هذه المتاهة فيعرف أسرارها ويحيط بعثراتها وعقباتها ، ويرسم لـمن معه سبيل النجاة والخلاص منها •

وانه لمن العسير على من وقـع فى حمـأة من الطين الرخو الذى يبتلع ما يلقى فيه أن يسـكن فى التماس الحيلة للنجاة حتى يتبين لقدمه موقعها الصلب من بين هذا المستنقع •

واذا كان التيار جارفا يستسلم له الجميع ، ويعتبرون الحصـافة فى الاستسلام له ، فمن المتعذر أن تجد من بينهم من ينظر للعـواقب ويدبر فى نجاة نفسه ونجاة قومه من عاقبة هذا التيار المدمر •

لقد كان غزالى القرن الرابـع عشر الامام عبد الحليم محمود ــ رحمه اللـه ــ هو الذى استطاع أن يتسامى بنفسه بعيدا عن هذه الحمأة ، نجيا من هـذه المتاهة ، مشرفا من أفقه الرفيع على منبـع التيار ومصبه ، فلم تستغرق فكره تلك القضايا العابثة ، ولم تستحوذ عليه تلك المشاكل المفتعلة ، ولم تلهه تلك الاقاويل والمذاهب المصطنعة ، وانما ظل محتفظا بنقاء فطـرته ، وصفاء فكرته ، وسهل عليه لذلك أن يتبين ما فى هذا الركام الفكرى من

زيف يأخذ صورة الاصالة ، وعبث يسلك مسلك الجد ، وكان مقياسه الذى لا يخطىء فى افراز هـــذه القضايا ، ومعرفة ما تستحقه من قدر وقيمة ، هو العقل نفسه ، حين حدد له حدوده الفطرية ، وقدراته وطاقاتــه الحقيقيــة ، ووظائفــه ومهماته الاصــلية وكل قضــية لا تدخل فى نطاق الدائرة التى يسرى عليها سلطان العقل ، فهى قضــية مزيفة عرضت على غير أهلها ، وفى غير محلها •

ولذلك يكون من العبث أن يصرف الانسان جهده الفكرى والعقلى فى معظم القضايا الفكرية التى يموج بها محيطنا الثقــافى ، وهى بــذلك انفاق للجهد والوقت فى غير طائل فوق أنها تضليل ومضيعة للانسان•

ولقد كانت هذه الحقيقة ملازمة لامامنا لاتفارقه فى وقت من أوقاته، ولا فى حال من أحواله ، كان يدندن بها فى محاضراته ، ويتغنى بها فى ندواته ، ويلفت اليهــا الانظــار فى مساجلاته ، وكانت محور تآليفه ومصنفاته •

ولقد كان يعلم يقينــا أن هــذه الحقيقة هى الاصل الذى ينبغى الركون اليه ، والاعتماد عليــه فى تزييف تلك المــذاهب البشرية ، والآراء العقلانية التى ابتدعتهــا الكبرياء الانسانية فى مواجهـــة الرحمة الالهية ، ومن هنا اختلف منهجه فى مناقشة تلك المذاهب عن مناهج الآخرين ، أو لعله كان لــه — دونهم — منهجه فى مناقشة هذه المذاهب ، انــه يعمــد مباشرة الى الاســـاس الذى يتباهـــون به ويفتخرون فيهــدمه فى بســـاطة واقتدار •

لقد وجدنا من يناقش الوجودية والشــيوعية والالحادية والمــادية وغير ذلك من هـــذه الاســماء والمبتدعات ، ولاشــك أن الباحثين المسلمين قد أبلوا فى مناقشة كــل هذه الآراء البلاء الحسن الجميــل ولكن الذى يمكن أن يلاحــظ أنه ما من مناقشة الا ويصـــح أن تعقبهــا مناقشـــــة ، وما مــن جدل الا ويمكن أن يتولد عنه جدل، ومادام العقل هو الفيصل ، وهـــو الحكم، فالعقل قسمة بين الاطراف، والقضية بذلك معكوسة أو مقلوبة ،

لانها تجعل الدين وقضيته رهن فوز العقل فى طرف من هذه الاطراف وما هكذا تؤخذ قضية الدين •

ان مبادىء الدين وقواعد الاسلام لا تحتاج من العقل الى حماية أو دفاع ، وانما تحتاج الى تسليم واقتناع ، ولا تحتكم الى العقل ليحكم لها بالصدق والصواب ، وانما تحكم العقل وتوجهه الى الصدق والصواب •

ولقد أثبت العقل عجزه عن الحكم الصحيح فى مسائل أقل اشكالا من تلك التى اختص بها الدين ، أثبته من خلال اختلاف الفلاسفة وعباقرة المفكرين ، وهو بلاشك أكثر عجزا فى الميادين التى اختص بها الدين ، والتى أتى فيها بالحسم واليقين •

لا يصح اذن أن يكون الدين بقضاياه ــ غيبية وتشريعية وأخلاقية ــ موضع بحث عقلى للحكم بالصدق والصواب والصلاحية وان كان يجب أن تكون موضع بحث عقلى للفهم والاستيعاب والاتباع •

« والاسلام بهذا المعنى هو دين العقل • انه هاد للعقل ومرشد له فى جميع الامور التى لو ترك العقل وشأنه فيها ضل السبيل ، وعجز عن الوصول الى الحقيقة وهذه الامور هى :

(أ) العقائد • (ب) المبادىء الأخلاقية اجمالا وتفصيلا •

(جـ) التشريع فى قواعده العامة ، وفى بعض تفصيلاته التى تبقى مع الزمن وهو مبادىء يفهمها العقل فى سهولة ويسر •

وهو لا يتناقض مع العقل •

وهو ملجأ للعقل فى كل ما ينبنى عليه •

أما الطبيعة والكون من سمائه وأرضه ، ومن جباله وبحاره ، ومن كواكبه وشموسه وأقماره ، أما المادة والطاقة ، أما أعماق البحار وآفاق السماء وأجواز الفضاء •• ان كل ذلك قد تركه للانسان يدرسه فى مصنعه ومعمله ، ويستخدمه بأدواته وآلاته ، وقد حثه على أن يجول فى ذلك ما استطاع اليه سبيلا ، حتى يكتشف سنن الله الكونية ، ونواميسه

الطبيعية ، ويرى صنع الله الذى أتقن كل شىء ، ولم يحجر الدين على الانسان فى هذا المجال ، اللهم الا الواجب الذى ينبغى أن يكون شعاره دائما : وهو أن يكون هدفه من كل ذلك الخير » .

الاسلام اذن هو دين العقل بكل هذه المعانى فاذا تجاوزها الى الغيبيات نفيا أو اثباتا قيل له : لا . ليس هذا من شأن العقل ، واذا تجاوزها الى الاخلاقيات قيل له : لا . ليس هذا من شأن العقل ، للعلاقة الوثيقة بينها وبين الغيبيات ، وهكذا بالنسبة للتشريعات .

واذا تم وضع هذا الاساس لم يعد هنالك مجال لتجدد الجدل واحتدام النقاش وتولد البحث ، ولاستقام المنهج واتضحت الغاية .

واذا كان ذلك صالحا لبيانه فى مواجهة كل ثقافة وكل فكر ، فان المقصود به أولا وبالذات هو أمتنا الاسلامية حتى تستفيق من غمرة هذه التيارات الوافدة التى أخذت الفكر من أقطاره ، واذا كانت الحضارة الغربية قد وجدت لها مبررا فى هذا العضام الفكرى والثقافى عن الدين فالأمة الاسلامية ينبغى أن تبرأ من هذا الداء لانها لا تزال تمتلك بين يديها الوحى المعصوم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وانه ليكفينا نحن أمة الاسلام أن ننظر الى نتائج هذا العقل الانسانى فى محيط الحضارة الغربية بعيدا عن ميدان المادة والطبيعة لكى نحمد الله على جزيل نعمته علينا بهذا الدين الذى جاءنا بالقول الفصل والحكم اليقين ، ذلك أن مانراه فى محيط الحضارة الغربية يعطينا صورة واضحة عن الاضطراب الفكرى ، والتناقض المذهبى ، والبلبلة المستمرة بين عدة أطراف متطرفة ، يحاولون أن يضفوا عليها ثوب الحقيقة بادعاء فكرة التطور مرة ، وبادعاء فكرة التناقض أخرى ، وما ذلك الابسبب الاحتكام الى العقل فى أمور ليست من شأنه ، ولاتدخل فى محيط سلطانه ، وعندئذ لايكون الحكم هو العقل ، وانما هو الهوى .

يقول الشيخ الجليل أبو سليمان

المنطقى :

« ان منازل النـــاس متفاوتة فى العقل ، وأنصباؤهم مختلفة فيـــه أ هـ » •

« ومعنى ذلك أن هذا الـــذى يروق لشخص عقليا ، ربما لا يروق لغيره عقليا ، ويجب من أجل ذلك أن لا يتدخل العقل فى الدين ، والا لاختلف الناس باختلاف عقولهم ، وادعى كل أن ما هو عليه انما هـو الحق ، وما عليه غيره هو الباطل ، ونتج عن ذلك اتباع كل هواه •

ولقد كانت هذه الفكـــرة من الوضوح لدى غزالى القرن الرابع عشر امامنا عبد الحليم محمـود رحمه الله ، بحيث قاس بمقياسها تاريخا طويلا ، انه تاريخ البشرية منذ كان لها تاريخ ، فلقـــد بدأت قضية الاحتكام الى العقـــل فى المسائل الالهية عند ابليس الــذى كان يوما ما يدعى بطاووس العباد، « لكثرة عبادته وتفانيه فى العبادة لكنه لما سمع الامر الالهى بالسجود لم يسجد ، لقد أبى ، واستكبر ، وهذا الكبرياء كما تمثل فى مخالفة الأمر الالهى ، تمثل فى المحـاولة التى أراد هذا المتمرد أن يبرر بهـا موقفه ، مستنجدا بمنطقه وعقلـه قائلا « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » ، ولم يكن هذا الا منطق الهـــوى ، ومنطـــق الكبرياء » •

والأمر الالهى لا يقابـــل اذن بتحكيم العقـل ، وانما ينبغى أن يقابل باستسلام العقل •

ولقد سرت هذه الابليسية بيـــن البشر ، عرف ذلك من تاريخ فلاسفة اليونان خاصة عند كبيرهم أرسطو الذى كان قوة خارقة وعبقـــرية هائلة : ذكاء وبحثا ومعرفة ، لكنه استعمل كل ماله من عبقـــرية فى النزول بالانسانية الى درك الحيرة والنقص والشك •

ومنذ أن وجد الانسان ، وجـد معه روح من أمر الله وهو الوحى برشده ويهديه ويبين لـــه المبادىء ويوضح القواعد ، فى المسائل التى لا يصل تفكيره البشرى الى حـل فيها ، وهى مسائل ما وراء الطبيعة، ومسائل السلوك الصحيح ،تشريعا كان ذلك أو أخلاقا •

وجاء عهد على اليونان حـرمت

فيه من هذا الروح ، فأقام الانسان من نفسه رسولا ومشرعا بغير اذن من السماء ، وكانت نتائج هـذه النزعة أن اختلف كل فيلسوف عن سابقه حتى وصل الأمر الى أرسطو الذى أراد أن يعصم الذهن عن الانحراف والخطأ فاخترع المنطق آلة تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر ، ومع ذلك فقد اعترف تلاميذه بأن هذه الآلة لم تعصم حتى مخترعها عن الخطأ ، وعجزوا هم عن أن يدافعوا عن أخطاء أستاذهم .

« واستمر تيار الانحراف الذى قاد أرسطو الانسانية فيه سائرا يتخطى القرون قرنا بعد قرن ، حتى وصل الى الجو الاسلامى فى عهد العباسيين ، وأخذ المسلمون يختلفون بعد اتفاقهم ، ويتفرقون بعد تجمعهم » .

فاذا انتقلنا الى العصر الحديث فاننا نجده يحدثنا عن خلفاء ابليس قائلا :

« وخلفاء ابليس هم أولا وبالذات : الملاحدة » .

« انهم على نسق التعبير الجارى : ابليسيون أكثر من ابليس نفسه ، ذلك أن ابليس لم ينكر وجود الله ، ولم ينكر بعثا ولا رسالة ، ولكن هؤلاء أنكروا كل ذلك » .

« والالحاد درجات ، وأخس درجات الملحدين لاشك انما هى درجة هؤلاء الذين اعتقدوا — على حد تعبير الغزالى — « أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه ، وبلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبدا » .

« وان من أحدث اختراعات ابليس فى هذا الزمن الحاضر انما هو المذهب المسمى بالوجودية ، وهو مذهب يدعو كل انسان لأن يحقق وجوده حسبما يرى وتبعا لما يريد ، غير متقيد بعرف ولا عادات ولا تقاليد ولا دين ..

وأحسن تشبيه للوجودى هو ما قاله أحد كبار الكتاب الغربيين :

ان الوجودى مثله كمثل الكلب الذى يجرى دائما حول نفسه ليمسك بذنبه ، فلا هو يدرك ذنبه ، ولا هو يكف عن الجرى ، وهى لعبة

يلعبها الكلاب حينما يجدون الفراغ فيلهون بما لا نتيجة له .

« خلفاء ابليس ثانياهم : طائفة الفلاسفة العقليين الالهيين » .

ويخرج غزالى القرن الرابع عشر الامام عبد الحليم محمود من جولته التاريخية بهذا المقياس ليبدى لنا هذه الملاحظة مع تبريرها العلمى :

« والظاهرة الملاحظة فى كل الأوساط على مر التاريخ أنه كلما كان الدين يقينيا ثابتا ، وكلما كان الدين قويا مسيطرا قل النزوع الى الفلسفة ، وقل البحث العقلى فى مجالات الغيب » .

« أما السبب فى ذلك فهو من الوضوح بحيث لايحتاج الى بحث عميق ، وذلك أن موضوع الفلسفة هو نفسه — على التقريب — موضوع الدين ، فالدين يجيب فى اختصار أو فى استفاضة عن أسئلة الفلسفة ولكن فى صورة حاسمة عازمة لاتعرف التردد ولا الشك » .

وهو يرى أن كل فلسفة تطرق هذه الميادين معتمدة على العقل وحده انما هى كالفلسفة اليونانية فلسفة وثنية ، حتى حين تثبت وجود الله ، انها وثنية بالمبدأ الذى تقوم عليه وهو مبدأ تاليه العقل البشرى .

وهو فى نهاية ذلك كله ، أو من خلال ذلك كله يهيب بالامة الاسلامية أن تنبذ كل هذه التيارات الوافدة فى هذه المجالات التى اختص بها الدين لوفاء الاسلام بها فى حسم وعزم ويقين ، وأن ينهضوا للأخذ بكافة أسباب النهضة العلمية فى ميادين الطبيعة . فذلك مما يحثهم عليه دين العقل : الاسلام .

وهذه الصيحة المدوية التى ظل الامام عبد الحليم محمود رحمه الله يجأر بها فى مختلف بلاد الاسلام وبكل ألوان البلاغ لم تكن شيئا جديدا أو بدعا فى الاسلام أو لم يكن علماء الاسلام على وعى كامل به ، ولكن أصالته وابداعه تظهر فى قدرته على التخلص من أسر هذه المتاهة التى أحاطت بالمسلمين ، واستمساكه بصفاء بصيرته ، ونقاء عقيدته ، وطهارة فطرته حتى أبصر مالم

يبصره الآخرون ، ووضح أمامه النهج الذى حاول أن يطمسه المزيفون ، وتظهر فى قدرته على مواجهة كل هذه التيارات فى وقت تحكمت فيه وأحاطت بمختلف نوافذ الفكر والرؤية والاستبصار ، وأن هذه النظرة العميقة لم تفارقه ، ولم تتأخر عن نشاطه العلمى ، وانما واكبته واستمرت منذ بدأ نشاطه العلمى الى آخر رمق من حياته ، فجعل منها قضيته الأولى ، وشغله الشاغل رعاية لدينه ، ورعاية لأمته ، ورعاية لوطنه ، ورعاية لمعهده ، ورعاية لعلمه •

ولقد ظلت هذه القضية تتبلور وتتبلور فى منهج متكامل يسميه : منهج الاتباع وهو يوجد متفرقا فى ثنايا كتبه وتصنيفاته ، ولكنه قد ركزه فى كتاب هام من كتبه هو « التوحيد الخالص أو الاسلام والعقل » الذى قال فى مقدمته :

وما أظن أنى فرحت فى يوم من الأيام بظهور كتاب لى بمقدار ما فرحت حين ظهر هذا الكتاب فى طبعته الأولى •

وذلك أنه يعبر عن منهجى الخاص فى حياتى الفكرية : منهج الاتباع •

رحم الله غزالى القرن الرابع عشر : الامام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود •

أ • د عبد الفتاح عبد الله بركة

الإمام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود في ذكراه

للأستاذ / محمد شلبي

أرسل الرئيس السادات برقية تعزية الى أسرة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود يوم وفاته جاء فيها (وانى لأذكر بكل تقدير واجلال لفقيد مصر والأمة العربية والاسلامية جهاده فى سبيل خدمة الاسلام •

فما وهن ضد ظلم ، بل كان قويا جريئا مدافعا عن الايمان والمثل العليا ، ويذكر الأجيال بماضى الأمة العربية والاسلامية المجيد وحاضرها المشرق فى ظل ايمان قوى ، ونهج سليم ، وضرب مثلا قويا فى الصبر والتضحية •

وقال الرئيس فى برقية أخرى بعث بها الى الازهر : (وانى اذ أعتز بما أدى من أمانة ، وبما حمل من رسالة ، وبما قدم من علم وجهد فى سبيل رفعة وطنه وأمته العربية والاسلامية ، لأدعو الله العلى القدير أن يسكن فقيدنا الراحل فسيح جناته ، وأن ينزله منازل الصديقين والشهداء ، وانا لله وانا اليه راجعون •

* ولد الامام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود يوم ١٠ مايو سنة ١٩١٠ فى قرية بناحية بلبيس سماها قرية « السلام » بمحافظة الشرقية •

* حفظ القرآن فى القرية التى نشأ بها •

* التحق بالأزهر الى أن أتم الدراسة به ، ونال الشهادة العالمية عام ١٩٣٢ •

* سافر الى فرنسا عام ١٩٣٢ على نفقته الخاصة ، وأخذ فى

الدراسة بجامعة السربون ، حيث درس فيها علم النفس وعلم الاجتماع ، وتاريخ الأديان ، وحصل فى كل مادة من هذه المواد شهادة عليا من الجامعة واستكمل دراسة الليسانس .

❋ عام ١٩٣٧ ألحق بالبعثة الأزهرية فدرس الدكتوراه وكانت فى موضوع التصوف الاسلامى « أستاذ السائرين المحاسبى » ونوقشت عام ١٩٤٠ مناقشة علنية ونال درجة الامتياز بمرتبة الشرف الأولى .

❋ عاد الى مصر وعين مدرسا لعلم النفس بكلية اللغة العربية .

❋ عام ١٩٥١ نقل أستاذا للفلسفة بكلية أصول الدين .

❋ عام ١٩٦٤ عين عميدا لكلية أصول الدين .

❋ عام ١٩٦٤ عين عضوا بمجمع البحوث الاسلامية .

❋ ١٩٦٨ عين أمينا عاما لمجمع البحوث الاسلامية .

❋ وعام ١٩٦٩ مثل الأزهر فى مهرجان الامام الغزالى الذى عقد بدمشق .

❋ عين وكيلا للازهر عام ١٩٧٠ .

❋ عين وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر عام ١٩٧١ .

❋ عين شيخا للازهر عام ١٩٧٣ .

❋ سافر الى تونس أستاذا زائرا لجامعة الزيتونة ثلاث مرات استغرقت كل منها ثلاثة شهور .

❋ سافر الى ليبيا أستاذا زائرا للجامعة الاسلامية ثلاث مرات أيضا استغرقت كل منها شهرا .

❋ سافر الى الفلبين أستاذا زائرا لجامعة (مينداناوا) .

❋ سافر الى أندونيسيا أستاذا زائرا لجامعة (جاكارتا) .

❋ سافر الى باكستان أستاذا زائرا لجامعة (كابول) .

❋ سافر الى السودان أستاذا زائرا لجامعة (الخرطوم) .

❋ سافر الى ماليزيا أستاذا زائرا للمركز الاسلامى لالقاء محاضرات دينية .

❋ سافر الى الكويت بدعوة من حكومتها لالقاء محاضرات دينية فى شهر رمضان المعظم .

❋ سافر الى العراق بدعوة من حكومتها لتنظيم وزارة الاوقاف العراقية • ودراسة المؤسسات الدينية ووضع تقرير لاصلاحها ، ومكث هناك شهرا •

❋ سافر الى دولة الامارات العربية لافتتاح الموسم الثقافى لعام ١٩٧٤ لالقاء محاضرات دينية وذلك بدعوة من حكومتها •

❋ سافر الى ماليزيا بدعوة من حكومتها عام ١٩٧٤ لحضور اشهار اسلام عدد كبير من المواطنين الماليزيين يبلغ تعدادهم ٤٠٠٠ أربعة آلاف مواطن •

❋ حضر المهرجان التعليمى لندوة العلماء فى الهند عام ١٩٧٥ وكان من أهم المهرجانات الاسلامية فى شبه القارة الهندية •

❋ زار الولايات المتحدة الامريكية فى نوفمبر ١٩٧٧ بدعوة من المراكز الثقافية الاسلامية فى واشنطن •

❋ صدر قرار جمهورى خاص فى ٢٤ أبريل ١٩٧٧ بتجديد خدمة الامام الاكبر شيخا للازهر ٣ سنوات تبدأ من مايو ١٩٧٧ •

❋ كان أول قرار أصدره بعد تجديد خدمته انشاء ادارة القرآن الكريم بالمحافظات •

❋ توفى الى رحمة الله تعالى صباح الثلاثاء ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٨ • (وانا لله وانا اليه راجعون) •

مؤلفاته : تشمل عشر مجالات فى احياء المفاهيم الاسلامية :

١ ــ القرآن والنبى
٢ ــ الاسلام والايمان •
٣ ــ العبادة
٤ ــ الاسلام والعقل •

قضية التصوف :

٥ ــ المنقذ من الضلال •
٦ ــ المدرسة الشاذلية •

مع الرسول صلى الله عليه وسلم :

٧ ــ دلائل النبوة •
٨ ــ الرسول صلى الله عليه وسلم •
٩ ــ السنة الشريفة •

١٠ ــ الحج المبرور •
١١ ــ فى رحــاب الأنبيــاء والرسل •

فى العبادات والذكر :

١٢ ــ الحــج الى بيت اللــه الحــرام •
١٣ ــ الجهاد والنصر •
١٤ ــ جهادنا المقدس •
١٥ القرآن فى شهر رمضان •
١٦ ــ فاذكرونى أذكركم •
١٧ ــ يــارب •

فى قضايا الفلسفة :

١٨ ــ التفكير الفلسفى فى الاسلام
١٩ ــ فلسفة ابن طفيل •
٢٠ ــ الفلسفة والحقيقة •

موقف الاسلام من الشيوعية :

٢١ ــ الاسلام والشيوعية •
٢٢ ــ فتاوى فى الشيوعية •
٢٣ ــ أبو ذر الغفارى والشيوعية
٢٤ ــ منهج الاصلاح الاسلامى

كتب مترجمة :

٢٥ ــ الفلسفة اليونانية •
٢٦ ــ الأخلاق فى الفلســـفة الحديثة •
٢٧ ــ المشكلة الاخـــلاقية والفلسفة •
٢٨ ــ وازن الأرواح •
٢٩ ــ المسيحية نشأتها وتطورها
٣٠ ــ محمد رسول الله صــلى الله عليه وسلم •

كتب مختلفة :

٣١ ــ أجزاء فى التفسير •
٣٢ ــ فتــاوى فى الاخـــلاق والمعاملات •
٣٣ ــ أوربا والاسلام •
٣٤ ــ الحمد لله هذه حياتى •
٣٥ ــ أبحـــاث ومقـــالات ومحاضرات وأحــاديث فى عــدة مجلدات •

أعلام الفكر الاسلامى :

٣٦ ــ أحمد البدوى •
٣٧ ــ سفيان الثورى •
٣٨ ــ شمس الدين الحفنى •
٣٩ ــ عبد الله بن المبارك •
٤٠ ــ الحارث المحاسبى •
٤١ ــ ابراهيم بن أدهم •
٤٢ ــ أبو العباس المرسى •
٤٣ ــ على زين العابدين •
٤٤ ــ أبو مدين الغوث •
٤٥ ــ سعيد بن المسيب •
٤٦ ــ أبو بكر الشبلى •
٤٧ ــ أبو الحسن الشاذلى •

٤٨ ـ أبو اليزيد البسطامى .
٤٩ ـ الفضيل بن العياض .
٥٠ ـ بشر الحافى .
٥١ ـ ذوالنون المصرى .
٥٢ ـ الليث بن سعد .
٥٣ ـ السهل بن عبد الله .
٥٤ ـ عبد السلام بن بشيش .

تحقيقات فى التراث :

٥٥ ـ الرعاية لحقوق الله .
٥٦ ـ اللمع .
٥٧ ـ الفلسفة الهندية .
٥٨ ـ التعرف على مذهب أهل التصوف .
٥٩ ـ الرسالة القشيرية .
٦٠ ـ الطريق الى الله أو كتاب الصدق .
٦١ ـ عوارف المعارف .
٦٢ ـ غيث المواهب العليه .
٦٣ ـ حكم ابن عطاء الله .
٦٤ ـ لطائف المنن .

وفى مقال نشر فى عدد سبتمبر من مجلة « البنوك الاسلامية » بعنوان (البنوك الاسلامية ودورها فى المجتمع قال الامام الأكبر :

(ان الامة الاسلامية فى حاجة اليوم الى تدارك الكثير مما فاتها وهى فى حاجة الى أسلوب سريع فى التنمية ، والى منهاج صالح للاستثمار . ولا نقاش فى أن البنيان الاقتصادى يعتمد على الانسان والموارد فى أقطار الأرض جميعها ، لكنه يختلف من أمة الى أمة ، ومن زمن الى زمن .

ان من أسباب الاستقلال الاقتصادى أن تقوم بنوك اسلامية تتولى حراسة الاقتصاد ، وتوجيه العمل وريادة الطريق للثروات الاسلامية الى أفضل وجوه الاستثمار .

والمشكل الذى يواجه هذه البنوك أن النظام السائد اليوم هو النظام الربوى ، وهو نظام يرفضه الاسلام ، يرفضه من أساسه لأنه وليد المادية ، ولانه نتاج الاضطراب فى العلاقات البشرية ، ولأنه وسيلة استغلال القوى للضعيف ، ولأنه أداة من أدوات الاحتكار الدولى العالمى . وهذه الذاتيات فى الربا تجعله مرفوضا ومحرما فى الدين لأنه مناقض للغايات التى يستهدفها ،

فانما يستهدف الدين اقامة علاقات روحية رحيمة عادلـة متكاملة بين النـاس .

ولـذا فانه من الـواجب على البنوك الاسـلامية الجـديدة أن تضـع لمعاملاتها نظامـا يتفـق والاحكام الشرعية ويلائم طبيعـة هـذه الامـة ، ويطمئن اليـه المسلمون ، فيجمعوا لهذه البنوك مدخراتهم المطروحـة فى البنـوك غير الاسلامية أو الربوية .

لقد دعونا الله أن يبارك الدعوة الى انشاء البنوك الاسلامية ، وأن يأخذ بأيدى أصحابها الى طـريق السـداد فـاذا نجحت البنـوك الاسلامية فى وضع نظامها جميعه على أساس من الحلال الطيب كان وجودها خيرا للاسـلام وعـزة للمسلمين .

حضرات السـادة :

من هذا المنطق يمكننا أن نقول كما جاء فى كتاب (الخمينى والدولة الاسلامية) للاستاذ محمد جواد مغنية (ان الـدولة الاسـلامية لا تعنى سيطرة الشـيوخ على الحـكم ، واحتكارهم لسـلطان السياسة ، وانما تعنى أن الشريعة الاسلامية هى الاطار والمعيـار لقوانين الدولة وتصرفاتها ، فكـل ما يتفق وهـذه الشريعـة يجب تنفيذه ، ولا يسوغ الطعن فيـه ، وما ثبت تعارضـه معها يحـكم ببطلانه والغاء آثاره .

والخلاصة أن الشرط الأساسى فى الدولة الاسلامية هو الاخلاص والكفـاءة والعـدل والامانـة . أما هدف الحكومة الاسـلامية ومثلها الأعلى فهو احقاق الحق ، وازهاق الباطل ، هـو أن يأمنهـا ويثق بها كل محق وبرىء ويهابهـا كل مجرم ومبطـل سـواء أكانت الفئة الحاكمة من الشيوخ وأهـل العمائم أم من الشباب المهتـدى الصالح والطامح لكل ما هو خـير وعدل .

وقال العالم الكبير والمصـلح الشهير « أبو الكلام ازاد » : نحن لم نتعلم السـياسة الا بالـدين ، فالدين هو الذى خلق السياسة ، فكيف نفرق بينه وبينها ؟

لا شىء أدعى للخزى والمهـانة من أن ينحنى المسـلمون أمـام

أفكارهم السياسية ، فالاسـلام لا يسمح لهم أن يكونوا ذيولا فى أفكارهم بل عليهم أن يدعوا غيرهم الى مشاركتهم فيما يؤمنـون ويفكرون ، ولو أنهـم خفضـوا رؤوسهم لله وحده لخفض العالم رأسه أمامهم ، لقـد أوضـح الاسلام للمسلمين طريق الخلاص، فلماذا يستعيرون الطـريق من غيرهم ؟ •

متى بدأت الدولة الاسلامية ؟

لا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هـو المؤسس الأول للدولة الاسـلامية ، ولكن أين نشأت هذه الدولة ؟

يقول المؤلف : (حين استجابت المدينة المنورة لدعوة الاسـلام ، وجد النبى صلى الله عليه وسلم الشعب الاسلامى يستقر عليـه آمنا ، فهـاجر الى المدينـة هـو والصـحابة وأنشـأ أول دولـة اسلامية •

وبمجرد قيام هذه الدولة ، وقبل أن تمتد وتتسع أرجاؤها ، وضـع النبى صلى الله عليه وسلم مخططا يبين أهدافهـا والغاية منها ، وقد جاء فيه : « انما المؤمنون اخوة ، فالرابط الأساسى بين المسلمين هو الـدين وليس اللغـة أو الأرض أو الجنس أو أى شىء آخر •

فالدولة الاسـلامية الأولى فى المدينـة المنـورة قـامت بتنظيم الدفاع ، وحمـاية الأمن ، ونشر العلم والعدل ، وعقد المعاهدات ، وفصل الخصومات ، أما الحريـة فهى مكفولة لكل الناس ، وبخاصة حرية الأديان •

لقد أسس الرسول صلوات الله وسلامه عليه دولة السلام والمحبة، والرحمة والانسانية ، وانتشـات مـلايين المعـذبين فى الأرض من رعايـا الامبراطوريـة الرومانية المسيحية والامبراطورية الفارسية المجوسية ، ورحب الكثيرون منهم بالاسلام والمسلمين ليتحـرروا من ظلم القادة وطغيانهم ، وينعموا فى ظل العدل والرحمـة ، فالشريعـة الاسلاميةليست عبادة وكفى ، بل عقيدة وعبادة وقوانين لشـتى جوانب الحياة •

وفى العـدد ١٥٦ من مجلـة الجديد الصادر فى أول يوليو سنة

١٩٧٨ ، كتب المغفور له الامام الاكبر مقالا عنوانه « أسس النهضة الاسلامية » الى أين نتجه ؟ ماهو الطريق ؟ كيف نبنى أمتنا ؟ كيف ننهض بوطننا ؟ وفى خاتمة الموضوع يقول :

يتلخص فى النهاية الحديث الذى أريده ، انه من أجل نهضة الأمم الاسلامية يجب أن نأخذ بالعلم المادى الى أقصى ما يمكن أن نأخذ به فى هذا الجانب المادى •

أما الجانب الآخر : الروحى والاجتماعى ، فاننا نأخذ بما رسمه الله سبحانه وتعالى فى الاخلاق ، وما رسمه الله سبحانه وتعالى فى العقائد ، ونأخذ بما رسمه الله تعالى فى نظام المجتمع •

لا يتأتى مطلقا لأمة مسلمة أن تحيد عنه والا تخات عن رسالتها ، وأعود فأكرر ما قلته ان المبرر الوحيد لوجود الامة الاسلامية انما هو هذه الرسالة ، هذه الرسالة التى كلفت بها ، فاذا تخلت عنها ، فانها تصبح ولارسالة لها • ومع كل ذلك فاننا متفائلون باذن الله •

واننا نرى على مر الزمن نوعا من البعث الاسلامى ، هذا البعث الاسلامى يقوى اذا تكاثف هؤلاء الذين يدعون الى النهضة الاسلامية الحقيقية ، اذا تكاتفوا وتعاونوا ، وأصبحت تربط بينهم وبين بعضهم الصلات الوثيقة ، فان هذا البعث الاسلامى يقوى باذن الله ، وكفى بربك هاديا ونصيرا •

❋ عام ١٩٧٧ أمر بطبع مصحف للازهر الشريف مضبوطا بالشكل لأول مرة فى تاريخ جمهورية مصر العربية وقد تم طبع ٥٠ ألف نسخة منه •

وفى عام ١٩٧٨ وهو العام الذى توفى فيه صدرت الطبعة الثانية منه ، وقد تم طبع ٢٠٠ ألف نسخة وهى طبعة متقنة وزعتعلى نطاق واسع فى جميع أنحاء الأمة الاسلامية بثمن زهيد ، وذلك أولا من أجل تعميم الانتفاع بكتاب الله مصدر الهداية للامة الاسلامية ومنبع قوتها ، وثانيا من أجل سد الطريق أمام التزييف •

❋ الموسوعة الاسلامية : ان

الامة الاسلامية على سعتها تهتم كل الاهتمام بالموسوعة التى ألفها المستشرقون وهى موسـوعة لاحظ الكثيرون أنها مليئة بالأخطـاء ، ومليئة بالتشويه لوجه الحضارة ، الاسلامية ، ومن الخـير أن يكتب الاسـلاميون تاريخهم العلمى والحضارى من جديد .

* اخـراج التفسـير الوسيط للقرآن الكريم ، وقد صـدر منه حتى الآن ١٦ جزءا ، ويشترك فى هذا العمل أكثر من ثلاثين عالما من خيرة علماء الامة .

* شجع وتبنى اذاعة القرآن الكريم منـذ بدء انشـائها وكذلك برنـامج « نـور على نـور » فى التليفزيون .

* دعـا الى الحجـاب بين الفتيات المسلمات فانتشرت هـذه الظاهرة الاسـلامية انتشـارا ملموسـا .

* الاستمرار فى فتح المعـاهد الازهرية التى كـانت ٦٠ معهـدا فأصـبحت ما يقرب الألف ما بين ابتدائى واعدادى وثانوى .

* المطالبة بتطبيق الشريعـة الاسلامية فالاسلام دين ودولة .

* مشروع الدستور الاسلامى (وقد سبق ذكره وشرحه) .

* تعميم معـاهد القراءات فى جميع محافظـات الجمهـورية باعتبارها تسد حاجة مصر والعالم الاسلامى من القراء .

* تدعيم المنـاطق التعليميـة الازهرية ، وانشاء الادارة العامة لشئون القرآن الكريم .

* رصـد مكافآت تشـجيعية لطلبة معاهد المعلمين الازهرية .

* كليات للدعـوة الاسـلامية فى طنطا والمنوفية والقاهرة .

* التوسـع فى انشـاء فروع للجـامعة الازهرية فى أسـيوط وطنطـا والمنصـورة والزقازيق والمنوفية وسوهاج .

* اصدار اللائحة التنفيـذية للازهر التى تعطل اصـدارها ١٢ عاما .

قالوا عن الامـام عبد الحليم محمود

... وعلى الصعيد الاسـلامى فقد صدر فى الهند عقب وفاته عدد ديسمبر ١٩٧٨ من مجلة « البعث

الاسلامى » وهو يضم ست مقالات عن الامام الاكبر هى : وداعا شيخ الازهر — شيخ الازهر فى ذمة الله وذمة التاريخ — كلمة عزاء — فضيلة الامام الاكبر فى ذمة الله — للشيخ عبد الحليم محمود — شيخ الازهر فى ذمة) الله •

قال الاستاذ سعيد الاعظمى الندوى :

« لولا شيخ الازهر لم يقض على الشيوعية فى مصر ، هو الذى أعلن الحرب ضدها ، وهو الذى أفتى بمحاربة كل فكر شيوعى ، وشن الحرب على أوكار الشيوعيين ، وتم على يديه اجلاء هذه اللعنة من أرض الاسلام والمسلمين » •

وقال أيضا : وفعلا قام شيخ الازهر بجلائل الاعمال •

وأجل من كل شىء فيما أرى هو صموده فى وجه الظلم والطغيان ، ورفضه بيع الضمير رغم كل ترغيب من الجاه والمنصب ، وكل ترهيب من الحديد والنار ، انه ثبت على عقيدته وايمانه كالجبل الراسى ، وألح على الحفاظ على مكانته عند الله وعند الناس ، فلم يوجل ولم يفرق ، ولم يلن ولم يساوم ، وثبت على جادة الحق غير مبال بالمصير • ولما ساق الله اليه الوزارة قام أول ما قام باعادة اعتبار الازهر ومكانته الى النفوس ، وأزال جميع العوائق والعراقيل التى وضعت فى طريقه، وفتح باب الأزهر على مصراعيه للوافدين من طلاب العلم والدين•

فعاد الازهر من جديد الى مكانة القيادة التعليمية والتربوية فى العالم الاسلامى ، وعلق به الناس آمالا بعد أن كانوا قد قطعوا عنه الرجاء ، ورأوا أنه نهض لاداء رسالته بعد كبوة دامت به سنين طوالا •

ثم قال :

« كان أمة فى ذاته ، فاذا جلس فى مكان تحول ذلك المكان الى مسجد ومدرسة ، يطلب من الناس أن يتبرعوا فى سبيل الله لانشاء المساجد والمدارس والمعاهد فيلبون نداءه ، حتى وجد فى كل مدينة من مدن مصر معاهد الازهر

ومدارس الأزهر، ومساجد للصلاة .

وكان الناس يؤمونه من الجهات البعيدة ليستفيدوا منه العلم والدين والربانية .

وعن موقفه من القضايا العالمية والقضية الفلسطينية قال الاستاذ سعيد الأعظمى الندوى :

(وباطلاعه الواسع على مايوجد فى العالم اليوم من مؤامرات ومخططات لهم الاسلام ، كان يحرص على أن يحضر المؤتمرات والمناسبات ، فيرفع صوته ضد هذه الدسائس الخطيرة ، وقد وفق الى ذلك ، وكان له رأى حصيف فى السياسة ، ومواقفه من قضية فلسطين معلومة محمودة ، وكان يرى أنه لاسلام الا باعادة حقوق الفلسطينين اليهم) .

وقال الاستاذ محمد زكى عبد القادر :

(لم يتوقف عن الدعوة الى الدين سواء بالتأليف أو الكتابة أو الرد على المعترضين والزائفين ، أو الاشتراك فى الاذاعة والندوات والخطابة فى المساجد فى جموع المصليين .

وهكذا جعل من منصب شيخ الازهر منارا للهداية ، والعمل الدائب ، والنزول الى الجماهير ، والدعوة الى الدين الصحيح .

وقد ساعده أفقه الفسيح ، وعلمه الغزير ، ومزجه بين الثقافتين الشرقية والغربية على أن يضطلع بهذا الواجب أتمما يكون الاضطلاع تأثيرا فى الناس . وجذبا لهم الى طريق الهداية والنور) .

وقال الاستاذ حافظ محمود :

(كان الامام عظيم العقيدة الى الدرجة التى جعلته يتحول بمنصب شيخ الازهر الى داعية من دعاة الله فما كان يوم يمردون أن نسمع للشيخ خطابا أو محاضرة أو نقرأ له كتابا أو مقالا فى الدعوة الى دين الله ، وقد أنشأ دراسة اعلامية فى الازهر ، وكان هو خير مثال لهذا الجانب الاعلامى .

لقد تخطى نشاطه الاعلامى فى سبيل الله صحف القاهرة الى كثير من العواصم العربية .

كنت تشعر وهو يخطب أن الكلمات ينطق بها قلبه قبل لسانه .

« البقية صفحة ١٢٧٠ »

الشيخ أحمد الشرباصي

رَجل مَضى ومثل مُستمر

للدكتور / محمد محمد أبو موسى

كم شيعت هذه الأمة فى تاريخها العامر الحافل من رجال • وكم دمعت عينها الجليلة على شيوخ هم أجل من الملوك جلالة •

والآن حين تذكر واحدا من رجالها تبكى دمعة أحر ، ويعتصر قلبها حزن أوجع ، وذلك لان ينابيعها التى كانت تمدها بهؤلاء النجباء قد فقدت نبعا ، وان الحياة العلمية والادبية التى كانت تنضج هذه المواهب قد انهدم منها ركن •

وليت شعرى ماذا يكون حال الأمة حين يقضى الله فى البقية الباقية من أمثال هؤلاء الرجال قضاءه ؟ وكيف نرى ساحات الوطنية والفكر والادب بعد هؤلاء •

أى حياة ستكون ؟

تأمل ما يجرى فى معاهد العلم على مدهذه الأمة العربيةالاسلامية ترى شيئا واحدا هو انطماس كثير من معانى الجد ، وذهاب كثير من روح الاخلاص،وخفوت تلكالوقدة المقدسة التى كان يشعلها فى مدارسنا رجال مخلصون ينضجون بها عقول ناشئة الأمة ، ويفجرون بها كوامن طاقات أبنائها •

أصبحت اكثر دور العلم سواء من تخريج أفواج عديدة ممن لاحظ لهم من العلم النافع والمعرفة البصيرة •

ولا ريب أن هذه المعانى تجرى فى نفوسنا كلما ودعنا واحدا من علمائنا ورجالنا الذين تبقى أماكنهم خالية بيننا • وأنه من الخيانة لهذه الأمة أن نحتجن هذا فى صدورنا ،

ونحن وغيرنا نـراه رأى العين ، وقد أفضى الشـيخ أحمـد الى ربه ، وصدره يجيش بما يراه فى دور العلم ، خاصـة فى الازهر الذى كان يعيش همه الشريف •

وكان رحمه الله شـديد الولاء لأصـول ثلاثة تتلاحم وتتداخل وتنتهى الى أصـل واحـد هى اسـلامه ، وعروبته ، وأزهريته ، وكان كثيرا ما يقول بلسانه وقلمه انى لعربى مسـلم أزهرى ، وكان اسلامه لا يصحح فقهه الا عروبة قلبه ولسانه ، ولا يهديه السـبيل الى محض عروبة القلب واللسـان الا تراث الازهـر وحلقـات شيوخه •

وكان رحمـه الله يعتقـد أن حصـاة الازهر وسر قوته أنه لا يترخص فى الزام بنيـه بحفظ القـرآن واجـراء الاختبـارات الشفوية لكل طلابه فى حفظ الكتاب كله ، وكان الطالب يتخـرج من الازهر وقد امتحن فى القرآن كله أربع عشرة مرة • والذين دخلـوا الازهر وهم لا يحسـنون قراءة القرآن قراءة مفصـلة مرتلة هم الذين قضت بهم خـدمته وكسرت بهم حصـاته التى استعصت على الضـغن الاسـود التى أضمرته أحقاب طوال عانتها هـذه الأمة وعاناها معها الازهر •

ويرى الشـيخ رحمه الله أن ضـياع هذا العزيز الغالى من الازهر يعنى ضـياع بهاء مصر واطفاء نورها لانها عرفت بالقرآن والازهر قال فى ذلك :

« من الحقـائق التى يجب أن تستقر فى أذهاننا وتسـيطر على ادراكنا أن أعظم مفخرة لبلادنا هى أنها دار القـرآن ، وأنها بعـزة القرآن تساوى كل شىء ، **وانهـا دون القرآن لا تسـاوى شيئا ••** وشـهرة مصر القرآن بين العالمين هى أن أبناءها يحفظون القـرآن العظيم ويتلونه عن ظهـر قلب ، ويتطلـع اليهم أبنـاء البلاد الاسـلامية الاخرى فيعجبون لهم كيف يسـتطيع هؤلاء الاذكياء الموفقون من أهل مصر العظيمة أن يرتلوا القرآن حفظا بهذا الاسلوب الكريم •• وكان الشرط الأسـاسى لقبول الطالب فى المعاهـد الدينية

الازهرية أن يكون حافظا للقـــرآن كله وأن يمتحن فيه بلا تســـاهل ولا تسيب » كتاب توجيه الرسول ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

تأمل قوله : « بلا تســـاهل ولا تسيب » ، كان اصطلاح الامة فى تربية رجالها وعلمائها البـداية بحفظ القرآن تفتق به ألســنتهم ، وتتهيأ به قلوبهم ، ثم تدور حوله جمـلة من المعـــارف الشرعيـــة واللسانية ، ثم ينالون من أصناف العلوم الطبيعيـــة والحكميـــة والفلســفية ما ينالون ، والمهم أنه لا يكون فيها عالم بارع فى فرع من فروع المعرفة التى برعوا فيهـــا كعلوم التعـــدين ، والصـــيدلة ، والطبيعة والطب ، والبيطـــرة ، والكيمياء وهو يجهـل القـــرآن والاستمداد منه ، والاستشهاد به ، وكذلك كان قوادهـــا ، ووزراؤهـــا وولاتها .

وقد تعددت بحوث شيخنا رحمه الله وتنوع تراثه ، ودار حـــول أصلين أساسيين ارتبط قلمه بهما منذ البداية ، هما الكتاب والسنة ، ويرى أن ذلك من فضل الله عليه وأنهما بابا الارشاد ، والاسعاد ، وسببا النجاح والفلاح ، وينبوعا البيان والادب (كتاب توجيـــه الرسول ص ١٠) .

وقد بدأ نبعه يتدفق منذ بواكير عمره ، وقد ألحق قائمة مفصـــلة بمؤلفاته بكتاب توجيه الرســـول الذى نشره فى ســـنة ١٩٧٤ وقد بلغت كتبه آنذاك ســبعة وسبعين كتابا بدأت رحلتها سنة ١٩٣٦ بنشر كتاب (حركة الكشف) .

وقد خاض فى هذه الكتب ميادين الادب والتاريخ والدين والسياسة ولا ريب أن له فوق ذلك فيضـــا زاخرا من المقالات ، وفيضا عامرا من المحاضرات التى شـــارك فيها فى الملتقيـــات الفكرية والادبية فى العواصم الاسلامية العديدة ، هذا الى جانب طوفان من الاحـــاديث التى ألقاها فى أرجـــاء مصر وفى مختلف أنديتها ، والتى شارك فيها فى قضـــايا المجتمـع والـــدين والســـياسة ، وكان كما قال هو فى وصفه لعطاء شـكيب أرســـلان « كالغيث الهاطل المدرار فى كتاباته حتى تصعب ملاحقته ، ومتابعته »

وقد استطاع رحمه الله أن يلاحق ويتابع ما كتبه الأمير ، ودرس ، ومحص ، ونقد ، وغربل ، وأخذ ، وترك ، وليت شعرى هل يتهيأ لشيخنا ديدبان دؤوب يلاحق ويتابع ما درته سحائبه ، ويعكف عليها يدرسها ويفليها ويغربلها ويقول ما لها وما عليها ؟

عاش رحمه الله حياته كلها طالب علم فقد طرق باب كلية اللغة العربية طالبا فى دراساتها العليا بعد ما تخرج منها بعشرين سنة وذكر ذلك وهو يعرض مقدمة بحثه الذى أجازه به العلماء ، وأذكر أنه ارتجل هذه المقدمة وكان موضوع البحث هو الشيخ رشيد رضا وذكر أبوابه وفصوله ومقدماته ونتائجه بطلاقة وتتدفق وكأنه كان يقرأ من كتاب ، وكانت ليلته من الليالى التى يرى فيها الطالب مناكبا لاستاذه بل ومزاحما ركبنا له فى علمه وفقهه •

وكان ضمن المجموعة الأولى التى دخلت معهد الدراسات العربية حين فتح أبوابه سنة ١٩٥٣ وقال « ولم أجد أى غضاضة فى أن أكون صباحا مدرسا بالازهر الشريف وأن أكون بعد الظهر طالبا فى المعهد » « ص ٩ كتاب شكيب أرسلان » •

وكان شيوخ المعهد يعرفون علمه وقدره ، ويخاطبونه خطاب الزميل والصديق وهو يخاطبهم خطاب التلميذ •

وقد شهدوا له بالاكتمال والتفوق ، ووجهوا طلاب العلم الى اتخاذه مثلا فى الصبر والتروى والاستنباط وفى سلامة اللغة وصحة البيان وجزالته ، قال الاستاذ محمد خلف الله وكان عضو لجنة مناقشته فى درجة التخصص وذلك فى مساء الثلاثاء ١٢ من شعبان سنة ١٣٨٢ هـ قال وكان وكيلا لجامعة عين شمس « أشكر لفضيلة الزميل أبى «مى» الاستاذ الشرباصى هذا العرض الجميل لرسالته وأرجو أن يتخذ منه طلبة العلم نموذجا لما ينبغى أن يكون عليه تلخيص الرسائل العلمية ، ولما ينبغى أن يكون عليه البيان العربى القوى السمح وليس

هـــــذا بكثير على الشـــــيخ الشرباصى » •

ثم قال عن الرسالة « والرسالة التى نناقشها رسالة مكتملة النمـو تحققت فيها صفات الرســـائل العلمية الكاملة من سلامة القصد ، وسلامة المنهج ، وسلامة البناء وقد توفرت لصاحبها أدوات النجاح من تمرس بالبحث والمناقشـة ، وفهم واع لمرحلة النهضـــــة وأحداثها الســـياسية ، وتياراتها الثقافية والروحية ، توافرت لصاحبها هذه الادوات جميعها ، ولو أردنا دليلا غير هذه الرســـالة لكان لنا أن نتمسه فى كتب أخرجها صـاحب الرســالة تقارب عدد الماضى من سنى حياته المديدة ان شاء الله » •

وقد ذكر الاســـتاذ الدكتور اســحاق موسى الحسينى وكان مشرفا على بحثه أن هذه الرسالة هى الأولى فى موضـــوعها فى هذا المعهد ، ويعتقد أنها كذلك فى سائر الكليـات والبلدان ، ثم ذكـر أنه يثنى عليه ثناء لا حــــد له لأمور ثلاثة :

أولها : أنــه جلــس مجلــس الطالب بعد ما استحصد واحتنك ، وأنه فى هذا ماض على سنة السلف الصالح الذين رأوا أن طلب العلم من المهد الى اللحد •

وثانيها : تقبله رحمه الله للنقد وايراد النظر واســتيعابه لما يرد عليه من هــذا واذعانه للحق حين يدركه •

وثالثها : استقصـــــاء المادة العلمية فى موضوعه وأنه لم يترك ناحية يظللها أى غيم الا جـلاها ، (بنظـر مقـدمة كتـاب شـكيب أرســـلان) •

وكان الشـــيخ رحمه الله كلفا بمدرســة الامام وقد أخرج عنها كتابا فى سنة ١٩٧١ بعد ما كتب عن أعلامها دراسات مستفيضة ، وقد أخرج عن شكيب أرســلان كتابين غير رسالة الماجســتير التى نشرها فى جزئين •

ورجال هذه المرحلة ــ ســواء منهم من ينتمى الى الامــام ومن لم ينتم اليه ــ فى حاجـــة الى دراسات جديدة فى ضوء ما انكشف من الحقائق التاريخية والسياسية

مما يوجب مراجعة الاحكام على كل من سطعوا فى ميادين السياسة والادب والاجتماع والاصلاح •

والمهم فى سياقنا هو أن الشيخ رحمه الله كان دؤوبا لا ينى فى طلب العلم وأنه أفاض بغزارة فى شتى الميادين ، حتى أنه كتب فى الفقه كتابا من خمسة أجزاء استمد مادته من مطولات كتب الفقه والتفسير والحديث وقد استنبط منها الحلول الفقهية لما يجده المسلمون من أقضية وحاجات ، وهذه احدى مزايا فقه الشيخ ، ونرى أن هذا الكتاب يضعه بين أهل الفتيا من الفقهاء •

وكان كغيره من علماء الازهر الذين ارتبطت عندهم علوم التفسير والفقه والادب واللغة والأخبار حتى صارت كلا متكاملا ، فلا سبيل الى درس الفقه لمن لم يغمس يديه فى علوم اللغة والحديث والتاريخ ، وهذه سنة السلف فقد رأينا فقهاء يطلبون علم الفقه فى كتاب سيبويه وآخرين يتلمسون التفسير فى كتاب المغنى لابن هشام النحوى ، ورأينا الشافعى أديبا غلب عليه الفقه فعرف به ، وذكر بعض اللغويين أنه يحتج به فى اللغة ، وناهيك عن مرتبة الاحتجاج عند هؤلاء الاعلام ، كما عرفنا القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى فقيها غلب عليه الادب فعرف به ، وحسبه أنه قاض ، ولا يلى مرتبة القضاء الا من عرف كيف يستنبط الاحكام الفقهية من النصوص الشرعية ، ولا يكون كذلك الا من برع فى الفقه والأصول والقياس •

وهذه الطريقة فى تخريج العلماء والتى سلكها شيوخنا رحمهم الله يسلك الازهر الآن فى تخريج علمائه غير طريقها فتقطعت فى دروسه الوشائج بين هذه العلوم ، فصار درس الادب لا نحو فيه ، فضلا عن أن يمازجه علم بالمصطلح والرواية ودراسة الأسانيد وصار للكلام قسم غير قسم التفسير ، والفقه قسم غير قسم الأصول وللبلاغة قسم غير قسم الادب ، وهذا مجاراة لما يجرى عند غيرنا ، وقد أغفلنا أن الترابط بين العلوم اللسانية والشرعية فى تراث

المســــلمين شيء فريد ليس له ما يشابهه فى تراث الأمم ، التى لم ينزل بلسانها شرع من الله العزيز الحكيم •

وكان منبر المركز العام للشبان المسـلمين من المجالات التى أفرغ فيها الشيخ كثيرا من عطائه ، وكان يرتاد هذا المنبر العـديد من أهل العلم من علمـاء الامة عربا وغير عرب ، وقد أتيح لنا من خـلاله أن نسـمع ونرى الكثير من المفكرين الذين كنا نعـــرفهم ولا نراهم ، وكان الشيخ رحمه الله يبدو قويا ركينا بين هؤلاء الأفذاذ ، يقـدم ويعقب بتدفق وذكاء وفطنة ، وكأنه محيط بالموضـوع احاطة المحاضر أو هو يستعلى أحيانا •

وكان لهـذا المنبر وهج لامع ، ولكنه لم يضف الى الشيخ شـيئا فقد ظهر ساطعا وهو طالب فى معهد الزقازيق •

والذين يتعرضـون لتاريخ من اتصـلت حبالهم بالحـاكمين فى العالم العـربى ، لابد لهم أن يترووا كثيرا فى تقـويم المـواقف والحكم عليها ، وأن يعتبروا ما كان عليه حال الأمة ، وطرائق تصريف أمورها وسياستها ، ثم ما انبعث فى نفوس هؤلاء الرجـال من أمل مع بدايات النصف الثانى من هـــذا القرن أغراهم بالمساندة والتأييد ، فلما كان من الامر ما كان ، فمنهم من نصح ومنهم من سـكت والله أعلم بالسرائر •

والمهم أننا تعـودنا أن نرمى بالحصى فى وجه كل من اتصـل بالحاكمين من العلماء وهذا خطـأ فان تاريخ الرجال يحدثنـــا أن العلماء كانوا ينهضـــون بواجب النصـح لله ولرسوله ، وابـداء الرأى ، وأن الحـــاكمين كانوا يسـتمدون سـلطانهم من العلماء والفقهاء ، لانهم أهل الحل والعقد ، وليس لهم فى ذلك الا شرع اللــه ووجهه ، ويحسن بنا أن نسـتمع الآن الى الشـيخ رحمه الله وهو يحدثنا فى قضـــية بيت المقدس وفلسطين •

فقد تعرض الشيخ الى دعوى حقوق اليهود فى فلسطين وقبل أن يدحض أكاذيب يهود مستمدا من الكتاب والسنة والتاريخ الصحيح

اقتبس من كتابين غربيين أحدهما كتاب « فلســطين والغزو التترى الجديد » لباحثة أمريكية وقد جاء فيه « العملات النقدية التى ترقى فى القدم الى ما قبل الوف السنين فى فلسطين قد اكتشفت ، والقبور التى خلفها الذين عاشــوا فى عصر موسى وقبــل عصر مــوسى فى فلســطين أيضا قــد فتحت ، واكتشــفت محتوياتها جميعا ، فلم يعثر فى جميــع هذا الــذى اكتشــف على دليــل واحد أو اشــارة بسيطة تخبرنا عن وجود ما يسمى بأمة يهودية فى تلك الأيام مطلقا فان كل ما يتعلق بهذه الامة المــزعومة غــير موجــود فى فلسطين » .

والثانى فى كتاب « مركز المدنية القديمة » للأستاذ دونت

قال « لم يعثر على كتابة قديمــة واحدة فى فلسطين من شــأنها أن تدل على وجود مملكة عبرية ، ولقد فشلت جميع الآثار التى اكتشفت فى القدس وعجزت عن تقديم أثر واحد يدل على سليمان وداود » .

« ان اليهود بحاجة الى الدليل الذى يؤيد وجودهم بين قوميــات آسيا الغربية القديمة ، والاغريق فى أيامهم الأولى لم يشيروا بكلمة واحــدة الى اليهــود فلو كانت فلســطين وطنا لهم فى تلك الايام لكان هؤلاء اليونان القــدامى على اتصـــال بهم ، ان هــو ميروس لا يعرف عنهم شــــيئا مطلقا » (كتاب يسألونك جـ ١ ص ٥٧٢) .

ولما أرجفت الصــهيونية بالقول بأن العرب افتعلوا قداســـة بيت المقدس وأدخلوا ذلك على الاسلام لما ظهر الصراع بين العرب واليهود وذلك لينضم المسلمون اليهم فى هذا الصراع كتب الشــيخ عن الكتب التى ألفت فى بيت المقــدس قبــل نشــوب هذا الصراع بمئات من الســـنين ، وذكر من ذلك كتاب « فضــائل القــدس » للامام ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ ،وكتاب « الأنس فى فضائل القدس » لابن هبة الله الشــافعى وهو من رجال القرن الســابع الهجرى ، وكتاب « مثير الغرام بفضــائل القــدس والشــام » لابن سرور المقــدسى المتوفى سنة ٧٦٥ وكتاب « الانس

الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجبر الدين الحنبلى القاضى المتوفى سنة ٩٢٧ وكتاب « الجامع المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى » لابن عساكر المتوفى سنة ٩٤٨ وكتاب « فضائل القدس » للشريف عز الدين حمزة المتوفى سنة ٨٧٤ وغير ذلك من الكتب (ينظر كتاب يسألونك جـ ١ ص ٥٧٤ ، ٥٧٥) •

وقد خاطب الشيخ أمته بقوله :

« القدس وما حولها من أرض فلسطين هى أرض من صميم وطن المؤمنين فلا يجوز لهم بحال من الأحوال أن يتهاونوا فى أمرها أو يستخفوا بمكانتها ، أو يتركوها لدخيل يعتدى عليها أو يستبد بأمرها ، فدون ذلك يجب أن تزهق الأرواح ، وتفنى الأشباح »

ويذكر ما رواه أبو هريرة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم « لاتزال عصابة من أمتى يقاتلون على أبواب دمشق ، وعلى أبواب بيت المقدس ، وما حوله لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق الى أن تقوم الساعة » •

ويعلق على هذا بقوله « ما أعمق الاشارة التى ينطوى عليها هذا الحديث والتى تحث على صدق الجهاد ومداومة النضال من أجل هذه المقدسات » (ينظر كتاب توجيه الرسول ص ٢٨٤ ، ٢٨٦) •

وكان الشيخ رحمه الله صادق القرب والود لكل من يظن به خيرا من طلاب العلم وكان ذا فراسة بارعة فى التعرف عليهم ، وذا قدرة فائقة فى استنهاض العزائم وبعث الكوامن ، وكان لبيانه الصحيح الجزل العذب ولرنة لغته أثر بالغ فى نفوس طلابه ، وأشهد أنى ما سمعت لسانه يدور بالعامية لا فى درس ولا فى محاورة ولا فى أوقات فراغ •

وكان يرى أننا اذا دخلنا كلية اللغة العربية فلا يجوز لنا أن تدور ألسنتنا بغير العربية الصحيحة ولا يجوز أن يسمع فيها كلام من طالب أو أستاذ الا أن يكون صحيح الاعراب وذا رونق •

وقد صنع بيديه الكثير ممن يعرفهم الناس ، وكان لا يعنيه أن يعرف هؤلاء فضله أو ينكروه

شأنه فى ذلك شأن الاستاذ الذى يعرف بحق أستاذيته وأنه لابد أن يترفع على أخطاء التلاميذ وكان يهتم بأهل العلم من طلاب الدراسات العليا اهتماما خاصا • ويقرنهم بموضوعات بحوثهم فهذا أخو « الطيبى » وذلك أخو « الخليل » وهذا « جار الله » وكان يستمع الى مناقشتهم باهتمام ويراجع ما يكتبون ويشعر كل واحد منهم أنه انتفع بما قرأ له وكان لهذا أثره الحميد فى نفوس الطلاب وكان ذلك منه لكل طالب يظن أنه عنده شيئا سواء كان من الدارسين فى قسمه أو لم يكن ، وسواء كان ممن يشرف على بحوثهم أو لم يكن •

وكان للطلاب العرب عند الشيخ **منزلة خاصة الوافدين من الأقطار الاسلامية** حيث كان يمنحهم جميعا قربا أكثر ، وودا أشمل •

جعل الله ذلك كله فى موازينه وضاعف له أجره ، وحط عنه بكل كلمة كتبها وألحقه بالصالحين ، وألحقنا بهم غير مخذولين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعهم باحسان •

د• محمد محمد أبو موسى

بقية مقال الامام الراحل عبد الحليم محمود

لقد كتب الامام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود قصة حياته تحت عنوان « الحمد لله هذه حياتى » فالحمد لله هو آخر دعاء أهل الجنة •• (**دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)** •

وكانت آخر كلمة نطق بها (لا اله الا الله ــ الله حق) ، وظل يرددها يوما كاملا قبل وفاته ، وبعد ــ فقد كانت هذه جولة فى فكر الامام الاكبر الدكتور عبدالحليم محمود ودوره فى بناء الدولة الاسلامية الحديثة ، رأيت أن أسجلها فى ذكرى مولده ، اعترافا بفضله ، ووفاء لحقه ، وتقديرا لفكره وأدبه ، فجزاه الله عن الاسلام وأهله خير الجزاء •

محمد شلبى

طرائف.. ومواقف

إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

القرآن

سراج لا تطفأ مصابيحه ، وشـهاب لا يخبـو زنـده ونور لا يتغير ذكاؤه ، من قرأه وتبعه دله : على المكارم ، وصـده عن المحارم ، وشـفع له يوم القيامة .

خمس تضمن خمسًا

الصلاة تضمن : الرزق .

والصدقة تضمن : العافية .

والظلم يضمن : الهلاك .

والزكاة تضمن : البركة .

والزنا يضمن : الفقر .

حَقًّا

قال الشاعر :

أرى حللا تصـــان على أناس
وأخلاقا تداس فلا تصـــان
يقولون الزمان بــه فســاد
وهم فسدوا وما فسد الزمان

وصيَّـــة

قال بعض الحكماء لولده : يابنى عليــك بطلب العلم وجمــع المال ، فان الناس طائفتان : خاصة تكرمك بالعلم ، وعامة تكرمك للمــال ٠

كلمات من نور

من ادعى الوطنية وهو يفرق الصفوف فهو : خائن ٠
ومن ادعى الاصلاح وهو يتقرب الى الظالمين فهو : فاجر ٠
ومن ادعى العلم وهو يمالىء الفاسدين فهو : تاجر ٠
ومن ادعى الحكمة وهو منحرف فهو : سفيه ٠

ثلاثية الكمال

الصبر فى الدين ، والصبر عند النوائب ، وحسن التـــدبير فى المعيشة .

إعتذار

كتب المنصور العباسى الى جعفر الصادق يقول : لم لا تزورنا كما يزورنا الناس ؟ فأجابه قائلا : ليس لنا فى الدنيــا ما نخافك عليه ، ولا عندك من الآخرة ما نرجـــوك له ، ولا أنت فى نعمــة فنهنئك بها ، ولا فى نقمة فنعزيك فيها . فكتب اليه المنصـــور : تصحبنا لتنصحنا .

فكتب الصادق اليه قائلا : من يطلب الدنيا لا ينصحك .. ومن يطلب الآخرة لا يصحبك .

متى ينهزم الموت ؟

الموت قائد منتصر أحيانا ، ومنهزم أحيانا أخرى . فهو ينتصر على الاجسام البائدة ، وينكسر أمام الارواح الخالدة .

أظلم الناس

قال الامام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ :

أظلم الناس لنفســه : لئيم اذا ارتفع جفــا أقاربه ، وأنكر معارفه واستخف بمن فوقه ، وتكبر على ذوى فضل .

ثلاثة أنوار

قال ابن عطاء : يحتاج قائل كلمة التوحيد الى ثلاثة أنوار :
نور الهداية ، ونور الكفاية ، ونور العناية .
فمن من الله عليه بنور الهداية فهو معصوم من الشرك .
ومن من عليه بنور الكفاية فهو معصوم من الكبائر .
ومن من عليه بنور العناية فهو محفوظ من الخطرات الفاسدة .

دعاء

يارب : لقد أعطيتنا الاسلام من غير أن نسألك ، فلا تحرمنــا الجنة ونحن نسألك .

من حضارة

الإسلام

عروبة القدس وإسلاميتها

للدكتور محمد محمد خليفة

مدينة القدس :

مشت رحلة الزمن الطويلة على هذه المدينة فخلعت عليها أسماء حفظت الحوافظ بعضها حيث تشبث بتلك الأسماء بعض وارثى من سكنوها ، وتنوسى بعضها حيث لم يجد ممن عاشوا فيها وارثا يذكرها .

وكانت بلاد الشام منذ الغابر البعيد متنفسا لكثير من العرب الذين ضاقت نفوسهم بأجواء جزيرتهم وجدبها ، فاتخذوا من الشام مهجرا يستروحون أنسامه وينعمون بخصوبته ، ويذكر ذلك الغابر البعيد (البيوسيين) وهم قوم من العرب نزلوا الشام وابتنوا أول مدينة لهم أطلقوا عليها (بيوس) وهذا أول اسم عرف لهذه المدينة وان كان قد نسيه الزمن ، وهنالك عاش مع البيوسيين والكنعانيون وهم من العرب المهاجرين كذلك وقد سموا المدينة (يوروشالم) ومنه كان اسم (أورشليم) الذى عاش وتشبث به اليهود بعد .

وحين حكمها الرومان غيروا اسم المدينة الى (ايلياء) بيت الله ، ثم أرجعوا لها اسمها القديم أورشليم .

ولما فتحها المسلمون فى عهد عمر رضى الله عنه سموها : بيت المقدس أو البيت المقدس أو القدس

ليجعلوا من اسمها وصفا يشير الى تقديسـها وطهرها ولتعيش على الوجود حرما ثالثا للاسـلام تهفو اليه قلوب المـلايين فى مختلف الأحقاب من أقطـار الأرض حين يرونه موئلا لكثرة من أنبيـاء الله ورسله ومهبطا لوحى الله ، وأن فيه وفيما حوله كانت رسـالات دعت الى الله وأن فيه وفيما حولت خرت الى الله الجباه .

مكانة بيت المقدس :

قبل الاسـلام :

قال ابن عباس رضى الله عنهما : البيت المقدس بنته الانبياء وسكنته الانبياء ما فيه موضع شبر الا وقد صلى فيه نبى أو قام فيه ملك .

كانت مدينة (بيت المقدس) محط رحال ابراهيم خليـل الله عليـه السلام (وقيل أنه دفن بها) .

وفيها عاش يعقوب بن اسـحاق ابن ابراهيم وهو أول من بنى فيها المسجد الأقصى بعد أن بنى جـده ابراهيم وعمه اسـماعيل البيت الحـرام بمكـة بأربعين عاما أو ثلاثين ، فكان ثانى مسجد وضع للنـاس « **ان أول بيت وضـع للناس للذى ببكة مباركا وهـدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقـام ابراهيم** » .

واتخذها داود عليه السـلام عاصـمة ملكه بعد أن نقل حاضرة ذلك الملك من (حبرون) الخليـل الى أورشليم وبنى فيها بيتا للعبادة سمى محـراب داود ، كما كانت عاصمة ملك ابنه سـليمان عليه السـلام وقد جدد سليمان بناء المسـجد الأقصى .

وفى القدس دعت امرأة عمران ربها وكانت عاقرا لا تلد : اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولـدا أن أتصدق به على بيت المقدس ليكون من سدنته فلما حملت قالت : **(رب انى نذرت لك مافى بطنى محـررا فتقبل منى انك أنت السـميع الطيم)** ثم وضعت فكان الوليد : مريم **(فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلمبما وضعت وليس النكر كالأنثى وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطانالرجيم)** فعاشت مريم فى

بيت المقــدس وفيه كفلهــا زكريا (زوج خالتها) حتى شبت فقامت بخدمة بيت المقدس وخدمة مسجد آخر عند جبل صهيون .

وفى القــدس دعا زكريا ربه أن يرزقه ذرية طيبة **(هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء)** .

وفيــه نادته الملائكة وبشرتــه بيحيى **(فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصــدقا بكلمــة مـن الله وســيدا وحصــورا ونبيــــا من الصالحين)** .

وفى تلك المدينة أو فى بيت لحم (على بعد أميال منها) ولد عيسى عليه السلام .

وفيها تكلم عيسى فى مهده **(قال انى عبد اللهآتانى الكتاب وجعانى نبيا ، وجلعنى مباركا أينمــا كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيــا)** فأخبر وهو فى طفولته أنه عبد الله وبشر بنبــوته وأصــول رسالته وبهــذا برأ أمه مما اتهمت بــه مما قالوه : **(يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيــا)** وآمن المؤمنون ممن سمعوه يتكلم فى المهد أو نقل اليهم الثقاة كلامه : أنــه نفخة من روح الله ، وأن خلقه كخلق آدم **(أن مثل عيسى عند الله كمثل آدمخلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)** .
وفى القــدس كانت دعوته وكان حواريوه ، وفيها دعا ربه أن ينزل المائدة :

(قال عيسى ابن مريم اللهـم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين) .

ومن صخرة بيت المقدس ينادى المنادى يوم القيامة وهو اسرافيل: أيتها العظام الباليــة والاوصــال المتقطعة واللحوم المتمزقةوالشعور المتفــرقة : ان اللــه يــأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء **(واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج)** فمن هنالك **(ينفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد)** .

بعد الاسلام :

للقـــدس فى الاســـلام مكانة تضـــاهى مكانة مدينة رســـول الله صلى الله عليه وسلم لانها :

١ ــ مسرى الرحلة العظيمـــة المباركة :

فالى المســـــجد الاقصى ببيت المقدس أسرى بعبـــد الله محمـــد صلى الله عليه وسلم من مكة من المسجد الحرام (**ســبحان الذى أسرى بعبـــده ليلا من المســـجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا**) •

وكان اسراء الله بعبده جســـدا وروحا يقظة لا مناما من مكة الى بيت المقدس ، وســـبحان الله أن تعجز قدرته عن حمل عبـــده وعن طى الارض أمـــام موكبـــه ليبلغ المسجد الاقصى فى ساعة من ليـــل ليريه آيات قدرته الناطقة بجلاله•

ومن المسجد الاقصى أعرج به فى رفقة جبريل عليه السلام الى العلا حيث أراه الآية الكبرى وفرضـــت عليه وعلى أمته الصلاة التى جعلها الله عماد الدين وركنه الركين •

واذا كانت عقـــول البشر قـــد صـــنعت ســـفن الفضـــاء وأنزلت الانسان على سطح القمر وراحت الى المريخ تكتشف عوالمـــه فهـــل يعجز رب البشر عن حمل عبـــده محمد صلى الله عليـــه وسلم الى ما وراء الســـموات الســـبع ليرى ســـدرة المنتهى ويـــرى آيات الله ويرى جبريل فى صـــورته الملائكية حيث كان منه قاب قوسين أو أدنى (**وما كان الله ايعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض انـــه كان عليما قديرا**) ٤٤ ــ فاطر •

٢ ــ أولى القبلتين :

كان بيت المقدس القبلة الاولى التى ولى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم والمســـلمون وجوههم اليها بأمر الله بعـــد أن فرضـــت الصلاة فصلوا الى بيت المقـــدس وهم فى مكة وهم فى المدينة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم وهـــو يصلى بمكة يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فكأنه كان يصلى الى قبلتين : بيت المقدس والقبلة التى يرجو أن تكون ، فلمـــا هاجر الى

المدينة لم يجد بدا أن يولى وجهه نحو بيت المقدس •

واختلف فى المدة التى صلى فيها الرسول الى بيت المقدس وهو فى مكة والمدينة فقيل تسعة أشهر وقيل عشرة وقيل سبعة عشر شهرا وقيل ثمانية عشر شهرا ، ثم تحولت القبلة الى الكعبة الى البيت الذى بناه ابراهيم واسماعيل الى أول بيت وضع للناس •

(وقال السفهاء : ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب) •

ولما طال تقلب وجه النبى صلى الله عليه وسلم فى السماء ينتظر أمر الله بتحويل القبلة حول الله القبلة الى الكعبة التى يرضاها نبيه **(قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) •**

ونسخ الله قبلة المسلمين الاولى وتوجههم الى بيت المقدس وجعل الكعبة قبلتهم الثانية ، لانها سرة الارض ومركز دائرتها لتلتقى وجوه المسلمين على اختلاف أقطارهم حول بيته الحرام اشعارا بضرورة وحدتهم وتجمعهم والتفافهم حول منافع دنياهم وأخراهم •

٣ — فيها المسجد الاقصى :

وفيه صلى النبى عليه الصلاة والسلام أول صلاة صلاها بعد عودته من رحلة المعراج •

وقد حفلت السنة النبوية بالكثير مما يدل على مكانة المسجد الاقصى وعلى فضل الصلاة فيه :

روى الشيخان عن أبى ذر قال: قلت : يا رسول الله أى مسجد وضع فى الارض أول : قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ، قال : المسجد الاقصى •

وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى •

وروى ابن ماجه عن ميمونة

كذلك قالت : قلت : يا رسول الله أفتنا فى بيت المقدس قال : أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كألف صلاة فى غيره) .

وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة الرجل فى المسجد الاقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاة فى مسجدى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة). ويطلق المسجد الاقصى على المسجد والساحة المقدسة كلها وهى تبلغ أربعة وثلاثين فدانا .

وقد شاء الله أن يجمع معابد الاديان السماوية فى بقعة واحدة من الارض المقدسة فاجتمع المسجد الاقصى وكنيسة القيامة وحائط المبكى ، واجتماعها يدل على أن بيت المقدس ملتقى أديان السماء: الموسوية والمسيحية والاسلام .

عناية المسلمين ببيت المقدس :

لم تنم عناية المسلمين ببيت المقدس فى تاريخها الطويل فرأى خلفاؤهم وملوكهم فى ظلالها الارض المباركة المقدسة فقد انتشلها عمر ابن الخطاب رضى الله عنه من أيدى الرومان الذين دمروها أكثر من مرة وفيها بويع معاوية بالخلافة بعد أن اجتمعت له كلمة المسلمين بتنازل الحسن بن على له عن خلافة المسلمين حقنا للدماء .

وفيها شيد عبد الملك بن مروان الاموى قبة الصخرة فوق الصخرة المقدسة وأنفق فى ذلك خراج مصر لسبع سنوات .

وفيها جدد الوليد بن عبد الملك بناء المسجد الاقصى أو مسجد عمر .

وفيها شيد أثرياء المسلمين ، على اختلاف أقطارهم وجنسياتهم الكثير من المساجد والمدارس التى درست فيها علوم الدين واللغة وأوقفوا على الكثير من بيوت الله هنالك الاوقاف والاموال فى مختلف عهود التاريخ ونجاها صلاح الدين من الصليبية الغازية التى أتت على الكثير من التراث الاسلامى فيها وفى غيرها ، واليها توافد المسلمون

فى مختلف العصور من آفاق الأرض لزيارة تلك الارض المقدسة حيث رأوها الحرم الثالث .

ومنها أحب الكثير من المسلمين الاحرام بالحج والعمرة طلبا لمغفرة الله ورضوانه حينما رق أسماعهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الاقصى غفر الله ما تقدم من ذنبه .

رحلة التاريخ السياسى :

انها لرحلة طويلة تلك التى مر بها بيت المقدس منذ الماضى البعيد حكمته خلالها أمم اختلفت جنسياتها ولغاتها وأديانها وموقفها منه ومن سكانه من حيث التقدير أو الاستهانة وهذه بعض الامم والجنسيات التى حكمت بيت المقدس .

قبل الفتح الاسلامى :

ان أول من عرفهم التاريخ ممن حكموا بيت المقدس هم البيوسيون الذين هاجروا من جزيرة العرب قبل الميلاد بثلاثين قرنا فاستوطنوا هذه المنطقة وشيدوا فيها عاصمتهم وخلعوا عليها من اسمهم اسما لها حيث سموها بيوس .

ثم خلفهم الكنعانيون فى حكمها وهم من العرب المهاجرين من جزيرة العرب كذلك وأطلقوا عليها اسم يوروشالم ثم خلفهم العبرانيون الذين ملكو الشام وعلى رأسهم داود عليه السلام فاتخذ تلك المدينة قاعدة لملكه ، وخلفه سليمان عليه السلام فى ذلك الملك ثم تقاسم ابناه الملك فانقسم ملك سليمان الى دولتين : يهوذا وعاصمتها أورشليم واسرائيل وعاصمتها شليم (نابلس) .

ثم غزا الاشوريون مملكة اسرائيل وقضوا عليها كما غزا البابليون مملكة يهوذا ودمروا الكثير من آثارها .

ثم ضم الفرس تلك المنطقة من العالم الى ملكهم وأحسنوا الى العبرانيين فسمحوا لهم بالعودة اليها بعد أن طردوا منها .

ثم غزا الرومان تلك البلاد

ودمروا المدينة وأحلوا محلها مدينة جديدة سموها (ايلياء) بيت الله ولما تنصر الرومان طردوا اليهود من المدينة لغدرهم بالمسيح عليه السلام •

وبقيت المدينة تحت حكم الرومان حتى فتحها المسلمون •

بعد الفتح الاسلامى :

لقد نصر الله الجيش الاسلامى على الرومان فى بلاد الشام وتقدم الى ايلياء (بيت المقدس) فتحصن أهلها بأسوارها وحاصرهم المسلمون أربعة أشهر ثم طلب سكان بيت المقدس الصلح على أن يوقع عقد الامان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب واستجاب عمر ، وخرج من المدينة الى الشام على ظهر بعيره تتقاذفه الوديان والصحارى وليس معه غير غلام يتولى شئونه حتى بلغ القدس ووقع وثيقة الامان ونصها كما جاء فى تاريخ الطبرى :

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الامان : أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صلبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود •

وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها اللصوت (اللصوص) فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبانهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبانهم حتى يبلغوا مأمنهم •

ومن كان بها من أهل الارض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أهله فانه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله

وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

ووقع هذا العقد : عمر ابن الخطاب ، وشهد عليه : خالد ابن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية ابن أبى سفيان .

وكان هذا العهد الامان كله لاهل بيت المقدس حين رأوا فى ظلاله حياة الامن ولمسوا على اختلاف أديانهم سماحة الاسلام .

وعاش أهل بيت المقدس مع المسلمين حياة دعة واستقرار فى عهد بنى أمية والعباسيين .

ثم نشبت الحروب الصليبية واضطربت هذه المنطقة من العالم، واستهدفت حملات الصليبيين الاستيلاء على بيت المقدس وقد أريق فى تلك الحروب الكثير من دماء العرب مسلمين ومسيحيين دفاعا عن الارض المقدسة .

ثم هيأ الله لنصرة القدس القائد المظفر صلاح الدين فجاهد حتى حقق الله له النصر الذى وعده من عباده فأعاد الحرم الثالث الى أهله ليعيش فيه المسلمون والمسيحيون اخوة .

وعاشوا اخوة متحابين فى ظل الحكم الايوبى والمملوكى والعثمانى .

ثم غزا الارض المقدسة البريطانيون ابان الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٧ ثم جلوا عنها وسلموها لليهود سنة ١٩٤٧ .

وتحرك العرب لاسترجاعها سنة ١٩٤٨ ونشبت بينهم وبين اليهود حروب لا يعلم الا الله متى تنتهى ليعود السلام الى الارض المقدسة .

واخيرا :

تلك هى القدس العربية الاسلامية التى قاست فى التاريخ ما لا يطاق ، وقد عاشت فى ظل ألوية الاسلام ثلاثة عشر قرنا من الزمان أفاضت سماحة الاسلام خلالها على ساكنيها وزائريها أنبل ما عرفته الانسانية من سماحة عاش فى كرمها المسلمون والمسيحيون واليهود اخوة تربطهم على اختلاف أديانهم قداسة الارض

والصلوات التى تزخر بها المساجد والكنائس والبيع ، والمؤمنون منهم جميعا يذكرون أن تراب القدس مس جباه الانبياء من العبرانيين والعرب ، وأن من أرجائها انطلق الى رب السماء دعاؤهم ، وأن دعوة أديانهم جميعا حداها حين سارت على الارض المقدسة الحب الذى سما بالانسانية عن حبائل الانانية وشباك الاهواء ، وقد ربطت بينهم فى ظل الاسلام روابط البر والتعاطف ومن ثم عاشوا حياة الامن • وان حماقة المتعصبين من اليهود لدعوى أحقيتهم بملكية القدس وغيرها من أرض الشام لانها كانت مملوكة لداود وسليمان ويهوذا واسرائيل ساقتهم الى الاسراف فى التشبث بأحلام سرابية ينكرها عليهم منطق الحق والتاريخ •

فبيت المقدس بلد عربى من قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثلاثين قرنا وملك داود وسليمان له لم يتجاوز سبعين عاما ، ومملكة يهوذا قامت حينا ثم قضى عليهم البابليون ، وأجلى الرومان خلال حكمهم كل اليهود عنها •

ثم تجلت عليهم سماحة الاسلام فى السماح لهم بالعودة لا ليملكوا أو يسيطروا •

وحينما طرد الاسبان اليهود من أسبانيا فتحت القدس لهم أبوابها واستقبلت منهم آلاف الاسر ليقيموا مع المسلمين والمسيحيين بين رحاب الارض المقدسة •

فاذا مد اليوم اليهم العرب من المسلمين والمسيحيين أيديهم حبا فى حقن الدم الذى لطخ قداسة تلك الارض أكثر من ثلاثين عاما فليس ذلك عن ضعف أو خوفولكن العرب من مركز القوة ينادون بالسلام لتعيش القدس كما كانت ملتقى الاديان السماوية تظللها ألوية الامان والسلام ولعل حكام اسرائيل يستجيبون الى صوت السلام ويؤمنون بحقيقة عروبة القدس فالأحلام والأوهام سينتصر عليهما وان طال الزمن السلام ،،،

دكتور : محمد محمد خليفة

حول الإسراء والمعراج

رؤية جديدة

للأستاذ / على عبد العظيم

خلقنا الله مقيدين بحدود الزمان والمكان فلا نستطيع أن نعيش الا عصرا واحدا محدودا بتاريخ معين فلا يمكن أن نحيا مع قدماء المصريين والعصر الحديث معا ولا يمكن أن نعيش فى أمريكا الجنوبية وفى مصر معا فى وقت واحد .. ولكننا نستطيع أن نتخلص من حدود الزمان والمكان أثناء الأحلام فنجمع بين الشرق والغرب والقديم والحديث معا فى وقت واحد ، فقد نرى آباءنا وأجدادنا بعد أن فارقوا الحياة وانقطعت صلاتهم بالحياة الدنيا وقد ننتقل الى أقصى الشرق أو أقصى الغرب فى ثوان معدودات دون أن نبارح مكاننا — والفرق بيننا — معشر البشر — وبين الانبياء أن احلامهم وحى يوحى وليست أضغاث أحلام فحينما رأى ابراهيم — أبو الانبياء — أنه يذبح ابنه اسماعيل فى المنام بادر بتنفيذ هذه الرؤيا فى اليقظة لانها وحى يوحى بالنسبة اليه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « تنام عيناى وقلبى يقظان » ومعنى ذلك أن روحه النقية الصافية تتصل بالسماء وتتلقى الوحى عن الله سبحانه وهو فى سبات عميق ولا ينسى فى يقظته ما تلقاه فى منامه — وفى حديث الاسراء والمعراج يقول الامام البخارى (١)

---

(١) رواه البخارى فى كتاب التوحيد ورواه مسلم أيضا .

عن شريك بن عبد الله « سمعت أنس بن مالك يقول : ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه ثلاثة نفر وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم وقال آخرهم خذوا خيرهم ، فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى » .

— فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه — وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم — فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه جبريل منهم فشق ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب محشو ايمانا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده — يعنى عروق حلقه ، ثم اطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا ... الى أن يقول ... فاستيقظ وهو بالمسجد الحرام » ويؤيد هذه الرواية قوله تعالى **« وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس »** والرؤيا فى التعبير القرآنى هى الحلم الذى يشاهده الانسان أثناء رقاده كما قال يوسف عليه السلام **« يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا »** حيث قال فى أول قصته لابيه **« يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين »** .

والفرق بين أحلامنا وأحلام الانبياء أنها عندهم وحى يوحى كما ذكرنا ومن هنا نستطيع أن نقول اذ حدود الزمان والمكان قد تلاشت فى هذه الليلة بالنسبة الى النبى صلى الله عليه وسلم — أما الزمان فقد انطوى بالنسبة اليه حيث انتقل من مكة الى بيت المقدس فى لحظات معدودات كما انطوت الحدود الزمانية عنده فرأى آدم وابراهيم وادريس وموسى وعيسى عليه وعليهم الصلاة والسلام ورأى مشاهد عديدة من الدار الآخرة فرأى أهل الجنة وهم يتنعمون فيها ورأى أهل النار وهم يعذبون فيها ، روى

أبو هريرة من حـــديث طويل (١) « ••• فسار النبى صلى الله عليه وسلم ، وسار جبريل معه فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبى صــلى الله عليه وســـلم يا جبريل ما هـــذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضـــاعف لهم الحســـنة بســـبعمائة ضعف « وما انفقو من شىء فهو يخلفــه وهو خـــير الرازقين » • ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر كلمـــا رضـــخت عادت كمـــا كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شىء فقال ما هـــؤلاء يا جبريل ؟ قال هـــؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصـــلاة المكتـــوبة ، ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كمـــا تسرح الابل والنعم ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتهـــا قال فما هؤلاء يا جبريل ؟ قال هـــؤلاء الـــذين لا يؤدون صـــــــدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى شيئا وما الله بظـــلام للعبيد ، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضـــــيج فى قدر ولحم نىء فى قـــدر خبيث فجعلوا يأكلـــون من اللحم النىء الخبيث ويدعون النضـــــيج الطيب فقال ما هؤلاء يا جبريل ؟ فقال هـــــذا الرجل من أمتك تكون عنده المـــرأة الحلال الطيبة فيأتى امرأة خبيثـــة فيبيت عندها حتى يصـــبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبـــا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح • قال ثم أتى على خشـــبة فى الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شىء الا خرقته قال ما هـــــذا يا جبريل ؟ قال هذا مثل اقوام من امتك يقعـــــدون على الطـــــريق فيقطعونهـــا ثم تلا قوله تعـــــالى « ولا تقعدون بكل صراط توعدون وتصدون عن ســـبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا » ثم أتى على رجل قد جمـــع حزمة عظيمـــــة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات

---

(١) رواه ابن جرير والبيهقى وابن أبى حاتم •

الناس لا يقدر على أدائهــا وهو يريد أن يحمل عليها ، ثم أتى على قوم تقرض ألسـنتهم وشـفاههم بمقاريض من حـديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتـر عنهم من ذلك شيء فقال ما هذا يا جبريل ؟ فقال هـؤلاء خطبـاء الفتنـة ، ثم أتى عـلى حجـر صـغير يخـرج منـه ثور عظيم فجعـل الثور يريد أن يرجـع من حيث خرج فلا يسـتطيع فقال ما هذا يا جبريل ؟ فقال هذا الرجل يتكلم بالعظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها ، ثم أتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح مسـك وسمع صوتا فقال يا جبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة ؟ وما هـذا المسـك ؟ وما هذا الصـوت ؟ قال هذا صـوت الجنة تقول : يا رب ائتنى بما وعدتنى فقد كثرت غرفى واسـتبرقى وحريرى وسندسى وعبقرى ولؤلئى ومرجانى وفضتى وذهبى وأكوابى وصحافى وأباريقى وأكؤسى وعسـلى ومائى ولبنى وخمرى فائتنى بما وعـدتنى فقال لك كل مسـلم ومسـلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بى وبرسـلى وعمل صالحا ولم يشرك بى شيئا ولم يتخذ من دونى أندادا ، ومن خشينى فهو آمن ، ومن سـألنى أعطيته ومن اقرضنى جزيتـه ومن توكل عـلى كفيتـه انى أنا الله لا أخلف الميعاد وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين قالت الجنة قد رضيت ، ثم أتى على واد فسمع صـوتا منكرا ووجد ريحا خبيثـة فقال : ما هـذه الريح يا جبريل ؟ وما هذا الصوت ؟ فقال هذا صوت جهنم تقول يا رب ائتنى بما وعدتنى فقد كثرت سـلاسلى وأغـلالى وسـعيرى وحميمى وضريعى وغساقى وعذابى وقد بعد قعرى واشـتد حرى فائتنى بما وعـدتنى (١) ، قال لك كـل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل خبيث وخبيثة وكل جبـار لا يؤمن

---

(١) هذا مأخوذ من قوله تعالى :
« اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا » .
وقوله تعالى : « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » .

بيوم الحساب قالت قد رضيت ••• » •

أما طى المكان فقد طوى الله لنبيه المسافة بين مكة وبيت المقدس فقطعها فى لحظات معدودات على حين تقطعها القوافل فى شهر أو أزيد وطوى الله له ما بين الارض والسموات العلا فقطعهن فى أقل من ليلة واحدة • وجاوزهن الى سدرة المنتهى ورأى من عجائب الكائنات ما لم يره من قبله أو من بعده أحد ، ولم يشهد ولن يشهد — له الوجود مثيلا من قبل أو من بعد فقد كشف الله عن بصره وبصيرته معا وأمده بمدد من عنده فرأى رأى العيان وهو فى حالة ليس بالنائم فيها ولا اليقظان ما لم تره قط عينان حيث تلاشى أمامه الزمان والمكان فرأى معالم الماضى السحيق وأبصر مشاهد المستقبل البعيد وشاهد فى صورة مجسمة ما كان يوحى اليه به فى صورة معنوية ولمس الحقائق الروحية لمس العيان — وما راء كمن سمع — وقد ذهب ابن اسحق — وهو أقدم كتاب السيرة النبوية وأشهرهم الى ان المعراج كان رؤيا من الله صادقة — ورؤيا الانبياء حق لا ينكر ، وروى بسنده عن الاخنس عن معاوية الصحابى وكاتب الوحى أنه كان اذا سئل عن المعراج قال انه رؤيا من الله صادقة ولعله يستند فى هذا الى قوله تعالى **« وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس »** ويقول ابن اسحق عن بعض آل أبى بكر أن السيدة عائشة رضى الله عنها كانت تقول : « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أسرى بروحه » قال ابن اسحق « فلم ينكر ذلك من قولها » ونحن نعلم انها عند المعراج لم تكن زوجة للرسول صلى الله عليه وسلم فقد تزوجها بعد ذلك ولكن لعلها سمعت منه ما أبدته من رأى وأنه انكشف أمامه حجاب بعد حجاب وزال ستار بعد ستار هذا ما يتعلق بالمعراج أما ما يتعلق بالاسراء فقد أسرى به صلى الله عليه وسلم بالروح والجسد معا يقظة لا مناما ، ويقول ابن كثير « أن التسبيح فى قوله

تعالى «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا» انما يكون عند الأمور العظام فلو كان مناما لم يكن فيه كبير شىء ولم يكن مستعظما وما بادرت كفار قريش الى تكذيبه وما ارتدت جماعة من المسلمين ، وأيضا فان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد .. وقال تعالى «وما زاغ البصر وما طغى» والبصر من آلات الذات لا الروح ، وهو أيضا حمل على البراق (١) . وانما يكون هذا للبدن لا للروح انها لا تحتاج فى حركتها الى مركب تركب عليه والله أعلم» .

ومما يؤيد رأى ابن كثير ما رواه شداد بن أوس قال : قلنا يا رسول الله كيف أسرى بك قال : «صليت صلاة العتمة بمكة فأتانى جبريل عليه السلام بدابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل فقال اركب فاستصعب على فوازها بأذنها ثم حملنى عليها فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث انتهى طرفها حتى بلغنا أرضا ذات نخل فأنزلنى فقال : صل فصليت ثم ركبت فقال تدرى أين صليت ؟ قلت الله أعلم قال : صليت بيثرب ، صليت بطيبة ، فانطلقت بنا تهوى يقع حافرها عند منتهى طرفها ثم بلغنا أرضا قال انزل ثم قال صل فصليت ثم ركبنا فقال تدرى أين صيلت ؟ قلت الله أعلم قال صليت بمدين عند شجرة موسى ثم انطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضا بدت لنا قصور فقال انزل فنزلت فقال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدرى أين صليت ؟ قلت الله أعلم قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم ، ثم انطلق بى حيث دخلنا المدينة من بابها اليمانى فأتى قبلة المسجد فربط فيه دابته ودخلنا المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر فصليت من المسجد حيثشاء الله وأخذنى من العطش أشد ما أخذنى

---

(١) لعل اسمها مشتق من البرق لسرعتها ، ولعلها طاقة جسمها الله فى صورة مادية ليأنس اليها الرسول صلى الله عليه وسلم تثبيتا لفؤاده .

فأتيت باناءين فى أحدهما لبن وفى الآخر عسل أرسل الى بهما جميعا فعدلت بينهما ثم هدانى الله عز وجل فأخذت اللبن فشربت حتى عرقت به جبينى وبين يدى شيخ متكىء فقال أخذ صاحبك الفطرة انه ليهدى .. ثم انصرف بى فمررنا بعير لقريش بمكان كذا أو كذا قد أضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتيت أصحابى قبل الصبح بمكة فأتانى أبو بكر رضى الله عنه فقال يا رسول الله أين كنت الليلة » ؟ فقد التمستك فى منامك فقلت علمت أننى أتيت بيت المقدس الليلة فقال يا رسول الله انه مسيرة شهر فصفه لى ففتح لى صراط كأنى أنظر اليه لا يسألنى عن شىء الا أنبأته به فقال أبو بكر أشهد أنك لرسول الله وقال المشركون انظروا الى ابن أبى كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة قلت فمن آية ما أقول لكم أنى مررت بعير لكم فى مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيرا لهم فجمعه لهم فلان وان مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغوارتان سوداوان ـ فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريبا من نصف النهار حتى أقبلت البعير يقدمهم ذلك الجمل الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه البيهقى من طريقين أحدهما عن الترمذى ثم قال ان اسناده صحيح .

وليس عجيبا أن يتم هذا بمثل هذه السرعة المذهلة فان المركبات الفضائية ــ وهى من صنع البشر ــ تطوف حول الكرة الارضية فى ساعة ونصف الساعة ، وقد أنبأنا الله سبحانه أن الذى عنده علم من الكتاب أتى بعرش بلقيس من سبأ الى بيت المقدس فى طرفة عين وهى ضعف المسافة بين مكة وبيت المقدس وتبارك الخلاق العظيم القادر على ما تقدره وما لا تقدره العقول انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .

على عبد العظيم

الإسراء والمعراج
بالجسد والروح معاً

بقلم الدكتور / محمد محمد الشرقاوي

كل ما جرت به حوادث وأحداث الاسراء والمعراج يدل بما لا يدع مجالا للشك أن للجسد والروح معا دورهما الأساسي والرئيسي فى تحقق وصدق ما جاءت به أخبار الكتاب المقطوع بصدقها ، وأنباء السنة التى هى أصح وأوفى مانطق به اللسان العربى بعد كتاب الله تعالى .

.. واذا عرفنا أن حادثى الاسراء والمعراج معجزة المعجزات بعد كتاب الله تعالى ، وآية الآيات على قدرة الخالق جل وعلا ، ورفعة الرسول صلى الله عليه وسلم .. أدركنا الى أى مدى نتجنى على مفاهيم الدين الخالص .. حين نسلكها فى عداد العادات الجارية ، والماجريات المعهودة .. فنتلمس لها فى عالم الأسباب والمسببات مكانا ، أو نتخذ لها فى محراب العلم والعلماء مجلسا ، أو نفسر لها فى محيط المعقول مظهرا ومخبرا .. اننا بذلك ننسى أو نتناسى أننا فى مواجهة حقيقة دينية عليا .. يسمو على الأفكار استيعاب مضامينها ، ويعز على العقول المحدودة الادراك والمواهب منال كنهها ، وترتيب مساراتها .. لأنها فوق ذلك كله .. من حيث أنها العلامة الوحيدة المميزة للنبى من الدعى ، وكما يقول علماء التوحيد ان المعجزة للرسول بمنزلة قول الله تعالى : (صدق عبدى فيما يبلغ عنى) ، ولقد تهاوت الفلسفة،

وتهافت الفلاسفة تحت معول الامام الغزالى رحمه الله تعالى . فقد أبطل الغزالى مذهبهم المادى الذى كان يرصد عالم الغيب من خلال المعقولات .. حتى اذا استغلق عليهم ادراك ما وراء الطبيعة بالعقل المجرد كفروا بعالم الروح ، وصدوا عنه .. فحاجهم الغزالى بسلاح الجدل المنطقى الذى دانوا به .. حتى حجهم ، وخاصمهم بالدليل البرهانى حتى خصمهم ، وكشف لهم حقيقة غابت عنهم : وهى أن عالم الغيب فوق مدارك العقل .. لأن العقل يدور فى فلك المحسات .. فهو لا يفكر ولا يتخيل ، ولا يتوهم الا ضمن تلك الدائرة المحددة .. على حين أن ما وراء الطبيعة خارج عن تلك الدائرة ، ومخالف لها فى المضمون والشكل ، والجوهر والعرض ، وأنه فوق مداركنا القاصرة ، وحواسنا المادية .. ومثل ذلك نقول فى ظاهرة المعجزات التى يصدق الله بها أنبياءه ورسله حين يتحدى بها البشر على مستوى الأزل والأبد .. ليقوم الدليل القاطع والبرهان الساطع على أحقية الدعوة التى يدعون بها الى الله ، وسلامة المنهج الذى يسنونه للانسانية ، ونستطيع أن ندلك على واقعية الجسد والروح فى معجزة الاسراء والمعراج على النحو التالى :

١ — فى التعبير القرآنى الكريم عن حادث الاسراء بمن والى فى قوله تعالى : **(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجدالحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير)** الاسراء /١ دليل على الجسمية .. لأن من لابتداء الغاية فى أكثر مدلولاتها اللغوية .. والى لانتهائها — ولا غاية ذات بداية ونهاية الا للأجساد والماديات .. لأن الأرواح لا تحدها الأزمنة ولا الأمكنة بدليل ما نراه فى المنام من سريان الروح حيث شاءت بلا حدود ولا قيود وفى تفسير الكشاف ج ١ : ٥٤٠ : (ان الله

تعالى أسرى به فى بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة .. ذلك لأن التنكير فى الليل بقوله ليلا قد دل على معنى البعضية) ففى قطع هذه المسافة الشاسعة فى تلك الفترة الوجيزة يكمن سر الاعجاز والمعجزة الذى تم للرسول صلى الله عليه وسلم على البراق بصحبة جبريل وميكائيل عليهما السلام كما جاءت بذلك الأخبار الصحيحة ، وبدون الاستعانة بعلم ولا توسيط آلات أو معدات أو وسائل للنقل السريع ، والتحرك الخاطف .. ولو كان الأمر حركة بالروح فى المنام لما استوجب هذا التنويه العظيم ، بهذا الأمر الخارق للعادات ، المعجز للبشر .. لأن سريان الروح لا اعجاز فيه ولا اختصاص به .

٢ ــ حينما امتحن أبو بكر رضى الله عنه بالخبر ــ كما فى السيرة الحلبية جا/٣٧٨ ــ وجاءه رجال من المشركين ، فقالوا له : هل لك الى صاحبك .. يزعم أنه أسرى به الليلة من بيت المقدس ..أو قال : ذلك ؟ .. قالوا : نعم .. قال : .ئن قال ذلك لقد صدق .. قالوا تصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ .. قال : نعم انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك .. أصدقه فى خبر السماء فى غدوة وروحة)أى : أنى لأصدقه فيما يخبرنى به من أن الخبر يأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة واحدة من ليل أو نهار .. فهذا أبعد مما تعجبون منه .. لأن مابين السماء والأرض أفسح مدى مما بين مكة والشام ، وأبعد أمدا من الأربعين ليلة التى تفصل بينهما فى السفر اليهما مصعدا مرة .. ونازلا مرة أخرى .. ومن خلال هذا الحوار تبدو معالم الجسدية والحركة الجسمية وهى محور الاستغراب ، ودعامة العجب العجاب وليس الروح وحده .. لأن العقل لا يستبعد ذلك فى الروح المجرد ..وانما يستبعده حين يخرج عن دائرة الامكان الوجودى ، والعادة المتبعة ، وحديث الصديق أبى بكر

يستند الى قياس كيان بكيـان •• وكل من الكيانين لا يتأتى به القياس الا اذا استند الى الروح والجسد سويا •• فخبر السماء الذى يتردد به جبريل عليه السلام بين الحين والحين فيما بين السماوات العلا والأرض •• انما يتضمن انتقال الروح والجسد الذى فطره الله عليه •• أيا كان كنهه ، وكيفما كانت طبيعته ، ولا يتصور الايمان فى ذلك بالروح المجرد من هيكلها •• بعد أن ثبت بالحديث الصحيح أن جبريل كان يتمثل للرسول صلى الله عليه وسلم رجلا سويا فى صورة دحية الكلبى ــ كما فى السيرة النبوية للزينى ــ جـ ١ : ١٦٥ ــ فقد كان دحية بن خليفة الكلبى جميلا وسيما •• قال فى فتح البارى : (والحق أن تمثل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته انقلبت الى ذات رجل بل معناه : أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه ، والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى ، بل يخفى على الرائى فقط) •

وسواء انتقل جبريل عليه السلام فى جسمه الأصلى فى الملأ الأعلى •• أو فى صورته البشرية فى الملأ الأدنى •• فان هناك جسدا وروحا يتعانقان فى الحركة •• ومن أجلهما صح قياس الصديق فى نظره أولا •• ثم فى افحام خصومه ثانيا •• وحتمية هذا القياس وقضيته : أن المقيس وهو حركة الرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ليلا فى ساعة أو بعض ساعة انما كان جسدا وروحا •• حتى يستقيم القياس ، ويصح الجدل ، وتقوم الحجة ، وتتم المعجزة •• ومن هنا سمى أبو بكر : الصديق •

٣ ــ أن ما روى عن عائشة رضى الله عنها وهى الصديقة بنت الصديق بأن جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفقد •• والقول بأنها ترى أن عروجه صلى الله عليه وسلم كان بالروح فقط •• ونسب مثله الى معاوية رضى الله عنه •• انما هو مخالف لأكثر

الأقاويل المعتمدة (الكشاف جـ ١ : ٥٤٠) ذلك : لأن قولها : (والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم) انما كان تعبيرا صادقا منها رضى الله عنها فى فترة ما بعد دخوله صلى الله عليه وسلم عليها، وبنائه بها فى المدينة فى السنة الثانية للهجرة •• وهذا صحيح •• لأن الاسراء والمعراج لم يكونا بالمدينة •• وانما كانا فى مكة قبل الهجرة بسنة واحدة على الراجح •• أى قبل بنائه صلى الله عليه وسلم بعائشة •• والمعروف تاريخيا أنها فى ذلك الوقت كانت فى نحو الثامنة من عمرها •• ويبعد كثيرا أن فتاة فى مثل هذه السن تقضى بعض وقتها مع لداتها فى اللعب واللهو •• تدرك ادراكا تاما حادث الاسراء والمعراج على نحو ما أدركه أبوها وأمثاله من جلة الصحابة وأكابرهم الذين شهدوا الواقعتين حدثا وخبرا ، وحوارا وتصديقا •• بل ان حديث عائشة رضى الله عنها يؤكد عدم وقوع الاسراء والمعراج فى المدينة ولا يدل على أكثر من ذلك •

٤ ـ حين التقى الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض الأنبياء والمرسلين فى السماوات وسلم عليهم وسلموا عليه ورحبوا به •• جرى بين بعضهم وبينه حوار ، ووقع تصوير وتشبيه لما رأى فى بعضهم من ملامح ، ومن ذلك قوله فى وصف ابراهيم عليه السلام : (فوالله انه لأشبه الناس بى خلقا وخلقا) وفى رواية : (لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه) ، يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم فضجوا وأعظموا ذلك ، وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجبا ، حتى قال المطعم بن عدى : ان أمرك قبل اليوم كان أمما ـ أى يسيرا ـ غير قولك اليوم ، وأنا أشهد أنك كاذب •• نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ، ومنحدرا شهرا •• أتزعم أنك آتيته فى ليلة واحدة ؟ •• واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا

الذى تقول قط ،ورد عليه أبوبكر : يامطعم بئس ما قلت لابن أخيك•• جبهته وكذبته •• أنا أشهد أنــه صادق ، وقد شارك الصــديق فى تصديقه كل من ثبت على الاسلام، ولم تزل به قدمه ، وكقوله عليه الصلاة والسلام فى وصف موسى عليه السلام : ضخم آدم طــويل كأنه من رجال شنوءة ـــ وهى طائفة من اليمن يعرفون بالطول ، وقوله فى عيسى عليه الســلام : فـــوق الربعة ودون الطويل تعلوه حمرة ، كأنما يتحادر من لحيته الجمــان)

ومن ذلك الحوار الذى دار بينــه وبين موسى عليه السلام بشــأن طلب التخفيف فى أعداد الصــلاة حتى صــارت خمســا فى الفعــل وخمسين فى الأجر كما استفاضت بذلك كتب السيرة ، والأحــاديث المشهورة •• كل هذا بما فيــه من تعجب العاجبين ، وكفر الكافرين ، وتصديق المصدقين يعطينا صورة صادقة عن وقائع الاسراء والمعراج من خلال جسد الرسول وروحــه معا •• أما الروح وحدها فلا يتأتى منها حوار ولا توصيف ولايستبعد منها صعود ولا نزول ولا تشريق•

٥ ـــ فى تعبير القــرآن الكريم بكلمة (عبـــده) فى أول ســورة الاسراء اشارة واضحة الى طبيعة المسرى به ، وأنه مجموع الجسد والروح •• اذ أن كلمة العبد لابد وأن يتوافر فى مدلولها ذات مكونة منهما مع زيادة وصف العبودية •• التى لا تتمثل الا فى جسد خاضع وروح مؤمن ، ولا يقـــال للروح وحده عبد الله كما لا يقال للجسد وحده ذلك •• لفقدان أهم شروط العبودية وهى التسليم الظاهرى والانقياد الجسدى مع الايمـــان القلبى ، والتصـــديق الجــازم المطابق للواقـــع عن دليـــل ، ومن تسليم الظاهر وتصديق الباطن يكون العبــد موســوما بوصــف العبودية ، وتصح نسبته الى ربه فى مقــام التعظيم للمعبـــود ، والامتنان على العبد •

دكتور / محمد محمد الشرقاوى

رحلة عبر خط الوحى

للدكتور/السيد رزق الطويل

لن أتحدث عن الاسراء والمعراج بمثل ما ألف المتحدثون أن يتناولوه عنهما فى شهر رجب من كل عام ، ولن أفيض فيما أفاض فيه الكاتبون قديما وحديثا من جدل عنيف حول الآيتين العظيمتين من حيث الزمان والمكان والكيفية ، ولكنى سألقى الضوء على جوانب هامة أهملت منهما مع أنها أولى بالوقوف والنظر ، وأحق بالاعتبار والتفكر ، وفى الوقوف عندها ينجلى تفسير بعض الامور ، أو بعض الآيات من الكتاب العزيز التى نركب متن الشطط فى تفسيرها ، أو نتجه بها الى غير الوجهة الصحيحة التى يجب أن تتجه اليها .

لقد شغل تفكير المسلمين ، وما يزال مشغولا بتحرير هذه القضايا والفصل فيها واصدار كل طرف حكمه على الطرف الآخر الذى يخالفه الرأى فى واحدة منها .

متى كانت الاسراء والمعراج ؟ ومن أين بدأ الاسراء ؟ وهل وقع الحدثان فى ليلة واحدة ، أو فى مناسبتين مختلفتين ؟ وهل كانا بالروح والجسد جميعا أو كانا بالروح فقط ؟ أو كان الاسراء بهما والمعراج رؤيا منام ؟

ولأننا لا نريد أن نسرف على أنفسنا وعلى الناس فى بعث خلاف قديم عرفه المجتمع المسلم منذ عصر الصحابة الأبرار حينما كان بعضهم يرى رأيا فيهما ، وبعضهم يرى رأيا آخر مع أنهم حديثو عهد بزمن الآيتين ، ومن غير أن يثير

الخلاف شقاقا فى المجتمــع الكريم أو فرقة باغية فيه .

ولذا ننتهى الى حقيقة نقررها ، ولا نخال أحدا يختلف عليها وهى أن الاسراء حقيقة لا ريب فيهــا ، وكذا المعراج ، وأنهما عنــد أهــل القصد والاعتدال حدثتا لرســول الله صلى الله عليه وسلم على نحو من الأنحاء .

وأمر آخر هو أن المعنى بالآيتين هو رسول الله صلى الله عليهوسلم لاستنقاذه من هموم غالبة،وأحزان ضارية تتمثــل فى صلف الباغين ، وشراسة المشركين ، وفقد النصراء الصادقين حتى خيل اليه فى موقف أنه وحــده يحس بضــعفه ، وقلة حيلته وهوانه عــلى الناس فضرع الى الله ، شأنه فى كل ما يحز بــه من أمور .. فكانت الآيتان همــا الوسيلة لاستخلاص النفس القوية من عواصف الهم والالم والحزن. نلمس هذا من قوله تعــــالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليــلا من المسجد الحرام الى المســجد الاقصى الــذى باركنــا حــوله ، لنريه من آياتنا انه هــو الســميع البصير) ويقول تعالى فى ســورة النجم على رأى من يفسر آياتهــا الاولى بأنها متصــلة بموضــوع المعراج : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .

ونتيجة لهــذا تجــددت نفس الداعية العظيم ، وأحرزت الدعوة نجاحا بعد نجاح حتى كانتالهجرة التى قامت بعدها للدعوة الــدولة منطلقة بخطى ثابتة راسخة نحــو النصر القريب والفتح العظيم .

وبقى علينا أن نعيش فى جوهذه الرحلة المبــاركة من مبــدئها الى منتهاها ونتساءل عن الحكمة وراء المبتدأ والمنتهى ؟ وماذا وراء الخط المستقيم الذى قطعته رحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلب بلاد الحجاز الى المســجد الاقصى الذى بارك الله حوله .

لقد بدأت الرحلة من مكة ، ومن مسجدها الحرام ، أول بنية فى هذا البلد الامين ، رفع قواعده ابراهيم وابنه اسماعيل ، فكان بهــذا أول بيت وضع للناس ، كما قال تعالى: (ان أول بيت وضــع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيــه

آيات بينات مقام ابراهيم • ومن دخله كان آمنا) واتخذت الرحلة خطا مستقيما اجتاز سلسلة جبال الحجاز منتهيا الى آخرها حيث سهول الشام ، وبيت المقدس الذى بارك الله حوله ، اذ بارك على من كان فيه من رسل وأنبياء ، كما بارك فى أرضه التى قدمت الخصب وبذلت الماء والثمر •

ولقد عاش فى بيت المقدس جمع من النبيين الكرام أفنوا حياتهم فى العلم والتعليم والدعوة الى الله تعالى •

وهذه الرحلة عبر هذا الخط المستقيم مرت بكل منازل الواحى، وطوفت بمهابطه الكريمة ، فمن حيث بدأت نزل الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى مسارها طوفت بمنازله على صالح وشعيب ولوط ، وبجانب الطور حيث نودى موسى عليه السلام ، ومن حيث انتهت نزل الوحى على زكريا ويحيى وعيسى وغير ممن سبقوهم من أنبياء بنى اسرائيل كداود وسليمان •

وهذا يعنى الترابط الوثيق بين رسالات الرسل التى جاءت هادية للبشر مرتبطة بهذا الخط الجغرافى من هذا الجزء المقدس والحيوى من العالم ، ليكون على مدى الزمان مصدر نور وهداية ، ومنطلق بر ورعاية ، فمن حوله تكامل بناء الرسالة السماوية أو قل تكامل بناء دين الله وهو الاسلام ، الذى أرسل الله به رسله جميعا عليهم السلام بدءا من نوح حتى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم الذى كان آخر لبنة فى البناء العظيم • يروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انما مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأكمله وزينه الا موضع لبنة فى زاوية من زواياه فقال الناس ما أجمل هذا البيت وما أحسنه !! لولا هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين •

كما تشير الرحلة الى الارتباط الوثيق بين الرسول الجد ابراهيم والرسول الحفيد محمد صلى الله عليه وسلم الذى كانت رسالته ، بل وأمته التى أرسل فيها كلاهما ثمرة دعوة ابراهيم عليه السلام

الذى قال وهو يبنى البيت الحرام، ومعه ابنه اسماعيل : **(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم)** ، سورة البقرة •

وقد شهد بهذا الارتباط قوله تعالى فى الآية الاخيرة من سورة الحج : **(وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا)** •

كما يبدو فى أمر الله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام أن يسير على منهج ابراهيم ، وهدى ملته السمحة فيقول تعالى فى سورة النحل : **(ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)** •

ويؤكده الصلاة الابراهيميةالتى تربط بين محمد وابراهيم فى صيغة واحدة للصلاة نقول فيها : (اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) •

ومعنى آخر •• هو أن الرحلة عبر خط الوحى تعنى أن يعيش النبى عليه الصلاة والسلام فى هذه اللحظات العابرة جهاد اخوانه النبيين ، وصبرهم الجميل ، وانتصار الله لهم ليزداد يقينا على يقين ، وثقة على ثقة من أن نصر الله له ــ برغم الاحزان والعقبات آت لا شك فيه •

ان خط الوحى هذا هو خط الهداية الالهية على اختلاف فترات التاريخ •

ومن هنا عندما يقسم الله تبارك وتعالى على تقويم الخلقة الانسانية وانتكاسها بالكفر وسموها بالايمان شمل القسم الالهى منازل الوحى كلها فقال تعالى : **(والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين • لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين • الا**

الذين آمنـوا وعملوا الصـالحات فلهم أجر غير ممنون)

فالتين والزيتـون فى الآية يراد بهما بيت المقدس ، وللوحى الالهى فيه منازل شتى •

وطور سينين حيث نودى موسى ونزل عليه الوحى لاول مرة وهـو يمر بجانب الطور عائدا من مدين الى مصر • واخبار الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام بهذا الحادث الدقيق جعله القرآن الكريم حجة على أن القرآن من عند الله وليس من صـناعة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول تعالى فى سورة القصص : **(وما كنت بجـانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين)** ثم يقول بعد هذا **(وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك)** •

والبلد الامين مكة المكرمة التى نزل فيها آخر وحى الهى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم •

وكأن الله تعالى يقسـم بمنازل وحيه على تكريم الانسان ، وتقويم خلقه ، وأن الانسان بمعصية ربه ينتـكس الى أسـفل سـافلين ، وبالايمان والعمل الصالح يستعيد سموه ويسترد كرامته • فما أسمى هذه الرحلة المباركة مسيرة وغاية ، وبدءا ونهاية !! وما أعظم حكمتهـا وما أبلغ موعظتهـا ومـا أكـرم أهدافهـا !! وما أحوجنـا الى أن نعيش هذه المعانى القـوية نابذين وراء كل خلاف يحـل العـرى ، ويوهن العزم عسى أن يفيـد لخط الوحى وحـدته وترابطه ، وقوته وتوثقه بعد أن تقلص من نهايته ، وأخـذ الاضـطراب يسـرع الى بدايته •

ان المسـلمين فى أمس الحاجة الى اسراء جديد ، يستردون فيـه ما اغتصب ، ويسترجعون ما سلب ويعيـدون العـزم القـوى لمن استضعف ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل •

د• السيد رزق الطويل

المسجد الأقصى ومكانته في الإسلام

للدكتور / أحمد عمر هاشم

للمسجد الاقصى مكانته العالية في الاسلام ، فهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومسرى رسولنا العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، قال الله تعالى : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير** » سورة الاسراء (١) .

وتأتى مكانة المسجد الاقصى بعد الحرمين الشريفين : المسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، ولزيارة هذه المساجد وشد الرحال اليها فضل عظيم ، ومثوبة كريمة من أجلها كان شد الرحال الى تلك المساجد مستحبا ، روى فى الصحيحين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى** » .

وميز الله تعالى العبادة فيه ، وضاعف ثوابها ، فجعل الصلاة فيه بخمسمائة صلاة فى غيره ، عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ، وفى مسجدى ألف صلاة ، وفى مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة » رواه البزار باسناد حسن .

وللمسجد الأقصى تاريخه القديم الذى يمتد عهود طويلة ، بل ان بناءه كان بعد بناء البيت الحرام ، عن أبى ذر رضى الله عنه

أنه قال : قلت يا رسول اللـــه أى مسجد وضع فى الارض أولا ؟ قال: المسجد الحرام قال : قلت : ثم أى؟ قال : المسجدالاقصى ، قال : قلت: كم بينهما قال : « أربعون سـنة » رواه الشيخان والنسائى .

واذا عرفنا قدم المسجد الاقصى ومكانته ، فان هناك سؤالا كثـيرا ما يتردد على ألسنة الباحثين وهو من أول من بنى المسجد الاقصى ؟ وللاجابة على هذا السؤال ، نورد هنا بعض الآراء العلمية التى قال بها العلماء والباحثون :

فمن ذلك : القول بأن الذى بنى المسجد الاقصى هو أبو الانبيـــاء وأبو البشر آدم عليه السلام .

ومن العلماء من يرى أن سام بن نوح هو الذى كان أول بان له . ومنهم من قال : أول من بنـاه وأرى موضعه يعقوب بن اسحاق عليهما السلام .

ومن هذه الآراء العلمية يتضح لنا أن بناء داود وسليمان عليهمـا السلام انما كان تجـديدا للبيت وليس تأسيسا له .

وأرى أن تلك الآراء السابقـة لا تنافى بينها ، ويمكن الجمع بينهـا فمن المحتمل أن تكون الملائكة قـد بنت المسـجد الاقصى ، وأن آدم عليه السلام قد جدده ثم سـام ابن نوح ثم يعقـــوب ثم داود وسليمان عليهم السلام .

❋ ومما ورد فى فضـائل بيت المقدس ومكانته قول عبد اللـــه ابن عمر رضى الله عنهمـا « بيت المقدس بنته الانبياء وعمـرته ، وما فيه موضع شبر الا وقد سجد عليه بنى أو قام عليه ملك » . وفى أرض بيت المقدس كلم اللـه تعالى موسى عليه السلام ، وفيه تاب الله على داود وسليمان عليه السـلام ورد الله على سليمان ملكه وبشر زكريا بيحيى وولد عيسى وتكلم فى المهد فى بيت المقدس ، وأنزلت عليه المائدة فى بيت المقدس ورفعه اللـه الى السماء من بيت المقـدس ، وهاجر اليه ابراهيـم عليـه السـلام .

❋ ومن الصحابة الذين دخلوا بيت المقدس: أبو عبيدة بن الجراح،

ومعاذ بن جبل ، وبلال بن رباح ، ولم يؤذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى مرة واحدة عندما أمره عمر بالأذان بعد فتح بيت المقدس ، وخالد بن الوليد ، وأبو ذر الغفارى ، وأبو الدرداء ، وعبادة بن الصامت وهو أول من ولى قضاء فلسطين سكن ببيت المقدس ودفن بها وقيل بالرملة • وسليمان الفارسى ودفن بالمدائن ، وعمرو ابن العاص ، وعبد الله ابن سلام ، وسعد بن أبى وقاص ، وممن شهد فتح بيت المقدس أبو هريرة وعوف ابن مالك بن عوف الاشجعى •

وهكذا نرى أن فى هذه البقعة المباركة عددا كبيرا من الانبياء والصحابة وكون المسجد الاقصى قبلة لهم •• كل ذلك يمثل البركة الدينية التى أحاطت به، وأما البركة الدنيوية : فكثرة الاشجار والانهار وطيب الارض وهذا هو المراد بقول الله تعالى : « **الذى باركنا حوله** » •

* وللمسجد الاقصى ارتباط وثيق بعقيدتنا ، وله ذكريات عزيزة وغالية ، على الاسلام والمسلمين ، فهو مقر للعبادة ، ومهبط للوحى ، ومنتهى رحلة الاسراء ، وبداية رحلة المعراج ، وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رحلته الى المسجد الاقصى بالبقعة المباركة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام وهى طور سيناء فصلى بها ركعتين بالبقعة •

ومر بالبقعة المباركة التى ولد فيها عيسى عليه السلام وهى « بيت لحم » فصلى بها ركعتين ، ثم وصل الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى فجمع من الانبياء والرسل فصلى بهم جميعا ، ثم عرج به الى السماء فرأى من آيات ربه الكبرى •

ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من رحلة « الاسراء » وأخبر قومه كان منهم من صدق ومنهم من كذب ، وذهب بعضهم الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأخبروه ، فما كان جوابه الا أن قال لهم : والله لئن كان قاله لقد صدق ، قالوا : تصدقه على ذلك؟ قال : انى أصدقه على أبعد من ذلك

أصدقه على خبر السماء • وقد تمادى القوم فى لجاجهم وحوارهم يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم فى تعنت عن بيت المقدس ، ومنهم من كان قد رآه ، وظنوا أنهم بهذه الاسئلة سيوقعون الرسول صلى الله عليه وسلم فى حرج ، ولكنه وهو المؤيد من قبل ربه قد وصف لهم بيت المقدس وصفا كاملا ، فى غاية الدقة وأخبرهم عن آياته ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : فجعلت أخبرهم عن آياته فالتبس على بعض الشىء فجلى الله لى بيت المقدس ثم جعلت أنظر اليه دون دار عقيل وأنعته لهم ، فقالوا : أما النعت فقد أصاب •

وكان أبو بكر كلما وصف لهم الرسول صلى الله عليه وسلم وصفا يقول : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ثم أخبرهم عن غيرهم وعن أعمالها وعن دقائق الملابسات ووصفها أكمل وصف ، وقال لهم : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس وفيها فلان وفلان ، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان محيطتان • ومع وضوح الادلة ، فقد لج القوم فى عنادهم ولم يصدقوا تلك المعجزة الواضحة ، فقد طمس الله على أبصارهم وبصائرهم « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور» •

وفى رحلة الاسراء والمعراج

فرض الله سبحانه وتعالى « الصلاة » وهى الصلة القوية بين العبد وربه ، وكانت القبلة آنذاك هى صخرة بيت المقدس ، حيث أمر الرسول صلى الله عليه وسلم باستقبالها ، وكان يصلى — بمكة — بين الركنين فتكون الكعبة بين يديه وهو يستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، تعذر عليه أن يجمع بينهما ، وعندئذ أمره الله تعالى أن يتوجه الى بيت المقدس ، واستمر على ذلك نحو ستة عشر شهرا • وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ، ويبتهل اليه أن تكون وجهته الى الكعبة التى هى قبلة ابراهيم عليه السلام ، فأجيب الى ذلك وأمر بالتوجه الى البيت الحرام ، فخطب الناس ، وأعلمهم بذلك ، وكان أول صلاة صلاها

صلاة العصر • وفى هذا يقول الله تعالى :

« قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » •

وروى البخارى — بسنده — عن البراء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلى الى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان صلى معه ، فمر على أهل المسجد وهم راكعون ،فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذين قد ماتوا على القبلة قبل البيت رجالا قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله :

« وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم » •

وكلما تعاودنا ذكرى الاسراء والمعراج تثور فى القلوب المؤمنة صيحات الحق والجهاد والفداء من أجل استرداد بيت المقدس •

ولا يمكن أن تتفجر طاقات الجهاد بالنفس والمال ، الا بالوحدة الاسلامية الشاملة التى يتجمع فيها المسلمون تحت راية القرآن منطلقين بعقيدة اسلامية صحيحة، تشق طريقها الى القلوب على هدى ونور ، وعلى أساس العقيدة الصحيحة ، تنطلق الطاقات المؤمنة، بكل ما وسعها الجهاد وبكل ماتملكه دفاعا عن العقيدة وعن الأرض والعرض ، مستبسلة فى جهادها ومضحية بكل غال ونفيس ، وقائمة على حدود الله ، ناصرة لدينه محققة للايمان الحق فى حياتها •• وعلى أساس هذا الايمان وهذا النصر لدين الله يتحقق نصر الله تعالى لنا •

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » •

د / أحمد عمر هاشم

الإسراء والمعراج وغزو الفضاء

للأستاذ / محمد أحمد بدوى

تعاود ذكرى الاسراء والمعراج فى السنين الأخيرة وسط انتصارات علمية رائعة فيما يسمى بغزو الفضاء . وآخر هذه الانتصارات نزول الانسان على سطح القمر ، ودوران سفن الفضاء حوله وعودتها بتحكم مقتدر فى الصعود والهبوط ، وانزال أعلام الدولتين العظميين على سطح الزهرة ، ودوران سفن الفضاء حول زحل والمشترى ، كما تعاود هذه الذكرى ومهبط الاسراء ومصعد المعراج لم يتقرر لهما الى الآن مصير يرضاه المسلم .

ان المرء — مهما حاول بعض المفكرين ابعاد القرآن عن التعرض للمسائل العلمية — لا يستطيع أن يطرد عن ذهنه ما تستدعيه أخبار ما يسمى بغزو الفضاء من التفكير فى الاسراء والمعراج ، كما لا يستطيع ذلك فيما تستدعيه ذكراهما من التفكير فى غزو الفضاء ، وفى تعليق مصير موقعهما الى الآن .

تداع للمعانى متبادل وغير ارادى بين ما يسمى بغزو الفضاء، وبين الاسراء والمعراج ، وقد وجه الاسلام الى تداع آخر علمى بين النظر فى السماء والأرض ، وبين التفكير فى عظمة الكون وعظمة خالقه ، وذلك بالندب الى قراءة الآيات : « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب .. » حين ينظر المرء الى السماء من الليل وبالتوجيه الى التفكير فى خلق السموات والأرض حين قراءة هذه الآيات ، وشدد النبى (ص) فى ذلك اذ يقول : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها .

والتفكير فى الآيات الكونية الذى

وجه اليه الكتاب والسنة انما هو ارضاء واشباع منهجى ومقصود للتطلع النفسى للتفسير والمعرفة المغروس فى نفوس البشر .

على أن جماعة من المفكرين المسلمين يرون — مع علمهم بآلية التداعى بين المعانى المتشابهة وغرزيته ، ومع علمهم بفطرية الدافع الى التفكير للتفسير، وعلمهم بتوجيه القرآن الكريم الى التداعى المتبادل بين الآيات القرآنية والآيات الكونية — هذه الجماعة ترى استبعاد تعريض القرآن الكريم للمسائل العلمية لابتغاء اثبات الموافقة بينهما لخدمة الايمان ، أو لابتغاء اثبات المخالفة بينهما لخدمة الجهل . يريد هؤلاء أن يجعلوا التفكير للتفسير بعيدا تماما عن أى محاولة للربط بين القرآن الكريم والقوانين العلمية ، ويرون أن القرآن لم يتعرض للمسائل العلمية صياغة لقوانينها أو وصفا لظواهرها وحتى اشارة اليها . ومن هؤلاء العقاد رحمه الله والدكتورة بنت الشاطىء أطال الله فى عمرها ، والاعتذار عنهما وعن غيرهما قائم . فالعقاد مثلا لو طال به الأجل ، والتفت الى هذه الناحية الخصبة ، لأخرج للناس شيئا كبيرا فى هذا الموضوع . لكنه لم يتوفر له الوقت من زحمة الاهتمامات . أما الدكتورة بنت الشاطىء فمشغولة بالتفسير البيانى للقرآن ، وتخرج لنا فى هذا عملا جليلا .

وأهم حجج المبعدين للصلة بين القرآن والعلم أن القوانين العلمية قابلة للتغيير ، وبعضهم يستبطن الخشية على القرآن من العلم .

ويمر الكلام على هذا التغير فى صياغات الفروض والنظريات بالمبالغات الصحفية ، وكأنه تغير فى القوانين العلمية الثابتة .

ويستبطن بعض هؤلاء المبعدين الخشية على القرآن من العلم ، وقد يحيك فى نفوسهم ، ويبعث فيها الحيرة ما يتعارض من القرآن فى الظاهر مع بعض الفروض والنظريات العلمية التى لم تتبلر فى قوانين . وبعضهم يستبطن الخشية على العلم من القرآن ، اذ يضيقون — ولهم الحق — بمن يستند الى

ذلك التعارض الظاهرى فى انكار العلم والزراية به ، والدعوة ضده مما يتسم بالسذاجة والجهل وانعدام المسئولية .

ان مقابلة آيات القرآن بالفروض والنظريات العلمية التى تتعرض دائما للتغيير فى صياغاتها أو فى اسقاط بعضها وابقاء الآخر فى مجال البحث والدراسة هو من المغالطات المقصودة أحيانا ، ويساق هذا التعارض مساق الدليل الملزم لنا بترك ربط القرآن بالعلم . ان القوانين العلمية لا تتغير بحيث تسقط نهائيا ، وانما تتغير صياغاتها باضافات تزيد من تحديدها ، أو باختزالات تنقص من عدد المفردات التى تشملها .

ومما يحتجون به أيضا الخوف من اغراق بعض المفكرين فى اخضاع الصياغات العلمية للصياغات القرآنية ، وتكلف التشابه أو الذاتية بين الصياغتين فى كثير من المسائل ، هذا الاغراق الذى يغرى به فرط الحماس الذى تثيره دقة القرآن الكريم فى صياغة كثير من القوانين الاجتماعية والاخلاقية صياغات علمية دقيقة .

ويوجد على طرف التناقض مع المبعدين — باطلاق — فريق من المفكرين لا يخشون الربط بين آيات الكتاب الحكيم والعلم ، ومنهم أستاذنا الأستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله وقراءة تفسيره للقرآن المسمى الجواهر ممتعة وتفتح آفاقا واسعة يجب أن يرتادها المسلمون . والمفكرون الذين لا يخشون الربط بين القرآن والعلم كثرة لا تحصى ، فقد كتبوا فى العلاقة بين القرآن والطب ، وبينه وبين علم النفس ، وبينه وبين الفلك ، ومما يتسع له القول أشد اتساع العلاقة بين القرآن والعلوم الاجتماعية . وقد توسع فى هذا الاستاذ عبد الرزاق نوفل والدكتور جمال الدين الفندى والدكتور محمد أحمد الغمراوى والدكتور عبد العزيز اسماعيل أطال الله فى عمره الأحياء منهم ورحم المتوفين .

ولست هنا بصدد محاكمة بين الفريقين عن الموقف العام لكل منهما من علمية القرآن الكريم ، لكنى

سأشير الى ما يخص الاسراء والمعراج من آراء كل منهما •

ان الخطأ ليس فى القول بعلمية القرآن ، ولكن الخطأ فى تجنب المنهج السليم الذى لا يعرض القرآن لأى تأثر بتغير صياغات القوانين والفروض والنظريات العلمية • ومتى اتبع هذا المنهج ، انفتح باب من الدراسات الاسلامية الممتعة مما يضع الأساس السليم لانطلاقة علمية اسلامية تأخرت بغير مبرر حقيقى ، وتأخرنا عن الامم بتأخرها •

والمنهج ذو شطرين أحدهما هو ملاحظة الفرق الدقيق بين النظريات والفروض الدائمة التغير وبين القوانين العلمية الثابتة • والشطر الثانى من المنهج قد لمسه ابن القيم — لله دره — فى كتابه اعلام الموقعين ، وانني أصوغه الآن بالآتى :

(اننا نقول : أن اتفاق آية قرآنية مع صيغة علمية أو فرض علمى أو نظرية علمية ، أو اشارة اليها ، أو عدم تعارض معها ، أو اتساع لمضمونها انما هو بحسب ما يبدو لنا ، وما نفهمه بمستوانا العلمى الذى بلغناه الآن فى فهم العلم وفى فهم القرآن ، ولا ندعى بله أن نجزم — بأن ما نفهمه هو آخر كلمة فى العلم ، وآخر كلمة فى تحديد مراد الله تعالى من قرآنه • فاذا تغيرت صيغة لقانون أو فرض أو نظرية علمية ، ربطنا بين واحد منها وبين آية قرآنية ، وأظهر التغير تعارضا كان الخطأ فى فهمنا للعلم أو فى فهمنا للقرآن ، ويظل العلم والقرآن بمنآى عن التخطئة)

وقد كان تنكب هذا المنهج أو عدم الاهتداء اليه وهو الأغلب بسبب التعصب للآراء من أقوى الأسباب فى تفرق المسلمين من أقدم العصور للآن • وقد آن لنا أن نتخلص من هذه الورطة باصطناع المنهج الجديد فى التفسير والفقه والعقائد لتعويض الزمن الذى ضاع من أيدينا فى الاختلاف والتفرق •

ان كل فريق من الفرقاء الأقدمين كان يجزم بأن ما يبدو له ، وما يفهمه من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية هو مراد الشارع على الحقيقة • ومن ثم فان من

المنطق أن يكون معارضه : اما ضالا فى أحسن الاحوال ، واما كافرا زنديقا حلال الدم .

ان الفريق المبعد للقرآن عن العلم يريد أن يفسر الاسراء والمعراج بعيدا عن استصحاب أى معلومات عما أتى به العلم من حقائق لا سيما ما يتعلق منها بما يسمى غزو الفضاء . ولا أدرى ان كان هذا الفريق ــ اذ يرفض ما يمكن أن يقال عن هذا الموضوع فى عصر العلم ــ يقبل كل ما أمكن أن يقال عنه فى عصور الجهل والخرافة . أى أغلال يريدون أن يكبلوا بها الفكر الاسلامى من الانطلاق العلمى من مواقف وفروض اسلامية يكمل ويسند ، ويغنى الانطلاق العلمى من المواقف والفروض المستخدمة الآن .

أما الفريق الثانى أو جزء منه فيحاول عقد مقارنة ساذجة بين الاسراء والمعراج ، وبين ما يسمى بغزو الفضاء ، وتحت ضغط شديد من اغراء المشابهة الظاهرة بين صعود النبى (ص) الى السماء وبين صعود سفن الفضاء الى القمر أو الكواكب . ولهؤلاء نقول : أين القمر ؟ بل وأين أبعد كواكب المجموعة الشمسية من ذلك الكون الواسع ؟ وأى فضاء ذلك الذى يتكلمون عن غزوه ؟ وما هو ذلك الغزو ؟ من المنتصر ومن هو المهزوم ؟

يحاول البشر فى أواخر القرن العشرين أن يبعدوا عن الارض ، وأن يخرجوا من قبضة جاذبيتها بما آتاهم الله من نعمة العلم بقوانينه الكونية ، فكان لهم ما أرادوا ، وحققوا انجازات باهرة . لكن الخالق جل شأنه أغزى نبيه محمدا (ص) فضاء كونه الأعلى غزوا حقيقيا لا يقاس به ما يزعم البشر أنه غزو للفضاء ، وعرج به الى السموات بطريقة لا ــ ولن ــ يتمكن البشر من الاطلاع على أسرارها فى أبعد مدى يمكن تخيله الآن .

ولا يعنى ذلك بأى حال التقليل بسذاجة وحمق من القدرة البشرية الفائقة اذا قيست اليوم بما كانت عليه بالأمس ، أو اذا قيس ما يمتلكه منها فريق من البشر فى

أوروبا وأمريكا بما يمتلكه فريق آخر نحن منه لمزيد الأسى والحسرات .

ان رحـلات زوند وسـيوز وكوزموس ومارينر وأبولو والرحالة (فوايجر) لعمل عظيم بكل المقاييس بالنسبة لما كانت عليه قدرة البشر الى عهد قريب . أما رحلة النبى (ص) الى السماء فهى معجزة لا يتطلع الى عشر معشارها أوسع الخيالات العلمية جموحا . والعلم الحديث لم يقدم الى الآن أى طريقة لتخيل صعود النبى (ص) الى السماء .

ان تفكير المسلم ليهدف من ضمن ما يهدف اليه فى عمليات التداعى الى معرفة : هل التشابه بين الاسراء والمعراج وبين صعود سفن الفضاء تشابه ظاهرى أم حقيقى بامكان تصور الأمرين على السواء ؟؟

ويغرينا بالقول أنه تشابه حقيقى انسياقنا الى تصيد ما يبدو أنه يؤيد وجهات نظرنا من أحداث العلم الجديدة . فلما جاءت محاولات غزو الفضاء ، تلقفناها لنستدل بها على صدق واقعة الاسراء والمعراج، وهو استدلال فى غير مطلبه ، لان واقعة الاسراء والمعراج لم تكن لتنتظر قرابة الالف والخمسمائة عام لوقوع ما يصدقها . فالواقعة ثابتة بطرق لا يرقى اليها الشك ، ولاتبعد عن المناهج المعتمدة حديثا للاستدلال .

كما يدفعنا من جهة أخرى القول بأن التشابه بين الاسراء والمعراج تشابه ظاهرى حقائق علمية لا يمكن اغفالها . وتجدر الاشارة هنا — دون التفصيل — الى أن الاسراء يمكن تخليه فى ضوء الحقائق العلمية المتاحة . أما المعراج فالأمر جد مختلف .

لما جاء الاسلام أطلق تصور الناس عن الزمان والمكان من قيوده الى أوسع مدى يمكن أن يبلغه العقل البشرى بل الخيال البشرى فى ذلك العصر ، وفى عصور تالية حتى عصرنا عصر الصواريخ والاقمار الصناعية ، وقدم الاسلام التمهيد الضرورى للتصور الحديث للزمان والمكان . ولقد كان فرعون يطلب صرحا يبلغ به أسباب السماء ليطلع الي اله موسي مما يدل علي مدي

اتساع التصور البشرى فى ذلك الوقت لاتساع الكون .

وقال القرآن الكريم فى اتساع المكان : **(والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)** ؛ وقال القرآن الكريم فى اتساع الزمان : **(وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون)** وقال فى اتساعهما معا : **(تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)** ولعل المبعدين للقرآن عن العلم كانوا يريدون أن يقول الله سبحانه : خمسين ألف سنة نورية ليعترفوا بوجود علاقة متبادلة بين القرآن والعلم .

لقد وضع الاسلام البشر فى أول الطريق لتقريب اتساع الزمان والمكان الى تصورهم وأوصل العقل البشرى الى المرحلة السابقة مباشرة، والممهدة التمهيد الضرورى للمراحل الحالية والتالية فى تصوره للزمان والمكان ، وجاء الفلك الحديث فوجد العقل البشرى قد خطى أولى الخطوات فخطأ به خطوات أخرى واسعات .

وان اتساع الكون الذى كان الاسلام أول من وجه النظر اليه أصبح الآن فوق التصور وفوق التخيل ، بحيث أن تسمية رحلات الفضاء أمر أبعد ما يكون عن الدقة العلمية .

وبغير لجوء الى الأرقام التى تصف اتساع الكون ، والتى تصيب بالدوار أعتى عقول جبابرة الفلك ، يمكننا أن نقول : ان رحلات الانسان فى الفضاء لن تبلغ فى المدى القصير ولا فى المدى الطويل — بحسب ما أتيح الى الآن من الحقائق العلمية — الا قدرا ضئيلا جدا من أبعاد الكون ، ولن تبلغ رحلاته المقبلة — تبعا لأوسع الخيالات العلمية جموحا — الا قدرا لا يذكر من المسافات التى وصلت الرياضة الفلكية الى حسابها .

ان غزاة الفضاء الشجعان والمخططين لهم ليس عندهم من الحقائق العلمية الى الآن ما يمد أملهم الى ارتياد أجرام أبعد من الشمس وبناتها (الكواكب) وأحفادها (الاقمار) . أما باقى النجوم وشمسنا واحدة منها وهى أقربها الينا فهى من البعد عنا

بحيث أن الصواريخ (حتى بسرعة ٢٠٠٠٠ ميل فى الساعة) تعتبر وسيلة بدائية جدا وغير عملية على الاطلاق لارتياد أفلاكها واذا كان التمثيل يقرب المعنى فان المشى بسرعة السلحفاة وسيلة متقدمة جدا للدوران حول الأرض اذا قيست بوسيلة الصواريخ لغزاة الفضاء حتى اذا سارت — ولن تسير — بسرعة الضوء (١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية) •

ان أقرب الاجرام السماوية الى الأرض هى أفراد أسرة الشمس وأقرب أجرامها هو القمر والوصول اليه يستغرق ١٢ ساعة تقريبا اذا سار الصاروخ فى خط مستقيم وبسرعة منتظمة ، والصواريخ لا تصعد فى الفضاء ، ولا فى خط مستقيم ولا بسرعة منتظمة • ويلى القمر فى البعد عن الأرض الزهرة أثناء توسطها بين الأرض والشمس ، وبعدها عن الأرض يبلغ ٢٦ مليون ميل يقطعها الصاروخ فى خط مستقيم وبسرعة منتظمة فى ٥٤ يوما تصل فى الواقع العملى الى ما يزيد عن الأربعة أشهر ، وأبعد اخوة الارض عنا الكوكب بلوتو الذى يصل اليه الصاروخ بالشرطين السابقين (٢٠٠٠٠ ميل فى خط مستقيم) فى احدى وعشرين سنة وربع سنة ، ويصل اليه ضوء الارض المنعكس عنها من الشمس أو يصل الى الأرض ضوؤه المنعكس عنه من الشمس فى خمس ساعات ونصف ساعة تقريبا •

وقد ضرب لنا العلامة الدكتور أحمد زكى مثلا لأبعاد أسرة الشمس فيما بينها ، فقال : (اذا كانت الشمس قرصا قطره أزيد من ثلاثة أرباع المتر ، فان عطارد يكون عدسة على بعد ٣٦ مترا من هذا القرص ، وتكون الزهرة حبة فول على بعد ٦٧ مترا ، وتكون الارض حبة فول أكبر قليلا من الزهرة على بعد ٩٣ مترا ، ويكون المريخ كسمسمة تبعد عن القرص ١٤٢ مترا حتى نصل الى بلوتو حيث نجده حبة فول على بعد ٣٦٧٠ مترا) •

وبالرغم من هذه الأبعاد الشاسعة ، فان أفراد أسرة

الشمس تبدو متلاصقة بمقـــــارنة أبعادها فيما بينها بأبعاد النجـــوم بعضها عن بعض وعن المجمــــوعة الشمسية ، ولعل تلاصق أفــــراد المجموعة الشمسية هو نتيجــــــة لشعورها بالوحدة القاسية بيــــن مجموعات النجوم ، فان أقـــــرب مؤنس لهذه الأسرة المنعزلة من غير أفرادها هو (ألف قنطورس) وهو شمس كشمسنا وهو أحد أفـــــراد نجوم كوكبة قنطورس التى ترى فى الســـــماء من القاهرة جنـــوبا فى منتصف أشهر الصيف • وبعـــد هذا النجم عن الشمس أربع سنين ضوئية وثلث سنة تقريبا ، ويقول الدكتـــور أحمد ذكى : (اذا كانت الشمس نقطة حبر على هذه الورقة فان ألف قنطورس نقطة أخرى تقع منه على بعد أربعة أميال) •

ان حساب زمن الوصول الى (ألف قنطورس) من أى فرد من أفراد أسرة الشمس بسرعة الصـــواريخ لهو أمر بالغ السخف • ولو فكرنا فى حساب وصول الســـــلحفاة الى القمر لكان حسابنا هذا أقل سخفا من التفكير فى زمن وصول الصاروخ الى ألف قنطورس لانه سيصل اليه فى مائة واثنين وأربعين ألف سنة•

ونظرا للاتســـــاع الهـــائل للكون الذى لم يمكن تحديده الى الآن ، فان المسافات بين اجرامه لا تحسب بالأميال ولا بملايينها لاســــــتحالة ذلك عمليا ، ويستعاض عن ملايين الاميال بالزمن الذى يقطعه أسرع شىء عرف الى الآن وهو الضـــوء (١٨٦٠٠٠ ميل أو ٣٠٠٠٠٠ ك • م فى الثانية) ولذلك فان ألــــــف قنطورس اذا انطفأ فجأة لاستمر آخر شعاع صدر منه مدة أربــع سنين وثلث سنة لينعى الينا هــذا الجار القريب مما يجعلنا نهز أكتافنا قائلين : يرحمه الله ، ولو أننا كنا لا نستمتع برؤيته الا فى أمســيات قليلة من أشهر الصيف فى القاهـــرة فوق الافق الجنوبى •

ومن النجوم ما يصل الينا ضوؤه فى عشرات السنين ، ومنها ما يصل فى مئاتها ، ومنها ما يصل فى آلافها ومنه ما يصل فى ملايينها ، ولا أزيد حرصا على اتزان القارىء •

ان السفن التى دارت حول زحل وحتى التى اتخذت مدارا حــــول

الشمس لم تقطع من مسافات الكون الا نسبة مماثلة لما يقطعه المتحرك بمقدار سنتيمتر واحد فى طريقه من الأرض الى الشمس •

ان غزو الفضاء وراء المجموعة الشمسية المتلاصقة يتحقق فى ظروف خاصة مستحيلة عمليا مثل أن يصعد فى الفضاء جماعات كبيرة من العلماء ، وفى سفن كبيرة تسمح بتزاوجهم ، وتسلسل الاجيال فيهم ، ويكون من نصيب الجيل المكمل للالف بعد جيل بدء الرحلة الوصول الى كوكب من كواكب (ألف قنطورس) ان كان له كواكب لأنه ملتهب والقرب منه فوق حد محدود يكفى لاحتراق أى مادة نعرفها على الأرض وتحويلها الى بخار • وقد يتيسر هذا المشروع لو أخذنا الارض نفسها كسفينة فضاء •

ومن أحلام الروائيين ــ لا العلماء ــ أن يرسل الانسان أو غيره كطرد لاسلكى من كوكب حول احدى الشموس الى كوكب لشمس أخرى بأن يوضع فى جهاز ارسال لاسلكى ليفتته الى بروتونات والكترونات بل الى جسيمات منهما ، ثم يستقبله جهاز يجمع هذه الجسيمات مرة ثانية على الهيئة التى وضع بها فى جهاز الارسال وياويل هذا الطرد اذا لم تنضبط له المحطتان • ان تفرقه اذن لن ينتهى الى اجتماع •

واذا نجح البشر فى صنع الجهازين ، واذا نجحوا فى وضع جهاز الاستقبال فى محط الوصول بطريقة السفر الجماعى بعد آلاف الأجيال ، فان الموجات المرسلة من جهاز الارسال قد تحتاج بسرعة الضوء الى ملايين السنين للوصول بالطرد الى محط الاستقبال ، وهنا يستيقظ الحالم مذعورا ليقول (**لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس**) •

هذا والاسراء والمعراج رحلتان متمايزتان ، لم يتح لنا التمييز الدقيق بينهما الا فى العصر الحديث ، وبفضل العلم الحديث الذى حقق للبشرية كثيرا من المعجزات ، فرحلة الاسراء رحلة أرضية جوية وبتعبير (حربى) رحلة من الأرض للأرض • أما رحلة المعراج فرحلة سماوية

بكل معنى لكلمة سماوية •

واذا كانت سرعة الصواريخ قد قربت لنا تخيل كيف سارت رحلة الاسراء من مكة الى بيت المقدس فان سرعات هذه الصواريخ وحتى سرعة الضوء لن تساعد أبدا على تخيل رحلة المعراج •

ويبقى على المسلمين المتكلمين فى علمية القرآن بمنهج وبغير منهج ألا يحملوا الاسراء والمعراج عبء الاستفادة من العلم الحديث الا بالقدر الذى أشرت اليه من رحلة الاسراء •

واذا تداعت معانى السفر بين الأجرام السماوية حين يذكر الاسراء والمعراج ، أو تداعت معانى الاسراء والمعراج حين يذكر السفر بين الأجرام السماوية ، تداعيا آليا أو بتوجيه من القرآن الكريم والحديث الشريف ، فان أقوى أنواع هذا التداعى وأكثرها الحاحا على ذهن المسلم لهو وجود مهبط الاسراء ومصعد المعراج فى غير الوضع الذى يرضاه الله ويرضاه المسلمون •

ان ما أصاب المسلمين باحتلال الصهيونيين لبيت المقدس لهو من الفداحة بحيث نجد أنفسنا منساقين من التمزق الى وصفه بالتأقيت ، والى قياس هذا الاحتلال على احتلال الصليبيين له فى القرن السادس والسابع الهجريين ذلك الاحتلال الذى انزاح حين توحد العرب • وذلك الوصف وهذا القياس لا يرجعان عندنا الى خدر غيبى بل هما نابعان من تصميم على تصحيح هذا الوضع بجد لا يعرف الهزل ، وعمل لا يعتريه الملل بالعلم والأخلاق •

واذا كانت مؤتمرات القمة وغيرها من المؤتمرات الاسلامية تتمخض عن مواقف متخاذلة فرضتها عوامل لا حصر لها ، فان هذه المواقف قد وضعت المسلمين بوضوح أمام عوامل تفرقهم وتخلفهم ، ودلت على نقط الضعف التى يجب أن يلتمس لها العلاج ، فضلا عن أنها بينت للذين يعلقون على التجمع الاسلامى آمالا عراضا أنهم مطالبون بالارتفاع الى مستوى العصر ودقة التحديات

وخفائها •

وان التعلل بأن اللــه لا يرضى لبيت المقدس أن يظل الى الأبد فى أيدى الصهيونيين وتحميل آيـات الاسراء ما لا تحتمل من الاتكاليـة الخرقاء ، لهو صيغة أخرى لقول قوم موسى : (**اذهب أنت وربـك فقاتلا انا هاهنا قاعدون**) انه لـن يظهر أبدا أمام العالم المتمدن مـن غير المسلمين ما اذا كان ربنا راضيا عن ذلك الاحتلال أو غير راض الا اذا غيرنا بأيدينا وعقولنا وأخلاقنا وعلمنا هذا الوضع لتصدق كلمـة الله : (**وان عدتم عدنا**) •

وان حتمية أن يغلب مائة مليون عربى المليونين من الصهيونيين فى معركة الحياة يجب ألا نرجعها الى كونهم مائة مليون فى العدد ، فـان فى ذلك مدا آليا فى حبال الاستعداد وتمهيـدا ذهنيـا للتكاسل ، ولكن يجب أن يكون لكونهم مائة مليون يعملون كل امكاناتهم المتاحة بكفاءة الرجال ، ويجصلون من الامكانات الأخرى بوعى بالزمن ، وبأبعـاد المعركة ، وبسرعة العصر ومتغيراته وموازين قواه •

لقد كان تضييق تصور وسائل النصر ، وحصرها فى الاسـتعداد العسكرى ، والكثرة العددية هــو سـمة الاسـتعداد السابق على (٥ يونية ١٩٦٧) •

ان من الدروس المستفادة بعـد ذلك ألا نقصر استعدادنا عـلى اتين الناحيتين فحسب ، بل لابد من أن ننجح فى معركة السلم كمـا نجحنا فى حرب رمضان سنة ١٣٩٣ بالعلم والخلق والنظام وبذل الجهد فى الانتاج ومحاربة الانحـلال والتخلف والثقة فى القادة ممـا تقع مسئوليته فى المقام الأول على الشعب نفسه •

بقيت فى هذه الدراسة كلمة • ان ذكر الاسراء فى مطلع الآيات التى تحكى أكبر مرتين أفسد فيهمـا اليهود فى العالم ليشبه أن يكـون اشارة الى أن احتلال القـدس سيكون أشد مظاهر الافســاد ، وأقوى دواعى عود الله عليهم بما يستحقون • ولا أعنى بهذا الا أن يكون ذلك بأيدينا وأخلاقنا وعلمنا فى حرب حضارية لا عسكرية •

محمد أحمد بدوى

جوائز عالمية

جائزة الملك فيصل العالمية
ودور فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر فيها

للأستاذ / موسى محمد على

الحديث عن جائزة الملك فيصل العالمية والدور الذى أداه فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر يتطلب الاشارة الى هذه الجائزة ، ودورها وأهميتها .

والذى يمعن النظر فى نظام هيئة الجائزة ، يدرك لأول وهلة اهتمام رجالها البالغ وشعورهم الكريم نحو فضيلته ، كما يتضح من خلال تقديرهم العميق له ، وحفاوتهم الكريمة به ففضيلته العضو الاساسى فى هيئة الجائزة لان فضيلة شيخ الاسلام والامام الروحى لملايين المسلمين العديدة

وهو شيخ الأزهر ذلك المعهد العتيد الذى يتبوأ المكانة الاعلى فى العالم كلـه •

والاشارة التى نخص بها هيئة جائزة الملك فيصل العالمية ، أن هذه الجائزة :

منذ فجر شـبابه حتى سـاعة استشهاده ، ومتابعة لسيرته الطيبة فى اعـلاء كلمة الحق ، والذود عن حمى الدين ، والدفاع عن قضـايا الاسـلام والمسلمين فى جميـع أقطارهم وأمصارهم ، والمطالبـة

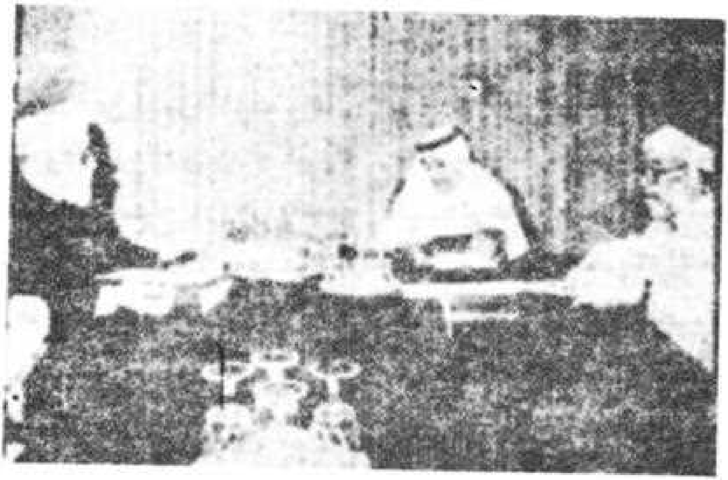

لها أهداف ، ولها فروع هنا :

أما أهداف هيئة الجائزة :

لماذا قامت الجائزة ؟

تأصـيلا للمبادىء والقيم التى ناضل فى سبيلها الراحل المغفور له، الملك فيصـل بن عبـد العـزيز آل سعود رحمه الله تعالى ، وتأسيا بكفاحه الدائب ، وعمله المتواصل ، بحقوقهم والسعى لرفع شـأنهم ، وتحقيق الألفة والتضـامن فيمـا بينهم ، وجمعهم على ما فيه نفعهم وسعادتهم •

أهـداف الجائزة :

فقد قامت مؤسسة الملك فيصل الخيرية برصد هذه الجائزة تحقيقا للأهداف الآتية :

١ ــ العمل على خدمة الاسلام

والمسـلمين فى المجـالات الفكرية والعلمية والعملية .

٢ ـ تحقيق النفـع العـام للمسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم والتقدم بهم نحو ميادين الحضارة للمشاركة فيها .

٣ ـ الاسهام بالجهد والمال فى تقـدم البشرية ، واثراء الفـكر الانسـانى .

٤ ـ تأصـيل المثل الكريمـة ، والقيم الاسلامية النبيلة فى الحياة الاجتماعية وابرازها للعالم .

وأما فروع الجائزة ، فتتكون من :

١ ـ جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام .

ولها لجنة الاختيار تشـكل من أكبر الشخصيات الاسلامية ، على النحو التالى :

*** صاحب الفضـيلة الامـام الأكبر شيخ الأزهر .**

*** صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله الفيصل . رئيس مجلس أمناء مؤسسة فيصل الخيرية .**

*** صاحب السمو الملكى الأمير سلطان بن عبد العزيز رئيس اللجنة العليا للدعوة الاسلامية .**

*** صـاحب الفضيلة أمين عام المؤتمر الاسلامى .**

*** صاحب الفضيلة أمين عـام رابطة العالم الاسلامى .**

وذلك لاستعراض أسـماء المرشحين ، ودراسـة أعمـالهم واختيار الفائز من بينهم .

ويعد مؤهلا لتسلم جائزة الملك فيصل لخدمة الاسلام ، كل من قام بخدمة للاسلام والمسلمين ، وبجهد بارز يتعدى ما هو عادى ، وواجب وينتـج عنـه فـائدة ملحوظـة للمسلمين .

ويتم الترشيح لهذه الجائزة من قبـل المنظمات والاتحـادات الاسلامية فى جميع أنحاء العالم .

٢ ـ جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية .

ولجنة الاختيار فيها تشكل من منـدوب عن كل من المؤسسـات والهيئات الاسـلامية ، للنظر فى الترشيحات ودراسـة أعمـال المرشحين واختيار الفائز من بينهم؛ على أن تشمل المجالات التى تمنح

فيها هـذه الجائزة جميع العلوم الاسلامية ، ويعد مؤهلا لتسلم هذه الجائزة حق من قام بدراسة او بحث ينتج عنه نفع عام واضح للمسلمين ، وذلك وفقا لتقدير هيئة الاختيار وحدها •

ويتم الترشيح لهذه الجائزة من قبل المؤسسات العالمية كالجامعات، ومراكز البحوث والمجامع اللغوية ونحوها •

٢ ـ جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربى •

ولجنة الاختيار فيها تشكل من تسعة أشخاص ، بشرط أن يكونوا مؤهلين تأهيلا عاليا ولهم نشاط بارز فى مجال اللغة العربية وآدابها والأبحاث المتعلقة بها ، وذلك للنظر فى الترشيحات ودراسة أعمال المرشحين واختيار الفائز من بينهم •

على أن تشمل المجالات التى تمنح فيها هذه الجائزة جميع فروع الأدب العربى ، ويعد مؤهلا لتسلم هذه الجائزة كل من قام بعمل مبدع وأصيل فى المجال الذى يتقرر فيه منح الجائزة ، وينتج عن عمله هذا خدمة واضحة ، واثراء للغة العربية ، وآدابها بصفتها لغة القرآن الكريم •

ويتم الترشيح لهذه الجائزة من قبل المؤسسات العلمية العالمية كالجامعات ، ومراكز البحوث والمجامع اللغوية ونحوها •

وقد تفضل فضيلة الامام الاكبر ، فاستجاب اثر مجيء الدعوة اليه ، انصافا للعلم ، وتقديرا لجهد أهل الفضل ؛ وتم بعون الله وتوفيقه السفر الى مدينة الرياض ، وقد أسعدنا حقا ما قوبلنا من حسن استقبال يليق بمقام فضيلة الامام الأكبر ، واستقر بنا المقام فى أهدأ مكان ، على حسن استعداد وأكمل نظام •

واستهلت هيئة الجائزة عملها بجلسة الافتتاح برئاسة فضيلة الامام ، وتوالت الجلسات على نظام جلستين فى اليوم تبدأ احداهما فى تمام الساعة التاسعة صباحا وتنتهى فى الساعة الثانية ظهرا ، ثم تبدأ الثانية فى تمام

الساعة السادسة مســـاء ، على أن تنتهى فى تمام الســـاعة الثـــامنة والنصف ليلا .

وقد استمرت هذه الاجتماعات لمدة ثلاثة أيام ، حتى انتهت بصدور قرارات الفوز بالجائزة .

وقد قامت هيئة الجائزة بتنظيم حفل تكريم لفضيلة الامام الأكبر ولمن معه من بقية الأعضاء ، وهذا الحفل كان على أحســـن صـــورة وأعظم تكريم .

موقفان جليلان :

وفى نهاية الحفل حدث «موقفان فى غاية العظمة والطرافة : الموقف الأول موقف رئيس هيئة الجائزة فقد تقدم سموه الى فضيلة الامام الأكبر بخطاب شكر دقيق اللفظ ، جم المعنى ومرفق به شيك يحمـــل مبلغا غير عادى كمكافأة لفضيلته ، تقديرا له على ما بذله من جهـــد ، وهذا شىء من تقاليد هذه الجائزة .

الموقف الثانى : موقف فضـــيلة الامام الأكبر ، فما أن قدم لفضيلته هذا الشيك حتى تناول قلمه وخط على ظهر الشيك : « يعاد الى هيئة الجـــائزة تبرعـــا منى ، تقـــديرا لشـــعورها ، ومســـاهمة فى آداء واجبها ونشر رســـالتها ، وما أن سلم الشيك الى هيئة الجائزة حتى رأينا على وجـــوه الجميع ملامح الشكر والثناء والتقدير .

فشـــكر الله لفضـــيلة الامـــام الأكبر صنيعه ، وجـــزاه الله عن مروءته خير ما يجزى المحسنين من عباده . كما جزى الله هيئة الجائزة على تقديرها للرجال كل خير .

وقد كانت مناســـبة طيبـــة اذ استقبل فضـــيلة الامـــام الأكبر فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ، ومعه بعض علمـــاء الرياض ، الى فضيلة الامام الأكبر بمقر اقامته ، أتوا اليـــه ليرحبـــوا بفضـــيلته ، ويتدارســـوا معه مادعت حـــاجة الدعـــوة الاســـلامية اليـــه ، والحمد لله ، فقد كان اللقاء طيبـــا للغـــاية .

كما كانت فرصة طيبة أبدى فيها المسئولون عن الجائزة والعلماء فى

السعودية تقديرهم البالغ لفضيلة الامام الأكبر فالتفوا حوله ورافقوه حتى أقلعت الطائرة الى مدينة جدة ، وعلى نفس المستوى كان الانتظار والابتهاج بقدوم فضيلته الى مطار جدة ، حتى انتهى بنا المقام بأحد الفنادق الفاخرة ، ولم يمض بنا الا وقت الراحة حتى استقلنا ركب الانتظار وتوجهنا فى رفقة الامام الأكبر الى بيت الله الحرام فى موكب مهيب ، وأدينا العمرة على أكمل وجه ، من طواف حول الكعبة المشرفة ، فى تدبر وخشوع ، وتضرع وابتهال بالدعاء لفاطر الأرض والسماء ، ولمس للحجر الأسعد ، وارتشاف من ماء زمزم الذى هو شفاء لما شرب له ، وركوع وسجود بمقام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وسعى بين الصفا والمروة تطبيقا لشعائر الله سبحانه •

ثم رجعنا الى مقام الاقامة بجدة حتى أصبح الصباح •

ورتبت الأمور لفضيلته ، وتم السفر بالطائرة الى المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وخصص لفضيلة الامام الأكبر ونحن برفقته ، مكان خاص بالروضة الشريفة ، لأداء فريضة الجمعة والحمد لله رب العالمين •

وما أن انتهت صلاة الجمعة فى الحرم النبوى الا وقد هيىء المكان الهادىء الجميل لفضيلة الامام للاقامة بالمدينة المنورة لمدة أربعة أيام ، ويعجز الواصف أن يقول فى وصف هذه الأيام شيئا •

من متعة الجوار بسيد الخلق ساعات وساعات ، بل يوم وأيام ، وجمع كبيرمن أبناء الامام وتلاميذه من علماء الأزهر الذين يقيمون بالمدينة أتوا اليه أفواجا وأفواجا •

وقد قام فضيلة الامام الأكبر بزيارة للجامعة الاسلامية بدعوة رسمية ، تغمرها بسمة حقيقية وأخوة علمية صادقة ، فقد استقبل الامام بالجامعة استقبال حفاوة وتكريم من مديرها ونائب رئيسها ، ووكيلها وأساتذتها والحمد لله •

كما التقى فضيلته بسمو أمير

المدينة المنورة الأمير عبد المحسن ابن عبد العــزيز ، بــدار الامارة بالمدينة وقــد اســتقبل فضــيلته اســتقبالا حارا مليئا بمشـــاعر التقدير والمودة الصادقة الصافية ، وتبادلا الحوار عن حال الاســلام وشأن المسلمين ، واختتما الحديث بالتضرع الى الله العلى القــدير ، أن يحفظ الأمة الاســلامية وأن يرزقها الأمن والسلام والاطمئنان.

وبعد هذا التطواف الموفق الذى قــام به فضــيلة الامام الأكبر ، رجعنا الى أرض الوطن بقلــوب خاشعة لله سبحانه ، وأكف ضارعة اليه تعالى ، أن يجمع شمل هــذه الأمة ، خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله ، وأن يوحد كلمتها ، وأن يعيدها الى حسن ســيرتها ، وأن يوفق قادتها وحكامها وروادها، لما فيه عزها وسعادتها :

« واعتصموا بحبل الله جميعــا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة اللــه عليكم اذ كنتم أعــداء فألف بــين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخــوانا وكنتم على شــفا حفرة من النــار فأنقذكم منها » .

« ومن يعتصم بالله فقد هــدى الى صراط مستقيم » ..

موسى محمد على

القدس

رؤى من هناك

للأستاذ / حامد الجوجرى

عـــاودتنى من رؤاك الخـــالدات
يا ابنـــة الفردوس أغلى الذكريـــات
عشـــت فيهـــا بين أفراحى ودمعـــى
بين مـــاض من حكـــاياك وآت
فى رحـــاب القـــدس يسرى خاطرى
وخيـــالى هائمـــا فى ســبحاتى
ليلـــة الاســــراء والنـــور على
جبهـــة الأفـــق ســنى اللمحـــات
ورســـــول اللــــه فى موكبـــه
دفقة الضـــوء على درب الحيـــاة
أمـــل الدنيـــا لواديـــك ســـرى
خفقـــة تحيى قلـــوب الكائنـــات
فتســـاميت ســـماء وثـــرى
وتبـــاهيت بقـــدس الخطـــوات
ذاك من أيـــامك الغـــر التـــى
غمرت بالخـــير أعطـــاف الحيـــاة

***

يا رحـــابا طـاف قلبـــى حولهـا
مهجـة ظمـآى لعـذب القطـرات
خطـــر الفـاروق فيهـا فاتحـــا
عـــادلا عز مثيـلا فى الغـــزاة
لم يـــزده النصــــر الا رحمـــة
ذاك نصر الحـــق لا نصر البغـــاة
أمن الخـــائف من ســـطو العدا
وحمى المقهـور من بطش العتـــاة
تعجب الدنيـــا لســـاق خصـــمه
من معين العــدل أحلى الرشـــفات

***

يا صـــلاح الـدين مــازالت على
أفقى أصـــداء تلك البشـــريات
المنـــارات التـــى عطرتهـــا
بأذان النصـــر عـــذب النغمـــات
لم يزل يســــكر روحى شـــدوها
وطيـــوف من رؤاها الســـاحرات
ظـــل رايـــاتك مـــازال عـــلى
هـــامتى تاجـــا عزيز اللمحـــات
صـــوت أســـيافك مـــازال على
مســـمعى دعوة حـــق وحيـــاة

***

قبلتـــى الأولى ومســـرى المصطفى
وثـــرى عيسى وأولـــى صـــلواتى

لا تراعــى من ظــــلام حــل فى
ســـاحك الحر ثقيــل الظلمـــات
ان يكن أغفــى الرعـــاة موهنـــا
فتهـــادتك ذئـــاب الفلـــوات
فغــدا تختـــال رايـــاتى عــلى
أفقك الحــر وتحيـــا أمنيـــاتى
فى غــد يغمــر فجــرى بألســنا
ليــلك المــوثق بــين الظلمـــات
قســــما بالمجــد يدعــونى عــلى
كتف الـــوادى وخلف الربـــوات
قســـما بالنــور فى عينيــك يـــا
فتنـــة الخلــد وأم الصـــبوات
لنعـــودن ســـلاما وهـــدى
لنعـــودن حيـــاة للحيـــاة
رايـــة الســـلم التــى أحملهـــا
هى أقـــوى من دقـــاق مرهفـــات
نركب الســـلم فـــان ضــل بنـــا
فالى عزم وبأس وثبـــات وثبـــات

**

حامد الجوجرى

صلاح الدين الأيوبى

شخصية فى سطور

بقلم سعيد عبد الحى

* ولد صلاح الدين سنة ٥٣٢هـ سنة ١١٣٧م بقلعة تكريت وكان والده واليا عليها وقد تنقل الى الموصل وبعلبك مع والده حين عين واليا عليهما .

* كان صلاح الدين حسن العقيدة كثير الذكر لله وكان خاشع القلب غزير الدمعة اذا سمع القرآن وكان شديد الرغبة فى سماع الحديث كثير التعظيم لشعائر الدين وكان عادلا . رءوفا رحيما . ناصرا . للضعيف على القوى .

* كان صلاح الدين كريما اذ أنه ملك ما ملك ومات ولم يوجد فى خزانته سوى سبعة وأربعين درهما من الفضة وجرام واحد من الذهب .. يعطى فى وقت الضيق كما يعطى فى وقت السعة .. وكان من عظماء الشجعان .. قوى النفس .. شديد البأس .. عظيم الثبات لا يهوله أمر .

* قدم صلاح الدين الى مصر سنة ٥٥٩ هـ مصاحبا لعمه أسد الدين شيركوه وذلك عندما وقع خلاف بين الوزير شاور والوزير ضرغام وأدى ذلك الخلاف الى أن يستعين ضرغام بالصليبيين ويستعين شاور بالسلطان نور الدين فجاء صلاح الدين مع عمه أسد الدين لنصرة الوزير شاور وذلك بأمر من السلطان نور الدين .

* تولى صلاح الدين الوزارة فى مصر سنة ٥٦٤ سنة هـ وذلك بعد وفاة عمه أسد الدين فعندما توفى

عمه أرسل الخليفة الفاطمى (العاضد) الى صلاح الدين ليخلع عليه خلع الوزارة وتوليه الأمر بعد عمه • وبعد ذلك سقطت الدولة الفاطمة وكذلك توفى السلطان نور الدين فى شوال سنة ٥٦٩ هـ فاستقل صلاح الدين بحكم مصر وأعلن نفسه سلطانا على البلاد •

* دخل صلاح الدين فى معارك عديدة مع الصليبيين ومنها معركة حطين التى انتصر فيها ومهدت له فتح بيت المقدس فبعد هذه الواقعة انتهز صلاح الدين فرصة ضعف العدو وتخاذله لينقض عليه فاستولى على قاعدة طبرية ، عكا ، يافا ، الناصرية ، صقورية •

* وفى رجب سنة ٥٨٣ هـ سنة ١١٨٧ م تحركت جيوش صلاح الدين الى مدينة القدس لتخليصها من يد الصليبيين •

* عندما رأى الافرنج تفوق المسلمين طلبوا الأمان والجلاء عن القدس ولكن صلاح الدين رفض وقال : لا أفعل الا كما فعلتم بأهل هذا البلد حين ملكتموه من المسلمين •

* ولكن الافرنج سعوا مرة أخرى فى طلب الأمان والجلاء فجمع صلاح الدين قومه واستشارهم فأشاروا عليه بايقاف الحرب والاتفاق مع القوم على الجلاء وتم ذلك •

* وتسلم صلاح الدين مدينة القدس يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٥٨٣ هـ (يوم الاسراء والمعراج) وكان ذلك يوما مشهودا •

* واستطاع صلاح الدين أن يوحد المسلمين تحت راية واحدة وفتح بيت المقدس •

* وقد توفى صلاح الدين فى ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ ٤ مارس سنة ١١٩٣ م رحمه الله ونفعنا بسيرته •

سعيد عبد الحى

قالت الصّحف

إعداد عاطف زهران

القدس فى عهد عمر بن الخطاب :

كتب الأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد مقالا تحت هذا العنوان بمجلة الدعوة القاهرية فى العدد التاسع والأربعين (١) قال فيه :

تولى عمر الخلافة وجيوش الاسلام على حدود الشام • فحمل جنوده لواء التوحيد يبشرون بالدين الاسلامى • فتحقق على أيدى أبطاله ــ خالد ابن الوليد ، أبى عبيدة بن الجراح، عمرو بن العاص ، يزيد بن أبى سفيان ــ فتح الشام • وتخلصت بلاد العرب بذلك من ظلم الروم • لتعود من جديد جزءا من الدولة العربية الاسلامية التى يتولى الفاروق شئونها •

تخفف أهل الشام من أثقال الحكم الغابر • ليصبحوا اخوة متحابين ، وللرهبان فى أديرتهم حرية العبادة ، وحرية الاقامة • ماداموا يلتزمون بحدود الاسلام•

خضعت الشام للعرب المسلمين ــ فنعمت فى رحابهم بالرحمة الشاملة ، والأخوة والعدل ــ الا فلسطين التى دخلها بختنصر مخربا ، كما دخلها الرومان مضطهدين أهلها • انها هى وقدسها فى شوق حارق تنتظر سنا الاسلام ونوره ليشع عليها ،

---

(١) رجب سنة ١٤٠٠ هـ •

وتتلهف الى مقـــدم جيش عمر الجرار ليفك أسرها •

وبعد فتح دمشق كتب أبو عبيدة ابن الجراح الى عمر أمير المؤمنين يستشـــيره فى التـوجه الى فتح قيسارية أو الى بيت المقـدس • فأمره بالمسير الى بيت المقدس • ونزل الجنـــود المســلمون بيت المقدس فى فصل الشتاء فحاصروها أربعة أشهر •• حتى شاء الله أن يفتحها عليهم فجاء عمر وصـــالح أهلها وكتب عهده لهم •

وكـــان سرور أهـل ايليـــــاء (القدس) بهذا الصـلح عظيمـــا فأسرعوا يحيون عمر •

***

القدس والعهدة العمرية :

تحت هذا العنـــوان كتبت مجلة الوعى الاسلامى تقول : (١)

كان لمدينة القدس أسماء كثيرة فى التاريخ • أقدمهـــا (يبوس) نسبة الى (اليبوسين) بناة القدس • وهم بطن من بطــــون العـــرب الأوائل • نشـــأوا فى الجـزيرة العربية واستوطنوا هـــذه الديار سنة ٣٠٠ قم •

***

وكان اســمها عنـدما فتحهـــا المسلمون (ايلياء) أو ايليا ومعناه بيت الله •• وقد ورد هذا الاسم فى وثيقة الأمان التى أعطاها عمر أمير المؤمنين رضى الله عنه لسكان المدينة ونصها :

« بسم اللــه الرحمن الرحيم : هـــذا ما أعطى عبـد اللــه أمـير المؤمنين أهـــل ايليا من الأمـــان • أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، ســقيمها وبريئها ، وســـائر ملتهـــا • أن لا تسكن كنائســـهم ولا تهـــدم ولا ينقص منهـــا ولا من خيرها ، ولا من صـــليبهم ولا من شىء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ، ولا يســـكن ايليا معهم أحد من اليهود • وعلى أهل أيليا ان يعطوا كما يعطى أهل المـــدائن ، وعليهم أن يخرجـــوا الروم واللصوص • ومن خـــرج

---

(١) الوعى الاسلامى ربيع الاول سنة ١٤٠١ هـ

منها فانه آمن وعليه مثل ما عــلى أهل ايليا من الجزية • ومن أحب من أهل ايليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم ، وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض •

فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية او من شـــاء ســـار مع الروم ومن شـــاء رجع الى أهله • فانه لا يؤخذ منهم شيىء حتى يحصد حصـــادهم • وعلى مافى هذا الكتاب عهد اللـــه ، وذمة رسولـــه وذمـــة المـــؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية• شهد على ذلك خالد بن الوليـــد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرو بن العاص •

وقد سمى هذا الكتاب (العهدة العمرية) •

وأذا تأملنا هذه العبارة « وعلى مافى هذا الكتاب عهد الله وذمـــة رسوله والمؤمنين» وجدناها ارتباطا رائعا بالعقيدةالاسلامية ، والتزاما قويا بمضامينها وأحكامها •

وتسمية المدينة بالقدس كـــانت معروفة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وعهد الخليفة الثانى عمر رضى الله عنه • وأما تسميتها ايليا فى العهدة العمرية فلا ينـــافى ذلك • وقد يكون فى ذكره تطييب لخاطر أهل البلد خاصة وهو اسم غير مستنكر •

***

المسلمون والجهاد المقدس

كتب الأستاذ عبد المنعم قنديل تحت هذا العنوان مقـــالا بجريدة الأخبار بتاريـــخ ١٩٨١/٣/٣٠ م قال فيه :

أما آن للمسلمين أن يرفعوا راية الجهـــاد ويســـارعوا الى نجـــدة الشـــعب الأفغـــانى المســـلم الجريح ••؟ انـــه يخـــوض الآن معركة شرسة ضارية ضـــد دولة ملحدة ، لا دين يردعها ، ولا خلق يزعها ، ولا ضـــمير يخزهـــا ، ولا انسانية تحرك نوازع الرحمة ••دولـــة تفخر بذبح الأطفـــال ، وتباهى بقتل النساء ، وتغنى لمرأى المدابح ، وتبتسم لمنظر الخراب •

ونجدة المسلم حين يقع عليه العدوان أحد المبادىء الاسلامية الكبرى • ان أفغانستان كلها تطالب باعلاء كلمة الله فى أرض هبت عليها أعاصير الالحاد بما يحمل من نسف وقهر وعنف واضطهاد •• بكل ما فيه من ظلم وظلمات •

وهذه كلمة وردت فى جريدة العروة الوثقى ، فيها تذكرة للمسلمين بما يجب أن يكونوا عليه :

« ان المسلمين لا يسمح لهم يقينهم بالله وبما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام أن يقنطوا من رحمة الله فى اعادة مجدهم مع كثرة عددهم • ولا يسوغ لهم ايمانهم أن يرضخوا للذل ويرضوا بالضيم • ويتقاعدوا عن اعلاء كلمتهم •• » •

واذا كان قدر الشعب الأفغانى المسلم أنه ابتلى بهذه المحنة القاسية • فان من حقه علينا أن نضمد جراحه •

اننا الآن أمام طريقين :

اما أن نسلك سبيل المؤمنين النتر شرقا وفى جبهة الصليبيين

ونبدأ مرحلة الجهاد المقدس مع اخوة لنا •• ولا نبخل بنفس أو مال فى هذه السبيل • واما أن نتربص حتى يأتى الله بأمره •• !!

***

الصراع بين الحق والباطل ••

كتب فضيلة الشيخ محمد الغزالى مقالا تحت هذا العنوان بمجلة منار الاسلام التى تصدر فى (أبى ظبى) عدد جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ قال فيه : دخل المسلمون فى تاريخهم الطويل فى معارك شتى • ويلاحظ أن هذه المعارك كانت تسودها ظاهرة متشابهة • هى أن المسلمين كانوا يحاربون فى جبهتين باستمرار •

ففى عهد النبوة : كان القتال مع المشركين وفى الوقت نفسه مع أهل الكتاب وفى عهد الخلافة الراشدة كان القتال مع المجوس الوثنيين ، وكان مع الرومان النصارى •

وفى الحروب الصليبية اشتبك المسلمون فى جبهتين أيضا • فى جبهة

القادمين من أوربا غربا •

وفى عصرنا هذا نجد المسلمين أيضا يحاربون فى جبهتين ، جبهة الاستعمار الصليبى والصهيونى ، وجبهة الشيوعية الزاحفة التى تريد أن تطوى أعلام الدين فى كل قطر ، ومع ذلك فان المسلمين الذين توزعت جهودهم على جبهتين استطاعوا أن ينتصروا •

ويمكن أن يقال ان الأمة الاسلامية ظلت ألف سنة وهى أمة أولى فى العالم • قد تكون دول أخرى شاركتها فى هذه الأولية فى القرون الأخيرة — القرون العشرة الأخيرة — لكن تفردت بأولية نحو ستة أو سبعة قرون •

كانت الأمم الأخرى تشعر بأن المسلمين متفوقون أدبيا وعسكريا وخلقيا ، وكانت شهادة الاعداءأن الأسلحة الاسلامية أقوى وأن المشرفين عليها أذكى وأن أهداف المدافع أبعد •

ان الأمة الاسلامية كانت فعلا أمة منتصرة ، وان أعداءها لم يهدأوا خلال القرون العشرة الأولى فى التاريخ الهجرى ، لم يهدآوا يوما الا لأن المسلمين استطاعوا أن يظلوا أقوياء ، وأن يبقوا فى الطليعة • وأن تكون قافلتهم دائما سباقة تحتل المقدمة •

فاذا كان المسلمون قديما قد انتصروا فهم انتصروا بجدارة • واذا كان المسلمون الآن قد تأخروا فلأنهم يجب أن يتأخروا • فان المقدمات لابد أن تجيىء بنتائجها •

عاطف زهران

الفتـــاوى

إعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

س : مواطن سعودي يسـأل : هل يجوز انتاج نموذج مجسـم للكعبة المشرفة (أرفق النموذج) بقصد تداوله فى العالم الاسلامى ؟

ج : بناء على سؤالكم الخـاص بمشروعكم بانتاج نموذج مجسـم للكعبة المشرفة على النحو الموضح بالصورة المرفقة نفيد : أن كل عمل يدعو لنشر الاسـلام ويحببه الى قلوب الناس هو من باب العمـل الصالح .

ولما كان هذا المشروع يجـذب الأبصار والبصائر معا الى الكعبة المشرفة قبلة الاسـلام ، ولما كان من شأنه أن يحبب الناس فى هذا المـكان المقدس الذى يعتبر رمزا لتجمع المسـلمين باتجاههم اليـه خمس مرات فى صلواتهم فى اليوم والليلة ، ولما كان من شأنه أن يدخل السرور عـلى قلـوب المؤمنـين الصادقين ، وأنه لا ضرر من ورائه على الاطلاق .

من أجـل ذلك نرى أنه لا مانع شرعا من عمل هذا النموذج للكعبه المشرفة ونشره بين الناس .

س : ما حكم مصافحة الرجـل المرأة الأجنبية ؟

ج : يحرم على الرجل مصافحة المرأة الأجنبية ، والرسول صـلى الله عليه وسلم ـ وهو المعصـوم ـ لم يصافح « حين بايع النساء » واحدة منهن كما جاء فى الأحاديث الصحيحة .

كما جاء النهى عن لمس المرأة الاجنبية ..

س : أريد أن أنقل والدتى المتوفاة من مقبرتها ، لأن المقبرة مهددة بالسقوط نتيجة المياه الموجودة بداخلها كما أن المقبرة طلعت فى التنظيم ولكن أخواتى يمانعن بحجة أنها لو خرجت من هذه المقبرة ودخلت مقبرة أخرى سوف يعاد حسابها .. فما الحكم ؟

ج : لا مانع من نقل والدتك من هذه المقبرة مادامت مهددة بالسقوط وبداخلها مياه لأن هذه الأشياء تعتبر ضرورة ، وحيث أن المقبرة طلعت فى التنظيم فى شارع فلكم أن تنقلوها .

أما أنها سوف يعاد حسابها اذا طلعت من هذه المقبرة الى مقبرة أخرى فهذا شىء ليس له أساس فى الشرع .

س : حكم على طفل غير بالغ بعقوبة الأحداث لأنه قتل والده فهل يرث ؟

ج : القتل المانع للارث هو القتل الصادر من المكلف — فأما الصادر من غير المكلف فانه لا يمنع من الميراث . وبهذا قال الأئمة .. الا أن الشافعى رضى الله عنه قال: ان القتل مانع من الميراث مطلقا سواء كان القاتل مكلفا أو غير مكلف وذلك على الصحيح عنده .

والمفروض أن يتحرى عن بلوغ الطفل بالاحتلام وقت الحادث .

س : تصرف وزارة الاسكان معونة للمساجد التى تقام بالجهود الذاتية . ويقال ان هذه المعونة من حصيلة الميسر فما الحكم ؟

ج : المتحصل من الميسر للحكومة قد اختلط بالحلال ،واذا اختلط الحلال بالحرام أصبح من باب الشبهة ، والشبهة من باب المباح لا من باب الحرام ، اذ أن الحرام ما تيقنت حرمته .

وعليه فيجوز انفاق ما اختلط فيه الحلال بالحرام فى مصالح المسلمين العامة .

س : يعمل بعض العمال فى شركة انشائية بالكويت ، وحينما

يحين وقت الصـــلاة فمراقب عام الشركة يمنعهم من الصـــلاة فى وقتها ، معتمدا على أن هذا يعطل العمل • فما الحكم ؟

ج : الصلاة تجب على سـبيل التراخى لا على سـبيل الفـور ، فاذا أمكن أداؤها فى وقت راحـة العمل فى وسط الوقت أو قبل آخره جاز الاستمرار فى العمل مع تأخير الصلاة • وان لم يمكن أداؤها فى الراحة لاستمرار العمل حتى يدخل وقت الفريضة التـالية وجب أداء الفريضة مع العمل •

الا اذا خيف الفصل من العمـل الذى يتوقف عليه رزقه فيجمـع بين الفريضتين (الظهـر والعصر معا ، والمغرب والعشاء معـا) فى وقت أحدهما تقديما أو تأخيرا •

والله أعلم ••

عبد الحميد شاهين

هكذا يكتب القراء

إعداد عبدالعزيز احمد جمبرة

« العمل عبادة »

تحت هذا العنوان كتب القارىء أحمـــد خضير (شركة مضـــارب رشيد) يقول :

ان العمـــل هو القيمـــة الاولى والقيمة العليا فى الحياة • وأعظم مميزات الاسلام أنه دين الحياة • بكل معانيها وكل مقتضياتها •

فهو يدعو الى العمـــل ، ويحث على الكفـــاح ، ويـــذم التـــواكل والخمول والكسل •• كانت هـــذه الظاهرة العظيمة ــ ظاهرة الكـــد والكفاح والعمل والدأب المتواصل والسـعى الجـــاد ــ هى ســلوك الانبياء والرسل عليهم الصـــلاة والسلام • وما بعث الله نبيـــا ولا رسولا الا وكان عاملا يأكل مـــن عرقه وكده •

وقد رعى سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ الغنم فى صباه• وعمل بالتجارة فى شبابه بين اليمن والشام •

وفى ذلك يقول الله سبحانه :

« وقل اعملوا فســيرى اللـــه عملكم ورســـوله والمؤمنـــون ، وســـتردون الى عـــالم الغيب والشـــهادة فينبئكم بمـــا كنتم تعملون » •

ونرى من الانبيـــاء من عمـــل خياطا ، ومن عمل نجـــارا ، ومن عمل بالتجارة وغيرها من أعمال • جعلت الانبياء وهم صـــفوة الخلق يضربون المثـــل العليـــا فى الجـــد والكدح • ليتأسى بهم من تبعهم •

ولذا ــ ومن هـــذا المنطلق ــ حث الاسلام على العرق • ومدح

من يكدون فى أعمالهم « من أمسى كالا • أمسى مغفورا له » ويمدح النبى صلى الله عليه وسلم يدا خشنة من أثر العمل • فيقول :
«هذه يد يحبها الله ورسوله» •

« الله أكبر »

كتب القارىء : عبد التواب صابر محمد يقول : —

يهتف المسلم (الله أكبر) اذا واجهته الشدة • أو تسلط عليه جبار • فيشعر بالعزة لانه موصول بالله • فتهون الشدة ولا يبالى بقوة بشرية متسلطة لانه على يقين كامل بما ينطق (الله أكبر) هو شعار العزة بالله • وشعار المساواة ، وشعار الحرية التى لا تخشى الا الله • كما أنها شعار لتهذيب النفوس ، وحفظها من الغرور •

والصلاة هى رأس العبادات فى الاسلام • ينادى بها المؤذن خمس مرات كل يوم • ويردد بين ثنايا ندائه هذا الشعار • فيدوى صوته فى كل مكان • ويستجيب له المؤمنون • ويسرعون الى الصلاة التى تبدأ بالتكبير • وفى خلالها وبين أركانها وسننها لا يفتأ المؤمن يذكر (الله أكبر) فتعمر أوقات المسلمين ليلا ونهارا بذكر الله وتكبيره • وتمجيده وتعظيمه • فيزداد المؤمن ايمانا بالكبير المتعال •

ثم يزداد بالصلاة اتصالا بالقوى العزيز • ولا ينفرد المؤذن بالتكبير بل ان المسلمين جميعا اذا سمعوا المؤذن ينادى يرددون النداء والتكبير معه • استجابة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن » •

واذا أردنا أن نشعر دائما بقوة نستمدها من الله • فلنكثر من تكبيره سبحانه • قال تعالى :

« وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك • ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا »

« من خصائص الاسلام »

كتب القارىء : محمـد محمـود منصور (الوحدة المحلية بميت بره) يقول :

جاء الاسلام للناس عامة .لانه اعتبر الناس جميعا وحدة واحدة تؤلف بينهم طبيعة واحدة . ويوحد بينهم مصير واحد .

فنشـأة الانسـان من طين . والمنتهى المحتوم هو الموت . ومن هنا كان الدين هـدى وموعظـة للمتقين . وهو أيضـا بدسـتوره السماوى بيان للناس « **هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين** ».

وتلك هى صـفة العالميـة فى الاسلام التى جـاءت لتخـاطب الناس جميعا دون نظر الى أمة أو لون أو قوم أو جنس .

ومن هنـا كانت آيات القـرآن الكريم تخـاطب البشرية عامة . وتدعوها الى التعرف على الخالق سـبحانه . من خـلال التفكر فى مخلوقاته عز وجل .

موضـحة لهم أن التميز اذا قام فانما يقوم على التقوى والعمـل الصالح . قال تعالى : « **يا أيهـا الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقـاكم . أن الله عليم خبير** » .

وأرسى الرسـول ــ صلى الله عليه وسلم ــ تلك القاعدة فقال : « **لا فضـل لعربى على أعجمى** . ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى » فالتقوى هى أساس التفاضـل . ولا شىء غير التقوى .

لقـد جعل الاسـلام من بلال عظيما من عظماء الاسلام . كمـا جعل من سلمان الفارس من أكرم الفتيان . وسيدا مكرما يتمنى كل مسلم منزلته لمـا أولاه النبى من حب واجلال . يوم رفعه الى مرتبة النسـب الشريف « سلمان منا آل البيت » .

عبد العزيز أحمد

أخبار العالم الإسلامي

إعداد أحمد عبد الرحيم السايح

القاهــرة ..

— تقرر انشــاء معهد عال للدراســات الصــــوفية لتخريج مبعوثين صـــــوفيين على درجة كبيرة من العلم والالمام بالاداب الصوفية لتوضيح المسار الصحيح الذى يســير عليه كل مســلم فى طريق الحق والهدى .

— قرر عبد اللطيف لقمــة أحــد الذين اشتروا محــلات « جرووبى » منع تقديم الخمور أو بيعها ، ومنع تقديم لحم الخنزير فى محلات جرووبى أو فروعها .

— صرح فضــيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر بأن تجربة الزام طالبات الجامعــة الأزهــرية بارتداء الــزى المحتشم الذى يتناسب مع تعاليم الدين الاســلامى قد نجحت . وقال ان نسبة الالتزام بين الطالبات تعدت ٩٠ ٪ .

— نظرا للنشاط المتزايد والنجاح الكبير الذى احرزه بنك مصر فرع الحسين للمعاملات الاســلامية قرر البنك فتح خمســة فروع بالاســكندرية والزقازيق والمحلة الكبرى ودمنهور والمنيا وهذا يدل على نجاح المعاملات الاسلامية .

السـعودية ••

ــ تستعد وكالة وزارة الحج والأوقاف لاقامة المسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره وذلك خلال شـهر جمادى الثانية فى قاعة التضامن الاسلامى بمكة المكرمة •

ــ اعلنت منظمة الطيران الاسلامى بجـده أن شركات الطيران العربية والاسلامية قد وافقت على الاقتراح الذى ينص على تخفيض أجور السفر للشباب المسلم بمعدل ٥٠ ٪ للتنقل بين الدول العربية والاسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجرى •

السـودان ••

ــ عقـد فى الخرطوم خـلال أبريل المؤتمر العالمى للدعـوة الاسـلامية بهدف التوصل الى فكر اسلامى مشترك ومتطور لمواجهة التحديات المعاصرة ووضع الأسس الصـحيحة لاستراتيجية موحدة للدعوة الاسـلامية •

سلطنة عمان ••

ــ يزور سلطنة عمان وفد من المركز الاسـلامى فى منطقة توليدو بولاية اوهايو الامريكية •• وسـوف يبحث الوفد تعاون الدول الاسلامية مع المركز الاسلامى فى توليدو •

أبو ظبى ••

ــ يفتتح فى أواخر ابريل ١٩٨١ م المعرض الدولى الأول للكتاب الاسلامى الذى تقيمه دولة الامارات العربية المتحدة •

المغـرب ••

ــ تم فى الرباط افتتاح معرض للخرائط الاسـلامية الذى

تنظمه جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ويحتوى المعرض على جملة من الخرائط التاريخية للعالم ولبعض المناطق كما رسمها مؤرخون مسلمون مثل البيرونى والادريسى ٠

ـ من المقرر ان تعقد خلال شهر ابريل بمدينة الرباط بالمملكة المغربية ندوة للتشريع الاسلامى تنظمها المنظمة العربية للدفاع الاجتماعى ، وستتضمن الندوة بحوثا حول التدابير الوقائية فى التشريع الاسلامى وأساليب تطبيقها ٠

الكويت ٠٠

ـ طالب المجتمعون فى المؤتمر الأول للطب الاسلامى بالكويت باقامة جامعة طب اسلامية تعنى بتدريس العلوم الطبية الاسلامية للاستفادة من الخبرات الاسلامية فى البلاد الاسلامية ٠

الولايات المتحدة الامريكية ٠٠

ـ عقد المركز الاسلامى بواشنطن اجتماعا حضره جميع السفراء فى العاصمة الامريكية لبحث النشاطات التى تقوم بها الجاليات الاسلامية واعادة تنظيم شئون المركز الاسلامى ٠

ـ قام اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا بشراء ارض مساحتها نصف مليون متر مربع وذلك لاقامة المنشئات الاسلامية عليها لتكون منطلقا للدعوة الاسلامية ٠ وتجميعا للطاقات العاملة لنشر الهداية القرآنية ، وخلال أشهر قليلة سيوضع حجر الاساس للجزء الأول من هذا المشروع الاسلامى فى القارة الامريكية ٠

البرازيل ٠٠

ـ على طريق الهداية والرشاد الى الدين الاسلامى تم اشهار

اســلام سيدتين برازيلتين • وقد لاحظ المراقبون زيادة الداخلين فى الاسلام دين الفطرة •

فرنســا ••

ـــ يعقد فى شهر اكتوبر القادم مؤتمر اسلامى لمسلمين فرنسا من أجل احياء الدعوة الاســلامية فى أوربا وكان مسلمو فرنســا قد عقدوا اجتماعا تمهيديا ، قرروا فيه انشــاء مجلس أعلى للشــئون الاسلامية فى فرنسا •

ـــ تم وضع حجر الاســاس للمســجد الحادى عشر فى مدينة « مانت » التى تبعد ٥٠ كيلو مترا غربى باريس •

موريشس ••

ـــ دخل بعض الشباب فى موريشس فى الدين الاســلامى عن اقتنــاع •

جبهة مورو ••

ـــ بدأ المســلمون فى مورو يواجهون التحديات التى تعمل على ابادتهم •

ـــ اصدرت لجنة الشئون الخارجية بجبهة مورو الوطنية بيانا عن سير المعارك الدائرة فى بلاد المورو جنوب الفلبين •

ارتيريا ••

ـــ توصلت فصائل الثورة الاريترية الأربعة الى اتفاق بشــان توحيــد المقاومة ، واعطاء حــرية التحرك لكافة التنظيمــات داخل الســـاحة •

أخبار الأزهر

إعداد / الشافعي عبد الرازق

القبول بالثانوى الأزهرى
لحملة الاعدادية الأزهرية فقط

تقرر قصر القبول بالمعاهد الثانوية الأزهرية على الحاصلين على الاعدادية من المعاهد الأزهرية . صرح بذلك فضيلة الشيخ عبد الله كريم وكيل الوزارة لشئون المعاهد الأزهرية ، وقال فضيلته : ان هذه المعاهد لن تقبل ابتداء من العام الدراسى القادم الحاصلين على الاعدادية العامة .

زيارات الى الأزهر

استقبل السيد الأستاذ عبد الحليم حلمى محمود وكيل الوزارة لشئون مكتب شيخ الأزهر والأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر بمكتبه وفد معهد الدراسات الدبلوماسية برئاسة الاستاذ الدكتور برونوايتين أستاذ البحوث فى مركز بحوث ودراسات مجتمعات البحر المتوسط والذى يهتم بموضوعات من بينها الدراسات الاسلامية .

قرارات فضيلة الامام الأكبر

أصدر فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر قرارا بندب فضيلة الأستاذ عبد الحليم حلمى وكيل الوزارة لشئون مكتب شيخ الأزهر أمينا عاما للمجلس الأعلى للأزهر بالاضافة الى عمله .

زيارات فضيلة الامام الأكبر :

زار فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر ظهر يوم الاثنين الموافق ٦/٤/٨١ المحلة الكبرى بدعوة من السيد الوزير أحمد القصبي محافظ الغربية والسيد عبده الشناوى رئيس مجلس المدينة لافتتاح المجمع الاسلامى الكبير الذى يضم معهدا أزهريا للفتيات بلغت تكاليف انشائه ١٤٠ ألف جنيه ومسجدا على أحدث طراز اسلامى •

كما زار فضيلته فى اليوم التالى ٧/٤/٨١ محافظة المنوفية بدعوة من السيد الوزير محمود محروس أبو حسين محافظ المنوفية لحضور الاحتفال السنوى الكبير لمسابقة القرآن الكريم والدين الذى يقيمه مجمع أنور أحمد الاسلامى بسبك الضحاك •

شيخ الأزهر وعلماؤه يشكرون رئيس الجمهورية :

توجه فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر وبصحبته فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس الجامعة وأصحاب الفضيلة وكيل الأزهر وأمين عام المجلس الأعلى للأزهر وأمين عام مجمع البحوث الاسلامية ووكيل الوزارة لشئون مكتب فضيلة الامام الأكبر ونواب رئيس الجامعة وعمداء الكليات ووكلائها ونخبة من علماء الأزهر الى القصر الجمهورى بعابدين لشكر السيد الرئيس محمد أنور السادات على زيارته جامعة الأزهر وتكريمه العلماء •

الشافعى عبد الراضى

فهرس العدد

الموضوع | صفحة

● الرئيس محمد أنور الســـادات يكرم علماء الأزهر . . . ١١٣٨

● طهرتم مجتمعنا من خبراء الشر والمفسدين
فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ١١٤١

● رسالة الأزهر
فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار ١١٤٧

● الأزهر وجامعته يرحبان بك
الدكتور عبد اللطيف خليفـــة ١١٤٩

● جلســـات المؤتمر ١١٥٢

● حديث الشهر
للدكتور عبد المعطي بيومي ١١٥٦

دراسات قرآنية

● بين يدى الاسراء والمعراج
للدكتور محمد الطيب النجــار ١١٦٦

● حول الاسراء والمعراج
للأستاذ / السيد حسن قرون ١١٧١

● المادة المعجمية
للدكتـــور أمين فاخـــر ١١٧٨

● قصة القدس ١١٨٩

● بيت المقدس
للأستاذ / عبد المعز عبد الحميد الجزار ١١٩٠

● القدس فى التاريخ
للأستاذ / حمدى الليثى ١١٩٣

● مواقف الأزهر المشرفة ١١٩٧

● بيـــان للمســـلمين ١٢٠٤

الموضوع — صفحة

فى التشريع الاسلامى

• نحو نظام اقتصادى اسلامى
للدكتور / أحمد عبد العزيز النجار ١٢١٠

• الاعلام فى رسالات السماء
للأستاذ / محمد كمال الدين ١٢٢١

أعلام الاسلام

• من ائمة المحدثين الامام مسلم
للدكتور الحسينى هاشم ١٢٢٨

• غزالى القرن الرابع عشر
للدكتور / عبد الفتاح بركة ١٢٣٤

• الامام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود
للأستاذ محمد شلبى ١٢٥٠

• الشيخ احمد الشرباصى
للدكتور / محمد محمد ابو موسى ١٢٦١

• طرائف ومواقف
اعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٢٧١

من حضارة الاسلام

• عروبة القدس واسلاميتها
للدكتور / محمد محمد خليفة ١٢٧٦

• حول الاسراء والمعراج
للأستاذ / على عبد العظيم ١٢٨٦

• الاسراء والمعراج بالجسد والروح معا
بقلم الدكتور / محمد محمد الشرقاوى ١٢٩٣

• رحلة عبر خط الوحى
للدكتور / السيد رزق الطويل ١٢٩٩

• المسجد الاقصى ومكانته فى الاسلام
للدكتور / احمد عمر هاشم ١٣٠٤

الموضوع | صفحة

- **الاسراء والمعراج وغزو الفضاء**
  للأســتاذ / محمد أحمد بدوى ١٣٠٩
- **جوائز عالمية**
  للأســتاذ / موسى محمد على ١٣٢١
- **القدس رؤى من هناك**
  للأســـتاذ / حامد الجوجرى ١٣٢٨
- **صلاح الدين الأيوبى شخصية فى سطور**
  بقلم سعيد عبد الحى ١٣٣١
- **قالت الصحف**
  اعـداد عاطف زهران ١٣٣٣
- **الفتـــاوى**
  اعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين ١٣٣٨
- **هكذا يكتب القراء**
  اعداد عبـد العزيز أحمد جبرة ١٣٤١
- **أخبار العالم الاسلامى**
  اعداد أحمد عبد الرحيم الســـايح ١٣٤٤
- **أخبار الأزهر**
  اعداد / الشافعى عبد الراضى ١٣٤٨

طبعت بمؤسسة روزاليوسف

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث
الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

○ ○ ○

العنوان : إدارة الأزهر
بالقاهرة
تليفون : ٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

● ● ● ● ●

رئيس التحرير
د. عبد المعطي محمد بيومي

صورة الغلاف

مدخل قاعة الامام محمد عبده
بالازهر الشريف

الجزء الثامن السنة الثالثة
والخمسون ـ شعبان سنة ١٤٠١ هـ
يونية سنة ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

« كلمة التحرير »

اجتمع البعض فى جلسة تصوروا خلالها أنهم يملكون توجيه الكون والحياة وراحوا يتحدثون فى أمور كثيرة صورها لهم الخيال والعقل الجمعى .

وتحدثوا عن الازهر فيما تحدثوا ولا يملك أحد منهم شيئا من الاحصائيات أو الدراسة العلمية التى تمكنه من النقد السليم والكلام الرصين .

وبعض هؤلاء كانت تحكمه بعض الخبايا النفسية وان أحدهم لو أعطاه الازهر درجة الدكتوراه التى يدعيها لتغير حديثه ولكانت نفسه هدأت أمامها عليه ولكان تفكيره أقرب الى المعقولية والاتزان وكنا نفكر فى مجلة الازهر ان نعرض جهود الأزهر فى خدمة الدين والعلم لكن رأينا استقر فى النهاية على الاكتفاء بما أبداه السيد الرئيس السادات فى الشهر الماضى من تقدير للازهر وتكريم لعلمائه واعتراف نعتز به بما يؤديه لمصر والعالم الاسلامى .

ثم الاكتفاء بما ننشره هنا من تقرير عن رحلة فضيلة الامام الاكبر لتفقد أحوال المسلمين فى شرق آسيا أداء لرسالة الأزهر الى العالم الاسلامى .

وكفى بهذين ردا على ما اعتملت به صدور هؤلاء والله يشفى .

« التحرير »

المؤتمر الصحفى

الذى عقده فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

بمناسبة عودته

من الزيارة التى قام بها الى جنوب شرق آسيا

عقد فضيلة الأمام الاكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار مؤتمرا صحفيا فى يوم الاثنين ١٤ رجب ١٤٠١ (١٨/٥/١٩٨١) عقب عودته من الزيارة التى قام بها الى دول جنوب شرق آسيا وهى : (باكستان ــ أندونيسيا ــ ماليزيا) بدعوة من رؤساء حكوماتها • وقد حضر المؤتمر عدد كبير من الصحفيين المصريين والعرب والمراسلين الأجانب ومندوبين عن المجلات التى تصدر بالقاهرة كما حضر المؤتمر مندوبون عن اذاعة جمهورية مصر العربية والتليفزيون العربى •

وقد بدأ المؤتمر فضيلة الدكتور / محمد السعدى فرهود وكيل الأزهر بكلمة رحب فيها بالحاضرين ونوه بأهمية هذه الزيارة ثم قدم فضيلة الامام الاكبر فقال فضيلته كنت أود أن يكون لقائى بكم عقب حضورى الى مطار القاهرة ولكن تأخير موعد الطائرة هو الذى تسبب فى تأجيل لقائى بكم •

فضيلته يعلن أن الاتصال المباشر

أقوى طريق للتفاهم وتبادل الآراء والأفكار

ثم تحدث فضيلته بايجاز عن أهداف رحلته وقال أنها تشتمل على أربعة أهداف :

أولا : أوضح أنه حمل رسائل شفوية من رؤساء هذه الدول تعبر عن الود والاخاء والتعاون بين هذه الدول ومصر والأزهر وأنه سينقل هذه الرسائل الى الرئيس السادات .

ثانيا : استطلاع أحوال المسلمين فى قارة آســيا وما يحتاجون اليه من دعم علمى ومادى من الأزهر . وذلــك .

ثالثا : لتحقيق التلاحم المباشر مع شعوب هــذه الدول للتعرف على واقع حيــاتهم ليتمكن الأزهر من معرفة أحوال المسلمين فى هذه الدول .

رابعا : التعرف على ما يتعرض له المسلمين فى هذه القارة من تيـارات معاصرة وتحـديات من أعـداء الاسلام وذلك لمواجهتها علىمستوى فكرى وعلمى.

وقد تحدث فضيلة الامام الأكبر بعد ذلك عن أهم أحداث (زيارته الى باكستان : وفى باكستان قال أنه غادر القاهرة الى باكستان يـوم ٢١ مايو حيث استقبل استقبالا رسميا وشعبيا وكان رأس المسـتقبلين الرئيس الباكستانى ضياء الحق وقد مكث فضيلة الامام الأكبر والوفـد المرافق ثمانية أيام فى (اسلام آباد) وعقد كثيرا من الاجتماعات • وكان حريصا على الالتقاء بالأخوة المسلمين • والتعرف على مشـاكلهم لذلك كانت البرامج مكثفة •

وقبل مغادرة باكستان رغب فضيلة الامام على زيارة المجـاهدين الأفغان المقيمين فى باكستان •

وقد اجتمع بهم فضيلته فى مقر سفارة مصر بباكستان حيث تعرف على منهج كفاحهم وكيفية تعاون الأزهر معهم •

وبعد ذلك غادر باكستان الى أندونيسيا :

وعن أندونيسيا :

تحدث عن الاستقبال الرائـع الذى قـوبل به من قبـل الرئيس الأندونيسى (سوكارتو) وكذلك الاسـتقبال الرائع من الصـحافة الأندونيسـية •

وقد استمرت الزيارة فى أندونيسيا سبعة أيام زار خلالها مختلف المؤسسات الاسلامية هناك •

وعن ماليزيا :

تحدث عن الاستقبال الرائع الحار من قبل المسئولين الماليزيين •

وفى اليوم التالى لزيارة فضيلة الامام لماليزيا عقدت الجـامعة الماليزية مؤتمرا كبيرا حيث منحت فضيلته شهادة الدكتوراه الفخرية ٠

ثم تحدث عن اجتماعه بملك ماليزيا وقال ان ملك ماليزيا تحدث عن موقف الاسلام والمسلمين فى ماليزيا وشرح أحوال المسلمين فى الولايات الماليزية الأخرى ٠

فضيلة الإمام الأكبر يؤدى دور الأزهر كاملاً ويرعى حاجات المسلمين فى شرق آسـيا

وقد أشاد فضيلة الامام بدور خريجى الأزهر فى الولايات الماليزية وقابل عـددا كبيرا منهم من بينهم السيد / وان مختار (رئيس وزراء ترنجان) وهـو من أحد تلاميذ فضيلة الامام فى كلية أصـول الدين جامعة الأزهر حينما كان أستاذا بها ٠

كما زار فضيلته (دار مؤسسة الطباعة العربية الخاصة) ٠

وقال انها تكلفت ١١ مليون دولار وخصصت لمعرفة التراث العربى الاسلامى عن طريق اللغة العربية ٠

كذلك اجتمع فضيلة الامام بكثير من المسئولين فى هذه الولاية وكلهم من خريجى الأزهر وفى مناصب مرموقة ٠

وقد اجتمع فضيلته مع مجلس الوزراء الماليزى حيث تحـدثوا عن موضوع (التنمية والاسلام) :

ثم تحدث فضيلة الامام عن مفهوم التنميـة فى الاسلام وأوضح لهم جيدا أن الاسلام لم يكن هو المعرقل للتنميةكما يدعى البعض منأعداء الاسلام٠ أشاد فضيلة الامام بالجمعيـات الخيرية والاسلامية فى ماليزيا ٠ وقال أن الجمعيات الخيرية فى ماليزيـا تقوم بمشروعات استثمارية قوية بجـانب النشاط الذى تقوم به ٠ كذلك جمعية الزكاة والادخار وهناك جمعية ترعى الحجاج ٠ وكلهم يسيرون على النهـج الاسلامى الصحيح ٠

وبعد أن انتهى فضيلته من هذا العرض لرحلته تحدث عن انطباعاته لهذه الزيارة فقال :

الحمد لله قد تبين لنا أن الاسلام فى آسيا بخير وأن اخواننا على وعى كامل بمبادىء الاسلام وقواعده ٠ وهم يعلقون آمالهم على الأزهر بما يحتاجون من منح دراسية ومدرسـين وكذلك مبادلة الوفود بيننـا وبينهم للتعرف على أحوالهم ٠

وبعد أن أنهى حديثه عن الرحلة استمعفضيلته الى عدد من الأسئلة التى وجهها له بعض الصحفيين والمراسلين الأجانب :

سؤال الأستاذ / محمود مهدى الأهرام

س : أرغب فى أن أتعرف على انطباعكم عن ما وقع لبابا روما ؟

وقد أجاب فضـيلة الامام الأكبـر حقيقة كنت فى ماليزيا فى ذلك الوقت وقد علمت بهذا النبأ الأليم وقد أسفت لوقوع هذا الحادث وعلى الأخص أنه أسند الى شخص مسلم فالاسـلام لا يعـرف الاعتـداء ولا الارهاب • وقد حرم كما نعلم جميعا الاعتداء على أى نفس بشرية •
وقد دعا فضيلة الامام للبابا يوحنا بالشفاء العاجل والصحة والعافية •

ثم سأل السيد / محمد رفيق خان باكستان) •
س : ما هى انطباعاتك عن تطبيق الشريعة الاسلامية فى باكستان ؟
وما رأيكم فى أنشاء الجامعة الاسلامية فى اسلام آباد ؟
فقال فضيلته بالنسبة لتطبيق الشريعة الاسلامية هناك جانبان :
الأول : هو مسئولية المسلم نفسه • مادام كل فرد يطبق الاسلام على حيلته الخاصة والعامة فكل شيىء يسير مطابقا للدين الاسلامى •
والثانى : هو مسئولية الحكام• أى أن دور الحكومة فى ذلك له أثر كبير من ناحية الجانب التنظيمى •
وبالنسبة لانشاء الجامعة الاسلامية فى اسلام آباد :
فالأزهر على أتم الاستعداد لمساعدة الجامعة وقـد تم البحث فى شأنها • وعلى الأزهر مسئولية كبيرة فى انجـاحها ولابد أولا من توفـير هيئة التدريس قبل انشاء هذه الجامعة •

فضيلة الإمام الأكبر يكشف أبعاد التحديات الفكرية التى يواجهها المسلمون فى باكستان وماليزيا وأندونيسيا

وعن مجلة الدعوة سأل الشيخ / صالح العشماوى •
س : ما رأى فضيلتكم فى التيارات المعادية للاسلام فى الدول التى قمتم بزيارتها ؟

البقية ص ١٣٦٦

فى فلسفة الحضارة

« نحن نعيش اليوم فى ظل انهيار الحضارة ، وهذا الوضـــع ليس نتيجة الحرب ، انما الحرب مجرد مظهر من مظاهره » ٠

ذلك ما قاله « البرت اشفيتسر » فى أول كلمة من كتابه « فلســـفة الحضـــارة » (١) ٠

وهو يتفق تماما مع ما قرره من قبل الفيلسوف البريطانى « برتراند راسل » فى قوله الصريح الحاسم « انتهت حضارة الرجل الأبيض » ٠

وما قاله الفيلسوفان حقا ليس راجعا الى الحروب التى اشـــتعلت فى هذا القرن الذى شـــهد حربين عالميتين فى ســـنتى ١٩١٤ ، ١٩٤٥ م وحروبا أخرى صغيرة فى انحاء متفرقة من الأرض مازال بعضها مستعرا حتى الآن لأن الحروب والأزمات الاجتماعية والسياســية على النطاقات

---

(١) ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى طبـــع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ٠

المحلية والدولية ، كانت نتيجة لانهيار الحضارة ولم تكن سببا لهذا الانهيار ٠

ودليل ذلك من فلاسفة الغرب أنفسهم أن كثيرا من هؤلاء الفلاسفة توقعوا منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هذه النهاية وهذا الانهيار وحذروا كثيرا أبناء جلدتهم ، والعالم كله من الانسياق وراء الحضارة الغربية والانبهار بها ٠

ففى سنة ١٩٠٣ م التقى الامام محمد عبده بالفيلسوف الانجليزى « هربرت سبنسر » فقال له ذلك الفيلسوف : « ان الانجليز يرجعون القهقرى فى الأخلاق والفضيلة فهم الآن دون ما كانوا عليه منذ عشرين سنة ٠

قال الاستاذ الامام محمد عبده : وفيم هذه القهقرى ؟

قال الفيلسوف : يرجعون القهقرى فى الأخلاق والفضيلة وسببه تقدم الأفكار المادية التى افسدت أخلاق اللاتين من قبلنا ،ثم سرت الينا عدواها فهى تفسد أخلاق قومنا وهكذا سائر شعوب أوربة ٠

قال الأستاذ الامام : الرجاء فى حكمة أمثالكم من الحكماء واجتهادهم أن ينصروا الحق والفضيلة على الأفكار المادية ٠

قال الفيلسوف : انه لا أمل فى ذلك ، لأن هذا التيار لا بد أن يأخذ مده الى غاية حده فى أوربا ، ان الحق عند أهل أوربا الآن للقوة » (١)

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٦٨ ٠

واذا كان السبب فى انهيار الحضارة عند هذا الفيلسوف هو كما صرح به سيطرة الأفكار المادية وزحزحتها للحق والفضيلة فان فيلسوفا آخر هو الدكتور « الكسيس كاريل » يقول : « ان الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب لأنها لا تلائمنا ، فقد أنشئت من غير أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية ، اذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأهوائهم ونظرياتهم ورغباتهم ، وعلى الرغم من أنها أنشئت بجهودنا فانها غير صالحة لحجمنا وشكلنا .

ان الحضارة آخذة فى الانهيار ، لأن علوم الجماد قادتنا الى بلاد ليست لنا ، فقبلنا هداياها جميعا من غير تمييز ولا تبصر (١) .

لكن « اشفيتشر » صاحب كتاب فلسفة الحضارة لا يرجع انهيار الحضارة لسلطان الأفكار المادية أو الجهل بحقيقة الانسان بل يرجعه الى غرور العقل الانسانى الذى زاد عن حده وتقدم ليضع المثل الاخلاقية والقيم الروحية من تلقاء نفسه ، وبدا للانسانية ان هذه المثل التى وضعها العقل كافية لاستقرار الحضارة الانسانية وازدهارها لكنه سرعان ما اصطدمت هذه المثل والقيم العقلية بالحقائق الواقعية فلم تثبت هذه المثل أمام الواقع واخذت تختفى شيئا فشيئا حتى انعدمت نهائيا .

يقول : « لكن ماهى المقدمات التى أفضت الى ضياع القوة من القوى الباطنة للحضارة ؟

ان عصر اصحاب الكشف والمذهب العقلى قد وضع مثلا اخلاقية تستند الى العقل ، وتتعلق بنماء الانسان الفرد الى الرجولة الحقة وبمكانتها فى المجتمع ، وبالمشاكل المادية والروحية الناشئة عن المجتمع ، وبالعلاقات القائمة بين الأمم المختلفة وما يتطلب ذلك من قيام انسانية ينبغى لها أن تتحد فى سعيها الى الأهداف الروحية والاخلاقية العليا .

---

(١) الانسان ذلك المجهول ص ٢٧ أنظر سيد قطب « الاسلام ومشكلات الحضارة » .

وهذه المثل بدأت فى الفلسفة وفى التفكير العام بالاتصال بالواقع وتغيير البيئة العامة وفى خلال الاجيال الثلاثة أو الأربعة الماضية حدث من التقدم فى الأفكار التى تقوم عليها الحضارة وفى تحقيقاتها المادية ما جعل الناس يعتقدون ان عصر الحضارة الحقيقية قد اشرق فجره على العالم وأن التطور سيمضى قدما من غير توقف •

لكن فى حوالى منتصف القرن التاسع عشر بدأ هذا التفاهم والتعاون المتبادل بين المثل الاخلاقية والحقيقة الواقعية يتداعى وفى خلال العقود القليلة التالية اختفى شيئا فشيئا حتى انعدم نهائيا •

لقد افلست الحضارة دون مقاومة ودون شكوى ، وتخلفت أفكارها ، وكأنها بلغت من الاعياء ما جعلها لا تستطيع السير معها » (١)•

واذا كان لنا أن نمضى مع هذا الفيلسوف فى تحليله لسبب انهيار الحضارة وفشل المثل العقلية وعدم تلائمها مع الحقائق الواقعية فانه يرد ذلك الى عجز الفلاسفة وفشل الفلسفة فى ابتكار نظرية أخلاقية للكون فى الوقت الذى كانت فيه العلوم الطبيعية تنمو وتزداد قوة •

« ان المهمة الكبرى للفلسفة هى أن تكون دليلا للعقل العام وحارسا ، وكان من واجبها فى ظروف هذا العصر ان تعترف للدنيا بأن المثل الأخلاقية لم تعد تسندها أية نظرية عامة فى الكون » •

وهو يقصد النظرية الأخلاقية •

ولقد كان بودنا أن نستقرىء المزيد من تحليلات الفلاسفة الغربيين لأسباب انهيار الحضارة الغربية من سيطرة الأفكار المادية كما يقول سبنسر والجهل بحقيقة الانسان كما يقول « كاريل » أو انعدام النظرية الأخلاقية وعجز الفلسفة عن أداء مهمتها لابتكار وتوطيد هذه النظرية والأسباب التى أدت الى هذا العجز ذاته كما يقول « شفيتسر » لولا

---

(١) فلسفة الحضارة ص ١٢ ، ١٣

أننا نرى ان هذه الاسباب الثلاثة كافية لتبرير انهيار أى حضارة كما انها أسباب أساسية يرجع اليها كل ما عداها من الاسباب

وهنا عدة أمور يجب أن نقف عندها بالفحص والتقويم ٠

١ ـ أن جهل الفلاسفة الأوربيين الذين وصفوا المنهج للحضـــارة الغربية جهلوا حقيقة الانسان فــأدى بهم ذلك الى التخبط فى وضـــع المنهج السليم لحياة الانسان ٠

ومن صور هذا التخبط الذى قامت عليه الحضارة الأوربية اعطـــاء السلطان للفكر المادى دون ان يجد الجـــانب العـــاطفى والروحـــى فى الانســـان غذاءه الكافى فأجدبت القلوب وجفت الأرواح ولم يغن مـــلء البطون عن أصحابها شيئا فاستبد القلق بالانسان الغربى وســـاد الملل واقفرت النفوس من أى أمل فى حياة آخرة ممكنة ٠

ومن صور التخبط فى الحضارة الغربية فصل الدين عن الدولة مما أدى الى عزل النظم السياسية والاجتماعية عن مصدر الأخلاق العـــادلة والقيم المقدسة التى جاء بهـــا الدين ولم ينفع ظن فلاســـفة الغرب أن الأخلاق الحديثة التى أخترعتها العقول يمكن أن تغنى عن الأخلاق الدينية وبذلك انعدم الأساس الخلقى الذى تبنى عليه الحضـــارات وتستمد منه الوان النشاط الانسانى المادى والروحى قيمتها الحقيقية فهذا النشاط خير لأنه يرضى المعبود الذى هو المثل الأعلى وذلك النشاط شر لأنه يغضب المعبود ورضا المعبود هدف وغاية ، وغضبه نقص وعار وبذلك يكون للحياة معنى لأن لها هدفا وغاية ٠

وبمقدار قوة الشعور بالأساس الخلقى الذى نسميه العقيدة وبمقدار صحتها فى ذاتها يكون تماسك الحضـــارة وثباتها فكلمـــا كان الأســـاس الخلقى قويا أو ضعيفا تكون الحضارة ٠

فالحضـــــارة الأغريقية عندما تنكرت لاله أرسطو وانتكست الى السوفطائية « الشكاك واللاأدرية » وســـادت فيها مذاهب الابيقـــورية

المادية فقدت روحها وتحلل تماسكها والحضارة المصرية القديمة ما وصلت الى ما وصلت اليه فى كافة العلوم والفنون والتقدم الاجتماعى الـذى تدل عليه المعابد وأوراق البردى وتشهد له الاهرام وسائر الآثار الابفضل تلك النظرية الاخلاقية التى استمدت من عقيدة التوحيد رغم ما شاب هذه العقيدة من تصورات لكنها كانت كافية الى حد ما لقيادة الحضـارة فلما ازداد اختلاط هذه العقيدة بالوثنية لم تلبث أن بادت مع ما باد من حضارات فقدت روحها ٠

وكذلك الأمة الفارسية عندما انحدرت الى اللذة المـادية « مذهب مزدك » إنهار تماسكها الاخلاقى فانهار عرشها الى الأبد ٠

بل ان الدولة العثمانية التى فتحت الفتوح وسادت العالم فترة من الزمن ما انهارت وتفتت سلطانها الابعد ان سيطرت الأفكار المادية وانعدم الأساس الاخلاقى الدينى من نفوس كثير من قادتها الذين « اجترحوا أثم الخيانة وكانوا يعدون أنفسهم من ارباب الأفكار الجديدة وأبناء العصر الجديد ولهذا خان أولئك الامراء ملتهم مع ما كان لهم من الرتب الجليـلة ورضوا بالدنية واستناموا الى الخسة ونسـفوا بيت الشرف العثمـانى وجلبوا المذلة على شعوبهم » (١) ٠

وفى ضوء هذا التحليل لاهمية الاساس الخلقى فى البناء الحضارى فاننا لا نجد فى عالم اليوم حضارة تقوم على هذا الاساس وتعنى به مثل ما تقوم حضارة الاسلام ٠

ذلك أن هذه الحضارة تقوم عقيدتها الاساسية فى اللـه والـكون والانسان على أساس فكرة وجود الله ووحدانيته وكماله وعلمه وقدرته وتربط الوجود الانسانى فى حياته الدنيا على أساس استخلاف الانسان فى الأرض من قبل الله وفى حياته الآخرة الآتية لا ريب فيها على أساس

---

(١) الشيخ جمال الدين الافغانى ٠ « رسالة الرد على الدهريين » ٠

الحساب العادل الذى يعقبه الجزاء على مثقال الذرة من الخير أو الشر ، ((فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)) .

وعسى ان تكون لنا عودة فى حديث الشهر القادم الى هذا الاجمال لنعطيه مزيدا من التفصيل والتوكيد لبيان قيمة الاساس الخلقى فى الحضارة الاسلامية وتفصيل نظرة هذه الحضارة الى الانسان والكون والله .

بقية المؤتمر الصحفى ص ١٣٥٤

وما هى انطباعاتكم تجاه الفكر الشيوعى هناك ؟

(ج) لاشك أن هناك بعض التيارات المعادية للاسلام وذلك بوجود مجموعة من الديانات الأخرى كالبوذيه والمسيحية وبعض العناصر الشيوعية ولكن مما يطمئننا هو أن اخواننا المسلمين هناك على وعى كامل بمبادىء الاسلام وقوانينه . وأن معظم المسئولين فى هذه الدول من خريجى الأزهر متمسكون بمبادىء الاسلام ويعملون بكل جهد على نشر التراث الاسلامى الذى تطموه فى الأزهر الى أنحاء البلاد .

واختتم المؤتمر بكلمة شكر من فضيلة الامام الأكبر الى كل الحاضرين حيث أثنى عليهم جميعا وقال كنت أود أن يكون هذا المؤتمر عند نزولى الى أرض مطار القاهرة ولكن تأخير موعد الطائرة تسبب فى تأجيل لقائى بكم .

أكرر شكرى لكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

التحرير

دراسات قرآنية

جمع القرآن الكريم
والأحرف السبعة التي نزل عليها

للدكتور / محمد أحمد يوسف القاسم

لقد أرسل الله تعالى سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، وأنزل معه الكتاب المبين ، ليكون شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وهاديا الى صراط المستقيم ، من عمل به أجر ومن أعرض عنه دخل تحت الوعيد الشديد **« يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين »** •• والقرآن الكريم فيه السعادة الكاملة والنعمة العظمى لمن التزم بأوامره ووقف عند حدوده ونواهيه ، واقتفى آثار السلف الصالح ، هؤلاء الذين بينوا للناس علومه ، ووقفوا حياتهم على الغوص وراء استخراج درره وكنوزه ، وعلموها الناس ودونوها فى كتبهم لينتفع بها الأجيال بعد الأجيال •

لقد خص الله جل شأنه هذه الأمة المحمدية بهذا الكتاب الكريم ولم يكل حفظه اليهم ، فقد تكفل سبحانه بحفظه **« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »** وذلك رفع لأعظم معجزات سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ، فان الله تعالى تحدى به العرب جميعا بل الانس والجن ، فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه ، ولم يزل هذا التحدى الى يومنا هذا والى قيام الساعة ، هذا مع وفرة الملحدين والطاعنين والقاصدين النيل منه ، وما حصلوا غرضهم ولن يكون أبدا ولو كان

بعضهم لبعض ظهيرا ، فأى دلالة على صـدقه صلى الله عليه وسلم وعلى حفظ القرآن أعظم من هذا ؟

ولما تكفل الله بحفظـه خص به من شاء من عباده ، الذين هم أهل الله وأصفياؤه « **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** » وكان الاعتمـاد فى نقـله على حفظ الصدور ، وليس على نقله بواسطة المصاحف والكتب ، وتلك خصيصة من خصـائص هذا الكتاب الكريم لهذه الأمة الاسلامية • روى مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ان ربى قال لى : قم فى قـريش فأنـذرهم ، فقلت له : يارب اذن يثلغوا رأسى حتى يدعوه خبزة ، فقال انى مبتليك ومبتلى بك ومنزل عليك كتابا لا يغسـله الماء تقرأه نائما ويقظان ، فابعث جندا أبعث مثلهم ، وقاتل بمن أطاعـك من عصاك ، وأنفق ينفق عليك » وجاء صـفة أمتـه « **أناجيـلهم فى صـدورهم** » وذلك بخلاف أهل الكتـاب الذين لا يحفظـونه ، ولا يقرءونه الا نظرا لا عـن ظهر قلب ، على ما هو عليه أهل القرآن الكـريم •

ولقد خص الله من اصـطفاهم بحفظـه بالأمانة فى الاداء الى من بعدهم ، حسـبما تلقوه من النبى عليه الصلاة والسلام ، لم يهملوا منه حركة ولا سـكونا ولا اثباتا ولا حـذفا ، حتى انه لما كتبت المصاحف فى عهد عثمان رضى الله عنه جردت من النقط والشـكل ، لتحتمل ما صـح نقله عن النبى صـلى الله عليه وسـلم من واقع الاحرف السبعة التى كان يقرأ بها فى عهده ، ولما أرسلت المصاحف الى الأمصـار التى فتحها المسلمون ، قـرأ أهـل كل مصر بما هو فى مصحفهم حسبما أقرأهم الصحابة الذين تلقوه عن النبى صـلى الله عليه وسلم ، ثم ان هؤلاء أقرءوا من بعـدهم من التابعين ، ولكن القراء بعد ذلك تفرقوا وخلف من بعدهم خلف تصدوا للاقراء ، حتى خاف أئمة المسـلمين أن ينصب الأمر الى غير أهله ويلتبس الحـق بالباطل ، فجمعـوا الحـروف والقراءات وميزوا بين الصـحيح وغيره ، ووضـعوا كل ذلك تحت

ضوابط وقواعد عامة ، وقالوا : كل قراءة صح سندها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووافقت اللغة العربية ولو من أحد الوجوه ، ووافقت الرسم العثمانى ولو احتمالا ، فهى القراءة الصحيحة دون ما عداها .

كان هذا ايجازا لما سنتلوه باذن الله وحوله ، من تفصيل يتضح معه هذه القضايا : كيف جمع القرآن الكريم ؟ وهل حقيقة ما يقال ان عثمان رضى الله عنه ضيع بعض الحروف التى نزل عليها القرآن ؟ وما هى تلك الأحرف ؟ وهل هى عين القراءات السبع أو غيرها ؟ وهل المصاحف المتداولة الآن فى الاقطار الاسلامية تختلف عن الرسم العثمانى ؟ وهل يوجد بين بعضها البعض مخالفة من هذه الناحية ؟ الى غير ذلك من القضايا التى يقتضيها تفصيل الموضوع — فأقول وبالله التوفيق :

جمع القرآن الكريم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يطلق جمع القرآن ويراد منه الحفظ فى الصدر أو الكتابة فى المصحف ثم كتابته فى مصحف واحد ، وقد توافر للقرآن الجمع بطريقى الحفظ والكتابة معا ، منذ أول عهده الى الآن ، وسيبقى كذلك تحقيقا للوعد الكريم **« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »** .

١ — كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على حفظ القرآن واستظهاره فور سماع الالفاظ من جبريل عليه السلام ، وكان يعالج من التنزيل شدة ، فكان يحرك شفتيه بالوحى قبل أن ينتهى منه جبريل ، خوف تفلته واستعجالا لحفظه ، فأنزل الله تعالى : **« لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه »** جاء ذلك فى صحيح البخارى — فكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا أتاه جبريل استمع فاذا انطلق قرأه النبى كما قرأه جبريل .

وكان عليه الصلاة والسلام يبلغه صحابته ، وكانوا يتسابقون فى أخذه من فمه الشريف مباشرة ، واشتهر منهم الكثير فى هذا ، وكيف لا يكونون كذلك والقرآن سبب عز

الدنيا وسعادة الآخرة ، روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وحفظه الالوف من الصحابة واهتموا به على مدى السنين الاولى من صدر الاسلام ٠٠ ولان القرآن مصدر التشريع الأول عندهم ، ولم تكن هناك وسيلة لتسجيله متوفرة ، فكانوا يرجعون فيه الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأيضا فان القرآن حاز من الخصائص البلاغية والمزايا البيانية ، ما صادف هوى فى نفوسهم ، فكانوا يجدون فى قراءته وترديده المتعة النفسية والروحية ٠

وجاء فى الروايات الصحيحة ذكر الكثير منهم ممن حفظ القرآن أو بعضه فى حال حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، أو تصدوا لتعليمه ونشره بين الامة ، يدلنا على ذلك أن من استشهد منهم فى بئر معونة سبعون رجلا كان يقال لهم القراء، وفى يوم اليمامة قريب من خمسمائة وأما ما جاء فى الصحيحين من أن النبى صلى الله عليه وسلم مات ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد ابن ثابت وأبو زيد ، وفى رواية ذكر أبى بن كعب بدل أبى الدرداء فان المراد أنه لم يجمعه على جميع الاوجه التى نزل بها القرآن غير هؤلاء ، وهم الذين تصدوا لتعليمه بعده صلى الله عليه وسلم ، لا يشترط أن يحفظه من أوله الى آخره جميع الصحابة ، بل يكفى أن يحفظ مجموعه الجم الغفير ،بمعنى أنه يكفى أن يحفظه الكل على سبيل التوزيع ٠

يقول النووى فى شرحه على صحيح مسلم « لو ثبت أنه لم يجمعه الا الاربعة لم يقدح فى تواتره ، فان أجزاءه حفظ كل جزء منها خلائق لا يحصون يحصل التواتر ببعضهم ، وليس من شرط التواتر أن ينقل جميعهم جميعه ، بل اذا نقل كل جزء عدد التواتر صارت الجملة متواترة بلا شك ، ولم يخالف فى هذا مسلم ولا ملحد » وقال غيره : بل ان عدة الجامعين من الكثرة بحيث لا يحصيهم الا رب العباد ٠٠٠

وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فقد حفظه من لا يحصى ، وتلقاه التابعون عن الصحابة ، وعنهم من بعدهم عصرا بعد عصر ، الى أن وصل الينا وسيصل الى من بعدنا كعهد النبى صلى الله عليه وسلم به ، وذلك تحقيق لوعد الله تعالى **« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »** •

٢ ـ وأما عن كتابة القرآن : فانه عليه الصلاة والسلام كان كلما نزل عليه شىء منه ، بادر بتبليغه الى أصحابه ، وكان يملى على الكتاب ما ينزل عليه من القرآن ، ولقد كتب كله فى حضرته بأمر منه وبرعايته • وكانوا يكتبونه حسبما ينزل ، حتى اذا تمت آيات السورة وضعوها على الترتيب الذى وقفهم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، واذا تمت عدة سور وضعوها على حسب الذى علموه من الرسول كذلك ، وقد تم القرآن وكتب كله بين يديه عليه الصلاة والسلام ، وان كانوا يكتبون لانفسهم خاصة فى بعض الاحيان ، ولكن الكثرة الكاثرة كانت تعتمد على الحفظ على عادتهم فى حفظ أشعارهم وأنسابهم وأيامهم ، لانتشار الامية فيهم • روى الامام أحمد والترمذى والحاكم • وقال صحيح على شرط الشيخين • عن زيد ابن ثابت رضى الله عنه قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع » الحديث • يقول الامام البغوى : ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى ، وكتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه ، وكان يقرىء الناس بها حتى مات •اذن فكتابة القرآن موجودة فى العصر الاول ، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفرقا فى الجلود وغيرها من أكتاف البعير والشاء وأطراف الجريد والحجارة الرقاق والخشب الذى يوضع على ظهر البعير ، والذى فعله الصديق أبو بكر كان بمثابة جمع الاوراق وضمها بعضها الى بعض بين دفتين حتى لا يضيع منها شىء •

وقد كتب له صلى الله عليه

وسلم جمع كثير • وكان ألزمهم للنبى صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت وعلى بن أبى طالب ، كان النبى يملى عليهم أو يقرأ وهم يسمعون ويكتبون •

والباعث على الكتابة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم :

الاحتياط فى ضبط ألفاظه وصيانته من التغيير أو التحريف ، وهذا يتحقق بالحفظ والكتابة معا ، فاجتماعهما معا أعظم لحفظه وصيانته،وزيادة توثق له بالمحافظة عليه من طريقين • ثم انه لما جمع القرآن فى عهد الخليفة الاول ظهرت له فائدة جليلة ، هى أنه كان لدى الصحابة مصدران اعتمدوا عليهما فى الجمع : هما الحفظ والكتابة ،وفيهما من التثبت وزيادة التحرى ما لا يوجد فى أحدهماعلى الانفراد ، اذ أنه لما انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى ألهم الله الخليفة أبا بكر رضى الله عنه جمع القرآن ، فكان جمعه كما أنزله الله سبحانه على رسوله ، من غير زيادة ولا نقص ولا تقديم ولا تأخير ولا تبديل حرف بحرف آخر •

جمع القرآن فى عهد أبى بكر رضى الله عنه :

حدثت فى أيام أبى بكر حروب طاحنة ، من أشهرها موقعة اليمامة التى استشهد فيها كثير من حفظة القرآن ، فخشى عمر رضى الله عنه أن يضيع بعض القرآن اذا مات من يحفظه فى المواقع الحربية المستقبلة ، ولا يبعد مع هذا أن يفقد شىء من القطع المتنوعة التى كتبت بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون ما كتب منها لا يحفظه الا من استشهد ، وبذلك يضيع شىء من القرآن • ومن هنا ألهم الله عمر بن الخطاب فذهب الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بينهما ما رواه البخارى وغيره عن زيد ابن ثابت قال « أرسل الى أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة ، فاذا عمر ابن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضى الله عنه : ان عمر أتانى فقال ان القتل قد استحر — أى اشتد — يوم اليمامة بقراء القرآن

وانى أخشى أن يستمر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر ، قال زيد : قال أبو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الانصارى ، لم أجدها مع أحد غيره « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم** » حتى خاتمة براءة . فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنه » .

واستمرت الصحف عند حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها ، لانها كانت وصية عمر من أولاده على أوقافه وتركته ، ثم أرسل اليها عثمان فأبت أن تدفعها اليه ، حتى عاهدها ليردنها اليها ، فبعثت بها اليه فنسخها عثمان فى هذه المصاحف ، ثم ردها اليها ، فلم تزل عندها حياتها حتى أرسل مروان بن الحكم ــ وكان واليا على المدينة حينئذ ــ وطلبها من أخيها عبد الله بن عمر ، وأحرقها .

هذا .. وقد كان فعل أبى بكر رضى الله عنه من باب النصيحة لكتاب الله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، واذا تأمل المنصف فى فعله هذا وجد فيه الخير الذى عم الامة كلها ، وأيقن أنه من مناقبه العظيمة مدى الدهر . وقد اختار لهذا العمل الجليل رجلا توفرت فيه شروط تؤهله للقيام به على أحسن

وجه ، فهو شاب نشط لما يطلب منه من العمل المضنى المحتاج الى الجلد والصبر ، وهو عاقل أوعى لعمله فلا يقع فيه خلل ، وهو غير متهم تطمئن النفس الى عمله ،وقد كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والخبرة والممارسة أدعى لاخراج عمل غاية فى الاتقان .

وكان رضى الله عنه يكتب ما أجمع الجميع على روايته ،مما كتب بين يدى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، لا من مجرد الحفظ ، ولذلك قال : لم أجد آخر سورة التوبة الا مع أبى خزيمة ، وكان يطلب التثبت ممن كتبها أو شاهد كتابتها عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس المراد لم أجدها محفوظة ، لانها كانت مع جمع يحصل بهم التواتر ، ولقد اتبع أدق طريقة عرفت فى البحث العلمى حيث أخذ المروى من طريقين : طريق الحفظ ، وطريق الكتابة .

ثم انه يقول « حتى وجدت » فانها لو لم تكن معروفة عندهم لم يفتقدوها ، وكيف يفتقدون ما لا يعرفون ؟ والحافظ قد يحتاط فيطلب مصحفا آخر فيكتب منه ، أو يستوثق من حافظ آخر ثم يثبته على ما عنده . وقد أجمع الصحابة رضى الله عنهم على كتابتها فى المصحف ، ولا يمكن أن يكون مستندهم رواية واحد فقط ، فان الدواعى توفرت على نقله ، لاختصاصه بمزايا تحمل على ذلك، هى اعجازه والتعبد بتلاوته وكونه أصل الشريعة الاسلامية .

ويمكننا أن نستخلص من هذا العرض ، فوائد الجمع البكرى وهى :

١ ــ جمع القطع التى كتب فيها القرآن قبل ، حتى لا يضيع شىء منها أو تتآكل ، وتجديد كتابتها فى صحف مجتمعة تصلح للاحتفاظ بها دائما . وانما لم يكن ذلك فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم لأن النسخ كان يرد على بعض القرآن ، فلو جمع ثم رفعت التلاوة لأدى ذلك الى الاختلاف واختلاط الدين ، وبخاصة أن أدوات الكتابة لم تكن متوفرة لهم، اذ الذى ينسخ لابد أن يمحى

ويحل محله ما نسخه ، والا لوبقى لأدى الى الالتباس والاختلاط وعدم معرفة الناسخ من المنسوخ، وتغيير الكتابة من وقت لآخر فيه مشقة وعناء .

٢ — اتصال السند الكتابى بالأخذ مما كتب بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ، كاتصال السند المتواتر فى الرواية والتلقى عن الشيوخ ، فتكون كتابة القرآن فى عهد أبى بكر بمثابة الطبقة الثانية ، وكتابته فى عهد عثمان بمثابة الطبقة الثالثة ، وهكذا فيما يلى ذلك من العصور جيلا بعد جيل .

جمع القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه :

فى عهد عثمان رضى الله عنه اختلف الداعى لجمع القرآن الكريم فقد خيف اختلاف الامة الاسلامية فى نص من نصوص القرآن جاء فى حرف من الحروف التى نزل عليها، وبالتالى الشك فى هذا النص وترك شىء منه أو الزيادة فيه أو تقديمه أو تأخيره عن موضعه ، ثم تفكيك وحدة الامة من جراء هذا .

لقد كثرت الفتوحات الاسلامية ودخل كثير من الاقطار العربية وغير العربية ، فى دين الاسلام ، وتولى عثمان والفتوحات على أشدها ، واختلط الناس بعضهم ببعض ، وفيهم من يخفى عليه الكثير من الحقائق — لا سيما الذين نشأوا فى بلاد غير عربية — وكان كثير من الصحابة قد تفرقوا فيما فتحوا من تلك الاقطار ، وصار أهل كل مصر يقرءون على قراءة من نزل بينهم من الصحابة، وأكثر هؤلاء لا يعرفون أن القرآن نزل على سبعة أحرف تخفيفا على المسلمين ، فصار أهل كل مصر يخطىء قراءة غيرهم من الامصار الاخرى .

فدعت الحالة الى نشر مصحف يكون مرجعا فى كل الاقطار الاسلامية ، وكان ذلك بمحضر جمهور الصحابة ورضاهم ؛ فطلب الخليفة الصحف البكرية من السيدة حفصة ، وأحضر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكتبوا سبعة

مصاحف : المصحف الامام فى المدينة وأرسل بستة مصاحف الى مكة والشام واليمن والبحرين والكوفة والبصرة ، وهذا غير مصحف عثمان نفسه المسمى بالامام • والعلماء وان اختلفوا فى عدد المصاحف ما بين خمسةوأربعة وسبعة ، الا أننا نقول : ان عثمان قد أرسل بنسخة من المصحف الى كل قطر فتحه المسلمون ، لان الغرض من كتابته هو القضاء على الفتنة ، وهذا لا يتحقق الا بارسال مصحف الى كل قطر ، وقد جاء فى حديث أنس « وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا » وكلمة « أفق » تدل بعمومها على أنه أرسل المصاحف الى جميع الاقطار لا الى بعضها دون البعض الآخر •

وكتبت المصاحف العثمانية من غير تبديل ولا تغيير لما كانت عليه الصحف البكرية ، والفرق الذى يذكرونه فى هذا المقام هو أن الخليفة الاول جمع القرآن بين دفتين ، من غير ملاحظة ترتيب السور ، وان كانوا يحفظون ترتيبها ويعطون به فى قراءاتهم وصلواتهم ، وأما الخليفة الثالث فقد قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ، بل يكتب على حسب الترتيب الذى علموه من رسول الله عليه الصلاة والسلام • وبعث عثمان مع المصاحف من يقرىء جمهور المسلمين : فممن كان بالمدينة من هؤلاء المقرئين (زيد بن ثابت وابن المسيب وعروة وسالم وعمر ابن عبد العزيز وسليمان بن يسار وأخوه عطاء ومعاذ القارىء •• وغيرهم) •

وممن كان بمكة (عبدالله ابن السائب وعبيد بن عمير وعطاء ابن أبى رباح وطاووس ومجاهد وعكرمة وابن أبى مليكة) وممن كان بالكوفة (أبو عبد الرحمن السلمى وعلقمة والاسود ومسروق وعمرو بن شرحبيل وزر بن حبيش وسعيد بن جبير والنخعى والشعبى وعبيد بن فضلة) وغيرهم •

وممن كان بالبصرة (أبو العالية ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر

والحسن وابن سيرين وقتادة وعامر بن عبد القيس وأبو رجاء وجابر بن زيد) وغيرهم •

وممن كان بالشام (المغيرة بن أبى شهاب المخزومى وخليد بن سعيد صاحب أبى الدرداء) وغيرهما • وقرأ أهل كل مصر بما كان فى مصحفهم على هؤلاء المقرئين •

ولنذكر الآن حديث البخارى الذى يصور اختلاف المسلمين فى القراءة ، مما دعا الخليفة الى جمعهم على حرف واحد من الاحرف التى نزل عليها القرآن ، مخافة الفتنة وتفريق وحدة الامة الاسلامية •

عن أنس بن مالك « أن حذيفة ابن اليمان وقدم على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى الينا بالصحف ننسخها من المصاحف ثم نردها اليك ، فأرسلت بها حفصة الى عثمان ، فأمر زيد ابن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا ، حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة ، وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن كل صحيفة أو مصحف أن يحرق ، قال ابن شهاب : وأخبرنى خارجة ابن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الاحزاب حين نسخنا المصحف ، قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى **« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه »** ، فألحقناها فى سورتها فى المصحف •

وفى رواية ابن أبى داود « عن

أبى قلابة قال : لما كان فى خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءةالرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون ، حتى ارتفع ذلك الى المعلمين ، قال أيوب : لا أعلمه الا قال : حتى كفر بعضهم بقراءة بعض ، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيبا فقال : أنتم عندى تختلفون فيه فتلحنون ،فمن نأى عنى من الامصار أشد اختلافا وأشد لحنا ، اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس اماما » الخ.

ويذكر ابن حجر أن حذيفة لما رأى الاختلاف بين أهل الكوفة والبصرة ، ثم أهل العراق والشام — كما جاء فى احدى روايات ابن أبى داود — اشتد خوفه فركب الى عثمان ، وصادف أن عثمان أيضا وقع له مثل ذلك ، فتحقق عنده ما ظنه من ذلك . على أن انكار الواحد منهم قراءة الآخر كان فى غير المتواتر وما نسخت تلاوته ، ولم يعلم القارىء بذلك ، وعلمه المنكر عليه ، وذلك مثل ما جاء فى الشواذ « وأتموا الحج والعمرة للبيت » بدل « لله » . ومثل قراءة « والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى والذكر والانثى» بدل « وما خلق الذكر والانثى ». ومثل « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج » بزيادة « فى مواسم الحج » الى غير ذلك من الامثلة .

ومن حديث البخارى نعلم أن الصحابة رضى الله عنهم جمعوا بين الدفتين كل ما تحققوا أنه قرآن منزل على النبى صلى الله عليه وسلم ، بلا زيادة ولا نقص ولا تقديم ولا تأخير ، وأن سعيهم كان فى جمعه فى مكان واحد على حرف واحد هو حرف قريش ،وكان شهود العرضة الاخيرة فيهم زيد ابن ثابت ، ولذلك اعتمده أبو بكر ثم عثمان فى جمع القرآن الكريم فى المرتين .

وقد قيض الله تعالى الخليفة الثالث باجماع من الصحابة ، للقضاء على تلك الفتنة ، وقام بكتابة المصحف ، وكان يشرف بنفسه على هذا الامر الجلل ،يدلنا على ذلك اختلافهم فى كتابة « التابوت » هل هو بالهاء أو

بالتاء ؟ فتحاكموا اليه فأمرهم أن يكتبوه بلغــة قريش ، وأخرج ابن أبى داود أن عثمان « جمع اثنى عشر رجلا من قريش والانصار ، فيهم أبى بن كعب وزيد بن ثابت ، وأرســل الى الربعة التى فى بيت عمر فيها القرآن فكان يتعاهدهم. قال محمد : فحدثنى كثير بن أفلح أنه كان يكتب لهم » وصحح ابن كثير اسـناده • قال ابن حجر : وكأن هذا الامر أسـند لزيد ومن معه من الرهط القرشـيين أولا ، فلما احتاجوا الى من يسـاعد فى الكتابة بحسب الحاجة الى عــدد المصاحف التى أرسلت الى الآفاق أضافوا اليهم من يعاونهم •

وقد اقتصر على وجه واحــد ، عــلى اختيار وقــع بينــه وبين الصحابة وبمشورتهم ، فقد أخرج ابن أبى داود باســناد صحيح أن الامام عليــا قال « لا تقولوا فى عثمان الا خيرا فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف الا عن ملأ منا ، قال : ما تقولون فى هذه القراءة ؟ فقد بلغنى أن بعضهم يقول : ان قراءتى خير من قراءتك ، وهــذا يكاد أن يكون كفرا ، قلنا : فمــا ترى ؟ قال : أرى أن نجمع الناس عــلى مصحف واحــد ، فلا تكون فرقة ولا اختــلاف ، قلنا : فنعم ما رأيت » •

فالقرآن نزل أولا بلغة قريش ، ولمــا كثر العــرب الذين دخلــوا الاسلام بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وســلم للمدينة المنورة ، دعا ربه أن يسهل عليهم وأن يرفع عنهم المشــقة فى قراءة القــرآن الكريم — روى مسلم عن أبى بن كعب « أن النبى صلى الله عليــه وسلم كان عند أضاة بنى غفار — موضع بالمدينــة — قال : فأتــاه جبريل عليه السلام فقال : ان الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال : اسأل الله معافاته ومغفرتــه ، وان أمتى لا تطيــق ذلك » • وفيه « ان الله يأمرك أن تقرأ أمتــك القرآن عــلى ســبعة أحرف ، فأيما حــرف قرءوا عليه فقد أصابوا » • وفى رواية عنــده أيضا عن أبى « فرددت اليــه أن هون على أمتى » الحديث •

ثم لما زالت الصعوبة واســتقر

الامر وحدثت الخلافات بين القراء جرد عثمان لغة قريش التى عليها نزل القرآن أولا ، من تلك اللغات، روى البخارى عن عمر بن الخطاب مرفوعا « ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه» وينقل ابن حجر عن أبى شامة أن القرآن نزل أولا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أبيح للعرب أن يقرأوه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم فى الالفاظ والاعراب ، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغة الى لغة أخرى ، للمشقة ولما كان فيهم من الحمية ، ولطلب تسهيل فهم المراد » •

ثم يقول : « وتتمة ذلك أن يقال ان الاباحة المذكورة لم تقع بالتشهى ، أى أن كل واحد يغير الكلمة بمرادفها من لغته ، بل المراعى فى ذلك السماع من النبى صلى الله عليه وسلم ، ويشير الى ذلك قول كل من عمر وهشام فى حديث آخر يشير الى اختلاف قراءتهما فى بعض السور « أقرأنى النبى صلى الله عليه وسلم » ا هـ بتصرف •

وهذا الاقتصار من عثمان يصدق ــ كما هو الظاهر ــ على مواطن الاختلاف فقط ، بجانب كونه استبعد كل القراءات التى يصدق عليها أنها مما نسخ تلاوته، وأبقى على ما هو مستقر فى العرضة الثانية فى العام الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتى حضرها زيد بن ثابت ، وكتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه ، وكان يقرىء الناس بها حتى مات ، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر فى الجمع الاول ، وولاه عثمان كتابة المصاحف •

روى البخارى وغيره عن أبى هريرة قال « كان يعرض ــ أى جبريل عليه السلام ــ على النبى صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين فى العام الذى قبض ، وكان يعتكف كل عام عشرا ، فاعتكف عشرين فى العام الذى قبض » •

ويجب أن نعلم أن المعارضة لم يكن الغرض منها نسخ شىء من القرآن ، فان النسخ مرتبط

بالمصلحة التى تدعو اليه ، وهى فى جميع أوقات السـنة ولا تختص برمضان وحده ، ولكن الغرض منها تثبيت وتقرير ما بقى من القـرآن بعد النسخ ، زيادة فى الاحتياط .

وأما عن الطريقة التى اتبعت فى كتابة المصحف : فقد كانت المصاحف خالية من النقط والشكل ، فاذا كانت صورة اللفظ خطأ تحتمل القراءتين أو القراءات المتعددة ، كتبـوه فى جميع المصاحف بصورة واحدة، مثل لفظ « ننشزها » بضـم النون وفتحها وضم الشين وكسرها مـع الراء والزاى ، ولذا تعـددت القراءات فى هذا الحرف .. الى غير ذلك من الامثلة .

أمـا اذا كانت القـراءتان لا يحتملهما رسم المصحف ، فانهم يكتبون احدى القراءتين فى بعض المصاحف ، والاخـرى فى البعض الآخر ، ويقرأ أهل كل مصر بما فى مصحفهم الذى وصل اليهم ، مـع تلقى ما فيه عن القـراء المقيمين بينهم حسبما تلقوه من الرسـول صلى الله عليه وسلم .

مثال هذا : قول الله تعـالى فى سورة التوبة « تجرى تحتهـا الانهار » فالمكيون يثبتون حـرف الجر فيها ، وغيرهم يقرأها بـدون حرف الجـر ولا يثبتونها فى مصاحفهم .

اذن فهذه القراءات التى يقرأ بها اليوم وصـحت روايتها عن الائمة جزء من الاحرف السـبعة التى نزل عليها القـرآن ، ومعنى قول أنس فى حديث البخـارى « وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصـحف أن يحرق » ما يخالف مجموعهـا ولا يوافق واحدا منها ، ثم ان القراءة بجميع الاحرف لم تكن واجبة على الامة ، وانما كان مرخصا لهم أن يقرءوا على أى وجه من الوجوه ، بدليل حديث مسلم عن أبى « فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا » .

والخلاصة : أن القرآن الكريم معجز ، ومتعبد بتلاوته ، ولا يكون كذلك الا بدوام حفظه بعيدا عـن أيدى المغرضين والملحدين ، وصدق الله العظيم « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

د / محمد أحمد يوسف القاسم

تصوير المأساة فى القصص القرآنى

بقلم الأستاذة / سعدية قراعة

القرآن العظيم •• كلام الله هو نبعى الذى أغترف منه ، وأرتوى من قدس تدفقه الجارف فكلمات الله الحق لا تنفد ، وفيضها لا ينقطع : « **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا** » صدق الله العظيم •

والقصص عامة ، مادة محببة الى كل نفس ، شهية الى كل قلب، نهواها جميعا على تباين أعمارنا ومختلف ثقافاتنا واتجاهاتنا الذهنية ، فهى غذاء روحى وتسلية وجدانية فيها التسرية والترويح وفيها العبر، وفيها الحكمة والموعظة الحسنة وفيها فوق هذا تصوير صادق للعصر الذى نروى له ونحكى عنه •

وقصص كتاب الله الاعظم •• قصص القرآن الكريم •• قصص الخليقة منذ أراد الله لأرضه هذه أن تكون وأن يعمرها الانسان الذى جعله فيها خليفته ، ووكل اليه أمرها ، وجعل تعميرها أمانة فى عنقه، ورسالة كبرى عليه أداؤها باخلاص فى حدود العرف الطيب ، والسجايا الكريمة والطاعة والامتثال وعدم الخروج على الحدود •

كيف اذا بقصص القرآن وهى مرآة العصور التى تبدو على صفحتها الخالدة النورانية الدائمة الاشراق صور الاحداث الجسام

التى شهدتها الدنيا وعاشها البشر جميعا منذ خليقة آدم •

من عند خليقة آدم اذا أو قبل خليقة آدم بالذات تبدأ قصة الوجود الانسانى •• بل تبدأ أحداث الدراما الصاخبة الاولى على مسرح هذا الكون بأحداثها العنيفة وتسلسل حوادثها الرتيبة التى بدأت بالمصارحة بالخلف الآدمى وقدجمع الله القادر المنفرد فى ملكه ملائكته الاطهار وصارحهم بأنه جاعل فى الارض خليفة •

من هنا •• تبدأ « الدراما البشرية » •• بل التراجيديا الفاجعة الاولى • وهى تراجيديا التمرد الاول ، والعصيان ، والخروج على طاعة القادر الخلاق العظيم ، ساعة جمع الله الملائكة وكان بينهم شيطان اسمه ابليس •

وقد أسبق الاحداث فى تسلسل بحثى حين أتعرض للحياة فى السماء قبل دراما الخليفة ومأساة العصيان فلهذه الحوادث مجالها وزمنها ولكنى أقول ان القادر العظيم أمر ملائكته بالسجود لآدم

ولم يكن الامر بالسجود دعوة الى عبادة آدم أو اقرار بالخضوع له ، بل كان الامر بالسجود للقدرة التى خلقت آدم من طين من حمأ مسنون دبت فيه الحياة وأعطى العقل والحكمة والقدرة على التصرف فى الامور •

وسجد الملائكة كلهم الا ابليس، كان من الجن ففسق عن أمر ربه • ومن هنا ، وعند نقطة التمرد تبدأ الاحداث المثيرة ، الجدل والاخذ والعطاء •• ثم التوسل بالابقاء على الشر حتى يوم معلوم لاختبار معدن الانسان وعلى أى منهاج سوف يسير وهل يشكر ويحمد فيطيع أم يتمرد ويعصى ويكون من الكافرين •

وسارت « الدراما » سيرتها وطرد ابليس من جنة الله ، ومن رحمته ورضوانه لينتظر كما وعده الله •

وبقى آدم فى الجنة سيدا ، خليفة ، مطلقا يعرف كل شىء •• ويتحكم فى كل شىء ويسخر لارادته وأمره كل شىء ثم •• بدأ

الاحساس بالوحـدة والشـعور بالقلق يعتوران المخلـوق الاول ، وقد وجد نفسه وحيدا ليس معـه غير ظله فأحس وحشة ورهبة لعله ارتقى بالروح والضراعـة خـلال لحظاتهما الى الله خالقه وموجـده أن يؤنس وحدته .

لقد رأى من قبل أرتال الملائكة وشهد الكثير من مخلوقات اللـه ، ولم يجد غيره وحيدا ، فى موكب هذه المخلوقات ، ومن هنا واعتمادا على مكانته التى أحسها ، وثقة منه بأنه قريب وأثير عند الله ، طمـع فى أن يكون له رفيـق بل رتل من الاشياء هو الآخر فسأل الله ربـه أن يؤنس وحدته بـذلك السـمير الذى يتمناه ويرجوه ليبعد عنـه سأم الوحدة ويشاركه نعمة الوجود والتفرد فى سـلطان الكون وخلافة الارض .

وعند ضراعة آدم وتوسله الاول الى الذات القادرة حدث التحـول الثانى فى دراما الخليقة الانسانية دون تمهيد حدثى ، أو افتعال فنى أو مقـدمات ارشـادية الى قرب ظهور الحدث نفسـه أكثر من أن آدم أخذته سنة من الكرى داعبت عينيه فتمت معجزة الوجـود ولم يكد الخليفة الاول على أرض الله يستيقظ من اغفاءته .. حتى وجد الى جانبه اليفته المؤنسة المسامرة وشريكته فى خلافته وحكمه .

وهكذا ظهرت حواء على مسرح الوجود وآدم لا يدرى انها انمـا كانت بضعة منه . تكمله ويكملها ، وفى تآلفهمـا الاسـتكمال الاول لحبكة دراما الخليقـة وتزويـدها بعنصر الفعالية وديناميكية الحركة والقدرة عليها بل .. والقدرة على العمل ، وأداء الوظيفـة المحترمة لهذا الوجود على مسرح الكون .

وظهرت حواء .. النصف الحلو النـاعم المتمم لخشـونة آدم ، المروض لضراوته ، الباعث له على الهـدوء والارتيـاح .. ظهـرت، تسبقها أو تصحب ظهورها بوادر وشـارات ومميزات لم يكن للكون بها عهد من قبل .. الحنـان .. والرحمة .. والتعاطف .. والحب والالفة .. والايناس .. والوداد

وراحة القلب •• واستقرار الوجدان •

ومع ظهور حواء بدأت الحركة النشطة فى دراما الوجود الازلية ، ولم يكد الخليفة الاول سيد الكون وقتها يرى سميرته الى جانبه حتى نفض عن كاهله تراب التكاسل ، وأسرع يقبل على العمل بروح جديد ، وقلب شغوب ، لاحساسه التام بأنه لم يعد مسئولا عن نفسه فحسب بل عن حواء قبلا منه ، وعن راحتها وارضائها •

ومرت الاحداث فى رتابة مستحبة ومع مرورها بدأ آدم يرى حواء بعينى الرجل المحب الودود وراح فى اعجاب يتطلع اليها وكلما زاد من تطلعه ، كانت تتكشف له فيها صفات ومزايا كانت تزيده تقربا منها وتوددا اليها ، ومن هنا كان خفوق القلب ، وتناجى المشاعر واستجابة العواطف وتمازجها •

تلك هى القصة •• بل هذه كانت ولا شك فاتحة « دراما » الوجود التى ارتفع عنها الستار فى مسرح ذلك العالم الكبير وقد بدأت الظروف تعد للاحداث والقدر يربط بأصابعه غير المنظورة شخوص الدراما بعضهم بالبعض الآخر •

ارتفع الستار فى المسرح الكبير بأكثر من ضجة وانفعال ومقدمات •

ارتفع الستار ، وقد أعد القدر الحكيم كل شىء •• وبدأت المسرحية الكبرى فى تتابعها وأحداثها فى نظام موضوعة حدوده مرسومة معالمه ولكن دون اجبار للابطال على الارتباط بفعال معينة ، أو مفروضة ••• بل ترك لهم حرية العمل بايحاء من العقل وبعد النظرة والنظر الى الغد ، والى العمل نفسه وتقدير نتائجه وما سوف يترتب على هذه النتائج من أحداث •

كانت الحدود قد رسمت والاوامر قد اعطيت ، ثم أصبح للابطال بعدها حرية التنقل و « الحركة ، والاحتكاك ، والارتباط » ثم التعامل حسبما يرون مع الالتزام الجاد بحدود الدراما وعدم الخروج على النص المقرر المقدر فلا افتراء ولا ارتجال

ولا تطاول ، ولا اساءة لتفهم معنى حرية العمل واساءة استعمالها .

وبـدأت شخوص الـدراما .. تتحرك وهى تشعر بجمالية الحركة وسعادة العمل ، وجلال الاحساس بالمقدرة .

بدأت شخوص المسرحية تتحرك وقد تكامل اعداد الشخوص الاولى البطـل والبطـة .. أو المحب وشريكته الحبيبة ثم الحاقد الناقم الحسود . الذى تشـقيه سـعادة الغير ويكره أن يرى السـعادة والوئام تسود وتغمر الاجـواء . وتنعكس صورها فى قلب البطلين .

ظهـر آدم ذلك المخلوق الاول الذى استخلفه الله عـلى أرضـه وعالمه الجديب الصـامت ، ليملأه بالحركة والحياة .. وظهرت الى جانبه شريكته وأنيسـته حواء .. ومن قبل حواء ظهر اللعين ابليس الشيطان الحاقـد الرجيم الـذى توسل الى القادر أن يبقيه الى يوم البعث العظيم حتى يريه حقيقـة معدن هذا الذى قضى بتكريمـه ، واعلاء شأنه وتفضيله عليه .

وابليس الشيطان الرجيم اذا ، له عنـد آدم ثأر خـالد ، فهـو لا يبغضه فحسب ، بل يكرس حياته للايقاع به ولكن .

ولكن آدم أصبحت له شريكة هى حواء .. وهى وان لم يكن بينهـا وبين ابليس ثأر ولا توعـد قديم فهى من آدم .. هى بضعة منه .. فكراهيتـه لآدم والحـالة هـذه تنسحب عليها ولا شك ، وهو هنـا وأمام هذا الازدواج الجديد ليس أمام عدو واحد هو آدم وحـده ، بل أمام عدوين لدودين همـا آدم وحواء .

وهكـذا كان ظهـور ابليس فى دراما الوجود البشرى هو الظهور العملى للحدث الحركى والدينامو المحرك لا لمسـيرة الاحـداث بل لتحريكها حسب مقتضيات ظروف اللعين ونظرته ، فهو هنا بمثـابة المخرج الذى فرض نفسه وظهـر ليفسد نظـام الاخـراج الكونى المقرر لدراما الوجود .

كان النظـام المقـرر حسـب التخطيط الاول « للدراما » الخالدة

أن تسير وفق حدود الطاعة والشريعة •• ولعل المخرج الشرير وجد بنظرته الاجرامية اللعينة ان مسير احداث الدراما على ذلك النمط الرتيب المقرر المحدد بالطاعة وثوابها والامتثال وشرائحه فيه ما يبعث على السأم ويجعل من الحياة نفسها والدراما الخالدة له شخوص « الدراما » أنفسهم فى البداية فلابد وأن يضيقوا به ويتمردوا على رتابته •

ومن هنا •• ومع ظهور ابليس وتصديه ليلعب دور المخرج الذى فرض نفسه على أحداث الدراما وأصر على الجنوح بها وفق رياح حقده ، وأهوائه •• من هنا ، بدأت الدراما تتشكل بشكل جديد وتأخذ صورة حركية مفتعلة فيها اثارة وفيها صراع ثم فيها بعد ذلك نهاية أو وقفة اجبارية أمام نهاية فرضت فرضا على أحداث الدراما وان لم يكن لها موضع من قبل •

ان خلق آدم •• ومن صلصال من طين تطؤه الاقدام •• ثم تمييزه بعد ذلك على ملائكة الله المخلوقة من النور •• ثم على ابليس الجنى المخلوق من النار •• أقول انخلق آدم ثم ظهوره دراميا مع احداث الوجود يعتبر فترة تمهيد واعداد للمأساة وللاحداث الدرامية المتتابعة بعدها فى سياق قصة هذا الوجود ، ذلك لان الله الذى يسأل ولا يسأل ، ويفعل ما يريد وما يشاء قد ميز آدم على ملائكة السماء الاطهار العابدين المسبحين بحمده • المطيعين له ، فجعلهم يسجدون لآية القدرة فيه والابداع فى خلقه أصلا وفعلا وان ظن اللعين ابليس أن السجود انما كان لشخص آدم نفسه ، فكرة أن يكون معبوده ، وأن يكون له عابد، ومن هنا كان التمرد الخطير والخروج البغيض على قانون الطاعة والعصيان المقوت لأمر الله القادر ، الصبور الذى أبى بجوده واحساناته وبره بمخلوقاته جمعاء الا أن يعطى اللعين العاصى فرصة للتوبة ، أو فرصة أخرى للحياة فى أحداث •• دراما التمرد والخروج ليجرى آيات مقدرته وأسلحة تطاوله ثم يرى الى أى

مدى سوف تصل به • وهل تـراه يستطيع المضى قدما • أم أن الضنى والكلال سوف يعتورانه • فينـدم ويعود ذليلا مقهورا طالبا المغفرة والعفـو ، حيث لن يكون هنـاك مجال للمغفرة والعفو والسماح •

وتمرد الشيطان الرجيم ابليس فى السـياق الـدرامى لاحـداث ومشاهد الدراما هو الحدث الحركى المعبر فى افصاح واضح عن حقيقة النفس الحاقـدة ، والوجـدان السقيم ، والقلب الاسـود الملىء بالسخائم المفعم بحمـولات الشر التى كانت فى حقيقتهـا شخوص غامضـة فى درامـا جانيـة ، من درامات الشعور الحاقد والاحساس البغيض ؛ كانت أحداثها تصطرع فوق خشبة مسرح خفى معبرة عن الهـواجس الشـيطانية والقلـق المصيرى ، والتطلعـات الجامحـة والتمرد على الناموس حتى لقـد تمثت فى تطلعهـا الانطـلاقى أن تتملك ما لم يكن من حقها أن تتملكه وأرادت الاستئثار بما لم يقـدر لهـا من رزق وأعطيـات ومنـح رحمانية ، لتشبع حاسة الرغبة فى التعالى والتفرد والتحكم الكامنـة فى ظلمات ضميرها متصورة بهـذا انها تستطيع أن تنفرد دون غيرها بكل اعـزاز وتبجيـل وتكـريم واعظام •

واللعين المتطلع فى تلهف نفسـه على الاستئثار بهذه المزايا ، انما كان يتصور أنه افضـل من آدم ، وأعلا قدرا وأطهر خلقا ، اذ خلق من نار فى حين خلق غريمه من طين لازب حمـأ مسنون مع أنه بشىء من الروية واعمال العقل فى حدود شرائع الطاعة والخضـوع يعرف أن مصير النار التى يباهى بهـا ويفاخر ويتعالى ـ انما سـيكون الى « رماد » ابن النار غير نـاتج من نتاجات أو نواتج الطين •

وتصـطرع دراما الوجـود ، وتتصاعد احداثها حتى تبلغ قمـة الصراع بين الخـير والشر •• والطاعة والخضـوع •• ويفلح الرجيم بدهائه وأسـلوبه المقيت الخادع فى العبث بالبطلين غريميه فتكون الزلة ، وتكون المعصـية الثانية فى دراما الوجـود ويكون الجـزاء •

ان ناموس الوجود يقضى بأن الشر مهما تعاظم ومهما استطاع ان يحقق من ظفر وانتصارات فان الدائرة حتما سوف تدور عليه وتحيط به فتضيق حتى ليعجز عن الحركة ، ويستشعر العجز والضعف والتهاوى والخذلان ويعرف ان ظلمه الذى امتد وارفا وظنه ظليلا لم يكن غير وهم لا وجود له ، وانه جاء الوقت لينحسر وينقلص ويتراجع وتضيق دائرته تلك التى كانت شديدة الاتساع وانه قد جاءت الساعة المحتومة .. ساعة النهاية المقررة التى يجب ان يختفى فيها وان يزول كما تختفى الاخيله من ذهن حالم الاشباح من خيال مذعور ملأ بالأمل قلبه مطلع نور الصباح وبهذا وتمشيا مع فرضية قانون الوجود . وحتمية هزيمة الشر واندحار قواه تعلو راية الخير ، ويتعاظم أمره وتكون الفرحة الشاملة والسعادة والهدوء والاستقرار .

اذا .. وعند معصية آدم وحواء ، واقدامهما على طاعة الحقود اللعين الذى أذلهما ، فتم له بذلك النصر الوقتى فى بدايه معركة الوجود .. وعند هذه المعصيه نجد أنفسنا أمام وقفة تفرضها حرفية الدراما وتحديث احداثها . ثم تصاعد حده الاحداث حتى تبلغ الذروة ، او حتى يحدث ما نسميه أو ما قد اصطلحنا على تسميته فنيا باسم الاثارة والتساؤل وأيضا .. التلهف والتشويق وربط المشاهد بالحادث نفسه برباط الفضول والرغبة العارمة فى معرفة ما سوف تجىء به الوقائع أو تفرضه حركية الاحداث وتفاعل الصراع الذى تعودنا ان نراه وقد تشتد عند الهزيمة غير المتوقعة .

فعند حدث المعصية الثانية فى تاريخ الوجود .. معصية آدم وحواء بتحريض من الشيطان لهما وانتصاره عليهما .. ثم حدث خروجهما بعد ذلك من الجنة مطرودين . تماما كما خرج الشيطان من قبلهما مذموما مدحورا .. عند حدث هذه المعصية تنتهى أو يسدل الستار

على القسم الأول من « دراما » الوجود الخليقى كلها •

ونحن حين نقول « تنتهى » لا نقصد نهاية محتمة ، بل نهاية هى العرف الدرامى لتسلسل الحادث •• استراحة قليلة يفسح فيها المجال للفكر كى يتخيل ويتصور ويستعد فى تلهف وشوق للاندماج مع بقية الاحداث القادمة المتممة للدراما التى انتهت فنيا لتبدأ من جديد وفى صورة أكثر اثارة وتشوقا فتخرج من نطاق الى نطاق ، ومن حيز محدود الى أكثر من حيز غير محدود ، وعلى أكثر من مسرح فسيح متعدد الديكورات متعدد الشخوص متعدد الفرص والمناسبات والظروف •

ومن هنا •• وعند معصية آدم وحواء واسدال الستار على القسم الاول من دراما الوجود الخليقى يبدأ القسم الثانى وهو القسم الحركى السائر للزمن وتطوراته وتصاعد الاحداث وتعدد وحداتها الزمنية والمكانية •

والى اللقاء فى عددنا القادم بمشيئة الله ••

سنية قراعة

النقد العربي القديم والمنهجية

رد على مقال الدكتور عبد القادر القط

للدكتور / محمد أبو موسى

لاريب أن دراسة الشعر والأدب تحتاج الى معارف كثيرة لابد أن تتوفر عند الدارس ، ومن أهمها المعرفة بأسرار اللغة وطرائقها فى الابانة عن أسرار النفوس وخوافى الضمائر ، والعربية غنية فى هذا الباب فى نظامها وطرائق سبكها وصوغها للمعانى ،ثم هى غنية من حيث الدراسات الجادة التى استهدفت كشف هذه القدرات اثبارتة ، وبيان ما تنطوى عليه من لطيف الحس ، وسرى المخرج ، وعجيب التركيب والترتيب كما يقول الاستاذ الرافعى رحمه الله •

وهذا باب واسع ، ودقائقه ولطائفه غلبت عقول أهل العلم فأنصرفوا نحو هذا اللسان يسبرون أغواره ، ويستخرجون حكمته ، فى افراده وجمعه ، واشتقاقه وجموده ، ومجرده ، ومزيده ، واعرابه وبنائه ، وكيف صارت الكلمات رهفة حساسة ينبعث منها نقيض معناها اذا اهتزت فى فم قائلها اهتزازة خفيفة لا يفطن اليها كثير من الناس •

وقد كان الشعراء والأدباء يأخذون من هذه الأبواب حظوظا موفورة ، ويلزمون حلقات أهل العلم فى النحو واللغة والتصريف والاشتقاق ، ويحيطون بالنادر والقليل ، ويحفظون الشاذ والمسموع ، ويعلمون المقيس والمطرد •

فهذا أبو نواس الشاعر الذى

عرف بما عـرف به يقـول عنـه ابن الانبارى « اختـلف الى ابى زيد الانصارى ، وكتب عنه العريب وحفـظ عن أبى عبيـدة معمـر ابن المثنى ايام الناس ، ونظر فى نحو سيبويه قال عمرو بن بحـر الجاحظ ما رأيت رجلا أعلم باللغة من أبى نواس » (١) •

ويقول عنه الاستاذ محمد بهجة الأثرى « ظل رئى الشعر يراوده ولا يزايل خياله ، وشعر بطاقتـه الشعرية ، وأراد أن يكون شـيئا ذا خطر ، فأقبل على حلقا ت العلم والأدب فى مسجد البصرة ، ليأخذ منها زاده » ، ويذكر أن يعقـوب الحضرمى امام القراء رمى اليـه بخاتمه وقال له أذهب فأنت أقرأ أهل البصرة ، وأنه قـرأ الفقـه فأتقن الأحـكام والفتيـا ، وروى الحديث عن كبار ثقـاته ، ورواه عنه جماعة ، عـد منهم ابن عساكر الجاحظ والامام محمد بن أدريس الشـافعى ثم اسـتدرك الأستاذ بقـوله « لكنـه ورد فى رواية عن الامام الشافعى انه قال لولا مجـون أبى نواس لاخـذت عنـه » (٢) •

وقالوا اجتمع أبو الطيب هـو وأبو على الفارس فقال له أبو على كم جاء من الجمع على وزن فعلى — بكسر الفاء وسـكون العين — فقال المتنبى حجلى وظربى جمع حجل — بفتحتين وظربان — بفتح فكسر — قال أبو على فسهرت تلك الليلة التمس لهما ثالثا فلم أجد ، « والحجل طائر كالقطا لحمه معتدل، وكانوا يستشفون بكبـده ومرارته — والظربان دويبة منتنة الريح »

وأخبار مناقشـة الشـعراء للغويين والنحاة فى علم العربيـة أخبار مستفيضـة وكثـير مـن الدارسين يصرفون هذه الأخبـار الى أنها نبذ من الشعراء لقوانين اللغة والنحو ، وهذا خطأ ، وانما

---

(١) نزهة الألبا فى طبقات الأدباء ص ٦٥ .

(٢) مقدمة تفسير أرجوزه ابى نواس لأبى الفتح عثمان بن جنى تحقيق الاستاذ محمد بهجت الاثرى مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

هو اعتقاد الشعراء أن ما حصلوه من أسرار اللغــة ، وفطنــوا له بالسماع والمدراسة أوسع وأعمق مما حصـــله النحاة واللغويون ، وهكذا كانت مهارشات المتنبى لابن خالويه وغيره ومن قبله الفرزدق للحضرمى وغيره ، ومراجعة هــذه الأخبــار صريحة فى الدلالة عــلى ما نقول وهذه واحدة •

حكى ابن الانبــارى أن المتنبى لما أنشد سيف الدولة ابن حمدان قوله فى مطلــع بعض قصـــائده « وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه » كان هنــاك ابن خالويه فقــال له يا أبا الطيب انما يقال شـــجاه توهمه فعلا ماضــيا ، فقــال أبو الطيب اسكت ، فما وصل الأمــر اليك ، قلت انما قصد أبو الطيب بقوله أشجاه أكثر شجا لا الفعل الماضى » (١) •

واذا كان الشعراء على هذا الحد من فهم العربية وأسرارها فلابد أن يكون النقاد الذين ينهضون بدراسة شـــعرهم ، وتحليله ، وكشف غوامضه ومكنون أسراره من أهــل البصر والفقه باللغــة ودقائقهــا ، ولابد ان يكــون قد اتيح لهم من صحة الطبع ومواتاته ما يهيئهم الى الفطنة لخوافى الشعر ودقيق رمزه وبعيد وحيه ، وهكـــذا كان أهل الرأى منهم •

وهؤلاء الذين توفرت لهم المعرفة الواســعة والعميقة بالشـــعر ، وما يتصل به وتوفر لهم الطبـــع المعين هم من عيون علماء الأمة ، وقد كان يتطفل على بابهم هــذا كثير من الأدعيـــاء ولكن هؤلاء المتطفلين سقطوا وذهبوا كالفقاقيع التى تشغل فراغا كثيرا فى حياة كل جيــل ثم يذهب أثرها بذهابهــا وتصير نسيا منسيا • وبقيت آراء أهل الرأى معالم راشدة لطــلاب أسرار الشــعر والبيان ، ولا ريب أنهم متفــاوتون فيما بينهم تفاوتا شديدا ، وقد نبه العلماء الى أن مراتب العلماء فى بعض العــلوم تتدانى ، وتتقارب أقاصى أطرافها،

---

(١) نزهة الالبا ص ٢٢٣ •

وفى بعض العلوم تتباعد تباعدا شديدا « ويقع فيها الاستباق والتناضل ويعظم فيها التفاوت والتفاضل » وذلك راجع الى ما فيها « من محاسن النكت والفقر، ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر، ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار » (١) وهكذا كانت طبقات أهل العلم بالشعر .

**

وقد كتب الاستاذ الدكتور عبد القادر القط مقالا فى مجلة الفصول العدد الثالث موضوعه النقد العربى القديم والمنهجية ، شغل ثمانى عشرة صفحة ، صنف فيها النقد العربى القديم من حيث العناية بالدراسة النظرية والدراسة التطبيقية ومن حيث النزوع الى التقنين البلاغى أو رحابة النظرة النقدية ، وعرض بعض الملاحظات العامة التى تستوعب التراث النقدى بكل هذه الاتجاهات ، ثم تناول بالدراسة والتحليل جهود الآمدى فى الموازنة ، وعلى بن عبد العزيز الجرجانى فى الوساطة مثالين للنقد التطبيقى ، ثم تناول قدامة فى نقد الشعر وابن طباطبا فى عيار الشعر وعبد القاهر فى دلائل الاعجاز ، والقرطاجنى فى منهاج البلغاء .

ولايمكن لمقال أو كتاب أو باحث واحد أن ينهض بدراسة جهود هؤلاء النقاد ، وأن يكشف أصول مذاهبهم فى تناول الشعر ومن الغريب أن يتعرض الدكتور القط فى مقال لتراث الأمة من هذا الجانب مع سعته وعمقه ، وقد أنكر على غيره ان يكتب كتابا موضوعه «ما هو الأدب» وقال انه عنوان كبير لا يمكن الاجابة عليه اجابة شافية فى مثل هذا الكتاب (٢) .

والغرابة ان يضيق كتاب بتعريف الأدب ويتسع مقال لشرح مناهج النقاد فى اطوار مختلفة ، واحقاب متباعدة ، واجيال من الشعراء

---

(١) مقدمة الكتاب .

(٢) قضايا ومواقف للدكتور عبد القادر القط ص ٧٧ .

والعلماء والرجال مارت بهم الأيام والأحـداث مورانا أرهق التاريخ !

وكان المفيد أن يقف قلم الدكتور عبـد القادر على فكرة صـغيرة خـافية وأن يسـتخرج منها دقائقها وأن يلفت من خلالها الى حقائق تفتح طريقـا للنظـر امام طلاب العلم .

وقـد بـدأ المقـال بجملة من التجاوزات لا نستطيع أن نقف عند كل واحدة منها

وحسبنا ان نلم ببعضها .

ذكر الاسـتاذ أن كتب الطبقات ليست فى الحقيقة تراثـا نقديـا ، وانما هى تراجم يعرض المؤلف فى مقدمتهـا بعض القضـايا النقدية عرضا موجزا كطبقات الشـعراء لابن سـلام الجمحى والشـعر والشعراء لابن قتيبة » .

ولهذا التصور لم يقف الاستاذ عند هذه الكتب ولم يدخلهـا فى حسـابه فانصرف وصرف عنهـا ، والواقع أن هذه الكتب مشـحونة بآراء فى مبانى الشـعر ومعانيـه ومراجع المزية فيـه ولا تجد فيهـا شاعرا الا وفى طى الكلام عنه كلام فى شعره وطبعه ونقده وقد يكون هذا رأى المؤلف أو روايـة رواها أهل الأدبثم هويقبلها او يرفضها وهذا كله مما يحتاج فقهه عند أهل العلم الى صبر ومدارسة وحسبنا هنا أن نشير الى ما ذكره الاستاذ محمود شاكر حين تأمل صنيع ابن سلام فى تأليف طبقات الشـعراء وأنه أقامه على أساس التشـابه فى الشعر غير ناظر الى مراتب الزمن، وأن هذا أجود فى تاريـخ الشـعر وتاريخ نقده من تقسيم المحـدثين ثم هو ــ « دليل على حسن بصر ابن سلام بالنقد وجودة معرفتـه بالشعر ، ودليل على أنه نهج لكتابه نهجا يحتاج الى دراسـة دقيقـة متقنة يرجع فيها الى طريقته التى سلكها فى وضع كل أربعة فى طبقـة وزعمه أنهم « متكافئون معتدلون » وهذا أمر يتطلب افاضة ليس هذا مكانها » ثم يقول الاستاذ مؤكدا أن فى طى كتاب ابن سـلام أصـولا يجب أن يتوفر أهل العـلم عـلى استخلاصها وتجليتها وفقهها ، وأنه « سيبقى أمر كتاب طبقات فحول الشعراء بعـد ذلك محتـاجا الى

دراسة وتفصيل ، وتتبع ، وتقلية ، وفقه لأصول ابن سلام فى النظر ، ولأسسه التى بنى عليها نقده فى الشعر ، وهو خليق بأن تبذل فى دراسته الأعوام ، لأنه أقدم كتاب وصل الينا من كتب قدماء ونقاد الأدب والشعر بل لعله طليعة كتب النقد فى الأدب العربى ، وهو حقيق بهذه المنزلة من التقديم والاجلال » (١)

**

ثم ذكر الأستاذ عبد القادر القط أن أغلب النقاد لم يشغفوا بالأدب شغفا معروفا متصلا، أو يتخصصوا فى دراسته ونقده ، فقد كان معظمهم من الفقهاء والمحدثين والقضاة واللغويين »

وهذا كلام لا ينهض مع ما هو مشهور عنهم من أن العلم أى نوع منه لا يؤتيك بعضه حتى تؤتيه كلك ، وأنه عصى عليك ومتأب ونافر حتى تنصرف اليه وتصدق من كدك واخلاصك ، ثم لابد مع هذا أن تكون قد رزقت طبعا مهيئا للعلم الذى تروم ، وهذا اصبح مهم لانك تنفذ به الى اسرار العلم ، وتتذوق مسائله ، وتصبح من اصحاب الشأن فيه ، وهذا كلام مشهور جدا . ومن المستحسن أن تقتبسه من الآمدى قال « لأن العلم أى نوع كان لا يدركه طالبه الا بالانقطاع اليه والاكباب عليه ، والجد فيه ، والحرص على معرفة أسراره وغوامضه ، ثم قد يتأتى جنس من العلوم لطالبه ، ويتسهل عليه ، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر ، لأن كل امرىء انما يتيسر له مافى طبعه » (٢) .

أما وجوب التوفر على دراسة الشعر والنظر فيه ،والتمرس على معرفة خوافيه ، فذلك أيضا مشهور من كلامهم ، وقد رفضوا تطفل غير أهل العلم بالشعر على بابه ، ورأوا فى زمانهم ما نرى فى زماننا ، رأوا هذا الوهم الذى ركب كثيرا من النفوس فظنوا

---

(١) مقدمة طبقات فحول الشعراء ص ٦٥ ، ٦٩ .
(٢) الموازنة ص ٣٧٨ .

أن كل من فهم الشعر ، على وجه ما يصير من أهل الحكومة فيه ، وأنكروا هذا وحرصوا على أن يظل أهل القضاء فى الشعر هم نقدته الذين مارسوه وخبروه ، ومهروا فى معرفة بصيره .

قال الآمدى « ان العلم بالشعر قد خص بأن يدعيه كل أحد ، وأن يتعاطاه من ليس من أهله » ثم بين أنه من الخطأ أن تظن أنك « متى تعرضت له وأمررت قريحتك عليه نفذت منه ، وكشفت لك عن معانيه ، وهيهات لقد ظننت باطلا ورمت عسيرا » .

ويذكر عبد القاهر أن معرفة بلاغة الشعر لا يكتفى فيها بالقول المجمل ، ولابد من تفصيل الدقائق ، وتحصيل الخصائص ، وعدها واحدة واحدة ، وتسميتها شيئا شيئا وهذا محتاج الى « صبر على التأمل ،ومواظبة على التدبر ، والى همة تأبى لك أن تقنع الا بالتمام ، وأن تربع الا بعد بلوغ الغاية ، ومتى، جشمت ذلك ، وأبيت الا أن تكون هنا لك فقد أممت الى غرض كريم » (١) .

وهناك صعوبة أخرى لابد لطالب علم أسرار الشعر والأدب أن يتجشمها وهى فوق تحصيل خصائص الشعر وطول النظر فيه ، — دراسة تجربة النقاد قبله ، واكتسابها ، وتحصيلها تحصيلا مستنيرا واعيا ، ومرجع الصعوبة فى استيعاب هذه التجربة أنك اذا قرأت مقالتهم وجدت جلها أو كلها لا رمزا ووحيا وكناية ، وتعريضا ، وايحاء الى الغرض من وجه لا يفطن له الا من غلغل الفكر ، وأدق النظر ، ومن يرجع من طبعه الى المعية يقوى معها على الغامض ويصل بها الى الخفى » (٢) .

وغريب أن تقرأ للأستاذ الدكتور القط أن الانشغال بالحديث واللغة والفقه انصراف عن الأدب لأن هذه العلوم الثلاثة من صميم

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٧ .
(٢) دلائل الاعجاز ص ٢٨٥ .

دراسة الأدب ، فالحديث كلام من أو فى جوامع الكلم صلوات الله وسلامه عليه ، وهو افصح العرب بيد أنه من قريش وطول النظر فى كلامه صلى الله عليه وسلم ارهاف للنفس ، وترقيق للسان ، وتثقيف للطبع ، وهذا كله معين على ذوق الكلمة فى الشعر والأدب •

أما النحو فهو علم العربية الذى لا يستقيم فهمها والتعرف على أسرارها فى غيبته ، وقد رأينا الشعراء يجلسون الى شيوخ النحو ، ويستكملون البراعة فيه ، كما فعل أبو نواس والمتنبى وغيرهم ، ولا يجوز لدارس شعر هؤلاء ان يجهل ما علموه من أسرار بناء الكلام ، الا اذا تكلموا فى الشعر عن التشكيل ، واللوحة واللون والحركة وما يشبه ذلك مما يقوله نقادنا ، وهو كلام غير نافق عند أهل العلم •

أما الفقه فانه التقاط النقاط لأغمض وأدق دلالات الكلام المبين والذى يقوله الفقهاء فى وجوه استمداد الأحكام من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فيه فطنة لخفايا معانى الكلام تفوق فى كثير منها فطنة أهل الشعر لما يوحى به •

ولعل هذا هو الذى دفع بأبى نواس وغيره من الشعراء الى حضور مجالس الفقهاء والأخذ عنهم ، وقد قدمنا ما ذكره الاستاذ محمد بهجة الأثرى من أن ابا نواس لما أحس بطاقته الشعرية درس الفقه والأحكام وأتقن الفتيا مع القراءات والحديث والأخبار والشعر ، كل ذلك عند أبى نواس قادر على أن يفتق لسانه بحر الكلام ، واذا كان الشعراء يطلبون علم الفقه لصقل مواهبهم فالنقاد أولى بذلك لأن الناقد عليه ــ فيما عليه ــ أن يحيط بما أضمره الشاعر من كلامه من تجاربه ومعارفه •

ثم يقول الاستاذ « وكذلك لم يعرف نقدنا القديم النظرة الكلية الشاملة بل ظل فى أغلبه نظرات جزئية منثورة فى ثنايا كتبه » •

وقد تكرر هذا المعنى كثيرا فى المقال وهو معنى يتكرر عند كثير من الدارسين ، ويشيع بينهم

شيوع الصواب ، واذا نقر عنه انكشف عن خطأ كما يقول شيوخنا. فالآمدى والجرجانى وقدامة ومن قبلهم ابن سلام وغيرهم كانوا يصدرون فيما يكتبون حول الشعر عن أسس وأصول اعتبروها فى تحديدهم مراتب الكلام ، وفى قبوله ورده ، وواجبنا هو البحث عن هذه الأصول العامة ، والتعرف عليها ، على حد ما ذكر استاذنا الاستاذ محمود شاكر .

ثم ان الأمدى وغيره يذكرون أصولا عامة ومختلفة عند المتذوقين للشعر ، ويشرحون مذاهب متباينة فى استحسان الكلام وبيان مراجع المزية فيه ، ويتخيرون من بين هذه المنازع وجها يحتشدون له ، ومنزعا يتجهون اليه ، وهذا شائع جدا فى كلامهم ، وقد ذكر الامدى فى صدر كتابه مذهب من يميلون الى شعر البحترى ، وشرح هذا المذهب وأبان عن أصوله ، وكذلك من يميلون الى شعر أبى تمام ، ولهذا لا يصح عندنا ما ذهب اليه الاستاذ من أن الآمدى « لم يستطع أن يقدم صورة واضحة لمفهومه الجديد وسماته الفنية » وكيف يصح هذا وقد ذكر الآمدى حجج القائلين بتفضيل أبى تمام ، وهى فى جوهرها شرح لمذهب أبى تمام ، ودفاع عنه ، وذكر أيضا حجج الطاعنين على شعره ، وهى فى حقيقتها تحليل لما يرد على هذا المذهب ، وكشف لمواضع الغميزة فيه ، وهكذا كان الحوار بين الفريقين حوارا يهدف الى شرح وتحليل ومناقشة الطريقين بصورة محتشدة وجادة.

ثم اذا كان المراد بالنظرة الشاملة ما يشمل القصيدة فقد تجاوز القدماء فى شمولهم القصيدة الى ديوان الشاعر كله ، والذى نراه من المفاضلة بين الشعراء وتنزيلهم فى منازلهم ليس الا صريح ذلك .

ومسألة النظرة الكلية ، والنظرة العامة ، وفقدان النظرية ، وسماة التجديد ومفهوم الجديد ، وروح العصر وما شابه ذلك كلمات شاعت فى الحياة الفكرية منذ طه حسين وأمين الخولى . وقد الح الشيخان على هذه الكلمات حتي لاطت

بعقول تلاميذهم الذين أصبحوا أساتذة كبارا وهذه الألفاظ ناشبة فى أفواههم فشاعت وشاع مايتصل بها ، كالظاهرة والرؤية الجديدة ، وغيرها مما يراه الناس دليل المعاصرة ، وصار قسمة بين العلوم فهناك نظرية العامل ، وظاهرة الاعراب ، ونظرية النظم ورؤية جديدة فى الشعر القديم أو فى النحو ، وصار ناشئة العلماء يفتحون أفواههم حين يفتحونها على كلمة التجديد والنظرة الكلية ، وتخلف النظرة الجزئية ، ومثل هذا مما هو أشبه بعبث الصبيان الذى تبددت بسببه طاقات أهل العلم •

وذكر الاستاذ أن الآمدى لم يهتد الى مصطلحات محددة المفهوم ، واضحة الدلالة كقوله مثلا فان كنت أدام الله سلامتك ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك ، وحسن العبارة ، وحلو اللفظ ، وكثرة الماء والرونق ، فالبحترى اشعر عندك ضرورة ، وان كنت تميل الى الصفة والمعانى الغامضة التى تستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تلوى على ما سوى ذلك فأبو تمام عندك آشعر لا محالة وقد تستطيع أن تستشف ما وراء تلك العبارات « الانطباعية » من احساس عام بطبيعة شعر هذين الشاعرين لكن الناقد فى دراسته التطبيقية لم يهتم ببيان ما فى شعر البحترى من صحة السبك ، وحلاوة اللفظة ، وكثرة الماء والرونق عن طريق التفسير والتحليل فيقترب بمفهومها عند القارىء من معنى المصطلح ، ويزيل ما يلفها من غموض فى حديثه النظرى » •

وقبل أن أذكر ما أردته من ذكر هذا النص أنبه الى شىء يتعلق بمسألة النظرة الكلية التى ذكر الاستاذ أنها مفتقدة فى النقد القديم ، وقلنا ان الاستشهاد لها من كلام الآمدى كالتكلف لشيوعها فيه ، وها نحن نراها واضحة من هذا النص الذى اقتبسه الاستاذ وذلك من جهتين •

الجهة الأولى ما تراه من وصف الأصول الفنية العامة التى جرى عليها شعر البحترى ، وكذلك

شعر أبي تمام ،وأن لكل منهما مذهبا فى الشعر ، وهذه خصائصه العامة وقد ورد تحليل مزيد منها ومن غيرها فى ثنايا الكتاب ، وقد أدرك الاستاذ ذلك فى النص الذى بين يديه ، وقال « قد تستطيع ان تستشف .. الى آخره ولكنه وجد أن هذا سينقض ما قاله أولا من فقدان النظرة الكلية لأن من أحس بطبيعة شعر الشاعر فقد استشرف الى الاحاطة الكلية فاستدرك الاستاذ بقوله « لكن الناقد فى دراسته التطبيقية لم يهتم .. الى آخره •

الجهة الثانية ما تراه من تحديد الخطوط العامة للأسس النقدية عند من يستجيدون شعر البحترى، وكذلك من يستجيدون شعر أبى تمام •

أما ما أريد أن أعقب به على هذا النص فهو قوله « ولكن الناقد فى دراسته التطبيقية لم يهتم ببيان باقى شعر البحترى من صحة السبك .. الى آخره وهذا صريح فى أنه لولا غموض هذه المصطلحات لكان الآمدى من أصحاب النظرة الكلية عند الكاتب الفاضل •

والذى عندنا أن صحة السبك وحسن العبارة ، وحلاوة اللفظ ، وكثرة الرونق ، وما شابه ذلك مما كان يجرى على السنة النقاد لم يكن غامضا عندهم وانما كان واضحا ومحدد الدلالة تحديدا بينا • ودليلنا على ذلك أن عبارات أغمض منها كان يقضى بها أهل الرأى فى خلافات الشعراء فتقع عند المتخاصمين بينة مقنعة ، وتروى كتب الأدب أن الزبرقان ابن بدر ، والمخبل السعدى ،وعبده ابن الطبيب ، وعمرو بن الاهتم ، تذاكروا فى الشعر وادعى كل منهم أسبقيته فيه ، وتحاكموا ، فقال الحكم أما عمرو فشعره برود يمانية تطوى وتنشر، وأما الزبرقان فكأنه رجل أتى جزورا قد نحر فأخذ من أطايبها وخلطه بغيره ، وأما المخبل السعدى فشعره شهب من الله يلقيها على من يشاء من عباده ، وأما عبدة فشعره كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منه شىء » •

لا ريب أن هـــذه العبارات التى قضى بها الحكم فى هذه الخصومه أغمض من صحة السبك وحســن العبــارة وحــلاوة اللفظ وكثــرة الرونق ، ولا ريب أيضا أنهــا لو كانت غير مفهومة عند من حكمــوه ما نطق بها ، لأن الحاكم فى أمـر لابد أن يكون حكمه مفهوما وكلامه محددا ، وما كان له أن يتكلم بين هؤلاء وهم وجوه تميم وأهل الرأى فيهم بكلام غير مفهوم • ثم انــه قيل عن شعر عمرو بن الأهتم يعد هذا « الحلل المنشرة » وذلك قاطع فى اصابة الحكم واستيعاب البيئة لمضمونه •

والفرق فى الغموض بين هــذا وكلام الآمــدى هــو الفــرق فى الزمن ، والتغــيرات الأدبيــة فى البيئات • وهذا الكلام أســبق بكلام الآمــدى بقــرون أربعــة الا قليلا ، وعمرو بن الأهتم هــو الذى قال الرسول صلى الله عليه وسلم بعد سماع شــعره ان من الشعر حكما وان من البيان سحرا، وكان قد لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد قومه •

وكتب الطبقات مشحونة بهــذا ومثله ، وقــد أبان العــالم الثبت الاستاذ محمود شاكر كثيرا من هذا المعجم فى دراسته لكتاب طبقــات فحول الشعراء •

وعصر الآمدى من العصــــور التى لا تزال فى نفوس أهله بقية من طبع ، ولا يزال كثــير من أهل البادية على السنن الخالص •

وفى القرن الخامس الهجرى كان التحول واسعا ظاهرا ، ووهن ما فى طباع الناس مما يعينهم على فهم مثل هذه الأوصاف ، فاتجه أهــل العلم الى شرحهــا وتحليلهـــا وتحديدها تحــديدا علميــا بينا ، وكان من أبرز من تنبهوا الى هذا ، وعنوا به واحتشــدوا له الامــام عبد القاهر ، وكتابه دلائل الاعجاز مشــــحون بشرح هــذا المعجم النقدى ، وتحديد مرادهم باللفظة القلقة ، واللفظة المتمكنة (ص ٣٢) وشرف اللفظ ، وتزايــد المعــانى (٤٣) وجودة السـبك وصــحة الطبــع (٢٨٦) وجــزالة اللفظ (٢٨٥) وأمثال هذا كثــير وهــو بــاب من أبــواب العلم يجب أن

يفرغ له من يتتبع تطوره بحذق وبصر لأن تطور هذه المصطلحات قياس دقيق لقياس السليقة اللغوية ، وما طرأ عليها فى العصور المتعاقبة حتى القرن الخامس الذى انضبط آمرها فيه ضبطا علميا محددا •

ومع أن عبد القاهر كان شديد الحرص على بيان المراد ، ووضع اليد عليه رأينا الخالفين من بعده أحسوا أن بعض ما كان واضحا فى زمان الشيخ صار فى زمانهم ملبسا بعض اللبس فتناولوا بعض مصطلحات عبد القاهر بالتحليل والشرح ليقربوها الى أهل زمانهم ، وهذا واضح فيما صنعه الخطيب القزوينى فى مصطلحات عبد القاهر الأساسية كالنظم ، وقد جهد عبد القاهر فى بيانه حتى لم يدع فيه منزعا ولكن الخطيب فى القرن السابع أعاد صياغة شرح هذا المفهوم فى ضوء ما سبقه من تحليلات أهل العلم لفكر عبد القاهر • وهذا التعاقب يوجب علينا تدرجا فى المتابعة والدراسة ، فلأجل أن نفهم عبد القاهر فهما صحيحا لابد أن نفهم الخطيب القزوينى أولا لأنه يضع فى أيدينا ما يعين على فهم مصطلحات عبد القاهر ، ولأجل أن نفهم الآمدى فهما لا يلتبس لابد أن نقرأ عبد القاهر لأنه هو الاخر يضع فى أيدينا ما يعين على فهم مصطلحات الآمدى ، وقل مثل ذلك فى النحو والتصريف ، فالذى يبدأ فى النحو بقراءة سيبويه لا يفهمه ولو استظهر الكتاب وانما عليه أن يبدأ بمثل ابن هشام ثم يترقى وهكذا •

**

ثم أوجز الاستاذ بعض ماجاء فى كتاب الآمدى مستدركا عليه فى أكثر المواضع ، وقد حدد الخصائص الفنية التى خالف بها شعر أبى تمام النهج المألوف فى الشعر ، وهى كما ذكر سمات ثلاثة اسراف الشاعر فى استخدام البديع ، وايغاله فى الصور المجازية ، وغموضه فى بعض شعره •

وهذه السمات أو الخصائص التي ذكرها الاستاذ لم تكن هي

وحدها التى عول الآمدى عليها فى بيان طبيعة شعر أبى تمام ، وتحديد مذهبه ، وانما كان يكشف من عناصر شعره التى امتاز بها وتوحد الشىء الكثير ، وهذا أجل وادق من تلك السمات العامة ، من ذلك تتبع الخواطر والمشاعر والأحوال النفسية التى تثيرها الأشياء فى نفس أبى تمام ، أو قل طريقة احساسه بالأشياء وحركة وجدانه تجاهها ، وهذا مهم جدا . فالوقوف على الأطلال له شئونه الشائعة ، وألوان مشاعره المألوفة، وكان أبو تمام كغيره فى كثير من مواقفه على الطلل ، ثم تراه يتفرد وتنزعه نفسه نزوعا يغاير فيه غيره ، وسواء وافقته على هذا أم خالفته فحسب الرجل أنه رصد حسه رصدا أمينا ، وأفرغ طبعه فى شعره .

من هذا قوله فى مطلعه المشهور :

من سجايا الطلول الا تجيبا
فصواب من مقلة أن تصوبا
ما سألنها واجعل بكال جوابا
تجد الشوق سائلا ومجيبا

قوله « تجد الشوق سائلا ومجيبا » خلاصة الذى قبله ، فالشوق سائل لإنه هو الذى دفعك للسؤال ، والشوق مجيب لأن الطلول من سجاياها الا تجيب ، والجواب هنا صوب المقل ، وهذا الصوب أهماه الشوق ، وهكذا تجد حركة ذهنية تسلك مسالك غير مألوفة فى مثل هذا الموقف . والمألوف ما كان مثل قول البحترى :

وقفنا على ذات النخيلة ما نبرت
سواكب قد كانت بها العين تبخل
على دارس الآيات عاف تعاقبت
عليه صبا ما تستفيق وشمأل
فلم يدر رسم الدار كيف يجيبنا
ولا نحن من فرط البكا كيف نسأل

البحترى بكى ، ووصف ، ولم يسأل من فرط البكا ، والرسم لا يدرى كيف يجيب .. هذا هو مذهب الناس كما يقول الآمدى ، وقد علق على قول أبى تمام بقوله « وهذه فلسفة حسنة ، ومذهب من مذاهب أبى تمام ليس على

مذهب الشعراء ولا طريقتهم» (١)٠

الآمدى اذن يسبر شعر ابى تمام ويحلل نسيجه وما يجرى فيه من حركات النفس وخواطر القلب ويشير الى ما خرج من تلك الهواجس والخواطر عن مألوف الناس ، وحسبه أن ينبه الى هذا وليس مطالبا بان يشرح ويحلل على طريقة عصرنا لان منطق الناس فى الشعر فى هذا العصر كان لمحا تخفى اشارته ٠

**

ثم ألمع الاستاذ الى قصة أبى تمام مع أبى سعيد الضرير ، وأبى العميثل الذين كانا على خزانة الادب لعبد الله بن طاهر ، ودفع اليهما أبو تمام قصيدته :

هن عوادى يوسف وصواحبه
فعزما فقدما أدرك النأى طالبه

فضماها الى أشعار الناس ، فلما تصفحا الأشعار ، ووقفا على هذا الابتداء نبذا القصيدة فى الشعر المنبوذ ، وعاتبهما أبو تمام فى أبيات ، ولما لقيهما قالا له لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال ولم لا تفهمان ما يقال ؟ ٠٠ وقال الأستاذ « وقد كان من الممكن أن يكون جواب أبى تمام مفتاحا لقضية القديم والجديد ، ومنطلقا للآمدى لكى يناقشها مناقشة موضوعية شاملة » ٠

وجواب أبى تمام هذا ذكره كثير من كتابنا فى سياق الدفاع عن الشعر المجهول الذى يقوله الناس فى زماننا ، وهم يريدون بذلك ايقاع اللوم على الذين لا يفهمون هذا الشعر بدل أن يكون اللوم موجها الى الشعر نفسه ، وأنه خرج على ما ألفه الناس ، بل ضيع على هذا الجيل أمتع ما تمتعت به الاجيال وهو ما كان يسمعه كل جيل من أنغام بنيه من الشعراء الذين كانوا يصوغون آماله وآلامه لحونا شجية تنعطف نحوها أفئدتهم ويتناشدونها فى غدوهم ورواحهم ٠

ودع هذه فليست مما نحن فيه والمهم أننا نرى خلاف ما يراه

(١) الموازنة ج ١ ص ٤٩٩ ٠

الأستاذ ، وأنه لا يمكن للآمدى ان يجعل جواب أبى تمام هذا منطلقا لدراسة الجديد لأن الذى يراه الآمدى وسجله فى كتابه هو أن فى الشطر الأول من البيت ثلاثة الفاظ متوالية رديئة ــ هن عوادى يوسف ــ الأول أنه ابتدأ بالكناية عن النساء أى ذكر ضميرهن ولم يجر لهن ذكر ، والثانى أن كلمة عوادى ومعناها صوارف ليست لفظة قائمة بنفسها أى لا يبين معناها الا بمفعول يتعلق به الصرف ، الثالث أنه نون يوسف وهو لا ينون ثم لم يكتف الشاعر بهذا وانما الحق بهذا الشطر شطرا لا يشاكله فى معناه فاسترذل الكلام وتشارد :

قال الآمدى بعد ما بين هذا وذكر جواب أبى تمام « فاستحسن هذا الجواب من أبى تمام، والرجلان ماعابا الا معيبا، وما أنكرا الا منكرا وكانا من أعلم الناس بالشعر وكلام العرب .

وظاهر أن الآمدى لم يستحسن جواب أبى تمام لأنه قال « فاستحسن هذا الجواب » ببناء فعل « استحسن » للمجهول ثم عقب بما ترى مستعملا أسلوب القصر الذى يفيد انهما لم يتحيفا أى تحيف حينما عابا البيت ، وان عيبهم ليس الا لشىء يعاب . ثم انه حرر هذا المعنى والصياغة فى الجمله الثانية مستخدما الانكار بدل العيب ، فقضى على البيت بأنه ليس معيبا فقط وانما هو منكر أيضا ثم اردف ذلك ببيان قدر الرجلين ومنزلتهما فى العلم بالشعر وكلام العرب فأكد ذلك كله رأى الآمدى فى هذا البيت ، وأن أبا تمام كان يغالط مغالطة ظاهرة حين تلاعب بهذا الجواب . فكيف يغالط نفسه ويجعل هذا الجواب العابث مفتاحا لقضية القديم والجديد ، وهو لا يرى الا عيبا ومنكرا ومغالطة ؟

**

أشرنا الى سعة الموضوع وأنها لم تيسر مراجعة مادة البحث وأحكامه مراجعة دقيقة ونقد الشعر مما شغلت به الأمة فى جاهليتها واسلامها ، ولم يشغلها عنه شىء فكيف يلم به باحث فضلا عن أن يضمره فى مقال، ومهما كانت

صلة الأستاذ بهذا التراث قوية وقديمة فلا مفر من مراجعة المادة التى يعالجها قلمه أوان كتابتها .. ولا ريب أنه كان يكتفى فى نظره الى متن الكتاب بالنظر الخاطف السريع ، وأنه كان يعتمد أحيانا على ما جاء فى الفهرس فحسب .

ذكر الأستاذ فى مآخذه على الآمدى أنه أسرف فى مناقشات جزئية فأنفق ثمانى صفحات فى بيان خطأ استخدام أبى تمام لفظ « الايم » بمعنى الثيب على حين يرى اللغويون أنها هى التىلا زوج لها بكرا كانت ثيبا أو ثيبا .. ولعل الاستاذ نظر فى صفحة ١٤٧ فوجدها بدأت بما أخذ على أبى تمام فى قوله :

وصنيعة لله ثيب أهديتها
وهى الكعاب لعائذ بك مصرم
حلت محل البكر من معطى وقد
زفت من المعطى زفاف الأيم

وهذا الخطأ رقم ٦ . وينتهى الكلام عنه فى صفحة ١٥٥ ، عند الخطأ رقم ٧ وهو قوله :

الود للقربى ولكن عرفه
للأبعد الأوطان دون الأقرب

وهو البيت الذى ذكره الأستاذ بعد هذا مباشرة ، وهذه هى الصفحات الثمانية التى ذكر الاستاذ أن الامدى أنفقها فى مناقشة خطأ استخدام أبى تمام كلمة أيم . وقد وقع فى ظن الاستاذ الفاضل أن هذين البيتين ليس فيهما الا كلمة — أيم — لأن القول فيها شائع .

ولم يتكلم الآمدى فى خطأ استعمال كلمة أيم الا فى أقل من نصف صفحة روى فيها كلام من خطأ أبا تمام فى استعمالها ثم قال — وهذا الذى ذكروه من غلطة فى الأيم هو كما ذكروه — ثم أخذ يوجه استخدام أبى تمام كلمة كعاب كسحاب بمعنى البكر، واحتشد لتصويب ذلك ، واستشهد له ، ودفع عن أبى تمام أن يكون أخطأ فيه .

ثم ذكر الأيم بعد ذلك فى كلام موجز دفع فيه أن يكون ما ذكره فى تصويب استعمال الكعاب فى البكر صالحا لأن يصوب به استعمال الايم فى الثيب ، وذكر هذا فى ثمانية سطور ، ثم انصرف

الى مناقشة ما قاله النقاد فى قول ابى تمام :

وليست بالعوان العنس عندى
ولا هى منك بالبكر الكعاب

والكلام فى هذا البيت أكثره حول استعمال كلمة العنس بفتح فسكون فكان كلمة العانس ، او أراد بالعنس الناقة التى انتهت فى شدتها وقوتها ، وما يتصل بذلك من مناقشة .

وهب أنه استغرق ثمانى صفحات يحلل فيها الكلمة ويتابعها فى مجارى الشعر والأدب مشيرا الى ألوان المعانى التى يستخرجها المتكلمون من الكلمات فى السياقات المختلفة هل يعد ذلك عيبا يؤخذ على النقاد ؟

ومما اعتمد فيه الاستاذ على النظر فى الفهرس ثم رمى الآمدى بتقصير ، ما ذكره من أن الآمدى عدل فى القسم الثالث عما كان وعد به من المقارنة بين « قصيدتين من شعرهما اذا اتفقتا فى الوزن والقافية وبين معنى ومعنى ، فأسقط ما كان يمكن أن ينتهى الى شىء من الدراسة المنهجية فى المقارنة بين قصائد كاملة » .

والآمدى قد وعد بالموازنة بين قصيدتين من شعرهما اذا اتفقتا فى الوزن والقافية واعراب القافية » وقد سقط من النص الذى نقله الأستاذ الشرط الثالث من الشروط التى ذكرها الآمدى للموازنة بين قصيدتين وهو « اعراب القافية » ولما بدأ الآمدى فى هذا القسم ذكر ما وعد به ، قال « وقد انتهيت الآن الى الموازنة ، وكان الأحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين اذا اتفقتا فى الوزن والقافية ، واعراب القافية ، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعانى التى اليها المقصد والمرمى والغرض » .

اذن لم يتفق للآمدى قطعتان من شعر الشاعرين متفقتان فى الوزن والقافية واعراب القافية مع الاتفاق فى المقصد والغرض ، فكيف يعترض عليه ويقال أنه عدل عن هذا وقد اشترط لتحقيقه شروطا لم تتوفر بعد ؟

وقلت ان الاستاذ اكتفى فى هذا الموضوع بالنظر الى الفهرس لأنه

لو قرأ متن الكتاب وما ذكـــره الامدى فى توجيه عدم موازنته بين قصيدتين لأسقط هذه المــؤاخذة . ثم ان الاستاذ عرض صـــنيع الامدى فى هذا القسم وأنه اكتفى بالمقارنة بين معنى ومعنى مرتبـــا هذه المعانى حسب بناء القصيدة وأنه شتت كل غرض الى أجـــزاء أصغر فالوقوف عـــلى الأطلال يتضـــمن « الابتداءات بــــذكر الوقوف على الديار .. التسليم على الديار .. ما ابتــدأ بـــه من ذكر تعفية الدهور والأزمان للديار فى اقواء الديار وتعفيتها .. تعفية الرياح للديار .. فى البكاء عـــلى الديـــــار .. ســؤال الديـــــار واستعجامها عن الجواب .. فيما تهيجه الديار وتبعثه من جـــوى الواقفين بها .. الدعاء للديــــار بالسقيا .. لوم الأصـــحاب فى الوقوف على الديار .. ماقالا فى أوصاف الديار والبكاء عليها ... وصف أطلال الديار وآثارهـــا » وهذا هو العمود الثانى فى الصفحة الأخيرة من فهرس الشـــيخ محيى الدين عبد الحميد رحمه الله .

وليس هذا هو الطريق الراشد الى فقه كلام أهل العلم .

ثم ان الاعتماد على ما أخرجه شيخنا الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد من كتاب الموازنة لم يعد مقبولا ، لأنه لا يمثل التصور الكامل للامدى فى هـــذا الموضوع وانمـــا هو جزء قليل من دراســـة أوسع حتى ان أســـتاذنا الاستاذ سيد صقر عد اخراجه لهذا الكتاب أول طبعة له نظــــرا للنقص فى الطبعات السابقة . ولو كان الأمر أمر عرض لبعض قضايا الآمـــدى لأمكن أن يكون هناك وجه للاعتماد على هذه النسخة الناقصة ، ولكن الدراسة التى كتبهـــا الاســـــتاذ الفاضل كانت مبنية على النقـــــد وايراد الاعتراض وعن المآخـــذ أو التنبيه الى مواطن الغفلة ، وهذا عمل لا نعيبه لأن تقلية تراث أهل العلم وتصفيته أمانة للسابقين فى أعناق اللاحقين ، وانما نقول أنه

---

(١) الموازنة ص ٣٨٤ .

مما يجب أن يؤخذ بعناية شديدة وأن تكون الكلمات فيه بحساب وحذر ، وأن تتوفر المطالعة المتأنية والمستوعبة •

ثم ان نقض كتاب الموازنة لم يكن أمرا مجهولا ، وقد استخرج استاذنا الاستاذ سيد صقر من كلام الآمدى الدلائل الواضحة على نقض المطبوع ، ثم ان الجزء الذى لم يطبع كان كثير منه تحت أيدى الباحثين فى مخطوطات دار الكتب المصرية ، وقد اقتبس منه كثير من الباحثين قبل اخراجه فى طبقة الأستاذ سيد صقر ، ومنهم الدكتور محمد مندور رحمه الله ،

وبعد فهذا الذى كتبته هو ما قدر لى أن أقف عنده فى صفحتين من المقال ولم أستفض ، والى لقاء آخر ، وما كان لنا أن نشغل بهذا أو نشغل غيرنا به لولا منزلة الدكتور عبد القادر القط فى نفوس أهل العلم •

د• محمد أبو موسى

دراسة لغوية

علم التصريف

موضوعه وتطوره

دكتور / محمد ابراهيم البنا

بذل النحاة جهودا متتابعة فى تحديد أبنية العربية ، على نحو ما كان منهم فى وصف التراكيب . وقد أدركوا أن غالبية المواد تميزت بقابليتها للنماء ،وأن الابنية تتفرع منها وتقوم عليها كما يقوم البناء على أصله ، وأن الحركات — قصيرة كانت أو طويلة — تمثل الاساس الاول فى تشكيل هذه الابنية ، والى جانب هذه الحركات قامت أصوات أخرى متخذة أوضاعا معينة من الاصل ، فى أوله وآخره أو وسطه ، تسهم هذه الاصوات فى تنمية هذه الابنية .

وما أدركه النحاة يمثل طبيعة فى اللغات السامية عامة ، تلك التى تقوم أبنيتها على الاشتقاق ، والاحتفاظ بمادة الاصل،فى صورة موزونة ومقاطع محددة . ولذلك علم النحاة أن تحديدهم لهذه الابنية لا يتم الا بالعودة الى هذا الاصل ، ومن هنا قام فى العربية علم الى جانب علم النحو هو : علم الاشتقاق . وكانت وظيفته انبحث عن أصول الابنية ، وبيان ما يعرض لها من زيادة ، ومواضع هذه الزيادة ، وما يعرض لها أيضا من تغيير أو نقص .

وقد كان من السهل معرفة هذه الاصول ، عرفوا مثلا أن : أجلب ، وجلب واجتلب ، وانجلب ،وتجلب واستجاب ، والجالبة ، والجلبان ، الى بقية الامثلة ، عرفوا أنها تنتمى الى الاصل : جلب . وعناية النحاة بجذور الابنية هو الذى جعلهم يعدون ما عداها زائدا ،

سواء أكان حروفا أم حركات ، بل جعل أمر الحركة القصيرة غير ذى بال ، حيث لم تحظ بالرسم المعبر عنها ، وان كان الرسم فى اللغات السامية منذ نشأته قد التزم اهمال هذه الحركات • ولعل ذلك راجع الى ثبات أصل المادة فى الرسم أو جذرها ، على حين لم تثبت الحركة على صورة معينة •

لم يكن من الصعب اذا الوصول الى جذور الابنية • واذا وجدنا ابن جنى يتحدث عن وظيفة علم التصريف ، وأنه « به تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها ، ولا يوصل الى معرفة الاشتقاق الا به(١) » •

فاننا نعتقد أنه يعنى أن هناك أبنية قد يعسر تحديد أصولها ، وأنه حينئذ تحل أقيسة التصريف مشكلات هذه الابنية ، على أن ذلك يمثل أبنية محدودة ، تلك الابنية التى كانت محك النظر بين العلماء(٢) • ثم ان ما نسبه ابن جنى الى التصريف ينبغى أن ينسب الى علم الاشتقاق ، فهذه الاقيسة انتهى اليها المشتغلون بالاشتقاق من الابنية الواردة عن العرب ، كما سنعرف بعد •

وقد انتهى علم الاشتقاق الى أمور ، منها : أن البحث فى المشتقات قد نبه الى دراسة الدلالة فى كل مادة فى مختلف أبنيتها ،وهل تدور حول معنى واحد ، أو أن هناك معانى متعددة لصور هذه المادة ؟ وظهر فى الفكر اللغوى ما يسمى بالاشتقاق الصغير والكبير وغير ذلك مما حفلت به كتب ابن جنى وابن فارس • وكان هذا العمل مسلما الى وضع المعجم العربى الذى حتمت طبيعة العربية أن يقدم فى نظامه على أساس أصل الماده أو جذرها ، وأطبقت على ذلك مختلف المدارس المعجمية •

ومن الامور التى انتهى اليها علم الاشتقاق : تحديد هيئات الابنية ، وهذا جانب شكلى ، وهو

---

(١) المنصف ١/٢ •

(٢) انظر الممتع لابن عصفور ١/٢٩ ، ٢٢٨ •

الذى نجده فى كتب الابنية(١) التى عنيت بالمجرد من الاسماء والافعال ومزيد كل منهما • وقد كان للميزان الصرفى شأن كبير فى الوصول الى هـذه الغاية ، فلولا الميزان للجأ النحاة الى وصف كل بناء على نحو ما صـنعوا فى وصف التراكيب ، لكن الموازين من نحو : افعل وفاعل وافتعـل ، وانفعـل ، وفعـالى ، وفواعل ـــ قد دلت عـلى الغرض من أخصر طريق ، فاذا كانوا قـد وضعوا التراكيب فى أبواب ،فانهم قد حصروا هذه الابنية فى موازين وما أشبه حديث النحاة عن الجملة وركنيها بحديثهم عن البناء ومادته فللجملة ركنان كما أن للبناء أصولا والجملة تنمو بأشياء منها ما هـو مرتبط بالفعل ، ومنها ما هو مرتبط بالفاعل ، أو منها ما يطلبه الفعـل ومنها ما يطلبـه الفاعل • وكذلك الشأن فى الجملة الاسمية • وصف النحاة ذلك ، وحفلت أبوابهم بهذا الوصف ، وكان هذا الوصف هـو ميزانهم للجملة فى مختلف صورها أما فى مجال الابنية فقد قام الميزان بالتنبيه على صور أبنية الاسـماء والافعال ، فى تجردها وزيادتهـا مصحوبة باحصاء لها فى الحالتين•

ومن خـلال هـذا الاحصـاء استطاع النحاة أن يخرجوا بأقيسة منها ما يتصل بالابنيـة ، ومنهـا ما يتصـل بالتغييرات التى تعرض لها ، فقد تبين لهـم أن من هـذه الابنية ما يسير عـلى نمط معين ، وهو مادعى أخيرا بالمشتقات ذوات الاقيسة ، وأن منها ما لا يجمعـه ضـابط ، فـاذا كان النحـاة فى استقرائهم للتراكيب قـد خرجوا بأقيسة ونبهوا عـلى استعمالات لا تندرج تحت قيـاس ووسموها بالشـذوذ ، فـان المشـتغلين بالاشتقاق قد خرجوا بأقيسة لبناء الفعل ، وبعض الاسماء ، وللمثنى والجمع ، والمصغر والمنسـوب • وقالوا : ان هناك أشـياء مشتقة لا يجمعها قياس ولا نظام ، وهى التى تكفلت بها المعاجم واحتوتها•

ومن خلال هذا الاحصاء أيضـا

(١) انظر كتاب سيبويه ٢٤٢/٤ ـــ ٣٠٣ ، ٣٣٠ ـــ ٣٤٥ . والمنصف ١٧/١ وما بعدها . والممتع ٦٠/١ ـــ ٢٩٥ .

عرف النحاة أن هنـاك أبنية قـد انفرد بهـا الصحيح دون المعتل ، والمعتـل دون الصـحيح • وكأن النحاة قد نظروا فى الابنيـة التى تفرد بها الصحيح ولم يرد المعتل عليها ، باحثين عن السبب فى ذلك، وجدوا مثلا أن الصحيح قد تفرد ببناء فعلول نحو بهلول وعصفور ، فأرادوا أن يبنوا من المعتل هـذا البنـاء ، فأداهـم التصـور الى «رميى» بعد أن كان «روميوى» ، وكأنهم عزوا عدم ورود فعلول من المعتل الى هذا الثقل الناشىء من تتابع الامثال • لكن النحاة فيمـا يبدو قد أعجبهم هذا التصـور ، وقالوا : ان المشتغل بمثـل هـذه الابنية يحـكم قواعـد الاعـلال والادغام ، فمضوا فى هذا الطريق لا للبحث عن السبب فى تخلف هذا البناء من المعتل ، ولكن لشىء آخر هو ما ادعوه من التدريب واحكام صنعة الاعلال والادغام ، ونشـأ فن جديد يعنى بهذه الابنية هـو : فن التصريف ، موضوعه هو هـذه الابنية التى يصرفها الدارس كما يشاء عـلى وفق أبنيـة أخـرى مسموعة من الصـحيح ، يقـول سـيبويه وهو يتحـدث عن باب « مـا قيس من المعتل الـذى لا يتكلمون به ، ولم يجىء فى كلامهم الا نظيره من غير بابه » ، وقال : « وهو الذى يسـميه النحـويون التصريف[1] » •

هذا هو موضوع التصريف أول الامر ، وهو كما رأينـا وليـد علم الاشتقاق ، ذلك الذى وصف أبنية الصحيح والمعتل ، وحدد التغييرات التى تعرض لابنية المعتل والمضعف فأرادوا أن يضعوا المعتل فى صورة بناء الصحيح ، وطبقوا على هـذه الابنية المخترعة قواعد التغيير التى وقعت فى المشـتقات ، وذلـك أن النحـاة قد خرجـوا من تتبعهم لصور الاعـلال فى جميـع هـذه المشتقات بعقود (٢) ــ كما يقول ابن جنى ــ وقواعـد ، هى التى كانـوا يطبقونها عـلى الصـور الجـديدة ، فليس مـن فارق بين

---

(١) الكتاب ٤/٢٤٢ ، وانظر شرح الشافية ١/٦ ــ ٧ •

(٢) **التصريف الملوكى ٤٧ ــ ٥٨ •**

المشتقات والمصرفات الا أن الاولى مسموعة من العرب مستعملة فى الكلام ، وأن المصرفات من صنع النحاة ، مأخوذة من مادة المعتل على وفق أمثلة الصحيح ، فالمثال المصوغ عليه عربى ، والتغييرات التى تحدث فى هذه الابنية الجديدة مأخوذة مما سمع عن العرب ، لكن البناء الجديد لم يسمع من هذه المادة المعتلة ، ولذلك وصفت هذه الابنية بأنها مولدة،يروى اليزيدى أنه قال : « لم يكن أحد بالنحو أعلم من أبى عمرو • فقال له الاحمر : لم يكن يعرف التصريف فقلت له : ليس التصريف من النحو فى شىء ، انما هو شىء ولدناه نحن واصطلحنا عليه ، وكان أبو عمرو أنبل من أن ينظر فيما ولد الناس (١) » •

ولقد سار المازنى على نهج سيبويه عندما وضع كتابا فى التصريف ، فاذا كان سيبويه قد مهد للتصريف بذكر أبنية الافعال والاسماء الصحيحة والمعتلة فقد صدر المازنى كتابه بذلك ، ولكنه ينبه على أن هذه الابنية ليست من علم التصريف بقوله : « وانما كتبت لك فى صدر هذا الكتاب هذه الامثلة ، لتعلم كيف مذاهب العرب فيما بنت من الاسماء والافعال ، فاذا سئلت عن مسألة فانظر : هل بنت العرب مثالها ؟ فان كانت بنت فابن مثل ما بنت ، وان كان الذى سئلت عنه ليس من أبنية العرب فلا تبنه ، لانك انما تريد أمثلتهم وعليها تقيس (٢) » • فترى المازنى ينبه على ضرورة معرفة أمثلة العربية لمن هو مشتغل بالتصريف، لانه يبنى على مثالها ، فلا بد أن يكون علم بها ، لا لانها من التصريف ، وانما لان المصرف يحتذيها ويشكل بناءه على نسقها• وكذلك قال ابن عصفور وهو يذكر موضوع التصريف ، قال : « والتصريف ينقسم قسمين : أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعانى ، نحو: ضرب وضرب وتضرب وتضارب

---

(١) مجالس العلماء للزجاجى ١٧١ •

(٢) المنصف ١/٩٥ ــ ٩٦ •

واضطرب ، فالكلمة التى هى مركبة من ضاد وراء وباء نحو (ضرب) قد بنيت منها هذه الابنية المختلفة لمعان مختلفة • ومن هذا النحو اختلاف صيغة الاسم للمعانى التى تعتوره من التصغير والتكسير ، نحو : زييد وزيود • وهذا النحو من التصريف جرت عادة النحويين أن يذكروه مع ما ليس بتصريف ، فلذلك لم نضمنه هذا الكتاب(١)» • وهذا من أصرح النصوص على موضوع علم التصريف ومفهومه عند القدماء • ومع ذلك رأيت ابن عصفور يسمى هذا النحو تصريفا • وسنبين بعد منشأ هذا التصور عنده •

وقد ذكرنا من قبل أنه لابد للمشتغل بمسائل التصريف أن يعرف أيضا قواعد التغيير ، أن يعرف ما يعرض للهمزة والياء والواو ، لانه سوف يصرف مواد مهموزة أو معتلة ، ولهذا أيضا عنى سيبويه بتقديم أحوال هذه الحروف قبل أن يصل الى مسائل التصريف (٢) • وكذلك صنع المازنى بعد أن خلص من الابنية وقال : « واعلم أن الهمزة وبنات الواو والياء فيهن مسائل التصريف ، فانظر كيف صنعت العرب فى الياءات والواوات والهمزات اللواتى هن فاءات الفعل وعيناته ولاماته ، وما ألحق باللامات من الياءات ، وكيف أجروهن ، وكيف ألزموهن الحذف والتغيير والابدال حتى يسهل عليك النظر ، ان شاء الله » • ويشرح ابن جنى هذا فيقول : « أعلم أنه أتبع هذا الفصل الذى قبله ، ليريك كيف ينبغى أن تعمل فيما يرد عليك مما يسأل عن بنائه ، يقول : فلا تعد ما رأيتهم عملوه فى نظير ما تبنيه ، ولا تتجاوزه (٣) » •

ولما تقدم أحسب أنه لولا هذه المسائل المصرفة ما نشأ فى العربية

---

(١) الممتع ٣/١ ، وانظر ايضا ٥٢/١ ـ ٥٣ •
(٢) الكتاب ٣٦٠/٤ ـ ٣٩٥ •
(٣) المنصف ٩٦/١ •

من الفنــون أو العلوم ما يــدعى بالتصريف ، ولكنا أمام علمين فقط هما : علم النحو وعلم الاشتقاق ، الاول يعنى بالتــراكيب ، والثانى بالابنية ذوات الاصول وما يعرض لها من تغييرات .

على أنه قــد دخــل فى مجــال التصريف بعــد ذلك شىء آخر ، شبيه بالصــورة المتقدمة ــ أعنى البناء من المعتل على مثال الصحيح فقد بنى النحــاة من بعض مــواد الصحيح أمثلة لم تسمع منها ،وان كانت قد سمعت فى نظائرها ، مثل بنائهم من ضرب للالحــاق عــلى مثــال : صــفرد ، أو حبرج ، أو جعفر . لم تسمع هذه الابنية من هذه المادة ، وان كانت قد سمعت من مادة أخرى ، فقد سمع : رماد رمدد ، وسمع : دخلل ، وقردد . ولذلك عقب ابن جنى عــلى قول المازنى : « واعلم أن الهمزة وبنات الــواو واليــاء فيهن مســائل التصريف » ، قــال ابــن جنى : « ومســائل التصريف فى الهمــزة وبنات الواو والياء وغــيرهما من الصحيح . وانما أراد أن المسائل اذا بنيت من الهمــزة أو الواو أو الياء كانت صعبة مشــكلة ، لمــا يعــرض فيهــا مــن التغيــير أو الحذف[1] » .

وقــد وازن ابن جنى ما بيــن التصريف والاشــتقاق من جهة ، وبينه وبين النحو من جهة أخرى ، فالتصريف والاشتقاق تجىء بهمــا المادة على وجوه شتى ، والتصريف والنحو يقاس فيهما ما لم يســمع على ما سمع ، يقــول ابن جنى : « وينبغى أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسبا قريبا واتصــالا شديدا ، لان التصريف انما هو أن تجىء الى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى ، مثــال ذلك أن تــأتى الى ضرب فتبنى منه مثــل جعفر فتقول : ضربب ، ومثل قمطر ضرب ، ومثــل درهم : ضربب ، ومثل علم : ضرب ، ومثل ظرف : ضرب ، أفــلا ترى الى تصريفــك الكلمة على وجوه كثــيرة ؟ وكذلك

(١) المنصف ١/٩٧ .

الاشـــتقاق أيضـــا ، ألا ترى أنك تجىء الى الضرب الذى هوالمصدر فتشتق منه الماضى فتقول : ضرب، ثم تشتق منه المضـــارع فتقول : يضرب ، ثم تقول فى اسم الفاعل: ضارب • وعلى هذا ما أشبه هـــذه الكلمة •• الا أن التصريف وسيطة بين النحو واللغـــة يتجـــاذبانه ، والاشـــتقاق أقعد فى اللغـــة من التصريف ، كما أن التصريف أقرب الى النحو من الاشـــتقاق[١] » • ويريد بصلة التصريف بالنحو أنك فى كليهما تقيس ما لم يسمع على ما سمع • وقد صرح بذلك فيمـــا بعد بقوله : « والغرض من صناعة الاعراب والتصريف انمـــا هو أن يقاس ما لم يجىء على ما جاء[٢] »

هذا ولم يختلف النحاة فى الحاق تراكيبنا بتراكيب العربية ، فنحن باتباعنا نمطها تكتســـب تراكيبنـــا هذه الصفة فتصبح عربية ، وهذا ما يقوم به علم النحو • كذلك لم يختلفوا فى أن ما نبنيه من المعتـــل على مثال الصحيح ــ وهو ما عنى بـــه التصريف أول الامـــر ــ لم يختلفوا فى أنه ليس من العربية فى شىء ، وانما هو شىء « الغـــرض فيه التآنس واعمال الفكرة فيه ، لاقتناء النفس القوة على ما يـــرد مما فيه نحو مما فيه (٣) » • أما الابنية المأخوذة من بعض مـــواد الصـــحيح على نحـــو ما ورد من العرب فى نظـــائرها ، وهى التى أدخلت فيما بعد فى علم التصريف، فقـــد حاول ابن جنى أن يلحقهـــا بكلام العـــرب ، متابعـــا فى ذلك لشيخه الفارسى ، الذى أخذ بأصل المـــازنى : « ما قيس عـــلى كلام العرب فهو من كلام العرب(٤) »• ولما كانت العرب قد قالت : رمدد، فماذا يمنع من القـــول : ضربب ؟ وهكـــذا • وقـــد نسب ابن جنى

---

(١) المنصف ١/ ٤ •

(٢) المرجع المتقدم ٢/ ٢٤٢ •

(٣) الخصائص ٢/ ٤٨٨ •

(٤) الخصائص ١/ ٣٥٧ •

الاصل المتقدم فى كتابه المنصف الى الخليل وسيبويه(١) • وكان المازنى قد قال : « فأما الالحاق المطرد الذى لا ينكسر ، فان يكون فى موضع اللام من الثلاثة مكررا للالحاق ، مثل : مهدد ، وقردد ، وسؤدد ، وعندد • والافعال : جلبب يجلبب جلببة (٢) » • وقد سأل ابن جنى شيخه الفارسى عن مقالة المازنى هذه فقال : « لو اضطر شاعر الآن لجاز أن يبنى من ضرب اسما وفعلا وصفة ، وما شاء من ذلك ، فيقول : ضربب زيد عمرا ، ومررت برجل ضربب ، وضربب أفضل من خرجج ، لانه الحاق مطرد ، وكذلك كل مطرد من الالحاق • وليس لك أن تقول : هو رجل ضيرب ، ولا ضورب ، لان هذا لم يطرد فى الالحاق » •

يقول ابن جنى : « فقلت له : أترتجل اللغة ارتجالا ؟ فقال :نعم لان هذا الالحاق لما أطرد صار كاطراد رفع الفاعل » •

على أن جمهور النحاة يمنعون أن نلحق الصحيح بالصحيح أيضا، ويعدون هذه الامثلة من الامور السماعية التى تحفظ ولا يقاس عليها ، فاذا كانوا قد قالوا : رمدد فليس لنا أن نقول : ضربب • وما ورد عنهم يستعمل كما استعملوه وليس لنا أن نقيس عليه • ويبدو أن ابن فارس فى قوله : « وليس لنا اليوم أن نخترع ، ولا أن نقول غير ما قالوه ، ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه ، لان فى ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها • ونكتة الباب أن اللغة لا تؤخذ قياسا نقيسه الآن نحن » ــ انما كان ينكر أمثال ما أجازه الفارسى • لكن النحاة لم يختلفوا فى جواز الالحاق للتدريب والتمرين،وتمكين المقاييس كما قال الامام عبد القاهر ، الا شيئا أثاره ابن مضاء وبعض النقاد السابقين عليه » •

دكتور / محمد ابراهيم البنا

---

(١) المنصف ١٨٠/١ •
(٢) المنصف ٤١/١ •

في التشريع الإسلامي

تحويل القبلة

بقلم الدكتور / محمد محمد الشرقاوى

لم تكن القبلة فى تاريخها القديم عبر الحقب والدهور الا الكعبة التى جعلها الله تعالى بمكة مثابة للناس وأمنا باعتبارها أول بيت وضعه الله تعالى لعبادته وحده .. وأمر بتطهيره مما ينافى الوحدانية الخالصة ، والدين الحق ليقوم فيه القائمون ، ويركع فيه الراكعون والساجدون ، ويطوف من حول أركانه الطائفون .. وكان الأنبياء والمرسلون على اختلاف عصورهم ، وتعدد شرائعهم يقصدونه ويتوجهون اليه حين يصلون .. جاعلين بيت المقدس بينهم وبين الكعبة .. فعن أبى العالية رضى الله عنه : (كانت الكعبة قبلة الأنبياء ، وكان موسى يصلى الى صخرة بيت المقدس ، وهى بينه وبين الكعبة) ولما كان مثل هذا القول لا يهتدى اليه عن طريق الاجتهاد والاستنباط .. ولا يمكن القول به عن صحابى جليل الا عن طريق التوقيف والسماع .. كان لهذا الحديث حكم المرفوع .. وقد ذكر علماء أصول الفقه : ان قول الصحابى دليل شرعى فيما له حكم الرفع الى الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك فى مواضع : منها : مالامجال للاجتهاد فيه ، ومنها الاخبار بالمغيبات كالثواب والعقاب ، أو اضافته الى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم .. أو قول الصحابى أمرنا بكذا ، أو نهينا عن كذا أو

قول الراوى مع ذكر الصحابى يرفعه أو ينميه أو يبلغ به أو رواية، أو تفسيره لسبب نزول آية .. ، وقد قال الزهرى : (لم يبعث الله منذ هبط آدم عليه السلام الى الأرض نبيا الا جعل قبلته صخرة بيت المقدس) .. أى فى اتجاه الكعبه بمكة المكرمه .. كما صرح به أبو العاليه فى حديثه السابق .. فيكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد شارك جميع الانبياء والمرسلين فى استقباله بيت المقدس .. ثم تفرد عنهم فى استقباله الكعبة مستدبراً بيت المقدس .. وهذا يتفق مع قول السبكى فى تائيته :

وصليت نحو القبلتين تفرداً
وكل نبى ماله غير قبلة

أى كل نبى كانت قبلته واحدة.. هى الكعبة وان كان يستقبلها من خلال صخرة بيت المقدس .. ولا يستدبرها بحال من الأحوال .. أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فقد استدبر بيت المقدس حين أمر بالتحول فى صلاته الى قبلة جديدة منفردة هى الكعبة .. وكان اذ ذاك فى المدينة المنورة .. ولا يمكن لمن كان بالمدينة أن يستقبل القبلة بمكة .. الا اذا استدبر قبلة بيت المقدس .. وفى مكة ذاتها حينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصلى ركعتين بالغداة ، ويصلى مثلهما فى العشى على دين أبيه ابراهيم عليه السلام قبل حادث الاسراء والمعراج انما كان يتوجه الى الكعبة من بين ركنيها اليمانى والأسود ليتوجه من خلال ذلك الى بيت المقدس ، ويصيب فى صلاته القبلتين معا .. اسوة بمن سبقه من انبياء الله ورسله .. ففى مكة لم يكن فى صلاته مستدبرا لبيت المقدس ، حين كان يستقبل القبلة بمكة .. أما فى المدينة..فقد ثبت تفرده عن أنبياء الله ورسله باستقبال الكعبة البيت الحرام فى أم القرى مكة حين أمر بالتوجه اليها .. فى الوقت الذى استدبر فيه صخرة بيت المقدس بالضرورة .. اذ لا يتأتى استقبال احداهما من خلال الأخرى فى المدينة .. ثم

اختص بالكعبة بعد ذلك على المدى اللانهائى ·· وصدق فى شأنه قول التوراة فى وصفه صلى الله عليه وسلم : (صاحب القبلتين) ·· ولما هاجر صلى الله عليه وسلم امر باستدامة استقباله بيت المقدس واستدبار الكعبة ·· ثم أمر بعد ذلك باستقبال الكعبة واستدبار بيت المقدس فلم يحدث النسخ فى الأمر باستقبال القبلة الا مرة واحدة ·· لا مرتين كما ذهب اليه ابن جرير وكما هو ظاهر سياق الكلام فى قصة تحويل القبلة من قول ابن عباس رضى الله عنهما : (لما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود يستقبلون بيت المقدس امره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس) من معناه : أمره الله أن يستمر على استقبال بيت المقدس ·· لا أن ينشىء استقبالا جديدا لبيت المقدس ·· لأنه صلى الله عليه وسلم كان مثله كمثل الأنبياء جميعا وهو فى مكة ·· يستقبل الكعبة من خلال ركنيها الأسود واليمانى ·· ليصيب وهو يستقبل الكعبة صخرة بيت المقدس ·· مثله فى ذلك مثل غيره ممن تقدمه من أنبياء الله ورسله وقد ضعف الحافظ بن حجر ما ذهب اليه ابن جرير من وقوع النسخ مرتين فى تحويل القبلة وقال : هذا ضعيف ويلزم منه دعوى النسخ مرتين) ولذا قال فى الأصل : (ولما كان صلى الله عليه وسلم يتحرى القبلتين جميعا ·· أى يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس ·· لم يتبين توجهه الى بيت المقدس وحده للناس ·· حتى خرج من مكة ·· فانه استدبر الكعبة · واستقبل بيت المقدس) ·· وهذا هو الذى نسخ باستقبال الكعبة واستدبار بيت المقدس ·· ومثل ذلك يقال بعد حادث الاسراء والمعراج حين كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يصلون الصلوات الخمس فى مكة ·· فقد كانوا يصلون الى الكعبة ووجوههم الى بيت المقدس ·· فكانوا يصلون بين الركنين : اليمانى ، والذى عليه

الحجر الأسود لأجل استقبال بيت المقدس ·· وثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان بصفة خاصة ـ لا يلتزم بذلك ·· بل كان فى بعض الأوقات يصلى الى الكعبة فى أى جهة أراد ·· ثم لما قدم المدينة صار يستقبل بيت المقدس ، ويستدبر الكعبة الى وقت التحويل (السيرة الحلبية ج ٢ : ١٤٧) ·

والجمهور الأعظم من علماء السيرة على أن تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة بمكة كان فى نصف شعبان بعد ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ·· كان يستقبل فيها بيت المقدس فى صلاته بالمدينة ·· وكان حظ مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة من هذا هذا التوجه نحو بيت المقدس خمسة أشهر بعد تمامه ، وكان ذلك التحويل فى السنة الثانية للهجرة·· ولم يكن قد مات من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الا عشرون صحابيا كانوا يتوجهون فى صلاتهم بالمدينة نحو بيت المقدس أسوة بالرسول صلى الله عليه وسلم : ثمانية عشر رجلا من المهاجرين ·· واثنين من الأنصار ، هما : البراء بن معرور ، واسعد ابن زرارة ·· ولم يكن موتهم عن قتل كما جاء فى رواية البخارى التى أنكرها الحافظ ابن حجر ·· وقال : (ذكر القتل لم أره الا فى رواية زهير ·· وباقى الروايات انما فيها ذكر الموت فقط ، ولم أجد فى شىء من الأخبار أن أحدا من المسلمين قتل قبل تحويل القبلة) ويمكن التوفيق بين كلام الحافظ بن حجر ورواية البخارى : بأن بعض هؤلاء الموتى قتل فى غير الجهاد بين الجيوش المتحاربة ·· اذ لم يكن قد وقع شىء من ذلك قبل التحويل ·· وان كان قد وقع قتل لبعض المستضعفين من المسلمين كقتل أبوى عمار بن ياسر رضى الله عنهم ان ثبت وقوع قتلهما بعد الاسراء والمعراج ـ وهو محل بحث ونظر ·· أو كان قتلهم بسبب آخر ·· ومهما يكن من أمر ·· فان أمر هؤلاء الموتى العشرين ·· قد أهم الصحابة وأقلق بالهم ·· لأنهم

صلوا الى بيت المقـــدس •• ولم يدركوا الصـــلاة الى الكعبـــة •• ولذا سألوا رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم بعد تحـــويل القبلـــة عنهم وقالوا : (يارســـول اللـــه لقد ذهب منا قوم قبل التحول •• فهل يقبل منا ومنهم ••) ؟ فأنزل الله تعالى : (وما كان الله ليضيع ايمانكم ••) أى صـــلاتكم الى بيت المقدس •• « وفى الكشـــــاف جـ ١ : ٧٨) : (من صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه : (لما وجه رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم الى الكعبـــة قـــالوا : كيف بمن مـــات قبـــل التحويل ؟ •• فنزلت الآيـــة) : وفيها : (ان اللـــه بالناس لرءوف رحيـــم) •• أى : لا يضـــيع أجورهم ، ولا يترك ما يصلحهم •

والأكثرون من رجال السير •• على أن التحويل من بيت المقدس الى الكعبة كان فى صلاة الظهر •• ولا ينافى ذلك مافى الصحيحين عن البراء رضى الله عنه : (أن أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أى للكعبة : صـــلاة العصر) لأن ذلك الأخير محمـــول على الصلاة الكاملة بكل ركعاتها •• وسأبين مراحل التحويل كما حدثت حتى لا يكون هناك لبس على من قرأ رواية دون رواية •• وذلك على الوجه الآتى :

١ – خرج رســـول الله صلى الله عليه وسلم زائرا أم بشر بن البراء بن معرور فى بنى سلمة •• فصنعت له طعاما ، وحانت صـــلاة الظهر •• فصلى رسول الله صلى الله عليه وســـلم بأصـــحابه فى مسجد هناك •• فلما صلى ركعتين نزل جبريل •• فأشار اليه : أن صل الى الكعبة واستقبل الميزاب •• فاستدار الرسول صلى اللـــه عليـــه وســـلم الى الكعبـــة •• واستدار النساء مكـــان الرجـــال والرجال مكان النساء • أى تحول الرسول عليه الصلاة والسلام من مقدم المسجد الى مؤخره •• لأن من استقبل الكعبة فى المدينة يلزم أن يستدبر بيت المقدس •• ولـــو

دار الرسول صلى الله عليه وسلم كما هو لم يكن خلفه مكان يسع الصفوف .. وكان ذلك وهم راكعون .. ومعنى هذا : أنه يقصى عن العمل القليل الذى يحدث فى الصلاة .. كما أن العبادة الواقعة قبل العلم بنسخها صحيحة ولا تجب اعادتها بعد العلم بالنسخ .. لأن الرسول ومن معه .. لم يعيدوا الركعتين السابقتين على الامر بالتحول .. ولم يعيدوا ركوع الركعة التى جاء فيها هذا الامر .. وسمى هذا المسجد الذى فى بنى سلمة : (مسجد القبلتين) لان المسلمين صلوا فيه صلاة واحدة الى قبلتين مختلفتين) مع صحتها وعدم اعادة جزء منها .. وهذا هو أول حادث حدث من أمر تحويل القبلة ثم تبعه ما وراءه من حوادث وأحداث .

٢ ــ خرج بعد ذلك عباد بن بشر رضى الله عنه ، وكان قد صلى الصلاة السابقة الى القبلتين مع الرسول صلى الله عليه وسلم .. فمر على قوم من الأنصار هم بنو حارثة .. وكانوا فى محل آخر .. فوجدهم يصلون العصر التالى للظهر السابق .. فناداهم وهم فى ركوعهم وقال : أشهد بالله .. لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البيت .. يعنى الكعبة .. وهنا نترك أتمام الحديث لعمارة بن أوس الانصارى قال : (صلينا احدى صلاتى العشى .. أى وهما الظهر والعصر .. فقام رجل على باب المسجد ونحن فى الصلاة فنادى : أن الصلاة قد وجهت نحو الكعبة .. فتحول أمامنا نحو الكعبة) .. أى وتحولنا بتحوله كذلك .. وهى نفس القصة التى رواها رافع بن خديج رضى الله عنه قال : (أتانا آت ونحن نصلى فى بنى عبد الأشهل فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يوجه الى الكعبة .. فدار امامنا ، الى الكعبة ، ودرنا معه) .

٣ ــ ذهب ذاهب الى أهل قباء بعد ذلك ــ وترجح الروايات ــ

أنه عباد بن بشر السابق ذكره ٠٠ فوجدهم فى صلاة الصبح فى اليوم الثانى وهم ركوع كــذلك ــ وهى مصادفة أجمل وأروع من موافقة ٠٠ لأن الركوع رمز الخضـــوع الأول ، فى الصـــلاة ٠ وقد ركعوا ركعة واحـــدة ٠٠ فنادى فيهم : ألا ان القبلة قد حولت الى الكعبة فتحولوا اليها ، ويؤيد ذلك ما فى البخارى : (بينا الناس بقبـاء فى صلاة الصبح ٠٠ اذ جـاءهم آت فقال : ان رسول الله صلى اللــه عليه وسلم قــد أنزل عليــه الليلة قرآن ، وقــد أمر أن يســتقبل الكعبة ، فاستقبلوها ٠٠ فاستداروا الى الكعبة) ٠٠ وفى مسلم : (بدل صلاة الصبح صلاة الغداة) وهو أحد أسماء صلاة الصبح كمـا قال الحافظ ابن حجر ، ولم ينقل أنهم أمروا بقضــاء العصر والمغـرب والعشــاء الســابقة على ذلك ، ولا اعادة الركعة التى صلوها من الصبح ٠٠ وهــو دليــل على أن الناسخ لا يلزم حكمة الا بعد العلم به وان تقــدم نزولــه ، وعلى أن الأمر المقطوع به يجوز تركه بخبر الآحاد اذا احتفت به من القرائن ما يرفعه الى درجــة الشـــهرة والقطع به ٠٠ وهذا القرآن الذى نزل فى الليلة المشار اليها هو قوله تعالى : (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلــة ترضــاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثمــا كنتم فولوا وجــوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتــاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ومــا الله بغافل عمــا يعملون) البقرة ١٤٤ والمعنى كمــا فى الكشـــاف جـ ١ : ٧٩ : كثيرا ما نــرى تردد وجهك وتصرف نظــرك فى جهـــة السماء ــ وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه أن يحوله الى الكعبة لأنها قبلة أبيه ابراهيم، وأدعى للعرب الى الايمان لأنهــا مفخرتهم ومزارهم ومطـــافهم ، ولمخالفة اليهود ٠٠ وذلك بعــد أن تألفهم أول الأمر باســتقبال بيت المقدس ولكنهم قــالوا لــه : كيف تخالفنا وتتبع قبلتنا ٠٠ ووجهــوا اليه والى أصحابه أقوالا لاذعة ٠٠

وعبارات مريبة ٠٠ فتحول الرسول صلى الله عليه وسلم عن قبلتهم ، وعن موافقتهم فى وقت واحد ٠٠ وكان من شعارات الاسلام مخالفة اليهود ٠٠ فقد خالفهم فى قيامهم للموتى ٠٠ وندب الى القعود حين تمر الجنائز مخالفة لهم ٠٠ وكان فى أول أمره يقوم لها ٠٠ وقد خالفهم فى (اعفـــاء اللحى ، واحفـــاء الشـــوارب) وعلل ذلك بقـــوله : (وخالفوا اليهود) ونهى عن صلاة الرجل مختصرا (متفق عليه واللفظ لمسلم) ومعناه : وضع اليد اليمنى أو اليسرى على خاصرتـــه اليمنى أو اليسرى أو هما معاً فى الصلاة وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها : أن ذلك الاختصار فى الصلاة فعل اليهـــود فى صـــلاتهم) قال صاحب سبل السلام جـ ١ : ٢٢٧ : (وقد نهينـــا عن التشـــبه بهم فى جميع أحوالهم ٠٠ وهذا هو وجه الحكمـــة فى هذا النهى ٠٠ ولأنـــه ينافى الخشوع) ٠

ورحم الله من قال :

كم للنبى المصـــطفى من آيـــة
غراء حـــار الفـــكر فى معناهـــا
لما رأى البـــارى تقلب وجهـــه
ولاه أيمن قبلـــة يرضـــــاها

فهذه هى الأطـــوار التاريخيـــة لحادثتحويل القبلة،ومنها نرى أن ثمت ثلاثة آثار صحيحة وردت فى شأنها ٠٠ فمن قال : ان التحويل كان فى صلاة الظهر ــ وهو ما عليه الأكثرون ــ نظر الى أول هـــذه الأطوار وقوعا ، وهـــو مـــا رواه حديث أم بشر بن البراء بن معرور فى بنى سلمة حيث قسم الرســـول صلى الله عليه وسلم فى مسجدها صلاة الظهر الى قسمين : قســـم الى بيت المقـــدس وهـــو أولها ٠٠ ٠٠ وقسم الى الكعبة وهو آخرها ٠٠ ومن ذهب الى أن التحـــويل كان فى العصر ٠٠ فقد أراد من ذلك التعبير عن أول صلاة صـــلاها كلها الى الكعبـــة ومن ذلك حـــديث الصحيحين عن البـــراء : (أن أول صلاة صلاها رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم أى للكعبة صـــلاة العصر) وكانت بالمسجد النبوى بعد رجوعه من بنى سلمة ٠٠ ومن رأى أن التحويل كان فى صلاة الصـــبح

فى قباء ٠٠ فقد أخذ فى اعتبـاره حديث البخارى (بينا الناس بقباء فى صـلاة الصـبح ٠٠ الخ) لأن الخبر لم يبلغهم الا حينئذ ٠٠ ومما تقدم يمكن اجمال حادث تحـويل القبلة فى النقاط الآتية : ـ

١ ـ الكعبة ـ باعتبـارها أول بيت وضـع للناس ـ هى قبلـة جميـع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليـه وسـلم فى أول أمره ـ ويوافقه مافى الأصل عن محمد بن كعب القرظى رضى الله عنه قال : (ما خالف نبى نبيـا قط فى قبلـة الا أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم اسـتقبل بيت المقـدس) وكلهم استقبل الكعبة من خـلال استقباله لبيت المقدس ٠٠ كما ان الرسول صلى الله عليـه وسـلم اسـتقبل الكعبـة من بين ركنيها الأسود واليمانى ليوافق استقباله هذا بيت المقدس كذلك وذلك ابان وجوده بمكة ٠

٢ ـ بعد هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة أمر باسـتمرار استقباله لبيت المقدس فخالف غيره من الأنبياء والمرسلين فى استدباره للكعبة ٠٠ وثبت أنه اختص منهم جميعا بالقبلتين بينمـا لم تكن لهم الا قبلة واحدة هى الكعبة ٠٠ فلما جاء التحويل الى مكة ثبت النسخ لبيت المقدس واسـتقرار الحـكم للكعبة بعد ذلك ٠٠ فكان النسـخ مرة واحـدة فى حـادث التحويل لا مرتين ٠

٣ ـ وقع التحويل أول ما وقع فى صلاة الظهر فى مسجد بنى سلمة أثناء زيارته صلى الله عليه وسـلم لأم بشر بن البراء بن معرور حين صنعت له طعاما وصلى الظهر مـع أصحابه فى مسجدهم ٠٠ ثم نقله عباد بن بشر فى صلاة العصر الى بنى حارثة وهم راكعون ـ كمـا كان النبى وصحبه راكعين كذلك فى صلاة الظهر ٠٠ وكما كان أهل قباء راكعين كذلك حين نقل اليهم عباد ابن بشر ـ كما فى بعض الروايات خبر التحويل فى صلاة الصبح من اليوم الثانى ٠٠ وكل هذه الأخبار صحيحة ولا منـافاة بينهـا ، ولا تعارض فيها ٠

دكتور/محمد محمد الشرقاوى

وتحولت الرسالة عن بني إسرائيل إلى بني إسماعيل

بقلم الدكتور السيد رزق الطويل

تذكر كتب السير والتاريخ ان الله تعالى قد استجاب لما كانت تتطلع اليه نفس النبى محمد عليه الصلاة والسلام فأمره بأن يتوجه فى صلاته الى الكعبة البيت الحرام بعد أن ظل نحو ستة عشر شهرا يتجه الى بيت المقدس ، وأن ذلك كان فى شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة .

ولا يعنينى فى هذا المقال أن أحقق الزمن الذى وقع فيه الحدث الكبير ، وانما يلفت نظرى معناه العميق ، ومغزاه الكبير ، كما أريد أن أكشف الاستار عن حقيقة عظيمة نتجاوزها دون أن نقف موقف التأمل منها ، وكأنها فى سياق الأحداث الكبيرة بعد الهجرة شىء يسير ، وهذه الحقيقة وراء قضية تحويل القبلة .

الاتجاه الى بيت المقدس .

بعد هجرة النبى محمد عليه الصلاة والسلام الى المدينة كان يتجه فى صلاته ــ كما أمره ربه ــ الى بيت المقدس ، وكان وراء هذا حكمة بالغة تتصل بمنهج الدعوة فى معالجة القلوب الحاقدة لقيادتها برفق الى الحق الذى تعرفه وتنكره . وذلك ليعلم جيران الدولة الاسلامية الناشئة من أهل الكتاب والذين هم معها على عهد أن النبى عليه الصلاة والسلام ما كان بدعا من الرسل ، وأنه على طريق الانبياء الكرام من قبله ، عقيدته عقيدتهم ، ورسالته

رسالتهم ، وعندما تحققت الحكمة **من هذا التوجه** كان لابد من العودة الى القبلة الاولى ، يقول تعالى مشيرا الى الحكمة السابقة : **(وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله) .**

الكعبة القبلة الاولى .. والاخيرة

كان النبى عليه الصلاة والسلام فى الفترة التى كان يتجه فيها الى المسجد الاقصى معلق القلب يتشوق اليها ، ويتشوف الى أمر يأتيه من الله ليتحول فى صلاته نحوها ، وقد أوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة فقال تعالى : **(قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) .**

ولم يكن تحويل القبلة مجرد استجابة من رب العالمين لرغبة نبيه الكريم ، حتى يقول اليهود ما قالوا من افك : ان رب محمد يسارع فى هواه ، وانما هو فى حقيقته تأكيد لحق أصيل يعرفه من يجحدونه ، واتجاه النبى صلى الله عليه وسلم اليه ، لم يكن مجرد ميل شخصى ، وانما هو نزوع الى الحق بأصالة الفطرة ، وهداية النبوة ، وبصيرة الايمان ، اذ أن الكعبة البيت الحرام هى القبلة الاولى والقبلة الاخيرة ، والتوجه لبيت المقدس كان للغاية التى أسلفناها ، وتحدث القرآن الكريم عنها ، فقد أقامها بأمر الله على أرض العرب ابراهيم وابنه اسماعيل وهى بهذا كانت أول بنية أقيمت لعبادة الله وحده ، يقول تبارك وتعالى **(ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) .**

وهذا الحق الذى عرفه الرسول عليه الصلاة والسلام ، واتجه بقلبه اليه ، ولاجله قلب وجهه فى السماء كان يعرفه أهل الكتاب أيضا ، ولأجل هذا بين الله تعالى لنبيه هذه الحقيقة وقال : **(وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه**

الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) .

اليهود وتحويل القبلة :

كانت الصورة التى ترتسم فى مخيلة اليهود عندما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتجه فى صلاته لبيت المقدس أن محمدا يتخذ أسوته منهم ، وأنه لا يملك القيم التى تغنيه وتكفيه وأنهم وان كانوا يجحدون رسالته لكن لا حرج عليهم أن يجاملوه مادام — فى تصورهم — على ولاء لموروثاتهم ، واستبد بهم هذا التصور الخاطىء حتى أمر النبى عليه الصلاة والسلام بأن يحول وجهه الى الكعبة عند ذاك تفجر الحقد المخبوء ، وبرح الوهم فانطلقوا فى كل واد يهيمون ، ينشرون الشائعات ، ويبثون الاراجيف حول قضية القبلة ، وكأنهم كانوا يظنون أنه ليس من حق أحد أن يتحول عن قبلتهم والا كان غير بار لقبلة الانبياء المرسلين وقالوا فيما قالوه من بغى ، وما روجوه من افك : ما الذى جعل محمدا يتحول عن بيت المقدس الى مكة ؟! انه يعاوده الحنين الى دين أبائه وأجداده !! لو كان محمد بارا بالحنيفية عن قبلته . وكانت الحرب النفسية لليهود تثير آلاما فى نفس النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وتولى القرآن الكريم التصدى لها وكشف زيفها وضلالها ويبدو ذلك فى المواقف التالية :

* وصفهم القرآن الكريم بالسفاهة لانهم اثاروا قضية ليس من حقهم أن يثيروها ، وأن القبلة التى تلتقى حولها القلوب المؤمنة من أمر الله وحده ، وأن الله اصطفى هذه الامة الوسط ، واختار لها القبلة الحق التى بناها ابراهيم فقال تعالى : **(سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ قل : لله المشرق والمغرب ، يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) .**

* أكد القرآن الكريم أن هؤلاء اليهود كانوا يصدرون فيما يقولون

عن هوى غالب ، وتعصب باغ ، وأنه لن يفلح معه برهان أو دليل، فيقول تعالى : **(ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم انك اذن لمن الظالمين)** .

* ناقش القرآن الكريم قضية ارتباط البر بجهة معينة ، وأبطل المفهوم الاسرائيلى للبر ، وأكد أنه بعيد كل البعد عن الارتباط بجهة معينة ، وأن عون الله ورعايته ومعيته للمؤمنين والمتقين ، والمحسنين من عباده لا تعنى الارتباط بجهة معينة أو مكان محدود فقال تبارك وتعالى : **(ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم)** .

وفى آية أخرى اضافة بعد هذا الرد تقدم المفهوم الصحيح للبر ، وأنه عبارة عن أشخاص صادقين يرتبطون بقيم الدين ومبادئه المثلى من عقيدة ترتكز على الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، واقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وبذل كل عزيز أثير لدى الانسان من المال على ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، والوفاء بالعهد ، والصبر فى مواضعه المختلفة فيقول جل شأنه : **(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)** .

لكن ما الباعث وراء هذه الثورة العارمة ، والحرب النفسية الضارية ؟ ألان النبى تحول عن قبلتهم من حيث كانوا يتصورون أنه سيكون تابعا لهم ، ملتزما بمنهجهم ؟! قد يكون هذا أحد البواعث الثانوية لغضبهم المسرف، لكن وراء هذا الغضب ما هو أعظم

وأخطر ، وما هو أكبر مما نتصور ، ان فى حساب هؤلاء وفى خلدهم فكرا موروثا مؤداه أن رسالة السماء مقصورة عليهم ، خاصة بهم ، ولن يبعث الله رسولا من شعب سواهم ، وكيف لا ، وهم شعب الله المختار والامة المصطفاة التى أتاها الله الكتاب والحكم والنبوة ؟!! اذن الرسالة فيهم وحدهم ولا ينبغى أن تتجاوزهم ، وهذا الرسول الخاتم الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراه والانجيل ويرتقب القوم مقدمه ،ويستفتحون به قبل مبعثه ، وقبل أن يتعرفوا على شخصه — على الذين كفروا وفاجأتهم الاحداث بمبعث النبى محمد عليه الصلاة والسلام من العرب **(فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)** بل تمنوا من أعماق نفوسهم أن ترتد أمة العرب الى الكفر بعد الايمان **(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق)** ... وكان مسلك النبى صلى الله عليه وسلم معهم بعد الهجرة وقد اتسم بانسانية بالغة ورحمة واسعة كفيلا بأن يدفعهم الى أن يستبقوا شيئا من الرد يكون بمثابة غلالة رقيقة توارى أحقادا سوداء ونوايا خبيثة وكان الامل ولا يزال قائما فى نفوسهم أن تظل قيادة الرسالة السماوية بأيديهم ، وزمامها طوع ارادتهم ، فلما تحولت القبلة الى مكة تهاوى تماما صرح الامل الكاذب ، وذهبت أحلامهم أدراج الرياح،ووقع ماكانوا منه خائفين : لقد تحول تيار الرسالة من بنى اسرائيل الى بنى اسماعيل .. حدث هذا برسالة محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام وتأكد بتحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة ، البيت الحرام .

هذا الحدث الذى أقام له اليهود الدنيا وأقعدوها ، لم نعره اهتماما ولم نعطه ما يستحق من بحث ودرس ، مع أنه من أكبر الاحداث فى تاريخ الاسلام بعد الهجرة ، وكان وقوعه ايذانا بتحول زمام هداية البشر الى بنى اسماعيل ،

البقية على صفحة ١٥٢١

وسطية الإسلام

بقلم الدكتور / فؤاد خديجى العقلى

ان الدين الاسلامى هو دين الوسطية فى كل شىء ، ونعنى بالوسطية : الاعتدال والتوسط والاتزان فى كل جوانب هذا الدين الحنيف . فاذا كان الوسط « من كل شىء أعدله » (١) كما تصرح قواميس اللغة العربية ، فان الاسلام يستهدف هذه الوسطية فى كل عقائده وتشريعاته . ولذلك جعل الله المسلمين المهتدين بهدى هذا الدين أمة وسطا . قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » (٢) .

أى خيارا ، عدولا ، لتشهدوا يوم القيامة ، على غيركم ممن سبقكم من الأمم ، أن الرسل قد بلغوهم شرع الله اليهم ، ويزكى شهادتكم ، ويعد لكم فيها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . قال المفسرون : ان الوسطفى الأصل اسم لما يستوى نسبة الجوانب اليه ، كمركز الدائرة ، ثم استعير للخصال المحمودة ، لمناسبة ان الأطراف يسرع اليها الخلل ، والأوساط محمية محوطة ، فكذلك الخصال الحميدة ، وسط بين اطراف مذمومة فالشجاعة ، وسط بين الجبن

---

(١) القاموس المحيط : جـ ٢ : ص ٤٠٥ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

والتهور ، والعفة وسط بين الخمود والفجور ، الى آخر الفضائل ثم اطلق الوسط على المتصف بخلال الوسط مبالغة فكان أهل الاسلام أمة وسطا ، أى خيارا عدولا ، لتمسكهم بدين الوسطية والاعتدال ٠

(أ) الوسطية فى العقيدة :

ففى مجال العقيدة ، نلاحظ هذه الوسطية واضحة فى قمة العقائد الاسلامية ونعنى بها عقيدة التوحيد ، اى الاعتقاد بوجود الله تعالى ، ووحدانيته ، وصفات جلاله وكماله ، فالله ، سبحانه ، « ذات » ولكن « **ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** » (١) ، وهو متصف بصفات جلال ، تنفى عنه ، سبحانه، كل نقص ، فهو متصف « بالقدم » الذى ينفى عنه « الحدوث » ومتصف « بالبقاء » الذى ينفى عنه « الفناء » و « بالوحدانية » التى تنفى « التعدد » وهكذا ٠ كما أنه متصف بصفات « كمال » يتحقق له بها كل كمال يليق بمقام الألوهية الحقة ٠ من « العلم ، والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام » هذه العقيدة السليمة هى وسط بين طرفين منحرفين فى « التأليه » ٠ طرف المبالغه والافراط الذى يتمثل فى « تجسيد » الاله أى اعتقاد أنه جسم ، تلزمه لوازم الجسمية من «التحيز» ،«والحلول» و « الاتحاد » وغيرها من لوازم الجسمية ، كما انحرفت الى ذلك طوائف مختلفة من : ديانات وضعية زائفة ، ومذاهب ذات أصل دينى سماوى ، لكنها زاغت عن القصد ، وعدلت عن جادة العقيدة الحقة ٠ وطرف المبالغة فى « التجريد » الذى ظنته الفلسفات الاغريقية ، ومن نحا نحوها « تنزيها » وهو فى مضمونه وفحواه ، ليس الاضربا من شطط الخيال ، يضع « وجود » الاله ، فى متاهة الغموض الفلسفى ، وينزل هذا « الوجود » فى دائرة باهتة

---

(١) سورة الشورى : الآية ١١ ٠

تحيط بها « السلوب » وتحف بها « التجريدات الفلسفية » التى تتجاوز كل تعقل • « فأفلاطون » يصل فى « تجريداته » هذه ، الى حد أنه ينكر اتصاف الله بالوجود! « ليقول ان الله لا يوصف بأنه موجود ، تنزيها له عن الصفة التى يقابلها العدم ، وتشترك فيها الموجودات أو الموجدات » (١) •

وأرسطو : صاحب أعظم عقلية اغريقية يذهب الى أن الاله لا عمل له ولا ارادة حيث كان العمل طلبا لشيء والله غنى عن كل طلب ، وكانت الارادة اختيارا بين أمرين ، والله قد اجتمع عنده الأصلح الأفضل من كل شيء ، فلا حاجة به الى الاختيار ، ولا يناسبه عمل يبدؤه فى زمان « فالاله الكامل لا يعنيه أن يخلق العالم » (٢) ولا أن يعلم عنه شيئا ، اذ العالم ناقص ، والكامل لا يليق به أن يعلم بالناقص وهكذا يتخبط العقل البشرى ، غير المهتدى بهدى السماء ، فى فهم الكمال الالهى ، فيفهمه كمالا ، لا يعمل ، ولا يريد ، أو يفهمه على أنه « كمال مطلق ، يوشك أن يكون هو والعدم المطلق على حد سواء » (٣) •

وفى مجال النبوات : يضع الاسلام الانبياء والرسل ، فى وضعهم الصحيح دون افراط ، أو تفريط ، فهم « بشر » يجوزعليهم ما يجوز على البشر من أعراض بشرية ، بشرط ألا تكون مخلة بمقاماتهم العلية ، وهم فى نفس الوقت فى أعلى قمم السلوك والخلق العظيم ، فهم معصومون عن كل الذنوب صغيرها قبل كبيرها • « **قل انما أنا بشر مثلكم ، يوحى الى** » (٤) ⊛

فلا ينبغى أن نرفعهم عن « البشرية » ولا أن ننزلهم الى « درك » المعاصى والذنوب ، ونلصق بهم خطايا ، ونحملهم

---

(١) حقائق الاسلام : عباس العقاد : ص ٣٧ •
(٢) المصدر السابق •
(٣) نفس المصدر : ص ٣٨ •
(٤) الكهف : ١١٠ •

ذنوبا ومعاصى ، هم منهم مبرءون ، لأنهم صفوة الخلق ، وقدوة الناس ، والداعون الى منهج الله عز وجل .

(ب) الوسطية فى التشريع :

وفى مجال التشريع تتجلى « الوسطية » بأوضح صورها :

(أ) فالعبادات فى الاسلام قد روعى فيها « الاعتدال » فى التكليف بحيث لا تتجاوز طاقة المكلف **« لا يكلف الله نفسا الا وسعها »**(١) . وبحيث لا ترهقه ، ولا يشق عليه أداؤها **« يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » (٢)** .

ولما كان الله سبحانه يعلم ضعف الطبيعة البشرية ، وشدة ميل النفوس الى الجوانب الدنيوية ، وركونها الى لذاتها الحسية ، وتعذر انخلاعها عن مألوفها ، حيث أخبر الحق سبحانه أنه **« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والأنعام والحرث »**(٣) اقتضت حكمته ورحمته بخلقه ، أن يكون الدين الخاتم ، الذى هو التعبير النهائى عن منهج الله الى أن تقوم الساعة، أن يكون طابع هذا الدين هو « الوسطية » ، وأن تكون « الوسطية » هنا مائلة الى جانب التخفيف **« الآن خفف الله عنكم ، وعلم أن فيكم ضعفا » (٤)** . لذلك نجد التيسير والبعد عن الحرج هما الطابع المميز للتكاليف الاسلامية فى العبادات وفى المعاملات على حد سواء .

* فالصلوات الخمس لا تستغرق فى أدائها ساعة من نهار ، مع التيسير فى أدائها حسب الاستطاعة من قيام أو قعود أو اضطجاع !

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .
(٢) البقرة : ١٨٥ .
(٣) آل عمران : ١٤ .
(٤) الانفال : ٦٦ .

* والزكاة لا تزيد عن ٥ر٢ ٪ من المال ، وعن العشر أو نصفه في الزروع .

* والصيام شهر واحد في العام ، وللمريض والمسافر ومن في حكمهما أن يفطروا ، ثم يقضوا من أيام أخر ، عند القدرة بدون مشقة .

* والحج مرة واحدة في العمر ، مع القدرة والاستطاعة ، وأمن الطريق .

(ب) وان أروع مظاهر « الوسطية » في الاسلام تتجلى في توفيقه وموازنته بين مطالب الروح ومطالب الجسد . فمن صور ذلك :

* الأمر بالاعتدال في المأكل والمشرب : « **وكلوا واشربوا ، ولا تسرفوا** » (١) .

* التحذير من ارهاق البدن بالعبادة ، فعن أنس رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا ، كأنهم تقالوا ، وقالوا : اين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم اما انا ، فاصلى الليل أبدا ، وقال الاخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ، ولا افطر وقال الاخر ، وأنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج ابدا ، فجاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله ، انى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » (٢) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص : « ألم أخبر أنك تصوم النهار ، وتقوم الليل ، قلت : بلى ، يارسول الله ، قال : فلا تفعل ، صم ، وأفطر ، ونم وقم ، فان

---

(١) الاعراف : ٣١ .
(٢) رياض الصالحين : ص ٧٥ .

لجسدك عليك حقـــا ، وان لعينك عليك حقـــا ، وان لزوجـــك عليك حقا » (١) .

* التوازن الدقيق بين العمل للدنيا والعمل للآخرة ، وشـــعار الاســـلام فى هذا « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لاخرتك كأنك تموت غدا » هـــذا الشـــعار الذى تعبر عنه الآية الكريمة الآتية أصدق تعبير .

قال تعالى : « **وابتغ فيما آتاك الله الـــدار الآخـــرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كمـــا أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان اللـــــه لا يحب المفسدين** » (٢) .

فالاســـلام يرفض الرهبانية ، واعتزال الحياة الجـــادة العاملة ، لصالح الانســـــانية كمـــا يرفض الانهماك الجشع فى ملذات الحياة ، وشهواتها ، حتى ينسى الانســـان ربه ، ويغفل عن الله وعن عبادته . نقرأ فى هذا قول اللـــه تعـــالى : « **ان الذين لا يرجـــون لقاءنـــا ، ورضوا بالحياة الدنيا ، واطمأنوا بها ،والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النـــار بمـــا كـــانوا يكسبون * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ، تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم** » (٣) فالاســـلام يوجه المسلم الى الســـعى الـــدائب فى المجالين ، والعمل الجاد للحياتين ، « **يأأيها الذين آمنـــوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاســـعوا الى ذكر الله وذروا البيـــع** » (٤) ثم يقول اللـــه تعـــالى « **فـــاذا قضـــيت الصـــلاة فانتشروا فى الأرض ، وابتغوا من فضـــل الله ، واذكـــروا اللـــه كثيرا ، لعلـــكم تفلحون** » (٥) .

وفى الوقت الذى ينعى على من

---

(١) رياض الصالحين : ص ٧٨ .
(٢) سورة القصص : ٧٧ .
(٣) يونس : الآيات : ٧ ــ ٩ .
(٤) الجمعة : ٩ .
(٥) الجمعة : ١٠ .

يحب الدنيا ويسعى اليها فقط غافلا عن الاخرة ، نجده يرحب ويمتدح من يطلب الاثنتين معا ، ويعمل لهما جميعا ، نقرأ فى ذلك قول الحق تبارك وتعالى :

« فمن الناس من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا ، وماله فى الآخرة من خلاق ❊ ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب » (١) .

❊ وفى انفاق المال وسطية واضحة ، فلا تقتير ولا اسراف : **« والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما » (٢) .**

وقال تعالى : **« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملوما محسورا » (٣) .**

هذا التوازن الدقيق بين مطالب الروح ومطالب الجسد ، بين عمل الدنيا ، وعمل الآخرة ، هو الذى اعطى للاسلام الميزة الكبرى على كل دين ، بأنه دين الفطرة **« فطرة الله التى فطر الناس عليها » (٤) .**

وقد فطر الناس على أنهم مركبون من أجساد وأرواح ، ولكل من الجسد والروح مطالبه ؛ لذا فقد انتزع الاسلام الناس من صوامع الرهبنة والانعزالية والتقوقع داخل الاديرة والكهوف ، كما انتشلهم من جحيم المادية الجامحه ، وطغيان الجسدية البهيمية المستكلبة .

واذا كانت الرهبنة والانعزالية عن المشاركة الايجابية الجادة فى شئون الحياة قد مضى زمانها ، وأصبحت الآن لا تشكل خطورة تهدد سير الجماعة البشرية فى طريقها الصحيح ، فان الطرف الآخر من طرفى الانحراف عن الجادة ، وهو طرف المادية

البقية صفحة ١٥٢١

---

(١) البقرة : ٢٠٠ — ٢٠٢ .
(٢) الفرقان : ٦٧ .
(٣) الاسراء : ٢٩ .
(٤) الروم : ٣٠ .

أعلام الإسلام

من أئمة المحدثين :

الإمام أبو داود

لفضيلة الدكتور/ الحسيني هاشم

الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

امام جليل من أئمة السنة له فيها مجهود مشكور ، وعمل مبرور وهو كتاب السنن الذى لم يؤلف مثله فى الأحكام دون غيرها فصار مرجع الفقهاء ، وعدة المجتهدين ، واستحق صاحبه الثناء .

نسبه ومولده :

هو سليمان بن الأشعث بن اسحق بن بشير بن شداد بن يحيى الأزدى السجستاني صاحب المؤلفات المشهورة ، والجهود المحمودة فى مجال الحديث .

نشأ محبا للعلم ، راغبا فى العلماء ، ملازما لمجالس التعليم ، فحصل من العلم فى بلده ما أمكنه ورحل فى سبيل ذلك الى كثير من البلاد ، ولنترك الامام أبو داود يتحدث عن نفسه فيما رواه محمد بن على ابن عثمان الآجرى قال : سمعت سليمان بن الأشعث يقول : ولدت سنة اثنتين ومائتين ، وصليت على عفان ببغداد سنة عشرين (أى ومائتين) وسمعت من أبى عمر الضرير مجلسا واحدا ، ودخلت البصرة وهم يقولون : أمس مات عثمان المؤذن ، وتبعت عمر بن حفص بن غياث الى منزله ، ولم أسمع منه شيئا ، ورأيت خالد ابن خراش ولم أسمع منه شيئا ، وسمعت من سعدويه مجلسا واحدا ، وسمعت من عاصم بن على مجلسا واحدا ، قلت : سمعت من يوسف الصفار ؟ قال : لا ، قلت سمعت من ابن الأصفهانى ؟ قال : لا ، قلت سمعت من عمرو بن حماد بن طلحة ، قال لا ،

ولا سمعت من محمول بن ابراهيم ثم قال : هؤلاء كانوا بعد العشرين ، والحديث رزق ، ولم اسمع منهم ، وكان لا يحدث عن ابن الحمانى ، ولا عن سويد ، ولا عن ابن كاسب ، ولا عن ابن حميد ، ولا عن سفيان بن وكيع ، ولم يسمع من خلف بن موسى بن خلف ولا من أبى همام الدلال ، ولا من الرقاشى • ورحل أبو داود الى كثير من البلاد ، وسمع من شيوخها ، وعلى الأخص مصر والشام ، والجزيرة والعراق وخراسان وغيرها وسكن البصرة ، وقدم بغداد غير مرة ، وحدث فيها بكتاب السنن ، بل يقال : انه صنفه بها ، وعرضه على الامام أحمد فاستجاده واستحسنه ، وكان آخر العهد به فى بغداد فى أول سنة احدى وسبعين ومائتين ، فخرج منها ، ولم يعد اليها ، ونزل بالبصرة وكان بها وفاته •

شيوخه وتلاميذه :

أخذ أبو داود عن كثير من الشيوخ من شتى الأقطار ، واتصل بمختلف المدراس ، ومن أشهر شيوخه الأئمة أحمد بن حنبل ، وعبد الله ابن مسلمة ، وموسى بن اسماعيل التبوذكى ، وأبو عمر الضرير ومسلم بن ابراهيم ، وعبد الله بن رجاء ، وأبو الوليد الطيالسى وأحمد ابن يونس ، وأبو ثوبة الحلبى ، وقتيبة بن سعيد وعثمان بن أبى شيبة ، وابراهيم بن موسى الفراء وغيرهم •

وقد شارك البخارى ومسلما ، وقتيبة بن سعيد والقعبنى ، وفى هذا ما يدل على أن الفرق بينه وبين الشيخين ليس الا فرقا فى التأثر والتعبير •

أما تلاميذه ، ومن روى عنه فهم كثيرون من أشهرهم أبو عيسى الترمذى ، وأبو عبد الرحمن النسائى ، وابنه أبو بكر بن أبى داود وأبو عوانه ، وأبو بشر الدولانى ، وأبو أسامة محمد بن عبد الملك ، وأبو سعيد بن الأعرابى ، وأبو على اللؤلؤى ، وغيرهم وبحسبه فضلا أن روى عنه شيخه الامام أحمد بن حنبل حديثا سمعه منه ، بل وأحضر الدواة

والقرطاس ، وطلب منه املاء هذا الحديث ، بل وأوصى أحد وراقه بكتابة هذا الحديث عنه .

وهذا الحديث هو ما رواه أبو داود من حديث حماد بن سلمه عن أبى معشر الدرامى عن أبيه « أن رسول الله » صلى الله عليه وسلم » سئل عن العتيرة فحسنها » .

مؤلفاته :

وكما كان الامام مثلا فى الحديث والرواية ، والنوعية والتدريس ، كان رائدا فى تأليفه وانتقائه لمواضيع بحثه فألف المؤلفات الشيقة فى المجالات الدقيقة من مجالات التأليف وترك ثروة من الكتب ضاع أكثرها فى زحام النكبات والأزمات ومن أشهر هذه المؤلفات .

كتاب السنن ، كتاب القدر ، كتاب الناسخ والمنسوخ ، كتاب المسائل كتاب الزهد ، كتاب دلائل النبوة ، كتاب الدعاء ، كتاب ابتداء الوحى كتاب أخبار الخوارج ، كتاب فضائل الأعمال ، كتاب المراسيل وهكذا اشتملت مؤلفات الامام على ما لم يشتمل عليه كتاب السنن فكونت بمجموعها ثروة علمية متكاملة .

وفاته : وبعد حياة حافله بخدمة العلم ، ومتانة البحث ، وجدية العمل ، اختاره الله لجواره فتوفى فى السادس عشر من شوآل سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة ، ودفن بها الى جانب قبر سفيان ، بعد أن صلى عليه عباس بن عبد الواحد الهاشمى ، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين أفضل الجزاء .

سنن أبى داود :

عددها الامام الكبير أحمد المعروف بشاه ، ولى الله الدهلوى، فى كتابه حجة الله البالغة من الطبقة الثانية من كتب الحديث ، وهى كتب لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين ، ولكنها تتلوها ، عرف مصنفوها بالوثوق والعدالة والحفظ والتبحر فى فنون الحديث.

ولم يرضوا فى كتبهم هذه بالتساهل فيما اشترطوا على

أنفسهم ، وتلقاها من بعدهم بالقبول ، واعتنى بها المحدثون والفقهاء طبقة بعد طبقة ، واشتهرت فيما بين الناس ، وتعلق بها القوم ، شرحا لغريبها وفحصا عن رجالها ، واستنباطا لفقهها ، وقال فى موضع آخر : « وجمع فيها الصحيح والحسن ، واللين الصالح للعمل ، وترجم على كل حديث بما استنبطه منه عالم ، أو ذهب اليه ذاهب أ هـ

وقد انتقاه من خمسمائة ألف حديث فبلغ أربعة آلاف وثمانمائة حديث كلها فى الأحكام ، وأكثرها مشاهير ، وأبرز فيه ثروته الفقهية التى امتاز بها على من عدا البخارى من الأئمة الستة وجمع فيها أبواب الفقه والاحاديث التى استدل بها فقهاء الامصار ، وبنوا عليها الاحكام حتى لقد قيل « ان السنن تكفى المجتهد بعد كتاب الله تعالى ، وجعله خالصا للأحكام دون غيرها ، كالفضائل والقصص ، والمواعظ والآداب أخذا بمبدأ التخصص ، وتحديد جانب من جوانب السنة المتعددة لجمعه وانتقائه وامداد الباحثين والمؤمنين بكل ما يتصل به • ، وقد ظهرت براعته فى التراجم على الاحاديث مما دل على كمال احاطته بمذاهب العلماء ، ومعرفته بمسالكهم فى الاستدلال ، فاعتنى بكتابه الفقهاء ، واشتهر بينهم ، وكان من أوفى المراجع بالنسبة اليهم ، وأثنى عليه كثير من العلماء •

تقييم السنن :

لم يدخر العلماء وسعا بعد المدح الاجمالى لكتب السنة ، ووضع كل منها فى موضعها الذى تستحقه — فى نقد كل منها واعطاء صورة واضحة عن منهج مؤلفها ، ومكانة مؤلفه ، وما فاته فيه ، وما يمكن أن يستدرك عليه • وتحدث عن السنن جها بذة العلماء فقال ابن الصلاح المتوفى سنة ١٤٢ هـ فى مقدمته :

ومن مظانه « أى الحسن » سنن أبى داود السجستانى « رحمه الله » روينا عنه أنه قال : ذكرت فيه الصحيح وما يشبهه ، ويقارنه وروينا عنه أيضا ما معناه : أنه

يذكر فى كل باب أصح ما عرفه فى ذلك الباب ، وان ما كان فى كتابه من حديث فيه وهن شديد بينه ، وما لم يذكر فيه شيئا فهو صالح ، وبعضه اصح من بعض ، فعلى هذا ما وجدناه فى كتابة مذكورا مطلقا وليس فى واحد من الصحيحين ، ولا نص على صحته احد ممن يميز بين الصحيح والحسن ، عرفنا بانه من الحسن عند ابى داود •

وقد يكون فى ذلك ما ليس بحسن عنده ، ولا يندرج فيما ضبط حد الحسن به ، ثم قال : قال ابن منده : كان أبو داود السجستانى يأخذ مأخذ النسائى من التخريج عن كل من لم يجمع على تركه ، وكان يخرج الاسناد الضعيف اذا لم يوجد فى الباب غيره لأنه أقوى عنده من رأى الرجال ، فكان فى ذلك مثل أستاذه « أحمد بن حنبل » رحم الله الجميع •

وقد أوضح أبو داود منهجه فى السنن ، ونظرته اليها فى رسالته الى أهل مكة ردا على سؤالهم له عن ذلك ، ومن هذه الرسالة نقتطف ما يفى بالغرض ويحقق المقصود •

قال ابو داود : اما بعد (عافانا الله واياكم عافيه لا مكروه معها ، ولا عقاب بعدها • فانكم سألتم أن أذكر لكم الأحاديث التى فى كتاب السنن اهى أصح ما عرفت فى الباب ؟ ووقفت على جميع ما ذكرتم •• فاعلموا انه كذلك كله الا أن يكون قد روى من وجهين صحيحين ، فأحدهما اقوم اسنادا والآخر صاحبه أقوم فى الحفظ ، فربما كتبت ذلك ، ولا ارى فى كتابتى من هذا عشرة أحاديث ، ولم أكتب فى الباب الا حديثا أو حديثين • وان كان فى الباب أحاديث صحاح فانها تكثر • وانما أردت قرب منفعته ، واذا أعدت الحديث فى الباب من وجهين وثلاثة فانما هو من زيادة كلام فيه ، وربما فيه كلمة زائدة على الأحاديث ، وربما اختصرت الحديث الطويل لأنى لو كتبته بطوله لم يعلم بعض من يسمعه المراد منه ، ولم يفهم موضع الفقه فيه ، فاختصرته لذلك •• وأما

المراسيل فقد كان يحتج بها العلماء فيما مضى ، مثل سفيان الثورى ، ومالك ، والأوزاعى حتى جاء الشافعى فتكلم فيه ، وتابعه على ذلك أحمد بن حنبل وغيره رضوان الله عليهم ، فاذا لم يكن مسند ضد المرسل ، ولم يوجد مسند غير المرسل ، فالمرسل يحتج به • وليس هو مثل المتصل فى القوة • وليس فى كتاب السنن الذى صنفته عن رجل متروك الحديث شىء ، فاذا كان فيه حديث منكر ، بينت أنه منكر ، وليس على نحوه فى الباب غيره ، وهذه الأحاديث ، ليس منها فى كتاب ابن المبارك ، ولا كتاب وكيع الا الشىء اليسير ، وعامته فى كتاب هؤلاء مراسيل • وفى كتاب السنن من موطأ مالك بن أنس شىء صالح ، وكذلك من مصنفات حماد بن سلمه ، وعبد الرازق ، • وقد ألفته نسقا على ما وقع عندى فان ذكر لك عن النبى « صلى الله عليه وسلم » سنة ليس مما خرجته ، فاعلم أنه حديث واه ، الا أن يكون فى كتابى من طريق آخر ، فانى لم أخرج الطرق ، لأنه يكثر على المتعلم ، ولا أعرف أحدا جمع على الاستقصاء غيرى • وما كان فى كتابى من حديث فيه وهن شديد فقد بينته ومنه مالا يصح سنده ، وما لم أذكر فيه شيئا فهو صالح ، وبعضها أصح من بعض ، وهذا لو وضعه غيرى لقلت أنا فيه أكثر ، وهو كتاب لا ترد عليك سنة عن النبى « صلى الله عليه وسلم » باسناد صالح الا وهى فيه الا أن يكون كلاما استخرج من الحديث ، ولا يكاد يكون هذا ، ولا أعلم شيئا بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموا من هذا الكتاب ولا يضر رجلا أن لا يكتب من العلم شيئا بعد ما يكتب هذا الكتاب •

واذا نظر فيه ، وتدبره وتفهمه حينئذ يعلم مقداره ، وأما هذه المسائل ، مسائل الثورى ، ومالك ، والشافعى ، فهذه الأحاديث أصولها •• والأحاديث التى وضعتها فى كتاب السنن أكثرها مشاهير ، فانه لا يحتج بحديث غريب ولو كان من رواية مالك ،

ويحيى بن سعيد ، والثقـــات من أئمة العلم ، وهى عند كل من كتب شـيئا من الأحـــاديث ، الا أن تمييزها لا يقدر عليه كل الناس ، والفخر بها أنها مشاهير، فالحديث المشهور المتصل الصـحيح ليس يقدر أن يرده عليك أحـد وأمـا الحديث الغريب ، فانه لا يحتـج به ، ولو كان من رواية الثقات من أهل العلم • قال ابراهيم النخعي: كانـوا يكرهـون الغـريب من الحـديث ، وقـال يزيد بن أبي حبيب ، اذا سـمعت الحـديث فأنشده كما تنشد الضالة ، فـان عـرف والا فدعـه ، وان من الأحاديث فى كتابى السنن ما ليس بمتصل ، وهو مرسل ، ومـدلس وهو اذا لم توجد الصحاح عنـد عامة أهل الحديث على معنى أنـه متصل ، وهو مثـل الحسـن عن جابر ، والحسن عن أبى هريرة ، والحكم عن مقسم عن ابن عباس، وليس بمتصل ، وسماع الحـاكم عن مقسم أربعة أحاديث ، وأمـا أبو اسحق عن الحارث عن على ، فلم يسمع أبو اسحق من الحارث الا أربع أحاديث ، ليس فيها مسند واحد ، وأما ما فى كتـاب السنن من هذا النحو فقليل ولعله ليس للحارث الأعور فى كتاب السـنن الا حديث واحـد ، فانمـا كتبته بآخره ، وربما كان فى الحـديث شبه الحديث منه ، اذا كـان ذلك يخفى على ، فربما تركت الحديث اذا لم افقهه ، وربما كتبته وبينته، أو لم أقف عليه ، وربما أتوقف عن مثل هـذه ، لأنـه لا ضرر على العـامة أن يكتب لهم كتـاب من هذا الباب فيما مضى من عيـون الحديث ، لأن علم العـامة يقتصر عن مثل هـــذا ولم أصنف فى كتاب السنن الا الأحـكام ، ولم أصنف كتب الزهد وفضائل الاعمال وغـيرها ، فهـذه أربعـة آلاف وثمانمـــائه (٤٨٠٠) كلهـا فى الأحكام ، وهناك أحاديث كثيرة فى الزهـد والفضـــائل وغيرها لم أخرجها •• والســـلام عليـكم ورحمة الله وبركاته » •

عناية العلماء بالسنن •

اعتني بهـا العلمـــاء رواية

ودراية ، فاشتهرت روايتهـا عن أربع هم :

١ ــ أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق التمار المصرى المعروف بابن داسة المتوفى سـنة ٣٤٦هـ •

٢ ــ أبو سعيد أحمد بن محمد ابن زياد بن بشر المعـروف بابن الأعرابى المتوفى سنة ٣٤٠ هـ •

٣ ــ أبو على محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤى البصرى •

٤ ــ أبو عيسى اسـحق بن موسى بن سعيد الرملى وراق أبى داود •

ورواية ابن داسـه أكمـل الروايات ، ورواية الرملى تقارنها وروايـة اللـؤلؤى من أصـح الروايات ، لأنها من آخر ما أملى أبو داود ، وعليها مـات رحمـه الله ، ورواية ابن الأعرابى فيهـا أبواب ساقطة ونقص كبير •

وقام كثير من العلمـاء بشرح السنن منهم :

١ ــ الامام أبو سـليمان أحمد ابن ابراهيم بن خطـاب البستى الخطابى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ ثمان وثمانين وثلثمائة (وقيـل اسـمه حمد بدون ألف) وسـمى شرحه « معالم السنن » وهو شرح وسط اهتم فيـه باللغـات ، وتحقيـق الروايات ، وضـبط الكلمـات ، واسـتنباط الأحكام والاداب ، والكشـف عن المفاهيم الفقهية فى الأحاديث ، وتوضـيح المعـانى المستغلقة ، وقد طبع بمصر وغيرها وهو موجود ومتداول •

٢ ــ شرح الشيخ قطب الدين أبو بكر اليمنى الشافعى المتـوفى سـنة ٦٥٢ اثنتين وخمسـين وستمائه ، ويقع فى أربعة مجلدات كبـار •

٣ ــ شرح الشيخ العـلامه سراج الـدين عمر بن عـلى بن الملقن ، اقتصر فيـه عـلى شرح زوائده على الصحيحين ويقع ف مجلدين •

٤ ــ شرح الشـيخ ولى الدين احمد بن عبـد الرحيم العراقى المتوفى سنة ٨٢٦ شرح من أولـه

الفكر الاسلامى يقبل التقــدم العــلمى والتكنولــوجى • فمــن الضرورى أن نســاير العصر •• والعــلم لا وطن له • فهــو حــق البشرية كلها • وللمسلمين ولغيرهم الحق فى الاستفادة من انجازاته • ولكنــه يرفض التقدميــة بمعنى الانحراف عن أخلاقيات مجتمعنــا والانزلاق الى المــادية والأفــكار المستوردة بدعوى مسايرة العصر ومتطلبات الحياة الحديثة •

التقدمية فى الاسلام أن نجتهد لنبسط أحــكام الشريعــة لتغطى متطلبات العصر • لا أن ننســلخ عنها لننزلق مع وهم كبير اســمه المادية العصرية •

لقد آن الأوان لمواكبة النهضة العلمية والاقتصادية والتكنولوجية التى نمر بها الآن • أن نولى أمر الدين وتعاليمه ووسائله قدرا من الاهتمام • بالأسلوب الذى يجذب العقــول والنفــوس • وبالمنهــج الصحيح فى الدعوة والاقناع • حتى لا يتوه الجانب الروحى من الانسان فى خضم التطور •

***

عاطف زهران

جمال الدين الأفغاني رائد عالمي

للدكتور / عبد الغني الراجحي

العظماء لا يموتون بل يخلدون في أعمالهم وآثارهم ومناهجهم التي وضعوها في حياتهم للناس ينفذونها من بعدهم ويترجمونها الى واقع عملي وفي هذا المعنى يقول قائلهم .

تلك آثارنا تدل علينا
فانظروا بعدنا الى الآثار

نعم ان العظماء يعيشون عمرين عمرهم الأول الذي يقضونه في الحياة بين الناس ثم يلحقون بربهم بعد سنيين من حياتهم طالت أم قصرت ، أما عمرهم الثاني فانهم يعيشونه في ذاكرة الناس وذكرياتهم عنهم وتمجيدهم لهم والاشادة بما تركوه وراءهم للناس من مناهج الأفكار والمبادىء التي قضوا عمرهم الاول في الدعوة اليها والحث عليها واستنهاض الجماهير نحوها من الاصلاحات الدينية والاجتماعية والوطنية والسياسية . يعيشون العمر الثاني لأن الأحاديث عنهم تخلدهم والاقتداء بهم والسير على مناهجهم ومبادئهم يخلدهم . وهذا العمر الثاني للعظماء هو خاصتهم وميزتهم بين بني البشر من يوم أن خلق الله الدنيا حتى يومنا هذا . وهي خيرة الانسانية الناضجة والزعمات المثالية ، ولئن كان العمر الاول لهم يشاركهم فيه كل الناس ويشبههم فيه سائر الآدميين بل سائر الحيوانات ، فان عمرهم الثاني هو خاصة الخواص وميزة المتميزين الذين ميزهم الله بالعقل الراجح والهمة العالية

والرأى الصائب والنظر الثـاقب يرتـادون للنـاس ويقـودون ويسودون ويرشـدن الى ما فيه خير الناس فى الدنيا والآخرة •

عمر الرجال يقاس بالأمر الذى
شـادوه لا بتقـادم الميـلاد

سـنة كونية وحقيقة عمرانيـة وظاهرة اجتماعية تحتاج الى لفتة ذهنية وتحديقة فكرية • كشف عنها النقاب أمير الشعراء فى قوله •

دقـات قـلب المـرء قـائلة له
ان الحيـاة دقـائق وثـوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكـرها
فالذكـر للانسـان عمر ثـان

ان المرحوم الشيخ جمال الدين الأفغانى كان واحـدا من هـؤلاء العظماء الذين تركوا بصماتهم على أديم الحياة العربية والاسـلامية والعالمية • من العظمـاء الـذين يخلدون فى ذاكرة الناس وواقعهم المعايش تجدد ذكراهـم آثارهـم وأعمالهم وأفكارهم البنـاءه التى تركوها للناس نبراسـا يستضيئون بضوئها ويهتدون بهديها • لقد كان واحدا من هؤلاء الذين لا تنساهم الشعوب بسـهولة لان الشـعوب ما بين حين وآخر تعترضها فى حياتها من الظواهر والمشـاكل ما يذكرهم بهم ويصرفهم طائعـين أو مكرهين الـى تلمس الاهتـداء بهـديهم وتحسس الاستنارة برايهم • لقد كان امة فى رجل امة فى خلقه ، فى علمه ، فى دينه فى آرائه وأفكاره فى شجاعته وجرأته فى اعتماده على نفسه بعد الله وكان رجلا فى أمة تداركها اللـه بلطفه أمة العـرب والمسلمين قيض الله لها هذا الرجل النادر المثال الذى لا يجود بمثله الزمان الا فى القليل النادر • وكان مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :ان الله يبعث لأمتى على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها فلا رسالة ولا نبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولكن مصلحون من المسلمين ينهضـون ويستنهضـون الهمم ويبعثون فى الناس مفاهيم الاسلام يحضونهم عليها ويوقظون فيهم مشـاعرهم

الدينية ومواجدهم الاسلامية ويأخذون بأيديهم الى الهدى الذى جاء به الاسلام والرشاد الذى أكمل الله به النعمة واتم به الدين وقال عنه فى محكم كتابه فى حجة الوداع **« اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »** .

اننا نحن العرب والمسلمين نعيش اليوم جمال الدين وآراء جمال الدين وأفكار جمال الدين(١) بل ان العالم كله انتهى أمره الى أن يعيش جمال الدين وأفكار جمال الدين وآراء جمال الدين وذلك لسبب ظاهر جدا . هو أنه رحمه الله كان يحمل على الاستعمار حملات شعواء بها جمه ويشجبه ويبغى عليه ويعتبره وصمة عار فى جبين الانسانية لانه استغلال الانسان لأخية الانسان، واستحلال الانسان لأخيه الانسان ، واستعباد الانسان لأخيه الانسان ، ينشب المستعمرون مخالبهم وانيابهم كالوحوش الكاسرة فى حياة الشعوب المستضعفة يمتصون دماءهم ويغتصبون ثرواتهم ويحكمونهم بالحديد والنار ويسومونهم سوء العذاب .

ودعوى القوى كدعوى السباع
من الناب والظفر برهانها

فكان جمال الدين يشعل نيران الحماس فى نفوس الشعوب المستعمرة والمستعبدة والمعذبة فى الأرض . يستنهض هممهم ويحرضهم على معاداة الاستعمار ومحاربته والوقوف فى وجهه والثورة عليه وعدم الرضاء به والاستكانة له . الاستعمار الأوربى لشعوب العرب والمسلمين فى آسيا وافريقيا ندد به جمال الدين

---

(١) نشرت جريدة مايو فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٨١/٥/٢٢ ان كاتبا امريكيا اخرج كتابا عن السيد الرئيس محمد أنور السادات ، وقال فيه : انه فى أفكاره وسياسته وأعماله متأثر بأفكار وآراء الشيخ جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده » .

وحاربه بكل ما أوتي من قوة حربا شعواء لا هوادة فيها ونادى عليه آن يأخذ عصاء ويرحل وزرع له المتاعب في كل مكان وأينما كان فلم يمض نصف قرن من الزمن بعد وفاة جمال الدين تقريبا الا وقد تخلص العالم نهائيا من جريمة الاستعمار وفضيحة الاستعمار وسب الاستعمار • وانتهى العالم جميعه وبصورة نهائية اليوم الى آراء وأفكار جمال الدين حيث انبثقت عن هيئة الأمم المتحدة لجنة لمكافحة الاستعمار وتصفية الاستعمار ولجنة أخرى لحقوق الانسان وشجب التفرقة العنصرية واذا كان ذلك كذلك فاننا نحن العرب والمسلمين نعيش اليوم جمال الدين وأفكار جمال الدين بل ان العالم كله يعيش اليوم طائعا أو مكرها جمال الدين وأفكار جمال الدين • والعظماء لا يموتون •

وكان جمال الدين رحمه الله رحمة واسعة يوجه كذلك سهام نقده الى الصف الثاني من الظلمة الذين يحكمون شعوب العرب والمسلمين والذين كانوا يعتبرون مخالب قط للاستعمار وعملاء مخاصين له يظلمون الشعوب ويستبدون بها ولا يسيرون في الرعية سيرة حميدة شعارها العدل ورعاية مصالح الجماهير • ويضحون بمصالح الجماهير من الرعية الفقيرة ، الكادحة في سبيل مصالحهم الشخصية وشهواتهم البهيميه ومصالح الاقطاعيين والرأسماليين الذين كانوا يحتكرون خيرات البلاد وثرواتها ليعيشوا في قمة الثراء بينما الشعوب والأفراد يتضورون جوعا وينهشهم الفقر والجهل والمرض • هؤلاء الحكام من السلاطين والأباطرة والخديويين والقياصرة الذين كان رحمه اللـه يقابلهم وجها لوجه ليلفت أنظارهم الى هذه المظالم ويضع لهم مناهج الاصلاح والعدل والخير • التي كان يستمدها من مبادىء الاسلام وتعاليم القرآن فكانوا يقربونه أول الامر وينظرون هروبه بالاستماع الى نصائحه والعمل على تنفيذ كلمته ومناهجه • لكنهم كانوا اذا جد الجد وأوشك الامر على التنفيذ

تنكروا له وقلبوا لــه ظهــر المجن وبارزه بالعداوة وعاقبوه بالطردمن بلادهم وانسحل فى الشوارع وعلى الجليد أحيانا • يتوجع ويقول :

كذلك خطى لا أصــاحب صــاحبا
من الناس الا خـانني وتغـيرا

صـــاحبه قيصر الروس أولا وكان جمـال الـدين قـد تقرب اليـه محـــاولا أن يضرب بـه الاستعمار الاوربى الناشب أظفاره فى بلاد العروبة والاســلام • ولكن سرعان ما تنكر له القيصر وطرده من بلاده وكذلك فعل معه ناصر الدين شاه ايران فقد التقى به مرتين فى كل مرة يعرض عليه برامج الاصلاح وينصحه ويحذره عواقب الأمور الوخيمة ولكنه كان سرعان ما يأمر بطرده من البلاد • وكذلك فعل معه الخديو توفيق فى مصر فانهما التقيا لوضــع مناهج الاصلاح والسير فى الرعية سيرا حميدا مستبصرا • ولــكن سرعان ما تنكر له الخديو وقام بطرده من مصر • وشـــيئا كهذا فعـل معـه الســلطان عبد الحميد فانه كــان يقربه متظاهرا بالاسترشاد برأيه والاستماع لنصائحه • لكنه كان سرعان ما يتنكر له ويؤلب عليــه حاشيته وأعوانه وكانت الشعوب والجماهير العريضة ترقب كل ذلك باهتمام ويعمل فى صــدرها الغيظ من هؤلاء الظلمة وتتحين الفرص للثورة على الظالمين الضالين فأخذت الشعوب بعد ذلك تقوم بالثورات تلو الثورات وتنتفض انتفاضــات تهوى على أثرها العروش والتيجان وتنتصر كلمة الشــعوب وارادة الجماهير فثارت ايران على ناصر الدين شاه ايران وقتلتــه ولــم يستطع جمال الدين كتمان فرحــه واعجابه بذلك وهو فى تركيا عند السلطان عبد الحميد الذى توجس الخيفــة من أن يحصـــل له ذلك مستقبلا فازداد حقده وغضبه على جمــال الدين • وكانت ثــورات أخرى بعد وفاة جمال الدين ضد هؤلاء الظالمين بمدد تتفاوت طولا وقصرا فسجلت وقائع التــاريخ ثورة روسيا على قيصرها وثــورة العرب ضد تركيا والباب العالى • ثم كان من أمر مصـطفى كمـال

اتاتورك ما كلن مما لا يجهله انسان . ثم توالت الثورات والتدلعت نيرانها فى بلاد آخرى كثيرة من بلاد العرب والمسلمين ضد الملكيات الفاسدة . والاقطاع والرأسمالية والمظالم الاجتماعيه وانعدام روح الوطنيــة فى مصر والعراق واليمن وليبيا ووقع ما تنبأ به وحذر منه جمال الدين الأفغانى وعشنا فى ضوء هذه الأحداث جمال الدين وأفكار جمال الدين وآراء جمال الدين التى كانت وراء هذه التغيرات والأحداث جميعها وكانت تاريخنا نحن العرب والمسلمين بعد وفاة جمال الدين موصولا به وبآرائه وافكاره التقدمية كأنما بعث فى حياتنا من جديد . والعظماء لا يموتون .

أما فيما يتعلق بمصر خاصة وعلاقتها بموروثات جمال الدين وأفكاره فانها كانت فى مصر كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها لأن مصر كانت ولا زالت أخصب أرض غرست فيها أفكار جمال الدين وكان هو نفسه ينوه بذلك . وكان يراها الامل والرجاء بالنسبة له ولدعوته ربما لانها أم الأزهر الشريف . كعبة العلوم والمعارف والفكر الاسلامى. واما لان أعظم من عرفهم من تلامذته ومريديه هو الشيخ محمد عبده . واما لأنه التف حوله بمصر نخبة ممتازة من عظماء الرجال كسعد زغلول وعرابى وحافظ ابراهيم والخديو توفيق نفسه . واما لان البلاد العربية والاسلامية كانت تعترف لمصر بالصداره والزعامة تلتف حولها وتحذو حذوها وما يجرى فى مصر من الأحداث والظواهر السياسية والاجتماعية والفكرية والأدبية تكون له أصداؤه وانعكاساته على العالم العربى والاسلامى بصورة تدعو الى الرجاء والامل فى وحدة اسلامية عربية .

وقد صدقت الى حد بعيد فراسة جمال الدين حين توسم أن تكون مصر اخصب تربة يزرع فيها أفكاره فاننا بنظرة تاريخية واقعية

نجد أن الجمعية التى شكلها بمصر وسماها جمعية الاصلاح ودان فيها من رجال السياسية والدين الخديوى كان قد اطلق عليها وسماها « الحز بالوطنى » فاذا بهذا الاسم يظل فى ضمير مصر والمصريين حيا لا يموت وبينما ماتت أحزاب أخرى كثيرة نشأت بعده فقد عاش الحزب الوطنى بعد جما لالدين يمثله ويتمثله مصطفى كامل ومحمد فريد وحافظ رمضان وأمين الرافعى وعبد الرحمن الرافعى وغيرهم وكان فى هذا الحزب حدة جمال الدين وغضبته ضد الاستعمار لا يرضى بشىءاسمه المفاوضة مادام على أرض الوطن استعمار فكان شعاره لا مفاوضة الابعد الجلاء . ولم تفلت مفاوضة ٣٦ بين الوفد والانجليز من المهاجمة والنقد اللاذع الذى وجهه اليها المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى المنتمى للحزب الوطنى وكان يقولانها ما زادت على ان جعلت الاحتلال أمرا مشروعا معترفا به بعد أن كان مرفوضا . ومن الواضح البين والماثل للعيان أن الحزب الحاكم اليوم فى جمهورية مصر العربية هو الحزب الوطنى وأن السيد الرئيس محمد أنو رالسادات كان موفقا حين رأى ذلك ووقع اختياره على هذه التسمية لحزبه الحاكم انطلاقا من الاعماق التاريخية والوطنية فى بلدنا العزيز . وقد أفاض فى شرح ذلك وتفصيله فى بعض أحاديثه وبياناته لشعبه بشأن الأحزاب وتعددها فى تاريخ الحركة الوطنية والسياسية بالبلاد ولماذا اختار لحزبه هذا الاسم بالذات .

أما جامعة الشعوب العربية الاسلامية التى أصبحت حقيقة واقعة بمصر لشهور مضت فانها تعتبر تجسيدا حيا لأفكار جمال الدين وامتدادا لجامعة الشعوب الاسلامية التى كان يفاوض السلطان عبد الحميد فى انشائها للشورى ووضع مناهج الاصلاح للبلاد فى ظل الخلافة الاسلامية ويكون فيها مندوبون من كل دولة اسلامية ، العرب والايرانيين والأتراك والهنود

والأفغان وغيرهم وكاد المشــروع ان يصــير حقيقة واقعة لولا ان السلطان عبد الحميد أراد أن يكون هو الرئيس لهذه الجامعة فأبى عليه ذلك جمال الدين فنـــام المشروع ومات ليستيقظ ويحيا بعد ذلك فوق أرض مصر ويحيا معه ما يشــبهه وتقترب فكــرته من فكــرته وهو مجلس الشورى وكان الشيخ جمال الدين قد اقترحه على الخــديو توفيق بعنوان مجلس شــورى القوانين .

أما جريدة العروة الوثقى التى أنشأها الشيخ جمــال الــدين فى باريس حيث كان منفيا ومغضوبا عليه من الاستعمار وعملائه والتى لم يرى النور منها الا ثمانية عشر عددا فقد قدر لها بعد مائة عام أن ترى النــور مرة أخــرى وتبعث للحيـــاة مــن جـديد فى مصر وفــوق أرض مصر بعــد أن تقرر نهائيا وبصورة قاطعة اصدار جريدة قاهرية بهذا الاســم تنهج منهج العروة الوثقى وتعيد سيرتها الأولى فتنسج على منوال الشــيخ جما لالدين وتبعث فى النــاس من روحــه الوثابة وعزيمتــه القــوية وارادته الحديدية ..

ان ظاهرة الحــزب الوطنى فى مصر مع ظاهرة جامعة الشــعوب الاسلامية والعربيــة مع ظــاهرة مجلس الشورى مع ظاهرة جريدة العروة الوثقى مع ظاهرة مدرســة محمد عبده فى الفكر الاسلامى كل ذلك ناطق بلسان الحال والمقال ان الشيخ جمال الدين مازال حيــا فى مصر بصورة أوضح . وأن العظماء لا يمــوتون . وأن مصر كــانت ومازالت عند حســن ظن الشــيخ جمال الدين الأفغانى .

وبعــد فــاذا كانت عظمـــة الشخصية تقــاس بمقــدار مــا أحدثتــه من الآثــار والفاعليــة فما اعظم شخصية جمال الدين .. واذا كانت عظمة الشخصية تقاس بمقيــاس العصـــامية فما اعظم شخصية جمال الدين . فقد كــان عصاميا من الطراز الأول بنى مجده بنفسه لنفسه ولم يرثملكا ولا مالا ولم تعرف له شيوخ أو اســاتذة تخطط له أو توجهه الى هذه الاعمال

الفذة والعجيبة التى قام بها تلقائيا . كانت مصادر شخصيته هى القرآن والاسلام والذكاء الخارق والنظر الثاقب والبصيرة النفاذة والعزيمة الوقادة . كان نسيجا وحده وبناء نفسه اينما كان يتألق ويسيطر على النفوس بقوة شخصيته . تلتف حوله وتتجذب نحوه . يتكلم فيجهش الناس بالبكاء . فيقول لهم . ان الرجال لا يبكون ولكن ينهضون يفعلون، أصالته فى اخلاص العمل لله ، واستمساكه بالقرآن ومبادىء الاسلام . واندفاعه نحو الاصلاح فى غير ريبة ولا تخوف . كان اسلاما مجسدا يمشى فوق ظهر هذه الأرض . لا يخشى فى الحق لومة لائم .

ومن تكن العلياء همة نفسه
فكل الذى يلقاه فيها محبب

كان روحا اسلامية تجوب الآفاق وتتنقل من مكان الى مكان . تتوهج ولا تغيب عن افق الا لتظهر فى أفق آخر . كالشمس لا تغرب عن قوم الا لتطلع على قوم آخرين . كانت كلماته تهز النفوس وتحيى موات القلوب . كالماء فى العود . والروح فى الجسد . والكهرباء فى الاسلاك . غطى برسالته الاصلاحية وثورته الاجتماعية والدينية والسياسية الرقعة العالمية فى القارات الثلاث آسيا وافريقيا وأوربا والقارة الهندية . من اقصى الشرق الى اقصى الغرب فى زمن لم تكن فيه وسائل المواصلات بهذه الدرجة من السرعة والصلاحية . وهو الفرد المفرد الأعزل الذى لا يسانده مال ولا يعاضد ملك ولا جاه . الا جاه العزة والكرامة والنفس الأبية من القيصر الروسى الى الشاه الايرانى الى السلطان التركى الى الخديوى المصرى . الى القاعدة العريضة من الأقطار الاسلامية العربية توهجت شعلة جمال الدين وترك بصماته على أديم الحياة .

عندما خرج من مصر وحيدا طريدا من الانجليز والخديوى توفيق قابله بعض الناس يعطيه

مالا يتقوى به على السفر فرفض باباء وشـمم قائـلا ان الاسـد لا يعدم ان يجد فريسـته فى أى مكـان • وخـاف الانجليز على مصالحهم فهموا برشوته ليسكتوه وعرضوا عليه ان ينصبوه ملكا على السودان • فرفض باباء وشـمم وقال لهم أتعطون مالا تملكون لمن لا يستحق وفضل حريـة العمـل والجهـاد على سـجن الملكيـة وقيودها •

ان قرية سـعد اباد فى شرقى افغانسـتان • والتى ولـد فيها جمـال الـدين يتخـذها اليـوم المجاهدون الأبطـال من الأفغان قاعدة للجهـاد والنضـال ضـد المعتدين من الروس البلاشفةالذين اكتسحوا بالظلم والعدوان بـلاد جمال الدين التى صدرت الحريـة والاستقلال لكثير من شـعوب العرب والمسلمين • فهل قام العرب والمسلمون بمساعدة هذه البلاد فى نكبتها ؟ يؤدون ماف أعنـاقهم من دين يفرضه واجب الوفـاء وحفظ الجميل ؟ ان مصر كانت ومازالت عند حسن ظن جمـال الـدين • فأعطت من مسـاعداتها الماليـة والسياسية والسـلاحية الشىء الكثير • لكن غيرها ماذا فعل •• ؟ أسألوهم ان كانوا ينطقـون •• انهم فى بعض مؤتمراتهم امتنعوا عن مجرد توجيه اللوم لروسيا •

دكتور عبد الغنى الراجحى

المنهج الإسلامي عند العقاد

للدكتور/ محمد رجب البيومي

— ٢ —

نعرف أن نفرا من ذوى الغيرة الدينية قد تخصصوا فى رد الشبهات الظالمة التى يحاول أعداء الاسلام ترويجها بشتى الاساليب، ولهم فى هذا المضمار احتيال آثم ينأى عنه كل ذى أمانة علمية ، اذ أن أحدهم يظن الظن المتوهم دون دليل ملموس فيحكيه بصيغة غير جازمة ، ويجىء غيره على الفور فيتخذ الظن حقيقة ، ويطيل الكلام فى تأييده راجعا الى ما حكاه سابقه باعتباره مصدرا صحيحا لا مرية فيه، مع أن سابقه المفترى قد قدمه فى صيغة الشك لانه اختلقه اختلاقا من ذات حقده الخائن ، ويجىء الثالث فيتحدث عن الاختلاق المتكرر وكأنه حق لا شك فيه ، وأمامه مصدران (محترمان !!)

ومن هنا كثرت الأراجيف المزعومة فنهض لدرئها كبار المخلصين .

واذا كان جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ومن وليهما من المثقفين ، قد بدآ بالدفاع الملجم أمام هذه الأراجيف ، فان الاستاذ العقاد لم يقتصر على الدفاع وحده ، ولكنه بثقافته الواسعة قد ولج الى البواعث والاسباب ، فكشف عنها فى جهارة وسطوع ، حين حدد الطوائف المناوئةللاسلام على اختلاف مناصبها ، بل على تناقض مناحيها ، اذ تجمع الكفرة الملحدون ، وفريق من أهل الكتاب المتدينين على غرض واحد هو تشويه الاسلام ، وقد عرف العقاد هذه الحقيقة وعللها بأن الماديين من الملحدين يجدون الاسلام أقوى

خصومهم فليس فى المسيحية مذهب شامل فى السياسة والاقتصاد والاجتماع يقف أمام شيوعيتهم الخادعة ، ولكن الاسلام وحده صاحب الحل المتكامل فى شئون الحياة ، اذ يقيم المجتمع على نظامه الواضح ويقرر الحقوق والواجبات بقسطاس مستقيم ، نص عليه فى آيات الذكر الحكيم ، كما أنه بشموله الواسع يحيط بشئون الدنيا جميعها أفرادا وجماعات ، ويتقبل الجديد الصالح اذ يجد أصوله فى تعاليمه الاصيلة، وينفى الجديد الخبيث اذ يجد لديه من المناعة ما يدفع بالميكروبات والجراثيم عن جسم صحيح الاعضاء مكتمل الحياة ! لذلك كان الشيوعيون ومن تبعهم من الملاحدة يبذلون فى مهاجمة الاسلام ما يبذلون معشاره فى مواجهة دين آخر •

أما المغرضون من المتدينين المحترفين ، فهم فى رأى العقاد سماسرة التبشير الذين يتخذون تشويه الاسلام صناعة يستدرون بها الرزق • ويتوسلون بها الى جاه الرئاسة وسمعة الصلاح والتقوى بين المتعصبين والجهلاء فى البلاد الاوربية والامريكية • فهؤلاء هم أصحاب مصلحة خاصة فى تشويه الدين الاسلامى وتمثيل المسلمين على الصورة(١) التى تذكى عند القوم جذوة التعصب وتملى لهم فى الجهالة والغفلة فلا يسرهم أن تظهر الحقيقة لهم ، ولمن يستأجرونهم ، ويرسلونهم للتبشير ، ولا يندر أن يكون المبشر ملحدا بالدين كله مسيحيه واسلاميه ــ وتلك ملاحظة ذكية للاستاذ العقاد ــ ولكنه يعلم أنه يقطع موارد رزقه اذا كشف عن الحاده ، أو قال عن الاسلام قولة حق وانصاف ، تمحو عداوة الاعداء وتضعف غيرتهم ، وحملاتهم التبشيرية فى بلاد المسلمين ، فهو اذن كاذب يتعمد الكذب لينتفع به، ولا يزحزحه عنه علمه بالحقيقة التى لا يقتنع داخليا بمواجهتها ،

---

(١) ما يقال عن الاسلام للعقاد ص (١٠) ط بيروت .

ولكنه فى قصارى أمره مرتزق ميت الضمير •

وأوجع ما يكون الـدس وأنكاه حين يكون من دارس مثقف يلبس البـاطل ثوب الحـق ، حين يزن الاشياء بميزانين ، مختلفين ، لان مثل هذا المغرض لابد أن يتكلم عن المسيحية والاسلام معا ، فاذا كان الميزان واحدا فلن يصل الى هدفه المقصـود فى تحطيم الاسـلام ، فليغير الميزان اذن ليواصل دسـه المنكر ، وقد سبر الاسـتاذ العقاد غور هـذا الطـراز من هـؤلاء ، فوجدهم دائما ينظـرون نظـرة جانبيـة الى الاسـلام وحـده ، ولا يعممون هذه النظرة الى غـيره فيما يعالجون من وسائل المسيحية فى أوربـا وأمريكا ، وعنـدهم أن مسـائل الاسـلام يجب أن تكون وحدها موسومة بالغرابة والشذوذ والمخالفة ، فهم يتطلبون الشـاذ الغريب فى كل مسألة اسلامية ولا يحسبون أن التعليل العلمى يتسع لتفسـير الاسـلاميات وغـير الاسلاميات على قاعدة واحدة من قواعـد الفهم والتحليـل ، وقـد تسربت طريقة هؤلاء ـ للاسف ـ الى أذنـابهم وتلاميـذهم من الشرقيين مسلمين وغير مسلمين[١] فأكثرهم يبتـدىء البحث بالتفرقة بين ما يبحث فى شئون الاسلام ، وما يبحث فى شئون غيره ، وكلهم يخص الاسلام بمنظار خاص فاذا عدل عنه الى غيره جـاء بمنظـار آخر •

هذه النظرات الثاقبة من العقاد جعلته يفهم طريقة الاقناع الملجمة لمن يقرأ هؤلاء ، لان أصحاب هذه الطعون يعرفون زيفها فى نفوسهم، والاولى أن نتعدى نقاش الجاحد الى من يقرؤه ممن يصدق الاشياء جاهلا بواعثها ، والعقـاد نظـار منطيق يدرس القضـية المتسـعة ليحيط بأسبابها ونتائجها فى صـبر واناة ، ثم يخلو الى نفسه ليواجه نقاط القوة البارزة فى يد الخصـم بأعنف ما يعصف من الادلة المركزة فى حسم لا يسمح للجاج ، ونحن

---

(١) ما يقال عن الاسلام ص ١٣٠ •

قد قرأنا كثيرا مما قاله المدافعون عن الاسلام فى قضية انتشار الاسلام بالسيف ، تلك التى اتخذها ذوو الاغراض علكا يلوكونه فى كل حين دون أن يدركوا ملل السامعين ، ودون أن يستشعروا تعب الاسنان والاضراس من مضغ هذا العلك المملول ، قرأنا كثيرا مما قاله هؤلاء المدافعون وقرأنا معه ما كتبه العقاد فرأينا الحجة الباهرة فى ايجاز ، والافحام الملجم فى نفاذه والحق الصريح فى وضوح •

يذكر العقاد — فى هذا المجال — أن الاسلام استخدم القوة كما استخدمها كل دين فى تاريخه ، ولم يكن الاسلام لينتصر بالقوة وحدها لو لم تكن أهدافه الاصلاحية مدعمة لهذا الانتصار ، هذا الى جانب الحقائق التالية :

١ — كان الاسلام فى بداية عهده هو المعتدى عليه لا المعتدى ، وظل كذلك حتى فر من مهبطه الى بلد آخر ، فلم يرتح من المؤامرات والمخالفات المتجمعة للاعتداء والاستئصال : وقد كانت حروب النبى دفاعا ، ولم تكن منها حرب الهجوم الا سبيلا للمبادرة بالدفاع بعد الايقان كل الايقان من نكث العهد ، والعمل على الغزو والاعتداء •

٢ — يعاب على الاسلام أن يحارب بالسيف فكرة يمكن أن تحارب بالبرهان والاقناع ، ولكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف سلطة تقف أمامه بالسيف وتحول دون أن يبلغ مداه الاصلاحى من النفوس ، لان السلطة لا تزول الا بالسلطة ، ولن تجدى الحجة فى اقناع ظالم متكبر يرى أنه وحده صاحب الرأى المطاع ، وفى أحداث التاريخ المتتابعة ما يدل على أن السلطة لم تذعن للرأى المجرد فى يوم من الايام ولكنها أذعنت للجهاد •

٣ — ان الاسلام لم يحتكم للسيف قط ، الا فى الأحوال التى أجمعت شرائع الانسان على تحكيم السيف فيها ، لان الدولة التى يثور عليها أعداؤها فى الداخل أو الخارج لا تجد بدا من مقاومتهم ، فالسلاح فى هذه الحالة أمر لا مفر منه ،

وبعده تأتى الهدنة ، فالاتفاق على الصلح والوئام •

٤ ــ للاديان الكتابية وضع غير وضع الاسلام ، فاليهودية لم تكن لتدعو الى انتشار مبادئها بين الناس ، بل تؤثر الانزواء والاحتجاز ، ومثلها فى انكماشها المتحيز لا تحتاج الى القتال فى شىء ، أما المسيحية فقد عنيت أولا بالآداب والأخلاق ، وظهرت ثانيا فى دولة تحكمها دولة أجنبية لا سبيل الى مقاومتها ، ولكن الاسلام فقد عنى بالمعاملات والشرائع الدستورية دون أن يقتصر على الآداب والأخلاق ، كما أنه ظهر فى وطن لا سبيل لسيطرة الاجنبى عليه ، داعيا الى مثل جديدة تتطلب الانتشار العام بين الناس ، فاذا اختلفت نشأته مع نشأة المسيحية فان ذلك الاختلاف هو الذى منعهما بدءا من امتشاق السيف ، بدليل أنها اضطرت الى الحروب المتكررة فى حياتها الطويلة منذ أصبحت ذات دولة ! وذلك يدل على أن القتال لا مفر منه •

٥ ــ أن الفتوح الاسلامية لم يتم شىء منها الا بعد أن استقرت الدولة الاسلامية ، وأصبحت ذات وضع سياسى معترف به فلا يمكن اذن ان يقال ان هذه الفتوح كانت سبب انتشار الاسلام ، فاذا أضفنا الى ذلك أن الاسلام أجاز للامم المفتوحة أن تبقى على دينها مع أداء ضريبة الدفاع ، فليس فى الامر الزام باعتناق الاسلام •

٦ ــ ان المقابلة بين البلاد التى فتحها الاسلام فى حالتين مختلفتين ، حالتها قبل الفتح وحالتها من بعده ، هذه المقابلة تجعل للاسلام وجهه الكريم فيما هدف اليه من اصلاح واسعاد ، واستتباب أمن ، وصيانة للكرامة الانسانية من أن تهان •

بهذه الحجج المقنعة ملك العقاد زمام الموقف ، وبأمثالها كان صاحب رأى جهير فى قضايا الاسلام بحيث يغنى عن غيره فى الكثير ، ولا يكاد يغنى عنه سواه •

فاذا أراد القارىء دليلا آخر فاننا نوجز فى أسطر معدودات ما ذكره العقاد فى موضوع (الرق

فى الاســــلام) حيث كان الطبل الاجـوف الذى يضرب عليه ذوو الابواق ممن يشهرون بالأراجيف دون استعداد للفهم الصحيح •

ان الذين يسلكون منحى العقاد فى تبرير الرق فى الاســـــلام ، يتحـــــدثون عنه وكأنه شىء زال وانقضى فى العصر الحـديث تحت تأثير الحضــــــارة الاوربية التى أوجبت خدمة الانســانية بتحريمه ولكن العقاد يلفت الاذهـــــان الى حقائق جديدة بالنســبة لمن قرءوا دفاع المخاصين عن الاســـــلام ، ونحن نوجز هذه الحقائق المسكتة فى هذه النقاط لتدل على مدى البصر النفاذ لهذا الذهن البصير (١) •

١ ــ ان القوانين الدولية اليوم تبيح تسـخير الاسرى واعتقالهم الى أن يتم الفداء بتبادل الاسرى ، أو بذل التعويض الذى تفرضـه الدول الغالبة ؛ وقد تأخرت دول الحضارة أكثر من عشرة قرون قبل أن تنظم بينها معاملات الحــــرب كما نظمها الاسلام ، حين جعـل على الدولة الاســـــلامية أن تحرر الارقاء من أحد مصــــارف الزكاة « فى الرقاب » •

٢ ــ ان الدول الغربية لم تهتد الى نظام التبادل الا بعد قيـــــام الحـــــروب بينها وبين الـــــدول الإســـلامية فتعلمت من المسلمين وحـــــدهم نظام تبادل الاسرى ، ولو وجدت شريعة الفداء عنـــــد حكومات القرن السابع للميـــــلاد كما وجدت عند الحكومة الاسلامية لتقدم العالم كله فى قضـية الاسر والرق أكثر من عشرة قرون •

٣ ــ ماذا كان يحـدث فى هــذا العصر لو لم يأخذ الاخذون بنظام الاسلام فى التبادل ؟ ماذا تضع كل دولــة بمن لديهـــا من الاسراء ؟ أتعفيهم من العمل ؟ أتعاملهم معاملة المواطنين ؟ انها لا تصـــــنع أكرم مما صنعه الاســلام يوم أوجب على المســلمين أن يمنوا بالتسريح أو يقبلوا الفـــداء أو العتـــق أو يوجبـــوه فى مقـــام التكفير والاحســـــان •

---

(١) ما يقال عن الاسلام ص ١٥٢ وما بعدها .

٤ ـ جاءت اولى خطوات الحضارة الحديثة فى تحرير الارقاء على اثر النزاع اصحاب الصناعات الكبرى فى بلاد تنفق الاجور الوافرة على الصناع ، ومن اصحاب هذه الصناعات حيث تدار بأيدى الارقاء و لاتنفق عليها أجور ، فاضطر أصحاب الامـوال الى اطلاق الأسراء ، لأن الدولة ستجبى من الضرائب ما يجعل النفقات متعادلة فيزيد أصحاب العبيد على منافسيهم بمغارم المطعم والملبس والسكنى ، ويصبح الرقيق عبئا .

٥ ـ احتاجت دول الحضارة الى تجنيد العبيد فى صنع السلاح أولا ، ثم الى مجموعة الأصوات فى الانتخابات ثانيا ، ثم الى الاذعان لرغبات الكثرة الكاثر من أبناء القارة الأفريقية خوف الشقاق المدمر ثالثا ، واذ ذاك وجدوا أن الحرية أمر مفروض لا غنى عنه .

٦ ـ ان الموازنة بين الأرقاء فى المدن الاسلامية من ناحية العدد ، وبينهم فى الدول الغربية ، تنطق بلسان الأرقام معلنة أن عددهم فى الدول الاسلامية لم يزد بعد ثلاثة عشر قرنا عن ثلاثة ملايين ، على حين كان عدد السود فى الأمريكيين فقط قد بلغ العشرين مليونا ، ولم يمض على حكم الرجل الأبيض أكثر من ثلاثة قرون .

٧ ـ لا وجة للقارنة بين المساواة فى النسب والمصاهرة وحقوق الدم والمال فى الاسلام وبين تحريم ذلك كله واستباحة الدم انتقاما من الأسود حين يريد بعض هذه الأشياء لدى الغربيين .

هذه النقاط جميعها ملزمة مقنعة وقد أكدها العقاد بعد أن ألمح الى الشائع المشتهر من أقوال زملائه التى عرفت فى هذا المجال مثل اشتراك جميع الأديان فى اباحة الرق ، دون أن تشرع ما شرعه الاسلام من وجوب العتق فى مواضع ، واستحسانه فى مواضع أخرى ، مثل ضرورة فك الاسار تكفيرا عن ذنوب مشتهرة ، مما يدل على تشوف الاسلام للحرية ، مع الاشارة الى أقوال افلاطون وأرسطو والقديس بولس وتوما

اذ دوينى فى تجبيد الرق (١) مما يرشح سمول النظره لدى العقاد، وهو سمول اخذته سعه الثقافة وعمق الاستنباط معا ، مع صبر دائب على التامل والتشريح •

على ان الدفاع عن الاسلام لا يقف عند رد المطاعن وحدها فى آثار العقاد بل كان منه مهاجمة المذاهب الحديثة التى خدعت الناس بطلاء زائف ، وكادت تقنع بعض السدج بأنها تشمل قفزات واثبة فى مضمار التقدم الحضارى ، وهى تحمل من بواعث الانحلال والتقهقر ما لمحه العقاد بين الطيات المتداخلة فأفصح عنه بجلاء ، لقد حارب الكاتب الكبير نزعات التكبر المغرور فى الفاشية والنازية حتى أصبحت حياته موضع الخطر فى بعض ظروف الحرب العالمية الثانية كما وقف من الوجودية موقف المفكر الذى لا يخدعه الطلاء الخارجى عن التعفن الداخلى ، كما لا نظن ان كاتبا عربيا مسلما أبلى بلاءه فى منازلة الشيوعية اذ دأب على مهاجمتها يوم كانت لدى بعض الأغرار وسيلة النجاة من كل مأزق وموضع الحل المحتوم لكل أزمة ، وتعرض فى شجاعه لكثير من السفاهات المنحطه التى ترشح بها نفوس سوداء تحمل سموم العداء للرقى والتقدم ، وهى تدعى فى وقاحة أنها تعمل على نشر المحبة والسلام ، وما كتبه العقاد عن الشيوعية منذ كان لها دولة حتى فارق الحياة أكثر من آن يحيط به الحصر ، وما جمعه فى كتاب خاص تحت عنوان (الشيوعية والانسانية فى شريعة الاسلام) لا يمثل الا خلاصة مقربة لما عكف على اذاعته من مقالات شديدة السطو على مدى يزيد عن أربعين عاما لم يتخلف فيها الكاتب الكبير عن اعلان صوته الجهير فى منازلة المأجورين من العملاء حتى فى أشد أيام سطواتهم القاهرة ، حين أخذوا يسيطرون على أدوات النشر ، استجابة لنزعات سياسية

---

(١) الفلسفة القرآنية ص ٨٢ •

سادت بعض دول الاسلام فى فترات تتقارب وتتباعد مدا وجزرا، وما قلناه عن حديث الكاتب حين عالج موضوع الرق نقوله عن حديثة حين كرر سطواته على الشيوعيين ، اذ أنه جاء بفيوض من الحقائق المقنعة تكتسح ما يتراكم فى تلال الدعايات الوبيئة من أرجاس ، ومن أوضح ما قاله العقاد فىَ هذا الصدد ان التفاوت بين الناس موجود دون انكار ، ولكنه لا يمنع المساواة فى الحقوق والواجبات ولا يكون سببا للظلم والاجحاف ، وحكمة التفاوت ظاهرة لأن الحياة تفتقر الى التعدد الدافع للعمل لا الى تكرار الصورة الواحدة التى لا تسفر عن شىء ، ولا معنى للتفاوت اذا تساوى العامل والكسول ، والنشيط والخامل ، واطمأن المجردون من المزايا الى خمولهم الساكن حاسبين أنهم سينالون ما نال المكافح المجاهد ، وهو ما لم يحدث فى دولة الشيوعية التى قدرت للرؤساء كل نعيم وجعلتهم أباطرة يتحكمون باسم الشيوعيه التى ادعت المساواة وجعلت الرؤساء فى القمة والمرءوسين فى الحضيض ، وهو واقع ملموس لا سبيل الى انكاره .

يقول الكاتب الكبير (١) ببعض التصرف .

« لقد تأسس النظام الشيوعى منذ ثلاثين سنه (كان ذلك سنة ١٩٤٧) فحاول أن يقضى على الطبقات فما هى الا سنوات حتى ظهرت بوادر التفاوت بينها ، ظهرت بين أناس يرغبون فى منعه ، ويؤمنون ببطلانه ، ودانوا بما تدين به حكومتهم اذ نشئوا تحت ظلها ، ولم يسمعوا رأيا مخالفا ، وقد بدءوا التجربة فلم يتقدموا خطواتهم الاولى حتى تبين لهم خطر التسوية من المطبوع على العمل والمطبوع على الكسل ، وبين من يركن الى الكفاف ومن يطمح الى التفوق والبروز وقد سمحوا بشراء الكماليات ،

---

(١) الفلسفة القرآنية ص ٤٢ .

وأضافوا التفاوت فى حظوظ المعيشة ، وفى مراتب الشرف ، الى التفاوت فى الأجور والمكافات ، وأنشئوا الطبقات باليمين وهم يحاربونها باليسار ، وكان هذا كل ما استفادته الأمة الروسية من هذه التجربة الدامية التى كلفتها نيفا وعشرين مليونا من النفوس البشرية بين قتلى الثورة ، وفرائس الاضطهاد ، وصرعى المجاعة والوباء عدا خسارة الأمة فى الحرية واستقلال الفكر والشعور (١) .

ويقول الأستاذ العقاد فى مقام آخر ببعض التصرف أيضا .

« والشيوعية فى لبابها قائمة على خليقة الحسد ، لأنك لا ترى شيوعيا الا رأيته حاسدا للممتازين من خلق الله ، كيفما كان سبيل الامتياز ، وليس منهم من يشعر بالعطف على الضعيف والفقير ، ولكنهم جميعا يحقدون على القوى والغنى ، وعلى ذى صاحب فضل يشيد به الاخرون ، وليست التفرقة عندهم بين الناس تفرقة بين من يحمد او يذم ولا تفرقه بين من يحب ويكره ، ولا تفرقه بين من يكرم ويلوم ، وانما هى على الجملة تفرقه بين من يحسد او لا يحسد ، كائنا ما كان مثار الحسد عليه » (٢) .

وقد ضيق الشيوعيون على الكاتب الكبير لأنه كشف عن دخائلهم بمجهره الدقيق ، فأخذوا يحطون من قدره ، حين يوازنون به سواه ، لا حبا فى غيره ، ولكن لينفروا الناس من تتبع آثاره ، ولكن الله كان مع الحق فما زالت مؤلفات الرجل العظيم تطبع متعددة ذائعة ، وما زال مرور الزمن يزيده تقديرا فوق تقدير .

د. محمد رجب البيومى

---

(١) الفلسفة القرآنية ص ٤٢ .

(٢) فى بيتى ص ٤٨

منهج الحكيم الترمذى فى علم الكلام

للدكتور / محمد ابراهيم الجيوشى

― ٣ ―

الحكيم المتكلم :

لم يكتب الحكيم كتابا مستقلا فى مباحث علم الكلام كما فعل فى غيره من فروع المعرفة فى عصره اللهم الا رسالة مقتضبة فى موضوع الامامة سماها « الرد على الرافضة » (١) يناقش فيها فكرة الخلافة ويرد على الرافضة رفضهم لامامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

أما كتابة الرد على المعطلة (٢) الذى أشرنا اليه فى تناولنا لمنهجه فى الحديث فهو وان كان يتناول موضوعات من موضوعات علم الكلام وهو اثبات الصفات لله سبحانه كما يرى أهل السنة ويرد وجهة نظر المعتزلة فى نفى الصفات ويسميهم معطلة كما يبدو من عنوان الكتاب المذكور نقول على الرغم من ذلك فان الحكيم تناوله من وجهة نظره كمحدث وكان عمله فيه عملا يستهدف أولا وقبل كل شىء جمع الاحاديث التى تؤيد وجهة نظر أهل السنة المثبتين للصفات الى الله سبحانة ومن هنا يمكن القول بأن الحكيم كان يعتنق مذهب أهل السنة وان لم يخض فى مباحثه كما خاضوا .

وقد أكثر الحكيم فى كتاباته من الكلام على التوحيد والموحدين

---

(١) مخطوط ولى الدين ٧٧٠ ورقة ٣ م ب ـ ٨٧ ـ ؟

(٢) مخطوط بلدية الاسكندرية ١٤٥ فنون متنوعة .

الا أنه لم يتناول هنا مباحث علماء الكلام وانما كان حديثه عن التوحيد الذى يرضاه الصوفيه ويعتقدون أنه التنزيه الحق الذى يليق بالخالق سبحانة ويصح به توحيد الموحد اذا لم ير مع الله شيئا سواه ، وهذا الاتجاه قد يعبر عنه أحيانا بالفناء ، وهو الذى قاد بعد ذلك الى فكرة الاتحاد عند متأخرى الصوفية ، وان كان الحكيم لم يتناول فكرة الاتحاد بالبحث أو المناقشة الا أن ما قاله عن التوحيد يعتبر مقدمات لها وخطوات فى سبيلها .

وقد تناول الحكيم الى جانب ماسبق أمورا مفردة أخرى تعتبر من مباحث علم الكلام وأشار اليها فى كتاباته اشارات محددة تنبىء عن رأيه بوضوح وجلاء وهذه الامور هى :

١ — رؤية الله سبحانة .

٢ — الايمان هل هو مكتسب أو موهوب ، وهل يزيد وينقص ، وهل الاسلام والايمان اسمان لامر واحد أو لشيئين مختلفين ؟

٣ — الجنة والنار هل تفنيان ، والفرق بين الهلاك والفناء .

٤ — الخير والشر ونسبتهما لله أو للعبد .

وقد عرض للكرامات والمعجزات فى كتابة « الفرق بين الآيات والكرامات وغيره خاصة « كتاب ختم الاولياء » الا انه فى بحثه لهذا الموضوع لم يتناوله من وجهة نظره كباحث فى علم الكلام وانما كان بحثه له بحثا صوفيا خالصا .

ومع أنه عرض للأمور التى أشرنا اليها عرضا مختصرا نوعا ما الا أنه يبدى فى بحثه لها نظرات طريفة لم تعهد على ألسنة المتكلمين بالصورة التى عرضها ، ففى مناقشته « للايمان هل هو مكتسب أو موهوب » يقول : « انه مكتسب لانه فعل العبد ولولا ذلك لم يستحق الثواب ، أما ما نال العبد به الايمان ، وهو العقل فانه هبة من الله سبحانه لعباده وقبول العبد ، وطمأنينة نفسه الى ما جاء به العمل وأورده على قلبه ، فانه مكتسب ، ويستحق به الثواب[1]

(١) مخطوط ليبزج ورقة ١٦٦ .

ويرى أن الجنة والنار وعاءان للرحمة والعقاب يتجددان فى جديد كل يوم لتجدد حركات العباد ومقاصدهم ويتلونان بألوان النعمة والعذاب ، ولهذا لايجوز عليهما الفناء ، وليس ذلك معارضا لقوله تعالى« **كل شىء هالك الا وجهه**(١)» لان الهلاك غير الفناء ، فهما يهلكان ولا يفنيان (٢) .

والخير والشر من الله ربوبية ومن الخلق حركات ، والله تعالى غير منقطع ربوبيته ، والعباد غير منقطع حركاتهم مادامو أحياء ، والله تعالى غير مطلوب بالربوبية، والعبيد مطلوبون بحركاتهم (٣) .

رؤية الله :

ويرى الحكيم أن الله تعالى يرى فى الآخره وقد تناول هذه القضية فى ثلاثة ـ أماكن من كتاباته فى مجموع ليبزج الاول فى معرض تفسيره لقوله تعالى « **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** » (٤) وهو هنا يفرق بين الرؤية والادراك ذلك أن الادراك يقتضى الاحاطة والله سبحانه لا يدرك ادراك احاطة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ولكنه سبحانه يدرك كل شىء ولهذا نفت الآية الادراك ولم تنف الرؤية وهو هنا يرد على مانعى الرؤية فى الآخرة ، وأما الرؤية فى الدنيا فلا تكون ولهذا قال لموسى عليه السلام لما سأل الرؤية : رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ، ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين .

أما الرؤية فى الآخرة فهى ممكنة وحاصلة للمؤمنين بمقتضى الآيات والاحاديث النبوية الأخرى (٥) .

---

(١) القصص ٢٨ آية ٨٨ .
(٢) مخطوط ليبزج ورقة ١٧٨ .
(٣) مخطوط ليبزج ورقة ١٦٦ .
(٤) الانعام ٥ آية ١٠٣ .
(٥) انظر مخطوط ليبزج ورقة ١ ٢ب ، ١٢٢ .

وفى الموضع الثانى أجاب الحكيم صراحة وباختصار على سؤال وجه اليه :

أيرى فى الآخرة ؟ قال : نعم ، قال كيف يرى ؟ قال : كما يعرف هاهنا ، قال وكيف يعرف ها هنا ؟ قال : كما يرى هناك (١) .

وفى الموضع الثالث ناقش الحكيم فكرة الرؤية مناقشة واسعة شاملة تناول فيه الفكرة من كل جوانبها وعرض أدلة المانعين للرؤية وأخذ فى بيان خطئها وفى هذا الفصل يقول الحكيم : «عمل العين فى أربعة أشياء : رؤية ونظر ، ومعاينة ، وبصر،فالرؤية انفراج مابينكوبين الشىء المرئى ، والنظر هو رميك بناظريك الى الشىء ، والبصر هو اثبات النور الذى هو فى العين على الدوام نظرا حتى تدرك الشىء الذى نظرت اليه ، ألا ترى أنك تقول : نظرت الى كذا فلم أبصره أى ما أدركت بهذا النور الذى به رميت من عينى ، فأما المعاينة فهو ما ملكته العين علما بالرؤية والحمد لله رب العالمين ، ثم روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله : « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : رب أرنى أنظر اليك ، قال اللهتعالى يا موسى انه لن يرانى حى الا مات .. ولا يابس الا تدهده ، ولا رطب الا تفرق انما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم ، ثم يقول : فقد أعلمك عدم الرؤية فى دار الفناء وألقى عذره الى موسى حيث قال : أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ، فحل بموسى من الصعق ما حل . وبالجبل بالدك ما حل يعلمه أنه لا يطيق احتماله فلا الجبل احتمل تجليه ولا موسى عليه السلام ، ولذلك قال : تبت اليك لأنه سأل ذلك فى دار فانية خربة قد تقذرت بالشرك والمعادى .. ذهبت رؤيته فى ذلك الوقت لشغوفه به ووله عقله ، فلطف الله له أن ألقى اليه عذره فى ترك اجابته وألجأه الى التوبة اذ تبين له ، ثم فزع الى التنزيه له والى التوبة .

---

(١) مخطوط ليبزج ورقة ٢١٥ ب .

وقد أبت هذه الطبقة الغالية المعطلة احتمال هذه الخطة من جود ربنا سبحانه وتعالى » وكرمه فقالوا ان هذه الخطة صفة من صفاته أن لا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة واحتجوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير» وزعموا أن هذه صفة من صفاته فلا تنسخ ولا تتغير صفته فيكون فى الدنيا بخلاف الآخرة ، فلما قيل لهم فمن عطل صفة من صفاته أليس قد انقطع نظام توحيد لأن العباد وحدوه بجميع صفاته ، فاذا عطلت صفته فقد خرجت من توحيده ، أفتزعمون أنه حين سأل الرؤية قطع النظام وعطل صفة من صفاته ففزعوا من هذا القول،والتجئوا الى أن موسى عليه السلام لم يسأل رؤية العين ، وانما سأل شهادة القلب ، قيل لهم: فانما قال موسى عليه السلام رب أرنى أنظر اليه ولم يقل أر قلبى ينظر اليك ، فان كان هذا السؤال للقلب فلم تجلى للجبل فأنكروا هذا وقالوا : انما جعل فى الجبل آية من آياته فتجلت الآية للجبل •

فسبحان الله ما أجرأهم على الله ، يقول الله تبارك اسمه : فلما تجلى ربه للجبل •• وأنت تقول : أنما تجلت آية من آيات الله كفى بهذا دليلا على مكابرته وبدعته وخلافه •

قال : وحدثنا عن الآية التى احتججت بها قوله « لا تدركه الأبصار » وزعمت أن هذه صفة من صفاته ، هل عقلت أى شىء هو •• وأين هو من ذاك انما قال : لا تدركه فقد تم الكلام ثم قال : هو وهو اسم لا صفة له ، ومن الهوية خرجت الصفات ، والى هو اشارة القلب الى المعروف الموصوف ، ألا ترى الى قوله هو ، ثم قال : هو الله الذى لا اله الا هو ثم قال : هو الرحمن الرحيم ، ثم قال : هو الله الذى لا اله الا هو ثم قال : الملك القدوس الى قوله يشركون ، ثم قال : هو ، ثم قال : الخالق البارىء المصور فهو أصل الاسماء واليه تشير القلوب ، لانه الذى لا يدرى كيف ، وكذلك الله تبارك اسمه لانه الباطن ، وصف نفسه وسمى صفاته لدرك العباد ،

وأما هو فــلا يدرك منــه معنى ولا صفة ، ولا تدرك الابصار ذلك المعنى والاشــارة فأين هــذا من التجلى ، والتجلى صفة من صفاته بجلال وعظمة وبهاء ، وما أحسب أن الله صرف قلــوبهم عن هــذا الا أنه خيبهم ذلك فى دار البقــاء وأشقاهم •

ونظرنا الى ما جاءت به الأخبار عن رســول الله صــلى الله عليه وسلم فوجدنا أنها متواترة فحق عــلى كل ذى لب أن ينقــاد لــه ولا يكــذب أئمته فيــكون فى ذلك ابطــال الاســناد فانك اذا كذبت شاهدا فى شهادته لم يســعك أن تصدقه فى شهادة أخرى ، وقــد سقطت شهادته وذهبت عدالتــه ويحق عليــه ان لا يجتــرىء فى تأويلها ، ولا يجترىء على اللــه تبــارك اســمه فى تأويلها تأويلا يضحك الشيطان فى قفاه ، فيقول اذا روى له عن رسول الله صــلى الله عليه وسلم : يأمر الله تعالى بالحجب أن تكشــف لأهــل الجنة فيتجلى لهم ، وهو الزيادة فيقول : ينظر الى دلالته ، واذا قيــل لــه فيما روى فى الحــديث من قــول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارزقنى لذة النظر الى وجهك الكــريم ، فيقــول : ينظــر الى ما يتوجه به من الأعمال الى اللــه والنظر الى جــاهه قــاتله اللــه ما أصفق وجهه ، ولا يستحى من الله ولا من المسلمين فى مثل هــذا التأويل ، فهو كهيئة العابث اللاعب بحقوق الله تعالى المستهزىء بأمر الله عز وجل ، لم آمن أن يكون فى قلبه بدعة نفاق عظيم ، وقد اتفقت عــلى حــديث الرؤوية عــدة من الصحابة كلهم أئمة رضى الله عنهم منهم عمر بن الخطاب ، وصهيب ، وابن مســعود ، وابن عبــاس ، وجرير بن عبد اللــه ، البجلى ، وأبو سعيد الخدرى ، وجابر بن عبد الله ، ومعاذ بن جبل ، وثوبان، وحزيفــة وأنس بن مــالك ، وأبو أمامــه ، وزيــد بن ثابت ، وعمــار بن ياسر ، وأبو مــوسى الاشــعرى ، وعمارة بن دويبــة وأبو هريرة ، وبريدة الاســلمى ، وأبو برزة وعبد اللــه بن جــرير الزبيدى ، فهؤلاء كلهم أحــد

وعشرون نقيبا رووا عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى اثبات الرؤية فى القيامة وفى الجنـة فمن رد هذا فانما يقصد تكذيب الأئمة ومن تأولها بهذه التأويلات فهـو قاصـد لتكذيبهم ، ولكنـه متجمل منافق ألا ترى أنه يعطل فى آخـر أمره ، والعجب من يتلو فى الكتاب من قوله تعالى : « **وجوه يومئـذ ناضرة الى ربها ناظـرة** » يقـول ناظـرة الى ثوابه وناظـرة الى علاماته وناظرة الى مشـاهدته بقلوبها فيقال له : صرح الكتـاب باسم الرب يقول الى ربها فكيف يجوزان يقول ، تأويل الرب ثواب الرب ، وتأويـل الرب عـلامات الرب ، فهلا قال : الى ثواب ربها ناظرة والى عـلامات ربها ناظرة ، فأية مكابرة أعظم من هذا ، وقول الآخر ينظر الى مشاهدته بقلبه ، فانما قال وجوه ، ثم قال الى ربها فأثبت ، ولم يقل الى مشاهدة ربها ناظرة يعلمك بقوله : الى ربها أى الى رب الوجوه ليعلمك أن النظر للوجه ، وحظ النظر من الوجـه للعين لا للفـم والانف والاذن ، فقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة « ان النظر للوجوه فلا يشك ذو عقل أن النظر للعـين من بين سائر الوجوه ، وانما أثبت فى هذه الآية النظر للوجـه لا للقلب ثم قـال : الى ربها أى الى الـرب تعالى ، فكيف يجوز لقائل بعـد هذا أن يقول بمشاهدة القلب لولا عمى القلب عن خطاب الله تعالى ، وقال ابن البلخى فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسـلم انكم سـترون ربكم يـوم القيـامة لاتضامون فى رؤيته كما لاتضامون فى رؤية الشمس فى يوم صـحو ليس بذى سحاب ، ورؤية القمر ان هذه رؤية القلب علم يقين ، فهذه مكابرة لأن الرسـول صـلى الله عليه وسلم يقول : سـترون ربكم وهو يقول هذا علم يقين •

وزعم أن القمر مدور محـدود فهو يرى كما يرى القمر مـدور، وهل يجوز هذا على الله تعالى ؟ وقال ان العين انما تدرك الألوان وان ربنا سبحانه وتعـالى ليس بذى لون فتدركه العين ، فيقال له انك زورت هذه الأشياء فى نفسك

فلم يكن عندك من يرد عليك بالحق فيسكتك ، وهكذا يكون علم النفس خصومات ومجادلة وتأويـــــلات منكرة منكوسة •

فأما قوله : ان الشمس والقمر مدوران محدودان يوهم بذلك أنه يرى كما يرى القمر والشمس ثم ينفيه ؟ فيعاذ بالله أن يكون تأويل قول رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ما تأولت ، ولكنه صلى الله عليه وسلم انما جاء بذكر الشمس والقمـــر أنـــه اذا كان فى يــوم صـــحو لا سحاب فيه وليلة مقمرة لاسحاب فيها فلا ضيم على الناظر اليها وهو النقصان لانه لا يحول بينه وبينها شىء حتى تضـــام فى رؤية ضوئهما ، فكذلك نرى ربنـــا سبحانه رؤية لا يحجبنا عنه شىء والكفار محجوبون ، وهو قـــوله : «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» فان كان الـــــكافر محجوبا عنـــه والمؤمن محجوبا عنه فما فضـــل المؤمن عليهم يومئـــذ ، وما هـــذا الذكر الذى ذكره فى التنزيل ، فلم يذكر النبى صلى الله عليه وســـلم الشمس والقمر عند رؤيته يريد به التدوير والحد ، انما أراد رفـــع الحجاب ، ورؤية المؤمنين لا يحول بينهم وبينه شىء من الحجاب ، كما حال السحاب ها هنا آلا ترى أنه ذكر الصحو والسحاب هاهنا ،فمثل هذا الادخـــال هو كالهـــرب من الحـــق •

وأما قوله : ان العـــين حظهـــا الألوان ، وربنا سبحانه وتعـــالى ليس بذى لون فتدركه العين فقـــد أحال القول فى شأن الألوان ، لأن الألوان انما هى خمســـة بيـــاض وسواد وحمرة وصـــفرة وخضرة فهذه خمسة ليس لها ســـادس ، والزرقة والشبهة والغبرة ومأأشبهه ليس بلون انما هى مزاج مأخوذ من لون بعضا ومن لون آخر بعضا ، فأما الألوان الأصلية فهى خمسة ، وربنا سبحانه غير موصوف بهـــذه الألوان ، وهو موصوف بالنـــور والنور ليس بلون والعيون لها حظ من النور ، والله ســـبحانه نـــور الانوار قال الله تعالى : « **الله نور السموات والارض** » فـــــاذا كان يوم القيامة أشرقت الأرض بنور ربها والأرض تبدل بأرض طاهرة ،

لم يسفك عليها دم حرام ولانجست بالمعاصى حتى يشرق نور الله عز وجل على تلك الأرض الطاهرة ، فأيما مؤمن توفاه الله عز وجل طيبا فبذلك النور يأمن ويطمئن وهو قوله تعالى : « الذين توفاهم الملائكةطيبين يقولون سلام عليكم» وأيما موحد لقى الله تعالى غير طيب ثابت هكذا نازع ؟ فاذا رأى اشراق ذلك النور ركبته الأهوال فلسنا من تدوير الشمس والقمر فى شىء ولا فى ادراك العيون الألوان انما يرى العباد ويومئذ عظمته وجلاله وعزه وبهاه ونوره وجماله لا يحول بينهم وبين رؤيته حجاب ولا شىء كما لم يحل بين الناظرين الى الشمس فى يوم صحو شىء من سحاب أو غيم فيصيبهم الضيم وهو النقصان فى الرؤية ، فاذا عاين الموحدون عظمته وعزه وجلاله وبهاه ونوره وجماله نالهم بره وعطفه وكرمه وجوده ومجده ، وقد كانوا يدعونه أيام الحياة بهذه الاسماء ويصفونه بهذه الصفات يا عظيم يا عزيز يا كريم يا ذا الجلال والجمال والنور والبهاء يا بر يا عظيم يا كريم يا حليم يا كبير يا رحيم ، صيروا لهم عيانا ومشاهدة ليتباشروا بمعبودهم الذى عهدوه فى الغيب ، وآمنوا به وقد أثنى عليهم فى تنزيله فنوه بأسمائهم فقال : الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة فعظم شأن هذا الايمان بالغيب وشكر لهم فى الموقف وفى دار السلام فتجلى لقلوب الأولياء الأصفياء فى دار الدنيا للنجوى والصفاء وتدبير الربوبية وتجلى لأعين الموحدين فى الموقف تجلى العظمة والسلطان والهيبة والملك (المجازاة للجزاء) وتجلى لأعين أهل الجنان فى دار الزيارة على الوداد والقربة والبشر والعطف والأنس والأفراح والبهجة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بين أهل الجنة وبين ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنات عدن (١) .

ويبدو من هذا الفصل الطويل

---

(١) مخطوط ليبزج الاوراق ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ .

رأى الحكيم بوضوح وجلاء فى امكان بل وقوع رؤية الله سبحانه للمؤمنين فى الجنة وان هذه الرؤية جاءت بها الآثار وأخذت من آيات القرآن الكريم التى استشهد بها .

زيادة الايمان ونقصانه :

ناقش الحكيم فكرةزيادة الايمان ونقصانه وكذلك ان الاسلام والايمان أمر واحد أو أمران مختلفان، والذى يؤخذ من مناقشته للفكرة الأولى أنه يرى أننا حينما ننظر الى الايمان باعتبار حقيقته وذاته فهو لا يزيد ولا ينقص ، وأما اذا نظرنا الى تأثيره وأثره فانه يجرى عليه حينئذ الزيادة والنقصان بسبب ما يعترى قلب المرء من أغراض وأهواء تحجب أشعة الايمان أن تنطلق فتوجه سلوك الانسان وتصرفه ، ويضرب لذلك مثلا موضحا بالشمس وشعاعها فيقول : دخلت بين متنازعين،يقول أحدهما أن الايمان يزيد وينقص ويقول الآخر أنه لا يزيد ولا ينقص . فأشرت الى عين الشمس فقلت : ما هذه ؟ قال : هذه شمس .

فقلت : تنقص أم تزيد ؟ قال : لا

ثم أشرت الى اشراقها على الارض . فقلت : ما هذا ؟

قال : هذه شمس

قلت : تزيد وتنقص ؟ فتحير

قلت : أليس اذا كان بينها وبين الارض غيم أو سحابة رقيقة نقص من اشراقها فاذا ذهب الغيم زاد فى اشراقها .

قال : نعم

قلت : أفلست تسمية شمسا ؟ وهو يزيد وينقص ، وتلك العين تسميها شمسا وهى لا تزيد ولا تنقص .

قال : نعم .

قلت : أفليس بقدر ما تنقص يدخل النقص فى جميع بنى آدم والزروع والثمار، واذا زاد اشراقه عملت حرارته فى زروعهم وثمارهم؟

قال : نعم .

قلت : فكذلك الايمان بمنزلة الشمس التى قد برزت لك على قلبك من النور ، وأشرق على صدرك ، فاذا حال بينها وبين القلب غيوم الشهوات والهوى نقص

الاشراق ، فدخل الوهن فى القلب وفى النفس ، وتعطل عن العمل ، واذا ذهب الهوى والشهوة زاد فى اشراقه واستقر القلب وقويت النفس للعبودة فمن الاشراق يزداد وينقص ، فأى تنازع بقى ها هنا ؟

فمن قال : يزيد وينقص بهذا المعنى ، وهذا مصيب فى قوله .

ومن قال : لا يزيد ولا ينقص لانه متى نقص دخل الشك .

فأما الزيادة التى ذكر الله تعالى فى تنزيله يزيده نورا الى نور فيزداد قلبه بذلك النور الزائد؟ ايمانا أى استقرارا وثباتا (١) .

وأما بالنسبة لكون الاسلام والايمان أمرا واحدا أو أمرين متباينين فانه يرى أنهما نوعان فى عقد واحد لان الايمان يعنى الاستقرار والطمأنينة ، والاسلام يعنى التسليم لامر الله ونهيه ، فعقد الاسلام والايمان وقبولهما واحد . ولكنه عقد وقبول لنوعين، وقد وضح هذا وفصله بقوله : ووجدتهما : يعنى الشخصين المتنازعين مختلفين ، فقال أحدهما : الايمان والاسلام واحد ، وقال الآخر : شيئان متباينان . فقلت لهما : اننى وجدتهما اسمين معناهما واحد لا يزيد احدهما على الآخر وان دقت تلك الزيادة ولو كان كما زعمت لكان فضلا وهذيانا .

فمن اختاره الله تعالى واجتباه فمبتدأ أمره أن يطهر قلبه بماء الرحمة حتى يدعه كالشىء المغسول، ثم أحياه بنور الحياة وذلك قوله : « أو من كان ميتا فأحييناه » فانما كانت بضعة من لحم (يعنى القلب) لها عينان لا تبصران وأذنان لا تسمعان فلما طهره بماء الرحمة صلح لنور الحياة فلما جاء نور الحياة حيى قلبه بالله ، ثم جاء نور الهداية فهداه وذلك قوله « **وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس** » فذلك نور المعرفة ، ثم جاء نور العقل ، فبنور العقل عقل نور المعرفة عن الفكرة ، فاستقر لأنه زينة،ثم جاء نور الحب فقيده فعندها صار محكما فاعترف

---

(١) ما الايمان والاسلام مخطوط ليبزج ورقة ١٩ .

بلسانه ، بلا اله الا الله مع أنوار المعرفة التى فى باطنه ، وعقد قلبه على أنه ربه ، وهو له عبد فحشو هذا العقد أنه رب يملكه ويحكم فى أموره ما يشاء ، وأنه له عبد ينتهى الى جميع ما يأمره ، ويرضى بجميع ما يحكم به عليه انقيادا ، فاستحق ها هنا اسمين : مؤمنا ، ومسلما ، فأما اسم المؤمن فلأنه استقر واطمأن عن التردد والجولان اطلب ربه ، واسمه المسلم لانه سلم نفسه اليه فى جميع ما يأمره ،فمن قال من المتقدمين الايمان والاسلام واحد فانما قاله : لان ذلك منه فى عقد واحد ، فاما أن يكون نوعا واحدا فلا ، وكيف يكون الاستقرار والطمأنينة والتسليم لأمره ونهيه نوعا واحدا ؟

ومن قال ها هنا : واحد ، وخفى عليه هذه الصفة ، فقد غلط فيه فالعقد واحد والقبول واحد ، ولكنه عقد وقبول لنوعين ، ثم اقتضى العبد من يوم آمن وأسلم فى جميع عمره أن يفى بهذا العقد والقبول ، ووضع بين يديه العبودية نوعين : أمر يحكم عليه ربه ، وأمر يأمره به ربه ، فأما الذى يحكم به عليه فالاحوال من الفقر والغنى ، والعز والذل ، والصحة والمرض وكل محبوب ومكروه ، فاقتضاه الوفاء بذلك أن يطمئن قلبه ونفسه الى ما حكم به عليه كما اطمأن اليه ربا .

وأما الذى يأمره به فالفرائض وترك المحارم ، فاقتضاه الوفاء بذلك أن يسلم فى كل أمر أمره ونهى نهاه نفسا ، فيأتمر بأموره ، وينتهى عن محارمه فاذا وفا بالايمان وبالاسلام نجا من الوزن والحساب (١) .

دكتور / محمد ابراهيم الجيوشى

---

(١) ما الايمان والاسلام والاحسان ورقة ٩١ ـ ٩٢ مخطوط ليبزج .

من أعلام الأزهر

رائد النقد الادبى فى مصر

الشيخ حسين المرصفى

للدكتور/ ابراهيم عوضين

كما اشتهرت مصر بأهراماتها وآثار فراعينها ، ونيلها ، طبقت شهرتها الخافقين بأزهرها على مدى ألف عام بما قدمت وبما تقدم للعالم الاسلامى — على اتساعه — بل للعالم أجمع من أسباب الحضارة والترقى فى مختلف ميادينها من علمية وفنية وتشريعية وعقيدية وغير ذلك .

ولقد قام بأداء هذه الرسالة من أبناء الأزهر فى كل جيل طائفة عرفوا رسالتهم التى حملوها بانتسابهم الى الأزهر وأدركوا واجبهم نحو القيام على هذه الرسالة والمثابرة فى سبيلها ، بحيث أصبح الأزهر منبعا فياضا لا يغيض ولا يتوقف مدده مهما اختلفت الظروف وتباينت المواقف والاتجاهات السياسية التى تسود مصر ، فالأزهر منارة تشع الضوء الهادى الموجه فى كل وقت وحين على مدى تلك القرون العشرة التى مضت على انشائه ، وسيظل كذلك ما دام قائما .

وعلى الرغم من صمود الأزهر بأبنائه فى كل عصر أمام مختلف الهزات والثورات التى مرت بمصر ، وعلى الرغم من اصراره على أن يظل المورد العذب للثقافة العربية والاسلامية فى كل جيل .. وجد من أبناء مصر من يحاول الحط من شأنه ، والتهوين من قدره مجاراة لبعض الحاقدين المتعصبين من المبشرين والمستشرقين ، وهم فى ذلك يحرصون على أن يبرزوا ما قد يعثرون عليه من هنات

وكبوات لبعض أبنائه ، قاصدين بذلك أن يغطوا على الجوانب المشرقة فى مسيرته •

وتركزت هذه الحملات المسعورة على الأزهر وأبنائه فى الفترة التى عانت فيها مصر والعالم العربى الاسلامى من سيطرة قوى أوربا الصليبية تحت ستار الاستعمار ، وبلغت أعنف درجاتها ابتداء من النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى •

غير أن طائفة من أبناء الأزهر استطاعت أن تواجه هذه الحملات الضارية ، وتقف فى مواجهتها معلنة بذلك أصالة النبع الذى منه ارتووا وقدرته على التحديات مهما بلغ عنفها وقسوتها ، فلمعت أسماء لم يستطع واحد من هؤلاء الحاقدين أن يمس علم واحد منهم ولا فقهه ولا أن ينكر فضله على الجيل كله • ولكن الحقد الدفين شاء لهم أن يجعلوا من هؤلاء الأعلام استثناء شاذا ، ونبتا فى غير تربته •

والشيخ حسين أحمد المرصفى واحد من هؤلاء الأعلام الذين قدمهم الأزهر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر لينهضوا بأمتهم فى مختلف مجالاتها ، وشتى مناحى الحضارة فيها •

وهو ابن الشيخ أحمد المرصفى المكنى بأبى حلاوة أحد علماء الأزهر الأعلام فى عصره (١) كف بصره وهو فى الثالثة من عمره ، وحفظ القرآن الكريم فى صباه ، ثم التحق بالأزهر ليتلقى العلم فيه على كبار علمائه (٢) ولما أجازه أساتذته تولى التدريس بالأزهر حتى سنة ١٨٧١ حيث اختير لالقاء محاضرات بدار العلوم • وكان قد تعلم الفرنسية بطريقة (بريل) (٣) وكان يقرأ لطلابه بالأزهر فى النحو مغنى اللبيب لابن هشام ، وكتب

---

(١) لمزيد تفصيل راجع الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك ج ١٥ ص ٤٠
(٢) اعلام من الشرق والغرب للاستاذ محمد عبد الغنى حسن ص ٦٩ •
(٣) انظر الشيخ الحسين بن أحمد المرصفى لمحمد عبد الجواد ص ٥٣ ـ ٥٦ •

أعلام البلاغة ، ودواوين متقدمى الشعراء (١) .

ولما قررت نظارة المعارف — فى عهد على باشا مبارك — تنظيم محاضرات عامة تلقى بالمدرج الكبير الذى كان يسمى دار العلوم بسراى درب الجماميز اختير طائفة من كبار العلماء فى مختلف الفنون والعلوم لالقاء هذه المحاضرات ، ومن بين من أختير لذلك الشيخ حسين المرصفى ليلقى محاضرتين فى علوم الأدب فى يومى الأحد والأربعاء من كل أسبوع ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفى — مواطن الشيخ حسين — للتفسير والحديث ، والشيخ عبد الرحمن الجيزاوى مفتى الحقانية لفقه أبى حنيفة ، والمسيو نيدال لفن السكك الحديدية ، والمسيو جيجون لفن الآلات ، والمسيو هنرى بروكسن للتاريخ العام ، والمسيو بكيت لعلوم الطبيعة ، واسماعيل باشا الفلكى ناظر الهندسخانة لعلم الفلك ، وأحمد ندا بك لعلم النباتات ، والمسيو فرانس لفن الأبنية .

وكانت تلك المحاضرات نواة لانشاء مدرسة دار العلوم فيما بعد بناء على التماس من على باشا مبارك فى ٣٠ من يوليو سنة ١٨٧٢ .

وكان يحضر هذه الدروس المتنوعة طلبة المدارس العالية ، وفريق من طلبة الأزهر ، كما كان يحضرها طائفة من كبار موظفى الحكومة وديوان المعارف فى معية على باشا مبارك .

ومنذ ذلك التاريخ ترك الشيخ حسين المرصفى التدريس فى الأزهر ، ليتفرغ للتدريس فى دار العلوم ، وليكون أول أستاذ بها للأدب العربى وتاريخه (٢) .

تحول مسار الشيخ حسين بانتقاله من التدريس فى الأزهر الشريف الى التدريس فى دار العلوم ، حسب متطلبات المناهج الدراسية الجديدة ، حيث أخذ فى الاستقلال الفكرى والفنى ليقدم دروسه لتلاميذه من خلال شخصيته

---

(١) أنظر المفصل ص ٣٩٨ .

(٢) انظر تقويم دار العلوم العدد الماضى ص ٤ — ١٨ .

بدلا من الاعتماد كليا على كتب التراث العلمية والأدبية كما كان عليه الحال فى تدريسه بالأزهر •

من ثم بدأ دور الشيخ يظهر فى آرائه الأدبية والنقدية من خلال محاضراته التى قدمها لطلابه ، والتى ضمت مجموعة من الكتب دارت حول الأدب ونقده ، والاجتماع والعلوم السياسية والعربية وعلومها • فترك رحمة الله تعالى لمن جاءوا بعده آثارا علمية ثلاثة هى :

« الوسيلة الأدبية الى العلوم العربية » ، « ودليل المسترشد فى فن الانشاء » ، و « رسالة الكلم الثمان » •

ورسالة الكلم الثمان — على غرابة عنوانها — تتضمن شرحا لثمان كلمات يكثر ترديد الألسن لها ، وهى كلمة الأمة والوطن والحكومة ، والعدل والظلم ، والسياسة ، والحرية ، والتربية •

فهى أقرب الى ما نعرفه اليوم باسم التربية الوطنية أو العلوم السياسية •

وكتاب « دليل المسترشد فى فن الانشاء » مخطوط فى ثلاثة مجلدات تقع فى نحو ألف صفحة وهو ليس — كما قد يتبادر الى الأذهان — نصا فى الانشاء بالمعنى المدرسى ، ولكنه مجموعة من المحاضرات فى النثر الفنى تناول فيها الشيخ عدة علوم وفنون شتى تتصل من قريب أو بعيد — بفن الكتابة ، من مثل الأدب وتاريخه ونقده ، وعلم النفس ، والمنطق ، والتربية ، والفقه ، وعلم الحياة •

أما كتاب « الوسيلة الأدبية الى العلوم العربية » فيقع فى مجلدين تم طبع أولهما سنة ١٨٧٥ ، وتم طبع الثانى سنة ١٨٧٩ ، والمجلد الأول يشتمل على ٢١٤ صفحة ، بينما يشتمل الثانى على ٧٠٣ صفحة • والكتاب يتضمن مجموعة المحاضرات التى ألقاها الشيخ فى دار العلوم ، وفيها تناول بالدرس أكثر من اثنى عشر فنا مثل اللغة وأصولها • والنحو • والصرف • والبلاغة ، والعروض والقوافى ، والاملاء ، وصناعة الترسل ، وقرض الشعر . وتاريخ

نشأة الفنون ، وتدوين العلـوم ، وتاريخ التربية ، وتاريخ الكتـاب (الوزراء) ؛ والنقد الأدبى •

والكتاب يعد بحـق موسـوعة عربيـة جمعت بين مختلف العلوم والفنون فى ثوب جديد أنيق ، وفى عرض شيق رشيق ، يقـوم على تمـكن ودراية بالنفس البشرية وطبائعها ، وأقرب الطرق الموصلة اليها ، ليقبل التلاميذ عليه ، فيحقق الغاية منـه ، فالتزم من أجل ذلك الحرص على كثرة الاسـتشهاد بالآيات القرآنيـة ، والأحـاديث النبـوية ، والحـكم الأدبيـة ، والأشعار القيمـة ، والحكـايات والنوادر •

والناظر فى هذا الكتـاب يلاحظ حرص الشيخ عـلى غرس الملكة الأدبية فى نفوس تلاميذه وتعهدها وتنميتها •

يتضح ذلك من كثرة الشـواهد والامثلـة التى يقدمهـا فى المعنى أو الموضوع الواحد فقد ذكر أحد عشر شاهدا لعدد من الشعراء فى تشبيهات « الثريا » (١) وأشار الى الرسالة التى استخرجها الصاحب ابن عباد لسلطانه فخر الدولة ابن بويه فى ص ٦٤ من الجزء الثانى ، وأثبت نصها فى ص ٦٧ ــ ٦٩ من الجزء ذاته ، وأطال التمثيـل فى باب الانسـجام وباب السـجع ، وبحور الشعر ، فقـدم الأول فى عشر صفحات ، والثانى فى ثمان ، والثالث فى أحد عشر صفحة •

ويتضح من استطراداته ، حيث ينتقل من الحديث فى القـاعدة العلمية ــ الى عرض طرفة أدبية ، قصدا الى تخفيف ثقل العلم على الطالب ، وتعزيز ملكة الأدب لديه، كما صنع فى حديثه عن حذف كان واسمها ، فذكر المثل (كل امرىء مجزى بعمله ان خـيرا فخير وان شرا فشر) ؛ ومن ذلك انتقل الى الحديث عن المقـامة الرابعـة والعشرين من مقـامات الحريرى الموسومة بالمقامة النحوية ، فذكر

---

(١) انظر جـ ٢ ص ١١ ، وانظر أمثلة التشبيه والاستعارة ص ١٨ ــ ٢٥ من الجزء نفسه •

المقامة كلها مستشهدا منها بقول الشاعر :

فان وصلا ألذبه فوصل
وان صرما فصرم كالطلاق

ثم أخذ فى استعراض ما حوته المقامة من الأحاجى النحوية ، والطرف الأدبية فى نحو عشر صفحات (١) جمعت بين الأدب واللغة وقواعد النحو والتاريخ والأحاجى • وكما صنع فى حديثه عن الحماسة مستطردا من حكاية عن رحلة القاضى الفاضل الى الديار المصرية ولقائه ابن الخلال ــ رئيس الكتاب ــ وأمره اياه بمعالجة ديوان الحماسة على نحو خاص • فأورد فى ثنايا ذلك مختصرا من أبواب الحماسة استغرق من الكتاب نحو ثمانية وخمسين صفحة (٢) •

ويتضح من منهجه فى معالجة فقه اللغة ، وعرض قواعد النحو والصرف والبلاغة ، حيث يشرح كل باب شرحا مباشرا ، ثم يغمره بفيض من الشواهد المستمدة من روائع الأدب ، منتهزا الفرصة ليعرف بمن يستشهد بكلامهم من الشعراء والكتاب تعريفا تاريخيا وفنيا يقوم على ايراد طائفة من النصوص ، كما فعل فى بائية بشار ابن برد ، حين أورد بيته المشهور فى باب التشبيه :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا
وأسيا فناليل تهادى كواكبه

حيث قال : « وتشبيه بشار هذا من آحاد التشابيه ، يحكى أنه قيل لبشار : من أين جاءك هذا التشبيه ولم تر الدنيا قط ــ فانه ولد أعمى ــ فقال : ان عدم الاشتغال بالمنظورات يوقد الحس ويقوى الذكاء « ثم يعود اليه بعد قليل فيقول : « وبيت بشار المذكور من قصيدة موجود بعضها فى الكتب ، وهى من الشعر الرصين الذى يعرب عن نفسه بدرجة براعته ، فرأيت اثبات ما وجدت منها ليتخذه

---

(١) ص ١٣١ ــ ١٤٢ •
(٢) ص ٢٩٩ ــ ٣٥٧ •

طلاب الأدب سراجا يمشـون فى ضوئه .. وذكر الأبيات (١) .

وعلى هذا المنهج واصل الشيخ سيره فى الكتاب ، بل انه الى ذلك ليحرص على أن يهتبل الفرصة حين تسنح للتعريف بالعمل الأدبى ذاته ، كما صنع فى أثناء كلامه على الأمثال الشعرية ، فى قولـه : « وأما الكلام الذى يتمثل به من الأشعار أبياتا وأبعاض أبيات ، فلنورد لك منه جملة تكون حليـة لأدبك ، فمن ذلك أبيـات « أبى الطيب المتنبىء » وقد استخرجها الوزير « اسـماعيل ابن عباد المشـهور » بـ « الصـاحب « لسلطانه « فخر الدولة بن بويه» وحين أطلع السـلطان على تلك الرسالة التى ضـمنها ذلك الوزير تلك الامثال وضـع فـوق بعض الأبيـات خـاء ، يشـير بها الى انتخاب ما وقع استحسانه موقعا ، ثم قدم الرسالة بقـوله : وهـذا لفظ الرسالة بما فيها من العلامة : الحمد لله ... الخ (٢) والرسالة تتضمن نحو ثلاثمائة من أمثـال المتنبىء السائرة .

وكما صنع فى باب الانسجام ، حيث أورد قصائد برمتها لجمـاعة من مشهورى الشعراء ، كالخنساء، وكثير ، وابن الدمينـة ، وعلى بن الجهم ، وابن زريق البغـدادى . واتخذ من ايراد هذه القصـائد مناسبات للتوجيه الأدبى البصـير الذى يقوم على الموازنة والنقد . من ذلك قوله ـ حين أورد قطعـة لمسـلم بن الوليـد ـ : « وهـو عصرى أبى نواس ، وكان النـاس مختلفين فى المفاضلة بينهما ، وأهل فن الكتابة على تفضيل مسلم (٣) . ويمهد لقصيدة ابن زريق بقوله : « ومن القصائد التى ينبغى لكل متأدب روايتها قصـيدة محمد بن زريق البغـدادى ، وكان قصـد

---

(١) الوسيلة جـ ٢ ص ١٢ ـ ١٤ .
(٢) الوسيلة جـ ٢ ص ٦٧ ـ ٧٩ .
(٣) ص ١٠٨ .

الأندلس فى طلب الغنى فلم يرجع لبغداد » (١) .

وحين تعرض المناسبة للاشارة الى شاعر معروف بالاجادة فى أحد الفنون ، يستطرد للحديث عنه ، واقتباس طائفة من شعره فمن ذلك أنه حين تحدث عن السهولة ، وقرن بينها وبين الانسجام بأن الانسجام « عبارة عن سلاسة اللفظ بحيث لا يتغير اللسان عند النطق به سواء كان غريبا أو أهليا أو كان معناها خفيا أو جليا ، وأما السهولة فهى عبارة عن كون الألفاظ أهلية أو قريبة منها جلية المعانى ، سهلة المتناول على الخاصة والعامة تطمع المفحم فى أن يحاكيها ، وتقعد بالماهر وقد أخذه الطرب عن أن يعانى أن يضاهيها ، واذا كانت فى كلام فهو المعنى باسم السهل الممتنع وبعد أن مثل لها بنماذج شعرية قال : « وهذا النوع يتفق للشعراء اتفاقا ، ولا يكون شعر شاعر كله على هذا النمط ، خلا الصاحب بهاء الدين زهير المصرى ، فانه قد انقاد له هذا النوع انقيادا فى سائر شعره، كأنك عند استماعه فى محادثة انسان ظريف من لطفاء المصريين ــ وهو وان كان ديوانه مشهورا فى الأيدى ــ لا أحب أن أخلى الكتاب من تحليته ببعض فرائده ، فمن نسيم شعره قوله ... (٢) .

كما يتضح من تخصيصه ما يقرب من ثلث الجزء الثانى للحديث عن صناعة الترسل بين فيه الجهات التى تمكن من ذلك ، فجعل الجهة الأولى لبيان ما يلزم تحصيله لمن يريد أن يكون منشئا ، فملأ ثمانية وسبعين صفحة بالأمثال العربية ، أتبعها بعشر صفحات تعرض نماذج من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

ثم أعقب ذلك بذكر بعض الأراجيز من (الصادح والباغم) وكثير من أبواب ديوان الحماسة ، حريصا فى أثناء ذلك على شرح ما يذكر والتعليق عليه . ثم أورد مختارات من جيد الشعر ، مقدما

---

(١) ص ١٠٩
(٢) ص ١٦٣ ــ ١٦٤

له بقوله : « وحيث كانت العزيمة على أن أورد هنا لك طرفا من جيد الشعر ، فى بعض طوال قصائد لفحول من الشعراء ، تعين — كما اقتضاه الحال — أن أقدم تعريفك بما يسميه أهل الأدب فن القريض، وسماه قدامه — قبل — نقد الشعر، لتعرف ما المراد بجيد الشعر ورديئه ، فتكون على بصيرة من ذلك • قرأت لأبى هلال العسكرى كتابه المشهور بالصناعتين ، فوجدته رتبه عشرة أبواب ••• » •

وأخذ فى سرد الأبواب العشرة، ثم عرج الى تلخيصه بالقدر الذى يكفى ، فعرضه فى نحو احدى وسبعين صفحة (١) • وانتقل بعد ذلك الى الكلام فى نقد الشعر والنثر ، فاستوعب أربعة وثلاثين صفحة (٢) • ومن ذلك انتقل الى الموضوع الثالث — وهو قرض الشعر — فكتب اثنتى عشرة ومائة صفحة ملأها بالشواهد والأدلة على القواعد التى أوردها ، فذكر كثيرا من القصائد لفحول الشعراء فى العصور المختلفة ، مراعيا التسلسل الزمنى (٣) • ومن ذلك أخذ يرسم لتلاميذه المنهج القويم لتجريد انتاجهم الأدبى ، والارتفاع به الى درجة الأدب العربى القديم بما يقوم عليه من روعة وجمال ••

فأوصى راغبى الشعر بأن يحفظوا ما يستطيعون من الشعر الجزل القديم •

ولم يقف عند حد تلك الوصية ، بل أضاف اليها وصية أخرى تكملها، فطلب اليهم أن ينسوا بعد ذلك ما حفظوه ، حتى لا يستسلموا لسلطانه عليهم ، فينقلب شعرهم الى ترقيع من الذاكرة وذلك قوله فى صفحة ٤٦٨ وما بعدها من الجزء الثانى : « اعلم أن لعمل الشعر وأحكام صناعته شروطا أولها الحفظ من جنسه — أى من جنس شعر العرب — حتى تتنشأ فى النفس ملكة ينسج على منوالها ، ويتخير المحفوظ من الحر النقى

---

(١) ص ٣٥٨ — ٤٢٩ •
(٢) الوسيلة جـ ٢ ص ٤٢٩ — ٤٦٢ •
(٣) المرجع السابق جـ ٢ ص ٤٦٤ — ٥٧٦ •

الكثير الأساليب ، وهـذا المحفوظ المختار أقل ما يكفى فيه شعر شاعر من الفحول الاسلاميين ، مثل ابن أبى ربيعة وكثير وذى الرمة وجرير وأبى نـواس وحبيب والبحترى والـرضى وأبى فراس • وأكثـر شعره كتاب الأغانى لأنه جمـع شعر أهل الطبقة الاسلامية كله ، والمختار من شعر الجاهلية ، ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر ردىء ، ولا يعطيـه الـرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ ، فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر، وانما هو نظم ساقط ، واجتنـاب الشـعر أولى بمن لم يكن لـه محفوظ ، ثم بعـد الامتـلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم ، وبالاكثار منه تستحكم ملكته وترسخ ، وربما يقال : ان من شرطه نسـيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفيـة الظاهرة ، اذ هى صـادرة عن استعمالها بعينها ، فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الأسلوب فيها كأنه منوال يأخذ بالنسج عليه لأمثالها من كلمات أخرى •

فالشيخ يرى أن ملكة الشـعر لا تنمو فى النفس الا بكثرة المطالعة والنظر والحفظ للجيد منه • فاذا تحقق لراغب الشعر تلك الملكة كان عليه أن يتعهدهـا بالتدريب عـلى النظم والاكثار منه ، حتى تستحكم الملكة وتستقيم •

ويرى أن دراسة دقائق اللغـة والعروض مهما تعمق الطالب فيها لا تخلق منه أديبا ، بيد أنه لـم يصرح بذلك مكتفيا بالايماء اليـه فى حديثه عن البارودى والطريقة التى كون بها نفسه حيث يقول : « هذا الأمـير الجليل ذو الشرف الأصـيل ، والطبع البالغ نفاؤه ، والذهن المتنـاهى ذكاؤه ، محمود سامى باشا البارودى ، لم يقـرأ كتابا فى فن من فنون العربية ، غير أنه لما بلغ سن التعقل وجد مـن طبعه ميلا الى قراءة الشعر وعمله، فكان يسـتمع الى بعض من لـه دراية ، وهو يقرأ بعض الدواوين أو يقرأ بحضرته حتى تصـور فى برهة يسـيرة هيئـات التراكيب العربية ، ومواقع المرفوعات منها

والمنصوبات والمخفوضات ، حسبما تقتضيه المعانى ، والتعليقات المختلفة ، فصار يقرأ ولا يكاد يلحن ، وسمعته مرة يسكن ياء المنقوص والفعل المعتل بها المنصوبين ، فقلت له فى ذلك فقال : هو كذا فى قول فلان ، وأنشد شعرا لبعض العرب ، فقلت تلك ضرورة ، وقال علماء العربية انها غير شاذة ، ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة ، واستثبت جميع معانيها ناقدا شريفها من خسيسها ، واقفا على صوابها وخطئها ، مدركا ما كان ينبغى وفق مقام الكلام وما لا ينبغى ، ثم جاء من صنعة الشعر اللائق بالأمراء ، ولشعر الأمراء كأبى فراس والشريف الرضى والطغرانى .

ولم يكتف — فى الحديث عن البارودى — بذكر منهجه الشعرى ومميزاته الفنية ، بل استشهد بكثير من قصائده التى عارض بها الشعراء السابقين ، ثم قال فى صفحة ٥٠٣ : « واذ قد عرفت أن لا سبيل لمعرفة الصناعة الا بكثرة الحفظ ، ورعاية ما نبهناك على رعايته،فقد آن أن نورد لك مايكون مثلا لما ينبغى أن تحصله للحفظ وترديد النظر فيه من قصائد لمشاهير الشعراء ، وينبغى — بحسب نشأة الشعر وما عرض له من التغيير — أن نجعل الشعراء فى ثلاث طبقات : الطبقة الأولى للعرب — جاهلين واسلاميين — من المهلهل الى بشار بن برد ، والثانية للمحدثين الذين كانوا يحرصون على موافقة العرب ، ويجتهدون فى سلوك طرائفهم ، من أبى نواس الى من قبل عبد الرحيم المعروف بالقاضى الفاضل . والثالثة بالشعراء الذين غلب عليهم استعمال النكات والافراط فى مراعاة البديع ، وهم من القاضى الفاضل الى هذا الوقت ... » وخص كل طبقة بقدر من صفحات الكتاب فعرض الطبقة الأولى فى تسع عشرة صفحة ، وقدم الطبقة الثانية فى أربع وأربعين صفحة ،

وتتنـــــاول الثالثـــــة فى عشر صفحات (١) •

وجعل الجهة الثانية التى تمكن الطالب من صناعة الترسل أمـورا كلية يتعين على من يريد الصـناعة أن يتمكن من معرفتها ، وأعتمد فى ذلك على ما نقله من صبح الأعشى فى نحو أربع عشرة صفحة ، منبها الى أنه ليس الغرض من الوقوف عليه اتباعه دون استعمال الذوق ، وانما الأمر يتطلب مراعاة ما يناسب الوقت ويستصوبه أهل العصر •

وجعل الجهة الثالثـة لعـرض طرائف من منشئات أذكياء أهـل الصناعة ، ليستعين بها الطالب على تربية ذهنه ، واختيار ما يرشده فى المذهب الذى يذهب اليه فى تأليف كـلامه ، مبتدئا بكتب المصـطفى صـلى الله عليه وسـلم ، منتهيا بكتب عبد اللـه فكرى ، مارا فى أثناء ذلك بكتب الخلفاء الراشدين وغيرهم مثل الاسكندر وعبد الملك ابن مروان ، وعبد الحميد الكاتب والمعتصم ، وأبى اسحاق الصابى والمقتفى والحـافظ لدين اللـه ، وابن نباتة ، والعماد الأصفهانى ، وتقى الدين أبى بكر بن حجة(٢) •

دكتور : ابراهيم عوضين

---

(١) الوسيلة الادبية جـ٢ ص ٥٠٢ ـ ٥٧٦ •
(٢) المرجع السابق جـ٢ ص ٥٨٩ ـ ٧٠٢ •

طرائف .. ومواقف

إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الفرار الى الله

قالوا فى قوله تعالى : « ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين » فروا الى الله – تعالى – من الشرك الى التوحيد ·

ومن المعصية الى الطاعة ·

ومن الغفلة الى الذكر ·

ومن أبواب الخلق الى باب الخالق ·

الصوفى هو : !!

من صفا من الكدر ، وامتلأ من العبر ، وانقطع الى الله عن البشر ، وتساوى عنده الذهب والمدر ·

الاخوان ثلاثة

أخ كالغذاء تحتاج اليه دائما ٠
وأخ كالدواء تحتاج اليه أحيانا ٠
وأخ كالداء لا تحتاج اليه أبدا ٠

سكينة النفس

سكينة النفس لا تكون بالذكاء ، ولا العلم ، ولا الصحة ، ولا المال ، ولا الشهرة ، لكنها لا تكون الا بالايمان الصادق العميق الذى لا يكدره شك ، ولا يفسده نفاق ٠

وَصيَّة

قال أبو الحسن الشاذلى ــ رضى الله عنه ــ أوصانى خليلى فقال : لا تنقل قدميك الا حيث ترجو ثواب الله ، ولا تجلس الا حيث تأمن ــ غالبا ــ من معصية الله ، ولا تصحب الا من تستعين به على طاعة الله ، ولا تصطفى لنفسك الا من تزداد به يقينا ٠

راحات

راحة الجسم فى قلة الطعام ٠
وراحة النفس فى قلة الآثام ٠
وراحة القلب فى قلة الاهتمام ٠
وراحة اللسان فى قلة الكلام ٠

حقيقة

دع ما يريب وخذ فيما خلقت له
لعل قلبك بالايمان ينتفع
ان الحياة لثوب سوف تخلعه
وكل ثوب اذا ما رث ينخلع

إلاَّ فى خَمس

يقال العجلة من الشيطان الا فى خمس :
اطعام الطعام اذا حضر ضيف ٠
وتجهيز الميت اذا مات ٠
وتزويج البكر اذا أدركت ٠
وقضاء الدين اذا وجب ٠
والتوبة من الذنب اذا أذنب ٠

يحاسب كما يرزق

قيل لعلى بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ :
كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم ؟
فأجاب : كما يرزقهم على كثرة عددهم ٠

من أقوال الحكماء

ان كان شىء فوق الحياة فالصحة ، وان كان شىء مثل الحياة فالغنى ، وان كان شىء فوق الموت فالمرض ، وان كان شىء مثل الموت فالفقر ٠

دعاء

الهى منك تكون النعمة ، وعليك تمامها
وأنت تعين على شكرها ، وعليك ثوابها٠

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من حضارة الإسلام

الفكر الاسلامي بين الاقتراب والاغتراب

للدكتور / محمد كمال جعفر

لا نقصد فى مقالنا هـــذا بالفكر الاسلامى الا ما يشـــمل الميادين الأصـــلية للفـــكر المجرد لـــدى المسلمين وهـــو ما يســـمى أحيانا بالفلســـفة الاســـلامية أو الفكر الفلسفى الاســـلامى أو الفكـــر الفلسفى للمسلمين •

وبتأملنا لميادين هذا الفكر ندرك على الفور أن هذه الامة الاسلامية قد خطت فى هذا السبيل خطوات واسعة لا تقل فيها شأنا عن غيرها من الأمم ، كما انها اعادت صـــوغ حضارة هى أغلى وأسمى ما قدمته أمة لهذا العالم حضارة ظهر فيهـــا دورهـــا وطابعهـــا وخصائصـــها وسماتها ولكنهـــا كذلك حضـــارة لا تجحد ولا تبخس حق من أسهم فيها أو مهد لها أو أعان عليها لأن دينا ينهاها عن « أن تبخس الناس أشياءهم » •

ولذلك أصبحت قضية أصـــالة الفكر الاســـلامى حقيقـــة تفرض نفسها على كل باحث منصف بشرط أن يفهم معنى الأصالة حق الفهم ولمعالجـــة هذه النقطة مقام آخر ان شاء الله •

دعنـــا الآن نتـــأمل ما أثمرتـــه العقلية الاسلامية والعربية فى هذه الميادين الأربعة لنجد بأنفسنا ماذا كان من الضرورى أن تستمر هذه الميادين الأربعة قنوات أو معارض

لتفكير المسلمين تفكيرا فلسفيا أو مجردا •

أما الميدان الأول وهو ميدان أصول الفقه فهو للأسف الشديد ميدان قد خلا من فرسانه حقبة طويله حتى كاد ينساه اهله مع مسيس الحاجة اليه • انه الميدان العقلى الذى يصنف ويصوغ وينظم ويعلل ويفسر القواعد والاحكام والقوانين التى يجب ان يلاحظها المشرع عند ارادته الاستنباط من مصادر التشريع • فهو المنطق الاسلامى المنظم لتفكير الفقهاء والمقننين فى المجتمع. وهو الى جانب ذلك يرزقه القناعة فى نفس الفقيه والمشرع حتى ينطلق الى التطبيق فى وضوح ودقة وضبط • وهو من أجل ذلك ضرورى للفئة المتخصصة التى تكرس عملها للتقنين والتشريع وهو الى جانب ذلك مفيد لهؤلاء الذين يريدون أن يفهموا أسرار هذا التقنين أو ذاك التشريع •

ان مما لاجدال فيه أن فهم مأخذ القانون وعلته وحكمته وفائدته — كل ذلك يعين على تطبيقه واحترامه والحفاظ عليه وهذا من الزم اللوازم فى العصر الحاضر الذى يجنح دائما الى فهم ما يأتى وما يدع بتفسير وشرح مقنعين •

اننى ارجو أن تعاد الحياه وان يستأنف النبض فى هذا الميدان الان ، ويمكن ان نستعين بهذا الجيل الذى كتب له ان تدوم صلته بمصادر التشريع الاساسيه القران والسنه لأن هذه الفئة ستكون اقدر على استيعاب قواعد هذا الميدان ويمكن للنابغين منهم أن يضيفوا أو يعدلوا أو يحذفوا منه ماتفرضه الظروف والوقائع والحوادث ؛ وبذلك يمكن للمجتمع الاسلامى أن يضمن خطوات ثابتة موصلة فى سبيل التطور والتقدم •

اننا يجب ألا نقنع باستشارة أعلام الفقهاء ، بل يجب أن نضع أنفسنا فى موضعهم من حيث فهمهم لتعليل الأحكام واستنباطها وقد علمونا هم أنفسهم أن أقوالهم ان تعارضت مع شىء من صريح

المنقول والمعقول يجب أن تطرح . ويكفى لتشرف هـؤلاء أن يقولـوا ذلك ، اذ أننا نرى كثيراً من رجـال القانون والمشرعين فى الحضـارات الاخرى يبالغون فى الثقه بانفسهم وبقوانينهم التى يصـفونها أحيانا بانها دائمـة لا يعـروها التغير . وسريعا ما تثبت الايام عدم صـحه ادعاتهم .

اما الميدان الثانى فهو علم الكلام أو العقيـدد او التوحيد وهـذا الميدان قد بدات انطلاقات فرسانه من نقاط صحيحه واصيله ولكنهـا سرعان ما انحرفت وانقلبت مرضا فتك فعلا بوحدة الأمـة ونـال من تماسكها .

لقد بدأ ذودا عن العقيدة . وردا للشبهات ، وتفسير لبعض ماغمض من الأفكـار ولـذا نراه فى هـذه المرحلة قـويا ايجابيـا يصـون ولا يبدد .

ولكن الظـروف السـياسية والاقتصـادية والاجتماعيـة التى مرت بهذه الأمة قـد جرفت هـذا العلم الى سـاحات الصراع حتى غلبت السفسـطة والجدل العقيم الـذى بدد طاقـة ووقت الأمـة الاسلامية حقبا طويلة .

وأرى أن واجبنـا الآن هـو التعاون بين مؤسسـات البحث العلمى للدراسات الاسـلامية فى سـبيل استخلاص جوهر الاسس والأفكار الاسـلامية التى يلتقى عليها سائر الفرق الاسـلامية ، تاركين هـذه الجزئيات الخـلافية التى لا تشكل أمرا . حيويا فى حياة هذه الأمة الثقافية أو الدينية ان دعوتى الى تصـفية علم الكلام تصـفية كاملة يدفعنى اليها الرفق بجيلنا المعاصر وبالأجيال اللاحقة التى لن يتحقق لها الرجـوع الى الأصـول أو كتب الفرق ، كما لن يتهيأ لها الـوقت ولا الكفاءة للموازنة والدراسـة والتحليل لكافة الاتجاهات لاتخاذ أنسب الآراء . علينا أن نقـدم لهؤلاء زبدة هذا الفكر ، مركزين على نقطـة هامـة طالما أغفلهـا الدارسون وهو أن انطلاقات سائر الفرق الاسـلامية الأصـيلة انما انبثقت من الأصول الاسـلامية ،

بمعنى أن النصـوص الاسـلاميه هى التى اثارت تفكيرها ، وشغلت بالها حتى اعملوا فيها العقـل . سواء بعـدوا بذلك عن الاصـل أو قربوا .

وفيما يتصـل برد الشـبهات الاحظ متابعـه جيلنـا المعاصر فى ترديد وتكـرار الرد عـلى هـذه الشبهات حتى كثر تردد الشبهات ذاتها مما أكسبها رواجـا لم يكن لها من قبل ، وهذا هو ما كان يطمع اليه اصحاب هذه الشبهات لقد بلغ الامر ببعض مفكرينـا الى حـد الموازنة بين بعض المذاهب الوضعيه وبين الاسـلام مع مـا فى ذلك من خطـأ منهجى وعلمى . اذ أن المقـارنة ينبغى أن تكـون بين متكافئين أو متناظرين . ولا تكافؤ مطلقا بين وحى أملته السـماء ، وبين فكر أنتجه الانسـان اننى أفضل على ذلك ايضاح الأبعـاد الاسـلامية فى ميـدان الفكر وفى غضون المعالجة يمكن الرد عـلى هذه الشبهات التى قد تتعارض مع ما نعرضه من فكر .

ان افاضة النور الاسـلامى فى مظهره الفكرى كفيل بكشف عوار وتهافت هذه الشبهات ، الى جانب انه يزيد من تقويه وتثقيف الفرد المسلم وتبصيره بدينه .

ولا يمـارى عاقل فى أن امتنـا الاسلاميه لا تنتفع بهذا التشقيق والتبـديد والتشـتيت لاهتماماتها وفكرها وتبعيتها لكل هذه الفـرق التى أنشـأت معظمهـا هيئـات أو ظروف سياسـية لم يعـد لها وجود الآن .

خـير من ذلك أن تتفق الأمـة الاسلامية على أصول فكرة ثابتة فى هذا الميـدان ، وأن تدخر بذلك قوتها ووقتها وطاقتها لتسخرها فى ميدان آخر هـو ميـدان البحث العلمى التجـريبى حتـى تزيـل التخلف الذى تعانيه وحتى تلحق بركب الأمم المتحضرة .

أما الميدان الثالث وهـو ميدان الفلسـفة المدرسـية أو التقليدية فيمكن أن ينتقى منـه مـا قـد يستأنس به فى شحذ همة المسلم من الوجهة العقلية ، وما يمكن أن يدرب عليـه المسلم من المنـاظرة

والنقد والتحليل والاستنباط ، وبخاصة النقطه التى تتصل بمدى موافقة أو مخالفة الفلسفة أو الفكر للدين •

وفى ميداننا الرابع والاخير نجد الحياه الروحيه كما ابداها هؤلاء الذين وهبوا أنفسهم لطاعه الله فى وقت أسرع فيه كثيرون الى الاندماج فى الترف والرفاهيه وجرفهم تيار المادة فانساهم أنفسهم وأنساهم رسالتهم ومهمتهم هذا الميدان هو ميدان التصوف وهو الميدان الوحيد الذى يتصافح فيه القول والعمل والنظر والتطبيق والعقل والوجدان والعلم والخلق كل ذلك يظهر لك فى العبارة كما يظهر فى الاشارة ظهوره فى الحياة الفعلية لأعلام التصوف وما يلزمنا فى هذا الميدان هو الجانب الخلقى والنفسى أو الوجدانى الذى يضمن سلامة الذوق ويقظة الضمير وحسن السلوك على المستوى الفردى وعلى المستوى الاجتماعى •

ان الجمع بين ثمرات هذه الميادين الأربعه فى عالم الفكر يقدم لنا زادا أصيلا متكاملا يتبع فينا سائر الكفايات العقليه والوجدانية والخلقية ويضمن لنا تماسكا واتساقا فى أفرادنا وفى مجتمعنا ويحل كثيرا من مشكلاتنا اليومية وأمراضنا الاجتماعية والفردية كالطمع والجشع والحقد والغيرة والتكالب على المادة واهدار كرامة الانسان وغير ذلك من المحاذير التى تردى فيها كثير من الأمم •

وأخيرا فان الجمع بين ثمرات هذه الميادين واستثمارها فى المجتمع يقربنا من الاسلام نصا وروحا ويجنبنا هذا الاغتراب والتغرب الذى يدعو اليه هؤلاء الذين فقدوا جذورهم ، أو لعلهم ضربوها فى أرض غير أرضهم ، وتراث غير تراثهم فاجتثت من فوق الأرض مالها من قرار •

الدكتور / محمد كمال جعفر

الدعوة إلى التضامن لنصرة الأقليات الإسلامية

للدكتور / احمد عمر هاشم

لقد أصبح التضامن الاسلامى ضرورة حتمية ، يفرضها الواقع ، وما تعرضت له الأقليات من اضطهاد ومحاولات الابادة والتصفية واليوم •• ودنيا الناس تشاهد مدا دينيا بعيد المدى وانطلاقا اسلاميا فى كل أرجاء المعمورة •• ثم الى جانب هذا ما أحرزته بلاد الاسلام فى الاغلب — من حرية واستقلال ، ومن اطاحة بالاستعمار •• بعد هذا كله أصبح التضامن الاسلامى صيحة تدوى فى دم كل مسلم ، لاستنقاذ الأقليات المضطهدة ولاستنقاذ المقدسات الاسلامية العزيزة •

ومازال التاريخ والواقع يشهدان بما تعرضت له الأقليات وما أحدثه دعاة الالحاد والسطو والتخريب من تدمير وتغريب فى بعض البلاد الاسلامية •• وما أتت عليه معاول الهدم •• وما تعرضت له المساجد والقائمون فيها •

فمن أظلم من هؤلاء الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ؟ كما قال تعالى : **« ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »** •

ان مخططات أعداء الاسلام بما تنطوى عليه من خبث وعدوان لم تعد بعد خافية على أحد وان مايحدث فى كثير من بلاد الاسلام من اضطهاد وتصفية ، ومن هدم وضياع لاينكره أحد وان مايحدث

من فتن وقلاقل ومايثار من مخاوف ويحاك من مؤامرات كل ذلك وغيره كثير . تكشف عنه الأحداث ساعة بعد أخرى ؛ وهو يشير الى مخالب الصهيونية المسمومة ومعـــاول الالحاد والاستعمار وفى هذا كله ما يدعو العالم الاسلامى اليـوم فى شتى أنحاء الدنيا الى التكاتف والى تضافر القوى وجمع الكلمة ورأب لصدع وتوحيد الصفوف فى ميدان واحد لتنطلق كتائب الايمان تحت راية واحدة وحول كلمة واحدة هى « لا اله الا الله محمد رسول الله »

وتحت راية الاسلام انضـوى رجال أخلصوا النية لله ولرسوله وتخطوا بدعوتهم كل الحواجـز النفسية والمعتقدات الزائفـة .. وهذا الرعيل من المؤمنين الصادقين ساروا خلف رسولهم صلوات الله وسلامه عليه وتحملوا فى سـبيل عقيدتهم كل أذى واضطهاد .

ان هـؤلاء يمثلون النمـــاذج الأولى لقافلة الاسلام فى دورهـا الأول : وفى حياتهم المضـطهدة دروس بالغـة لدعـاة الحـق واتباعه على مر أدوار الحياة انهم يمتحنون فى أموالهم وفى أنفسهم بالقول والعمل وبالصبر والتقـوى وبالعزائم المؤمنة القوية لايكترثون باضطهادهم بل يزدادون ايمـانا مع ايمانهم .. فأهل الحق ودعاته يعملون لدعوتهم باخلاص ويعلمون يقينا ــ أنهم فى سبيلها سيمتحنون ويبتلون فى المال وفى النفس كمـا قال الله سبحانه وتعالى « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتو الكتاب من قبلكم ومن الـذين أشركوا أذى كثـيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور »

وفى عصرنا الحاضر . نشـاهد صورا للمضطهدين بسبب عقيدتهم من الأقليات الاسلامية الـــذين يتعرضون لأنكى مظاهر التعـذيب والاضطهاد وأبشع صـور الابادة والتصفية .

وهذه المشاهد تذكرنا بما حدث للمسلمين الأوائل وكيف كانوا على قلة عددهم لايركنون الى الدعـة ولايستسلمون للهوان يقع عليهـم ولكنهم قاتلوا فى سـبيل الله وجاهدوا باسـم الحـق .. حتى

نصرهم الله ووعدهم بالنعيم المقيم فى الآخرة وبشرهم بنهاية أعدائهم حتى لا يغتر أحد بتقلب الذين كفروا فى البلاد .

قال الله تعالى :

« **فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد** » .

وقد وعد الله تعالى ووعده الحق أولئك الذين ظلموا بأن يبوأهم فى الدنيا حسنة وأن يجعل لهم فى الآخرة أكبر الأجر وما ذاك الابصمودهم وجهادهم ووقوفهم فى وجه الكفر والطغيان وتوكلهم على الله واعتصامهم بدينه .

يقول الله سبحانه وتعالى :

« **والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** » .

والاسلام دائما وأبدا ينادى أتباعه أن يجاهدوا فى سبيل الحق وفى نصرته ، حتى لايستشرى الفساد فى الأرض وحتى لاتتفاقم الأخطار والاضطهادات للمستضعفين من المسلمين . وبين كذلك ــ أنه لولا أن الله تعالى يدفع بقوم عن قوم لأهلك القوى الضعيف وضاعت كل المعالم وقد قضت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يبتلى الناس على مختلف أشكالهم وطبقاتهم فالمستضعفون مبتلون بما هم فيه وغيرهم من الاقوياء مبتلون بموقفهم من الحق وهل يقفون بجانب المستضعفين فى الأرض ؟

ومن الامور المقطوع بها أن الله تعالى قادر على نصرة الاقليات قادر على تحطيم القوى الباغية . ولكن حكمته العالية وارادته النافذة قضت على العباد أن يبذلوا جهدهم فى طاعته ، وفى سبيل عقيدتهم . وليبلوهم حتى يظهر المجاهدون الصامدون ويبلو كذلك أخبارهم . قال الله سبحانه : « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين**

ونبلو أخباركم » وتشرق القوانين الآلهية من كتاب الله لترسم للامة الاسلامية أصول الحياة الجادة ترسمها لهم على السواء للكثيرين منهم وللاقليات للاقوياء وللضعفاء انها أصول ثابتة لا تتغير وقواعد محكمة لا تبديل لها • لمن يكون عون الله ؟ وعمن يدافع الله ؟ ان الله يدافع عن الذين أمنوا نعم دفاع الله يكون عن الذين صانوا دينهم وحققوا أصول الايمان ، واستوعبوا مبادئه وساروا على نهجه واستقاموا على الصراط المستقيم وأخذ واق أسباب الحفاظ على الدين والذود عن حماه وجاهدوا فى سبيل الحق •• والله القادر على نصرهم من غير جهاد• ولكن لابد من الابتلاء ولابد من اظهار الطاعة ليظهر المخلص من غيره وتأخذ العبادات اتجاهها المخلص وجهادها الصامد المنتصر •

وكيف تصان المعالم فى الارض ؟ وتحفظ من الهدم والضياع ؟ بدفاع الناس بعضهم عن بعض وجمع الكلمة ووحدة الصف الاسلامى على مسار الايمان والجهاد •

ولينصرن الله من ينصره فمن دافع عن الدين دافع الله عنه ومن نصر الاسلام عقيدة وعبادة وسلوكا نصره الله تلك الاصول القرآنية المحكمة تجمعها الآيات الكريمة• **«ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور • أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير • الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا • ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز »** •

وبعد فان هذا الذى قدمته بين يدى القارىء المسلم من واجب المسلمين جميعا •• وواجب الاكثرية والاقلية وواجب الحكومات والشعوب انه واجب الكل على السواء بنص القرآن الكريم كما سبق ويبقى واجب الدول الاسلامية خاصة تجاه الاقليات ونصرتهم كما قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذ له ولا يحقره**) روا مسلم

ويقول صلوات الله وسلامه عليه (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة**) ..

رواه مسلم .

وان أحوال المسلمين فى الفلبيين وتايلاند وبورما والصين وروسيا والهند . وما تعانيه الاقليات الاسلامية فى تلك البلاد وفى غيرها من الاكثريات المضطهدة فى تنزانيا وتشاد والحبشة وغيرها يندى لها الجبين انهم يستنجدون بالمسلمين فى شتى أنحاء العالم لاستنقاذهم من حروب الابادة وألوان الفتك والتعذيب ثم ان المسلمين أكثرية فى هذه الدول ..

لقد استباح الطغاة أعداء الاسلام والانسانية أموالهم وكرامتهم ومساجدهم ودور العلم وحولوا تلك المساجد ودور العلم الى أماكن عبث وفساد .

ويقوم اليهود بتدريب المدنيين من الصليبيين فى الفلبين على القتل والاغتيال ويقول العالم الفاضل الشيخ محمد المنتصر الكتانى .

« ويهود فلسطين المحتلة ويهود أمريكا واليهودية العالمية يدربون المدنيين من الصليبيين الفلبيين على القتل والاغتيال الفردى والجماعى وعلى تحريق الفرد والجماعة وهدم البيوت والاحياء على ساكنيها أيقاظا وهم رقود . ومن أفلت منهم يفر بنفسه وتبقى لهم أرض المسلمين خاوية من أهلها فيستولون عليها ثم يجعلون لها صكوكا وملكيات يزعمون فيها أنهم اشتروها من أهلها عن طيب خاطر منذ سنوات . وهؤلاء اليهود الذين يدربون نصارى الفلبيين هم خبراء المخربين اليهود فى فلسطين منذ الانتداب البريطانى والى اليوم ... أ هـ .

هذا الواقع المر يفرض على المسلمين جميعا أن يهبوا عن بكرة أبيهم وأن ينهضوا يدا واحدة لاستنقاذ اخوانهم المسلمين .. والمسلمون يد على من سواهم .

ان على المسلمين اليوم أن يهبوا فى تضامن وتكاتف على شتى بقاعهم وبمختلف جبهاتهم ومواقعهم ومواهبهم وقدراتهم حكومات وشعوبا علماء ومفكرين وكتابا ومتحدثين ، وجنودا وقوادا ، حتى يظهر دين الحق فى تلك البلاد على الدين كله كما قال الله تعالى .

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

هذا ومما يندى له جبين العالم الانسانى ما يحدث فى افغانستان من الشيوعية الملحدة التى تربصت بالاسلام وبكل دعوات الخير والاصلاح على ظهر الارض ، وواجب العالم الاسلامى أن يهب هبة رجل واحد ، وأن ينهض جميع المسلمين عن بكرة أبيهم لانقاذ هذا الشعب المسلم من أيدى الشيوعيين الملحدين وأن ينفقوا من أموالهم وأنفسهم ما أوجبه الله عليهم والا فجميع المسلمين فى جميع أنحاء العالم مقصرون ومسئولون أمام الله ، على ما فرطوا فى حقوق اخوانهم المسلمين والله الهادى الى سواء السبيل ..

دكتور / أحمد عمر هاشم

كتب ـ حمدى الليثى :

يعقد انشاء الله فى الفترة من ٢٠ يونيو ـ ٢٢ يونيو مؤتمر لمناقشة الابحاث المقدمة حول القصور الكلوى وزرع الكلى فى قاعة محمد عبده بجامعة الازهر تحت رعاية الدكتور الطيب النجار مدير الجامعة وبرئاسة الدكتور فاهم عبد الرحيم رئيس قسم المسالك البولية بكلية الطب.

التربية الصوفية

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلى القرنى

— ٣ —

منزلة المربى :

ينظر الصوفية الى المربى نظرة خاصة وينزلونه فى قلوبهم منزلة عليا ، وآدابهم مع شيوخهم مستمدة من آداب الصحابة رضوان الله عليهم مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى القرآن الكريم توجيه الى مراعاة الأدب فى حضرته الشريفة لأنه هو المرشد الأعظم على طريق الخير والسعادة قال تعالى : « **يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم . يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم** » .

يقول الزمخشرى عند تفسير هذه الآيات الكريمة : «لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذى لا يخفى سلك به ذلك المسلك ، وفى هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوه من رفع أصواتهم فوق صوته ، لأن من أحظاه الله بهذه الآثرة واختصه هذا الاختصاص القوى كان أدنى ما يجب له من التهيب والاجلال أن يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه الكلام» .

كما نعى على بنى تميم تجرأهم على مقام النبى صلى الله عليه وسلم ومهاجمتهم بيته منادين له باسمه طالبين منه الخروج اليهم

قائلا فى حقهم: «أن الذين ينادونك من وراء الحجــــرات أكثرهم لا يعقلون» وموجها لهم ولغيرهم «ولو أنهم صــبروا حتى تخـــرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفــور رحيم» •

وهكذا يضــع القـرآن الكريم نموذجا رائعا للأدب الكامل مـــع النبى صـــلى الله عليه وســـلم فى الآيات المتقدمة وفى الآيات التالية أيضا من ســـورة النور « انمـــا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جـامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، أن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنـون بالله ورســوله فاذا اســتأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان اللـــه غفور رحيم ـ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ،قديعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنـــة أو يصيبهم عـــذاب أليم » •

وفى هذه الآيات الكريمة يبين الله سبحانه وتعالى عظيم الجناية التي يرتكبها تارك مجلس رســـول اللـــه صلى الله عليه وسلم بدون اذنه ، ويعطى الرسول الحق فى الاذن لمن شاء منهم على حسب ما يراه ، قال الزمخشرى فى تفسيره « وكـــذلك ينبغى أن يكون الناس مع أئمتهم ومقـــدميهم فى الـــدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم فى نازلة من النوازل ولا يتفرقـــون عنهم ، والأمر فى الاذن مفوض الى الامام ان شاء أذن وان شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه » •

كما نبهت الآيات الكريمـــة الى امتياز رسول الله صلى الله عليـــه وسلم على سواه من الناس فقـــد اصطفاه الله واختاره وأعلى قدره فلابد أن تكون له خصيصة من دون الخلق « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » •

وفى مواضع كثيرة من القرآن الكريم نجد تنبيهات على أهميـــة التزام ما يقضى به النبى صـــلى الله عليه وســـلم واتبـــاع أمره والاقتداء به والالتزام بدعـــوته « فالنبى أولـــى بالمـــؤمنين من

أنفسهم » « من يطـع الرسـول فقد أطاع الله » الى غير ذلك من الآيات التى تدل على هذه المعانى السامية .

ويدور الزمن دورته وينسى كثير من الناس تلك الآداب العالية التى دعـا اليهـا المشرع الأعظم مـع رسوله صلى الله عليـه وسـلم ، وابتعدوا رويدا رويدا عن هـذه التعاليم العظيمة التى كان لها أكبر الأثر فى تخريج القادة من أصحاب المثل العليا ، بل اعتبروا الخروج عليها أمرا هينا وأباحوا فى التربية كثيرا مما كان محظورا ومـا كان يعتبر المساس به أمرا يتنافى مـع المبادىء السليمة والقواعد العامة فى الاصلاح والتهذيب .

فلا بأس الآن أن تترك الحرية الكاملـة لمن يراد تأديبـه حتـى لا يصـيبه ـ كمـا يقـولون ـ التعقيـد ، ولا بـأس أن يمتهن الأستاذ وترفع الكلفـة ويخـاطب بلهجة تنم عن عدم المبالاة ، فاذا أراد المعلم أن يمارس سـلطانه العلمى فى التهذيب والارشاد سمع من يقـول له : اياك والعنف فى معاملة التلاميذ فان ذلك يصرفهم عن العلم ويبعدهم عن الـدرس ويدفعهم الى الانحراف والجهل .

والله يعلم أن التعقيد ما جـاء الا من القاء الحبل على الغـارب وترك التلميذ يسترسل مع هواه فلا يستطيع التحكم بعـد ذلك فى نفسـه ولا يمكنـه كبحهـا عن شـهواتها ، والنفس هى كمـا يصورها البوصيرى فى بردته :

والنفس كالطفل ان تتركه شب على
حب الرضاع وان تفطمـه ينفطم

والانحـراف لم ينشـأ الا من البعد عن الاحترام الكـامل للأب الروحى الذى وهب روحه لعملية التعليم ولم يجن من ورائهـا الا الجحود والنكران فكان كما يصور الشاعر نفسه :

كنت كـأنى ذبـالة نصـبت
تضىء للنـاس وهـى تحترق

أقـول : دار الزمن دورتـه ونسى الناس الآداب السـامية فى علاقتهم بمربيهم ولكن الصـوفية ظلـوا حفيظين عليها ، فهم يكنون لشـيوخهم كل حب واجـلال وينظـرون اليهم نظـرة تقـدير

وتعظيم ، معتبرين اياهم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلابد أن يكون لهم حق الوراثة فى الهيمنة الرفيقة على نفوس مريديهم ، ولا يكون ذلك الا بالمحافظة على تعاليمهم والحرص على ارشاداتهم وعدم الاستهانة بنصائحهم .

ولا يقول قائل أين الشيخ من الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ بل أين هؤلاء الصوفية الأجلاء الذين سعدوا بصحبة الرسول وسمعوا منه وأخذوا عنه واستمتعوا برؤيته واطمأنوا بمشافهته ؟ فما زال أثر الرسول وأصحابه موجودا ، والأولياء خلفاء الأنبياء فى الأرض وحاملو سنته ومقتفو أثره ، والله جل وعلا يقول « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »ويقول « ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم » فالخير موجود واقتفاء السنة باق يحمله خلف عن سلف حتى يطوى الله الارض وما عليها .

يقول العارف بالله أبو عبد الرحمن السلمى فى مقدمة كتابه طبقات الصوفية « أتبع الله سبحانه وتعالى الأنبياء بالأولياء يخلفونهم فى سننتهم ويحملون أمتهم على طريقهم وسمتهم ، فلم يخل وقت من الأوقات من داع اليه بحق أو دال عليه ببيان أو برهان ، وجعلهم طبقات فى كل زمان ، فالولى يخلف الولى باتباع آثاره والاقتداء بسلوكه ، فيتأدب بهم المريدون ويأتسى بهم الموحدون .. قال النبى صلى الله عليه وسلم : خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجىء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينهشهادته، وقال صلى الله عليه وسلم : مثل أمتى كالمطر لايدرى أوله خير أم آخره. فعلم صلى الله عليه وسلم أن آخر أمته لايخلومن أولياء وبدلاءيبينون للامة ظواهر شرائعه وبواطن حقائقه ويحملونهم على آدابهم ومواجبها اما بقول أو بفعل ، فهم

فى الأمم خلفاء الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وهم أرباب حقائق التوحيد والمحدثون واصحاب الفراسات الصادقة والآداب الجميلة والمتتبعون لسنن الرسل صلوات الله عليهم أجمعين الى أن تقوم الساعة ، لذلك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يزال فى أمتى أربعون على خلق ابراهيم عليه السلام اذا جاء الأمر قبضوا »

فالصوفية هم القوم الذين ظلوا محافظين على الآداب العليا التى ورثوها عن النبى صلى الله عليه وسلم وتخلقوا بها وظلوا يحفظون لشيوخهم حقهم المطلوب من التجلة والاحترام ، حتى انهم ليتحرجون أن يخطر فى نفوسهم ما يقدح فى اخلاصهم لهؤلاء الشيوخ ، لانهم يوقنون تماما أن ذلك يتنافى مع مبادىء الاخلاص والصدق ، وهاتان الصفتان هما المدخل الأساسى للطريق الصوفى .

وتسمعهم لذلك يقولون : « اذا جلست مع العلماء فاحفظ لسانك واذا جلست مع الصوفية فاحفظ قلبك » كما نسمع ذا النون المصرى رضى الله عنه يقول « يامعشر المريدين ، من اراد منكم الطريق فليلق العاماء بالجهل والزهاد بالرغبة واهل المعرفة بالصمت » ومعنى لقاء العلماء بالجهل ألا يظهر العلم فى مجالسهم حتى يستفيد من علمهم ، ولقاؤه الزهاد بالرغبة حتى لا يقدح فى حقيقة الخلاصه باظهار زهده أمامهم ، أما لقاء أهل المعرفة بالصمت فلأنه أدرى الناس بحال المريد لفراستهم الصادقة ومكاشفاتهم القلبية المستنيرة .

ومن وصايا أسلم بن يزيد الجهنى لابراهيم بن آدهم : اياك اذا صحبت الأخيار أو حادثت الأبرار أن تغضبهم عليك ، فان الله يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم ، وذلك أن الحكماء هم العلماء وهم الراضون عن الله عز وجل اذا سخط الناس ، وهم جلساء الله غدا بعد النبيين والصديقيين » .

ومن آداب الصوفية التى يفتخرون بها « حفظ حرمات

المشايخ » كما يقــول أبو حفص النيسابورى المتوفى ســنه سبعين ومائتين — وعندهم حســن أدب الظاهر عنوان حسن ادب الباطن استنادا الى الاثر الكريم : لــو خشع قلبه لخشعت جوارحه .

تعظيم الشــيوخ لا ينـــافى حفظ الكرامة : ولا يقدح تعظيم حق الشــيوخ فى حفظ الكــرامه الانسانية ، بل هو تأكيد لها ، لأن ذلك ان دل فانما يدل على حســن الوفاء وكمــال المروءة وهمــا من ألصق الصفات بالعزة والكرامة .

ولا توجد وسيلة تربى قــوة الارادة والعزيمة كالتواضع للعلماء والتــذلل الشريف لهــم ، ومــن الوصــايا الكريمة التى تقــع فى النفوس موقع المــاء البــارد من الصديان هــذه الوصــاة الرائدة « تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والحلم » واذا كانت الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم كما ورد فى الأثر الشريف فان من واجب طالب العلم أن يخفض جناحه لمعلمه .

وحين وصف اللــه المؤمنين فى القرآن الكريم وصفهم بالعزة على الكافرين والتذليل للمؤمنين فقــال « يايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتى الله بقــوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكفرين يجــهدون فى ســبيل اللــه ولا يخافون لومــة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » .

والمقصود بالذل خفض الجناح والتواضع ، وخفض الجناح هــو الذى أمر الله به النبى صلى الله عليــه وســلم فى قــوله تعــالى « وأخفض جناحك للمؤمنين » .

وقد سبق الاشارة فى موضوعات متعددة الى أن التواضع فى حقيقة أمره رفعة وهو حليــة الحــكماء والعلــاء المستنيرين ، وجــاء فى الحديث الكريم لسيد المتواضعين « من تواضع لله رفعه » والواقع يصدق ذلك ، فما من انسان يبوئه اللــه منــزلة فى الدنيــا ويتحقق بالتواضع فيها الا زاده الله رفعــة فى نظر النــاس وعزا فى قلوبهم . وما وسم نفسه بميســـم الكبر الا انحط فى نفوســـهم ووقع من أنظارهم .

فالمتعلم الذى يتواضع لشيخه ومعلمه ويقدره حق قــدره قــد اتصــف باعظم الصفات ووصــل نفسه بكل الاسباب التى تحقق له اقصى درجات الكمال والرفعه •

يحمى أن يكون المربى هو صاحب الفضــل الأول على المتعــلم لانه أنقــذه من ظلمــات الجهـــل الى نور العلم وأخذ بيده من ذل المعصية الى عز الطاعة ، ودله على مواطن الشرف والكرامة ، وصقل نفسه وهذب روحه وأطلعــه على كثير من الحقائق الخــافية المغيبة التى بدونها لا يســاوى الانسان شيئا •

لقد مكنه من سياسة نفسه ومن تمكن من سياسة نفســه أمكنه أن يسوس العالم ، وقد عرفه بنفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه ، وأى شىء أسمى من ذلك ؟

ان الحكمة التى جــرت عــلى لسان الصغير والكبير تقول « من علمنى حرفا صرت له عبدا » وربما سخر البعض من هــذه الحكمة • ولكنها كلمة صادقة ، فالمعروف أن الاحسان يستأسر القــلوب حتى

لقــد عبر الشاعر العربى عن ذلك بقوله :

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانســـان احســـان

وهــذا ابن الرومى الشــــاعر المتفنن يصور كيف اعتقته السيئة التى اقترفها فى حقه من أحســـن اليه أولا من رق الاحسان فيصبح عبدا للاساءة لأنها أحســـنت اليه فيقول :

أعتقتنى سوء ما صنعت من الرق
فيابردهــا كانت عــلى كبــدى
ســـوء قبــلى الى أحــد ••
فصرت عبــدا للســوء فيــك وما
أحسن سوء قبلى الى أحد •

ولاشك أن التربية والتهــذيب ذروة الاحسان فكيف لا يكون لهما هذا الأثر ؟ كيف لا ينطبق عليهما هذا المعنى ؟

واذا كان الأب الــروحى لــه احترامه لأنه السبب الأساسى فى اهداء نعمة الوجود للانسان فهلا يعتبر المعــلم ــ وبخاصــة معلم الشرع والحق والايمان ــ أبا وهو السبب الأساسى فى اهداء نعمــة حقيقة الوجود للانسان ؟ •

سئل الأبهرى المتوفى قرب الثلاثين وثلاثمائة ـ وكان عالما ورعا ـ : ما بال الانسان يحتمل من معلمه مالا يحتمل من أبويه ؟ فقال : لأن أبويه سبب حياته الفانية ومعلمه سبب حياته الباقية، وتصديق ذلك نتلمسه فى الأثر الكريم القائل : أغد عالما أو متعلما و لا تكن فيما بين ذلك فتهلك •

ولقد أوصى الله سبحانه وتعالى الانسان بوالديه احسانا ، ومن حق الأب الروحى أن يكن له الانسان كل محبة واجلال وطاعة وبر وأن يعامله بالحسنى وأن يطيعه فى كل ما يأمره به ولو كان شاقا لأن فى ذلك مصلحته وسعادته ، وصدق الذى يقول :

أقدم أستاذى على نفس والدى
وان نالنى من والدى الفضل والشرف
فذاك مربى الروح والروح جوهر
وهذا مربى الجسم والجسم من صدف

وشتان بين العرض والجوهر ، وما أبعد الفرق بين الجسد والروح ، فاذا كان من واجب مربى الجسد الاكرام فمن أوجب الواجبات اكرام مربى الأرواح ومجلى البصائر • لقد أنصف أمير الشعراء شوقى فى العصر الحديث الذى يوجه الناس الى معرفة حق المعلمين فى قوله :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أرأيت أشرف أو أجل من الذى
يبنى وينشىء أنفسا وعقولا

وما أحق هذه الصيحة بأن تكون فى حق هؤلاء الذين نذروا أنفسهم ينيرون الطريق بأرواحهم الى معرفة الله ويشعلون نار الأشواق اليه حتى يضع المريدون أقدامهم على الطريق الصحيح الى واجب الوجود • بما يبذلونه من علم نافع وعمل مثمر •

يتبع بمشيئة الله وتوفيقه •

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

بقية المنشور صفحة ١٤٤٢

الجامحة ، هو الـــذى يهـــدد الآن هذه المســـيرة ، بأفدح الاخطار • فقد سقطت — للأسف الشديد — ملايين من البشر بين مخالب المادية « الماركسية » الشرسة ، ومــلايين أخرى أمام اغراءات « النفعية » بينمـــا ارتمى البعض فى جحيم « الوجودية » الداعرة الماجنة •

ولابد من القاء بعض الضـــوء على اخطار هذه الاتجاهات المادية، بما يناسب هذه العجالة من القول ، مع اعتقـــادى أنـــه من الـــواجب المقدس أن تبذل الجهود المخلصة ، وتكتب البحـــوث المستفيضـــة من المتخصصين المسلمين لكشف هـــذه الاخطار التى ترمى بشررها وتهدد بنيرانها سلامة المجتمعات البشرية بعامة ، والمجتمعـــات الاســـلامية بخاصة •

د• فؤاد خدرجى العقلى

بقية المنشور صفحة ١٤٣٥

استجابة لدعوة موغلة فى القـــدم ضرع بها صاحب القلب الســـليم ابراهيم ، وقد أشار اليها القرآن الكريم اذ يقول تعالى : (**ربنـــا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنـــا أمة مســـلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رســـولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم**) •

فاذا عادت الرســـالة الى بنى اسماعيل خاتمة لرسالات السماء ، يحمل لواءها محمـــد بن عبـــد الله عليه الصلاة والســـلام فلابد أن تكون قبلتها الكعبة البيت الحرام التى بناها ابراهيم عليه السلام •

وبعد فهـــذه حقيقـــة يجب أن يعرفها أحفاد اسماعيل ، وان كانت لم تغب فى لحظة من اللحظات عن خيال أحفاد اسرائيل • وعلى كلا الحالين فيها عبرة لأولى الالباب •

والله يقول الحق وهـــو يهـــدى السبيل •

دكتور السيد رزق الطويل

العلاقات العامة فى الاسلام وكيفية استخدامها فى الدعوة الاسلامية

للأستاذ / شعبان شمس الخزالى

يرى كثير من المتخصصين أن الدخول الى أية ظاهرة لدراستها هو تعريفها ونحن هنا بصدد عمل دراسة عن العلاقات العامة فى الاسلام وكيفية استخدامها فى الدعوة الاسلامية فى العصر الحديث وفى البداية نطرح تساؤلا تكاد تجيب عليه هذه الدراسة التى نبغى من ورائها أن تبقى راية الاسلام عالية خفاقة فى كل البقاع

ما هى العلاقات العامة ؟ وهل وجد هذا المفهوم فى التاريخ الاسلامى ثم كيف يمكن أن نخطط برنامجا للعلاقات العامة للدعوة الاسلامية فى العصر الحديث ؟

ظهر مفهوم العلاقات العامة الى النور فى الربع الأخير للقرن التاسع عشر حتى أن أحد علماء الاتصال قال : « ان ظروف الربع الأخير من هذا القرن هى فترة مخاض سبقت الميلاد الحقيقى للعلاقات العامة الحديثة ولذلك فانها ابنة شرعية للقرن العشرين » (١) . فقد كانت الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى نضجت خلال السنوات المنصرمة من هذا القرن هى التربة الصالحة التى أنبتت العلاقات العامة الحديثة .

ولكن ما هى العلاقات العامة

---

(١) محمد محمد البادى ، البنيان الاجتماعى للعلاقات العامة (القاهرة : مكتبة الأنجلو ، ١٩٧٨) .

الحديثة فى رأى خبرائها ؟

وأنا هنا أستخدم مصطلح « العلاقات العامة الحديثة » لأننى سوف أثبت أن لها جذورا فى الاسلام يمكن أن يستفيد منها اليوم خبراء العلاقات العامة والقائمين على الدعوة الاسلامية.

فعلم العلاقات العامة « هو العلم الذى يدرس سلوك الأفراد والجماعات دراسة علمية موضوعية بغية تنظيم العلاقات الانسانية على أسس من المحبة والتعاون والوعى » (١) .

من هذا التعريف للعلاقات العامة نخرج أن هذا العلم يدور حول دراسة الفرد والجماعة دراسة دقيقة حتى يمكن بعد ذلك توصيل الرسالة الاعلامية والتى تحوى أفكارا ومعتقدات يبغى الداعية توصيلها الى هذا الجمهور لأن المشكلة التى نعانيها اليوم هى أننا نجهل الكثير عن الرأى العام وهذا ناتج عن ندرة البحوث التى يجب أن نقوم بها لكى نتعرف على رغبات وظروف الحياة التى يعيشها جمهور المستقبلين للرسالة الاعلامية .

ولكن هل وجد مثل هذا التعريف أو التطبيق فى الاسلام ؟

اذا كان خبراء العلاقات العامة اليوم يرون أن أحد وظائفها هو الاعلام وتوصيل الحقائق الى الجمهور فاننا نعود الى الاسلام لنجد أن كلمة « قرآن » نفسها تعنى فى اللغة معنى « الاعلام » أو « التعريف بالشىء » أى التعريف برسالة السماء (٢) .. وهكذا استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تطبيق احدى وظائف العلاقات العامة كأحسن استخدام .

ونمضى فى المقارنة لنجد أن من وظائف العلاقات العامة «البحوث» ومعرفة رأى الجماهير قبل وأثناء

---

(١) ابراهيم امام ، العلاقات العامة والمجتمع (القاهرة : مكتبة الانجلو ، ١٩٦٨) .

(٢) عبد اللطيف حمزة ، الاعلام فى صدر الاسلام (القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٦٥) .

وبعد الرسالة الاعلامية التى نبغى توصيلها اليهم ولنرى ذلك المثال كأحسن ما ينطبق فى عهد الرسول الكريم حيث أرسل « مصعب بن عمير » كأول سفير فى الاسلام الى أهل المدينة قبل أن يهاجر اليها لكى يجس نبض أهلها ويمهد الطريق للقاء الحبيب المصطفى بهم بعد ذلك •

ويرى كثير من الخبراء اليوم أن التقرب الى الجمهور وارضاءه هو أهم العوامل لنجاح أى سياسة مطروحة للمناقشة •

وقد اخترت لهذه النقطة بالذات عصر الخلفاء الراشدين حتى نثبت لمن يتباهون اليوم باكتشافاتهم أن جذور العلاقات العامة نبتت أساسا فى الاسلام فرغبة الجماهير كان لها الخضوع التام والاحترام من قبل خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم •

فها هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه عقب مبايعته بالخلافة يقول « أما بعد فقد وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتمونى على حق فأعينونى وان رأيتمونى على باطل فسددونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم ويقول فى كلمة أخرى « انما أنا متبع ولست بمبتدع فان استقمت فاتبعونى وان زغت فقومونى » •

ففى هاتين الكلمتين للصديق أبو بكر تسليم صريح بمبدأ المسئولية أمام الجماهير وهذه تعتبر أهم الوظائف للعلاقات العامة الحديثة •

ونمضى مع الخلفاء لنجد الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول « انه لم يبلغ حق ذى حق أن يطاع فى معصية الله • انى أعقل الحق من نفسى وأتقدم وابين لكم أمرى فانما أنا رجل منكم وأنا مسئول عن أمانتى وما أنا فيه » وحينما قال رضى الله عنه فى كلمة أخرى « أيها الناس من رأى فى اعوجاجا فليقومه •• فتقدم رجل وقال لورأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا فرد عمر قائلا : الحمد لله ان كان فى أمة عمر من يقوم اعوجاج عمر بحد السيف » •

اليس هذا نوع من الاتصال الشخصى الناجح الذى يتعرف فيه القائم بالاتصال على مدى استجابة الجماهير له وبذلك يستطيع أن يعدل من اخطائه ويجارى المستقبلين للرسالة .

أعتقد أن هذه وسيلة من وسائل انعلاقات العامة بل هى أنجح مما تستخدمه اليوم برامج العلاقات العامة نظرا لأن عنصر الصدق كان اكثر من الآن .

وننتقل الى عثمان بن عفان رضى الله عنه حتى نتعرف على مدى احترامه لرأى الجماهير .. فحينما أخذت طائفة من المسلمين عليه بعض أخطاء فى تصريف شئون المسلمين واسناد الوظائف تظاهرت عليه جموع منهم لمحاسبته على أعماله .. فأذعن رضوان الله عليه لرغبتهم ولم ينكر عليهم هذا الحق وأبدى استعدادا كريما لاصلاح ما عسى أن يكون قد أخطأه التوفيق فى ابرامه وفى هذا يقول « اننى أتوب وأنزع ولا أعود الى ما عابه على المسلمين .. وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من زل فليتب ومن أخطأ فليتب » فأنا أول من اتعظ واستغفر الله مما فعلت وأتوب اليه فاذا نزلت من منبرى فليأتنى اشرافكم فليردنى رأيهم فوالله لئن ردنى الحق عبدا لاذلن ذل العبيد » .

ولعل فى كلمة عثمان عدة قواعد تستخدمها اليوم بحوث العلاقات العامة الحديثة تتلخص فى :

أولا : ــ يقول عثمان بن عفان « لا أعود الى ما عابه على المسلمون » وهذا مبدأ هام واعتراف ضمنى بأهمية الجمهور والذى تركز عليه اليوم وظائف العلاقات العامة وعلوم الاتصال بالجماهير .

ثانيا : ــ رجوع عثمان بن عفان أثناء كلمته الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زل فليتب » فيه نوع من الاعتماد على البراهين والحقائق وهو مايراه اليوم خبراء العلاقات العامة حيث يقولون انه على القائم بالدعوة لتوصيل رسالة اعلامية عليه أن يتوج رسالته بالحقائق التى

لاجدال حولها حتى تصل رسالته الى ذهن المستقبل بنجاح .

ثالثا : ـ فى قول بن عفان « فاذا نزلت من منبرى فليأتنى أشرافكم فليردنى رأيهم » قاعدة أساسية فى الاتصال الحديث وهى محاولة كسب مايسمى « بقادة الرأى » Opinion Leaders

لأن الجماهير دائما تتأثر بهم حينما يستقبلون أية رسالة اعلامية .

وهو ما اكدته بحوث الاتصال الحديثة والتى تقول ان أية رسالة اعلامية تتضمن أفكارا يبغى المرسل توصيلها الى الجمهور .. تمر بمرحلتين واستخدم فى ذلك اصطلاح « تدفق المعلومات على مرحلتين » المرحلة الاولى هى وصول الرسالة الاعلامية للجميع بما فيهم قادة الرأى فى المجتمع والمرحلة الثانية هى كيفية توصيل هذه الرسالة من قادة الرأى ـ والذين يكونون عادة أكثر ثقافة وتعليما بين الناس ـ الى باقى الجمهور المستهدف .

«وكيف نخطط برنامجا للعلاقات العامة للدعوة الاسلامية » ولنصل الآن الى النقطة الرئيسية التى نبغيها من هذه الدراسة كيف نخطط برنامجا اعلاميا عن طريق العلاقات العامة للدعوة الاسلامية يرى كثير من خبراء الاتصال الجماهيرى Mass Communication

أن التخطيط لأى برنامج اعلامى يتلخص فى الرد على تساؤل هام وهو من يقول ماذا ولمن وبأية وسيلة ؟

من هذا التساؤل يمكن أن نعرض الخطة التى نحن بصددها فمن ؟ المقصود بها من الذى تتوافر فيه الشروط الواجبة لكى يقوم بالدعوة وتوصيل رسالته الى الجمهور بنجاح ويعتبر القائم بالدعوة والتى يطلق عليه الاعلاميون « القائم بالاتصال » «Communicator»

هو أهم شىء فى العملية الاتصاليه ويجب أن تتوفر فيه عدة صفات .

أولا : ـ التفهم التام لرسالته والاقتناع بها ومعرفة الآراء المعارضة وخاصة ما يعرف اليوم بأصحاب الأيديولوجيات من ماركسيين وغيرهم وتفنيد هذه الاراء والرد عليها ردا يعتمد على

الحقائق والأقوال التى لاتقبل المحاورة والجدل حتى يمكن اقناع الجمهور وابعاده عن الآراء المغرضة •

ثانيا : ـ الفهم التام لطبيعة الجمهور ونظامه ولغته ولعل من الملاحظ أن الدارسين الوافدين من البلاد الاسلامية يأخذون علينا كدعاة من الأزهر عدم معرفة اللغة المحلية لأهالى البلد مما يؤدى الى تباعد الأفكار بين المرسل للرسالة الاعلامية الاسلامية وبين المستقبلين •

ثالثا : ـ أن تكون هناك خبرة مشتركة بين الداعية وبين جمهور المستقبلين لرسالته ويسميها الاعلاميون « بالاطار الدلالى » أى أنه لابد للداعية أن يعرف تماما المستوى العام للمستقبلين وكذلك على المستقبلين أن يعرفوا هدف الداعية لانه كلما زادت هذه الخبرة ووضحت كلما ازداد الاقتناع بالرسالة الاعلامية لان الرسالة الاعلامية وخاصة المتعلقة بالجانب الدينى ليست بالبساطة التى قد تبدو عليها ظاهريا فكثير من المعانى تكمن خارج الكلمات المنطوقة وطريقة النطق والحركات التى يقوم بها الفرد حينما يتحدث تعطى مدلولات أو معانى قد تختلف أو حتى تتناقض مع ما يقوله من كلمات •• لذلك يجب الحرص الشديد أثناء القاء أو توصيل هذه الرسالة •

هذا عن القائم بالرسالة الاعلامية ؟

أما الجانب الثانى فهو ماذا يقول ؟ ونعنى بها « المادة التى يبغى توصيلها» فالدعوة الاسلامية لاشك أنها تتسم على مر التاريخ بالصدق ولعل عنصر الصدق هو من أهم العناصر التى يركز عليها علماء الاتصال الجماهيرى •

لكن هناك ملاحظات يجب أن تؤخذ فى الاعتبار حينما نعد برنامجا دينيا معينا وهى •

أولا : ـ أن تتماشى هذه الرسالة مع ثقافة الجمهور أى يجب أن لا نستخدم الاساليب اللغوية الصعبة فى مجتمع لايفهم ذلك ولعل هذه الملحوظة تؤخذ على بعض الدعاة وخاصة فى المناطق

التى تحتاج الى تفسير وتوصيل المادة الاعلامية وسهولتها •

ثانيا : ـ أن نركز على ما يعرف « بالأوتار الاعلامية media appeal وهى أن ننظر الى المجتمع المستهدف نظرة شمولية •• فاذا كنا نوجه دعوتنا الاسلامية الى مجتمع شيوعى علينا الا نبدأ بانتقاد الشيوعيين ولكن نستغل امتهان الانسان وكرامته ونصف العلاج عن طريق الاسلام لان هذه المجتمعات قد تشبعت بفلسفتها من كثرة التوجيه الاعلامى والدعائى الذى تتعرض له من وسائل الاعلام فى هذه البلاد •• ويخطىء من يظن أن انتقاد النظام وفلسفته كبداية للدعوة هناك سيكون مكللا بالنجاح •• ولكن علينا كدعاة للاسلام لكى نخطط لحملة اعلامية سليمة أن نستعرض سماحة الاسلام وكيفية معالجته للقضايا وكيف كانت الرسالة المحمدية رسالة دين روحانية وفى نفس الوقت كانت رسالة دنيا أعطت للحياة الانسانية حقها وأهميتها من هنا نخرج الى أن المستقبل لرسالتنا سوف يعقد على الفور المقارنة بين مايعيشه وبين ما يتلقاه •

وليكن واضحا فى أذهاننا كدعاة للاسلام أن الجمهور المستقبل للدعوة فى القرن العشرين يختلف تماما عن جمهور القرون الغابرة•• وذلك لأن هذا العصر قد شهد ثورة كبيرة فى وسائل الاتصال الجماهيرى حتى أصبح على حد تعبير أحد الخبراء « قرية عالمية » Global village وقد صاحب هذا التقدم الاتصالى أن الفرد أصبح يتعرض للعديد من الرسائل الاعلامية والدعائية والتى لها أهداف متباينة •• وأصبح الفرد يعيش فى دوامة من كثرة هذه الرسائل وكذا كثرة الأغراض التى ترمى اليها والتى عادة ماتكون للترويج لفلسفة مادية أو لشهوات رخيصة يبغى صاحبها الثروة والمال بأية طريقة •

وكذا فعلينا كدعاة للاسلام أن نضع هذه الأشياء كمعوقات لنا وعليه فيجب أن نخطط مسبقا بأبحاث قبلية علي الجماهير

للتعرف على الأوتار التى يمكن أن نضرب عليها ونحن نقوم بالاتصال بهم ونمضى مع النقطة الاخيرة فى التخطيط للدعوة وهى « اختيار الوسيلة المناسبة » يرى الكثير من خبراء الاتصال الجماهيرى أن هناك وسائل تصلح لجمهور دون الآخر •• ولتفسير ذلك نقول أننا يجب أن نضع فى اعتبارنا أن جمهور المثقفين مثلا يمكن أن نخاطبهم عن طريق الصحف والجرائد ولكن « جمهور العامة » هل يجوز أن نخاطبهم عن طريق نفس الوسائل الواقع يقول لا ولكن هناك وسائل تصلح لهم منها الاذاعة بشقيها الراديو والتليفزيون وذلك لاستخدام الكلمة والصورة فيهما مما يبسط الفكرة التى تحويها الرسالة •• وكذلك الخطة وهى من وسائل الاعلام الناجحة والتى أعطى لها المتخصصون الأهمية عن وسائل الاعلام الاخرى •

ويعللون ذلك بأنها نوع من **الاتصال الشخصى** Personal Common وفيه تتم المواجهة بين القائم بالاتصال وبين جمهوره مباشرة face to face حيث يستطيع الداعية أن يصحح بعض المفاهيم ويبسط بعض الكلمات من خلال احساسه بمدى فهم الجمهور الذى أمامه وهذا يختلف تماما عن الداعية فى الوسائل الاخرى حيث لايعرف مدى استجابة جمهوره الا بعد اجراء بحث بعد ذلك •

بهذا نكون قد وضعنا صورة مبسطة لكيفية توظيف العلاقات العامة فى الدعوة الاسلامية •• والله نسأل أن يوفقنا الى خدمة الاسلام والمسلمين •

شعبان شمس الخرادلى

الأزهر في جزر بعيدة

للأستاذ / اسماعيل عبده الشال

لو تطلع المسلم الى خريطة هذا الشرق البعيد .. حيث تنتشر عدة آلاف جزيرة على صفحة المحيط الهادى .. والتى تشكل جمهورية الفيلبين ـ والتى يعتبر المسلمون فيها أقلية .. مع أنهم أكثرية مسلمة يوم كانت جزر الفيليبين مملكة اسلامية كبرى .. يحكمها ملك مسلم .. هو الملك « لابولايو » الذى حارب الرحالة « ماجلان » عند وصوله الى هذه الجزر بحثا عن التوابل والبهار .. وتظاهرا بالبحث عن طريق جديد للتجارة مع الهند .. وأملا فى تغيير الوجه الاسلامى لهذه الجزر (١) .

ولا أبالغ ان قلت أننى حينما كنت أستعد للسفر الى هذه الجزر عام ١٩٦٢ م فى أول بعثة من الأزهر الشريف الى جزر الفيلبين .. وشاء الله أن أصحب أول أسرة مصرية الى هذه الجزر البعيدة .. لنعيش مع تاريخ شعبها المسلم . الذى التقى بفضيلة الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر .. وطلبوا منه فى زيارته للمناطق الاسلامية أن يرسل مبعوثين ومعلمين لتعليم اللغة والدين ـ لا أبالغ ان قلت أننى قبيل سفرى لم أكن أعرف أين موقع

---

(١) اثبت البحث العلمى ان الغرض من هذه الكشوف الجغرافية هو تطويق العالم الاسلامى انظر : « الكشوف الجغرافية . حقيقتها ودوافعها » و « الاسلام والغرب والمستقبل . أرنولد توينبى » .

الفلپين
لوزون
باناى
بلوان
سيبو
بحر صولو
مندناو
خليج مورو
بحر سليبس
بورنيو
الباسفيك

جزر الفيلبين بالنسبة لخريطة العالم » ؟؟

ويوم أن وصلت الى العاصمة مانيلا سنة ١٩٦٢ •• وعرفت أن هناك سبعة آلاف جزيرة •• تكون هذه الجمهورية فى الشرق البعيد •• والتى يسعى المسلمون فى قسمها الجنوبى •• فى جزيرة ميندانو – كبرى الجزر الفيليبينية الى الحصول على الاستقلال الذاتى •• ليعيشوا فى حرية •• وسلام •• وأمن •• وليعبدوا ربهم فى مساجدهم الكثيرة المنتشرة •• وليعلموا أبناءهم عقيدة الاسلام التى توارثوها •• والتى يتمسكون بها رغم توارد الاستعمار الاسبانى ثم اليابانى ثم الامريكى •• ورغم تسلط الاستعمار الاجنبى والتحول الى أكبر قاعدة أمريكية فى الشرق •• الا أن المسلمين لايزالون يعبدون ربهم •• ويعلمون أبناءهم فى المدارس الاسلامية الفقيرة والكثيرة والتى تعتبر خاصة بهم ، لا تتبع للاشراف الحكومى – والتى خرجت زعماء جبهة التحرير أمثال (نور مسوارى) فى أقصى الجنوب من جزيرة صولو ، و (سلامات هاشم) من أواسط جزيرة ميندانو •• من مدينة (كوتباتو) وقد تسمت ثورتهم الاسلامية باسم « جبهة تحرير مورو •• » •

واليوم •• لو نظر الانسان الى خريطة الشرق الأقصى •• والى الجزر الكثيرة المتداخلة ، والمتشابهة ، فى هذا الجنوب •• حيث الجزر الاندونيسية ، والفيليبينية ، والماليزية والتى يقال انها كانت يوما ما •• أمة واحدة •• مسلمة تعبد ربا واحدا •• وتسير على تعاليم الاسلام الحنيف •• ولذا كنت أرى التشابه كبيرا بين سكان هذه الجزر – وكانت القوميات تختلط فى عينى اذا التقيت قبيل سفرى الى هذه الجزر بطالب ماليزى •• أو فيليبينى •• أو اندونيسى – فعلم الجغرافيا عندهم يقول : – ان جزر منطقة الشرق الاقصى كانت أرضا واحدة •• وتحت تأثير الزلازل والبراكين •• صارت الى ما هى عليه الان •• سبعة آلاف

جـزيرة لدولة الفيلبين •• وثلاثة آلاف جزيرة لدولة أندونيسيا •• وعـددا من الجزر لماليزيا وتيلاند •• غير أن نور الاسلام ــ والحمد لله ــ لايزال يشع فى أرجاء هذه الجزر ، برغم تفتتها •• وتعددها •• وتغير قومياتها •

ــ موقع هذه الجزر ــ

تقـع هـذه الجـزر ــ جـزر الفيلبين ــ فى جنوب شرق آسـيا •• وكانت تسمى سـابقا •• جزر الهنـد الشرقية •• وتعتبر جزر الفيلبين فى جنوب كل من اليابان •• والصـين •• وشرق كـل من ماليزيا وسنغافورة وتيلاند •• وفى شمال بعض الجزر الاندونيسية•• ولا عجب فى أن يشترك سـكان المنطقة •• بما فيهم شعب اليابان •• فى كثير من العادات والطبـائع الموروثة ــ وكذا الصفات والملامح الجسدية •• فترى الشعر الاسود اللامع المسترسل والعيون الصغيرة المسـتديرة السوداء بأهدابها التى تميل مسـتقيمة الى أسـفل •• والملابس الزاهية المتعددة الالوان •• والتى تتناسـب مع ما على الارض من ألوان الزهور والورود، وكل هذا يؤيد الوحـدة فى الجنس بين سكان وشعوب مناطق جنوب شرق آسيا •

ــ مناخ جزر الفيلبين ــ

تعتبر جزر الفيلبين •• كلها •• منطقة زلازل وبراكين •• وكثيرا ما يشاهد الزائر لهذه المناطق آثار الزلازل التى كانت تغير خريطـة المنطقة باسـتمرار •• ورغم أن جزر الفيلبين تقع فى المنطقـة الاستوائية شـديدة الحرارة ــ الا أن ارتفاع بعض المناطـق الى عدة آلاف الأقدام عن مسـتوى سـطح البحر ، يجعل الجو خريفا دائما وممطرا فى أغلب شـهور العام •• تشـاهد ذلك فى المنطقة الاسـلامية فى محـافظتى لاناو الشمالى ولاناو الجنوبى ــ لاناو ديلنورتى •• ولاناو ديلسـور ــ غير أن بعض المناطق الاسـلامية الأخرى فى جزيرة مينـدانو •• تعتبر حارة لانخفاض أرضـها عن مسـتوى ذلك •• كما فى محافظة

ـ كوتباتو ـ التى بدأت منها الشرارة الأولى لحركة الثورة الاسلامية التى تطالب بالحكم الذاتى •• والتى تحملت القسط الأكبر من الخراب والدمار على أيدى المتعصبين من الصليبيين الذين يسعون لمحو الأغلبية الاسلامية فى الجزيرة المسلمة ميندانو ••

ـ صلة الفيلبين بالجزر المجاورة ـ

لو نظر الانسان الى حقيقة التشابه الكبير •• بين سكان دول المنطقة ـ منطقة جنوب شرق آسيا ـ لأدرك من أول وهلة •• أن هناك صلة وثيقة بين شعوب هذه الجزر •• وحقيقة يذكر التاريخ •• أنه كان هناك ما يشبه أرضا متصلة •• عن طريق جسور أرضية تصل كلا من جزر الفيليبين •• بأندونيسيا والملايو وتيلاند •• وسنغافورة •• منذ آلاف السنين قبل ميلاد المسيح عليه السلام ـ وقد قيل أن هذه الجزر كانت مرتبطة كما قلت آنفا ـ بجسور من الثلوج الكثيفة •• وكان السكان يستخدمون هذه الطرق فى تنقلاتهم بين هذه الجزر طلبا للرزق • وبمرور الزمن •• وتحت تأثير العوامل الجوية •• والزلازل الأرضية ذابت هذه الجسور •• وتحركت وانفصلت •• وأصبحت بهذا الشكل الحالى •• **أمما مختلفة •• ودولا متفرقة •• ولما أشرقت شمس الاسلام الحنيف على أرض الملايو (ماليزيا) حينما وصل الرحالة العرب اليها أولا •• بدأ نور الاسلام يشع على جزر الفيلبين المجاورة عقب الفتح الاسلامى للهند والصين ـ وأصبحت الفيلبين يوما ما مملكة اسلامية كبرى كانت تسمى وقتذاك ـ الملايو العظمى ـ •**

ـ الثقافة واللغة فى جزر الفيلبين ـ

نظرا لاتساع رقعة الارض الفيليبينية وتعدد جزرها التى بلغت سبعة آلاف جزيرة •• ازداد عدد اللغات المحلية الى أكثر من أربعة

وسبعين لغة •• بالاضافة الى اللغة الرسمية الحكومية ـ تجالج ـ واللغة العربية عند المسلمين واللغة الانجليزية عند المسيحيين والصينية عند الصينيين ، وكل هذه اللغات جاءت عقب رحلات العرب والهنود وسكان الملايو •• واندونيسيا •• والصين •• ثم استعمار أسبانيا وبعده اليابان وكذا الوجود الاميريكى الذى حول الفيلبين الى أكبر قاعدة بحرية أمريكية فى الشرق •• وقد توطن كثيرون من أصحاب هذه الجاليات الاجنبية وعاشوا واختلطوا بسكان هذه الجزر وكونوا معهم شعبا واحدا يتكلم لغات متعددة •• وأصبحت الأمة الفيلبينة تتكون من هذه الجنسيات التى انصهرت فى شعب واحد •• أعقب الاستعمار الثلاثى الذى جعل المسلمين ينكمشون فى جنوب بلادهم فى جزيرة ميندانو التى استبسلوا فى الدفاع عنها وسطروا آلاف البطولات للتمسك بها كجزء أخير من دولتهم الاسلامية الاولى ـ الملايو العظمى ـ •

ولا عجب •• أن نرى لغة التخاطب بين سكان المناطق الاسلامية بعد لغاتهم المحلية •• هى اللغة العربية •• لغة اسلامهم ـ وثقافتهم ـ وتاريخهم •• والتى يستخدمونها فى صلواتهم وقراءتهم للقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف •• والتى تكون فى افتتاحيات خطب الجمع فى مساجدهم •• ولايزال بعض المسلمين يستعمل الحروف العربية فى اللغات المحلية •• بمثل ما يوجد فى لغة لاناو •• ولغة المسلمين فى صولو وزمبوانجا •• اللغات الراناوية والتاوسوج •• أما غير المسلمين •• فيستعملون مع لغتهم الوطنية « تجالج » اللغة الانجليزية ـ وكل لغة تتبعها ثقافة خاصة بها ـ وتحرص الحكومة الفيلبينية على أن تربط الجزر بلغة واحدة رسمية هى (تجالج) غير أن انتشار المدارس الاسلامية والمسيحية التبشيرية والصينية والهندية •• كل هذا زاد من تعدد اللغات والثقافات •

الا أن المدارس التبشيرية فى الفيلبين ـ والتى تتكاثر فى المنطقة

الاسلامية ــ قد كشفت عن وجهها •• وجاهرت بما نتصده من ثقافتها الخاصــة التى تريد بها أن تخرج المســـلمين عن دينهم وثقافتهم وصلتهم بالاسلام وأرضه •

ورغم ذلك •• صــمدت المناطق الاسلامية للغزو الفكرى ، وزادت من أعداد المدارس الاســلامية ــ برغم فقرها ونقص الرعاية فيها ــ للمحافظة على ميراث الاســلام الذى ينير جزر الجنوب فى جمهورية الفلبين فانقلب هــذا الحقــد الى حرب استئصال للوجود الاسلامى فى ميزان غير متكافىء •• بين أغلبية تملــك المـــال والســـلاح وبين أقلية مسلمة فقيرة لا يســمع عنها العالم الخارجى الا ما يصــل فى صيحات استغاثة ونجدة لشعب يتمسك بدينه وأرضـــه فى جزيرة ــ ميندانو ــ ويتعرض لضــغط التبشير والتنصير والقهر •• وقد ولد الضغط انفجار ثورة اســلامية هبت لنجدة الشعب المســـلم •• ورفعت ســـلاحها لتحفظ ميراث الاسلام •• الذى تقلص فى جزيرة واحدة من بين سبعة آلاف جزيرة •• تلك هى جزيرة مينـــدانو •• التى أنجبت الزعيم الأول لجبهــة تحرير مورو ، (نور مســوارى) خريج المدرسة الاسلامية فى صولو •• وكذا زعيم الجبهـــة الحالى سلامات هاشم) خريج المدرسة الاسلامية فى محافظة كوتباتو •• وابن الازهر الشريف بالقاهرة •

تحية لشعب الفيليبين المسلم •• وتقديرا لجهاده من الازهر الشريف وعلى صفحات مجلة الازهر الشريف •• وبقلم جنــدى من جنــوده ، وأملا فى صـــمود المســلمين فى الجزيرة المسلمة الوحيدة ميندانو ــ والله متم نوره ولو كـــــره الكافرون ــ •

اسماعيل عبده الشال

شخصية في سطور

بقلم سعيد عبد الحي

ابن خلدون

* هو : أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد بن محمد بن خلدون الفيلسوف العربى .

* ولد سنة ٧٣٢هـ ويعتبر من أعلام القرن الثامن الهجرى وينتمى الى أعرق الاصول اليمانية

* شب وترعرع فى تونس وتلقى العلوم المعروفة فى عصره ثم هاجر من تونس خوفا من الوباء الذى تفشى فيها .

* رحل الى المغرب وهناك شرع فى التنقل من مكان الى مكان ومن بلد الى بلد .

* استدعاه السلطان أبو عنان المرينى صاحب (تلمسان) الى مدينة فاس سنة ٧٥٥ وكان عمره حينئذ ٢٣ عاما وأكرم وفادته وعينه كاتبا له ومنحه أرفع الرتب مما ثار الحسد فى نفوس أقرانه واتهموه بالتآمر على السلطان وصدق السلطان هذا الزعم فأمر بادخاله السجن وظل به الى أن توفى السلطان سنة ٧٥٩ هـ

* سافر الى الاندلس سنة ٧٦٤ هـ وهناك قصد غرناطة واستضافه السلطان أبو عبد الله وبالغ فى حفاوته وأعد له دارا فى أعلى قصوره .

* سافر الى مدينة قشتالة فى سنة ٧٦٥ وتوسط فى عقد الصلح بين حاكمها وبين ملوك العدوة وأهداه حاكم قشتاله بغلة بلجام من ذهب فلما رجع الى غرناطة أهدى البغلة ولجامها الى السلطان أبو عبد الله فأنزله على الرحب

والسعة وأقطعه بلدا صغيرا وصار بذلك من الامراء الملتزمين .

* تولى رياسة الحكومة فى عهد الامير عبد الله أمير دولة بجاية بالمغرب .

* وعندما تولى السلطان عبد العزيز على (تلمسان) استدعى ابن خلدون وأمره بنشر الدعوة له بين القبائل فقام بهذا العمل فى همة ونشاط .

* استقر فى تلمسان وأقام فيها مع أهله وولده وأنزله السلطان عبد العزيز فأقام بها أربعة أعوام وفى أثناء ذلك شرع فى تأليف كتابه العبر وانتهى من كتابة مقدمته لاول مرة فى منتصف عام ٧٧٩هـ واستغرق فى كتابتها خمسة أشهر وله مؤلفات كثيرة لا يتسع المقام لذكرها فى هذه السطور الوجيزة .

* عكف ابن خلدون على كتابة مؤلفه حتى أتم منه النسخة الاولى ورفعها الى السلطان أبى العباس سنة ٣٨٤ هـ وكتب فيها تاريخ البربر وتاريخ العرب قبل الاسلام وبعده وتاريخ الدول الاسلامية الاخرى وتاريخ الدول المغربية فى عصره .

* عاش فترة من الوقت فى تونس ثم نزح الى القاهرة وسافر الى الاسكندرية ثم عاد الى القاهرة .

* قام بالتدريس فى الازهر ووصل خبره الى السلطان برقوق سلطان مصر حينذاك فقربه وأكرمه وولاه قضاء المالكية سنة ٧٨٦هـ فقام بعمل القضاء خير قيام واشتهر أمره عالما وقاضيا ومدرسا ومؤرخا وأديبا .

* ظل مقيما بمصر الى أن توفى ودفن بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ رحمه الله ونفعنا بعلمه .

سعيد عبد الحى

قالت الصّحف

إعداد عاطف زهران

الوجه الآخر فى قضية تنظيم النسل

كتب الأستاذ / ظفر الاسلام خان مقالا بمجلة المختار الاسلامى — جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ — تحت هذا العنوان قال فيه :

تصر دول الغرب ومؤسساته المالية بعناد غريب على أن الانفجار السكانى هو مشكلة المشكلات التى يواجهها العالم الثالث (وهو فى غالبيته العالم الاسلامى) وهى تطالبنا بالعمل الجاد للقضاء على هذه الظاهرة المرضية كشرط أساسى للحصول على المعونات والقروض ••

ومنذ عدة أشهر قالت احدى الدراسات البريطانية :

ان ما ينفقه البريطانيون على كلابهم وقططهم فى السنة الواحدة يكفى لاطعام شعوب الساحل الافريقى كلها — المهددة بالمجاعة — لمدة أربع سنوات كاملة ••

وفى ذات الوقت نجد أن هذه الدول — فى الغرب — مهتمة بزيادة نسلها غاية الاهتمام • وهى تقدم العلاوت والامتيازات المالية لكل أسرة تسهم فى هذا المجال الحيوى ••

ففى بريطانيا مثلا — والى جانب الاجازة المجانية الطويلة والعلاوة التى تحصل عليها الأمهات — فان كل مولود بدون استثناء يحصل على علاوة طفولة تستمر الى أن يتخرج من المدرسة الثانوية تبلغ أكثر من أربعة

جنيهات فى الأسبوع الواحد • لكل طفل وبدون حد أقصى للاطفـال • كما يتمتع الاطفال حتى السـنة السادسة عشرة من عمرهم بالعلاج المجانى بكافة أنواعـه ، وكـذلك الأمر بالنسبة للتعليم •

أما المـانيا وفرنسـا فتتقدمان تشـجيعا أكبر بكثير وفى روسـيا يقدمون الأوسمة لمن ينجبب أكثر • ان دول الغرب يلا استثناء قلقة أزاء تناقص نسـلها • وهى تعتبر مواطنيها ثروة أكبر من آية ثروة مادية •

ان روسيا التى كانت أول دولة تبيح الاجهاض وتشجعه لتدفـع أكبر قدر من النساء الى العمل فى المصانع والمزارع الحكومية • هى بذاتها تدعو نسـاءها ــ وحتى البنات الحـوامل بدون زواج ــ لعدم اللجوء الى الاجهـاض ــ الآن ــ وذلك لأن الرفاق اكتشفوا أن الأمومة سعادة تفوق سـعادة الزواج نفسه •

***

التراث بين السلف والخلف

كتب الأسـتاذ / عبـد اللـه حمد الحقيل مقـالا تحت هـذا العنوان بمجلة الدارة السـعودية فى عددها الصـادر فى جمـادى الثانى سنة ١٤٠١ هـ قال فيه :

لقـد أقبـلت الأمم الأوربيـة القوية تتنافس فى تعـلم علـوم العرب ، وكشف آثارهم • واحياء آدابهم ، وطبع كتبهم •

ان تراثنا الاسلامى يحفل بصفحات مشرقة ناصـعة • ولقـد واجهت الأمة الاسـلامية عبر عصـور تحديات عنيفة • وقـد اشرأبت أعناق الحاسـدين والطامعـين • وسعوا جاهدين الى اخماد جذوة الايمان بـكل ما فى جعبتهـم من ألوان الأذى والكراهيـة والعنف واحراق الكثير من المآثر والمعارف والذخـائر فى بغـداد والأندلس وغيرها • بيد أن ذلك كله لم يطفىء اشـعاع الثقافة الاسـلامية فى النفوس • فبعد سقوط الأندلس ظل المسلمون يتسترون باسلامهم • يصلون فى الكنيسة ويقرأون سرا

سورة « **قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون ..** » .

ورغم محاربة الكنيسة لهم ، لم تتقوض الثقافة الاسلامية الأندلسية وبقيت أسماء العلماء والمفكرين الاندلسيين رغم حقد ومقاومة المتعصبين المسيحيين . ومن يطالع التاريخ يدرك ذلك . وكيف تقاسم الغزاة خزائن مكتبات العلماء المسلمين . !!

وما تزال المكتبات الأوربية اليوم تمتلك رصيدا كبيرا من كتب التراث الاسلامى . فى النمسا وبرلين وجامعة هامبورج وهولندا وبريطانيا وفرنسا وغيرها . من المخطوطات والوثائق والكتب التى تركها أسلافنا وتسابق الاجانب على الاحتفاظ بها فى خزائن مكتباتهم .

ومن الخير أن نكون أولى منهم وأجدر بالوفاء لتراثنا وما خلفه أسلافنا . والوفاء من الصفات الأصيلة الكريمة .

ان قضية الاهتمام بتراثنا والعمل على احيائه هى فى جوهرها قضية وجود ومصير . بما تكشف عن حقيقة ذاتنا وآماد طاقاتنا . وما تضيىء لنا من معالم الطريق وآفاق الطموح .

***

دعوة تقدمية

تحت هذا العنوان كتبت مجلة (روز اليوسف) مقالا للأستاذ محمود التهامى فى العدد الصادر يوم ١٣ أبريل سنة ١٩٨١ م قالت فيه :

هل يتعارض الدين حقيقة مع التقدم ؟

لم يرفض الفكر الاسلامى التقدمية . ولكنه يضع حدودا تحمى التراث والقيم الحضارية التى أرستها شرائع السماء .. يرفض الفكر الاسلامى التقدمية بمعنى تقليد الافكار والنظريات الغربية (١) على مجتمعاتنا القائمة على أصول تخالف عقائدنا وأخلاقنا .

---

١ — ونحن نضيف الى راى الكاتب ان الفكر الاسلامى يرفض التبعية ايضا للافكار والنظريات الشرقية .

الفكر الاسلامى يقبل التقدم العلمى والتكنولوجى • فمن الضرورى أن نساير العصر •• والعلم لا وطن له • فهو حق البشرية كلها • وللمسلمين ولغيرهم الحق فى الاستفادة من انجازاته • ولكنه يرفض التقدمية بمعنى الانحراف عن أخلاقيات مجتمعنا والانزلاق الى المادية والأفكار المستوردة بدعوى مسايرة العصر ومتطلبات الحياة الحديثة •

التقدمية فى الاسلام أن نجتهد لنبسط أحكام الشريعة لتغطى متطلبات العصر • لا أن ننسلخ عنها لننزلق مع وهم كبير اسمه المادية العصرية •

لقد آن الأوان لمواكبة النهضة العلمية والاقتصادية والتكنولوجية التى نمر بها الآن • أن نولى أمر الدين وتعاليمه ووسائله قدرا من الاهتمام • بالأسلوب الذى يجذب العقول والنفوس • وبالمنهج الصحيح فى الدعوة والاقناع • حتى لا يتوه الجانب الروحى من الانسان فى خضم التطور •

***

عاطف زهران

الفتـــاوى

إعداد الأستاذ عبد الحميد شاهين

وتجيب عليها لجنة الفتوى بالازهر

جاءنا من المواطـــن / م • ع • الكبير السؤال التالى :

س : يقـــول بعض النـــاس ان مراجعة سيدنا موسى لسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام ليلة الاسراء والمعـــراج من الاسرائيليـــات فما الحكم ؟

ج : مراجعة سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جاءت فى الصحاح من كتب السنة • من ذلك ما يقوله البخـــارى ضمن حديث الاسراء والمعـــراج : « فرجعت بذلك حتى مررت على موسى عليه الصـــلاة والســـلام فقال ما فرض الله على أمتك ؟ قلت فرض خمسين صلاة • قال موسى فارجـــع الى ربك فان أمتـــك لا تطيـــق ذلك قال فرجعت فوضع شطرها •• » الحديث ••

وان نسبة هذا الى الاسرائيليات لهو تجن على الصـــحاح من كتب السنة ، فليتق المسلم ربه فى مثل ذلك •

من المـــواطن / محمـــد حلمى شوقى بالقاهرة :

س : هل يجوز سفر المراة للعمل وحـــدها بدون زوج أو محرم ، وبدون رضـــاء زوجها ، وما حكم عدم طاعة الزوج ؟

ج : لا يجوز للمرأة أن تســـافر الا برضـــاء زوجها على أن يكون

سفرها مع محرم أو رفقة مأمونة .

ويحرم على المرأة أن تكون عاصية لزوجها الا اذا أمرها أمرا فيه معصية لله ، اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

ومن السيد / فتحى شنودة ميخائيل :

س : هل تجوز النفقة على الاخوة لأب مع وجود أخ شقيق موسر وأم موسرة ؟

ج : نفقة الأولاد تجب على الأم الموسرة وعلى أخيهم الشقيق الموسر أسداسا : على الأم السدس ، وعلى الشقيق خمسة أسداس .

أما الاخوة لأب فلا تجب عليهم من النفقة شيء .

ومن المواطن / عبد الرحمن مراجع الطيب :

س : زرعت زرعا فكان المحصول مائة وخمسين اردبا ، أعطيت لعامل الحصاد خمسين اردبا فهل تخرج الزكاة عن الجميع أم المائة ؟

ج : الزكاة تخرج عن كل المحصول سواء ما أبقاه لنفسه أو أعطاه أجرة للحصاد والدراس اذ أن ما ذكره قد بلغ النصاب وزاد عليه .

ومن المواطن : أ . م . الراغب ـ الاسكندرية :

س : تزوجت امرأة زواجا عرفيا بمهر وشهادة الشهود دون عقد كتابى واستمر الزواج خمس سنوات مع قيام الزوج بواجباته المادية والمعنوية . وهى ترغب الان فى الزواج بعقد رسمى من شخص آخر دون الحصول على طلاق من الزوج الأول . فما الحكم ؟

ج : هذه المرأة متزوجة شرعا ، والمتزوجة يحرم عليها أن تتزوج الا اذا طلقها زوجها الأول أو مات عنها وانقضت عدتها منه شرعا .

ومن المواطن / ابراهيم الباجورى :

س : بعض الناس يمسح على الجوربين بعد أن يلبسهما وهو على طهارة . فهل تجوز الصلاة

بالجورب الممسوح عليه دون غسل القدمين ؟

ج : يشترط فى صحة المسح على الجورب أن يكون ثخينا فلا يصح المسح على الجورب الرقيق الذى لا يثبت على الرجل بنفسه من غير رباط ، ولا على الجورب الرقيق الذى لا يمنع وصول الماء الى ما تحته . وكذلك لا يصح على الجورب الشفاف الذى يصف ما تحته ثخينا أم رقيقا .

وأن يلبس الجوربين بعد طهارة كاملة « وضوء أو غسل » غسل فيهما قدميه .. ومدة المسح على الخفين يوم وليلة للمقيم ، وثلاثة أيام ولياليهن للمسافر .

ومن المواطن عبد الله حسن بركات :

س : رجل اشترك مع آخر فى شراء جاموسة مناصفة ، على أن يتولى الأول رعايتها واطعامها وله فى مقابل ذلك اللبن والسمن والاستعمال فى الحقل .
وما ينتج منها من ولد فيقسم بينهما بالتساوى ، واذا بيعت الرأس يقسم ثمنها بينهما بالتساوى ربحا وخسارة فما الحكم ؟

ج : هذه المشاركة جائزة شرعا ولا شىء فيها ، حيث انهما متفقان على المكسب والخسارة فى هذه الشركة .

ومن المواطن / محمد نصر خالد الزوى :

س : رجل يلبس فى رجله المصابة جهازا داخل حذاء . فهل يجوز له دخول المسجد على حالته هذه ؟

ج : يجوز دخول المسجد بالجهاز داخل الحذاء مادام لم تعلق بالحذاء نجاسة .

« فقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم بالحذاء ، وخلعه فى أثناء الصلاة فخلع الصحابة أحذيتهم .
ولما انتهت الصلاة قال لهم : لم خلعتم نعالكم ؟ قالوا رأيناك خلعت نعلك فخلعنا . فقال أوحى الى أن بنعلى أذى فخلعته » .

والله أعلم .

عبد الحميد شاهين

هكذا يكتب القراء

إعداد عبدالعزيز احمد جبرة

« الطريق الى الجنة »

« أوله : الصـــــدق »

تحت هذا العنوان كتب القارىء عبد التواب احمد يقول :

الطريق الى الجنة ليس شـاقا أو صعبا أو الوصـــول اليه معسرا أو الحصول عليه متعبا بل هو سهل وميسور لا يكلف راغب الوصـــول اليه سوى أن يتبع ما أمر الله به من أوامر وبالتالى يجتنب النواهى التى نهانا الله عن فعلها أو القرب منها فما آتاكم الرســـــول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، ومن هنـــا تجد أن الســـــبل ميسرة والطريق واضـــح المعالم كما جاء فى القرآن الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما سنرى فيما بعد •

وبمناســـبة الحديث عن الطريق الموصل الى الجنة التى هى مرضاة كل مسلم فى آخرته نذكر الحديث الشريف الذى يقول فيه الرســـول الكريم (أضمنوا لى ســـتا أضمن لكم الجنة فقالوا له ما هى الخصال الســـت التى تضمن لنا بها الجنة يا رسول الله ؟ قال : أصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا وعـــدتم وأدوا اذا أؤتمنتم وغضـــوا ابصـــاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم) صدق رسول الله صـــلى الله عليه وسلم •

أخى المسلم : أدعوك بأن تنظر معى الى كلمات الرســـول المضيئة وجمله البليغة وعبـــاراته الموجزة بل أدعـــوك بأن تنظـــر الى ما هو مطلـــوب منـــك عمـــله ليضمن لك الرسول الاعظم الجنة • أنها ست

من الخصـــال الطيبة والأفعال الحميدة والصـــفات الكريمة اذا وقعت فى حياة المسـلم منا موقع الاهتمـــام والحرص والمواظبـة والعمـــل ضمن له النبى الكريم النهاية الطيبة والجزاء الجميـــل والثواب الكبير والفضل الواسـع ذلك فضـل الله يؤتيه من يشـاء ألا وهى الجنة وهل يبتغى الانسان من حياته الدنيا سوى مرضاة الله طمعا فى رحمتـه وأملا فى دخـول جنته ولنأت الى أول هذه الخصال وهى : الصدق فى القول : فلا شك أن الصدق الذى ينتهجه أى مسلم فى قوله وعمله وأحواله لجدير بأن يجعل صاحبه ذا مكانة سامية وسط المجتمـع الذى يعيش فيه ويكون محل ثقة واحترام ووقار وتقـدير دون غيره الذى لا ينتهـــج نفس المنهج بل ان صـفة الصدق ترقى بالانســـان الى مكانة يسمى فيها صديقا وأذكر هنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه (ان الصـدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهـــدى الى الفجور والفجـــور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحقيقة أن الصدق امانة والكذب خيانة وشـــتان بين اللفظين فالفرق بينهما شـــاسع والبعد بينهما بعد المشرق والمغرب ولذلك نلاحظ ان الرجـــل الذى لا يكذب فى حديثه لا يكذبه أحـد ولو قال خيالا مع أنه لا يتحدث فى الخيال ولكنها الثقة الممنـوحة من مجتمعه نظـرا لصـــدقه دائما أما الرجل الذى تعود كثرة الكذب فلا يصدقه أحد ولو أقسم له بل ربما يكون صادقا ذات مرة ولكنه لا يحظى بالتصـديق من الآخرين لأنهم تعودوا منه الكذب وننظـر الى قدوتنا الحسنة فى رسول الله صلى الله عليه وسـلم الذى لقب بالصادق الأمين عند قومه مع أنهم كانوا على خلاف كبير معه على دينه الجديد وقضـية الايمان به وعدم الايمان به ، وتحضرنى فى هـــذا

المقام حادثة الاعرابى الذى جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم يعرض عليه الدخول فى الاسلام بشرط أن يسمح له الرسول بممارسة بعض من عاداته فى الجاهلية من شرب الخمر والسرقة والزنا وغير ذلك من العادات التى جاء الاسلام ليمحوها ويضع مكانها منهاجا قيما فوافق النبى صلى الله عليه وسلم للاعرابى بشرط أن يعاهده على عدم الكذب وهنا لنا وقفة لنتساءل كيف يمكن للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أن يوافق على شرط الاعرابى ؟ وكيف يصف الطبيب للمريض علاجا ضد الشفاء ولكن الحقيقة ان الرسول هو الطبيب الناجح الذى فى استطاعته أن يصف ما هو فى ظاهر الأمر عدم الشفاء وفى باطنه الرحمة والشفاء والعلاج من هذا المرض وذلك كما سنرى حالة الاعرابى بعدما خرج من عند النبى صلى الله عليه وسلم وهو فرح مسرور بموافقة الرسول العظيم وذات مرة راودته نفسه أن يشرب الخمر فتذكر عهده مع الرسول وقال لو شربت الخمر وسألنى الرسول ؟ لو كذبت فسوف أكون ناقضا للعهد ولو صدقت لأقيم على الحد وهنا رجع عن فعلته وكلما راودته نفسه بفعل معصية من المعاصى تذكر عهده واقامة الحد لو صدق وظل هكذا حتى تاب توبة نصوحا ورجع عما اشترط عليه مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهنا عرفنا كيف وافق الرسول على شرط الاعرابى مع أنه مناقض لشريعة الاسلام والى لقاء آخر نكمل بقية الحديث والخصال الخمس الباقية وفقنا الله واياكم وجعلنا من الصادقين آمين يا رب العالمين •

الاعلام الدينى

تحت هذا العنوان كتب القارىء طه أحمد من أبناء محافظة بنى سويف يقول : —

الاعلام الدينى قضية من أخطر القضايا بل من أهم قضايا العصر ومشاكله والحقيقة أننا أصبحنا فى احتياج كبير الى أن تتسع دائرة الاعلام الدينى من اذاعة مرئية ومسموعة وصحافة مطبوعة

ومقروءة لأن شبابنا فى هذا العصر يقع فريسة التيارات الفكرية المعادية للاسلام من الحاد وشيوعية وهذا يحدث نتيجة الفراغ الدينى الذى يعانى منه هـذا الشـباب بل من العجب والدهشة أننا كثيرا ما نجد أناسا يصعدون المنبر فى المسـجد لالقـاء خطبة الجمعة من غـير المتخصصين فى الدراسة الاسلامية من فقه وعقيدة وحديث وتفسـير الى غير ذلك من المواد الدينية التى يدرسها طالب كلية الدعوة وأصول الدين بالازهر الشريف لكى يخرج الى المجتمع من أجـل نشر الوعى الـدينى بين المجتمـع عن طريق المسجد وان كان هذا الامر ناشـئا عن عجز فى الائمة ووعاظ المساجد الا أن الامر ليس سهلا ميسـورا لكل من هب ودب فأنه مكان وقف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعـة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وخـيرة الصـحابة لرسول الله صلوات الله وسـلامه عليه ومن هنا نجد أن على الصحافة الاسـلامية الواجب فى أن تطـور عملها الصحفى مع ابتكار لابواب جديدة تتابـع أحـداث العـالم الاسلامى وتبطل حجج المستشرقين ودعاوى الالحادية والشـيوعية ، فاسلامنا الحنيف محارب الآن من الزاوية الفكرية وهـذه الزاويـة أخطـر الزوايـا فعلى الصـحف الاسلامية والبرامج الدينية معـا أن تقاوم هـذه التيارات الفكرية المعادية للاسلام وأن تبدى رأيهـا فيما يقدم للشباب فى السينما وعلى خشبة المسرح ومجـال السـينما والمسرح من أخطر أساليب الاعلام حيث تتوافر لهما حاستى السـمع والبصر وهما أخطـر الحـواس الخمس لدى الانسان •

فكثـيرا ما أهـدرت وهـدمت واسقطت السينما وخشبة المسرح ما تم بناؤه فى الصـحف الدينيـة والمسـاجد ومـن هنـا يجب بتر الشـيوعيين أصـحاب الاقـلام المسـمومة والافـلام الخليعـة والمسرحيات الهابطة والفكر الهدام حتى يمكننا أن نجنى ثمار جهودنا بالمسجد والصحيفة الاسلامية •

عبد العزيز أحمد

أخبار العالم الإسلامي

إعداد أحمد عبد الرحيم السايح

القــــاهرة :

عــاد فضـيلة الامــام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شـيخ الأزهر من جولة طويلة زار فيها الدول والجاليات الاســلامية فى شرق آسيا •

وقد أجرى فضيلته مبـاحثات مع المسـئولين فى هــذه البــلاد اســتهدفت تقوية الروابط بينهم وبين مصر والأزهر وتلبية حاجاتهم من الدعــاة والعلمـــاء والكتب الاسلامية •

ـ فى افتتاح المؤتمر الثــــانى للدفاع الاجتماعى الذى تنظمــه الجمعية العامة للدفاع الاجتماعى بالاشتراك مع المنظمة العــربية للدفاع الاجتماعى أعلن المسئولون: أن خطة الدفاع الاجتماعى يجب أن تقوم على أســاس تنفيذ خطط وبرامــج فى أطــار الشريعــة الاســلامية والقيــم الدينيــة والاخلاقية والعمــل على حمــاية الأسرة وتطبيق مبادىء الدستور•

السـعودية :

فرغت منظمــة اذاعات الدول الاســلامية من اعــداد برنامج

بعنوان : « الغارة على العــــالم الاسلامى » وقد تم تســجيل ٣٠ حلقة اذاعيــة من هــذا البرنامج الذى ســوف يبث اذاعيــا عمــا قريب عبــر اذاعــات الــــدول الاعضاء • ومن المنتظر أن تقــوم المنظمة بترجمة برنامج الغــــارة على العالم الاسلامى الى اللغــة الانجليزية والفرنسية واللغــات الافريقية والآســـيوية حتى تعم الفائدة •

الجــزائر :

شـــهدت ولايــة « البويرة » الجزائرية المعرض الثانى للكتاب الاسلامى الذى استمر أســبوعا كاملا زينت خلاله كافة المســـاجد والشوارع بآيات قرآنية • وقــد لاحظ المراقبون ، شدة الاقبــال على المعــرض من الشــــباب والمثقفين •

فلســــطين :

ذكر الدكتور رياض الأغا مدير الجامعــة الاســـلامية فى غزة بأن الجامعــة تضــم حاليــا أكثر من ثمانمائة طــالب وطالبــة ويحاضر فيهم سبعون أستاذا هم اعضــاء هيئة التدريس وقال ان الجــامعة تسد النقص فى عدد أعضاء هيئــة التــدريس فى جامعــة بير زيت ، وكلية الدعوة ، وأصــول الدين فى القدس ، وجامعة النجاح الوطنية بنابلس •

والجامعة الاســـلامية فى غزة تعتبر امتدادا طبيعيا للمعهد الدينى الفلسطينى الذى انشأه الأزهــر الشريف عــام ١٩٥٤ م كنـــــواة للجامعة • والجامعة الآن تضــم ست كليات هى الشريعة والقانون واصول الدين واللغــة العربيــة والتربية والعلــوم والاقتصــــاد والعلوم الادارية •

دبى :

فى اجتماع عقد بدبى بدولة الامارات العربية المتحدة بمقر الجمعية العمومية لجمعية الاصلاح والتوجيه الاجتماعى تم طرح أقتراح بضرورة اصدار جريدة يومية اسلامية • وملحق للأطفال بجانب مجلة الاصلاح التى تصدرها الجمعية •

ماليزيا :

تبحث الحكومة الماليزية مجموعة من القرارات التى ستؤدى الى تطبيق برنامج للتنمية يتفق مع الشريعة الاسلامية •

وقد أوصت بهذه القرارات ندوة عقدت بجامعة كوالالمبور •

أندونسيا :

من المنتظر أن تعقد فى جاكرتا دورة تدريبية للأئمة والدعاة فى غرة شهر شعبان ان شاء الله وتستمر شهرين وذلك فى اطار الدورات التدريبية التى تقيمها الأمانة العامة للمجلس الأعلى العالمى للمساجد وتستهدف الدورة تدريب ٣٠٠ داعية فى أطار خطة تدريب الف داعية فى جنوب شرق آسيا •

قبرص الاسلامية :

ـ افتتح السيد رءوف دنكتاش رئيس جمهورية قبرص (الاسلامية) الدورة التى تقيمها الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامى لتدريب الأئمة والدعاة •

ـ عقد فى دولة قبرص (الاسلامية) الاجتماع التأسيسى للمعهد الدولى للبنوك والاقتصاد الاسلامى • وقد تم فى هذا الاجتماع اقرار ورقة العمل التى اعدتها الامانة العامة لاتحاد البنوك الاسلامية لانشاء المعهد الدولى للبنوك والاقتصاد الاسلامى •

نيجيريا :

تقيم الأمانة العامة للمجلس الأعلى العالمي للمساجد دورة تدريبية للائمة والدعاة والوعاظ فى لاجوس عاصمة نيجيريا فى شهر شوال ١٤٠١ هو تستمر الدورة شهرا وتستهدف تخريج دعاة وأئمة للمساجد لتنشيط حركة الدعوة فى افريقيا ٠

تركستان :

دعا الدكتور بيمرز هابيت أحد العلماء المسلمين باقليم تركستان الاسلامى الواقع تحت سيطرة النفوذ الشيوعى ، دعا الى الاهتمام باحوال المسلمين فى تركستان ، وطالب منظمة المؤتمر الاسلامى بتقديم المساعدات للمسلمين هناك خاصة فى هذه الفترة العصيبة ، وأوضح أن مسلمى تركستان ليست لهم علاقات اجتماعية مع الجمهوريات السوفيتية الشيوعية الأخرى ٠

الهند :

ــ أقامت مدينة العلوم العربية فى « بوليكل » بالمشاركة مع كلية أنوار الاسلام العربية للبنات ودار الايتام مهرجانا بمناسبة مرور أربعين سنة على تأسيسها ٠

ــ تم مؤخرا افتتاح مبنى جامعة الصالحات الجديد بهكتل بولاية كرناتك فى جنوب الهند ، وجامعة الصالحات احدى الجامعات الاسلامية التى تسهر على علوم القرآن واللغة العربية ٠

ــ صدر الجزء الرابع من ترجمة معانى القرآن الكريم مع التفسير باللغة الميراتية عن ادارة دعوة القرآن فى بومباى ٠ ومما يذكر أن الناطقين باللغة الميراتية فى ولاية « مهاراشترا » فى الهند أكثر من أربعين مليون نسمة ٠

أحمد عبد الرحيم السايح

أخبار الأزهر

إعداد / الشافعي عبد الراضي

الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر

أصدر السيد الرئيس محمد أنور السادات رئيس الجمهورية قرارا جمهوريا بتشكيل لجنة عليا تحت اشرافه للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر الشريف .

وقد تضمن القرار ان يرأس الامام الاكبر شيخ الأزهر هذه اللجنة التى تضم فى عضويتها كلا من السادة الدكتور فؤاد محيى الدين نائب رئيس مجلس الوزراء ونائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ونائب رئيس الوزراء للخدمات ووزير الداخلية ، ونائب رئيس الوزراء للشئون الاقتصادية والمالية ، ونائب رئيس الوزراء للتنمية الشعبية ووزير الدولة للتعليم والبحث العلمى ووزير التعمير والاسكان ، ووزير الدولة لشئون مجلس الشعب ، ووزير السياحة والطيران المدنى ، ووزير الدولة لشئون رئاسة الجمهوريةووزير الثقافة والاعلام ، ووزير الدولة للاوقاف ووزير الدولة للمالية ومحافظ القاهرة . ومدير جامعة الأزهر ، ووكيل الأزهر.

صرح بهذا فضيلة الاستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود وكيل الأزهر .

وأضاف أن هذه اللجنة ستختص بوضع خطة الاحتفال بمرور ألف عام على انشاء الجامع الأزهر من حيث نوعها وموعدها ومدتها وتحديد

دور كل جهة والتنسيق بينها وتقــدير الاعتمــادات اللازمة للاحتفــال وتشكيل لجان فرعية من بين أعضاء اللجنة العليا ومن غيرهم لدراســة المسائل ذات الصلة بهذا الاحتفال .

وقال وكيل الأزهر : أن القرار تضــمن انشــاء أمانة عامة للجنــة العليا من محافظ القاهرة ووكيل الأزهر .

والمعروف أن السيد الرئيس محمد أنور السادات سبق أن اشار لدى زيارته لجامعة الأزهر فى نهاية شهر مارس الماضى الى انه قد صار من الواجب اقامة هذا الاحتفال بما يتكافأ مع مكانة الأزهر الشريف فى العــالم الاســلامى .

الشعوب الاسلامية تتطلع
الى التعــاون مع الأزهر

أعلن فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر عقب عودته الى القاهرة أن زيارته لكل من باكســتان وأندونيســيا وماليزيا جددت علاقة الأزهر بالمراكز والمؤسسات الدينية فى هذه الدول الاسلامية الشقيقة .

وأضاف أنه يحمل رسائل ود وتقــدير من الرئيس الباكســتانى محمد ضياء الحق والرئيس الأندونيسى سوهارتو وملك ماليزا أكــدوا فيها تقدير شعوبهم لــدور مصر والأزهر فى نشر الدعــوة الاســلامية ويتطلعون الى تعاون دائم ومستمر مع علماء الأزهر .

الرئيس الباكستانى
يســتقبل شيخ الأزهر

استقبل الرئيس الباكستانى ضياء الحــق يوم الأربعاء المــوافق ١٩٨١/٤/٢٢ الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شــيخ

الأزهر والوفد المرافق لفضيلته وحضر المقابلة جميع الوزراء وكبار المسئولين فى الدولة وأعضاء السلك الدبلوماسى فى السفارات الاسلامية فى اسلام أباد وأعضاء الجالية المصرية هناك .

شيخ الأزهر يؤم صلاة الجمعة بجاكرتا

أم صلاة الجمعة بمسجد جاكرتا فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر ،وقد أدى الصلاة حوالى ١٠٠ مائة ألف من المصلين من بينهم وزير الشئون الدينية الاندونيسية وكبار رجال الدولة والعلماء ورجال السلك السياسى الاسلامى ، وقد ألقى شيخ الأزهر خطبة الجمعة حيث تحدث الى المصلين عن منزلة القرآن الكريم باعتباره دستور الاسلام ومنهاج المسلمين وضرورة السير على تعاليمه وتطبيق مبادئه وأحكامه .

وطالب الامام الأكبر المسلمين بضرورة توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم على الحب والخير والسلام وعلى المسلمين أن ينتبهوا الى الأخطار المحيطة بهم والأفكار الهدامة التى تحاول النفاذ الى صفوفهم وليس من سبيل لمواجهتها الا بوحدة الصف والتمسك بتعاليم الاسلام .

الرئيس الاندونيسى سوهارتو يستقبل فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

استقبل الرئيس الاندونيسى سوهارتو فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر أثناء زيارة فضيلته لاندونيسيا فى جولة استغرقت أسبوعا بدعوة من الحكومة الاندونيسية .

الشافعى عبد الراضى

قضاؤنا العادل ماذا يفعل

فى قضية الدفع بعدم دستورية الربا

استلمت كليـــة طب الأزهر أدوات طبيـــة من مورد اتضــح أنها غير مطـابقة للمواصـــفات بلغ المـــورد شـــفاهة لا كتـابة بعـدم مطابقتهـا للمواصـــفات انتهز المورد عدم اخطاره كتـــابة ورفع دعوى أمام القضاء الادارى حكم له بالقضاء بالثمن وفوائد تأخير تقدم محامى الجامعة السيد/زكريا عامر الى المورد يطلب منه الموافقة على تعويض اتفاقى يزيد عن مبلغ فوائد التأخير بحوالى مائة وعشرين جنيها مع قبضه للثمن الأصلى حتى تتفادى الجامعة تنفيذ ربا محـــرم شرعا رفض المورد فدفـــع محامى الجـامعة بعـــدم دســتورية الربا تأسيسا على الشريعة الاســلامية المصدر الرئيس للتشريع وأن مقابلة تأخير السداد بالثمن هو ربا نسيئة محـــرم شرعا فالدائن كان يقـــول للمدين « اتقضى أم تربى » فمقابلة الأصل بالثمن فيزيد أصـــل الدين بسبب هذا الأجل هو ربا نســيئة كما هو تعريف الفقهاء الجزء الأول صفحة ٢٠١ اعلام الموقعين والجزء الرابـــع صـــفحة ٤٠ الموافقـــات للشاطبى والجزء الثانى صفحة ٧١ الدر المنثور للســـيوطى والمغنى لابن قدامه الجزء الرابع صـــفحة ١٢٣ يقرر أن الربا عـــلى ضربيتى ربا الفضل وربا النسيئة وأجمع أهل العـــلم على تحريمها وأنه مادامت الشريعة المصـــدر الرئيسى فهى المصدر الاساسى للتشريع ولايجوز تخطى أحكام الفقه الاسلامى الى أحكام أخرى خاصة وأننا فى دولة

العلم والايمان واسباغ الصفة الاسلامية على الدولة يقتضى الخضوع لأحكام الاسلام وأن مجلس الشعب فى ١٩٨٠/٥/٢٧ وضع مشروع بقانون يحظر التعامل بفوائد التأخير نص فى مادته الاولى على أنه لا يجوز الاتفاق على تقاضى فائدة سواء كان ذلك فى مقابل تأخير الوفاء أم فى أى حالة أخرى ومجمع البحوث الاسلامية فى ٨ صفر سنة ١٩٧٩ قرر أن فوائد التأخير ربا محرم شرعا وفضيلة الشيخ جاد الحق على مفتى الديار المصرية رأى أنها ربا محرم شرعا .

والمادة ٤٥٥ من مشروع القانون المدنى الاسلامى تنص على أنه : يقع باطلا كل شرط بمنفعة يؤديها المقترض الى المقرض زيادة نحو مبلغ القرض ويبطل كل شرط آخر هذا فى الاسلام وفى كل الكتب السماوية ففى التوراه سفر التثنية لا تقرض أخاك بربا وفى الانجيل الذى بين أيدينا افعلوا الخيرات وأقرضوا غير منتظرين عائدها ويقول سكوبا من الآباء اليسوعيين ان من يقول أن الربا ليس معصية يعد ملحدا خارجا عن الدين وهكذا فالربا محرم فقها اسلاميا وفى الشرائع السالفة وغير انسانى وضد الدستور والمستشار محمد كمال محفوظ انتهى فى تقريره للمحكمة العليا بعدم دستورية المادة ٢٢٦ لأنها ربا نسيئة محرم شرعا .

والآن فان القضية بكاملها أمام القضاء المصرى العريق فماذا تكون كلمة العدل من هذا القضاء الذى عرف بعدالته ونزاهته وتأكيده للقيم الاسلامية الشريفة ؟

زكريا عامر

محامي جامعة الأزهر

فهـرس العـدد

الموضـــوع	صـفحة
● المؤتمر الصحفى	
لفضيلة الامام الأكبر شـيخ الجامع الأزهر	١٣٥٤
● حديث الشهر فى فلسفة الحضارة	
بقلم الدكتور عبد المعطى محمـد بيـومى	١٣٦٠
دراسات قرآنية	
● جمع القرآن الكريم والأحرف السبعة	
للدكتور محمد أحمـد يوسف القاسم	١٣٦٨
● تصوير المأساة فى القصص القرآنى	
بقلم الأسـتاذة/سنية قراعة	١٣٨٣
● النقد العربى القديم والمنهجية	
للدكتور/محمـد أبو موسى	١٣٩٢
● علم التصريف موضوعه وتطوره	
للدكتور/محمد ابراهيـم البنا	١٤١٢
فى التشريع الاسلامى	
● تحـويل القبـلة	
بقلم الدكتور/محمـد محمد الشرقاوى	١٤٢٢
● وتحولت الرسالة عن بنى اسرائيل الى بنى اسماعيل	
الدكتور / السـيد رزق الطويل	١٤٣١
● وسـطية الاسـلام	
بقلم الدكتور / فؤاد خدرجى العقلى	١٤٣٦
أعـلام الاسـلام	
● الامام أبو داود	
للدكتور الحسـينى هاشم	١٤٤٤
● جمال الدين الأفغانى رائد عالمى	
للدكتور/عبد الغنى الراجحى	١٤٥٣
● المنحى الاسلامى عند العقاد	
للدكتور محمـد رجب البيـومى	١٤٦٣
● منهج الحكيم الترمذى فى علم الكلام	
للدكتور محمد ابراهيم الجيوشى	١٤٧٣
● من أعلام الأزهر الشيخ حسين المرصفى	
للدكتور ابراهيم عوضـين	١٤٨٥
● طرائف ومواقف	
اعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٤٩٧

الموضـــوع | صـفحة

من حضارة الاسلام

● الفكر الاسلامى بين الاقتراب والاغتراب
للدكتور محمد كمال جعفر ١٥٠٢
● الدعوة الى التضامن لنصرة الأقليات الاسلامية
للدكتور أحمد عمـر هاشم ١٥٠٧
● التربية الصوفية
للأستاذ عبـد الحفيظ فرغلى القرنى ١٥١٣
● العلاقات العامة فى الاسلام
للأستاذ شـعبان شمس الخرادلى ١٥٢٢
● الأزهر فى جزر بعيدة
للأستاذ اسماعيل الشـال ١٥٣٠
● شخصية فى سطور
للأستاذ سعيد عبد الحى ١٥٣٧
● قالت الصحف
للاســتاذ/عاطف زهران ١٥٣٩
● الفتـــاوى
للأستاذ عبد الحميد شـــاهين ١٥٤٣
● هكذا يكتب القراء
اعـداد عبد العزيز أحمد جبرة ١٥٤٦
● أخبار العالم الاسلامى
اعداد أحمد عبد الرحيم الســـايح ١٥٥٠
● أخبـــار الأزهـــر
اعداد الشـــافعى عبد الراضى ١٥٥٤
● قضاؤنا العادل ماذا يفعل
للأســتاذ زكريا عامر ١٥٥٧

طبعت بمطابع روز اليوسف

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن:
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر

فى مطلع
كل شهر
عربى

رئيس التحرير:
د. عبدالمعطى محمد بيومى

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت: ٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء التاسع السنة الثالثة والخمسون
رمضان سنة ١٤٠١هـ
يوليه سنة ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

عزيزنا القارىء:

يمثل هذا العدد الجديد من مجلة « **الازهر** » بين يديك وقد أخذت شكلا جديدا تماما لم تأخذه طول مدة صدورها منذ أكثر من خمسين عاما .

فهى تصدر هذا العدد مستفيدة بكل ما أحرزه الاخراج الصحفى من فنون التشويق والتعبير المتقدمة .

كما يصدر معها ملحق مجلة كامله هى **رسالة الازهر** لتظل المجلة الأم مدرسة للفكر العلمى المحقق فى شتى نواحى الفكر الاسلامى لتعمل على اثراء هذا الفكر وتقدمه فى أناة فى غرة كل شهر عربى .

أما مجلة رسالة الازهر « **الملحق الاسبوعى** » فهو يصدر أسبوعيا كل يوم خميس ، لتلاحق التطورات السريعة فى عالم متغير ولتمد هذا العالم برأى الدين من الازهر فى مشكلات حياتنا المتجددة .

نحن واثقون فى الله وعلى يقين من أن مجلة **رسالة الازهر** ستكون مجلة كل الناس فى كل أسبوع وعلى طول الاسبوع ولا نزعم اننا بلغنا الكمال ، ولذلك نحن فى انتظار أفكار القراء واقتراحاتهم لاننا جميعا شركاء فى الدعوة الى الله والى الحياة الطيبة على منهاجه بكل وسائل العصر .

التحرير

صورة الغلاف

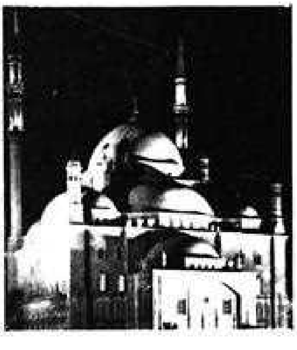

جامع القلعة
القاهرة

القيم الدينية والحياة المعاصرة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علـــى أشرف المرسلين وخاتم النبيين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ٠

وبعـــد :

أيها السادة : الاخوة والاخوات :

ان موضوع « القيم الدينية والحياة المعاصرة » موضوع شيق وخصـــب ، ترجع خصوبته الى تعدد أطرافه ، وتشعب نواحيه ٠

* فطرفاه الأساسيان هما : الدين بقيمه ومبادئه وآدابه ، والامثلة الرفيعة للسلوك الانسانى كما رسمها ، واقامة العدل والحق بين الناس كمـا أراد الله ، وأنزل به قرآنه وجاءت به سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، كبيان واضح جلى لهـذا القرآن ٠

هذا هو الطرف الاول من طرق الموضوع ٠

أما الطرف الثانى : فهو شئون الحياة الحديثة أو المعاصرة كمـا يقولون ، وما يحيط بها أو يتعلق بنواحيها المختلفة ٠ من أوضـاع عقدية أو تشريعيـة أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو أخلاقية الى آخر ما يكون منه الاطـــار العام لحياة الانسان ومسيرته الى غايته ونهايته ، من تشعبات كثيـرة ، وضروب متعـــددة ٠

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار
شيخ الأزهر

وأول ما يواجهنا ويواجه أى باحث فى الموضوع أو عارض له : هـو تلك الحساسية الحادة فى المسائل الدينية ، عندما تحاول مقارنتها بحـاجات البشر الضرورية ، وشئون حياتهم العملية وعلى الاخص اذا قاسها الناس بمقياسهم ، وتصورها بتصوراتهم المتأثرة بوجه أو بآخر من وجوه نزوعهم الشخصى ، بدلا من أن يرجعوا فى كل ما يعن لهم الى كتاب الله ، لينزلوه منزلة الحكم فى كل مـا يعرض لهم من مشكلات ، أو يكونون بصدد من حلول لهذه المشكلات • وذلك من طريق دراسة جامعة ، تمس ذلك ، وهذه ليست حساسية مفتعلة أو مصـطنعة بمقدار ما تفرضها ظروف الطرف الاول من وجوب هيبته واجلاله ، وفهم عميق لحكمه وأسراره •

فهو تعليم سماوى ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد •

جاءنا عن المولى الحكيم الحميد عن طريق الوحى ، الى النبى المعصوم ليبلغه الى الناس كافة واذا كان من حق البشر ان يبدو رأيا ، أو يشكلوا لانفسهم نهجا فى شئون حياتهم الخاصة أو الثقافية ، فليس من حقهم المطلـق أن يبدعوا أو يستحدثوا حكما ، أو يخطوا منهجا معارضا أو مخالفا لما تقتضيه صفات الكمال له سبحانه وتعالى من احاطة لعلمه ، وسيطرة مطلقة لارادته ، وعمـوم لقدرته ،

وتفرد بالخلق والابداع والعطاء والرزق والحرمان ، مما جـــاء صريح القرآن باسناده اليه وحده سبحانه دون أن يشارك فيه أحد ، أو يتأثر فيه بأى جهـــد من خلقـــه ٠

لذلك : اقتصرت مطالبته سبحانه لخلقه على النشاط والعمل لتهيئة الاسباب لوقوع المسببات التى ارادها وقدرها ، وسبق بها علمه الأزلى :

(ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ، وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ) الشعراء ٧٨ ، ٧٩٠

(وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ) الشورى ٢٧ ٠

ومن هذه المقارنة بين الدين والحياة المعاصرة وما تحتاجه من دقة فى النظر ، وصفاء فى الرؤية ، وشفافية ٠

يكون أى حكم يتصل بالمقدسات الدينية وبموضوعات الألوهية ، انما يـــكون حقيقة ايمانية ، تتصل بوجدان المسلم وتؤثر فى نفسه ايجابا أو سلبا ، فلا يليق أن تكون أحكامها متأثرة بمن تستهويه ، أو تكون لتحقيق فكرة دنيوية عابرة ٠

* وبنظرة فاحصة فى حياة مجتمعاتنا المعاصرة نجدها مليئـــة بالتيارات الفكرية المتصارعة ، والمذاهب الاجتماعية المتنوعة ، ونجد كذلك تكتلات سياسية ، ومحاور عدوانية أو دفاعية ، وعقائد دينية ، مما يختلط فيه الحق بالباطل ، والنافع بالضار ، والحسن بالقبيح ، وترفع الدعاوى والشعارات بين الاطراف المتنازعة ، ويستشرى الشر بين الناس وكل يدعى انه على حق وغيره على الباطل ٠

ونحن معشر المسلمين ـــ وسط هذا العالم بما ابتلى به من شرور وآثام ـــ لا يمكن أن نقف بمعزل عن هذه التيارات ، وتلك الادعاءات ، فلابد من أن يكون لنا موقف حازم فعال ، نتقدم به الى الناس كافة ، بديننا وتراثنا ، وحضارتنـــا ، والا كنا كالبحيرة المقتطعة التى يأسن ماؤها ، ويجف من حولها معين الحيـــاة ، وعلينا أن نوضح حقائق الدين ، لا كما اشتهتها أهواء المارقين الملحدين ، ولا كما أرادها الماديون المترفون ، وانما كما أرادها الله سبحانه ، وأنزل بها كتابه ، سعيا بالاصلاح لما فسد من أمور ، ووصلا لما انقطع من وشائج ، واقامة للعـــدل بين

الناس جميعا دون تفرقة بين سيد ومسود ، أو غنى وفقير ، أو أسود وابيض ، ودون ما يفرق الناس منتمييز عنصرى ، أو قبلى ، أو طائفى أو جغراف ، وقد قرر هذا المعنى رسول اللهصلى الله عليه وسلم حين قال :

(الا وان أقربكم منى مجالس يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون) .

ولكن على أى نحو يكون الفصل فى هذه المشكلات كلها ؟ : اقتصادية كانت ، أو اجتماعية ، أو سياسية ، او أخلاقية .

هل يمكن أن يكون مجرد ما تجرى به الحياة المعاصرة من امور او شئون حجة فى الحق او الباطل ؟

وهل يصلح ما جرى عليه الناس فى مجتمع أو آخر من اعراف ونظم أن يكون مقياس الصواب بحجة أنها مجتمعات متقدمة ؟

وهل كل ما يجرى فى مجتمعاتنا المعاصرة حق كله وصواب كله لمجرد « أنها مجتمعات قوية أخذت به وممارسته فى شئون حياتها ؟

لو قبلنا هذا لمجرد هذه الحجج التى تتردد على ألسنة دعاة التقدم ، وعبيد التقاليد ، لكان تفريطا منا فى مقومات حياتنا الخاصة من : عقائد وديانات ، وحضارات وتقاليد وقيم ، ولأصبحنا متطفلين على موائد الغير ، مفرطين فى شخصيتنا المتميزة ، ولفقدنا قدرة التأثير الايجابى الفعال فى توجيه قيادة المجتمعات بما لنا من دين وعلم وحضارة ، وبمالنا من تاريخ حافل بكل طاقات المعرفة والتقدم وكل امكانات الازدهار .

* هذا نزوع فريق من الناس ، يغرمون بكل جديد لمجرد انه جديد ، ويستهجنون كل مألوف تليد لمجرد انه قديم ، وهى نظرة اذا قيست بمقياس الخير والشر ، والحق والباطل ، والخطأ والصواب ، ستكون قطعا خاطئة ، لان اهواء الناس ونزواتهم ، وما ران على قلوبهم من مادية بغيضة ، وشهوانية مدمرة كان لها السيطرة على مشاعرهم ، والتسلط على احكامهم والتأثير القوى الفعال فى عواطفهم .

لهذا : عانى العالم وظل يعانى حتى اليوم من فقر روحى ، ومخمصة أخلاقية ، واهمال لممارسة القيم الروحية ، والمبادىء الانسانية الرفيعة ، تحت وطاة القوى الغاشمة ، الضاغطة على حريات الشعوب وارادتها ، والمستنزفة لمواردها ومقدراتها ، المقيدة لخطواتها من اى تقدم بناء ، او عمل نافع مثمر .

وكان من الطبيعى أن يتولد عن هذا وذاك تلكم الموجات المتلاحقة من القلق النفسى والخوف من المصير المبهم ، فكثرت العصابات الارهابية ، التمزقات الشعوبية ، مما افقد الناس أمنهم ، وأفسد عليهم حياتهم ، وجعل الشعار المعبر عن أوضاعهم وما يقاسونه ويخشونه من مصير مجهول .. (ويل للانسان من الانسان) .

* ومن المخجل والمخيف حقا : ان يغرى بعض الناس بشعار زائف براق باسم التقدمية أو القدرة على مجاراة العصر ، والاخذ بوجهات نظر المعاصرين ، فيحاول أن يسبق المعاصرين فى معاصرتهم الزائفة ، والتقدميين فى تقدمهم المزعوم فيعمل على تحريف الكلم عن مواضعه ويشايع بعض المذاهب المستوردة ، أو الفلسفات الفاسدة ، أو المادية البغيضة من تجردها من احترام القيم ، فيأخذ بأساليب من لا يؤمنون بتعاليم الاسلام ، ومن يحاولون النيل من قداسته والغض من نظمه وتضيق دائرة المؤمنين به ، بينما نجد جماعة المؤمنين دائبة السعى ليل نهار — على تطبيق تعاليمه واحترام مقدساته .

وأمر هذين الفريقين قد أوضحه المولى عز وجل — مصيرا وجزاء وموقفا حين قال : « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » .

* ومن هذا : يتبين بجلاء ضرورة الدين للمجتمع ، لاضرورة تقليدية ، ولا ضرورة اعلامية فحسب ، ولا مظهرية بقدر ماهى ضرورة جوهرية من أجل الانسان ، لتصحيح مازاغ من عقائدهم ، وآرائهم وصلاح ما فسد من شئونهم، وتقويم ما اعوج من أمورهم فى دنياهم وآخرتهم .

ولا يخفى على ذى فطنة ذلك الفرق الواضح الجلى بين المعارف الانسانية التى استحدثها العلماء . والباحثون ، وبين المعارف الآلهية التى هى من عند الله سبحانه من الأحكام بقسميها : العقدى والفرعى .

حيث أن ماكان من صنع الله حق كله ، وصدق كله ، وصواب كله ، بخلاف ما كان من صنع الناس فانه على أحسن تقدير لا يخلو من القبول للخطأ والصواب والحق والباطل ، والحسن والقبيح ومن هذه الزاوية وفى معرض حل المشكلات ، التى قامت فى أذهان بعض أبنائنا من الشباب بين الدين والعلم ، أو الدين والحياة المعاصرة ، قام الخلاف المزعوم بين الدين والعلم .

فمفهوم العلم بمعنى « النظرية » غير مفهومه بمعنى « الحقيقة العلمية » .

وبايضاح هذا الفرق بين النظرية العلمية والحقيقة العلمية ، نستطيع أن نضع أقدامنا على ما يمكن أن يكون عدة موثوقا بها ، وحجة قطعية فى حل المشكلات المعاصرة التى يصادفها أبناؤنا الشباب فيما يواجههم من شئون الحياة المعاصرة .

فالعلم بمعنى النظرية : انما هو عمل انسان يبنى على افتراض عرضى ، يصدق أو يكذب ويعتمد على الملاحظة والتجربة ، وشهادة الغير ، وهو بهذا المعنى قابل فى أحكامه للخطأ أو الصواب ، والتغيير والتبديل ، والصدق والكذب .

أما العلم بمعنى الحقيقة العلمية .

فهو عبارة عن القوانين التى أودعها الله فى كونه ، وسير بها نظامه .

وبالمعنى الأول : يمكن أن يختلف العلم مع الدين ، وهنا يتغلب جانب الدين لانتفاء قبول أحكامه للخطا أو التغيير أو عدم الصدق .

اما بالمعنى الثانى : فلا يتصور بحال من الاحوال أى خلاف بين الدين والعلم ، لأن كلا منهما من صنع الله وحده ، ولا يعقل فى ميزان المنطق والعقل أن يتنافى صنع الله فى شكل قوانينه مع صنع الله فى شكل أحكامه وتشريعاته .

ومن هذا وذاك : ينتفى الخلاف بين العلم والدين ، ويكون ذلك من تصورات خاطئة للعلماء ، أو فهم سقيم للباحثين .

* واستنتاجا من هذا الحكم فان مشاكلنا المعاصرة ، فى تصورات المحدثين انما يكون حلها ممكنا ومأمونا على ضوء قضايا الدين .

وغنى عن البيان أن اللجوء الى معالجة قضايا الدين بالقضايا المعاصرة للمجتمع ، انما هو تنكر لقوانين السماء ، وقلب للأوضاع ، بينما معالجة قضايا المجتمع بالقضايا الأساسية التى جاءت بها الاديان انما هو آمن طريق ، وأسلم عاقبة .

ولذلك يقول المولى عز وجل : « إِنَّ هذا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِى أَقْوَم » ويقول :

« وَنُنَزِّلُ من الْقُرْآن ما هُوَ شِفَاء وَرَحْمَة لِلْمُؤْمِنين » ويقول : « قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء » ويقول : « ذَلِكَ الْكِتَاب لا رَيْبَ فيه هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ، الذين يُؤْمِنُون بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاة ومِمَّا رزقْنَاهم يُنْفِقُونَ ، والذِينَ يُؤْمِنُون بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِل مِنْ قبلك وبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَئِك على هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وأُولَئِك هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

حديث الشهر

صور قرآنية ..

قلنا فى مقالنا السابق عن فلسفة الحضارة ان كثيرا من فلاسفة أوربا أجمعوا رايهم على حقيقة مؤكدة ، فحواها : أن الحضارات انما تنجح أو تفشل بمقدار قيامها على اساس أخلاقى ، وبمقدار صحة هذا الاساس الأخلاقى ، أو عدم صحته .

فكلما اعطت الحضارة عنايتها للناحية الأخلاقية ، وجعلتها موجها للنواحى المادية والعلمية ، استطاعت هذه الحضارة أن تقدم النموذج الانسانى فى حياة الفرد والجماعة ، كما استطاعت ان تثبت بقاءها حقبة طويلة من الدهر ، حتى اذا اصابها السعار المادى فى الفكر والعمل لاتلبث الا أن تنهار وتبيد ، ولا يبقى منها الا صور وآثار تحكى حكايات التاريخ ، وأساطير الأولين .

والغريب أن الماركسية مازالت تحاول فى هذه الحقيقة التى أصبحت محل اجماع الباحثين ، حتى أنها تقف منها موقف العارض بالنقيض حين تزعم أن العامل المادى لا العامل الاخلاقى ، هو أساس الحضارة وهو محرك التاريخ ، ومسير الأحداث .

ولولا أننى وقفت بالمناقشة والتحليل لهذا الزعم الماركسى فى كتابى « الماركسية فى مواجهة الدين (١) » . لكان لى أن نفند هذه الشبهة ، ونثبت بطلانها تماما ، ومخالفتها للتفكير العقلى الصحيح والمتزن .

وحسبنا هنا ماذكره « فردريك انجلز » نفسه ، شريك كارل ماركس ، حين قال فى رسالة بعث بها الى صديقه « بلوخ » فى ٢١ من سبتمبر سنة ١٨٩٠ م (١):

« انه على ماركس وعلىَّ انا ، يقع بعض التبعة فى توكيد العوامل

(١) الفصل الثانى من الباب الاول ٤٠ — ٧٦ نشر دار الانصار . القاهرة .

بقلم : رئيس التحرير

في فلسفة الحضارة

الاقتصادية ، واعطائها فوق ما تستحقه من التقدير .

وقد كنا أمام حملات خصومنا ، مضطرين الى توكيد المبدأ الأصيل في دعوتنا ، لانكارهم اياه ، ولم يتسع لنا الوقت كل حين لابراز العوامل المتعددة (١) » .

فالعناد الشخصي وحملات الخصوم — لا المنهج العلمي الصحيح — هي التي دفعت ماركس وانجلز الى الاصرار على توكيد الزعم بأن العامل المادي هو الأساس في بناء الحضارة والتاريخ .

ومثل هذا العناد الشخصي ، لا يولد الا الخلل في التفكير والخطأ في تقويم الأحداث وتخطيط المستقبل ، ولذلك اعترف « انجلز » في النهاية بقوله :

« لقد أثبت التاريخ أننا كنا وكان الذين يفكرون مثلنا مخطئين(٢) » .

ونكتفي بهذا الاعتراف لنتجاوزه الى رصد التغلغل الأخلاقي في نظام الاسلام ، وفي سائر تعاليمه في بناء الحياة وتنظيم المجتمع .

فالقرآن ينعى على الأمم السابقة التي شادت حضاراتها على أسس مادية ظنا منها أن الأموال والقوة المادية يمكن أن تغني عنهم أو تحميهم من عذاب الله أو تمنع عنه سننه في تدميرهم بأسباب يسببها من عنده ولا يستطيعون دفعها بما أوتوا من قوة أو علم .

يقول سبحانه عن قوم فرعون « كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِم

---

(١) رسائل انجلز التي نشرت في اكتوبر سنة ١٨٩٥ انظر : عباس العقاد : الشيوعية والانسانية ص ١٠٤ نشر دار الكتاب العربي . بيروت .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة وانظر : يوسف كمال محمد مستقبل الحضارة بين العثمانية والشيوعية والاسلام ص ٥٥ ط ١ .

السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ » (١) .

وتحفل سورة الشعراء بصورة القيم والوفرة والقوة المادية التى أحرزها السابقون وانصرفوا بها عن الايمان بالله فما أغنت عنهم شيئا ولم تكن جهودهم فى تشييد القصور وتعمير الجبال وبناء المصانع واستخدام القوة والعلم فى تعبير القرآن الا عبثا .

فهود عليه الصلاة والسلام يخاطب قوم عاد « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ » (٢) .

ونبى الله صالح عليه الصلاة والسلام يخاطب قوم ثمود « أَتُتْرَكُونَ فى مَاهَهُنَا آمنين . فى جَنَّات وَعُيُون . وَزُرُوع وَنَخْل طَلْعها هَضِيم . وَتَنْحِتُونَ من الْجِبَال بُيُوتًا فَارِهين » .

كما يتحدث القرآن الكريم عن حضارة سبأ وما كان فيها من جنات وأشجار تحمل الثمار وقد نقل عن السلف ومنهم قتادة (٣) أن المرأة كانت تمشى تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل يتساقط فيه من الاشجار ما يملؤه من الثمرات من غير أن يحتاج ذلك الى كلفة ولا قطاف لكثرته ونضجه واستوائه فلما أعرضوا عن الايمان بالله أجرى الله عليهم سنته فتهدم سد مأرب وانساب الماء فى أسفل الوادى وخرب الله ما بين يديه من الأبنية والحدائق فلما نضب الماء يبست الزروع وتحطمت وتبدلت تلك الأشجار الأنيقة المثمرة النضرة تنبت بدلها اشجار الاراك والاثل وبعض اشجار السدر ذات الشوك الكثير والثمر القليل .

قال تعالى « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ . جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُور . فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِم جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْط وَأَثْل وَشَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيل . ذلك جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ » (٤) .

وقصة قارون فى القرآن الكريم اشهر القصص فى هذا الباب باب الاعتبار وتوكيد العامل الاخلاقى الايمانى وأهميته فى بناء الانسان

(١) سورة الدخان الآيات من ٢٥ الى ٢٩ .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٢٨ ــ ١٣٤ .

(٣) تفسير ابن كثير ص ٥٤١ جـ ص ٢١ دار الفكر . بيروت .

(٤) سورة سبأ الآية ١٥ ــ ١٧ .

والحضـــــارة .

فقد كانت مفاتيح خزائن قارون ــ المفاتيح وحدها فضلا عن الخزائن نفسها ــ يعجز عن حملها العصبة أولو القوة من الرجـال ، وكـان من قـــوم موسى لكنه بغى عليهم وخرج عن حدود ايمانهم وأخلاقهم فأخذوا ينبهونه الى أن القوة المادية والثروة وحدها لا تفيد « وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِـرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الفَسَـــادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ » (١) .

ولكن غرور المادة الذى يصيب كل الماديين أصاب قارون فظن ان الثروة التى أصابها انما أصابها بعلمه وحذقه لا بفضل الله وتوفيقه « قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُه عَلى عِلْمٍ عِنْدِي » .

يقول بعض المفسرين انه كان يعالج علم الكيمياء ولم يعلم ان الله سبحانه اهلك قبله من الأمم عبر القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا وأن الصـورة القرآنية لتبلغ قمتها حين تبين اختلاف منازع الناس وافكارهم ازاء العوامل المادية وفتنتها الطاغية حين خرج قارون على قومه فى زينته .

فالماديون الذين تغلبهم العوامل المادية ويستحوذ عليهم بريق الحياة الدنيا قالوا عند مشهد قارون فى هذه الزينة « يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَـارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » .

اما الذين اوتوا البصر والعلم بحقائق الاشياء الذين يدركون جوهـــر الايمان أو العوامل الاخلاقية وراء المادة لا تغرهم ثروة قـــالوا للمــادين « وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ » .

وتنهى الصورة بوضوح الأساس الخلقى الذى تاه عنه قارون اذ يخسف به وبداره الارض ولا يغنى عنه علمه الذى اغتر به ولا ماله الذى جمعـــه وذلك حين يتحدث الماديون الذين تمنوا مكانه بالامس عن خلاصة الموقف يقول اللـــه ســـبحانه « وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ : وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ . لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَـا . وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُونَ » .

وشبيه بهذه الصورة ما قصه القرآن الكريم عن أصحاب الجنة الذين مات أبوهم الصالح وترك لهم جنة ورافة الظلال مثقلة بالثمر ولكنهم أقسموا ليقطعن

---

(١) سورة القصص الآية ٧٧ .

الثمر ولا يعطوا الفقراء ما تعود أبوهم أن يعطيهم كل عـــام **« فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ »** . ويبلغ من درجـة أن غير الله معالمها من شدة الحريق أنهم ظنوا أنهم تاهوا عن الطريق حتى أدركوا أن الله عز وجل انما بعث عليها الحريق جزاء ما أزمعوا عليه من حـرمان للفقـــراء **« قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ. فَأَقْبَلَ بعضُهم على بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ . قالوا يا وَيْلنا إِنَّا كُنَّا طاغِين . عَسَى رَبُّنا أن يبْدلنا خَيْرًا مِنْها إِنَّا إِلى رَبِّنَا راغِبُون » (١) .**

وتتعدد هذه الصور القرآنية فيعرض لنا القرآن الكريم صورة أخـرى لرجلين أعطى الله أحدهما جنتين من أعناب محفوفتين بالنخيل وبينهما الزروع الكثيرة وقد فجر الله خلال الجنتين نهرا عذبا .

وكانت هذه النعمة داعية لصاحبها أن يشكر الله ويقيم حياته على أساس الايمان بالله لكن المــادية أغرته وظن أن الأسباب المادية وحدها تستقل بنفسها ولا يطرأ عليها التغير والفناء فراح صاحبه ينبهه الى أن العوامل المادية متغيرة وأنها تخضع لقوانين خارجة عن المادة لأنها مسخرة لله وتستطيع قدرة الله أن تسبب أسبابا منظورة كريح عاصفة أو جفاف لماء النهر فتصبح الخضرة الوارفة صعيدا زلقا ارضا صلبة يابسة حتى أصبح ذات يوم فاذا بالجنتين قد أحيط بهما وهلك الثمر وانهار كل شيء **« فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا . وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا » (٢) .**

وتتعدد هذه الصورة القرآنية لترتبط جميعا برباط أساسي يقوم على قاعدة اسلامية هي :

ان الايمان بالله طريق الى النماء والوفرة والكفـر به طـريق الى المحق والفقـر .

يقول سـبحانه وتعـالى **« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فلنحيينه حياة طيبة » (٣) .**

كمـا يقـول عز وجل **« وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبْ » (٤) .**

---

(١) سورة ن الآية ٢٨ ــ ٣٢ .
(٢) سورة الكهف الآية ٤٢ .
(٣) سورة النحل الآية ٩٧ .
(٤) سورة الطلاق الآية ٢ ، ٣ .

ويبلغ التغلغل الأخلاقى فى تعاليم الدين من أجل اقامة الحياة على أساس روحى وأخلاقى أن الله يجعل الايمان مؤثرا فى الأرض وقوة الاثبات يقول تعالى « وَالبلد الطيب يَخرُج نَبَاته بِإِذْنِ رَبّه والذِى خَبُث لا يَخرج الا نكدا » (٢) ·

وفى شهر الصوم بالذات وقفة مركزة لتنبيه المسلم الى هـــذا المعنى حيث يعيش طول يوم فى صيام كامل عن الطعام والشراب والشهوات امتثالا للـــه وحده وكلما مسه ألم الجوع ذكر الله ووجل قلبه واستقام على المســيرة التى يريدها الله له حركة لحياته ومنهجا له ·

فاذا جن الليل عاش مع ربه متقويا بما افطر به حسبة لله مســـتغرقا فى القيــام لله ·

وهكذا يقضى المسلم نهاره وليله مع فكرة الوجود الدائم والحمد لله رب العالمين ·

كما يقول تعالى « **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (١) ·**

وربما لا يستطيع الماديون أن يفهموا الربط بين الايمان والوفرة المــادية التى يؤكدها القرآن الكريم لأن عقولهم تقصر عن ادراك ما وراء الأســباب المادية المنظورة فلا يستطيعون أن يفهموا تأثير سبب روحى كالايمان بقوة غيبية فى اعمار الأرض وبناء الحضارات وكثرة الانتاج وغير ذلك من ما يجــرى فى عالم المــادة ·

ونقول لهم حتى اذا كانت عقولكم المادية تقتصر على الأسباب والمسببات المادية فلا تستطيعون أن تنكروا عامل الاقتناع الانسانى بمبادىء معينة تدفعه الى سلوك معين قد يؤثر على قوة الانتاج وكثرة العمل أو قلته وما الانتــاج فى النهاية الا عمل يدفعه فكر ·

ومما لاشك فيه ولا جدال أن فكر الانسان هو المحرك لعمله ، وفكر المسلم يقوم على تعاليم الاسلام ، ويتحرك فى حياته على هدى منها · ولأن هذه التعاليم تجعل الأسس الروحية أساسا للمنطلقات المادية ولسائر أعمــال الانســان فى الحياة ·

فالمسلم فى عبادة لربه منذ أن يصبح من نومه ويبدأ أعمــال يومه حتى يعود الى منامه مرة أخرى ·

وفى المقالات القادمة سنتناول تعاليم الاسلام الأخلاقية فى سائر مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية لنرى كيف تقوم حركة المسلم فى الحيــاة على الأساس الأخلاقى الذى هو أساس الحضارة الحقيقية ·

---

(١) سورة الاعراف الآية ٩٦ ·

المنهج القرآني في

علم التصريف ... موضوعه

النقد العربي القديم والمنهجية

ردعلى مقال الدكتور عبد القادر القط

دراسات قرآنية

بناء الإنسان وتطوره

المنهج القرآني

تقوم الحياة الانسانية فى كل مجالاتها وجوانبها على المقدمات والنتائج ، وليس للبشر دور فى ذلك الا تحصيل المقدمات وانتظار النتائج ، أما ربط هذه المقدمات بنتائجها فأمر لا يملك الانسان تحقيقه وانما مرده الى الله عز وجل .

فالطالب يجتهد فى تحصيل دروسه ليحقق أغراضه من التعلم : نجاحا وتفوقا ، وتحقيقا لكمالات نفسه ، ونشرا للعلم والفضائل بين الناس ، والزارع يشتد فى تهيئة أرضه واصلاحها واعدادها ليجنى منها وافر المحصول وطيب الثمار ، وكذلك الصانع والتاجر ، وكل فى مهنته يجيد فى البدايات ثم يتوقع حسن العواقب التى تكون فى الغالب كما توقع .

ذلك قانون الحياة فى كل نواحيها ..

على أن الانسان غايته من وجوده ذاته ، فهو لم يخلق عبثا ، ولم يترك هملا ، ولم يوجد فى هذه الدنيا ليؤدى فيها دورا ينحصر فى حدود متطلبات جسده المادية ، وانما ليحقق بحياته كلها معنى العبودية الكاملة الخالصة لله سبحانه ، وهذا الهدف جاء واضحا محددا فى القرآن الكريم فى أكثر من آية :

١ — يقول الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) البقرة ٣٠ — ٣٣ .

٢ — ويقول سبحانه أيضا : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) الذاريات : ٥٦ — ٥٨ .

ويتم تقييم الانسان فى نظر القرآن الكريم على أساس تحقيقه لما خلق من أجله ، فتأتى واحدة من سوره الكريمة لتحكم بخسران كل الجنس البشرى باستثناء من حقق هذا الهدف :

(وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) العصر ، وفى اطار هذه الحقائق يمكن النظر الى الحياة ذاتها — فى ضوء القانون السابق — على أنها جزء من هذا القانون ، فهى مقدمة كبيرة لنتيجة أكبر هى الدار الآخرة : **(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)** الزلزلة : ٧ ، ٨ . والأمم فى سعيها الدائب نحو ما رسمته لنفسها من أهداف ، وما ترنوا اليه من غايات تبحث عن أصلح المناهج لتربية الانسان وبنائه البناء السليم ، لأنه بدوره هو الذى يبنى المجتمعات ، ولما كان لوجود الانسان غاية — هكذا أراد خالقه سبحانه وتعالى له أن يكون — وان أهدر بعض الناس الغاية من وجودهم ، أقول لما كانت هناك غاية ، فانه لتحقيق هذه الغاية يسير وسط حياة زاخرة بالاختبارات التى تمحص ايمان المؤمنين وتمحق كفر الكافرين ، ومن ثم تبرز أهمية المنهج الصحيح فى حياة البشر

فى بناء الإنسان

دراسة مقارنة لمناهج التربية

للدكتور محمد السيد جبريل

ليسيروا فى هداه نحو غايتهم المنشودة .

وقبل أن نستشرف معالم هذا المنهج القويم الذى يضع فى الاعتبار الغاية والوسيلة معا ، فيجعل غاية الانسان : ارضاء الله عز وجل ، والجنة . ووسيلته العمل الصالح ، والسلوك القويم والخير الذى يطبع حياته كلها . قبل أن نأتى الى هذا المنهج سوف نلقى نظرة فاحصة على سكان المعمورة شرقا وغربا فى الوقت الحاضر لنرى ما اتخذوه لأنفسهم من المناهج ، ثم نعرضها على ميزان النقد وفق القانون الذى أسلفناه .

يتنازع العالم اليوم فى شرقه وغربه مذهبان : المذهب الشيوعى ، والمذهب الوجودى . فالشيوعية فى الشرق قامت على أساس الصراع الطبقى ، وحصرت الحياة فى المشكلات المادية ، وفسرت التاريخ الانسانى على أساسها وأبت أن تحل هذه المشكلات الا عن طريق الصراع الدموى ، واتخذت من انكار الدين أساسا بنت عليه أركان مذهبها .

وليس هذا الكلام من قبيل التقول على المذهب الشيوعى . بل ان أصحابه ومؤسسيه هم بأنفسهم قد أعلنوا عن ذلك من أول الأمر .

يقول لينين فى خطاب له ألقاه فى المؤتمر الثالث لمنظمة الشباب الشيوعى فى أكتوبر سنة ١٩٢٠ أى بعد اندلاع الثورة الشيوعية فى روسيا بأعوام ثلاثة :

اننا لا نؤمن بالاله ، ونحن نعرف كل المعرفة ان أرباب الكنيسة والاقطاعيين لا يخاطبوننا باسم الاله الا استغلالا ومحافظة على مصالحهم ، اننا ننكر بشدة جميع هذه الأسس الأخلاقية التى صدرت عن طاقات وراء الطبيعة غير الانسان ، والتى لا تتفق مع أفكار الطبقية ، ونؤكد أن كل هذا مكر وخداع ، وهو ستار على عقول الفلاحين والعمال لصالح الاستعمار والاقطاع ، ونعلن أن نظامنا لا يتبع الا ثمرة النضال البروليتارى ، فمبدأ جميع نظمنا الأخلاقية هو الحفاظ على الجهود الطبقية البروليتارية) (١) .

وفى جريدة « أخبار اليوم » فى عددها ١٨٤٨ الصادر يوم السبت ١٩ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ عرض الكاتب نبيل أباظة تلخيصا لكتاب

(١) الاستاذ/وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى : ص ٢٧ ، ٢٨ .

بعنوان (قصتى مع الشيوعية) ألفه رجل عمل فى مكافحة الشيوعية أكثر من ربع قرن — كما نوه الكاتب الصحفى — هو اللواء متقاعد حسن المصيلحى ، رئيس قسم مكافحة الشيوعية بمصر سابقا .

فى هذا الكتاب يعرض الرجل لبعض الأفكار والمبادىء التى صيغت فى عبارات دونت فى المفكرات التى تتبادلها التنظيمات الشيوعية ، والتى تأتى بدورها من قيادتهم فى روسيا ، ومما ورد فى هذه المفكرات العبارات التالية :

(لقد صنعت الانسانية التطور ثم نسبته الى الآلهة ، وتملكها هذا الوهم فتوقفت عن الصعود وانتظرت من الآلهة أن تدفعها فكانت النتيجة الانحطاط) .

(لقد مات الله ، هكذا قال زرادشت ، فقد بلغت الانسانية من سمو الفكر والعقل مايتيح لها شئون نفسها ، أننا لسنا بحاجة الى وحى لا نراه) .

وعن الطريقة والوسيلة التى يمكن بها بث هذه الافكار نأتى عبارة تلخص فلسفة الشيوعية : (لكى تنجح فى الحياة : أما تنفجر بين الناس كقنبلة، أو تتسلل بينهم كالوباء ، أما الشرف فانه طعام الحمقى) .

لقد اجتزأنا من الشيوعية علاقتها بالدين — وهى علاقة الانكار التام كما بينا — لسببين :

الأول : أنها أعلنت موقفها منه من أول الأمر ، وبينت أنه عقبة فى طريقها ، وأخذت على عاتقها محاربته ما بقى لأتباعها عرق ينبض .

الثانى : أن هدف البحث بناء الانسان والمنهج الصحيح فى ذلك .

والآن لنضع المذهب الشيوعى من هذا المنطلق — فى الميزان .

فمن بناء الانسان غاية أنكرت الشيوعية الحياة الأخرى ، فأفقدت الحياة الدنيا هدفها ومبرر وجودها ، فأصبح الانسان فيها كائنا أحط من الحيوانات ، لا يتجاوز بصره حدود قدمه ، ولا يعرف له غاية غير اشباع غرائزه .

وعن بناء الانسان : وسيلة وسلوكا ، قامت الشيوعية على الأثرة والأنانية ، ونظرت الى الحياة على أنها صراع دائم لأخذ ما فى يد الغير بحجة القضاء على الطبقية ، فاذا عاش الانسان شقيا فى الدنيا فلأنه لم يقم بدوره فى هذا الصراع الدموى ويحصل أكثر ما يستطيع من الثروات ، وعندئذ لن ينفعه أمل خادع فى حياة أخرى .

وفى طريقها الى ذلك كله غرست الشيوعية فى نفوس أتباعها أشد الأمراض الاجتماعية فتكا ، وهو النفاق الذى يتخلق به الشيوعيون فى سبيل تحقيق مآربهم ، فهم فى المراحل الأولى يغشون دور العبادة ، ويعلنون أنه لا معارضة بين الدين وبين الشيوعية آملين من وراء ذلك خداع الناس عن حقيقة أمرهم .

ذلك نقد للشيوعية فى ذاتها وموضوعها ، فماذا عن الشيوعية فى نتيجتها ، وما حققت ، وقد مضى على ظهورها أكثر من ستين عاما .

انه بالرغم من مضى هذا الزمن الذى تخلله أكثر من تعديل للمسار ، وفى روسيا مهد الشيوعية ، سارت كل الأوضاع الى أسوأ ، فان الطبقية لم تنهر ، بل ظلت موجودة كما هى أو تزيد ، وكل ما حدث أنه بدلا من أن تتمثل الطبقة الرفيعة فى القياصرة وأتباعهم أصبحت تتمثل فى قادة الحزب ، وطبقا للنظرية الشيوعية ذاتها فان على الطبقة الأقل أن تمارس دورها فى الصراع الطبقى للقضاء على هؤلاء ليحل غيرهم محلهم فينهج نهجهم ، وهكذا تصبح الحياة سلسلة من الدماء متصلة الحلقات .

فاذا قيل : كيف ذلك ؟ أجاب الواقع بما يفعله زعماؤها بعضهم بالبعض . أما عن جماهير الشعب ، فحكم الارهاب والخوف ، وقتل الدوافع الانسانية هو حياتهم التي يعيشونها .

ان الشيوعية لم تستطع أن تحقق لاتباعها الجنة الموعودة ، وذلك أمر واقع يدعمه كل يوم أولئك الهاربون من تلك الجنة الموعودة تحت ستار الظلام والتخفي الى غيرها من أقطار الأرض .

والخلاصة : أن المذهب الشيوعي مذهب يصادم قوانين العقل ، ويخالف كل الأسس التي قامت عليها الحياة ذاتها عندما يجعل هذه الحياة مقدمة بدون نتيجة ، وهو بذلك انما ينكر وجوده ذاته ويصادم حياته نفسها .

فاذا ما نظرنا نحو الغرب ، وجدنا الوجودية — قمة المادية — وهي الطبعة الجديدة من الدهرية ، وهي مذهب قوم ألغوا عقولهم ، وانحدروا بمنزلتهم الى مستوى الحيوانات ، فلم يسموا الى قيمة رفيعة من قيم الحياة ، أو معنى نبيل من معانيها .

وذلك أيضا ليس تقولا على ذلك المذهب ، ولكنه خلاصة فكره وأساس وجوده : كما يعبر عنه رجل يعتبر التجسيد الحي لهذا المذهب في حياته كلها وسيلة وغاية .. ذلك هو برتراندرسل ..

يقول هذا الوجودي معبرا عن المذهب كما يعتقد كل أتباعه :

(والانسان وليد عوامل ليست بذات أهداف ، ان بداه ونشوءه ، وأمانيه ومخاوفه ، وحبه وعقائده كلها جاءت نتيجة ترتيب رياضي اتفاقي في نظام الذرة ، والقبر ينهي حياة الانسان ، ولا تستطيع أية قوة احياؤه مرة أخرى ، ان هذه المجهولات الطويلة ، والتضحيات والأفكار الجميلة ، والبطولات والعبقرية سوف تدفن كلها تحت أنقاض الكون ، ولو لم تكن هذه الأفكار قطعية ، فانها أقرب ما تكون الى الحقيقة حتى ان أية فلسفة تحاول انكارها سوف تلقى فناءها تلقائيا) (١) .

وذلك قول لا يحتاج الى تعليق فيما يعبر عنه . والانسان فيه يلتقي في النهاية مع الانسان في المذهب الشيوعي في الغاية النهائية ، واذا كان هذا المذهب قد افترق عن سابقه في أنه لم يعر مشكلات الطبقية انتباها ، فانه قد اتفق معه في الغاء العقل عندما نظر الى الحياة على أنها مقدمة عارية عن النتائج .

على أن ما يدعو للأسف حقا ليس تلك الجهالة الضاربة الى أعماق ثلثي سكان الأرض من اتباع هذين المذهبين ، وانما المؤسف حقا هو اتهام هؤلاء جميعا للمسلمين بأنهم هم ودينهم يفتقرون الى المنهج والطريقة في بناء الانسان الذي هو أرقى الكائنات وباقي المجتمعات .

فهل يفتقر المسلمون حقا بدينهم وقرآنهم وحضارتهم وتراثهم الى المنهج والطريقه ؟؟

هذا ما سوف نجيب عنه ان شاء الله تعالى في الصفحات التالية :

يقول الحق تبارك وتعالى : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُون ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُون ، والَّذِينَ هُم لِلزَّكَاةِ فَاعِلُون ، والَّذِينَ هُم لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون ، ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُم فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين ، فَمَن ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُون ، والَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُون ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُون ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُون) المؤمنون : ١ — ١١ .

المنهج القرآني :

تلك آيات عشر ترسم منهاجا كاملا للانسان ، وتقود خطاه الى الفلاح ، وهي توضح له طريقة التعامل مع خالقه أولا ، ثم مع البشر ثانيا في كل مجال .

---

(١) الاستاذ/وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى : ص ٣٨ نقلا عن Limitations of Science P. 133.

المنهج القرآني في بناء الانسان

انه منهج يتوافق مع قانون الحياة اذ ينظر اليها فى بدايته على أنها مقدمة تؤدى الى نتيجة ، ويرسم للانسان غايته ، ويعين له الوسيلة ، ويصاحبه فيها مرشدا وهاديا ، فالغاية أو النتيجة فى المنهج القرآنى هى : الفلاح وقد بادرت الآيات الكريمة التى ترسم هذا المنهج —عناية منها بهذه الغاية — الى ذكرها اولا : **(قد أفلح المؤمنون)** أما الوسيلة فهى وصف الايمان ، وما يستتبعه من واجبات ومسئوليات وتبعات .

والآيات بذلك بادرت الى ذكر الغاية والهدف أمام الانسان ثم رسمت الطريق الى هذه الغايه وأوضحت من دروبها ومسالكها بعد أن بينت الطابع الرئيسى لمن يسلكها ، وهو طابع الايمان .

وقبل أن نتناول جوانب هذا المنهج بالتفصيل ، نذكر شيئا عن صفة متبعيه : المؤمنين .

ان الايمان ليس مجرد شيء معنوى يعيش فى زاوية من زوايا الوجدان بمعزل عن معترك الحياة ، بل هو على العكس من ذلك تماما انه يقود الحياة ويوجهها الوجهة الصحيحة .

والرسول صلى الله عليه وسلم الذى أوتى جوامع الكلمة يبين فى عبارة وجيزة مصاحبة الايمان للانسان فى حياته كلها عقيدة وسلوكا ، بدءا من أخطر شيء وهو أساس الاعتقاد . ومرورا بالسلوك العام للشخصية المؤمنة ، وانتهاء بأصغر الأمور وأدقها .

يقول صلى الله عليه وسلم : (الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها : قول لا اله الا الله ، وأدناها : اماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان) رواه مسلم .

ويبين ابن قيم الجوزية رحمه الله أن عقيدة الايمان تملك على المؤمن كل أقطار نفسه ظاهرا وباطنا عملا وعقيدة فلا يتصرف الا وفقها ، فيقول : **(والايمان .. حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علما ، والتصديق به عقدا ، والاقرار به نطقا ، والانقياد له محبة وخضوعا ، والعمل به باطنا وظاهرا ، وتنفيذه والدعوة اليه بحسب الامكان ، وكما له فى الحب فى الله والبغض فى الله ، والعطاء لله والمنع لله ، وأن يكون الله وحده الهه ومعبوده) الفوائد : ص ١٠٧ .**

على أنه من الجدير أيضا بعد هذه المقدمة اليسيرة عن الايمان — وقبل الدخول فى تفاصيل المنهج — أن نعرض ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم مما قاله لأصحابه فى شأن الآيات التى جاءت ترسم جوانبه ، حتى يتوفر لهذا المنهج ما ينبغى له من الاهتمام فى تلقيه :

روى الامام أحمد والترمذى والنسائى وغيرهم عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : (كان اذا أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نسمع عند وجهه كدوى النحل ، فأنزل عليه يوما ، فمكثنا ساعة فسرى عنه فاستقبل القبلة ، فرفع يديه فقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا ، واكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وأرضنا ، ثم قال : لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ : (قد افلح المؤمنون ، حتى ختم العشر) .

اذا اتضح ذلك أمكن الدخول فى تفاصيل المنهج ، وهو يتكون من عدة جوانب ، تشترك كلها فى ابراز الصورة المشرقة التى ينبغى أن يكون عليها الانسان الذى تتحدث عنه الآيات وهو الانسان المؤمن .

الجانب الأول : يتمثل فى علاقة الانسان بخالقه سبحانه ، والصورة التى ينبغى أن يكون الانسان عليها عند لقائه : **(الذين هم فى صلاتهم خاشعون).**

ان لقاء الانسان اليومى بالله عز وجل الذى

يتمثل فى واحدة من العبادات التى شرعها الله سبحانه لتزكية النفس وتطهيرها ، وهى فى منهج حياة المسلم تحتل مكان الصدارة ، انها تعيد صياغته كل يوم لتصلح منه ما فسد ، وتقوم منه ما اعوج ، وتقيمه على طريق الاستقامة والطهارة ، وهى تحدث هذا الأثر الكريم من وجوه عدة .

فهى أولا : تفصل بين الايمان والكفر : (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) مسلم .

وهى ثانيا : تحصن الانسان ضد المعاصى : **(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** العنكبوت : ٤٥ .

وهى ثالثا تغسل خطايا العبد المتوالية : (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) متفق عليه .

وهى رابعا : تعلم الطاعة والنظام والتماسك بأدائها فى جماعة : (ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لاتقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية) رواه أبو داود بإسناد حسن .

وهى خامسا : تجعل الانسان نشيطا وثابا الى الخير : (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد : عليك ليل طويل فارقد ، فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان) متفق عليه .

وهى بعد ذلك تتكفل ببناء الشخصية ، وتوفر لها عناصر العزة والقوة ، فمعظم ما يصيب الانسان من انحراف ونفاق ومداهنة ، انما هو نتيجة لخوفه من أن يلحقه أذى فى نفسه أو رزقه ، ولا يستسلم الانسان لهذا الخوف الا عند نسيانه الخالق واتجاهه الى المخلوق ، والصلاة الخاشعة تعالج ذلك كله .

فهى فى المفتتح تبدأ بالتكبير ، هذه العبارة التى يبدأ الانسان لقاءه بها مع ربه (اللـه أكبر) ترده الى محيط العبودية الكاملة لله عز وجل ، وتنتشله من هذا الضعف الطارىء ليوقن أنه ليس هناك من هو أكبر من الله ، مالك النفس والرزق هو اللـه ، والنافع والضار هو الله ، والمعز والمذل هـو الله : **(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** آل عمران : ٢٦ .

هنا تعود للانسان قوة ايمانه ، فيتجه فى كل أعماله الى اللـه ، لا يخشى ولا يرجو سواه ، فيستقيم منه المعوج ، ويعتدل فيه المائل .

الجانب الثانى : يتعلق بالسلوك أو الطابع العام للشخصية المؤمنة ، ويتمثل فى قوله تعالى : **(والذين هم عن اللغو معرضون)** .

وقد عرف العلماء اللغو بأنه : مالا يعتد به من الأقوال والأفعال ، أى مالا يفيد .

فطابع الشخصية الانسانية التى أرادها القرآن ورسم ملامحها هو الجد فى كل الأمور ، وهذا الطابع لم يوجد من فراغ ، وهو ليس بمعزل عن المقومات الأخرى للشخصية المؤمنة ، بل يرتبط بها أشد ارتباط ، فهو فى واقع الأمر أثر من آثار الصلاة الخاشعة التى تتكرر فى اليوم خمس مرات .

وعلاقة الانسان الايجابيه باللغو تتمثل فى درجات ، فهو قد يباشر هذا اللغو بنفسه ، أو يتسبب فيه ، أو يميل الى فعله وان لم يفعله ، أو يحضره ولو من غير ميل ، لذلك جاءت الآيات بتعبير يفيد الشرك الكامل من الشخصيه القرآنيه لهذا اللغو

بكل درجاته ، وهو الاعراض ، وليس مجرد الترك .

ولا يعرض عن اللغو الا أصحاب الهمم العالية الذين يعرفون للكلمة قدرها فلا يضعونها الا فى وضعها الصحيح ، وذلك ميزان من موازين الشخصية السوية القويمة التى تستطيع أن تشارك فى بناء الحياة بجد .

وذلك المبدأ — مبدأ الجد الذى لا هزل فيه — قد قررته آيات القرآن وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم .

١ — (**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**) ق : ١٨ .

٢ — **(رب كلمة من سخط الله يقولها المرء لا يلقى لها بالا يهوى بها فى النار سبعين خريفا) مسلم .**

٣ — **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت) متفق عليه .**

٤ — **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) متفق عليه .**

٥ — **(أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك) رواه الترمذى .**

٦ — **(كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه) مسلم .**

٧ — **(من يضمن لى مابين لحييه وفكيه أضمن له الجنة) متفق عليه .**

فاذا أضفنا الى ذلك كله سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه باعتباره القدوة والأسوة للمسلمين وجدنا التطبيق الكامل لهذا المنهج ، فقد كان صلى الله عليه وسلم فى نطقه : ذاكرا ، وفى صمته : منفكرا ، وفى نظره معتبرا ، وفى سروره : مبتسما .

وتلك لبنة أخرى فى صرح البناء الانسانى فى القرآن .

الجانب الثالث : يمثل أولى مراحل التطبيق العملى لهذا المنهج : (**والذين هم للزكاة فاعلون**) .

فشخصية المؤمن من خلال الجانبين الماضيين شخصية جادة سوية ، تصاغ على الايمان كل يوم ، كما أنها تتعامل مع الحياة من منطلقين :

الأول : أن كل مافى الأرض ، بل ومافى الكون ملك لله عز وجل .

الثانى : أن المؤمنين اخوة .

من ثم سارع الى الاستجابة — لما علم أن مالك الملك جعل للفقراء نصيبا فى مال الأغنياء ، هو عبارة عن جزء من أربعين جزءا من هذا المال — فأخرج هذا الحق مطبقا ما تعلمه من قوة وشجاعة نفس ، وثقة فى الله عز وجل وفيما عنده — من خلال صلاته ، فجاهد فى نفسه حرصها على ما ملكت ، وعزوفها عن التفريط فيه ، وأخرج ذلك الحق لينشر فى الحياة الحب والتكافل ، وليعلن أمام الله تعالى براءته من أن ينسب الى نفسه شيئا من ملك هو لله القائل : (**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ**) **الحديد : ٧ .**

ولقد أخذ هذا الجانب التطبيقى من منهج البناء القرآنى للانسان ، المتمثل فى العطاء المؤدى الى التعاون والحب ، أخذ جانبا كبيرا من آية البر التى تعتبر من أجمع الآيات القرآنية فى رسم ملامح الشخصية المؤمنة :

يقول تعالى : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) البقرة : ١٧٧ .

فالآية تنقسم الى ثلاثة أقسام : الأول يتعلق بكمالات النفس فى جانب صحة الاعتقاد ، ويبدأ من قوله تعالى : من آمن بالله الى قوله : والنبيين والثانى يتعلق بكمالات النفس فى جانب معاشرة العباد ، ويبدأ من قوله تعالى : وآتى المال على حبه ذوى القربى الى قوله وفى الرقاب ، والثالث يتعلق بالكمالات الانسانية التى هى من تهذيب النفس ، وهى بقية الآية •

والذى يهمنا هنا هو الجانب الثانى : الذى يتعلق بكمالات النفس فى جانب معاشرة العباد ، وقد تبين أنه أساس من أسس المنهج القرآنى فى بناء الانسان•

وقد ذهب بعض المفسرين الى أن المقصود بالزكاة فى الآية تزكية النفس وتطهيرها من المعاصى ، واستأنسوا لذلك بقوله تعالى :(**قد أفلح من زكاها**) أى طهرها من الذنوب •

ولا أرى بعدا بين المعنيين ، بل هما يلتقيان فى أن اخراج الزكاة طهرة للنفس وللمال معا ، فهى تطهر النفس من الشح والبخل ، والله سبحانه يقول : **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) التوبة : ١٠٣ •

وتكتمل أبعاد هذا الجانب ببيان ما ينفق منه بعد بيان من يعطون فى هذا الانفاق •

انه الطيب المحبب الى نفس المنفق ، يقول الله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ**) البقرة : ٢٦٧ •

وفى ذلك اشارة الى أن المؤمن ينبغى له أن يتحرى الحلال فى تحصيل رزقه •

ويقول عز وجل : (**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**) آل عمران : ٩٢ •

الجانب الرابع : يمثل تعامل الانسان مع أعراض مجتمعه وحرماته : (**والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون**)•

وتمضى الآيات لترسم ملامح المنهج ، وفيها تتضح صورة الانسان الذى أراده القرآن شيئا فشيئا •

ان للأعراض فى مجتمعات الايمان قداسة ، والقرآن الكريم يرسم لها الحدود ، ويسهر على حراستها ، ويسد المنافذ أمام مجرد التفكير فى الاعتداء عليها ، ويربى الانسان على تقديس حرمتها وينهى عن مبادىء أى عمل قد يؤدى الى الاجتراء على اقتحام حصونها ، وقد وردت آياته الكريمة بذلك كله :

١ ــ (**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**) الاسراء : ٣٦ •

٢ ــ (**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) النور : ٣٠ ، ٣١ •

وورد من الأحاديث أيضا :

١ ــ (**اياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحمو ؟ قال : الحمو الموت**) **متفق عليه** •

٢ ــ (**لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذى محرم**) **متفق عليه** •

٣ ـ (اياكم والجلوس فى الطرقات ، قالوا : يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاذا ابيتم الا المجلس فاعطوا الطريق حقه ، قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ، قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر) متفق عليه .

٤ ـ (كتب على ابن آدم حظه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه) متفق عليه واللفظ لمسلم .

٥ ـ (حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، ما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين فى أهله فيخونه فيهم الا وقف له يوم القيامة فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى ، ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه وقال : (ما ظنكم) ؟ رواه مسلم .

الجانب الخامس : يمثل الاطار العام لما سبق من الجوانب :(والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون)

فما سبق من جوانب هذا المنهج انما يدخل فى الأمانة التى حملها الانسان ، وهى أمانة التكاليف الشرعية : (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) الأحزاب : ٧٢ .

وكذلك العهد الذى أخذ عليه : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) الأعراف : ١٧٢ .

وقد يفهم من لفظ الأمانات ، والعهد أن المراد معانيها الخاصة ، بمعنى أن الأمانات هى الأمانات المادية المقصودة بقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) النساء : ٥٨ .

وأن العهود هى ما قامت بين الناس فى شتى أمورهم : (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا) الاسراء ٣٤ .

لكن المعانى الأولى أعم ، وهى تشمل المعانى الثانية .

ويلتئم المطلع مع الختام فى قوله تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) .

وفى ذلك اشارة الى أن علاقة الانسان بخالقه هى التى تحكم كل عمل من أعمال المؤمنين ، فالمؤمن مع الله تعالى فى البدء وفى الختام ، وكل ما توسط هذين الطرفين من الأعمال والصفات محكوم ومطبوع بهذا الطابع ، وفى الآية الأولى بيان الهيئة التى ينبغى أن تتم فيها الصلاة وهى الخشوع الكامل لله عز وجل ، وفى الآية الأخيرة أمر ضمنى بالمحافظة عليها لتستمر حياة الانسان فى ظل هذه العلاقة الكريمة .

وفى النهاية تأتى نتيجة هذا التطبيق العملى لمنهج القرآن فى قوله تعالى : (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

انه تعبير بالميراث الذى هو أقوى أسباب الملك .

وهو تأكيد للنتيجة بعد تعديد جوانب المقدمة .

ذلك هو المنهج القرآنى فى بناء الانسان ، منهج يلائم البشر ، ولا يصادم رغباتهم ، بل ينظمها ، ويصلحها ، ويتوافق مع قانون المقدمات والنتائج ، ويسوق الانسان سوقا الى غايته التى خلق من أجلها ، والى العمل للدار الآخرة التى هى نتيجة لمقدمة تمتد من ميلاد الانسان حتى وفاته .

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور محمد السيد جبريل
مدرس التفسير بكلية أصول الدين (القاهرة)
جامعة الازهر

علم التصريف

موضوعه وتطوره

للدكتور محمد إبراهيم البنا

عرفنا فيما مضى أن مسائل التصريف اقتضت أن يمهد لها بأمرين :

الأول : تحديد أبنية العربية التى يقاس عليها ، والثانى : أصول التغيير أو مقاييسه • وكان سيبويه قد صنع ذلك ثم جاء المازنى وابن عصفور فأقاما كتابهما على هذا الأساس • أما المشتقات بمعناها الاصطلاحى ، وحديث المنسوب والمصغر ، والتثنية والجمع فقد خلا منها التصريف • ويبدو أن ابن جنى كان أول من فكر فى ادخال هذه المشتقات فى التصريف ، وذلك عندما حدد التصريف بقوله : « أن تأتى الى الحروف الاصول فتتصرف فيها بزيادة أو تحريف ، بضرب من ضروب التغيير (١) » • ثم مثل لذلك بصوغ الماضى والمضارع واسم الفاعل والمفعول والمصدر ، وقال : « فمعنى التصريف هو ما أريناك من التلعب بالحروف الأصول لما يراد فيها من المعانى المفادة منها وغير ذلك (٢) » • على أنه لم يتجاوز فى كتابه « التصريف الملوكى » ما تناوله المازنى فى تصريفه من الحديث عن الأبنية مجردة ومزيدة ، وما يعرض لها من تغيير ، ثم لا نجد فى كتابه حديثا عن التصغير والنسب ، ولا عن المشتقات ، ودلالة الأبنية : ذلك أن أبواب النسب والتصغير والمشتقات تمثل أوضاعا لغوية ، أو كما يقول ابن جنى : هى

(١) التصريف الملوكى ٢ •

(٢) المرجع نفسه ٢ ــ ٣ •

علم التصريف

أعقد في اللغة من التصريف ، لا يتصرف الدارس فيها ، وانما هو يدرسها لأنها أصبحت تمثل ظاهرة في اللغة . وقد وجدت من قبل ابن عصفور يحاول ادخال هذه المشتقات في التصريف ، وكان يتأسى في ذلك بمقالة ابي جنى ، ولكنه لم يستطع أن يتخلص من أسار القدماء ، كما قدمنا . ثم جاء ابن الحاجب فعرف التصريف بقوله : « علم بأصول تعرف به أحوال أبنية الكلم التى ليست باعراب(١) » .فقصر التصريف على أصول التغييرات وحدها ، وغاب من التصريف موضوع علم التصريف الأول . ثم تلمس الأسباب حين حاول دمج المشتقات في علم التصريف ، لأن تعريفه انما يتناول أحوال الأبنية لا تقيم أصول لمعرفة هذه الأبنية . وكان غريبا قول الرضى : « ان العلم بالقانون الذى تعرف به هذه الأبنية تصريف بلا خلاف(٢) » . مع أنه ساق بعد ذلك تصور القدماء لهذا العلم على نحو ماقدمناه. لكن اشارة ابن جنى العابرة ، التى ساقها في مقدمة كتابه هي التى أوحت الى المتأخرين أن يتسع نطاق التصريف ليشمل المشتقات جميعها ، ولذلك وجدنا ابن مالك يقول : « التصريف تحويل الكلمة من بنية الى غيرها لغرض لفظى أو معنوى.. ومن التصريف ضرورى كصوغ الأفعال من مصادرها ، وغير ضرورى كبناء مثال على مثال ، كقولنا : ضربب ، وهو مثال دحرج من ضرب (٣) » . ومن هنا أصبحنا ندرس في التصريف ما كان القدماء يدعونه اشتقاقا ، وأصبحنا نعنى فيه بمعانى أبنية المشتق ، ومعانى أبنية المزيد من الأفعال ، وبدلالة المصغر والمنسوب، وأصبح التصريف خلوا من مضمونه ، فلم يعد المشتغل به يتصرف فيبنى مثالا على نظام مثال آخر، وانما هو يدرس أصول الاشتقاق ، ويرصد تغييرات الأبنية ، وان كنت تجد في ثنايا بعض أبوابه بقايا من مسائل التصريف ، اقتضتها القسمة العقلية ، وذلك كما في صور التقاء الهمزتين .

ويبدو أن ما تعرض له التصريف بمفهومه الأول من النقد كان وراء تطور مضمونه . ولقد حكى عبد القاهر انكار معاصريه لما يجدونه في التصريف فقال : « فان بدأوا فذكروا مسائل التصريف التى يصنعها النحاة للرياضة ولضرب من تمكين المقاييس في النفوس ، كقولهم : كيف تبنى من كذا وكذا ؟ »

(١) شرح الشافية للرضى ١/١ ، ٦٥ .
(٢) المرجع نفسه ١/٤ ـ ٥ .

(٣) شرح الكافية الشافية ٨٣٣ .

وأجابهم بقوله : « أما هذا الجنس فلسنا نعيبكم ان لم تنظروا فيه ، ولم تعنوا به ، وليس يهمنـــا أمره ، فقولوا فيه ما شـــئتم ، وضـــعوه حيث أردتم (١) » • وكان لابن مضاء من هـــذه المسائل موقفه المشهور حين دعا الى اسقاطها من النحو ، وذلك فى قوله : « ومما ينبغى أن يسقط من النحو: ابن من كذا على مثال كذا . كقولهم : ابن من البيع على مثال فعل ، فيقول قـــائل : بوع •(٢) » • يبدو أن ذلك كان الدافع الى تعديل مضمونه كما رأينا •

ومن كل ما تقدم يتبين أن علم التصريف بمفهومه الأخير أصبح يضم الأبنية القياسية من المشتقات ، الى جانب أقيسة التغيير ، وأنه لم يدخل فى مفهومه لا عند الأوائل ، ولا عند المتأخرين ، ما يريده له بعض المحدثين من أن موضوعه تلك الوحدات ذات الدلالة النحوية ، فذلك شىء كان بعيدا كل البعـــد عن تصور نحاتنا •

(١) الدلائل ٢١ ــ ٢٢ •
(٢) الرد على النحاة ١٣٥ •

المراجع

١ ــ التصريف الملوكى لابن جنى ، تصـــحيح محمد سعيد النعسان الحلبى ١٣٣ جنيها ــ ١٩١٣ م مطبعة التمدن بمصر •

٢ ــ الخصائص لابن جنى ، تحقيق محمـــد علـى النجار ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢ م دار الكتب بمصر •

٣ ــ دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى ، ط المنار •

٤ ــ الرد على النحاة لابن مضاء ، تحقيق د• محمد ابراهيم البنا ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م ــ دار الاعتصـــام بالقاهرة •

٥ ــ شرح الشافية للرضى : تحقيق محمد نور الحسن وآخرين ط حجازه بالقاهرة ١٣٥٦ هـ •

٦ ــ شرح الكافية الشـــافية لابن مالك ــ رســالة دكتوراه فى كلية اللغة العربية ، تحقيـــق د• احمـــد الرشـــد •

٧ ــ الصاحبى لابن فارس ، تحقيـــق مصـــطفى الشويمى ، ط بيروت •

٨ ــ الكتاب لسيبويه ، تحقيق عبد الســلام محمد هارون ١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٦ م دار القلم بالقاهرة •

٩ ــ مجالس العلماء للزجاجى ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ١٩٦٢ م الكويت •

١٠ ــ الممتع لابن عصفور ، تحقيق د • فخر الدين قباوة ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ هـ المطبعة العربية بحلب •

١١ ــ المنصـــف لابن جنى ، شرح تصريف المازنى ، تحقيق ابراهيم مصـــطفى وعبد الله أمين ١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٤ م الحلبى •

د• محمد ابراهيم البنا

الاستاذ المساعد فى كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر

النقد

رد على مقال: الدكتور عبد القادر القط

كتب الاستاذ الدكتور عبد القادر القط بحثا دقيقا موضوعه « حركات التجديد فى الشعر العباسى » ونشر هذا البحث ضمن مجموعة دراسات دبجها أدباء ومفكرون يدينون لآثار طه حسين الروحية بالفضل كل الفضل ورفعوها هدية اليه فى كتاب عنوانه الى طه حسين بمناسبة عيد ميلاده السبعين ، عرفانا بالجميل ، وتقديرا لعقله الفذ ، وعلمه النبيل ، على حد ما قال الدكتور عبد الرحمن بدوى فى تقديم الكتاب (١) ، وهذا البحث يتصل اتصالا جوهريا بقضية « النقد العربى القديم والمنهجية » ولهذا رأينا ان نقف عند بعض قضاياه ، لانها تمثل أساسا مهما فى صياغة مفاهيم شائعة عن الشعر ونقده

ومن أهم ما أخذه الدكتور عبد القادر على النقاد القدماء أنهم لم يحاولوا تفسير مذهب المحدثين ومناقشته مناقشة موضوعية شاملة تبدأ من ادراك أن لكل عصر روحه ومقتضياته(٢)

وقد حاول هو فى بحث حركات التجديد أن يفسر علل هذا المذهب المحدث وأسباب نشوءه فى ضوء الادراك الشامل لروح العصر العباسى ومقتضياته ، وهذه هى اللمحة التى وصلتنا بمقاله القديم الذى نشر سنة ١٩٦٢ •

وقد بدأ الاستاذ بمناقشة محاولة الدكتور طه حسين التى فسرت عناية أبى تمام بالبديع وبناء كلامه على فنون البلاغة فى ضوء التطور الطبيعى لمذهب زهير بن أبى سلمى ، وعولت فى تفرد أبى تمام على ما قيل من أنه يونانى الأصل على حد ما ذكر العقاد فى ابن الرومى •

وقد استدرك الدكتور عبد القادر على هذه المحاولة استدراكا حسنا ، واستخرج منها أنها لا تكشف علل هذا المذهب المحدث • وانما تحيل المشكلة من أبى تمام الى زهير • ومن العصر العباسى الى العصر الجاهلى ، ويبقى السؤال عند علة نشوء هذا المذهب عند زهير من غير اجابة شافية ، كما أن رجوع تفرد أبى تمام الى ما قيل من أنه يونانى يبطله أن أباه (ثدوس) كان رجلا مهملا فى خمارة فى دمشق ، ولم يكن من حملة فلسفة اليونان ، تلك الفلسفة التى حينما نذكرها فى العصر العباسى نغفل ما طرأ على حياة اليونانيين من تحول كبير بعد ذهاب دولتهم ، وذهاب فلسفتهم ، والمهم لم يكن هؤلاء اليونانيون المهملون فى الأقطار الاسلامية من حملة فلسفة سقراط ولا من رواة شعر هوميروس ، كما أن الالحاح على اعتماد السلالة والجنس فى تفسير خصائص الشعر انتهى الى تناقض يتلاطم تلاطما بينا وذلك حين رجع العقاد بخصائص شعر ابن الرومى الى روميته ، ورجع طه حسين بخصائص شعر أبى تمام الى يونانيته ، ومذهباهما فى الفن متقابلان(٣)

وهذه من تحقيقات الدكتور عبد القادر التى ينفذ الى مثلها كثيرا بفطنته واتئاده : ثم سلك طريقا ارتضاه فى تفسير شعر أبى تمام ، احتشد له ، وأطال فيه انتهى فى رأينا الى وجه هو أشد بعدا من الوجوه رفضها •

وسنحاول ايجاز أصل رأيه فى هذه القضية •

مراجع البحث (١) مقدمة كتاب الى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين ص ٨

(٢) مجلة الفصول العدد الثالث ص ١٥

٣ ــ ينظر كتاب الى طه حسين ص ٤٢٩ وما بعدها بتصرف

العربي القديم والمنهجية

أشار الاستاذ الى أن المحيط الذى سوف يفتش فيه عن علل هذه الخصائص التى شاعت فى شعر أبى تمام ووجدت فى غيره هو البحث فى طى التطورات الحضارية ، وتلافيف المجتمع ، وأحوال طبقاته ، وحظوظها من السعة والضيق ، ومنازلها فى الشرف والرياسة . وما يقتضيه وجود كل طبقة من هذه الطبقات وما يتصارع فى نفوس أهلها من نزوعات وأحوال ورغائب ، أو هو تحليل بنية المجتمع المادية والحضارية والفكرية ، واستخراج بذور التطور من هذه التربة ، وكيف نبتت وأزهرت ، يقول فى بيان ذلك « كان لابد لكى نفهم نشأة مذهب أبى تمام أن ننصرف عن التماس اسبابه فى تأثير مدرسة زهير الحسية أو عوامل الوراثة الاجنبية اليونانية الى دراسة ظروف الشعر العربى ، وتطور وظيفة الشاعر ووضعه فى المجتمع فى العصر العباسى » (١) .

ثم رجع الى نشأة المديح منذ الجاهلية وشرح ظروف هذه النشأة فى ضوء التركيب الطبقى للمجتمع الجاهلى ، وأنه كان ضرورة لطبقة أصحاب الثروة والوجاهة والتجارات التى كانت تذرع الجزيرة من كل جهاتها هو اذن لخدمة مصالح هذه الطبقة وكان أيضا متناغما مع الشعور القومى المتزايد والمتجه نحو توحد العرب وتأصيل روابط ومقومات هذا التوحد فى الفكر واللغة والادب ، ثم ان شعر المديح الذى نشأ لهذه العلل نما وترعرع واستبد بالشعر وخنقه وانتزع منه روح الحياة (٢) .

ثم ان هذه الاوضاع تطورت فى العصر العباسى وانتهت الى « الحكم المطلق والنظام الاقطاعى بكل فساده ومظالمه فأصاب أخلاق الناس بكثير من الضعف ونشر بينهم الملق والرياء والضعة » (٣) .

أما الشعراء فقد انتهى بهم الحال فى ظل هذه الاوضاع الى « ضرب من الاحتراف باعد بينهم وبين الحياة وجعل شعرهم فى كثير من الاحيان تعبيرا عن موضوعات لا تمت الى نفس الشاعر بصلة كبيرة » (٤) .

وهم منصرفون الى الثناء المسرف والمبالغات المقوتة والتلفس فى وصف طبقة الاقطاعيين بالكرم والشجاعة والجمال أحيانا يريدون أن يظفروا بشىء مما فى أيديهم يسد فاقتهم وقد يظفرون بمكانة تلائم طموحهم ، وقد أنفقوا من معانى الشجاعة والكرم والجاه والجمال باسراف شديد حتى نفدت ، وهم

(١) ـ المرجع السابق ص ٤٣٣

(٢) ـ ينظر المرجع السابق ص ٤٣٤
(٣) ـ المصدر نفسه ص ٤٣٨
(٤) ـ المصدر نفسه ص ٤٣٣

ناظرون دائما الى الشعر الجاهلي ينتقون ذخائره من الالفاظ والصياغة والتصوير ويعيدون تشكيلها بعد ما يفرغون فيها مبالغاتهم ، وهذه أيضا نفدت ، وحينئذ كان التجديد ضرورة « ولم يكن من سبيل الى هذا التجديد الا أن يلجأ الشاعر الى التلفيق الذهني فيغير في المعنى القديم تغييرا بشيء من الاضافة أو التعديل أو المبالغة أو التعقيد ليخلع عليه الغموض ثوب الاصالة أو الجدة » (١) .

هذا هو مبلغ التجديد الذى كان عند شعراء هذا العصر ، ويلاحظ أن المراد بالتعديل هو ما حدث فى صور التشبيه والمجاز من ايغال ، وبذلك يتم تفسير نشأة السمات الفنية الثلاثة التى يتصف بها الشعر العباسى ويتميز بها عند الاستاذ الفاضل ، أعنى الايغال فى الصور المجازية والمبالغة والتعقيد هكذا هى فى بحث حركات التجديد أما فى بحث النقد العربى القديم والمنهجية فالاسراف فى استخدام البديع يأتى بدل المبالغة (٢) . والخلاصة أنها كلها تلفيق ذهنى .

وهذا المحيط العفن من رذائل النفاق والزيف والملق الذى انغمست فيه أرواح الشعراء أفسد عليهم ملكة البيان وبث الصلة بين ألسنتهم وقلوبهم فاذا رأوا جمال الطبيعة عجزوا عن الاحساس به أو تصويره ، فاذا جازفوا وصوروه صوروه زيفا كزيف المديح .

يقول الاستاذ « ومع أن وصف الطبيعة موضوع بعيد عن جو المديح وما يفرضه من معان تقليد ومبالغة وصفة وكان يمكن أن يجد فيه الشعراء مجالا خصبا تنطلق فيه مواهبهم دون زيف فان طول تنكرهم لانفسهم وتجاهلهم لتجاربهم وانغماسهم فى تلك الأجواء البعيدة عن الصدق والاصالة قد صرفتهم من ناحية عن الالتفات الى مظاهر الطبيعة التفاتا يتناسب مع خصب ذلك الموضوع وساقتهم من ناحية أخرى فى معظم القصائد التى وصفوا فيها الطبيعة الى ما ألفوه من صنعة وزيف فى شعر المديح » (٣) .

ثم استشهد لزيف احساسهم بالطبيعة ببيت ابن المعتز « انظر اليه كزورق من فضة » وأبيات ابن الرومى التى جاءت فى هذه القصة المعروفة ، وعلق بما يعلق به أهل الادب على هذه المسألة من فقدان الاهتمام بالناحية النفسية ونقل انفعال الشاعر الى آخره .

والدكتور عبد القادر تتأصل عنده نزعة علمية أصيلة تراها دائما فى احتياط عبارته حيث يستخدم كلمة معظم أو غالبا ما يكون أو يشير الى أنه مع كل هذا فاننا لا نعدم أن نرى .. الى آخر ذلك الذى يعرفه قراؤه ويحمدونه له .

والمهم أنه هكذا درس نشأة هذا المذهب « منطلقا من مناقشة موضوعية شاملة تبدأ من ادراك أن لكل عصر روحه ومقتضياته » (٤) .

واهتدى الى الذى لم يفطن اليه النقاد القدامى الذين « نشأت معظم قضاياهم النقدية من كل هذه الاوضاع الشاذة (٥) السابق تحليلها » .

هذه الاوضاع الشاذة من اقطاع وحكم مطلق وفساد الاخلاق وشيوع الملق والنفاق والزيف صير الشعراء على حال يتجاهلون معها تجاربهم ، ويلغون شخصياتهم ويسيرون فى الحياة بلا موقف ، ولا نظرة خاصة ، ويحاولون التجديد فى معان

---

١ ـ المصدر نفسه ص ٤٤١
٢ ـ الفصول ص ١٤
٣ ـ الى طه حسين ص ٤٤٤
٤ ـ الفصول ص ١٥
٥ ـ الى طه حسين ص ٤٤٥

محدودة ضيقة يفرضونها على وجدانهم فرضا ، فينتهون من ذلك الى صور ذهنية مفتعلة لا تجافى الحقيقة فحسب بل تتنكب صحة الذوق أيضا » (١) .

من هذه الاوضاع الشاذة نشأت معظم قضايا النقد فكانت أيضا شاذة وزائفة كقولهم أعذب الشعر أكذبه وهم لا يريدون الايغال فى الخيال أو التصوير وانما أرادوا المبالغات المسرفة التى كانوا يتنافسون فى وصف الاقطاعيين بها ، بل ان الشعراء أنفسهم كانوا يعترفون أحيانا فى شعرهم اعترافا صريحا بالكذب (٢) .

**

من تكلم فى مسألة النظام الاقطاعى ، ومصلحة الطبقة ، والحكم المطلق لان محابر الستينيات كان قد ذوب فيها كثير من هذه الكلمات ، وسودت بها قراطيس كثيرة ، ونأمل أن تكون قد أفرغت هذه المحابر الآن وجدها والناس على دين ملوكهم والله خير حافظا .

وكثير من أحرار الفكر يتناولون تاريخ المسلمين تناولا يصور قياداته ورجالاته فى صور المستبدين الفاسدين المفسدين وأيضا فى صور الجهلة المخدوعين بالزيف والملق والنفاق .

واذا رجعنا الى تاريخ هؤلاء الرجال وجدنا غير ذلك فأبو جعفر المنصور رأس الدولة العباسية كان من أصحاب الامام مالك رضى الله عنه ، وكان يشاركه الرأى فى الفقه والحديث ولما طلب من مالك أن يضع كتاب الموطأ شرح له منهج تصنيف الكتاب وقال له اجتنب فيه شواذ ابن مسعود ، وشدائد ابن عمر ، ورخص ابن عباس ، واقصد أوسط الأمور وما أجمع عليه الصحابة والائمة ، واجعل هذا العلم علما واحدا » (٣) .

وهذا الكتاب الذى وضعه الامام مالك بطلب أبى جعفر قال عنه الشافعى ما علا ظهر الارض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك كما أخرجه ابن فهير (٤) .

وكان عمرو بن عبيد يحب أبا جعفر وينظر اليه وهو يطوف حول البيت قبل ولايته ويقول لو أراد الله بأمة محمد خيرا لولى أمرها هذا الرجل من قريش .

وقد جمع المفضل بن محمد بن يعلى المفضليات بأمره ليحفظها ولده المهدى الذى كان المفضل واحدا من شيوخه ، والمفضليات من عيون الادب ولا يقرؤها فى زماننا هذا كثير من شيوخ الادب ، بل وكثير ممن يصفون أمثال هؤلاء الرجال بالحماقة والجهل والانتشاء عند سماع زيف المديح وكاذبه .

وكان حرص الخلفاء على الشعر والقيام على صحته يدعوهم الى التدخل فى الرواية فيبطلون رواية بعض الرواة ويعلنون فى الناس ذلك ، ويحضونهم على رواية الثقاة . والهادى بن المنصور لما صرف الناس عن رواية حماد أعطاه فى هذا اليوم عشرين الف درهم لجودة شعره مغمضا عن الطعن فى روايته .

والرشيد يدفع خاتمه وكان ثمنه الفا وستمائه دينار لمن يروى له أفضل بيت فى وصف الذئب ، وكان المفضل هو ذلك الراوى الذى ذكر له قول الشاعر :

ينام باحدى مقلتيه ويتقى
بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

---

١ ـ الى طه حسين ص ٤٤٧
٢ ـ الى طه حسين ص ٤٤٢ بتصرف
٣ ـ موطا مالك ص ١٢ ، ١٣ تقديم الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف
٤ ـ نفس المصدر ص ١٣

النقد العربي القديم والمنهجية

وتدفع أم جعفر زوج الرشـيد للمفضل الالف والستمائة ، وترد الخاتم للرشـيد وتقول له كنت اراك تعجب به فيدفع الرشـيد الخاتم والالف والستمائة دينار للضبي ويقول ما كنا نهدي شيئا ونرجع فيه ، وهذا كله تقدير للادب وأهله . ولم يكن المفضل الضبي شاعرا مسرفا فى وصف الرشيد بالكرم والجاه والجمال وانما هو لغوى وراويته .

وكا هؤلاء القـواد والخلفـاء والامراء الذين ينبذون بالظلم والاقطاع والفسـاد والافسـاد يضـمنون أرزاق العلماء ، ويقطعون لهم دورا وضياعا من أجل تصنيف كتاب أو تحرير مسـألة ، أو فتح باب من أبواب النظر فى جانب من جوانب اللغة ، وكانوا يشاركون أهل العلم النظر والتدبير حتى أنهم يتبـادلون الرأى مـع العلمـاء فى المادة العلمية ، ومظانها ، وطريقة تصنيفها على حد ما كان من أبى جعفر مع الامام مالك رضوان الله عليه ، وما كان من أبى الفضل الميطالى مع علم من أعلام العربية هو أبو منصور الثعالبى فى التوجيه الى مادة علمية خاصة ، ووضعها فى نسـق خاص ، وذلك ما نجده فى فقه اللغة وسر العربية وهو من الكتب الجيدة التى لم يكثر التصنيف على مثلها ، ثم هو كتاب يكشف جانبا من أدق جوانب العربيـة حين يحدد الفروق الدقيقة بين المعانى المعجميـة التى نراها فى ألفاظ تتشابه جدا وتتباين تباينا دقيقـا ، وهذا ما تأسس عليه الوضـع فى العربية افرادا وتركيبا فهناك فروق بين درجات صوت الناقة مثلا ولكل درجة من هذه الدرجات تسمية خاصة ، يخلط من لم يلحظها فى بيانه ، نقول مثلا : أرزمت الناقة اذا أخرجت صـوتا من حلقها ولم تفتح فاها ، ونقول : حنت اذا كان صـوتها أشد من الارزام قليلا ، ونقول : بغمت اذا قطعت صوتها ولم تمده ، ونقول : رغت اذا ضجت ، ونقول : سـجرت اذا امتد صوتها المتحنن على ولدها ، وهكذا .

والذى لفت الى التصنيف فى هـذا الفرع هو أبو الفضل الميكالى ، ولم يلتفت أبو الفضل الى هذا الا من كثرة مجالسة أهل العلم وسـماعه أسرار العربية وخصائصـها ، وكان مثل ذلك كما يقول الثعالبى يجرى لمعانى تضـاعيف المصـنفات فتنبه الأمير أبو الفضـل الى وجوب جمعه وتصـنيفه وتجويده ، وطلب ذلك من الثعالبى وحدد له معالم الطريق وأمده بما شـاء من مصـنفات فعكف أبو منصور على ذلك حتى أخرج كتابه ، وسـجل ذلك فى مقدمته وسـاق قدرا هائلا من المدائح الشعرية والنثرية لأبى الفضل وذكر أنه لو أعارته خطباء اياد ألسـنتهم وكتاب العراق أقلامهم حتى يقول ويسطر فضـائل أبى الفضـل ما اسـتطاع ذلك (١) .

وأكثر تراث الأمة كتب تحت أعين الخلفـاء والأمراء والقواد من يوم أن شرع سـيدنا على لأبى الاسود باب القول فى النحو ، وقد سـجل العلماء ذلك فى مقـدمات كتبهم ، ومدحـوا هؤلاء نثرا ، فهؤلاء العلمـاء اذن منافقـون مزيفـون ، انفسـدت طبائعهم وانتزعت ألسنتهم من أفئدتهم وانغرست أصـولها فى عفن الزيف والنفاق والملق ، وهذا التراث الذى بين أيدينا انما نشأ لخدمة هذه الطبقة ونظام الاقطاع الفاسد المفسد ، وهو ثمرة هذه الاوضاع الشاذة فهو زيف كله .

---

١ ـ مقدمة فقه اللغة وسر العربية للثعالبى

وبذلك تبقى هـــذه الأمة من بين أمم العالمين بلا شعر ولا نثر ولا فكر ويبقى رجال تاريخهـا فى السـياسة اقطاعيين ظلمة ، وفى الادب والفكر مزيفين كذبة .

وهذه النهاية الشاذة الساقطة ليست تزيدا منـا وانما هى صريح المقدمات التى ذكرها الاستاذ ، والتى يذكرها أحرار الفكر .

**

لم يسقط الناس فى زماننا بابا من أبواب الادب كما أسقطوا شعر المديح ولم يرفع القدماء بابا من أبواب الادب كما رفعوا شـعر المديح ، فهو أمارة النبوغ ومن يبرع فيه يصير شاعرا فحلا وان قصر فى غيره ، ومن يعجـز عنه أو يقصر فيه فليس من الفحول وان برع فيما عـداه .

طرفان متناقضان هو عند القدماء ذروة الشـعر وعند المحدثين زيفه وزوره وهـذا يعنى أن شـعر المديح اما أن يكون ضـلل القدماء ، وزيف عليهم فرأوه على غير ما هو عليه ، واما أن يكون قد انقلب لنا على رأسه فلم نر منه الا سوأته . وكلاهما غير مقبـول .

لا مفر اذن من دراسة هذا الباب دراسـة تحلل عناصره ، وتتعرف على سير الرجال الذين مدحوا به ، وشـمائلهم ، ومدى عطائهم لأمتهم وأجيالهم والى اى مدى كانت أعمالهم تلامس قلوب الناس . ثم هل كان هذا الشـعر يتضمن معانى وقضايا وحكما خوالج وأحوالا تجعله أوسع من مجرد الثناء ؟

كل هذا حين يدرس بروح علمية واعية سينتهى لا محالة بضـوء جديد والذى أريد أن أقوله هنا فى هذا السياق العجل أننى ماعرفت الشعراء يمدحون مهازيل الرجال ، وما عرفتهم الا وهم ينظرون الى أقدار فنهم فى ضـوء أقدار من يمدحون ، وهناك كثيرون من ذوى الثراء راموا المـديح فازدراهم الشعر وازور عنهم ، وتاريخ الادب مشـحون بهـذا .

هناك روابط وثيقة بين المساعى وشعر المديح ، وليست بين المالوشعر المديح ، شعر المديح كان كلفا بصياغة فضائل ذوى المروءة والنجدة والشـجاعة والبأس ، وهو الذي صيرها لحونا عذبة ، وأفرغها فى قلوب الناس ، وطير ذكر من نهضـوا بها ، وكان الشعر مقياسـا دقيقا فمن كثرت مساعيه كثرت مدائحه وصار من أهل السؤدد ، ومن ولت مساعيه قلت مدائحه ، وتاه فى أغمار الناس .

ليست العلاقة اذن بين شعر المديح ، ومصـالح الطبقة وانما هى بين شعر المدائح وكرائم الفعال ، واذا كان الشـاعر لا يعد فحلا الا اذا مدح فكذلك الرجل لا يعد شريفا فحلا الا اذا مدح ، ولا أعرف فى تاريخ الامة فاضلا أغفله الشعر ولا لئيما ساقطا احتفى به شاعر كبير .

وقد عبر أبو تمام عن هـذه الرابطة وذكر أن كرائم الأمور لها عند الشعر عهد وذمة ، أن يكون حارسا لها ، يضمرها فى نغمة ، يحدث بها الاجيال والاحقاب . وقد أدرك العرب هذا وأرادوا الا تكون مكارمهم ضريرة خرسـاء وانما أرادوها جوابة صداحة .

قال :

ان القـوافى والمسـاعى لـم تـزل
مـثـل النظـام اذا أصـاب فـريدا

هى جوهر نثر فان الفته
بالشعر صار قلائدا وعقودا
فى كل معترك وكل مقامة
ياخذن منه ذمة وعهودا
فاذا القصائد لم تكن خفراءها
لم ترض منها مشهدا مشهودا
من اجل ذلك كانت العرب الأولى
يدعون هذا سؤددا محدودا
وتند عندهم العلى الا على
جعلت لها مرد القصيد قيودا

البيتان الاخيران مهمان فالعرب الأوائل أى الجاهليون يعرفون قدر الرجل بقدر ما قيل فيه من شعر فالمدح المحدود لسؤدد المحدود والمعالى التى لا تقيدها أنغام القصيد تند وتتبدد .

واذا نظرنا فى ديوان أبى تمام والبحترى وهما أشهر شعراء المديح وذكر الاستاذ أن أكثر شعرهما فيه وجدناهما يمدحان رجالا مثل الحسن ابن مخلد الذى قالوا فى خبره انه كان أحد كتاب الدنيا .

وصاعد بن مخلد الذى قالوا فى خبره كان من رجالات الناس حزما وضبطا وكفاية وهو من وجوه النصارى ، ولما أسلم كان يقوم فى آخر الليل فلا يزال يصلى الى طلوع الفجر ، والفتح بن خاقان وكان أديبا فاضلا اجتمعت له خزانة كتب من أعظم الخزائن ووصف بأنه كان ذكى النفس حسن العشرة ، وأبو سعيد محمد بن يوسف الثغرى الذى دعته ذاكرة تاريخ الدولة الرومانية لكثرة وقائعه بها ، والذى عاد من عموريته فاتحا الى مكة حاجا فقال فيه أبو تمام :

لما تركت بيوت الكفر خاوية
بالغزو آثرت بيت الله بالقفل
والحج والغزو مقرونان فى قرن
فاذهب فأنت زعاف الخيل والابل

والزعاف السم أى انك تهلك الخيل فى الغزو وتهلك الابل فى الحج ، ولاريب أن تصوير نوازع النفس والابانة عما انطوت عليه من معانى المروءة والبسالة والسؤدد محتاج الى خليفة من طبع الشاعر يحس بها هذه المعانى احساسا خاصا .
وشعر المديح فى كثير من جوانبه هو أيضا الباب الذى يصور فيه الشاعر أحلامه فى المثل الانسانية الرفيعة ويسن فيه وبه هاتيك الخلال التى تحدد بناة المعالى على حد ما قال أبو تمام :

ولولا خلال سنها الشعر مادرى
بناة المعالى كيف تبنى المكارم

والشاعر الذى تتخلف فيه هذه الطبيعة لا يعد من الفحول لارتباط الشعر فى تاريخ الامة بالفضائل الانسانية واختبار قدرته على الابانة عنها . وهكذا يقال فى شعر الهجاء لانه بيان عن طبائع النفوس الهاوية .

وتصوير للخلال التى تسقط بها المروءة ، وشعر الفخر أيضا من هذا الباب .

وهذا الذى نذهب اليه من ارتباط الشعر بخلال النفوس ودورانه فى أكثر جوانبه وأهم وظائفه حول الانسان يحدوه نحو المراقى ويستثير ما كمن فى أعماقه من قطرة الخير ، قد فطن اليه القدماء حين جعلوا أركان الشعر أربعة ، مدح رافع ، وهجاء واضع ، وفخر ساحق ، وتشبيه مصيب ، وهذه هى الطرق التى اذا استطاع الشعر أن يسلكها انتهت به الى ذروة الفحول .

وهؤلاء هم الشـــعراء الكبار الذين يرتادون الآفاق الافضل ، ويكشفون لبنى الانسان درجا من السـمو فوق درج ، أو هم الذين أقاموا على متن السحاب فأرضهم بعيد وأقطار السـماء بعيد كما يقول الاستاذ العقاد .

ثم ان قصائد المديح لم تخلص لهذا ، وانما هى عامرة بخوالج النفوس وهمهماتها وفيها الحكمـة البالغة والوصف الصـائب ، ولم يصف المتنبى الجيوش والحروب وهـذه التجربة الفذة الزاخرة الا فى قصائد المديح وهذا فى شـعر أشـهر من أن تدل عليه ، وأوصـاف الروابى فى مدائح البحترى

آيات بينات ، وأبعد من هذا ماتراه فى وصف الشعر نفسـه ، وقد سجل تاريخ النقد للبحترى آراء فى بناء الشعر وبلاغة الكلام ساقها فى قصائد المديح والهجاء ، أما المديح فقد فطن الباقلانى (١) الى أن للبحترى مذهبا فى نقد الشعر وتذوقه سجله فى مدحه لعبد الملك بن الزيات التى مطلعها :

بعض هـذا العتاب والتفنيد
ليس ذم الوفاء بالمحمـود

والتى يقول فيها :

فى نظام من البلاغة ما شـك امرؤ انه نظام فريد
وبديع كانه الزهر الضاحك فى رونق الربيع الجديد

حزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب فادركن به غاية المراد البعيـد
كالعـذارى غدون فى الحلل البيض اذا رحن فى الخطوط السـود

وقد جاء فى قصيدة هجائه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (٢) .

والعقل من صنعة وتجربة شكلان مولود ومكتسبة
كلفتمونا حدود منطقكم والشعر يغنى عن صـدقه كـذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنطق ما نوعه وما سـببه
والشعر لمح تكفى اشارته وليس بالهذر طولت خطبه
لو أن ذاك الشريف وازن بين اللفظ واختار لم يقـل شـجبه
واللفظ جلى المعنى وليس يريك الصفر حسـنا يريكه ذهبـه
اجلى لصـوص البلاد يطلبهم وبات لص القريض ينتهبـه

وهذا كلام نفيس يحتاج الى استخراج وتحليل وفيه البيت الذى ضج من كثرة ما رمى به وحصاد ما قيل حوله قديما وحديثا محتاج الى مقال مفرد .

والغريب أن شعر المديح والهجاء الذى هذا بعض ما فيه تشتد عليه الهجمة وتخرجه من ساحة الشعر

وتفتح أبواب الشعر السبعة ليدخل منها أبو نواس وواليه وبشار وأشـباههم ، ويقف نقادنا ليطردوا البحترى وأبا تمام والمتنبى وأبا العلاء ، ولم يكتفوا بهـذا يمزقون أديمهم ويرمونهم بالزيف والنفاق والمسخ .. والى لقاء آخر ان شاء الله .

**

---

١ ــ اعجاز القرآن ص ١١٥
٢ ــ ديوان البحترى ج ١ ص

اللغة

دراسات لغوية

فى إطار البحث عن صلة اللغة بالمجتمع نتناول ما يعرف بالمنافسة بين اللهجات واللغات ، ونتحدث فى هذا المجال عما يحدث بين لهجات اللغة الواحدة واللغات التى تتلاقى من صراعات تكون لها نتائجها فى التطور اللغوى ، ونبين ـ من خلال ذلك ـ ما يعرض للغة جماعة انسانية من آثار بعيدة المدى فى سلوكها واتجاهاتها .

(أ) المنافسة بين اللهجات :

يحتاج الناس الى اتصال بعضهم ببعض ، أفرادا ، وجماعات ، وأمما . ولهذا الاتصال آثاره اللغوية ، فلهجات ولغات تلك الجماعات والأمم تتلاقى ، ويستفيد بعضها من بعض .

والتأثر الذى يعترى لهجات اللغة الواحدة ، قد يبدو عاديا حين لا يكون الاختلاط بين الطبقات كبيرا ، كلهجات القرى والمدن ، فى آية دولة ، فلكل منها سمات تمتاز بها من الأخرى ، وبينها اشتراك فى مظاهر كثيرة ، تستمدها من اللغة العامة ، ولذا لا تستعصى احداها على الفهم خارج حدودها ، اللهم الا فى حالات العزلة التى تعيش فيها بعض القرى والأماكن النائية أو الاقاليم التى تفصلها عن بعضها عن بعض ظروف جغرافية واجتماعية ، فانها تؤدى الى ظهور سمات تنفرد بها لهجاتها ، وقد تستعصى على فهم غيرها من البلاد النائية عنها قرية دانت أو مدينة .

وحين تتجاوز اللهجات الخاصة فى المدن الكبرى ، والقرى المجاورة لها ، تزيد درجات التأثر ، ففى داخل المدن يكثر الاختلاط بين الطبقات ، ويحاول الأدنى تقليد الأرقى ، ومع ذلك تبقى لكل لهجة خصائصها المميزة .

وسكان القرى المجاورة للمدن يحاولون التخلى عن خصائص لهجاتهم وتقليد لهجات المدينة ، لأن حضارة أهل المدن ، وثقافتهم تجعل الرغبة فى تقليدهم ملحة لدى الريفيين .

والمجتمع

للدكتور عبد الغفار حامد هلال

وقد أجريت بحوث فى هذا الحقل أوضحت عوامل تفوق لهجة على أخرى ، وهى تعود — فى معظمها الى الثقافة والحضارة ، والنفوذ والسلطان ، وعدد الناطقين ونحو ذلك .

فاذا انفردت احداهما بميزة ، بأن كانت أكثر ثقافة أو حضارة أو ذات نفوذ سياسى أو تجارى أو دينى واسع أو كثر عدد الناطقين بها فان ذلك يدعو الى تغلبها على اختها أو اخواتها من اللهجات الأخرى .

وقد حدث هذا كثيرا فى التاريخ اللغوى .

فاللاتينية التى صارت لغة ايطاليا المشتركة ، وأخيرا لغة العالم الغربى بأسره كانت لغة روما ، أولا وقبل كل شىء أى لغة المدينة فى مقابلة لغة الريف المجاور ، واللهجات القاصية على السواء(١) .

واللهجة الباريسية ، أصبحت لغة فرنسا ، بتغلبها على اللهجات الأخرى (فالفرنسية انما خرجت من العاصمة ، ومن طبقة اجتماعية بعينها من طبقات العاصمة ، وهى البرجوازية .. وقد استقرت فى القرن التاسع عشر ، وسلم بها القصر ، ثم الاقاليم، والكتاب الكبار باستعمالهم اياها زودوها بالقدرة على فرض نفسها نهائيا ، وعلى استمرارها لذلك لا تكاد تحس فيها أثرا للهجات) (٢) .

ولهجة فرنسا كانت مزاياها الذاتية ترشحها أكثر من غيرها للقيام بدور اللغة المشتركة اذ كانت أقرب من غيرها الى اللاتينية (٣) .

ولهجة فلورنسا (فى ايطاليا) — لهجة المجتمع الراقى بهذه المدينة — هى التى صارت لغة ايطاليا (٤) .

ولهجة قريش تغلبت على سائر لهجات الجزيرة العربية ، قبل الاسلام لتحقق النفوذ السياسى ،

---

(١) فندريس : اللغة ص ٣٧٢

(٢) نفسه ص ٣٣٠ .
(٣) نفسه ص ٣٣٥ .
(٤) نفسه ص ٣٢٥ .

والاقتصادى ، والدينى لها .

ويمكن أن تنشأ على أثر ذلك لغة مشتركة تحصل خصائص اللهجة المتغلبة ، وما بقى من خصائص اللهجات الأخرى المندحرة .

وهذا التوحيد اللغوى يخضع لعوامل كثيرة اهمها :

١ ــ العامل السياسى :

فخضوع عدة مناطق لنظام سياسى واحد يؤدى الى تقارب لهجاتها ، ثم توحدها فى لغة عامة ، فالساسة والحكام يجردون أحاديثهم العامة فى مختلف المناطق من المظاهر الصوتية ، والصوفية ، والمعجمية ، وغيرها مما يختص بلهجة قرية أو مدينة معينة ، أو طائفة حرفية ، حتى ولو كان الحاكم من أبنائها ، ليكون ما يوجه الى الشعب مفهوما لدى كل الطبقات الاجتماعية .

وتلاحظ أن عاصمة الدولة تكون محط أنظار قاطنى المناطق الأخرى ، فيحاولون تقليد لهجتها ، والتخلى عن ما تنفرد به لهجاتهم الأصلية .

ومن هنا تنشأ لغة عامة خالية الى حد كبير من خصائص اللهجات المحلية .

ويمكن أن تمثل لذلك بامتداد نفوذ الفرنسية ، التى كانت لهجة باريس ، ثم انتشرت فى جميع البلاد الداخلية فى المجال السياسى الفرنسى ، واللاتينية صارت لغة ايطاليا المشتركة وأخيرا لغة العالم الغربى بأسره (١) تبعا للنظام السياسى ، وذلك فى الامبراطورية الرومانية القديمة (٢) .

وعدم خضوع الدولة لنظام سياسى واحد يضع الصعوبات فى طريق التوحد اللغوى (فألمانيا التى ظلت قرونا ولايات مستقلة سياسيا وبدون عاصمة مثل على عرقلة الحالة السياسية لظهور لغة عامة) (٢) .

وكانت تبدو آثار اللهجات المحلية فى عامية متعلمى الألمان ، حتى فى أيامنا هذه أكثر من غيرها من البلاد الاوربية (٢) (ولذا قام انتشار الالمانية المشتركة فيها على أسباب مستقلة عن كل وحدة سياسية ، فالالمانية المشتركة أولا وقبل كل شىء لغة كتابة تدين بنجاحها الى اسباب دينية ، كما تدين بأصلها الى الرغبة فى الاستعمار ، وكانت هناك حركة مارتن لوثر ، وترجمته للكتاب المقدس ، وهناك لغة المستشاريات فى المدن والامارات الالمانية ، والالمانية كانت تحتل الاراضى السلافية قدما بقدم ، وتحل محل اللغات السلافية فتتكونت الالمانية المشتركة ، فى مدن الاستعمار فى ألمانيا الشرقية ، تلك اللغة التى وصلت بفضل الاصلاح الدينى الى اهميتها الأدبية واستقرت بفضل اكتشاف المطبعة ، وصارت لغة الكتابة فى ألمانيا المثقفة بأسرها (٣) .

٢ ــ العامل الاجتماعى والاقتصادى :

تتقدم بين جماعات الشعب روابط النسب ، والمصاهرة ، ويلتقون للتجارة : وتبادل المنافع فى شتى المجالات ، وقد تنشب بينهم المنازعات وهذا يؤدى الى اختلاطهم ، وقوة الاتصال بينهم ، ولذلك أثره فى التقريب بين اللهجات وظهور لغة عامة تتخلص من السمات التى تنفرد بها كل لهجة .

ومن الأمثلة التى توضح اثر هذا العامل ما حدث لنهجات الجزيرة العربية من توحد ــ فى لغة عامة ــ قبل الاسلام بحوالى قرن ونصف أو قرنين من الزمان لما كان بين أهلها العرب من ارتباط فى النسب وعلاقات المصاهرة الوثيقة ، والجوار ، والتعامل التجارى وغيره من الصلات الاجتماعية .

---

(١) فندريس : اللغة ص ٣٢٩ .
(٢) د . السعران : اللغة والمجتمع ص ١٧٤ .
(٣) فندريس : اللغة ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

٣ ـ العامل الأدبي :

الأدب وسيلة مهمة من وسائل التوحد اللغوى ، فالأدباء من قصاص ، وشعراء يكتبون أدبهم بلغة يفهمها جميع الشعب ـ بمختلف طبقاته ليروج ويذيع ، وتلك اللغة التى يكتبون بها تتخلص من الخصائص المتعلقة باللهجات المحلية ، لأى اقليم من أقاليم الدولة ، وهذا يهىء سبيل التوحد للهجات الجماعات المتعددة .

وقد سادت عند العرب لغة عامة صيغ بها النثر والشعر الذى غصت به الأسواق الأدبية ، كعكاظ ، والمربد ، وذى المجاز ، وكم جرى التنافس والمبارزة بين الشعراء ، فى هذه الأسواق ، ليحكم لهذا بالتفوق على ذاك ، وكانت تلك الأشعار مصدر امتاع للجماهير العربية ، وساعد ذلك على ظهور لغة مشتركة بين العرب جميعا ، قامت على أساس اللهجة القرشية ، وما استفادته من غيرها من محاسن اللهجات الأخرى .

وفى أوربا (توجد لهجات مشتركة من أصل أدبى محض ، مثل الايطالية ، التى استقرت لغة مشتركة، ابتداء من القرن الرابع عشر بفضل هيبة الكتاب العظام ، وتأثيرهم مثل : دانتى وبترارك وبوكاشيو، وذلك فى وقت لم يكن لايطاليا فيه آية وحدة سياسية ، وأغلب الظن أن هؤلاء الكتاب ، استعملوا اللغة التى كانت تتكلم حولهم ... واللغة التى رفعها دانتى الى مرتبة اللغة الأدبية ، والتى صارت لغة ايطاليا المشتركة كانت أولا وقبل كل شىء لغة مدينة هى فلورنسا ولغة المجتمع الراقى فى هذه المدينة) (١) .

٤ ـ وسائل الاعلام :

لوسائل الاعلام كالاذاعة والتليفزيون ، ودور الخيالة (السينما) والمسارح ، والصحافة وغيرها أثرها فى التوحد اللغوى ، فهى لسان حال الأمة ، والمعبر عن أغراضها السياسية والاجتماعية ، وهى تستخدم لغة أدبه بأن تكون عامة فيما يسمع أو يكتب على سواء ، ففى الأقطار العربية ـ مثلا ـ تستخدم الفصحى ، وبعض الأساليب العامية التى يفهمها الجميع .

وتلك الوسائل ـ بلا شك ـ لها خطرها فى التأثير على الناس ، وتكوين لغة عامة .

٥ ـ المدن الكبرى :

للمدن الكبرى أثرها فى نشوء لغة مشتركة ، اذ تتطلع اليها أنظار سكان الأماكن المجاورة لها ، والبعيدة عنها ، فيكثر القادمون اليها من كل صوب ، وهم ـ حين يلتقون داخل تلك المدن ـ يحاولون ـ عادة ـ التخلى عن سمات لهجاتهم الأصلية ، ويميلون الى استخدام لغة عامة يفهمونها جميعا ، فاذا أضفنا الى ذلك أنهم يلتقون بالسكان الأصليين لهذه المدن أدركنا الى أى حد يمكن أن تبرز لغة عامة يستعملها الجميع .

فالدور الأساسى الذى آل الى أثينا بعد سقوط الامبراطورية الفارسية أدى الى ظهور لغة مشتركة مستمدة من اللهجة الاتيكية ، ولكن زاد من قوة الاتيكية ، واشعاعها ، شهرة شعرائها وفنانيها ، فكان لأثينا ـ بوصفها مركزا سياسيا وأدبيا وفنيا على السواء ، شرف تأسيس اللغة المشتركة التى ظلت منذ القرن الرابع قبل الميلاد ، حتى القرن التاسع بعد الميلاد أداة للتفكير عند جميع الاغريقيين (٢) .

ولقد تكونت الانجليزية المشتركة فى مدينة لندن التى ساعد موقعها على أن تكون ملتقى لمختلف اللهجات (هذا الى أن تكون اللغة المشتركة صادفت وقوعه فترة نحو لندن المفاجىء ، حيث أخذت تتلقى بين

(١) فندريس : اللغة ص ٣٣٥ .

(٢) فندريس : اللغة ص ٣٢٨ ، ٣٣٢

أحضانها طوائف المهاجرين ، على اختلافهم ، يفدون عليها من كل الاقاليم ويمتزجون بالسكان السابقين ، هذه الهجرات أدت الى شحن اللغة المشتركة بآثار اللهجات ، حتى لنجد نطق الانجليزية فى القرن السابع عشر لم يثبت بعد ، وأنه يشتمل على عدد كثير من وجوه الخلاف ، ولا تزال بقايا منه موجودة حتى اليوم ، ولكن هذه الهجرة الاقليمية أنعشت تبادل السكان بين العاصمة ، والأقاليم ، ذلك التبادل المفيد الذى أدى أجل خدمة لانتشار اللغة المشتركة ، وإذاً فانجلترا تدين أيضا بتوحيد لغتها توحيدا نسبيا الى أهمية عاصمتها) (١) .

وفى مدينة القاهرة ، تتزاحم اللهجات من مختلف أقاليم الجمهورية بلقاءات أصحابها ، ولذا تميل الى التوحد فيما يشبه أن يكون لغة عامة يفهمها الجميع.

٦ ــ الدين والعلم والثقافة والخدمة العسكرية :

فالدين يجمع الناس حول كتاب واحد يقرءونه ، ويتعبدون به ويطبقون أحكامه ، ويدعوهم الى الاجتماعات العامة فى الصلوات ، والاعياد والحج وغيرها ولذلك أثره الكبير فى التوحد اللغوى .

ولاشك أن العلم والثقافة والخدمة العسكرية ، تؤدى دورها فى اتخاذ لغة عامة .

فدور العلم والثقافة ، وطلابها الذين يفدون من مختلف الاقاليم ويلتقون فى المدارس والجامعات ، وقصور الثقافة ، والمكتبات وما شاكلها ولقاءات الثكنات العسكرية ، كل ذلك له أثره فى تخلى هذه الطوائف عما لا يفهم من لهجات ، ويتجهون بذلك الى لغة عامة .

وقد حاول تيمور لنك أن يصنع لغة لجيشه تسهل مهمة قواده ومع فشل تلك المحاولة فانها تدل على احتياج الجيوش الى نظام لغوى مفهوم لدى أوساطها المتباينة (٢) .

وفى اطار الأسباب الداعية الى توحد النظام اللغوى ، فان العالم العربى قد توفرت له علاقات كثيرة اجتماعية ودينية وسياسيه وأدبية وثقافية، وربطت أرجائه ، الاذاعة والتليفزيون ، والصحافة ، وسبل المواصلات ، فبرزت لغة مشتركة تتمثل فى العربية الفصحى التى تضيق هوة الخلاف بين اللهجات الدارجة المنتشرة فيه .

ولا ننسى أن نشير الى أن اللغة المشتركة التى تنشأ عن الأسباب السابقة ونحوها ، لا تتخلص نهائيا من خصائص اللهجات المحلية ، بل تبدو آثارها فيها ، وتنعكس عليها ، ويتجلى هذا الأثر واضحا ، فى العربية الفصحى المعاصرة ، واللهجات العامية المتفرعة منها .

وقد أشرنا من قبل الى ما تحويه اللغات المشتركة فى ألمانيا وانجلترا وفرنسا من آثار اللهجات المحلية التى شاركت فيها .

(ب) المنافسة بين اللغات :

يتحقق ذلك فى السلم ، والحرب .

ففى السلم : تتوطد العلاقات بين الشعوب ، للحاجات الاجتماعية المتعددة ، فى نواحى الاقتصاد ، والثقافة ، والعلوم ، وغيرها من المجالات ، فيجرى بينها التعاون الزراعى ، والصناعى ، والعلمى ، وتنقل المخترعات ، والمستحدثات .

---

(١) فندريس : اللغة ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٢) د . نجا : اللهجات العربية ص ٢٤ ــ ٢٦ وانظر د . السعران : اللغة والمجتمع ص ١٧٢ ، ١٧٥ .

وهذا التعاون المتعدد النواحى ، يقتضى لقاءات متعددة بين أفراد ، وجماعات من تلك الشعوب ، وهذا يؤدى الى احتكاك لغاتهم ، وتبادلها التأثر والتأثير •

فقد استفادت العربية من الفارسية بعض المفردات والأساليب ، المتعلقة بمظاهر الحضارة ، والأشياء التى لم تكن موجودة عند العرب ، ومن اليونانية بعض مصطلحات الفلسفة والعلوم •

كما أخذت الفارسية من العربية بعض المصطلحات العلمية والدينية ، وقد استمدت الاسبانية من العربية كثيرا من المفردات ، بسبب اقامة العرب هناك بعد الفتح الاسلامى ، للاندلس أحقابا طويلة (١) •

وكلمة الشاى قد انتقلت الى معظم لغات العالم من لغة جزر (ماليزيا) التى كانت المصدر الأول لهذه المادة ، وكذلك كلمة (الطباق) انتقلت الى معظم لغات العالم من لغة السكان الاصليين لامريكا (٢) •

وفى اللغات الأوربية كلمات مشتركة أصلها ايطالى أو ألمانى أو انجليزى ومنها أسماء وحدات كهربائية مأخوذة من أسماء مخترعيها مثل : (أمبير Ampere فولت Volt — أوم Ohm) بل نجد كثيرا من الكلمات الأوربية تنتشر فى لغات غير أوربية ، كأسماء بعض المخترعات ، والآلات مثل : راديو — تلغراف — تليفون — تليفزيون — سينما — فيلم — بيانو •• الخ (٣) •

وقد تأخذ العلاقات الودية صورا أخرى تدخل فيها اللغات فى صراع عنيف ، ويتم ذلك بطرق أهمها :

١ — أن تنتقل طوائف من العلماء ، أو الصناع ، أو المثقفين ليشاركوا فى نهضة الحياة ، لدى شعب شقيق أو صديق •

٢ — أن تهاجر جماعات من شعب زاد نموه السكانى ، الى شعب آخر مجاور •

وفى هاتين الحالتين يكون التأثر والتأثير عاديا ، كما ذكرنا من قبل •

وقد يأخذ هذا الاتصال طابع السيطرة ، والنفوذ ، اذا كان المنتقلون أقوى سلطانا ، أو حضارة ، ممن نزحوا اليهم أو زاد عددهم بدرجة كبيرة تجعل وجودهم يزداد قوة ، وثباتا ، وتأثيرا فتطغى لغتهم ، وربما تتغلب على اللغة التى تنافسها (فالالمانية امتدت على رقعة واسعة مما يجاورها من المناطق فى أوربا الوسطى : « سويسرا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والنمسا الخ » وقضت على لهجاتها الأولى) (٤) •

والفرنسية تغلبت على لهجات المناطق المجاورة لها فى بلجيكا وسويسرا وهكذا فالمنطقة التى توجد فيها العاصمة تتغلب على البلاد المجاورة لها ، فلوقوع عاصمة بلجيكا (بروكسل) فى القسم الذى يتحدث الفرنسية فى مقاطعه (والونيا) ولتميز تلك المقاطعة بالنفوذ والسلطان تغلبت الفرنسية على

---

(١) انظر اللغة والمجتمع د • السعران ص ١٧٧ •

(٢) وافى : علم اللغة ص ٢٣٢ ، وما تاخذه لغة عن اخرى يخضع للصقل ، والتهذيب ، حتى يجرى على طريقة اللغات المنقول اليها •

(٣) د • السعران : اللغة والمجتمع ص ١٧٨ ، ١٧٩

(٤) د • وافى : اللغة والمجتمع ص ١١٠ •

الفلامندية (لغة القسم الشمالى من بلجيكا) (١) •

والفرنسية فى مقاطعة بريتانيا تغلبت على اللغة البريتانية شيئا فشيئا ، اذ شاركت فى كل نواحى الحياة ، الدينية ، والخدمة العسكرية ، والتعليم ، فى المدارس ، والنواحى الاقتصادية ، ولا يمكن للبريتانية ان تساوى الفرنسية فى القوة ، والثقافة ، والحضارة ، ولذا يمكن التنبؤ باندثار البريتانية ولكن ذلك يتوقف على تمسك البريتانيين بلغتهم، وتعصبهم • لها ، وعلى كثرة عدد المتكلمين بها (٢)•

أما اذا كان الأمر بالعكس ، بأن تفوق الشعب المنتقل اليه نفوذا أو سلطانا أدى ذلك الى خضوع المهاجرين ، وربما تلاشى لسانهم الأصلى ، فى غمار لغة هذا الشعب الجديد (ففى مستعمرة الكاب كان المهاجرون الفرنسيون من البروتستانت فى سنة ١٦٨٨ يكونون ربع سكان المستعمرة ، ولما كانت الهولندية وحدها هى اللغة المسموح بها فى الأمور العامة والسياسية ، والدينية ، فقد اختفت الفرنسية بعد مضى قرن واحد (٣) •

ويذكر (بلومفيلد) أن الأسرات الأوربية التى نزحت الى أمريكا ، وأقامت بها اقامة دائمة لا تلبث طويلا حتى تصطنع لغة البيئة الجديدة مشوبة فى أول الأمر ببعض أصوات لغتهم الأصلية وأساليبها ، ثم لا يكاد يمر عليهم جيل من الزمن حتى يسيطر أبناؤهم أو أحفادهم على اللغة الأمريكية ، ذلك لأنها تمثل — فى نظر معظم المهاجرين — اللغة العليا ولأنها اللغة التى تقضى مصالحهم فى البيئة الجديدة ، وتساعدهم على الاندماج وتحسين أحوالهم اجتماعيا ، واقتصاديا) (٤) •

وفى الحرب :

قد يغزو شعب آخر غزوا عسكريا ، فتدخل لغتاهما فى صراع يحتدم بينهما أمدا طويلا ، وهذا واضح فى لغات الشعوب التى اشتركت فى الحرب العالمية الأولى ، فقد استفاد بعضها من مفردات الأخرى ، نتيجة لطول الاحتكاك ، والاتصال بينها •

ومن الممكن أن تنتصر احداهما اذا تهيأت لها أسباب النصر :

١ — فتنتصر لغة الغالبين اذا كانوا كثيرى العدد، أو كانت حضارتهم وثقافتهم أرقى من المغلوبين •

فنزوح الغازى بأعداد كبيرة ، يؤدى الى القضاء على طابع الشعب ، المغلوب ، وسماته ، ويصحب ذلك سلطان القوة ، التى تفرض لغة الغازى ، فى تصريف شئون الدولة ، والادارة والعلوم ، والثقافة ، وهذا يؤدى الى انكماش لغة الشعب الأصلى ، وتدهورها •

واذا كانت حضارة الشعب الغازى أقوى أدى ذلك الى انصراف الشعب المقهور عن لغته ، وهجرها بتقليد اللغة الأرقى •

ومن ذلك أن اللغة العربية انتشرت اثر الفتوحات الواسعة فى آسيا وافريقيا ، وتغلبت على كثير من اللغات الأخرى ، كالبربرية •والقبطية

ومن ذلك — أيضا — سيادة الانجليزية فى أمريكا الشمالية ، وسيادة الفرنسيه فى أنحاء كندا وفى جزر الجوادلوب والمرتينيك وغيرها وهذه الظاهرة ممكنة الحدوث حتى اذا كان الغزاة أقل عددا بكثير بشرط

(١) نفسه ص ١١٢ •
(٢) فندريس : اللغة ص ٣٥٢ — ٣٥٥ بتصرف •
(٣) فندريس : اللغة ص ٣٥٠ •

(٤) د • انيس : من اسرار اللغة ط ٣ ص ١٠٠ ، ١٠١ •

أن يكون رقيهم الحضارى والادارى والاقتصادى ساحقا (١) •

ويذكر بليسفيلد أن قلة عدد الغزاة قد يؤدى الى انتصار لغة المغلوبين عسكريا وسياسيا ، فهؤلاء القلة من الغزاة يهضمون بعد زمن مافى البيئة الجديدة ، غير أنها بعد انتصارها تصبح مثخنة بآثار ذلك الصراع المرير ، فلا تكاد اللغة الغازية تندثر أو تزول حتى تكون قد تركت فى اللغة المغزوة جروحا ، أو ندوبا هى فى الحقيقة بعض الصفات التى استعارتها من لغة الغزاة •

ومن ذلك النورمانديون الفرنسيون حين غزو الجزر البريطانية واستطاعت الانجليزية — فى النهاية — أن تقهر الفرنسية وتحل محلها . بعدما أصاب الفرنسية تشوه فى أصواتها ، وتجديد فى أساليبها (٢) •

وقد تنكمش لغة المغزوين وتنزوى فى ناحية من بيئتها وتتحصن فيها فتعيش اللغتان الغازية والمغزوة جنبا الى جنب كما حدث للغة الكلتية بعد غزو الانجليز السكسون للجزر البريطانية ، فقد حلت الانجليزية محل الكلتية فى بقاع كثيرة من تلك الجزر ولكن الكلتية ظلت حتى الان سائدة فى بعض جهات ويلز (٣) •

وقد يتمسك المغلوب بلغته ، ويقف فى وجه الغالب سدا منيعا لا يتزعزع عنها ، فلا تتمكن لغة الغالب من السيطرة عليها •

فاتجاه الايرلنديين الى احياء لغتهم الوطنية يعود — كما يقول فندريس الى بواعث سياسية ، وهى التخلص من لغة الانجليز اعدائهم التقليديين(٤)

ومثل ذلك ما حدث من تمسك الفرس بلغتهم ، اذ كان الفتح العربى قد أدخل اللغة العربية الى بلاد فارس ، حتى أصبح العلم والأدب والسياسة جميعا لاتعرف تعبيرا غير العربية . وتقلص ظل الفارسية ، فأصبحت رطانة للطبقة الدنيا من الفلاحين . الرعاة ، وصغار التجار والصناع ، ولكن العصبية الشعوبية استيقظت منذ القرن الثالث الهجرى . وبدأت مع الدويلات الاسلامية الشعوبية التى قامت فى فارس حركة احياء وبعث للغة الفارسية (٥) •

٢ — اما اذا حدث العكس بان كان المغزوون اكثر حضارة ، فان لغتهم تبقى صاحبة السلطان . وربما قهرت لغة الغزاة ، وصرعتها على ألسنة أهلها •

(فارادة الاغريق فى ألا يضحوا لغتهم أمام فاتح يحتقرونه هى التى حفظت الاغريقية خلال العصور. فلم تستطع التركية يوما أن تحل محلها . أو حتى أن تنال منها . •• فالتركية وهى لغة الفاتحين ليست بأية حال من لغات الحضارة . وما كانت تستطيع الكفاح ضد اللغة الاغريقية ، التى تمثل ثقافة من أعرق الثقافات) (٦) •

وكما حدث عندما هاجمت القبائل المتبربرة أوربا اللاتينية ، التى كانت شعوبها أكثر تقدما فى الحضارة ، ولذا ترك هؤلاء البرابرة لغاتهم الأصلية ، بل تركوا أديانهم الوثنية واصطنعوا اللاتينية واعتنقوا الكاثوليكية ، وكذلك التتار بعد اسقاطهم بغداد اعتنق أكثرهم الاسلام وتعلموا اللغة العربية (٧) •

وتظهر آثار المنافسة بين اللغتين التجاورتين ،

---

(١) د • حسن ظاظا : اللسان والانسان ص ١٢٨ •
(٢) د • أنيس : من أسرار اللغة ص ٩٩ ، ١٠٠
(٣) نفسه ص ١٠٠ (٤) فندريس : اللغة ص ٣٥٠

(٥) د • حسن ظاظا : اللسان والانسان ص ١٢٨ ، ١٢٩ •
(٦) فندريس : اللغة ص ٣٥١ •
(٧) د • حسن ظاظا : اللسان والانسان ص ١٢٧ •

أو المتصارعتين — عادة — في المفردات (١) وقد يحدث تأثير في النظام الصوتي والصرفي ، ونحن نعرف أنه كثيرا ما لوحظ في لغات مختلفة أصلا ومتجاورة جغرافيا وجود خصائص صوتية مشتركة وكذلك الحال بالنسبة للنظام الصرفي (٢) فقد انتشرت بعض النواحي الصرفية من الفنلدنية الى اللغات الهندية الأوربية الأخرى (السلافية والبلطية) (٣) .

وقد ينسخ نظام الجمل ، وبذلك ينتقل ترتيب الكلمات أحيانا من بعض اللغات الى لغات مجاورة لها ، فالألمانية النمساوية — مثلا — تسير على حرية كبيرة في ترتيب الكلمات ، وذلك تحت تأثير اللغات السلافية (٤) ، وفقدان النمو نتيجة حتمية لصراع اللغات (٥) .

وعندما يقضى على احدى اللغات فان ألفاظا كثيرة تعززها من اللغة الغالبة وينالها كثير من التحريف في ألفاظها الأخرى ، ودلالالتها ، ثم لا تلبث القواعد أن تتغير شيئا فشيئا (٦) .

وتترك اللغة المغلوبة آثارها على اللغة الغالبة ، وكلما طال أمد الصراع (٧) ، وقوى كانت التشوهات أكثر عمقا ، وظهورا ، فقد ضاع من الانجليزية أكثر من نصف ثروتها اللفظية ، في صراعها الذى انتصرت فيه على النورماندية الغازية ، واستعاضت عن هذا المفقود من اللغة الغازية المقهورة ، وأخذت منها كذلك مفردات جديدة ، ومع طول الصرع بين العربية ، والقبطية ، والبربرية ، لم تؤثر تلك اللغات في العربية تأثيرا قويا ، لأن الصراع لم يكن شديدا ، ولم تكن هناك مقاومة تذكر من اللغات المغلوبة .

ويميل بعض اللغويين الى القول بأن آثار الاحتكاك ، والصراع بين اللغات تظهر اذا كانت من فصيلة واحدة ، أو من فصيلتين متقاربتين ، أما اذا كانت غير مشتركة في الأصل ، فان الآثار الناجمة عن الاحتكاك والصراع آثار محدودة ،لاسيما فيما يتعلق بالبنية ، ونادرا ما تؤثر لغه أو تتغلب على أخرى ليست من فصيلتها (٨) .

ونتيجة لتجاور اللغات وصراعها ، قد لا تبقى اللغة الواحدة على حالها بل تتغير ، وربما انقسمت الى لهجات لاتساع الرقعة التى تعيش عليها ، ولاتصالها بلغات أخرى أو انتصارها عليها ، واختلاف البيئات المكانية ، والزمانية ، والثقافات المتعددة ، التى تتغلب عليها من الشعوب المتكلمة بها ، وانتقالهم من جيل الى جيل ، كما حدث للعربية في نمو المتكلمين بها ، وتغلبهم على المناطق المجاورة في مصر والشام ، والعراق ، وكما حدث للألمانية في امتدادها على مساحة واسعة في أوربا الوسطى ، فكل ذلك أدى الى تغلب تلك اللغات على لغات البلاد الأصلية ، ونجم عنه تفوق العربية والألمانية الى لهجات .

ولهذا القانون خضعت اللغات الانسانية منذ نشأتها الى العصر الحاضر .

د / عبد الغفار حامد هلال

(١) فندريس : اللغة ص ٣٥٨ .
كبعض اللكمات الخاصة بالبيئة الجديدة من اعلام او اسماء الامكنة ، ومن الفاظ تعبر عن أشياء تتميز بها هذه البيئة كما حدث للرومانية حين قضت على معظم لغات أوربا ، وللعربية حين قضت على القبطية في مصر وقد أشرنا الى بعض ذلك فيما سبق ، انظر :
د . انيس : من اسرار اللغة ص ١٠٠
(٢) فندريس : اللغة ص ٣٦١ ، ٣٦٤ .
(٣) فندريس : اللغة ٣٦١ ، ٣٦٤ .(٤) نفسه ٣٥٩ .
(٥) نفسه ص ٣٦٣ .
(٦) د . وافى : اللغة والمجتمع ص ١٠٠ وما بعدها .

(٧) يحتاج الصراع الى وقت طويل قد يبلغ اربعة قرون ، فالرومان تغلبوا على وسط أوربا وشرقيها في القرن الاول الميلادى ، ولم تصل لغتهم الى الغلب النهائى الا حوالى القرن الرابع الميلادى ، والعربية لم تتغلب على القبطية والبربرية الا بعد أحقاب طويلة ، بل انها بقيت مستعملة في أداء الطقوس الدينية ، وبعض اللغات البربرية لاتزال تستعمل حتى العصر الحاضر .
٨ د . وافى : اللغة والمجتمع ص ٩٧ — ١١٠ ،
د . السعران اللغة والمجتمع ص ١٧٩ — ١٨١ .

في التشريع الإسلامي

- الصيام متدرجًا
- شهر الصوم والعبادة والمغفرة والنصر
- وهو الذى يقبل التوبة عن عباده
- وأن تصوموا خير لكم
- صوم رمضان وليلة القدر
- رأى الدين والقانون والإقتصاد فى قضية الربا
- كانت ليلة النصف من شعبان
مقدمة لرمضان

الصيام

كان الصيام شأنه فى التشريع شأن أغلب العبادات والأحكام الشرعية التى لم تأخذ صفة الجسم والحزم بادىء ذى بدء فى حقل التشريع .. وانما سلكت درب النشوء والترقى ، والبداءة والنمو فى مدارج الكمال .. حتى استقرت الى حيث شاء الله لها أن تستقر فى اطار الحكمة البالغة ، وانكمال المطلق ، والوضع الأتم .. واندرجت بذلك تحت القاعدة الشاملة المتمثلة فى قوله تعالى : **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)** المائدة / ٣ : ومعنى اكمال الدين كما فى الجلالين / ١٤١ : **(اكمال أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام).**

وعبادة الصيام امتداد لفرضيتها على مستوى **الانسانية كلها منذ كان رسل .. وكان مرسل اليهم اذ أنها لازمة من لوازم الفطرة المتكاملة .. التى تستلزم مقومات أساسية ، وعناصر جوهرية لا غنى لها عنها ، ولا مندوحة لها منها .. حتى تحقق فيها** الموازنة العادلة بين مطالب الروح وحاجات الجسد .. فالصيام بما فيه من كبح لجماح المادة ، وحزم فى معاملة الجسد ، ورضوخ لأمر الله بالحرمان ، بعد أذنه بالتمتع .. قدر مشترك بين متطلبات الكمال الانسانى المنشود .. بصرف النظر عن كفة الصوم وحقيقته ، ومداه وتوقيته .. ومن هنا نستطيع أن نلقى ضوءا على معنى ومغزى قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات)** البقرة : ١٤٣ وفى الكشاف جـ ١ / ٨٧ : **(كتب الصيام على الأنبياء والأمم من لدن آدم الى عهدكم .. قال على رضى الله عنه : أولهم آدم .. يعنى ان الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلى الله أمة من افتراضها عليهم .. ولم يفرضها عليكم وحدكم** .. والتقوى بالمحافظة عليها وتعظيمها لأصالتها وقدمها ، والتقوى باجتناب المعاصى لأن الصائم أردع لنفسه من مواقعة السوء). أى لأن الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدأ المعاصى ، وفى فتح القدير جـ٢ : ٤٣ : **(شرع الله تعالى الصوم لفوائد .. أعظمها : شيئان : أحدهما سكون النفس الأمارة ، وكسر سورتها ، فى الفضول المتعلقة بجميع الجوارح من العين واللسان والأذن والفرج ، فان به تضعف حركتها فى محسوساتها ، ولذا قيل : اذا جاعت النفس شبعت الأعضاء ، واذا شبعت جاعت كلها ، ويترتب على هذا صفاء القلب من** الكدر ، بصفائه تناط المصالح والدرجات ، وثانيها : كونه موجبا للرحمة والعطف على المساكين .. وذلك بموافقة الفقراء فى تحمل ما يتحملون أحيانا .. وفى ذلك رفع لدرجته عند الله تعالى) .. ولذا لم يبدأ الصيام فى واقع أمره بعد الهجرة حيث صار فرضا لازما وركنا ثالثا من أركان الاسلام .. وانما

متدرجا

للدكتور محمد محمد الشرقاوي

مارسه الرسول صلى الله عليه وسلم من أول أمره في مكة حين أطاق الصيام ، وأمكنه قواه من احتماله والمشاركة فيه .. حتى انه مارسه قبل أن ينزل عليه فيه وحي يوحى .. أو قرآن يتلى . وذلك منه صلى الله عليه وسلم متابعه لغيره فيما هو من خصائص الفطرة السليمة ، والمكرمات الانسانية المستمرة ، ونستطيع أن نلقى الأضواء على صيامه صلى الله عله وسلم مارا بكل مدارج النمو والتطور سواء في ذلك في مكة قبل هجرته.. أو بعد رحيله عنها وتركه لها ، واستبدالها بغيرها في المدينة المنورة مؤسسا أعظم دولة ، وناشرا أتم ديانات البشرية ، وأختمها ، وأوفاها وأعمها .. وذلك على النحو التالي : —

١ — صام الرسول صلى الله عليه وسلم أول ما صام يوم عاشوراء .. حين كان أهل الجاهلية يصومونه في مكة فشاركهم في صيامه .. لأنه لم يكن يهدر كل ما يمارسه الجاهليون من قول أو فعل بل كان يتخير لنفسه أحسن ما عندهم مما يتوافق مع القيم الانسانية الأصيلة فيوافقهم فيه .. من قول وفعل وخلق .. على حين كان ينأى بطبيعته الخيرة عما يتورطون فيه من سفه القول ، وسيء العمل فيبتعد عنه ، وينفر منه .. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصومه .. فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه .. فلما نزلت فريضة شهر رمضان .. كان رمضان هو الذي يصومه .. فترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ، ومن شاء أفطره) .. والظاهر أن هذا الصيام المبدئي لم يكن يؤمر بصيامه وانما ترك لمحض الارادة ، واستجابة الفطرة .. فمن شاء صامه .. .. ومن شاء أفطره .. وان كان صيامه أقرب الى الكمال ، وأدنى الى الصواب وكان لموافقة قريش كما في الترمذي عن عائشة .

٢ — صام صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ثلاثة أيام من كل شهر عربي وهي الأيام البيض (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) وكان الصحابة رضوان الله عليهم يشاركونه هذا الصيام ، واستمر ندب صيام هذه الأيام حتى بعد ما فرض صيام رمضان .. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : **(فرض شهر رمضان بعدما صرفت القبلة الى الكعبة بشهر في شعبان .. وكان صلى الله عليه وسلم يصوم هو وأصحابه قبل فرض رمضان ثلاثة أيام من كل شهر عربي) .. أي وهي الأيام البيض .. وعن ابن عباس رضي الله عنهما : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر الأيام البيض في حضر ، ولا سفر وكان يحث على صيامها) وقد أخذ** بعض العلماء من هذه المواظبة دليلا على القول بأن صيام هذه الأيام كان واجبا قبل صيام رمضان ثم

الصيام متدرجا

نسخ بصيام هذا الشهر المبارك ولكن الراجح أنه لم يفرض عليه ولا على أمته صيام قبل صيام رمضان لا فى عاشوراء .. ولا فى الأيام البيض الثلاثة .. وحديث ابن عباس السابق لا يدل على الوجوب وانما يدل على أن هذا كان شأنه صلى الله عليه وسلم حتى بعد صيام رمضان (السيرة الحلبية ج ٢/١٤٨) والمواظبة أحيانا لا تدل على الوجوب كما فى المضمضة والاستنشاق فى الوضوء .. فقد واظب عليهما صلى الله عليه وسلم مع بقائهما فى دائرة السنية ، وخروجهما عن جملة واجبات الوضوء .. ويؤيد هذا حديث عائشة السابق فى رقم (١) حيث قالت : (فلما نزلت فريضة شهر رمضان) وفيه دليل على تحديد فرض الصيام برمضان .. والاقتصار فى مقام البيان يفيد الحصر — كما يقول علماء أصول الفقه — فكل ما كان قبل فرض شهر رمضان .. وكذا ما كان بعده .. لم يكن من الفريضة فى شىء .. وانما كان أمرا حسنا مندوبا اليه ، أو مسنونا فيه .

٣ — بعدما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة مهاجرا اتخذ صيام عاشورا صفة أخرى حيث صامه صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه بصيامه ، وقد اختلف العلماء فى المراد من أمر أصحابه بصيامه .. أهو على سبيل الوجوب .. أم على سبيل السنية .. والظاهر أنه على سبيل السنية لأنه أشرك فى هذا الصيام الأطفال الرضع وكان يأمر أهلهم بتصويمهم عاشوراء .. والأطفال ليسوا محلا للواجب ، وبالتالى ليس هذا الصوم أهلا للوجوب .. روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : **(قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم : ما هذا اليوم الذى تصومونه ؟ .. قالوا : هذا يوم عظيم انجى الله فيه موسى وقومه ، وأغرق فرعون وقومه ، فصامه موسى شكرا ، فنحن نصومه .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه) وفى الصحيحين أيضا عن الربيع بنت معوذ قالت : (أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء الى قرى الأنصار التى حول المدينة : من كان أصبح صائما فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطرا فليتم بقية صومه ، فكنا بعد ذلك نصومه ، ونصوم صبياننا الصغار منهم ونذهب الى المسجد .. فنجعل لهم اللعبة من العهن ، فاذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه اياها حتى يكون عند الافطار) .. وفى رواية : (فاذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم) .. والعهن : هو الصوف .**

٤ — لما فرض رمضان كان رمضان هو الفريضة .. وترك الرسول صلى الله عليه وسلم صوم عاشوراء .. فمن شاء صومه صامه .. ومن لم يشأ تركه .. وذلك خوفا من توهم أنه فرض كرمضان ، وحتى يفرد رمضان بصفه الوجوب بلا منازع حقيقة .. أوتوهما .. لتستقر فرضيته بصورة واضحة كل الوضوح .. متميزة تمام التميز .. وفى حديث ابن عباس : (فلما فرض رمضان قال صلى الله عليه وسلم .. أى لأصحابه .. من شاء صامه ، ومن شاء تركه) وفى هذه المرحلة زالت عن صيام عاشوراء صفة السنية الى صفة الاباحة .. لحكمة تشريعية بالغة .. وذلك حتى لا تختلط الأوامر والتكاليف ، ويلفها ضباب الحيرة واللبس .. فترك رمضان وحده فى اطار الفريضة .. بينما خلع عن عاشوراء الذى أمر بصيامه من قبل وصفه السابق : وجعله فى حيز الاختيار والمشيئة خشية اعتقادهم وجوب صومه كوجوب صوم رمضان (السيرة

الحلبية ج ٢ : ١٤٩) وعاشوراء هو اليوم العاشر من شهر المحرم الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم شهر الله تشريفا له واعرابا عن مزيد فضله لحرمته عند الله تعالى اذ أنه من الأشهر الحرم .

٥ ــ فى السنة الثانية للهجرة وفى شهر شعبان منها فرض الله عز وجل عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته صيام شهر رمضان .. أو الاطعام عن كل يوم مسكينا بقوله تعالى : (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ** .. الى قوله تعالى .. **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**) البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤ : ومعناها كما فى الجلالين /٣٧ :) (**كانوا مخيرين فى صدر الاسلام بين الصوم والفدية .. ثم نسخ بتعيين الصوم بقوله تعالى : فمن شهد منكم الشهر فليصمه .. قال ابن عباس : الا الحامل والمرضع اذا فطرتا خوفا على الولد فانها باقية بلا نسخ فى حقهما)** .. وفسر طعام المسكين أيضا : (قدر ما يأكله فى يومه وهو مد من غالب قوت البلد لكل يوم) أى ربع كيلة بالمكيال المصرى هذا عند الشافعية ومن وافقهم .. وعند أبى حنيفة نصف صاع من بر أو دقيق أو ثمن ذلك .. والكيلة عنده تجزى عن سبعة مع اضافة سدس قدح .. فمن تطوع خيرا بأن زاد على هذا المقدار المحدد فهو خير له .. والصيام على كل حال خير من الفطر والاطعام ، فكان الناس بالخيار : من شاء صام ، ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مدا (وفى السيرة الحلبية ج ١٥١/٢) : ثم ان الله تعالى نسخ هذا التخيير بايجاب صوم رمضان عينا بقوله : (**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) أى من علمه الا فى حق من لا يستطيع صومه لكبر أو لمرض لا يرجى شفاؤه فيجزيه الاطعام ، ورخص فيه للمريض اذا حصلت له مشقة تبيح له التيمم ورخص للمسافر الذى يباح له قصر الصلاة وان لم تحصل له مشقة بالكلية (٨٩ كيلو مترا وأربعون مترا) الفطر .. مع وجوب القضاء اذا زال المرض والسفر بقوله تعالى : (**ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر**) أى اذا أفطر فعليه صيام عدة ما أفطر من أيام أخر .. وفى الكشاف ج ١ :/٨٨ (وكان ذلك فى بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه ، فاشتد عليهم فرخص لهم فى الافطار والفدية) .. ورمضان مصدر رمض اذا احترق .. سمى بذلك لما يصاحبه من شدة وقسوة فى الصيام وذلك على القول بأن الصيام فيه عبادة قديمه .

فى صدر الاسلام كان الصيام نهارا من طلوع الفجر الى غروب الشمس .. فاذا ناموا بعد الغروب .. أو دخل عليهم وقت العشاء الآخرة امتنع عليهم تناول المفطرات الى اليوم التالى .. ثم نسخ ذلك وأحل الله تعالى لهم الاكل والشرب واتيان النساء وسائر المفطرات الى طلوع الفجر ولو بعد النوم ودخول وقت العشاء بقوله تعالى : (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ .. الى قوله جل وعلا : وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) البقرة / ١٨٧ وذكر فى سبب نزول هذه الآية : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه واقع امرأته ليلا بعدما صلى العشاء ، فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله اعتذر الى الله .. واليك من نفسى هذه الخاطئة .. انى رجعت الى أهلى فوجدت رائحة طيبة فسولت لى نفسى فجامعت أهلى .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما كنت جديرا بهذا ياعمر .. فقام رجال فاعترفوا بمثله .. وذكر له صلى الله عليه وسلم أن بعض أصحابه سقط مغشيا عليه بسبب الصوم .. فسأله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فأخبر أنه أهل حرث ، وأنه جاء لينظر ما تعمله له زوجته ليتعشى به ، فغلبته عينه فنام ، فلم

الصيام متدرجا

يستيقظ الا بعد الغروب لم يتناول شيئا فأنزل الله تعالى : (**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ**) وقد فهم بعض الصحابة أن المراد حقيقة الخيط فوضع عند وسادته حبلين أحدهما أبيض والاخر أسود وجعل ينظر فلا يستبين حتى قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : (انك لعريض القفا) أى سيىء الفهم •• فأنزل الله تعالى : (من الفجر) اشارة الى أن المراد بياض النهار وسواد الليل •

٧ – صام صلى الله عليه وسلم عاشوراء على سبيل السنية فى آخر الأمر •• مع اضافة يوم قبله •• أو يوم بعده على سبيل الندب مخالفة لليهود الذين كانوا يصومونه منفردا •• وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب مخالفتهم بعد الفتح •• كما كان يوافقهم قبل الفتح وقد ذكر ذلك فى حديث مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (**حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشوراء ، وأمر بصيامه •• قالوا : يارسول الله •• انه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال : فاذا كان العام المقبل صمنا التاسع ••**) **وفى رواية : (لئن بقيت الى قابل لأصومن التاسع مع العاشر)** وفى بعض الروايات ما يفيد اضافة اليوم الحادى عشر •• وذلك لمخالفة أهل الكتاب ولكنه توفى قبل ذلك •• وقد جاءت هذه المخالفة فى صورتين : أولاهما عدم اتخاذ عاشوراء عيدا •• لأن عيدى المسلمين : الفطر والأضحى •• ثانيهما : عدم اقتصار على صيامه وحده •• وفى الصحيحين عن أبى موسى قال : (كان يوم عاشوراء يوما تعظمه اليهود وتتخذه عيدا فقال صلى الله عليه وسلم : صوموه أنتم) ولذا كان صلى الله عليه وسلم يصوم السبت أحيانا ومعه الأحد ويقول : (انهما يوما عيد للمشركين فأنا أحب أن أخالفهم) فاذا جمع اليومين فى صيام متتابع فقد خالف بذلك كلا من اليهود والنصارى لأن كلا منهما يعظم منهما يوما بمفرده •• وقد واظب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أخريات أيامه على صيام عاشوراء •• بعد أن كان وقت فرض رمضان يصومه •• ويتركه •• كما حث الصحابة على تحرى صومه وبين أنه يكفر السنة التى يصام فيها وفى الصحيحين (أن ابن عباس رضى الله عنهما سئل عن يوم عاشوراء فقال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوما يتحرى فضله على الأيام الا هذا اليوم) •

الدكتور محمد محمد الشرقاوى

رمضان

شهر الصوم والعبادة والمغفرة والنصر

رفع الله سبحانه وتعالي شأن رمضان فرسم بنفسه أسلوب تكريمه ومظهر تعظيمه ـ فافترض على المسلمين في شتى بقاع الارض صومه ـ وجعله ركنا من أركان دين الاسلام ـ وعنصرا من عناصر الشخصية الاسلامية ٠

يقول جلت كلماته (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ـ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ـ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ـ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) سورة البقرة ١٨٥ ٠

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

رمضان

شهر الصوم والعبادة ..

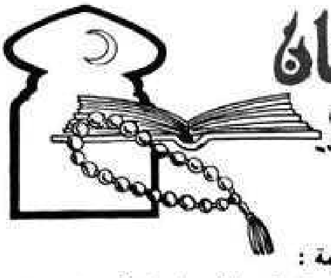

الصوم عبادة قديمة :

والصوم عبادة قديمة كتبه الله على الأمم السابقة وكان ركنا من أركان دينها فهو فطرة مألوفة وعبادة — معروفة عرفها المصريون القدماء — وانتقل منهم الصوم الى الاغريق والرومان كما كان مكتوبا على أهل الكتاب قبل الاسلام بقول سبحانه فى كتابه الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ سورة البقرة ١٨٣ •

وقد ورد فى التوراة كتاب اليهود المقدس القول المنسوب الى الله على لسان نبيه موسى عليه السلام — الى بنى اسرائيل (حين صورت الى الجبل لكى آخذ لوحى الحجر لوحى العهد الذى قطعه الرب معكم أقمت فى الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة لا آكل خبزا ولا أشرب ماء وأعطانى الرب لوحى الحجر المكتوبين) — سفر التثنية فى الاصحاح التاسع عدد ٩ ، ١٠ •

أما عن الصوم فى الأناجيل المتداولة بين النصارى فقد ورد ما يشير اليه مثال ذلك ما ورد بانجيل متى فى قوله عن المسيح عليه السلام (فبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا ... فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله) — انجيل متى فى الاصحاح الرابع عدد ٢ ، ٤ •

الصوم فى الاسلام :

الصوم لغة يعنى الامساك لكن الصوم فى مفهوم الاسلام هو الامساك عن الطعام والشراب وشهوة الجنس من طلوع الفجر الى غروب الشمس ايمانا احتسابا لله رب العالمين فهو تكليف الهى صادر عن رب العالمين الذى له بمقتضى ربوبيته والوهيته أن يكلف عباده بما شاء من التكاليف وأن يرسم لهم ما يريد من مراسم العبادة ودلائل الخضوع والعبودية مما يقتضى الخضوع لأمر الله فيه كما طلبه ورسمه لعباده •

يقول جلت كلماته ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ — عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ سورة البقرة ١٨٧ •

لذلك كان صوم رمضان امتثالا لأمر الله ونزولا على حكمه وايمانا به واحتسابا لثوابه وما دام الامر كذلك كان على الصائم ألا يجد فى نفسه اضطرابا ولا انزعاجا بل يكون راضيا مطمئنا هادئا — قد يصيبه فتور فى جسمه ولكن روحه تظل قوية متيقظة •

فالصائم المحتسب لا يغضب فى رمضان مما كان يغضب منه فى غيره ولا يمل مما كان يمل منه وهو مفطر لأن صيامه لله وصبره لله وجزاءه على الله •

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به) أخرجه الامام مسلم •

وعن أبى امامة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت مرنى بعمل يدخلنى الجنة قال عليك بالصوم فانه لاعدل له ثم أتيته الثانية فقال عليك بالصيام رواه أحمد والنسائى والحاكم ولا عدل له أى لا نظير له فى صحة الجسم وكسر النفس وعظيم الأجر وصفاء القلب والقرب من الله وطبيعى أن كل الصيام المفروض — ووقته هو رمضان •

ويروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (اذا جاء رمضان فتحت —

أبواب الجنه وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين أخرجه الامام مسلم فذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فتح أبواب الجنه وغلق أبواب النار وتقييد الشياطين عن أعمالها بمجيء رمضان شهر الصوم — اشارة بأن صوم رمضان على الوجه المطلوب فى الصوم والغاية المرجوة من صيامه من شأنه ألا يترك ثغرة فى حياة الصائم تتسرب منها الهزيمه لنفسه وايمانه وقلبه فلا مكان للشيطان وأصبح عمل الصائم يصدر عن قلب وعن ايمان لا عن شهوة واستسلام للهوى .

اختيار الله شهر رمضان واصطفاؤه على سائر الازمان :

١ — فهو الشهر الوحيد الذى صرح باسمه فى القرآن الكريم .

٢ — وهو الشهر الوحيد الذى أنزل الله فيه كتابه الكريم وقرآنه العظيم .

اثار صيام رمضان على المسلمين :

١ — هذا الشهر الكريم يوحد بين المسلمين فى أوقات الفراغ والعمل وأوقات الطعام والشراب .

٢ — كما يفرغ عليهم جميعا صبغة الانابة والرجوع الى الله ويرطب ألسنتهم بالتسبيح والتحميد والتقديس لله — ويعفها على الايذاء والتجريح .

٣ — ويملأ قلوب المسلمين بمحبة الخير والبر لعباد الله فتغرس فى نفوسهم خليقة الصبر التى هى عدة الحياة ، لذلك كان رمضان رحلة الهية ميقاتها الشهر كله يخلع فيها المسلم نفسه من حياة المادة المظلمة الى حياة الروح المشرقة المضيئة بطاعة الله فهو يبدأ يومه بالصيام لله ويختم نهاره بالافطار لله — وفيما بين صيامه وفطره يقوم لله قانتا ويركع مسبحا ويسجد داعيا ثم مرتلا وحى الله وقرآنه حتى مطلع الفجر فيسبغ الله عليه ما شاء من حلل الرضا والرحمة والغفران .

كيف اشرق نور الاسلام فى رمضان :

لما استشرى الباطل وأفسد على الانسان عقله فأنكر به خالقه وأله مالا يسمع ولا يبصر فعبد الشمس والقمر والأصنام والأوثان واتجه فى شدته وكربه الى ما لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا — واستذل الحكام والكهان الضعفاء وسخروا الفقراء دون وازع من خلق أو ضمير حتى لقد امتلأت قلوبهم جبروتا وقسوة فهتكوا الأعراض واستلبوا الأموال وهنا لم يرض خالق الأرض والسموات ببقاء الانسانية على هذه الحال فأطلقت نور الحق فى شهر رمضان ونزل الوحى على النبى محمد صلى الله عليه وسلم توجيها له نحو القضاء على هذا الفساد بقوله تعالى (﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾) سورة العلق ١ ، ٢ ، ٣ .

وبذلك نزل القرآن الكريم يهدى للتى هى أقوم فكان هديا للبشرية وفرقانا ميزت به الخبيث من الطيب وعرفت به حقيقة الألوهية كما أرشدها الى الحق فى الرسالة والنبوة والبعث والجزاء ومدى علاقة الانسان بأخيه الانسان .

شهر رمضان والعبادة فيه :

اذا كان القرآن الكريم قد نزل فى شهر رمضان فلقد اشتمل على الهداية الربانية فى مظهرها الأخير من تطهير للعقيدة وتهذيب للنفس واصلاح للعمل وأرشد الى كثير من سنن الاجتماع التى فيها سعادة البشر — كما فتح أمام العقل البشرى كتاب الكون لينظر بعقله فيه ويفك عن نفسه أغلال الجمود والتقليد والاوهام والخرافات ثم منحه حرية واسعة يفكر بها فى شأنه ومكانته فى حياته وليعرف قيمته عند الله وأنه وهبه العقل والارادة ليحتفظ بكرامته ويختار سبيل الخير ويبتعد عن سبيل الشر يقول تعالى (﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾) سورة الاسراء (﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾) سورة الدهر ٢ ، ٣ .

وأمام هذه الهداية الألهية فى القرآن الكريم

رمضان

شهر الصوم والعبادة والمغفرة والنصر

اقتضت حكمة الله أن يجعل رمضان ميقاتا للتصفية والرياضة الروحيه التى تلتقى فى غايتها مع تلك الهداية العامة التى فتح القرآن أبوابها الواسعة للناس فشرع ـ فيه جملة من العبادات يتقرب بها المسلم الى الله فشرع فيه الصوم وسن فيه القيام والاعتكاف وقراءة القرآن ـ أما ثمرة ذلك كله فهى التقوى بقول تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) سورة البقرة ١٨٣ .

وعن أبى هريرة رضى الله قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم (من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه .

اختصاص رمضان بليله القدر وهى التى انزل فيها القران الكريم :

يقول جلت كلماته (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) سورة الدخان ٣ (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) سورة القدر ١ ، ٢ ، ٣ .

ففى سكون الليل فى احدى ليالى شهر رمضان عندما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث فى غار حراء على ملة أبى الانبياء ابراهيم الخليل عليه السلام يفاجأ بأمين الوحى وسفير الله الى أنبيائه جبريل عليه السلام ينزل عليه بكلام الله العزيز الحكيم لذلك وصفت بالقدر والشرف ففى هذه الليلة المباركة بدأ نزول القرآن الكريم كتاب الله ذا القدر تحمله سفرة أصحاب قدر على رسول ذى قدر لأمة ذات قدر ـ لذلك كانت ليلة من ليالى التجلى الاعظم اذا ما توجه فيها المؤمن الى ربه مستحضرا مالها من ذلك الشأن فهى ليلة خير من ألف شهر تسمو علوا وشرفا اذ تتنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل امر سلام هى حتى مطلع الفجر .

بدايه نصر المسلمين كانت فى رمضان :

لما أراد الباطل أن يقضى على الحق وخرج المشركون من مكة للقضاء على الاسلام والمسلمين بالمدينة كتب الله نصره للمسلمين وكان ذلك فى رمضان من السنه الثانيه للهجرة فى غزوة بدر الكبرى فكانت أول صدمة زعزعت حصون الشرك والضلال مشيرة بأن هذا النصر معقود بالصبر والاخلاص والتقوى وليس معقودا بكثرة الجنود ولا بسعه الملك والعمران ولا بقوة الحديد والنار يقول جلت كلماته : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) سورة آل عمران ١٢٣ .

فتح مكة كان فى رمضان :

قضت حكمة الله أن يعود المسلمون بعد هجرتهم الى المدينة الى وطنهم الأول مكة المكرمة فاتحين لها بعد أن اخرجوا منها بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله فحطموا بذلك آخر معاقل الشرك والوثنية فى البلد الحرام وأزالوا من بيت الله العتيق الاصنام والأوثان فعاد طاهرا مطهرا كما كان فى عهد أبى الانبياء ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل عليهما السلام فعن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله قال (دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكه وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ـ جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) ـ صحيح مسلم باب فتح مكة .

وبهذا الفتح الذى تم فى رمضان من السنة الثا[نية] للهجرة امتد سلطان الله فى أرض الله وأصبحت كلمة الله هى العليا وكلمة الضلال والبهتان هى السفلى يقول جلت كلماته .

(إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصراً عزيزاً) سورة الفتح ١ ، ٢ ، ٣ •

معركة عين جالوت كانت فى رمضان :

فى صباح يوم الجمعة ٢٦ من رمضان سنة ٦٥٨ هـ التقى المسلمون المصريون بالمغول فى معركة تعد من أكبر وأهم المعارك فى التاريخ لأن المغول كانوا قد زحفوا بجموعهم على العراق فسقطت بغداد وأحدثوا فى المسلمين هناك مذبحة عظيمة وخربوا كل معالم الحضارة وأحرقوا كثيرا من الكتب وأغرقوا البعض الآخر فى نهر دجلة حتى لقد صار لون الماء به مثل لون المداد الذى حررت به ومن العراق ــ زحفوا على بلاد الشام فسقطت فى أيديهم ثم زحفوا على مصر فقابلهم الجيش الاسلامى فى عين جالوت من أعمال فلسطين ودارت الدائرة على المغول فانهزموا وانتصر المسلمون انتصارا ساحقا ــ وهكذا يبين الله للمسلمين أنهم ان أخلصوا النية فى ايمانهم وجهادهم فى سبيل الله فان الله ينصرهم على أعدائهم فى كل مكان وزمان مهما كانت قوة العدو وجنسه •

معركة العبور كانت فى العاشر من رمضان :

لقد تجلت عناية الله فى معركة العبور بين مصر واسرائيل بصورة أذهلت كل العالم لما يعلمه الناس فى مشارق الأرض ومغاربها من قوة خط الدفاع الاسرائيلى الذى أنفق عليه الملايين المؤلفة من الدولارات ولما يعلمونه من أمر الطيران الاسرائيلى وقوته ومن أمر أسلحة الجيش الاسرائيلى وحداثتها •

الا أن جيش الاسلام من المصريين وهو يعبر فى رمضان كان شعاره (الله أكبر) فعبر مجرى قناة السويس رغم اتساعه واقتحم مواقع الحصون الاسرائيليه وحطم كبرياء أعداء الاسلام وبهذا العبور عاد سكان مدن القنال الى ديارهم وفتحت القنال وعادت اليها الحياة يقول جلت كلماته :

(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ــ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) سورة الحج ٣٩ ، ٤٠ •

وبعد فهذا هو الصوم فى الاسلام وهذا هو مجتمعه مهما تباعدت الأيام وتغير الزمان لذلك كان المجتمع الصائم مجتمعا يمتثل لله ولا يستسلم لأعداء الله نهو مجتمع ذو قسوة وذو ارادة وذو ضمير برىء أهل هذا المجتمع بالصيام من قول الزور والبهتان وقول الكذب وما يتبعه من فحش القول وسوء العمل والا انطبق عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) رواه البخارى •

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

وجوب التوبة

فى التشريع الاسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ٠٠ وبعد :

فيقول الله تعالى : « **وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ، وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ** » ٠

التوبة : رجوع عما كان مذموما فى الشرع الى ما هو محمود فيه ، وهى مبدأ طريق السالكين ، ومفتاح سعادة المريدين ،وشرط فى صحة السير الى الله تعالى ٠

فهى أول منازل السائرين الى الله سبحانه ، وأوسطها ، وآخرها ، فلا يفارق العبد السالك منزل التوبة ولا يزال فيه الى الممات ، وان ارتحل الى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ونزل به أيضا ٠

فالتوبة بداية العبد ونهايته ، وحاجته اليها فى النهاية ضرورية ، كما أن حاجته اليها فى البداية كذلك، وقد قال الله تعالى :

« **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** » ٠

ففى هذه الآية خاطب الله تعالى أهل الايمان وخيار خلقه أن يتوبوا ويستغفروه بعد ايمانهم وصبرهم ، وهجرتم وجهادهم ، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه وأتى بأداة « لعل » المشعرة بالترجى ، ايذانا بأنكم اذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح فلا يرجو الفلاح الا التائبون ٠

ولهذا قال سبحانه :« **وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** » ٠

وفى هذه الآية قسم العباد الى تائب وظالم وما ثم قسم ثالث وأوقع اسم « الظالم » على من لم يتب ، ولا أظلم منه ، لجهله بربه وبحقه ، وبعيب نفسه وآفات أعماله ، ففى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال :

« **يا أيها الناس ، توبوا الى الله ، فوالله انى لأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة** » ٠

وكان أصحابه رضى الله عنهم يعدون له فى المجلس الواحد قبل أن يقوم « رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الغفور » مائة مرة ٠

وما صلى صلاة قط بعد اذ أنزلت عليه « **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** » الا قال فيها :

« **سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لى** »٠

التوبة عن عباده

الأستاذ موسى محمد على

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لن ينجي أحدا منكم عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، الا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » .

فصلوات الله وسلامه على أعلم الخلق بالله وحقوقه ، وعظمته وما يستحقه جلاله من العبودية ، وأعرفهم بالعبودية وحقوقها وأقومهم بها .

والتوبة لما كانت هى رجوع العبد الى الله ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين الى صراط الذين أنعم عليهم ، وذلك لا يحصل الا بهداية الله الى الصراط المستقيم ، ولا تحصل هدايته الا باعانته وتوحيده ، فقد انتظمتها سورة الفاتحة أحسن انتظام ، وتضمنتها أبلغ تضمن ، فمن أعطى الفاتحة حقها ، علم أنه لا تصح له قراءتها على العبودية الا بالتوبة النصوح ، ذلك أن الهداية التامة الى الصراط المستقيم ، لا تكون مع الجهل بالذنوب ، ولا مع الاصرار عليها ، فان الاول جهل ينافى معرفة الهدى والرشاد ، والثانى غى ينافى قصده وارادته ، فلذلك لا تصح التوبة الا بعد معرفة الذنب ، والاعتراف به ، وطلب التخلص من سوء عواقبه .

يقول الامام النووى رحمه الله تعالى :

التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية ،

والثانى : أن يندم على فعلها ،

والثالث : أن يعزم أن لا يعود اليها أبدا ، فان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته ، فان كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة : هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها ، فان كانت مالا أو نحوه رده اليه ، وان كان حد قذف ونحوه مكنه منه ، أو طلب عفوه ، وان كانت غيبة استحله منها ، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب « ا هـ » .

وهو الذى يقبل التوبة عن عباده

ومن شروط التوبة ترك قرناء السوء ، وهجر الأصحاب الفسقة الذين يحببون للمرء المعصية وينفرونه من الطاعة ، ثم الالتحاق بصحبة الصادقين الأخيار ، كى تكون صحبتهم سياجا يردعه عن العودة الى حياة المعاصى والمخالفات .

ولكى يتحقق الانسان بما يصحح له توبته لابد : وأن ينظر فى الذنب الى ثلاثة أشياء :

الى انخلاعه من العصمة حين اتيانه ، وفرحه عند الظفر به ، وقعوده على الاصرار عن تداركه ، مع تيقنه نظر الحق اليه .

والمراد بالانخلاع عن العصمة : انخلاعه عن اعتصامه بالله تعالى ، فانه لو اعتصم بالله سبحانه لما خرج عن هداية الطاعة ، قال الله تعالى :

« وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

فلو كملت عصمته بالله سبحانه وتعالى لم يخذله أبدا ، قال الله تعالى :

« وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ » .

والمعنى متى اعتصمتم به تولاكم ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان ، وهما العدوان اللذان لا يفارقان العبد ، وعداوتهما أضر من عداوة العدو من بنى البشر .

فالنصر على هذا العدو أهم ، والعبد اليه أحوج ؛ وكمال النصرة على العدو بحسب كمال الاعتصام بالله سبحانه .

ويحتمل أنه يريد الانخلاع من عصمة الله له ، وأنه انما ارتكب الذنب بعد انخلاعه من توبة عصمته، فمتى عرف هذا الانخلاع وعظم خطره عنده ، واشتدت عليه مفارقته ، وعلم أن الهلاك كل الهلاك بعده ، وهو حقيقة الخذلان ، فما خلى الله بينك وبين الذنب الا بعد أن خذله ، وخلى بينه وبين نفسه ، ولو عصمه ووفقه لما وجد الذنب اليه سبيلا .

فقد أجمع العارفون بالله على أن الخذلان : أن يكل الله الانسان الى نفسه ويخلى بينه وبينها .

والتوفيق : أن لا يكله الله الى نفسه ، وله سبحانه فى هذه التخلية ، بينه وبين الذنب وخذلانه حتى واقعته ، حكم بألفه وأسرار ، عجيبه .

وعلى الاحتمالين ترجع « التوبة » الى اعتصام العبد به سبحانه ، وعصمته له تعالى .

والفرح بالمعصية دليل على شدة الرغبة فيها ، والجهل بقدر من عصاه ، والجهل بسوء عاقبتها وعظم خطرها ، ففرح الانسان بالمعصية غطى عليه ذلك كله ، وفرحه بها أشد ضررا عليه من مواقعتها .

والمؤمن لا تتم له لذة بمعصية أبدا ، ولا يكمل بها فرحه اطلاقا ، بل لا يباشرها الا والحزن مخالط لقلبه ، ولكن سكر الشهوة يحجبه عن الشعور به ، ومتى خلى قلبه من هذا الحزن واشتدت غبطته وسروره ، فليتهم ايمانه ، وليبك على موت قلبه ، فانه لو كان حيا لأحزنه ارتكابه للذنب ، وغاظه وصعب عليه ولا يحس القلب بذلك ، فحيث لم يحس به فما لجرب بميت ايلام .

يقول صلوات الله وسلامه عليه : « اذا ساءتك سيئة وسرتك حسنتك فأنت مؤمن » .

وهذه النكتة فى الذنب قل من يهتدى اليها أو ينتبه لها ، وهى موضع مخوف جداً مترام الى هلاك ، ان لم يتدارك بثلاثة أشياء .

خوف من المواخاة عليه قبل التوبة ، وندم على ما فاته من الله بمخالفة أمره ، وتشمير للجد فى استدراكه ، فان الاصرار والاستقرار على المخالفة ، والعزم على المعاودة ذنب آخر ، لعله أعظم من الذنب الاول ، وهذا من عقوبة الذنب ، انه يوجب ذنبا أكبر منه ، ثم الثانى كذلك ، ثم الثالث كذلك ، حتى يستحكم الهلاك والعياذ بالله سبحانه .

فالاصرار على المعصية معصية أخرى ، والقعود عن تدارك الفارط من المعصية اصرار ورضا بها ، وطمأنينة اليها ، وذلك علامة الهلاك ، وأشد من هذا كله : المجاهرة بالذنب مع تيقن نظر الله جل جلاله من فوق عرشه اليه .

فان آمن بنظره اليه وأقدم على المجاهرة فعظيم وان لم يؤمن بنظره اليه واطلاعه عليه فكفر وانسلاخ من الاسلام بالكلية ، فهو دائر بين الامرين : بين قلة الحياء ، ومجاهرة نظر الله تعالى اليه ، وبين الكفر والانسلاخ من الدين فلذلك يشترط فى صحة التوبة تيقنه أن الله كان ناظرا اليه ، مطلعا عليه ، يراه جهرة عند مواقعة الذنب ، لأن التوبة لا تصح الا من مسلم ، الا أن يكون كافرا بنظر الله عليه جاحدا له ، فتوبته دخوله فى الاسلام ، واقراره بصفات الله جل جلاله .

وشرائط التوبة ثلاثة : الندم على ما فات ، والاقلاع عن الذنب ، والاعتذار عما وقع منه .

فحقيقة التوبة : الندم على ما سلف منه فى الماضى ، والاقلاع عنه فى الحال ، والعزم على أن لا يعاوده فى المستقبل أبدا .

والثلاثة تجتمع فى الوقت الذى تقع فيه التوبة ، فانه فى ذلك الوقت يندم ، ويقلع ، ويعزم .

فحينئذ يرجع الى العبودية التى خلق لها ، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة ، ولما كان الرجوع متوقفا على تلك الثلاثة جعلت شرائط له .

أما الندم على ما فات : فان التوبة لا تتحقق الا به ، فمن لم يندم على القبيح ، فذلك دليل على رضاه به ، واصراره عليه ، وقد جاء فى حديث حسن « الندم توبة » .

وأما الاقلاع عن الذنب : فتستحيل التوبة مع مباشرة الذنب والاستمرار فيه .

وأما الاعتذار : ففيه اشكال ، فان من الناس من يقول : من تمام التوبة ترك الاعتذار ، فان الاعتذار محاجة عن الجناية ، وترك الاعتذار اعتراف بها ، ولا تصح التوبة الا بعد الاعتراف .

فتمام الاعتراف : ترك الاعتذار ، بأن يكون فى قلبه ولسانه : اللهم لا براءة لى من ذنب فأعتذر ، ولا قوة فأنتصر ، ولكنى مذنب مستغفر ، اللهم لا عذر لى ، وانما هو محض حقك على ، ومحض جنايتى فى حقك ، فان عفوت والا فالحق لك .

والمراد بالاعتذار اظهار الضعف والمسكنة ، وغلبة العدو ، وقوة سلطان النفس وأنه لم يكن منه ما كان عن استهانة بحق الله سبحانه ، ولا جهلا به ، ولا انكار لطاعة المولى عز وجل ، ولا استهانة بوعده ووعيده ، وانما كان من غلبة الهوى ، وضعف القوة عن مقاومة مرض الشهوة ، وطمعا فى مغفرتك واتكالا على عفوه وحسن الظن به سبحانه ، رجاء لكرمه ، وطمعا فى سعة عطفه ورحمته ، فلا معونة على طاعته الا بتوفيقه .

وهو الذى يقبل التوبة عن عباده

ومكذا يكون الاعتذار من العبد ، ويذكر من الكلام المتضمن للاستعطاف والتذليل والافتقار ، والاعتراف بالعجز ، والاقرار بالعبودية •

فهذا من تمام التوبة التى لا يسلك سبيلها الا الاكياس الفاروق الى ربهم عز وجل بدينهم ، فان الله تعالى يحب من عبده أن يفر اليه •

وفى الحديث الصحيح «لا أحد أحب اليه العذر من الله » وان كان معنى ذلك الاعتذار هو كما قال فى آخر الحديث « من أجل ذلك أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين » •

وقال تعالى : « فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا »

فانه من تمام عدله واحسانه أن أعذر الى عباده ، وأن لا يؤاخذ ظالمهم الا بعد كمال الاعذار ، واقامة الحجة عليه فهو أيضا يحب من عبده أن يعتذر اليه . ويتنصل اليه من ذنبه ، وفى الحديث « من اعتذر الى الله قبل الله عذره » • فهذا هو الاعتذار المحمود النافع •

وأما الاعتذار بالقدر : فهو مخاصمة لله سبحانه ، واحتجاج من العبد على الله تعالى ، وحمل لذنبه على الأقدار ، وهذا فعل خصماء الله سبحانه وتعالى •

والمقصود : ان الاحتجاج بالقدر مناف للتوبة ، وليس هو من الاعتذار فى شىء ، وفى الحديث الاثر الصحيح •

ان العبد اذا أذنب ، فقال : يارب ، هذا قضاؤك ، وأنت قدرت على ، وأنت حكمت على ، وأنت كتبت على •

فيقول الله عز وجل له : وأنت عملت ، وأنت كسبت ، وأنت أردت واجتهدت ، وأنا أعاقبك عليه • واذا قال : يارب ، أنا ظلمت ، وأنا أخطأت ، وأنا اعتديت ، وأنا فعلت •

فيقول الله عز وجل : وأنا قدرت عليك وقضيت وكتبت ، وأنا أغفر لك •

واذا عمل حسنة ، فقال : يارب أنا عملتها ، وأنا تصدقت ، وأنا صليت ، وأنا أطعمت •

يقول الله عز وجل : وأنا أعنتك ، وأنا وفقتك •

واذا قال : يارب أنت أعنتنى ووفقتنى ، وأنت مننت على ، فيقول الله : وأنت عملتها وأنت أردتها ، وأنت كسبتها •

فالاعتذار اعتذاران : اعتذار ينافى الاعتراف ، فذلك مناف للتوبة وهو منهى عنه واعتذار يقرر الاعتراف فذلك من تمام التوبة ومأمور به •

وحقائق التوبة ثلاثة أشياء : تعظيم الجناية ، واتهام التوبة ، وطلب اعذار الخليفة •

والمراد بالحقائق : ما يتحقق به الشىء ، وتتبين به صحته وثبوته ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحارثة ان لكل حق حقيقة ، فما حقيقة ايمانك ••• الحديث •

فأما تعظيم الجناية : فانه اذا استهان بها لم يندم عليها ، وعلى قدر تعظيمها يكون ندمه على ارتكابها • وتعظيم الجناية يصدر عن ثلاثة اشياء : تعظيم الامر ، وتعظيم الآمر ، والتصديق بالجزاء •

وأما اتهام التوبة : فلانها حق عليه ، لا يتيقن أنه أدى هذا الحق على الوجه المطلوب منه ، الذى ينبغى له أن يؤديه عليه ، فيخاف أنه ما وافاها حقها ، وأنها لم تقبل منه ، وأنه لم يبذل جهده فى صحتها ، وأنها توبة علة وهو لا يشعر بها ، كتوبة أرباب

الحوائج والمحافظين على حاجاتهم ومنازلهم بين الناس ، أو أنه تاب محافظة على حاله ، فتاب للحال ، لا خوفا من ذي الجلال والاكرام . أو أنه تاب طلبا لراحة من الكد فى تحصيل الذنوب أو اتقاء ما يخافه على عرضه وماله ومنصبه ، أو لضعف داعى المعصية فى قلبه ، وخمود نار شهوته ، أو لمنافاة المعصية لما يطلبه من العلم والرزق ، ونحو ذلك من العلل التى تقدح فى كون التوبة خوفا من الله ، وتعظيما له ولحرماته ، واجلالا له ، وخشية من سقوط المنزلة عنده ، وعن البعد والطرد عنه ، والحجاب عن رؤية وجهه فى الدار الآخرة ، فهذه التوبه لون ، وتوبة أصحاب العلل لون آخر .

ومن اتهام التوبة أيضا : ضعف العزيمة ، والتفات القلب الى الذنب اللحظة بعد اللحظة ، وتذكر حلاوة مواقعته .

ومن اتهام التوبة : طمأنينته ووثوقه من نفسه بأنه قد تاب ، حتى كأنه قد أعطى منشورا بالأمان ، فهذا من علامات التهمة .

ومن علاماتها : جمود العين ، واستمرار الغفلة ، وأن لا يستحدث بعد التوبة أعمالا صالحة لم تكن له قبل الخطيئة .

وبعد : فالتوبة المقبولة الصحيحة لها علامات :

منها : أن يكون بعد التوبة خيرا مما كان قبلها ،

ومنها : أنه لا يزال الخوف من الله مصاحبا له لا يأمن مكر الله تعالى طرفة عين ، فخوفه مستمر الى أن يسمع قول الرسل لقبض روحه :

(أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) فهناك يزول الخوف ويحصل الامان .

ومنها : انخلاع قلبه ، وتقطعه ندما وخوفا ، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها ، وهذا تأويل ابن عيينة لقوله تعالى : لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم ، الا أن تقطع قلوبهم .

قال : تقطعها بالتوبة .

ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يوجب انصداع القلب وانخلاعه ، وهذا هو تقطعه ، وهذا حقيقة التوبة ، لأنه يتقطع قلبه حسرة وخوفا ، تقطع الآخرة اذا حقت الحقائق ، وعاين ثواب المطيعين ، وعقاب العاصين ، فلابد من تقطع القلب اما فى الدنيا واما فى الآخرة .

ومن موجبات التوبة الصحيحة أيضا : كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شىء . ولا تكون لغير المذنب ، لا تحصل بجوع . ولا رياضة ، ولا حب مجرد ، وانما هى أمر وراء هذا كله ، تكسر القلب بين يدى الله كسرة تامة ، قد أحاطت به من جميع جهاته ، وألقته بين يدى ربه طريحا ذليلا خاشعا ، كحال عبد جان آبق من سيده ، فأخذ فأحضر بين يديه ، ولم يجد من ينجيه من سطوته ، ولم يجد منه بدا ولا عنه غناء ، ولا منه مهربا ، وعلم أن حياته وسعادته وفلاحه ونجاحه فى رضاه عنه ، وقد علم احاطة سيده بتفاصيل جناياته ، هذا مع حبه لسيده ، وشدة حاجته اليه ، وعلمه بضعفه وعجزه وقوة سيده ، وذله وعز سيده .

فيجتمع من هذه الأحوال كسرة وذلة وخضوع ، ما أنفعها للعبد ، وما أجدى عائدتها عليه ، وما أعظم جبره بها ، وما أقربه بها من سيده ، فليس شىء أحب الى سيده من هذه الكسرة ، والخضوع والتذلل والاخبات ، والانطراح بين يديه ، والاستسلام له ، فلله ما أحلى قوله فى هذه الحال :

وهو الذى يقبل التوبة عن عباده

« أسألك بعزك وذلى الا رحمتنى ، أسألك بقوتك وضعفى ، وبغناك عنى وفقرى اليك ، هذه ناصيتى الكاذبة الخاطئة بين يديه ، عبيدك سواى كثير ، وليس لى سيد سواك ، لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهال الخاضع الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، سؤال من خضعت لك رقبته ، ورغم لك أنفه ، وفاضت لك عيناه ، وذل لك قلبه » .

فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة عند الله سبحانه ، فمن لم يجد ذلك فى قلبه فليتهم توبته وليرجع الى تصحيحها ، فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة ، وما أسهلها باللسان والدعوى ، وما عالج الصادق بشىء أشق عليه من التوبة الخالصة الصادقة . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وأكثر الناس من المتنزهين عن الكبائر الحسية والقاذورات الرجسية ، فى كبائر مثلها أو أعظم منها أو دونها ، ولا يخطر بقلوبهم أنها ذنوب ليتوبوا منها ، فعندهم ـ من الازراء على أهل الكبائر واحتقارهم ، وصولة طاعاتهم : ومنتهم على الخلق بلسان الحال ، واقتضاء بواطنهم لتعظيم الخلق لهم على طاعاتهم ، اقتضاء لا يخفى على أحد غيرهم ، وتوابع ذلك ، ما هو أبغض الى الله سبحانه ، وأبعد لهم عن بابه من كبائر أولئك ، فان تدارك الله أحدهم بقاذورة أو كبيرة يوقعه فيها ، ليكسر بها نفسه ، ويعرفه قدره ، ويذله بها ، ويخرج بها صولة الطاعة من قلبه ، فهى رحمة فى حقه . كما أنه اذا تدارك أصحاب الكبائر بتوبة نصوح . واقبال بقلوبهم اليه ، فهو رحمة فى حقهم ، والا فكلاهما على خطر عظيم .

ولنا عبرة بالغة فى الحديث الصحيح المشهور الذى روى لنا فيه رسول الله عليه وسلم قصة قاتل المائة الذى أرشده أعلم أهل زمانه الى أن الله يقبل توبته ، واشترط عليه أن يترك البيئة الفاسدة التى كان لها الأثر الكبير فى انحرافه ، واجرامه ، ثم أشار عليه أن يذهب الى بيئة صالحة أناس مؤمنون صالحون ليحبهم ويهتدى بهداهم .

وبالله التوفيق ،

موسى محمد على

وأن تصوموا خير لكم

الأستاذ على عبد العظيم

فرض الله الصيام على المسلمين كما فرضه على الامم السابقة للاسلام قال تعالى « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (١) ولم يفرضه لتحملنا مشقة الجوع والعطش والحرمان فان آخر آيات الصوم : « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ .. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (٢) وإنما فرضه الله لما فيه من صحة الأبدان وسمو الوجدان وحدة الأزهان ولما فيه من مكارم الاخلاق .

أما صحة الابدان فقد ثبت طبيا أن معظم أمراض الجسم ناتجة عن الجهاز الهضمى سواء كان فى صورة قرحة فى المعدة أو قرحة فى الامعاء أو تليف فى الكبد أو ضغط دم أو تصلب شرايين .. وان انعلاج الناجح لهذه الامراض هو فى الصيام وحسبنا ما ذهب اليه الدكتور مكفادن أبو الطب الطبيعى فانه درس الطب التقليدى وقال قولته المشهورة

(١) سورة البقرة ١٨٣ .
(٢) سورة البقرة ١٨٥ .

وأن تصوموا خير لكم

« وددت لو أخذت كل الادوية الموجودة فى صيدليات العالم وقذفت بها فى المحيطات فان ضررها أكثر من نفعها » ونادى بتطبيق ما سماه بالطب الطبيعى وقاومه الاطباء ولم يمت حتى أصبح فى كل كلية طب فى العالم أستاذا للطب الطبيعى يطبق آراء مكفادن .

ويقول العلاج عنده على أساسين رئيسيين هما الصيام والرياضة البدنية فكان يصوم يومين من كل أسبوع ويمشى عشرين كيلو متر يوميا عشرة فى الصباح وعشرة فى المساء أما صومه يومين فى الأسبوع فيذكرنا بالسنة النبوية الكريمة فقد كان صلى الله عليه وسلم يصوم يومين كل أسبوع الاثنين والخميس غالبا وأما الرياضة البدنية فتؤديها صلاة التراويح فىليالى رمضان المباركة فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بالمسلمين فى بعض ليالى رمضان ثمانى ركعات غير صلاة العشاء والوتر ويكملون الصلاة فى بيوتهم ثم ترك الصلاة بهم خشية أن تفرض عليهم وصلى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بالمسلمين صلاة التراويح فى ليالى رمضان وبلغ بها الى عشرين ركعة وفى عهد عمر بن عبد العزيز زيدت الى ست وثلاثين ركعة غير صلاة العشاء والوتر وقد سئل أبو حنيفة رضى الله عنه عن زيادة عمر فى صلاة التراويح فقال : « التراويح سنة مؤكدة ولم يتخرجها عمر من تلقاء نفسه ولم يكن فيها مبتدعا الا عن أصل لديه وعهد فى الرسول صلى الله عليه وسلم » .

وقد اسس مكفادن مستشفى خاصا يعالج المرضى فيه عن طريق الصيام وانتشرت هذه المستشفيات فى أرجاء العالم ومن المعروف طبيا ان الجسم يتغذى بالشحوم والدهون الذائدة عن الحاجة فيه وبهذا يتخلص الانسان من السمنة المفرطة ومن كثير من أسباب الامراض (١) .

وأعرف كثيرين من المرضى كانوا يذهبون الى مستشفى للطب الطبيعى فى المانيا فكان يعالجهم بالصيام وكانوا يعودون وقد نقصت أوذانهم وصحت ابدانهم وكانما نقص عمر كل منهم عشر سنوات وقد سمع مكفادن من بعض العسكريين ان الشباب لا يستطيع ان يهبط من الطائرة بالمظلة الواقية بعد سن الاربعين فتحدى القائل وهبط هو بالمظلة الواقية ــ وكان قد جاوز الثمانين ــ ونزل فوق نهر السين بفرنسا ونشرت جريدة الاهرام صورته وهو يهبط بالمظلة الواقية فى حينها .

والسمنية مرض يصيب الاجسام بأفدح الاضرار وحسبنا ما رواه البيهقى فى شعب الايمان من قول الرسول صلى الله عليه وسلم « **ان الله يكره الحبر السمين** » وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه « **اياكم والبطنة فى الطعام والشراب فانها مفسدة للجسد مورثة للفشل مكسلة عن الصلاة وعليكم بالقصد فيها فانه أصلح للجسد وأبعد عن السرف وان الله ليبغض الحبر السمين** » وروى أحمد والحاكم والبهيقى عن جعدة الجسمى ان النبى صلى الله عليه وسلم نظر الى رجل سمين فأومأ الى بطنه وقال : لو كان هذا فى غير هذا المكان خير لك . وقال الامام الشافعي : ما أفلح سمين قط ولا شىء يمنع السمنة ويحفظ للجسم اعتداله ورشاقته مثل الصيام هذا من حيث اثر الصيام فى صحة الابدان .

---

(١) قال الحسين بن واقد جمع الله الطب فى نصف آية من كتابه الكريم هى « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » وللطبرانى فى الاوسط من ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة ، واذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم وعن عائشة ام المؤمنين الأزمة (الحمية) دواء،والمعدة داء وعود واعدنا ما اعتاد » .

أما اثر الصيام فى سمو الوجدان فحسبنا أن الصائم يشعر بالحرمان فيرق قلبه لكل محروم فيعطيه مما أعطاه الله ، ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم مشهورا بالكرم وكان أكرم ما يكون فى شهر رمضان وبخاصة اذا عارضه جبريل بالوحى والصيام يصل الانسان بربه فيخشع ويخضع ويحس بلذة القرب من ربه وهو واثق من ان الله سيجزل له العطاء ، ويرفعه درجات ودرجات روى أحمد ومسلم والنسائى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : **قال : قال الله عز وجل : « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة (أى مانع من المعاصى) فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث (أى لا يفحش فى قول أو عمل) ولا يصخب ولا يجهل فان شاتمه أحد أوقاتله فليقل : انى صائم مرتين والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم (رائحة فمه) أطيب عند الله من رائحة المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما اذا فطر فرح بفطره واذا لقى ربه فرح بصومه » .**

وفى رواية للبخارى : « يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى الصيام لى وأنا أجزى به والحسنة بعشر امثالها » .

وروى أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عمرو ابن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم : **« الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان » .**

فاذا امتلأ قلب المؤمن بهذه المشاعر السامية رضى عن الله ورضى الله عنه فسمت مشاعره وذكا وجدانه وطابت نفسه وأحس فى قرارة نفسه انه ممن قال الله فيهم **« يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي » (١) .**

هذا من حيث سمو الوجدان أما من حيث حدة الاذهان فمن المعروف طبيا أن الانسان حينما يستغرق فى التفكير يندفع الدم الى خلايا مخه فيعاونه على حل المشكلات وادراك المستعصيات ، أما اذا امتلأت معدته بالطعام فان القلب يدفع الدم الى المعدة ليعاونها على افراز الاحماض التى تساعد على هضم الطعام فيتبلد الذهن ويستعصى عليه التفكير وقد يستغرق فى نوم عميق وقديما قالوا « البطنة تذهب الفطنة » .

فأنسب وقت للتفكير العميق يكون — والانسان صائم ومعدته خالية من الطعام ومن هنا يفيد الصيام صاحبه فى حدة ذهنه وجودة تفكيره . وأما مكارم الاخلاق فلا شىء يهذب الاخلاق مثل الصيام فان الصيام يكون بين يديه وفى متناوله أشهى الطعام وأعذب الشراب ولايراه أحد ، ولكنه يوقن أن عين الله تراه فيتحمل بأمانة تامة لذعة الجوع وشدة العطش مراعيا مع الله الامانة التامة واثقا من وعد الله الذى حمل الانسان الامانة حينما أشفقت فى حملها الأرض والجبال والسموات قال تعالى : **« إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا » (٢)** فيحرص كل الحرص على التزام الامانة والتخلق بها ليكون جديرا بحملها مؤمنا بما رواه أحمد وابن حبان عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : **« لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له »** . ومارواه الطبرانى فى الاوسط عن ابن عمر : **« لا ايمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن**

---

(١) سورة الفجر ٢٦ ــ ٣٠
(٢) سورة الاحزاب ٧٢ .

وأن تصوموا خير لكم

لا صلاة له وموضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد » .

واذا كان الله قد أرسل رسوله ليقيم صرح الاخلاق شامخا باذخا فان مكارم الاخلاق تتجلى بأسمى صورها فى الصيام ، قال صلى الله عليه وسلم **« انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » (١) ومن مكارم الاخلاق ان يعف الصائم عن اللجاج والعناد والخصام** كما يروى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم **« الصيام جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولايجهل فان أمرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم ، انى صائم »** .

ومن هنا كان الصيام مدرسة تصحح الاجسام وترقق الوجدان وتشحذ الاذهان وتسمو بمكارم الاخلاق ، وكان جزاؤها عند الله خير جزاء روى أحمد والنسائى والحاكم عن أبى امامة الباهلى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت مرنى بعمل يدخلنى الجنة قال عليك بالصوم فانه لا عدل له، ثم اتيته الثانية فقال عليك بالصيام » .

وروى الشيخان عن سهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم : **« ان للجنة بابا يقال له الريان يقال يوم القيامة : أين الصائمون ؟ فاذا دخل آخرهم أغلق ذلك الباب »** .

ولا ينتهى شهر الصيام حتى يكون الصائم قد اكتسب دربة صحح بها جسمه وطهر وجدانه وأطلق لفكره العنان وأتم مكارم الاخلاق واستحق بذلك رضاء الله ورضوانه وتطهر من ذنوبه وآثامه وكفر الله بها عنه ما عسى ان يكون قد وقع فيه من ذنوب ، روى مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : **« الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر »** . وروى أحمد والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما كان ينبغى ان يتحفظ منه كفر ما قبله » وروى أحمد وأصحاب السنن عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » والصائم حريص على أن يفوز برحمة ربه فيلتزم اتباع أوامره واجتناب نواهيه والتزام مكارم الاخلاق عالما أن بعض الصائمين لا يجنى من صيامه الا الجوع والعطش ومن قيامه الا السهر والتعب ويذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم . فيما رواه ابن خزيمة وابن حبان : « ليس الصيام من الاكل والشرب وانما الصيام من اللغو والرفث فان سابك أحد أو جهل عليك فقل انى صائم انى صائم » وروى البخارى والترمذى وغيرهم عن أبى هرير عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل بهفليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» وروى النسائى وابن ماجه والحاكم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر » واذا أدرك الصائم هذا والتزم به فانه يكسب تعود الصبر واحتمال الاذى والدقة فى أداء الواجب عليه ويفوز بالاجر الجزيل .

وينتهى شهر رمضان وقد تطهر من آثامه وذنوبه وفاز بالاجر العظيم والثواب الجزيل .

نسأل الله أن يعيننا على أداء الصيام تاما كاملا وأن يرزقنا الرضاء والقبول انه سميع مجيب .

على عبد العظيم

(١) رواه البخارى فى الأدب والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى شعب الايمان .

صوم رمضان وليلة القدر

مصطفى محمد الحديدى الطير

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

« إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ » .

البيان

يخاطب الله اليهود فى التوراة بقوله : يايها المساكين ، ويخاطب النصارى فى الانجيل بقوله : يا أبناء الماء والطين ، ويخاطب المسلمين فى القرآن بقوله : « يايها الذين آمنوا » فى نيف وثمانين موضعا منه ، وهو نداء يمنح الأمة المحمدية الكرامة ويقتضى الاعتزاز ، فنحن أمة مؤمنة بالحق ، لانجادل فيه بالأباطيل ، وحينما يخاطبهم بذلك ، يدعوهم بهذا النداء الحبيب الى تلقى مايكلفهم به بعد بحسن القبول بمقتضى صفة الايمان ، وقد بين الله فى الآية الأولى أنه فرض الصيام على المؤمنين برسالة القرآن ، لما فرضه على من سبقنا من أهل الأديان ، وتختلف كيفيته ووقته وعدد أيامه تبعا لاختلاف الرسالات ، ولكنه فى جميع صوره يفيد الجسم ، ويعيد الى أجهزته النشاط والصحة ، ويمنع

صوم رمضان وليلة القدر

النفس من غشيان ملذاتها الآثمة ، ويمنحها الصبر وقوة العزيمة وبر الفقراء ، وحب الخير •

ويمتاز الصوم فى الاسلام بالامتناع التام عن الطعام والشراب ومباشرة النساء ، من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ، ولكنك تراه فى بعض الأديان امتناعا عن الأطعمة الحيوانية فحسب مع اباحة سواها ، ولهذا كان الصوم فى الاسلام أكثر فائدة للجسد والروح منه فى هذه الأديان ، لما فيه من اراحة تامة لأجهزة الهضم طول النهار لمدة شهر كامل ، مع الارتباط وحيا بالملأ الأعلى ، وصفاء النفس وتمام استعدادها لتلقى فيوضات الحق تبارك وتعالى •

وبالجملة فالصيام فى الاسلام فيه سمو للروح ، وصحة للجسد ، فيه يتخلص بعض المرضى من امراضهم أو يخففون من حدتها ، كما أن فيه الشعور بعوز الفقير وحرمانه ، فاذا ذاق مشقة الحرمان ادرك كيف يكون أثره على سواه ، ولهذا قال تعالى فى بيان حكمته « لعلكم تتقون » أى تحذرون الله وتخافون ، ومن خاف الله تعالى التزم المعروف وانتهى عن المنكر •

ولذا قال صلى الله عليه وسلم « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة — أى مؤنة الزواج — فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصيام فانه له وجاء » أى وقاية من الفحشاء وهذا الحديث رواه الشيخان — البخارى ومسلم •

متى يحقق الصوم آثاره

لايحقق الصوم آثاره جسدا وروحا ، الا اذا اعتدلت وجبتا الافطار والسحور نوعا وكما ، أما ما عليه أكثر الصائمين من حشد كميات هائلة من الطعام الدسم والحلو والشراب المختلف الألوان ، وازدراء الكثير منها فى المعدات الخاوية حتى تمسى مشدودة متوترة ، فذلك أمر مناف لحكمة الصوم ، بعيد عن تحقيق أهدافه ، وقد يؤثر على القلب بسبب ضغط المعدة المكتظة على الحجاب الحاجز ، فيضغط بدوره على القلب ، ويحرمه من الحركة الرتيبة المنتظمة ، وقد يؤدى بأصحاب القلوب الضعيفة الى الموت ، وأقل أضراره سوء الهضم وفساد الطعام داخل الأمعاء والغثيان •

فالصائم يحسن الى نفسه ان اعتدل فى فطوره وسحوره كمية وكيفية ، وينال بركة ذلك وأثره الجميل من النشاط والحيوية وسلامة الجهاز الهضمى ، والخروج من شهر رمضان مستريحا بادى الهمة مقبلا على شهور الافطار بجهاز سليم نشيط ، بسبب الراحة التى نالها فى نهاره شهرا كاملا ، مع الاعتدال فى وجبتى الافطار والسحور •

اثر الصيام فى رأى عالم غربى

يقول الدكتور ألكسيس كاريل • الحاصل على جائزة نوبل فى الطب : ان كثرة وجبات الطعام ووفرتها ، تعطل وظيفة لعبت دورا هاما فى بقاء الأجناس البشرية ، وهى وظيفة التكيف على قلة الطعام ، فلقد كان الناس فى الزمان الغابر ، يلتزمون الصوم فى بعض الأوقات ، وكانوا اذا لم ترغمهم المجاعة على ذلك ، يفرضونه على أنفسهم بارادتهم ، وان كافة الأديان توجب الصيام على الناس ، وذلك للابقاء على كمال الوسط الداخلى وسلامة الانسان ومتانته ، لأن الصوم ينظف ويبدل أنسجتنا •

بعض الأمراض التى يعالجها الصوم

ثبت طبيا أن الصوم يعالج كثيرا من الامراض ومنها ارتفاع ضغط الدم ، ومرض القلب اذا صاحبه تورم ، والتخمة وامتلاء الجسم شحما ولحما ، وبعض حالات البول السكرى والاملاح وغير ذلك ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول « اغزوا تغنموا وصوموا تصحوا » .

الصوم الاجبارى

ألا وأن الطبيعة خير شاهد على أن الصيام علاج ناجح للجسم العليل ، وبخاصة اذا كان منشأ مرضه الجهاز الهضمى ، فان الانسان اذا مرض عاف الطعام وكرهه ورفضه ، فهذا صيام اجبارى أوجبته طبيعة الانسان وفطرته التى فطره الله عليها، وأحيانا يكون هذا الصيام مسبوقا بحالة تقايؤ ، مبالغة من الفطرة فى تنظيف الجهاز الهضمى من السموم التى أحدثها التخمة وفساد الطعام ، بسبب عدم قدرة المعدة على هضمه ، لتكون الحمية بعد هذا التطهير مفيدة ومنعشة للجهاز الهضمى ، بعد أن أصابه الكلال والاعياء ، وهذا دليل على أن الصيام عن الطعام عامل هام من عوامل العلاج ، أقامته الفطرة التى فطر الله عباده عليها .

الحيوان يصوم

ما أكثر غفلة المفطرين عن فضل الصيام الذى عرفته الحيوانات بفطرتها فلجأت اليه ، فهذه الثعابين تنقطع عن الطعام شهرا كاملا ، وذلك حين ترقد حياتها على البيض ، وهذه الابل تزهد فى الطعام فى معظم فصل الربيع ،ولا تأكل حتى يدفعها أصحابها الى الأكل ، والدجاج بأنواعه يصوم أثناء رقاده على البيض ، فلا تأكل الدجاجة الا يسيرا ثم تسرع الى مرقدها .

وفى حديقة الحيوان بلندن ضب يمكث أربعة أشهر لايتناول فيها طعاما ولا شرابا ، الى غير ذلك من الحيوانات التى تصوم بحكم الغريزة التى تدفعها الى السلوك الأقوم للحفاظ على صحتها .

الفوائد الروحية والاجتماعية

وللصيام فوائد روحية واجتماعية عظيمة ، فهو ينقل النفس من الهبوط المادى الى السمو الروحى ، ولذا تجد الصائمين أصفى نفسا وأقوم سبيلا من أولئك المفطرين ، انك تجد الصائمين يحبون الخير ، ويعزفون عن الشر ، ويغضون أطرافهم عن المحارم ، ويبتعدون عن المآثم ، ويبذلون المعروف ، ويغيثون الملهوف ويحفظون ألسنتهم من تسقط الكلام ، ويتخلقون بالصبر وقهر النفس حتى نستقيم على الجادة الآمنة وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم « لكل شىء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر » ومعنى كون الصيام زكاة الجسد أنه يطهره من الأمراض الحسية والمعنوية .

ويقول شوقى أمير الشعراء : الصوم حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع لكل فريضة حكمة ، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة يعود الناس الصبر ، ويعلمهم خلال البر ، فاذا جاع من ألف الشبع ، عرف الحرمان كيف يقع ، والجوع كيف ألمه اذا لذع .

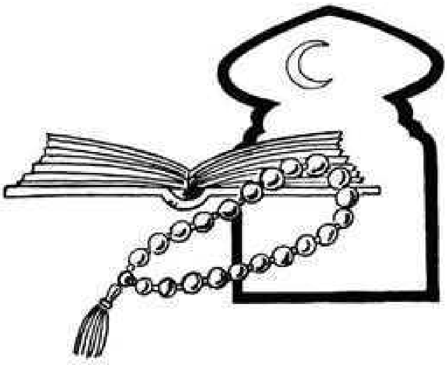

ليلة القدر خير من ألف شهر

ليلة القدر ما هى الا ليلة من ليالى الزمان ، ولكن الله تعالى خصها بمزيد من القدر والشرف فأنزل فيها القرآن ، ورفعها بذلك فوق أقدار الزمان ، وجعلها موسما للعبادات ، وميقاتا للبر والخيرات ، ينتظرها الصائمون كل عام ، ويحتفل المسلمون بها فى أنحاء الأرض ، تمجيدا للقرآن الذى شرفت بنزوله فيها ، ويستكثرون من العبادة والدعاء وقراءة القرآن فى زلف منها ، راجين من الله تعالى أن يتقبل منهم ، ويجعلها خيرا وبركة عليهم ، وفى شأنها يقول الله تعالى « **انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر** » .

فشرف هذه الليلة ناشىء عن نزول القرآن العظيم فيها ، ولولاه لكانت مثل سائر الليالى ، فالزمان فى ذاته عند الله سواء ، وكيف لاتتشرف به ليلة القدر وهو أغلى كلام من أجل متكلم ، نزل على أكرم رسول ، ليبلغه خير أمة أخرجت للناس .

وقد فخم الله القرآن بالاضمار اليه بقوله « **أنزلناه** » من غير سابق تصريح باسمه ، ايذانا بحضوره فى الاذهان لجلال منزلته ، وزاده تعظيما بتعظيم ليلة نزوله ، وذلك بقوله « **وما أدراك ما ليلة القدر** » فانه يشير الى أنها بلغت من الفخامة وجلالة القدر درجة فاقت دراية كل من يصلح للخطاب من المكلفين ، وقد عقب الله ذلك بقوله « **ليلة القدر خير من ألف شهر** » ولاشك أن فخامتها ليست ذاتية بل بسبب نزول القرآن فيها كما تقدم وحسبك فى الدلالة على عظمة القرآن الذى شرفت بنزوله فيها ليلة القدر قوله تعالى فى شأنه « **قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » وقد بقى هذا التحدى الى يومنا هذا ولم يستطع أعداؤه أن يأتوا بمثله ولا بمثل سورة منه ، وسيبقى هذا العجز الى يوم القيامة وذلك خير دليل على أنه المعجزة العلمية الباقية ببقاء الزمان ، المؤيدة لرسول القرآن ، بعدما فنيت معجزات الأنبياء السابقين ، وأصبحت أخبارا تروى .

انزال القرآن ليلة القدر

يرى بعض المفسرين أن القرآن كله نزل ليلة القدر من العام الأول للبعثة ، الى السماء الدنيا ، لكنه نزل بعد ذلك منجما حسب أحداث الرسالة فى مدى ثلاث وعشرين سنة ، ويرى آخرون أنه لم ينزل دفعة واحدة ليلة القدر المذكورة ، ولكنه ابتدأ نزوله فيها ، وتتابع نزوله بعد ذلك مدة البعثة النبوية .

موعد ليلة القدر

أكثر العلماء على أنها فى أوتار العشر الاخير من رمضان ، وأكثر هؤلاء على أنها ليلة السابع والعشرين منه ، وحجتهم فى ذلك مارواه مسلم عن ابن عمر قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين » .

ومن طرائف الاستنباط أن كلمات السورة ثلاثون

وأن كلمة (هى) فى قوله تعالى « سلام هى » راجعة الى ليلة القدر ، وهى الكلمة السابعة والعشرون فيها، وذلك يشير الى أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعد لها فيعتكف فى المسجد فى العشر الأخير من رمضان ، قالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاخير شد مئزره ، وأحيا ليله وأيقظ أهله » والمئزر مايستر العورة ، وشده كناية عن الجد فى العمل .

وقد ورد فى تحديد وقتها روايات أخرى ، وأقواها فى أوتار العشر الاخير من رمضان ، ولعل اختلاف الروايات ليتعدد طلب العبد لها بالعبادة فى الليالى التى وردت فيها .

لماذا سميت ليلة القدر

القدر فى اللغة بمعنى الشرف ، فتسميتها بليلة القدر لشرفها بانزال القرآن العظيم فيها . وقيل أسميت بذلك لان الله ينزل مقادير الأمور فى العام المقبل ليلتها ، فينزل فيها آجال العباد وأرزاقهم ، ومقادير الرياح والأمطار والحروب والسحاب ، ورحلات الطيور والحيوانات ، والمواليد والوفيات وغير ذلك ، ليقوم مدبرات الأمور بتنفيذها فى مواقيتها ؛ وفيها يقول الله تعالى فى سورة الدخان « إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ » وقيل للحسين بن الفضيل : أليس الله قدر المقادير قبل خلق السموات والأرض ، قال بلى ، قيل فما معنى ليلة القدر ، قال : سوق المقادير الى المواقيت ، وتنفيذا لقضاء المقدر — وقيل سميت بذلك لأن الطاعة فيها لها قدر وجزاء كبير .

لماذا كانت خيرا من الف شهر

قيل كانت خيرا من ألف شهر ، لأن العمل فيها يكون خيرا منه فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، ونسبوا الى ابن عباس أنه قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح فى سبيل الله ألف شهر ، فعجب لذلك وقال: يارب جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا وأقلهم أعمالا؛ فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر الى يوم القيامة :

وما نظن أن ذلك يصح صدوره عن ابن عباس ، فان آجالنا ليست اقصر من آجال بنى اسرائيل ، وليس مقبولا أن واحدا منهم يحمل السلاح ثلاثا وثمانين سنة وثلثا ، لطول المدة من جهة ، ولأنهم هم الذين قالوا لموسى عليه السلام حين دعاهم لقتال الجبارين « اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » ولأنه لو كان قيام ليلة القدر يغنى عن الجهاد الف شهر لتعرض الاسلام لخطر كبير .

والحق أن هذه الليلة وان كان يعظم فيها قدر الأعمال ، لقوله صلى الله عليه وسلم « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه »

رواه البخارى ومسلم ، لكن رفعة شأنها الى أفضل من ألف شهر ، جاءها من أن القرآن العظيم أنزل فيها ، فهى خير من ألف شهر لم ينزل فيها القرآن فانك لو قارنت بين هذه الليلة وبين العصر الجاهلى قبلها ، لوجدت ذلك حقيقياً لا مبالغة فيه ، فقد كان الناس يعيشون فى حروب متتابعة ، ووثنية واهنة ، وانحراف فى السلوك ، واهدار للأعـراض ومكارم الأخلاق وجهالة ضافية الذيول ، فلما جاءت ليلة القدر المباركة نزل فيها القرآن الذى فتح أبواب الاستقرار والتعايش السلمى ، على أساس من وحدة الألوهية، وتبادل النفع والخير والمحبة والسـلام ومكارم الأخلاق الى غير ذلك مما جاء به القرآن العظيـم ، فكيف لا تفضل تلك الليلة بالقرآن ألف شـهر من أزمان الجاهلية ، أفليست ليلة الشفاء خيرا من ألف شهر يقضيه المرء عليلا مهدما .

تنزل الملائكة والروح فيها

يقول الله تعالى « **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ** » والروح هو جبريل رئيس الملائكة وأمين الوحى ، ويدل لذلك قوله تعالى « **نَـزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ** .. » الآية وقيل أنهم صنف أعلى من الملائكة ، وهم حفظة عليهم ، كما أن الملائكة حفظة علينا .

ومعنى الآية : تتنزل الملائكة على دفعات بأمر ربهم من أجل كل أمر قضاه الله ، لينفذوه فى حينه بعد أن تلقوه من ربهم سبحانه .

سلام هى حتى مطلع الفجر

أى أن هذه الليلة هى ليلة السلام ، ففيها يسلم الملائكة على مؤمنى أهل الأرض تحية لهم ، ويسالم الله عباده ، فلا يعاجلهم بالعقوبة على ذنوبهم لعلهم يتوبون منها ، ويتجاوز عن معاصيهم السـابقة اذا أحيوها بالطاعة ، وتبقى كل من تنزل الملائكة والسلام حتى مطلع الفجر .

من يحرز فضلها

يحرز فضلها من أحياها بالقيام ، لقوله صلى الله عليه وسلم « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسـابا غفر له ماتقدم من ذنبه » من حـديث أخـرجه الشيخان .

ويستحب قيام العشر الأخير من رمضان ــ كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، واحياء هذه الليالى يكون بالصلاة والدعاء وقراءة القـرآن والسنة فى وقت منها ، فلا ينام الليل كلـه ، وروى مرفوعا عن طريق أبى هريرة أن من صلى العشـاء الأخيرة فى جماعة ، فقد أدرك ليلة القدر ــ أى أخذ حظا منها ــ .

والامام النووى يرى أن من أحياها لايحرز فضلها بمجرد احيائها ، بل بأن يطلعه الله عليها ، بأن يريه بعض ملكوته ، فلو لم يشعر بها لم يدرك فضلها ، وخالفه الأوزاعى والمتولى ، حيث قالا : ان فضـلها يناله من قامها باخلاص لله تعالى ، وفق الله المسلمين لاحيائها ، وأنالهم من بركاتها .

مصطفى محمد الحديدى الطير

رأى الدين

والقانون

والإقتصاد

فيما ورد بمقال

"ماذا لو قالت المحكمة الدستورية العليا: لا للفائدة المصرفية"

بجريدة الجمهورية

جاء فى المقال « تنظر المحكمة الدستورية العليا من اخطر القضايا المالية قضية المادة ٢٢٦ من القانون المدنى التى تحدد الفوائد على الديون وأن المضاعفات السلبية لعدم الاعتراف بالفائدة لايمكن حصرها وستضيع الحقوق ويتوقف دولاب العمل (وهروب الودائع) والعلماء منهم من يقول أنها ربا محرم والبعض يقول أنها ربا وليست محرمة ونادى المقال بالبحث عن البديل قبل هدم النظام المصرفى فضلا عن أن الاقراض (بالربا) اختياريا وليس اجباريا .

بقلم زكريا عامر

المحامى بالنقض
بجامعة الأزهر الشريف

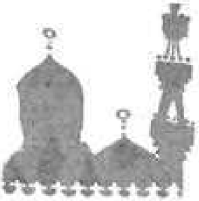

رأى الدين والقانون والاقتصاد

وبحمد الله تعالى اطمئن الذين يزعجهم تصحيح الاوضاع الاقتصادية طبقا لشريعة الاسلام وأهدىء من روع الذين يفزعهم احترام الدستور ويتهيبون من تنفيذ تعاليم الاسلام وان الربا تحرمه كافة الشرائع السابقة على الاسلام ويحرمه الاسلام وتحرمه كافة القوانين ولن يهتز الاقتصاد المصرى بالابتعاد عن الربا وأكبر شاهد على ذلك ازدهار وانتشار البنوك الاسلامية ٠

ومما لا جدال فيه أن الاعمال المصرفية هى محور وعصب النشاط الاقتصادى فى كل دولة وتسلم بذلك وفى نفس الوقت لا تسلم أبدا بأن الربا فيها ضرورة لهذه الاعمال المصرفية ذلك أن الله جل جلاله الذى حرم الربا لم يترك أمر الناس سدى بل شرع لهم من الحلال ما يغنيهم عن اللجوء للحرام وأن المقال وقد سار على منهج أرترلنج الذى يرى أن الربا أساس الحياة الاقتصادية كما جاء فى كتابه التطور الرأسمالى فى حين أن الربا محرم ففى المؤتمر القانونى الاسلامى بباريس فى ١٩٥١/٧/٧ يحدثنا الدكتور محمد عبد الله دراز عن قانون وضعه الملك بوخوريس من ملوك الفراعنة الاسره ٢٤ حرم الربا وفى التوراه التى بين ايدينا سفر التثنية لا تقرض أخاك بربا وفى الانجيل الذى بين أيدينا انجيل لوقا افعلوا الخيرات واقرضوا غير منتظرين عائدها وقول سكوبار وهو الاباء اليسوعيين ان من يقول ان الربا ليس معصية يعد ملحدا خارجا عن الدين وأن الشريعة الاسلامية أجمع فقهاؤها على أن قول الله تعالى « **وأحل الله البيع وحرم الربا** » تفيد تحريم ربا الفضل وربا النسيئة ٠ وربا النسيئة تأجيل دفع الدين الى المدين بالثمن هو ذات الربا النسيئة هى ربا الجاهلية فكان الدائن يقول للمدين عند حلول أجل الدين « أتقضى أم تربى » فيزيد أصل الدين بسبب هذا الاجل ويقع ربا النسيئة (أعلام الموقعين جـ٢ صـ ٢٠١) الموافقات للشاطبى (جـ٤ صـ ٤٥) (جمع البيان جـ٣ صـ ٦٧) (الدر المنثور لجلال الدين السيوطى جـ ٢ ص ٧١) وقد نقل الينا اجماع الفقهاء على تحريم ربا النسيئة فضلا عن تحريم ربا الفضل صاحب المغنى قال فى مؤلفه وهو العلامه المغنى لابن قدامة كتابه المسمى بالمغنى جـ ٤ ص ١٢٣ الربا على ضربين ربا الفضل وربا النسيئة وأجمع أهل العلم على تحريمهما وفى ضرر الربا يقول الامام القرطبى فى كتابه الجامع لأحكام القرآن جزء ٣ ص ٣٦٢ ينقل عن ابن عباس فى قوله تعالى «يمحق الله الربا لا يقبل منه صدقة ولاحجا ولا جهادا ولا صلة ويرى الزمخشرى فى مؤلفه الكشاف جـ ١ ص ٣٥٧ أن الآية فى تغليظ أمر الربا ايذانا بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين صدق الله (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**) فترك الربا من دلائل الايمان (**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**) ٠

الربا ضد الاقتصاد :

وان علماء الاقتصاد يقررون ان الربا يفسد المجتمع مما يضفيه عليه من مادية مسرفة خالصة فالفقير يفرط تحت ضغط الحاجة والغنى يستثرى من فيض ماله الذى يتزايد فتهون الاعراض وتنحل الاسر (اندريه يسيجفريد الفرنسى وآرثر لنك الامريكى وارثر ستريت وغيرهم كثيرون ص ٩٢ وضع الربا فى البناء الاقتصادى للدكتور عيسى عبده) ٠

راى مجمع البحوث فى الربا : •

وأن مجمع البحوث الاسلامية فى مؤتمره الثانى فى المحرم سنة ١٣٨٥ هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٥ جاء بقرارات وتوصيات وقرر المؤتمر بشأن المعاملات المصرفية ما يلى : ــ

الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكى وما يسمى بالقرض الانتاجى لان نصوص الكتاب والسنة فى مجموعها قاطعة فى تحريم النوعين وان كان كثير الربا وقليله حرام لان الاقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة •

هذا لان الاسلام كما يقول فضيلة الشيخ محمد أبو زهره يدعو الى نظام اقتصادى يقوم على منع الربا لان الربا من شأنه أن يجعل رأس المال منتجا من غير عمل عامل بل من غير تحمل لتبعة العمل واذا ساد وجدت طائفة من الناس يتخذون التعطيل سبيلا ويأكلون ثمرات غيرهم والدكتور عبد الحميد الغزالى استاذ الاقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة يقول « ان النظام المصرفى يقوم على أساس السيولة والأربحية والتركيز على احدهما دون الاخر يؤدى الى فشل القيام بالعمل المصرفى فاذا ركز على السيولة أدى ذلك الى الانخفاض المتزايد فى أرباحه مما يؤدى الى عدم تحقيق هدفه الاساسى كمشروع اقتصادى (خدمات مصرفية) واذا ركز على الاربحية كان ذلك على حساب السيولة مما يؤدى الى عدم امكانية الوفاء بالتزاماته قبل المودعين وبالتالى يفقد الثقة يقوم أصلا العمل المصرفى على أساسها واذا فقد الثقة من قبل المودعين ادى ذلك الى افلاسه ولكن الصيغة الاسلامية للعمل المصرفى تأخذ فى الاعتبار هذا التوازن الاحساس الذى يقوم عليه الفن المصرفى فهذه الصيغة تؤسس على جمع رأس المال والعمل فى تزاوج انمائى مطرد وليس على أساس جمع رأس المال ، ورأس المال كما يتم بالنسبة للمصاريف الربوية حيث تقترض وتقرض رأس المال بالفائدة الربوية أما الصيغة الاسلامية فانها تعمل وفق عقد المضاربة الاسلامية أو القراض فى صورة مشروعات استثمارية وفقا لمبدأ الاشتراك فى المخاطر وفى الارباح وفى الخسائر » وبهذا لا يكون هناك أحقاد بين الطرفين المشتركين فى المشروع ولا توجد أضرار الربا الذى يقوم على اثراء الغنى من دم الفقير ولا أن يكون القرض الاستهلاكى بقصد الحصول على اكبر ربح ممكن من مشروعات مربحة بصرف النظر عن المشروعات ذات الصالح العام للجماعة مهما كانت مشروعات تحتاج الى قروض استثمارية تمس حاجة الشعب الاساسية فان القروض الاستثمارية لاتنظر الا الى الربح لا الى المصلحة •

راى الدستور المصرى :

وأن دستور البلاد وقد نص على الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع فاننا نجد فى مضبطة جلسات مجلس الشعب التاسعة فى فقرتها ١٦ هذا النص (نص المادة الثانية من الدستور الذى قضى بأن مبادىء الشريعة الاسلامية السمحاء ليبحث فيها عن بغيته وبذلك يسد الباب أمام نقل النظم الاجنبية فى كافة المجالات التشريعية والسياسية والاقتصادية •

حظر التعامل بفوائد التاخير :

ومن هذا المنطلق وضع مشروع بقانون فى مجلس الشعب فى شأن حظر التعامل بفوائد التأخير نص فى مادته الاولى على انه لا يجوز الاتفاق على تقاضى فائدة سواء كان ذلك فى تقابل تاخير الوفاء ام فى اى حالة اخرى •

المادة ٢٢٦ مدنى تحتوى على الربا :

وأنه بالاطلاع على مذكرة المشروع التمهيدى

للمادة ٢٢٦ مجموعة الاعمال التحضيرية صـ ٥٨٤ الجزء الثانى « تعترف هذه المذكرة بأن المادة ٢٢٦ مدنى موضوع هذه القضية بعدم دستوريتها تحتوى على ربا تستنكره مذكرة المشروع وتتجه لمناهضته وهذا هو النص المكتوب فى المشروع التمهيدى » تستحق فوائد التأخير من تاريخ رفع الدعوى فحسب تمشيا مع النزوع الى مناهضة الربا واستنكاره وعبارة مناهضة الربا واستنكاره دليل قاطع على أن المادة ٢٢٦ مدنى تحتوى على ربا محرم شرعا وهناك اتجاه الى مناهضة الربا واستنكار هذه المادة «وفضيلة الشيخ جاد الحق على مفتى الديار الاسلامية أفتى بأن فوائد التأخير ربا نسيئة محرم شرعا (جريدة الاهرام فى ٢٦ يناير ١٩٧٩) وكما أفتى مجمع البحوث الاسلامية بناء على طلب رسمى مقدم من جامعة الازهر بخصوص الدفع بعدم دستورية المادة ٢٢٦ أفتى بأن هذه المادة تحتوى على ربا نسيئة محرم شرعا وقدم هذا الى المحكمة الدستورية أثناء تداول الجلسات وأن الدكتور عبد الناصر العطار فى مؤلفه نظرية الأجل فى الالتزام ص ٢٨٧ يقرر أن الفوائد الربوية بنوعيها تتعارض مع الاصول القانونية ولا تستقيم مع مبادىء العدالة ذلك أن الربا عقد على منافع موهومه وغير معلومة المقدار واذا تم العقد على محل محتمل الوجود وغير معلوم المقدار أضحى باطلا وكذلك كان الربا .

رأى علماء القانون الدستورى :

وأن الدكتور رمزى الشاعر فى كتابه النظرية العامة للقانون الدستورى صـ ٣٠٨ طبعة ٧٩ وهو وضع المخالفة الموضوعية للدستور يقول « قد يأتى التشريع مستوفيا لشكل الواجب اتباعه طبقا للدستور وصادرا عن السلطة المختصة المحددة فى الوثيقة الدستورية الا أن هذا لا يكفى لاعتباره دستوريا اذ يجب لكى يكون كذلك الا يكون مخالفا فى موضوعه قاعدة دستورية حددها المشرع أو متجاوزا فى غايته روح الوثيقة الدستورية ومن هذا يبين بوضوح أن مبادىء الشريعة الاسلامية قواعد دستورية بعد التعديل الدستورى يجعل الشريعة المصدر الرئيسى للتشريع وفى نفس الوقت الوثيقة الدستورية نصت على ان روح هذا الدستور فى هذا التعديل هو الارتباط الروحى والتشريعى بالشريعة الاسلامية وقول الله تعالى « **وأحل الله البيع وحرم الربا** » هى آية قرآنية وقاعدة دستورية فضلا عن أن الآية القرآنية هى دستور الدساتير وفوق كل دستور لان الدستور قد يغيره الشعب ولكن حكم الله هو الذى يغير الناس بآياته يلزم الناس بأحكامه ومحال أن نكون دولة اسلامية ونعطل أحكام الله وفضيلة الشيخ مصطفى صبرى فى كتابه موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين يقول (ان الدولة الاسلامية لها ذاتية خاصة تلتزم بدورها بكفالة تطبيق القانون الاسلامى والالتزام بما أوجبه عليها الشارع من قواعد وأحكام) .

(١) فى هذا المعنى صـ ١٣ مصادر الشرعية الاسلامية للدكتور على جريشه (ومؤلفه المشروعية العليا) وكتاب نظام الاسلام لحكم الدولة للاستاذ محمد المبارك صـ ٣١ وكتاب السلطات الثلاث للدكتور سليمان الطماوى الطبعة الثالثة صـ ٣٠٨ ومقال الرأى فى التشريع الاسلامى للشيخ الجليل عبد الوهاب خلاف ص ٥٦٥ من مجلة القانون والاقتصاد لسنة ٣٧ وكتاب مبدأ المشروعية للدكتور فؤاد النادى صـ ٦٧ ذلك أن محور الدولة الاسلامية هو القانون الالهى وعلى ذلك فان المصلحة فيما

نص عليها الشارع الحكيم وهو الله جل جلاله فى تحريم الربا والدكتور صوفى أبو طالب فى كتابه تطبيق الشريعة الاسلامية طبعة ١٩٧٨ دار النهضة العربية صـ ٤٢ « اذ يقول » .

« اذ كان النص قطعيا فى ثبوته ودلالته فلا يتصور وجود تعارض بينه وبين المصلحة لأن الأصل فى تقدير المصلحة هو نظر الشارع وحده والشارع وحده فى الشريعة الاسلامية هو الله جل جلاله والنص بتحريم الربا نص قطعى فى ثبوته ودلالته بآيات القرآن الكريم فلا مصلحة البتة فى مخالفتها وليس لنا امام قول الله تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا) الا ان نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فكلمة الله هى العليا وفوق كل عليا » .

نجاح الاقتصاد الاسلامى :

وان فى مصر الدليل العملى على نجاح فكرة الاقتصاد الاسلامى فبنك فيصل المصرى الاسلامى وبنك مصر فرع الحسين للمعاملات الاسلامية والمصرف الاسلامى الدولى للاستثمار بحى معروف بالقاهرة وبنك خان الخليلى للمعاملات الاسلامية كلها بنوك اسلامية فى مصر وعلى أرضها تزدهر يوما بعد يوم وهى تجربة ناجحة بل أصبحت فوق التجربة أصبحت مثالا يحتذى به فى الاقتصاد الاسلامى لأن الربا لا يدفع الا من جيوب المستهلكين فيتوزع عبء الربا على كل فرد من أفراد الجماعة والحمد لله أن النظام الدولى الاقتصادى يقوم على أساس رفع المعاناة عن الشعب ونشر الرخاء ولقد طبقت باكستان نظم الاقتصاد الاسلامى بما فى ذلك الاعمال المصرفية بلا فوائد وبصفة مؤقتة مع البنوك والمؤسسات الأجنبية التى تقرض بفوائد (صحيفة الفكر الدينى جريدة الأهرام ٦ مارس ١٩٨١) وفى جريدة المساء العدد ٩٢٥٠ فى ١٦ مايو ٨١ أعلن الدكتور لطفى بأن البنوك الاسلامية سوف تحل محل وزارة الأوقاف ونظرة الوقف فى رعاية مصالح وحقوق الواقفين وهذه خطوة مباركة نحو الاقتصاد الاسلامى .

وأن المستشار محمد كمال محفوظ المفوض بالمحكمة الدستورية العليا المنتهى فى تقريره فى القضية المرفوعة من جامعة الازهر بعدم دستورية المادة ٢٢٦ وأنها ليست دستورية لا حتوائها على ربا محرم اصليا وقطعيا بآيات القرآن الكريم فهى تحتوى على ربا النسيئة .

هذا ورضا كل من المقترض بربا والمقترض لايجعل الحرام حلالا كرضا الزانى والزانية .

مما تقدم نرى أن الفكر الربوى مثل فكربول صامولسون فى كتابه التحليل الاقتصادى ومن صار على نهجه فكرا ضد الانسانية وضد الدين والقانون والاقتصاد الاسلامى بالبنوك الاسلامية ينفذ تدريجيا وببساطه وبهدوء ولا زالت المؤتمرات والندوات العلمية المتخصصة فى الاقتصاد الاسلامى تضع الحل لكل مشكلة بتوفيق من الله عز وجل واتباعا لشريعة الاسلام التى فيها حكم كل شىء (صدق الله العظيم) (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) (ان الحكم الا لله) وان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول) فقولا واحدا المادة ٢٢٦ ضد الدين والشرائع السابقة وضد قانونية القانون وفلسفة الاقتصاد وانسانية الانسان .

زكريا عامر البكرى

كانت ليلة النصف مقدمة

كانت ليلة النصف من شعبان مقدمة لرمضان وهى من الليالى المباركة التى يتجلى الله فيها على عباده المخلصين فيعطى من يشاء ويغفر لمن يشاء ويرحم من يشاء بيده الخير ، والله ذو الفضل العظيم ٠

وقد ورد فى السنة أن النبى صلى الله عليه وسلم أحيا هذه الليلة بالصلاة والدعاء والاستغفار للمؤمنين والشهداء ، وبين أنها ليلة مباركة ، ينبغى للمؤمن أن يلتجىء فيها الى الله تعالى عسى أن ينال من النفحات الالهية مالا يشقى بعده أبدا فقد روى البيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك ، فرجعت فسمعته يقول فى سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك اليك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ٠ ولما فرغ من صلاته قال لها هذه ليلة النصف من شعبان ، أن الله عز وجل يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ، ويؤخر أهل الحقد كما هم :

وقالت : أنه خرج فى هذه الليلة ــ أى ليلة النصف من شعبان ــ الى بقيع الفرقد ، فأدركته فوجدته يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ٠

وقد ورد فى فضل هذه الليلة عدة أحاديث رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم ٠ خرجها من المحدثين الامام أحمد والترمذى وابن ماجه وابن حيان والطبرانى والبيهقى عن جمع من الصحابة منهم : عائشة وأبو بكر ومعاذ وأبو موسى الاشعرى وعبد الله بن عمرو وعثمان بن أبى العاص وأبو ثعلبة الخشنى وهى فى مجموعها تدل على أن الله سبحانه

من شعبان لرمضان

للأستاذ عبد العزيز حسن قريش
أمين عام جامعة الأزهر

وتعالى يتجلى على عباده فى هــذه الليلة المباركة ، ويتولاهم بالمغفرة والرحمة واجابة الدعاء .

ولكن ناسا ذكرهم رسول الله صلى الله عليـــه وسلم بأوصافهم وبين أنهم ليسوا أهــلا للمغفرة وأنهم مبعدون من رحمة الله فى هــذه الليلة الا اذا طهروا نفوسهم من الآثام وكبــائر الذنوب التى صفهم بها .

فمن هؤلاء من تحتوى قلوبهم على الشحناء .. وقد ورد ذكرهم فى رواية أبى بكر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل الله سماء الدنياليلة النصف منشعبان فيغفر لكل شىء الا لرجل مشرك أو رجل فى قلبه شحناء والشحناء هى العداوة والخصومة ، والمشاكسة وهى وصــف لو وجد بين أفراد الأسرة لانحلت عصبتها ولــــو سرت بين الجماعات فى أمه لانحل كيانها وتفرق شملها ولو وجد بين أمتين فقد ينتهى بينهما الى الحـــرب ، فأهل الشحناء ليسوا أهلا لان يتولاهم برحمته ومغفرته.

ومنهم الحاقدون وهم الذين انطوت نفوسهم على الغل والعداوة والبغضاء للفرد أو للجماعة وقد ورد ذكر الحاقدين فى رواية عائشة ــ السابقة ــ رضى الله عنهــا أن اللــه يغفر للمســـتغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم .

والحاقد وان لم يظهر بمظهر المشــاكس الا أن ما انطوت عليه نفســه يحمله على الكيـــد وخلق الخصومات للمحقود عليه والسعاية بينـــه وبين الناس بالعداوة والبغضاء ، وقد وصف الله المؤمنين بقــــوله :

« رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ .

كانت ليلة النصف من شعبان

مقدمة لرمضان

فالحقد صفة تحرم العبد مغفرة مولاه فى مواسم الرحمة والاستغفار .

ومنهم قاتلوا النفس التى حرمها الله وقد ورد ذكرهم فى رواية عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطلع الله عز وجل الى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده الا اثنين مشاحن ، وقاتل نفس . ويكفى فى وصف قاتل النفس بغير حق ما توعده الله فى الكتاب العزيز من العذاب واللعنة والغضب ، ففى سورة النساء « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » وفى سورة الفرقان ، « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا » .

هذه بعض أمثلة مما جاء فى أحاديث فضائل هذه الليلة ، وأنه مانع من المغفرة وقبول الدعاء .

والأحاديث لم تستوعب كل الذنوب التى تباعدبين العبد وبين الله تعالى فى هذه الليلة وانما أتتبأمثلة القصد منها التنبيه الى أن كل من كان متلبسابالمعصية وكبائر الذنوب ، فهو مبعد ومطرود من رحمة الله ومغفرته، فقطاع الطرق الذين يهددون الأمن والنظام والذين يسعون فى الارض فسادا ، والذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، والغشاشون والخائنون وأرباب الأهواء والمنافقون وشاهدو الزور وأرباب الفتن ، كل أولئك وغيرهم من أصحاب الذنوب والمعاصى الذين ورد ذكرهم فى الكتاب أو فى السنة ليسوا أهلا لان يشملهم الله برحمته ومغفرته حتى يتوبوا ويقلعوا عن الذنوب ويطهروا أنفسهم من الآثام ، والا فلا فائدة فى الدعاء والاستغفار وكما يقول ابن الجوزى : الثوب غير النظيف أولى به الصابون من البخور والتعطير .

والذين فاتتهم هذه الليلة لهم فى رمضان باب مفتوح .

فينبغى للمؤمنين أن يسارعوا بالتوبة وتطهير النفوس من الآثام والاوزار ، وأن يعملوا على ذكر الله والالتجاء اليه لغفران الذنوب وستر العيوب وتفريج الكروب ، فان لله فيها نفحات عسى أن تصيبهم نفحة منها ، يصعدون بها فى هذه الدنيا ويأمنون بعدها شر العذاب فى الآخرة فقد روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « اطلبوا الخير دهركم وتعرضوا لنفحات ربكم فان لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم وعن محمد بن مسلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم « ان لله فى أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة يشقى بعدها أبدا » .

كان الناس ولايزالون منذ عصر التابعين يملأون حياتهم بالذكر والدعاء والاستغفار جماعة فى المساجد

وكان التابعون من علماء الشام كخالد بن معدان الحمصي ومكحول الدمشقي ونعمان بن عامر الحمصي ، وغيرهم من أعلام العلماء لايرون مانعا من أحياء هذه الليلة وليالى رمضان وتعظيمها جماعة ولهذا كانوا يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون فى المسجد ليلتهم ويجهرون فيها بالدعاء والاستغفار ووافقهم على احيائها اسحق بن ابراهيم الحنظلى المعروف بابن راهويه وهو من أشهر أئمة الحديث فى القرن الثالث ، قال عنه الامام أحمد : أنه من أئمة المسلمين عندنا ولا أعلم له نظيرا .

وقال الاوزاعى أمام أهل الشام : أنه يكره الاجتماع فيها فى المساجد للصلاة والقصص والدعاء، وانما يصلى الانسان فيها مفردا لخاصة نفسه .

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب الى عامله بالبصرة : عليك بأربع ليال من السنة ، فان الله يفرغ فيهم الرحمة افراغا : أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة الاضحى .

وقال الشافعى رضى الله عنه : بلغنا أن الدعاء يستجاب فى خمس ليال : ليلة الجمعة ، والعيدين ، وأول رجب ونصف شعبان ، قال : واستحب كل ماحكيت فى هذه الليالى .

والذى يترجح فى هذه المسألة جواز اجتماع الناس للدعاء والاستغفار فى هذه الليلة كما هو حاصل ولا كراهية فى ذلك ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لايقعد قوم يذكرون الله عز وجل الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده . وظاهر أن الدعاء والاستغفار نوع من الذكر ، أما الصلاة فتكون بلا جماعة صلاة نافلة ولم يثبت فى السنة أنها جرت بجماعة .

أما ما ذكره الغزالى فى الاحياء من أن السلف كانوا يجتمعون فى هذه الليلة ويصلون جماعة أو فرادى مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة الفاتحة وقل هو الله أحد احدى عشرة مرة ويسمونها صلاة الخير فلم يثبت فى السنة ، وكل ماروى فيها من الاحاديث رده العلماء .

ومما جرى عليه العمل فى مصر أن الناس عقب الصلاة يدعون بالدعاء المشهورة وفيه : ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب محروما مقترا على رزقى فامح حرمانى ويسر رزقى وأثبتنى عندك سعيدا موفقا للخير فانك قلت فى كتابك الذى أنزلت: « يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » .

هذا الدعاء مروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لا فى خصوص هذه الليلة ، وقال : مادعا عبد قط بهذه الدعوات الا وسع الله له فى معيشته وابن مسعود لايقول هذا الا اذا كان قد تلقاه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو دعاء مأثور يصح الدعاء به فى هذه الليلة وفى غيرها .

كانت ليلة النصف من شعبان مقدمة لرمضان

وقد اشتمل هذا الدعاء على أمر كان موضع نقاش بين العلماء ، وهو أن ما كتب على الانسان من الشقاوة أو السعادة والأجل والرزق وغير ذلك يبقى بدون تغيير أو أن الله تعالى يمحو ما يشاء فيطيل العمر وييسر الرزق ، ويمحو الشقاوة ويثبت السعادة .

فريق يرى أن ماكتب على الانسان لايتغير وفريق آخر يرى أن الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله يمحو أمور عباده ويثبت الا السعادة والشقاوة والآجال فانه لا محو فيها .

والذى يظهر من أحكام الشريعة فى مجموعها أن ما كتب على الانسان من خير أو شر وأجل أو غير ذلك يبقى بدون تغيير الا اذا غيره الله سبحانه وتعالى ، ففى الكتاب العزيز « يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو بطول العمر وكثرة الرزق وغير ذلك من أمور الدنيا والآخرة .

أخرج البخارى فى الادب المفرد عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا له بكثرة المال والولد وطول العمر فاستجاب الله دعاءه وقال أنس : فهو الله أن مالى لكثير وأن ولدى وولد ولدى ليتعادون على نحو المائة اليوم ، وقد أطال الله حياته فقد كان فى الهجرة ابن تسع سنين ومات سنة ثلاث وتسعين من الهجرة وقد كان الصحابة والتابعون يدعون بالسعادة ومحو الشقاوة وتيسير الرزق وغير ذلك من أمور الدنيا والآخرة .

والأمم التى تعنى بالتربية الرياضية وتتقى الامراض والأوبئة بالطرق العلمية السليمة وتعيش فى هناءة من العيش تطول حياتها وحياة أفرادها ويبارك الله لهم فى آجالهم . والامم الجاهلة التى ترزح تحت أثقال المرض والاوبئة والجوع والفقر تموت بسرعة وتقصر آجال أفرادها .

هذه سنة الله فى خلقه

والسعيد من وفقه الله

(عبد العزيز حسن قريش)

« أمين عام جامعة الأزهر »

من حضارة الإسلام

- الإسلام ومشكلات المسلمين في ألمانيا الغربية
- من مآثر الحضارة الإسلامية
- تأملات حول فلسفة الصوم
- **البيض والسود وحوار مع الجاحظ**
- فتح مكة
- جلال الماضي
- رمضان مشرق الرسالة

الإسلام

تمهيد :

يعيش فى المانيا الغربية فى الوقت الحاضر حوالى مليون ونصف مليون من المسلمين ويشتمل هذا العدد على أكثر من مليون ومائتى الف من الاتراك ، ومائة وعشرين الفا من اليوغوسلاف وستين الفا من العرب وثلاثين الفا من بلاد مختلفة فى آسيا وافريقيا ، وحوالى عشرين الفا من الايرانيين ، وستة الاف من اللاجئين من البلاد الشيوعية وألف ومائتين من الالمان المسلمين معظمهم من النساء اللاتى اعتنقن الاسلام عن طريق الزواج من رجال المسلمين .

ومن بين هذا العدد من المسلمين الذين يعيشون فى ألمانيا نجد أن غالبية الممارسين منهم عمليا للشعائر الاسلامية ينتظمون فى حوالى ثلاثمائة وخمسين جمعية ، ولهم كذلك مساجد كثيرة ربما تفوق هذا العدد من الجمعيات .

وهناك مجموعتان اسلاميتان رئيسيتان فى ألمانيا الغربية لكل منهما برنامجها السياسى والاجتماعى . أما المجموعة الرئيسية الاولى فانها تضم بصفة أساسية كلا من حركة السليمانلى وحركة النردشولوك وكلاهما مقره فى مدينة كولونيا ، كما تضم الجماعة الاسلامية للمسلمين اليوغوسلاف ومقرها فى مدينة آخن . وتمثل حركة السليمانى التى يديرها المركز الاسلامى فى كولونيا أكبر تجمع اسلامى فى ألمانيا الغربية حيث ينتظم فيها حوالى ٦٠ ٪ من كل الروابط الاسلامية فى ألمانيا .

أما المجموعة الرئيسية الثانية فانها تسترشد فى تنظيمها استرشادا وثيقا بصفة عامة بالسياسة والعادات الاجتماعية المألوفة فى البلاد الاسلامية . ويقود الاخوان المسلمون تنظيمات هذه المجموعة فى مركزين رئيسيين فى كل من آخن وميونيخ .

ويمثل أعضاء الجمعيات الاسلامية المسجلين بها فى ألمانيا نسبة ٤٪ فقط من عدد المسلمين هناك ، ويشارك ٥٨ ٪ من المسلمين فى ألمانيا فى الشعائر الاسلامية ، غير أن المساجد هناك – باستثناء مساجد برلين وهامبورج وآخن وميونيخ – ليست الا أماكن مؤقتة وبسيطة جدا للصلاة فى بعض المخازن أو الأكشاك المهجورة فى المصانع وما شاكل ذلك (١) .

وبطبيعة الحال فان المساجد الموجودة فى ألمانيا غير كافية على الاطلاق للاعداد الكبيرة من المسلمين . ومن أجل ذلك فان الحياة الدينية الجماعية بالنسبة

1) M.S. Abdullah: Deutsches Allgemeines Sonntagsblatt, 2.12.1979.

ومشكلات المسلمين في ألمانيا

للدكتور محمود حمدي زقزوق

لكثير من المسلمين هناك تصبح أمرا مستحيلا (١) .

ويمثل الاسلام بأتباعه الذين يقربون من مليون ونصف ثالث أكبر الطوائف الدينية فى ألمانيا الغربية بعد الطائفة الكاثوليكية والطائفة البروتستانتية . وعلى الرغم من ذلك فلا يزال الاسلام غير معترف به هناك من الناحية القانونية مثلما هو معترف بطوائف دينية أخرى تأتى فى تعداد أتباعها بعد المسلمين مثل طوائف اليهود وجيش الخلاص (salvation army) **والمعمدانيين** (baptists) **وغيرهم .**

وهذا الوضع الشاذ وما يتضمنه من ظلم بالنسبة للمسلمين محل نقد شديد لا من الجانب الاسلامى فحسب وانما أيضا من الجانب الألمانى . وفى ذلك يقول الأب فانتسورا (Wanzura) : « لقد عمل الآلاف من العمال المسلمين خمسة عشر عاما من أجلنا ، وعلى الرغم من ذلك فقد ظلوا فى نواحى كثيرة بدون حقوق تقريبا » (٢) .

أما السيد محمد س . عبد الله الذى يعد حجة فى مشكلات المسلمين فى ألمانيا الغربية فانه يصف ظروف المسلمين هناك وبوجه خاص ظروف الغالبية التركية منهم على النحو التالى :

انها ظروف تتمثل فى انتزاع للانسان (المسلم) من جذوره وفى الاحساس بوقوعهم تحت وطأة الظلم والاستغلال الاجتماعى وفى التفرقة فى المعاملة تفرقة خفية أو مكشوفة وفى القلق على حقوقهم وفى هموم الحصول على عمل وهموم الحصول على تصريح بالاقامة » (٣) .

وانتزاع الانسان المسلم من جذوره المشار اليه يتضح من بين ما يتضح فى أن غالبية المسلمين الذين يعيشون فى ألمانيا الغربية لا يشعرون — بعد مرور

1) Christ und Welt, 27.2.1976

2) Rheinischer Merkur, 23.3.1979.

3) Abdullah, loc. cit.

فترة من الزمن ــ أنهم يعيشون فى أوطانهم : لا فى ألمانيا الغربية ولا فى أوطانهم الأصلية أيضا • وهكذا يعبر واحد منهم عن ذلك فى احدى الصحف الصباحية هناك قائلا : انه فى كل مرة يكون فيها فى عمان يشعر بحنين الى ميونيخ ، وعندما يكون فى ميونيخ يود أن يعود مرة ثانية الى عمان (١) •

فكيف يحكم المواطنون فى ألمانيا الغربية على المسلمين الذين يعيشون بينهم ؟

لنأخذ واحدا من الأمثلة الذى يمثل فى رأينا نموذجا عاما : لقد جاء فى صحيفة الأحد التى تصدر فى بون فى شهر أغسطس من العام الماضى أن المواطنين فى بون يعارضون معارضة حادة مشروع بناء مسجد فى بون • ذلك المشروع الذى سيقوم الملك خالد ملك المملكة العربية السعودية بتمويله والذى تقف الحكومة الالمانية فى صف تنفيذه • وتقول الصحيفة حرفيا :

« ان المواطنين خائفون •• خائفون من المسلمين •• وهؤلاء المواطنون الفزعون تتمثل أمامهم صورة ايران التى يقرأون عنها يوميا أخبارا جديدة تثير فى نفوسهم الذعر •• ويرى أحد علماء الطبيعة انه أحب لديه أن يبنى مفاعل ذرى أمام باب منزله من أن يبنى مركزا اسلاميا • وذلك لان المفاعل الذرى يمكن أن يحسب حسابه » (٢) • وهو يعنى بذلك فى المقابل ان المرء لا يستطيع أن يتنبأ بما يأتى من أخطار من جانب المسلمين •

ومنذ عدة سنوات تنشر الصحافة الالمانية اتهامات قاسية ضد المدارس القرآنية هناك ، تلك المدارس التى تنشر ــ كما يزعمون ــ التعصب الدينى الذى يؤدى بدوره الى التحريض ضد كل من يكون له تفكير مختلف ، كما أن هذه المدارس تثقل كاهل الاطفال المسلمين الاتراك ، الأمر الذى يؤدى الى تعثر تطورهم المدرسى فى المدارس الالمانية العامة بصرف النظر عما يعانيه هؤلاء الأطفال هناك من سوء المعاملة عن طريق الضرب وجو الارهاب المفروض عليهم •

أما ممثلو المدارس القرآنية فانهم من جانبهم يوجهون أيضا اتهامات شديدة للمجتمع الالمانى • فقد جاء فى أحد المنشورات الصادرة عن رابطة المدارس القرآنية فى برلين الغربية ما يلى : « يجب انقاذ الأطفال الاتراك الذين نشأوا بلا حضارة دينية وقومية من أيدى المدرسين الشيوعيين والمربين القساوسة ، فالعدو يقترب منهم فى ملابس تنكرية وعندما يسقط القناع يظهر خلفه وجه شيوعى قبيح أو مبشر مسيحى أو عميل يهودى » (٣) •

ويمكن القول بدون مبالغة أن هناك نواحى كثيرة من سوء الفهم تسود على كلا الجانبين الالمانى والاسلامى • ولهذا فان من الضرورى محاولة الوصول الى تفهم كل جانب تفهما أفضل لوجهة نظر الآخر اذا أريد الوصول الى حل حقيقى للمشكلات القائمة يأخذ فى اعتباره مصلحة كلا الجانبين •

فالتفكير المتعقل والحوار الهادىء يمثلان هنا ليس السبيل الافضل فحسب وانما السبيل الوحيد لمعالجة تلك المشكلات المتراكمة • والخطوة الاولى على هذا الطريق هى محاولة الكشف عن نقاط سوء الفهم القائمة ولهذا نريد أن نحاول فيما يلى البحث عن جوانب سوء الفهم للاسلام فى ألمانيا الغربية بطريقة موضوعية بقدر الامكان ، أى بدون الدخول فى مهاترات لا تجدى نفعا •

٢ ــ سوء فهم الاسلام فى ألمانيا الغربية وأسبابه :

ان سوء فهم الاسلام المنتشر بصفة عامة فى أوربا يرجع أساسا الى تشويه متعمد للاسلام منذ قرون طويلة •

1) Sueddeutsche Zeitung, 17.1.80
2) Bonner Sonntagsblatt, 24.8.80.
3) Hannover Allgemeine, 12.7.1977.

وانه لمن التناقض الواضح أن يكون الاســـــلام الذى يعتبر المســـــيحيين أقرب الناس مودة للذين آمنوا • هو الدين الوحيد الذى هوجم باســـتمرار وتعرض ولازال يتعرض للقذف والتشنيع من الجانب المسيحى فى قسوة بالغة وبطريقة أقل ما يقال عنها أنها غير مسيحية ، وذلك على الرغم من التســـامح الذى يبديه الجانب المسيحى ازاء الأديان الاخرى • ومن هذه الناحية يمكن القول بأن الحروب الصليبية لازالت مستمرة حتى الان وان اتخذت أشـــكالا أخرى •

والمعلومات القليلة عن الاسلام فى أذهان الناس فى أوربا هى فى الغالب معلومات خاطئة أو ناقصـــة جدا وتحمل فى طياتها عرضا مشوها لتعاليم الاسلام بصرف النظر عن بعض المحاولات القليلة المشكورة لتفهم الاسلام تفهما أفضل والمعروفة فى نطاق ضيق من المتخصصين فقط • ويصادف المرء هناك باستمرار حقيقة مؤســـفة تتمثل فى أن طبقة المثقفين لا تكاد تعلم شيئا يذكر عن الاسلام بغض النظر عن بعض التصورات غير الصحيحة والمصبوبة فى قوالب معينة والتى تؤخذ من غير نقد • ولم يتغير شىء حتى اليوم من هذا الموقف الراسخ فى التعصب ازاء الاســـلام وأتباعه على الرغم مما تبديه الكنيســـة اليوم من جهود نحو التسامح ــ كما تشير الى ذلك صـــحيفة فرانكفورتر روند شاو (١) ــ بعد عداء استمر قرونا طويلة وما تبديه أيضا من الاهتمام حاليا بمشـــاكل المسلمين فى ألمانيا الغربية •

وبصرف النظر عن سوء فهم الاسلام المنتشر فى أوربا منذ قرون فان الاســـلام فى العصر الحديث يتعرض بالاضـــافة الى ذلك للهجوم ــ مثله فى ذلك مثل ســـائر الاديان الاخرى ــ من جانب المذاهب المادية المعاصرة وبوجه خاص من جانب اليساريين والماركسيين ومن على شاكلتهم • فقد جاء فى مقال منشور بصحيفة Rheinischer Merkur (2.5.80). اتهام اليسار للاسلام بأنه دين متطرف • وجاء فى هذا المقال أيضـــا أنه « ليس للماركسيين مكان فى الاسلام وذلك على خلاف ما لدى الكنائس الاوربية» ومن أجل ذلك ينظر الى الاســـلام على أنه دين غير تقـــدمى •

ومما يزيد فى حـــدة الاتجاه المتأصـــل المعادى للاسلام ويقوى ما ينطوى عليه ذلك من مشـــاعر الكراهية والخوف **تلك الظواهر التى ظهرت حديثا فى بعض البلاد الاسلامية بصدد العودة الى الاسلام بصـــورة يبدو فيها التطرف ، وكذلك التأثير القوى للبلاد الاســـلامية فى الســياسة وبوجه خاص فى السياسة الاقتصـــادية** • وانه اذا كانت الكنائس المسيحية ــ التى تشعر بالقلق البالغ ازاء التطورات الجديدة فى السياسة العالمية وازاء السلام ــ تأسف الان لما وقعت فيه حتى الان من أخطـــــاء بسبب مواقفها التى كانت تدين الاسلام بطريقة عامة ، واذا كانت هذه الكنائس تشير الان الى قرابة الاســـلام للمسيحية فان هذه المواقف الجديدة تكاد تكون غير معروفة تماما للرأى العام (كما يشير الى ذلك أيضا موريس بوكاى فى كتـــابه عن القـــرآن والتـــوراة والانجيل والعلم) •

ومثل هذه الاقوال الفردية من جانب الكنيســـــة سرعان ما تضيع فى زحمة التقارير الســـلبية التى تنشرها وســـائل الاعلام ، تلك التقارير التى تؤكد التشويه التقليدى للاسلام والتى تشـــتد حدتها من جديد باستمرار من وقت الى آخر •

ومن الطبيعى أن هذا الرفض المتطرف للاسلام قد تسبب فى الماضى فى استحالة اجراء حوار مثمر بين المسلمين والمسيحيين • وتشعر الكنائس المســـيحية الآن بضرورة الخروج من الفكر الجـــدلى الخالص وتؤكد ذلك فى كثير من مؤتمراتها • وقد اتضح أيضا لمؤتمر الكنيســـــة البروتـــستانتينية (Synode) أن

1) Frankfurter Rundschau, 23.10.74.

« انعدام الفهم على كلا الجانبين قد أدى الى رفض متبادل والى تأكيد الاحكام المسبقة والاوهام والى الانعزال فى دوائر مغلقة مثل حارات اليهود » (Getto) (١) .

ولكن المحاولات المبذولة فى سبيل تفهم الاسلام تفهما أفضل من ذى قبل واتخاذ موقف ايجابى ازاء أتباعه لا نكاد نجد لها صدى فى وسائل الاعلام الا فى القليل النادر جدا ، وبدلا من أن تهتم وسائل الاعلام وأغلب الكتب التى تصدر عن الاسلام بازالة الأوهام والأحكام المسبقة العالقة بأذهان الناس بصدد الاسلام ــ بدلا من أن تفعل ذلك نجدها للاسف تعيد باستمرار صقل هذه الاوهام من جديد .

وتحمل الصحف ــ وخاصة تلك التى تصدر فى المناطق السكنية للاتراك ــ عناوين مثيرة من أمثال « المدارس القرآنية تدعو الى الحرب المقدسة » . وحديث الصحافة عن الحرب المقدسة ضد المسيحيين (٢) . ليس الا من قبيل اللغو الباطل الذى لا معنى ــ كما يقول ميتليتسكى Metlitzky بحق (٣) ، وذلك لان الاسلام دين شقيق للمسيحية . ولكن هذه الحقيقة تكاد تكون مجهولة تماما .

ولا يقتصر الامر على الجهل التام بالتعاليم الأساسية للاسلام فحسب ، **بل نجد أيضا ــ كما يعترف الجانب الكاثوليكى (٤) ــ ان مستوى معلومات المسيحيين الالمان عن « القيم والعادات الدينية والعادات الحياتية فى العالم الاسلامى » ضعيف جدا . ولذلك تأخذ الجماهير بدون أى نقد الأمثلة المزعومة لأسلوب الحياة وطريقة التفكير الاسلاميين والتى تنشرها الصحف فى أخبار الفضائح المصطنعة .** وأحد الامثلة على هذه الاخبار هو المدارس القرآنية التى سنعود فيما بعد للحديث عنها بشىء من التفصيل . وفيما يلى بعض النماذج من عناوين مثل هذه المقالات : « التلاميذ يضربون فى المدارس القرآنية » (٥) ــ « خصوم المدارس القرآنية يجوز قتلهم » (٦) ــ « الحركات السرية لله فى المانيا » (٧) ــ « بالقرآن والهراوات الحرب الصليبية تقودها المراكز الاسلامية فى المانيا الغربية » (٨) .

وجاء فى المقال الاخير أن المدارس القرآنية التركية تقوم ــ على سبيل المثال ــ بتعليم الاطفال الاتراك أنه لايجوز لهم أن يعقدوا صداقات مع الاطفال الالمان لان هؤلاء مسيحيون ولا يغطون رؤوسهم ... الخ كما تعلمهم أيضا أن النساء يجب ان يسيروا فى الشارع خلف الرجال لانهن أقل قيمة من الرجال . كما لا يجوز للمرأة أن تعارض رأى زوجها . وكل ما يدرس فى المدارس الالمانية باطل ، وأن العقيدة الاسلامية ستغزو العالم كله ، وأن الراديو والتليفزيون من المحرمات لانها أجهزة اخترعها مسيحيون ولم يخترعها مسلمون . وهذه الامور التى يتعلمها الاطفال لا يجوز لهم أن يتحدثوا عنها خارج المدارس القرآنية والا عوقبوا بالضرب . أما المدرسون الذين يقفون موقفا معارضا للمدارس القرآنية فانه يجوز قتلهم .

ومثل هذه الآراء التى هى فى حقيقتها آراء غير اسلامية والتى ربما تصدر عن بعض الجاهلين المتطرفين الذين لا يفهمون الاسلام حق الفهم تتخذ دافعا للانقضاض على الاسلام ذاته ، وهى أمثلة تمثل نماذج لسوء فهم الاسلام فى المانيا الغربية . ومن هذا القبيل أيضا فكرة وجوب تغطية وجه المرأة المسلمة ، مع أن هذا ليس واجبا اسلاميا وانما هو عادة اسلامية فقط فى بعض البلاد الاسلامية . ولهذا

1) Die Welt, 2.2.80.
2) cf. Vorwaerts, 31.1.80
3) Rheinischer Merkur, 2.5.80.
4) Christ und Welt, 27.2.76
(٢) وهذه الصحيفة تتحدث عن حرب صليبية ضد المسيحية

5) Frankfurter Rundschau, 6.6.77.
6) Stuttgarter Zeitung, 1.6.78.
7) Rheinischer Merkur, 7.7.78 8) Vorwaerts 31.1.8c

فانه لمن اللغو الباطل الذي لا معنى له أن يعبر بعض المواطنين الالمان عن خشيتهم من أن تنتشر بسرعة عدوى تغطية الوجه بين البنات فى ألمانيا (١) .

ويكفى هنا اعطاء بعض المعلومات الصحيحة للكشف عن أن هذه الآراء ماهى الا سوء فهم للاسلام . فالمسيحيون — كما يقول القرآن — هم أقرب الناس للمسلمين . يقول الله تعالى : **«لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ » (٢)** . ومن أجل ذلك فانه لا ضير من صداقة طفل مسلم لطفل مسيحى طالما أنه لا توجد هناك مؤثرات تبشيرية . واما انه يجب على المرأة ان تسير فى الشارع خلف زوجها وأنه لا يجوز لها أن تعارض رأيه فى شىء فان بوسعنا أن نشير هنا الى ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى رفع من شأن المرأة ورد لها اعتبارها الانسانى وأوصى بها خيرا . وقد أكد النبى صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة حين قال : « استوصوا بالنساء خيرا » (٣) وحين قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » (٤) .

والاسلام دين حضارى متفتح ازاء العالم وهذا ما لا نجده فى أى دين آخر . ولهذا فانه لا يمكن أن يرفض اختراعا نافعا بحجة أنه جاء على يد مسيحى أو كافر . فالقاعدة القرآنية تقول : **« فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » (٥)** .

وهكذا لا يطلب الاسلام من أتباعه أن يتخذوا موقف الرفض لهذا العالم والانغلاق على أنفسهم فى زهد مبالغ فيه ولا مبرر له ، كما لا يكلف الاسلام أتباعه فوق ما يطيقون . ولهذا فان ما تذكره احدى الصحف الالمانية (٦) من أن المسلم يجب عليه أن يصوم فى رمضان فى كل الاحوال حتى وان كان ذلك فوق طاقته كلام لا أساس له من الصحة ، كما لا يجبر الاسلام الناس على الصيام عن طريق الضرب كما تزعم صحيفة أخرى (٧) .

والامر المؤسف أن الأفكار المنتشرة التى يقول بها بعض المتطرفين من الجاهلين بالاسلام وتعاليمه تؤخذ بدون نقد على انها افكار اسلامية صحيحة ، وذلك يرجع الى الجهل بالتعاليم الحقيقية للاسلام كما سبقت الاشارة الى ذلك . والشىء نفسه يصدق ايضا على الافكار التى يقول بها مسلم ألمانى متطرف يدعى خليف رسول المهدى . فهذا النبى المزعوم — كما تطالعنا الاخبار — يدعو فى كتابه « الوصية الاخيرة » الى تأسيس « دولة اسلامية فى قلب ألمانيا تكون دولة الف عام للسلام — وتقام بها قلعة وأماكن عالمية مقدسة ويكون فيها نساء محجبات يضعن النقاب على وجوههن (٨) الخ .. ويتساءل البعض على الجانب الالمانى : « لماذا ينبغى أن نكون متسامحين مع دين عدوانى ومتعصب ؟ » (٩) .

ان الاخبار الاعلامية والاشاعات المغرضة عن الاسلام فى ألمانيا الغربية تتعارض تعارضا صارخا مع الحقيقة كما يقول الأب فانتسورا فى مقال ممتاز له بعنوان : « لنبن جسورا مع المسلمين(١٠) » . وقد جاء فى هذا المقال : ان هناك فئة قليلة من المسلمين تحلم بدولة اسلامية ، وهذا الحلم — كما يقول صاحب المقال — لا يمكن أن يثير الغضب تحت وطأة المشكلات الكثيرة الصعبة التى يعانى منها المسلمون فى ألمانيا . فالمسلمون يأملون — كما يقول — « أن تفتح لهم الدولة الالمانية والمجتمع الالمانى الطريق لحياة هادئة ومستقرة يتمتعون فيها بحق المساواة فى ألمانيا الغربية . انهم يأملون فى

1) Bonner Sonntagablatt, 24.8.80.

(٢) سورة المائدة ٨٢ . (٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه ابن عساكر عن على رضى الله عنه (انظر فيض القدير ج ٣ ص ٤٩٦ — دار المعرفة بيروت ١٩٧٢)
(٥) سورة الرعد ١٧ .

6) Stuttgarter Zeitung, 1.9.76. 7) Die Welt, 17.8.77.
8) Bunte, 26.4.79. 9) H.H. Abendblatt, 13.8.80.
10) Rheinischer Merkur, 23.3.79.

ازالة مشاعر انعدام الثقة التى استيقظت من جديد بسبب الكساد الاقتصادى ، وألا يتخذ من كونهم أقلية دافعا لصورة عدائية ، كما يأملون أن تتاح لهم بوجه خاص الفرصة لازدهار ما لهم من قيم وملكات دينية موروثة • ويجب أن يلاحظ أن الأمر هنا يدور حول قيم ومطالب دينية حقيقية وليس حول حركات متطرفة تريد أن تعيد تشكيل مجتمعنا طبقا لما تدين به من قيم » •

ولكن هناك عقبات كثيرة ومشكلات صعبة أمام المسلمين فى ألمانيا الغربية تقف فى وجه تحقيق هذه الصورة المثلى لحياة هادئة ومستقرة مع ممارسة حرة للدين • وسنحاول فيما يلى أن نبحث المشكلات الرئيسية للمسلمين فى ألمانيا الغربية بطريقة بعيدة عن الجدل العقيم والاشارة فى الوقت نفسه الى الحلول الممكنة لهذه المشكلات •

٣ ــ المشكلات الرئيسية للمسلمين فى ألمانيا الغربية:

ليس هناك شك فى أن المشكلة الرئيسية للمسلمين فى المجتمع الالمانى هى مشكلة الرفض المتأصل تأصيلا عميقا للدين الاسلامى ــ هذا الرفض الذى يصطدم به المسلمون هناك والذى تحدثنا عنه قبل قليل • ويتضح لنا ذلك ــ على سبيل المثال ــ من احدى النكت الشائعة التى تدعى بنكتة الاتراك(١) • وهذه النكتة التى يرويها الاطفال والتى ألفها الكبار تنتشر فى هذه الايام على وجه الخصوص فى مدارس مدينة دويزبرج (Duisburg) حيث يتعلم الاطفال الاتراك فى هذه المدارس مع الاطفال الالمان • وتقول هذه النكتة : « ما الفرق بين الحادث والكارثة ؟ وتجيب النكتة على ذلك بأن الحادث هو أن تغرق سفينة محملة بالاتراك فى ميناء هامبورج • وأما الكارثة فهى أن ينجح أحد هؤلاء الاتراك فى النجاة من الغرق والسباحة الى الشاطىء » •

والمسلم فى ألمانيا الغربية يجد نفسه فى مجتمع لا تؤدى عقيدته الاسلامية فيه أى دور ــ وهى عقيدة بحسب طبيعتها تشمل الحياة كلها (٢) ــ وليس هذا فحسب ، بل الاسوأ من ذلك هو ما تتعرض له عقيدته من هجوم مستمر بطريقة عدائية ومن مسخ وتشويه بطريقة عشوائية ومن احتقار فى نهاية الأمر •

ويضاف الى ذلك التفرقة الاجتماعية ، تلك التفرقة التى يشترك العامل المسلم فى الشعور بها مع كل العمال الاجانب • أما عن « صعوبات الاندماج فانها بطبيعة الحال تظهر بطريقة أكثر حدة كلما كان المستوى العقلى للانسان أكثر انخفاضا (٣) »•

« وهذا هو الحال بوجه خاص بالنسبة للعمال الاتراك • فالكثير منهم أميون وبدون أى تدريب •• وفى ظل هذه الظروف لايمكن تفادى الهروب الى الانعزال فى دوائر مغلقة مثل حارات اليهود (Getto) وبذلك تظهر مشكلات جديدة • وقد جاء فى أحد الدراسات فى ميونيخ (٤) وصف هذه المشكلات على النحو التالى : « ان تجمع الاجانب يؤدى الى مظاهر الانحطاط ، وفى النهاية يؤدى الى التقليل المتزايد من قيمة المناطق السكنية •• وهذه المناطق السكنية تبين حينئذ اتجاهات المشكلات الاجتماعية وهى : أحوال سكنية سيئة يرتبط بها قدر كبير من الاخطار الصحية ••• وانهيار المنازل والجريمة » •

وفى ظل مثل هذه الظروف المأساوية ينمو حاليا حوالى نصف مليون من الاطفال والشباب المسلمين وأغلبهم لم يحصل على تعليم مدرسى كاف ولا على أى نوع من أنواع التدريب المهنى • وقد جاء فى أحد المقالات التى ظهرت منذ أربع سنوات أن ٥٠٪ من

---

1) Rheinischer Merkur, 2.5.80.

2) Wanzura, loc. cit. 3) Abdullah, l.c,

(٤) وهى دراسة صادرة عن القسم المختص بتطوير المدينة •

الاطفال والشباب المسلمين ظلوا بدون أية فرصة للتثقيف أو التدريب المهنى (١) ، والمعتقد أن النسبة المئوية — فى واقع الامر — أعلى من ذلك بكثير ٠

وجاء فى صحيفة أخرى فى عام ١٩٧٩ (٢) أن ٧٠٪ من الاطفال الاتراك لا يستطيعون اتمام الدراسة الابتدائية ٠ وهذا يعنى أيضا أنه ليست أمامهم أية فرصة للحصول على تدريب مهنى ٠ « فانه بدون اتمام الدراسة الابتدائية — كما يقول الاب فانتسورا — » « فان فرص المستقبل أمام هذا النشء تساوى صفرا ٠ وهذا النشء يمثل أحد عوامل الخطر بالنسبة للالمان ، وربما أيضا بالنسبة للدولة التركية » ٠ وبذلك نكون قد وصلنا الى المشكلة الرئيسية الثانية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالمشكلة الاولى ٠ وهى مشكلة أوضاع الاطفال والشباب المسلمين فى ألمانيا الغربية ٠

ويحاول الجانب الالمانى القاء مسئولية أوضاع التعليم المأساوية للجيل المسلم من الشباب على أولياء أمورهم (٣) ٠ ولكن الاسباب فى واقع الامر أعمق من ذلك بكثير ، فانه اذا كانت هناك مسئولية على الآباء والامهات فانها تمثل جزءا قليلا ٠٠ فالفكر الاجتماعى فى القرن العشرين ينبغى أن يكون قد تطور فى حقيقة الامر تطورا بعيدا ، الامر الذى يجعل المرء لا يتخذ من الفقر والامية دافعا للاتهامات وانما يتخذ منهما دافعا لتقديم العون ٠ ومن أجل ذلك فانه اذا أغفل الوالدان — على سبيل المثال — تسجيل طفلين أو ثلاثا لدى الشرطة — كما هو المعتاد — نظرا لأنه يشترط عند التسجيل أن يكون لدى كل أسرة مساحة سكنية تتناسب مع عددها — اذا اضطر الوالدان الى مثل هذا التصرف فانه ينبغى فى هذه الحالة أن تتخذ أولا اجراءات لوضع حد للاستغلال السائد الذى يتعرض له الاجانب فى ألمانيا الغربية من جراء المغالاة الفاحشة فى ايجارات المساكن(٤) ٠

وأما الواقع الذى يحتم على الاطفال الكبار أن يقوموا فى أغلب الاحيان برعاية اخوتهم وأخواتهم الصغار اذا كان الوالدان يعملان طول اليوم فان أحد أسباب ذلك يرجع الى أن الاجر الذى يحصل عليه الرجل غالبا ما يكون ضئيلا لا يمكن أن يغطى الاحتياجات الاساسية لعائلة غالبا ما تكون كبيرة٠ وأرباب الأسر المسلمة — وبوجه خاص فى حالة العمال الاتراك — ليسوا فى وضع يؤهلهم للاشراف على التكوين المدرسى لأطفالهم أو القيام بمساعدتهم ، وذلك بسبب افتقارهم للثقافة والتكوين (فالكثيرون منهم يكادون أن يكونوا أميين) ٠ وهذا فضلا عن أن الوالدين ليس لديهم وقت لكى يهتموا اهتماما أكثر بتربية أولادهم نظرا لانشغالهم بأعمالهم ٠ وهكذا يتحتم على كثير من الاطفال المسلمين أن يظلوا بعيدين عن التعليم المدرسى لكى يقوموا بأعمال المنزل فى غيبة الوالدين أو لكى يرعوا الاطفال الصغار ٠ وعلى الرغم من نظام التعليم الالزامى فى ألمانيا الغربية فان نسبة الاطفال المسلمين الذين يداومون على المدارس الالمانية لا يتجاوز أكثر من ٣٠٪ فقط (٥) ٠

وهناك أيضا أسباب أخرى غير ما تقدم للعزوف عن ارسال الاطفال المسلمين الى المدرسة « فالآباء الاتراك يعبرون باستمرار عن مخاوفهم من أن يدفع بأطفالهم فى المدارس الالمانية الى التحول عن الاسلام والوقوع تحت سيطرة الجهود التبشيرية المسيحية » (٦) ٠

ومشكلة الاطفال والشباب المسلمين فى ألمانيا الغربية لا يجوز أن ينظر اليها على أنها مشكلة

1) Christ und Welt, 27.2.76.
2) Rheinischer Merkur, 23.3.79.
3) Christ und Welt, 27.2.76.

4) Frankfurter Allgemeine Zeitung, 13.3.76.
(٥) مجلة البنوك الاسلامية العدد العاشر ابريل ١٩٨٠م
(6 Abdullah, l.c.

منفصلة عن المشاكل العامة للمسلمين فى ألمانيا ، بمعنى أنه لا يمكن أن تكون بمعزل عن حقيقة عزلتهم وكونهم يعيشون فى فراغ حضارى .. ومن هذه الناحية فقط يمكن أيضا فهم الاخفاق المأساوى للاطفال فى المدارس ، هذا الاخفاق المستمر رغم كل الجهود . وفى البداية كان الاطفال الأجانب من المسلمين يوضعون ببساطة فى فصول دنيا ... ومنذ بضع سنوات أنشئت فصول خاصة تسمى بالفصول التمهيدية التركية . وفى المناطق الرئيسية التى يعيش فيها المسلمون لم يعد يقبل اليوم من الاطفال المسلمين فى الفصول الالمانية النظامية قبل الانتهاء من الفصول التمهيدية الا القليل النادر .. « ويخشى الآن أن تصبح هذه الفصول الخاصة التى جعلت فى الاصل مجرد محطة مرور فصولا ثابتة وغير مؤقتة(١) .. صحيح أنه اذا أريد الوصول الى حل حقيقى لمشاكل الاطفال المسلمين فانه يجب انشاء رياض للأطفال يلتحق بها الاطفال قبل سن الالزام (٢) . ولكن هذا وحده لا يكفى ..فالفشل الذى يتعرض له الاطفال المسلمون فى المدارس الالمانية لا يرجع فقط الى العقبات اللغوية وحدها وانما يرجع أيضا وبوجه خاص الى العقبات الحضارية ، والى العقبات الدينية بوجه أخص .

وتؤكد فيلما أشتورم Vilma Sturm فى مقال لها بعنوان (مليون مسلم يعيشون بيننا : مشكلات المسلمين فى ألمانيا الغربية) (٣) — تؤكد أن الهوة القائمة بين الظروف الحياتية للعمال الاجانب فى أوطانهم وبين المجتمع الالمانى المتفوق تكنولوجيا لا يراها المرء هكذا عميقة الاغوار بين أى مجموعة من العمال الاجانب فى ألمانيا مثلما يراها لدى

1) ibid.
2) ibid.
3) Frankfurter Allgemeine Zeitung, 13.3.76.

العمال الاتراك . وتسأل فيلما اشتورم : « الى أين انتهى بهم المطاف أنهم ينحدرون من وجود يكاد يكون بدويا حيث ما يملكونه ضئيل يمكن حمله ، ينحدرون من نظام سيادة الاب وهو نظام يجب أن تخضع فيه المرأة والاطفال للرجل وللاب ، ينحدرون من وجود فضائله هى الصبر والتواضع والقناعة . وايقاع حياتهم الرتيب من الشروق الى الغروب تحدده الافلاك والنجوم ؟ انهم لم يغادروا أوطانهم بالمعنى الجغرافى فقط ، وانما غادروا أيضا عاداتهم الموروثة وأعرافهم ومالهم من معايير أخلاقية » . والنتيجة هى انتزاع للانسان من جذوره والاغتراب الى أقصى حد .

ومن خلال هذا الضيق المحدق والتأزم الخانق يتبين المرء على الجانب الالمانى — كما تقول احدى الصحف (٤) — « ان المتعصبين من الاتراك اليمينيين المتطرفين هم طوق النجاة الوحيد الذى يتعلق به الاتراك المعزولون والمغتربون لانه ليس هناك أحد آخر يقدم لهم المساعدة » .

والمجتمع الالمانى لا يقدم العون للمسلمين فى ألمانيا — كما يعترف الالمان أنفسهم بذلك — وقد أدرك المواطنون الالمان بعد سنوات طويلة ضرورة الاهتمام بالنواحى الصحية البدنية للعمال المسلمين أما أزمة هؤلاء المسلمين من النواحى الروحية والحضارية والدينية فانها لم تصل بعد الى ادراك ووعى المجتمع الالمانى — كما تقول فيلما اشتورم فى مقالها السابق .. وقد كان هناك فى بداية الامر اعتقاد سائد بأنه ليس هناك ما يدعو للاهتمام بعقلية وطبيعة العمال الاجانب ولا بمؤسساتهم السياسية أو الدينية . ويقول الاب فانتسورا (٥): « لقد كان ينبغى عليهم فى واقع الأمر أن يعتبروا أنفسهم « ضيوفا » مؤقتين وأن يتصرفوا على هذا

4) Vorwaerts, 31.1.80.
5) Wanzura, l.c.

الاساس ، وأن يعودوا بعد ذلك الى أوطانهم وهم محتفظون بآرائهم التى يعتنقونهـــا • وقد أدرك المجتمع الالمانى ابتداء فى السنوات الاخيرة أنه قد ظهرت هنا مشاكل لا تحصى •

فاين يقف الآن شباب الجيل الثانى والى حد ما أطفال الجيل الثالث من أبناء العمال المسلمين •

أليست لديهم أســئلة موجهة الى المجتمــع الالمانى ؟

وما عدد هؤلاء الذين يريدون العودة الى وطنهم القــديم ؟

هل ينبغى على مئات الآلاف الذين يبقون هنا أن يندمجوا فى بيئة ـ هى رغم كل شىء ـ مطبــوعة بالطابع المسيحى ؟

أو ينبغى عليهم أن ينعزلوا لكى يستطيعوا العيش طبقا لمعتقداتهم ؟

هل ينبغى أن يكون لهم نشاط سياسى ضد أو مع هذه الدولة المسيحية ؟

أو ينبغى عليهم أن يسيروا نحو التقوقع فى دوائر مغلقة مثل حارات اليهود حتى يمكنهم أن يشعروا فيها بطرائق حياتهم القديمة ؟

ما هى الامكانيات التى قدمتها ألمانيا الغربيـــة للمسلمين لكى يندمجوا فى المجتمع الالمانى ؟ وهنـــا يمكننا أن نقتبس مرة أخرى عبارة للاب فانتسورا فى هذا الصدد من مقالته التى عرض فيها ـ كمـــا رأينا ـ موضوع المسلمين فى ألمانيا بطريقة نموذجية

ـ يقول الاب فانتسورا ان المسلمين لم يروا من الدولة الالمانية حتى الآن شيئا طيبا الا أقل القليل.

وفى شهر مارس من العام الماضى جاء فى احـــدى الصحف الالمانية • ما يأتى : « فى المناطق المظلمة من المدن ، وهى مناطق تكاد تكون مهجورة كما هو معروف ـ يمكن أكثر من مليون ومائتى ألف تركى فى ألمانيا • ومعهم دخل الاسلام اليها : يسكنون فى

بدرومات المنازل المهدمة وفى المخـــازن الســـابقة للمحلات والمطاعم أو المصانع • وفى كل مكان من هذه الاماكن المهدمة التى أعطاها لهم أصـــحاب الاعمال الالمان للاقامة فيها ـ قام الاتراك باعداد مساحات نظيفة فى الاماكن الخلفية التى يقيمـــون فيها تستخدم كمساجد وأماكن للوضوء • ويصـــل عدد هذه المساجد الى حوالى خمسمائة مسجد » •

ما هى الامكانيات الموجودة بالنسبة للاطفـــال والشباب المسلمين لكى يخرجوا من هـــذه الاماكن الخلفية ويواجهوا الاطفال الالمان وهم يشـــعرون بالحرية والمساواة ؟

ما هى الامكانيات الموجودة للخروج من الحلقـــة المفرغة من انعدام الثقة والخوف تلك التى تجعـــل وجود المسلمين فى ألمانيا شيئا يبدو أنه لا يطاق ؟

هل من الممكن « بناء جسور مع المسلمين » ـ كما يقول الأب فانتسورا ـ لحياة تحيط بها الكـــرامة الانسانية والمساواة فى ألمانيا الغربية ؟

وبعد أن ألقينا نظرة عامة على المشكلات الرئيسية التى تواجه المسلمين فى ألمانيا الغربية نريد الآن أن نوجه اهتمامنا لمعالجة مشكلتين من المشكلات الحامية فى الوقت الحاضر • وسنحاول من خلال اهتمامنـــا بهاتين المشكلتين أن نجد اجابة على هذه الاسئلة التى طرحناها • وهاتان المشكلتان هما :

(أ) مشـــكلة المدارس القرآنية وتعليم الدين الاسلامى فى ألمانيا الغربية •

(ب) مشكلة الاعتراف القانونى العام بالاسلام فى ألمانيا الغربية •

من مآثر الحضارة

كانت الحضـــارة اليونانية ثمرة للحضارتين المصرية والبابلية ، وان امتازت كل حضارة بوجهة خاصـــة ، فالحضارة اليونانية اتجهت نحو السـياسة والفنون ، والحضـــارة المصرية اتجهت نحــو العمارة والدين والخلود ، وكذلك اتجهت الحضارة المسيحية فى العصور الوسطى بفارق نوعية التدين واتجاهاته .

فلما نشأت الحضارة العربية الاسلامية ، اتجهت نحو الدين والعلم والفلسفة ، واحترام الانسان ، والمساواة بين النـاس ، والتمســك بالمثل العليـا وكرامة الفرد ، وحرية الفكر والعقيدة ، واتبـاع العقل وتمجيده ، والايمان بالتقدم .

وللحضـارة الاسـلامية فى كل هــذه المميزات اتجاهات وآثار يعرفها العالم كله ، وأخذت منهـا الحضارات اللاحقة عليها مما جعل لها وجودا حيـا وبصمات واضحة عليها ، ومع ذلك تثار ضدها بعض الأقاويل والاتهامات تشـير اليهـا اشـارات غير موضوعية وغير مدروسة ، ونحب فى هـذا البحث القصير أن نرد على بعضها .

ولعل أشــهر هذه الافتراءات ما يقــول به بعض المستشرقين بأن العرب لم يعرفوا الاستقرار لأنهم كانوا شعبا رعويا متنقلا .

فنحن نعـرف أنه كانت هناك مدن كاملة عرفت الزراعة والاستقرار ، ونشأت فيها حضــارات كبيرة ، منها مثلا مملكة سبأ قديما ، وكثير من مدن الجنوب العربى ، ثم مدن مثل مكة والطائف ويثرب وينبع ومنى وخيبر فى شبه الجزيرة العربية ، وقد عاش فيها أناس منهم الحضر المســتقرون الذين عاشوا على الزراعة فى الاراضى الخصبة ، ومنهم البداة الرحل الذين عاشوا على الرعى فى الســهول والاراضى الصحراوية ، وكانت حياة الرعاة تستقر لشهور طويلة وفى أماكن معروفة ، فيها يتجمعون ، ثم يتفرقون بقيه الشهور ، ليعودوا الى التجمع مرة أخرى ، فهم بذلك لم ينفصلوا ــ بتنقلهم ــ عن الحياة ، ولم ينسوا عاداتهم وتقاليدهم ، بل يمكن القول بأن هذا التنقل قد أكسبهم خيالا واسعا ، ورؤية شاملة ، أوقفتهم على الجـديد باستمرار ، فليس الترحال اذن سبة فى جبينهم ، ونحن نعـرف فى التاريخ الأدبى أن شعر الرعاة فى اليونان القديمة كانت له مكانته ، ونعرف أن شاعرا مثل ثيوكريتوس (٣١٥ ــ ؟ ق.م) كان أول من ابتكر شـــعر الرعاة كفن مستقل فى الأدب اليونانى ، وهو يشبه المواويل الريفية عندنا ، وكانت مكانته لا تـقل عن مكانة هوميروس وغيره من شعراء اليونان الأفذاذ ، وقد احتوى شعره على نماذج ملحمية وقصصـية ومسرحية مليئة بالحركة والحيوية ، ونجد لانتـاج هذا الشـاعر الرعـوى نظيرا فى الأدب الرعـوى العربى ، وذلك فى القصائد والملاحم المطولة ممـا وصلنا قبل التدوين وبعده ، وما وصــلنا الا أقل القليل ، ومنها المعلقات وألوان الرجز والحــداء وأناشيد الحروب فى الشجاعة والكرم والرثاء ، وفى الزجل والمواليا والكان كان والقوما .

ونحب أن نشير الى ملاحظة هــامة ترد على من

رة الإسلامية

بقلم
محمد كمال الدين

يقول بأن الحياة فى القبيلة العربية امتازت بالفردية. ذلك أن تلك الحياة لم تعرف الافراد ، بل الجماعات فلا تواصل بين الفرد والقبيلة ، ولا كيان للفـرد وحيدا ، وكان الشاعر هو المعبر عن قبيلته ، والمتحدث باسمها ، المفاخر بمآثرها ، المدافع عنها . فهو واحد من مجموع ، يؤثر فيهم ويتأثر بهم ، ولا غنى لواحد منهما عن الآخر .

ولا ننسى أنه كان للعرب بفضل هـذا التجمـع والوحدة العضوية بينهم حضارة واسعة وعميقـة فى القرن الثانى الهجرى ، (الثامن الميـلادى) ، وكان لهم ملكا واسع الأرجاء ، وتقدما ملموسا فى نواحى الحياة ، وقد ظهرت تلك الحضارة فيما أخذوه أو ترجموه من كتب اليونان والفرس الى العربية ، وفيما أنشأوه من معاهد ومكتبات ومراصد فلكيـة وغيرها من مظاهر العلم والفكر ، وقد استمرت هذه الحضارة مزدهرة لقرون طويلة لم يطمسها تقلص ملك ، أو توقف ركب ، أو أباطيل خصوم ، أو دعايات أعـداء .

ومن المفيد أيضا أن نذكر أن حياة القبيلة العربية ــ مستقرة كانت أو متنقلة ــ كانت تمتاز بنظـام وتماسك شديدين ، يستند ذلك الى نسبها المشترك ومجدها القديم ، كان لكل منها رئيس يعاونه مجلس من شيوخ القبيلة وحكمائها ، ولم يكن فيها نظـام وراثى بالمعنى الدقيق ، اذ السيادة فيهـا كانت للجدارة الشخصية ، وقد يحدث تنافس يؤدى الى انقسام وحروب داخليـة ، أو بين قبيلة وقبيلة ، كالذى حدث فى حـرب البسوس بين بكر وتغلب ، وحرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، وكان من

آثارها تلك الملاحم الحربية التى نقلت صورة صادقة لتلك الخصومات والحروب ، ولا ننسى أن الشاعر العربى كان يتمتع بمنزلة اجتماعية رفيعة ، تبتهج به القبيلة حين ينبغ ، وتحله منها مكانة بارزة ، ويذكر الرحالة الألمانى شوينفرت أن المهاجرين منذ خمسة آلاف سنة كانوا يرون المروج الخضراء والبقاع المخصبة فى تنقلهم من البحرين ووادى اليمامة ، ومن اليمن الى البحرين والى ما بين النهرين وبادية الشام ، ولا تزال بقاع اليمامة الى اليوم تشتهر بالمراعى الواسعة والعيون الغزيرة والمروج المعشبة التى تخلفت من أقدم العصور ، ومن الآثار التى لاحظها ذلك الرحالة حبوب القمح والشعير وهياكل الماعز والضأن والماشية ، وقد وجدت فى حالتها الآبدة فى اليمن وبلاد العرب القديمة قبل أن تستأنس فى مصر والعراق ، وقد بلغت الحضارة العربية ذروة استقرارها أيام العباسيين حين اهتموا بالزراعة والفواكه ، وبالصناعة والتجارة ، وقد نظموا طرق القوافل بين الصين والشام وفى ثنايا الجزيرة العربية بين البحر الاحمر والنيل ، وكانت الطرق آهلة بتلك القوافل على حوار السنة ، وأنشأوا الاساطيل التجارية التى وصلت فى سيرها الى الهند والصين وسيلان والملايو فى الشرق ، وفى الغرب الى طنجة وروسيا والحبشة ، ولاشك أن هذه الرحلات التجارية صاحبها بعض الشعراء والكتاب ممن مارسوا التجارة، وسجلوا فيما سجلوا مشاهداتهم وملاحظاتهم ، ومن هؤلاء تذكر القاسم ابن خرداذبة فى كتابه المسالك والممالك ، وياقوت الحموى فى معجم البلدان ، وقد عرف العرب نتيجة الاستقرار ، أو الترحال أيهما شئت ، المزيد من التخطيط والتنظيم ، ووجد الكاتب والشاعر والقاص من الوقت ماساعده على التجويد والتأمل ، ووجد من اهتمام الدولة بالتقدم العلمى والفكرى ما دفعه الى التفرغ فى كثير من الاحيان لحياة البحث والمعرفة .

وهكذا نعرف أن حياة التنقل والترحال فى بعض المناطق العربية ، ولفترات قصيرة فى السنة لم تقعد بالعرب عن الاتصال ببعضهم البعض ، وجعلتهم — بفضل الاحتكاك بالغير والمبادلات التجارية والمساجلات الفكرية — أكثر معرفة واطلاعا على الجديد فى شتى المجالات .

ونرد على رأى غريب آخر فى الحضارة العربية ، ويقول هذا الرأى بأن العرب لم يعرفوا غير العقلية التركيبية ، وأن خيالهم ضيق لا يعرف غير التحديد والاختصار ، ان العلم لم ينبت شيئا من ذلك ، والا فأين منهم المعلقات الطويلة ، والاوصاف الدقيقة للفروق بين الالوان ، وأين منهم حوليات زهير ، وتنقيحات النابغة الذبيانى . كذلك ثبت أن العرب لم يكونوا أهل اختصار للقول ، فهم احيانا يتهمون بالتطويل والاضافة كما فى كتب الفقه ؛ ويقول الجاحظ فى كتابه الحيوان — الجزء الاول صفحة ٧٥ — أن العرب وجهوا قواهم الى قول الشعر وبلاغة المنطق وتثقيف اللسان وتصاريف الكلام ، وجمع العرب بين العقل والوجدان ، فقد تمثلوا فلسفة ارسطو بكل ما فيها من عقل وعلم بنفس القوة التى تمثلوا فيها صوفية أفلوطين بكل ما فيها من حدس ووجدان ، وبحكم هذه المزاوجة بين العقل والوجدان جمع العربى بين التخيل والواقع ، بين السماء والأرض بين المطلق والنسبى ، بين اللا نهائى والمحدود ، بين الآخرة والدنيا ، ورأينا فى الشعر العربى لقطات حسية أكثر مما فى أى شعر غيره ، واللقطة الحسية من الواقع المشهور هى أول خطوة فى طريق العقل ، وكذلك احتوى الشعر العربى على قدر من الحكمة ، وهى حقيقة موضوعية يعمم بها الشاعر حكمه على الناس ؛ فالعقل بذلك كان ملاك الشعر العربى خاصة ، والفكر العربى كله بوجه عام . ويكفى أن نقول أن الملاحم العربية — بما فيها

من تحليل وتطويل ــ سبقت الملاحم اليونانية بأجيال ، وأن هوميروس كان متأثرا بما نقل اليه من آثار بابلية ، هي في الاصل ترجع الى نتاج العقلية العربية ، وهي عقلية ثاقبة تتغلغل الى الاعماق والاطراف والحواشي ، وتقدس حرية الفكر، وتبتدع من العلوم النظرية والعملية ما تمتلىء به آثار جابر بن حيان في علم الجبر . والخوارزمي في الحساب ، وابن سينا في الطب والفلسفة ، وابن الهيثم في البصريات . بل يكفي أن نقول انه بفضل العقلية العربية توصل هنرى الملاح وفاسكو دى جاما وكولومبس الى ارتياد المحيطات ، ودرس افلاطون لوبيزون وفبروناتش علوم الرياضة والجبر واللوغاريتم ، وبحث البيرنوس الكبير ونوماس الين في فلسفة الفارابي ، وفي الوقت الذى انشد فيه الشعراء التروبادور اغانيهم في اسبانيا العربية ، صرح روجر بيكون بان وجود الفكر الأوربي والعلم الأوربي كان مستحيلا بدون وجود المعارف العربية . ولقد اتسمت العقلية العربية بالانسانية الشمولية التى تحلل مشاعر الانسان في تعمق ووعى . والسمت بالواقعية والطبيعية ، فلم تلجأ الى التهويل أو المبالغة أو التضخيم ، واتسم الفكر العربي في العصر الاسلامي بالعقل والتأمل ، **ومما يرى أن اعرابيا سئل لماذا آمنت بمحمد فقال : « ما رأيت محمدا يقول في أمر افعل والعقل يقول لا تفعل ، وما رأيت محمدا يقول في أمر لا تفعل والعقل يقول افعل »** ، ولا غرو فقد نزل الاسلام هاديا للعقل في جميع الامور ، ونزل القرآن الكريم يحث على التفكير والتأمل كما في قوله تعالى « **قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ** » . (سورة آل عمران الآية ١١٨) وقوله تعالى « **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** » (سورة العنكبوت الآية ٤٣) .

ويقول محمد اقبال في كتابه « **تجديد التفكير الديني في الاسلام** » : « لقد كانت أوربا بطيئة نوعا في ادراك الاصل الاسلامي لمنهجها العلمي، وليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الاوربي » ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية ، أو العقلية العربية بصورة قاطعة ، وتتبدى هذه النواحي في كل فروع العلم والبحث العلمي ، وطرق التجربة والملاحظة ، والمقاييس التى ادخلها العرب الى العالم الاوربي ، ولقد توصل العرب الى هذه المرحلة التجريبية التطبيقية من العلم بعد مرحلة النظر والتخيل ، أو لعلهما مرحلتان متجاورتان متلازمتان متوازيتان ، وبفضل هذا الخيال فتحت مغاليق العلوم والفنون ، وامتلأت الاجواء بألوان القصص والسحر والشعوذة والخرافات ، وطبقت المجالس بالسحر وألوان الفنون الموسيقية والرقص والغناء والانشاد، وراح القصاص والجوالون والحكاءون والرواة ينتشرون في الاسواق والمنتديات يقصون ويروون الحكايات والقصص عن سالف العصر والاوان ، وعن حروب قامت ، ودول راحت وأخرى جاءت ، وأبطال جلبوا النصر وكافحوا كفاحا أسطوريا ، وكان العقل في ذلك يمزج بين الخيال والواقع بأسلوب مشوق هو خليط من النثر والشعر والغناء في موضع الغناء ، والتمثيل بالتعبير والانفعال وتقليد الصوت والفعل ، وذلك في حشد يشاهد عن كثب وينفعل عن واقع مرئي .

تلك بعض ظواهر الحضارة العربية والاسلامية ومآثرها على حضارة الغرب ، وبعض سماتها الذاتية التى تدل على انها حضارة اثمرت وما زالت تثمر ارقى الوان الفكر الانساني ، نرد بها على بعض المدعين في الغرب او الشرق من المستشرقين الغلاة ، او المغرضين الجهلاء .

محمد كمال الدين

من حضارة الإسلام

تأملات حول

(أ) فى دائرة الفرد المسلم :

من منطلق الوسطية الاسلامية التى عالجتها فى مقالى السابق فى عدد شعبان من هذه المجلة ـ نجد الاسلام يقرر فريضة الصوم كوسيلة ناجحة وفعالة فى تحقيق التوازن بين قوى الانسان المتباينة ، بهدف تحقيق سعادة روحه ، ومطالب جسده من وراء هذا التوازن والاعتدال ذلك ، لأن الانسان تركيبة عجيبة من القوى ذات النزعات والميول المتضاربة ، فهو مزيج فريد من جسدية حيوانية ، ومن روحانية ملكية : ومن نفس تتنازعها مطالب الجسد ورغباته من اللذائذ الحسية كلذة الطعام والشراب ومتعة الجنس . وغرائز التملك والتسلط والسيطرة على ما فى يد الغير الـخ ... ومطالب الروح وأشواقها من التسامى للكمال ، والاستشراف الى الملا الأعلى ، والتطلع الى الآفاق الروحية والملائكية العليا .

وكلتا هاتين القوتين (الجسدية والروحية) تجذب النفس الانسانية الى ناحيتها ، وتشدها شدا عنيفا لاهوادة فيه ، والنفس الانسانية ـ والحال هذه ـ عرضة للوقوع فريسة التمزق والتشتت والضياع ، بين هاتين القوتين الجبارتين اللتين تتجاذبانها دائما اذا ظلت مترددة بين الاستجابة لهذه أو لتلك .

كما أنها عرضة للانزلاق والهبوط الى درك الحيوانية البهيمية اذا انكبت على اشباع الغرائز السفلى ، ولعبت بها شياطين الشهوات ، حينئذ يتحول صاحبها الى وحش مفترس فى صورة انسان، يعب من شهوات البدن ، غير عابىء بقيم ، أو مكترث لضوابط خلقية أو دينية .

ـ كما أن النفس الانسانية عرضة فى حالة ثالثة الى الوقوع فى دائرة الجذب الروحى العنيف ، فنرى صاحبها يريد أن يتفلت من قيود الجسد ، ويحسب أنه قادر على الانسلاخ من ماديته ، وتجاهل مطالب بدنه ، حيث يفر الى الرهبنة والانعزالية والانكماش عن المشاركة فى الحياة الاجتماعية ، وادارة دولاب الحياة وخلافة الله فى هذه الأرض ، وهذه الظاهرة فضلا عن أنها كانت شللا أصيبت به الانسانية فى بعض أدوار تاريخها ، فقد كانت حلا غير موفق لمشكلة العلاقة بين الروح والجسد .

فان هذا التنكر لحكم الفطرة البشرية مقضى عليه بالفشل والانكسار على صخرة الطبيعة التى طبع

فلسفة الصوم في الإسلام

بقلم الدكتور فؤاد العقلى

الله الناس عليها ، وكثيرا مانراه ينقلب على عقبيه فيعود الى حيوانية أشد شراسة واكثر نهما الى اشباع الشهوات والغرائز .

وقد يذبل هذا الانسان كانسان وتذوى طاقاته الخلاقة ، فيعيش على هامش الحياة ، كما مهملا لا فائدة منه للحياة ولا للأحياء .

— كل هذه حالات يرفضها الاسلام ، ويعتبرها **حالات مرضية غير سوية وانما يريد الاسلام للمسلم أن يكون انسانا سويا ، متوازن القوى ، يعيش بروحه ، كما يعيش ببدنه ، ويحيا لدنياه ،كما يحيا لآخرته « وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا » (١) .**

وها هو رسول الاسلام ، ومعلم البشرية ، صلى الله عليه وسلم يقول :

— للنفر من أصحابه الذين نذر أحدهم أن يصلى الليل أبدا ، ونذر الثانى أن يصوم الدهر كله، ونذر الثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبدا : — « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله انى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » (٢) .

فالاسلام ينادى المسلم فى حزم : أن استمتع بالحلال من طيبات الحياة ، واعط لجسدك حظه من المتعة المباحة « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » (٣) .

لكنه مع ذلك يقف فى حزم أيضا ليحذره من الاسترسال فى متع الجسد ، حتى لايطغى عليه بدنه ، ويصير عبدا لشهواته ، فينس عبوديته لخالقه !

وهنا يأمره بأن يلجم هذه الشهوات ، ويكبح هذه الغرائز ، فيمسك عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر الى غروب الشمس شهرا كل عام . ثم يحبب اليه أن يفعل ذلك فى غير رمضان ، كلما كان ذلك ميسورا له ، غير مرهق له ، كى يشبع بذلك أشواق روحه ، وحنينها الى الصفاء والشفافية ، والقرب

---

(١) سورة القصص : الآية ٧٧

(٢) النووى : رياض الصالحين : ص ٧٥

(٣) سورة الاعراف : الآية ٣٢

تأملات

من ساحة الرضوان الالهى ، والتشبه بملائكة اللـه المكرمين .

بذلك تتوازن قواه ، ويتهذب سلوكه ، وتتنضج انسانيته ، ويقف على أول الطريق المستقيم بين طرف الانحراف من الحيوانية الجامحة ، والرهبانية السلبية .

وبذلك يملك المسلم أقوى أسلحة النصر فى معترك الحياة ، من الصبر والجلد ، واحتمال المشاق فى سبيل المبادىء والقيم التى يؤمن بها ، ومن قوة الارادة وصدق العزيمة على الوصول الى أهدافه وغاياته ، مهما لاقى من صعاب ، ومن ضبط النفس والقدرة على الفكاك من أسر العادات ، ومن تطويع الجسد لدواعى العقل والروح .

وفى رأيى أن أعظم مكاسب المسلم من أدائه **لفريضة الصوم على الوجه الأكمل هو تحليه بأشرف الصفات الانسانية واعنى بها صفة « الأمانة » تلك الصفة التى تعنى يقظة الضمير ، ودوام المراقبة لله، الذى يعلم السر واخفى « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ »** (١) ذلك ، لان الصوم ليس عملا ظاهريا كالصلاة والزكاة مثلا ، بل هو امتناع وكف فهو أمر سرى ، لا يطلع عليه الا علام الغيوب ، فما أسهل أن يتظاهر انسان بأنه صائم ، حتى أمام أقرب الناس اليه ، ثم يتناول خفية واختلاسا ما شاء من مفطرات ، ولذا يقول الله تعالى فى حديثه القدسى **« كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وانا أجزى به »** .

صفة الامانة ، أو يقظة الضمير هذه ، يحرص الاسلام كل الحرص على غرسها فى نفس المسلم حتى تتكون عنده « ملكة » المراقبة ، أو خلق التقوى ، الذى يجعل منه رقيبا على نفسه ، يحاسبها قبل أن تحاسب ، ويقيم سلوكه وتصرفاته فى السر والعلانية على أساس « اعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » فيمتنع تلقائيا من ارتكاب الآثام فى أخفى حالات السر ، كما يمتنع عن ذلك فى أظهر حالات العلانية ، وهنا ينبغى أن نلاحظ أن الصوم الذى يثمر هذه الثمرة انما هو الصوم الكامل أو الأكمل ، وليس الصوم المنقوص .

ذلك أن الصوم على درجات ثلاث :

١ ــ صوم العوام ، وهو مجرد الامتناع عن المفطرات مع استمرار الجوارح فى ارتكاب المخالفات؛ وهذه أدنى درجات الصيام ، لا أثر لها الا فى اسقاط الفريضة ، وقلما تحقق الغرض من الصيام .

٢ ــ صوم الخواص ، وهو أن يضيف الصائم الى الامتناع عن المفطرات كف جوارحه عن الآثام والمعاصى ، فيحفظ لسانه عن الغيبة ، وعينه عن النظر للمحرمات ، ويده عن البطش والاختلاس ، وكذا سائر أعضائه . وتلك هى أولى درجتى الصوم الحقيقى ، وخواص المؤمنين لا يعتدون بأقل منها ، يقول قائلهم :

اذا لم يكن فى السمع منى تصامم
وفى ناظرى غض ، وفى منطقى صمت
فحظى ، اذا ، من صومى الجوع والظما
وان قلت أنى صمت يوما ، فما صمت

وهذا مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » .

٣ ــ صوم خواص الخواص ، وهو أن ينضاف الى الامتناع عن المفطرات وحفظ الجوارح ، صيانة القلب عن الفكر والوسواس ، وقصره على ذكر الله عز وجل ، وعدم شغله بأى من مطامع الدنيا وشواغلها أثناء الصيام ، وهذه هى أعلى مراتب الصوم ، وأرفع درجاته ، وهى ، والتى قبلها ، هما

(١) سورة غافر : ١٩

المرجو فيهما تحقيق التقوى التي يشير اليها قول الحق تبارك وتعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ، كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (١)

(ب) فاذا تجاوزنا الفرد المسلم الى دائرة المجتمع المسلم ، وتصورنا هذا المجتمع وقد تكون من أفراد يتمتعون بخلق التقوى ، وفضيلة الضمير الحى ، فاننا لابد متصورون مجتمعا ملائكيا ، فى أرقى صور المجتمعات البشرية ، أفراده كأنهم ملائكة يمشون فى الأرض ،مجتمعا ، لا ظلم فيه ، فلا حقد ولا حسد، ولا شحناء ولا بغضاء فيه ، تلك هى « دار السلام » التى يدعو الله عباده اليها فى الدنيا قبل الآخرة .

« وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (٢) .

هذا المجتمع الذى تسوده روح الأخوة ، وترفرف عليه أعلام السكينة والأمن والأمان ، هو المجتمع الذى يهدف الاسلام الى اقامته ، ويؤكد الدعوة اليه فى آيات الكتاب العزيز ، وأحاديث المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم .

نقرأ فى ذلك قول الله تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » (٣) وقوله عز وجل « وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ » (٤) وقوله سبحانه « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ » (٥) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « وكونوا عباد الله اخوانا » الى مالايحصى من الآيات والأحاديث .

وهو المجتمع الذى تحكمه المثل العليا ، والقيم الانسانية الرفيعة ، من التسامح ، وحسن الخلق ، وكريم المعاملة ، ومن البر ، وصلة الواجدين لغير الواجدين ، هو نفس المجتمع الذى تقيمه فلسفة الصوم فى الاسلام وسأكتفى فى باب سيادة السلام والأمن فى المجتمع الصائم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث (٦) يومئذ ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله ،فليقل : انى امرؤ صائم » فاذا حاذر كل صائم فأحسن القول ، والرد على الاساءة بمثلها ، كان معنى ذلك أن لن تسمع فى المجتمع الصائم كلمة بذيئة ، أو لفظة نابية ، فضلا عن عراك أو مشاحنات ، بل سيطفأ الشر قبل اشتعاله .

كما أكتفى فى باب المرحمة والجود والسخاء الذى هو شعار مجتمع الصائمين بما ورد من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو قدوة المسلمين — كان أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل يدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ أجود بالخير من الريح المرسلة (٧) .

ان الاسلام لايقيم هذا الشهر كموسم مؤقت ، تقام فيه شعائر ، ثم تطوى صفحته الى العام القادم ، كما هو حال المجتمعات الاسلامية فى أيامنا هذه ، وانما يريد الاسلام — فى الحقيقة — أن تسود روح رمضان السنة كلها ، بمبادئه ، وقيمه ، ومثله العليا ، وهو يجعل من شهر رمضان فرصة لتدريب المسلمين على هذه القيم والاخلاق ، ولا يزال يأتى على المجتمعات المسلمة رمضان اثر رمضان اثر رمضان بما يشيعه من الروح الاسلامية التى أشرنا اليها حتى يتعود الجيل المسلم على خلال البر ، وخصال الخير التى أشاعها فيهم رمضان ، فلا تلبث أن تتغلغل فيهم هذه السجايا الحميدة ، وتصبح عادة ، فتطبعا ، فطبعا ، كما يقول علماء الاجتماع « العادة طبيعة ثانية » ويومئذ يصبح المسلمون حقا كما قال عنهم « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » (٨) .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٣ (٢) يونس : ٢٥
(٣) الحجرات : ١٠ (٤) المؤمنون : ٥٢ (٥) المائدة : ٢

(٦) الرفث : الفحش فى القول ، او نكر الأمور الجنسية ، والصخب : رفع الصوت والضجيج وهذا الحديث رأيته فى صحيح مسلم حـ ٨ ص ٣١ بلفظ « ولا يسخب » بالسين ومعناها نفس معنى « يصخب » وهو الصياح .
(٧) انظر : زاد المعاد فى هدى خير العباد : حـ ١ : ص ١٥٢ (٨) آل عمران : ١١٠

البيض والسود

فى مقالى السابق فى « مجلة الأزهــــر » تناولت موقف الجاحظ من جند الخلافة وبينت مدى توفيقه فى عرض المشكلة وعلاجها .

وهأنذا أتصدى لموقفه من مشكلة السود والبيض فى عصره . ولا أحب أن أسبق عرض المشكلة فأقرر اخفاقه فيها فلم يعرضها عرضا انسانيا ، ولم يتناولها تناولا تاريخيا ، ولم يبين مدى علاج الدين الاسلامى لها ، بل كان همه ذكر مزايا السود على البيض فى جدال هو مرماه وخالقه ، ومعاصره (محمد بن يزيد المبرد) فى الكامل عالج المشكلة من ناحية أثر السرارى فى انجاب الأولاد النجباء وحسن معاملة العرب للموالى بوجه عام ، وساق أمثلة يبين تلك المعاملة النبيلة التى ترجع الى طبيعة العرب الخيرة والاستجابة لأوامر الدين ونواهيه .

يقول المبرد : يروى أن المهدى (الخليفة الثالث العباسى) نظر اليه ويد عمارة بن حمزة فى يده ، فقال له رجل : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال أخى وابن عمى، عمارة بن حمزة ، فلما ولى الرجل ذكر

وحوار مع الجاحظ

السيد حسن قرون

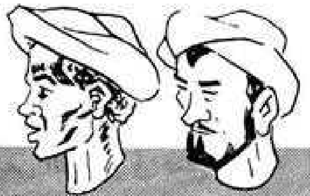

ذلك المهدى كالمازح لعمارة ، فقال له عمـــارة : انتظرت أن تقول ومولاى فانفض واللـــه يدك من يدى فتبسم أمير المؤمنين المهدى ، فهذه النادرة تدل على مكانة الموالى وحسن معاملتهم ، ونظرة الموالى الى أنفســـهم : ولا يكتفى المبرد بذكر هـــذا من الخليفة المتمسك بفضائل الدين ومكارم الأخـــلاق ودواعى الحضارة بل يذكر أن السليك بن السلكـة وهى أمه ـــ وكانت سوداء حبشية ـــ وكان هـــو من غربان العرب ، وهو السليك بن عمير السعدى ، قال شعرا منه :

أشـــاب الرأس أنى كل يـــوم
أرى لى خالة بين الرحال (١)

يشـــق على أن يلقين ضـــيما
ويعجـــز عن تخلصـــهن مالى

فهذا الفاتك توجع لخالاته لأنهن كن امـــاء ، ولا أريد أن أسترسل فيما ذهب اليه المبرد وأكثـــر من الشاهد والمثل ، لأنه تناول طبيعى للمشكلة • أمـــا شيخ الأدباء الجاحظ فقد غلبت عليه طبيعته الجدلية وحبه للمناظرة ، واصطناعه لأساليب المعتزلة وهـــو رأس فيهم فدفعه هذا لاتخاذ مذهبه فى علاج مشكلة تتطلب الرفق والأناة ومجافاة ما يبعث على الضغن والحسد والثورة ، وقد تظن أنـــه أراد انصـــاف أصحاب الألوان السود أو الســـمر أو مـــا الى ذلك ولكنه خلط عملا صالحا وآخر سيئا ، وعنوان كتابه أو رسالته يعطيك مدى رجعيته فى تناول هذه المشكلة التى ظهرت فى حياته ، فالعنـــوان « كتـــاب فخر السودان على البيضان » ومجرد النظر الى العنوان يرجعنا الى العصر الجاهلى حيث المنافرة والمساجلة وذكر الأيام والانتصار والهزيمة والمعايرة والمثالب والفخر بالأنساب والأحساب مما ذمه الاســـلام وقضى عليه الرســـول محمد صـــلى الله عليه وســـلم بما أوحى اليه وبما خطب به وتحدث عنه فقول الله تعالى « **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** » وقول الرسول: « لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمـــر على أســـود ولا لأســـود على أحمـــر الا بالتقوى » لم يدعا مجالا لمفاخر أو مختال بنفسه أو نسبه أو حســـبه أو لونه ، فكلمـــة « فخر » من الجاحظ غير مقبولة فى هذا المقام وهـــو الانســـان الأديب المسلم المتحضر ، ويعتذر فى مقدمة كلامه عن تأخره فى ذكر ذلك الفخر فيقول : «ذكرت أعاذك الله من الغش أنك قرأت كتابى فى محاكمة الصرحاء للهجناء ورد الهجناء وجواب أخوال الهجناء وأنى لم أذكـــر فيه شـــيئا من مفاخر الســـودان ، فقـــد كتبت لك ما حضرنى من مفاخرهم » فماذا قال فى مفاخرهم ؟

(١) المفرد رحل وهو ما يوضع فوق البعير

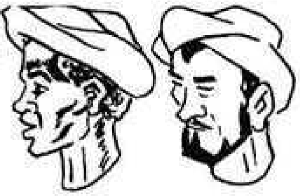

بدأ بلقمان وابنه وعد رجالا من الصحابة والتابعين مثل بلال وسعيد بن جبير ، والمقداد بن الأسود ، ووحش قاتل مسيلمة الكذاب . وهؤلاء موضع فخر المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، فليس لأحد أن يقررهم بالفخر لنفسه ، وانظر الى قول عمر رضى الله عنه : « ان أبا بكر سيدنا وأعتق سيدنا » يعنى بلالا رضى الله عنه . ومع ذلك فهو كلام مقبول ومحتمل ، لأنه لا يسىء الى أحد ، ولا ينقص من قدر أحد ، وتعال معى ننظر فى أمر (الحيقطان) الشاعر الذى وصفه الجاحظ بأنه كان يفضل فى رأيه وعقله وهمته وهو الذى يقول : لا تعرف الأخ حتى ترافقه فى الحضر وتزامله فى السفر ، ولهذا الشاعر مشكلة ، أنه أسود ، تعرض له معاصره جرير الشاعر التميمى ، وكانا يسكنان فى اقليم اليمامة من أرض الجزيرة العربية ، رآه جرير يوم عيد فى قميص أبيض وهو أسود ، فعبث به ببيت واحد من الشعر يحفظه الأدباء ، وهويصف سواده وبدأه بقوله « كأنه (١) لما بدا للناس ... ».

وقد كان من حق الحيقطان وهو شاعر أن يرد على جرير ، فيندم شكله أو ملبسه أو صناعته مما يتصل بخلقه وخلقه ولكن الحيقطان لم يتناول شيئا من ذلك انما قال قصيدة تحتج بها اليمانية على قريش ومضر ، وتحتج بها العجم والحبش على العرب كما يقول الجاحظ ، والشعر الذى ذكره الجاحظ للحيقطان مثير للفتنة ، ومبير لعلائق الأخوة الاسلامية .

بدأه بالدفاع عن نفسه والفخر بشمائله من الكرم ونقاء العرض والشجاعة عند الفزع ، وليس يضيره أن يكون جعد الشعر أسود اللون . رضينا ، ولكنه استرسل استرسالا ضارا فقال والخطاب لجرير .

وان كنتَ تبغى الفخر فى غيرِ كنهه
فرهط النجاشى منك فى الناس أفخر
فأبى الجلندى وابن كسرى وحارث
وهوذة والقبطى والشيخ قيصر
وفاز بها دُون الملوك سعادة
فدام له الملك المنيع الموفد

وهذه الأبيات تشير الى مناسبة تاريخية وقعت بعد هدنة الحديبية سنة ست من الهجرة : وضحها الجاحظ قائلا فانه يقول كتب النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى الجلندى فلم يؤمنوا ، وكذلك كسرى، وكذلك الحارث بن أبى شمر (الغسانى) وكذلك هوذة ابن على الحنفى ،وكذلك المقوقس صاحب الاسكندرية وكذلك قيصر ملك الروم . على أن بنى الجلندى قد أسلموا من بعد ذلك الكتاب . ولكن النجاشى أسلم قبل الفتح فدام له ملكه ، ونزع الله تعالى من هؤلاء النعمة ، وقيصر ان كان قد بقى من ملكه شىء فقد أخرجوا من كل مكان يبلغه ظلف أو حافر وصار لا يتمنع الا بالخليج وبالقعاب والحصون والشتاء والثلوج والأقطار .

والحيقطان فى هذا لايغضب البيض فهم يحبون النجاشى لموقفه من صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم ، وانما يغضب ويتجنى على الحقيقة حين يقول :

غزاكم أبو يكسوم فى أمّ داركم
وأنتم كفيض الرّمل أو هو أكثر
وأنتم كطيرِ الماء لمّا هوى لها
ببلقعة حجن المخالب أكدر
فلو كان غيرِ الله رامَ دفاعه
علمت وذو التجريب بالناس أخبر

---
(١) بقية البيت لا يحتمله الذوق العصرى .

وأمـا التى قلتـــم فتلـكم نبـــوة
وليس بكم صَـون (١) الحـرام الستر

عاب على قريش ومن جاورها من العرب أنهم لم يدافعوا على البيت العتيق فى مكة مع كثرة العـدد ، فبلغ أبو يكسوم أبرهة مكة ولم يجـد مقـاومة ، فكانوا طير الماء سقط عليها طير جارح ، ولولا اللـه ما سلمت مكة ولهدم البيت وأرجع الأمر الى النبوة بقصد تكريم الله لمحمد صلى الله عليه وسلم عـام ولادته . فلم يصونوا هم الحرم وعليه الكسـاء وانما الفضل للنبوة لالهم ، فهم جبناء لم يتصـدوا لمن غزاهم . ولو كان الحيقطان مؤمنا باللـه حـق الايمان لبرأ شعره من هذا الاثم ، لأن الله منّ على قريش بانجائهم من عدوهم فأهلكه بجائحة لا نظير لها فى التاريخ وأنزل فى ذلك سورة تتلى فى المحاريب ويتعبد بها وهى سورة الفيل ونصها :

« ألم تر كيف فعل ربك بأصـحاب الفيـل . ألم يجعل كيدهم فى تضليل . وارسل عليهم طيرا ابابيل. ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول» فهذا الموقف ادخره الله لرسوله ليكون حجة عـلى منذرى نبوته .

ولقد كان عبد المطلب وهو الموسوم بالوثنية أقرب الى الايمان من أبرهة أبى يكسوم المسيحى حين دار الحوار بينهما حتى وصل الى قـول عبـد المطـلب **«أنا رب الابل وللبيت رب يحميه»** فقـال أبرهة : ما كان ليمتنع منى ، وقد حفظ الله بيته ودحر أبرهة وجيشه ، وليس صحيحا أن قريشا كانت لا تحسن القتال والنزال ، فمن تاريخها فى العصر الجاهلى أنها غزيت من التبابعة مرتين ، ففى الأولى كسـا تبع الكعبة الوصائل والبرود ، وفى الثانيه انهزم حسان ابن تبع وأخذه الحارث بن نهر أسيرا ، مكث ثلاث سنوات ثم أطلق سراحه ، والحارث جد أبى عبيدة ابن الجراح ، وقد درب الله قريشا عـلى الحـرب وشئون السياسة ليقوموا بنشر دينـه . فحـرب الفجار ، ثم الحروب مع صاحب الرسالة ، كل ذلك مهد لهم ليكونوا قادة وسـادة وخلفاء . والجـاحظ لا يهتم بما ذكرت ، ولكنه يذكر معنى « أم داركم » فيقول : ودار العرب هى جزيرة العرب ومكة قرية من قراها ، ولكن لما كانت أقدمها قدما وأعظمهـا خطـرا جعلت لها أما ، ولذلك قيل لفتح مكة فتح الفتوح ، وعلى مثل ذلك سـميت فاتحـة الكتـاب أم الكتاب ، والعرب قد تجعل الشىء أم ما لم تلد من ذلك قولهم ضربه على أم رأسه . وقد أبان الله تعالى مكة والبيت حين قال :

« ان أول بيت وضـع للناس للذى ببكة مبـاركا وهدى للعالمين » فاذا غزيت مكة وهى أم القـرى وفيها البيت الحرام فقد غزى جميعكم .

وقريش تفخر بأنها لم تدفع لملك اتاوة أو ضرائب فكانت مكة بلدا لقاحا لا تدين لملك ولا تقدم اتاوات، وأنها لم تقع تحت سيطرة أحد . فيقول الحيقطان فى قصيدته التى تفخر بها اليمانية والعجم :

وقلتم لقـــاح لا تؤدى اتاوة
فاعطـاء أربان من الفـــر أيسر
ولو كان فيهـا رغبـة لمتــوج
اذا لأتتهـــا بالمعاول حمير
وليس بها مشتى ولا متصـيف
ولا كجو انمـا ماؤهـا يتفجـر

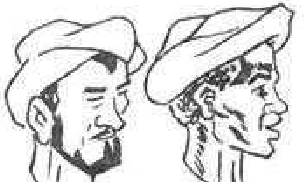

(١) صون لغة فى صين المبنى للمجهول .

البيض والسود وحوار مع الجاحظ

ولا مرتع للعين أو متنفس
ولكن تجرا والتجارة تحقر

لقد بلغ فى الهجاء قمته ، وغض من شأن قريش وهى لم تهجه ولم تقف مع جرير تؤيد مسلكه فى العبث بسواد الشاعر ولم يستأذنها جرير فى هذا العبث ، وجرير من تميم وتميم فرع من مضر يجتمع مع قريش فى الجد (الياس بن مضر) فكان عليه أن يهجو تميما ، وحين تعرض لأسرة الشاعر لم يتعدها الى الجد الأكبر تميم فقال :

ألست كليبيا وامك نعجة
لكم فى سمان الضان عار ومفخر

فكليب أسرة جرير حقيرة لا ترعى الابل وانما ترعى الغنم وهى عارهم وفخرهم ، وأنا أعتقد أنه هرب من ذكر تميم خوفا من لسان الفرزدق • ولكنه هجا قريشا وهى بريئة مما قيل فيها •

وما من شك فى أن قريشا تمتعت بالحرية فلم يحكمها حاكم ولم تدفع ضرائب الملك ، وقد حماها الله من صاحب الفيل ، وكانت تجارتها سببا فى اتصالها بالعالم الخارجى عن جزيرة العرب فعرفت وأثرت ، ولكن الشاعر جعل دفع الاتاوة أو الأربان كما يسميها أيسر من الفر من وجه أبرهة ، وأن مكة لم تفتح لأنها غير مرغوب فيها لوقوعها فى واد غير ذى زرع ولا تصلح لمشتى ولا لمصيف وليس فيها ماء يتفجر مثل (جوانا) عين بالبحرين ، وليس فيها ما يمتع البصر ••• وفيها تجار والتجار يحقرون وهذا كذب ومخالف للواقع ، فالتجارة كانت ومازالت مطمح الأنفس ومناط الثروة وطريق المعالى ، **ويكفى أن الله منّ على قريش بها فانزل سورة فى شان رحلتى الشتاء والصيف قال تعالى : « لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ • إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ • فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ • ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ » ولا يضير مكة ان تخلو من المتنزهات أو يحرم فيها الصيد ، فهى قبلة المسلمين ومنزل الوحى الأول ومولد سيد المرسلين • « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » •**

ويهجو جرير الأخطل التغلبى فيجىء فى شعره هذا البيت •

لا تطلبن خئولة فى تغلب
فالزنج اكرم منهم اخوالا

فيغضب شاعر اسمه : (شيخ بن رباح شار) فيهجو جريرا ويفخر عليه بالزنج بقصيدة منها :

ما بال كلب من كليب سبنا
ان لم توازن حاجبا وعقالا
ان امرأ جعل المراغة وابنها
مثل الفرزدق جائر قد غالى
والزنج لولا قيتهم فى صفهم
لاقيت ثم جحا (١) جحا ابطالا

وينساب الشاعر فى شعره مفتخرا بأناس من العرب لأن أمهاتهم سوداوات منهم عنترة وأخوه ، وخفاف بن ندبة ، وسليك بن السلكة ، وعباس بن مرداس مع أن الأخير أمه الخنساء فى رواية موثقة ويختم شعره ببيتين هما :

فلنحن انجب من كليب خئولة
ولانت ألأم منهم اخوالا
وبنو الحباب مطاعن ومطاعم
عند الشتاء اذا تهب شمالا

ويستمر الجاحظ فى ذكر شجعان الزنج أو أبناء

---

(١) المفرد جحجاح وهو السيد

الزنجيات الذين نزعوا الى الزنج فى البسالة والألفة ، ويخصهم بالسخاء ثم هم أطبع الناس على الرقص والموقع الموزون والضرب بالطبل على الايقاع الموزون من غير تأديب ولا تعليم ، وليس فى الأرض أحسن حلوقا منهم ، وليس فى الأرض لغة أخف على اللسان من لغتهم ، ويدافع عن سخائهم بكل ما يملك من بيان وبرهان ، وينفى عنهم ضعف العقول والسذاجة .

وقد قلب الواقع فى هذا الاحتجاج : قالت الزنج للعرب من جهلكم أنكم رأيتمونا لكم أكفاء فى الجاهلية فى نسائكم فلما جاء عدل الاسلام رأيتم ذلك فاسدا ، ونبت الرغبة عنا مع أن البادية ملأى ممن قد تزوج ورأس وساء ومنع الزمار وكنفكم من العدو ، وليس الأمر كما قالوا .

فالواقع يشهد أن العرب فى الجاهلية لم يتزوجوا من غير بنات العرب ، أما غير العربيات فيتخذونهن ايماء ولايعترفون بأن من لدن أحرارا وشاهدنا عنترة وما لقى من أبيه وقومه ، وقصته حمامه بنت أخت أبرهه لم يتزوجها سيدها القراشى وضعها من حول مكة وجعلها للرعى مع رباح الحبشى مولاه ، وتزوجها رباح وهى الأميرة السابقة فأولدها بلالا وأخاه ، فمن أين جاءوا بأنهم أكفاء فى الجاهلية..؟أما الاسلام فقد سوى الجميع وجعل التزاوج ... ويستعصى الجاحظ كعادته فيذكر مزقة الحرة حين هاجم جيش يزيد المدينة وفعل الزنوج فى الحرائر كما يذكر ما فعل جيش أبرهه باليمن .

والكثرة عزة والقلة ذلة فيدخل بنا الجاحظ فى محيطها برواية حديث للنبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله : « بعثت الى الأحمر والأسود » ومع أن

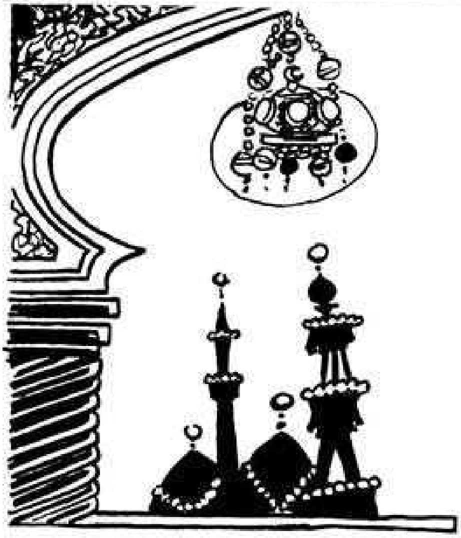

بعض العلماء يرى أنه بعث الى الانس والجن من فهمه لهذا الحديث الا أن الجاحظ يجادل ويستنبط ويخرج بنتائج هدفها اثبات الفخر للأسود على الأبيض فيقول : علمت انه لا يقال للزنج والحبشة والنوبة بيض ولا حمر ، وليس لهم أسمر الا السواد ، وقد علمنا أن الله عز وجل بعث نبيه .

الى الناس كافة والى العرب والعجم جميعا ، فاذا قال بعثت الى الأحمر والأسود ولسنا عنده حمرا ولا بيضا وقد بعث الينا فانما عنانا بقوله الأسود ، ولا يخرج الناس من هذين الاسمين ، فان كانت العرب من الأحمر فقد دخلت فى عداد الروم والصقالية وفارس وخراسان ، وان كانت من السود فقد اشتق لها هذا الاسم من اسمنا ، وانما قيل لهم وهو آدم وسمر سود حين دخلوا معنا فى جملتنا .. فان كان اسم السود وقع علينا فنحن السودان الخلص والعرب أشباه الخلص ، فنحن المقدمون فى الدعوة ، اذ كنا وحدنا يقال لنا سود ولا يقال لهم سود الا أن يكونوا معنا .. ونحن أكثر الناس عددا ، لأن أكثر ما يعد البيض فارس والجبال وخراسان والروم والصقالية وفرنجة وشيئا بعد ذلك قليلا غير كثير ، والسود يعدون

البيض والسود
وحوار مع الجاحظ

الزنج والحبشة وفزان وبربر والقبط والنوبة وزغاوة ومرو والسند والهند والصين ، والبحر أكثر من البر ، وجزائر البحر ما بين الصين والزنج مملوءة سودان كسر نديب وما جاورها الى الهند الى الصين الى كابل وتلك السواحل ، وكل هذا تكلف منه وتطرف وتخلف عن معرفة البلدان وما تسميه الجغرافيا وعوامل البيئة ، ومما يدلك على القاء الكلام على عواهنه — وله عذره — قوله وآخر العمران كله سودان وما استدار من أقاصي العمران أكثر من أهل الواسطة كطوق الرحى الذى يلى الهواء الذى هو أوسع وأكثر ذرعا مما قصر عنه من ذلك الرحى ، والقضية منقوضة فليست أطراف الأرض يسكنها السود فقط ، فأهل الشمال كلهم بيض والتمثيل بالرحى صحيح من حيث الوسط والطرف ، وليس عليه بأس فهو يفضل الليل على النهار لسواده •

ولا يترك الفكاهة ، ولكنها فكاهة تؤيده ، يقول : كانت دنانير بنت كعبويه الزنجي عند أعشى بني سليم وكانت شديدة السواد فقال لها : ان الدنانير تكون سوداء ؟ فقالت :

بياض الرَّأس أقبح مِنْ سوادي

وشيب الحاجِبَيْنِ هُوَ الفضوح

فأمسك عنها فلما فضحته طلقها (١) •

ثم يتعرض لعلة السواد فيجعل السود يقولون : ان الله تعالى لم يجعلنا سودا تشويها بخلقنا ولكن البلد فعل ذلك بنا ، والحجة فى ذلك أن فى العرب قبائل سودا كبنى سليم بن منصور ، وكل من نزل حرة بنى سليم من غيرهم سود مثلهم ، وانهم ليتخذون للرعي والخدمة من الأشبانيين والروم فما يتوالدون ثلاثة أبطن حتى تنقلهم الحرة الى ألوان بني سليم ، ولقد بلغ من أمر تلك الحرة أن ظباءها ونعامها وهوامها وذئابها وثعالبها وشاءها وحميرها وخيلها وطيرها كلها سود • والسواد والبياض انما هما من قبل خلقة البلدة وما طبع الله عليه الماء والتربة ، ومن قبلقرب الشمس وبعدها وشدة حرها ولبنها • وكان ينبغى أن يجعل مقاله كله مبنيا على هذا الوجه وهو ما نسميه البيئة الطبيعية وأن يمسك بجعل الدين فيمنع من التفرقة العنصرية كما نقول اليوم •

هل كان لهذا الكتاب او الرسالة أثر فيمن عناهم من الأجناس والألوان ؟ ان الجواب عن هذا السؤال يقتضى حذرا شديدا ، لكن ما جرى يجعل الدارس يقول بأثر تلك الرسالة على قرائها زمن الجاحظ ، كانت وفاة الجاحظ فى المحرم سنة ٢٥٥ هـ وهى السنة التى قام فيها صاحب الزنج بثورة كلفت الخلافة العباسية جهدا كبيرا وأعباء ثقيلة وحروبا ضارية ، ان عبد الله بن محمد صاحب الزنج لابد أن يكون قد قرأ (٢) رسالة الجاحظ فى فخر السودان على البيضان ، وأنه دعا دعوته للخروج على السادة ، فخرج اليه الزنج أفواجا ، وانضم اليه كثير من العرب ممن يحسون بفساد الدولة وتقصيرها فى العدالة الاجتماعية ، بل انه كان يعد لثورته عدتها قبل هذا التاريخ بست سنوات كما يقول الدكتور طه حسين ، وكانت له اتصالات بخدم قصر الخلافة ، فهو يعرف أسرار المكاتبات التى تصدر من القصر وترد اليه ، فيلم بشئون أطراف الدولة ، وبالولايات التى تنفصل ، وبالرجال الذين يرتفعون ثم يسقطون ، ويعرف قوة الترك والخدم فى تسيير

(١) هذا الزواج يدل على ان العرب تزوجوا من السوداوات فى الاسلام

(٢) كان يدعى الأمية ثم علمه الله القراءة دون معلم ، كما اختار الامامة على النبوة •

شئون الدولة ، يرى ثراء فاحشا يشكو منه صاحبه ، وفقرا مدقعا يئن منه حامله ، فكان أن صمم على الخروج ليرفع عن كاهل الفقراء فقرهم ، ويزيل عن الزنج وغيرهم من الأرقاء رقهم وهوانهم ، وتنقل من بغداد الى حجر الى الأحساء الى البادية فلم يجد ما يؤمله ، أو يصلح لثورته ، وأخيرا وصل الى البصرة فوجد بغيته .

بدأ ثورته الجامحة فى رمضان سنة ٢٥٥ هـ اتصل بالرقيق الذين يعملون حول البصرة فى كسح السباخ واصلاح الأرض وفى استخراج الملح وفى كل ما يريده السادة من الأعمال التى سخر لها البصريون الألوف من الرقيق السود ، ولابد أنهم كانوا يكلفون مالاً يطاق ، ولا يجدون احسانا فى المعاملة ومطالب الحياة ، فما ان اتصل أمره بأمرهم حتى هرعوا اليه زرافات ووحدانا ، وماهى الا أيام حتى كان له جيش كبير ، به ضيق على أهل البصرة ، وكان بها وال شديد الرأس قوى الشكيمة واسع الحيلة صده ورده ، ثم تغير الوالى فسهل عليه أن ينتصر عليها ، والخليفة المعتمد يرسل الجيش تلو الجيش فيرتد منهزما ، ثم استدعى أخاه (أبا أحمد الموفق) فعهد اليه بحرب صاحب الزنج فلبى الدعوة وخرج اليه فوجده قد دخل البصرة وخربها تخريبا ، وقتل أهلها تقتيلا ، وحول خيار سادتها الى عبيد وكرائم نسائها الى اماء يعرضون جميعا على البيع ويوزعون على أنصاره من الزنج ، وكان المنتظر ممن يثور للعدالة الاجتماعية أن يسوى بين الغالب والمغلوب ، ولكنه أتى ما ثار من أجله فظلم وقتل وباع الأحرار والحرائر .

كان الموفق رجل الدولة العباسية فى هذه الآونة له شجاعته وقدرته الادارية والسياسية والعسكرية ، وكان قبل تلك الفتنة وأثناءها أيضا يحارب شرق الدولة ويحارب ابن طولون فى مصر ، وجاءته ثورة صاحب الزنج فكلف أن يريح الدولة من تخريبه وتقتيله ، وكانت العراق فى ذلك الزمان فى غاية الاصلاحات فى الأنهار ونظام الرأى ، ودارت المعارك برا وبحرا كما نقول اليوم ، وثبت صاحب الزنج لجند الخلافة سنوات طويلة وكانت له مدن بناها وقوى حراستها ، ونشط الموفق بكل مايملك من قوة ، وفرض على الدولة نفسه فرضا ، فجعل ميزانية الدولة بين يديه ، وقبض على ناصية الأمور، وجعل هذه فى القضاء على تلك الثورة ، وخان الخليفة من شدة ما يلقى فأراد أن يهرب الى مصر ليقيم عند ابن طولون ، ولكن الموفق يرسل جنده : فيرد الخليفة الى قصره ، ويشكو الخليفة بشعر منه :

أليس من العجائب أن مثلى
يرى ما قل ممتنعا عليه ؟
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا
وما من ذاك شىء فى يديه ؟

والموفق بن المتوكل منطلق فى وجهته لا يهمه شكوى الخليفة ، ولا متاعب الجند ، وبنى لنفسه مدينة ازاء عدوه سماها (الموفقية) أدار الحرب منها ودفع ابنه الى القتال لا يرحمه ، فاذا انتصر وبدا منه جموحا حبسه واستخدم الارهاب والترغيب معا ، يستأمن من يأتيه من جند صاحب الزنج بعد الاغراء فيهيئه ويظهره فى أجمل مظهر حتى يراه من كانوا معه ، وحين يقع الأسرى فى يده يقتلهم ويجمع رءوسهم مع رءوس من قتل فى المعرفة ويعرضها ليراها الزنج ليبعث الخوف والفزع .. وهكذا استمرت الحرب أربعة عشر عاما كما يقول المؤرخون وأبدى صاحب الزنج بطولة فدافع الى آخر قطرة من دمه ولم يستسلم . كان ذلك سنة ٢٧٠ هـ .

هل ظلمت الجاحظ فيما نسبته اليه حين حرض للثورة من غير قصد ؟ أو هو الظلم وطموح صاحب الزنج دفعاه الى الثورة ؟ فكان ما كان مما عرض الخلافة العباسية لمتاعب أثرت فى مسيرتها سنوات وسنوات . وهكذا الظلم اذا استمر ولم تجد العدالة طريقها أنجب الويلات وخراب العمران .

السيد حسن قرون

فتح مكة

المثل الكامل للإستراتيجية الحربية

للواء محمد جمال الدين محفوظ

« عليك وأنت تحارب أن تهيىء الظروف المناسبة لقيام سلم حقيقي ومستقر بعد انتهاء الحرب ، ولا تستخدم من أساليب القهر والتسلط الغاشم ، سواء فى اثناء الحرب أو بعدها ، ما يؤدى الى أن يكون السلم مشوها لاحتوائه على جراثيم حرب تالية » .

ينطوى فتح مكة فى رمضان من العام الثامن للهجرة على أرقى مراتب الفكر العسكرى والسياسى معا ، ولا يستطيع خبراء العسكرية والسياسة فى اى مكان وفى أى عصر ، الا أن يقفوا أمامه اجلالا وتعظيما .

فلقد اتفق علماء الاستراتيجية على المبادىء التالية (١) : ــ

١ ــ ان الغرض من الحرب يجب أن يكون الحصول على « سلم أفضل » ، وأنه من الضرورى أن يضع القادة فى اعتبارهم باستمرار ــ وهم يديرون دفة الحرب ــ « السلم الذى يرغبون فيه »

٢ ــ عندما تصل الى هدفك العسكرى ، فكلما زدت من طلبك تجاه الجانب الآخر ، قابلت متاعب أكثر ، وهيأت السبب لقيام العدو بمحاولة لقلب الاستقرار الذى حصلت عليه فى الحرب .

وبمعنى آخر فان مبادىء الاستراتيجية الحقه تنادى بما يلى :

(١) الاستراتيجية الاقتراب غير المباشر ليدل هارت

دروس التاريخ :

ولقد حفل التاريخ بأدلة قاطعة على أن الشطط والمبالغة فى ادارة الحروب لا يهيئان مناخا صالحا لقيام سلام مستقر أو دائم :

* فان سلسلة الحروب الواسعة — وعلى رأسها الحرب الثلاثينية — دفعت رجال السياسة فى القرن الثامن عشر الى ادراك هذه الحقيقة. والى ادراك ضرورة كبح أطماعهم وأهوائهم الخاصة عندما يشتبكون فى حرب ، وضرورة « تحديد » الحرب وآثارها بمعنى تجنب الشطط والمبالغة فى كل الاعمال التى قد تطيح بالآمال المعقودة على حالة ما بعد الحرب .. ومن ناحية أخرى فقد أدى ادراكهم هذا الى أنهم أصبحوا أكثر استعدادا للتفاوض على السلم عندما يبدو النصر بعيد المنال (١) .

* وامتدت حروب نابليون قرابة العشرين عاما دون أن تحقق سلاما أو استقرارا . فقد كان نابليون يتصور تحقيق سلم دائم عن طريق الحرب تلو الأخرى . ولكن النتيجة جاءت على عكس تصوره بل ان الأمر وصل الى حد انهيار الامبراطورية النابليونية .

* ويعتبر ما حدث فى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ درسا لا ينسى فى هذا المجال . فان المعاملة القاسية التى لقيتها ألمانيا على يد الحلفاء المنتصرين تحت شعار « ويل للمغلوب » . والعقوبات

(١) المرجع السابق .

فتح مكة

المثل الكامل

الاقتصادية التى أثقلت كاهل الاقتصاد الالمانى ، جعلت السلام الذى جاء بعد تلك الحرب « مشوها يحمل معه جراثيم حرب تالية » كما يقول رجال الاستراتيجية .. وهذا هو ما حدث فعلا ، فان تلك القسوة بالذات كانت هى الدافع الأساسى لهتلر فى العمل بكل الوسائل على انهاض ألمانيا ، وبالتالى سرعة نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ (١).

حروب الاسلام الفاضلة :

تلك كانت بعض دروس التاريخ التى تنهض دليلا على أن استخدام أساليب القهر والتسلط الغاشم فى الحرب وأن تطبيق شعار « ويل للمغلوب » ، كلها تؤدى الى سلام زائف غير مستقر والى نشوب حرب جديدة تكتوى البشرية بنارها .

لكن فى هذا التاريخ ذاته صفحات مشرقة لحروب كانت « خالية من جراثيم حرب أخرى » . تلك هى حروب الاسلام .

فان حروب الاسلام حروب فاضلة ، لأنها مقيدة بقانون السماء ، ولا يمكن أن يبيح قانون الله انتهاك الحرمات واهدار الكرامة الانسانية والقهر والتسلط الغاشم : ــ

١ ــ فالجهاد ، فضيلة انسانية عليا ، والباعث اليه فضيلة أيضا ، اذ هو اعلاء كلمة الله ورد الاعتداء ، ويستقيم مع هذا المعنى أن تكون الفضيلة الاسلامية واجبة الرعاية فى الجهاد حربا وسلما .

٢ ــ وحرب الاسلام بدوافعها السلمية الفاضلة وآدابها وانسانيتها وسماحتها ، لم تنطو على ما يقطع الأمل فى سلم حقيقى ومستقر ، بل كانت تجعل جراح المغلوبين تلتئم بسرعة .

٣ ــ والأكثر من ذلك أنها كانت تحول اتجاهاتهم من أشد الناس عداوة للاسلام الى أحرص الناس على رفع راية الجهاد فى سبيله ، وتلك صورة رفيعة انفرد بها الاسلام وليس فى التاريخ ما يتسامى اليها .

مثال الفتح :

ولقد كان فتح مكة مثالا كاملا لحروب الاسلام الفاضلة التى تتجاوز نظريتها ما قرره خبراء الاستراتيجية وتتركه وراءها عاجزا متخلفا .

ان كل الظروف كانت مهيأة أمام المسلمين لتحقيق نصر عسكرى ساحق على قريش يقضى عليها قضاء لا تقوم لها قائمة بعده أبدا .. ولو كان هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقق النصر على أعدائه دون أدنى اعتبار لما بعد النصر ، ما نفذ ذلك المخطط الذى فتح به مكة بلا قتال وجاء ناطقا بالبعقرية السياسية والعسكرية معا . واذا كان من شأن المنتصر أن يستبد ويملى شروطه بدافع الغيظ والانتقام والغرور بالقوة ، فان الرسول القائد صلوات الله وسلامه عليه ــ على الرغم مما فعلت قريش ضد الاسلام والمسلمين ــ لم يفعل شيئا من **ذلك ، بل كان كل همه وكل قصده أن يؤلف قلوب المشركين ويجعلها تقبل على الاسلام الذى هو دين السلام : ــ**

اولا ــ الأمر بعدم القتال :

كان قرار الرسول القائد صلى الله عليه وسلم أن يتم فتح مكة بلا قتال ، فعهد الى أمرائه أن

(١) The Couses of Wors By Geoffrey Blainey

لا يقاتلوا الا من قاتلهم (١) ، وكان عليه الصلاة والسلام حريصا على ذلك كل الحرص ، فحينما بلغه ما قال سعد بن عبادة (وكان يقود رتلا من الأرتال الأربعة التى تألف منها جيش المسلمين) : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة » ، أخذ الراية منه ودفعها الى ابنه قيس بن سعد ، وكان رجلا ضخما لكنه كان أهدأ من أبيه أعصابا ، وأكثر منه سيطرة على نفسه ، حتى يحول دون اندفاع سعد لاثارة الحرب .

ودخلت قوات المسلمين مكة بلا قتال ، الا جيش خالد بن الوليد ، فقد تجمع متطرفو قريش مع بعض حلفائهم من بنى بكر فى منطقة « الخندقة » (٢) ، فلما وصلتها قوات خالد أمطرتها بوابل من نبالهم ، لكن خالد لم يلبث أن فرقهم .

ثانيا ـ دفع قريش الى الاستسلام بلا مقاومة :

ومن ناحية أخرى اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم كل التدابير التى تجرد قريش من الارادة القتالية وتدفعها الى الاستسلام بلا مقاومة : ـ

(١) يغزو عقل ونفس زعيم قريش :

* فان أبا سفيان حين قدم الى المدينة لمقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم موفدا من قبل قريش التى شعرت بالخطر الذى عرضها له نقضها لعهد الحديبية بينها وبين المسلمين ، وجد صدودا واعراضا من كل من لقيه ، فحين توجه الى ابنته أم حبيبة زوجة الرسول وأراد أن يجلس على فراش النبى طوت أم حبيبة الفراش قائلة لأبيها : « هو فراش رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنت رجل مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس عليه » ، ثم ذهب ليكلم النبى فلم يرد عليه شيئا ، فكلم أبا بكر ليكلم له النبى فأبى ، فكلم عمر بن الخطاب فأغلظ له فى الرد وقال : أنا أشفع لكم الى رسول الله ! فوالله لو لم أجد الا الذر (٣) لجاهدتكم به » ، وذهب الى على بن أبى طالب واستشفعه الى الرسول ، فأنبأه على فى رفق أنه لا يستطيع أحد أن يرد محمدا عن أمر اذا هو اعتزمه ، فاستشفع أبو سفيان فاطمة أن يجير ابنها الحسن بين الناس ، فقالت ما يجير أحد على رسول الله .. واشتدت الأمور على أبى سفيان فاستنصح عليا ، فقال له : « والله ما أعلم شيئا يغنى عنك شيئا ، لكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك ، وما أظن ذلك مغنيا ولكنى لا أجد لك غيره ، فذهب أبو سفيان الى المسجد وهناك أعلن أنه أجار بين الناس . ثم ركب راحلته وانطلق عائدا الى مكة وقلبه يفيض أسى مما لقى من هوان وصدود وفشل. فلما قص على قومه ما لقى بالمدينة وما أجار بين الناس فى المسجد بمشورة على ، وأن محمدا لم يجز جواره ، قال قومه : « ويلك ! والله ان زاد الرجل على أن لعب بك » .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ـ ٤٠٩ .

(٢) الخندمة : جبل بأسفل مكة ـ راجع التفاصيل فى معجم البلدان ٢ ـ ٤٧٠ .

(٣) الذرّ : جمع ذرّة وهى أصغر النمل .

فتح مكة

* فلما عاد أبو سفيان مرة أخرى ليستطلع الأخبار بعد أن شعرت قريش بأن خطرا يقترب منها (وكان المسلمون قد نزلوا بمر الظهران على أربعة فراسخ من مكة) لقى العباس عم النبى الذى أجاره ونصحه بأن يسلم قبل أن تضرب عنقه .

وقال العباس للنبى عليه الصلاة والسلام : يارسول الله ، ان أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا . قال الرسول : « نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

* وأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم عمه العباس باحتجاز أبى سفيان فى مدخل الجبل الى مكة ، حتى تمر به جنود المسلمين ، فيحدث قومه عما رآه عن بينة ويقين ، فيقضى على أى أمل لديها فى المقاومة . قال العباس : خرجت بأبى سفيان حتى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله ، ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : ياعباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : سليم . فيقول: مالى ولسليم ؟ ولمزينة ؟ حتى نفذت القبائل ، ما تمر به قبيلة الا سألنى عنها ، فاذا أخبرته قال مالى ولبنى فلان .. حتى مر الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء (١) وفيها المهاجرون والأنصار ، لا يرى منهم الا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله ! ياعباس ، من هؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة ! والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما .. قال العباس : يا أبا سفيان انها النبوة قال : نعم .. اذن .. عند ذاك قال العباس لأبى سفيان : « النجاء الى قومك » فأسرع أبو سفيان الى مكة وقال لقومه : « يا معشر قريش هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به » .

* أرأيت كيف أدى غزو عقل القائد والزعيم الى اقتناعه بعدم جدول المقاومه والى تجريده « هو أولا ثم قومه بالتالى » من الارادة القتالية ؟!

وبذلك تتجلى عبقرية الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى أنه جمع فى وقت واحد بين عنصرين يحققان له فتح مكة بلا قتال :

١ ـ العنصر الاول : أنه وضع الخطة وأصدر الأمر بان يكون الفتح بلا قتال .

(ب) والعنصر الثانى : أنه اتخذ التدابير لتجريد قريش من إرادة القتال ودفعها الى الاستسلام بلا مقاومة .

ولو أنه لم يجمع بين هذين العاملين واكتفى بالتخطيط والأمر لجيوشه ، ولم يحرص فى الوقت نفسه على منع الجانب الآخر من القتال لما تحقق له ما أراد .

(٢) باستغلال الأثر النفسى للمباغتة :

ومن التدابير التى اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم لدفع قريش الى الاستسلام بلا مقاومة ، حرصه الشديد على مباغتتها ، فهو العليم بما تحدثه المباغته من آثار مادية ومعنوية على الكفاءة والارادة القتالية للأعداء :

* فقد حرص عليه الصلاة والسلام على كتمان قراره بالخروج لفتح مكة حتى على أقرب المقربين اليه مثل أبى بكر وعائشة .

(١) قال ابن هشام : وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها (سيرة ابن هشام ج ٤ ـ ٤٠٤) .

* وأجرى عملية خداعية بارعة لتحويل الأنظار عن اتجاه هجومه ونواياه بأن بعث سرية أبى قتادة الأنصارى الى بطن اضم .

* وبث العيون والأرصاد والدوريات داخل المدينة وخارجها للحيلولة دون تسرب المعلومات عن حركته الى قريش ، حتى انه استطاع بعث من يلحق بامرأة كانت تحمل رسالة حاطب ابن أبى بلتعة الى قريش يخبرهم فيها بخروج المسلمين ، فأخذها منها .

* وعبأ الجيش وأمر القبائل بالتجهز للقتال دون تحديد الهدف أو المهمة ثم أعلن عن ذلك فى الوقت المناسب .

* ولم يستطع أبو سفيان حين قدم الى المدينة أن يعرف نوايا المسلمين لحرصهم على الكتمان .

* كل هذه التدابير أمنت للرسول صلى الله عليه وسلم مباغتة ممتازة للغاية لا أدل عليها من أنه لما وصل المسلمون قرب مكة كان المشركون فى شك من هويتهم فان أبا سفيان حينما اقترب من وضع معسكر المسلمين قال لصاحبه بديل بن ورقا « ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا » . فرد عليه بديل : « هذه والله خزاء حمشتها الحرب » فلم يقتنع أبو سفيان بهذا الجواب ، فقال : « خزاعة اقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها » .

(٣) بتكوين الجيش :

ثم كان تكوين جيش المسلمين وتأليفه على صورة جعلت المشركين يترددون فى مقاومة فقد كان الجيش يتألف من المهاجرين والأنصار ومن مسلمى أكثر القبائل المعروفة مثل بنى سليم ، ومزينة ، وبنى غفار ، وبنى جهينة ، وأسلم ، وتميم ، وأسد ، وقيس وغيرها .

هذا التنظيم أضعف الدافع لدى المشركين الى القتال ، لأن كل قبيلة لها فى جيش المسلمين عدد كبير ، بل ان كثيرا من القبائل تعتبر نجاح هذا الجيش نجاحا لها على الرغم من إختلاف العقيدتين ، وليس ذلك فحسب ، بل ان انتصار هذا الجيش لا يُعتبر فخرا لقبيلة دون أخرى ، كما أن فشل أية قبيلة فى التغلب عليه ، لا يعتبر عارا عليها ، لأن هذا الجيش لم يكن لقبيلة دون أخرى ، بل لم يكن للعرب دون غيرهم ، بل كان للاسلام ولمعتنقى هذا الدين من العرب وغير العرب .

(٤) باعطاء قريش الأمان إن هى استسلمت :

ويستكمل الرسول صلى الله عليه وسلم تدابيره لدفع قريش الى الاستسلام دون مقاومة باعطائها الأمان ان هى فعلت ذلك، وذلك من خلال رسالته اليها التى ينطوى عليها قوله لأبى سفيان : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن »

ان اعطاء الأمان هو بمثابة « ضربة معنوية ونفسية قاضية » تجىء فى الوقت المناسب تماما بحيث لا يكون أمام قريش من سبيل الا الاستسلام :

* فهذا هو زعيمهم أبو سفيان يسبقهم الى الاقتناع بأن لا جدوى من المقاومة بعد أن رأى بعينيه قوة جيش المسلمين ، ثم يدعوهم الى الاستسلام لأن محمدا جاءهم فيما لا قبل لهم به » .

* وهذا هو جيش المسلمين يباغتهم فيشرف على مكة بينما هم يتشاورون ولم تتفق كلمتهم بعد على قرار .

* وكيف يقاتلون جيشا لكل قبيلة منهم فيه عدد كبير ؟

* وأخيرا ها هو الرسول يعرض عليهم الأمان ان استسلموا .

(٥) بدخول مكة من جهاتها الأربع :

ثم تكون « الضربة القاضية ماديا ومعنويا » بدخول جيش المسلمين فى أربعة أرتال من جهات

فتح مكة

مكة الأربع ، الأمر الذى يدفع قريشا — ان هى أرادت المقاومة — الى تقسيم قواتها الى أقسام لمقاومة كل رتل من أرتال المسلمين على انفراد ، فتكون قواتها ضعيفة فى كل مكان بحيث لا يكون لديها أمل فى التغلب عليهم .

ثالثا لا « ويل للمغلوب » فى الاسلام :

واستسلمت قريش ..

قريش ، التى يعرف النبى منها من ائتمروا به ليقتلوه ، ومن عذبوه وأصحابه من قبل ، ومن قاتلوه فى بدر وفى أحد ، ومن حصروه فى غزوة الخندق ومن ألبوا عليه العرب جميعا ، ومن لو استطاعوا قتله وتمزيقه اربا اربا لما توانوا فى ذلك لحظة ! .

قريش ، أصبحت فى قبضة محمد عليه الصلاة والسلام وتحت قدميه ، أمره نافذ فى رقابهم ، وحياتهم جميعا معلقة بين شفتيه ، وفى سلطانه هذه الألوف المدججة بالسلاح تستطيع أن تبيد مكة وأهلها فى رجع البصر !

لكن رسول الله ، ليس بالرجل الذى يعرف العداوة أو يريد بها أن تقوم بين الناس ، وليس هو بالجبار ولا بالمتكبر ، لقد مكنه الله من عدوه ، فماذا فعل ؟

لقد سألهم : « يامعشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟ . قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ! » .

قال : « فاذهبوا فأنتم الطلقاء » .

هكذا تكون سماحة الاسلام التى تلتزم بها العسكرية الاسلامية فى حروبها ، وتنفرد بها بين المدارس العسكرية قديما وحديثا وشرقا وغربا .

واذا كان أرقى ما وصل اليه فكر خبراء الاستراتيجية هو أن الاستراتيجية الحقة يجب أن تبحث عن سلم أفضل ، فان الاسلام يتجاوز ذلك الى تحقيق أهداف أرقى وأسمى هى تأليف القلوب ، وجمع الكلمة ، وتحويل الاتجاهات من العداء للاسلام الى الحرص عليه وبذل الأموال والأنفس جهادا فى سبيل الله ، ورفع منار التوحيد ولوائه ؛ واضاءة العالم بنوره الوضاء .

جلال الماضى حجة الالتزام فى الحاضر

للدكتور/ محمد كمال جعفر

يحلو لكل انسان أن يفخر بماضيه اذا تضمن مقومات المجد والعظمة والحضارة . وحق له أن يفخر عن جدارة اذا كان الولى والخصم يقران بهذه العظمة ويعترفان بهذا المجد . واذا كان لاية أمة أن تفخر بماضيها وتثنيه على الدنيا بما أنجزته فى سوالف الاحقاب ، فان الامة الاسلامية تحتل من ذلك المكان الأرفع والمنزلة الاسمى لما فى مجدها من عموم وما فى حضارتها من شمول يستوعب آمال وآلام الانسان بما هو انسان ، ولذلك نرى أن لفظ « اسلامى » هنا يتساوى تماما مع لفظ انسانى ، لان لكل انسان فى كل زمان ومكان أن يتلمس نفسه بأفراحها وأتراحها ، وهدوئها وثورتها ، وقوتها وضعفها ، وعزها وذلها ، وتفردها والتحامها ، واستقلالها وتبعيتها وانفصالها وانتمائها — أن يتلمس كل ذلك فيما قدمته هذه الامة من انجازات وما أجزلته من عطاء فى قوة ومضاء .

نقول انه لحق أن نفخر بماضينا المجيد ، وتراثنا التليد ، ومجدنا العتيد . ذلك المجد الذى أقامه الرجال فى تفان وايثار ، وعزة واصرار ، ووفاء بحق الله عليهم ، واستجابة لنداء الانسانية فيهم وتعبيرا عن طاقات الابداع التى أطلقتها العقيدة فى نفوسهم حتى تحقق هذا المشهد الرائع الذى تخر له كل عبقرية نواقة منصفة .

جلال الماضي حجة الالزام في الحاضر

وكيف لا – وقد شملت جهود الأجداد أقطار الوجود ، وأغوار النفوس ، تستفتح المغلق ، وتستوضح المبهم ، وتستكشف السر ، وتعين على البر ، وتنشر الخير والحق والجمال أنى توجهت ، وتشيع النور والهدى أنى سارت بها الركبان فالحق أن الحضارة الاسلامية الأصيلة تتمتع بالانطلاقة الفريدة منبثقة من منبع الوحدة والتوحيد ٠

فهى حضارة ينظم دررها سمط الوحدة والتوحيد بدءا وغاية ومن ثم كان تميزها وتفردها وصلاحها لكل زمان ومكان وانسان أنها تؤكد وحدة الخالق ووحدة الكون ووحدة الانسان ، وان شئت قلت : انها تعلم وحدة الأصل والمصير وما بينهما فى الوقت الذى توجد فيه حضارات مفرقة مبددة ، ان حفظت الوحدة فى جانب فقدتها فى الجانب الآخر ، فاذا اتجه عطاؤها الى العقل مثلا كان ذلك على حساب الوجدان والشعور ، واذا اتجهت الى العاطفة كان ذلك أيضا على حساب العقل والسلوك أما الحضارة الاسلامية الأصيلة فانها تعرض ما يرعى سائر الجوانب فى اتساق وانسجام ٠ وقد تعلمت ذلك من المعلم الحق – جل شأنه – الذى علمها فى كتابه كيفية رعاية هذه الملكات واشباع تلك الجوانب فى تناسب عجيب ، اذ أنه – سبحانه – لا يخاطب عقولنا الا وهو يلمس مشاعرنا وأحاسيسنا حافزا ايانا على السلوك الامثل الذى يتفق مع معطياته العقلية والشعورية ٠

ولقد كان ذلك كذلك لان الاسلام يحرص أشد الحرص على تماسك الكيان الانسانى ووحدته وانسجامه مع سائر الكيانات المخلوقة حتى يلتئم الشمل ويتحقق الاتساق ، وتنطلق عجلة التقدم والتطور انطلاقا آمنا تتوازى فيه منابع العطاء الانسانى دون خلل أو اضطراب ٠

وقد عانى العالم – ومازال يعانى – الآثار السيئة التى نجمت من اهمال جانب أو أكثر من الجوانب الانسانية حتى أظلنا هذا العصر الذى انطلقت فيه جياد الابداع العلمى دون شكيمة أو ضابط من الضمير والخلق ، ورسمت فيه السياسات على أساس من الانتهازية والأنانية والبغى والعدوان والتجبر والتسلط ، حتى قيل : أن حضارة اليوم أشبه بعملاق أوتى بسطة فى العلم والجسم ، وقوة فى السواعد والعضلات ، ولكنه خلو من الانسانية الحقة والضمير الحى الذى يحفظ كرامة الانسان لانه انسان ، انها حضارة لم تستطع فى الغالب أن تشبع من رغبات الانسان ومطالبه الا ما يمس بدنه ووجوده المادى الحسى ، دون أن تفلح اراحة نفسه ، أو طمأنة خاطره ، أو اسعاد باطنه ٠

وبدهى أننا لا نقصد بذلك التقليل من انجازات انسان اليوم والأمس القريب ، ولكننا نقصد أن حضارة اليوم فى الغرب وغيره تشكو عرجا مشينا لأنها تسير على قدم واحدة أولا وهى قدم المادة ،

وتفقد القدم الآخر التى تكفل لها السعى الى الروح والشعور والضمير ، كما تفتقد سندها الأجل ، وظهرها القوى المتين ــ جل جلاله ــ فلا تلتزم بقيمه أو مكارمه ، ومن ثم كان حالها أنها اذا آست جرحا هنا ، فانها تهيج جراحا هناك ، واذا أتاحت نعيما فى جانب ، فتحت جحيما فى جانب آخر • واستشرى الداء فى عالم السياسة حتى أصبحت الصراحة فى هذا العالم تعنى « السذاجة » ، وأصبح الوفاء بالعهد والميثاق ، يعنى الضعف والاستسلام•

ولو لخصنا الدرس الذى تريد حضارة اليوم أن تعلمه للناس لكان هو العودة الى قانون الغاب ، مع تطوير الأظافر والأنياب ووسائل العدوان بصورة تجعل أثر دمارها شاملا ، وحصيلة ضررها قاتلا مبترا •

أما الحضارة الاسلامية فلأنها انطلقت استلهاما لكلمة الله ــ والله واسع عليم ــ فانها اتسعت فى أفقها ونظرتها ، ولأنها علمت ان الله « يأمر بالعدل والاحسان » فانها دأبت على التعمير والتنوير والتبصير والدعم والبناء والتأليف ، ولم الشعث ، وجمع المتفرق ، وترسيخ الألفة والمودة والتقارب والتعاون بين بنى البشر ، ولذلك قبلت التبادل والأخذ والعطاء بين سائر الحضارات دون تمييز أو تعصب ، ولم ترفض الا ما يتعارض اساسا مع ركائز دينها وأصول عقيدتها ، ولم يكن هذا الرفض رفضا تحكميا أو عنصريا ، ولكنه رفض الواعى البصير لشىء يضر ولا ينفع ، ويخفض ولا يرفع ، ويؤخر ولا يقدم ، ولا يبنى بل يهدم • ولتفصيل ذلك مجال آخر نرجو أن تحين فرصته فى القريب ان شاء الله •

ان عظمة هذه الحضارة ، وجلال هذا المجد وان كان مدعاة للفخر والاعتزاز ، يضع على كواهلنا عبئا ثقيلا ومسئولية ضخمة بقدر ضخامة هذا المجد وروعة تلك الحضارة ، وهو فى الحقيقة حجة بالغة للأسلاف قبل أن يكون حجة لنا ، بل ان الدقة تفرض علينا أن نقول : ان هذا المجد وتلك الحضارة ليس فى الواقع حجة لنا الا بالقدر الذى ينفى عن العقلية الاسلامية مزاعم المقللين من شأنها ، أما ماعدا ذلك فهو حجة علينا حيث يعلن فى وضوح أن الأسلاف لم يتخلفوا عن أداء واجبهم نحو عقيدتهم وأوطانهم ، وأنهم أضافوا الى الحياة ما يعين على فهمها وحسن الافادة منها فى العاجل والآجل •

لقد كشفوا قوانين الوجود بما يتضمن من طبيعة وانسان ، وألقوا الضوء الغامر على النفس الانسانية واستطاعوا فى النهاية أن يقدموا لجيلهم ولأجيال تالية لهم الزاد الثقافى المتنوع الذى يشبع

جلال الماضي حجة الالتزام في الحاضر

كفايات الأفراد والجماعات ، فماذا قدمنا نحن الآن؟

اننا لم ننهض بعد النهضة الكافية فيما يتعلق بتحقيق عيون تراثنا ، ولم ننفذ بعد تطبيق المناهج العلمية الموثقة في دراسة حضارتنا ومشكلاتنا المعاصرة ، ولم تفلح بعد في تقديم ذلك ثقافي للمسلم المعاصر بحيث تثبت جذوره في تراثه وتتشرب نفسه ويمتد عنقه لمعالجة المواقف والأحداث في ضوء قيمه الخالدة ، وثقافته المتجددة الملتزمة .

لا ينبغي قط أن يقال بحق : لقد جمع الأجداد ، وضيع الأحفاد ، بل يجب أن نعمل متكاتفين على انماء رصيدنا من هذه الحضارة ، وأن ننتفع بثمرات الحضارات الأخرى فيما يفيد وينمي ويزيد ، معتقدين أن هذه الثمرات هي في النهاية حصيلة فضل الله وعطائه في خلقه ، فلا نقف منها موقف المتهيب المشفق المستغرب ، فلم نخلق قط غرباء في هذا العالم ، وكيف نكون غرباء وصاحبه علمنا أنه خلق من أجلنا نحن البشر .

انني أقولها في إلحاح وتكرار : لا يصح قط ان يشعر مسلم بالغربة في أي مكان وقد علمه خالقه انه « أينما تولوا فثم وجه الله » كما لا ينبغي قط أن يقف مسلم موقف الاستغراب من حكمة أو حقيقة علمية ، أو موقف المتفرج على ما يجد في الحياة من أحداث أو أفكار أو حقائق .

انه مسئول أن يؤدي دوره المنوط به في ثقة تامة ووعي كامل بأن يصل حاضره الراهن بماضيه المشرف وعندئذ يحق له أن يفخر بالماضي ، وأن يفخر كذلك بالحاضر وأن يتأكد من أن أجداده يتضاعف سرورهم وتكتمل فرحتهم حين يرون أحفادا صانوا وأضافوا وشادوا ، وأتموا المسيرة حتى أسلموا الشعلة وهاجة الى الذين يلونهم .

وعلى صفحات هذه المجلة الغراء سنلتقي لنرى ماذا يمكن أن نعمل ليعود النبض الى حياتنا الثقافية والدينية ، وماذا يمكن أن يؤمل في هذا الحصن العتيد — الأزهر — لكي يقوى على استئناف أداء رسالته الجليلة في هذا الخضم الهائل من المشكلات والله من وراء القصد .

دكتور محمد كمال جعفر

رمضان مشرق الرسالة ووعاء الانتصارات

يقول علماء اللغة ان كلمة رمضان مأخوذة من الرمض ، وهو حرارة الظهيرة عندما تقوى وتشتد، وهى المعروفة بالرمضاء ، ويقولون فى سر تسمية هذا الشهر العربى أو القمرى بهذا الاسم : لعلهم راعوا المناسبة عندما حدثت التسمية ،فقد يكون رمضان إذ ذاك فى وقت الصيف .

دكتور
السيد رزق الطويل

ووراء حديث اللغويين ، والنحويين عن رمضان ، ومنعه من الصرف بسبب أنه علم مختوم بألف ونون مزيدتين لى حديث آخر عن ذلك الشهر الكريم ،ففيه مشرق الرسالة الخاتمة ، وفيه انتصارها العظيم ، كما حدث فى أيامه المباركة الفتح الكبير ومن عجب أن يظل هذا الشهر ميدانا للكفاح المظفر على امتداد التاريخ الاسلامى كما يشاء الله أن يكون ميقاتا سنويا تتربى فيه الأمة المسلمة على المعاناة الجادة لتنشأ صلة العود فى مواجهة الأحداث .

رمضان مشرق الرسالة ووعاء الانتصارات

مشرق الرسالة :

من الحقائق التى لاريب فيها أن رســـالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم قد أشرقت على بطحاء مكة وجبالها الشامخة ، ومسالكها الوعرة خلال شهر رمضان ، ومنها انبعثت الى أرجاء الجزيرة ، ثم الى العالم كله . يقول تبارك وتعالى : (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ، هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**) .

فالقرآن الكريم نزل فى رمضان ، فقـــد تلقى الرسول عليه الصلاة والسلام الآيات الاولى مـن الكتاب العزيز وهو فى غار حراء ، يتعبد متأمـلا فى ملكوت السموات والأرض عازفا عما تورط فيه أهـل مكة من انحراف عن سنن العقيـــدة القديمـــة ، والحنيفية السمحة ، ومناهجها الاخلاقية السليمة ــ تدعوه وتدعو من ورائه قومه جميعا الى العلم منهاجا لمعرفة الله ، ولدينه الحق الذى ارتضـــاه ، وكان الأمر بالقراءة هو الخطـــوة الأولى ، أو المنطلق الصحيح نحو العلم الشامل . اذ يقول تعـــالى فى هذه الآيات : (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**) .

واذا قلنا : ان هذه الآيات من القرآن الكـريم تعتبر أول وأقوم دعوة لمحاربة الأمية على أسـاس الايمان فنحن نقرر حقيقة نذهل عنها ، ولانقـــف أمامها أمام زحمة الحوادث التى تعمر بها أيام الشهر الكريم ولياليه .

ونزول القرآن الكريم فى رمضان يضفى على ذلك الشهر مكانة كبيرة ، اذ القرآن الكريم هو شريعـة الله ، ودستوره فى الحياة ، والمنارة التى يهتـدى بها المسلمون اذا تكاثفت على سمائهم سحب الفكـر الدخيل ، وهو الفرقان بين الحق والباطل ، فالفكـر الزائف لايثبت أمامه ، ولاتستقر به قدمه (**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**) .

الانتصار الرمضانى :

وتتحرك الدعوة الاسلامية تشق طريقها وسـط خطوب عظيمة ، وعقبات صعبة ، ويعانى أبناؤها من بغى المشركين ، وعنادهم ، واضطهادهم وعنتهـم ، وينتهى الامر بهجرة الداعية والدعوة ، وتقوم على أرض يثرب للدعوة دولة ، تواجه مصيرها من الكفاح الذى فرض عليها ، كما قال جل شأنه : (**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**) وسلسلة الكفاح متصـلة الحلقات لايكاد يخلو عام من خـــروج لصد بغى ، وابطال كيد ، أو مواجهة لعدو قادم يفرض نفسـه على أبواب المدينة .

وفى شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وهو أول رمضان يصومه المسلمون يجدون أنفسهم أمام معركة رهيبـــة مع قريش عند بدر ، لا تكافؤ بين الجانبين فى العدد أو العدد ، لكن القلة من أصحاب النبى صـلى الله عليه وســـلم يملكون مالايملكه المشركون ، يملكون الايمان الصادق ، وأنهم يرجون من الله ما ليس من حق قريش أن ترجوه .. فأخذوا بكل أسباب العدو ، ودخلوا الحرب واستغاثوا بالله

فأمدهم بجنود لم يروها (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ، وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

وانجلت المعركة عن نتيجة حاسمة لم يتوقعها جبابرة مكة ، وكانت بمثابة بشرى وآية تأييد للفتية المؤمنة فى المدينة ، وسقط فى لهيب بدر سبعون من عظماء قريش صرعى ، ووقع منهم سبعون أسرى فى يد المسلمين .

وثبتت أقدام الدولة الناشئة ، وتسامع العرب بعد الانتصار الرمضانى أن محمدا المهاجر من مكة أصبح له قوى يحسب لها كل حساب فى المدينة .

وسارت أحداث الكفاح الدامى على خطها المقدور ، والحرب سجال ينتصر فيه المسلمون ويمتحنون ، وفى الامتحان دروس فى الايمان واليقين أبلغ من دروس الانتصار .

الفتح الرمضانى :

وما تمر على هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ثمانى سنوات ، ويأتى رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، ليلف المسلمين بأنواره ، الطيبة ، ويحتويهم بخيره وبره ، وسماته الحبيبة الى نفوس المؤمنين ، ويسمع النبى صلى الله عليه وسلم أن قريشا قد نقضت عهد الحديبية اذ انتصرت لبكر حليفتها على خزاعة حليفة النبى محمد صلى الله عليه وسلم . ويدعو النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين فى رمضان للخروج الى مكة وقد امتلات القلوب بأمل الفتح ، واستحوذ عليها بشرى الانتصار الوشيك باذن الله ، وخرج آلاف من المسلمين نحو العشرة وراء النبى صلى عليه وسلم ، وأسلم أبو سفيان للنبى صلى الله عليه وسلم على مشارف البلد الآمن ، ودخلها المسلمون من أربع جهات ، والنبى صلى الله عليه وسلم يأتى الى بابها وتقع عينه على حرمها المقدس فيطأطىء رأسه حتى يمس ظهر راحلته شكرا للكبير المتعال الذى نصر عبده وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

ويستسلم الجبابرة من قريش أمام أخيهم النبى الهادى ولا أقول الفاتح وقد توقعوا منه مالم يره هو منهم منذ ثمانى سنوات . وياله من موقف عظيم تحتبس فيه أنفاس التاريخ ليسجل بكل دقة الأحداث الكبار لمحمد الانسان الذى أدب بأدب الرحمن ، فكان من منهجه الخلقى أن من يملك العفو أقوى من يملك الانتقام !!

فماذا كان ؟ قال لقومه : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا .. أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وأعاد الأمن للبلد الآمن .. فمن دخل بيته فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل بيت أبى سفيان فهو آمن .

وبدخول مكة فى ظلال الاسلام الوارفة تسابق العرب من أنحاء الجزيرة اليه وأتت الوفود تترى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلن اسلامها بين يديه ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وأذعنت الجزيرة كلها لدين الله عندما أذعن له أهل مكة .

ولم تتوقف الفتوح الاسلامية فى رمضان .

بل ظل هذا الشهر حافزا للهمم ، محركا للعزائم ، وكان كريما للانتصارات الكبيرة والعظيمة على امتداد حركة التاريخ .

فقد تم للمسلمين فتح الأندلس فى رمضان ، فتحرك المد الاسلامى بالدعوة الى الله وبالخير والحضارة وبانقاذ الانسان من استعباد أخيه

رمضان
مشرق الرسالة

الانسان في الشرق والغرب جميعا . وكادت الدائرة تتلاقى في أطرافها لولا هفوات ونزوات لا يخلو منها البشر أوقفت جيوش المسلمين على أبواب فرنسا •

وعندما يدلهم خطب ، أو يحيط بالمسلمين كرب ، فيفزعون الى الله والى دينه الحق يسعفهم الله بفتح رمضانى •

يثبت الصليبيون أقدامهم على الأرض الشامية ، ويقيمون امارات في القدس وصور ، وصيدا ، وعكا وغيرها ، وتمر السنون تلو السنين ، وهم يظنون أن موجات غزوهم المتتابعة قد أثمرت ، ويأتى صلاح الدين الأيوبى ، وتتحد تحت لواء الاسلام الذى يجمله الأمة الممزقة ، وتأتى معركة رمضانية فاصلة في حطين عام ١١٨٧ م وتتهاوى بعدها قلاعهم وحصونهم ، ويسلمون القدس لتعود مرة أخرى في رحاب المسلمين •

وتتحرك جحافل التتار من الشرق في غزوات مدمرة رهيبة لا تبقى ولا تذر في منتصف القرن السابع الهجرى ، وتأتى على كل ما يقابلها من البلاد والعباد ، وتسقط بغداد حاضرة الخلافة الاسلامية ويقتل العلماء والأدباء ، ويلقى بمكتباتها الحافلة بالكتب الثمينة التى تضم ثقافة الاسلام الرفيعة في نهر دجلة ، ويستولى الروع على الناس في كل مكان ، ينتظرون اليوم الذى يحل فيه بهم ما حل ببغداد ، وينطلق هولاكو في طريقه الى مغرب العالم الاسلامى بعد أن دمر مشرقه • وعلى أبواب مصر ، وعند عين جالوت ، في معركة رمضانية رائعة يخرج فيها أبناء مصر ومماليكها بقيادة سيف الدين قطز ، ويشتد القتال ، ويعنف ، فيرمى القائد المسلم بخوذته ويصرخ في جنوده صرخة تزلزلت الأرض تحت العدو ، كما وثبت قلوب جنده حماسة وحمية وهو يقول : وا اسلاماه •• ويتهاوى الفيلق الضخم ، ويتراجع ، ويتساقط من جنده آلاف القتلى ، ويطاردهم المصريون المسلمون حتى يخرجوهم من دمشق أيضا •

كل هذا في رمضان •

ولاتزال في أسماعنا بقايا هتافات جنودنا على ظهر القناة وهم يصرخون : الله أكبر فعبروا المانع المائى، ومسحوا عار الهزيمة ، وحطموا خط بارليف الحصين كما حطموا معه صلف اسرائيل •

وليس عجيبا اذن أن يختار العليم الحكيم هذا الشهر العظيم ، وهو في علمه الأزلى ، وقدره الحكيم وعاء الانتصارات المتتالية لأمة الاسلام في فجر نهضتها •• وكذا فيما بعد في فترات صحوتها ليكون ميقاتا لعبادة الصيام التى تعنى مجاهدة النفس ، ومغالبة الشهوة ، والكف عما أحل الله من طعام وشراب وملذات شتى ليتربى الفرد المسلم على قوة الارادة ، وصلابة العزيمة ، ليستعين بهذا الخلق الذى تعلمه من الصيام في رمضان على مواجهة مغريات الحياة وضلالها ، ويتسنى له البعد عن المحرمات التى حذره الله من الوقوع فيها ، وليكون دائما محصنا بمراقبة الله وخشيته ، لتصون هذه المراقبة سلوكه من الزلل ، وخلقه من الشطط ، وقلبه من همزات الشياطين •• وهذه هى الحكمة التى سجلها القرآن الكريم ، اذ يقول تعالى : **« يَٰأيها الذين آمنوا كُتِب عليكم الصيام كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقونَ »**

فاذا قلنا ان الجهاد بكل ميادينه منهج رمضانى فاننا بهذا لم نتجاوز الحق ، ولم نخالف الواقع التاريخى للمسلمين • والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

دكتور السيد رزق الطويل

- الترمذى
- ابن هبيرة
- بقىّ بن مخلد

أعلام الإسلام

- سفيان الثورى

الإمام

من أئمة الحديث النبوى

هو امام من أئمة المسلمين وعلم من اعلام المحدثين له فى الحديث قدم راسخة ، وباع واسع • عاش حياته المباركة فى جو علمى اسلامى ، فانطلقت مواهبه فى مناخ علمى مزدهر بنهضة تدوين حديث رسول الله زمانا ومكانا • أما الزمان فهو القرن الثالث الهجرى العصر الذهبى لتدوين السنة ، ظهرت فيه كتب الصحاح ، ومنها « جامع الترمذى » •

وأما المكان ، فبلاد ما وراء النهر (نهر جيحون) أرض العلماء سمت برجال الحديث : محمد بن اسماعيل البخارى ، ومسلم بن الحجاج النيسابورى ، وامامنا أبو عيسى الترمذى •

وهو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى البوغى الترمذى الضرير •

ولد فى مطلع القرن الثالث الهجرى فى ذى الحجة سنة تسع ومائتين من الهجرة ، فى قرية من قرى مدينة « ترمذ » تسمى « بوغ » بينها وبين « ترمذ » ستة فراسخ الى مرو — والعجم ينسبون على غير قياس « بالزاى والياء معا » •

ثم انتقل جده أيام الليث بن يسار الى « بوغ » — والسلمى نسبة الى « بنى سليم » قبيلة من غيلان ، وتوفى « أبو عيسى » فى بلدته « بوغ » فى رجب سنة ٢٧٩ هـ • وقد أصبح الترمذى ضريرا فى آخر عمره ، ولم يولد ضريرا •

قال محدث خراسان الحاكم أبو أحمد ، سمعت عمران بن علان يقول : مات محمد بن اسماعيل البخارى ، ولم تخلف بخراسان مثل أبى عيسى فى العلم والورع ، بكى حتى عمى •

عاش الترمذى للحديث ، ورحل اليه حيثما وجد فسمع من الخراسانيين والحجازيين والعراقيين ، وهو تلميذ امام المحدثين البخارى وخريجه •

وتأثر به ولا سيما فى فقه الحديث ، وناظر ، وناقشه ، وروى عنه البخارى حديثا ، وهذه مكانته وشهادة تقدر حق القدر فى عرف المحدثين ، وتدل على مكانة الترمذى فى نظر أئمة الحديث ، وسمع الترمذى من الامام مسلم بن الحجاج ، وأبى داود ، واشترك مع أقرانه الأئمة الخمسة أصحاب الكتب المعتمدة ، وأصحاب نهضة الحديث فى القرن الثالث وهم :

الامام البخارى ، والامام مسلم بن الحجاج

الترمذي

للدكتور الحسيني هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

النيسابوري والامام أبو داود السجستاني ، والامام النسائي أحمد بن شعيب ، والامام بن ماجه محمد ابن يزيد .

اشترك معهم فى تسعة شيوخ وهم : محمد بن بشار بندار ، ومحمد بن المثنى أبو موسى ، وزياد بن يحيى الحسانى ، وعباس بن عبد العظيم العنبرى ، وأبو سعيد الأشج عبد الله ابن سعيد الكندى ، وأبو حفص عمرو بن على الفلاسى ، ويعقوب بن ابراهيم الدورقى ، ومحمد بن معمر القيسى البحرانى ونصر بن على الجهضمى ، وقد أدرك أبو عيسى الترمذى شيوخا أقدم من هؤلاء وسمع منهم ، وروى عنهم فى كتابه الجامع . منهم عبد الله ابن معاوية الجمحي،وعلى بن حجر المروزى،وسويد ابن نصر بن سويد المروزى وقتيبة بن سعيد الثقفى أبو رجاء ، أبو مصعب أحمد ابن أبى بكر الزهرى المدنى وغيرهم .

قوة حفظه :

للمحدثين ألقاب علمية فى غاية الدقة هى شهادات تقدير لهم ، تعطى لهم من الأئمة ومن المجتمع الاسلامى من هذه الألقاب المسند ، وهو من يروى الحديث باسناده سواء أكان عنده بمعناه أم لم يكن له الا مجرد الرواية فى دقة وحرص .

والمحدث : وهو أعلى شأنا من المسند بحيث يعرف الأسانيد والعلل ، وأسماء الرجال ، ويحفظ الكثير من فنون الأحاديث .

والحافظ ، وهو أعلى الدرجات العلمية لأنه يشترط أن يكون عالما بشيوخه وشيوخ شيوخه .

مكانته عند الائمة :

لقد شهد الترمذى أئمة العلماء وزخرت بالثناء عليه كتب الطبقات . قال ابن الأثير فى تاريخه ، كان الترمذى اماما حافظا له تصانيف حسنة ، منها الجامع الكبير ، وهو أحسن الكتب .

وقال ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب ، كان مبرزا على الأقران ، آية فى الحفظ والاتقان .

وقال المزى فى التهذيب بأنه «الحافظ صاحب الجامع وغيره من المصنفات أحد الائمة الحفاظ المبرزين ، ومن نفع الله به المسلمين ، ووصفه السمعانى بأنه » امام عصره بلا مدافعه ، وقال عليه صاحب مفتاح السعادة .

« هو أحد العلماء الحفاظ الأعلام ، وله فى الفقه يد صالحة أخذت الحديث عن جماعة من الأئمة ، ولقى الصدر الأول من المشايخ » .

وقال الذهبى فى الميزان ، الحافظ العلم صاحب الجامع ثقة مجمع عليه ، ولا التفات الى قول أبى

الإمام الترمذى

محمد بن حزم فى الفرائض من كتاب الايصال أنه مجهول ، فانه ما عرف ، ولا درى بوجود الجامع ولا العلل له .

وقال الحافظ بن حجر فى التهذيب « وأما أبو محمد ابن حزم فانه نادى على نفسه بعدم الاطلاع ، فقال فى كتاب الفرائض محمد عيسى بن سورة مجهول ، ولا يقولن قائل : لعله ما عرف الترمذى ، ولا اضطلع على حفظه ، ولا على تصانيفه ، فان هذا الرجل ، قد أطلق هذه العبارة فى خلق من المشهورين من الثقات الحفاظ » .

وفى التهذيب عن نصر بن محمد الشيراكوهى يقول :

سمعت محمد بن عيسى الترمذى يقول : قال لى محمد بن اسماعيل البخارى : « ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بى » وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال فيه : **كان محمد ممن جمع وصنف وحفظ . والامام الترمذى صاحب الجامع من الأئمة الأساتة الذين حرسوا سنة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وأصبحت كتبهم فى عالم السنة هى الأصول المعتمدة فى الحديث ومن الذين نضر الله وجوهم لأنه سمع** حديث رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فأداه كما سمعه . « كتاب الشمائل النبوية للترمذى » .

ان مؤلفات الترمذى التى طبقت شهرتها الآفاق ، واستحق بها الامامة ، هى كتاب الجامع للسنن ، ويعتبر كتاب « العلل ــ الصغرى » ضمن كتاب الجامع ، كمدخل له ، وجزء منه ، وبيان لنهجه .

والكتاب الثانى « كتاب الشمائل المحمدية ، وهما الكتابان الموجودان » .

ومن الكتب التى للترمذى وفقدت ، وذكرتها كتب الطبقات والتاريخ « كتاب العلل الكبرى » وكتاب التفسير وكتاب التاريخ وكتاب الأسماء والكنى وكتاب الشمائل من الكتب النفيسة القيمة ، وذكر له «بروكلمان» فى تاريخ الأدب العربى أكثر من عشرين شرحا ومختصرا ، والنسخة التى اعتمد عليها هى طبعة القاهرة « مصطفى الحلبى » كتاب « جمع الوسائل فى شرح الشمائل لعلم الرواية والدراية للامام الترمذى ، وتقع فى جزءين بالحجم الكبير » الجزء الأول الى صحيفة ٣٥٦ ، والثانى به ٢٤٠ صحيفه شرح العلاقه على بن سلطان من القارئى محمد القارئى الحنفى نزيل مكة ، وبهامشه شرح المحدث الشيخ عبد الرءوف المناوى المصرى المتوفى سنة ١٠٠٣ هـ على متن الشمائل .

وقد ابتدأ الامام الترمذى كتاب الشمائل بباب ما جاء فى خلق رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال أبو عيسى أخبرنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن ربيعة بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك أنه سمعه يقول : **كان رسول الله « صلى الله عليه وسلم» ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق ، ولا بالآدم ، ولا بالجعد القطط ، ولا بالسبط، بعثه الله على رأس أربعين سنة ، فأقام بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، فتوفاه الله على رأس ستين سنة ، وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .**

جامع الترمذى :

هو الكتاب الذى أصبح به الترمذى اماما فى الحديث ، وهو أشهر كتبه وأجلها ، ويسمى « جامع الترمذى » وسنن الترمذى ، وسماه الحاكم أبو عبد الله الخطيب البغدادى « الجامع الصحيح » للترمذى ، أو « صحيح الترمذى » وقد وصفه الترمذى وسماه بالصحيح ــ روى ابن كثير فى تاريخه عن الترمذى أنه قال « **صنفت هذا المسند الصحيح وعرضته على علماء الحجاز فرضوا به ، وعرضته على علماء العراق فرضوا به وعرضته على علماء خراسان فرضوا به ، ومن كان فى بيته هذا**

الكتاب ، فكأنما فى بيته نبى ينطق » .

وقال المجد بن الأثير فى مقدمة جامع الأصول « وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب وأكثرها فائدة وأحسنها ترتيبا ، وأقلها تكرارا وفيه ما ليس فى غيره من ذكر المذاهب ، ووجوه الاستدلال وتبين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب . وفيه جرح وتعديل ، وفى آخر كتاب العلل ، وقد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها .

شروط الترمذى :

ان الشروط المعتبرة والمتفق عليها عند أئمة الحديث ، ومنهم الامام الترمذى بالنسبة لصحة الحديث « الاسلام والعقل والصدق والحفظ وعدالة الرواة ، وعنايتهم بالحديث ، وعدم التدليس ، ثم استنبط المجتهدون الشروط الخاصة بعد ذلك لكل امام من كتبهم ، أو أقوالهم . فقال أبو الفضل محمد ابن طاهر المقدسى فى شروط الأئمة الستة ، وأما أبو عيسى فكتابه وحده على أربعة أقسام ، قسم صحيح مقطوع به ، وهو ما وافق فيه البخارى ومسلم ، وقسم على شرط الثلاثة « أبى داود والنسائى وابن ماجه » وقسم آخر للضدية أبان علته ولم يغفله ، وقسم رابع أبان هو عنه ، وقال : ما أخرجت فى كتابى الا حديثا قد عمل به الفقهاء .

والواقع أن رأى المقدسى فى شرط الترمذى تفسيره على هذا الوجه اجتهاد ومحمود ، وان كان يحتاج الى المناقشة فهو غير مسلم على اطلاقه ، فلا يفهم من قول الترمذى **« ما أخرجت فى كتابى الا حديثا قد عمل به الفقهاء ، انه يخرج كل حديث احتج به محتج ، أو عمل بموجبه عامل ، سواء صح طريقه أو لم يصح ، بل كان يفهم ذلك ، لو قال الترمذى بأنه يحتج بكل حديث احتج به الفقهاء»** .

وفرق بين التعبيرين ، لجواز أنه ينبغى مما يحتج به الفقهاء ما توافرت فيه شروط خاصة فى نظره ، ثم ان هذا الشرط الذى قال به الترمذى ، ليس بقسم خاص من كتابه كما يفهم من كلام المقدسى ، وانما ينطبق على كل ما أخرجه فى كتابه والذى قال به الترمذى فى آخر كتابه الجامع الصحيح : « جميع مافى هذا الكتاب من الحديث فهو معمول به » وقد أخذ بعض أهل العلم ما خلا حديثين : حديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر بالمدينة ، والمغرب والعشاء من غير خوف ولا سفر » وحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم : قال : « اذا شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فى الربعة فاقتلوه » ، وبينا علة الحديثين جميعا فى الكتاب » أ هـ .

وان الامام الترمذى ببيانه درجة الحديث استحق أن نطلق على كتابه الجامع الصحيح فقد قال احمد شاه ، ولى الله الدهلوى فى كتابه « حجة الله البالغة » والصحة أن يشترط مؤلف الكتاب على نفسه ايراد ما صح أو حسن غير مقلوب ولا شاذ ولا ضعيف ، الا مع بيان حاله . فان ايراد الضعيف مع بيان حاله لا يقدح فى الكتاب وقد أنصف المقدسى ، وأبان ذلك بقوله ، وقد أزاح عن نفسه الكلام فانه شفى فى تصنيفه وتكلم على كل حديث بما يقتضيه .

دكتور الحسينى هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث

من أعلام الإسلام

تبدو أهمية تراجم أعـــلام الاسلام : أنهم نماذج مضيئة تبين أثر الاسلام ومبادئه وتعاليمـه فى ابنائه الذين التزموا به وحكموه فى كل اعمالهم ، وجسدوه فى كــل تصرفاتهم ، فاشرقت الدنيا بهم ، وتحقق العدل على أيديهم ، وكان الأمن والأمان فى رحابهم ، وتركوا من بعدهم العمل الصالح والعلـم النافع ، فهم قدوة للشباب المسلم أن يمضى على درسهم ، ويأخـذ باسبابهم ، فيكون خير خلف لأعظم سلف .

ومن هؤلاء الاعلام : الامام ابن هبيرة .

ابن هبيرة

معالم حياته :

* هـو يحيى بن محمــد بن هبيرة ، ويكنى أبا المظفر ، ويلقب بعـون الدين ، وينعت بالوزير العـادل .

* ولد فى ربيع آخر سنة تسع وتسعين وأربعمائة بقرية بنى أوقر ، وهى قريبة من بغداد . وعرفت فيما بعد باسـم الوزير ابن هبيرة ، لانه أقام فيها مسجداومدرسة على ماذكر ياقوت فى معجم البلدان.

* ويبدو لنا أن ابن هبيرة من أسرة فقيرة شغلها طلب الرزق عـن طلب العلم . فابن الجـوزى وهو صاحب ابن هبيرة وقريب منه ــ ينقل لنا عنه انه كان فى مطلع حياته شديد الفقر حتى أنه كـان

لا يجد رغيف الخبز ليعبر به نهر دجلة . وقد أشار ابن خلكان أن والد ابن هبيرة كان جنديا .

* ولم يمنع الفقر ابن هبيرة عن طلب العلم والحرص عليه ، فدخل بغداد شابا ، وجالس الفقهاء والعلماء والادباء ، وسمع الكثير من الحديث ، وحصل من كل فن طرفا ، فاطلع على أيام العرب وأحوال الناس ، وحفظ كتاب الله وختمه بالقراءات والروايات ، وتعلم صناعة الانشاء .

* سعى لكسب الرزق فعمل فى المخازن السلطانية ، فتجلت أمانته وكفاءته . فقلد الاشراف والرقابة على المخازن ، فبان نصحه ، فتولى فى سنة ٥٤٢ هـ رئاسة المخازن أى صاحب الديوان .

* ظهر للخليفة العباس المقتفى بأمر الله (٥٥٥هـ) كفاءة ابن هبيرة للقيام فى مهام الملك .. فاستدعاه فى سنة ٥٤٤ هـ الى داره وقلده الوزارة . وهو أمر يدل على وجود الفرصة المتاحة لكل مسلم للوصول الى أعلى المناصب على أساس من الكفاءة والجدارة .

* اتبع ابن هبيرة الحق فى الحكم وحذر الظلم فحقق العدل . وقرب خيار الناس من الفقهاء والمحدثين والصالحين اليه ، وكانت أمواله مبذولة لهم ولتدبير الدولة ، وارتفع به أهل السنة غاية الارتفاع . ونقل لنا ابن الجوزى عنه أنه قال أثناء وزارته :

والله لقد كنت أسال الله تعالى الدنيا لاخدم بما يرزقنيه الله منها العلم وأهله .. وكانت السنة تدور وعليه بعض الديون حتى قال فيه بعض الشعراء :

يقولون يحيى لا زكاة له
وكيف يزكى المال من هو باذله
اذا دار حول لا يرى فى بيوته
من المال الا ذِكْرُه وفضائله

* لم تكشف المصادر التى بين أيدينا عن المحن

للدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد

التى مر بها الوزير ابن هبيرة بصراحة ، ولكن بعض الاشارات تدل على أنه له لبعض الحاقدين والاعداء وصل بهم الامر الى تحريض الطبيب الذى يعالجه أن يدس له السم فى الدواء مما أدى الى استشهاده يصف لنا ابن الجوزى الفترة الأخيرة من حياة ابن هبيرة فيقول : (كان الوزير يتأسف على ما مضى من زمانه ، ويندم على ما دخل فيه ، ثم صار يسأل الله عز وجل الشهادة ، ويتعرض بأسبابها ، وكان صحيحا يوم السبت ثانى عشر جمادى الاولى سنة ستين وخمسمائة . فنام ليلة الاحد فى عافية ، فلما كان وقت السحر قاء ، فأحضر طبيبا كان يخدمه فسقاه شيئا ، فيقال أنه سمه فمات ، وسقى الطبيب بعده بنحو ستة أشهر فكان يقول : سقيت كما سقيت ومات الطبيب ، واسمه ابن رشاده) . ويحكى لنا ابن الجوزى رؤية صادقة له فى حق ابن هبيرة ، ويؤكد أن الوزير مات مسموما فيقول : كنت ليلة مات الوزير نائما على سطح مع أصحابى ، فرأيت فى المنام كأنى فى دار الوزير وهوجالس ، فدخل رجل بيده حربة قصيرة ، فضربه بها بين انثييه فخرج الدم كالفوارة فضرب الحائط ، فالتفت فاذا بخاتم من ذهب ملقى ، فأخذته وقلت لمن أعطيه ؟ انتظر خادما يخرج فأعطيه اياه ؛ وانتبهت ، وحدثت أصحابى بالرؤيا ، فلم أستتم الحديث حتى جاء رجل فقال : مات الوزير ، فقال بعض الحاضرين : هذا محال أنا فارقته أمس العصر ، وهو فى كل عافية ، وجاء آخر وصح الحديث . وقال لى ولده : لابد أن تغسله ، فأخذت فى غسله ، ورفعت يده لأغسل مغابنه (مطاوى البدن مثل الابط وغيره)

ابن هبيرة

قال : فسقط الخاتم من يده ، فحين رأيت الخاتم تعجبت من المنام • وقال ابن الجوزى : ورأيت فى وقت غسله آثارا فى وجهه وجسده تدل على أنه مسموم •

والشاهد الثانى على ما نقول أثبته ابن رجب فى ذيل طبقات الحنابلة اذ قال (فلما بيعت كتبه بعد موته اشتراها بعض الاعداء فغسلها) •

ونستنتج من هذا النص أن ابن هبيرة مات معدما ، حتى أن ورثته عرضوا مصنفاته التى بخط يده فضلا عما اقتناه من كتب للبيع ، وان لابن هبيرة أعداء لم يكفهم قتله واستشهاده بل سعوا الى محو ذكراه بما ترك من علم ينتفع به بعد وفاته بمحو مصنفاته • ولعل هذا هو السبب الذى يبرر لنا أنه لم يصل الينا من مؤلفات ابن هبيرة سوى أجزاء من كتابه (الافصاح عن المعانى الصحاح) • وكفى بها شاهدا على أصالة ابن هبيرة فى الحديث والفقه واللغة •

* وينقل لنا ابن رجب عن أبى بكر التيمى الذى أفرد كتابا لسيرة الوزير ابن هبيرة — لم يصل الينا — أن الوزير بعد أن تناول المشروب من طبيبه استفرغ ، ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة ، وصلى قاعدا ، فسجد فأبطأ عن القعود من السجود ، فحركوه فاذا هو ميت •

ولما خرجت جنازته غلقت أسواق بغداد ، ولم يتخلف عن جنازته أحد ، وصلى عليه فى جامع القصر ، ودفن فى مدرسته التى أنشأها •

شيوخ ابن هبيرة :

* ثبت باستقراء الواقع أن المرء يتأثر بمن حوله من والديه وأساتذته وأصحابه ، وتتكون مبادئه وقيمه منهم ، وان اختلفت درجة التأثير ، ولعل أكثرها أثرا التى تكون فى سن الحداثة ، وقد أشرنا من قبل أن والد ابن هبيرة كان جنديا ، ولم يكن من أهل العلم ، وان كان يبدو لنا أنه قد غرس فى ولده حب العلم ، لأن الوالد فى غير قليل من الاحيان يود أن يحقق ذاته فى أولاده ، ويعوض ما حرم منه فيهم ، وصادف ذلك ميلا أصيلا لدى ابن هبيرة من حب العلم وطلبه •

وقد تأثر ابن هبيرة بأخلاق أساتذته ، ولعل عمق زهد ابن هبيرة يرجع الى الزبيدى (الواعظ الزاهد) المتوفى ٥٥٥ هـ ، فقد صاحبه ابن هبيرة فى حداثته ، وكان الزبيدى على طريقة السلف فى الأصول ، حنفى المذهب فى الفروع ، وكان يقول الحق وان كان مرا ، وكان بارعا فى النحو ، وبدا أثر ذلك فى ابن هبيرة وله مؤلف فى النحو ، وكان يقول الحق ولا يخاف فيه لوم لائم •

* وسمع ابن هبيرة الحديث الكثير من حفاظ عصره المشهود لهم بالرواية والدراسة مع الورع منهم :

— أبو الحسن الزغوانى ، وهو على بن عبيد الله ابن نصر ، أحد أعيان المذهب الحنبلى ، ولد سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، وكان متقنا فى الحديث والأصول والفروع والوعظ ، وصنف فى ذلك كله ، وتوفى يوم الأحد سادس عشر المحرم سنة سبع وعشرين وخمسمائة •

— عبد الوهاب الانماطى ، ويكنى أبا البركات ، ويلقب بـ « محدث بغداد » • كان ثقة ثبتا ، ذا دين وورع ، وقد نصب نفسه لتسميع الحديث طول النهار ، ولم يكن يأخذ أجرا على العلم ، توفى يوم الخميس الحادى عشر من محرم سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة •

— أبو غالب البناء : كان يلقب «بمسند العراق»، وتوفى فى ربيع الأول من سنة سبع وعشرين وخمس مائة •

ـ أبو القاسم بن الحصين : ويلقب أيضا « بمسند العراق » ، وكان دينا صحيح السماع ، توفى يوم الاربعاء رابع عشر شوال من سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

* ومن شيوخ ابن هبيرة فى الفقه :

ـ أبو الحسين الفراء ، الملقب بالقاضى الشهيد، وهو ولد أبى يعلى الفراء ، وكان عارفا بالمذهب الحنبلى متشددا فى السنة ، ومات مقتولا فى٥٢٦ هـ.

ـ أبو بكر الدينورى ، أحد أئمة المذهب الحنبلى، وله فيه كتاب « التحقيق فى مسائل التعليق » ، وتوفى فى غرة جمادى الاولى سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة .

أخلاق ابن هبيرة :

يبدو لنا أن الوزير ابن هبيرة كان عبدا لله تقيا ، يلتزم بأوامره ويبتعد عن نواهيه ، ويتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ويقتدى به ، فكان على خلق عظيم ، فقد كانت غايته ارضاء الله سبحانه وتعالى ، وتقديم صالح الأعمال ، والاسهام فى العمل النافع ، وكان متواضعا لله ، يحاسب النفس ، ويصبر فى الشدة ، ويعفو عند المقدرة ، فلم يكن غريبا أن يكون مستجاب الدعوة ، وان يحقق الله رجاءه وينتهى أجله شهيدا .

*** فمن مظاهر ايمانه وثقته بالله وورعه :**

انه قد ضاقت يده فى مطالع حياته حتى فقد القوت أياما ، فخرج من بلدته قاصدا بغداد للعمل ، وفى الطريق رأى مسجدا مهجورا ، فدخل وصلى فيه ركعتين ، واذ بمريض ملقى على حصيرة قديمة متهالكة ، فقعد عند رأسه ، وسأله عما يشتهى ؟ فقال : سفرجلة ، فخرج الى بقال ، ورهن مئزره على سفرجلتين وتفاحة وأتى بهما ، فأكل المريض من السفرجلة ، ثم أمره بغلق باب المسجد ، فأغلقه، فأعطاه وعاء صفيحى ، وقال : خذ فأنت أحق به . فسأله ابن هبيرة عما اذا كان له وارثا ، فقال :لا ، وانما لى أخ وعهدى به بعيد ، وبلغنى أنه مات ، ونحن من الرصافة ، ثم مات أثناء حديثه ، فغسله ابن هبيرة وكفنه ودفنه ، ثم أخذ « الكوز » وفيه مقدار خمسمائة دينار ، ومضى الى دجلة ليعبرها ، فاذ بملاح فى سفينة عتيقة وعليه ثياب رثة ، فقال : معى معى ، فنزل معه ، واذا به من أكثر الناس شبها بذلك الرجل ، فسأله : من أين أنت ؟ فقال : من الرصافة ، ولى بنات ، وأنا صعلوك ، فسأله : مالك أحد ؟ قال : لا ، كان لى أخ ولى عنه زمان ، ما أدرى ما فعل الله به .

فقال ابن هبيرة له : ابسط حجرك ، فبسطه ، فصب المال فيه ، فبهت ، فحدثه الحديث ، فطلب منه أن يأخذ نصفه فقال : لا ، والشاهد من هذه الواقعة انه على الرغم من شدة حاجة ابن هبيرة الى المال ، وقد جاءه هبة من صاحبه ، بيد أنه لورعه وتقواه رأى أن النية الحقيقية لصاحب المال أن يصل الى ورثته فان عدم ذلك فله ، وان الوارث أحق بأموال المورث وان وهب المورث المال لغير الوراث .

لذلك لم يمكن غريبا أن يسأل الله تحقيق حاجته فى أن يجد عملا يسد به جوعته ، وأن يمضى الى دار الخليفة بالطلب ، فاذ اسناد العمل بالمخازن .

*** ومن صور محاسبته لنفسه ، أنهم أضافوا الى ألقابه فى الوزارة « سيد الوزراء » فيأبى ، ويقول : ان الله تعالى سمى هارون وزيرا ، وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم (ان وزيريه من أهل السماء : جبريل وميكائيل ، ومن أهل الارض : أبو بكر وعمر) وجاء عنه أنه قال (ان الله اختارنى ، واختار لى أصحابا فجعلهم وزراء وأنصارا) فلا يصلح ان يقال عنى : أنى سيد هؤلاء السادة .**

واقعة أخرى : ذكر مرة فى مجلسه مفردة للامام احمد تفرد بها عن الثلاثة (أبو حنيفة ، مالك ، الشافعى) ، فادعى أبو محمد الاشترى المالكى :

انها رواية عن مالك ، ولم يوافقه على ذلك أحد ، وأحضر الوزير كتب مفردات أحمد ، وهى منها ، والمالكى مقيم على دعواه . فقال له الوزير : بهيمة أنت ؟ أما تسمع هؤلاء الائمة يشهدون بانفراد أحمد بها ، والكتب المصنفة ، وأنت تنازع وتفرق المجلس ؟

فلما كان المجلس الثانى ، واجتمع الخلق للسماع أخذ ابن شافع فى القراءة فمنعه ابن هبيرة . وقال : قد كان الفقيه أبو محمد جرىء فى مسألة أمس على ما لا يليق به عن العدول عن الادب والانحراف عن نهج النظر ، حتى قلت تلك الكلمة ، وها أنا فليقل لى كما قلت ، فلست بخيركم ، ولا أنا الا كأحدكم .. القصاص .. القصاص ولكن أبو محمد الاشترى صفح عنه .

* ومن صور تواضعه ما يحكيه صاحب سيرته (أبو بكر التيمى) مما شاهده بعينه فى مجالس ابن هبيرة : ان الحاجب (أبو الفضائل بن تركان) أسر لوزير بشىء لم يسمعه أحد . فقال له الوزير : أدخل الرجل ؟ فأبطأ ، فسأله : فقال الحاجب : ان معه شملة صوف مكورة . وقد قلت له : اتركها مع أحد الغلمان خارجا عن الستر وادخل ، قال لا أدخل الا وهى معى . فقال له الوزير : دعه يدخل وهى معه فخرج وعاد ، واذا معه شيخ طوال من أهل السواد ، عليه فوطة قطن وثوب خام ، وقال للوزير : ياسيدى أن أم فلان – يعنى أم ولده – لما علمت أنى متوجه اليك . قالت لى : بالله سلم على الشيخ يحيى عنى ، وادفع اليه هذه الشملة ، فقد خبزتها على اسمه ، فتبسم الوزير اليه وأقبل عليه ، وقال الهدية لمن حضر ، وأمر بحلها فحلت الشملة بين يديه ، فاذا فيها خبز شعير .. فأخذ الوزير منه رغيفين ، وقال هذا نصيبى ، وفرق الباقى على من حضر من صدور الدولة ، والسادة الاجله ، وسأله عن حوائجه جميعها ؟ وتقدم بقضائها فى الحال ، ثم التفت الى الجماعة وقال : هذا شيخ قد تقدمت صحبتى له قديما ، واختبرته فى زرع بيتنا فوجدته أمينا ، ويعقب صاحب سيرته فيقول (ولم يظهر منه تأفف بمقال الشيخ ، ولا تكبر عليه ، ولا أعرض عنه ، بل أحسن لقاءه ، وقضى حوائجه ، وأجزل عطاءه) .

* ومن صور شجاعته : انه حضر يوما فى دار الخلافة ، وحضر أرباب الدولة جميعا للصلاة على جنازة الامير اسماعيل بن المستظهر ، فسقطت من السقف أفعى عظيمة المقدار على كتف الوزير ، فما بقى أحد من أرباب الدولة وحواشى الخدمة الا خرج أو قام عن موضعه الا الوزير ، فانه التفت الى الأفعى ، وهى تسرح على كمه حتى وقعت على الارض ، وبادرها المماليك فقتلوها ولم يتحرك الوزير من مكانه ، ولا تغير فى هيئته ولا عباراته .

* ومن صور الصبر على المصيبة والاحتساب الاجر عند الله والحرص على متابعة مجلس الحديث : ان المجلس كان غاصا بولاة الدين والدنيا ، والاعيان الاماثل ، وابن شافع يقرأ الحديث ، اذ بصراخ بشع وصياح يرتفع من باب الستر وراء ظهر الوزير ، واضطرب المجلس وارتاع الحاضرون ، والوزير ساكن ساكت ، حتى أنهى ابن شافع قراءة الاسناد ومتنه ، ثم أشار الوزير الى الجماعة على رسلكم (استأذن) ، ثم قام ودخل الى الستر ولم يلبث ان خرج ، فجلس وتقدم بالقراءة ، فدعا له ابن شافع والحاضرون : وقالوا : قد أزعجنا ذلك الصياح ، فان رأى مولانا ان يعرفنا سببه ، فقال الوزير : حتى ينتهى المجلس . وعاد ابن شافع الى القراءة حتى غابت الشمس وقلوب الجماعة متعلقة بمعرفة الحال فعاودوه ، فقال : كان

لى ابن صغير مات حين سمعتم الصياح ، ولولا تعين الأمر بالمعروف فى الانكار عليهم ذلك الصياح لما قمت عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعجب الحاضرون من صبره .

*** ومن صور عفوه عند المقدرة : قدم رجل ومعه آخر ادعى عليه انه قتل أخاه . فقال له الوزير : اقتلته ؟ قال نعم : جرى بينى وبينه كلام فقتلته . فقال الخصم : سلمه الينا حتى نقتله فقد اقر بالقتل . فقال عون الدين : اطلقوه ولا تقتلوه . قالوا : كيف ذلك ، وقد قتل أخانا ؟ قال : فتبيعونيه ، فاشتراه منهم بستمائة دينار ، وسلم الذهب اليهم وذهبوا ، وقال للقاتل : اقعد عندنا لا تبرح . قال : فجلس عندهم ، واعطاه الوزير خمسين دينارا .**

يقول ابن الجوزى فسألنا الوزير : لقد أحسنت الى هذا وعملت معه أمرا عظيما وبالغت فى الاحسان اليه .

فقال الوزير : منكم أحد يعلم أن عينى اليمنى لا أبصر بها شيئا ؟

فقلنا : معاذ الله ، فقال : بلى والله .

اتدرون ما سبب ذلك ؟ قلنا : لا .

قال : هذا الذى خلصته من القتل جاء الى ، وأنا فى الدور ، ومعى كتاب فى الفقه أقرأ فيه ، ومعه سلة فاكهة ، فقال : احمل هذه السلة ، قلت له : هذا شغلى ، فاطلب غيرى ، فشاكلنى ولكمنى فقلع عينى ، ومضى ولم أره بعد ذلك الى يومى هذا . فذكرت ما صنع بى فأردت أن أقابل اساءته الى بالاحسان مع القدرة .

نقف مبهورين ازاء هذه الواقعة ، الوزير يسعى الى فك خصمه من يد غيره ، ولا تثريب عليه أن سلم الخصم لأهلية القتيل للقصاص منه ، بل كان يعد انزالا لحكم الشرع فى الواقعة ، واشفاء لغليل نفس فقدت بصرها بيد آثمة ، ولكن الشخصية التى تغلغلت فيها تعاليم الاسلام تطبق قول الله تعالى **(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)** (فصلت : ٣٤) تطبيقا على النفس قبل ان تطبقه على الغير ، فحق قول الله تعالى فى وصفها **(وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)** **(فصلت : ٣٥) .**

* ومن صور تمسكه بالسنة.أنه كان لا يلبس الحرير وان قدمه له خليفة المسلمين ، فقد خرج ابن هبيرة لدفع بعض البغاة وعند عودته ودخوله على الخليفة المقتفى قال له : ادخل هذا البيت فغير ثيابك ، يقول ابن هبيرة : فدخلت فاذا خادم وفراش ومعهم خلعة حرير ، فقلت : أنا والله ما ألبس هذه ، فخرج فأخبر المقتفى ، فسمع صوت المقتفى وهو يقول : قد والله قلت : أنه ما يلبس ، وعاد الخادم وعلى يده دست من ثياب الخليفة فأفاضه عليه . وكان ابن هبيرة لا يلبس ثوبا يزيد فيه الابريسيم على القطن ، فان شك فى ذلك سل من طاقاته ونظر : هل القطن أكثر أم الابريسيم ؟ فان استويا لم يلبسه أخذا بالاحوط ، ومن صور تمسكه بالسنة أيضا : انه لما استطال السلطان مسعود وأصحابه وأفسدوا عزم ابن هبيرة والخليفة على قتالهم ثم فكر ، فرأى أنه ليس من الاصوب مجاهرته لقوة شوكته . فدخل ابن هبيرة على المقتفى وقال : انى رأيت ان لا وجه فى هذا الامر الا الالتجاء الى الله تعالى وصدق الاعتماد عليه ، فبادر الخليفة الى تصديقه . وقال : ليس الا هذا ، ثم كتب للخليفة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا على « رعل » وذكوان شهرا ، وينبغى أن ندعو نحن شهر فأجابه بالامر بذلك .

قال الوزير : ثم لازمت الدعاء فى كل ليلة وقت السحر ، أجلس فادعو الله سبحانه ، فمات مسعود لتمام الشهر لم يزد يوما ولم ينقص يوما ، وأجابه الله الدعاء ، وأزال يد مسعود واتباعه عن العراق .

مصنفاته :

صنف الوزير ابن هبيرة عدة كتب تدل على علو مقامه فى الحديث والفقه واللغة .

ويعد أهم كتبه « الافصاح عن معانى الصحاح »، وهو شرح صحيحى البخارى ومسلم متخذا مسند الحميدى أساسا ، فقد تبين لنا من الاطلاع على الاجزاء الموجودة منه بمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ومنها الجزء الأول . وقد تضمن مسانيد العشرة المبشرين بالجنة أنه يعرض لما اتفق عليه البخارى ومسلم ، ثم لما انفرد به البخارى ثم ما انفرد به مسلم مع بيان الحكم النبوية فيهما .

ويرى الناس كتاب « الافصاح » مطبوعا ويبدأ بحديث « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » وقد تعلم ابن هبيرة فيه عن معنى الفقه وآل الكلام الى ذكر مسائل الفقه المتفق عليها والمختلف فيها بين الأئمة الأربعة المشهورين .

وهذا الجزء الوحيد من الكتاب الذى ظهر ، وباقى أجزاء الكتاب مخطوطة ، فالكتاب يحوى تسعة عشر جزءا ، وهو من أقيم الكتب فى فقه الحديث .

كما ان لابن هبيرة كتابا فى « العبادات الخمس » تناول فيه أحكام الشهادة بالله والرسول ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج على مذهب الامام أحمد ، وحدث به فى مجمع من العلماء من أئمة المذاهب المختلفة .

ـــ وفى اللغة : صنف فى النحو كتابا سماه «المقتصد» بكسر الصاد المهملة وشرحه أبو محمد بن الخشاب (المتوفى ٥٦٧ هـ) فى اربع مجلدات وبالغ فى الثناء عليه .

كما له أرجوزة نظمية فى المقصور والممدود .

ـــ وفى المنطق : احتقر كتاب « اصلاح المنطق » لابن السكيت (المتوفى ٢٤٤ هـ) وكان ابن الخشاب يستحسنه ويعظمه .

ـــ وفى الشعر : له مجموع يطوى شعرا كثيرا هادفا فى خدمة الاسلام ومبادئه وتعاليمه .

ومن أشعاره قوله :

مالنا قط غير ما شرع الله به
يعبد الا له الكريم
فتمسك بالشرع واعلم بأن
الحق فيه ، وما سواه سموم

وقوله :

تمسك بتقوى الله ، فالمرء لا يبقى
وكل امرىء ما قدمت يده يلقى
ولا تظلمن الناس ما فى يديهم
ولا تذكرن إفكا ولا تحسدن خلقا
فتعود فعال الخير جمعا فكلما
تعوده الانسان صار له خلقا

وقوله :

لا تلهينكم الدنيا بزهرتها
فما تدوم على حسن ولا طيب

وقوله :

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه
وأراه أسهل ما عليك يضيع

ونختتم كلمتنا عنه بكلمة قالها الامام الذهبى فى دول الاسلام عن ابن هبيرة نراها أوجزت فجمعت اذ قال « كان من أعيان الفقهاء الصالحين ، جم الفضائل ، وافر الحرمة كبير الشأن ، دائم العدل ، له تصانيف ، مات مسموما شهيدا ببغداد ، وشيعه الخلق ، وكثر البكاء والتأسف عليه » .

ولا يسعنا الا أن نقول : رحم الله الوزير ابن هبيرة ومن كان على شاكلته من علماء الاسلام وحكامه ، ونفع الله بعلمه وسيرته شباب الاسلام رأمل غده .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

موقف ابن تيمية من الصوفية

الدكتور/ محمد ابراهيم الجيوشى

كثير من القضايا التى يطلقها الناس تحتاج الى تحقيق وتمحيص، فهم ينسبون الى أحد العلماء رأيا ويطلقونه على أنه قضية مسلمة، فاذا ذهبت تستقرىء آثار الرجل وجدت شيئا آخر، ومن هذا القبيل ما يقال عن ابن تيمية والصوفية .

رأى ابن تيمية فى الولاية والأولياء :

المتبادر الى الأذهان ان ابن تيمية عدو الصوفية الاول والمنكر عليهم فى كتبه ورسائله والخصم الشديد الشكيمة لآرائهم ومعتقداتهم ولكن الحقيقة التى تطل من كتاباته غير ذلك تماما فابن تيمية يحارب الدخلاء على التصوف والمفسدين لجوهره النقى والملبسين على الناس الحق بالباطل، والمتخذين من اسم الصوفية والانتساب اليها وسيلة يتحللون بها من الواجبات الدينية، وقواعد الاخلاق الصوفية، وأسس السلوك المستقيم، وقد حارب شيوخ الصوفية الكبار ومؤسسو الطريق الصوفى منذ البداية كل ذلك حربا لا هوادة فيها، وقلما تجد من كتب منهم الا وهو يهاجم الابتداع والربا واتخاذ الطريق وسيلة للرياسة أو سبيلا الى مغنم يناله، أو دنيا يجمعها، كل ما هنالك أن زمن ابن تيمية قد غلب عليه أصحاب الدعاوى، وصاروا يكونون جماعات تستهوى عقول العامة بما يأتون من أفعال بهلوانية، ويسيئون الى حقائق التصوف العليا، وطريقه السامية بما درجوا عليه من تحلل من مبادىء الدين، وتفسخ فى الاخلاق وانحراف فى السلوك متسترين تحت شعارات رفعها الاوائل

موقف ابن تيمية

من الصوفية

ليمضى على هداها الصادقون فى هدوء ودعة ، فجاء هؤلاء المتحرفون يرددون ما قال الاوائل ويتسترون به مدلفين الى مخازيهم وقبائحهم التى أفسدوا بها المجتمع ، ولوثوا سمعة الطائفة وزيفوا على الناس الحقائق حينما ألبسوا الحق بالباطل ، ولهذا كان رد ابن تيمية عنيفا صارما وحربه لهم حربا لاهوادة فيها ، وكان يرى جهارهم واجبا دينيا كمدافعة التتار عن أرض المسلمين ، كما صرح بذلك فى بعض كلماته ، ودفعه ادراكه للخطر الداهم على عامة الناس من سلوك هؤلاء المخربين بأباطيلهم ومخاريقهم ، ان يتشدد فى سد كل ما يمكن ان ينفذوا منه الى عقول العامة ووجدانهم ، ورفع لهذا الغرض شعار التزام الكتاب والسنة ، وهذا فى حقيقة الامر هو الذى دعا اليه ونادى ، به شيوخ الصوفية القدامى ورؤساؤهم المشار اليهم ، بالبنان ، فى كتبهم ووصاياهم وسيكشف لنا استعراضنا لآراء ابن تيمية فى الموضوع انه لن يبعد كثيرا عن ما نادى به المتقدمون من الشيوخ ، وأن ما ذهب اليه قد قال به من قبله شيوخ ينتسبون الى الصوفية ويدعون الى طريقها ، وليس معنى هذا أنه وافق كل ما قالوا ، بل ان الاصول المسلم بها قد قبلها وقررها .

ومن جهة اخرى قد ساعد على أن يقف ابن تيمية هذا الموقف الصارم ان أصحاب الدعاوى الكاذبة قد كثروا فى زمانه ، وأتته الكتب من مختلف الجهات تستفتيه وتسأله ان يبين حقائق الشرع وحكمه فى هذه الامور تجرى على ألسنة الناس فى زمانه .

من هو الولى : يرى الشيخ ابن تيمية أن أولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ، كما جاء بذلك القرآن الكريم ، ويرى كذلك أن الاولياء قسمان : المقتصدون أصحاب اليمين ، والمقربون السابقون ، وولى الله ضد عدو الله ويستشهد لما ذهب اليه بالآيات الكريمة ، « **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** » . وقوله تعالى : « **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** » . ويروى كذلك الحديث القدسي :

« من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة » .

وولى الله من والاه بالموافقة له فى محبوباته ومرضياته ، وتقرب اليه بما أمر به من طاعاته ، وقد ورد فى حديث النبى ذكر أصحاب اليمين المقربون الى الله بالواجبات ، والسابقون المقربون ، وهم المتقربون بالنوافل بعد الواجبات ، وذكرهم الله فى سورة فاطر حيث يقول : « **وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ** » . وفى سورة الواقعة بقوله : « **والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** » . وفى سورة الانسان : « **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا** » . وفى سورة المطففين « **كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ** » .

ويرى ان ولى الله من كان مؤمنا تقيا ، وانه يمكن أن يرى عاقبته ، ويمكن أن يطلع هو عليه نفسه

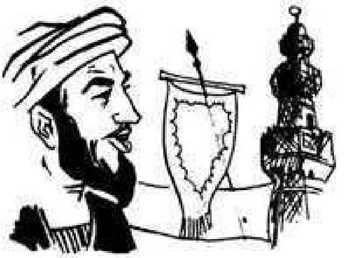

ويطلع عليه غيره ، الا انه يرى ان يكون ذلك فى حدود ولا يرى القطع به الا لمن ثبتت ولايتهم بالنص كالعشرة المبشرين بالجنة ، ويرى ، ان من شاع له لسان صدق فى الناس يجوز ان يشهد له بالولاية ، بل هو يذهب الى أبعد من ذلك فما سبق من أحكام انما هو بالنسبة للعامة ، اما خواص الناس فقد يعلمون عواقب اقوام بما يكشف لهم من الله ، وهذا صريح فى انه يرى ان خاصة الاولياء يصلون الى معرفة بعض الامور بما يكشف الله عن بصيرتهم وبما ينالون من المخاطبات والالهام الذى يأتى به الكشف غير أن ذلك لا يجب التصديق به ، ويرى أن ما يأتى به الكشف يجب ان يوافق الكتاب والسنة ، ويرى ان العصمة للرسول والنبى مضمونة بالكتاب والسنة ، كقول القرآن وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ــ ولهذا كان ما يأتى به الكشف مقبولا اذا وافقهما لان معنى ذلك المتابعة ، أما من يرى انه لا يحتاج الى ذلك فهو قول المارقين ، ومن قال به فقد كفر ويرى ان قراءة ابن عباس التى تقول : » ولا محدث » انما نسخت لتفيد قصر العصمة على الرسول والنبى فقط .

ولا يشترط فى الاولياء أن يكونوا معصومين من الخطيئة ولا من الصغائر وليس من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذى تعقبه التوبة ، ولان القرآن وصفهم بقوله : وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ .

وأما من يقول من الشيعة بعصمة الائمة الاثنى عشر من الخطايا والذنوب ومن المشايخ بعصمة النبى وحفظ الولى فانه غلو أشبه بغلو النصارى فى المسيح والاحبار والرهبان (١) .

ويجدر بنا هنا ان نشير الى ان الحفظ الذى يقول به الصوفية بالنسبة للاولياء انما يقصد به الحفظ من وساوس النفس والقاءتها فيما يرد على قلب الولى من الالهام والتحديث والفراسة وليس المقصود به الحفظ من المعصية لان اثنين من كبار الصوفية هما الحكيم الترمذى وأبو القاسم الجنيد يريان أن الولى غير معصوم من ارتكار المعاصى ، وكلمة الجنيد مشهورة فى الرد على من سأله : أيزنى العارف يا ابا القاسم ؟ « فأطرق مليا ثم قال » وكان أمر الله قدرا مقدورا وقد تحدث الحكيم الترمذى فى كتابه ختم الاولياء عن مدى الخوف الذى يعترى الولى اذا ما وقع فى خطيئة من الخطايا ، اما العصمة التى ادعاها له وتابعه عليها جمهور المشايخ فهى العصمة من وسوسة النفس والقاء الشيطان فيما يرد على القلب من الخطاب أو الالهام أو الحديث أو الفراسة .

أما الاسماء التى تدور على ألسنة الصوفية

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية جـ ١ ص ٤٢ ــ ٤٤ طبع المنار القاهرة سنة ١٣٤١ هـ

موقف ابن تيمية من الصوفية

بالنسبة للاولياء كالغوث والاوتاد الاربعة والاقطاب السبعة والابدال الاربعين والنجباء الثلاثمائة فانه يرى انها لم ترد فى كتاب الله ولا فى حديث النبى ، ولم ترد فى كلام السلف على هذا الترتيب الذى أوردوه ، وهى لم ترد كذلك عن المشايخ المقبولين عند الامة قبولا عاما ، ورأيه أن هذا النوع من العلم ليس باطلا كله ولا حقا كله، وقد التبس فيه الحق بالباطل، والذى يؤخذ من كلام ابن تيمية ان اعتراضه ينصب على العدد والترتيب الذى قدره الصوفية فى أمكنة وأزمنة معينة . وعلى هذا يدور اعتراضه فقط لانه حكم لا دليل عليه ، ولكنه لا يمانع فى وجود هذه الانواع من الاولياء بشرط ان يكون لها دليل من الكتاب والسنة (١) .

ويرى ابن تيمية تسمية أى من البشر باسم الغوث ، لان هذا اللفظ لا يستحقه الا الله سبحانه ، فهو غياث المستغيثين ، ولا يجوز لاحد الاستعانة بغيره ، لابملك مقرب ولانبى مرسل ، ويرى ان من يقول : أن أهل الارض يرفعون حوائجهم الى الثلاثمائة والثلاثمائة الى السبعين ، والسبعون الى الاربعين ، والاربعون الى السبعة والسبعة الى الاربعة ، والاربعة الى الغوث يرى ان القائل بذلك ضال مشرك كالمشركين الذين أخبر الله عنهم بقوله : **«وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ»** وقوله : **« أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ »** ويرى ان هذا التوزيع الذى قالوا به على النحو السابق ينافى قوله تعالى : **« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ »** ويعتقد أنهم تأثروا فى رأيهم هذا بما يعتقده الرافضة فى الامام المعصوم وكذلك الاسماعيلية والنصيرية وغيرهم فى قولهم : السابق والتالى ، والناطق ، والاساس .

ولا يمانع ان يكون هناك من الاولياء من يطلق عليهم الوتد الذى يثبت به من الدين والايمان فى قلوب يهديهم كما تثبت الأرض بأوتادها الا أنه يعارض قصرهم على أربعة ويرى ان ذلك اشبه بقول المنجمين فى وتاد الأرض ، كذلك يحمل الامر فى معنى القطب الذى عليه مدار الامر فى دائرة عمله سواء كان فى أمور الدنيا أو الدين ويمكن ان يطلق على من له اثر فى هذا الشأن المتحدث عنه الا ان تقييد ذلك بعدد محدد انما هو تقييد لفضل الله فى عباده(٣) ويمضى على هذه الوتيرة فيرفض ما يقال ان الابدال أربعون ، وأنهم كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه آخر ، وما يقال فى ان الغوث هو الذى يغيث الله به أهل الأرض ، ويرفض ادعاء من يقول ان الناس انما يرزقون وينصرون بهؤلاء الاربعين ويقول ان هذا ادعاء باطل لان للرزق والنصر أسباب معروفة من أوكدها دعاء المسلمين وصلاتهم واخلاصهم ، ولا يتقيد ذلك بأربعين ولا بأقل ولا باكثر ، وقد يكون ذلك بسبب الضعفاء كما ورد فى حديث سعد بن أبى وقاص لما قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « يا سعد وهل ترزقون الا بضعفائكم بدعائهم

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل جـ ١ ص ٤٦

واخلاصهم وصلاتهم » وللرزق والنصر اسباب اخرى لان الكفار الفجار ينصرون ويرزقون، ويرفض ما يقال ان الابدال رجال الغيب مختفون فى جبل لبنان ، ويرى انه يستحيل ان يظل شخص طول عمره غائبا كذلك ، وهذا من جنس قول من قال : ان عليا فى السحاب وان محمد بن الحنفية فى جبل رضوى ومحمد بن الحسين فى سرداب سامرا والحاكم فى جبل مصراما ان تخرق العادة فى حق شخص فيغيب تارة عن ابصار الناس اما لدفع عدو عنه واما لامر آخر فان هذا أمر ممكن ، وهذا يعنى أن أبى تيمية يجوز وقوع الكرامات للاولياء ، ويفسر ابن تيمية أهل الغيب هنا تفسيرا لطيفا فيقول : « نعم يكون نور قلبه وهدى فؤاده وما فيه من أسرار الله وأمانته وأنواره ومعرفته غيبا عن الناس ، ويكون صلاحه وولايته غيبا عن أكثر الناس فهذا هو الواقع، واسرار الحق بينه وبين أوليائه ، وأكثر الناس لا يعلمون » (١) .

ويرفض ابن تيمية فكرة ختم الاولياء التى جاء بها الحكيم الترمذى ويقول ان ما قاله الحكيم دعا كثيرين ان ينتحلوا لانفسهم هذا اللقب : يدعى كل منهم أنه ختم الاولياء كابن سبعين وابن عربى وغيرهما ، ويرى ان فكرة ختم الاولياء فكرة خاطئة لان افضل اولياء هذه الامة السابقون الاولون من المهاجرين والانصار ، وخير الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، وخير قرونها القرن الذى بعث فيه النبى صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ، ورأيه أن ختم الاولياء هو آخر مؤمن تقى يكون فى الناس ، وهو ليس بخير الاولياء ولا افضلهم ، بل افضلهم أبو بكر ثم عمر اللذان ما طلعت الشمس ولا غربت على افضل منهما بعد النبيين (٢) .

ولا يرى بأسا من أن يكون فى الاولياء صديقون ومحدثون ، ولكن من غير تحديد فى عدد بذاته لان ذكر عدد معين لم يرد فى الكتاب أو السنة ، أما لفظ الصديق والمحدث فقد جاء فى كل منهما القرآن الكريم وفى الحديث النبوى الشريف ، ويرى أن الصديق أفضل من المحدث لان عمر افضل المحدثين وأولهم وأفضل منه أبو بكر وهو صديق ، والصديق يأخذ من مشكاه النبوة فلا يأخذ الا شيئا معصوما محفوظا ، وأما المحدث فيقع له صواب وخطأ ، والكتاب والسنة يميزان ثوابه من خطأه ووجه ابن تيمية نقدا شديدا فى كتابه الرد على الاتحاديين الى فكرة ختم الولاية التى قال بها الحكيم الترمذى وعلى الرغم من انه يكن احتراما وتقديرا للحكيم كواحد من شيوخ الصوفية الكبار الا انه يراه قد أخطأ فى فكرة ختم الولاية وتناقض فى بعض مسائلها حينما أجاز ان يكون فى المتأخرين من هو أفضل من ابى بكر وعمر وعنى به ختم الاولياء ، ويرى ان الحكيم قد ناقض نفسه لانه لما أخذ فى الرد على من يدعى أن الولى محجوب مستور لاتعرف ولايته استشهد فى رده بحالى ابى بكر وعمر ، وقال فى ابطال دعوى هؤلاء ان مقتضى كلامهم ان هذا الولى الذى يقولون انه مجهول هو خير من أبى بكر وعمر وهذا باطل (٣) .

ويوجه ابن تيمية اتهاما خطيرا الى هؤلاء الذين انتحلوا لانفسهم مرتبة ختم الولاية كابن عربى ومن لف لفه ويراه قد كفر بسبب ما قرره فى شأن خاتم الاولياء هذا لانه يفضله فى بعض حالاته على المرسلين ويرى أن النبيين يأخذون من مشاكته فى بعض الحالات وهذا كما يقول ابن تيمية كفر صريح .

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل جـ ١ ص ٥١
(٢) الرسائل والمسائل حقيقة مذهب الاتحاد بين جـ ١ ص ٥١ — ٥٢
(٣) الرسائل والمسائل جـ ١ حقيقة مذهب الاتحاد بين ص ٥٩ — ٦٠

ابن بقى

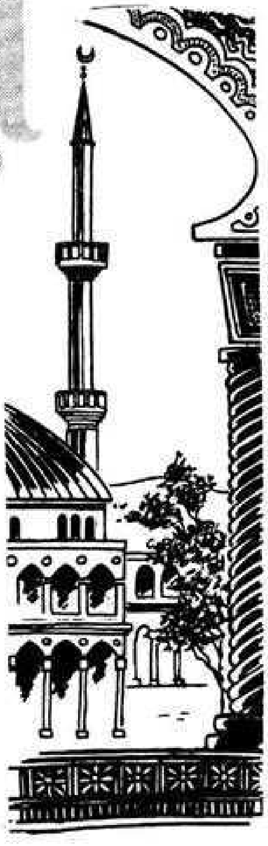

فى أواخر القرن الأول الهجرى امتدت الفتوحات الاسلامية تجاه الغرب ، فعمت شمال أفريقيا وبعد ان اتم المسلمون فتح الشمال الأفريقى عبرت جيوشهم المظفرة بقيادة (طارق بن زياد) المضيق الذى يفصل بين (طنجة) فى بلاد المغرب وشبه الجزيرة الأسبانية ، ونزلت هذه الجيوش فى المكان الذى ما زال يحمل اسم (طارق بن زياد) الى يومنا هذا ، وهو جبل طارق ، تم اخترقت الجزيرة الخضراء متقدمة نحو الشمال ، وهنا التقى المسلمون مع النصارى القوط بقيادة ملكهم (لزريق) فى سهل (شريش) ، وذلك فى الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٩٢هـ ، وفى هذه الموقعة الرمضانية المباركة انتصر المسلمون انتصارا ساحقا على القوط ، ومن ثم فتح الطريق امامهم لكى يتقدموا بسرعة فائقة هنا وهناك فى شبه الجزيرة الأسبانية ، وفى خلال فترة وجيزة استولى المسلمون على معظم هذه البلاد ، وتم لهم فتحها ، فأطلقوا عليها اسم (الأندلس) .

وبهذا الفتح الاسلامى للاندلس بدأ عهد جديد ، وتطور عظيم فى أحوال هذه البلاد ، وكان العصر الذى أعقب الفتح – وهو عصر الولاة – بمثابة مرحلة زمنية توطدت فيها أقدام المسلمين فى الأندلس ، وبعد ذلك بفترة قصيرة قامت الدولة الأموية فى الأندلس على يد الأمير عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموى المعروف بالداخل سنة ١٣٨ هـ ، وفى عصر الأمويين أخذ المسلمون يحسون بشىء من الاستقرار فى بلاد الأندلس ،فقامت فى ظل هذه الدولة الأموية نهضة علمية قوية شملت كل نواحى العلم والمعرفة بفضل رعاية الأمويين وحبهم للعلم والعلماء ، ونتيجة لهذه الحياة المستقرة التى أحس بها المسلمون آنذاك .

ومنذ ذلك الحين اقام المسلمون فى بلاد الاندلس حضارة عريقة ، وذلك فى غضون القرون الثمانية التى عاشوها هناك ، وكانت جامعات الأندلس التى

مخلد

إمام مدرسة التفسير بالأندلس

قامت آنذاك فى مرطبة وغرناطة وأشبيلية ومرسيه وبلنسية وغيرها يفد اليها طلاب العلم من كل مكان على اختلاف ملهم ونحلهم ، وينهلون من معينها الذى لا ينضب ، حيث كانت هذه الجامعات ـ بحق ـ مركز اشعاع علمى وحضارى ينبعث من هذا الصقع الاسلامى فى أوربا الى مشارق الأرض ومغاربها • فى الوقت الذى كانت فيه أوربا كلها تعيش فى ظلمات الجهل والفوضى والهمجية ، ولقد انبهر الأوربيون بهذه الحضارة التى اقامها المسلمون فى بلاد الأندلس آنذاك ، فارسلوا بعثاتهم التعليمية الى هناك ، لكى ينهلوا من هذا المنهل العذب ، ويفيدوا من معالم هذه الحضارة الشامخة ، ويقتبسوا من نورها الوضاء ، وعلى هدى من ذلك قامت النهضة الاوربية الحديثة • ولا يستطيع أن ينكر هذه الحقيقة الا مكابر أو حاقد أو جاهل •

وقد أسهم علماء الأندلس بنصيب وافر فى مجالات العلم المختلفة ، ليس فى المجالات التى لها صفة دينية فحسب ، مثل التفسير والحديث والفقه والقراءات والأدب ونحو ذلك ، بل كذلك فى المجالات التى لها صفة أخرى ، كالطب والهندسة والجبر والحساب والفلك والفلسفة وما شاكل ذلك •

أما تفسير القرآن الكريم ـ وهو الذى يهمنا فى هذا البحث ـ فقد حظى باهتمام علماء الأندلس وعنايتهم البالغة ، سواء فى ذلك ما يتعلق بتفسير القرآن كله ، أو بتفسير آيات الأحكام بوجه خاص • أو ما يتعلق بالقراءات وتوجيهها والاحتجاج لها ، وهل هناك من يجهل دور القاضى أبى محمد عبدالحق ابن عطية الغرناطى (ت ٥٤١ هـ) فى مجال تفسير القرآن ، أم هل هناك من يجهل دور القاضى أبى بكر محمد بن العربى الأشبيلى (ت ٥٤٣ هـ) فى مجال أحكام القرآن ، أم هل هناك من يجهل دور الامام أبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى (ت ٤٤٤ هـ) فى مجال القراءات ، وما أكثر علماء التفسير الذين أنجبتهم الأندلس خلال القرون الثمانية التى عاشها المسلمون فى هذه البلاد ، بيد أن هناك شخصية هامة ورائدة فى هذا المجال ، أسدل الزمن عليها ثوب النسيان ، ولا أكون مبالغا اذا قلت عن صاحب هذه الشخصية انه امام المفسرين فى الأندلس على الاطلاق ، حيث انه كان أول من أنجبتهم هذه البلاد من علماء التفسير ، كما كان له ـ ولا شك ـ أكبر الأثر فيمن جاء بعده من المفسرين والعلماء ، هذا الامام هو أبو عبد الرحمن بقى بن مخلد القرطبى ـ وبقى هنا على وزن على ـ كان من أئمة الدين ، والحفاظ المحدثين ، والزهاد الصالحين ، وقد عاش هذا الامام فى القرن الثالث الهجرى أيام الدولة الأموية بالأندلس ، وكان معاصرا للامام محمد

ابن جرير الطبرى ــ المفسر ــ (ت ٣١٠ هـ) ، وكما هو واضح فان أحدهما من أقصى المشرق الاسلامى، والآخر من أقصى المغرب الاسلامى . وعلى الرغم من أن بقى بن مخلد قد ارتحل الى المشرق فليس فى المصادر التى بيدى ما يفيد أنه التقى بالطبرى أثناء هذه الرحلة .

ولد بقى بن مخلد فى شهر رمضان سنة ٢٠١ هـ ، وتلقى العلم فى قرطبة ــ وهو فى مقتبل عمره ــ على يد عالمين من أجل علماء الأندلس فى هذا العصر ، أحدهما هو محمد بن عيسى المعافرى المعروف بالأعشى (ت ٢٢١ هـ) الذى كان يغلب عليه الحديث ورواية الآثار (ينظر تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ق ٢ ص ٥) والأخر هو يحيى بن يحيى الليثى (ت ٢٣٣ هـ) عاقل الأندلس ، وصاحب مالك بن أنس رضى الله عنه .

وبعد أن شدا طرفا من العلم فى بلاد الأندلس شد بقى بن مخلد رحاله الى بلاد المشرق ، ويبدو أن هذه الرحلة كانت فى ريعان شبابه : وفى فترة مبكرة من حياته . فقد كان فى سن العشرين عند وفاة أحد شيخيه ، وكان قد تجاوز الثلاثين بقليل عند وفاة الشيخ الآخر ، وأغلب الظن أنه قد ارتحل الى المشرق آنذاك ، لكى يستزيد من المعرفة ، ويواصل طلب العلم على علماء المشرق بعد أن أخذ حظا منه على يد هذين العالمين الجليلين بالأندلس .

وفى أثناء هذه الرحلة زار بقى بن مخلد مكة ودمشق وبغداد والكوفة والبصرة ومصر وغيرها ، وأخذ العلم عن كثير من شيوخ الاسلام والأئمة والأعلام ، وفى مقدمة هؤلاء الذين أخذ العلم عنهم الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه (ت ٢٤١ هـ) ، فقد ذكر أصحاب التراجم أن بقى بن مخلد كان ذا خاصة من الامام أحمد ، ومعنى ذلك أنه كان مختصا به ، كثير الأخذ عنه ، ذا حظوة لديه ، ولقد روى بقى بن مخلد كذلك عن أصحاب مالك والشافعى وغيرهم حتى قال أحد تلاميذه ــ وهو عبد الله ابن يونس ــ ان عدة الرجال الذين لقيهم بقى ابن مخلد وسمع منهم مائتا رجل وأربعة وثمانون رجلا (ينظر تاريخ علماء الأندلس ق ١ ص ٩١) كما قال ابن حزم ان هؤلاء الشيوخ ليس فيهم عشرة ضعفاء ، وسائرهم أعلام مشاهير (ينظر جذوة المقتبس للحميرى ص ١٧٧) ، ويحدثنا المقرى عن بعض شيوخه ورحلاته فيقول : « أخذ عن يحيى ابن يحيى الليثى ، ومحمد بن عيسى الأعشى ، وارتحل الى المشرق ، ولقى الكبار ، وسمع بالحجاز أبا المصعب الزهرى وابراهيم بن المنذر وطبقتهما ، وبمصر يحيى بن بكير وزهير بن عباد وطائفة ، وبدمشق ابراهيم بن هشام الغسانى وصفوان ابن صالح ، وهشام بن عمار وجماعة ، وببغداد أحمدبن‌حنبل وطبقته ، وبالكوفة يحيى بن عبدالحميد الحمانى ومحمد بن عبد الله بن نمير وأبا بكر ابن أبى شيبة وطائفة ، وبالبصرة أصحاب حماد ابن زيد » (ينظر نفح الطيب جـ ٢ ص ٥١٨) .

ويبدو أن أولئك الشيوخ الذين تتلمذ لهم بقى ابن مخلد قد لمسوا فيه الأهلية التامة للعلم ، والاستعداد الكامل للتحمل والأداء ، ويدلنا على ذلك أنه قد وقعت له قصتان أثناء هذه الرحلة ، احداهما فى مصر مع شيخه يحيى بن بكير، والأخرى فى القيروان مع شيخه سحنون بن سعيد ، ومن‌خلال هاتين القصتين تلمس مدى ثقة شيوخه به ، واطمئنانهم الى علمه ، ويحدثنا بقى بن مخلد عن القصة الأولى فيقول :

«لما قدمت من العراق على يحيى بن بكير أجلسنى الى جنبه ، وسمع منى سبعة أحاديث » .

كما يحدثنا عن القصة الأخرى فيقول :

« قدمت على سحنون ، فكان ابنه محمد يسمع على فى داخل بيت سحنون بمحضر سحنون »

(أنظر تاريخ علماء الأندلس ق ١ ص ٩٢) .

ولقد أفاد بقى بن مخلد كثيرا من هـذه الرحلة العلمية الى المشرق ، فكتب المصنفات الكبار ، والمنثور الكثير ، وبالغ فى الجمع والرواية ، ثم رجع الى الأندلس بعلم غزير ، فملأها علما وفضلا ، وقد انفرد بقى بن مخلد بادخال كتب معينة الى الأندلس لم يدخلها أحد سواه قال ابن الفرضى كان مما انفرد به بقى بن مخلد ولم يدخله سواه مصنف أبى بكر ابن أبى شيبة رحمه الله بتمامه ، وكتاب الفقه لمحمد ابن ادريس الشافعى الكبير بكماله ، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط ، وكتابه فى الطبقات ، وكتاب سير عمر ابن عبد العزيز رحمه الله للدورقى (أنظر المصدر السابق) .

وعقب رجوعه الى وطنه وقعت له حادثة مع جماعة من فقهاء قرطبة ، ظهر فيها علمه وفضله ، فقد تحاملوا عليه عندما أدخل الى الأندلس مصنف ابن أبى شيبة ، وأغروا السلطان به ، وحرضوا العامة عليه ، ولكن الله نصره عليهم ، ويحدثنا الضبى عن تلك الحادثة فيقول : « ولما دخل الأندلس أبو عبد الرحمن بقى بن مخلد بكتاب مصنف أبى بكر ابى أبى شيبة ، وقرىء عليه أنكر جماعة من أهل الرأى ما فيه من الخلاف واستشنعوه ، وبسطوا العامة عليه ، ومنعوه من قراءته ، الى أن اتصل ذلك بالأمير محمد بن عبد الرحمن الأموى ، فاستحضره واياهم واستحضر الكتاب كله ، وجعل يتصفحه جزءا جزءا الى أن أتى على آخره ، وقد ظنوا أنه يوافقهم فى الانكار عليه ، ثم قال لخازن الكتب . هذا كتاب لا تستغنى خزانتنا عنه ، فانظر فى نسخه لنا ، ثم قال لبقى بن مخلد : انشر علمك ، وارو ما عندك من الحديث ، واجلس للناس حتى ينتفعوا بك ، ونهاهم أن يتعرضوا له » (أنظر بغية الملتمس للضبى ص ١٥) . ويذكر ابن الفرضى أن هؤلاء الفقهاء ثلاثة ، وهم عبد الله بن محمد بن خالد ومحمد ابن الحارث وأبو زيد ، فيقول : « وبقى بن مخلد ملأ الأندلس حديثا ورواية ، وقد أنكر عليه أصحابه الأندلسيون : عبد الله بن خالد ومحمد بن الحارث وأبو زيد ما أدخله من كتب الاختلاف وغرائب الحديث ، وأغروا به السلطان ، وأخافوه به ، ثم ان الله بمنه وفضله أظهره عليهم ، وعصمه منهم » (أنظر تاريخ علماء الأندلس ق ١ ص ٩٢) .

وقد كان أشد هؤلاء الثلاثة انكارا وتحاملا على بقى بن مخلد وهو عبد الله ابن محمد بن خالد الذى كان صليبا وعنيفا ، وكان رأس المالكية بالأندلس والقائم بها والذاب عنها (أنظر المصدر السابق ق ١ ص ٢١٣) .

وبعد أن انتصر بقى بن مخلد على أولئك الخصوم الذين أرادوا الكيد له أخذ — فى أمن وطمأنينة — ينشر علمه ، ويقرأ كتبه ، ويروى أحاديثه ، ويبث آثاره ، كيف لا وهو الذى عنى طيلة حياته بالأثر عناية عظيمة لا مزيد عليها (أنظر نفح الطيب حـ ٢ ص ٥١٨) ، ومن ثم انتشر الحديث بالأندلس انتشارا عظيما ، وكان بقى — رحمه الله — أحد اثنين انتهت اليهما امامة الحديث بالأندلس فى هذا العصر ، وأصبحت بالاندلس بفضلهما دار حديث بعد أن كانت دار فقه فقط ، والثانى هو الامام أبو عبد الله محمد بن وضاح (ت ٢٨٧ هـ) الذى كان عالما بالحديث ، بصيرا بطرقه ، متكلما على علله (أنظر تاريخ علماء الأندلس ق ٢ ص ١٦) .

ويحدثنا أن ابن الفرضى عن ذلك فيقول بصدد الحديث عن بقى بن مخلد : « فنشر حديثه ، وقرأ للناس روايته ، فمن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس، ثم تلاه ابن وضاح ، فصارت الأندلس دار حديث واسناد ، وانما كان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأى مالك وأصحابه » .

(أنظر المصدر السابق ق ١ ص ٩٣) .

وهكذا بلغ بقى بن مخلد هذه المرتبة الشامخة فى

الحديث ، حتى رأينا ابن حزم يضارع به البخارى ومسلما وأمثالهما ، فيقول : « واذا سمينا بقى ابن مخلد لم نسابق به الا محمد بن اسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى وسليمان ابن الأشعث السجستانى ، وأحمد بن شعيب النسائى » . (أنظر نفح الطيب حـ ٣ ص ١٧٧) .

هذا فى مجال الحديث أما فى مجال الفقه فقد كان بقى بن مخلد مجتهدا متحيزا لا يقلد أحدا من الأئمة ، بل يفتى بالأثر (أنظر المصدر السابق حـ ٢ ص ٥١٨) .

كما كان من أصحاب الشورى فى أيام الدولة الأموية بالأندلس الذين كان الأمير يشاورهم فى أدق القضايا التى تعرض له ، وتلك منزلة رفيعة لم يكن يصل اليها فى هذا العصر الا الجلة من الفقهاء ، ذكر الحميدى أن الأمير عبد الله بن محمد الأموى شاور الفقهاء فى قتل الزنديق : هل يستتاب قبل القتل أم لا ؟

وكان من جملة هؤلاء الفقهاء بقى بن مخلد ، فذهب بقى الى أنه لا يقتل الزنديق حتى يستتاب ، وأفتى الأمير بذلك ، ووافقه على هذا الرأى محمد ابن سعيد بن الملون ، وخالفهما قاسم بن محمد فأفتى بترك الاستتابة ، وقد أنكر بقى بن مخلد ذلك على قاسم بن محمد ، وقال : فارق مزهبه ، ووافقنى على مذهبى محمد بن سعيد ، وانما مذهبه الرأى . (أنظر جذوة المقتبس ص ٥٩) .

أما مؤلفات هذا الامام فقد فقدت مع الأيام ، وضاعت فيما ضاع من كتب الاسلام بسبب النكبات المتلاحقة التى أصابت المسلمين فى الأندلس عند اجلائهم عن بلادهم وطردهم من أوطانهم . ويقول المقرى عن كتب هذا الامام انه لم يؤلف مثلها فى الاسلام ، كما يقول الحميدى انه ألف كتبا حسانا تدل على احتفاله واستكثاره ، وأيضا يصف ابن حزم تصانيف هذا الامام الفاضل بأنها صارت قواعد للاسلام لا نظير لها . (انظر نفح الطيب جـ ٢ ص ٤٧ ، ٥١٩ وجذوة المقتبس ص ١٧٧) .

وكان أهم هذه الكتب ثلاثة : أحدها فى التفسير والآخران فى الحديث ، أما الأول — وهو تفسير القرآن الكريم — فيغلب على الظن أنه كان من قبيل ذكر الروايات بأسانيدها ، ويعنى عناية خاصة التفسير بالمأثور الذى يعتمد فى المقام الأول على ذكر الروايات بأسانيدها ويعنى عناية خاصة بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأقوال الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم فى مجال التفسير ، مثل كتاب (جامع البيان فى تفسير القرآن) لابن جرير الطبرى ، فقد سبق أن ذكرنا أن بقى بن مخلد كانت له عناية عظيمة بالآثار ، وأنه كان أحد رجلين أدخلا الحديث والاسناد الى بلاد الأندلس ، ويؤكد ابن حزم أن هذا التفسير الذى ألفه بقى بن مخلد لا نظير له قط فى الاسلام ، وأنه يفوق تفسير ابن جرير الطبرى وغيره من كتب التفسير فيقول : « وفى تفسير القرآن كتاب أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد فهو الكتاب الذى أقطع قطعا لا أستثنى فيه أنه لم يؤلف فى الاسلام تفسير مثله ، ولا تفسير محمد ابن جرير الطبرى ولا غيره » (أنظر نفح الطيب حـ ٣ ص ١٦٨) .

أما الكتابان اللذان ألفهما فى الحديث فأحدهما هو مسنده ، والآخر هو مصنفه فى فتاوى الصحابة والتابعين ، ويحدثنا ابن حزم كذلك عن هذين الكتابين العظيمين فيقول : بصدد الحديث عن بقى ابن مخلد — : (ومنها فى الحديث مصنفه الكبير الذى رتبه على أسماء الصحابة — رضى الله تعالى عنهم — فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف ، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام فهو مصنف ومسند ، وما أعلم هذه الرتبة لأحد

قبله ، مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله فى الحديث وجودة شيوخه ، فانه روى عن مائتى رجل وأربعة وثمانين رجلا ، ليس فيهم عشرة ضعفاء ، وسائرهم أعلام مشاهير ، ومنها مصنفه فى فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم الذى أربى فيه على مصنف أبى بكر بن أبى شيبة ومصنف عبد الرزاق ابن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها ، وانتظم علما عظيما لم يقع فى شىء من هذه » (أنظر المصدر السابق ص ١٦٨ ، ١٦٩) .

ومما يدلنا كذلك على القيمة العلمية لهذا المسند الذى وضعه الامام بقى بن مخلد أن أحد تلاميذه ـ وهو طاهر بن عبد العزيز ـ أثناء رحلته الى المشرق حمل جزءا من هذا المسند ، وعرضه على محدث مكة محمد بن اسماعيل الصائغ ، فأثنى عليه خيرا ، وأعجب بما فيه من علم غزير ، روى ابن الفرضى بسنده أن طاهر بن عبد العزيز قال : **« حملت مع نفسى جزءا من مسند أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد الى المشرق ، فاريته محمد بن اسماعيل الصائغ فقال : ما اغترف هذا الا من بحر علم ، وعجب من كثرة علمه »** .

(انظر تاريخ علماء الاندلس ق ١ ص ٩٢) .

هذا ما يتعلق بآثار بقى بن مخلد العلمية ، أما ما يتعلق بتلاميذه فقد كان هذا الامام الجليل صاحب مدرسة علمية ، تخرج على يديه فيها كثير من طلاب العلم الذين أصبحوا ـ فيما بعد ـ أئمة يهتدى بهم ، ويقتبس من علمهم ، ومن هؤلاء ابنه أحمد الذى ولى قضاء الجماعة بالأندلس ، وكان محترما ، وزاهدا فاضلا ، وتوفى سنة ٣٢٤ هـ فى أيام الأمير عبد الرحمن الناصر الاموى (انظر تاريخ علماء الاندلس ق ١ ص ٣٣ ، وجذوة المقتبس ص ١١٨)

ومنهم أسلم بن عبد العزيز فقد سمع من بقى بن مخلد وصحبه طويلا ، وولى قضاء الجماعة بقرطبة مرتين ، وكان جليلا من القضاة ، ثقة من الرواة ، يميل الى مذهب الشافعى رحمة الله ، وقد توفى سنة ٣١٠هـ (انظر تاريخ علماء الأندلس ق ١ ص ٨٩ وجذوة المقتبس ص ١٧٣) .

ومنهم عبد الله بن يونس المرادى المتوفى سنة ٣٣٠ هـ فقد سمع من بقى بن مخلد كثيرا وصحبه ، وكان مختصا به مكثرا عنه ، وعنه انتشرت كتبه الكبار (انظر تاريخ علماء الأندلس ق١ص ٢٢٦ وبقية الملتمس ص ٢٤٦ ، ٢٤٧) .

ومنهم طاهر بن عبد العزيز الرعينى المتوفى سنة ٣٠٤ هـ فقد سمع من بقى بن مخلد كثيرا ، وكان رجلا فاضلا فهما وربما عارفا باللغة ، الا أنه لم يكن له بالحديث ولا بالفقه كبير علم (انظر تاريخ علماء الأندلس ق ١ ص ٢٠٦ وبقية الملتمس ص ٣٢٦).

ومنهم حسن بن سعد الكتامى المتوفى سنة ٣٣٢هـ فقد سمع من بقى ابن مخلد كثيرا ، وكان يذهب الى النظر وترك التقليد ، ويميل الى قول محمد بن ادريس الشافعى ، وكان يحضر الشورى ، ولما رأى الفتيا دائرة على مذهب المالكيين ترك شهودها ولزم بيته (انظر تاريخ علماء الأندلس ق١ص ١١٠) .

ومنهم محمد بن قاسم بن محمد المتوفى سنة ٣٢٧هـ والذى كان عالما بالفقه ، متقدما فى علم الوثائق رأسا فيها وكان مشاورا من أول أيام أمير المؤمنين الناصر رحمه الله (انظر تاريخ علماء الأندلس ق٢ ص ٤٦) .

ومنهم محمد بن عمر بن لبابة المتوفى سنة ٣١٤هـ فقد كان اماما فى الفقه ، مقدما على أهل زمانه فى حفظ الرأى والبصر بالفتيا ، وكان مشاورا فى أيام الأمير عبد الله بن محمد الأموى ، ثم انفرد بالفتيا من أول أيام أمير المؤمنين الناصر فلم يكن يشركه احد فى رياسة البلد ، والقيام بالشورى (انظر تاريخ علماء الأندلس ق٢ ص ٣٥) .

ومنهم محمد بن فطيس الغافقى المتوفى سنة ٣١٩هـ فقد كان نبيلا ضابطا لكتبه ، ثقة فى روايته ،

بقىّ بن مخلد

صدوقا فى حديثه ، وكان الرحلة اليه بالبيْرة والى أحمد بن منصور ، ثم مات أحمد بن منصور فانصرف بعلو الدرجة ، ورياسة الاسناد (انظر تاريخ علماء الأندلس ق٢ ص ٤١) ٠

هذا وقد انتفع بامامنا الجليل بقى بن مخلد خلق كثير غير هؤلاء ، فانه ــ رحمه الله تعالى ــ كما كان كثير الشيوخ كان كذلك كثير التلاميذ ، ويكفى أن تتصفح جانبا من كتب التراجم الأندلسية ، لكى ترى هذه الحقيقة ماثلة أمامك ، وكيف أن اسم هذا الامام العظيم يتردد كثيرا فى مجال المشيخة والأستاذية لكثير من علماء الأندلس الذين عاصروه٠

والى جانب هذا كله كان بقى بن مخلد رجلا زاهدا ، وصواما صادقا ، وكان يعيش على الكفاف، ويحكى عنه أنه كانت تمضى عليه الأيام فى وقت طلبه ليس له عيش الا ورق الكرنب الذى يرمى (انظر طبقات المفسرين للسيوطى ص ٤٢) ٠

وكان أيضا كثير التهجير مجاب الدعاء ، وقد ظهرت له اجابات فى أكثر من شىء ، ومن ذلك قصة المرأة التى أسر الكفار ولدها ، وجاءته باكية مستعبرة ، فدعا الله لها أن يرد عليها ولدها ، فاستجاب الله دعاءه ، فقد جاء فى نفح الطيب أن امرأة جاءته ، فقالت له : ان ابنى قد أسرته الفرنج ، واننى لا أنام الليل من شوقى اليه ، ولى دويرة أريد أن أبيعها لأفتكه بها ، فان رأيت أن تشير الى من يأخذها ويسعى فى فكاكه ، فليس لى ليل ولا نهار ، ولا صبر ولا قرار ، فقال : نعم انصرف حتى ننظر فى ذلك ان شاء الله تعالى ، وأطرق الشيخ وحرك شفتيه يدعو الله عز وجل لولدها بالخلاص ، فذهبت ، فما كان غير قليل حتى جاءت وابنها معها ، فقالت : اسمع خبر ، يرحمك الله تعالى ، فقال : كيف كان أمرك ؟ فقال : انى كنت فيمن يخدم الملك ، ونحن فى القيود ، فبينما أنا ذات يوم أمشى اذ سقط القيد من رجلى ، فأقبل على الموكل بى فشتمنى ، وقال : فككت القيد من رجليك ، فقلت : لا والله ، ولكن سقط ولم أشعر ، فجاءوا بالحداد فأعاده ، وسمر مسماره وأيده ، ثم قمت فسقط أيضا ، فسألوا : رهبانهم ، فقالوا : ألك والدة ؟ فقلت : نعم ، فقالوا: انه قد استجيب دعاؤها له ، فأطلقوه ، فأطلقونى، وخفرونى الى أن وصلت الى بلاد الاسلام ، فسأله بقى عن الساعة التى سقط القيد من رجليه فيها ، فاذا هى الساعة التى دعا له فيها رحمه الله تعالى (انظر نفح الطيب حـ ٢ ص ٥١٩ ، ٥٢٠) ٠

وبعد هذه الحياة الحافلة بالعلم النافع والعمل الصالح مضى بقى بن مخلد الى ربه راضيا مرضيا، وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٢٧٦ هـ عن خمسة وسبعين عاما ، رحمه الله امام مدرسة التفسير بالأندلس بقى بن مخلد ، ورضى الله عنه وأرضاه ٠

د٠ عبد الوهاب عبد الوهاب فايد

شخصية في سطور

سفيان الثوري

أمير المؤمنين في الحديث

* ولد سفيان الثورى سنة ٩٥ هـ خمس وتسعين من الهجرة بالكوفة وكان أبوه من ثقات المحدثين .

* نشأ سفيان بين كتب الحديث وتفتحت عيناه على جو من العلم .. ويتسم سفيان بعبير النبوة ويسوده جوا مع الكلم .

* **(كانت شهرة سفيان تزداد كل يوم ومع ذلك كان يقول :** « لا نزال نتعلم ما وجدنا من يعلمنا » ويقول : « الرجل الى العلم أحوج منه الى الخبز واللحم وليس هناك عمل بعد الفرائض أفضل من العلم ») .

* ويقول عنه أيوب بن سديد :
« ما سألنا سفيان الثورى عن شىء الا وجدناه عنده أثرا ماضيا » .

* **(كان سفيان حجة فى عصره فكان يحفظ حوالى ٥٠٠ الف حديث أو يزيد) .**

* وكان كغيره من السلف يؤمن بالقدر خيره وشره فقد قال يوما : « أتدرون ما تفسير لا حول ولا قوة الا بالله ؟ » فيقول : « لا يعطى احدا الا ما أعطيت ولا يقى أحدا الا ما وقيت » .

* فلقد أهلته المقادير لان يكون محدثا من كبار المحدثين وفقيها من كبار الفقهاء .

* ولقد منحه الله سبحانه وتعالى ذاكرة حافظة .. يصفها سفيان بقوله « ما استودعت قلبى شيئا قط فخاننى » ويقول بن مهدى عنه : « ما رأيت صاحب حديث أحفظ من سيفان » ويقول عنه يحيى بن يمان : « ما رأيت مثل سفيان ولا رأى سفيان مثله » .

* وكان سفيان فى الحديث أمير المؤمنين ومما يفسر هذا أن يحيى بن يمان قال :
« كتبت عن سفيان عشرين ألفا وأخبرنى الاشجعى أنه كتب عن سفيان ثلاثين ألفا ، سمعت سفيان يقول ما أحدث من كل عشرة بواحد » أى أن سفيان كان يحدث بأقل من عشر ما يحفظ .

* ويقول عنه بن المبارك : كتبت عن الف ومائة شيخ وما منهم افضل من سفيان ، كأنه خلق لهذا الشأن .

* وكان سفيان معنيا بالقراءة عناية كبيرة ويقول عنه أبو خالد فى ذلك :
« صحبت سفيان فى طريق مكة فكان يقرأ فى المصحف كل يوم فاذا لم يقرأ فيه فتحه فنظر فيه وأطبقه » .

* وكان سفيان عالم هذه الأمة ، عابدها ، زاهدها .

رحم الله سفيان ونفعنا بعلمه

« سعيد عبد الحى »

طرائف

عمر والمال

روى البيهقى عن عمر ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : انى أنزلت نفسى من مال الله تعالى ـ بمنزلة ولى اليتيم ان استغنيت استعففت ، وان افتقرت أكلت بالمعروف .

من العاقل

ليس العاقل الذى اذا وقع فى الأمر احتال له ، لكن العاقل يحتال للامر حتى لا يقع فيه .

من علامات الكرم

بذل الندى ، وكف الاذى ، وتعجيل المثوبة وتأخير العقوبة .

لا يتفقان

الايمان والكذب لا يتفقان ، لان الايمان أساسه الصدق والنفاق أساسه الكذب ، فلا يجتمع كذب وايمان الا وأحدهما يحارب الآخر .

خير لا شر فيه

الخير الذى لا شر فيه : الشكر مع العافية ، والصبر عند المصيبة .

الناس أربعة

كريم وسخى ، وبخيل ، ولئيم .
فالكريم : هو الذى لا ياكل ويعطى .
والسخى : هو الذى ياكل ويعطى .
والبخيل : هو الذى ياكل ولا يعطى .
واللئيم : هو الذى لا ياكل ولا يعطى .

ومواقف

مناجاة

سبحان من أذل العبد بالذنب ، وأذل الذنب بالعفو ، الهى ان عفوت فخير راحم ، وان عذبت فغير ظالم ، الهى ان كنت لا ترضى الا عن أهل طاعتك فكيف يصنع الخاطئون ، وان كان لا يرجوك الا أهل وفائك فيمن يستغيث المستغيثون .. ؟ !!

ماهو

جليس لا يضر بك ، ورفيق لا يملك ، يطيعك بالليل طاعته بالنهار ويطيعك فى السفر طاعته فى الحضر ، ان دمت النظر اليه أطال امتاعك وشحذ طباعك ، وبسط لسانك ، ان وعظ اسمع ، وان الهى امتع ، وان بكى ادمع ، وان ضرب اوجع ، يفيدك ولا يستفيد منك .

انه « الكتاب » .

الظلم أنواع

ظلم لا يغفره الله ، وظلم لا يتركه الله ، وظلم لا يعبأ الله به شيئا .

فالظلم الذى لا يغفره الله هو : الشرك به .

والظلم الذى لا يتركه الله : فمظالم العباد بعضهم بعضا .

أما الظلم الذى لا يعبأ الله به : فظلم العبد ما بينه وبين الله تعالى .

أربعة تعرف بأربعة

الكاتب : بكتابته .

والعالم : بجوابه .

والحكيم : بأفعاله .

والحليم : باحتماله .

حقا

من خاف من الله خافه كل شىء ، ومن خاف من غير الله خاف من كل شىء .

كتاب الشهر

إعداد : حمدى الليثى

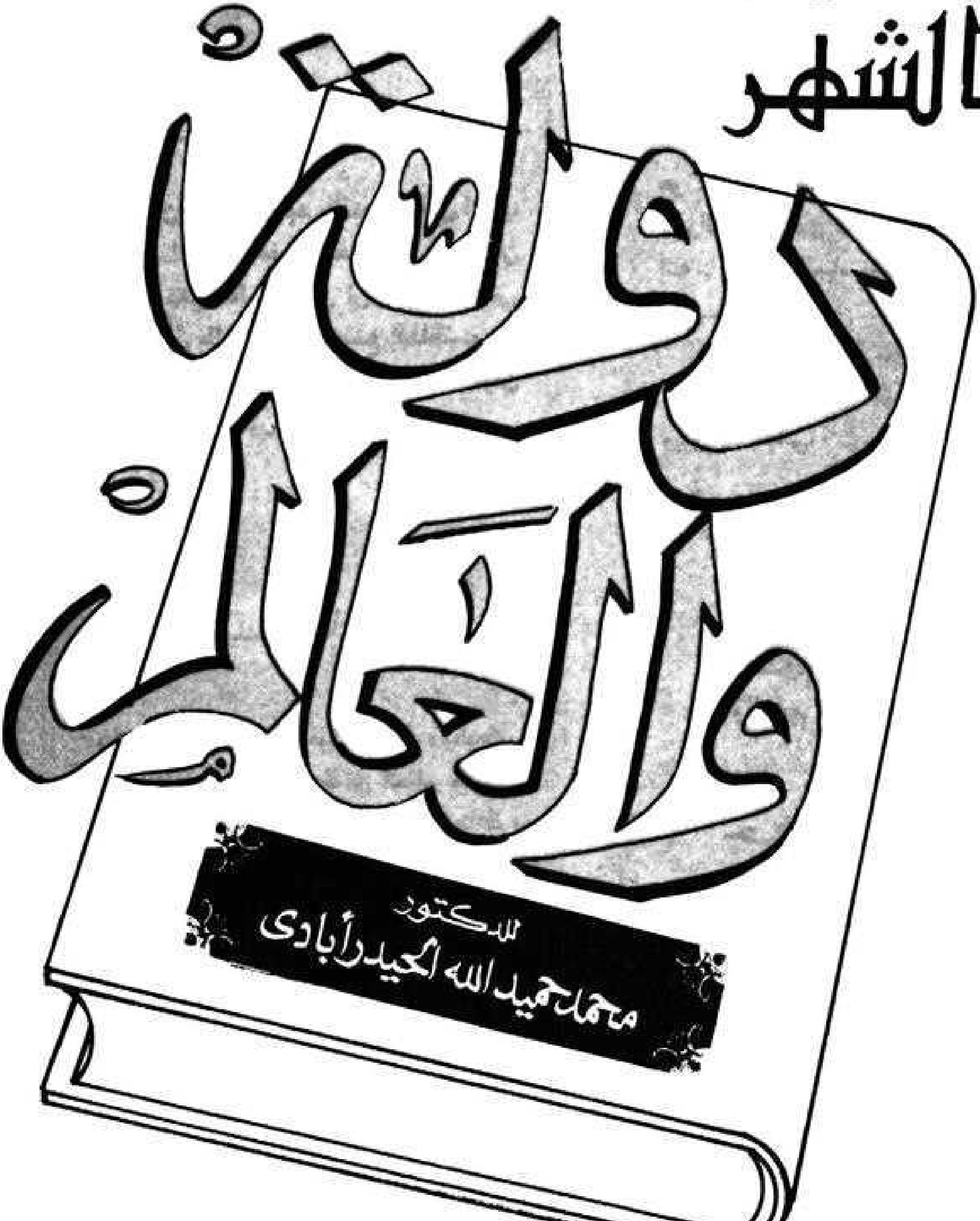

الإسلام

التعريف بالمؤلف : مؤلف الكتاب هو الدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادى ، درس فى الهند ثم فى ألمانيا وفرنسا وحصل على الدكتوراه من جامعتى السوربون وبون يجيد سبع لغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والأردية والفارسية والتركية والعربية .

وموضوعه الذى يعالجه فى كتابه « دولة الاسلام والعالم » له أهميته فى هذه الاونة فهو تعريف بالقانون الدولى فى نظر الاسلام ومكانته فى القانون العام .

طريقة المؤلف فى كتابه : قسم المؤلف كتابه الى أحد عشر جزءا . ففى الجزء الاول يعرف المؤلف القانون الدولى اسلامى وطبيعته فيقول « هو ذلك القسم من قواعد القانون والعرف فى الدولة ومن الالتزامات التى تضمنتها المعاهدات ، التى ترعاها الدولة الاسلامية القائمة فعلا defacta أو قانونا dejure فى تعاملها مع الدول الاخرى القائمة فعلا أو قانونا .

ويوضح المؤلف هذا المعنى : لقد أكدنا القول ان ما تقبله الدولة الاسلامية على هذا النحو هو القانون الدولى الاسلامى وينبغى أن يتقرر هذا فى الذهن كحقيقة أولية . فالقانون الدولى الاسلامى يستند كلية ، ويستند فقط الى ارادة الدولة الاسلامية ، شأنه فى ذلك كأى قانون اسلامى آخر فى البلاد . وحتى الالتزامات المفروضة بمقتضى معاهدات ثنائية أو متعددة الاطراف (دولية) فان لها نفس الاساس . وهى ما لم تنل التصديق والنشر من جانب الجماعة الاسلامية المتعاقدة . فانها تغدو غير ملزمة ولا يترتب على عدم مراعاتها أى مسئولية تجاه الدولة الاسلامية وليس من المهم بالطبع أن يكون القبول صريحا أو ضمنيا . وقد يضاف الى ذلك أن اصدار وانفاذ القانون الدولى برضاء كل دول العالم هو هدف مثالى لم يدرك قط فى تاريخ الانسان الطويل ولو بالنسبة لاكثر أحكامه ايجازا .

ويؤكد المؤلف من خلال تعريفه السابق : أن الدولة الاسلامية تتحمل التزاماتها الدولية من : القانون والعرف والمعاهدات ويوضح المؤلف هذه الالفاظ :

بالنسبة للقانون[1]: نجد الفقهاء المسلمين يعرفون الفقه بتعريفات متعددة فنسب لأبى حنيفة مثلا أنه : « معرفة النفس : مالها وما عليها » ويعنى ذلك بأسلوب آخر أنه « العلم الذى يتناول حقوق الانسان والتزاماته » على أن مؤلفا متأخرا هو محب

---

١ ـ واضح أن هناك فارقا بين الفقه والقانون ولكن المؤلف يستعمل المصطلحين بمعنى واحد . (راجع رأى السنهورى فى مقدمته لكتابه « الوسيط فى هذا الشأن » .

الله البيجاري (١) يعرف هذا العلم الشامل لكل شيء في هذه الكلمات : « هو علم تحقيق الاوامر الدينية (التي تتعلق بشئون الحياء العملية) عن طريق الادلة التفصيلية » والآدلة تعني هنا مصادر المعرفة ونظرة الى ما تضمنه مؤلفات الفقه تكشف عن شمولها من الناحية العملية لكل شئون الحياة الانسانية سواء في النواحي المادية أو الروحية .

وفي ضوء هذه التعريفات المألوفة ومحتويات كتب الفقه .

لا يبقى محل لأدنى شك أن القواعد التي تحكم سير الدولة في الحرب والسلم والحياد تكون جانبا في قانون الدولة القائم — في الفقه الاسلامي — وهذه القواعد التي تحكم سير الدولة كانت تعالج في كتب الفقه تحت عنوان (السير) .

ويضيف المؤلف عرضا موجزا لاصل القانون كما يراه الفقهاء المسلمون :

انهم يقررون أن المرء ينبغي له على الدوام أن يفعل الخير ويمتنع عن الشر ويرعى بكل دقة مراتب الحرام أو القبيح ، والفرض أو الواجب أو الحسن والمكروه والمستحب والمباح وقد لا يكون من السهل أحيانا التمييز بين الخير والشر خاصة عندما يتعلق الأمر بتعقيد الحياة المتمدينة ، وهو شيء يجاوز نطاق الامور المعتادة ، وسوف تتطلب الاحتياجات العملية استحواذ الانسان على سلطة التشريع (أو وضع مراتب الخير والشر في كل أمر بصورة محددة) سواء أكان هذا الانسان فرد كفقيه أو تنظيما جماعيا كدولة ، على أن المنطق وحده كمعيار للخير والشر لا يخلو من صعوبات خطيرة . فان من المدن والواقع — كما يذكر الفقهاء المسلمون — أن الاشخاص المختلفين يرتأون آراء مختلفة بالنسبة لشيء واحد . وأن الايمان برسل الله له ثماره النافعة حتى من وجهة نظر الفقه ، اذ أن ما ينالونه من مهابة واجلال لاشخاصهم من شأنه قبول بعض الاسس دون جدل ، بينما يمكن للتفاصيل الاخرى الأبعد مدى أن يقوم بها الابتكار .

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو رسول الله وكل ما خلفه للناس في حياته من أوامر ونواه بوحي من الله قد تلقاه المسلمون كأحكام نهائية لا تقبل الجدل، وهي أكثر ما تكون صلاحية لان يقبلها العقل . وهذه الاوامر الالهية في القرآن والسنة كانت تقضي كل حاجات الجماعة الاسلامية في ذلك الوقت ، ولكن الحاجات الانسانية قد تضاعفت أخيرا بطريقة تيسر تلبيتها بطريق مباشر فوري من أقوال الرسول وأفعاله ، وهكذا نشأ القانون من أوامر الله المباشرة ولكن الانسان قد بقى له حق التفسير وتوسيع نطاق الاوامر الالهية عن طريق القياس وغيره وهذا أمدّ المسلمين بكل احتياجاتهم وهكذا تحققت حاجة مذدوجة ، القداسة التي تبعث الهيبة في عقول المخاطبين بالتشريع والمرونة أو المقدرة على التطور لمواجهة احتياجات الازمان والظروف لقد عرفنا القانونَ الدولي أولا كقسم من اقسام قانون البلاد فنطاق القانون في الدولة أوسع كما هو واضح في القانون الدولي .

العرف : وقد قررنا للعرف مكانه الهام كمصدر للقانون الدولي . فما من نظام قانوني يستطيع بصورة ايجابية مباشرة أن يقدم الارشاد في كل التفاصيل لكل الامور . انما يعني أي نظام قانوني بأن يصل الى تقديم قائمة للفرائض والمحرمات تتخللها تفاصيل لبعض المباحات وفي الشريعة الاسلامية نجد مجالا في العرف والعادة وعموم البلوى لتنظيم العلاقات في مثل هذه الظروف .

---

١ — صدر الشريعة : شرح التوضيح .

كتاب الشهر

المعاهدات : وتكون بين دولتين أو أكثر تخلق التزامات وهذا النوع المتميز الذى يضيف جديدا الى صناعة القانون له آثاره على صالح الدولة ادى قصير أو بعيد ، فمعاهدة الحديبية مثلا تقدم لنا سابقة لنصوص قد لا تكون فى ذاتها ملائمة ولكنها تكون أهلا للقبول بنظرة أوسع لصالح الجماعة .

ثم يتجه المؤلف للتمييز بين الدولة الشرعية القانونية dejure **والدولة الفعلية .**

أولا : أنه يحدث أحيانا أن بعض النظم أو الاحداث (ثورة قوية مثلا) ولو لم يعترف بها كدول من ناحية القانون delacte فانها تكون دولا من ناحية الامر الواقع . ومن الممكن أن دولة ما فى ظروف خاصة قد لا يتوافر لها أى من مقومات الدولة القانونية أو الواقعية . وثانيا : يرمى هدف التمييز الى ايضاح أننا معنيون (بالدول) الاجنبية، لا بالاجانب المقيمين فى اقليم الدولة الاسلامية بالنسبة لشئونهم الخاصة (الميراث ـ الجنسية ، وما الى ذلك) . فان هذه الامور محلها القانون الدولى الخاص أو تنازع القوانين . ومن الممكن أن يذكر هنا أن القانون الدولى فى الاسلام هو أيضا جزء من الفقه وهو لا يستمد قوة الالزام من أى مصدر أجنبى بل من سيادة الدولة الاسلامية وارادتها التى تخضع بالطبع للقانون القرآنى الالهى وللقانون الدولى الخاص . وان كان بعض الفقهاء والمسلمين المتقدمين قد أدمجوا بين نطاق القانون الدولى العام ونطاق القانون الدولى الخاص فى مباحث « السير » .

وفى الجزء الثانى يعرف المؤلف بعض المصطلحات فى فقه القانون الدولى الاسلامى . مصطلح لكلمة « سيرة » الذى يعنى فى اللغة « السير » بوجه عام قد اكتسب أخيرا معنى محدودا لسيرة الرسول فى الحروب . وانسحب ذلك فيما بعد على سيرة أحكام المسلمين عموما فى الشئون الدولية وفى الجزء الثالث يوضح المؤلف بعضا من موضوعات القانون الدولى ويوضح المؤلف فى هذا الجزء المجموعات التى يمكن تصنيف الناس اليها كى تعالج قضاياها القوانين القائمة وهذه المجموعات تشمل :

* الدولة المستقلة I ndepenpent التى لها علاقة بدولة أو بدول أخرى .
* الدولة ناقصة السيادة Partsouereign التى لها حق مقعد على الاقل فى العلاقات الاجنبية.
* الثوار المحاربون الذين يكتسبون (المنعة) والاقليم الذى يمارسون عليه الوظائف المعتادة للدولة .
* قطاع الطرق والقرصان .
* المعاهدون المقيمون فى دار الاسلام .
* المواطنون المسلمون المقيمون فى أقطار أجنبية .
* المرتدون .
* أهل الذمة وهم الرعايا غير المسلمين فى الدولة الاسلامية إذ يتميزون عن سائر المعاهدين المقيمين على أرضها .

وفى الجزء الرابع يوضح المؤلف هدف القانون الدولى وغايته .

بأن هدف القانون فى هذه الدنيا أن يكون قادرا على قيادة حياة الفرد فى أسلم طريق وعلى ذلك فان هدف القانون الدولى الاسلامى وهو تحقيق

دولة الإسلام والعالم

أعدل سيرة ممكنة للحاكم المسلم فى مجال العلاقات الدولية •

وفى الجزء الخامس يوضح معنى الجزاء : بأنه فى القانون الدولى الاسلامى يماثل الى حد ما الجزاء على القانون الاسلامى المطبق داخل الدولة وهو بصفة خاصة نفس الجزاء فيما يتعلق بعلاقات الاجانب المقيمين مع الدولة التى يقطنونها • فان الحكومة عن طريق محاكمها القضائية تعيد ميزان العدل بالنسبة لمن اقترف فى حقهم عدوان • والجزاء الحقيقى فى الشريعة الاسلامية كما هو معروف لا تنظمه مجرد ارادة الحاكم (وهو باعتبار كونه انسانا قد يطغى) وانما يكون الجزاء الاوفى فى الاعتقاد فى الحياة الاخوة وحساب الله • وان بواعث الضمير والروح والعوامل الوقائية هى أكثر فعالية من المغريات والزواجر الدنيوية • وهكذا يرتبط الفرد بالقانون لا بحكم القهر ، بل حتى حينما لا يوجد ما يعترض ارادته سوى خشية العاقبة والخزى وسوء السمعة •

وفى الجزء السادس يذكر المؤلف أصول ومصادر للقانون الاسلامى :

١ ــ القرآن • ٢ ــ السنة • ٣ ــ عمل الخلفاء الراشدين • ٤ ــ عمل حكام المسلمين الذين يعتبر الفقهاء حكمهم شرعيا • ٥ ــ آراء أشهر الفقهاء المسلمين •

(أ) الاجماع • (ب) القياس •

٦ ــ التحكيم • ٧ ــ المعاهدات والمواثيق وسائر الاتفاقات • ٨ ــ التعليمات الرسمية الى قواد الجيوش وأمراء البحر والسفراء وغيرهم من موظفى الدولة •

٩ ــ التشريع الداخلى فى سلوك الدولة ازاء الاجانب والعلاقات الاجنبية ، ١٠ ــ العرف والعادة

ويوضح فى الجزء السابع مكان القانون الدولى فى القانون العام •

وفى الجزء الثامن يشير الى الاسلام وتدويل المجتمع الانسانى ثم ينتقل فى الجزء التاسع ليشير الى القانون الدولى قبل الاسلام • وفى الجزء العاشر يذكر مكان الاسلام فى التاريخ العام للقانون الدولى •

ويختم المؤلف كتابه البالغ ١١١ صفحة ببيان الأساس الأخلاقى للقانون الاسلامى وهو أن أئمة الاسلام أجمعوا على قاعدة قانونية أساسية بالنسبة للعلاقات الدولية • وكل مؤلفات الفقه الاسلامى ــ حتى الموجزة منها ــ لاتفتأ تكرر أن : « المسلم والكافر فى مصاب الدنيا سواء » وليس فى وسع امرىء أن يعتدى على القانون والعدالة والضمير الطيب بدعوى أن الطرف المعتدى عليه غير مسلم ، ولا يستطيع أمرؤ أن ينقض العهد المعطى لهم بأى تعلة من التعلات ــ والثارات الانتقامية يحرسها الاسلام •

حمدى الليثى

قصيدة

بعد العدوان على العراق

ضمّوا القلوب

شعر : حامد الجوجري

ألا تحسين نار الخزى والألم   يا أمة وجهها مما عراه دمى
إن كان وجهك لم يحمر من خجل   فيا ضياع غد والأمس والقيم
فى كل يوم تعاديكم يد بطشت   بكم فلم تلق إلا خائر الهمم
تزيد بغيا إذا ما زدتم وهنا   ومن يهن يغر بالعدوان والنقم
نار العدو على آفاقكم كيف   ونارکم بينكم مشبوبة الضرم
علام هذا الصراع المر بينكم   وأنتم بين مخدوع ومغتنم
كم « دمية » بينكم باتت تحركها   يد (المحترف) حتى نقلة القدم
يصول وهو على أرجوحة قبضت   حبالها أصبع من كف محتكم
هو الدعى فلا آلامه ألمى   يوم الكفاح ، ولا حرماته حرمى
فهل أعزكم بين « الرفاق » أخ   ممن إذا جاد لم يبذل سوى كلم
لا يؤلم الجرح إلا من يحس به   ولا يصون دمى إلا أخو رحمى
أذلكم بعد « مصر » كل ذى أرب   فيكم ، وصال فلم يردع ولم يقم
رأكم شيعا ضلت مقاصدها   قصادكم دون ما رام ولا سهم
لكن عداواتكم كانت حبالته   وصدركم بحراب (الأقرباء) رمى
من غير مصر ترون اليوم حصنكم   من غيرها هاتف بالبذل : هاك دمى
من غيرها يفتدى بالروح إخوته   إذا دعوا : أين راعى العهد والذمم ؟
عودوا الى «مصر» حضن الأم يعصمكم   من مستخف ، وموتور ، ومنتقم
عودوا إلى العروة الوثقى تجمعكم   على « العقيدة » حبلا غير منصرم
شهر الصيام بداعى الحب ناكركم   فاسعدوه بشمل جد ملتئم
« شهر المحبة » لا بغض ولا حسد   فلا تروعوه بالثارات والخصم
ضموا القلوب كما شاء الإله لها   فالله ألفها بالحب من قدم
كنا على جرف هار فأنقذنا   فلا تعودوا لدنيا الشر والظلم

الفتاوى

س : من السيد حمدى أحمد سليمان • من سوهاج •

ما حكم الدين فى لعب كرة القدم ؟ • وما موقف الدين من الكسب عن طريقها ؟ وما هو الاثم الذى يرتكبه الجمهور بتركهم للصلاة لمشاهدة المباراة ؟ وهل اللعب بالسروال القصير (فوق الركبة) جائز أم لا ؟

ج : لعب الكرة من ألعاب الرياضة البدنية ، التى تنشط الجسم وتقويه ، وهى بذلك جائزة ما لم تشغل عن واجب ، فاذا شغلت عن واجب كانت محرمة •

واعطاء اللاعب مرتبا من النادى جائز شرعا •

أما اللعب بطريقة المراهنة كأن يدفع كل فريق مبلغا من المال أو عينا يأخذ كل ذلك الفائز دون المغلوب فهو حرام لأنه ميسر •

أما اذا دفعت الجائزة للفائز من الحكومة أو النادى بدون أن يخسر المغلوب شيئا فانه جائز •

ولعب الكرة اذا شغل اللاعب أو المشاهد عن أداء الصلاة يكون حراما والمشاركة مشاركة فى الاثم •

وعورة الرجل هى ما بين الصرة والركبة ــ حتى بحضرة النساء الأجنبيات ــ وذلك عند أمن الفتنة ، فاذا كشف شيئا من العورة فانه حرام •

س : من فندق شيراتون القاهرة •

هل يجوز وضع مصحف كريم فى كل حجرة حيث ان هناك عددا كبيرا من النزلاء مسلمون، ولاتاحة الفرصة لقراءة القرآن ، مع العلم بأن هناك نزلاء غير مسلمين ، وبأن العاملات أو العمال المسلمين قد يكونون على غير طهارة؟

ج : جاء فى مفردات الراغب الأصفهانى : « أن الطهارة ضربان • طهارة جسم وطهارة نفس •

وحمل على طهارة النفس عامة الآيات ومثل قوله الله تعالى « **لا يمسه الا المطهرون** » أى أنه لا يبلغ حقائق معرفته الا من طهر نفسه وتنقى من درن الفساد ، وقوله تعالى : « **لهم أزواج مطهرة** » أى مطهرات من الدنس وأخلاق السوء ، وقوله تعالى : « **والله يحب المطهرين** » فانه يعنى تطهير النفس ، وقوله تعالى « **ذلكم أزكى لكم وأطهر** » أى أطهر لقلوبكم •

هذا بالإضافة الى أن النبى صلى الله عليه وسلم حينما أرسل الى هرقل يدعوه الى الاسلام كتب اليه فى كتابه آية من القرآن الكريم هى قوله تعالى : « **قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** » والآية من القرآن كالقرآن كله •

إعداد
عبد الحميد السيد شاهين

وتجيب عليها
لجنة الفتوى بالأزهر

ومسها هرقل وغيره وذلك دليل على جواز مس غير المسلم للقرآن .

وقد أجاز المالكية مس القرآن وقراءته للحائض والنفساء .

كما أجاز الظاهرية مس المصحف وقراءته دون طهارة .

وعليه فلا مانع من وضع المصحف في كل حجرة من حجرات الفندق مع العناية بالمحافظة عليه جهد الطاقة .

س : من السيد جميل حسن محمد احمد الطالب بالمدرسة الفندقية بالاسكندرية .

من ضمن مواد التدريس بالمدرسة « مادة تقديم الخمور » وتقوم المدرسة بتدريبنا على تقديم الخمور . فما الحكم ؟

ج : الخمر محرم شرعا بنص القرآن الكريم ، وحيث ان المدرسة يوجد بها مادة هي تقديم الخمور . فلا يجوز لك أن تقدم الخمور ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الشريف : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ، وبائعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة له ، وأكل ثمنها » وهنا ينطبق عليك حاملها أو ساقيها .

فعليك ألا تطيع هذا ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

س : من السيد / احمد امين صالح . قويسنا — منوفية .

رجل يريد الزواج من بنت زوج ابنته من زوجة أخرى غير ابنته . فما الحكم ؟

ج : لا مانع من زواج هذا الرجل بنت زوج ابنته من زوجة ثانية ، اذ لا يوجد ما يحرم هذا الزواج .

س : من السيد / م . ع . عبد الرحيم قنا .

نشا نزاع بين طائفتين من المسلمين — وهم جميعا يصلون في مسجد واحد — ويخشى من اجتماعهما ان تنشا فتنة بينهما ، فهل يجوز أن يبنى مسجد آخر لاحدى الطائفتين وتتعدد الجمعة تبعا لذلك ؟

ج : يجوز أن تتعدد الجمعة في البلد الواحد اذا خشي من فتنة تنشأ من اجتماع الطائفتين في مسجد واحد ..

والله أعلم ..

عبد الحميد شاهين

كتب الأستاذ/ مصطفى أمين فكرة يوم ١٠ — ٦ — ١٩٨١ بجريدة الأخبار قال فيها :

لن يصدق أحد أن اسرائيل تريد السلام مع مصر وتريد الحرب مع البلاد العربية .. فالسلام لا يتجزأ ، ومعنى السلام فى منطقة الشرق الاوسط أن يكون السلام مع كل دولة من دول الشرق الأوسط .. ويكفى أن تعلم اسرائيل أن كل رجل وامراة وشاب وطفل انتفض غضبا ولعن هذا العدوان على المفاعل النووى فى العراق .

واجبنا أن نرد على هذا التحدى بتحد أكبر . أن تنسى كل الدول العربية خلافاتها وتقف كتفا واحدة . واجب ايران والعراق أن يوقفا فورا هذه الحرب بينهما . وتقف جميع القوى العربية والاسلامية ودول الشرق الأوسط المستقلة لتدافع عن حرية وكرامة كل دولة فى الشرق الاوسط .

ما حدث للعراق يمكن أن يحدث لكل دولة أخرى فهى لم تطلق رصاصة واحدة على اسرائيل ، ولم تحتل شبرا واحدا من اسرائيل .. فاذا بها تتلقى هذا العدوان الشرس . وتتحدى اسرائيل بذلك الأمة العربية كلها . فهذا العدوان ليس عدوانا على العراق ، بل عدوان على كل شعب عربى وكل مواطن عربى . وسوف يعذر الرأى العام العالمى اذا اعتقد أن اسرائيل لا تريد السلام ، ولولا الخلافات بين الاخوة ، والحروب بين الأشقاء لما جرؤت اسرائيل أن تفعل ما فعلته فى العراق وماتفعله فى لبنان . فهذه الخلافات هى التى هيأت الفرصة لكل عدوان فى الماضى ، وهى التى ستهيىء الفرصة لكل عدوان فى المستقبل .

جرائم الماركسية ضد الاسلام

تحت هذا العنوان كتب الدكتور غريب جمعة مقالا بمجلة « رابطة العالم الاسلامى » عدد شوال سنة ١٣٩٧ هـ قال فيه :

« يحاول فريق من الناس فى العالم الاسلامى أن يعقد مصالحة وهمية بين الماركسية والاسلام ، وعلى ذلك فلا مانع من الجمع بين الايمان بالماركسية كمذهب اقتصادى أو كنظام سياسى وبين الايمان بالاسلام كعقيدة وسلوك .

وحقيقة الأمر أن مجرد محاولة عقد المصالحة بين الاسلام والماركسية والجمع بينهما كالجمع بين الماء والنار فى اناء واحد ، ووصف الانسان نفسه بانه المسلم الماركسى وصف فيه جهل أو خبث .

اما الجهل فهو بموقف الماركسى من الأديان عموما ومن الاسلام بوجه خاص وجرائمها الوحشية ضده وضد أبنائه ، وأما الخبث فهو اذا كان لا يجهل ما سبق ثم يحاول أن يلبس على الناس دينهم تنفيذا لمرحلة من مراحل التكتيك الشيوعى فى القضاء على الاسلام

إعداد : عاطف زهران

حتى تأتى مرحلة الدماء ، ولا حاجة حينئذ لخبث أو مراوغة .

فماذا أصاب اخوتنا من أبناء الاسلام على أيدى الشيوعيين فى روسيا ؟ ان الحديث عنهم ذو شجون لأن مداده من دماء هؤلاء الاخوة الزكية ، ولكى يدرك الانسان مبلغ نكبة تلك الأوطان لابد أن يعرف الفرق بين روسيا والاتحاد السوفيتى . أما روسيا فهى دولة صغيرة تقع فى الشمال الشرقى من أوربا وتبلغ مساحتها أربعمائة ألف كيلو متر مربع . ولكنها أخذت فى غزو الاقطار المجاورة ، يساعدها جحافلها الهمجية وما أذاقته للناس من ويلات وتدمير فامتدت الى البلطيق غربا والى المحيط الهادى شرقا .

وكانت نتيجة ذلك الغزو الهمجى أن استولت على أوطان اسلامية وأخرى مسيحية .

وبعد هذا التوسع الاستعمارى أصبح يطلق على روسيا « الاتحاد السوفيتى » ومساحته تبلغ أربعة عشر مليونا من الكيلومترات المربعة يتكون مما يزيد عن ثمانية أعشارها من دول اسلامية ــ أورال ، استراخان ، سيبريا ، القرم ، القوقاز ، تركستان الغربية .

ومنذ أن استعمر قياصرة روسيا هذه البلاد وهم يعملون على محو الاسلام واستئصال شأفة المسلمين منها .

حقوق الانسان الاقتصادية فى الاسلام

كتب الأستاذ عبد الحميد الكاتب مقالا تحت هذا العنوان بجريدة أخبار اليوم القاهرية يوم ٢٨ ــ ٣ ــ ١٩٨١ م ، قال فيه :

الضرائب هى احدى الطرق التى سلكها الاسلام لتحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية بين أفراد المجتمع وطبقاته .

وأول هذه الضرائب الزكاة .. ولكنها ليست الضريبة الوحيدة التى يقررها الاسلام .. فهناك عدد آخر من الضرائب أقرها لأهداف انسانية واجتماعية وقومية .

وهذه الضرائب التى تهدف الى تحقيق شيىء من العدالة الاجتماعية لم تعرفها المدنية الحديثة الا منذ عهد قريب جدا .. لا يتجاوز قرن ونصف قرن .. وذلك حين أصدرت انجلترا فى عهد الملكة فيكتوريا أول قانون يحمى الفقراء من الاستغلال البشع .

وهو ما عرف باسم (قانون الفقراء) . الذى كان يعطى الفقراء جزءا صغيرا من ميزانية الدولة يخفف عنهم وطأة الفقر الشديد ، الذى كان يعانى منه جزء كبير من الشعب الانجليزى . فى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا هى أكبر وأغنى دولة فى العالم .

قالت الصحف

وجاءت ألمانيا فوضعت فى عهد بسمارك قانونا هو بداية قوانين (التأمين الاجتماعى) وكان هذا منذ أكثر من مائة سنة . أما قبل هذا فلم يكن العالم يعرف شيئا عن الضرائب التى تخفف عن الفقراء . وكانت هذه الأموال مخصصة لأمرين أولهما :

توفير حياة البذخ للملوك ومن يلوذ بهم .

وثانيهما : تجهيز الجيوش لتغير على الآخرين وتسلبهم أملاكهم ، أو تصد غارات الأعداء عليها .

أما فرض الضرائب لينفق منها على الفقراء .. فهذا النظام اسلامى .. بل هو فريضة اسلامية ، عرفتها فى صورة الزكاة بأنواعها .. وفى صورة ضرائب أخرى عديدة فرضها الاسلام : شرع الله الكفارة عن بعض الذنوب .. وضريبة الخراج فرضها عمر بن الخطاب .. ضريبة الأمن القومى التى أقرها العز بن عبد السلام .. ولكن صورة الزكاة قد بهتت فى أذهاننا ، وفى حسنا كما يقول الشهيد سيد قطب فى كتابه العدالة الاجتماعية فى الاسلام) يقول :

« ان هذه الصورة قد بهتت لأنه قد انقضت أجيال تلو أجيال دون أن تكون الزكاة مطبقة فى واقع الأمر ، وفى نظام الدولة .. لان هناك فكرة شائعة بأن ضريبة الزكاة هزيلة ضئيلة ، فلو اكتفينا بها لقلت حصيلة الدولة من الضرائب وأدى ذلك الى أن صارت فريضة الزكاة تأتى عند أغلب المسلمين فى المرتبة الأخيرة بعد الفرائض الاخرى .

على أبواب ثورة اسلامية

كتب الاستاذ محمد عبد الرحيم عنبر مقالا تحت هذا العنوان بجريدة « الرأى العام » الاسلامية الصادرة فى يوم ٣٠ ابريل سنة ١٩٨١ م قال فيه :

ان المراقبين السياسيين الغربيين يلاحظون اليوم فى انزعاج واضح الانتفاضات .. أو الثورات .. أو الصحوات ـ سمها كما شئت ـ الاسلامية فى أرجاء العالم كله .

فى أفغانستان .. حيث تقوم حرب طاحنة بين المناضلين المجاهدين المسلمين ، والحكام العسكريين والشيوعيين .

وفى باكستان حيث يطالب الشعب كله بتطبيق الشريعة الاسلامية .

وفى تركيا أيضا ثورة .. قيل أنها بين طائفتى السنية والشيعة .

ولكن الحقيقة أنها بين المسلمين والشيوعيين .

وفى ايران ثورة قالت انها اسلامية .

وفى الملايو يطالب الطلبة بتطبيق الشريعة الاسلامية .

والشعب الليبى المسلم مل من سياسة زعيمه الذى أصبح عميلا للروس .

والمقاومة العنيفة فى اليمن الجنوبية ضد الزعماء الماركسيين .. !! ويعتقد المراقبون أن ثورة قد بدأت بالفعل .. وأن هذه الحركات المتفرقة ما هى الا ارهاصات لهذه الثورة .. وان لم يكن اليوم بينها ترابط أو تنسيق فهى «الطلائع الثورية قبل الزحف المقدس .

عاطف زهران

اعداد عبد العزيز أحمد جبره

كيف نصوم رمضان

تحت هذا العنوان كتب القارىء/محمد محمود على يقول :

شهر رمضان من أفضل الشهور عند الله تعالى وليس بين الشهور من شهر يدانى شهر رمضان فى منزلته عند الله تعالى وفى بركاته التى تفيض على النفوس وتعمر القلوب والحقيقة أننا لو نظرنا الى شهر رمضان وما فيه من أحداث جليلة وعظيمة الشأن والمكانة عند المسلمين لأيقنا بالفعل دون أدنى شك أنه أفضل الشهور عند الله سبحانه وتعالى فعلى سبيل المثال نزلت فيه صحف ابراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى والقرآن الكريم لقول رسولنا الكريم فى حديثه الشريف الذى يوضح ويبين فيه للمسلمين مكانة شهر رمضان فقال : (**أنزلت صحف ابراهيم فى اول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والانجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**) .

وقد قال الحق تبارك وتعالى فى كتابه العزيز (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**) من هذه الآية الكريمة يتضح لنا أنه شهر مبارك أنزل الله فى القرآن وفرض صوم نهاره على المسلمين بل جعل الصوم ركن من أركان الاسلام الخمسة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف (**بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا**) وهنا نأتى الى النقطة الاساسية لشهر رمضان وهى الصيام ولكن كيف نصوم رمضان ونعطى لفريضة الصوم حقها وكيف نصل بصومنا الى رضى الله تبارك وتعالى عنا وما الى غير ذلك من الأمور التى يتطلب من الانسان المسلم المحافظة عليها أو ترك فعلها حتى يتأدب بالأدب الروحى المطلوب لشهر رمضان .

المعروف لدينا أن الصوم هو : (**امتناع عن**

هكذا يكتب

كيف نصوم رمضان

الأكل والشرب وشهوة الفرج من طلوع الفجر الى غروب الشمس) أو هو **(الامتناع عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر الى غروب الشمس)** هذا هو تعريف للصوم ولكن المطلوب فى الصوم أسمى من ذلك حتى يصل الانسان بصومه الى مرضاة الله عز وجل فيمكن للانسان أن يمتنع عن الأكل والشرب ومعاشرة الزوجة ولكن بقية جوارحه لم تلتزم بما هو مطلوب منها فلم يكف اللسان مثلا عن الحديث عن الناس والغيبة والنميمة ولم تسكن اليد عن أذى الناس ولم يغض البصر عن النظر عما حرم الله ولم تقف القدم عن السعى الى ما حرم الله وهنا ينطبق على الانسان الذى لم تلتزم جوارحه بآداب الصوم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه **(كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش)** واحسرتاه لو خرج الانسان من صومه بالجوع والعطش دون ثواب الله وجزاؤه لأن الصوم عبادة سامية فهو تزكيه للنفوس وتقوية للارادة وتحرير للانسان المسلم من قيود العادة وعبودية الشهوة كما أنه يعلم الانسان الصبر وقوة الاحتمال وصحوة الضمير ومراقبة الله عز وجل حيث يمكن للانسان أن يختلى فى مكان ويغلق على نفسه الابواب ويفعل مبطلات الصوم من أكل وشرب ومتعة وما الى غير ذلك من الأمور ولكن الصوم يحجبه عن كل هذا ويربى فيه العادات الحميدة والافعال الكريمة والصفات النبيلة فاعبد الله فى هذا الصوم كأنك تراه فان لم تكن تراه فهو يراك) وكن من الذين قال فيهم المولى عز وجل فى حديثه القدسى **(ياملائكتى : أنظروا الى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى)** لأنك كم تعلم أخى المسلم أن الصوم لا يعلم قيمته وأجره وثوابه الا الله حيث قال أيضا فى حديث قدسى آخر **(كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا اجزى به)** وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال **(من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)** .

فيا أخى المسلم : رمضان شهر كريم مبارك فيه تفتح الجنة أبوابها وتغلق النار أبوابها وتسكن الشياطين فاغتنم هذا الشهر العظيم فى العبادة والتقرب الى الله بالاعمال الصالحة والالتزام بآداب الصوم المفروضة وعليك بكثرة القراءة فى القرآن الكريم فهو شهر القرآن كما قال الله عز وجل **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ)** وفيه ليلة خير من ألف شهر الا وهى ليلة القدر ويقول فى حقها المولى سبحانه وتعالى **(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ـ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ـ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ الى آخر السورة)** كل هذه الفضائل لشهر رمضان مع أنه فى صالح جسم الانسان من الناحية الصحية كما ثبت الأطباء من خلال أبحاثهم أن الصوم مفيد للانسان صحيا وأخيرا وفقنا الله واياكم للصوم الصحيح ابتغاء مرضاة الله ورسوله وكل عام والأمة الاسلامية بخير .

قصيدة

بسم الله الرحمن الرحيم
الاستاذ الدكتور رئيس تحرير مجلة الأزهر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
مع تمنياتنا الطيبة لكم ولجهودكم الموفقة فى اخراج مجلة الأزهر بهذه الصورة الرائعة .
ابعث بهذه الأبيات نظمتها بعد انصاتى الى قارىء يتلو بصوت خاشع يملأ القلب قبل الأذن .

يا مَنْ تُرتِّلُ مُحْكَمَ القُرْآنِ ... قَدْ زِدْتَ بالترتيلِ فِي إِيمَانِي
أَصْغَيْتُ مِلْءَ القَلْبِ قَبْلَ مَسَامِعِي ... وَبَكَى الفُؤادُ وَفَاضَتِ العَيْنَانِ
وَأَتَيْتُ بَابَ اللهِ أَخْفِضُ هَامَتِي ... مِنْ عِبْءِ أَوْزَارِي وَمِنْ عِصْيَانِي
وَأَتَيْتُ بَابَ اللهِ تَجْرِي عَبْرَتِي ... نَدَمًا سَرَى فِي مُهْجَتِي وَكِيَانِي
وَأَتَيْتُ بَابَ اللهِ أَرْجُو عَفْوَهُ ... فَاغْفِرْ لَنَا يَا وَاسِعَ الغُفْرَانِ
وَامْلأْ بِنُورِ الحَقِّ قَلْبِي إِنَّنِي ... عَبْدٌ أَنَابَ وَجِئْتُ فِي إِذْعَانِ
قَدْ جِئْتُ مُعْتَرِفًا بِذَنْبِي تَائِبًا ... فَاقْبَلْ إِلَهِي تَوْبَةَ النَّدْمَانِ
بَلْ أَسْتَغِيثُ وَأَسْتَجِيرُ إِلَهَنَا ... فَاصْفَحْ وَجُدْ بِالفَضْلِ وَالإِحْسَانِ
يَا مَنْ تَسِيرُ وَلَيْلُ دَرْبِكَ حَالِكٌ ... وَتَبِيتُ فِي خَوْفٍ وَكُلِّ هَوَانِ
هَلاَّ اهْتَدَيْتَ بِنُورِ الحَقِّ وَاضِحٌ ... يَشْفِي سِقَامَ النَّفْسِ وَالأَبْدَانِ
هَذَا كِتَابُ اللهِ نُورٌ سَاطِعٌ ... فَتَمَسَّكُوا بِالذِّكْرِ وَالفُرْقَانِ
قُرْآنُ رَبِّي قَدْ أَتَانَا هَادِيًا ... وَمُبَشِّرًا بِسَعَادَةٍ وَأَمَانِ
بِلِسَانِ أَحْمَدَ قَدْ قَرَأْنَا آيَةً ... أَنْعِمْ بِآيَاتٍ وَصِدْقِ لِسَانِ
يَا لَيْتَنَا نَسْمُو بِنُورِ كِتَابِنَا ... حَتَّى يَعُمَّ النُّورُ فِي الأَكْوَانِ
فَاقْرَأْ كِتَابَ اللهِ تَسْعَدْ دَائِمًا ... وَتَفُوزُ بِالجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ

أحمد محمد الديب
مدرس أول بحلوان التجارية للبنين

أخبار العالم

القاهــرة :

*** ينظم المجلس الأعلى للشباب والرياضة مسـابقة ثقافية دينية على مسـتوى طلاب الجامعات المصرية حول الموضوعات الآتية :**

* مصر العروبة والاسلام ــ دور الازهر فى خدمة الاسـلام والعروبة ــ دور مصر فى تدعيم القيم الروحية على امتداد تاريخهـا الوطنى والقومى ــ رؤية لمستقبل العلاقة بين مصر والبلاد الاسـلامية فى ضـوء الواقع التاريخى .

*** أصـدر الدكتور الطيب النجار مدير جامعة الازهر قرارا بتشـكيل لجنة احياء التراث الاسلامى وتتولى اللجنة توجيه نشاط الجامعة وهيئات التدريس فى دراسـة التراث غير المنشور والبحث عنه واصدار التوصـيات اللازمة بالنسـبة لما يجب فحصه وتحقيقه ونشره من المخطوطات .**

* طـالبت الجمعية التأسيسـية لجـامعة الشعوب الاسـلامية والعربية المجتمع الدولى بالنهوض بمسئولياته تجاه قضية القدس كمـا أدانت اسـتمرار الغزو لأفغانستان ، وطالبت الدول الاسـلامية والعربية بتقديم الدعم الكامل للمجاهـدين الافغان وقطع علاقاتها بالنظام القائم فى « كابول » وتجميد العلاقات مع الاتحاد السـوفيتى فى حالة استمرار بقاء قواته فى أفغانستان . وطالبت الجمعية المجتمع الدولى بمواجهة اصرار اسرائيل على سـياسة العـدوان وتنكرها لقـرارات الامم المتحـدة ومجلس الأمن ، ووافقت الجمعية على انشـاء بنك للعالم الاسـلامى يساهم فى خطط التنمية لتوسيع قاعدة الانتاج فى الدول الاسـلامية والعربية .

الكويت :

*** تعتـزم وزارة الأوقاف والشـئون الاسـلامية بالكويت اقامة مشروع يتضمن زيادة الاهتمام بدار القـرآن الكـريم ومعهد الدراسات الاسـلامية من اجل تطويرها حتى تكون مركز اشعاع حقيقى للعالم الاسلامى .**

* قرر مجلس جامعـة الكويت فى اجتماع عقده برئاسـة وزير التربية الرئيس الأعلى للجامعة البدء بتدريس مقرر الثقافة الاسلامية

العالم الإسلامى

كمتطلب جامعى اختيارى اعتبارا من الفصل الدراسى ٨١/١٩٨٢ م ٠

المملكة الاردنية الهاشمية ..

* أقيم فى الجامعة الاردنية مؤخرا معرض للكتاب الاسلامى ضم مختلف الكتب الاسلامية من فكرية وفقهية وعلمية بجانب عدد من اللوحات الاسلامية ٠ واستطاع طلاب الجامعة اصدار مجلة اسلامية بعنوان « صوت الاسلام » تضم الانشطة الاسلامية والعلمية فى الجامعة وبعض المواضيع الدينية القيمة ٠

البحرين :

* قررت البحرين تكوين متحفا يتضمن مجموعات فريدة من الترجمات لمعانى القرآن الكريم وجميع النسخ التى طبعت فى مختلف العصور ومن جميع انحاء العالم وكل ما يتصل بالتفسيرات الحديثة باللغة العربية ٠

المالديف :

* تقيم زمرة الطلاب المتحدين بجزر المالديف بمشيئة الله المسابقة القرآنية الثالثة خلال شهر رمضان المبارك لعام ١٤٠١ هـ لطلبة وطالبات منطقة « ادو أتول » بجزيرة هندو بالمالديف ٠

بريطانيا :

* يسعى اتحاد المنظمات الاسلامية فى بريطانيا للحصول على الاعتراف الشرعى بالدين الاسلامى من الحكومة البريطانية ويقدر عدد المسلمين فى بريطانيا بحوالى مليون ونصف مليون مسلم ٠ ويطالب ممثلو المنظمات الاسلامية بالاعتراف الرسمى بالاسلام كثانى أكبر تجمع دينى فى بريطانيا كما حدث فى بلجيكا والنمسا ٠ وتتلخص اهم مطالب المسلمين فى :

— أن يكون لهم الحق فى بناء المساجد فى المناطق التى تحتاج اليها ٠

— وأن توضع الانظمة التى تمكنهم من اداء الصلوات الخمس اليومية فى أوقاتها ٠

— وأن يوضع فى الاعتبار تامين الاغذية التى لا تتعارض مع الشريعة الاسلامية فى المدارس والمستشفيات واماكن العمل وفى السجون ٠

— وأن يعترف بعيدى الفطر والاضحى كعطلة رسمية للمسلمين المقيمين فى بريطانيا ٠

أخبار العالم

– وان تخصص لهم اراضى من أجل دفن موتاهم ·

الولايات المتحدة الامريكية :

* أوضح السيد غازى يحيى خان مدير اذاعة صوت الاسلام فى الولايات المتحدة الامريكية أن هناك ضغوطا صهيونية وحملات مكثفة تشن ضد الاسلام والمسلمين · وقال السيد خان : أنه واجه كثيرا من الصعوبات منذ الخطوات الاولى لتأسيس اذاعة صوت الاسلام التى سوف تؤدى رسالتها على اكمل وجه بإذن الله ·

* تقوم الهيئات الاسلامية فى امريكا بنشاطات ملموسة فى سبيل دعم العمل الاسلامى واقامة المزيد من المراكز والمساجد والمدارس الاسلامية · ففى مدينة جيرس سيتى بولاية نيو جرسى قامت جمعية عباد الرحمن بشراء مبنى كبير فى شارع رئيسى من أجل تحويله الى مسجد ومدرسة اسلامية

كما سيضم هذا المركز الاسلامى معهدا للدراسات الاسلامية ودارا للحضانة ومستوصفا اسلاميا خيريا ومكانا لتجهيز موتى المسلمين ، وقاعة للاجتماعات والمناسبات وعقد الزواج وفقا للشريعة الاسلامية ·

اكسفورد :

* انتهى فريق من الباحثين المصريين والامريكيين من اعداد أول موسوعة للعملات الاثرية الاسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى العصر الحديث لتبدأ طباعتها فى أكسفورد بانجلترا باللغة العربية والانجليزية · وهى مرتبطة طبقا للتسلسل التاريخى للدول الاسلامية فى مختلف العصور ·

المانيا الغربية :

* سيتم باذن الله انشاء مركز ثقافى اسلامى يضم مسجدا ومكتبة ومدرسة فى بون عاصمة جمهورية المانيا الاتحادية · وقد اختارت لجنة سفراء الدول الاسلامية قطعة الارض التى قدمتها مدينة بون ·

* تقرر تأسيس معهد بحوث للدراسات الاسلامية وتاريخ العلوم الاسلامية فى العالم العربى يكون مقره فرانكفورت بألمانيا الاتحادية وسيكون أول معهد وأول مشروع من نوعه خارج البلاد العربية حتى الآن ·

أوغندا :

* تفيد الأنباء الواردة من أوغندا أن هناك

العالم الاسلامي

محاولات مستمرة لضرب وتصفية الاســلام والقضاء على المسلمين فيها . والهدف من وراء هذا الاضطهاد هو تحويل اوغندا الى دولة غير اســلامية .

فرنسـا :

* قام أربعة الاف مهاجر مسلم يعيشون بمدينة « مانت » الفرنسـيـة والتى تبعد عن العاصـمة باريس بستين كيلو متر بجمع التبرعات لبناء مسجد ومركز اسلامى بالمدينة التى يعيشون بها . وكان المسلمون قد أنشأوا جمعية دينية هى الاتحاد الاســلامى . وتقوم الجمعية بدور كبير فى نشر الوعى الاســلامى بين أفراد هذه الجالية الاسلامية .

رومانيا :

* يتم فى رومانيا بناء مسـجد ومركز اسلامى وثقافى فى العاصمة الايطالية وقد تمت هذه الموافقة على بناء هذا المسجد الاسلامى فى احـدى المناطق التى تقع فى اطار المدينة « روما » وقد وافق مجلس مدينـة روما على بناء المسجد .

جنيف :

* تم تأسيس دار المال الاســلامى لخدمة الاقتصـاد الاســلامى وتنمية المجتمعات الاسـلامية ، ولتستجيب للطلب الملح والناجم من رغبة المسلم العميقة فى تطبيق اسـلامه ، ورغبة الأجيال الناشئة من أن ينتقل الاسلام من مجرد خطب وكلمات تلقى الى ممارسـة وتطبيق يومى فى حياة الانسان .

ودار المال الاسلامى . كانت مرحلتها الاولى عندما أصدر المؤسسون الفخريون عهدا ونداء للأمة الاسلامية تعهدوا فيه بالجهد فى سـبيل نشر ودعم المؤسسات الاقتصادية الاسلامية . أما مرحلتها الثانية فقد بدأت بالاكتتاب الخاص لكبار رجال المال فى الامة الاسلامية . ومرحلتها الثالثة ستبدأ باذن الله بعد عيد الفطر المبارك حيث يبدأ طرح الاكتتاب العام لجمهور الامة الاسلامية ، وسوف يفتح الاكتتاب فى ٢٤ دولة اسـلامية .

أخبار الأزهر

مد الاعارات للعاملين بالأزهر

* أصدر فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر قرارا يقضى بالتجاوز عن مدد الاعارة أو التعاقد الشخصى لأعضاء هيئة التدريس أو غيرهم من الوعاظ أو الموظفين بالازهر المعارين أو المتعاقدين الى البلاد العربية أو الاسلامية وغيرها من البلاد والمنصوص عليها بقرار شيخ الازهر رقم ٢٢ لسنة ١٩٧٧ وذلك بشرط طلب جهة الاعارة أو التعاقد أو الندب التى يعملون بها .

وفد من الأزهر الى اليابان — الفلبين — سرى لانكا

* وافق فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر على سفر كلا من السيد الاستاذ / احمد عصمت محمود ابراهيم وكيل أول الوزارة المشرف العام على مدينة ناصر للبعوث الاسلامية رئيسا .

فضيلة الشيخ / عبد الحميد السيد شاهين مراقب البعوث الاسلامية عضوا

والسيد / محمد ثروت محمد حلمى عبد اللطيف مراقب شئون المنح الدراسية والاسكان بمدينة البعوث الاسلامية عضوا

الى اليابان الفلبين سرى لانكا

وذلك للقيام بزيارات ميدانية لدراسة بيئة وأحوال وظروف معيشة الطلاب الوافدين على الطبيعة والعمل على تقوية الروابط بين الازهر وخريجيه والتعرف على الهيئات والمنشآت الاسلامية بهذه الدول وما يمكن أن يقدمه الازهر لها من منح أو أى معونات أخرى .

اخبار الامتحانات بالأزهر

* صرح فضيلة الشيخ عبدالكريم وكيل الوزارة لشئون المعاهد الازهرية بأن نتائج امتحان الشهادتين الاعدادية والثانوية الازهرية سيبدأ اعلانها فى منتصف شهر يوليو القادم وأن عدد الطلاب الذين تقدموا لامتحان الشهادتين قد بلغ ٥٥ ألف طالب وطالبة من بينهم٢٣ ألف طالب وطالبة بالشهادة الاعدادية و ٣٢ ألفا بالثانوية .

وأضاف أنه تقرر الغاء مسابقة قبول طلاب الاعدادية العامة بالمعاهد الازهرية الثانوية هذا العام نظرا لكفاية هذه المعاهد من طلاب الاعدادية الازهرية . وقال انه يجرى حاليا دراسة تشكيل مكاتب تنسيق بالمعاهد الازهرية الثانوية تتولى توزيع الطلاب بهذه المعاهد وفقا لاحتياجات الجامعة من التخصصات المختلفة .

* صرح السيد الاستاذ / عبد العزيز قريش الامين العام لجامعة الازهر بأن الجامعة ستقبل هذا العام نحو ٢٦ الف طالب وطالبة ٠

* تقرر الغاء الاسئلة من مادة النحو فى امتحان الثانوية الازهرية والخارجة عن المقررات المعمول بها هذا العام وذلك لكثرة شكاوى الطلاب فى القسمين العلمى والادبى على مستوى الجمهورية ٠ وصرح فضيلة الشيخ عبد الله كريم وكيل الوزارة لشئون المعاهد أنه سيشكل لجنة للتحقيق مع واضعى هذه الاسئلة ٠

* استقبل فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر الشيخ / تنزيل الرحمن رئيس مجلس الفكر الاسلامى بباكستان وبرفقته السيد سفير باكستان بمصر ، وحضر اللقاء فضيلة الدكتور وكيل الازهر ٠ وفضيلة الاستاذ حلمى محمود وكيل الوزارة ، وفضيلة الدكتور الحسينى هاشم الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ٠

ودار البحث حول الشئون الاسلامية وأحوال المسلمين فى باكستان وتبادل اللقاءات بصفة مستمرة وتدعيم العلاقة الدينية بين البلدين كما دار البحث حول زيادة المنح الدراسية لطلاب باكستان وزيادة عدد المبعوثين من الازهر ٠

● يعقد فى الفترة من ٢٩ الى ٣١ أغسطس ١٩٨١ القادم المؤتمر السنوى الثلاثينى للاتحاد العام للجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا فى مدينة تورنتو — انتاريو — بكندا، ويناقش المؤتمر موضوع « الاسلام الدين الحنيف فى ماضيه وحاضره ومستقبله » هذا وسيحضر المؤتمر وفدا يمثل الأزهر ٠

شيخ الازهر يستقبل رئيس المسلمين فى اليابان

* كما استقبل فضيلته / الحاج عبد الكريم سايتو رئيس المسلمين فى اليابان وتم بحث موضوع اشتراك الازهر الشريف بمندوبين فى مؤتمر الديانات والعقائد العالمية المزمع اقامته فى طوكيو يوم ٢٣ يونيو الجارى ٠

* كما استقبل فضيلته وفدا من اليمن الشمالية برئاسة الاستاذ / احمد عبد ربه جراده وكيل وزارة التربية والتعليم ودار الحديث حول تدعيم العلاقات الثقافية بين البلدين وقد طلب الوفد أكثر من ١٧٠٠ مدرس للعلوم الشرعية والعربية وقد وعد فضيلة الامام بتلبية كل احتياجاتهم ٠

* كذلك استقبل فضيلته مستشار وزارة التربية والتعليم الاسلامى لمنطقة شمال غانا وتم فى هذه المقابلة بحث تزويد المدارس الغانية بالمدرسين الازهريين والكتب الثقافية والدينية وزيادة عدد المنح الدراسية وكذلك زيادة عدد المبعوثين وقد أبدى فضيلة الامام تفهما لهذه المطالب ٠

الشيخ الشعراوى يتنازل عن مكافآته من البحوث الاسلامية لصالح طلاب الازهر

* تسلم فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر التنازل الخاص بمكافأة فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى عضو مجمع البحوث الاسلامية ٠

وكان قد تنازل فضيلة الشيخ الشعراوى عن مكافآته التى يتقاضاها من المجمع لصالح طلاب جامعة الازهر مدى الحياة ٠

ردود القراء

الأخ · عبد الفضيل عرفان عثمان ــ وكيل المدرسة الانجيلية بنات ــ ملوى ــ المنيا ·

كتب الينا يقول قرأت كثيرا عن الذين ترجموا للامام الشيخ محمد عبده من أمثال الاستاذ العقاد والدكتور محمد عماره عرفت منها حياته كلها من الميلاد حتى الوفاة وللأسف الشديد لم يذكر أى كاتب من هؤلاء المكان الذى دفن فيه ·

ولذلك أطلب من سيادتكم افادتى عن مكان مثواه الاخير ·

* نفيد سيادتكم بأن الشيخ محمد عبده (توفى بالاسكندريه فى سنة ١٣٢٣ هـ سنة ١٩٠٥ م ونقل الى القاهرة لتشييع جنازته وقد صلى عليه فى الجامع الأزهر · ودفن فى قرافة المجاورين · تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته) (١) ·

كتب الينا الاخ قابس قدور ــ الجزائر ــ بلدة لرجام ·

يسرنى ويسعدنى كثيرا أن أتقدم الى سيادتكم بطلبى راجيا أن تقدموا لى كتب من أى نوع يعجبكم ولكم الاختيار ·

* يا اخ قابس · مجلة الأزهر لا يوجد فيها كتب للاهداء ولكن توجد الكتب بمجمع البحوث الاسلامية ·

وعليك أن تتصل بمجمع البحوث الاسلامية وتطلب ما تريده من الكتب مجمع البحوث الاسلامية ــ مدينة نصر ــ القاهرة ·

---

(١) تاريخ الامام محمد عبده للاستاذ/محمد رشيد رضا ــ الجزء الاول ص ١٠٤٩ ·

كتب الينا الاخ · التوينسى عانس ــ تونس ·

يريد أن يعرف كيفية الاشتراك فى المجلة ــ وعن قيمة الاشتراك لمدة سنة كاملة ·

ويشكو من قلة الاعداد التى تصل اليهم وأنها لا تكفى القراء ·

* نفيد سيادتكم باننا قد أخطرنا قسم توزيع الأخبار الذى يتولى ارسال المجلة الى تونس لكى يزود الكمية التى ترسل الى تونس شهريا ·

وبالنسبة لطلب اشتراككم فى المجلة فعليكم الاتصال بقسم الاشتراكات فى جريدة الأخبار · وعنوانه ·

جريدة الأخبار ــ القاهرة ــ ١٣ أ ش الصحافة ·

فهو الذى يتولى اشتراكات المجلة نيابة عنا وارسالها لكم بطريقته ·

وقيمة الاشتراك عن سنة كاملة هو (٣٫٣٠٠) ثلاثة جنيهات وثلاثمائة مليم ·

الاخ القارىء لمجلتنا باسوان ·

* وصلتنا رسالتك التى تفيد بأن مجلة الأزهر لم تصل الى اسوان فقد أخطرنا المسئولين بتوزيع الأخبار الذى يتولى توزيع المجلة فى أنحاء الجمهورية بشكواكم وسنتخذ اللازم نحو تزويد الكمية المرسلة الى اسوان · وعليكم متابعة وصولها اليكم والحصول عليها فى اول كل شهر عربى · وننتهز هذه الفرصة لنشكركم على غيرتكم نحو مجلتنا والاسلام)

كتب الينا الاخ ــ معيزة عبد القادر ــ الجزائر ·

يشكو من عدم وصول المجلة الى الجزائر ويريد أن يعرف كيفية الحصول عليها وفى أى مكان توجد ·

* نفيد سيادتكم بأن مجلتنا تصل الى الجزائر بوكالة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ــ الجزائر · ويمكنكم الحصول عليها من هذه الوكالة ·

ونشكركم على اهتمامكم بالمجلة والسعى الى قراءتها ·

د · عبد الفتاح السيد عبد السلام

معذرة .. لهذه الأخطاء

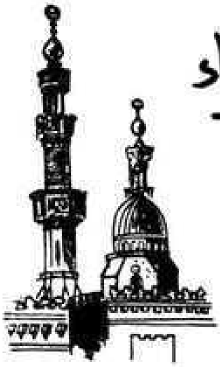

مجلة الازهر ، مجلة لها سمة خاصة ، وما ينشر فيها له طابع متميز ، ومن ثم تحرص أسرة التحـــرير على التدقيق الكامل فى اختيار المقالات من الناحيـــة العلمية وتصـــحيحها من الناحية اللغوية تصحيحا دقيقا .

ومع ذلك أفلتت من مصـــــححنا عدة غلتات فى الملزمة الاولى من عـــدد رجب الماضى ، أسفنا لها كثيرا .

وحرصا منا على سمعة المجلة ننبه الى هذه الاخطاء فيما يلى :

١ ــ (أ) جاء فى حديث فضيلة الاستاذ الدكتور محمد الطيب النجار مدير جامعة الازهر ص (١١٤٧) خلال حديثـــه عن الازهر فى حفـــل افتتاح مؤتمر البحوث والدراسات الســـكانية بجامعة الازهر الذى حضره السيد الرئيس محمد أنور السادات .

« فكان (يعنى الازهـــر) ولايزال بحمد الله الكعبة الســامية للاســلام » والصحيح أن فضيلة الدكتور النجار قال **« فكان الازهر ولايزال الكعبـــة الثانية للاسلام »** .

(ب) كما جـــاء فى نفس الحـــديث (ص ١١٤٨) أن فضيلته قال « ورسالة الازهر هى رسالة العلم والايمان الذى حملتهم رايته ووليتهم قيادته وزعامته» .

والصحيح أن فضيلته قال : **« ورسالة الازهر هى رســالة العلم والايمان الذى حملتم رايته ووليتم قيادته وزعامته »** .

(جـ) وفى (ص ١١٤٨) جـــــــاء « يا ســيادة الرئيس ادفعهم الى الامام بيدك القوية الامينة » وذكر فضـــيلة الدكتور النجار انها يد قوية **« لا لأنها يد رئيس جمهورية بل لانها يد راع امين يعرف الله ويخشـــــاه ولا يخشى احدا سواه »** .

٢ ــ وفى (ص ١١٤٩) وكان الدكتور عبد اللطيف خليفة نائب رئيس جامعـــة الازهر لشـــئون الطلاب ونحن نأسف للاســـتاذ الدكتور خليف والصحيح **« وكان الدكتور عبد اللطيف خليف »** .

ونحن نعتقـــــد ان الازهر كله يعرف الدكتور عبد اللطيف خليف ومن هنا كانت غلطة مصححنا .

٣ ــ كما جاء فى (ص ١١٥٨) « عن جابر بن الله » ونحن نستغفر الله تعالى ســـبحانه فالصحيح **« عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه »** .

أمساكية
شهر رمضان المعظم
سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان

أيام الأسبوع	تواريخ هجري رمضان ١٤٠١	تواريخ ميلادي يوليو ١٩٨١	مدة ساعات الصوم ق	مدة ساعات الصوم س	مغرب ق	مغرب ت	عشاء ق	عشاء ت	سحور ق	سحور ت	إمساك ق	إمساك ت	فجر ق	فجر ت	شروق ق	شروق ت	ظهر ق	ظهر ت	عصر ق	عصر ت
الجمعة	١	٣	٧	١٦	٠٠	٧	٣٢	٨	٥٣	١٢	٥٣	٢	١٣	٣	٥٨	٤	٥٩	١١	٣٥	٣
السبت	٢	٤	٧		٠٠		٣٢		٥٣		٥٣		١٣		٥٨		٥٩		٣٥	
الأحد	٣	٥	٦		--		٣٢		٥٤		٥٤		١٤		٥٩		٥٩		٣٥	
الإثنين	٤	٦	٦		٠٠		٣٢		٥٤		٥٤		١٤		٥٩		٥٩	١١	٣٥	
الثلاثاء	٥	٧	٥	١٦	--	٧	٣١	٨	٥٥	١٢	٥٥	٢	١٥	٣	٥٩	٤	٠٠	١٢	٣٦	٣
الأربعاء	٦	٨	٥		٠٠	٧	٣١	٨	٥٥	١٢	٥٥	٢	١٥	٣	٠٠	٥	٠٠	١٢	٣٦	٣
الخميس	٧	٩	٤		٠٠	٧	٣١		٥٦		٥٦		١٦		٠٠		٠٠		٣٦	
الجمعة	٨	١٠	٣		٥٩	٦	٣١		٥٦		٥٦		١٦		٠١		٠٠		٣٦	
السبت	٩	١١	٢		٥٩		٣١		٥٧		٥٧		١٧		٠١		٠٠		٣٦	
الأحد	١٠	١٢	١		٥٩	٦	٣١		٥٨		٥٨	٢	١٨	٣	٠٢	٥	٠٠	١٢	٣٦	٣
الإثنين	١١	١٣	٥٩	١٥	٥٨	٦	٣٠		٥٩		٥٩	٢	١٩		٠٣		٠١		٣٧	
الثلاثاء	١٢	١٤	٥٩		٥٨		٢٩		٥٩		٥٩		١٩		٠٣		٠١		٣٧	
الأربعاء	١٣	١٥	٥٨		٥٨		٢٩		٠٠	١ صباحًا	٠٠	٣	٢٠		٠٣		٠١		٣٧	
الخميس	١٤	١٦	٥٦		٥٧		٢٨		٠١		٠١		٢١		٠٤		٠١		٣٨	
الجمعة	١٥	١٧	٥٦	١٥	٥٧		٢٨	٨	٠١	١	٠١		٢١		٠٤		٠١	١٢	٣٨	
السبت	١٦	١٨	٥٥		٥٧		٢٧		٠٢		٠٢		٢٢		٠٥		٠١		٣٨	
الأحد	١٧	١٩	٥٣		٥٦		٢٦		٠٣		٠٣		٢٣		٠٦		٠١		٣٨	
الإثنين	١٨	٢٠	٥٢		٥٦		٢٦		٠٤		٠٤		٢٤		٠٦		٠١		٣٨	
الثلاثاء	١٩	٢١	٥٠		٥٥		٢٥		٠٥		٠٥		٢٥		٠٧		٠١		٣٨	
الأربعاء	٢٠	٢٢	٤٩		٥٥		٢٤		٠٦		٠٦		٢٦		٠٧		٠١		٣٨	
الخميس	٢١	٢٣	٤٧		٥٤		٢٣		٠٧		٠٧		٢٧		٠٨	٥	٠١		٣٨	
الجمعة	٢٢	٢٤	٤٦		٥٤		٢٣		٨		٠٨		٢٨		٠٨		٠١		٣٨	
السبت	٢٣	٢٥	٤٤		٥٣		٢٢		٠٩		٠٩		٢٩		٠٩		٠١		٣٨	
الأحد	٢٤	٢٦	٤٤		٥٣		٢١		٠٩		٠٩		٢٩		١٠		٠١		٣٨	
الإثنين	٢٥	٢٧	٤٤		٥٢		٢٠		١٠		١٠		٣٠		١١		٠١		٣٨	
الثلاثاء	٢٦	٢٨	٤٠		٥١		١٩		١١		١١		٣١		١١		٠١		٣٨	
الأربعاء	٢٧	٢٩	٣٩		٥١		١٨		١٢		١٢		٣٢		١١		٠١		٣٨	
الخميس	٢٨	٣٠	٣٧		٥٠		١٧		١٣		١٣		٣٣		١٢		٠١		٣٨	
الجمعة	٢٩	٣١	٣٥	١٥	٤٩	٦	١٦	٨	١٤	١	١٤	٣	٣٤	٣	١٣	٥	٠١	١٢	٣٨	٣
السبت																				

صلاة العيد الساعة ٥ ت ٣٨ ق افرنجي صباحًا

مع تحيات الأزهر

فهرس العدد

الموضوع | صفحة

- **القيم الدينية والحياة المعاصرة**
  لفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصـــار شيخ الجامع الأزهـــر ١٥٦٢
- **حديث الشهر**
  بقلم رئيس التحرير ١٥٦٨

« دراسات قرآنية »

- **المنهج القرآنى فى بناء الانسان**
  للدكتور / محمد السيد جبريل ١٥٧٦
- **علم التصريف موضوعه وتطوره**
  للدكتور محمد ابراهيم البنا ١٥٨٥
- **رد على مقال الدكتور عبد القادر القط**
  النقد العربى القـــديم والمنهجيـــة ١٥٨٨

دراسات لغوية

- **اللغة والمجتمع**
  للدكتور عبد الغفـــار حامد هلال ١٥٩٧

فى التشريع الاسلامى

- **الصيام متدرجا**
  للدكتـــورو محمد محمد الشرقاوى ١٦٠٦
- **رمضان شهر الصوم والعبادة والمغفرة والنصر**
  للمســـتشار / محمد عزت الطهطاوى ١٦١١
- **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده**
  للأســـتاذ / موسى محمد على ١٦١٦
- **وان تصوموا خير لكم**
  للأســـتاذ / على عبد العظيم ١٦٢٣
- **صوم رمضان وليلة القدر**
  للأســـتاذ / مصطفى محمد الحديدى الطير ١٦٢٧
- **رأى الدين والقانون والاقتصاد**
  بقلم زكريا عامر المحامى بالنقض ١٦٣٣
- **كانت ليلة النصف من شعبان مقدمة لرمضان**
  للأستاذ / عبد العزيز حسن قريش ١٦٣٨

من حضارة الاسلام

- **الاسلام ومشكلات المسلمين فى المانيا**
  للدكتور محمود حمدى زقزوق ١٦٤٤
- **من مآثر الحضارة الاسلامية « أفكار غربية مردودة »**
  بقلم محمد كمـــال الدين ١٦٥٤
- **تأملات حول فلسفة الصوم فى الاسلام**
  للدكتور فؤاد العقلى ١٦٥٨
- **البيض والسود .. حوار مع الجاحظ**
  للأستاذ / السيد حسن قرون ١٦٦٢

فهرس العدد

[ختم]

صفحة

● فتح مكة المثل الكامل للاستراتيجية الحربية
للواء محمد جمال الدين محفوظ ١٦٧٠

● جلال الماضى · حجة الالزام فى الحاضر
للدكتور محمد كمـال جعفر ١٦٧٧

● رمضان مشرق الرسالة ·· ووعاء الانتصارات
للدكتور السيد رزق الطويل ١٦٨١

أعلام الاسلام

● من أئمة الحديث النبوى الامام الترمذى
للدكتور الحسينى هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ١٦٨٦

● من أعلام الاسلام ابن هبيرة
للدكتور فؤاد عبد المنعم احمد ١٦٩٠

● موقف ابن تيمية من الصوفية
للدكتور محمد ابراهيم الجيوشى ١٦٩٧

● بقى بن مخلد ، امام مدرسة التفسير بالأندلس
للدكتور عبد الوهاب عبد الوهاب فايد ١٧٠٢

● شخصية فى سطور
بقلم سعيد عبد الحى ١٧٠٩

● طرائف ومواقف
للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٧١٠

● كتاب الشهر
اعداد حمدى الليثى ١٧١٢

● ضموا القلوب
للأستاذ / حامد الجوجرى ١٧١٧

● الفتـاوى
اعداد عبد الحميد السيد شاهين ١٧١٨

● قالت الصحف
اعداد عاطف زهران ١٧٢٠

● هكذا يكتب القراء
اعداد عبد العزيز أحمد جبره ١٧٢٣

● أخبار العالم الاسلامى
أعداد عبد الرحيم السـايح ١٧٢٦

● أخبار الأزهر
أعداد الأستاذ الشافعى الراضى ١٧٣٠

● ردود على القراء
اعداد عبد الفتاح السيد عبد السـلام ١٧٣٣

طبع بمطابع روز اليوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن:
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر

فى مطلع
كل شهر
عربى

رئيس التحرير:
د. على محمد بيومى

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت: ٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء العاشر السنة الثالثة والخمسون

• شوال ١٤٠١ هـ •
• اغسطس ١٩٨١ م •

كلمة لتحرير

عام وأنتم بخير

مع مطلع **عيد الفطر المبارك** وقد فرح المسلمون بفرحتى الصيام والفطر ، نزف اليهم التهنئة مع هذا العدد الجديد من **مجلة الأزهر** •

وقد خطت المجلة هذه الخطوة الكبيرة فى تقدم الشكل وأصالة الموضوع •

فلعل القارىء الكريم رأى ما أحرزته المجله فى الشهر الماضى وفى هذا الشهر **من فنون الاخراج الصحفى** للموضوعات الأصيلة التى تضمنته •

وبودنا أن يوافينا القراء الكرام بأى اقتراح يرونه مناسبا لتطوير هذه المجلة أكثر مما تطورت به •

ونحن نعد من أسرة تحرير هذه المجلة كل مسلم على امتداد العالم الاسلامى كله يهتم بأمور المسلمين وانماء فكرهم وتقدم علمهم •

فما دامت غايتنا واحدة فطريقنا واحد وأملنا فى الله أن نحقق ما نصبو اليه •

التحرير

صورة الغلاف

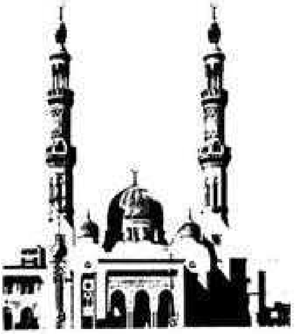

جامع صلاح الدين
القاهرة

حديث الشهر

٣ فى فلسفة الحضارة

الإطار العام

كشف فضيلة الامام الاكبر فى مؤتمره الصحفى الذى عقده بعد عـــودته من رحلة طويلة الى شرق آسيا ، عن أبعاد المعركة الفكرية والدينية التى يخوضها باقتدار المسلمون فى شرق آسيا خاصة فى (ماليزيا واندونيسيا) :

وفى هذه المعركة يروج أعداء الاسلام شبهة يزعمون فيها أن الاســـلام يعوق حركة التنمية الاقتصادية لأنه يضع عقبة فى طريق الاستثمار ، حين يحرم نظام الفائدة التى تشكل أساسا فى نظم التنمية الرأسمالية •

ورغم أن فضيلة الامام الاكبر طمأن المسلمين على قوة موقف اخوانهــم فى تلك البلاد وقدرتهم على مواجهة هذه الشبهة باقامة الجمعيات الاقتصادية التى تستثمر رءوس الأموال بطرق اسلامية تستبعد نظام الفائدة السنوية تماما وتدر عائدا أفضل من مايدره الربا الا أن المسألة كما وجه الامام تحتاج الى أن تتجه الأبحاث الى بيان موقف الاسلام من التنمية ، هذا الموقف الذى يقــوم علــى تشجيع التنمية وتنشيط الاستثمارات ، ضمن الاطار العام لفلسفة الاســلام فى الحياة ومناشطها العديدة •

ويقوم هذا الاطار العام للفلسفة الاسلامية فى التنمية على عـــدة أسس أهمهــا :

١ ــ ان أساس هذا الاطار العــام « أساس اخلاقى » ينبع من الايمان بالله واتباع تعاليمه ومراقبته مراقبة دقيقة •

٢ ــ الربط الشامل لجميع توجه الحياة وجوانبها الاجتماعية والاقتصــادية على هذا الأساس الأخلاقى •

٣ ــ التوازن بين مصلحة الجماعة ومصلحة الفرد •

بقلم : رئيس التحرير

لفلسفة الإسلام في التنمية

٤ – اطلاق الحرية أمام المواهب والملكات .

٥ – ضرورة تحقق العدالة فى تكافؤ الفرص فى العمل وعدالة التوزيع والحيلولة دون طغيان الجشع وحب المال .

أساس الاطار الاسلامى :

١ – ففيما يتعلق بالأساس الأول يضع الاسلام الايمان بالله وتقواه سبيلا الى بركة الرزق ووفرة الدخل ونماء الثروة .

يقول تعالى : « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١) .

ويقول سبحانه « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (٢) .

كما يقول تعالى : « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » (٣) .

وفى المقابل من ذلك يجعل الله سبحانه الكفر سبيلا الى الفقر ومكابدة

(١) سورة الاعراف الآية (٩٦) . (٢) سورة النحل الآية (٩٧) . (٣) سورة الطلاق الآية ٢ .

الضنك .

يقول سبحانه : « وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ».(١)
بل ينبه الله سبحانه الى أنه قد يصيب العصاة بالفقر وضيق العيش لعلهم يعتبرون فيقول تعالى : « وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ » (٢) .

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « قال ابو اسحاق عن جابر بن حيوة كانت النخلة لا تحمل الا ثمرة واحدة » (٣) .

وهذا مصداق قول الله فى آية أخرى : « وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا » (٤) .

واذا كان بعض الماديين لايستطيعون أن يفهموا تأثير الايمان فى اكثار البركة وزيادة الرزق ، وتأثير الكفر فى جدب الأرض ومحق الخير ، فانهم لا يستطيعون أن ينكروا أثر الايمان فى الارتباط بالشرائع التى يؤمن بها الفرد وتلزمه بأعمال معينة قد تكون هى نفسها مؤثرا فى تحقيق الرخاء وجلب الخير وزيادة الانتاج ، فهذه الأعمال أثر للايمان مؤثرة للانتاج وبذلك يكون الايمان هو المؤثر الحقيقى فى مجال العمل .

الاسلام كل متكامل :

٢ — أما الأساس الثانى فمن المعلوم أنه على رأس الأعمال التى يلتزم بها المؤمن فى مجال الاقتصاد اعتقاد المؤمن أن مجال الكسب والانفاق والاقتصاد بشكل عام لا ينفك عن مجالات الحياة الأخرى ، لأن الحياة فى النظام الاسلام مترابطة الجوانب متداخلة لا ينفك جزء منها عن بقية الأجزاء .

فالكسب له ضوابط والانفاق له حدود ، فضوابط الكسب تقوم على أساس تحرى الحلال والطرق المشروعة التى لا يحيف فيها أحد على مال أو حقه .وحدود الانفاق تقوم على رعاية الضعاف والتزام حدود الاعتدال بلا سرف ولا مخيلة « وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا» (٥) وبذلك يتحقق التوازن بين حاجات الانسان المادية والتزاماته

(١) سورة طه الآية ١٢٤ ./(٢) سورة الاعراف الآية ١٣٠ (٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢١٠ ط دار الفكر ببيروت
(٤) سورة الاعراف الآية ٥٨ . (٥) الاسراء ٢٩

الخلقية وكل ذلك يختلف عما تشرعه المذاهب الاقتصادية المادية التى لاتضع فى حسابها اعتبارا للجانب الأخلاقى .

ومن ثم تتهافت هذه المذاهب فى مجتمعاتها وتتناقض فيما بينها فلا تحقق التنمية المنشودة ولا تهيىء للانسان أدنى ظروف الأمن .

فالمذهب الرأسمالى لايهتم الا بالتكاثر ولايعبأ بالضعاف فى جلسة التنافس والمذهب الشيوعى لايهتم الا باشباع الحاجات الضرورية للفرد ولايضــــيع فى حسابه الحاجات الأخرى التى تحقق حرية الانسان وكرامته .

التوازن :

٣ ــ كذلك يقوم منهج الاسلام على تحقيق التوازن بين الناس جميعــــا ومصالحهم والتوازن بين الفرد والجماعة حتى لا تطغى احداهما على الأخرى .

ولقد تعبت البشرية كثيرا من النظم الاقتصادية التى تنحاز الى الفــــرد كالرأسمالية أو تنحاز الى الجماعة كالشيوعية فلم تستطع الرأسمالية أن تتفادى الأزمات والمصاعب التى خلقتها الفردية وتقديس الملكية الفردية وجعل الهــدف الاساسى ارضاء غريزة التملك وحدها على حساب الغرائز والرغبات الأخرى .

ويعتبر ظهور النظام الشيوعى دليلا على فساد الفكرة الرأسمالية القائمة على الملكية الفردية ويعتبر العالم الرأسمالى مسئولا عن انبثاق الحركة الشيوعية لأن فقدان التوازن فى المجتمع الرأسمالى بين صالح الفرد وصالح الجماعة آذى شعور الناس وأفسد عليهم الحياة وأفقدهم الشعور بالكرامة مما دفع المفكرين والساسة الى تعديل هذا النظام بين آونة وأخرى أو الانحياز الى النظــــام الشيوعى .

ولقد بات المجتمع الرأسمالى على قلق من الحياة والمستقبل نتيجة للأزمات المستمرة المتوالية عقب كل أزمة مما يفقد المجتمع الرأسمالى أدنى حاجــــات الأمن والاستقرار .

وليس حال المجتمع الشيوعى الذى تبنى مصلحة المجموع على حســــاب مصلحة الفرد أو الملكية العامة على الملكية الخاصة بأفضل من المجتمع الرأسمالى، لأنه بذلك حارب أهم خصائص الانسان وهى الحرية فى العمل والحــــرية فى التصرف فى ناتج هذا العمل واختصاصه بهذا الناتج كدافع له على تنمية الحياة ، والاقبال على مزيد من العمل لان الانسان فى المجتمع الشيوعى لا يشعر بالحرية فى التملك لنفسه ولا لمن يرثونه وبذلك فقد الرغبة فى العمل ومن هنا اضـــطر القائمون على التوجيه الاقتصادى فى البلاد الشيوعية الى فرض الرقابة عــلى الأفراد لسوقهم سوقا فى مجالات التنمية لتحقيق العائد الذى تسعى الدولــة

الى تحقيقه فتحول الأفراد بذلك الى أدوات انتاج تحركهم الدولة ولا تدفعهم الرغبة .

يقول الاستاذ : « ماهرنسيم » فى كتابه « القومية العربية والشيوعية » (١)

« لما كانت القوة العاملة لا تعدو أن تكون فى نظر الشيوعية مجرد عامل من عوامل الانتاج . فان الطبقة الشيوعية الحاكمة بحكم ما تتمتع به من احتكار مادى وسياسى لكل الممتلكات القومية تستخدم الطبقة العاملة على النحو ذاته تقريبا الذى تستخدم به شتى السلع القومية وشتى عناصر الانتاج الاخرى ، بل أنها تعامل الطبقة العاملة على النحو ذاته الذى تعامل به الآلات الجامدة ضاربة بالعنصر الانسانى عرض الحائط .

ويقول :

وهكذا تعود بنا الشيوعية الى عهود العبودية ، حين كان الرق هو النظام الاجتماعى السائد (٢) .

ولئن أباحت بعض الدول الشيوعية صور من الملكية الخاصة فان هذه الصور مازالت ضئيلة محدودة ولا تشبع غريزة التملك ولا تعطى الحرية للعامل فى امتلاك العائد مما يعمله واستثمار لنفسه مما يعوق حركة التنمية فى المجتمعات الشيوعية ، وتودى الى هبوط مستويات الانتاج ، والاجادة وهنا نصل الى تقدير الاسلام لحرية العمل .

٤ ـ فان هذه الحرية مكفولة للاقرار والطريق مفتوح أمام ملكاتهم للاجادة والاحسان فيه ، بل ان العمل فى الاسلام واجب دينى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أكل أحد طعام قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده (٣) .

واحترام قيمة العمل وأجرته واجبة الأداء ، قال صلى الله عليه وسلم « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » وقال عليه الصلاة والسلام « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته . رجل أعطى بى ثم غدر ؟؟ ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطى أجره » (٤) .

كما تتجلى احترام قيمة العمل بجعل الاسلام عائد العمل ملكا للعامل بما يقتضيه العدل بين الناس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« من أحيا أرضا ميتة فهى له »** .

---

(١) ص ١٣٦ . (٢) نفس المصدر ص ١٥٤ . (٣) متفق عليه . (٤) متفق عليه .

وعن أسمر بن مضرس قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فبايعته فقال **مَنْ سَبَقَ إلى مَا لَم يَسْبِقْ إليهِ مُسلمٌ فَهُوَ لَه** • قال : فخـرج الناس يتعادون (١) يتخاطون (٢) •

والاسـلام يصون الملكية الفردية لصـاحبها ويعتبرها حقا من حقوق الانسان بل ان الاسلام يجعل الحفاظ على المال كالحفاظ على النفس والعرض •

قال صلى الله عليه وسلم «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُـوَ شَـهِيد • وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَـهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أهْلِهِ فَهُـوَ شَـهِيدٌ** » (٣) •

كما قال عليه الصلاة والسلام يوم حجة الوداع « **أيها النَّاسُ إنَّ دِمَاءكُمْ وَأمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيكُمْ كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا** » •

ومع حفاظ الاسـلام على الملكية الفردية فانه يترك الحرية لصاحبهـا فى الاستمتاع بها وتوجيهها حيث يريد ، دون قيد الابتغاء وجوه الانفاق التى لاتعود بالضرر على الآخرين •

نفى حرية الاستمتاع يقول الله عز وجل : « **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّـهِ التِى أخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » (٤) ويقول سبحانه : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أنْفِقُـوا مِنْ طَيِّبَـاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأرْضِ** »(٥) •

ويقول عز وجل : «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى الأرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** (٦) •

واذا كانت هذه التشريعات تعد تشجيعا على التنمية ومزاولة العمل المؤدى اليها فان الاسلام جمع الى ذلك تحريم التبطل والاكتناز والقعود عن الاستثمار •

فمن تحريم التبطل يقول رسول الله صـلى الله عليه وسـلم « اذا قصر العبـد فى العمـل ابتلاه الله بالهم » • ومن تحريم الاكتناز وحبس المـال عن الاستثمار والانفاق ورد الوعيد الشديد فى القرآن والسنة حيثيقول الله تعالى:

---

(١) (٢) أى يتسابقون فى وضع الخطوة على الارض (٣) رواه احمد فى مسنده وابن حبانه فى صحيحه النصر الجامع الصغيرج ٣ ص ٢١٠ •

(٤) سورة الاعراف الآية ٣٢ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٦٧ .

(٦) سورة البقرة ١٦٨ .

« وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » (١) .

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه فى كل ليلة ينزل ملكان الى سماء الدنيا فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » .

ولكى تنمو الحياة وتزدهر ويجد المنفقون ما ينفقونه ويعيش المجتمع فى ظل الرخاء والوفرة فقد حرم الاسلام تعطيل مصادر الانتاج عن الانتاج سواء كانت أرضا أو غيرها .

فقد اتفق الفقهاء على أن من حجز أرضا ضرب له أجل ثلاث سنوات فاذا لم يحيها بعد هذا الأجل انتزعت منه وأعطيت لغيره .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عادى الأرض لله وللرسول ثم لكم من بعده ، فمن أحيا أرضا ميتة فهى له ، وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين » .

وتطبيقا لهذا المبدأ أخذ عمر بن الخطاب أرض العقيق وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعطاها بلال بن الحارث المزنى فلما كان زمن عمر قال لبلال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحتجزه عن الناس ، وانما أقطعك لتعمل ، فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقى (٢) .

وهكذا تكون الملكية الفردية فى الاسلام وظيفة اجتماعية تؤدى دورها فى انماء الجماعة وتحسين سبل الحياة لأن المال الذى انتقل الى صورة العامل بعمله أى هو مستخلف فيه من قبل الله . يقول سبحانه : « **وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ** » .

*** وفكرة الاستخلاف هذه من شانها ان تضع فى وجدان المستثمر عقيدة اساسية هى اقامة العدل ، فما دامت الحرية قد كفلت له فى الكسب فعليه الا يستخدم الحرية فى ظلم غيره أو تسخيره بغير وجه حق او اخذ المال منه بالباطل .**

عبد المعطي بيومي

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) كتاب الخراج لابى يوسف ص ٧٠ ، ٧١ ط المطبعة السلفية بالقاهرة .

● خلق الإنسان في القرآن

● عجل الذهب

● بين العقاب والعفو

دراسات قرآنية

دراسات لغوية

□ اللغة والمجتمع

□ المادة المعجمية

خلق الانسان

فى اعداد سابقة قدمنا بعض آيات خلق الانسان اجمالا وآيات الخلق والتزاوج وآيات الخلق الاول والاعادة وآيات الخلق من التراب الخ واستتباعا للموضوع نقدم .

١ آيات خلق الانسان من الأرض أو مما تنبته الأرض

• قال تعالى : **« سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » ٣٦ يس .**

لقد أمر الله الناس أن ينزهوه عن الشريك ، ومعنى التسبيح : التنزيه ، فما ينبغى لعاقل أن يشرك أحدا مع الله الذى خلق الازواج كلها من الانسان والحيوان والزواحف والحشرات وغيرها وجعل خلق كل ذلك منحصرا فى ثلاثة :

(أ) أنها خلقت مما تنبته الأرض : من النبات والثمار والأعشاب والأعلاف وكل ذلك يعيش عليه الحيوان والاسماك والطيور ومن كل ذلك يتغذى الانسان والحيوان وغيرهما ومن ذلك الغذاء تتكون نطف الرجل وبويضة الأنثى ومنهما يكون الوليد الانسانى والحيوانى والطائرى وغير ذلك .

(ب) أنها من أنفسهم : أى من النطفة التى هى أساس الخلق .

(ج) أنها مما لا يعلمون : من أقطار السموت وتخوم الأرض : من الأكسوجين والمياه والأملاح وما يتغذى به النبات والشجر والثمار من مواد الأرض التى يحتاجها البناء

في القرآن

للدكتور محمد محمد خليفة

الانسانى والحيوانى وغير الانسانى الحيوانى مما خلق الله .

• وقال تعالى : (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) ٣٢ النجم .

بين الله فى الآية أن علمه محيط بالانسان حين خلقه من تراب الأرض فهو أعلم بكل الجزئيات التى تكون منها الانسان ومهمة كل جزء فى هذه الخلق فلا يخفى عليه شىء فيمن خلق ، وأشار فى الآية الى الأصل الانسانى وهو الارض وترابها ليدرك الانسان أنه خلق مما يدوسه فيعرض عن التعالى أو عن الأعراض عن عبادة خالقه والخطاب فى الآيه للموجودين حين نزلت بعدها .

كما أن علمه محيط بكم وأنتم أجنه فى بطون أمهاتكم ، وهذا يدل على بيان قدرته وعلمه النافذ بين ظلمات البطون يعلم بأحوال الأجنة وكيفياتها وأغذيتها وصحتها وحركاتها وسكناتها ، وبطون الأمهات غاية الظلمة والذى يعلم كل ما فى تلك الظلمات لا يخفى عليه شىء من أحوال الناس بعد خروجهم من ظلمات البطون .

فالله أعلم بالانسان فى حالتيه : حين أنشأه من الأرض وحين وجوده فى ظلمات بطون الأمهات ولعل الانسان حين يذكر علم الله به فى حالتيه يقلع عن عصيان ربه ويدرك أن المنشىء العالم بدقائق الانشاء ودقائق حياته قادر على بعثه واعادته وانه ليعلم كيف يعيد أجزاء الانسان ثم يركبه كما كان ليثيبه على طاعته أو يعاقبه على عصيانه .

• وقال تعالى : (واللهُ أنبَتَكُمْ مِنَ الأرْضِ نَبَاتًا . ثم يُعِيدُكم فِيهَا ويخرجكم

خلق

إخراجا) (١٧) نوح •

هذا تفسير وبيان لما قدمه فى قوله تعالى : **(خلقكم أطوارا)** فبين فى هذه الآية أنه خلقهم من الأرض ، ثم يردهم اليها ثم يخرجهم منها يوم البعث وقوله : أنبتكم من الارض : اما أن يراد : أنبت اباكم ادم اى خلقه من تراب الأرض ، وقد قال الله : ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب) واما أن يراد : انه أنبت أبناء ادم جميعا من الأرض لانه خلقهم من نطفة الرجل وبويضة الانثى وهما متولدتان من الدم والدم متولد من الاغذية والتغذية متولدة من النبات أو مما يعيش على النبات والنبات متولد من الارض فمرجع الخلق الى الارض ، والتقدير : أنبتكم فنبتم نباتا عجيبا •

ثم يعيدكم فى الارض بعد الموت ثم يخرجكم منها اخراجا يوم تزلزل الأرض زلزالها وتخرج اثقالها •

❷ آيات خلق الانسان من طين

• قال تعالى : **(هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ)** ٢ الأنعام •

اما أن يكون المراد من الآيه اثبات الصانع بذلك الدليل •

واما أن يراد اثبات الدليل على المعاد والبعث •

وعلى المراد الأول : فقد ذكر الله الدليل على قدرته وصناعته بخلق السموات والأرض والنور والظلمة ، ثم اتبع ذلك بدليل من خلق الانسان فذكر أنه خلقه من طين ليقف الانسان على مدى قدرة الله من خلق البشر بألوانهم من تلك المادة الطينية •

وكما بينا فى الآية السابقة أن المراد قد يكون خلق آدم وقد يكون المراد كذلك خلق أبناء آدم لأنهم من نطف بويضات ومرجع ذلك الى الارض والطين •

وعلى المراد الثانى من أن الآية دليل على البعث ، فانه اذا ثبتت قدرة الصانع على خلق الانسان من هذه المادة الطينية وأنه سوى من ذلك الطين بشرية الانسان بأعضائه ودماغه ومخه وعقله فاذا اثبت أنه الصانع لكل ذلك فليس بمعجز له أن يعيد ذلك الانسان على صورته وشكله الذى كان عليه فى دنياه **(ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون)** •

المراد بالقضاء : اما الحكم . قال تعالى : **(وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه)** أى حكم او المراد : الاعلام ، قال تعالى : **(وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب)** اى اخبرناهم واعلناهم •

أو المراد : صفة الفعل قال تعالى : **(فقضاهن سبع سماوات فى يومين)** •

واما الاجل : فهو الوقت المضروب لانقضاء

الأمد . وأجل الانسان : الوقت المضروب لانقضاء عمره واختلف المفسرون في بيان الاجل والاجل المسمى :

فقال بعضهم : الأجل الأول : أجل الماضين ، والأجل المسمى : أجل الباقين .

وقال بعضهم : الأجل الأول : أجل الموت ، والأجل المسمى عند الله : هو أجل القيامة .

وقال بعضهم : الأجل الأول : منذ يولد الانسان الى أن يموت . والأجل المسمى من الموت الى الساعة وهو حياة البرزخ وعلى الرغم من ظهور الأدلة على وجود الصانع فأنتم أيها المعاندون تشكون في قدرة الله على أن يبعثكم ويحيي العظام وهي رميم .

• وقال تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) ٦١ الاسراء .

ان قصة ابليس وأمر الله له بالسجود لادم ذكرها الله في سور سبع من القرآن : في البقرة والأعراف والحجر والاسراء والكهف وطه وص .

واختلف المفسرون في كيفية السجود الذي أمر الله به الملائكة وابليس : هل هو : وضع الجبهة على الأرض أو التحية ؟

وهل المسجود له : الله وآدم كان كالقبلة أو المسجود له آدم ؟

وهل الملائكة الذين أمروا بالسجود : هم جميع الملائكة أو ملائكة الأرض وأما ملائكة السماء فيخرجهم قوله تعالى : **(وله يسجدون)** فهم لم يؤمروا بالسجود لغير الله ؟

وقد قامت حجة ابليس في الامتناع عن السجود لآدم على أساس انه خلق من طين وابليس من النار ، والنار في نظر ابليس أشرف من الطين . ولهذا استنكر أن يسجد الأعلى شرفا للاقل والاستفهام في قوله : أأسجد لمن خلقت طينا للانكار ، ثم استفهم ثانيا في قوله : **« أرأيتك »** بمعنى أخبرني وأعلمني عن هذا الذي فضلته وكرمته علي وأنا خير منه .

ثم أقسم وحذف القسم وأما جوابه فقوله :

« لئن أخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته » وأصل الاحتناك : الاستيلاء والسيطرة » والمعنى والله لأقودن ذريته الى المعاصي ولأسيطرن عليهم فأعزهم وأخدعهم عن العبادة الحقة والتقوى الحقة الا القليل منهم ممن يعجزني اخضاعهم أو قيادتهم الى العصيان وهم المؤمنون المتمسكون بدين الله وحبله المتين .

وهكذا يقسم ابليس على اغراء بني آدم واغوائهم وتضليلهم فكيف لا يتحدى الناس ابليس فيحولون بينه وبين اضلالهم ليثبتوا بذلك أنهم أقوى منه ومن ذريته وأن الكثير

دراسات قرآنية

خلق الإنسان..

والكثير منهم فيه القدرة على التمسك بحبال الله

وقال تعالى : (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**) ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ المؤمنون .

ذكر الله فى هذه الآية المراتب التى يتنقل فيها الانسان من النشأة الاولى الى البعث ، وتلك المراتب التسع التى قدمها فى الآية هى

الأولى : خلق الانسان من سلالة من طين ، والسلالة هى الاجزاء الطينية المبثوثة فى الانسان بما تحمل من الاملاح والمعادن الارضية التى يحتاجها البناء الانسانى المراد فى الآية : هو آدم عليه السلام حيث سل من الطين وجعلت ذريته من الماء المهين ، وقيل التعبير بالانسان فى الآية كناية عن ولد آدم ، لان الانسان يشمل آدم وولده ، وتولد ولد آدم من الطين مرجعه الى أن ذرية آدم من النطفة وهى من الدم والدم من الغذاء والغذاء نباتى أو حيوانى مرجعه الى الأرض وطينها فكأن ولد آدم كذلك مرجعه الى السلالة الطينية .

الثانية : أنه خلق الانسان من نطفة قذفت فى قرار مكين **(ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين)** ومعنى ذلك أن الله حول الطينية الى نطفة منشؤها فى أصلاب الرجال ثم قذفت فى الارحام فنقلتها البويضة المتولدة من ترائب المرأة فصار الرحم قرار مكينا للانسان المتخلق من النطفة البويضة وقد وصف الرحم بأنه قرار مكين لا يقتحم فيه على الجنين برد الشتاء ولا وهج الصيف ولا المشاعر التى تهز الام من الآلام والاحزان ففى هذا القرار المكين حفظه الله ورعاه .

الثالثة : تحويل النطفة الى علقة ، ومعنى ذلك أن الله حول النطفة عن صفاتها التى كانت فيها الى صفات العلقة فكانت دما **(ثم خلقنا النطفة علقة)** .

الرابعة : تحويل العلقة الى مضغة **(فخلقنا العلقة مضغة)** ومعناه جعلنا ذلك الدم مضغة أى قطعة من اللحم .

الخامسة : تحويل المضغة الى عظام **(فخلقنا المضغة عظاما)** أى صيرنا قطعة اللحم الى عظام .

السادسة : كسوة العظام باللحم : **(فكسونا العظام لحما)** لان اللحم لما ستر العظم فكأنه كساه .

السابعة : انشاء الانسان خلقا آخر **(ثم أنشأناه خلقا آخر)** مباينا للخلق الأول من حيث خلق الأعضاء والأجهزة : الهضمى والتنفس والعصبى والجنس ، وقوله : أنشأناه

يشير الى بث الروح فيه عندما نفخ فيه من روحه وأودع فيه الحياة وجعل له السمع والبصر والفؤاد والقدرة على الحركة والشعور ٠

الثامنة : الموت بعد الحياة التى قدرها الله له من السعادة أو الشقاء والصحة أو المرض والرزق وكل ما قدر له الله فى الحياة **(ثم انكم بعد ذلك لميتون)** ٠

التاسعة : البعث : حيث يبعث الله الانسان ليحاسبه ، ثم يسوقه الى جزاء عمله اما الى الجنة واما الى النار **(ثم انكم يوم القيامة تبعثون)** ٠

وقال تعالى : **(فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ)** الصافات

قدم الله فى الآية السابقة على هذه ما يدل على قدرته فى خلق السموات والأرض : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، واذا اعترضوا بذلك فسلهم يا محمد : أهم أشد خلقا أم من خلقنا من السموات والأرض والمشارق والمغارب والملائكة والجن فاذا كان قادرا على خلق كل ذلك فانه لا تعجزه اعادة الحياة وبعث الانسان يوم القيامة على نحو ما كان عليه فى الدنيا **(أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم)**

وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأل منكرى البعث : أهم أشد خلقا أم الأشياء التى خلقها ومن بينها السموات والأرض وما فيهما من عوالم ثم أتبع السؤال بالاخبار بأصل خلقهم فى قوله : **(انا خلقناهم من طين لازب)**

وقد اشتهر عند الجمهور : أن آدم خلق من الطين اللازب ، ثم صوره الله وسواه بشرا وعلى ذلك يكون آدم هو الذى خلق من الطين اللازب وآدم أبو البشر فاذا كان الأصل من الطين فالفرع كذلك ٠

أو المراد : أنا خلقنا كل انسان من طين لازب على أن الانسان خلق من النطفة ومرجعها الى الغذاء والغذاء مرجعه أخيرا نباتيا أو حيوانيا الى ذلك الطين الذى تكون من الماء والتراب ٠

واللازب : اللاصق أو اللزج ولزوجته انما تكون من اختلاط التراب بالماء وقيل : الطين اللازب :المتماسك الأجزاء ٠

وقال تعالى : **(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ٠ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ٠ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ٠ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٠ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ٠ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)** من ٧١ — ٧٦ ص ٠

لقد حكى الله ما نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه من علمه بالملأ الأعلى وما يدور فيه فى الماضى والحاضر فى الآية التى قبل هذه الآية فى قوله تعالى : ما كان لى من علم بالملا الاعلى ثم بين أن علمه بشىء من ذلك مقصور على ما أوحاه الله اليه ، واستطرد

فذكر من الماضى قصة خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له ، وامتناع ابليس عن السجود حسدا لآدم ، وهنالك خلاف فى كيفية السجود هل كان بوضع الجبهة على الأرض أو الدلالة بأية صورة على التعظيم ، وهل كان السجود لله وآدم بمنزلة القبة أو كان السجود لآدم ، وهل كان السجود تحية أو تعظيما ، وهذا خلاف لا يمت بموضوعنا أما الذى له صلة بالموضوع فى الآية فهو اخبار الله للملائكه أنه خالق بشرا من طين ، وكأن الله بين للملائكة أن ذلك البشر خلق جمع بين البهيمية والسبعية والشيطانية والملائكية ، وذلك الذى جمع بين كل ذلك خلقه من الطين ، ثم بين مراتب ذلك الإنسان الطينى ومرتبة تسوية أعضائه ومرتبة النفخ فيه من روحه ، وان تخليق البشرية قد تم بالتسوية وهى بدنية كما تم بنفخ الروح فيه وهى روحية وبهذين أكمل الله بشرية الانسان حيث كون البدن والروح ، ولقد أضاف الله الروح الى نفسه فى قوله : **« ونفخت فيه من روحى »** وهذا يدل على أن الروح جوهر قدسى لانه من الله وهو شفاف نورانى أودعه الله بدن الانسان يسرى فيه فيمنحه الحياة سريان الضوء ، أما كيفية النفخ فعلمها عند علام الغيوب والتعبير بالفاء وفى قوله : **« فقعوا له ساجدين »** بعد النفخ يدل على أنه حين نفخ الله فى آدم من روحه أمر الملائكة فى ذلك الحين بالسجود لآدم .

واختلف المفسرون فى الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم : هل هم الملائكة جميعا .. قال بذلك البعض مستدلا بقوله تعالى : **« فسجد الملائكة كلهم أجمعون »** .. فلفظ الكل والتأكيد باجمعين يدل على سجودهم جميعا .

وقال البعض : ان الذين أمروا بالسجود هم ملائكة الأرض .

واختلفوا كذلك فى ابليس هل كان من الملائكة أو لم يكن منهم وذلك خلاف طويل لا مجال له هنا ، ثم جاء سؤال الله لابليس : **(ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى)** وفى هذا ما يدل على عصيان ابليس لأمر الله فى السجود وفى التعبير بقوله : **(لما خلقت بيدى)** اشارة الى أن الخالق هو الله وأن ذلك الخلق كان بيده سبحانه لا بيد غيره ، وبهذه الآية ونحوها استدل من أثبت الجوارح لله من نحو اليد فى قوله : **« يد الله فوق أيديهم »** والسمع والبصر فى قوله : **(وهو السميع البصير)** ، أما كيفية تلك الجوارح فعلمها عند الله .

وسأل الله ابليس ثانيا منكرا عليه موقفه : **(استكبرت أم كنت من العالين)** وأداة الاستفهام محذوفة والتقدير : **« أاستكبرت »** وهكذا يسأل الله أبليس : أكان امتناعك عن السجود استكبارا أم ادعاء للتعالى ؟

ولجأ ابليس الى جواب اعتمد فيه على الموازنة بين أصل خلقه وأصل خلق آدم ليثبت أنه أفضل منه وأن تلك الأفضلية التى يراها تمنعه من الانصياع لأمر الله **(قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين)** فأثبت لنفسه الأفضلية أولا ثم بين وجهها فى أصل خلق كل منهما ، وفى قوله : خلقتنى وخلقته اعتراف بأن الله خالق كليهما ولكن أصلهما يختلف فابليس خلق من نار وآدم خلق من طين والنار لطيفة والأرض كثيفة ، والنار مشرقة والأرض مظلمة ، والنار فيها نور والأرض فيها ظلمة ،

واعتمادا على كل هذا رأى ابليس أنه أشرف من آدم ولا مبرر لأفضـــليته على آدم حتى يسـجد لـــه .

وقد قيل : ان الأمر بالســـجود لم يكن للوجوب وانما كان للندب ، ولنفرض أنه كان للندب فكيف يعصى الأمر وهو أمر الله .

وقيل : أنه لم يكن من الملائكـــة والامر بالسجود كان للملائكة ، وهنالك خلافات طويلة عرضت لبيانها كتب التفســير فى هــذه الآية وغيرها فليرجع اليها من أراد ، والذى يهمنــا هنا : اخبار اللـــه أنه خـــالق بشرا من طـــين وتفضيل ابليس نفسه على آدم لأنه مخـــلوق من نار وآدم من طين .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾ ٧ ، ٨ ، ٩ السجدة .

بعد أن ذكر الله فى الآيات السابقة من هذه للانتفـــاع بهما فجعـــل الارض صلبة لتنبت ويتماســـك نباتها ، وجعـــل الهواء خفيفـــا لاستنشاق ما فيه من أوكسوجين ، وجعل الماء ســـائلا ليتحرك الى حيث ينتفع به ، وجعل الشمس مضيئة للانتفاع بضوئها وحارة لينتفع الانسان والنبات والحيوان بحرارتها .

السورة خلقه الســموات والأرض وتدبــير أمرهما ليدلك بذلك على وحدانيته وقدرته قدم دليلا من الانفس فقال : الذى أحسن كل شىء خلقه فقد أحسن الله كل شىء والســـموات والارض من خلقه وقد أحسن الله خلقهمـــا

ثم قال : وبدأ خلق الانســـان من طين : ويراد بالانسان آدم أو آدم وأبناؤه ، والطين مكون من تراب وماء ومنهما ينمو النبات الذى يعيش عليه الحيـــوان والنبات ومنهما غـــذاء الانسان الذى يكون دما ثم يتحـــول الى ماء الرجل وبوضة المرأة ومنهما يكون الانســـان ، وقد جعل الله نسل آدم من ســـلالة من ماء مهين وتلك السلالة هى الجزئيات التى تكون فى نطفة الرجل وبويضة المرأة ثم سواه الله ونفخ فيه من روحـــه ، وذلك النفخ يشـــمل آدم وأبناءه ، وسبحان الله الذى خلق الانسان من طين وجعل نسله من ماء مهين .

وقد أضاف الله الروح الى نفسه فجعـــل الانسان نفخة من روح الله .

ومن عجب أن يستكبر ذلك الذى خلق من ماء مهين على عبادة خالقه ، أو كيف يشرك به غـــيره ؟ أو كيف لا يؤمن بأن الذى خلقـــه من ذلك الماء المهين يقدر على اعادته ليحاسبه على عقيدته وسلوكه ومواقفه فى دنيـــاه من أوامر ربه ونواهيه ومن ســـلوكه مع الناس الذين يعيش معهم فى مجتمعهم .

السموات والارض والانســـان خلق الله ﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ .

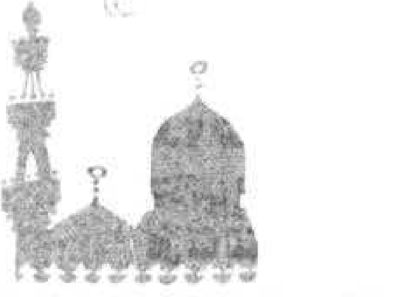

من كتاب الله تعالى :

" واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار "

صدق الله العظيم

قال الله تعالى :

« .... قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ » .

فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً ، قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَناً ، أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ، أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي .

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ، وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا ، فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ .

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ . فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ .

أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعاً .

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَرُونُ مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ، فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي .

قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى .

قَالَ يَا هَرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي .

قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ، إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي .

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ .

عجل الذهب

د. عبد الباقى أحمد سلامه

«قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي .

قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ، وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ ، وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا .

«إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا »».

*(سورة طه ٨٥ — ٩٨) .

بنو اسرائيل :

دخل اسرائيل مصر • وهو يعقوب بن ابراهيم علهما السلام استجابة لرغبة يوسف عليه السلام • وكان معه أهله • قال تعالى « اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ » (١) .

وبعد موت يعقوب ويوسف • نموا فى أرض مصر وتكاثروا جدا • حتى امتلأ قلب فرعون غيرة عليهم واجتهد فى ابادتهم • وزعموا أن هذا التكاثر كان على سبيل المعجزة .

روى عن ابن عباس رضى الله عنه : أن يعقوب عليه السلام دخل فى مصر فى ٧٢ انسانا • فتوالدوا بمصر حتى بلغوا ٦٠٠٠٠٠ (٢)وهذا العدد هم الذين خرج بهم

---

(١) سورة يوسف ٩٣ .

(٢) تفسير القرطبى حـ ٨ ص ٣٦٩ .

عجـــل الذهب

موسى عليه السلام . والمدة بين دخولهم مصر وخروجهم منها حوالى ٢٠٠ سنة .

كان ملوك الهكسوس يحكمون مصر . وكان يوسف عليه السلام وقومه مقربين منهم وذوى نفوذ عندهم . وسيطروا على الناحية الاقتصادية فى البلاد دون المصريين . وأحبوا المال بكثرة . وعددوا الزوجات بغير قيد أو شرط فكثروا ، وقوى أمرهم .

فلما طرد أحمس الهكسوس : قضى على نفوذهم . وأخذ فى اضطهادهم واذلالهم . ولم يرد اخراجهم أو افناءهم . بل أبقاهم ليكونوا خدما وعبيدا . فحارب تكاثرهم بقتل ما يلدون من ذكور . لأن الذكور هم القوة . ثم رأى أن الاستمرار فى ذلك يؤدى الى ابادتهم . فكان يقتلهم سنة ويستحييهم أخرى .

حتى أراد الله أن يرسل نبيه موسى عليه السلام . ليرد فرعون الى الصواب ويبطل دعواه الألوهية . وليخلص بنى اسرائيل من ظلمه واضطهاده لهم .

هرون عليه السلام :

ولد هرون فى العام الذى لا يذبح فيه الغلمان . فولدته أمه علانية . وكانت مريم (أخته) أكبر منه .

أما موسى عليه السلام . فكان أصغر من هرون . قيل ولد بعده بسنة . وقيل بثلاث سنين . فى العام الذى تذبح فيه الغلمان .

وكان أحب الى بنى اسرائيل من موسى لأنه كان لين الغضب (١) .

(١) تفسير القرطبى ﺣ ٧ ص ٢٨٩ .

وأشركه الله تعالى فى الرسالة مع موسى .

قال تعالى : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ . قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ (٢).

موسى عليه السلام :

اسم أعجمى . والقبط يقولون للماء « مو » وللشجر « شا » أو « سا » . فلما خافت أم موسى عليه بعد ولادته . جعلته ـ بأمر الله ـ فى التابوت وألقته فى اليم . بين أشجار عند بيت فرعون فلما وجد بين ماء وشجر سمى « موسى » .

كان عليه السلام شديد الغضب . لكنه كان سريع الفيئة . فتلك بتلك . قاله ابن العربى .

وقال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول : كان موسى اذا غضب طلع الدخان من قلنسوته ، ورفع شعر بدنه جبته (٣) .

الفتـــون :

سئل ابن عباس رضى الله عنه . عن قوله تعالى فى شأن موسى عليه السلام : « وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا » (٤) فقال : (٥) .

لما حملت أم موسى به وقع فى قلبها الهم والحزن . (وذلك من الفتون) .

ولما سمع الذباحون بمولده وقصته واحتضان امرأة فرعون له أقبلوا اليها بشفارهم ليذبحوه . (وذلك من الفتون) فقالت لفرعون « قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ

(٢) سورة القصص ٣٤ ، ٣٥ .
(٣) تفسير القرطبى ﺣ ٧ ص ٢٨٧ .
(٤) سورة طه ٤٠ .
(٥) حديث الفتون طويل . وقد نقلت بعض فقرات منه . يراجع ابن كثير ﺣ ٣ ص ١٤٣ وما بعدها .

لَا تَقْتُلُوهُ » (١) فقال لها : لك . فأما لى فلا حاجة . قال صلى الله عليه وسلم : والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته ، لهداه الله كما هداها . ولكن حرمه ذلك .

ولما قالت أخته « هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ » (٢) قالوا : وما نصحهم ؟ هل تعرفينه ؟ وشكوا فى ذلك . فقالت نصحهم له : شفقتهم عليه ورجاء منفعة الملك . (وهذا من الفتون) .

وحمله فرعون مرة . فتناول موسى لحية فرعون ومدها الى الأرض . فغضب فرعون وأرسل الى الذباحين ليقتلوه . فقالت امرأة فرعون : انه لا يعقل . فخيره بين جمرتين ولؤلؤتين . فتناول موسى الجمرتين . اذ صرفه الله عن اللؤلؤتين لحفظه . (وهذا من الفتون) .

« وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ، فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ » (٣)

فلما قتل موسى الفرعونى أرسل فرعون فى طلبه ليقتله . فجاء الى موسى رجل من شيعته من أقصى المدينة واختصر طريقا وسبقهم « قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ » (٤) فخرج الى مدين . (وهذا من الفتون) .

ولما جاوز موسى ببنى اسرائيل البحر قالوا له : انا نخاف أن لا يكون فرعون قد غرق . ولا نؤمن بهلاكه . فدعا ربه . فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه .

ثم يقول ابن عباس : ومروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم « قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ . قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ » (٥) .

وأنزلهم موسى منزلا . وقال لأخيه هرون « اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ » (٦) وقال لهم : **انى استخلفت هرون عليكم فاطيعوه ــ انى ذاهب الى ربى ــ** (٧) وأجلهم ثلاثين يوما أن يرجع إليهم .

فلما أتى ربه بعد ثلاثين يوما وليلة كان قد صامهن مواصلا الليل والنهار . كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح الصائم . فتناول موسى شيئا من نبات الأرض فمضغه . فقال له ربه : لم أفطرت ــ وهو أعلم بما كان ــ قال : رب انى كرهت أن أكلمك الا وفمى طيب الريح . قال : أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك . ارجع فصم عشرا ثم ائتنى . ففعل موسى ما أمر به . فرأى قوم موسى أنه لم يرجع فى الأجل وهو ثلاثون . « وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً » (٨) .

وهذه الأربعون هى شهر ذى القعدة وعشر من ذى الحجة . على المشهور بينهم . وقيل هى ذو الحجة وعشر من المحرم .

(١) سورة القصص ٩ . (٣) سورة القصص ١٥
(٢) سورة القصص ١٢ (٤) سورة القصص ٢٠

(٥) سورة الاعراف ١٣٨ .
(٦&٨) من سورة الاعراف ١٤٢ .
(٧) من حديث الفتون بتصرف .

الذهب

وقال بعض المفسرين أن قوم موسى عدوا ٢٠ ليلة ، ٢٠ نهارا وقالوا هـذه أربعـون • ولم يعد • فقد مات •

وانما خصت الليالى بالذكر • لما أن الليـل مقدم على النهار رتبة •

وقد واعده الله أن يأتيه بعد أن يصوم هذه المدة مواصلا •

وبهذا استدل الصـوفية على الوصـال فى الصوم • وأن أفضله أربعون يوما (١) •

ذهب العجل :

أشـار القرآن الكريم الى أنهم اتخـذوا العجل من حليهم •

« وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا » (٢) والحلى تشـمل الذهب والفضة • وهى فى الذهب أشهر • وقد قيل فى معنى جسدا : أنه أحمر • فيكون من ذهب •

ولكن من أين جاءتهم الحلى ؟ وقد خرجوا من مصر فـارين خـائفين ولم يحصـل لهم استقرار • ولم يطب لهم مقام • فكيف هان عليهم القاء حليهم بسهولة ؟

يحدثنا القرآن الكريم بأن هـذه الحلى لم تكن ملكا لهم • بل اجتمعت لديهم من القوم • وهم القبط • قال تعالى « وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ » (٣) وفى تسميتها بالأوزار ما يشير الى أن اقتنـاءهم لها • وبقاءها فى أيديهم غير مشروع •

يقول الألوسى (٤) : الاضافة فى (حليهم) لأدنى ملابسة لأنها كانت للقبط • استعاروها منهم قبـل الغرق فبقيت فى أيديهم وقيـل : ملكوها بعد غرقهم وألقاها البحر على الساحل فالتقطوها أو ملكوها بعـد أن اسـتعاروها منهم ثم غرقوا • فصارت لهم •

قال الامام : رؤى أنه تعالى لما أراد اغراق فرعون وقـومه • أمر موسى بنى اسرائيل أن يستعيروا حلى القبط • ليخرجوا خلفهم لأجل المال فيغرقهم • أو لتبقى أموالهم فى أيديهم • وليس ذلك غنيمة • فالغنائم لم تحـل لأحـد قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم •• وليس أخذا لمال الغير بغير حـق : لأنهـا فى مقابلة استعبادهم واستخدامهم وأخذ أموالهم وقتل أولادهم • فملكها الله لهم • على أن ما نقل عن القوم فى سورة طه • من قولهم (حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَـوْمِ) يقتضى عـدم الحل • اهـ بتصرف •

وقيـل : كـان لهم عيـد يتزينـون فيـه ويستعيرون الحلى من القبط فاستعاروا لذلك اليوم • فلما أخرجهم الله بقيت تلك الحلى فى أيديهم • وقيل جمعوها باسم عرس لهم •

وقيل ان هرون قال لهم ان الحلى غنيمة • وهى لا تحل لكم فاجمعوها فجمعوها فى حفرة حتى يرجـع مـوسى ويرى رأيه (٥) فجـاء السامرى وصنعها عجلا له خوار • استدراجا ومحنة (٥) •

ومن حديث الفتون لابن عباس • قال :

كان هرون قد خطبهم : انكم قد خرجتم من مصر • ولقـوم فرعون عنـدكم عـوارى وودائع • ولكم فيهم مثل ذلك • فـانى أرى أنكم تحتسبون مالكم عندهم • ولا أحل لكم وديعة استودعتموها • ولا عارية • ولسـنا برادين اليهم شيئا من ذلك • ولا ممسـكيه

---

(١) تفسير القرطبى حـ ١ ص ٣٩٦ •
(٢) سورة الاعراف ١٤٨ • (٣) سورة طه ٨٧ •
(٤) تفسير الالوسى حـ ٩ ص ٦٢ ، ٦٣ •

(٥) قول السدى بتصرف • يراجع تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ١٦٢ •

لأنفسنا فحفر حفيرا • وأمر كل قوم عندهم متاع أو حلية أن يقذفوه فيها • ثم أوقد عليه النار فأحرقته • فقال : لا يكون لنا ولا لهم •

وجاء السامرى قابضا شيئا • فظنه هرون متاعا أو حلية • فقال للسامرى : ألق ما فى قبضتك أيضا • فقال : لا ألقيها حتى تدعو لى الله أن يجعلها ما أريد • فدعا له • وألقاها • فقال : أريد أن يكون عجلا • فصار ما فى الحفيرة عجلا وكان ما فى قبضته هو التراب الذى قبضه من أثر الرسول (كما سيأتى) (١) وهو عجل أجوف ليس فيه روح ولا خوار (١) •

وذكرت المصادر اليهودية : أنهم عملوا على سرقة المصريين قبل مغادرتهم مصر • وزعموا أن هذا كان بوحى من الله • فقد زعموا أن الله أمرهم : فيكون حين تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونه على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين •

(خروج ٣ : ٢١ ، ٢٢) (٢) •

عجل الذهب :

انما سميناه بهذا : لأنه ليس عجلا بقريا حقيقيا • كالذى يعبده الهنود • فعبادة البقر فيهم • ولكنها أبقار حقيقية وليست من صنع الانسان •

وأيضا للاحتراز عن عجل « أبيس » الذى اتخذ منه الفراعنة فى مصر رمزا للخصب • وقدسوه (٣) •

وعجل الذهب هذا هو الذى اتخذه بنو اسرائيل من حليهم وقالوا « ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ » (٤) أو اتخذه لهم السامرى من حليهم • وبطلب منهم • واتفقوا معه على أنه الهم وآله موسى • الذى يبحث عنه • وذهب ولم يعد • وتأخر بحثا عنه •

وقد تقدم : أن هرون : دعاهم الى التجرد من هذه الحلى لأنها أوزار وآثام ولا تحل لهم • فجمعوا فى حفرة • واستغل السامرى الفرصة وألقى عليها ما فى قبضته • وفعل فعلته •

ولكن قيل : ان السامرى — وكان مطاعا فيهم • ويعلم رغبتهم فى اتخاذ اله — دعاهم الى جمع الحلى ليصنع لهم منها الها • فأعطوه • وعن الحسن البصرى : هذا العجل اسمه : بهموت •

وكان السامرى • قد رأى جبريل على فرس اسمها (الحياة) وكانت لا تضع قدمها على شيء الا أخضر ودبت فيه الحياة • فقبض من أثرها قبضة• واحتفظ بها لتساعده على صنع اله • وأخفى هذه القبضة وأسرارها على هرون •

وكان السامرى من قوم يعبدون البقر (٥) وكان بنو اسرائيل قد تأثروا من عبادة المصريين للعجل « أبيس » ومما شاهدوه بعد خروجهم من البحر من عكوف قوم على أصناف لهم •

فاتفق هوى السامرى مع هوى الذين وافقوه واتخذوا العجل معه •

السامرى :

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه : كان السامرى رجلا من أهل باجرما (٦) وكان من قوم يعبدون البقر (٧)

---

(١) يراجع تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ١٥١ وهذا رأى ابن عباس •

(٢) يراجع كتاب الارتباط الزمنى ص ١٦١ •

(٣) أبيس : كلمة اغريقية للاسم المصرى القديم (حب) فحل البقر : المعجم الكبير حـ ١ ص ٦٩ •

(٤) سورة طه ٨٨ •

(٥)(٧) اى من الهند كما ورد فى بعض الاخبار — انظر القرطبى حـ ١١ ص ٢٣٣ •

(٦) باجرما : قرب الرقة من ارض الجزيرة • معجم البلدان حـ ١ ص ٣١٣ •

عجل الذهب

ووقع فى أرض مصر • وأظهر الاسلام مع بنى اسرائيل • واسمه موسى بن ظفر •

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه : كان من كرمان (١) وقال قتادة : كان من سامرا (٢) •

وقال القرطبى : ينسب الى قرية تدعى سامرة بالشام (٣) وأخفته أمه فى كهف جبل فغذاه جبريل • فعرفه لذلك • وأخذ القبضة حين عبر جبريل البحر على فرس وديق (٤) • وكان مطاعا فى بنى اسرائيل (٥) •

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنه : رأى السامرى جبريل يوم فلق البحر على فرس فعرفه لما أنه كان يغذوه صغيرا حين خافت عليه أمه فألقته فى غار (٦) •

وذكر ابن جرير : أنه فى الكتب الاسرائيلية أنه كان اسمه هرون أيضا (٧) •

وقيل : أن السامرى كان مثل بنى اسرائيل ممن يستحيل فرعون قتلهم فى المهد • فأخفته أمه فى كهف فى جبل • خوفا عليه من أن يقتله فرعون • فجاء جبريل عليه السلام • فجعل كف السامرى فى فم السامرى • فرضع العسل واللبن • فاختلف عليه • فعرفه من حينئذ •

وقد سمعنا قديما قولهم :

فموسى الذى رباه جبريل كافر ٠٠ وموسى الذى رباه فرعون مؤمن والظاهر مما تقدم :

(١) كرمان : من بلاد فارس .
(٢) سامرا . أو . سرى من راى : بالعراق .
(٣) لا أعرفها بالشام • ولكن هى بالعراق . فلعل فى كلامه تجوزا .
(٤) وديق : يشتهى الفحل .
(٥) يراجع القرطبى حـ ٧ ص ٢٨٤ .
(٦) تفسير الالوسى حـ ١٦ ص ٢٥٣ .
(٧) تفسير ابن جرير حـ ٣ ص ١٦١ .

أن السامرى ليس من بنى اسرائيل • ولكنه أظهر الاسلام مثلهم • وخرج من مصر معهم • وكان يعامل من قوم فرعون كما يعامل بنو اسرائيل • حيث لم يكن ــ مثلهم ــ مصرى الأصل • وكانت الوثنية متأصلة فيه • حتى أثمرت بوضوح فى اخراج هذا العجل • بهذه الطريقة العجيبة الفريدة • وضل بضلاله الألوف العديدة من البسطاء والجهال •

وكأن مثله • كمثل ابليس • تزعم الضلال والاضلال • واستعمل علمه وذكاءه فى الشر •

فصار حديث السامرى فى الناس مسرى حديث ابليس •

ذكر جوانب من قصة العجل :

فى أثناء مناجاة موسى عليه السلام لربه عز وجل فى جبل الطور • اتخذ قومه من بنى اسرائيل عجلا مصنوعا من الذهب والفضة وعبدوه من دون الله • لما رسخ فى قلوبهم من فخامة مظاهر الوثنية الفرعونية فى مصر •

أقول : بل وفى العالم كله منذ ما قبل ابراهيم ونوح • عليهما السلام • الى أن جاء الاسلام • الى أن تقوم الساعة • فلن تقوم حتى لا يقال فى الأرض : الله الله • وحتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذى الخلصة (٨) •

والى ما اتخذه بنو اسرائيل يشير قوله تعالى : «**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ**» (٩) •

فاتخاذهم العجل كان بعد ذهاب موسى للقاء ربه •وصنعوه من الحلى التى كانت معهم • حسب ما تقدم •

والعجل : ولد البقر • والمراد : صنعوا ما يشبه العجل •

(٨) الحديث متفق عليه : وذو الخلصة صنم لدوس وهى قبيلة فى اليمن .
(٩) سورة الاعراف ١٤٨ .

والجسد : هو الجثة فقط • لا يعقل ولا يميز • قاله أبو اسحق (٩) • وقيل : جثة ذا لحم ودم • أو جسد من ذهب لا روح فيه (٢) • فقد وقع الاختلاف : هل صار هذا العجل لحما ودما وله خوار ؟ أو بقى ذهبا ويدخل فيه الهواء فيصوت كالبقر ؟ روى الأول عن قتادة والحسن • والثانى قول مجاهد •

ومن قال ان الحياة حلت فيه : عللوه بأن جبريل حين جاوز ببنى اسرائيل البحر • أو عند نزوله على موسى • راكبا فرسا • ما وطىء بها أرضا الا حلت فيها الحياة واخضر النبات • فأخذ السامرى من أثرها قبضة • فنبذها فى جوف تمثال العجل فصار حيا له خوار • ثم قال صاحب تفسير المنار (٣) الروايات فى حياة العجل لا يصح فيها شىء ولذلك وقف الحافظ ابن كثير فلم يرجح أحد القولين • وعن السدى : كان يخور ويمشى •

خوار العجل :

أثبت الله تعالى الخوار لهذا العجل « له خُوار » (٤) والخوار صوت البقر • واختلف فيه هل كان مرة واحدة • أو تكرر ؟ وهل خواره حقيقة أو مجاز ؟

الذى روى عن السدى : أنه كان يخور ويمشى • وسر ذلك أن جبريل سرت منه الى ذلك التراب قوة باذن الله تعالى لأمر يريده تعالى من فتنة القوم « فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ » (٥) •

وعن الضحاك : خار خورة واحدة ولم يثن (٦) • وذهب الحسن الى أن العجل صار من لحم ودم وله خوار حقيقة (٧) •

والذى ذهب اليه الجمهور : أنه يشبه العجل فى الصورة والشكل • ونسبة الخوار اليه مجاز (٧) •

وليس فى الآية ما يدل على حركته (٨) •

وقال جمع من مفسرى المعتزلة : ان العجل بلا روح (٧) •

وقال ابن عباس — فى حديث الفتون : المتقدم — الا والله ما كان له صوت قط • انما كانت الريح تدخل فى دبره وتخرج من فيه • وكان ذلك الصوت •• فتفرق بنو اسرائيل •

فقالت فرقة : ما هذا ياسامرى ؟ قال هذا ربكم •

وقالت فرقة : لا تكذب حتى يرجع الينا موسى •

وقالت فرقة : هذا من عمل الشيطان وليس بربنا •

وأشرب فرقة فى قلوبهم الصدق بما قال السامرى فى العجل •

وقال سفاؤهم : أخطأ موسى ربه (لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ) •

وفى رواية لابن أبى حاتم : قال السامرى : اللهم انى أسألك أن يخور فخار • فكان اذا خار سجدوا • واذا خار رفعوا (٩) •

معنى — نسى :

قال الضلال من بنى اسرائيل (هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ) (٩) أى نسيه موسى ههنا وذهب يتطلبه • قاله مجاهد عن ابن عباس • وعن عكرمة عن ابن عباس : (نسى أن يذكركم أنه الهكم) (٩) •

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس : نسى السامرى • أى ترك ما كان عليه من الاسلام (٩) •

●●●●

(١) تفسير المنار . مجلد ٩ ص ٢٠١ .
(٢) يراجع تفسير الالوسى حـ ١٦ ص ٢٤٧ .
(٣) مجلد ٩ ص ٢٠٢ .
(٤) سورة طه ٨٨ .
(٥) سورة طه ٨٥ .
(٦) تفسير المنار مجلد ٩ ص ٢٠٢ .
(٧) تفسير الالوسى حـ ١ ص ٢٥٨ .

(٧) تفسير الالوسى حـ ٩ ص ٦٤ بتصرف .
(٩) تفسير ابن كثير حـ ٣ من ص ١٤٨ بتصرف

العقاب و العفو

* استوقفتني ، أثناء تلاوتي — آية من سورة الشورى .. هي قوله تعالى : « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ،إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » .. ففيها قراران ، يبدوأن للنظرة العابرة متناقضين .. قرار يعطى الاذن بمعاقبة المسىء .. وقرار العفو عن المسىء .. فما السر فى هذا ؟! .. ولماذا لا يحب الله الظالمين ؟ ثم يطلب من المظلومين أن يصفحوا عنهم ، ويتجاوزوا عن سيئاتهم ، ويصلحوا ما بينهم .. الى غير ذلك مما دار بخاطرى ، وجعلنى فى حيرة من أمرى .. !!

* وانى لأعلم أن المؤمنين حقا ، يسارعون الى طاعة الله ، والى تنفيذ كل ما يصدر عن الله من قرار .. بلا مناقشة ، وبغير اعتراض — ماداموا قد آمنوا من قبل بالله صاحب القرار .. وليس من حقهم بعد ذلك أن يتوقفوا عن الطاعة ، أو التنفيذ لما يطلب منهم ، حتى يعلمهم الله بحكمه وأسرازه التى قد تعلو على عقولهم ، وتسمو على مداركهم وأفهامهم .. فعقل الانسان محدود ، وعلمه كذلك محدود .. والعقل المحدود ، لا يدرك كنه علم الله غير المحدود .. انه وحده لا شريك له — هو الذى أحاط بكل شىء حكمة وعلما ، ووسع كل شىء رحمة وفضلا .. انه وحده علام الغيوب ..

« وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً » .. !!

حول آية من كتاب الله

للأستاذ عبد الحميد الفضالى

* فماذا أصابنى ؟ !!

* انه مع ايمانى بضعفى ، واعترافى بعجزى ، وتسليم قيادى لربى — رغبت فى أن تكون نظرتى ، فى حدود طاقتى — أكثر عمقا ، وأعمق فهما •• وسألت الله أن يهدينى سبيل الرشاد ، لأستشف من الآية بعض معانيها ، وأكتشف شيئا قليلا ، مما خفى فيها •• وأسجل جانبا متواضعا ، مما قد يفتح الله به على •• لأفيد وأستفيد ، وأنفع وأنتفع •• فالانسان مايزال طالب علم ، حتى يموت •• وخير فائدة ، فى مجال المعرفة — ما كان نابعا من كتاب الله ، وهدى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم •• فهما الأثران الخالدان اللذان ما ان تمسكنا بهما ، واهتدينا بهديهما — لن نضل أبدا •• وهما اللذان لن تصلح الحياة ، ولا تنتظمُ أمورها الا بهما — ما بقيت الحياة •• والى أن يرث الله الأرض ومن عليها •• !!

* ودار نظرى حول الآية •• وامتد الى ما قبلها ، والى ما بعدها ، مما هو متصل بها •• فشدتنى آية سبقتها هى قوله تعالى :

« **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ** »

ـ حيث تجلت فيها صـــفة عظيمة خاتمة ، للصفات الفاضلة ، المتمثلة فى المؤمن حقا .. وهم بها حمـدهم الله وأثنى عليهم بذكرها ، وسردها فى آيات رضاه عنهم .. تلك الصـفة الخاتمة ، هى وصف هؤلاء المؤمنين بالشجاعة والقوة ، والأنفة والعزة ، والغيرة على الحق ، والثورة على الظلم ، والانتقام من الظالمين ، بالانتصار عليهم ، وأخذ الحق منهم .. وذلك يتصل بموضـوعنا ـ « **وجزاء سيئة سيئة مثلها** .. » .. !!

* واذن ، فمن حق المظلوم ، بل من واجبه ـ مادام قادرا وعادلا ـ أن ينتصر لنفسه ، وأن يعمل ما اسـتطاع ـ على ايقاف الظالم عند حده ، وحرمانه من ثمرة بغيـه .. وأن يكتفى باسترداده لحقه ، دون زيادة عليه ..!

* وذلك ، هو بعض ما ترشد اليه الآية فى مفهومها ومضـمونها .. فهى آية فى معرض الثناء على المؤمنين الذين يسـارعون فى الخيرات ، ويبادرون الى الانتقام والانتصار من الباغين ، فى حدود ما لهم من حقوق .. فالله قد أثنى عليهم .. ويستحيل على الله أن يثنى على مؤمن تجاوز حـده ، أو أخذ فوق حقه .. علاوة على أن تسـجيل رضاء الله عنهم ، وثنائه عليهم ـ يوحى بأن الله يدعو كل مؤمن قادر ، بل يحثه ويحرضـــه على الانتصـار والانتقام ، من هؤلاء الباغين ، معتادى الاجرام ، حتى يلزموا حـدودهم ، ويثوبوا الى رشـدهم ، ولا يتمادوا فى غيهم وبغيهم وعدوانهم ، فالله أعلم بهم ، ولا يَفُلُّ الحديد الا الحديد .. وأمثالهم لا يسـتأهلون العفو ، ولا يستحقون الصفح والغفران .. !!

* ونلاحـظ أن الآيـة تعطى لأقـوايا المؤمنين ، ما لا تعطيـه لضـعفائهم ، لانهم الاقدر على ضـبط النفس ، وتحقيـق ميزان العـدل ، وهم ينتصرون .. ولانهم الذين لا يخشون أحدا الا الله ، ولا يرتضون المذلة لسـواه ، ولا يظلمـون الناس فى هـذه الحياة .. !!

* أما الآية التالية ، « **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** » ـ فهى تتنـاول أكثر من موضـوع .. وهى امتداد لسـابقتها ، واستكمال لموضوعها ، وبيان لحق المظلومين ، والمعتدى عليهم ، والمساء اليهم ، فى أية صورة من صـور الاعتداء ، وفى أى لون من ألوان الاسـاءة .. فهى تخاطب القادرين على الانتصار والانتقام من الباغين .. وتخاطب غير القادرين .. وهى تعطى الاهتمام بمسألة المجازاة بالمثل ، بجعلها فى مكان الصـدارة منها ، كما تعطى اهتمامها كذلك بموضـوع العفو والصـفح والاصـلاح .. فهما أمران مطلوبان ، لتحقيق الخير ودرء الشر ، باختيار أحدهما وفق طاقة المختار ، ووضعه فى مكانه المستطاع .. !!

* فهى تبين أولا — أن من حق كل ومساء اليه ، أو معتد عليه — أن يجازى المسىء بمثل اساءته ، والمعتدى بمثل عدوانه ، والباغى بمثل بغيه ، تماما ، وبلا زيادة فى رد الاساءة ، أو رد الاعتداء .. وبذلك يكون المساء اليه ، قد استوفى حقه ، ولا لوم عليه ، ولا مؤاخذة ، فى انتصاره بعد ظلمه .. « وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ، فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ، وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » .. !! « الشورى ٤١ ، ٤٢ » .

* وقد قال بعض أشياخنا (رحمهم الله) : ان مقابلة الاساءة بمثلها فى الكلمة مثلا — هى أن يرد على المسىء بنفس الكلمة التى أساء بها ، دون زيادة عليها .. والا كانت الزيادة منه عدوانا جديدا ، يصير بها من كان مظلوما ظالما ، ومن كان مبغيا عليه باغيا .. وضربوا لذلك مثلا .. فاذا قال المسىء (أخزاه الله) ، يكون رد المساء اليه بالمثل ، (أخزاه الله) .. وهكذا فى سائر ألوان الاساءات التى يمكن فيها مجازاة المسىء بمثل اساءته ، منعا للمسىء والباغى من التمادى فى الاساءة والبغى ، وللعادى من الاستمرار فى العدوان .. !!

ويؤكد هذا المفهوم ، ما كان من قول السيدة عائشة للسيدة حفصة — فى معرض الفخر ذات مرة — : « أنا بنت أبى بكر » ، فقال الرسول لحفصة : « قولى لها : وأنا بنت عمر » !!

* وفى الناس كثيرون .. لا يوقفهم عند حدودهم الا أولئك القادرون على مجازاتهم بالمثل — جزاهم الله خيرا ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ، ولم يرض لها أن تهان .. فان من هانت عليه نفسه كانت على الناس أهون .. وماذا يتبقى للانسان بعد قبوله لاهانته ، وفقدانه لحقه وحريته ، وكرامته وانسانيته .. ؟ ! وما قيمة الحياة اذا غاث فيها المفسدون فى الارض ، ولم يجدوا من يردعهم ، أو يطهر الحياة منهم ؟ ! عندئذ تكون بطن الارض خيرا من ظهرها .. !!

* ولذلك ، فانا نجد الله تبارك وتعالى يؤكد لعباده قرار المجازاة بالمثل ، دلالة على أهميته ، وحرصا من المشرع على تنفيذه ، اذا استطاع الغاضبون لكرامتهم ، والرافضون لاهانتهم أن يطيعوا وأن ينفذوا .. فقد ذكر الله القرار ، وأعاد ذكره بفعل الامر مرتين : مرة فى سورة البقرة ، فى قوله تعالى : « فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ، فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ .. » ومرة أخرى فى سورة النحل ، فى قوله تعالى : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ

﴿مَا عُوقِبْتُم بِهِ ..﴾ .. ولم يكتف الله بذلك ، بل شجع الذين ينتصرون بعد ظلمهم على طاعة الأمر وتنفيذه ، ووعدهم بنصره اذا ما بغى عليهم مرة أخرى .. وذلك فى قوله تعالى ، من سورة الحج : « ﴿ذَٰلِكَ ، وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ، ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ » ، فهى تفيد أن الذين ينتصرون لحقهم ، وينتقمون لظلمهم ، ويعملون قدر جهدهم ، على ايقاف الباغين عند حدودهم — سينصرهم الله اذا ما بغى عليهم مرة أخرى بعد أن عاقبوا الباغين بمثل ما عوقبوا به .. ومادام الله قد وعدهم بنصره ، فهو ناصرهم ولن يخذلهم ، وعد الله لا يخلف الله وعده .!!

ألا ، فليطمئن المنتصرون لحقوقهم ، اذا كانوا مستعدين وقادرين على مقابلة الاساءة بمثلها .. !!

* هذا ، وان من يقوم بتنفيذ المثلية فى المجازاة — مطيع لا شك لله ، فيما أمر به ودعا له ، ولن يخذله الله أبدا ، وسيحقق له الخير فى دنياه ، والمثوبة فى أخراه .

وقد ورد فى الكشاف للزمخشرى ، ما يفيد أن العفو عن المسىء مندوب اليه .. وأن الامر قد ينعكس فى بعض الاحوال ، فيرجع ترك العفو مندوبا اليه ، اذ احتيج الى منع زيادة البغى ، وقطع مادة الأذى .. ثم ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم — ما يدل عليه .. وهو أن زينب أسمعت عائشة بحضرته .. وكان صلى الله عليه وسلم ينهاها فلا تنتهى .. فقال لعائشة : « دونك فانتصرى » .. صلى الله وسلم عليك يا سيدى يا رسول الله ، فانك بحق بشر رسول .. !!

وقصة جبلة بن الايهم مع الاعرابى الذى لطمه جبلة أثناء الطواف ، لانه داس رداءه — معروفة ومشهورة .. وفيها أصر عمر رضى الله عنه — على القصاص منه .. فقال لعمر : « كيف تقتص منى وأنا ملك وهو سوقة ؟! » فأجابه عمر : « ان الاسلام سوى بينك وبينه » .. وهى تدل على مدى حرص الاسلام على القصاص ، وأن فيه حياة .. كما تدل على العدالة الكاملة المشرقة فى الاسلام الذى يسوى بين الملك والسوقة ، فى الانتصار للحق .. !!

***

*** من أجل الأمان فى الاختيار ..**

الانسان منا يخطىء ويصيب .. من ذا الذى ما ساء قط .. ومن له الحسنى فقط ؟ !!

ومن أجل أن نتحاشى أخطاءنا — بقدر المستطاع — أثناء سيرنا وسلوكنا ومعاملاتنا — يجب أن يكون لنا رصيد ايمانى ، نخشى به الله ، ونطلب رضاه .. ولا يكون ذلك الا بطهارة نفوسنا ، واخلاص نياتنا وأعمالنا ، وتسليم قيادنا لربنا .. مع الانتفاع بتجارب

الصالحين من عباد الله ، أولئك الذين أمدهم الله بعونه ، فى أمور الدين والدنيا معا •• فوضعوا على طريق الحياة مشاعل تضىء جنباته ، وتؤمن عثراته ، وتأخذ بيد السالك فيه الى بر الأمان •• !!

ومما عرفوه ، وأعلمونا به ـ أن الطبائع مختلفة ، والطاقات متفاوته ، والاخلاق متباينة •• وأن ما يصلح لانسان قد لا يصلح لآخر ، وما ينفع هنا قد يضر هناك ، وأن ما يبدو فى ظاهره حسنة ، قد يكون فى باطنه سيئة ، وما يبدو شرا ، قد يكون فى أعماقه خير كثير •• فالنار مطهرة ومصلحة ومنضجة •• والكى قد يكون هو الدواء المطلوب •• وفى الشر خيار حين لا ينجيك احسان •• وأن الانتقام من المسىء ، قد يعطى فى مجال التأديب من المثمرات الطيبة ، ما لا يعطيه العفو والصفح •• والقوة فى مجال الاصلاح ، قد تعطى من النفع والخير ، ما لا يعطيه الرفق والملاينة •

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما

فليقس أحيانا على من يرحم

والله تعالى يقول : **« وجزاء سيئة سيئة مثلها »** ••

فيجب أن نكرم كرام الناس فى معاملاتنا لهم •• أما اللئام فان معاملتهم بالكرم تأتى بأسوأ النتائج •• ومن سداد الرأى ألا نسوى فى المعاملة بين كرام الناس ولئامهم •• فالكرام يناسبهم الكرم •• واللئام لا يناسبهم الا الشدة معهم ، ورفع السيف فى وجوههم ، أما اكرامهم فيزيدهم لؤما وتمردا ••

ورحم الله من قال :

اذا انت أكرمت الكريم ملكته

وان انت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى فى موضع السيف العلا

مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وهنا يقول الحكماء والمصلحون :

ان من الحكمة والاصلاح أن نضع الشىء فى موضعه الصحيح ، وفى مكانه المناسب •• وضربوا لذلك أمثلة ، فقالوا : بصدد الفضائل والرذائل :

ان الاقدم فى موضع الاقدام ، والاحجام فى موضع الاحجام ـ فضيلة وشجاعة وحكمة •• وان الحلم عن العاجز الضعيف ـ سماحة ومروءة ونبل •• وعن غير العاجز القوى ـ خوف وجبن ولؤم •• وان الصفح عن الكريم المحتاج اذا أساء ـ كرم ومحمدة واصلاح •• وعن اللئيم المستبد ـ نقيصة وضعف وافساد •• وان العفو عن الباغين وعتاة المجرمين ـ ضعف وخسة ونذالة •• أما الانتقام منهم وحرمانهم من ثمرات بغيهم ـ فهو العزة والاباء والقوة والمضاء والامن والايمان ••

وصدق الله العظيم : **« وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ »** •• !!

* والله تبارك وتعالى قد شاءت حكمته وعدالته ورحمته — أن يبصر عباده بالخير ، ويرشدهم اليه ، ويدلهم عليه ، وأن يعطيهم حرية الاختيار فيما فيه اختيار ، ليختاروا ما يناسب ظروفهم وأحوالهم وقدراتهم فى حدود طاقاتهم ، وعلى هدى من ربهم ، تحقيقا لأمنهم وأمانهم .. لا تظلمون ولا تظلمون .. لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .. ولكل انسان جزاؤه وثوابه ، واستحقاقه وعقابه .. جزاء وفاقا .. وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأمره على الله ، انه لا يحب الظالمين .

* فالامر هنا لا عسر فيه ولا الزام ، ولا مشقة فيه ولا اجبار .. وتتجلى فيه حقيقة المجازاة بالمثل ، وحقيقة العفو والاصلاح .. وأنه لا تناقض بينهما ، ولا اختلاف فى الغاية منهما .. فكل عند اختياره ، وحسن استعماله — موصل للخيرات ومانع من المنكرات .. ولكل دواعيه ، ومكانه الذى يوضع فيه ، ورجاله الصالحون له ، والقادرون عليه .. وانما الاختلاف والتناقض بين الذين يخاطبون به ، ويدعون اليه ، فى القوة والضعف ، وفى الشدة واللين ، وفى الصلاح والفساد ، وفى درجات التقوى ، وفى الصبر والاحتمال ، وفى تقدير الظروف والاحوال ، وفى سوء الاختيار وحسن الاختيار ..

*** تحقيق المثلية فى المجازاة :**

* أما تحقيق المثلية فى المجازاة — فأمر لا يقدر عليه ، الا من أقدرهم الله عليه .. وان فيه لعسرا شديدا ، ومشقة بالغة ، الا على الذين هدى الله ، فمنحهم من قوة الارادة ، وضبط الاعصاب ، والاكتفاء بما هو من حقهم ومباح لهم ، وهم قلة من المؤمنين .. رضى الله عنهم وأرضاهم .

* * *

أما الكثرة من الناس ، فهم لايملكون مشاعرهم عند الغضب ، ويستبد بهم الانفعال والحقد ، فيضلون الطريق ، ويتجاوزون حدودهم عند الانتقام لانفسهم ، والانتصار لها .. فينقلبون ظالمين بعد أن كانوا مظلومين ويؤججون بحماقتهم نيران الفتن والبغضاء فيستفحل الشر وينذر بالويلات والثبور . !!

فالمجازاة بالمثل عند هؤلاء الحمقى ، غير مأمونة العاقبة .. وخير لهم أن يعفوا ويصفحوا ويصلحوا ما بينهم وبين الذين بدأوا الاساءة اليهم .. !!

* وان من الاساءات اساءات لا يستبيح فيها لنفسه انسان مؤمن كريم ، أن يجازى بمثلها ، حتى لو استطاع .. فلن يتركه الله دون حساب شديد وعذاب أليم .. وذلك فيما اذا قتل معتد أثيم ابنا لمعتدى عليه ، أو أما له أو أبا ، أو بغى باغ خسيس وغصبا على

امرأة لمبغى عليه أو أخت له أو بنت ، أو ماشاكل ذلك من الفواحش والمنكرات التى يستحيل على مؤمن صادق الايمان أن يفكر بشأنها في الانتصار والانتقام ممن أساء بمقابلة السيئة بمثلها .. وما أظن أن اباحة الاخذ بالمثل تدخل فى مثل هذه الامور .. وانما هى متروكة للحاكم المسلم ، والقضاء المسلم ليحكم فيها بحكم الله وشريعته بقتل القاتل ورجم الزانى وبما يستحق من قصاص وعقاب .. !!

وان من يرتكب أمثال هذه الجرائم الفاحشة تحت ستار المجازاه بالمثل — لمعتد أثيم ومجرم خطير ، ليس فى قلبه مثقال ذرة من ايمان .

- * ومن أجل هذا وأمثاله .. جاء قوله تعالى : « انه لا يحب الظالمين » ليدل على أمور كثيرة .. منها :

- * الدلالة على ان تنفيذ حق المظلومين فى الانتصار لانفسهم فى حدود المثلية المطلوبة — غير مأمون العاقبة ، ومحفوف بالمخاطر ، وأنه يؤدى غالبا الى ظلم جديد ، يصير به المظلومين ظالمين .

- * انذار للحمقى من الطرفين .. من المنتقمين ، ومن المعتدين على سواء ، وتخويف لهما من غضب الله عليهم ، وسوء عاقبتهم فى الدنيا والآخرة بظلمهم .

* الترغيب فى اختيار الأسلم عاقبة وأعظم أجرا .. وهو العفو عن المسيئين ، والصفح عن الباغين ، وايثار الاصلاح فيما بينهم .. وهذه أمور لا يقدر عليها ولا يطيقها الا الصابرون الذين يؤثرون السلامة وحسن العاقبة فى الدنيا والآخرة ، ويخشون الله ويرجون مثوبته .. فهو القائل : ﴿وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلَقَّاهَا (وما يقدر عليها) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ .

* ثم ان الله لا يحب الظالمين ..

لان الظلم أبغض شىء الى الله ، فيه تفسد الحياة ، ويختل ميزان الحق والعدل فى هذا الوجود العظيم .. والله سبحانه هو الحق والعدل .. وبالحق والعدل حرم الظلم على نفسه ، وجعله بين الناس محرما ، حتى لا يتظالموا .. ومن هنا كان أسوأ الناس عاقبة فى الدنيا والآخرة هم الظالمون .. فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .. وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا .. وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون .

ومن شدة حب الله للعدل ، وبغضه للظلم — ينصر الدولة الكافرة اذا كانت عادلة ،

ويهلك الدولة المؤمنة اذا كانت ظالمة — كما يشير الى ذلك حديث شريف .. ثم يقول سيدنا رسول الله : « ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » ..

* واذن ، فأحسن للذين لا يملكون أنفسهم عند الغضب ، والذين يرون العفو أسلم وأجر الله أعظم — أن يؤثروا العفو عن المسيئين ، والاصلاح فيما بينهم — تأمينا لحياتهم ، وحصولا على عظيم أجر الله الذى جاء فى الآية الكريمة مبهما ، فى قوله « **فأجره على الله** » دلالة على عظمه وأنه أجر غير محدود .

* وحسبنا فى هذا المقام ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم القيامة نادى مناد : من كان له على الله أجر فليقم . قال : فيقوم خلق .. فيقال لهم : ما أجركم على الله ؟! فيقولون : نحن الذين عفونا عمن ظلمنا . فيقال لهم : ادخلوا الجنة باذن الله .. وبغير حساب .. !!

ونقل فى ايثار الصبر والمغفرة ما قيل من أن رجلا سب رجلا فى مجلس الحسن (رحمه الله) ، فكان المسبوب يكظم غيظه ، ويعرق ، فيمسح عرقه .. ثم قام وتلا قوله تعالى :

« وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » ، فقال الحسن : عقلها والله وفهمها ، اذ ضيعها الجاهلون .

جعلنا الله من العافين عن الناس ، ومن المحسنين .. اللهم آمين ..

عبد الحميد الفضالى

دراسات لغوية

اللغة والمجتمع

٥ ‹

عرضنا فى مقالاتنا السابقة صورة واقعة لما يعرض للغة جماعة انسانية ، ورأينا انها تنشأ تلبية لحاجاتهم الاجتماعية ، ووفقا لظروفهم ، فهى تمثلهم حضاريا وثقافيا وفكريا ، ثم أن ألفاظها المعبرة عن مقصودهم ، تأخذ الطابع المميز لتلك الجماعة الانسانية ، وتتطور حسب احتياجاتهم ، وما يعرض لهم من ظروف جديدة قد تطرأ عليهم فى انقساماتهم الاجتماعية داخل المنطقة التى يعيشون فيها، او نتيجة اتصالهم بالشعوب الاخرى للتجارة او الهجرة او الحرب،أو غيرها من وسائل الاتصال المتعددة ، ويمكن ان تبدو لذلك آثار بعيدة المدى فى سلوك اللغة،واتجاهاتها ، بين الجماعات الانسانية المختلفة وتبدو ملاحظاتنا فى صور تعبر عن الجانب الاجتماعى ، واثره فى السلوك اللغوى وهى كما يلى :

للدكتور عبد الغفار حامد هلال

اللغة والمجتمع

أولا ــ اللغة صورة لحياة الأمة :

ليست اللغة أداة صناعية خارجة عن علاقاتها بالمجتمع الذى تعيش فيه ، بل هى صورة له ، نابضة بالحياة ، فاذا كان المجتمع متخلفا ظهرت آثار التخلف فى لغته ، فهى متخلفة معه، واذا كان مجتمعا راقيا بدا الرقى فى لغته كذلك ، فالشعوب البدائية يتكلمون لغة مادية لا تعرف الفكر ، أو المعانى الكلية ، انها لاتعرف أكثر من المحسوس ، لتعبر عنه ، فالهندى الأحمر فى أمريكا ــ فى تعبير لغوى ــ أن يجد اسما للشجرة ، دون أن يعرف لونها الأحمر ، أو الأسود ، فى شجر معين كالبلوط ، وبعض العشائر البدائية ، لا تسعفها لغتها على التعبير ، فيلجأون الى الاشارات بأيديهم ، وأرجلهم ، وأعينهم حتى انهم اذا أرادوا التحدث ليلا أوقدوا النار ، ليرى المخاطب حركاتهم ، فيعرف ما يريدون ، وهذا اللون من اللغات يقل فيه التفرع اللغوى ، كالاشتقاق ، وغيره مما يعبر عن المعانى المجردة •

أما الشعوب الراقية ، ذوات الثقافة والفكر، فتحمل لغاتها سمات حياتها العامة ، والخاصة، كاللغات الهندية والأوربية ، واللغات السامية ، التى تستطيع أن تعبر فى صور متعددة ، وعبارا تلا تحتاج الى الاشارات كتلك السابقة لها ، بل ان اللغة العربية تجنح الى العقلية والخيال ، بالتعبير عن الشىء منظورا اليه من جهات متعددة •

فاللغة سجل يسعى حضارة الأمة على مدى تاريخها الطويل ، ويمكن على هذا الأساس فهم طبيعة حياتها ، ومعرفة الكثير من وجودها الحضارى •

فالعربية ــ فى أول حياتها ــ كانت تعيش حياة بدوية خالصة فى صحراء الجزيرة ، ولذا تحمل ألفاظها سمات تلك المرحلة ، فكلمة (الفصاحة) ــ أخذت ــ أساسا ــ من اللبن الفصيح ــ وهو الذى زال رغوه ــ وكلمة (البلاغة) اخذت من البلوغ الى غاية السير وكلمة (المجد) اخذت من امتلاء بطن الدابة بالعلف ، وكلمة (القطار) كانت تطلق على عدد من الابل تسير فى نسق واحد •

فاذا درسنا تلك الألفاظ ، وتطوراتها ، وجدنا أن اللفظين الأولين (الفصاحة والبلاغة) استعملا فيما بعد لحسن الكلام ، وجودته ، ثم استعملا مصطلحين لاجادة النطق ، فى علم البلاغة الذى ظهر بعد وضع قواعد اللغة ، وعكوف العلماء على دراستها ، فى عصر يدل على نضج تفكير الأمة ، وادراكها لقيمة لغتها •

وبعد تحضر العرب نقلوا لفظ (المجد) من معناه القديم ، فأصبح يطلق على امتلاء حياة الشخص أو الجماعة بالمعانى النبيلة ، ولما تطورت الحياة عند العرب فى العصور الحديثة، واستخدموا الآلات الصناعية فى نقل البضائع، والأحياء من بنى الانسان ، وغيرهم من مكان الى آخر نقلوا اسم آلة السفر التى كانت للصحراء ــ وهى (القطار) من الابل ــ للقطار من العربات المعهود الآن •

فلو تتبع الباحث اللغوى دلالات الألفاظ ، واشتقاقاتها ، وتراكيبها اللغوية لعرف تطور الحياة ، والفنون عند الجماعة الناطقة بها •

ثانيا ــ اللغة تتغير تبعا لظواهر الاجتماع :

للظواهر اللغوية وتغيرها أثر فى مفردات اللغة وتراكيبها .

أ ــ أثرها فى المفردات :

١ ــ معانيها :

لا ريب أن كل جماعة انسانية تضع الكلمات للأغراض التى تريد التعبير عنها ، فيوضع لفظ المعنى ، أو لعدة معان ، ويوضع غيره كذلك لمعان أخرى ، وهكذا .

وتبدأ اللغة البسيطة ثم تتطور ، وتتعمق ، فالمعروف أن الطفل عندما يريد أن يدل على حيوان يخاف منه فانه يسميه (هوهو) أو (عو) أو نحو ذلك مما يطلق عليه ، ثم بعد أن يتميز شيئا فشيئا يستطيع أن يفصل بعض المعانى عن غيرها ، والمسميات عن نظائرها ، فيطلق اللفظ المحدود على ما يريد بدقة ، وهكذا فالشعوب تطلق الألفاظ على ما تريد حسب طبيعتها ، رقيا ، وانحطاط ، فالألفاظ البدائية محسوسة المعانى ، والراقية ترقى معها الأفكار التى تحملها .

وكلمة (الفرج) كانت لكل شق ، ثم خصصت فى الاسلام بما هو معروف عند الانسان ، واللمس كان معروفا فى اتصال شىء بآخر ثم كنى به الاسلام عن الجماع كقوله تعالى : **« أو لامستم النساء »** .

ومن هنا نلاحظ تطور المعنى تبعا لتطور الحياة الاجتماعية ، ومتطلباتها .

٢ ــ أصواتها :

لاريب أن الأصوات التى تتألف منها الألفاظ صورة لحياة الأمة ، فهى جافية غليظة ، فى أمة خشنة ذات وعورة ، تحيا حياتها الأولى ، فمثلا ، حياة الصحراء تحتاج الى الأصوات العالية ، لأن الخفوت يضيع وسط هذا الفراغ الهائل ، ولذا كانت خشونة الأصوات داعية لوصولها الى من يريد ، وعلى هذا كان العرب الصحراويون يأتون الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وينادونه بأصواتهم المرتفعة ، فحاول الاسلام أن يوفق منها فى الحواضر ــ كمكة والمدينة ــ حيث العمران ، والمدنية ، والحضارة ، التى يناسبها خفض الصوت ، فنبه القادمين على أن الأصوات العالية لا تليق فى مكان لا يحتاج الى علوها ، قال تعالى : **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)** وقال سبحانه : **(إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) الحجرات** . وقال سبحانه **(إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)** .

ونلاحظ فى الحركات أنها الشكل المناسب لحياة البدويين ، والحضريين ، فالحركات القوية ــ كالضمة ــ يميل اليها البدويون لمناسبتها لحياتهم ، على حين أن حياة المدنية الرتيبة الوادعة داعية الى الأصوات الرقيقة ، والحركات المشاكلة لها كالكسرة ، التى قالوا انها علامة المؤنث ، وأمارة الرقة ، وصغر الحجم .

وكلما انتقل المجتمع من حال الى حال تتطور الأصوات اللغوية ، ففى اللهجات العربية الحديثة وجدنا صوت (القاف) العربية يتطور فى القرى الى صوت (الجيم) مثل : (قال)تنطق (جال) وفى المدن ــ كالقاهرة وطنطا ــ تنطق (همزة) فتصبح (آل) ،

اللغة والمجتمع

ووجدنا فى القرى (الضحك) ــ بضم الضاد وفى المدن (الضحك) بكسرها ، لأن الضمة تناسب مجتمع الصلابة ، والخشونة ، على حين أن الكسرة لمجتمع الرقة ، والحياة الناعمة. وقد تحدث تبدلات للأصوات عند بعض الناس تبعا للبيئة التى تصبغ الألفاظ بصبغاتها فمثلا نجد فى الصعيد من ينطقون (جاموسة) (داموسة) ، ومن يقول هناك (لم) بدلا من (لأ) فى مجتمع المدينة ، و (لا) فى العربية الفصحى .

وتبدلات الأصوات أحدثت ثورة عنيفة فى اللغة العربية واللغات الانسانية ــ بعامة ــ وتحتاج دراستها الى جهود تكشف عن تطورات الألفاظ ، وعلاقتها ، ومدى تأثرها بالتقدم الحضارى .

وهناك أصوات تخفف حتى تتلاشى ، كأصوات اللين الطويلة والقصيرة فى مثل (على ومحمد حضر امبارح) .

وتلاحظ فى دراسة اللهجات العربية ، القديمة والحديثة ، ما يقيدنا فى هذا المجال ، ويلقى ضوءا قويا على حياة البداوة ، والحضارة فى عصورها المختلفة .

٣ ــ حياتها وموتها :

هناك ألفاظ فى اللغة يكتب لها ان تعيش ، ويستمر وجودها للحاجة اليها ، ولصلاحيتها للتعبير عن مرادها ، وذلك مرهون باستمرار ما يراد منها ، وقد ينتقل معناها تبعا للحاجة الاجتماعية الا أنها تستمر لصلاحيتها لذلك أيضا وقد يموت معناها تبعا للتغيرات الاجتماعية التى تبطل هذا المعنى أو تؤدى الى تغييره فتموت الألفاظ أيضا ، فأسماء كثير من آلات الحرب وغيرها قد بطل نتيجة لبطلان استعمالها ، وكذلك بعض الألفاظ الخاصة بأجزاء الغنائم ، فى الجاهلية التى أبطلها الاسلام ، مثل : المرباع والصفايا وغير ذلك من الألفاظ .

وفى بعض الأحيان يحيا اللفظ بعد موته ، فقد أحيا الأدباء والعلماء فى العصور الحديثة كثيرا من الألفاظ القديمة ، للحاجة الى معانيها ، وتبعا للمخترعات الصناعية التى تستلزم بعض المصطلحات ، ومن هنا وجدناهم يعيدون الى اللغات كثيرا من الألفاظ المهجورة ، وهذا يضيف جزءا كبيرا من التراث اللغوى كان مهملا ، فيعيد الى اللغة جزءا مفقودا من ثرواتنا ، وكثير من الألفاظ التى وجدت فى الغرب تسير على هذا الطريق ، وتشمل مصطلحات متعددة فى الصناعات والفلسفات والعلوم .

ولذا نلاحظ ان اللفظ يحيا فى عصره ويموت فى عصر آخر تبعا للنظم الاقتصادية ، والحياة الاجتماعية فى أطوارها المختلفة فلفظ (الاشتراكية) كان معروفا فى اللغة الا أنه لم يدر استعماله بمثل ما دار به فى هذا العصر ، ولفظ التراشق بالنيران لم يكن يلاحظ قبل اندلاع حرب السويس ، ولفظ (صاحب المعالى) أو (صاحب السعادة) كان شائعا قبل الثورة ، ثم اختفى منهما بقيامها .

٤ ــ اضافة الفاظ جديدة :

تستحدث اللغة بعض الألفاظ للحاجة اليها ، فقد يكون المجتمع بدائيا ، ثم يتطور ، وتكبر معه المخترعات ، وحاجات الحياة ، وقد لا تنهض ألفاظ اللغة بذلك ، فتخترع ألفاظا تستعمل فى هذه النواحى ، والارتجال ظاهرة لغوية فعالة تحدث عنها العلماء ، وقد قال ابن جنى : ان العربى الفصيح يرتجل ، ويكون ذلك

باحيــاء ألفاظ قديمة ، أو بالاشتقاق منهــا ، ويمكن أن تنشأ بعض الألفاظ دون سابق وجود لها ، وهذا يقع فى اللغات الأجنبية ، وفى لغتنا العربية ، وفى لهجــاتنا العــامية كثير من تلك الألفاظ المخترعة تبعا لحاجات الحياة النامية .

٥ ــ اقتراض الألفــاظ :

تبعا للعلاقات التى أشرنا اليها بين لغة قوم وآخرين ، سلمية كانت أو حربية ، فان ألفاظا من لغات الطرفين تنتقل الى كل منهما، وتستعمل فى التبادل اللغوى ، ويدخل فى ذلك ما يسمى فى العربية ، فاللغة التى تأخذ بعض الألفــاظ تحاول اخضاعها لقوانينها الصوتية، وموازينها البنائية ، حتى تشاكلها ، وتجرى على لســان أربابها ، فبعض الأصوات لا يوجد فى لغة مــا ويوجد فى غيرها كصوت (أ) فى اللغات الهندية الأوربية ، ففى الفارسية مثلا ــ (بنــدق) عــرب الى (فنــدق) بالفــاء و (برند السيف) الى (فرنده) بالفــاء أو (برنده) بيــاء خفيفة .

وقد يحدث اتصال لغة بأخرى عدوانا على نظمها الصوتية ، وطغيانا على ألفاظها ، فتحل ألفاظ من اللغة الغالبة محل نظائرها من ألفاظ اللغة المغلوبة ، ويكثر ذلك ، فتمزق مجــالاتها اللغةالصوتية وتستولى عليها ،وتقضى عليها فى النهاية ، ويترك هذا الصراع آثارا فى اللغــة الغالبة فتشوه بعض صــوتياتها ، ومفرداتها وهذا يتوقف على حدة الصراع ، وامتداد زمانه بحيث يتناسب معه تناسبا عكسيا .

(ب) أثرها فى التراكيب والقواعد :

الزمن ، والصلات بين المجتمعات ، والحياة بمظاهرها المتعددة ، كفيلة بتغيير الأوضــاع اللغــوية ، وتراكيبها ، فالرجل البــدائى ــ كالطفل ــ لا يملك قوة العبارة ، أو ســلامتها وسلاستها بل يركبها حسبما يشــاء له تفكيره الســاذج ، وتبدو عليها الهلهلة والســقم ، لأن حياته ليست رتيبة ، ولا نظام فيها ، وعنــدما يسمو تفكيره ، تسمو لغته ، وتصــبح دقيقة التعبير ، متسقة المسالك .

وتراكيب اللغات عرضة للتغير ، وقواعدها النحوية والصوفية عرضة لذلك أيضا ، يقــول بعض الباحثين : أن الأمم القديمة كانت تصنع الجمل فى الوقت الذى تصنع فيه الفكرة التى تحملهــا ، وهى لذلك محتــاجة الى ملاحقــة الجزئيــات ، وأدوات الفصــل والوصــل ، وأنواع الزوائد التى (تتجــاوب مع حركات عقلية جزئية تختلج فى الفكر فى لحظة التعبير على حين أن المتكلم باللغات الحيــة المعــروفة يكاد يفرغ من تكوين فكرته داخليا ، قبل سبكها فى قالب الكلام ، فيقل فيها ما يشعر بهذا الجهد الداخلى فى بناء الفكرة نفسها » (١) ومن هنا ضاع الاعراب فى اللهجات العامية العربيــة ، وفى معظم اللغات البشرية كما هو مشــاهد الآن .

ويذكر الباحث الســابق أن الانتقــال من التركيب المعرب الى التركيب الموقــوف يعــد ظاهرة حتمية فى تطور اللغات (٢) .

كذلك الاوزان التصريفيه عرضة لهذا التبدل والتغير ، فمثلا (غار فهو غائر) ــ من غــار على عرضه بمعنى : تمسك بحمايته ــ يقال : فى التعبير العامى (غيران) ــ على فعلان ــ خلافا للوزن العربى ، وصياغة المضارع اختلفت طرائقها فى القديم والحديث كما نشــاهد فى عامياتنا ، ولغتنا الفصحى .

---

(١) د. حسن ظاظا :
اللســان والانســـان ص ١٢١ .
(٢) نفسه ١٢٠ .

اللغة والمجتمع

كذلك الغزو اللغوى يمكن أن يترك آثارا فى أساليب اللغات فيغير بعضها ، مثل ما نسمع فى العامية (هات واحد شاى) وأصله (أعطنى كوبا من الشاى) — (قابلنى اثنين من الشبان) والتعبير العربى (قابلنى شابان) .

ومثله تسرب بعض الأساليب والتعبيرات الأجنبية الى العربية : مثل : (ذر الرماد فى العيون) و (لعب دورا هاما) ونحو ذلك مما يمكن تتبعه فى اللغات الانسانية .

وهذا اللون من الدراسة يكشف عن المنهج الصحيح لدراسة اللغات الانسانية بتتبع سيرها التاريخى ، وما يحدث فيها من تغيرات فى معانيها وأصواتها ،وتراكيبها ،وما يفقد منها ، أو تستفيده بعضها من بعض .

ويمكن للباحث أن يدرك كيف يستطيع المجتمع أن يوجه اللغة الى الطريق الذى يسير فيه ، وأن يخضعها لعوامل المحافظة ، والبقاء ، أو الانقسام والموت .

ويمكن — على هذا المنهج — أن تدرس اللغة فى ظل علم الاجتماع وأن تعرف طرائقها الاجتماعية .

فتدرس اللغة دراسة وصفية ، تتناول الانسان من حيث نشأته ، وتدرجه فى جماعة معينة وأثره فى اللغة — بجانب جماعته التى ينتمى اليها — فى ضوء العوامل ، والظواهر الاجتماعية التى تتصل باللغة ، وبسلوك أفراد الجماعة ، ويدرس امعنى ، والألفاظ فى ظلال التاريخ اللغوى .

ويتناول اللغة من هذين الجانبين الوصفى ، والتاريخى يتبين أن اللغة تعد مميزا فرديا ومميزا طبقيا ، فيمكن أن تدرس اللغة والسياسة — اللغة والاقتصاد — اللغة والدين الخ ، وعلى أثر ذلك نستطيع أن ندرك مراحل التطور اللغوى وصلته بالمجتمع ، وأثار احتكاك اللغات واللهجات .

وقد كان علماؤنا القدامى فى دراستهم للغة يغفلون هذا الجانب المهم ، وهو الجانب الاجتماعى — ومن ثم جاءت تفسيراتهم — فى بعض الأحيان — غير سديدة ، ولكن بعض علماء الغرب تبعا للمدرسة الاجتماعية التى أسسها (اميل دور كيم) أدركوا أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، فحاولوا دراستها على هذا الطريق ، وحذا حذوهم بعض علماء العرب فى العصر الحديث .

د / عبد الغفار حامد هلال

دراسات لغوية

الدلالة المعجمية

معناها وتطور بعض ألفاظها الاسلامية

للدكتور أمين فاخر

ولعل ما نقله السيوطى عن الصاحبى فى هذا يوضح لنا مدى ما أحدث الاسلام من تطور فى بعض الالفاظ • يقول : فكان مما جاء فى الاسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وأن العرب انما عرفت المؤمن من الأمان والايمان وهو التصديق ، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمى المؤمن بالاطلاق مؤمنا ، وكذلك الاسلام والمسلم انما عرفت منه اسلام الشىء ، ثم جاء فى الشرع من أوصافه ما جاء ، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر الا الغطاء والستر ، فأما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم أبطنوا غير من أظهروه ، وكان الاصل من نافقاء اليربوع ، ولم يعرفوا فى الفسق الا قولهم فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها ، وجاء الشرع بأن الفسق الافحاش فى الخروج عن طاعة الله تعالى •• ومما جاء فى الشرع الصلاة وأصله فى لغتهم الدعاء ، وقد كانوا يعرفون الركوع والسجود وان لم يكن على هذه الهيئة •• وكذلك الصيام أصله عندهم الامساك ثم زادت الشريعة النية

وحظرت الاكل والمباشرة وغيرهما من شرائع الصوم ، وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم غير القصد، ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشرائعه ، وكذلك الزكاة لم يكن العرب تعرفها الا من ناحية النماء وزاد الشرع فيها ما زاده .

وعلى هذا سائر أبواب الفقه ، فالوجه فى هذا اذا سئل الانسان عنه أن يقول فيه اسمان لغوى وشرعى ويذكر ما كانت العرب تعرفه . ثم جاء الاسلام به وكذلك سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر ، كل ذلك له اسمان لغوى وصناعى » (١) .

كما نقل السيوطى (٢) عن الجوهرى فى الصحاح قول ابن دريد : « الصفران شهران فى السنة سمى أحدهما فى الاسلام المحرم » ، وعن المجمل لابن فارس قول ابن الاعرابى : لم يسمع قط فى كلام الجاهلية ولا فى شعرهم فاسق . قال وهذا عجب وهو كلام عربى ولم يأت فى شعر جاهلى » ، وعن الثعالبى فى فقه اللغة قوله : « اذا كان الفرس لا ينقطع جريه فهو بحر شبه بالبحر الذى لا ينقطع ماؤه من تكلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف فرس ركبه » .

ولم يقتصر ذلك على الالفاظ فحسب بل سمعت عبارات كثيرة فى الاسلام لم تكن موجودة قبله ، من ذلك ما نقله السيوطى (٣) أيضا عن الثعالبى فى فقه اللغة : « اذا مات الانسان من غير قتل قيل مات حتف أنفه وأول من تكلم بذلك النبى صلى الله عليه وسلم » .

وعن ابن دريد « ومن الالفاظ التى لم تسمع من عربى قبله قوله « لا ينتطح فيها عنزان » وقوله : « الآن حمى الوطيس » ، وقوله : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ، وقوله : « الحرب خدعة » ، وقوله : « اياكم وخضراء الدمن » .

واذا رجعنا الى كتب الاصول وجدناها تقرن المعنى اللغوى بالمعنى الشرعى الذى اصطلح عليه علماء الاصول ، ولنأخذ مثالا على ذلك كتاب (الاحكام فى أصول الاحكام) لابن حزم ، فهو يقول مثلا فى شرح معنى الايمان : « أصله فى اللغة التصديق باللسان والقلب معا لا بأحدهما دون الثانى ، وهو فى الدين التصديق بالقلب بكل ما أمر الله تعالى به على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والنطق بذلك باللسان » (٤) ثم يأخذ فى شرح هذا المعنى الاصطلاحى .

وكذلك لفظ الكفر يقول فى معناه « أصله فى اللغة التغطية قال عز وجل « **كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ** » ، **قال لبيد :**

ألقت ذكاء يمينها فى كافر .

يريد الليل لانه يغطى على كل شىء ، وهو فى الدين صفة من جحد شيئا مما افترض الله تعالى الايمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق اليه بقلبه دون لسانه أو بلسانه دون قلبه أو بهما معا ، أو عمل عملا جاء النص بأنه

(١) المرجع جـ ١ ص ١٧٣ ، وانظر الصاحبى ص ٧٨ ومابعدها .
(٢) انظر المزهر ص ١٧٦ وما بعدها .
(٣) المرجع السابق .
(٤) الاحكام فى أصول الاحكام جـ ١ ص ٥٥.

مخرج له بذلك عن اسم الايمان .. الخ » (١)

ويقول في لفظ الشرك : « هو في اللغة أن يجمع شيئا الى شيء فيشرك بينهما فيما جمعا فيه ، وهو في الدين معنى الكفر سواء بسواء » (٢) .

ويذكر ابن حزم أن من الاوجه التى تنقل بها الاسماء عن معانيها : « نقل الاسم عن موضوعه في اللغة بالكلية وتعلقه على شيء آخر كنقل الله تعالى اسم الصلاة عن الدعاء فقط الى حركات محدودة من قيام وركوع وسجود وجلوس وقراءة وذكر ما ، لا يتعدى بشيء من ذلك الى غيره ، وكنقله تعالى اسم الزكاة عن التطهر من القبائح الى اعطاء مال محدود بصفة محدودة لا يتعدى ، وكنقله تعالى اسم الكفر عن التغطية الى الجحد له عز وجل أو لنبى من أنبيائه .. » (٣)

واذا كان علماء الاصول يوضحون المعنى اللغوى لهذه الالفاظ الاسلامية كما يوضحون المعنى الاصطلاحى الذى اصطلح عليه علماء الشريعة فاننا عند الرجوع الى معاجمنا العربية نجد أن بعضها يذكر المعنى اللغوى الذى هو الاصل ، ولا يغفل عن ذكر المعانى الشرعية التى حدثت أو تطورت بعد مجيء الاسلام ، ومن هذه المعاجم « لسان العرب » الذى يعد أوسع المعاجم العربية ، يقول ابن منظور في مادة (صلا) مثلا : « الصلاة : الركوع والسجود والصلاة : الدعاء والاستغفار .. وصلاة الله على رسوله : رحمته له وحسن ثنائه عليه .. وتكون الصلاة بمعنى الدعاء ،

(١) ، (٢) المرجع السابق ص ٥٦

(٣) الاحكام فى أصول الاحكام جـ ١ ص ٤٧١

وفى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا دعى أحدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليطعم وان كان صائما فليصل » قوله فليصل يعنى فليدع لارباب الطعام بالبركة والخير (٤) .. ومن الصلاة بمعنى الاستغفار حديث سودة أنها قالت : يا رسول الله اذا صلى لنا عثمان بن مظعون حتى تأتينا فقال لها : ان الموت أشد مما تقدرين . قال شمر : قولها صلى لنا أى استغفر لنا عند ربه .. وأما قوله : «أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ» فمعنى الصلوات هنا الثناء عليهم من الله تعالى » .

ثم يقول ابن منظور فى نفس المادة حكاية عن ابن الاثير : « وقد تكرر فى الحديث ذكر الصلاة وهى العبادة المخصوصة ، وأصلها الدعاء فى اللغة فسميت ببعض أجزائها وقيل أصلها فى اللغة التعظيم ، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب تعالى وتقدس » (٥) .

وكذلك القاموس المحيط يذكر ذلك ولكن باجمال . يقول الفيروزأبادى « والصلاة الدعاء الرحمة والاستغفار والثناء من الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبادة فيها ركوع وسجود » (٦) .

ويتضح هذا الاتجاه لبعض المعاجم فى كثير من المواد اللغوية التى تحمل ألفاظا اسلامية

(٤) وفى التهذيب للازهرى جـ ١٢ ص ٢٣٦ . قال أبو عبيد : قوله فليصل يعنى فليدع لهم بالبركة والخير وكل داع فهو مصل » .

(٥) اللسان جـ ١٩ ص ١٩٨

(٦) القاموس جـ ٤ ص ٣٥٥

أخرى كالصوم والحج والايمان ونحوها ، ففى اللسان : « الصوم فى اللغة الامساك عن الشىء والترك له ، وقيل للصائم صائم لامساكه عن المطعم والمشرب والمنكح وقيل للصامت صائم لامساكه عن الكلام ، وقيل للفرس صائم لامساكه عن العلف مع قيامه (١) والصوم ترك الأكل ، قال الخليل : والصوم قيام بلا عمل ، قال أبو عبيدة : كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم » (٢) •

والفيروزأبادى يجمع أيضا بين هذه المعانى فى معجمه ولكنه يجملها فيقول : « صام صوما وصياما واصطام : أمسك عن الطعام والشراب والكلام والنكاح والسير •• والصوم : الصمت وركود الريح ورمضان » (٣) •

وكذلك فى (حج) يقول ابن منظور « الحج : القصد ، حج الينا فلان أى قدم وحجه يحجه حجا : قصده ، وحججت فلانا واعتمدته أى قصدته ، ورجل محجوج أى مقصود •• هذا الاصل ثم تعورف استعماله فى التوصل الى مكة للنسك والحج الى البيت خاصة تقول : حج يحج حجا ، والحج : قصد التوجه الى البيت بالاعمال المشروعة فرضا وسنة تقول : حججت البيت أحجه حجا اذا قصدته وأصله من ذلك ، وتقول حججت فلانا اذا أتيته مرة بعد مرة فقيل حج البيت لان الناس يأتونه كل سنة » (٤) •

ولكن القاموس لا يجاوزه يذكر المعنى الشرعى دون أن يوضح العلاقة بينه وبين المعنى اللغوى فيقول : « الحج : القصد والكف والقدوم •• وكثرة الاختلاف والتردد وقصد مكة للنسك » (٥) •

ويقول فى (أمن) « وأمن به ايمانا صدقه . والايمان الثقة واظهار الخضوع وقبول الشريعة » (٦) •

وقد تذكر بعض المعاجم للفظ عدة معان شرعية غير المعنى الذى اصطلح عليه علماء أصول الفقه منبهة الى أنها قد استعملت فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف •

من ذلك قول ابن منظور فى (زكا) مثلا : « الزكاة : زكاة المال معروفة وهو تطهير والفعل منه زكى « يزكى » تزكية أدى عن ماله زكاته »(٧) ، ثم يقول حكاية عن غيره من علماء اللغة : « وأصل الزكاة فى اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح وكله قد استعمل فى القرآن والحديث » (٨) •

ويكتفى أصحاب بعض المعاجم أحيانا بالاشارة الى العلاقة القوية التى تربط بين المعنى اللغوى القديم وبين المعنى الاسلامى الجديد ، وهؤلاء عادة من أصحاب الاشتقاق الذى يحاولون دائما ارجاع الكلمات الى أصل اشتقت منه ، وعلى رأس هؤلاء صاحب الجمهرة ابن دريد وهو أيضا صاحب كتاب الاشتقاق ، فهو يذكر فى معجمه مثلا فى مادة

---

(١) وانظر ايضا التهذيب للازهرى جـ ١٢ ص ٢٦٠

(٢) اللسان جـ ١٥ ص ٢٤٤

(٣) القاموس جـ ٤ ص ١٤٣

(٤) اللسان جـ ٢ ص ٤٨ ومابعدها

(٥) القاموس جـ ١ ص ١٨٨

(٦) المرجع السابق جـ ٤ ص ١٩٩

(٧) اللسان جـ ١٩ ص ٧٧

(٨) المرجع السابق ص ٧٨

(ص ل و) أن « الصلاة : العظم الذى فيه مغرز عجب الذنب وهما صلوان ، والصلاة من الواو وتجمع صلوات ، قال بعض أهل اللغة اشتقاقها من رفع الصلا فى السجود ، والصلا : العظم الذى عليه الاليتان وهو آخر ما يبلى من الانسان » (١) .

ويقول فى (ص و م) : « الصوم : الامساك عن المأكل والمشرب ، وكل شىء سكتت حركته فقد صام يصوم صوما ، قال الشاعر النابغة الذبيانى :

خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

••وصام النهار اذا دومت الشمس فى كبد السماء » (٢) .

ويقول فى (ف س ق) « والفسق أصله من قولهم انفسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها ومنه اشتقاق اسم الفاسق لا نفساقه من الخير أى لا نسلاخه منه » (٣) .

وبعد هذه الامثلة التى عرضناها نستطيع القول بأنه ليس بصحيح اذا ما ذهب اليه بعض المستشرقين من أن المعاجم العربية قد خلت من ذكر التطور فى معانى الالفاظ المتفرعة من المواد اللغوية .

كذلك ليس بصحيح ما ذهب اليه بعضهم من أن المعاجم العربية أيضا قد خلت من التنبيه على ما بين الالفاظ بعضها مع بعض وما بينها وأصل المادة من علاقات وروابط ، وأنها لم تذكر معنى عاما للمادة اللغوية ، فالحق أن بعض المعاجم العربية اذا كانت قد أهملت هذا الربط بين الالفاظ فان بعضها الآخر قد عنى بذلك عناية كبيرة فنبه فى معظم المواد اللغوية على وجود معنى عام يجمع بين معانى ألفاظ المادة بحيث يصير كالمركز لهذه الالفاظ وتصبح العلاقة واضحة جلية بين أصل المادة وما تفرع منها من ألفاظ وهذا ما عرف عند علماء اللغة المحدثين بدوران المادة حول معنى واحد ، وهو يعد من خصائص العربية اذ يمثل نظرية تعتبر بحق كما قال أحد الباحثين المحدثين : « ميزة للغة العرب لا توجد فى غيرها من اللغات لان الالفاظ فى اللغات الاخرى يعتريها من التبدل والتغيير ما يزيل هذا الاصل ويستر أصوله ومعالمه » (٤) .

ويعتبر العالم اللغوى أحمد بن فارس الرازى (ت ٣٩٥ هـ) مؤلف معجم مقاييس اللغة أول من فرق — فى معجمه هذا — بين الحروف الاصلية التى تعد أساسا لكل ما تفرع منها من ألفاظ سواء اجتمعت هذه الالفاظ كلها حول معنى واحد أم لم تجتمع وبين ما سماه بالاصل وهو ذلك البناء الذى يتفرع منه ألفاظ تجتمع كلها حول معنى واحد ، ومن هنا نجد الحروف الاصلية قد تكون أحيانا أصلا واحدا كما فى (ب ح ث) مثلا فانها عنده « أصل واحد يدل على اثارة الشىء ، قال الخليل : البحث طلبك الشىء فى التراب ، والبحث أن

(١) الجمهرة جـ ٣ ص ٨٨
(٢) المرجع السابق ص ٨٩
(٣) المرجع السابق (فسق) .

(٤) فقه اللغة د. ابراهيم نجا انظر ص ٣٢

تسأل عن شيء وتستخبر ، تقول : استبحث عن هذا الامر ، وأنا استبحث عنه ، وبحثت عن فلان بحثا . وأنا أبحث عنه ، والعرب تقول : « كالباحث عن مدية » يضرب لمن يكون حتفه بيده ، وأصله في الثور تدفن له المدية في التراب فيستثيرها وهو لا يعلم فتذبحه قال :

ولاتك كالثور الذى دفنت له

حديدة حتف ثم ظل يثيرها (١)

قال : والبحث لا يكون الا باليد ، وهو بالرجل الفحص ، قال الشيبانى : « البحوث من الابل التى اذا سارت بحثت التراب بيدها أخرا أخرا ترمى به وراءها .. ويقال بحث عن الخبر ، أى طلب علمه .. قال أبو زيد : الباحثاء ، على وزن القاصعاء : تراب يجمعه اليربوع ، ويجمع باحثاوات » (٢) .

فلما كانت كل هذه الالفاظ أو هذه الصيغ المتفرعة من (ب ح ث) ترجع الى معنى علم واحد هو اثارة الشيء جعلها أصلا واحدا .

وقد تدل الحروف في بعض الاحيان على معنيين عامين بحيث يرجع الى كل معنى منهما بعض ألفاظ المادة ، وحينئذ نقول ان المادة لها أصلان : وذلك كما في (ب د ع) مثلا ، ففى المقاييس أيضا : (بدع) الباء والدال والعين أصلان : أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال ، والآخر الانقطاع والكلال .

فالاول قولهم أبدعت الشيء قولا أو فعلا اذا ابتدأته عن سابق مثال ، والله بديع السموات والارض ، والعرب تقول : ابتداع فلان الركى اذا استنبطه ، وفلان بدع في هذا الامر ، قال الله تعالى : **« قل ما كنت بدعا من الرسل »** (٣) أى ما كنت أول .

والاصل الآخر قولهم : أبدعت الراحلة . اذا كلت وعطبت ، وأبدع بالرجل ، اذا كلت ركابه أو عطبت وبقى منقطعا به ، وفي الحديث: « أن رجلا أتاه فقال يا رسول الله انى أبدع بى فاحملنى » ، ويقال الابداع لا يكون الا بظلع (٤) ، ومن بعض ذلك اشتقت البدعة » (٥) .

وهكذا نجد الألفاظ المتفرعة من (ب د ع) بعضها يدل على معنى عام هو الابتداء وبعضها الآخر يدل على معنى عام آخر هو الانقطاع والاكلال ، ولهذا اعتبرت أصلين مع أن الحروف الاصلية في جميع الالفاظ المتفرعة منهما متحدة .

وقد تدل الحروف على ثلاثة معان عامة أى ثلاثة أصول . وقد تدل على أكثر من ذلك : أربعة أو خمسة وان كان ذلك نادرا ، والامثلة على كل ذلك كثيرة جدا في معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، بل ان هذا المعجم في شرحه للمواد يقوم على هذه الفكرة التى يطلق عليها

---

(١) البيت لابى ذؤيب الهذلى ، انظر ديوانه ص ١٥٨ ، وحماسة البحترى ص ٢٨٦ ، الحيوان جـ ٥ ص ٤٧٠

(٢) انظر مقاييس اللغة (بحث) جـ ١ ص ٢٠٤

(٣) سورة الاحقاف الآية رقم ٨

(٤) الظلع : الميل في الشيء

(٥) يبدو ان هذا المثال الاخير راجع الى الاصل الاول بدليل قوله في المجمل : « لان قائلها ابتدعها من غير مقال امام »

بعض الباحثين : « دوران المادة حول معنى واحد » (١) حيث يرى هؤلاء أن المادة بمعنى الحروف الاصلية ينبغى أن يدل جميع ألفاظها على معنى عام واحد وأن تقسيم ابن فارس المادة الى أصلين أو أصول انما هو عند بعضهم « نوع من الترف العقلى أو التزيد العلمى ؛ ربما أراد به ذلك العلامة الجليل أن يظهر قوه ساعده فى تلمس الفروق الدقيقة بين المفردات التى يرجع البحث العلى المنهجي أنها تفرعت من أصل واحد لا من أصول متفرقة » (٢) ، ويرمون هذا العالم — مع دقة مذهبه — بالتكلف حين يذكر مثلا فى (ع ر ف) أن « العين والراء والفاء أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على تتابع الشىء متصلا بعضه ببعض ، والآخر على السكون والطمأنينة » مستشهدين على ذلك بما ذكر فى المقاييس من الكلمات المتفرعة من كل أصل فى هذه المادة ، ذاهبين الى أنه يمكن رجوع أحد الاصلين وما تفرع منه الى الاصل الآخر « فمعنى السكون والطمأنينة فى العرفان والمعرفة والعرف المشموم ، والعرف بين الله والناس ليس الا نتيجة لا نكشاف الشىء وظهوره » (٣) .

ويقرر بعض الباحثين أخيرا أن « امكان الرجعة بالفروع المختلفة — مهما تتعدد صيغها — الى أصل واحد يوحى بالرابط المشترك بينها أمر فى العربية ذو بال يؤكد احتفاظ هذه اللغة بأنسابها مثل ما تحتفظ العرب بأنسابهم ، وأن تجمع الالفاظ العربية فى أصل واحد ينتظم فروعها لما يسهل على الباحث التمييز بين الاصل والدخيل » (٤) .

وهذا الرأى يؤيد قول بعض المحدثين أيضا : « ان الالفاظ العربية كالعرب أنفسهم تتجمع فى قبائل وأسر معروفة الانساب ، وتحمل هذه الالفاظ دوما دليل معناها وأصلها وميسم نسبها ، وذلك فى الحروف الثلاثة الاصلية التى تدور مع ما يتولد عنها ويشتق منها من ألفاظ » (٥) .

ونحن لا ننكر أن كثيرا من مواد اللغة يمكن أن ترجع ألفاظها الى معنى عام واحد كما سبق فى (ب ح ث) الدال على اثارة الشىء ، وكما فى نحو (أ ب ت) الدال على الحر وشدته ، و (أ ف ك) الدال على قلب الشىء وصرفه عن جهته . و (أ ك م) الدال على تجمع الشىء وارتفاعه قليلا ، و (أ ل ه) الدال على التعبد ، و (أ ى د) الدال على القوة والحفظ ، وغير ذلك كثير جدا لا يمكن حصره هنا ، ولكن القول باطراد ذلك فى جميع مواد اللغة انما هو ضرب من الخيال ، فليس من واقع اللغة فى شىء أن نحكم على كل الالفاظ المتفرعة من حروف

---

(١) انظر تفصيل هذه المسالة فى كتابنا : ابن فارس اللغوى : منهجه وأثره فى الدراسات اللغوية (مخطوط بكلية اللغة العربية)

(٢) انظر دراسات فى فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح ص ١٩١

(٣) المرجع السابق ص ١٩٢

(٤) المرجع السابق ص ١٩٣

(٥) انظر دراسات فى فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح ص ١٩٣ ، وانظر فقه اللغة للمبارك ص ٥٤ ، وابن فارس اللغوى د. أمين فاخر ص ٢٢٢

معينة بالرجوع الى معنى عام واحد ، لاننا حين نرجع الى المعاجم العربية نجد أن مثل هذه الالفاظ قد تختلف أحيانا في معانيها العامة اختلافا شديدا لا يمكن معه بأى حال امكان وجود نوع من التقارب بينهما ، فمن ذا الذى يقول مثلا في المثال السابق (ب د ع) انه يمكن ارجاع معنييه العامين : ابتداء الشىء والانقطاع والكلال الى معنى عام واحد ، أو يقول في (أ هـ ب) الذى يتفرع منه الاهاب : الجلد قبل أن يدبغ ، والتأهب : منه التأهب لسير ، وأخذ فلان أهبته انه يدل على معنى عام واحد ؟ نعتقد أنه لا يمكن القول بذلك في كثير من المواد الا بتكلف وتعسف .

ولقد يصل هذا الخلاف بين المعانى العامة في المادة الواحدة أحيانا الى درجة التضاد أو التناقض أن التقابل ، فعلى سبيل المثال نجد الحروف الاصلية (ع د ل) تدل على معنيين عامين متقابلين ، أحدهما الاستواء ، والآخر الاعوجاج .

فمن الاول : « العدل : خلاف الجور ، عدل عليه في القضية فهو عادل » .

وقال الفراء : العدل بالفتح : ما عادل الشىء من غير جنسه ، والعدل بالكسر المثل .. والعديل : الذى يعادلك في الوزن والقدر .. وتعديل الشىء : تقويمه » (١) .. الخ ، وأكثر كلمات هذا الجزء تدل على هذا المعنى .

ومن الثانى : « عدل عن الطريق : حار ، وانعدل عنه بمثله » (٢) ، ويقال : « عدلت الدابة الى طريقها : عطفتها » (٣) .

وهكذا نجد أنه لا ينبغى حين نريد استخراج العلاقة بين معانى الالفاظ في المادة الواحدة أن نتكلف أو نتعسف ، بل ينبغى أن نراعى الحيطة والتلطف في استنباط هذه العلاقة كما فعل علماؤنا العرب القدامى في بعض معاجمهم اللغوية .

---

(١) الصالح للجوهرى جـ ٢ ص ٨٨
(٢) الصحاح للجوهرى جـ ٢ ص ٨٨
(٣) اساس البلاغة ص ٤١١

د . أمين محمد فاخر

- ماذا بعد رمضان ؟!
- حلاوة الإيمان
- وسطية الإسلام (٢)
- خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي

في التشريع الإسلامي

ماذا بعد رمضان

فى نهاية رمضان من كل عام يجمل بالمسلم أن يراجع ما حصده فى هـذا الشهر الكريم من جميل الخلال وعظيم الأعمال وجليل المواقف ونبيل المشاعر : يحسن به أن يسال نفسه فى شرف وأمانة :

هل استطاع ان يبرهن فى هذا الشهر على ولائه لربه ، وتعظيمه لشعائره ومحارمه ؟ هل وفق الى علاج ما بدا له من عيوب وادواء ؟ بل اننى أرجو أن يسأل نفسه فى أمانة :

كم خاطرا جبر ؟ وكم دمعة مسح ؟ وكم بسمة أشاع ؟ وكم بهجة وأملا نشر فى قلوب ونفوس أهله ومواطنيه ؟

ان الاجابة الصريحة الواعية على مثل هذه الأسئلة تحدد له على الفور قيمة طاعته وبلائه فى سبيل الله ، كما توضح فى الوقت ذاته قدره عند نفسه وعند ربه وعند أمته •

وقد نكون من الصراحة والاخلاص فنجيب بما قد يحز فى نفوسنا ، ويثير فينا الأسى والندم ، اذ قد ندرك تقصيرنا وعدم افادتنا الكاملة من رمضان ، وقد ندرك نعمة الله علينا ، وتوفيقه ايانا فى حسن استثمار هذا الشهر الكريم مما يثلج صدورنا ويبهج أنفسنا ، ويحرك ألسنتنا بالشكر والثناء والتقديس للمنعم الموافق والراعى المتفضل جل جلاله •

وقد تحرك فينا الاجابة نوعا من الامتزاج الغامض فى المشاعر والأحاسيس ، فقد تتقاسمنا مشاعر الفرح مشوبة بأحاسيس شفافة من الندم الغافى الخفيف •

وربما يكون ذلك كذلك لأن المشاعر المتناقضة تتنازعنا ، فتأخذنا جانب الفرح تارة ، ويشدنا جانب الأسى تارة أخرى •

قد نرى ما فعلناه ماثلا أمامنا بحسنه وقبحه : فنفرح لمجالى الحسن ، ونأسى لشواهد القبح كمن « خلط عملا صالحا وآخر سيئا » ونعتبر مثل هذا الاحساس نفسه نوعا من العقوبة المعجلة للمخلطين الذين يترددون بين اللذه والألم . والبهجة والأسى مما ينال حقيقة من استقرارهم النفسى ، وطمأنينتهم القلبية ، ولكنها عقوبة هادفة نافعة النتائج شريفة الأهداف ، لأنها تحمل الانسان

للدكتور
محمد كمال جعفر

على لوم نفسه ومحاولة تحسين سلوكها ، وذلك ولا شك من أمارات التقدم والتطور • لكن الذى يجب تأكيده ، هو الحصاد الروحى والنفسى والعقلى والأخلاقى الذى خرج به المسلم من ممارسته واجبات وآداب هذا الشهر الكريم • ان هذا الحصاد هو الزاد الدائم الذى سيمد الانسان بالطاقة الروحية والنفسية والعقلية والأخلاقيه اللازمه له فى دنيا تعامله مع اخوانه وعشيرته وأبناء أمته بقية العام ، وهذا ما يوضح لنا أهمية الدور الذى يؤديه هذا الشهر الكريم فى حياة المسلم البصير •

اننا قد نجد كثيرا من المسلمين وقد تبدلت أنماط سلوكهم الى الأفضل والأحسن والأكمل فى رمضان ، فاذا ولى وانتهى عادوا سيرتهم الأولى ، وشاب حياتهم ما كان يشوبها من شوائب • ومثل هؤلاء غافلون تماما عن الرسالة السامية التى يؤديها هذا الشهر الكريم بالنسبة لهؤلاء الناضجين المبصرين الذين كتب لهم التوفيق فجنوا ثمرة الاخلاص فى عبادة خالقهم وخدمة بنى جنسهم •

ان هؤلاء الناضجين يدركون أن التهذيب الخلقى والصحة النفسية التى تعتبر ثمرة طبيعية لممارسات هذا الشهر هى فى الواقع بعض الحصاد الذى يخرج به الصائم من رمضان •

لهذا لاتعتبر من لم يتغير سلوكه الى الأفضل بعد هذا الشهر — لا تعتبره مستفيدا من رمضان ، ان السمو والتطهر الذى نشعر به فى رمضان هو المطلب الأساسى والوجهة الحيوية لكل مسلم أصيل — وما رمضان الا أنسب الفرص للعون على تحقيق مثل هذا السمو والتطهير ليدرج عليه الانسان طيلة العام •

ان رمضان قد لقننا دروسا واضحة محددة تعتمد على التجربة الفعلية ، والممارسة التطبيقية التى علمتنا هذه الحقائق الدقيقة والحاسمة فى نفس الوقت •

ولعل أقرب هذه الحقائق الى الادراك حقيقة المساواة الربانية بين النفوس

ماذا بعد رمضان ؟!

والأجناس التي يجب أن تمارس عبادة واحدة متحدة البدء والانتهاء والسمات • وهذه المساواة ليست مساواة شكلية أو سطحية ، ولكنها مساواة حقيقية تؤيدها شواهد المشاعر والمواقف وصور الأداء الفعلي •

ومن هذه الحقائق التي يعلمها رمضان • أن الانسان قابل وقادر على التعالى على التراب وما أخرج ، فترة من الزمن ، امتثالا لأمر الخالق ، وانسجاما محدودا في الظاهر والباطن مع السمت الملائكي •

ومن هذه الحقائق الهامة : أن المعاناة التي تعرض لأهل رمضان والتي تجمع بينهم يجب أن تحمل القادر على رفع مثل هذه المعاناة عن اخوته بقية العام ، وليس في هذا الشهر فحسب ، لأن الصائم يحس بموارد الاحسان عليه في هذا الشهر بصورة ملموسة محسوسة حتى انه ليحلو عنده كل شيء ، ولابد أن يوجه ذلك نظره الى محبة الاحسان بمعنييه الكبيرين : الاحسان من منطلق السخاء والكرم ، والاحسان من منطلق الدقة والاتقان •

ومن هذه الحقائق أن الربط بين رمضان والقرآن انما هو تدريب عملي على معانقة القرآن والالتزام بأحكامه والتمتع بتأمله وتدبره ، لتأنس النفس الى مقتضيات تعاليمه والسير على منهاجه •

ومن البدهي أن مثل هذا الالتزام وهذه الموافقة لا يمكن أن تقتصر على فترة معينة أو زمن محدود وانما تسترسل النفس مع آدابه — بعد أن تكون قد تدبرت — طيلة العام وبخاصة اذا حالفها التوفيق في شهر رمضان •

ان المسلم البصير عليه أن يتأمل حصاده مدركا تماما أن هذه الحصاد يجب أن تسبقه مرحلة الحرث والزرع والكد والمعاناة ، فمن رأى نفسه بغير حصاد فهو المضيع بين العباد ، وهو الجدير حقيقة بأن يأسى ، وما لأساه من نفاد ، لأنه ضيع الفرصة ، وبلع الغصة ، وحرم نفسه من مائدة أوسع الله في جوانبها ، وأسبغ على مدعويه منها الآلاء •

ومن رأى حصاده وفيرا فليشكر لربه حسن توفيقه وكريم عونه ، وليستخدم هذا الثراء الأخلاقي والنفسي والروحي في اسعاد نفسه وأهله واخوته وأمته ليأتي العام القادم وقد ضاعف له الله الأجر ، وأجزل له المثوبة وأمده بالمزيد الذي وعد به في قوله : « لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » •

اننا قد انتهينا من شهر الصيانة النفسية والاصلاح الروحي ، فلننطلق بطاقاتنا وملكاتنا وقد شاع فيها ضوء رمضان ونور القرآن وأمرها القوى المتنان ، لننطلق بناء وايجابية وفعالية ، آملين في مزيد عونه ، ودوام نصره وتأييده •

دكتور محمد كمال جعفر

دراسات قرآنية

حلاوة الإيمان

للأستاذ
موسى محمد على

أخرج الامام البخارى فى صحيحه ، عن أنس رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله تعالى ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .

ان بذل الروح فى الله تعالى ، خير من الحياة بغير الله ، والرجوع الى الله سبحانه ، خير لمن عرف الله من البقاء مع غير الله ، وما يؤثره العبد على الله غير مبارك له ، فى الدنيا والآخرة .

والله سبحانه وتعالى اذا لبس على بصيرة قوم لم ينفعهم نفاذ أبصارهم ، واذا فتح أسرار قوم لايضرهم انسداد بصائرهم .

واذا أراد سبحانه بعبده خيرا مده بنور التحقيق ، وأيده بحسن التوفيق ، فيميز بحسن البصيرة بين الحق والباطل ، فلا يظله غمام الريب ، وينجلى عنه غطاء الغفلة ، فلا تأثير لضباب الغداة فى شعاع الشمس عند متوع النهار .

والايمان : اعتقاد صادق يقينى ، ومحله من النفس هو القوة العاقلة .

حلاوة الإيمان

والكفر : اعتقاد كاذب غير يقيني ، ومحله من النفس هو القوة المتخيلة .

وقد تصلح القوة المتخيلة للاعتقاد الصالح، ولن تصلح القوة العاقلة للاعتقاد الكاذب ، ومن الواجب على الانسان أن يعرض جميع ما يسنح لقوته المتخيلة من الأبواب الاعتقادية على قوته العاقلة ، ليأمن به آفات الكذب ، غير أنه ربما كره عرضه عليها تفاديا من أن يعاب بالنقص ، أو يؤنب بالكذب .

وظاهر هذا الحديث الذى نحن الآن بصدده يدل على أن الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة أو معنوية ؟ واختلف العلماء فى ذلك .

فحملها الفقهاء على المعنى ؛ وحملها أهل السنة على المحسوس ، وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأولوه ، والصواب معهم فى ذلك ، لان ما ذهبوا اليه أبقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تأويل ، وهو أحسن من التأويل مالم يعارض لظاهر اللفظ معارض .

ويشهد لما ذهبوا اليه ، أحوال الصحابة رضوان الله عليهم ، والسلف الصالح . وأهل المعاملات ، فقد ورد أنهم وجدوا الحلاوة محسوسة ، ومن جملة ماورد فى ذلك : حديث بلال رضى الله عنه حين صنع به ماصنع فى الرمضاء اكراها على الكفر وهو يقول : أحد أحد ، فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان .

وكذلك أيضا عند موته ، أهله يقولون : واكرباه وهو يقول : واطرباه .

غدا ألقى الأحبه

محمدا وحزبه

فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ، وهى حلاوة الايمان .

ومنها حديث الصحابى الذى سرق فرسه بليل وهو فى الصلاة فرأى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته . فقيل له فى ذلك ، فقال :

ما كنت فيه أكبر من ذلك ، وما ذاك الا للحلاوة التى وجدها محسوسة فى وقته ذلك .

ومنها حديث الصحابيين اللذين جعلهما النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه ليلة يحرسان جيش المسلمين ، فنام احدهما وقام الآخر يصلى فاذا الجاسوس من قبل العدو قد أقبل فرآهما فكبد الجاسوس القوس ورمى الصحابى فأصابه فبقى على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فأصابه فلم يقطع لذلك صلاته ، ثم رماه ثالثة فأصابه فعند ذلك أيقظ صاحبه وقال :

« لولا أنى خفت على المسلمين ما قطعت صلاتى » .

وما ذاك الا لشدة ماوجد فيها من الحلاوة حتى أذهبت عنه ما يجده من ألم السهام .

ومثل هذا ماورد عن كثير من أهل المعاملات يطول الكلام عليه .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله عز وجل ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار».

هذه الثلاثة ألفاظ ترجع الى اللفظ الأول منها وهو : « أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » .

لأن من ضرورة المحبة لله تعالى ، ولرسوله

صلى الله عليه وسلم ، أن يدخل من ذكر بعد فى ضمنه : لكن فائدة اخباره عليه الصلاة والسلام أنه يريد به ، أن من ادعى حب الله تعالى ، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ، فليختبر نفسه فى حب المرء ، لماذا يحبه ، وفى الاكراه على الكفر كيف يجد نفسه ان ابتلى بذلك ، لأنه قد يسبق للنفوس ادعاء بحب الله تعالى . وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ، فجعل عليه الصلاة والسلام هاتين العلامتين تفرق بين الدعوى والحقيقة ، ومثل هذا قوله عز وجل :

« وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » .

لأن حقيقة الايمان أن يتوكل صاحبه فى كل أموره على ربه ، ويعتمد عليه وان كان بغير ذلك ، فانما هو دعوى ، وكذلك من ادعى حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم لم يصدق فى هاتين العلامتين المذكورتين ، فحبه دعوى لا حقيقة .

ولقد عبر صلوات الله وسلامه عليه عن تناهى الايمان بالحلاوة ، ولم يعبر بغيره ، لأن الله عز وجل ، شبه الايمان بالشجرة فى كتابه حيث قال :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا » .

والكلمة الطيبة هى كلمة الاخلاص ، وهى أس الدين ، وبها قوامه .

فكلمة الاخلاص فى الايمان : كأصل الشجرة لا بد منه أولا ، وأغصان الشجرة فى الايمان عبارة عما تضمنته كلمة الاخلاص من اتباع الأوامر واجتناب النواهى ، والزهر فى الشجرة ، هو فى الايمان عبارة عما يحدث للمؤمن فى باطنه من أفعال البر . لما روى عنه عليه الصلاة والسلام :

« من هم بحسنة خرجت على فيه رائحة عطرة فيشمها الملك فيكتب له حسنة » .

والزهر فى الشجرة له رائحة عطره ، وما ينبت فى الشجرة من الثمر هو فى الايمان عبارة عن أفعال الطاعات ، وحلاوة الايمان فى الشجرة ، هى فى الايمان : عبارة عن كماله وعلامة كماله ما ذكر عليه الصلاة والسلام فى الحديث .

لان غاية فائدة الثمرة تناهى حلاوة ثمرها وكماله ، ولهذا قال تعالى :

« تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا » .

وأكلها على أحد الآراء دائم ، فثمرة المؤمن من لاتزال أبدا . ولهذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام : نية المؤمن أبلغ من عمله .

ومعناه : أن المؤمن فى عمله ونيته عند فراغه كعمل ثان ، فالزهر هو النية ، والثمر هو العمل الصالح ، وبدو الصلاح هو اتباع السنة فى العمل لقوله عليه الصلاة والسلام :

حلاوة الإيمان

« ان الله لا يقبل عمل امرىء حتى يتقنه ، قالوا يا رسول الله وما اتقانه قال : يخلصه من الرياء والبدعة » .

فترك السنة فى العمل عاهة تمنع من بدو صلاحه ، فاذا لم يبد صلاحه فمن باب أولى أن لا يصل الى تناهى الحلاوة ، ويرد على هذا المعنى بحث دقيق ، لان الثمرة اذا لم يبد صلاحهالا يجوز بيعها بمقتضى منع الشارع عليه الصلاة والسلام ذلك والبيع فى هذه الثمرة هو القبول ، لقوله عز وجل :

« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ » الآية ولهذا المعنى أشار عليه الصلاة والسلام بقوله : **« ان الله لا يقبل عمل امرىء حتى يتقنه »** .

فاذا لحقت العاهة العمل فلا اتقان فلا يكون قبول ، وهذه هى دائرة بعض العوام لجهلهم بالسنة الشريفة المطهرة ، وتناهى الطيب وانما يكون للخواص وكيفية تناهى الطيب فى العمل هو أن يعمل العمل حبا فى الله تعالى ، وفى رسوله صلى الله عليه وسلم ، على ما جاء فى الحديث لا يريد غير ذلك ، فيكون عمله مشكورا لقوله عز وجل :

« إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا » .

وقوله سبحانه : **« وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا »**

فلاجل هذه النسبة وهذا الاتحاد الذى بين الشجرة والايمان ، عبر عليه الصلاة والسلام فى الحديث بالحلاوة ، ولم يعبر بغيرها ، ليقع المثال فى كل الحالات .

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام :

« الناس كشجر ذات جنا ويوشك أن يعود كشجر ذات شوك » .

فشبههم عليه الصلاة والسلام أيضا بالشجرة وهم كذلك لاشك فيه ، لان من تقدم من السلف كان ايمانهم كاملا يتتبعهم للأمر والنهى ، وحبهم لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والنصيحة التى كانت بينهم حتى لقد كانوا اذا التقى بعضهم مع بعض يقولون : تعال نؤمن ساعة ، فكانت شجرة ايمانهم متناهية فى الطيب والحلاوة .

وأما اليوم فقد ذهب ذلك وظهر ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، لرجوعهم كشجر ذات شوك ؛ لعدم اتباعهم للأمر والنهى ، وترك النصيحة بينهم ، والغش الذى فى صدورهم ، فرجع موضع النصيحة غشا ، وموضع الامتثال مخالفة ، فلم يبق معهم من صفة الايمان فى غالب أحوالهم الا النطق بالكلمة ، وما عداها من الافعال بضد ما يقتضيه الايمان ، فبقى لهم الاصل وذهبت ثمرته التى هى الاعمال .

وكما أن من عدم العقل لم يزده السلطان عزا ، فكذلك من عدم الايمان لم تزده الرواية حكمة .

والعوام يقصدون الحسنات فيخطئونها ، لجهلهم بشروطها ، والفجار يقصدون السيئات فيرتكبونها للسرارة التى قد ارتضعوها ، فقد جمعها تنكب الحسنات ، وأحدها رداءة القصد لتعاطى الشر .

وهذا هو حال عامتهم اليوم ، اللهم الا القليل النادر لقوله عليه الصلاة والسلام :

« لاتزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق الى قيام الساعة لا يضرهم من خالفهم » .

فهذه الطائفة هى التى أخبر بها عليه الصلاة والسلام ، وهى التى لم تزل ثمرة تطعم وتتناهى فى الحلاوة ، كما كان السلف رضى الله عنهم ، ولولاهم ما أمطرت السماء قطرة ، ولا أنبتت خضرة ، ولوقع الهلاك بمن تقدم ذكرهم ، ولكنه عز وجل يمهلهم لمجاورتهم لاهل الايمان المتحققين .

« وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ » .

واذ تقرر هذا وقد تبين أن اعتقادات المتدينين راجعة كلها الى الاركان التى هى : الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وأن الواجب علينا أن نقابل كل واحد مما أسسته الملة الحنيفية منها بنظيره من الاديان الاخرى ، ليتضح به شرف الاسلام عليها ، فمن الواجب أن نصرف السعى اليه .

بيد أن دين الاسلام هو دين كريم الصحبة ، يعز من لجأ اليه ، ويستر عيوب من اتصل به ، مع ما يدخر له فى عاقبته من الغبطة الابدية ، والسعادة الأخروية .

وأحق الاديان بطول البقاء ما وجدت أحواله متوسطة بين الشدة واللين ، ليجد كل من ذوى الطبائع المختلفة ما يصلح به حاله فى معاده ومعاشه ، ويستجمع له منه خير دنياه وآخرته .

وكل دين لم يوجد على هذه الصفة ، بل أسس على مثال يعود بهلاك الحرث والنسل فمن المحال أن يسمى هينا لينا فاضلا .

وفضائل الناس لن تتم الا بامتزاج أحوال الدين والدنيا، واشتباك أسباب الآخرة بالاولى،

ودين الاسلام هو المنتظم لها كلها ، والوافى بعامة أبوابها ، وذلك ظاهر لمن تأمل مواقعها من كتاب الله تعالى ، فانه ما من مكرمة الاوقد جرد ذكرها ، وتحرز فى غير موضع من الآيات موضعها .

ولمقابلة هذا الدين الحنيف بغيره من الاديان الاخرى ، وحتى تكون المقابلة هادفة وذات أثر عميق اخترنا أن تكون المقابلة فيما يلى :

*** اثبات الصانع سبحانه وتعالى :**

فاننا لم نجد أهل دين من الاديان عنوا بتقديم المقدمات العقلية ، لاستخراج النتائج النظرية ، فى استخلاص توحيد الله تعالى من شبهات المعاندين ومغالطات المغالطين ، ما عنى به متكلمو دين الاسلام ، فانهم بلغوا فيه مبلغا شهد المعنيون بالفلسفة ، والمحققون من ذوى الحكمة على تقدم شأوهم فى تحصيل الحق منه وسلامتهم عن :

التشبيه الذى اعتقده اليهـود ، والتثليث الذى اعتقده النصارى ، والضد الذى اعتقده المجوس ، والشرك الذى اعتقده عبدة الأوثان، حتى جردوا القول بالتصريح فقالوا :

« تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُـمْ : أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ » .

ثم أجروا كلمة الاخلاص فى دعائهم ، حتى انك تجد العملة ، والصناع ، والمحـــاربة والحراثين يتنادون بها فى البر والبحر ، والسهل والجهل ، ليلا ونهارا ، مساء وصباحا، مصدقين به لما وصفوا فى الكتب المنزلــة بأنهم يملأون الأرض تهليلا وتسبيحا ، وتكبيرا وتحميدا . وأهل سائر الأديان لا يذكرونها الا النادر ، وذلك قوله تعالى :

« وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَـا وَأَهْلَهَا » .

*** واما اثبات الرسل :**

فان أحدا من أهل الأديان لم يسلم فى طرف الغلو والتقصير فى شأنهم الا الاسلاميون .

أما الغلو مما ادعته النصـــارى فى عيسى ، والتقصير الذى جحد به اليهود نبوة ابراهيم ، والاقتصاد من وصفه، على أنه كان رجلا صالحا ونسبهم لوطا الى الفجور ببنتيه فى حـــال السكر .

وأهل الاسلام سلموا عن ذلك ، وقالوا فى الانبياء كلهم :

انهم عباد الله مصطفون، وخيار معصومون، ثم رؤوا تجمع كلمة الشهادة وصــــف نبيهم بالعبودية والرسالة ، حرزا عن أبواب الزلل ، حتى ان الخلفاء الذين هم أئمـــــة الدين لم يفتتحوا كتبهم الا بقولهم :

« من عبد الله فلان أمير المؤمنين .. الى فلان .. » .

بل جردوا القول فيهم بأن قالوا :

« آمَنَّا بِاللَّهِ ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ، وَمَا أُنْـــزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْـقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » .

*** واما اثبات الملائكة :**

فان أحدا من أهل الاديان لم يســلم من العقائد السقيمة فيهم ، ما خلا الاسلاميين :

وذلك كان دعاء عبدة الاوثان بأنهم بنــات الله ، وادعاء الثنوية والمجوس ما يذكرونه لهم من الرفعة الالهية ، وادعـــاء اليهود أن الواحد منهم قد يجوز أن يرتكب الكفر ، وأن يعاقبه الله تعالى بالمسخ .

*** فاما اهل الاسلام :**

فقد جردوا القول فيهم ، بأنهم عباد اللــه

المكرمون : لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمـــره يعطون •

*** وأما اثبات الكتب :**

فان دينا من الاديان لن يخلو عنـــه ، فان الرسالة والرسول من المضاف ، ومن شأن كل نبى أن يعرف عن الله ويعبر عنه بما يوحيه اليه بحكم الرسالة •

فالكتب السماوية ، وان كانت كلها جليلـة القدر كما قال الله تعالى « **فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ، فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ** » فالذى استجمعه القرآن من الفضيلة فى صـــورة الخطاب ، ومن الفضيلة فى نظم الالفاظ ، ومن الفضيلة فى تأليف المعانى هـــو شىء باين به الكتب السماوية أجمع •

فأما صورة الخطاب ، فلأنه على هيئة تدل على أنه خطاب خارج عن ملك مقتدر لعبيـده فيما يجب أن يلقيه اليهم من عزائم أمره ونهيه، ووعظه وزجره ، ووعده ووعيده •

وليست الحال فى سائر الكتب الاخـــرى كذلك ، بل الخطاب منه خـــارج على هيئة مضاهية لكلام رجل حكيم ، أنبأ عن حكمتــه بألفاظه وعبارته ، ونسب بعض تلك المخاطبات الى ربه سبحانه وتعالى •

وأما نظم الالفاظ : فلأنه خرج على مثـــال أظهره لاهل المعرفة بوجوه التأليف ، انه غير مشابه لما ابتذله البشر فيما بينهم ، وأن من رام أن يزيد فيه عدة آيات أعجزه عجيب وصفه وافتضح عند أهل البصيرة • وليس كذلك حال الكتب الاخرى •

وخليق أن يرجع اليه قول الله تعالى :

« **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيـــدٍ** »

أما تأليف المعانى فانه خرج مخرجا عجيبا ، يجتمع فى الجزء منه الشبيه بما هو موجود فى الكـــل •

أعنى أنه لا يقرأ الانسان منه عدة آيـات الا وقد ورد منه على الابـــواب الاعتقادية والعبادية ، والمعاملية ، بل عـــلى الابواب الادبية العقلية ، وأخبار الامم الماضية عـلى بلاغه ميسرة للذكر ، ووجازة مسهلة للحفظ ، ومعان لو بسطت لاســتغرقت الاخـــلاد والسجلات ، وليس هكذا حال سائر الكتب •

*** وأما اثبات المعاد :**

فالذى يعتقده الاسلاميون متى أضيف الى سائر ما يعتقده أهل الاديان ، وحكم العقـل فيه ، ظهر فضـــله •

حلاوة الإيمان

فان بعضا منهم يتعقدون القول بالتناسخ ، وبعضهم يعتقد أن انقلاب النفس الى حالة الضياء والنور هو الثواب ، وضده هو العقاب .

وبعضهم يعتقد أن تخلص الارواح من الاجساد هو الثواب ، وضده هو العقاب .

ثم الذى بنى عليه الايمان هو :

أن العالم منقض بالساعة التى هى « آتية لا ريب فيها » ، وأن الله تعالى يعيد الارواح الى أجساد الموتى ، على تركيب تتحدد به قوتا الحس والعقل ، فتعرف الانفس بقوة العقل أحوالها التى مضت عليها فى حال الدنيا ، وما اكتسبت منه حسنة وسيئة ، وتدرك بقوة الحس اللذات التى تتمتع بها ، والآلام التى تتعذب بها .

وأن الثواب لا محالة يقع فى جنس الملذ ، والعقاب فى جنس المؤلم ، وأن كيفيتها لن تدرك الا بأن يجعل لها عيارا مما شهدته الحواس من أجناس الملذات والمؤلمات ، وأنه لن يجوز أن تكون الاجسام هناك متركبة من الاخلاط الفاسدة ، والامشاج المتضادة فانها لو كانت كذلك لتسلط عليها البلى والانفكاك .

ثم تكون الحواس المضافة اليها مشاكلة لها فى الخلوص والبقاء ، فتنال لذاتها نيلا روحانيا مهذبا عن الثقل والدنس .

وذلك قوله تعالى : « وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ » .

وقوله : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

وبعد : فان الايمان اسم شرعى لثلاث خصال : القول ، والاعتقاد ، والعمل لان ، الوجل وزيادة التصديق من فعل القلب ، والتدبير والتفكر كذلك ، والصلاة والانفاق من أعمال الجوارح ، والتوكل يشتمل على فعل القلب والجوارح .

نسأل الله تعالى أن يرشدنا الى طريق الفضل والخير حتى نلاحظ الحقائق بنور الحق واليقين .

وبالله التوفيق .

موسى محمد على

وسطية الإسلام

٢ الدكتور فؤاد خدرجى العقلى

.. فالشيوعية الماركسية هى أخطر المذاهب المادية المعاصرة ، لأنها تقوم على نشرها والترويج لمبادئها ، بل وفرضها على الشعوب بالقوة الغاشمة حينا ، وبالخداع السياسى حينا ، قوة عاتية شرسة هى الاتحاد السوفيتى بما يملك من أحدث مبتكرات الدمار ، ثم لدعوى الشيوعية المزيفة أنها تملك كنوز الرفاهية للشعوب ، وتمسك بمفاتيح الرخاء للطبقات العاملة ، وتستند هذه الدعوى العريضة على عدد من القضايا ، تعتبرها « الماركسية » من المسلمات التى لا تقبل الجدل ، وهى فى حقيقتها ليست الا ضروبا من زخرف القول التى ليس لها من اليقين حظ ولا نصيب .

ففى كتابه « رأس المال » يورد «ماركس» قضايا أربع يحسبها من البدهيات هذه القضايا هى :

١ ــ أن القيمة الحقيقة للسلعة تساوى كمية العمل المبذول فيها ، والزمن المخصص لانتاجها ، وبذلك يكون العامل هو المصدر الوحيد للسلعة ومن ثم فهو مالكها الوحيد .

٢ ــ ان النظام « الرأسمالى » يحرم العامل جزءا من قيمة عمله و « فائض القيمة » هذا ، يستولى عليه صاحب رأس المال ، ويعتبره « ربح المال » وهذا الربح هو الذى يكون رأس المال ، وهو فى نظر ماركس « سرقة متصلة » .

٣ ــ هناك صراع حتمى بين رأس المال والعمل يتمثل فى التنافس بين كبار الماليين وضعافهم من الطبقة المتوسطة ، حيث يقوم الأقوياء بتكوين شركات قوية تجبر الطبقة المتوسطة على الانضمام الى معسكر الفقراء فتقف الطبقتان وجها لوجه . ويحس المعوزون بتضامنهم فى جميع البلدان .

٤ ــ وهنا يتنبأ « ماركس » بالصدام المحتوم ، بين الطبقة العاملة ذات الحق والقوة والعدد ، وبين الماليين الكبار . ولا يزال « ماركس » ينفخ فى أبواق الثورة الحاقدة المدمرة ، ويتنبأ بانتصار « البروليتاريا » أو الطبقة العاملة عن طريق ثورات دموية ، يشعلها « الحقد » ويلهبها « الحرمان » حتى تصفى طبقة رأس المال ، وتسود البروليتاريا . وهو يدعو للتمهيد لهذه الثورات بتكوين أحزاب شيوعية تكون مهمتها الاساسية تكوين « عقلية الطبقة » عند العمال ، وتأليفهم حزبا سياسيا كفيلا بانتزاع السلطة ، واقامة الدكتاتورية العمالية ، كخطوة مرحلية فى الصراع الذى لابد أن ينتهى بتحقيق المجتمع الخالى من الطبقات والكامل الاشتراكية (١) .

* ثم تأتى الخطورة العظمى للماركسية فى الحادها ، وتنكرها لكل دين ، واعتبارها الدين أفيونا للشعوب ، يمنعها من المطالبة بحقها (٢) .

* تلك هى مغالطات الماركسية ، وما أيسر الرد عليها ، ودحضها :

ــ فالاسلام كان ، ولا يزال ، أعظم موقظ للشعوب ، ومنبه لها ومعلمها مالها وما عليها ، وخير مرشد للناس الى حقوقهم وواجباتهم حين علمهم أن وراء هذا الكون الها ، أعلى ، قادرا ، عادلا ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ويجزى كل نفس بما كسبت من غير ظلم . بذلك تمتنع النفوس الجامحة عن طغيانها وعدوانها على حقوق غيرها ، وبذلك يقوم أعظم توازن بين قوى الانسان المختلفة ، فلا يشبع جسده على حساب قيمه وقواه الروحية ، ولا يحرم نفسه من السعادة الروحية والنفسية التى يتمتع بها حين يشعر أنه يسير فى الطريق المستقيم الذى رسمه له خالق الكون ، وأنه يحظى برضوان رب العالمين ، وأنه سيفوز فى الحساب بين يديه فى يوم الدين ، بما يوصله الى جنات النعيم ، وسعادة الأبد وهنا تبدو « الوسطية »

(١) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : يوسف كرم: ص ٤٠٢ ــ ٤٠٣ . (٢) نفس المصدر : ص ٤٠٣ .

الأصيلة فى الاسلام التى تحقق للانسان متعة الروح والجسد ، وسعادة الدنيا والآخرة ، فيعيش فى سعادة الدنيا وينعم بالأمل الأعظم فى السعادة الباقية فى الآخرة .

* ان الماركسية ترمى الدين بدائها ، فانها هى التى تخدر الشعوب بالافكار المزيفة ، والدعاوى العريضة ، والأمل الكاذب فى الفردوس المنشود للمجتمعات الشيوعية ، والواقع والحقيقة يكشفان كذب هذه الدعاوى حين نلاحظ المجتمعات التى ابتليت بتسلط الماركسية عليها وما تعانيه من ارهاب ، وما تكابده من حرمان ، وما يجتاح أفرادها من يأس مدمر ، وحقد ومرارة ، ضد السلطة الجائمة على صدورهم بالحديد والنار .

أما جدل الماركسية القائم على تفسير حركات التاريخ كلها بصراع الطبقات فباطل من أساسه :

١ ــ فان قيمة السلعة لا تحددها فقط كمية العمل وزمانه ، بل يدخل فى حساب القيمة الحاجة الى السلعة ، وكذلك رأس المال الذى ينفق فيها .

٢ ــ ذلك لأن الاسلام لا يعترف برأس المال الا اذا كان مصدره من حلال ، أى مكتسبا بوجه مشروع ، وهذا الوجه لن يخرج عن كونه عملا فى الأصل من الاعمال المشروعة . فما رأس المال الا عمل مدخر فلابد اذن من ادخاله فى قيمة السلعة .

٣ ــ والاسلام يحترم الملكيات مادامت مصادرها مشروعة . وهو فى نفس الوقت يعتبر عمل العامل ملكا له ، يبيعه ، بالأجر المناسب فى غير اهدار لشىء من قيمته ، ولا مغالاة ولا ظلم لمن سيقوم له بهذا العمل ويحذر الاسلام أشد التحذير من الاعتداء على حق العامل فى أجره ، فقد روى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى : : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة .. وذكر منهم « ورجل استأجر أجيرا ، فاستوفى منه ، ولم يعطه أجره » رواه البخارى (١) .

٤ ــ وبدلا من الصراع الدموى الحاقد ، وافناء طبقة من المجتمع لطبقة أخرى ، فان الاسلام يوجب تكافل طبقات المجتمع ، وتعاطفهم وتراحمهم ، وتعاونهم . نقرأ فى ذلك قول الحق تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » (٢) . وقوله عز وجل « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » (٣) وقوله سبحانه : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ » (٤)

وقوله صلى اله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقوله : « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » (٥) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

---

(١) رياض الصالحين : للنووى : ص ٥٢٥ .

(٢) الحجرات : ١٠ . (٣) التوبة : ٧١ .

(٤) المائدة : ٢ .

(٥) صفوة صحيح البخارى : جـ٤ : ص ١٥١ ــ ١٥٢ .

رواه البخارى ومسلم (١) . والاسلام بفرضه الزكاة ، وتوزيعه للارث ، وايجابه كفالة القادرين لغير القادرين ، انما يسعى الى توزيع الثروات توزيعا عادلا ، ومحاربة تكتل الأموال لدى طائفة دون طائفة .

نقرأ فى ذلك قول الله تعالى : « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ، وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » (٢) وقوله تعالى عن المال : « كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم » (٣) .

* فالاسلام يحقق التوازن بين طبقات المجتمع ، بما أقامه من عدالة توزيع للثروة ، وبما شرعه من رعاية حقوق الآخرين ، وبما أشاعه من تكافلوتراحم وتعاون بين الطبقات ،حتى تشيع المحبة والاخوة المثمرة البناءة بدلا من الصراعات الحاقدة الهدامة .

* كما أن الاسلام حقق التوازن بين الأفراد والدولة حين قرر حقوق الافراد ، وحقوق الدولة ، ونظم العلاقة بين الفرد والدولة على أساس احترام الدولة لحرية الفرد الشخصية والاجتماعيةوالدينية والسياسية ، واحترام الفرد لامن الدولة وسلامتها ، وأمن المجتمع وسلامته . والكل ملتزم بمنهج الله ، بضبط سلوكه وتصرفاته طبقا لشريعة الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، أَطِيعُوا اللَّهَ ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » (٤) .

* كما أن مذاهب المنفعة التي تسود المجتمعات الغربية المعاصرة ، ما هى الا أوجه وصور متشابهة من مذاهب اللذة عندأبيقور وهوبز واضرابهما . حلت فيها « المنفعة » محل « اللذة » وصارت الاخلاق والسياسة والسلوك تابعة للمنفعة . مع أن ربط الاخلاق بالمنفعة يولد الصراعات بين الافراد والجماعات ، حين تتصادم المنافع ، وستنهدم المثل والقيم والواجبات اذا لم تظهر المنافع العاجلة ، وسينسى الناس الجوانب الروحية والاخلاقية الانسانية فى سلوكهم ومعاملاتهم ، بينما يجعل الاسلام المحرك لسلوك الانسان هو الايمان بكل ما يمثله من قيم ، ويحتوى عليه من مثل عالية ، وبكل ما يحققه من منافع عاجلة وآجلة .

* أما الوجودية التى تلح على الغرائز ، وتحرض الانسان على أن يحيا لنفسه ، ولنفسه فقط ، لمتعه ، ولشهواته ، ولغرائزه ، دون رعاية لاى قيمة أو قيود دينية أو اجتماعية ، ودون رعاية للاخرين ، وليذهب الاخرون الى الجحيم . فان الاسلام يعلو عليها بما يحققه للفرد ، وللمجتمع من سعادة ، وما يضمنه للجميع من كرامة ، فيحقق التوازن بين سعادة الفرد وسعادة غيره .

(١) رياض الصالحين . ص ٩٥ .
(٢) التوبة : ٣٤ .
(٣) الحشر : ٧ .
٤ النساء : ٥٩ .

في التشريع الاسلامي

خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي

للدكتور سعد الدين السيد صالح

جاء الاسلام بمنهج متكامل للحياة في كل شأن من شئونها ، السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية .

فقد أتى الاسلام بالنظام السياسي الذي ضمن حقوق الحاكم والمحكوم معا ، كما أتى بالنظام الاجتماعي الذي لو طبق لما أصبح في المجتمعات الاسلامية جائع ولا محروم ، كذلك عني الاسلام بالاقتصاد الذي هو عصب الحياة ، ووضع فيه نظاما متكاملا لا نبالغ أن قلنا أنه أفضل النظم الاقتصادية ملائمة لطبيعة الانسان ، لانه لم يكن من وضع بشر وانما من وضع خالق البشر الذي هو اعلم بأمراض الانسانية وعلاجها **« أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ »** .

خصائص النظام الاقتصادى

ولا نريد أن نتحدث عن النظرية الاقتصادية الاسلامية فهو موضوع طويل يحتاج الى مجلدات ومجلدات ، وقد تكاتفت جهود الاقتصاديين المسلمين فى اظهار النظرية الاقتصادية الاسلامية فى صورتها اللائقة • وانما نريد أن يتحدث عن فلسفة النظام الاقتصادى الاسلامى وخصائصه •

ولكى نحدد هذه الخصائص لابد أن نلقى نظرة سريعة على الانظمة الاقتصادية الاخرى التى تعايش النظام الاسلامى •

والمشاهد الآن أن هناك نظامان اقتصاديان يقتسمان العالم :

الاول : هو النظام الاقتصادى الرأسمالى •

والثانى : هو النظام الاقتصادى الشيوعى •

وهناك بعض الانظمة الاقتصادية الاخرى مثل الاشتراكية العربية أو الاشتراكية الديمقراطية ، وهى فى حقيقة أمرها انما تعود الى هذين النظامين الاساسيين •

اما النظام الرأسمالى : فانه يقوم على أساس الملكية الخاصة للافراد دون حدود أو قيود • فالفرد فى ظل هذا النظام من حقه أن يمتلك ما يشاء من الاموال والعقارات وسائر الاعيان ، وأن يستثمرها فيما يشاء ، وأن ينفقها فيما يشاء •

وهكذا فالفرد حر حرية مطلقة فى •

- **اكتساب امواله •**
- **وفى استثمارها •**
- **وفى انفاقها •**

وقد ادت هذه الحرية المطلقة الى الاستغلال والاحتكار وتركز رؤوس الاموال فى يد قلة قليلة استطاعت ان تثرى على حساب غيرها وأن تتحكم فى مقدرات المجتمع ، وتوجه الانتاج والاستهلاك حسبما تشاء وقد أدى هذا النظام الى الحقد والانانية وانعدام التعاون بين طبقات المجتمع •

واما النظام الشيوعى : فقد قام على أساس الغاء الملكية الفردية الغاء تاما وتحولها الى ملكية عامة • كما قام على أساس الغاء حريات الافراد وتقييدها تقييدا تاما •

وبذلك ناقض الفطرة الطبيعية فى الانسان ، فهو مفطور على حب التملك كما أدى هذا النظام الى حالة من اللامبالاه ، لان الفرد مادام لا يملك شيئا ، وكل شىء هو ملك للدولة التى تتمثل فى حفنة من الافراد هم أعضاء اللجنة المركزية ، فما هو الداعى الى الكد والعمل والاجتهاد وهكذا أصبح النظام الرأسمالى والشيوعى على طرفى نقيض ، فلكل نظام منهما خصائص مناقضة تماما لخصائص النظام الاخر ومع ذلك يدعى صاحب كل نظام أن نظامه هو الامثل والافضل •

والغريب أن ما يعده أصحاب النظام الرأسمالى مزايا يعده أصحاب النظام الشيوعى عيوب ومساوىء ، وما يعده أصحاب النظام الشيوعى محاسن يعده أصحاب النظام الرأسمالى مساوىء وعيوب •

اما النظام الاقتصادى الاسلامى :

فقد كان نظاما فريدا فى ذاته ، وفى خصائصه لا علاقة له بالرأسمالية أو الاشتراكية أو الشيوعية . ولا بغيرها من المذاهب الانسانية •

فهو نظام يكفل للانسانية السعادة فى الدنيا والآخرة ، ومع أن الانظمة الاخرى قد تتفق مع الاسلام فى خاصية أو أخرى الا أن ذلك

لا يدعو الى وصف النظام الاسلامى بأنه نظام اشتراكى أو رأسمالى ، فهو نظام فريد فى ذاته وضعت فيه الاسماء على المسميات وضعا محددا مما أغناه عن استيراد اسم أو مسمى من غيره ، وقد جمع النظام الاسلامى محاسن كل الانظمة البشرية ان كان فيها محاسن — أو قل هى التى أخذت محاسنها منه — وفى نفس الوقت نفى مساوئها وخبائثها .

ذلك انه أباح الملكية الخاصة

وهو ما يستفاد من قول الحق سبحانه وتعالى «**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**» فقد أضاف المال الى الافراد وهى تفيد اباحة الملكية الفردية وبذلك ساير الاسلام الفطرة البشرية . واشبع غريزة حب التملك عند الانسان ، ولكنه فى الوقت ذاته يجعل منفعة المال منفعة عامة لكل محتاج ، ويذكر المالك بذلك فيضيف المال الى الله فى آية اخرى « **آتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ** » أى ان ملكية المال الخاصة تتحول الى ملكية عامة لكل محتاج والقرآن دائما يذكر أصحاب الاموال بأنهم لا يملكون شيئا وهم مجرد خلفاء عن صاحب المال « **وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ** » « **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** » فالله هو المالك للمساجد حتى وان كان الافراد قد ملكوها تنازلوا عنها وحولوها الى مسجد فان ملكية الافراد تزول نهائيا وتبقى المساجد ملكية عامة للجماعة وعلى غرارها المرافق العامة .

غير أنه فى الاسلام لا يصح ان تنتزع الملكيات الخاصة قهرا من أصحابها لكى تتحول الى منفعة عامة ، بل أن صاحب المال يخرج زكاة ماله وصدقته وانفاقه عن طيب خاطر ، اللهم الا اذا كانت هناك حاجة ماسة لجماعة المسلمين الى انتزاع هذه الملكية فلا بأس .

وبذلك راعى الاسلام مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة معا ، خلافا للنظام الرأسمالى الذى قضى على الفرد فى سبيل مصلحة الجماعة .

وبذلك تكون **أول خصائص** النظام الاقتصادى الاسلامى :

أنه نظام متوازن سوى يراعى مصلحة الفرد والمجموع معا .

وثانى خصائص هذا النظام : أنه نظام ملتزم يقيد الفرد بمجموعة من القيم والمثل العليا التى تجعل منه نظاما انسانيا اخلاقيا وتجعل المال وسيلة لاسعاد الناس فى الدنيا والآخرة ، لا وسيلة لافسادهم :

— فمن حيث البداية قيد الاسلام ملكية الفرد بأن تكون من طريق حلال طيب « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا** » وبذلك لا يعترف الاسلام بأى ملكية تأتى من طريق حرام أيا كان أسلوبه .

وفى التقييد بالحلال الطيب اشارة الى أن أحكام القرآن فى مجال الاقتصاد أحكاما انسانية ، فالانسان اذا أكل ماليس بحلال فهو الحرام ، وحينئذ اما أن يسرق الناس واما أن يستغلهم وفى ذلك فساد للمجتمع . ومن هنا لم يكتف القرآن بالقيد الأول وهو الحلال وانما وضع قيدا آخر وهو الطيب بحيث لا

تشوبه شائبة الحرمة .

ومن هنا كان حث الاسلام على العمل والسعي والضرب فى الارض ، واحياء الموات « هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » .

وقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الواقعى فى ذلك فقد كان يأكل من كد يده فعمل بالتجارة مع عمه ابى طالب ، كما عمل لخديجة بنت خويلد قبل أن يتزوجها .

ــ كما حدد الاسلام مجال استثمار الاموال ، فقد أباح استثماره فى أى مجال من مجالات الحياة ، ولم يحظر منه الا ما فيه اعتداء على حرية الآخرين « فالمسلم هو من سلم المسلمون من لسانه ويده » وبذلك لا يصح أن يستثمر المسلم ماله فى مجال صناعة أو تجارة تضر اخوانه المسلمين .

فلا يصح مثلا أن يستثمر ماله فى مجال صناعة الخمور والمسكرات أو التجارة فيها . أو أن يستثمرها فى بناء نادى للرزيله أو القمار أو غير ذلك مما فيه ضرر المجتمع المسلم .

وهكذا فهناك قاعدة عامة وهى « ان كل عمل أو صنعة أو تجارة فيها أذى لمسلم أو خطر على جماعة المسلمين ، فهو حرام » .

ــ كذلك ألزم الاسلام صاحب المال بأن يعطى عماله أجورهم كاملة وقبل أن يجف عرقهم ، وبذلك منع الاسلام من استغلال أصحاب رؤوس الأموال لعمالهم ، وفى الوقت ذاته يطلب الاسلام من العامل أن يتقن عمله « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه وان يكون امينا » « إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ » وغير ذلك من الصفات الاساسية التى تجعل نظام العمل فى الاسلام نظاما أخلاقيا ينفى الحقد والخيانة والاستغلال .

واذا كان النظام الرأسمالى قد ترك لاصحاب رؤوس الاموال الحرية المطلقة فى استثمار أموالهم بأى طريق وفى أى مجال ، فان الاسلام يضع مجموعة من القيود التى تحيط هذا الاستثمار بسياج الحلال الطيب .

ــ فقد منع الاسلام صاحب المال التاجر من الغش والتدليس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من باع عيبا لم يبينه لم يزل فى مقت الله ولم تزل الملائكة تلعنه) .

ــ كما منعه من الاحتكار . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو عاص » ويقول « بئس العبد المحتكر ان سمع برخص ساءه وان سمع بغلاء فرح » .

بل ويحث الاسلام على البيع بسعر اليوم ويرفعه الى درجة الصدقه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جلب طعاما فباع بسعر يومه فكأنما تصدق به » .

واذا كان صاحب المال فى ظل النظام الرأسمالى حد فى تسخير ماله حسب مصالحه الخاصة ، وفى المشروعات التى تدر عليه ربحا أكثر ، ويترك له النظام حرية التحكم فى السلع والاسواق ، ويحتكر منها ما يشاء انتظارا لربح أكثر من غير مراعاة لحاجة المستهلكين ، فان الاسلام يحارب الاحتكار بكل صوره ، حتى أن المحتكر ليبرىء الله منه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من

احتكر الطعام أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه » .

ــ واذا كان الاسلام قد حرم الغش والاحتكار ، فقد حرم الكذب والخيانه وخلف الوعد والماطلة واستغلال الظروف وغير ذلك من الصفات الذميمة التى تحول النظام الاقتصادى من نظام انسانى يراعى الصالح العام الى نظام شخصى أنانى لا يراعى الا مصلحة الفرد يقول رسول الله (ص) « ان أطيب الكسب كسب التجارة الذين اذا حدثوا لم يكذبوا واذا أئتمنوا لم يخونوا ، واذا وعدوا لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذموا واذا باعوا لم يمدحوا ، واذا كان عليهم لم يمطلوا واذا كان لهم لم يعسروا » .

ــ واذا كان الاقتصاد الاسلامى قدقام على أساس مبادىء الاخلاق فانه قد حرم الربا ــ الذى هو أساس الاقتصاد الرأسمالى ــ لما فيه من استغلال لحاجات الناس ، واخذ لمال انسان محتاج بغير عوض وبدون وجه حق ، ولما فيه من انعدام للتعاطف والرحمة والتماسك فى المجتمع ، وغير هذه من المساوىء العظام .

ومن أجل هذا كله أقام الاسلام نظامه الاقتصادى على أساس من تحريم الربا ، وتحليل انواع اخرى للاستثمار مثل البيع والشركة والمضاربه وغير ذلك من الطرق المشروعة الحلال .

ــ كذلك يمتاز النظام الاقتصادى الاسلامى بأنه نظام يحقق العدالة والتوازن فى المجتمع فانه ان كان قد سمح بالملكية الخاصة مهما كان حجمها مادامت من طريق حلال ، فقد ألزم أصحاب الملكيات الخاصة بأن تكون منفعة هذه الملكية عامة للفقراء والمحتاجين فألزمهم بدفع الزكاة وجعلها حق معلوم فى أموالهم يجب عليهم اخراجه للفقراء والمساكين وسائر الاصناف التى حددها الاسلام « وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » وقد حدد الاسلام قيمة الزكاة ، وجعل نصابها قليلا لكى يشترك فى اخراجها قطاع كبير من الناس . وبذلك تتسع دائرة التكافل الاجتماعى كما جعل مقدارها ضئيل ٥ر٢٪ من النصاب ليسهل دفعها ، كما جعلها الاسلام عاملا هاما من عوامل استغلال الثروات وعدم تكديس الاموال ، ونشر الالفة والمحبة فى المجتمع وازالة الضغائن والاحقاد من نفوس الفقراء مما يؤدى الى التعاون الذى هو أساس النظام الاقتصادى السليم .

بل ان الاسلام لم يكتفى بالحق المعلوم الذى هو الزكاة ، وانما جعل المال كله حق للفقراء « وَيَسْئَلُونَكَ مَا ذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ » والعفو هو كل مازاد عن حاجة الانسان ، وبذلك يكون الانسان مطالب بانفاق كل مازاد عن حاجته ، ولكن ليس الزاما وقهرا وانتزاعا ــ كما هو الحال فى ظل النظام الشيوعى ــ بل تفضلا واحسانا ، يخرجه الانسان طواعية وتقربا الى الله سبحانه وتعالى .

وهكذا قام النظام الاقتصادى الاسلامى على أساس واضح هو التكافل الاجتماعى

<

خصائص النظام الاقتصادى الاسلامى .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم » ويقول « أيما أهل عرضة اصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى » .

وهكذا نستطيع ان نوجز خصائص النظام الاقتصادى الاسلامى فيما يأتى :

اولا ــ هو نظام الهى ومن هنا جاء متكاملا لا عيب فيه ولامسالب كما هــو الحال فى الانظمة البشرية التى وضعتها عقــول البشر ففاقت عيوبها محاسنها .

ثانيا ــ نظام انسانى يراعى مصلحة الفرد ومصلحة المجموع ، ولا يقبــل أن يضحى باحدهما من أجل الآخر .

ثالثا ــ هو نظام اخلاقى روحى لا يقــوم على اســاس الاهتمام بالجانب المادى فى الانسان وانما يشبع المادة والروح معا ، ويؤكد على مبادىء الاخلاق والمثل العليا التى ترتقى بالانسان من طين المادة الصماء الى عليــاء القيم المثلى التى هى الحق والخير والجمال .

رابعا ــ هو نظام واقعى ، بمعنى انه لــم يأت بقيود يصعب على الانسان تحقيقهــا والالتزام بها ، بل على العكس هى مثل عليــا يمارسها المسلم بحرية تامة دون أن يشــعر أنها مفروضة عليه ومقيدة لحريته لانها نابعــة من ذاته وضميره .

خامسا ــ انه نظام متكامل مؤسس عــلى قواعد اجتماعية لانظير لها فى أى مذهب مـن المذاهب الحديثة .

ألا ما أحوج المسـلمين فى الوقت الراهــن الى تطبيق منهجهم الاقتصادى الذى يضـمن لهم السعادة فى المعاش والمعاد ويخرج بهـم من مساوىء هذه الانظمــة البشرية ، والتى جربوها طويلا ولم تأت بشىء اللهم الا الفقر والحرمان ، والاستغلال والطبقية الصـارخة وانعدام التكامل الاجتماعى .

د . سعد الدين السيد صالح

من حضارة الإسلام

- الإسلام ومشكلات المسلمين
- وسائل إعداد الدعاة

- دراسة
في الخدمة الإجتماعية

من حضارة الإسلام

الاسلام

٤ مشكلة المدارس القرآنية
وتعليم الدين الاسلامى فى ألمانيا الغربية

من المؤسف ان ادارات التعليم الالمانية لم تدرك الا (١) مؤخرا أن التعليم الدينى بالنسبة للاقلية الاسلامية هو بمثابة الحفاظ على الذاتية (٢) . ففى الاسلام ترتبط ذاتية أتباعه بالدين ، الامر الذى لا نجد له نظيرا فى مجالات الحضارات الاخرى . والاطفال المسلمون فى ألمانيا الغربية يتعرضون بوجه خاص لخطر ضياع ذاتيتهم كما هو معروف الآن(٣) ويتعرض القسم الاكبر من الشباب الذى ينمو فى منطقة الاقلية الدينية لخطر الوقوع فى الالحاد دون أن تكون قد أتيحت له قبل ذلك فرصة التعرف بطريقة صحيحة على دين آبائه وقد أكد هذا منذ عام مضى تقريبا السيد أمين برنسى وهو عضو فى حركة نورد شولوك(٤) . (Nurdschuluk)

وقد تم اجراء بعض الاستبيانات فى أوساط المسلمين فى ألمانيا الغربية ، وعلى أساس هذه الاستبيانات توصل الدكتور صلاح عيد ــ وهو من المصريين المسلمين الذين يعيشون فى ألمانيا الغربية ــ توصل الى النتيجة التالية التى نشرتها صحيفة FAZ (٥) فى ١٣/٣/٧٦ « ان

1) Plus, 26.3.80.
2) Abdullah, I.c.
3) Sueddeutsche Zeitung, 17.1.80
4) Abdullah, I.c.
5) Frankfurter Allgemeine Zeitung.

٢

مشكلات المسلمين

للدكتور محمود حمدى زقزوق

الشباب المسلم فى ألمانيا الغربية ليست لديه القدرة على الاجابة على الاسئلة التى توجه اليه بشأن هويته الدينية ، أما الآباء والامهات فانهم مثقلون فى الغالب بأعباء أعمالهم وليس لديهم الوقت الكافى لتعليم أولادهم الدين أو اللغة فضلا عن أنه تنقصهم فى الغالب المعارف فى هذا الشأن » .

وتقول السيدة فاطمة هيرين ــ وهى مدرسة ألمانية اعتنقت الاسلام ــ « ان الاطفال المسلمين لا يتلقون فى المدارس الالمانية دروسا فى الدين الاسلامى ، وكثيرون من الآباء والامهات ــ والاتراك منهم بوجه خاص ــ ليسوا فى وضع يؤهلهم للقيام بمهمة تربية اولادهم طبقا للتعاليم الاسلامية ، كما انهم لا يفهمون ــ بوجه خاص ــ اللغة العربية التى هى لغة القرآن »[١] .

أما أنه لا يوجد هناك تعليم للدين الاسلامى فى المدارس الالمانية فهذا ليس صحيحا تماما على الاقل من الناحية النظرية . فهناك فى أغلب أقاليم المانيا الغربية مادة الدين الاسلامى كمادة نظامية للاطفال المسلمين . ولكن ذلك للاسف يكاد أن يكون مجرد أمر نظرى فالحقيقة أن تدريس هذه المادة لايحدث الا فى القليل النادر جدا ، بسبب عدم وجود المدرسين المؤهلين والكتب التعليمية والاشراف الضرورى على محتوى المادة وعلى الطرق التربوية[٢] . ويقال ان ادارات التربية الالمانية قد اتصلت مرارا من أجل ذلك

1) Sueddeutsche Zeitung, 17.1.80.
2) Wanzura, 1.c.

بالمسئولين الاتراك • ولكن هنـاك فى تركيا ذاتها عجزا فى مدرسى الدين الاســلامى يبلغ الآلاف(١) •

وافتقاد تعليم الدين الاسلامى لا يقتصر فى عواقبه — كمـا هـو معروف الآن — علـى المسلمين أنفسهم فحسب وانما تشـمل هـذه العواقب أيضا ألمانيا الغربية ذاتها ومن أجـل ذلك يقول الاب فانتسورا « لقـد آن الاوان لكى يهتم المسلمون أنفسهم اهتماما جديا وفى تعاون مع الجهات الالمانية المسئولة بالبحث فى امكان تعليم الاطفال المسلمين الدين الاسلامى بطريقة نظامية • وذلك لان الامر هنا لا يدور حول حق التثقيف الدينى فحسب وانما يدور أيضا حول مشكلة سياسية اجتماعية يمكن أن تصاغ على النحو التالى :

كيف وطبقا لأية معـايير أدبية ومقاييس خلقية سيحكم الاطفال المسـلمون من أبنـاء الجيل الثانى والثـالث وكيف سيتصرفون اذا ما وصلوا الى مرحلة الشباب والنضج دون أن تكون لـديهم أية معـرفة أو خبرة بالمعـايير الاخلاقية التى يتضمنها دينهم(٢) •

والآن ما هو الـدور الذى تلعبـه المدارس القرآنية فى ألمانيا الغربية فى هذا الصدد ؟ هل هى قادرة على سد الثغرة القائمة بسبب انعـدام تعليم الدين الاســلامى فى ألمانيـا الغربية ؟ وهل تكفى هذه المدارس لمتطلبـات التعليم الدينى الشامل المنظم ؟

لقد اختلفت الآراء بصدد قضـية المدارس القرآنية اختلافا حادا وتعددت المواقف حتى بين صـفوف المسـلمين أنفسـهم • ويعترف الجانب الالمانى نفسه باستمرار بأنه ليس من الصواب الحكم بالادانة العامة لهذه المؤسسات وذلك على الرغم من ارتفاع الاصواتبالهجوم العنيف فى الصحافة الالمانيـة عـلى المدارس القرآنية لعدة سنوات حتى الآن ، وهو هجوم موجه من جوانب مختلفة ويرجع فى دوافعـه الى حد كبير الى أسباب سياسية وقد جاء فى مقال نشر فى عام ١٩٧٧(٣) : أن الاطفال الذين يتلقـون دروس القرآن ويتحتـم عليهـم أن يقضوا السـاعات الطوال فى حفظ سـور من القرآن يأتـون الى الـدروس فى المـدارس النظامية وقـد أنهكت قواهم • وأن أسـباب سوء هذه الاوضـاع يرجـع تارة الى نقص كفايـات المعلمين وتارة الى قصـور الفهـم واتخاذ موقف رافض ازاء المجتمع الالمانى • ولكن المقال يحذر فى الوقت نفسه من «الادانة العـامة لهـذه المبادرة من جـانب المسلمين للوصول الى تربية دينية » • لان الكثيرين من الاطفال الاتراك لا يصل اليهم التراث الدينى للاسلام الا عن طريق هذه المدارس القرآنية

1) Hannover Allgemeine, 12.7.77.
2) Wanzura, 1.c.

3) Frankfurter Rundschau, 9.8.77.

ويشير المقال فى الوقت نفسه الى ازدياد أهمية ادخال التعليم الدينى الاسلامى المنظم فى المدارس الالمانية • وقد انبثق هذا المقال على أساس مبادرة من جماعة تدعى «جماعة العمل الاسلامى المسيحى لبحث مشكلات الاجانب» •

أما المدارس القرآنية فقد أنشأتها الجماعات الاسلامية فى ألمانيا الغربية وتقوم هذه الجماعات نفسها بالانفاق عليها(١) • وهناك اختلافات كبيرة جدا حول الاهداف التى يجب أن تحققها هذه المدارس • فبينما يرى البعض أن هدف هذه المدارس يتمثل بوجه خاص فى تعليم الاطفال بعض آيات من القرآن باللغة العربية ، يرى آخرون أن هدفها يجب أن يكون الوصول الى تعليم شامل ومتقن للدين الاسلامى • والامر الهام الذى يجب ابرازه باستمرار هو أن المدرسة القرآنية تعتبر فى الغالب الطريق الوحيد للتعليم الدينى الاسلامى بالنسبة للكثيرين من أبناء المسلمين فى ألمانيا(٢) •

ويؤكد امام المركز الاسلامى فى كولونيا(٣) أن التعليم فى المدارس القرآنية يجب أن يتم أثناء الدراسة فى المدارس العامة لان الغالبية من الاتراك يسافرون الى بلادهم فى الاجازة المدرسية ويعتبر هذا التعليم ضرورة لا غنى عنها لان الاطفال ــ كما يقول هذا الامام ــ يجب أن يتلقوا دروس الدين والاخلاق حتى يصيروا أناسا صالحين • ويعترض الجانب الالمانى على ذلك على أساس أن ذهاب الاطفال الى المدارس القرآنية يمكن أن يعرقل هذا الهدف « لان الطفل التركى هنا يتحتم عليه أن يتعلم أكثر مما يتعلم فى تركيا ، أى يجب عليه هنا أن يتعلم الالمانية والتركية والقرآن ، وبهذا التكليف الذى يفوق طاقة الطفل يصبح حصوله على شهادة اتمام الدراسة الابتدائية فى المدارس العامة أكثر صعوبة ، وبدون شهادة اتمام هذه الدراسة لا يوجد أمامه مكان للتدريب المهنى • وبذلك يكون قد تم التخطيط مسبقا الى الانحدار الاجتماعى الذى يمكن أن يؤدى الى الاجرام » •

ولكن هذه الاعتراضات التى هى تبسيط معكوس وخطير للوضع تخطىء تماما الوصول الى صلب الموضوع ، فخطر الانحدار وخطر فقدان الهوية بالنسبة للاطفال المسلمين لا يكمن فى التعليم الدينى الذى يتلقونه فى المدارس القرآنية رغم ما قد يكون فيه من قصور ، وانما يكمن هذا الخطر فى انعدام أى تعليم دينى • وبصرف النظر عن ذلك فان هذه الاعتراضات تشتمل على مبالغات حادة لان « تعليم الاطفال بعض سور القرآن ليس شيئا كثيرا ولا يشكل عبئا على الاطفال » كما يقول امام المركز الاسلامى فى كولونيا فى

1) Koelner Stadtanzeiger, 29.6.77.
2) Wanzura, 1.c.
3) Frankfurter Rundschau, 29.6.77.

معرض اجابته على هذا الاعتراض .

ومما لا شك فيه أن النزاع حول المدارس القرآنية قد اتخذ طابعا سياسيا ، وأصبح النقاش حولها نقاشا حاميا ، وعلى وجه الخصوص عندما قامت رابطة المدرسين الاتراك بمدينة دورتموند فى ٢٠/٣/١٩٧٨ بتقديم شكوى الى حكومة اقليم نورد راين فستغاليا(١) ، وقد جاء فى هذه الشكوى أن المدارس القرآنية تجعل التعايش بين الاطفال الاتراك والاطفال المسلمين فى المدارس فى ألمانيا الغربية أمرا بالغ الصعوبة ، وأنها بوجه عام تشكل خطرا محتملا . فالمدارس القرآنية ليست الا معسكرات للتربية الخاصة للاحزاب التركية الرجعية ، وهى أحزاب محظور عليها أن تمارس أى نشاط دينى أو سياسى فى تركيا .

ولكن هذه الحملة ضد المدارس القرآنية — كما لاحظ الجانب الالمانى فى أحد المقالات الصحفية(٢) — « ليست الا من قبيل الضرب فى الماء » . والامر المؤسف هو أن خصوم المدارس القرآنية من الاتراك ان كان لهجومهم أثر فانه لم يكن شيئا آخر غير زيادة تقوية الاحكام المسبقة والاوهام الراسخة عن تأخر الاتراك .

وهناك الآن فى المانيا الغربية حوالى أحد عشر الفا من الاطفال الاتراك يذهبون الى المدارس القرآنية . وعليهم ان يحفظوا — خلال ثلاثة شهور يذهبون فيها الى هذه المدارس — من خمس الى عشر من قصار السور باللغة العربية .

وقد تبين للمراقبين الالمان أيضا أنه لا يبدو اطلاقا أن هؤلاء الاطفال يعطون انطباعا بالخوف أو الرعب — كما يشاع — . وتضيف هذه المقالة(٣) : « أن واجب الآباء والامهات يحتم عليهم أن يعلموا أولادهم الدين . واتباع هذا الواجب الذى هو غير غريب على الاديان الاخرى يعنى بالدرجة الاولى ممارسة عملية للحق الثابت فى حرية العقيدة . وهذا أمر يبدو أنه لا يجد الا القليل من الاهتمام فى المناقشات العامة حول المدارس القرآنية» .

ويضاف الى ذلك ما يقوله امام المركز الاسلامى فى كولونيا : « لقد أقمنا فى فروعنا دورا لرياض الاطفال لاننا نريد أن نحمى الاطفال من الشوارع نظرا لأن الآباء والامهات غالبا ما يكونون مشغولين بأعمالهم » . وفى هذا الصدد نشرت أيضا واحدة من كبريات الصحف اليومية الألمانية مثلا (٤) جاء فيه أن أحد المسلمين المحافظين فى ألمانيا لديه ستة أطفال وأنهم يذهبون بسرور الى المدارس القرآنية ، ويعبر هؤلاء الأطفال عن ذلك بقولهم : « ان لنا هناك أصدقاء وأنه يسمح لنا هناك أيضا باللعب » .

1) Stuttgarter Zeitung, 1.6.78.
2) Plus, 26.3.80.
3) Ibid.
4) Sueddeutsche Zeitung, 17.1.80

وليست هناك دراسات احصائية دقيقة عن موقف المسلمين فى ألمانيا الغربية ازاء المدارس القرآنية . وتقول فيلما اشتورم فى مقالها الذى سبق أن أشرنا اليه : ان الذى يهم المسلمين المحافظين فى الغالب هو حصول أولادهم على تعليم دينى ، أما المدارس القرآنية بأسلوبها الذى لا يقوم على خبرة وتخصص فلا يعلقون عليها الا آمالا قليلة .

وهناك تقييم آخر مختلف تماما لضرورة المدارس القرآنية ورد فى مقال نشر حديثا فى احدى الصحف اليومية(١) . وهو مقال يقوم على دراسة لمجموعة العمل الاسلامية المسيحية . وقد جاء فى هذا المقال أن على الطوائف الاسلامية أن تقوم بتنظيم دروس تجعل تعلم القرآن وتعلم السلوك الدينى أمرا ممكنا اذا ما أرادت أن تحافظ على الهوية الحضارية والدينية للاطفال المسلمين والاسر المسلمة . ولكن المقال يضيف الى ذلك أنه لم يكن هناك استعداد لا من جانب أولياء أمور التلاميذ ولا من المدرسين ولا من المدارس للعدد المتزايد من الاطفال المسلمين فى المدارس الالمانية . ففى عام ١٩٨٥ سيكون بين كل عشرة أطفال فى هذه المدارس طفل مسلم ، وفى بعض المدارس سيكون بين كل ثلاثة طفل مسلم . ومن أجل ذلك أصبح التخطيط من جانب الادارات المدرسية أمرا ضروريا حتى يمكن وضع حد للصراعات المتوقعة . ومن بين الاقتراحات المطروحة اقتراح بأن يكون تدريس الدين الاسلامى باللغة الالمانية فى المدارس العامة « وبذلك يمكن الحصول على منطلق يساعد على تأمل وفهم للمضمون الدينى والحضارى للاسلام فى محيط مسيحى » .

ولكن مثل هذه المقالة الاخيرة ليست الا بصيصا ضئيلا من نور فى خلفية النزاع الذى لا يزال مستمرا حول الاسلام فى ألمانيا الغربية . ويقول أحد المسلمين من أبناء الطائفة الاسلامية فى جنوب ألمانيا : « اننا بالعودة الى الاسلام نستطيع أن نستعيد احترامنا لذاتنا ، وبالثقة بالنفس تتحطم الكراهية أيضا » . ونستطيع أن نضيف الى ذلك أننا لو نظرنا للامر نظرة فلسفية فسنجد أن احترام الذات هو فى الوقت نفسه أساس للاخلاقيات .

وعلى الضد من ذلك يعبر أحد كبار رجال الدين البروتستانت وهو يورجن مكش عما يقول عنه « انه القلق الذى له ما يبرره من أن يتطور الاسلام فى ألمانيا الغربية الى حركة رجعية وقومية وبذلك يسقط فى دائرة مغلقة مثل حارات اليهود »(٢) . ولا ينفرد الاب يورجن مكش وحده بهذه النظرة التشاؤمية قصيرة النظر ككل أنواع التشاؤم .

ويعبر السيد م.س. عبد الله عن المشكلة

---

1) Frankfurter Allgemeine, 25.10.80.

2) Sueddeutsche Zeitung, 17.1.80.

فى صياغة دقيقة بقوله : « أن المسألة الاساسية بالنسبة للشباب المسلم الناشىء فى ألمانيا الغربية هى : كيف يمكن للمرء أن يحافظ على هويتهم الدينية والحضارية فى مجتمع صناعى غربى ، وفى الوقت نفسه يعمل على تطورهم انسانيا واجتماعيا تطويرا يتناسب مع هذا المجتمع ؟ »(١) .

وهذه المسألة الهامة المتعلقة بتكيف الاسلام مع المجتمع الحديث المتفوق فى العلم والصناعة تخرج للاسف عن نطاق هذه المحاضرة . ونكتفى هنا بالقول بأنه « ليس هناك شك فى أن المسلمين الذين يعيشون فى محيط غير اسلامى مطالبون فى هذا الصراع مع الحضارة الغربية العلمانية بمحاولة البحث عن أسلوب جديد يتعاملون به مع الحياة فى هذه المجتمعات ويتفق فى النهاية مع تعاليم الاسلام . والشرط الضرورى لذلك هو بدون شك تعليم الدين » وان كان شرطا غير كاف .

ويمكننا أن نقول ــ فى نهاية الحديث عن موضوع المدارس القرآنية ــ : أن هناك اعترافا يتزايد باستمرار من الجانب الالمانى وبوجه خاص من الجانب الكنسى بضرورة التعليم الدينى الاسلامى وضرورة دروس القرآن للاطفال المسلمين فى ألمانيا الغربية . وعلى الرغم من ذلك فان تحقيق هذا المطلب لا يزال بعيدا . فطالما أن الاسلام فى ألمانيا الغربية غير معترف به اعترافا قانونيا عاما فان مثل هذه المشاكل لن يمكن حلها فى واقع الامر ولهذا نريد فى الفقرة الختامية من هذه المحاضرة أن نوجه اهتمامنا بشىء من التفصيل لمسألة الاعتراف القانونى العام بالاسلام فى ألمانيا الغربية .

٥ ــ مشكلة الاعتراف القانونى العام بالاسلام فى المانيا الغربية :

ان مما يجعل وضع المسلمين فى ألمانيا الغربية أمرا بالغ الصعوبة هو أنهم بوصفهم طائفة دينية ليست لهم أية حقوق(٢) أما الاسس القانونية القائمة بالنسبة للمسلمين فانها لا تتناسب بأى حال من الاحوال مع الاوضاع والظروف الحقيقية . فالقوانين عرجاء كما هى فى غالب الاحيان ، وهى قوانين متخلفة تخلفا بعيد المدى عن الأوضاع الواقعية ، كما يشير الى ذلك أيضا الاب فانتسورا . ويبدو أن الاسلام ليس له وجود بالنسبة للمشرعين وللبييروقراطية الالمانية ــ كما يشير الى ذلك هورست هوهمان فى مقال له بعنوان « هؤلاء القادمون من الشرق»(٣) والآن وبعد مرور خمس سنوات على هذا المقال فان الوضع بالنسبة للمسلمين لم يتغير فى جوهره للاسف، على الرغم من أن بلجيكا مثلا وهى دولة مجاورة لالمانيا قد اعترفت بالاسلام منذ عام ١٩٧٤ وأصبح المسلمون هناك متساوين فى

1) Deutsches Allgemeines Sonntagsblatt, 2.12.79.

2) Christ und Welt, 27.2.76.

3) Ibid

الإسلام ومشكلات المسلمين

الحقوق مع الكنائس المسيحية والطوائف اليهودية .

واذا صرفنا النظر عن مواقف الرفض المبدئية المعروفة تجاه الاسلام ، فان المرء يحق له أن يسأل : ما هى الاسباب الخاصة لرفض الاعتراف بالاسلام حتى الآن فى ألمانيا الغربية اعترافا قانونيا عاما ؟

وما هى الاسباب التى تجعل المسلمين هناك يعتبرون الاعتراف القانونى العام بالاسلام أمرا ضروريا ؟ ان الطوائف الاسلامية فى أوضاعها الحالية فى ألمانيا الغربية لا يحق لها مثلا أن تقوم باصدار أية وثائق يعترف بها بصفة رسمية فى مجالات الاحوال الشخصية والاسرية ، وانه لمن الصعوبة بمكان على من يدخلون فى الاسلام أن يثبتوا ذلك لاخوانهم فى العقيدة الاسلامية . والامر الاكثر أهمية من ذلك هو انه لا يجوز للمسلمين أن ينشئوا أية مؤسسات اجتماعية مثل المستشفيات والمدارس ومعاهد العلم ورياض الاطفال وهذا أمر مؤسف بالنسبة للجانب الاسلامى ، وعلى وجه الخصوص لان المسلمين بهذا الشكل لا يستطيعون أن يكون لهم أى تأثير على التطور المدرسى لأولادهم ولا على تعليمهم تعليما دينيا[1] وقد سبق أن أشرنا الى أن انعدام التعليم الدينى بالنسبة للاطفال المسلمين ينذر بعواقب وخيمة .

وقد طالب الجانب الاسلامى منذ وقت طويل بالاعتراف بالاسلام فى ألمانيا الغربية (٢) واعتبار اتباعه طائفة دينية لها حقوق عامة على أساس أن يوضع بذلك المسلمون المتمسكون بشعائر دينهم فى نفس المرتبة مع نظرائهم من المواطنين المتمسكين بعقائدهم . وحينئذ يستطيع المسلمون أن يشكلوا جمعيات دينية لها ممثلون يتحدثون باسمها ؛ كما يمكن تدريس الدين الاسلامى للتلاميذ المسلمين بصفة ثابتة وعلى أسس سليمة ، ويمكن أيضا اصدار الوثائق واتمام عقود الزواج والطلاق واقامة مراسيم الجنائز وغير ذلك على أسس اسلامية .

وهناك سبب رئيسى آخر يدعو الى الاعتراف بالاسلام وهو أن الاعتراف بالطائفة الاسلامية بوصفها هيئة لها حقوق عامة سيساعد بالتأكيد على ازالة الشعور بالظلم الذى يشعر به المسلمون بسبب هضم حقوقهم الدينية ، هذا الشعور الذى يضاف اليه بالنسبة لهم ادراكهم بأنهم مغلوبون على أمرهم فى ألمانيا الغربية من الناحيتين المادية والاجتماعية .

ولكن فيلما اشتورم تقول فى مقال لها عام ١٩٧٦ : ان الحكومة التركية ليس لديها أى اهتمام لحدوث مثل هذه التغييرات . وهذه الحقيقة التى تشكل الخلفية لهذه الحملات

---

1) Christ und Welt, 27.2.76.

2) Frankfurter Allgemeine, 13.3.76.

الإســـلام ومشكلات المسلمين

الكثيرة المحمـومة ضـد المـدارس القرآنية بوصفها مؤسسات غير شرعيـة تثبت أيضـا انها تمثل واحدة من العقبات الاساسية امام الاعتراف القانونى بالاسلام فى ألمانيا الغربية. فسياسة المنظمات الاسلامية التركية فى ألمانيا الغربية والتى ترفض الجمهورية التركيـة فى صيغتها الحالية وتؤيد بدلا منها اقامة جمهورية اسلامية ــ هذه السياسة ليس لها فى تركيـا ذاتها ــ على المستوى الرسمى ــ أو نصير ، فان مؤسس الجمهورية التركية مصطفى كمال أتاتورك قد جعل هنـاك فاصـلا حـادا بين السياسة والدين ، وحد بطريقة متطرفـة من تأثير الاسلام فى المجتمع ، هذا التأثير الـذى كان يسود الحياة كلها آنذاك ولم يتغير شىء من ذلك منذ أتاتورك حتى اليوم وهكذا نجد ان الطوائف التركية الاسـلامية تتناقض من حيث المبدأ مع الدستور التركى .

ولكن على الرغم من كل هذه الصـعوبات (أو ربما بسبب هذه الصعوبات) فقد تزايد تجمع المسلمين فى ألمانيا الغربية فى السنوات الأخيرة فى جماعات تسعى للاهتمام بالحيـاة طبقـا للتعاليم الاسلامية . ولكن لم يكن امامهم من الناحية القانونية امكانية أخرى غير صـيغة (رابطة مسجلة) .

وتحت هذه الصيغة أيضا فى العام الماضى (١٩٨٠) تسجيل اتحاد العمـال المسلمين فى أوربا ومقره مدينة كولونيا بألمانيا الغربيـة . وتحدد المادة الثانية من دستور هذا الاتحـاد هدف هذه الرابطة على النحو التالى : « يهدف الاتحاد ألى توثيق ونشر التصور الاسـلامى الصحيح والسلوك الاسـلامى القـويم بين العمال المسلمين فى أوربا ويتخـذ الاتحـاد لتحقيق هذا الهدف الوسائل والاسـاليب الموافقة للشرع الاسلامى » (١) .

ويصف السيد م . س . عبد الله الوضـع الـذى كان قائمـا حتى وقت قريب داخـل الجمعيات الاسلامية فى ألمانيا الغربية بقـوله « ان المأزق الذى يحيط بالمسلمين وجمعياتهم فى ألمانيا الغربية يتمثـل فى تمزقهم وعـدم اتحادهم » (٢) ومن أجل ذلك فان الجـانب الالمانى قد استطاع باستمرار وحتى قبل وقت قصـير أن ينتهى من موضـوع الاعتراف القانونى العام بالاسلام بالاشارة الى أنه من الامور التى تخص المسلمين أنفسهم فى نهاية الامر أن يقـدموا الدليل على أن جمـاعاتهم الدينية فى ألمانيا الغربية قادرة على أن تمثلهم

---

(١) نشرة النشاطات لاتحاد العمال المسـلمين فى أوربا رقم ٤ (اغسطس ــ سبتمبر ــ اكتوبر ١٩٨٠) .

2) Die Praesenz des Islam in der BRD (Sueddeutsche Zeitung, 17.1.80.)

أمام الدولة كطرف مقابل • وقد كان من السهل نسبيا على المسئولين هناك ان يشيروا الى تفرق الجماعات الاسلامية ، هذا التفرق الذى أصبح فى تزايد مستمر — علامة سلبية للوجود الاسلامى فى المانيا الغربية (١) •

ولكن يبدو أن هذا الحال قد بدأ يتغير تغيرا ايجابيا • ففى ١٩٧٩/٣/١ تقدم المركز الثقافى الاسلامى فى كولونيا — والذى يعتبر المركز الرئيسى لحركة السليمانلى التى هى أكبر الطوائف الاسلامية فى المانيا الغربية — تقدم هذا المركز بطلب الى المسئولين فى اقليم نوردراين فستفاليا الذى يضم منطقة الرور الصناعية والذى يعيش فيه أكثر من نصف مليون من العمال المسلمين — يلتمس فيه المساواة القانونية للاسلام بالكنائس المسيحية والطائفة اليهودية • وجاء فى هذه الوثيقة « ان المركز الثقافى الاسلامى فى كولونيا على استعداد للتعاون المشترك مع المؤسسات الحكومية وأنه يشعر بالتزامه بالنظام الديمقراطى الحر فى ألمانيا الغربية • ولا يرى المركز أى تناقض فى التزامه بالشريعة الاسلامية من ناحية ولائه للدولة وللمجتمع الذى تقوم عليه من ناحية أخرى •• والهدف الواضح هو اندماج المسلمين الاجانب فى المجتمع الالمانى بما يترتب على ذلك من حقوق والتزامات ونحن نرفض الوجود المنغلق مثل حارات اليهود (Getto) ونرفض الانغلاق الحضارى والتعصب والتطرف » وأكد امام المركز الاسلامى فى كولونيا فى حديث له على الحياد السياسى لمنظمته و « أوضح أن جماعته ستتمسك بنموذج الاندماج رغم المعارضة والهجوم المتواصل ، وذلك لأن الجماعة لا تريد أن تضيع مستقبل الاسلام وأتباعه فى المانيا • ولكنه لا يريد أن يفهم احد ان الاندماج يعنى محو الهوية فالاندماج كما يقول — يعنى بالنسبة لنا ادماج أو انتظام المسلمين الاجانب فى المجتمع الالمانى مع الاحتفاظ والعناية بالاستقلال الحضارى والدينى واللغوى (٢) •

اما الجماعات الاسلامية الأخرى والتى تمثل المجموعة الرئيسية فى ألمانيا الغربية — كما اشرنا الى ذلك فى بداية هذه المحاضرة — فان البعض منها يسعى أيضا الى الاعتراف القانونى العام بالاسلام ولكنهم يرفضون التعاون المشترك مع أجهزة المجتمع الالمانى • وفضلا عن ذلك فقد أعاد ممثلو هذه المجموعة الى الاذهان التأكيد على أنه ليس هناك أى

---

1) Deutsches Allgemeines Sonntagsblatt, 2.12.79.

2) Deutsches Allgemeines Sonntagsblatt, 2.12.79.

مجال للتعاون مع الجماعات الدينية الأخرى غير الاسلامية (١) .

أما رد فعل الصحافة الألمانية على طلب الاعتراف القانونى العام بالاسلام فقد كان سلبيا بشكل يكاد يكون اجماعيا . وسرعان ما أعادت الصحافة من جديد فى تناولها لهذه القضية كل الصيغ المصبوبة فى قوالب هجومية ضد الاسلام من أمثال « المتعصبون الدينيون ، السليمانلى — جمعية غير شرعية محظورة فى تركيا ، التخلف واضطهاد النساء ، معلمو المدارس القرآنية يضربون التلاميذ ، وماشاكل ذلك . وقد جاء على سبيل المثال فى مجلة (Spiegel) الواسعة الانتشار فى ٣١/١٢/١٩٧٩ — أن نقابات العمال الالمان تبدى قلقها لأن المسلمين فى المانيا الغربية فى حالة الاعتراف بالاسلام لن يعترفوا الا بسور القرآن ، وأنه لن يمكن حينئذ استبعاد حدوث « ارهاب دينى مكشوف على كل المواطنين الاتراك » وجاء فى المجلة المذكورة أيضا أن المركز الاسلامى فى كولونيا يعترف على الورق فقط بالنظام الديمقراطى الحر فى المانيا الغربية وأنه يخشى بوجه خاص أن يؤدى الاعتراف انعام بالاسلام الى ثراء قيادات المسلمين واحساسهم بالقوة وجعلهم متحدثين باسم ثالث أكبر الطوائف الدينية فى المانيا الغربية وحينئذ يستطيعون — كما يقال أن يطلبوا ضرائب دينية من اخوانهم المسلمين . ويتحتم على الادارات المالية الحكومية فى هذه الحال أن تقوم بتحصيل هذه الضرائب لهم كما هو الحال لدى كل من الطائفتين الكاثوليكية والبروتستانتية .

ويقول المسئولون فى حكومة نوردراين فستفاليا الذين يقومون بفحص طلب الاعتراف بالاسلام — انهم يقفون امام عالم جديد أو أرض جديدة تماما .ولكن المرء يحق لنا هنا أن يتساءل : كيف تغلب المسئولون فى بلجيكا — مثلا — على نفس المشكلة ؟

ان المسئولين فى حكومة اقليم نوردراين فستفاليا لا يعلمون — كما يقال — ما اذا كانت حركة السليمانلى تمثل الاسلام فى المانيا بوصفه دينا عالميا أم أن الامر يدور هنا فى هذه الحركة حول أقلية متطرفة . وتسجل مجلة (Spiegel) فى دهشة حقيقة مؤداها ان الجهات الكاثوليكية المختصة بالاتصالات بغير المسيحين تؤيد موضوع المسلمين وانه حتى الماسونيين يطلبون من رئيس وزراء الاقليم « الاسراع فى بحث طلب الاعتراف ببنى وطننا — كما يقولون — والبت فيه بطريقة ايجابية » .

وعلى كل حال فانه سرعان ما يضاف الى ذلك ان السفارة الالمانية فى أنقرة قد حذرت وزارة الخارجية الالمانية من عواقب الاعتراف بالاسلام ، وان اتحاد نقابات العمال الالمانى يخشى من حدوث « صعوبات خطيرة فى السياسة الخارجية » مع الحكومة التركية ويذكر فى هذا الصدد آن نائب الممثل الاعلى للاسلام فى تركيا قد قال « اذا استجاب المسئولون الالمان لطلب الاعتراف فانه

---

١) Ibid.

سيترتب على ذلك مشكلات كثيرة ونحن نرفض الاعتراف بهذا المركز » (أى المركز الاسلامى فى كولونيا) (١) .

ولكننا اذا نظرنا الى القضية نظرة أعمق فان السؤال الوارد هو ما اذا كانت ستحدث هناك مشكلات أكثر اذا لم تتم الاستجابة لطلب الاعتراف بالاسلام .

وردا على الاتهامات والمخاوف التى عبرت عنها الصحافة الالمانية يجب أن نقرر أنها تقوم على تصور معكوس تماما للاسلام وعلى تجاهل تام للبواعث الحقيقية للمسلمين فى المانيا ، وهى بواعث دينية بحتة وليست بواعث سياسية . والاسلام دين السلام وليس دين الارهاب وقد أثبت باستمرار سلمه وتسامحه وانفتاحه خلال تاريخه الطويل . ومن أجل ذلك فان الاسلام لا يساند الارهاب بأى حال من الأحوال فى أى شكل من أشكاله سواء كان هذا الارهاب من جانب المسلمين أو ضدهم .

ويشير (Heinz Metlitzky) الى أن هناك أسبابا سياسية للحملة ضد الاسلام ، ويقول فى مقال نشر فى شهر مايو من العام الماضى (٢) : « .. فى نهاية الأمر يراد للاسلام بوصفه قوة محافظة أن يلزم حدوده واذن فليس هناك أيضا اعتراف بالمسلمين كطائفة لها حقوق عامة مثل الحقوق التى للكاثوليك والبروتستانت واليهود ، وأيضا مثل الحقوق التى حصلت عليها فى الآونة الأخيرة طوائف أخرى مثل المعمدانيين وجيش الخلاص وغيرهما » . ويوضح ميتليتسكى بطريقة موضوعية البواعث غير السياسية التى يقوم عليها طلب الاعتراف ويقول : « يريد المسلمون هذا الاعتراف لانه بجانب المركز الأدبى الذى سيحققه هذا الاعتراف للطائفة الاسلامية سيجعل لها أيضا تأثيرا على تعليم الدين الاسلامى فى المدارس ويفتح أمامها الطريق الى لجان الاشراف فى المؤسسات العامة ، وبذلك يجعل لها تأثيرا على برامج الاذاعة والتليفزيون الموجهة للاتراك . ولا يرغب المسلمون فى أن تقوم مكاتب الضرائب بتحصيل أية ضرائب دينية لهم لأن هذا — فى نظرهم — أمر لا يتفق مع الاسلام . وكهيئة لها حقوق عامة يستطيع المسلمون من الناحية النظرية أن يعقدوا اتفاقا مع الدولة حول تحصيل هذه الضرائب . وقد رفض المسلمون منذ وقت قصير فى أحد برامج التليفزيون المركزى الالمانى أن تقوم الدولة بتحصيل أية ضرائب لهم » .

وهناك أيضا أقوال أخرى هى فى جوهرها أكثر تعقلا وأكثر بعد نظر من تلك الأقوال المثيرة ضد الاسلام والتى سبقت الاشارة اليها . ومن بين هذه الأقوال المتعلقة ما يقوله الأب يورجن مكش (Miksch) عن ضرورة مساعدة أولئك المسلمين الذين لا يدعون للحرب المقدسة ضد الغرب (٣) .

ولكن الحديث عن الحرب المقدسة ضد الغرب هو — فى حقيقة الأمر — حديث

1) Vorwaerts, 31.1.80.
2) Rheinischer Merkur, 2.5.80.
3) Frankfurter Rundschau, 8.2.80.

لا يستند الى الواقع • ويبـدو للأسـف أن الجانب الالمانى لا يزال ينظر الى حل المشكلة فى استمرار اضطهاد الإسلام فى تعصب ظاهر بدلا من الأخذ بموقف ايجابى ازاء الجماعات الاسلامية التى أبدت اسـتعدادها للتعاون المشترك •

وفى ٣٠/٦/ ١٩٨٠ م نشرت احـدى الصحف (١) خطابا لأحد القراء وهو طالب فى جامعة ماربورج يدرس علوم الأديان وآداب الهند وآداب الاتراك • ويقف هذا الطالب فى خطابه فى صف مطالبة الحكومة الاتحادية بالاعتراف بالاسـلام ، لأن هـذا الاعتراف سيتيح امكانية انشاء مؤسسات عامة للتثقيف والتدريب وامكانية الاشراف عليها أيضا بهدف تخريج مدرسين أكفـاء لتدريس الـدين الاسلامى • وجاءت الاجابة على هذا المطلب فى نفس الصحيفة بتاريخ ٢٢/٧/١٩٨٠ م بـأن الاسلام يشكل خطـرا كبيرا على النظـام الأساسى الديمقراطى الحر فى المانيا الغربية• فالاسلام مثلا يتناقض مع الدستور برفضـه للمساواة بين الرجل والمرأة •ومن أجـل ذلك فانه لا يمكن أن يتصور حصول الاسـلام فى المانيا الغربية على حقوق عامة • وتعقيبا على ذلك يمكننا أن نقول : ان النظرة الفاحصة لهذا الموضوع تبين لنا ان القضية ليست هى قضية الخطر المزعوم الذى يشكله الاسـلام على النظام الاساسى الديمقراطى الحر فى المانيـا الغربية ، وانما القضية هى ــ كمـا يقـول السيد/ عبد الله أيضا ــ ما اذا كان المجتمع الالمانى حرا بدرجة كافية لكى يضمن للأقليـة الاسلامية انطلاقا حـرا لقـواهم العقليـة وملكاتهم الفكرية ومدى استعداده لكى يحترم مالهم من خصـائص دينيـة وحضـارية واجتماعية • وهذا أمر يتطلب سلفا أن يطرح المرء فى المانيا الغربيـة وراء ظهره الأوهـام والأحكام المسبقة عن الاسـلام والتى ظلت منتشرة قرونا طويلة • ومثل هذا الاسـتعداد سيخرج الأقلية الاسلامية من الحلقة المفرغة من انعدام الثقـة والخـوف ، وبذلك ينفتح الطريق أمام الأعداد الغفيرة من الأطفـال المسلمين للاندمـاج فى المجتمع الالمانى (٢) • ومثل هذا الاستعداد سيعطى أيضـا فرصـة للسلام لكلا الجانبين •

ولكن لابد فى النهاية من أن نعترف بالحقيقة التالية : فى حين كان الاسلام يبدو للمسئولين الالمان فى بادىء الأمر على أنه لا وجود لـه أصلا وأنه يمثل حركة معـادية فان الكنيسـة الكاثوليكية تسعى الآن لاتخاذ موقف ايجابى ازاء الاسـلام • فالمسلمون ــ كما تقـول سكرتارية الفاتيكان المختصـة بشـئون غير المسـيحيين (٣) ــ « هم رفقـاء نريد أن نشاركهم بوصفهم أصدقاء متساوين معنا أعز ما نملكه فى وجودنا » وهـو الايمـان بإلـه واحد •

1) Frankfurter Rundschau.
Allgemeine Zeitung, 13.3.76.

2) Wanzura, 1.c.
3) Frankfurter

ومشكلات المسلمين

وعلى الرغم من كل الصعوبات والملاحقات المتعصبة فان المسلمين فى المانيا الغربية مستمرون فى الكفاح باصرار من أجل حقوقهم وممارسة شعائر دينهم والاعتراف بالاسلام . وهم ليسوا حركات متطرفة تريد أن تعيد تشكيل المجتمع الالمانى طبقا لمعتقداتها وانما كل ما يهمهم هو تحقيق قيم ومطالب دينية أصيلة . وعلى الرغم من كل المعارضات (وربما من أجلها) فانهم يحققون أيضا باستمرار مكاسب فى مساعيهم للوصول الى اتحاد بين الطوائف الاسلامية المتفرقة . ومن أجل ذلك تم منذ وقت قريب فى مدينة دورتموند تأسيس اتحاد للطوائف الاسلامية فى اقليم نورد راين فستفاليا . ويضم هذا الاتحاد كلا من المركز الاسلامى فى كولونيا والطائفة الاسلامية فى دورتموند وجماعة المسلمين الناطقين بالالمانية فى اقليم نوردراين فستفاليا وجماعة نورد شولوك . وهذا الاتحاد « يمثل مصالح الطوائف المنضمة اليه أمام المؤسسات الحكومية والكنسية وكذلك أمام المجموعات الاجتماعية الأخرى » (١) .

وتبقى لنا فى نهاية هذه المحاضرة كلمة أخيرة ، وهى نداء نوجهه الى دول العالم الاسلامى لتتحمل مسئوليتها تجاه الأقليات الاسلامية فى دول العالم المختلفة وتستخدم مالها الآن من نفوذ فى السياسة الدولية لما فيه مصلحة هذه الأقليات . وهذا الاهتمام ليس أمرا ثانويا وانما هو واجب حذر النبى صلى الله عليه وسلم من اهماله حين قال :

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » . وقد عبرت عن هذا الاهتمام احدى توصيات المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية الذى عقد فى الدوحة فى شهر المحرم من العام الماضى (١٤٠٠ هـ) ، وقد جاء فى هذه التوصية ما يلى :

« يهيب المؤتمر بدول العالم التى توجد بها جاليات اسلامية أن تعترف بالاسلام ضمن الأديان المعترف بها رسميا فى مجتمعاتها وأن تكفل لمعتنقيه كافة الحقوق المقررة لأتباع الأديان الأخرى بما فى ذلك حقوق التعبد والتعليم والأحوال الشخصية وفقا لأحكام الاسلام » كما اتخذ مؤتمر القمة الاسلامى الذى عقد فى مكة فى الشهر الماضى توصية مماثلة .

ومثل هذه التوصيات لن يمكن ترجمتها الى واقع ملموس الا بالمواقف الايجابية الفعالة التى نامل ان تكون هى السمة البارزة للعمل الاسلامى فى العصر الحاضر .
والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .
أ. د. محمود حمدى زقزوق

1) Frankfurter Allgemeine Zeitung, 19.3.80.

وسائل إعداد

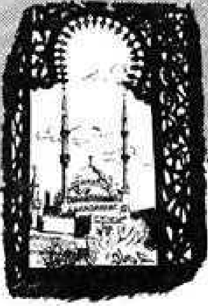

وسائل إعداد الداعية

مقدمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين .. أما بعد ،

فان حاجة الانسانية الى نور الفجر تشتد كلما لفها الظلام وحجبها عن سعيها . وكذلك تكون حاجة الانسانية أشد الى نور الحق كلما لفها ظلام المادة وانفصل الجسد عن الروح . وكذلك اذا انتشر الظلم تكون الحاجة الى العدل يرعى حقوقها ويصون كرامتها . وهكذا يبحث الانسان دائما عن راحة باله وهدوء سره ومنهاج حياته الذى يوصله الى طريق السعادة ويصله بالله عباده وبالناس تعاملا كريما . والانسانية لم تمر فى عصر من عصورها وهى تعيش على بركان الحمم الذى يوشك أن يقضى عليها كما هى الآن ذلك لان حضارة المادة سيطرت على النفوس وأيقظت فى الانسان نوازع الهوى وبسبب ذلك تقطعت روابط الاخوة والمحبة بين الناس . وسيطر الهوى الكذوب وحلت الانانية الجشعة محل التعاون . ان الانسان فى دنيا حضارة المادة ضائع بين سهر الليل وتعب النهار . شارد بعقله وراء لقمة العيش يسيطر عليه خوف فى يومه ثم هو يتوجس من غد لانه يتوقع الشر أكثر من يومه ان التقدم الحضارى والازدهار المادى والتقدم التكنولوجى لم يسعد الانسانية ولم تسترح فى ظلال كل هذه الاشياء لاننا نجد الضمير العالمى فى هيئة الامم ينظر الى قضايا الشعوب من خلال المنافع المادية التى تعود على شعب العالم أو صاحب الرأى فالمنفعة المادية حتى ولو كانت استغلالا للاخرين ولمقدرات الناس هى هدفه فهو يدافع عنها باعتبار ذلك لمصلحة بلاده ولو كان من وراء ذلك الموت للاخرين ان دوافع الماديين دائما ترتبط بمنافعهم ولذلك لم تسعد الانسانية فى ظل تلك المؤسسات . ثم نحن نرى أن وسائل الاعلام بمختلف أنواعها قد قربت المفاهيم وطوت المسافات وحطمت

الدعاة

للأستاذ منصور الرفاعي عبيد

الفوارق ومحت الزمن وأصبح من السهل أن تعيش فى مصر وتنظر الى أخبار أمريكا وتسمع أنباء موسكو وتعرف آخر مبتكرات اليابان فى وقت اذاعة الخبر هناك . لان القمر الصناعى بكل مقوماته ينقل اليك ما ترجوه . فأنت عندما تحرك مؤشر الراديو أو تقلب مفتاح التليفزيون أو تقوم بتركيب شريط الفيديو الذى يسترجع لك ما قدم من زمن ترى وتسمع ما تشاء كل ذلك يجعلنا نطيل الوقفة ونحن نتكلم عن وسائل اعداد الدعاه . لان هذا العصر هو عصر التطور السريع . والانسانية خلال كل ذلك يسيطر عليها الفزع والاضطراب والقلق لان عنصر الايمان قد فقد من حياتهم وعندما نتكلم عن الايمان نقصد به الايمان الذى يؤصل القيم الاخلاقية ليتحقق فى دنيا الناس العدل والحق والبر والصدق .. اننا فى حاجة الى دعوة صادقة تبدد ظلام الخوف . وتقيم دعائم الثقة فى نفس الانسان ليتحقق له مطالب جسمه وفضائل روحه .

اننا نريد أن ننشر الدعوة التى تبقى على الانسان سيدا فى الارض خليفة لمالك الملك لتتصل الارض بالسماء ويتدرج الانسان فى مدارج الكمال فيمشى على الارض بخلق السماء ويتطلع الى السماء بحسن السعى فى الارض .

وفى ظل ذلك يحيا الناس فى أمن وأمان ومحبة وسلام الكل يتمتع بخير الله الذى أودعه فى الكون . فهم جميعا شركاء فى ضوء الشمس ونورها كما هم شركاء فى الماء والهواء والكلام ثم بينهم تكافل اجتماعى فى الغذاء فالغنى يساعد الفقير لان فى ماله حقا معلوما للسائل والمحروم كل ذلك لتلاقيهم على فطرة

واحدة فهم أبناء أب واحد خلقه خالق الشمس ورب العالمين وهو الذى أرسل رسوله بالهدى ليظهره على الدين كله فالدين فطرة الله التى فطر الناس عليها فكما يتلاقون على الانتفاع بما فى الكون كذلك يتلاقون على كلمة الحق والعدل والاعتراف لله بالربوبية فاذا فهموا ذلك دخلوا فى عبادة خاشعة ودخول الناس فى العبادة ليعيشوا فى الكون مؤمنين بالله مستشعرين آياته فى خلقه تستمع آذانهم للسان الكون بذراته وهو يسبح بحمد الله الواحد وليس للكون ما يحفظ أمنه ويصونه وليس للسلام ما يدعمه ويرعاه وللامن ما يحقق أهدافه ويثبت دعائمه الا الايمان بالله والالتزام بعبادته والوقوف عند حدوده والخشية منه والاستعداد للقائه بذلك تصفو النفس فيأمن بجوارها الجميع ويردد الكل « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ » . وهذا هو مفتاح السعادة والاستقرار وهو الطريق الذى نعد له القادة الذين هم مشاعل الهداية للبشرية الحائرة فى وسط الصراع الرهيب وما على الانسانية الا أن تقترب من الدين وتخفى أطماعها وتبرز خصائصها الاصيلة من كرم النفس وسماحة الخلق وسعة الصدر ولين الكلام وحسن التفاهم فى ظل أخوة بارة ومحبة صادقة وساعتها تشبع البطون وتنام العيون بعد أن عملت الايدى لصالح الجميع والبشرية لن تفهم هذا الا من فم المصلحين والهداة المرشدين الذين يسيرون على هدى الله ويلتزمون بنهج رسوله الكريم فى توجيه الناس وارشادهم وتوجيههم الى فعل الخير بالكلمة الهادية الطيبة والموعظة الحسنة والتبصير بما يجب على الفرد أن يفعله والجماعة وواجبها للحفاظ على سلام البشرية وأمن الانسانية .

هل نحن مقبلون على عصر جديد ؟؟

سؤال يتردد فى فكر كل محب لخير الانسانية ولأمته ووطنه والدافع لهذا السؤال ما نراه من قلق على مصير الانسانية .

لان الدول المتقدمة الغنية تعيش فى رعب لذلك فهى تحاول أن تغرق أبناءها فى الترف المادى والبطش بالاخرين عن طريق سبق التسلح ثم فى الدول النامية قلق كذلك لما تعانيه من حرمان وما تحمله من أعباء فأنت ترى قلقا هناك من التقدم العلمى وقلقا هنا سببه الخوف من استخدام التقدم العلمى الذى أصبح سوط عذاب فى يد القوى فى مواجهة الضعيف .

عالمنا هذا يموج بالصراعات وكل شىء فيه آخذ فى الزيادة ــ العلم ــ المال ــ الانتاج ــ لقد أصبح الطعام ترفا لحيوانات مدلله بينما يحرم منه بعض البشر ويموت كذلك أطفال من قلة الطعام . لقد أصبح من ثمار العقل الانسانى وكشوفه المستمرة أن جعل من خيرات البر والبحر والسماء أسلحة خطيرة فى يد تجار الحروب .

ان المادة الغشوم تتوعد الانسان فى ليله ونهاره بالحرب المدمرة والظلام المسيطر . لقد سلبت الحضارة المادية قوت الانسان وتركته طريد بؤس وعبد شقاء ثم انطلقت المادة باسم القوم فى تجربة أخرى حيث أشاعت بغبارها

الموت البطيء لا للانسان فحسب ، بل للانسان والحيوان والنبات ومن وراء ذلك فتت الجماد ـ قنابل ذرية ، صواريخ عابرة للقارات ، وأين أخلاق القوم ؟ انها وضعت فى مخازن البارود ومن هنا فالانسانية اليوم يغمرها طوفان الهوى وتلاحقها أمواج الباطل فى ظل الحضارة المادية .. فما هو العنصر المفقود الذى يجعل العلم والمال والانتاج لخيرات الانسانية تسعد بها كما تسعد بشعاع الشمس وضياء القمر وجريان الماء وجمال الزهور وتغريد الطيور .

ان هذا العنصر هو الايمان بالله ، ورسله وكتبه المنزلة ، واليوم الآخر ، والحساب والجزاء .

ايمان بالاخوة الانسانية ، ايمان بالحرية والعدل والسلام ، ايمان دعا اليه كل نبى ورسول ، وهتف بلغته الصالحون واستشهد فى سبيله الابرار الاتقياء ، ايمان يتردد من فوق المآذن ويسرى صداه من بيت الله الحرام أول بيت وضع للناس ليكون لهم سفينة نجاة فى الارض « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ » . هذا الايمان عريق فى الانسانية لانه نزعة فطرية بل هو روحها الذى بدأت معه نشأتها الاولى .

أنت وأنا وكل انسان ، أبدعته يد الله الذى خلقه من طين لازب ثم نفخ فيه من روحه فاستوى بشرا سويا واستخلفه وذريته فى الارض لينظر كيف تعملون بهذه النفحة التى صارت بين جوانحك نورا كرمك الله بها على جميع المخلوقات والنور يدعوك دائما الى حب الانسان وتكريمه لا عصبية للون ولا لجنس لاننا كلنا أخوة لاب واحد : هو آدم والام حواء يقول الله سبحانه : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » وكذلك « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » ، وجاء فى اعلان حقوق الانسان الذى أقرته الامم المتحدة عام ١٩٤٨ (يولد الناس أحرارا متساويين فى الكرامة والحقوق وكلهم قد وهب الرشد والضمير ، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح من الاخاء لكل انسان الحق فى الحياة والحرية والامن الشخصى من خلال هذا ترى أن الانسان الذى منحه الله الروح وأضفى عليه نعوت الجمال ووهبه ملكة التفكير والحرية يرى هذا الانسان أن عنصر النجاة فى هذه الحياة المضطربة هو الايمان بالله الذى أحسن كل شيء خلقه وأودع فى كل شيء مقوماته ، وجعل انسانية الانسان هى التى تسيطر على كل شيء ، « سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً » ولهذا يقول الحق «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ » فاذا أفاض الله على الانسان بالمال فعليه أن يرعى حق الله فيه يمد يد العون ويسهم فى كل تقدم يخدم قضية الايمان ويحقق على الارض الامن وينشر فى

وسائل إعداد

ربوعها السلام ولهذا قال الحق عقب الآية الماضية «إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ • وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ • وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ» •

لذلك فان الانسانية مقبلة على عصر جديد من السلام والامان اذا هي ركبت سفينة الايمان فان اليأس يطرد من قلبها والطمأنينة تستقر في النفوس والاحداث تبنى الانسان ولا تهدمه لانه يعتمد على الله الذى يؤمن به ربا خالقا قادرا له ملك السموات والارض وما بينهما وهو على كل شيء قدير • ولقد أراد الحق سبحانه أن يجعل في تاريخ الانسانية سفينة نجاة تجرى بالمؤمنين في موج كالجبال وتوصله الى بر الامان ليعرف الانسان قدر الايمان بالله الذى ينجيه من المهالك ويدرك أن الطبيعة زمامها بيد الله الذى لا يقع في ملكه الا ما أراد ولكنه سبحانه يقول «وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً» ويقول «وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ» •

وقيام الامر على هذا يجعلنا نتقبل الحياة بكل ما فيها مع الاخذ بعزائم الامور والسير على حسب نهج الله والانطلاق في الآفاق للبناء والتعمير وفق شريعة الله لان امره الينا «فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ» • ذلك لان الحياة الدنيا تمهيد لغاية سوف نرحل اليها ان عاجلا أو آجلا ويومها تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود أن بينها وبينه أمدا بعيدا ، وكذلك «**ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا**» ولم أر جمعا توجه الى غاية واحدة فتوحد قصدا واتجاها وعملا مثل ركب المؤمنين المتوجهين الى الله فالجلال يحف بهم والبهاء في مقدمتهم «يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم» •

لذلك فركبهم تخشى ذئاب الهوى أن تقترب منه وتأبى نوازع الشر ان تنزل بساحته • لان الايمان بالله أيقظ ضميرهم فهم يقولون الحق ويعدلون به مع الصديق والعدو يوفون بالعهد ويجيرون من استجار بهم حتى يسمع منهم كلام الله ثم يبلغ مأمنه بلا أذى ولا اكراه وشعارهم «وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ» • ان الايمان بالله يربط بين معتنقيه برباط وثيق يجمع ولا يفرق يشيع الايثار والحب والاخاء ويقضى على عوامل الاثرة والبغض والحقد فمن قول نبيهم «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه» وهذا هو العصر الذى ندعوا اليه • عصر الايمان بالله الذى يدعو الى حفظ انسانية الانسان ورعاية حقوقه ويجعل الحياة ندية بيقظة الضمير وخشية الخالق • فيسعد هو بصلته بربه ويسعد الخلق لانه كف أذاه

عن الناس وسلموا من لسانه ويده وأمنه الناس كذلك على دمائهم وأموالهم وأعراضهم . وهذه الساحة الربانية الهدف تدعو الناس جميعا الى الدخول فيها ليسعدوا تحت لواء الخير الذى ينشره الله على المؤمنين «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» وقضية الايمان بالله فى الدين الاسلامى ليست بمعزل عن الحياة تصاغ فى نظريات فلسفية أو كلمات مبهمة لا يفهم معناها ولا يدرك مغزاها . أو أن ذلك الايمان يدعو معتنقيه الى رهبنة وعزلة عن المجتمع والتنكر لغرائز الانسان . لا .. فالايمان قواعده سهلة ميسرة وكلماته واضحة لا تعرف الالتواء ولا الغموض . يقول الحق سبحانه : «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ» . فقضية الايمان كذلك تدخل الى حياة الفرد . مع نفسه . والاسرة . والمجتمع . والانسانية بأسرها قضية الايمان هى أن يتسق الانسان مع هذا الكون فيقوم بعمله فى المصنع : الاتقان والاحسان ويقظة الضمير وفى الحقل بالجد والاجتهاد وفى المعمل بالابتكار لكل ما يخفف آلام الانسانية ويسهم فى بعد شبح الخوف عن مجتمعها كل ذلك يسبقه ويتخلله ويعقبه . صلاة لله فى محراب العبادة تضفى عليه سكينة النفس وراحة البال وهدوء الاعصاب وشعوره بالانتماء الى بنى جنسه . فيصون بذلك فرجه بزواج كريم لتستمر الحياة فى مسيرتها ويعيش مع الناس عفيف العين بار اليد طاهر اللسان سليم القلب وهو كذلك فى السلم والحرب قوى العقيدة ثابت اليقين . شعاره فى النصر ما قال الحق : «الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ» وفى السلم : «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» .

لذلك ندعوا الانسانية والعقلاء منها أن يحكموا عقولهم للوصول الى الحق لتنعم الانسانية فى ظلاله وتجد نفسها تحت لوائه وتنعم بخير الوجود .

الداعية

ولعل قائلا يقول . ما لتربية الداعية وهذه المقدمة . ونبادر فنقول . ان من نافلة القول أن نقول انه لابد للامام أن يعيش زمانه ويتعرف على ما يجرى حوله وأن يكون واسع الافق ـ دائرة معارف ـ ثم يدرس مشاكل بيئته ويتعرف على لهجاتها وأفكار قومه وما يسيطر عليهم من مذاهب ويتحكم فى سلوكهم من دوافع . لان مهمة الامام ان يعبر بالناس دنياهم ليصلهم بالله ويشدهم الى القيم الاخلاقية ويؤصل فيهم نوازع الخير ويدفع بهم الى كل عمل اجتماعى يخدم البيئة ويربط بين الجميع برباط الاخوة الصادقة

والمحبة الطاهرة والايثار . ولن يتمكن الامام من ذلك الا اذا أحاط بظروف البيئة اقتصاديا واجتماعيا وفكريا ليقوم بالدراسة الكاملة المستفيضة فيسهم من وراء ذلك الفهم بحل المشاكل ونشر الامن والسلام واحلال التعاون فى نفوس الجماهير .

الاسلام :

هو رسالة الله الى الانسانية منذ درجت على الارض الى أن ختمت الرسالات على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصبحت الرسالة كاملة لا نقص فيها ولا خلل ولا اضطراب . وصلاحيتها لكل زمان ومكان والوصول الى الكمال من الطبيعى أن يتم بالتدرج لهذا سبق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنبياء لكن رسالتهم كانت محدودة الزمان والمكان ثم كان من رحمة الله وفضله أن استوعبت رسالة الاسلام الخالدة الخاتمة أصول الرسالات السابقة . لذلك فهى تتحدث عن الرسل الذين حملوا الرسالة قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتصفهم بأنهم جميعا يأخذون من مشكلة واحدة ودعوتهم واحدة لانهم يدعون الى الايمان بالله الواحد الاحد . وتعد الايمان بهم أصلا فى الايمان بها . قال الله تعالى : « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ » . وقال سبحانه : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ » . والاسلام هو الدين الذى ارتضاه الله للناس جميعا وللعالمين « تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا » . وهذا الارتضاء تمكين لخلافتهم فى الارض وتيسير لضروراتهم ووفاء بحقهم وتكريم لانسانيتهم واشاعة للحق والعدل فيما بينهم « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » . لذلك كانت الفرقة فى الدين من صنع الاهواء واشباع الرغبات وهذا يبرأ منه الانبياء لذلك جاء فى القرآن الكريم « إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » . وعلى كل مصلح كذلك أن يدعو الى الوحدة وينفر من الفرقة . كذلك لابد من ابراز دور الدجالين الذين يكتبون الكتب بأيديهم ويقولون هى من عند الله ليشتروا بها ثمنا قليلا . وكذلك من يلحد فى آيات الله ويلوى زمام الكلمات ليخرج بها عن مقصودها ومغزاها وما لنا نذهب بعيدا واليوم لا يفرق الناس بين الكثير من الكلمات ومعانيها مثل — خول — وعلق — — وخدوجه التى أطلقوها على غير أصولها ومدلولها وجرت على ألسنة العامة والخاصة . واذا قلنا ذلك فان علينا أن نبرز دور الاستعمار وكيده المستمر وتحطيمه للغة الامة المغلوبة التى

يسيطر عليها حتى يكون هناك اندماج فى ثقته وبالتالى التعاطف معه ليبقى كما هو يستنزف أموال وخيرات تلك الشعوب . كذلك لا يغيب عن بالنا دور المستشرقين والمبشرين وأساليبهم والكيد المستمر لدين الله الخالد .

وقفة لابد منها :

ربما يتبادر الى ذهن انسان ما أن الاسلام لا يقر التطور والتقدم وانه قد يقف امام الانتاج التليفزيونى والسينمائى وما شاكل ذلك معارضا وانه يعلن الحرب عليه بلا هواده وانه ضد وسائل الاعلام جميعها **والحقيقة** – لا – لأن الاسلام هو دين الانسانية الذى يتلاءم مع كل عصر ومكان لذلك فهو لا يصطدم مع التطور أبدا وانما يدعو الى ترشيد وسائل الاعلام خاصة التليفزيون والسينما ولما كان للكلمة المرئية والمسموعة والمقروءة من أثر فعال فى نفوس الناس كان الواجب علينا فحصها بدقة وحذف الهابط منها والابقاء على الجيد وعلينا أن نعمل على تهيئة المناخ الكريم لاذاعتها أو كتابتها . ان الاسلام هو دين العلم حث أتباعه على البحث والتنقيب فى العلم المادى والروحى ليرعى الانسان جانبيه – جسده .. وروحه .. والعلم فى الاسلام يصون النفس أولا من غوائل الهوى ويعصم الفكر من الغرور . ثم هو يدعو المسلمين الى العلم المادى كذلك مصحوبا بالاخلاق والقيم الكريمة فالايمان بالله عن طريق التأمل والتفكر واقامة الدليل العقلى وهو يذكرنا بالآيات المنتشرة فى الكون والتى تعود علينا بالمنفعة وفى هذا جاء قول الحق : « **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ** » وقوله سبحانه : « **أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ** » والاسلام وهو يحث أتباعه أن يتعلموا فانهم يعترفون بجهد السابقين وينطلقون الى المستقبل ويترتب على ذلك أن نأخذ من السابقين لتستعين به وتبنى وترتفع بصرح العلم .. « **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** » « **قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** » ان الاسلام وقد أعلى قدر العلماء الذين يؤصلون القيم وينقبون فى طبقات الارض ويستخرجون الكنوز كل فى مجال تخصصه هؤلاء يقول الله فيهم « **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** » وفى الاثر اطلبوا العلم من المهد الى اللحد « **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** » ومن هذا انفهم انطلق المسلمون الى المعارف بشتى انواعها فأسسوا حضارتهم والذى يقرأ العلم يقف على

جهود ظافرة ويبصر دعائم حضارة مادية ومعنوية شامخة أتت أكلها وأثمرت بالخير وهي تفي لدنيا الناس بالامن والطمأنينة والسمو والرخاء وتحملهم الى أخرتهم على ضوء أعمالهم من خير الى نعماء ان هم أحسنوا الاخذ بتوجيهات الاسلام . لقد نعم الفرد وسعدت الجماعة في ظل العلم الذى وجه اليه الاسلام ـ علم يخدم الجسد .. ويفي للروح بمطالبها ـ أما اليوم فقد وصل الانسان الى القمر وامتطى الريح وسخر المادة ولكن هل جلب كل ذلك له السعادة التى يبحث عنها .. لا .. لأن الانسان الذى يرى الدنيا غايته لابد أن تتحكم الدنيا بشهواتها ومادياتها في سلوكه فلا يرى من أمره الا التنافس عليها وأصبح ما طلبناه خدمة للانسان هو سبب شقائه . ولو عقل هذا الانسان لعلم أنه جسد وروح وأن الدنيا ستعقبها آخرة وأن الموت بعده بعث والبعث بعده حساب وجزاء ومن هنا يحدد الاسلام غاية الانسان الذى ان كان عظيما عظمت غايته .. وغايته هى التى تتحكم في سلوكه وسعيه .

ولما كانت الغاية . الى ربك الرجعى . كان على الانسان أن ينطلق في حياته وعلمه من هذا المنطلق وهو في سعيه سيبنى ويعمر ويعمل بجد واجتهاد ويتسلح بالعلم والمعرفة لأن الاوامر تصدر اليه باسم الله وهو ينفذها بطيب نفس وسخاء يد ونزاهة فكر وطهارة قلب يبذل جهده ويعمل بيده ويستمر في عطائه لأنه يشعر بالانتماء الى مجتمعه وأنه ان حرم الجزاء في دنيا الناس فلن يحرم من ثواب الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا .

ان الاسلام يقدر قيمة العلم والعمل وفى نفس الوقت لا يبخس الناس قدرهم ولا يحرمهم من الثواب العاجل ليشعر الانسان براحة النفس .

الأستاذ / منصور الرفاعى عبيد

دراسة في الخدمة الاجتماعية

من القرآن الكريم والسنة الشريفة

أهمية الخدمة الاجتماعية

للأستاذ محمد أحمد بدوى

كثر تداول هذا الاصطلاح فى الصحافة والتاليف والتشريعات العمالية والضمان الاجتماعي والهيئات الاجتماعية ، وعلى ألسنة الناس ، وتم انشاء مدارس عليا وكليات للخدمة الاجتماعية فى أنحاء العالم ، ويخيل للناقد ان الخدمة الاجتماعية من مبتكرات العصور الحديثة ، وانها اعلى ما وصل اليه حب الخير للناس ، والأخذ بيدهم بطريقة علمية منظمة . لكن الأمر على خلاف ذلك - ولو على الاقل - فيما يختص بالاسلام .

ما هى الخدمة الاجتماعية ؟

هى مجموعة الجهود التى يبذلها الافراد والجمعيات الاهلية والدولة التى ترمى الى :

(أ) اسعاف الحالة المحتاجة الى المساعدة ، واغاثتها اغاثة عاجلة .

أهمية الخدمة الاجتماعية

(ب) علاج الحالة علاجا يستمر أثره بعد ذلك .

(جـ) مساعدة وقائية لمنع الحالة من الانتكاس ، أو منع مثلها من الحدوث .

ولنضرب مثلا بحالة عامل أصيب فى مصنع أما الاسعاف فاعطاء أسرته المساعدات السريعة من مال أو عينات تموينية ، ويأخذ الاسعاف الطبى طريقه أيضا بواسطة الحكومة أو الهيئات الأهلية . أما المساعدة العلاجية فهى اكمال معاش العامل من الحكومة أو التأمينات الى الحد الذى يكفى أسرته ، وتأهيله لعمل آخر . أما المساعدة الوقائية فتتمثل فى وقاية للآلات أو تدريب العمال على الوقاية أو اعطاء كميات من الأغذية أو الادوية فى بعض الصناعات . وأعمال ما فى الأسرة من امكانيات كتدريب البنين والبنات على بعض الصناعات ، أو المضى بتعليمهم الى ما يؤهلهم لهم ذكاؤهم وقد راتهم .

فلسفة الخدمة الاجتماعية : —

هى اجابة على السؤال الآتى : — ألا تكفى الخدمات الحكومية العادية فى تحقيق الاسعاف والعلاج والوقاية لمثل الحالة المفروضة ؟ ان النظم الحكومية عامة — حتى فى أحسن أحوالها — تصلح لافادة الأحوال العادية ، لكن توجد حالات خاصة تحتاج الى توصيل خدمات الحكومة التى تقصر بطبيعتها عن الوصول اليها ، فقد يتأخر صرف المعاش لسبب أو لآخر ، وقد لا يكفى المعاش الحكومى لكبر حجم الأسرة ، وقد يطول المرض ويستنفد الاجازات التى بأجر ؛ فليس للمساعدة قواعد ثابتة لا فى نوعها ولا فى كميتها أو كيفيتها .

ومما يساق مساق الاستدلال على مرونة الخدمة الاجتماعية وتنوعها ، وقصور الخدمات الحكومية عن توفيرها أن أسرة كبيرة العدد لم يكن لمشكلتها علاج سوى أن تحضر لها جمعية من جمعيات الخدمة الاجتماعية سيارة يذهب بها هو الى عمله ، وأولاده الى مدارسهم . وقد وجدت الجمعية أن هذا أفضل من تأجير منزل له فى المدينة ، أو مساعدته ماليا بانتظام على الانتقال اليومى . ومن فلسفة الخدمة الاجتماعية أن المساعدة بالمال أقل وجوهها فائدة فى أغلب الحالات .

موضع الخدمة الاجتماعية من فروع علم الاجتماع : —

كعادة كل علم فى الانقسام والتفرع كلما كثرت فيه المباحث وتنوعت — تفرع علم الاجتماع الى الفروع الكبرى الآتية : —

علم الاجتماع النظرى : الذى تفرع بدوره الى فروع كثيرة ؛ وهو يدرس المجتمعات والظاهرات الاجتماعية دراسة وصفية تقريرية ترمى الى اكتشاف القوانين التى تحكم هذه الظاهرات — والظاهرات الاجتماعية هى كل ما يترتب على معيشة الناس فى جماعة من ألوان النشاط الذى يكفل — أو يحاولون به أن يكفل — لهم حياة سعيدة . ومنها كيفية تكوين المجتمع والجماعات التى تدخل فى تركيبه مثل الأسرة والهيئات الحكومية

والأهليــة ، ومنهــا النظم الاجتمــاعية من اقتصادية وســياسية وقانونيــة ومن عــرف وتقاليد . ومنها الأحوال التى تعترى الجماعات من فقر وبطالة وجريمة .

ومن القوانين الاجتماعية التى سبق اليهــا القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فهــذه صيغة لم تصل الى دقتها صياغات فلاســفة علم الاجتماع بل لم تتم لها معرفة ولا صياغة أوربية الا فى العصر الحديث .

علم الاجتمــاع التطبيقى : ويســتفيد من القوانيين الاجتماعية الالهية التى يكتشفهــا الغربيون بينما يعمى عنها أصحابها الاصليون ، يستفيد منها فى التخطيط الاجتماعى العــام ، واصلاح ما يختل من النظم الاجتماعية مثــل رسم خطة وقائية من الامراض ومثل خطــة لنشر التعليم أو للتصنيع الريفى .

الخدمة الاجتمــاعية : ــ وتعنى بتطبيق السابق من الخطط العامة ، وتطويعه للحالات الفردية وتوفير الخــدمات للحــالات التى لا يمكن للتخطيط العام أن يصل اليها .

والآن نسأل : ما مــدى اســهام العلــوم الثلاثة ، وما مدى تعاونهــــا فى الحــــالات الجزئية ؟ وبالذات فى حالة هــذا المصــاب ؟ الاجتماع النظرى وصل الى القــوانين التى تحكم الأسرة مثل : (الأسرة قوام المجتمع قوته من قوتها وضعفه من ضعفها ، والرجــل كان ولا يزال وسيظل عماد الأسرة) ويشترك علم الاجتماع التطبيقى برســم خطط عــامة للمحافظة على الأسرة من الانهيــار ، وتأهيل المرأة أولا وبالأساس ــ أو مع أى تأهيل آخر ــ لتربية الأبناء لأنهم الثروة الحقيقية للأمة دعك من البترول والفحم والحــديد ، وليس لليابان منها شىء ورأس المال الفعال هناك هو الشعب وانتاجه . والعامل الذى نشىء بتربية صحيحة يستطيع أن يحــافظ على نفســه من الاصابة بتعوده على اليقظة وعدم الاهمــال وتعوده على بذل الجهد فى الانتاج ، ويستطيع أن يتكيف بسهولة بتأهين جديد بعد الاصابة . أما الخدمة الاجتماعية فهى تذلل كل الصعاب أمام توصيل الخدمات الحكومية والأهلية الى الحالة ، وكشف امكانات الأسرة وتشــغيلها لتنهض الأسرة بعبئها دون حاجة لمســـاعدة خارجية .

أقسام الخدمة الاجتماعية : ــ

(أ) الخدمة الاجتماعية الفــردية : ومعنى الفردية هنا أوسع من معناها اللغوى ، اذ قــد يكون المحتاج فيها فردا أو أسرة . وســميت كذلك لأن الباحث يبحث كل حالة من الحالات التى يوكل اليه بحثها على حدة لمعرفة جميع العوامل التى تحيط بها ، واكتشاف الامكانات التى يمكن أن تخــرج الى حيــز العمــل . ولا يلجأ الأخصائى الاجتماعى الى الامكانات الخارجية الا بعد أن ييسر لكــل امكاناتها أن تعمل ، وهذا من أدق نواحى فلسفة الخــدمة الاجتماعية ، وهو ما سيظهر للاسلام فيــه سبق فضل كما سيلى .

أهمية الخدمة الإجتماعية

(ب) خدمة الجماعة : هى العمل التربوى الشامل الذى لا يقتصر على ناحية واحدة من نواحى التربية : الجسمية والعقلية والخلقية والمهنية ، وهى عمل الأخصائى الاجتماعى فى مجموعة من الأطفال أو الشباب فى ملجأ أو ناد اجتماعى أو مجلة اجتماعية أو مدرسة .

مناهج بحث التراث الاسلامى

وقبل بيان أصول الخدمة الاجتماعية ومصادرها الاسلامية ، أرانى بحاجة الى بحث المناهج التى تستخدم فى بحث التراث الاسلامى والتنقيب عن كنوزه ، ومراحل تطورها .

للمشتغلين ببيان روح الاسلام ونصوصه ، وتطبيقاتها العملية فى عالمنا المعاصر لصلاح ديننا ودنيانا مناهج تطورت فى مراحل ثلاث هى : —

المرحلة الأولى : — مرحلة استخدام المقاييس التقليدية فى عرض هذا التراث بسرد محاسن الاسلام وما فيه من كنوز بالعناوين المذكورة فى كتب الحديث والفقه (عدا البخارى ففيه أصالة ومعاصرة) ومن أشهرها وأوفاها بالكنوز الاجتماعية رياض الصالحين للنووى . وتذكر هذه الدراسات أخطر المبادىء وأقواها لصلاح الدين والدنيا تحت عناوين ثابتة لا تستهوى المتعلمين تعليما مدنيا حديثا ، عناوين قد فقدت رنينها وبريقها الذى كان لها فى عصر تأليفها . فبجانب الزكاة والصدقة والاحسان ، تذكر فضل تشميت العاطس وفضل دخول المسجد والمنزل بالرجل اليمنى أعلى ما يؤثر فى كيان الأمم والجماعات بجانب الآداب والمندوبات ، وفى كل خير ولكن الخير فيها متفاوت . والعناوين التقليدية تبعد القارىء الحديث عما يندرج تحتها مما هو مساو للجديد أو هو أحسن منه .

وقد قاسى الاحسان من هذا المنهج لارتباطه فى أذهان الناس بالتسول للآخذ والتعالى للمعطى ، ولأنه وسيلة لاغراء الناس بالكسل ، بينما يندرج تحت هذا العنوان مبادىء خالدة ، وطرق للخدمة الاجتماعية تفوق ما يفتخر به الغربيون الآن .

المرحلة الثانية : تحت الحاجة الى استقطاب المتعلمين تعليما مدنيا ، والذين استهوت كثيرا منهم مدنية الغرب وعلومه — ولهم العذر — ، استخدم الغيورون على الاسلام لغة العصر ومقاييس الغرب . وتتلخص المنهج فى عملية استخراج لآلىء النظم الثمينة المختفية فى غالات كثيفة من الاصطلاحات والعبارات التقليدية ، وكثيرا ما تكون فى غير مواضعها التى يسبق للذهن وجوده فيها وفى كتب تبعد أسماؤها عن مسمياتها . ، وابراز هذه اللآلىء بلغة العصر .

وعلى المنتهجون لهذا المنهج — وأغلبهم من المثقفين بالثقافة الغربية ، ثم أضافوا اليها تثقيفا ذاتيا من المنابع الدينية التقليدية . عنى هؤلاء بالتماس التشابه بين هذه اللآلىء وبين ما درسوا من علوم الغرب ونظم الغرب . فاذا وجدوا تشابها بين الشورى فى الاسلام

وبين الديموقراطية ، قلنا : ديموقراطية الاسلام ، واذا درسنا حديث : (من كان عنده فضل ظهر ، فليعد به على من لا ظهر له .. الخ) قلنا اشتراكية ، وكتبت كتب تحمل هذه العناوين ، واذا درسنا حرمة الملكية فى الاسلام ، قلنا رأسمالية الاسلام ، واذا اكتشفنا أن الاحسان فى الاسلام ليس هو الاحسان بمعناه الضيق والذى نخاف منه ، قلنا : الخدمة الاجتماعية فى الاسلام أو التكافل الاجتماعى فى الاسلام .. ويجدر بنا هنا أن نشير الى أن هذا المنهج أكثر تقدمية من سابقه ، وأنه قد حقق فوائد كبرى ، اذ قرب ــ مع عوامل أخرى ــ شبيبتنا من الدين ، وعطف الى حقل الدراسات الاسلامية أناسا كانوا بعيدين عنه ، بل كانوا محادين له ، وقد مهد هذا المنهج للمرحلة الثالثة .

المرحلة الثالثة : وهى مرحلة اكتشاف مقاييس خاصة بنا وقوالب من تراثنا ، نستطيع أن نصوغ فيها ما نخلصه من تبر تراثنا المطمور فى الكتب التى كان ذنبها أن اللون الاصفر من الأوراق كان هو المتاح لطبعها ، وهى مرحلة الدراسة العميقة الصابرة المجاهدة المنهجية فى المخطوطات المخزونة فى مكتبات أوروبا ومتاحفها متسربة من أيدى السفهاء منا ، وفيما هو فى أيدينا ولا ندرى بكل ما فيه والذى يتندر بكونه فى أوراق صفراء .

فالمنهج الذى يتبلر الآن فى الدراسات الاسلامية والذى اتضحت قسماته ، انما هو لاظهار ما فى تراثنا من أصالة وابتكار وتقدمية فى النواحى الاجتماعية من اقتصادية وسياسية وتشريعية والذى به ستكتمل ذاتيتنا الخاصة بنا ، والذى به سيتحقق استقلالنا الفكرى .

وقد ظهر بهذا المنهج مبتكرات اسلامية كثيرة ، ومبادىء وقواعد وتشريعات ، قد تشابه ما عند الغرب ، وقد تخالفه ، وقد تفوقه ، فلا يزدهينا الفرح بما يشابه ، ولا نبتئس لما يخالف ، ولا نبطر بما يفوق .

وقد مضى بهذا المنهج ووضوحه والدربة على استخدامه الوقت الذى كنا نعتذر فيه عن تعدد الزوجات ، وعن الطلاق بما يكاد ينفى وجودهما فى الاسلام . أما اليوم فاننا نقول ــ وبقدرة على التدليل ــ أن التعدد والطلاق نظامان أكثر صلاحية للبشر من النظم التى تحرمها ، وقد تكون فى هذه المرحلة أطار واضح السمات هو أن الاسلام نظام شامل للحياة فى كل نواحيها ، وطوع لنا الوصول الى هذه المرحلة اعتزازنا المنهجى بتراثنا وقوميتنا اعتزازا علميا يمتاز عن الاعتزاز الأجوف الذى عشناه زمنا . لقد أصبح اعتزازنا بالتراث مبنيا على منطق قوى ، وبراهين عقلية ذات كفاءة عالية ، وقد أصبح للتقدمية معنى جديد هو اظهار ما فى تراثنا من كل مبتكر وأصيل ، وتنميته والمضى به ومنه ، والأخذ من الثقافات

أهمية الخدمة الاجتماعية

الأخرى بما هو مفيد . وأصبح للجامد والمتقدم معنيان جديدان • فالجامد هو من يجمد على القديم كله خيره وشره ، ومثله سواء بسواء من يجمد على الجديد كله خيره وشره ، وشر من الاثنين من يجمد على القشور من كل من الجديد أو القديم • واقصد بالقديم ما نحن عليه الان من عوامل التخلف ، والمنحدر الينا من العصور الوسطى • أما القديم بمعنى ما كان عليه السلف الصالح فهو الجديد القوى دائما ، وقد صار جديداً لطول عهد الناس بالانصراف عنه • أما الشخص المتقدم فهو شخص يجد فى القديم خيرا كثيرا فيكتشفه ويبقيه وينميه ، ويجد فى قديم العصور الوسطى شرا كثيرا فيهمله ويلغيه ، فهو فى الجرأة على الجديد الوارد ، وقديم العصور الوسطى على منهج سواء ، هو الشخص الناقد البصير الذى يأخذ عن بينة ويدع عن بينة •

منهج البحث فى الخدمة الاجتماعية فى الاسلام

هو مزيج من منهجين ، فهو يهدف من جهة الى اظهار المشابهة بين ما سبق اليه الاسلام فى ميدان الخدمة الاجتماعية وبين ما وصل اليه الغرب ، ويهدف من جهة أخرى الى تنمية مقاييس خاصة بنا ابتغاء اظهار السبق والابتكار والتفرد ، فقد سبق الاسلام الى كثير من أحدث ما وصلت اليه الخدمة الاجتماعية سواء فى فلسفتها أم فى وسائلها ، وتنوع ميادينها ، وشرع أنواعا منها ، وزاولها مما لم يصل اليه الغرب الى الآن •

وقد مشى الغرب طريقا طويلا شاقا محفوفا بالثورات والدماء ، ومملوءا بالحقد والبغضاء بين الطبقات حتى وصل بالتأمين الاجتماعى والضامن الاجتماعى والخدمة الاجتماعية الى الأوضاع الحالية • وقد تعثر الاحسان فى طريقه فى الغرب مدى قرون قبل أن يتبلر فى الخدمة الاجتماعية الحديثة • فقد كان أمره متروكا للافراد دون أى تنظيم ، واحتالت الكنيسة على ابتزاز الناس باسم الاحسان ببيع صكوك الغفران •

ثم جاء النشوئيون فسادت فلسفتهم فى المجتمع الغربى الى الآن ، وهوجمت فضيلة الاحسان ، وعدها النشوئيون وانتطوريون رذيلة ، والعجزة والضعفاء فى نظرهم لا يستحقون الحياة ، ثم استبدلت القوانين الوضعية بكلمة الاحسان كلمات الضرائب الاجتماعية ، وكان كل تشريع اجتماعى اما نتيجة لثورة من الثورات الدموية ، واما استجابة لأناس امتازو ببعد النظر ، وأدركوا الخطر الكامن فى حقد الطبقات الفقيرة والكادحة • فكل تشريع اجتماعى فى الغرب قد تم لم يكن مبعثه الكرامة الانسانية ولا الاخاء الانسانى •

ثم نشأت بعد هذه التشريعات وأثناءها فى أوروبا وأمريكا جمعيات خيرية وسعت أغراضها فى المساعدات ، واهتدت الى ان اعطاء المال للفقراء ليس هو المثل الأعلى للمساعدة ، والى أن ايجاد الاعمال لهم هو الأفضل ، وتوسع الغربيون فى مسئولية الدولة ، فبعد أن كانت

مهمة الدولة قاصرة على منع الاعتداء الخارجي والداخلى ، اتسعت مهمتها فصارت توفر الخدمات من صحة وتعليم ومرافق ، ووجدت التأمينات الاجتماعية وأنظمة الضمان الاجتماعى .

فلسفة الخدمة الاجتماعية ومبادئها فى الاسلام

نجد ذلك فى حديث نبوى رواه الامام أحمد فى مسنده . عن أنس بن مالك أن رجلا من الأنصار أتى النبى صلى الله عليه وسلم . فشكا اليه الحاجة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم . ما عندك من شىء ؟ فأتاه بحلس وقدح ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : من يشترى هذا ؟ فقال رجل : أنا آخذها بدرهم. قال : من يزيد على درهم فسكت القوم ، فقال : من يزيد على درهم ؟ فسكت القوم فقال رجل : أنا آخذهما بدرهمين . قال : هما لك . قال : ان المسألة لا تحل الا لأحد ثلاث : ذى دم موجع ، أو غرم مفظع ، أو فقر مدقع . ومما أحفظه ولا أتذكر مصدره أن الرسول صلى الله عليه وسلم . أمر الرجل أن يشترى بدرهم طعاما وبدرهم فأسا وأمره بأن يحتطب ولا يتسول .

فى هذه القصة فلسفة الخدمة الاجتماعية وعناصرها المذكورة فى أول المقال . فهنا أولا بحث الحالة التى تتقرر على ضوئه المساعدة ، والذى يفتخر به الغربيون ، ويعدونه من مبتكراتهم فى تنظيم الاحسان ، وهنا ثانيا اثارة الامكانات الموجودة لتعمل ، والطعام هو الاسعاف والاحتطاب هو العلاج والوقاية .

ثم وهنا أسئلة تشكل اجاباتها هيكل الاعجاز والاصالة والابتكار فى الخدمة الاجتماعية فى الاسلام ــ لم لم يترك النبى صلى الله عليه وسلم . المتسول يتسول ؟ لم لم يعطه صدقة ؟ لم لم ينصح أحد الحاضرين بمساعدته ؟ لم لم يقتصر على نهيه عن التسول ؟ لم نصحه بالاحتطاب ؟ لم وقف نفسه ووقته وفكره حتى باع الحلس والقدح ؟ ان الانسان ليحار حين يجيب على تلك الاسئلة ، ولكنه التناول الالهى الحكيم لمشاكل الانسان وكفى .

وقد تطور الاسلام بالاحسان فى مرحلتين :

المرحلة الأولى : الندب الى الاحسان باسم الاخلاق والرحمة التى أودعها الله تعالى قلوب عباده ولم يجعلها فى هذه المرحلة فرضا . وذلك تمكينا لهذه الرحمة من الازدهار والثبات والعمل اذ قرن البر بالتقوى ، فقال تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) وتوسع فى معنى البر ، فقال تعالى : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى

أهمية الخدمة الاجتماعية

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ..) .

المرحلة الثانية : باسم الحقوق المعلومة المقادير والأوقات والمصارف ، فقال تعالى : (فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) وفرضت الزكاة وفصلت حتى صارت نظاما كاملا لم يترك تفصيلا الا وفاه .

وتقرير الاحسان كحق من الحقوق سبق به الاسلام الغرب بقرون ، فان المساعدة الاجبارية على الدولة لم تتقرر الا فى نظم الضمان الاجتماعى والتأمين الاجتماعى الحكومى . أما التوسع فى دائرة المساعدات الذى يتسم به الطابع الحديث للخدمة الاجتماعية ، فقد سبق اليه الاسلام فى قوله تعالى : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ) وقوله تعالى : (وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ) يعبر عن جهات غير محصورة أدخل فيها الأئمة وجوه الخير من بناء الجسور والحصون والمستشفيات وجميع المصالح العامة للمسلمين . وقد توسع الاسلام فى مفهوم المساعدة فأدخل فيها المساعدات غير المالية . فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : من كان عنده فضل ظهر ، فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد ، فليعد به على من لا زاد له . قال : فذكر من أصناف المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل . رواه مسلم فى كتاب اللقطة .

الخدمة الاجتماعية الفردية :

لقد سبق اليها الاسلام ، فقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم . اعانة الصانع والصنع لمن لا يصنع بديلا من عتق الرقبة لمن لا يستطيعه ، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ــ كما روى الشيخان ــ أى الرقاب أفضل؟ قال : أنفسها عند أهلها ، وأكثرها ثمنا . قال السائل : فان لم أفعل ؟ قال : تعين صانعا أو تصنع لأخرق ، وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم . المساعدات البدنية والمعنوية من ضمن الصدقات التى يزكى بها الانسان عن عافيته وقواه العقلية ، فقال : على كل مسلم صدقة قيل : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : يعتمل بيديه ، فينفع نفسه ويتصدق . قال : قيل له : أرأيت ان لم

يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قال : قيل له : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : يأمر بالمعروف أو الخير .. الخ رواه الشيخان واللفظ لمسلم وقال أيضا : كل سلامى من الناس صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس . قال : تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ... الخ . رواه الشيخان واللفظ لمسلم .

الضمان الاجتماعى فى الاسلام :

روى الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ... أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم . فمن توفى من المؤمنين، فترك دينا ، فعلى ، قضاؤه ، ومن ترك مالا ، فلورثته . وكتب سيدنا على الى سيدنا خالد : أيما شيخ عجز عن العمل أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ان كان ذميا ، وطرحت زكاته ان كان مسلما ، وأعين من بيت مال المسلمين . ياللعجب !! اعفاء من الضرائب من غير تفرقة بين دين ودين ! ثم أعانه من الدولة ! .

وجاء فى خطاب لسيدنا على الى واليه فى مصر : الله الله ! فى الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، والمساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى ، فان فى هذه الطبقة قانعا ومعترا ، وتعهد أهل اليتم ، وذوى الرقة فى السن ممن له حيلة له ، ولا ينصب نفسه للمسألة .

وقد شاهد عمر امرأة تجبر رضيعها على الفطام ، وهو يصرخ . فلما سألها ، قالت له : ان عمر لا يفرض الا للفطيم ، فقال لاصحابه : يابؤسا لعمر ! كم قتل من أطفال المسلمين ؟ ثم أصدر قرارا ، وأمر مناديا يعلن : لا تعجلوا أولادكم فى الفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام .

وحين تعجز الزكاة عن رفع عبء الفقر عن الناس ، صار للحاكم حق اقتضاء ما يرفعه من الاغنياء . قال ابن حزم : فرض على الاغنياء من كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم الزكوات ولا فى سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف مثل ذلك ، وبسكن يقيهم من الشمس والمطر وعيون المارة .

وكتب عمر بن عبد العزيز الى الأمصار أن

أهمية الخدمة الإجتماعية

يرفعوا اليه كل أعمى ، ومقعد ، أو من به فالج ، أو من به زمانه تحول بينه وبين القيام للصلاة ، فأمر لكل أعمى بقائد ، ولكل اثنين من الزمنى بخادم ، وأمر بأن يرفعوا اليه كل يتيم ، ومن لا أحد له ممن جرى على والده الديوان ، فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بينهم بالسوية ، وفرض لعوانس الفقيرات .

والأوقاف الاسلامية تبين مدى الاتساع فى ميدان الخدمات الاجتماعية الاسلامية ، فقد أوقف الناس على النساخين للكتب وورقهم فى المكتبات العامة للتشجيع على العلم بجانب الأوقاف على ملاجىء اليتامى وأدوات تزين العرائس ، وتزويج بنات الفقراء واليتيمات ، واستبدال الملابس الجديدة بالملابس الرثة عند الفقراء . هذا وكثير مما لا نستطيع حصره لم يصل اليه الغرب حتى الآن .

وقد سبق الاسلام الى جعل المساعدات شاملة لجميع المواطنين بدون تفرقة ترجع الى الدين . وقد سبق على ذلك دليل ، وهنا دليل آخر ، فقد رأى عمر شخصا ذميا يتسول ، فقال له : يا هذا قد أخذنا منك الجزية صغيرا واضعناك كبيرا . افرضوا له من بيت المال .

بحث الحالة قبل المساعدة :

أما مسك الختام فى السبق الاسلامى الى تنظيم الاحسان والخدمة الاجتماعية ، فهو عدم اعطائها جزافا ، بلا بحث للحالة لمعرفة مدى استحقاقها وما ذا تستحق . وقد سبق الكلام عليها فى حديث الامام أحمد مع صاحب الحلس والقدح . وقد روى مسلم فى صحيحه عن قبيصة بن مخارق ، قال : تحملت حمالة ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . أسأله فيها ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها . قال : ثم قال : يا قبيصة ان المسألة لاتحل الا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ؛ ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله ، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ، أو قال : سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة ، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال : سدادا من عيش . فما سواهن من المسألة ياقبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا . والحمالة ما يتحمله الانسان من دية أو غرامة ليصلح ذات البين . والعبرة المقصودة هنا أن الصدقة لا تعطى جزافا ، بل لابد من بحث واستقصاء لمعرفة وجه حق السائل فى المساعدة . أما السبب فى قصر الشهادة على حالة الفاقة فلخفائها الا على ذوى الألباب فى المجتمع الساهرين على مصلحته . أما الحمالة والجائحة فمشهورتان عادة لا تحتاجان الى استشهاد .

هذه جولة فى الخدمة الاجتماعية فى الاسلام : فلسفتها ومبادئها وعناصرها ، وما هو ذا سبق الاسلام لمثل ما هو عند الغرب ، ولما هو ارقى منه . فهل يستقيم لنا المنهج فى استلهام تراثنا لاصلاح حياتنا واثرائها ؟؟

محمد أحمد بدوى

أعلام الإسلام

- من أئمة المحدثين الإمام النسائي
- المنحى الإسلامي عند العقاد
- رائد النقد الأدبي في مصر
- الولاية والأولياء عند إبن عربي

الإمام النسائي

من أئمة المحدثين

هو

الامام الجليل ، أبو عبد الرحمن احمد بن شـــعيب بن على بن بحر بن سنان بن دينار النســائى القاضى ، صاحب السنن الصغرى والكبرى والمحدث الشهير ٠

ولد « بنساء » « من بلاد خراسان » سنة خمس عشرة ومائتين ، ونشـأ كغيره من أئمة الحديث محبا للعلم والعلماء ، نهما الى المعرفة والتحصيل ، ورحل الى بلاد كثيرة فى سـبيل ذلك ، من أشهرها الحجاز والعراق ، والشام ، ومصر ، والجزيرة ، وسمع من الكثيرين بهـذه الاقطار ، وتعرف على مناهجهـا المختلفـة فى دراسة الحديث ، واستطاع بمواهبه الطبيعية وجهوده الكسبية ان يصل الى درجة عالية من الحفظ والاتقان والفهم والمعرفة ، حتى لقد قيل (انه أحفظ من مسلم بن الحجاج صـاحب الصحيح) ٠ وقد شـاء الله لمصر أن تنعم بصـحبته ، وشـاء له أن ينعم بالاقامة فيها فاستوطنها ، واستمر يمارس نشـاطه العلمى بها حتى قبيل وفاته ٠

للدكتور الحسينى هاشم

شيوخه وتلاميذه :

ومن أشهر من أخذ عنه ، واستفاد منه من الشيوخ قتيبة بن سعيد الذى ارتحل اليه فى سن الخامسة عشرة ، وأقام عنده سنة وشهرين وشارك فى السماع منه أئمة الحديث كالبخارى ومسلم وأبى داود .

وسمع من الأئمة المشهورين ، كأبى كريب وسويد بن نصر ، محمد بن النضر المروزى ، ومحمود بن غيلان ، وحمد بن بشار ، وهناد بن السرى ، محمد بن عبد الاعلى ، وأبو داود السجستانى ، والترمذى صاحب الجامع وغيرهم من كبار رجال الحديث .

أما من أخذ عنه العلم فكثيرون من أشدهم أبو القاسم الطبرانى وأبو جعفر الطحاوى ، وابراهيم بن محمد بن صالح ابن سنان ، وأبو على الحسين بن محمد النيسابورى ، ومحمد بن معاوية بن الاحمر الاندلسى والحسن بن رشيق ، ومحمد بن عبد الله بن حيوية ، وحمزة الكنانى وغيرهم من مشاهير العلماء .

ملامح من شخصيته وثناء الأئمة عليه :

كان شخصية جذابة . وكان معتنيا بصحته ، ومطالب جسمه الى جانب عنايته بخلقه ومطالب روحه ، وكان مجتهدا فى العبادة مكثرا من الطاعة حتى لقد قيل : كان يصوم يوما ويفطر يوما .

وقال الحسن بن مظفر الحافظ : سمعت مشايخنا بمصر يعترفون له بالتقدم والأمانة ، ويصفون اجتهاده فى العبادة بالليل والنهار ، ومواظبته على الحج والجهاد .

لقد كانت عنايته بصحته ليستطيع اعفاف نسائه ، والقيام بحق الله عليه من العبادة ، وأداء واجبه فى الجهاد ، لقد كان شجاعا متمرسا بالحرب وأساليب القتال — خرج مع أمير مصر غازيا ، فوصفوا من شهامته وشجاعته ، واقامته السنن المأثورة فى فداء المسلمين ، واحترازهم من مجالس الامير « الذى خرج معه » الشىء الكثير .

لم تكن مطالب جسمه وبيته تدفعه الى التزلف الى الحكام ، أو التساهل فى الحلال

نسائى

الإمام النسائي

والحرام ، لقد شغل مناصب عامة فى الامور الدنيوية بجانب مكانته الدينية ، فكان أميرا لحمص ، كما روى الطبرانى فى معجمه الاوسط قال : حدثنا أحمد بن شعيب الحاكم بحمص ، وفى ذلك ما يدلنا على أن خروجه للجهاد مع أمير مصر ، انما كان السبب ما مارس منه أساليب الحرب وتعرف من طرق السياسة ، وأنه كان فى جهاده من كبار المقاتلين فجمع الى العلم العمل ، والى الآخرة الدنيا ، وكان مثلا حيا للعلماء .

لذلك كثر الثناء من الأئمة عليه ، قال الحاكم عن الدارقطنى « أبو عبد الرحمن النسائى مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره ، وكان الدار قطنى يسمى كتابه : « الصحيح » وقال أبو على النيسابورى : « للنسائى شرط فى الرجال أشد من شرط مسلم ابن الحجاج وكان من أئمة المسلمين ؛ واذا لاحظنا أن أبا على هذا هو الذى قال : ماتحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج، وأثار ذلك الاتجاه المضاد فى الموازنة بين البخارى ومسلم وأخذنا رأيه هنا بشىء من الاحتياط ، وعذوناه بأن ذلك اجتهاد منه قد يخطىء فيه وقد يصيب ، وقد رأى فيه ما لم ير غيره ــ وقال أيضا : هو الامام فى الحديث بلا مدافعة ، .

ونقل أبو الحسن محمد بن مظفر الحافظ ثناء المشايخ بمصر عليه وشهادتهم له بالتقدم والامامة والاجتهاد فى العبادة ..

وكان أبو بكر بن الحداد كثير الحديث ، ولم يحدث عن غير النسائى وقال : رضيت به حجة بينى وبين الله ، وقال منصور الفقيه ، وأحمد بن محمد ابن سلامة الطحاوى : أبو عبد الرحمن النسائى امام من أئمة المسلمين . وقال ابن يونس : كان النسائى اماما فى الحديث ثقة ثبتا حافظا وسأل ابن طاهر سعد بن على الزنجانى عن رجل فوثقه فقال له : قد ضعفه النسائى ، فقال : يا بنى ان لابى عبد الرحمن شرطا فى الرجال أشد من شرط البخارى ومسلم أ هـ . ولعنه لم يستعمل هذا المنهج فى تأليفه لسنن ، وانه كان يظهر من معرفته الوثيقة بالرجال خاصة لتلاميذه ما جعلهم يحكمون له بذلك .

وليس أدل على تحريه ودقته من تركه أحاديث ابن لهيعة حتى قال أحمد ابن نصير الحافظ : من يصبر على ما يصبر عليه النسائى ، كان عنده حديث ابن لهيعة ترجمة يعنى عن قتيبة عنه فما صنفها ــ قال ابن حجر : لم يحدث به لا فى السنن ولا فى غيرها .

وكان يتحرى فى الالفاظ الى جانب تحريه فى الرجال فلا يتساهل فى وضع « حدثنا » مكان « أخبرنا » ونحو ذلك ، ولا أدل على ذلك من طريقة روايته عن الحارث بن مسكين ، وذلك أن الحارث ، كان يتولى القضاء بمصر ، وكان بينه وبين أبى عبد الرحمن « النسائى » شىء لم يمكنه من حضور مجلسه فكان يستتر فى موضع ويسمع حيث لا يراه ، فلذلك تورع

وتحرى ولم يقل « حدثنا » أو « أخبرنا » ولكن قال « الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع » وهذا فوق ما فيه من دلالة على دقة أمانته وكمال تحريه ، فيه مزيد تواضعه وكمال حرصه على العلم وتقديم المصلحة العامة على كل ما سواها من الامور .

وكان الى جانب ما ذكرنا ، فقيها ظاهر الاجتهاد حتى لقد قال قطنى فيه « وكان أفقه مشايخ عصره فى مصر وأعلمهم بالحديث والرجال » وقال الحاكم أبو عبد الله : أما كلام أبى عبد الرحمن على فقه الحديث فأكثر من أن نذكر ، ومن نظر فى كتابه « السنن » تحير فى حسن كلامه .

وقد كان له انتقاء للتراجم ، وانتقاء لمختاراته من الاحاديث تدل على وعى عميق ، وخبرة تامة فى الحديث رواية ودراية ومثانة فى النقد الداخلى « نقد المتن » وفهم واع بما يدل عليه الحديث .

وذكر ابن الاثير أنه كان شافعى المذهب ، وله مناسك ألفها على مذهب الامام الشافعى ، ومن المعروف أن الانتساب الى مذهب معين لايحرم المجتهد من فضيلة الاجتهاد ، انما يحدد مجال اجتهاده فى اطار اجتهاد امامه .

آثاره :

وترك النسائى آثار خالدة ، وذكريات عطرة فى ميدان البحث والفكر وفى ميدان العمل والاجتهاد ومن أشهر مؤلفاته :

١ ــ السنن الكبرى .
٢ ــ السنن الصغرى .
٣ ــ الخصائص .
٤ ــ فضائل الصحابة .
٥ ــ المناسك .

سنن النسائى :

ألف النسائى كتابين فى السنن ، أحدهما الكبرى ، والآخر الصغرى . قال السيوطى : سنن النسائى الذى هو أحد الكتب الستة أو الخمسة هى الصغرى دون الكبرى ، صرح بذلك التاج بن السبكى ، وقال : هى التى يخرجون عليها الاطراف والرجال .

ورأيت بخط الحافظ أبى الفضل العراقى : أن النسائى لما صنف الكبرى « أى سننه » أهداها الامير الرملة فقال له : « كل ما فيها صحيح ؟ قال : لا .. فقال : ميز لى الصحيح من غيره . فصنف له الصغرى » ا هـ .

وقد سماها « المجتبى من السنن » ورتبه على الابواب الفقهية كبقية كتب السنن ، واذا نسب الى النسائى حديث ، فانما يعنون روايته فى السنن الصغرى المسماه « بالمجتبى » وهو أقل السنن بعد الصحيحين ضعيفا ، فهو مقدم على سنن أبى داود وسنن الترمذى لان النسائى يمتاز عنهما بشدة تحريه فى الرجال حتى قيل : انه كان أحفظ من « مسلم بن الحجاج » . قال أحمد بن محجوب الرملى ، سمعت أبا عبد الرحمن بن شعيب النسائى يقول : « لما عزمت على جمع كتاب السنن ، استخرت الله تعالى فى الرواية عن شيوخ كان فى القلب فيهم بعض الشىء فوقعت الخيرة على تركهم ، فنزلت فى جملة من الحديث كنت أعلو فيه عنهم » ا هـ .

وكان لا يرى أن يحدث بحديث ابن لهيعة مع أن أحمد قد أكثر من الرواية عنه ، وكان قاضى مصر ومن كبار حفاظها الا أنه اختلط فى آخر عمره .

وهذا التحوط البالغ انما سار عليه فى تأليف أو استخراج سننه الصغرى من سننه الكبرى ولذا كان كتابه بهذه الدرجة ، ولقد بلغ التحرى بالنسائى أن تحرج من التخريج عن رجال أخرج لهم الشيخان .

قال بن حجر . « كم من رجل أخرج له أبو داود والترمذى ، تجنب النسائى اخراج حديثه ، بل تجنب النسائى اخراج حديث جماعة من رجال الصحيحين » ، وقال الحافظ أحمد بن نصر شيخ الدراقطنى :

من يصبر على ما يصبر عليه النسائى ، كان عنده حديث بن لهيعة ترجمة فما حدث عنه بشىء وبين ذلك من حجر فقال : « وكان عنده حاليا عن قتيبة عنه ، ولم يحدث به لا فى السنن ولا فى غيرها » وفى هذا ما يدل على أن سننه الكبرى أيضا لا تخلو من تحر ودقة ، ولكن سننه الصغرى كان غاية فى هاتين الناحيتين .

وروى محمد بن معاوية الاحمر عن النسائى قال : كتاب السنن كله صحيح وبعضه معلول الا أنه لم يبين علته ، والمنتخب المسمى « بالمجتبى » صحيح كله .

وقد ذكر بن الصلاح فى مقدمته عن ابن منده أنه سمع محمد ابن سعد البارودى يقول : « كان من مذهب أبى عبد الرحمن النسائى أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه » ثم قال : فمراده ــ والله أعلم ــ صنيعه فى السن الكبرى . واذا نسب الى النسائى حديث ، فانما يعنون روايته فى السنن الصغرى وهى

« المجتبى » الا ما كان من صنيع بعض المؤلفين فى الحديث ، كما نبه على ذلك صاحب (عون المعبود) فى آخر أبو الفرج الجوزى بأن فيها عشرة ١٠ أحاديث موضـــوعة فقد نازعه فى مختصره ، وقول المزى فى الاطراف : الحديث أخرجه النسائى • فالمراد به السـنن الكبرى للنسائى ، وليس المراد « السنن الصـغرى » الذى هو مروج الآن فى أقطار الارض » ثم قال : فالحديث الذى قال فيه المنذرى والمزى أخرجه النســـائى ــ وما وجدته فى السنن الصـغرى فاعلم أنه فى الكبرى ، ولا تتحيز لعدم وجدانه ، فان كل حديث فى الصـغرى موجود فى الكبرى ولا عكس ، ويقول المزى فى كثير من المواضع أخرجه النسائى فى التفسير وليس فى الصغرى تفسير • ا هـ • وفعل مثـل ذلك السيوطى فى جامعه وغيره ممن فهرسـوا كتب الحـــديث وجمعوه ، والواقع أن سنن النســائى الصغرى فى منتهى الدقة ، ولا يكاد يوجد فيها موضـــــوع ، وان قال أبو الفرج الجوزى بأن فيها عشر أحاديث موضوعة فقد نازعه فى ذلك الســيوطى فى كتابه « التعقبات على الموضوعات » ، وعلى فرض التسليم بذلك فهذا عدد قليل جدا بالنسبة الى كتاب ككتاب السنن ، وقد اختلف الناس فى صــــحة كل ما فيه •

فقال الدارقطنى وابن منده وابن السكن ، وأبو على النيسابورى وأبو أحمد بن عدى : كل ما فى السنن صـحيح ، ووافقـــوا فى ذلك النسائى وقال غيرهم بغير ذلك ــ كابن كثير فى كتـــابه « الباعث الحثيث » حيث قال « وقول الحافظ أبى على بن الســـكن ، وكذا الخطيب البغدادى فى كتاب السنن للنسائى : انه صحيح فيه نظر •• وكذا القول بأن له شرطا فى الرجال أشد من شرط مسلم غير مسلم (مقبول) فان فيه رجالا مجهولين ، اما عينا أو حالا ، وفيهم المجروح وفيه أحاديث ضـــعيفة ، ومعللة ومنكرة •

ولعل المراد من الكل فى قول العلماء وقول النسائى ، كل ما فيها صحيح « معظمها » •

أو لعل ابن كثير يتحـــدث عن السنن الكبرى للنسائى •

وعلى كل فهذا الخلاف مرجعه الى اختلاف الانظار فى الجرح والتعديل والاختـــلاف فى شروط التصــحيح والتحسين والتضعيف قوة وليونة •

دكتور الحسينى هاشم

المنحى الإسلامي

٣

للدكتور محمد رجب البيومي

ظهرت مؤلفات قيمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بدأ بها المغفور له الأستاذ محمد أحمد جاد المولى وتلاه الدكتور هيكل والدكتور طه حسين والأستاذ توفيق الحكيم والأستاذ محمد فريد وجدي وغيرهم من كبار المفكرين والأدباء ولكن هذه المؤلفات وما لحقها بعد ظهور كتاب (عبقرية محمد) لن تغني عما كتبه الأستاذ العقاد في شيء ، لأن العقاد لم يكتب السيرة النبوية على نهجها المعهود وإنما كتب سيرة رسول الله بالحق الذي يثبت له الحب في قلب كل انسان ، وليس في قلب المسلم وكفى — كما قال في مقدمة الكتاب — وبالقياس الذي يفهمه المعاصرون ، ويتساوى في اقراره المسلمون وغير المسلمين ، ليقيم البرهان على أن محمدا عظيم في كل ميزان ، عظيم في ميزان الدين وعظيم في ميزان العلم ، وعظيم في ميزان الشعور ، وعظيم عند من يختلفون في العقائد ، ولا يسعهم أن يختلفوا في الطبائع الآدمية ، وهذا المنحى الذي قصده العقاد واضح لا لبس فيه ، ولكن نفرا ممن يسوؤهم أن يظهر كتاب عن نبي الاسلام بهذه الجهارة الساطعة عز

عند العقاد

عليهم أن يسبق العقاد فى مجال السيرة النبوية وتاريخ الخلافة الراشدة ، فقال انه لم يفهم ما كتب العقاد ! قال ذلك بعد أن لقى العقاد ربه ، وأصبح حديثا يروى لا أسدايزأر فيرعب فيخيف ، وقد اضطر المدافعون عن العقاد أن يبرزوا من آثار هذا الناقد ما يدل على مديح مفرط كتبه محتفلا منوها فى رسالة يبعث بها للعقاد ، وقد أنصف الأستاذ توفيق الحكيم كتاب عبقرية محمد حين قال عنه :

« من الفصل الأول أدركت أن الأستاذ العقاد لديه ما يقول ، وأن الكلام الذى عنده يرغمنا على أن نضحى اليه وأن كل ما عرف من قبل عن النبى محمد لن يغنينا عما عند العقاد ، لأن العقاد قد درس وفكر ، واستنتج لنفسه ثم صنع للنبى صلى الله عليه وسلم صورة (قلمية) لايمكن أن يرى نظرها فى صفحات مثل صفحات كتابه المتوسط الحجم انه ما قرأ ليكتب سيره ، كما فعل الذين سبقوه . ولم يرولنا قصة ، ولم يسرد تاريخا ، ولكنه رسم ملامح وخط قسمات ، وأبرز ذلك الوجه الشريف الجليل .. على أن الحرى أن نلتفت اليه هو الطريقة التى جرى عليها العقاد

فى تحقيق غرضه ، فهو لـم يكتف باستخراج الوقائع من بطـون كتب السيرة لأنه يعلم أن هذه الوقائع قد أصبحت معروفة لأكثر الناس ، بمـا ظهـر من كتب حـديثة العرض عصرية الأسلوب ، فنراه قد اسـتخدم هذه الوقائع استخدما آخر جديدا ، واستنطقها معـانى أخرى طريفة، ولم يرض أن يسير خلفها لتقوده كما فعل أكثر الرواة ، بل تناول هو زمامهـا وقادها بيدين من المنطق السليم والتفكـير المستقيم ، فى طريق كله ضوء ونور ، وفى الحق أن أظهر ظاهرة فى الكتاب هى قوة الاستنتاج العقلى التى تستولد من الحوادث الصـماء خصائص ومقومات لتلك الشخصية الانسانية الكاملة ، وجاوز الاستاذ العقـاد التمحيص والاستقراء الى البحث المقارن فى أغلب الامور، عارضا حال الامم الاخرى فى مختلف العصور، ليبين على وجه التحقيق مركز الفكـرة التى يجليها من التاريخ الانسانى العام (١) .

وما قاله الاستاذ توفيق الحكيم عن عبقرية محمد يصدق على العبقريات جميعها ، لان منهج الكاتب الادبى واحد فى تناول هذه الشخصيات البارزة فى التاريخ الانسانى بعامة ، وقـد أشار العقاد الى هدفه حين ذكر فى مقدمات كتبه أنه لا يكتب سيرة ولكن يكشف عن نفسية عظيمة تصلح أن تكون موضع القدرة ، ومع وضوح هذا القول تقريرا وتطبيقا ، فقد وجد من يتجاهله عن غيظ تعرف بواعثـه الدفينـة

فزعم زاعم أن العقاد بكتابه العبقـريات الاسلامية يتجـه الى (الميتافيزيقيا) أو الى ما وراء الطبيعة بدلا من الاتجاه الى الطبيعـة والمجتمع ! وهذا خطأ كاذب لان سير العظماء الذين مثلوا أعظم أدوار الانسانية فى اتجاهها الصحيح ليست خروجا عن عالمنا المعاصر الى ما وراء الطبيعة ، ولكنها ولوج فى صميم المجتمع اذ يقدم الكاتب الا نموذج الانسانى الاعلى للحياة ، وقائل هذا الزعم لا يعنيه أن تصـلح الحياة باحياء هذه النماذج الصالحة للقدوة ، ولكنه يضيق ذرعا بابطال الاسلام ويرى فى الاشادة بهم تضييقا على ما يتسع له فى محيط التبذل من اسفاف وسقوط ، وفى محيط التعامل من غدر وخيانة ودس وكيد ! فكيف يطيق أن يذكر هؤلاء البررة ليكونوا بمثابة لعنان تصب عليه ، كما زعم زاعم آخر أن العقـاد يبتسر التاريخ ابتسارا ليخدم أغراضا خاصة عـلى حساب الحقيقة . وقائل هذا الزعم لا يحب الحقيقة التى يتظاهر بالدفاع عنها ، لان العقاد لم يذكر حادثا واحدا غير حقيقى حتى نزعم أنه يتيسر التاريخ لاغراض خاصة على حساب الحقيقة ، فكل ما ذكره العقاد من الاحـداث والوقائع حق لا مبالغة فى سطر واحـد من سطوره بل فى لفظ واحد من ألفاظه ! ولكن الزاعم المضطغن لا يريد الترحيب بأبطـال الاسلام قدر ما يريد الاشادة بأناس لوثوا تاريخ الحياة سقوطا وانحرافا ، وكأنه وازن بين من يحبهم ، ومن يتحدث عنهم العقاد فرأى الفجرة من الاتساع بحيث لا يجوز أن تشتمل النقيض ونقيضه فى مجال واحد ، هو مجـال الاعزاز والاكبار ، بل يجب أن يكون اكبار الفضلاء باعثا حقيقيا على احتقـار الهابطين

(١) مجلة الثقافة العدد ١٧٥/٥/٥/١٩٤٢

من ذوى الاهواء ! وقد عرف العقاد أن أعداء اتجاهه سيفترون الاقاويل تشويها لمحاسن ما أبدع فى العبقريات . فاضطر الى أن يبسط وجهة نظره فى مقدمة عبقرية الصديق ، مع وضوحها الساطع لدى دارسى العقاد وقارئى ما أبدع من روائع قبل أن يكتب هذه المقدمة ؛ قال العقاد (١) :

اننى لا أكتب ترجمة للصديق رضى الله عنه ولا أكتب تاريخا لخلافته وحوادث عصره ، ولا أعنى بالوقائع من حيث هى وقائع ، ولا بالأخبار من حيث هى أخبار ، فهذه موضوعات لم أقصدها ، ولم أذكر فى عناوين الكتب مايعد القارىء بها ، ويوجه استطلاعه اليها ، ولكنما قصدت أن أرسم للصديق صورة نفسية تعرفنا به وتجلو لنا خلائقه ، وبواعث أعماله ، كما تجلو الصورة ملامح من تراه بالعين فلا تعنينا الوقائع والاخبار الا بمقدار ما تؤدى أداءها فى هذا القصد الذى لا مقصد لنا غيره ، وهى قد تكبر أو تصغر فلا يهمنا منها الكبر والصغر الا بذلك المقدار .. ومن هنا أن تكون الصورة صادقة كل الصدق فى جملتها وتفصيلها فليس من غرضنا التجميل الذى يخرج بالصورة عن حقيقتها ، ولسنا نريد أن يطلع القارىء على تلك الصورة فلا يعرفها ، ولا يعرف أبا بكر منها ولكن تجميل الصورة شىء وتوقير صاحبها شىء آخر ، فانك اذا صورت أبا بكر ورفعت صورته مكانا عليا لم تكن أضفت اليه جمالا غير جماله، أو غيرت ملامحه النفسية بحيث تخفى على من يعرفها ، فهذا التوقير الذى لايخل بالصورة ولايعاب على المصور ، وليس هو بالتجميل المصطنع الذى يضل الناظر عن الحقيقة) .

وموضع الفصل الحاسم فى هذه القضية أن نطلب من هؤلاء الذين يزعمون أن العقاد قد جاوز الحقيقة الى الخيال ، أن يبرزوا لنا موقفا واحدا فى كتبه الاسلامية لم يكن واقعا صريحا لا لبس فيه ، ولم تكن كتب السابقين قد تداولت تسجيله مؤرخا عن مؤرخ ، فاذا كان الامر كذلك ، ففيم اللجاج ، من أقلام تدعى القيامة على النقد ، وتخدع القارىء بالبهتان ؛ لحاجة فى نفس يعقوب .

وقد فهم بعض من يدعون القدرة على التفسير والتوعية أن العقاد يكتب فى تمجيد البطولة والأبطال ، لخدمة اتجاه سياسى خاص يدور فى فلكه . ويتقدم هؤلاء خطوة أخرى فيزعمون أنه يريد بذلك محاربة الشيوعية التى تنكر دور الفرد وتوجه الاهتمام الى المجتمع والعقاد يحارب الشيوعية دون هوادة بما لاشك فيه ، ولكنه يعتقد أن الشيوعية حين تلغى دور الفرد لاتهتم بالفرد ولا بالمجتمع ! فالمجتمع الذى أوجدته فى مدى نصف قرن مجتمع خائف هائب مزعج لايستطيع أن يتنفس وللفرد دور فيه ، ولكن أى فرد ، هو من يملك الحكم أو يدور فى فلك من يملك من المقربين الى رؤساء التنفيذ أما ماعدا هؤلاء فهم الجمهرة المقهورون أو العقاد أيضا لايدور فى فلك الغرب حين يكتب العبقريات اعترافا بمكانه العظماء ، لأنه يعلم أن الديمقراطية الغربية ذات عيوب بارزة وأن المساواة لديها لايتحقق على السنن المأمول ، لأن الحزب الحاكم يخضع لرئيس يوجه الأعضاء ، ويكسب الأصوات بالدعاية والاعلام فى منهج تضل به الحقائق ، واذن

---

(١) عبقرية الصديق ـ مقدمة الكتاب .

المنحى الإسلامي عند العقاد

فالعقــــاد لا شرقي ولا غـــــربي حين يكتب العبقريات ، ولكنه مســـلم آمن بعظمة نبي الاسلام وخلفائه عن بحث صارم ، وعــــزم جاد ، وأمانة مطمئنة ، فرأى أن يبرز مبررات هذا الايمان في خلال مايكتب عن أبطال دينه ! وهذا ما أوقد اللهيب لدى الموتورين ، وانهــم لكثــير •

وقد تعود الذين يكتبون تاريخ الرجـــال أن يتشحوا بالعـــدالة حين يفردون بابين في مايكتبون ، يتحدث أحدهما عن محاسن الانسان وثانيهما عن مساويه ، ويرون ذلك آية العصمة والنزاهة وقد أشار العقاد الى ذلك في مقدمة كتابه (عبقرية عمر) فقال :

« فالناس قد تعودوا ممن يسمونهم بالكتاب المنصفين أن يحبذوا وينقدوا ، وأن يقرئوا بين الثناء والملام وأن يسترسلوا في الحســنات بقدر ، لينقلبوا من كل حسنة الى عيب يكافئها ويشفعوا كل فضيلة بنقيصة تعادلها فــان لم يفعلوا ذلك ، فهم اذن مظنة المغالاة والاعجاب المتميز ، وهم اذن أقل من الكتاب المنصــفين الذين يمدحون ويقدحون •ولايعجبون الا وهم متحفزون لملام !!

عرض لي هذا الخاطر ، فذكرت قصة العاهل الذي تحاكم الى قاضيه مع بعض السوقة في عقار يختلفان عليه ، فحكم القاضي للسوقة بغير الحق ، ليغنم سمعة العدل في محابية الملوك ، وعزله العاهل ، لأنه ظلم ، وهو يبتغي الرياء بظلمه ، فكان أعدل عادل » •

وليس معنى ذلك أن العقاد لم يخالف أحدا ممن تحدث عنه ــ حاشا رسول الله • في موقف بل انه أبدى رأيه في كل ما تعرض لتمحيصــه من المواقف ، وأعلن مخالفته في أشياء ، لــــم تكن موضع ارتياحه ونتقل عن عبرية خالـــد قوله الصريح عن موقف ابن الوليد من مالــك ابن‌نويرة بعد أن عرض الكاتب الناقد الموضوع من كافة وجوهه عرضا وافيا لاخفاء فيه ــ قال العقاد (1) •

وحسبنا من هذه الأقوال جميعها أن نقــف منها على الثابت الذي لانزاع فيه ، والثابت الذي لانزاع فيه ، أن وجوب القتل لم يكــن صريحا قاطعا في أمر مالك بن نويرة ، وأن مالكا كان أحق بارساله الى الخليفة بين زعمـــاء فزارة الذين أرسلهم خالد بعد موقعة البزاخة، وأن خالدا تزوج امرأة مالك وتعلق بها ، وأخذها معه الى اليمامه بعد لقاء الخليفة •

وأوجب مايوجبه الحق علينا بعد ثبوت هذا كله أن نقول : ان موقعة البطاح صـــفحة في تاريخ خالد ، كان خيرا له وأجمل لو أنها حذفت ولم تكتب على قول من جميع تلك الاقــوال لانها لم تضيف الى فخاره العسكري كثـــيرا ولا قليلا ، وأهدفته لملام أحمد ما يحمد منــه أن له عذرا فيه يقبله أناس ولايقبله آخرون، ويجب تقرير هذا عند تقدير خالد لانه الحق الذي لايعلو على ميزانه ميزان ، في ترجيـــح

(1) عبقرية خالد ص ١٤١ ط ١٩٧٠ م

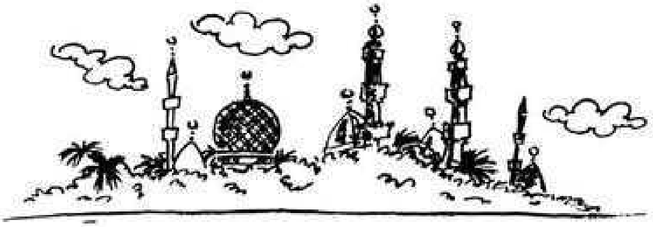

الرجال والاعمال ، ولأن الرجل الذى يخشى على قدره من تقرير أخطائه رجل لايستحق أن يكتب له تاريخ اذ معنى الخشية عليه من أخطائه أنه فقير فى الحسنات والعظائم ، وأنه من الفقر بحيث تعصف الأخطاء بعظائمه وحسناته ، ولم يكن خالد بن الوليد كذلك .

وأجمل ما فى العبقريات افحام العقاد الملزم لمن يحاولون تشويه التاريخ الاسلامى فى عهده الأول بمفتريات كاذبة يرددونها عن عمد مع وضوح بطلانها ، ومع ايضاح وجه الحق فى تفنيدها دون أن يستجيبوا لوضوحه ، وللعقاد فى هذا المجال سطوع ونفاذ واستطراد ، وسطوع العقاد ونفاذه مما يعهده القارئى عنه فى كل مجال ، ولكن استطراده وتدفقه وانسيابه فى مجال القمع الجاسم شىء حميد حقا . لان الاكتفاء باللمح الدال لايسكت أفواها مغرضة تعودت على الصياح دون مبرر ، ويزيد صياحها كلما كان معارضها رقيق الحاشية معتدل الاقناع ، ولابد اذن من سيل جارف يقتلعها اقتلاعا ، ونمثل لذلك برده على الفرية الكاذبة التى زعمت وجود مؤامرة بن أبى بكر وعمر وأبى عبيده عند وفاة رسول الله لتكون الخلافة من نصيب أبى بكر دون على ، فبعد أن أوضح أن الروايات التاريخية الموثوق بها لم تشر الى شىء من ذلك . وأن خلائق الابطال الثلاثة كما يعهدها المسلمون بمنأى عن التآمر الموهوم ، وأن منطق الاحداث ــ وقد شرحه العقاد شرحا وافيا ــ يدل على أن الأمر قد وقع منهم جميعاً موقف المفاجأة التى لم يتدبروها الابعد وقوعها وأن أمارات استخلاف أبى بكر كانت ظاهرة من طلائعها الأولى قبل مرض رسول الله ، ولم تكن هناك اشارة ما تدل على أنه صلى الله عليه وسلم يريد أن تكون الخلافة فى بنى هاشم ، أقول بعد أن أوضح العقاد ذلك كله فى اقناع ملزم لاحيله للمعارض فيه استطرد استطرادا مكتملا طريفاً ، وانما نجعله استطرادا وهو من صميم الموضوع لأنه ماسبق به كان ذا غناء ملزم ، ولكن الكاتب جاء به على القارىء مشبعا ممتعا مقنعا فقال متسائلا (١) :

« كيف كانت الخلافة صائرة الى غير ما صارت اليه وهى محصورة فى قريش ؟ والى من كانت تصير ؟ ان الذين تولوها بعد أبى بكر من صحابة النبى هم عمر وعثمان وعلى ومعاوية فأى هؤلاء كان أظهر حقا ، وأقرب طريقا ، وأدنى من الصديق الى اتفاق المسلمين عليه ؟

أهو عمر ؟ لقد كان أصغر من أبى بكر بنحو عشر سنين ، ولم تكن له سابقة فى الاسلام وصحبة النبى ، ولم تكن ألفة الناس له كألفتهم لأبى بكر ، وليس هو بأقوى عصبية منه بين بطون قريش ، وليس هو بالذى يشغب على أبى بكر ويعصيه لطمع فى الخلافة اذا تقدم اليها بل كان هو الذى بايعه وحث الناس على بيعته .

(١) عبقرية الصديق ص ٢٤ ط ١٩٦٥ م

المنحى الإسلامى عند العقاد

أفكانت تصير الى عثمان ؟ ان عثمان رضى الله عنه أسلم على يدى أبى بكر ، وقد كانت معه عصبية بنى أمية وهى عصبية قوية ، ولكن زعامة تلك العصبية كانت فى يد أبى سفيان يوم ذاك ، ولا طريق له الى الخلافة ، وان طمع فيها . وقد تنزه عثمان أن يركن الى العصبية لينازع أبا بكر فى حق لاينكره ولا ينفسه عليه.

أفكانت تصير اذن الى على بن أبى طالب ؟

انما كانت تصير اليه بحجة بنى هاشم . وهى الحجة التى اتقاها النبى جهده كما قدمنا ، وكان بنو هاشم مع هذا لا يتفقون على اختيار واحد من رؤسائهم الثلاثة ، العباس وعلى وأخيه عقيل ، ولم يكن على بعد هذا وذاك قد جاوز الثلاثين الا بسنوات قلائل ، وهى عقبة من العقبات التى لا يسهل تذليلها فى أمة ترعى حق السن ومكانة الشيوخ ، الا بوصية من النبى عليه السلام ، ولم تكن هناك وصية من هذا القبيل كما اتفق عليه كل سند وثيق أفتكون الى معاوية ؟ انه نفسه لم يدر بخلده أن يرشح نفسه فى تلك الآونة .. الخ .

وأمثال هذا النقاش الملزم الطريف كثير فيما كتب الأستاذ العقاد عن الاعلام .

وبعد ..

فقد كان اتجاه الكاتب الكبير فى مجال الحديث عن الاسلام متشعبا ممتد السبل والآفاق ، وقد ألمعنا الى أشد هذه الطرق وضوحا ،وأكثرها اتساعا ،حين أوجزنا الحديث فى هذا المجال ، وقد بقى مجال كبير لاستدراك كثير مما لم نلم به . ولسنا فى مقام الاستقصاء ولكننا نشيد بعبقرية كاتب اسلامى مناضل، دافع عن الحق بعيدا عن الغرض ، ووقف فى الميدان فارسا معلما ينازله مئات الخصوم فيبارزهم فى ثقة ثم يعود مكللا بالنصر متوجا بالنجاح رضى الله عنه وارضاه .

الدكتور محمد رجب البيومى

الولاية والأولياء عند ابن عربى

للدكتور محمد إبراهيم الجيوشى

حديث ابن عربى عن الولاية والاولياء حديث متشعب متعدد الاطراف والذيول لان من عادة ابن عربى اذا ما تناول فكرة من الافكار أن يستوعب كل ما قيل فيها ثم يحاول أن يبرزها فى ثوب جديد عليه لمسانه ونسج يديه ولا تتسع هذه الصفحات لاستيعاب ما قاله فى هذا الموضوع وانما سنعنى فى عرضنا لافكاره بامور ثلاثة اعطاها مفهوما جديدا غير ما وقف عنده الحكيم الترمذى (١) : وهى النبوة العامة ونبوة التشريع واكتساب مقام النبوة وختم الولاية العامة والخاصة ويتلخص رأيه فى هذه النقاط فيما يلى : النبوة

(١) الرسائل والمسائل ج ١ حقيقة مذهب الاتحادين ص ٥٧ .

الولاية والأولياء عند ابن عربي

مقام عند الله يناله البشر وهو مختص بالاكابر منهم ، ويعطى هذا المقام للنبى المشرع ، ويعطى كذلك للتابع لهذا النبى المشرع الجارى على سنته ويستدل على رأيه هذا بقوله تعالى فى حق موسى عليه السلام « **وَوَهَبْنَا لَهُ أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا** » (١) وبنى على ذلك ان مقام النبوة ينال بالكسب مثلما ناله هارون باتباعه لموسى الا أننا حينما نتأمل الآية الكريمة التى استدل بها ابن عربى على أن النبوة تنال بالكسب نجد انها لا تشهد لما ذهب اليه بل الواضح منها أن نبوة هارون عليه السلام جاءته تفضلا من الله ومنه وليس له فيها أى كسب ويؤكد هذا الاستنتاج لفظ « وهبنا » الذى ذكر فى الآية الكريمة والهبة منحة من الحق سبحانه لابد للعبد فيها وليست أجرا على عمل قام به .

ويرى ابن عربى أن النبوة نوعان : نبوة التشريع والنبوة العامة أما نبوة التشريع فقد انقطعت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى أنه لا نبوة تشريع بعد النبى ولا شرع بعد شرعه وهذا النوع من النبوة هو المقصود من قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نبى بعدى والمقصود أن ليس هناك شرع يأتى بعد شرعه أما النبوة العامة أو مقام النبوة ويقصد ابن عربى به مكان القربة فانه لم يسد ولم ينقطع والذى دعا ابن عربى الى هذا التفصيل — فيما أظن — ما يعتقده من أن عيسى عليه السلام سيأتى فى آخر الزمان ولا خلاف فى نبوته وأنه سيأتى بعد زمن محمد فلهذا كان لابد أن يكون المقصود من حديث النبى « لا نبوة بعدى » نبوة التشريع لان عيسى حينما يأتى سيحكم بشرع محمد فيكون تابعا من هذه الجهة .

ويؤيد ابن عربى وجهة نظره هذه التى تقول بعد انقطاع النبوة العامة التى هى منزلة القربى بأن المقربين يدخل فيهم الأنبياء والاولياء والملائكة ، والقرآن يقول « عينا يشرب بها المقربون » ووصف عيسى بأنه من المقربين فقال « وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » وكذلك وصفت الملائكة أيضا بالقربى « ولا الملائكة المقربون » وقد كان جبريل ينزل بالوحى على النبى صلى الله عليه وسلم وهو من وصفوا بالقربى ولم يقل أحد أنه نبى (٢) .

ويذكر ابن عربى أن الغزالى قد نسب اليه انه يقول باكتساب النبوة ويعلق على ذلك بقوله ان المقصود من قوله هو مقام القربة التى ينالها المقربون من أنبياء وسواهم وقد قال ابن عربى ان الغزالى قد تناول هذا الموضوع فى كتابه « كيمياء السعادة » ولكن حديث الغزالى فى كيمياء السعادة لن يتناول هذا الموضوع

(١) الفتوحات المكية جـ ٢ ص ٣ .

(٢) الفتوحات المكية جـ ٢ ص ٣ .

مطلقا وإنما هو منصب على المعارف التى تدرك عن طريق النبوة أو أجزائها كالالهام وغيره من وسائل المعرفة التى أفاضها الله على عباده الذين أخلصوا العبادة له وجدوا فى الطريق اليه (١) ولم يشر الغزالى من قريب أو بعيد الى اكتساب النبوة أو مقامها وانما كان على عرضه للفكرة من خلال محاولته ايضاح تحصيل المعرفة عن غير الطريق العادى ويقصد به طريق الكشف الالهام اللدنى .

ثم يتحدث عن النبوة والولاية مرة ثانية فى كتاب النصوص فقول : أعلم ان الولاية هى الفلك المحيط العام ولهذا لم تنقطع ولها الانباء العام وأما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة ، وفى محمد صلى الله عليه وسلم انقطعت فلا نبى بعده يعنى مشرعا أو مشرعا له ولا رسول وهو المشرع ، وهذا الحديث قصم ظهور أولياء الله لانه يتضمن انقطاع ذوق العبودية الكاملة التامة فلا ينطلق عليها اسمها الخاص بها ، فان العبد يريد الا يشارك سيده — وهو الله — فى اسم ، والله لم يتسم بنبى ولا رسول وتسمى بالولى واتصف بهذا الاسم فقال الله ولى الذين آمنوا « وقال وهو الولى الحميد » وهذا الاسم باق جار على عباد الله دنيا وآخرة فلم يبق اسم يختص به العبد دون الحق بانقطاع النبوة والرسالة الا أن الله لطف بعباده فأبقى لهم النبوة العامة التى لا تشريع فيها وأبقى لهم التشريع فى الاجتهاد فى ثبوت الاحكام وأبقى لهم الورثة فى التشريع فقال : « العلماء ورثة الانبياء وما ثم ميراث فى ذلك الا فيما اجتهدوا فيه من الاحكام فشرعوه فاذا رأيت النبى يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث ولى وعارف ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع فاذا سمعت أحدا من أهل الله يقول أو ينقل اليك عنه أنه قال : الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل الا ما ذكرناه أو يقول أن الولى فوق النبى والرسول فأنه يعنى بذلك فى شخص واحد وهو أن الرسول عليه السلام من حيث هو ولى أتم من حيث هو نبى رسول لا ان الولى التابع له أعلى منه فان التابع لا يدرك المتبوع ابدا فيما هو تابع له فيه ، اذ لو أدركه لم يكن تابعا له فافهم مرجع الرسول والنبى المشرع الى الولاية والعلم ألا ترى أن الله تعالى قد أمر بطلب الزيادة من العلم لا من غيره فقال له آمر « وقل رب زدنى علما » وذلك انك تعلم ان الشرع تكليف بأعمال مخصوصة أو نهى عن أفعال مخصوصة ومحلها هذه الدار فهى منقطعة والولاية ليست كذلك اذ لو انقطعت لا نقطعت من حيث هى كما انقطعت الرسالة

---

(١) المنقذ الضال وكيمياء السعاد ص ٨٦و٨٧ و٨٨ تعليق الشيخ محمد جابر .

من حيث هى واذا انقطعت من حيث لم يبق لها اسم والولى اسم باق لله تعالى فهـــو لعبيده تخلقا وتحققا وتعلقا .

والنبوة والرسالة خصوص رتبة فى الولاية على بعض ما تحوى عليه الولاية من المراتب ، فيعلم انه أعلى من الولى الذى لا نبوة تشريع عنده ولا رسالة ، ومن اقترنت عنده حالة اخرى تقتضيها أيضا مرتبة النبى النبوة (١) .

وأما فكرة ختم الولاية فهو يرى ان الختم ختمان لا ختم واحد ، والختم واحد فى الزمان بمعنى انه لا يتكرر فى الازمنة ، بل هو واحد فى العالم يختم الله به الولاية المحمدية فلا يكون فى الاولياء المحمديين أكبر منه ، وهنـــاك ختم آخر يختم الله بالولاية العـــامة من آدم الى آخر ولى وهذا الذى يختم به الولاية العامـــة هو عيسى عليه السلام يقول ابن عربى عنه : هو ختم الاولياء كما كان ختم دورة الملك فله يوم القيامة حشران يحشر أمة محمد صـــلى الله عليه وسلم ويحشر رسولا مع الرسل عليهم السلام (٢) .

وختم الولايه المحمديه ليس آخر الاولياء وانما هو أرفعهم منزلة وأن الاوليـــاء الذين يأتون بعده لا يرثون من النبوة المحمــــدية ، وانما يرثون من النبوات السابقة فهناك أولياء يرثون من آدم وآخـــــرون يرثون من نوح وآخرون يرثون من ابراهيم وهكذا هنـــاك وارثون من كل نبى من الانبياء وقـــد أفاض الحديث فى هذا الموضوع فى الجزء الثانى من الفتوحات المكية (٣) .

وقد تناول نفس الفكرة بصورة أكثر جرأة فى كتابه نصوص الحكم فقال : أعـــلى مراتب العلم الذى ينشأ عن التجلى لا يكون الا الاعلى عالم بالله ، وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء ، وما يراه أحد من الرســـل والانبياء الا من مشكاة الرســـول الخاتم ولا يراه احد من الاولياء الا من مشكاة الولى الخاتم ، والى هنا فكلام ابن عربى يمكن قبوله والتسليم به الا أن ما يقرره بعد ذلك كلام على كاتب كبير من الخطورة والجرأة ولا شـــك ان شيئا مثل هذا كان سببا مباشرا وحجة قائمـــة فى رأى عالم كابن تيمية أن يتهم ابن عـــربى لمثل هذا الأقوال بالكفر والخروج على الدين — وذلك انه يقول عقب ما سبق ان قـــرره « حتى ان الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الأولياء ، فان الرسالة والنبوة أعلى نبوة التشريع رسالته تنقطعان ، والولاية لا تنقطع أبدا فالمرسلون من كونهم أوليـــاء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاوليـــاء وان كان خاتم

(١) انظر شرح نصوص الحكم شرح وتحقيق الدكتور أبو العلا عفيفى ص ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦
(٢) الفتوحات جـ ٢ ص ٩ .

(٣) الفتوحات جـ ٢ ص ٤ — ٢٣ .

الاولياء تابعا فى الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح فى مقامه ولا ينقاض ما ذهبنا اليه فانه من وجه يكون أنزل كما انه من وجه يكون أعلى (١) ولست أدرى كيف تورط ابن عربى هنا فى الحديث عن ختم الاولياء فان أحدا لا يوافقه على ما ذهب اليه هنا والامر المحير حقيقة أن حديث ابن عربى فى أماكن أخرى واضح كل الوضوح فى أن الرجل لا يفضل غير الانبياء على الانبياء مهما كانت منزلتهم كما رأينا فيما نقلناه عنه فى الصحيفة السابقة من نفس كتابه نصوص الحكم ص ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ ، ولعل هناك لبسا أو تحريفا من الناسخ للمخطوط نشأ عنه هذا التضارب فى رأى ابن عربى وأدى الى اتهامه بالكفر من ابن تيمية .

واذا أردنا أن نشير بايجاز الى رأى الحكيم الترمذى وابن عربى هنا فانا نقول ان الحكيم يعتبر ان الولاية مقام روحى عام يجتمع للنبى مع النبوة أما ابن عربى فانه وان كان يردد ما قاله الحكيم الا انه يقفى عليه فيقول : ان الولاية نبوة عامة والنبوة التى بها التشريع نبوة خاصة .

والدارس لراى ابن عربى يتبين له بوضوح ان الرجل لا يقول بوجود نبى بعد محمد، وانما هو يبحث الفكرة فى ضوء النظرة الصوفية المجردة والذى دفعه الى القول بعدم انقطاع النبوة العامة انه يعتقد بنزول عيسى عليه السلام وقد فتح حديثه هذا الباب للمدعين ان يدخلوا على الاسلام ما ليس منه واتخذت طائفة مثل القاديانية من رايه ركيزة ينطلقون منها الى الترويج لفكرتهم التى تقول ان من الممكن ان يوجد نبى بعد محمد ويرددون نفس تعبيرات ابن عربى فى نبوة التشريع والنبوة العامة .

---

(١) نصوص الحكم شرح وتحقيق الدكتور أبو العلا عفيفى ص ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ .

رائد النقد الأدبي

من أعلام الأزهر

٢

تحدثنا فيما سبق عن كتابى دليل المسترشد ، والوسيلة الادبية ـ لنظهر بالدليل الملموس جهد عالم أديب ناقد ، ذى حس مرهف ودراية لطبائع النفوس واتجاهاتها ، فهو يسلك اليها أقرب الطرق ، وأوضح المناهج ليصل بينها وبين الادب العربى على اختلاف فروعه وتشابك أفنانه .

لقد رأينا الشيخ المرصفى يعمد فى تربية الذوق البلاغى وتقويم اللسان الى روائع الادب ، كما رأيناه يعتمد فى تنمية الاحساس بموسيقى الشعر على غمر الطالب فى مختارات من الشعر تمثل جميع بحوره حتى تعتادها أذنه ، ويتجاوب معها حسه ، قبل أن يغرق فيها عقله .

وذلك لانه يرى أن تلك العلوم جميعا ان هى الا وسائل تجعل الانسان أديبا ، اذ الادب فى رأيه أسمى من أن يكون وصفا لفظيا ، أو نسقا لغويا فحسب ، وانما هو الى ذلك مؤثرات نفسية ، تكسب صاحبها عادات سلوكية حميدة ، وتنعكس على لسانه وقلمه فتتراءى فى صورة كلام يناسب موقعه الذى يتطلبه ليحقق الروابط الاجتماعية الوثيقة بين الناس . فقد عرف الادب بقوله « ان الادب معرفة الاحوال التى يكون الانسان المتخلق بها محبوبا عند أولى الالباب الذين هم أمناء الله على أهل أرضه من القول فى موضعه المناسب » (١) .

فالأديب لا ينقطع بأدبه عن الناس ، ولكنه يتوسل به ليقترب منهم ، ويشدهم اليه ، فمجمل الادب أن يكون الانسان بحيث يرضى عن غيره ، ويرضى عنه غيره (٢) .

ومن هذا المنطلق يرسم ـ فى ايجاز ـ للمتأدب طريقه الى هذا المرتقى فى قوله :

« فان لكل قول موضعا يخصه ، بحيث يكون وضع غيره خروجا عن الادب » (٣) .

ثم يخلص من ذلك الى أنه يلزم المتأدب ليتمكن من وضع الشىء فى موضعه اجتهاد عظيم فى طلب مواضع الاشياء ليأمن كثيرا من

---

(١) الوسيلة الادبية جـ ١ ص ٤ .

(٢) دليل المسترشد فى فن الانشاء ص ٧ من المجلد الأول .

(٣) الوسيلة الادبية جـ ١ ص ٤ .

في مصر

الشيخ حسين المرصفي

للدكتور ابراهيم عوضين

الغوائل ومكــــدرات النفوس ، والنقص الفاحش (١) .

ولا يترك الانسان لهذا المنهج العام المجمل، بل يعود ليرسم له خطوطه بشيء من التفصيل ويحدد له أبعاده ، ويقفه على الموازين النقدية التى يستصحبها فى مساره الادبى فى قوله :

« الطريقة المثلى ـ كما سبق تنبيهك عليـه وارشادك له ـ أن يبتدىء الطالب بتحصـيل الفنون الأصلية صافية نقية من الشـبهات والاعتراضات . وايراد العبارات المنقوضـة تحفظا لها وعملا بها فيما يرد عليه أثناء ذلك من الكتب التى يتعلم بها ؛ والاشعار المضـمنة فيها ؛ فاذا أتقن ذلك ، واعتاد لسانه أن ينطق بالكلم العربية كما كانت العرب تنطق بهـــا ، انتقل الى معرفة الفنون البلاغية التى يستفيد بها دقائق المعانى الاشارية الملحوظـــة وراء المعانى الاصلية ، ليبلغ ذلك درجة اتقان الانشاء حسب اقتضاء الاحوال ، فارقا بين كل مقـام وغيره ، فخطبة المنبر غير خطبة عقد الصلح ، وهما غير خطبة رفع المهادنة ونبذ العهد ، وهى غير خطبة الاملاك . والعبارات عن صـيغ

---

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ٥ .

الشيخ حسين المرصفي

العقود والشهادات والمشارطات غير عبارات التعزيات والتهنئات والبشارات وهكذا ، وطريق الوصول الى ذلك معرفة الفنون البلاغية، وكثرة القراءة فى منشآت المتقدمين على اختلاف أنواعها ، بتعقل لسياقتها ومسالكها ومبادئها وأوساطها وغاياتها ، مع الصبر على ذلك ، والتأنى فى تعقله » (١) .

لقد كان الشيخ حريصا أبلغ الحرص على أن يجنب تلميذه الزلل والخطأ ، ويبعده عن مواطن القبح المختلفة التى تنجم عن وضع الشىء فى غير موضعه فى مجال اللغة والنحو والبلاغة والعروض والقافية الى غير ذلك .

ولم يكتف فى هذا السبيل بما قدم من نماذج أدبية ، وتوجيهات نقدية ، بل رأى أن يعقد بعض الموازنات النقدية بين الاعمال المتشابهة ليكشف من خلال ذلك ما يمتاز به عمل عن عمل ويقفنا فى أثنائه على بعض المقاييس النقدية التى يرى فيها ضوابط ومقومات لابد منها للاديب حتى يسلم عمله ، ويخلص من العيوب. ومن أبرز هذه الموازنات النقدية ما عقده الشيخ بين معارضات البارودى لقصائد الفحول من شعراء العربية القدماء كما صنع فى رائية البارودى التى عارض بها أبا نواس .

والناظر فى هذه الموازنات يلاحظ أن المرصفى كان لا يقف عند حد الموازنة بين القصيدتين ، بل كان يتخذ منها منطلقا يستعرض خلاله الاعمال الادبية فى دراسة ناقدة متأنية تكشف عن المعانى المطروقة فى القصيدة على نحو ما نراه فى وقفته مع رائية أبى نواس التى مدح بها الخصيب بن عبد الحميد العجمى أمير مصر من طرف الرشيد ، وكان قد قصده من بغداد وفى مطلعها يقول :

اجارة بيتينا أبوك غيور
وميسور ما يرجى لديك عسير

ففى أثناء شرحه القصيدة استوقفته بعض معانيها التى شارك فيها أبا نواس شعراء آخرون فأجال النظر فيها ، وقارن بين هذا وذلك . فقد وقف فى قصيدة أبى نوَاس مثلا — عند الرحلة لكسب المال ارضاء للحبيبة ، فأورد عددا من الابيات التى تعرض المعنى نفسه لشعراء آخرين مثل قول أحدهم :

دعينى أطوف فى البلاد لعلنى
أصادف حرا او أموت فاعذرا

وقول الآخر :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا
وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

كما استوقفه من أبيات القصيدة ما كثر لفظه وقل معناه مثل قوله :

فما جازه جود ولا حل دونه
ولكن يسير الجود حيث يسير

الذى رأى الشيخ أن ألفاظه أكثر من معناه، وأن الشاعر قد أخذه من قول الشنفرى :

---

(١) نفس المصدر جـ ١ ص ٢١٤ .

ظاعن بالحـــزم حتى اذا ما
حل ، حل الحزم حيث يحل

ولكن أبا نــواس لم يســتطع مجاراة الشنفرى ، فأساء الاخذ ، اذ وضـع الجـود موضع الحزم والفارق بينهما كبير .

ويواصل السير على هذا النمط من الشرح والتعليق والنقد حتى اذا انتهى من قصــيدة أبى نواس ، تناول قصيدة البارودى بالشرح والموازنة والتعليق . وفى النهاية يجمل ما فصل ويجمع ما تناثر فى هيئة تقريظ للبارودى ، ولكنه تقريظ يلفت النظر بما تضمن من آراء نقدية جديدة وذلك قــوله : « انظر هــداك اللــه لابيات هذه القصيدة فأفردها بيتا بيتا تجـد ظروف جواهر أفردت كل جوهرة لنفاسـتها بظرف ، ثم اجمعها وانظر جمال السياق وحسن النسق ، فانك لا تجد بيتا يصح أن يقـدم أو يؤخر ، ولا بيتين يمكن أن يكون بينهما ثالث ، وأكلك الى سلامة ذوقك ، وعلوهمتك ان كنت من أمثل الرغبــة فى الاستكمال لتتبع هــذه الطريقة المثلى » (١) .

والذى يلفت النظر فى هذا الاجمال ، أنه تضمن رأيا فى القصيدة لم نقف عليه من سابقيه ولا معاصريه ، حيث جعل القصــيدة كيانا متكاملا ، وبناء متناسقا لا يصح أن يقـــدم فيه بيت عن موضعه ولا يؤخر ، ولا تغير فيه هيئة البناء بأى تغيير .

ولا ريب فى أن هذا يذكرنا بما عرف فيمـا بعد ذلك بنحو نصـف قرن باسـم الوحــدة العضوية للقصيدة ، وقام عليه العقاد وصاحبه المـازنى ، واشتهر به أو اشتهر هو بهمـا ــ وان يكن سبقهما اليه خليل مطران على نحـو ما أوضحته فى كتــــابى فى الادب العربى المعاصر (٢) ــ فالمرصفى يمدح شعر البارودى بقيامه على تلك الوحدة حيث لا تجـــد فى القصيدة بيتا يصح أن يقدم أو يؤخر ولا بيتين يمكن أن يكون بينهما ثالث .

بيد أن الشيخ لا يقف عند حد الوحـــدة العضوية للقصيدة ، ولكنه يطلبها الى جـوار وحدة البيت ، فالبيت فى القصيدة كيان جزئى لابد من أن يقدم الشاعر به معنى جزئيا يمكن أن يتفرد بجماليات التعبير وسحر البيان، ولكنه ليس تفرد الاستقلال ــ كمـــا توهم بعض الناقدين ــ انما هو تفرد الجزء مع مراعـــاة الكل ، فتكامل البنية لا يمنع من التنبه الى أحد أعضائها من تشويه أو يشتمله من تناسق وجمال .

ومن ثم يتقرر أن المرصفى سبق الى الوحدة العضوية فى هذا العصر خليلا والعقاد والمازنى ولعل هؤلاء دعوا اليها بعد اطلاعهم على ما جاء فى وسيلة المرصفى التى كانت مرجع كل باحث ودارس فى مطالع هذا القرن .

---

(١) الوسيلة الادبية ج ٢ ص ٤٧٤ وما بعدها .

(٢) فى الأدب العربى المعاصر القسـم الثــانى ص ٩٤ ، ١٦٦ .

ومن عجب أن الدكتور مندور بعد عرضه لسبق المرصفى الى الوحدة العضوية فى القصيدة يعود فيقول : « ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نزعم أن الشيخ حسين المرصفى قد جدد أصول النقد الادبى على نحو ما فعل صاحبا الديوان » وصاحب « الغربال » فيما بعد . فالشيخ حسين نفسه لا يزال يقرر أن للبيت مثلا وحدة شعرية مستقلة بذاتها ، حيث يقول فى مستهل حديثه عن الشعر : انه كلام مفصل قطعاً متساوية فى الوزن متحدة فى الحرف الاخير من كل قطعة ، وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا ، ويسمى الحرف الاخير الذى تتفق فيه رويا وقافية . وينفرد كل بيت بافادته فى تركيبه كأنه كلام وحده ، مستقل عما قبله وما بعده ، واذا أفرد كان تاما فى بابه ، فى مدح أو تشبيب أو رثاء ، فيحرص الشاعر على اعطاء ذلك البيت ما يستقل فى افادته ، ثم يستأنف فى البيت الاخير كلاما آخر كذلك ، ويستطرد للخروج من فن الى فن . ومن مقصود الى مقصود ، بأن يوطىء المقصود الاول ومعانيه الى أن يناسب المقصود الثانى ، ويبعد الكلام عن التنافر ، كما يستطرد من التشبيب الى المدح ، ومن وصف البيداء والطلول الى وصف الركاب أو الخيل أو الطيف ، ومن وصف الممدوح الى وصف قومه وعساكره ، ومن التفجع والعزاء فى الرثاء الى التأثر ، وأمثال ذلك » .

ومن البين أن مثل هذا المنهج النقدى لا يخرج فى شىء عن منهج النقد التقليدى عند العرب ، وهو يعتبر اليوم قديما باليا بالنسبة الينا بعد أن اتسعت آفاقنا النقدية وأصبحنا نبحث فى فلسفة الادب وأهدافه ومصادره ووظائفه فى الحياة و فى خصائصه الجمالية ومبادئه الفنية ، وأصالته المتميزة(١) .

وموطن العجب فى هذا الرأى أن الدكتور مندور جعل وصف المرصفى للشعر عند العرب وحديثه عن منهجهم فيه .. جعل هذا رأيا للشيخ فى الشعر يحسب عليه ، ويغفل بسببه ما صرح به من احتفال بالوحدة العضوية مندور من كلام المرصفى رأيه النقدى فى الشعر لما كان هناك داع لان يقول : « وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا .. » فكلمة (عندهم) تنبه الى أن الشيخ انما يصف لتلاميذه منهج الشعراء العرب السابقين . حتى لا يغيب عن الناقد مفهوم الشعر لديهم ، فيزن شعرهم بموازينهم لا بموازين العصر ، وليست كلمة (عندهم) فى عبارة الشيخ وحدها التى

---

(١) الشيخ حسين المرصفى والوسيلة الادبية . مقال للدكتور محمد مندور فى مجلة « المجلة » العدد التاسع والعشرين مايو ١٩٥٩ ص ٤٧٣ .

تشير الى مقصوده هذا بل ان سياق العبارة كله يومىء الى ذلك .

وكأنى بالشيخ يقرر أن الناقد الحقيق بهذا اللقب لابد له من موازين مختلفة تمثل أطوار الادب فى بيئاته المتعددة فيزن نتاج كل بيئة بلائمه من الموازين النقدية .

وليس هو الذى يحمل ميزانا واحد ليقيس به الاعمال الادبية كلها مهما تباين أصحابها ومهما اختلفت البيئات وتباعدت الأزمان ، فهو لذلك يضع أمام تلاميذه مفهوم الشعر عن السابقين من الشعراء والعرب وناقديهم : وليس أدل على ذلك من اعتراض الشيخ على تعريف العروضيين للشعر بأنه الكلام الموزون المقفى ، ليس بحد لهذا الشعر باعتبار ما فيه من الاعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة فلا جرم أن حدهم ذلك لا يصلح له عندنا . فلابد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية فنقول : ان الشعر هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والاوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروى ، مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجارى على أساليب العرب المخصوصة به » .

وتزداد دهشتى حين أجد الدكتور مندور ينقل اعتراض الشيخ هذا مدللا به على أنه فطن الى خاصية أساسية تميز الادب عامة والشعر خاصة عن غيره من الكتابات وهى التصوير البيانى بدلا من التعريف الجاف . بينما يغفل عن كلمة (عندنا) فى قول الشيخ عن تعريف العروضيين « فلا جرم أن حدهم ذلك لا يصلح له عندنا » ومدلولها هنا يعزز مدلول (عندهم) هناك ، بالقدر الذى يعفى الدكتور من التناقض فى الحكم على الشيخ ، ويحميه من الحيرة التى أبداها فى قوله .

* * *

لقد جمع المرصفى بين موهبة الفنان ، واستيعاب العالم ، وتمكن اللبيب الاريب ، فانساب بين عقول تلاميذه فى أناة وتعقل بآرائه النقدية ونظراته الفاحصة ليحولهم من الاستسلام تماما الى ما كان عليه الاقدمون ، من آبائهم ، دون أن ينقطعوا عن أصولهم ، أو يخرجوا على اطارهم فأضاف الى ما تقدم دعوته الصريحة الى ترك ما لا يتلاءم مع ذوق العصر مما ورثنا عن الاقدمين ، فى قوله : « انه لا يصح تقليد العرب فى جميع ما نطقوا به ، فقد عرفت مما سلف أن بعض كلامهم يجب اجتناب مثله ، وأنهم لا يتابعون الا فيما كان أوفق للغرض من الكلام وهو التفاهم ، وفى خصوص الشعر والانشاء من التأثير فى الطباع ، وتحويلها الى الميل الذى يريده الشاعر

والكاتب » (١) •

ولم يقف عند ذلك الحد ، بل رأى أن يكون أكثر صراحة ، وأشد وضوحا ليتجه بتلاميذه الوجهة التى يراها أمكن لناقد الادب ودارسه فتقدم لهم ناقدى الادب الاقدمين فى تقسيم كاشف محدد ، ليعرفهم من خلال ذلك بالمنهج النقدى الذى يرتضيه ، ويطلعهم على أبعاد الآراء النقدية ، ومدى الاخذ بها ، والنظر فيها ؛ فالنقاد فى رأيه صنفان • الصنف الاول الشعراء والكتاب ورواة المنظوم من العلماء لغرض التعليم والتأديب • والصنف الثانى علماء البلاغة الذين تكلموا فى اعجاز القرآن ووضعوا فى ذلك مصنفاتهم • والشيخ يرى أن نقد الصنف الاول موضوعى ، لانهم — مهما أخذوا على العمل الفنى من التعقيد والحشو والتطويل والخطأ فى المعانى • واستعمال ألفاظ لائقة بمقام فى غيره — يتسامحون فى أشياء ليست بتلك المنزلة لادراكهم القصور الطبيعى الذى عليه بنو البشر • أما الصنف الثانى فالشيخ لا يقبل منهجهم النقدى لانهم يفرقون بين الكلام البرىء من كل عيب جل أو دق ظهر أو خفى — وهو كلام من لا يخفى عليه خافية — وبين كلام الناس الذين هم موضع السهو والنسيان (٢) •

وهكذا يقدم الشيخ الى تلاميذه اضافة نقدية جديدة ، حيث يأخذ على الناقد موازنته بين عملين أدبيين دون أن يراعى مصدر كل عمل على حدة ، فالعمل الادبى لا ينقطع عن مصدره بأى حال • ومن ثم لم يقبل أن يوازن بين كلام الخالق وكلام المخلوق كما صنع الباقلانى فى كتابه « اعجاز القرآن » حيث عقد فيه مقارنة بين القرآن الكريم وبعض الاعمال الادبية المشهورة يتفوقها . مثل معلقة امرىء القيس •

ويستطرد الشيخ فى هذا السبيل ليقدم لتلاميذه ما يأخذه على الباقلانى فى نقده الذى تحامل فيه على امرىء القيس فى كثير من آرائه (٣) •

* * *

وبعد فان الناظر الى الشيخ حسين المرصفى يرى فيه الناقد ذا الشخصية المستقلة المتعقلة التى لا تنفصل عن جذورها ولكنها لا تستسلم تماما لسطوتها وسلطانها ؛ فليس « كل تركيب صدر عن العرب وغيرهم من المشاهير جيدا ،

---

(١) الوسيلة الأدبية جـ٢ صـ ٤٧٣ .

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٤٢٩ .

(٣) راجع الوسيلة الادبية جـ ٢ ص ٤٢٩ — ٤٤٤ مقارنا بما جاء فى اعجاز القرآن للباقلانى فى ص ٢٤١ وما بعدها بتحقيق السيد صقر .

فربما تعسف الواحد منهم اغترارا بفهم نفسه، وغفلة عن رعاية غيره ؛ ومسارعة بايراد ما ظهر من المعنى (١) .

وان مظاهر تلك الاستقلالية لتبدو :

أولا : فى نظرته الى القصيدة الشعرية كما ينظر الى البنية المتكاملة ذات العناصر المتعددة التى يقوم كل عنصر فيها مقام العضو فى جسم الكائن الحى .. على نحو ما تقدم تفصيله .

ثانيا : فى حرصه على مناسبة الالفاظ والمعانى وذلك لان « جودة الكلام تعتمد صحة المعنى وشرفه ، وتخير الألفاظ فى أنفسهم ومن جهة تجاورها وموافقتها للمقام واجادة التركيب على ما شرح فى علم المعانى وغيره ، بحيث تكون الالفاظ سلسة فى المنطق ، خالية من التنافر وشدة الغرابة ، يألف بعضها بعضا، حتى تكون الكلمات المتوالية بمنزلة كلمة واحدة ، وتكون الالفاظ التى نوردها فى مقام الحماسة ليست كالالفاظ التى نوردها فى مقام الغزل والتشبيب ، فلكل فن من تلك الفنون ألفاظ توافقه من جهة شدتها ولينها ، ولذلك تسمعهم يقولون :

« الجزل الرقيق . واجادة التركيب بسلامته مما يبعد فهم المعنى منه » (٢) .

أى أن الجمال فى نظر المرصفى يقوم على التناسب والتلاؤم الشامل للالفاظ بعضها مع بعض ، وللالفاظ مع المعنى والسياق .

ثالثا : فى دعوته الى التخلص مما وقع فيه بعض الأقدمين حين نظروا الى الوسائل الادبية نظرهم الى المقاصد . ووقفوا عند ذلك الحد ، فدرسوا القواعد اللغوية والبلاغية لذاتها ، وليس للتوسل بها الى التعبير الصادق ، أو النقد الواعي الدقيق .

رابعا : فى أخذه من الأقدمين ما يتفق مع اتجاهه ، ورفضه ما يختلف معه ، كما نراه فى موقفه من ابن خلدون . حيث أخذ كثيرا من مقاييسه الادبية والجمالية ، حتى اذا وصل الى الذوق الفنى استعرض رأى ابن خلدون فى تفسيره ، ثم عقب عليه بقوله :

« وأما قوله فى تفسير الذوق فأبين منه ما سألقيه عليك . وذلك أن بين الاشياء تناسبا بحيث متى استوفت عند اجتماعها حظها منه قامت منها صورة يتفاوت الناس فى ادراك حسنها طبعا وتعلما ، فمنهم من لايدرك ذلك ولا يلتفت اليه ، وليس مدركوه سواء فيه ، فمنهم من يقنع بادراك ظواهر الأشياء ومنهم من ينتهى ادراكه الى اعتبار دقائقها وخوافيها وتعتبر ذلك بما تشاهده من شدة سرور بعض الناس عند رؤيتهم للاشياء المناسبة التى

---

(١) الوسيلة الادبية ج ٢ ص ٤٦٣ .

(٢) المرجع السابق .

رائد النقد الأدبى فى مصر

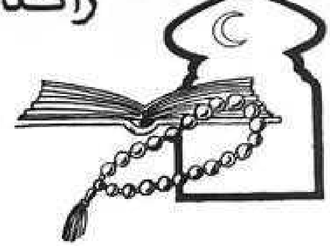

تلائم بعضها بعضا ، وشدة نفرته وانقباضه عند رؤية خلافها ، لا يختص ذلك بشىء دون شىء ، فتراه يتأمل الابنية وأوضاعها وما اشتملت عليه من مكملات للانتفاع بها ، فاذا أدرك فيها التناسب اللائق بها رأيته قد انشرح صدره ، وتجدد سروره ، وأخذ فى نعتها والثناء على صناعها ، وذلك مثل تعتبر به غيره ، وتتأمل تفاوت الناس فى ذلك الادارك ، فالادراك الذى يتعلق بتناسب الاشياء ، ويوجب الاستحسان والاستقباح هو المسمى بالذوق ، وهو طبيعى ينمو ويتربى بالنظر فى الاشياء والاعمال من جهة موافقتها للغاية المقصود منها (١) .

خامسا : فى ربطه بين العمل الادبى وصاحبه ـ وهو المنهج المعروف حديثا بالمنهج النفسى ـ بحيث لا يقف الناقد فى عمله عند حد تناول ما فى النص الادبى من جمال فنى ، وسلامة لغوية ، وصور بلاغية ، بل يتجاوز ذلك الى صاحب العمل الادبى نفسه ، وما ينطوى عليه من عوامل داخلية تؤثر فى نظراته وأخيلته وعباراته (٢) .

والمرصفى فى ذلك وان يكن مسبوقا اليه بطائفة من قدامى الناقدين العرب أمثال ابن طباطبا العلوى ، وابن سلام ، وابن قتيبة ، وعبد القاهر ، وابن خلدون ـ له فضل التعميق والتفصيل ، والوقوف الموجه الملح على هذا المنهج ، بيد أنه لم يضع ذلك تحت عنوان الاتجاه النفسى على نحو ما عرف فيما بعد .

سادسا : فى اقامة النقد الادبى على المنهج الفنى ، لا على المنهج التاريخى ، ولا على التقسيم الاقليمى ، فقد قسم الشعراء الى طبقات فنية ، يجمع كلا منها التبريز فى فن أو منهج فنى بعينه ، دون مراعاة للبيئة الزمانية أو المكانية الا بقدر .

وعلى منهجه هذا جعل الشعراء ثلاث طبقات .

الاولى منها طبقة الجاهليون والاسلاميين من المهلهل الى بشار بن برد ، ومن هذه الطبقة « عدى » الملقب بالمهلهل لانه هلهل الشعر اى رققه وأطاله ، وقد اتفقت كلمة العلماء على أن امرىء القيس أول من جود الشعر وأطال القصائد وجعلها مشتملة على أصناف من المعانى فامرؤ القيس يذكر معه من أصحاب المعلقات وغيرهم أئمة الشعر الذين يقتدى بهم ، ويصنع على ما تمثلوه ، اذ كانوا هم المخترعين ، وكانت عباراتهم حكاية عن

---

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٧٣ .

(٢) المرجع السابق .

الواقع وصنعه للمشاهد . لم تكن الصنعة غالبة عليهم ، كما هو شأن المتأخرين عنهم ، لذلك قيل لشعرهم أنه مطبوع ولشعر المتأخـرين أنه مصنوع » (١) .

والطبقة الثانية طبقة المحدثين الذين كانوا يحرصون على موافقة العرب ويجتهـدون فى سلوك طوائفهم من أبى نواس الى قبيـل القاضى الفاضل ومن شعراء هذه الطبقة مسلم ابن الوليد ، وأبو تمام ، والبحترى ، والمتنبى والسعدى والشريف الرضى وتلميـذه مهيـار الديلمى .

ويطيل المرصفى وقفته مع شعراء هـذه الطبقة ، فيقدم عنهم دراسة دقيقة تعتمد على كثير من أشعارهم (٢) .

أما الطبقة الثالثة فطبقة الشـعراء الذين غلبت عليهم استعمال النكات ، والافراط فى مراعاة البديع ، وهم من القاضى الفاضل الى يوم تأليف الكتاب سنة ١٨٧٢ ، ومن شعراء هذه الطبقة محمـد بن نبـاتة المصرى ، وعبد العزيز بن سرايا الحلى ، وهى طبقـة تهتم بالبديع والصـنعة الشعرية وليقرر هذا

(١) الوسيلة الادبية جـ ٢ ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ .

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٥٢٢ .

استعرض طائفة كبيرة من نماذج شعرائهـا ، ودرسها دراسة دقيقة ، تدل على قدرته الفنية المرهفة وتمكنه من اللغة العربية وعلومها (٣) .

وهكذا وضع الشيخ حسين المرصفى نفسه بين رواد البعث الادبى والدراسات الادبية فى العالم العربى المعاصر ، ليكون منارة توجه الدارسـين والباحثين فى الفنون الادبية والنقد الادبى الى يومنا هـذا (٤) .

دكتور ابراهيم عوضين

(٣) المرجع السابق جـ ٢ ص ٥٦٦ .

(٤) انظر تاريخ علـم الأدب للويس شـيخو وجبرائيل اده اليسـوعى ، حيث ينقلان راى المرصفى فى صفات الخطيب جـ ٢ ص ٣١٢ ــ ٣١٤ .

سعيد عبد الحى

شخصية في سطور

* هو عثمان بن عفان من عبد شمس ولد فى السنة الخامسة من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* أسلم عثمان بن عفان فى سن الثلاثين وهو من أوائل المسلمين وقد سعى وراء الاسلام وذهب مع أبو بكر الى رسول الله صلى الله عيه وسلم وشهر اسلامه .

* وكان رضى الله عنه محبوبا من الناس جميعا .. هينا .. لينا .. سهلا .. سمحا .. وكان يمتاز بعقل راجح ورأى سديد ومنطق سليم .

* وقد كان اسلام عثمان مبعث فرح للمسلمين .. ومصدر حزن لقريش ..

* وكان عثمان رضى الله عنه زوجا لابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . رقيه ، أم كلثوم وكان أول من هاجر من المسلمين الى الحبشة هو وزوجته رقية .

* وكذلك كان عثمان أول سفير فى الاسلام فقد بعثه الرسول الكريم الى قريش عندما اراد دخول البيت الحرام هو واصحابه لاداء العمرة وبعثه الرسول يوضح لهم الأمر فكان بذلك أول سفير فى الاسلام .

* ويكفى عثمان أنه رفيق النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة فقد جاء فى الحديث « لكل نبى رفيق ورفيقى فى الجنة عثمان » .

* وكان عثمان أسخى الأمة الاسلامية الأولى وأكرمها وأكثرها نفقه فى سبيل الله .. ومما يدل على ذلك أنه اشترى بئر ماء يسمى بئر رومى وكانت البئر لرجل من بنى غفار وكان يبيع القربة منها بمد .

ويوم قدم النبى مهاجرا استنكر اصحابه المهاجرون ماء المدينه فأرسل النبى الى صاحب البئر وقال له تبيعها بعين فى الجنة : فقال الرجل يا رسول الله ليس لى ولا لعيالى غيرها فبلغ ذلك عثمان فاشترى البئر بخمس وثلاثين ألف درهم ثم ذهب الى النبى وقال له اتجعل لى ما جعلته له فقال النبى نعم : فقال عثمان .. قد جعلتها للمسلمين .

* وفى غزوة تبوك (العسرة) جهز عثمان ثلث الجيش وكان الجيش فى هذه الغزوة ثلاثين الفا .

* وعثمان رضى الله عنه ثالث العشرة المبشرين بالجنة : واشترك عثمان فى جميع غزوات النبى ما عدا غزوة بدر وكان ذلك باذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتبره الرسول من جند بدر .

* وقد اختاره الرسول ليكون كاتب وحيه وكاتم سره وتلك شهادة كبرى بأمانته وعفته .

* وقد تصدق عثمان رضى الله عنه بألف بعير محملة قمحا وزيتا وزبيبا وذلك عندما

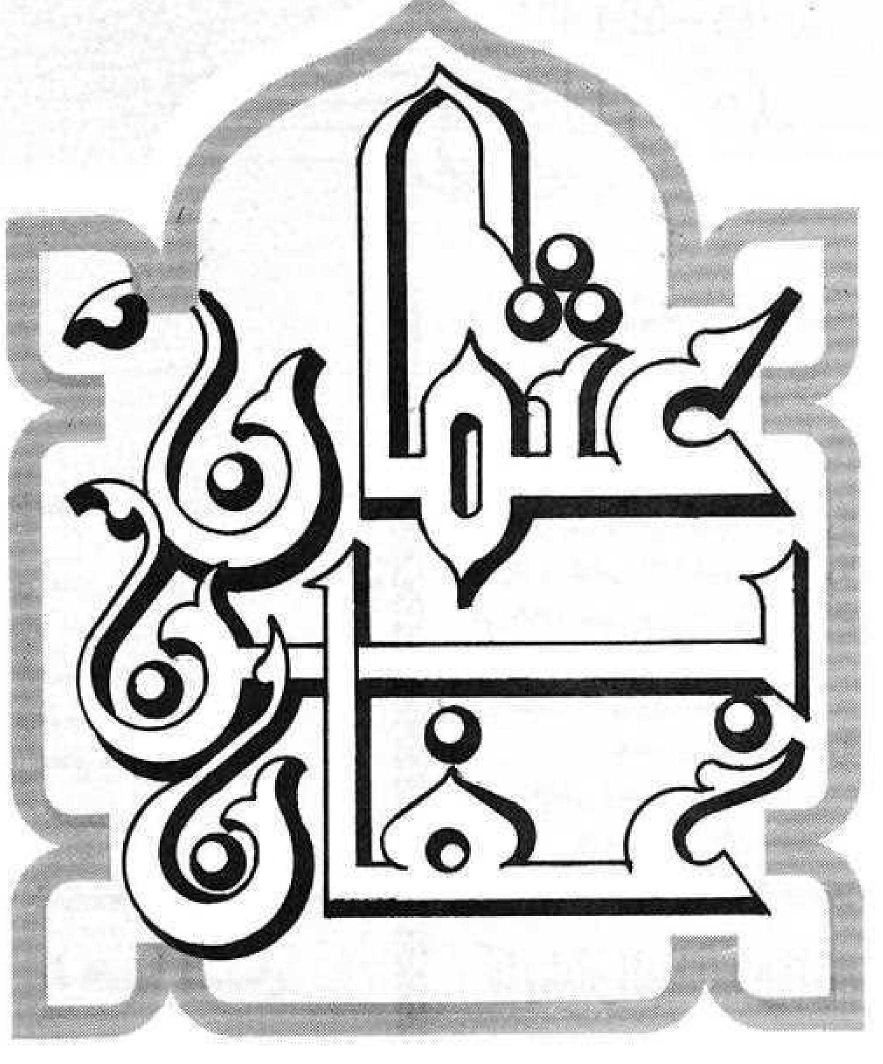

أصاب المسلمين قحط فى عهد أبى بكر رضى الله عنه .

*** وعثمان رضى الله عنه اسس أول أسطول بحرى فى الاسلام .**

* ومن أهم أعمال عثمان جمع المصحف الشريف فقد قام بجمعه عندما اختلف أهل حمص وأهل الكوفة وأهل البصرة وقال كل فريق ان قراءتى خير من قراءتهم فبلغ عثمان ذلك فقام بجمع المصحف وكان ذلك افضل شىء قام به عثمان رضى الله عنه .

*** وقد استشهد عثمان سنة ٣٥ هـ فى الفتنة الكبرى وعمره يومئذ اثنتان وثمانون عاما قضى فيها اثنى عشر عاما فى الخلافة .. رضى الله عن عثمان وأرضاه .**

طرائف

عند الموت

فى مرض الموت توجه صديق لزيارة الامام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ فقال له : كيف اصبحت يا أبا عبد الله ؟

قال : أصبحت من الدنيا راحلا ، ولاخوانى مفارقا ، ولكأس المنية شــاربا ، ولا أدرى الى الجنة تسير روحى فاهنئها ، أم الى النار فأعزيها ثم قال

ولما قسـا قلبى وضـاقت مذاهبى
جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعـاظمنى ذنبى فلمـا قرنتـه
بعفـوك ربى كان عفـوك اعظمـا

أقسام الدنيا

قال ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ الدنيا ثلاثة أقسام :

قسم للمؤمنين يتزودون به الى الآخرة .

وقسم يتزين به المنافقون !.

وقسم يتمتع به الكافرون .

كبائر القلب واللسان

قـال ابن مسـعود : الكبـائر أربعة فى القلب وأربعة فى اللسان .

أما كبائر القـلب فهى : الشرك باللــه ، والاصرار على معصيته ، والقنوط من رحمـة الله ، والأمن من مكره سبحانه .

وأما كبائر اللسان فهى : شـهادة الزور ، وقذف المحصن ، واليمين الباطل ، والسحر .

العاقل

العاقـل يحسـم الداء قبل أن يبتلى به ويدفع الامر قبل أن يقع فيه فاذا وقع فيه رضى وصبر .

ومواقف

للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مواصفات الدعاء

« للدعاء أركان وأجنحة وأوقات واسباب »

فاركانه : حضور القلب مع الله ، والخشوع لله ، والحياء من الله ورجاء كرم الله ٠

وأجنحته : الصدق وأكل الحلال ٠

وأوقاته : الفراغ والخلوة ٠

وأسبابه : الصلاة على النبى ، فان الدعاء لا يرد اذا كان قبله وبعده الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ٠

ثلاث خصال

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الايمان :

حلم يرد به جهل الجاهل ٠

وورع يحجزه عن المحارم ٠

وخلق يدارى به الناس ٠

حقا

لاتعادوا حتى تروا ، ولا تفخروا حتى تفعلوا ، قصص الاولين مواعظ الاخرين البحث يوضح الحق ، ليس مع الحسد سرور ، ولا مع الحرص راحة ، ولا مع السخط غناء ٠٠ من لزم الصحة والاستقامة لزمته الغبطة والسلامة ٠

مناجاة

اللهم اجعلنى من الذين اذا أعطيتهم شكروا ، واذا منعتهم رضوا ، واذا امتحنتهم تفكروا ، واذا ذكرتهم ذكروا ٠

صلوات

إِيَّاك يا رب الخلائق نعبدُ … ولنور وجهك يا مدبر نسجدُ
مَنْ خالق مَنْ راحمٍ من قادر … فى الكون غيرك نرتجيه ونقصد
ماق الوجود سواك يا رياه إلا … وهم عقل قاصر يتجسَّد
لا شيء الا أنت يا نور الوجود … وان تعامى عن سناك الملحد
لولا ضياؤك ما رآنى مبصر … فالذر فى ألق الاشعة يُشهد
إِنى أُحِقُّك فى خفائك ظاهرا … للروح والوجدان أنى أعمد
فى الأرض تطلع كل زوج مُبْهِج … دانى القطوف اذا ذوى يتجدد
فى الشمس تفتن الحرارة والسنا … فى السحب تُبرق فى السماء وتُرعد
فى وحشة الليل البهيم وفى تباشير … الصباح تفيض أنسا يسعد
فى عزة الجبل الاشم وفى السفوح … وفى هدير الموج يرغو بزبد
فى صحوة الاحياء تسعى للحياة … وحين تسلم للرقاد وتُخلد
والكائنات عظيمها ودقيقها … شهدت بأنك يا مهيمن أبَدُ
آمنت يا ربى بكل مشاعرى … وجوارحى حقا بأنك أوحد

شعر محمد عبد الرحمن صان الدين

أصدقاء الحياة

تحاصرني الحيـــاة بكل صـعبٍ ... وأرفض أن تلين لها قنـــاتِي
وقال النـــاس منعزل كتـــوم" ... فقلت لهـــم ولم أفقـــد ثبـاتِي
دعوت اللـــــه أن يرضى عليكم ... وعشـــت محلقا فى أدعيـــاتى
انا رجل يحب الناس طــــرًّا ... وأفخـــر أننى أنكـــرتُ ذاتى
وسوف أَظَـــلُّ انسانا وفيًّـــا ... غنيًّـــا بالرضـــا والتضحيات
صلاتى خمس مـــراتٍ دوائى ... وفيهـــا كـــل أسرار النجـــاة
ثــلاثة أصدقاءٍ فى حيـــاتى ... وهم ذخرى وأغلى أمنيـــاتى
كتاب الله ان واجهت كربًـــا ... يفرج كربتى فى الحــــادثات
وقول عن رسول اللـــــه يروى ... فيجذبنى الى نيل الصـــفات
وثالث صـــاحب ديوان شـعرٍ ... تطيب به وتحلو أمســـياتى
وعمر المرء فى الدنيا قصـيرٌ ... ويبقى ذكـــره بعد الممـــات

شعر محمد عبد الفتاح حمـــاده

كتاب الشهر

الإسلام حاضره

تاليف : ــ عباس محمود العقاد

التعريف بالمؤلف :

لا أحد يستطيع أن يقدم الاستاذ عباس محمود العقاد الى القارىء والمكتبة الاسلامية سوى كتابته وعلمه .

ولذلك فان خير مايقدم هذا الكتاب هو ماكتب فيه من مؤلف عملاق منهج المؤلف فى تأليف كتابه : ــ أثار المؤلف عدة تساؤلات حائرة رددها الكثيرون من المسلمين بل ومن غير المسلمين ومن علماء الغرب المتخصصين فى أبحاث العقائد الدينية المختلفة .

فى عرض متسلسل وبحث عميق ، يجيب العقاد بالحقائق والاسانيد المثبتة على :

كيف ولماذا :

ــ انتصر الاسلام فى سنواته الاولى على أقوى دولتين فى العالم وقتذاك هذا الانتصار الساحق ؟

ــ كيف ولماذا :

ــ انتشرت العقيدة الاسلامية حتى عمت هدايتها معظم أرجاء العالم المعمور بعد سنوات قلائل من بدايتها مع وفرة العقائد والأديان والعبادات فى ذلك الوقت ؟

كيف ، ولماذا :

سلحت العقيدة الاسلامية ، وثبتت أمام الحرب الضارية الطويلة التى شنها عليها أعداؤها فى وقت كانت فيه الامة الاسلامية جميعا لها مشاعا للمستعمرين ؟

ثم السؤال الملح :

ما هو موقف العقيدة الاسلامية التى انتشرت وصمدت وآمن بها الملاين على مر الاجيال والقرون ، ماهو موقفها ومستقبلها بين التيارات العقائدية التى تتجاذب العالم اليوم وتسعى الى السيطرة عليه ؟

عرض لمحتويات الكتاب

قوة غالبة

قوة غالبة لم تصمد لها قوة :

قوة نجمت من حيث لا مخافة ولا فطنة . فما هى تلك القوة ؟ وليست قوة دولة ولا قوة سلاح ..

ويجيب العقاد عن هذا التساؤل :

قيل فيما قيل انها خشونة البادية غلبت ترف الحضارة ونعمة الرخاء ، ولكن الدولتين اللتين انهزمتا معا « دولة الأكاسرة ، ودلة المغرب وهى دولة القياصرة . فارس وبيزنطة » .

قد كانت تحكمان الملاين ممن لا يعرفون من العيش غيرخشونته وشظفهوكانت فارس تحكم من حولها قبائل لم تعرف غير الجبال والقتال . وكانت بيزنطة تحكم على تخومها أشباه تلك القبائل فى خشونتها وقوة مراسها وظلت تحكمها وتهزمها كلما أغارت عليها من غربها أو شمالها بعد أن تلاحقت هزائمها فى وقائعها من أبناء البادية العربية وسلمت بالهزيمة بعد الهزيمة تسليم الخيبة والاضطراب .

عرض وتقديم حمدى الليثى

فى القرن العشرين

ومستقبله

تأليف عباس محمود العقاد

– وقيل فيما قيل انه احتقار العرب للعجم وكل الناس عجم عند من ينطقون بالضاد .

ولكنه سلاح كان ينبغى أن يصدق من الجانبين وأن يغلب به العجم فى بعض ميادينهم ان لم يبلغوا به فى الميادين كافة حيثما التقى الخصمان المتساويان فى ذلك السلاح . بل لعل العجم كانوا أشد احتقارا للعربى فى تلك الحقبة على التخصص ، وقد حدث فى احدى وقعات العراق أن زعيما عربيا ممن يلوذون بدولة فارس عرض على مهران قائد الفرس أن يتولى عنه حرب خالد بن الوليد لأن العرب أعلم بقتال العرب فغضب جنود مهران لأنهم سمعوه يقول لذلك الزعيم العربى : « صدقت . لأنتم أعلم بقتال العرب وأنتم مثلنا فى قتال العجم » وثاروا به يستعظمون أن يقول « لذلك الكلب » ما قال ولم يرضوا عن هذه المجاملة لمن يريد نصره حتى قال لهم : « دعونى . فانى لم أرد الا ماهو خير لكم وشر لهم .. فان كانت لهم على خالد فهى لكم . وان كانت الاخرى لم يبلغكم أعداؤكم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء .

الا أن هذا الاحتقار سلاح موفور فى المعسكرين فان كان للعرب نصيب كبير منه فما كان عند العجم منه فهو نصيب غير صغير على أن العرب الذين حاربوا الفرس والروم وانتصروا عليهم لم يكونوا جميعا من أبناء البادية ولامن الناشئين على الشظف والشدة بل كان منهم أبناء نعمة وثراء ، وكان قائدهم الأكبر – خالد بن الوليد الذى قال الزعيم العربى لقائد الفرس مهران انه أعلم بقتاله – مخزوميا من أغنى السروات فى بنى مخزوم ذوى الجاه العريض والثراء المستفيض . اذ كان جده المغيرة بن عبد الله الذى كان الرجل من بنى مخزوم يؤثر أن ينتسب اليه فيسمى المغيرة تشرفا بالانتساب الى الفرع الذى أناف على الاصول .

ويستطرد العقاد بكتابه :

لاننس أن الجيوش الاسلامية لم تصل الى ميادين العراق وفلسطين حتى كانت قدانتصرت على جيوش عربية من البدو والحضر قد نشأت مثل نشأتها وتدربت على القتال مثل تدريبها وعرفت من الترف والخشونة مثل ما عرفته فى بداوتها وحضارتها .

ولاننس أن الظاهرة قد تكررت حيث لاعرب ولا روم ، وحيث كان الفرس فى صفوف المنتصرين مع أمراء الاسلام .

ويختم المؤلف الفصل بذكر السبب الذى أدى الى انتصار المسلمين على اكبر دول العالم بقوله :

لا مناص اذن من الرجوع بها الى السبب

الذى اتفق عليه المؤرخون أو كادوا بعد التعلل لها بجميع الاسباب .

لا مناص اذن من الرجوع بها الى العقيدة التى حفزت أولئك المجاهدين على اختلاف الاقوام والأزمان .

غير أن الرجوع بها الى العقيدة لايختم المطاف ولا يغنى عن مزية فى هذه العقيدة تمتاز بها بين العقائد الكثيرة التى سبقتها أو لحقت بها ولم تنبعث منها قوة كهذه القوة ولا ظاهرة كهذه الظاهرة بعد تجريدها من العوامل الاخرى .

فما كانت جيوش الفرس ولا جيوش الروم خلوا من عقيدة يؤمنون بها ويقبلون على الموت فى سبيلها، وما كانت قبائل الهند أوآسيا الوسطى تجهل الدين أو تهمله فى معيشتها اليومية فضلا عن المراسم التى نصحت المتدين من مولده ولا تفارقه مدى الحياة .

أيقال انها دفعة الدين الجديد ميزت عقيدة الاسلام على سائر العقائد فى ذلك التنازع بين الدول والاديان ؟أن دفعة الدين الجديد ولاشك سبب لا يهمل فى هذا المقام ، وقد يسبق الى الخاطر لتفسير قوة الدعوة فى القرن السابع للميلاد وفى القرن الثانى عشر يوم كان القائمون بالدعوة فى آسيا الوسطى أقواما من الافغان والترك دخلوا حديثا فى الدين .

لكن كم من عقيدة جديدة صنعت مثل هذا الصنيع ؟ وكم ظاهرة كهذه الظاهرة تكررت فى تواريخ الدول والأديان ؟

وقوة صامدة

ويذكر المؤلف أن أسباب انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ــ عند فريق من هؤلاء الباحثين أو المبشرين ــ أنه لا يمنع تعدد الزوجات ولا يحول بين الرجل الافريقى وطلاق زوجاته ــ أو الاحتفاظ بما شاء منهن كما يشاء .

ومن أسباب انتشار عند الباحثين فى سرعة الاقبال بين الهنود أنه سوى بين الطوائف المنبوذة وغيرها من طوائف السادة والأشراف . فأقبل المنبوذون عليه زرافات وبلغوا به من المكانة الاجتماعية ما لم يكونوا بالغيه بالعقيدة المفرقة بين الطوائف والطبقات .

ومن هذه الأسباب عند الباحثين فى سرعة انتشاره بين الأندلسيين أنه صادف ثمة شعبها فقيرا ساءت ظنونه بساداته من رجال الدنيا والدين وأنكروا من أولئك السادات الدنيويين والدينيين تعاليا عليهم واشتغالا عنهم بلذتهم وأبهتهم فرحبوا بأصحاب الدين الجديد .

ومن هذه الأسباب أنه دين بسيط سهل القواعد والأصول لا يحوج المتدين به بعد الايمان بالواحدانية وفرائضه العبادات الى شىء من الغوامض والمراسم التى يدين بها اتباع العقائد الأخرى ولا يفقهون ما فحواها .

ويعقب العقاد على هذا بقوله :

أن هذه الأسباب كلها أسباب محلية أوأسباب موقوفة تصلح لتعليل انتشار الدين فى بيئة معينة أو فى زمن معين ولكنها لا تلازم انتشاره فى جميع البيئات والازمان . ومشكوك مع هذا فى صدق تعليل بعضها فى البيئة الواحدة كما قيل عن تعليل شيوع الاسلام بين الافريقيين وقلة اقبالهم على العقائد التى تحرم تعدد الزوجات .

عقيدة شاملة

ويقول العقاد : لقد ظهر الاسلام فى ابان دولة الكهانة والمراسم وواجه أناسا من

الوثنيين أو من أهل الكتاب الذين صارت بهم تقاليد الجمود الى حالة كحالة الوثنية فى تعظيم الصور والتماثيل والتعويل على المعبد والكاهن فى كل كبيرة أو صغيرة من شعائر العبادة ، ولاح للناس فى القرن السابع للميلاد خاصة أن « المتدين » قطعة من المعبد لاتتم على انفرادها ولا تحسب لها ديانة أو شفاعة بمعزل عنه ، فالدين كله فى المعبد عند الكاهن . والمتدينون جميعا قطع متفرقة لا تستقل يوما بقوام الحياة الروحية ولا تزال معيشتها الخاصة والعامة تثوب الى المعبد لتتزود منه شيئا تتم به عقيدتها ولا تستغنى عنه مدى الحياة .

لا دين بمعزل عن المعبد والكاهن والأيقونة، سواء فى العبادة الوثنية أو فى عبادة أهل الكتاب الى ما بعد القرن السابع بأجيال متطاولة .

فلما ظهر المسلم فى تلك الآونة ظهر الشمول فى عقيدته فى نظرة واحدة ، ظهر أنه وحدة كاملة فى أمر دينه يصلى حيث شاء ولا تتوقف له نجاة على مشيئة أحد من الكهان وهو مع الله فى كل مكان تولوا فثم وجه الله .

ويذهب المسلم الى الحج فلا يذهب اليه ليستتم من أحد بركة أو نعمة يضيفها عليه ، ولكنه يذهب اليه كما يذهب الألوف من أخوانه. ويشتركون جميعا فى شعائره على سنة المساواة بغير حاجة الى الكهانة والكهان . وقد يكون السدنة الذين يراهم مجاورين للكعبة خداما لها وله يدلونه حين يطلب منه الدلالة ويتركهم ان شاء فلا سبيل لأحد منهم عليه .

ويشتمل الكتاب على بقية الفصول التالية :

ـ الاسلام والمسلمون فى القرن التاسع عشر .

ـ أمم غير مستقلة .

ـ أمم أخرى ـ وادى النيل ـ البلاد العربية ـ الهلال الخصيب ـ افريقيا الشمالية ـ مسلمو الحبشة ـ السودان ـ التبشير على الاجمال ـ الدعوات ونهضات الاصلاح ـ الدعوة الوهابية ـ السنوسية ـ طرائق أخرى ـ المصلحون المعلمون ـ الساسة المصلحون ـ المهديون ـ الدعوات ونهضات الاصلاح ـ الاسلام فى نظر الغرب ـ آسيا وأفريقية .

ويختم عباس محمود العقاد كتابه بقوله :

والغد غيب مجهول ولا حاجة بنا الى التنجيم عن حوادثه وصروفه فانه بأية حال لن يخلو من الحوادث والصروف ولن تخلو حوادثه وصروفه من سلم وحرب ونصر وهزيمة ودول تعلو ودل تهبط وعلاقات تتصل وعلاقات تنفصل وصداقة تنقلب الى عداوة وعداوة تنقلب الى صداقة ـ وتكرار على نسق الماضى وبدع جديد كأنه من الماضى المتكرر ـ فما خلا زمن قط من بدع جديد .

هذا وجزى الله المؤلف عن الاسلام خيرا وتقبله من الصالحين .

حمدى الليثى

الفتاوى

* رجل غاب من عام ١٩٥٦ م ثم حكم بوفاته عام ١٩٨٠ م ٠ وخلال المدة من (١٩٥٦ الى ١٩٨٠) توفيت أمه واحدى زوجاته قبل الحكم بوفاته فهل يكون لامه وزوجته اللتان توفيتا الحق فى الميراث ؟ علما بأن له زوجة وأولادا ذكورا واناثا ٠

ومن يرث وما نصيب كل ؟

ج : لزوجته الموجودة أثناء الحكم بوفاته الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى لأولاده تعصيبا للذكر مثل حظ الأنثيين ولا شىء لأمه ولا لزوجته اللتين توفيتا قبل الحكم ، بل كان من حقه أن يرث فى أمه اذا كانت لها تركة وكذلك فى زوجته كذلك ٠٠

س : فضل عبد الرحمن حسنى ٠ أوسيم جيزة ٠

أ ــ الصلاة على النبى بعد كل آذان جهرا هل هى سنة عن الرسول أو بدعة ؟

ب ــ وهل قراءة القرآن فى المساجد جائزة أم حرام ؟

ج : أ ــ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعدالآذان مشروعة يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ٠٠ الحديث رواه مسلم ــ ورفع الصوت بالصلاة جائز للتعليم وعلى المؤذن أن يخفض صوته عند الصلاة على النبى للفرق بينها وبين الفاظ الآذان ٠

ب ــ وقراءة القرآن فى المساجد مشروعة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ٠٠٠ الحديث الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده رواه مسلم ٠

وعلى القارىء ألا يقرأ بصوت فيه تشويش على المصلين والا منع ٠ والصوت الذى يشوش على المصلين هو الصوت المرتفع المزعج الذى يؤثر على المصلى فيخلط فى قراءته ٠

س : دسوقى فهيم

* ما حكم الشرع فى شريكين فى تجارة الخمور واحد منهما تاب الى الله ويريد أن يبدأ حياة طاهرة فترك الشركة غير أن المحل يساوى ألف جنيه وزجاجات الخمر تساوى ٩٠ ألف جنيه فكيف يتخلص من هذه الشركة ويبدأ من جديد ؟

ج : نفيد بأن الخمر مال غير محترم تجب اراقته والتجارة فى الخمر حرام يقول الله تعالى (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحامله والمحمولة اليه . رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه وزاد أكل ثمنها) وما تحصل من تجارة الخمر مال خبيث لا يصح تملكه وعليه أن يوجهه الى الفقراء ومصالح المسلمين ولا ثواب له فى ذلك .

وأما نصيبه من العقار وما فيه من زجاجات فارغة فانه حلال له أن يأخذ نصيبه ويبدأ به تجارة فى حلال والله المسئول أن يتقبل توبته وأن يبارك له .

س : توفيق على البسيونى — شبرا — القاهرة

* هل يجوز بناء قطعة أرض ملحقة بالمسجد كجمعية فئوية تدر دخلا على المسجد ؟

ج : يجوز نظرا الى وجود هذه القطعة جنوب خط القبلة ونظرا الى ان أكثر الأئمة لا يجوز تقدم المأموم عن الامام فلهذا يجوز بناءها وتأجيرها بالمزاد على أن يكون المؤجر من يحرصون على احترام المساجد ويتجنبون فى عملهم أحداث الضوضاء والازعاج للمصلين بحيث يؤدى المصلون صلاتهم فى خشوع وحضور قلبهم .

س : رمضان عبد السميع محمد . دكرنس دقهلية

* بنى مسجد بالجهود الذاتية وبعد تمام البناء أقيمت الصلاة فيه لفترة من الزمن ثم ثار موضوع تحديد القبلة وفعلا تم تحديدها بجهاز البوصلة فوجد أن القبلة المبنية منحرفة عن القبلة الفعلية بمقدار ثلاث درجات فما حكم الصلاة فى المدة الماضية وهل نغير من وضع المسجد أم نتركه على حاله ؟

ج : الصلاة فى الفترة السابقة كانت عن اجتهاد فهى صحيحه وحيث تغير اجتهادهم بواسطة جهاز البوصلة الذى أظهر أن القبلة منحرفةبعض الشىء فعليهم أن يعملوا بالاجتهاد الثانى . ويلزمهم وضع علامة ترشد المصلين الى الاتجاه الصحيح ولاداعى لهدم القبلة .

والله اعلم ..

عبد الحميد شاهين

جــرائم الشيوعية فى أفغانستان

*** نشرت جريدة (نداء الجهاد) التى يصدرها مجاهدو أفغانستان فى بنجشير فى عددها الاخير تقول :**

فى أيام نحسات من أيام تاريخ أفغانستان الاسلامية . وفى هجمة شرسة لم تعرف الانسانية لها نظيرا . استولى الشيوعين فى أفغانستان بمساعدة وتدخل الاستعمار الروسى الاحمر وطائراته ودباباته على الحكم . ومنذ ذلك اليوم . توالت الحكومات اشيوعية على أفغانستان المسلمة التى أبت الا أن تجاهد الى آخر قطرة دم من دماء أبنائها المسلمين . وفعلت كل حكومة شيوعية بالشعب الافغانى المسلم مافعله ستالين وغيره من أقطاب الروس بالشعوب التى تولوا أمورها من القتل والتنكيل والتعذيب وهتك الاعراض . ودفن البشر أحياء مما يندى له جبين الانسانية .

ويكفى أن نعرف أن احدى الحكومات الشيوعية قد كشفت عن قائمة المثقفين والعلماء الذين استشهدوا على أيدى الحكومة الشيوعية التى سبقتها فكان عدد رجال الدين والمثقفين والعلماء وأساتذة الجامعات والصحفيين والطلبة الذين قتلوا فى سجن كابول المركزى على أيدى تلك الحكومة (١٢) ألفا حينذاك . ولكن الدهشة التى تتملك الانسان قد تزول حين يعرف أن عدد الذين قتلوا فى السجون والبيوت وجبهات القتال يبلغ حوالى مليونا من الشهداء الابطال خلال السنتين والنصف من الحكم الشيوعى فى أفغانستان . الى أن وصل الامر بالاطفال الذين فقدوا آباءهم أن يطوفوا بالشوارع فى كابول وهم يصرخون : اقتلونا .. اقتلونا كما قتلتم آباءنا . ولكن لن نستسلم . الله أكبر والعزة للمجاهدين المسلمين .

ودارت المعركة البريئة بين تلك الوجوه البريئة وبين أحدث الدبابات الروسية وطائراتها النفاثة المقاتلة التى ضربتهم بكل العنف وكانت النتيجة استشهاد مئات الاطفال الابرياء . الذين رووا بدمائهم الطاهرة أرض أفغانستان الاسلامية . وكتبوا بتلك الدماء واحدة من أعز وأشرف صفحات تاريخ الجهاد الاسلامى . (١)

● الماسونية وصراع الأجيال

* كتب الاستاذ / عبد الستار كمال مقالا بجريدة الاهرام يوم ١٩٨١/٦/٣ م تحت هذا العنوان قال فيه :

دار في الايام الاخيرة حديث غريب .. قيل ان بعض كليات التجارة تنوى أن تقسم الدراسة فيها قسمين . قسم للعاديين من أبناء الشعب يتلقون فيه تعليمهم باللغة العربية ، وقسم لخريجى مدارس اللغات . ويتلقون تعليمهم بالانجليزية .. ويعين الممتازون منهم معيدين بالكلية !! وذلك للوصل بين التجاريين والثقافة العالمية .. ونسوا أن اللغة العربية لغة عالمية !!

ان تحقير العربية نزعة ماسونية . طردناها من مصر ولكنها تريد العودة .

الماسونية العالمية هى أم الشرور ، وأم المذاهب الهدامة .

والشيوعية العالمية ، والماسونية العالمية تحاربان اللغات والاديان والعادات والتقاليد لأى أمة باعتبارها من مقومات الاستقلال .

لقد استهوت الماسونية الدكتور طه حسين في شبابه . فقلد المستشرقين في التشكيك في التراث العربى ، والثقافة الاسلامية . ولم تكد تمر عشر سنوات على صدور كتابه (في الشعر الجاهلى) حتى وضع كتابه عن (مستقبل الثقافة في مصر) دافع فيه عن اللغة العربية . وهاجم مدارس اللغات وصد الذين يعرضون علينا تعلم اللغات الاجنبية .

فهل ستطل علينا الماسونية مرة أخرى . ونرى دعاتها ممن تعلموا في المدارس الاجنبية .. ويعملون لحساب الدوائر الاجنبية ، ويحقرون اللغة العربية والثقافة القومية ، وفئات الشعب ، ودولة العلم والايمان . ؟؟

« فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » .

التوازن والوسطية

فى أحكام الشريعة الإسلامية

*** كتب الدكتور : عبد السلام العبادى تحت هذا العنوان مقالا بمجلة هدى الاسلام الاردنية العدد الثانى لسنة ١٤٠١ هـ قال فيه :**

يمزج الاسلام بين تهذيب الروح وتنظيم المجتمع .. بين تربية النفوس ووضع القواعد العملية التى تنظم حياة الناس . مما يجعل منه النظام الكفيل بحل مشكلات البشرية يقول جاك أوسترى فى كتابه « الاسلام والتنمية الاقتصادية » .

« الاسلام هو نظام الحياة الحقيقية والاخلاق المثالية الرفيعة معا . وهاتان الوجهتان مترابطتان لا تنفصلان أبدا . ومن هنا يمكن القول : ان المسلمين لا يقبلون اقتصادا علمانيا ، والاقتصاد الذى يستحدثونه من وحى القرآن يصبح بالضرورة اقتصادا أخلاقيا » ا . هـ .

ـ ومظاهر الحضارة المعاصرة واضحة لكل دارس فى الجانب الانسانى . لذا رأينا عددا من المفكرين الغربيين يشكون من اهمال الجوانب الروحية ، ويوضحون كيف تسير هذه الحضارة الى السقوط والانهيار ، لانها كما يقولون تطير بجناح واحد . ومهما علت فان مصيرها السقوط . لانها تعتمد على الجانب المادى ، وتهمل كل ما له علاقة بالله سبحانه وتعالى . وله صلة بالقيم الروحية والخلقية . أو تتخذ منه موقفا عدائيا مندداً ومنكرا . وان بعض العقلاء يضجون من هذا ، وينظرون بشوق الى نظام يجمع بين المادية والروح .

ولقد أدان ـ سولجنستن المفكر السوفيتى ـ الحضارة المادية المعاصرة سواء فى جانبها الشرقى أو الغربى وأوضح أن انهيار الغرب وشيك لانه يتخذ من القيم المادية مثلا يعيش من أجلها .. وهى مثل زائفة لانها تتخذ من الانسان غاية لها .. وهو مخلوق عاجز خلق ليموت .. وقال :

« عندما يتخلى الانسان عن صلته بالله تتحول الدنيا الى غابة يحميها القانون » .

وقد عدد فى كلمة له مجموعة من أمراض الحضارة المعاصرة نذكر منها : المادية غير المنضبطة .. والسعى نحو مزيد من الرفاهية وبشكل غير منضبط . مما جعل هذه الحضارة حضارة أشياء ، وليس حضارة قيم ، ومنها الفراغ الروحى ، والتسرع ، والتفاهة ، والبعد عن الموضوعية فى كثير من صور الحياة المعاصرة . وصدق القائل سبحانه :

« وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا .. » .

عاطف زهران

أخبار العالم الإسلامي

إعداد محمد عبد الرحيم السايح

القاهـــرة

* دعت جامعة الشعوب الاسلامية والعربية جميع المصريين ليكونوا أمناء عـــلى وحدتهم الوطنية ، متصدين لعوامل الفتنة ٠٠ لان مصر جزيرة الامان والتقدم والاستقرار فى الشرق الاوسط تتحدى القوى العدوانية الاجنبيـــة ، والنزعات المتطرفة الفردية ٠

ـ تقيم مؤسســـة الاهرام بفنـــدق سان استيفانو معرضا للكتب الدينيـــة وكتب الاطفال طوال موسم الصيف ٠

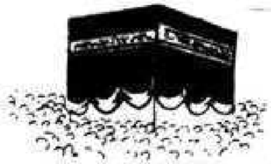

المملكة العربية السعودية

* دعت الامانة العامة الدائمة للاعـــلام الاسلامى الى العمل على حماية الشباب المسلم من التيارات الاعلاميـــة الملحدة التى تستهدف محاولة النيل من الاسلام الحنيف ٠٠ جاء ذلك فى الخطاب الذى وجهته الامانة العامة للاعلام الاسلامى الى أصحاب المعالى وزراء الاوقاف والشئون الاسلامية فى العالم الاســـلامى ، وناشدتهم تنفيذ القرار الذى اتخـــذه المؤتمر العالمى الاول للاعلام الاسلامى لحماية عقيدة الشباب المســـلم ٠٠ وناشد فيه البلـــدان والمنظمات الاســـلامية منع دخول وطبـــع الصحف والنشرات والكتب التى تعادى الفكر

أخبار العالم

الاسلامى أو تؤثر فى عقيدة الشباب المسلم وكذلك حجب الاعلانات والدعم التجارى عن وسائل الاعلام المعادية للاسلام .

* لجنة نشر القرآن الكريم برابطة العالم الاسلامى تعمل على اعداد مشروع انشاء معهد للدراسات القرآنية فى مكة المكرمة ودرست اللجنة مشروعا لتعليم القرآن الكريم بالمراسلة بواسطة الاجهزة السمعية والبصرية .

* طلبت الامانة العامة الدائمة للاعلام الاسلامى من منظمة المؤتمر الاسلامى دراسة امكانية انشاء أقسام للصحافة بالجامعات الاسلامية لتخريج الصحفيين المدربين والمؤهلين للقيام بجميع فروع العمل الاعلامى اضافة الى انشاء معهد لتخريج الكوادر العليا.

البحرين

* حث مؤتمر وزراء الاوقاف الاسلامى الحكومات الاسلامية على تنمية روح الجهاد واقامة معسكرات للشبيبة لتدريب المتطوعين من اجل الجهاد .. وأوصى المؤتمر باقامة مصانع حربية لجعل العالم الاسلامى مستقلا عن المصادر الاجنبية للاسلحة . ودعا الوزراء الى اقامة بنك دولى للاوقاف بفروع فى جميع البلدان الاسلامية لتوحيد استخدام مخصصات الاوقاف فى نشر الدين الاسلامى .

الامارات العربية

* أصدرت حكومة الامارات العربية عدة وانين تتعلق بحقوق المرأة فى الدولة وفق لشريعة الاسلامية .

الخليج الاسلامى

* دعا خبراء تربويون خليجيون الى اعتماد الثقافة الاسلامية كمنهل لدول الخليج لاسلامى لاعداد مناهجها التربوية التعليمية بحيث تتناسب مع جميع دول المنطقة . وكان الخبراء قد عقدوا سلسلة من الاجتماعات والندوات فى المركز العربى للبحوث التربوية لدول الخليج ، حيث أقروا مجموعة من الاهداف التربوية .

اليمن الشمالية

* أكد وزراء العدل العرب فى مؤتمرهم الذى عقد بصنعاء .. أن الشريعة الاسلامية هى أفضل السبل لانقاذ المجتمعات من جميع الانحرافات وانها الضمان الوحيد لتحقيق العدل .

الإسلامي

سنغافورة

* أقامت جمعية الدعوة الاسلامية بسنغافورة معرضا للكتاب الاسلامي ، وقد لاقى نجاحا منقطع النظير ، كما أن رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة شاركت في المعرض بمجموعة من الكتب والمطبوعات الاسلامية .

باكستان

* أكد الرئيس الباكستاني عزمه على تطبيق وتقنين الشريعة الاسلامية في باكستان .. وقال : ان بلاده ملتزمة بوعدها الخاص بتقنين الشريعة الاسلامية ، واعادة تكوين المجتمع على أسس جديدة .

ماليزيا

قررت وزارة التربية والتعليم في ماليزيا ادخال قضية القدس ضمن المناهج المدرسية في ماليزيا ، تمشيا مع التوجيهات والتوصيات التي انبثقت من الندوة العالمية للاسراء والمعراج التي انعقدت في عمان .

الولايات المتحدة الامريكية

* جماعة أمة الاسلام بالولايات المتحدة الامريكية تعمل على اتمام مشروع انشاء مكتبة اسلامية لنشر الفكر الاسلامي الصحيح.

* الاتحاد العام للجمعيات الاسلامية في الولايات المتحدة وكندا ينظم برنامجا هادفا للدعوة الاسلامية ، ويعمل على توضيح مفاهيم الاسلام للمسلمين وغيرهم .

لندن :

* ستقيم الجاليه الاسلامية في لندن مسجدا يسع ألفي شخص يضم المسجد غرفا للاجتماعات وفصولا دراسية ومكتبة ومدفنا ومحال تجارية يستخدم عائدها في الانفاق على المسجد .

تنزانيا ..

* وافق مجلس ادارة مركز التنمية الريفية المتكاملة للدول الافريقية على اعتبار اللغة العربية أولى اللغات الاساسية التي تستخدم في بحوث ومطبوعات المركز .. وكان المجلس قد عقد أول اجتماع له في مدينة أروشا بتنزانيا .

أخبار العالم الإسلامي

الهنــــد ..

* أفتى زعماء المسلمين فى سائر أنحاء الهند بأن القاديانيين غير مسلمين وخارجين على الاسلام .. وقد اتخذ هذا القرار بالاجماع فى مؤتمر حضره زعماء المسلمين وأعضاء مجلس قانون الاحوال الشخصية لسائر الهند بهدف العمل على حماية قانون الاحوال الشخصية للمسلمين فى الهند .. ويأتى هذا القرار متمشيا مع ما يراه جمهور الائمة وعلماء المسلمين فى مذهب القاديانيين بشبه القارة الهندية وهم اتباع المزيف المدعو ميرزا غلام أحمد الذى ساعده الاحتلال البريطانى على نشر دعوته الفاسدة بهدف التشويش على الدين الاسلامى الحنيف ، واستنزاف جانب من الدعوة الاسلامية فى محاربة مثل هذه الاكاذيب والاضاليل . وأعلن الشيخ منة الله رحمانى أمين عام مجلس الاحوال الشخصية للمسلمين فى الهند أن المؤتمر الذى عقد على مدى الايام الماضية قد حذر الحكومة الهندية من فرض أى تشريع ينتهك قانون الاحوال الشخصية للمسلمين ، وأكد موقف المسلمين من التصدى لاى اتجاه لتغيير هذا القانون .

بلغ عدد الهندوس فى منطقة «مينا كشيبورام» فى جنوب الهند الذين أشهروا اسلامهم على مدى السنوات العشر الماضية ثمانية آلاف شخص . وذكرت صحيفة « نواف وقت » الباكستانية التى نشرت النبأ : أن المبررات التى قدمها هؤلاء الهندوس لاعتناقهم الاسلام هى: أنه يقدم الامن الاجتماعى للفرد ، ويحقق المساواة الكاملة بين الانسان وأخيه الانسان بصورة لا تتحقق فى الاديان الاخرى . وسوف تقوم الجمعية الاسلامية لجنوب الهند بالاشراف على تعليم هؤلاء المسلمين الجدد وتبصيرهم بشئون الدين الاسلامى الحنيف ..

جنيف ..

* تعمل المؤسسة الثقافية الاسلامية بجنيف على نشر الفكر الاسلامى من خلال المحاضرات التى تلقى خلال موسمها الثقافى الحالى .

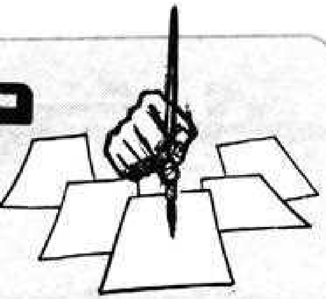

هكذا يكتب القراء

اعداد عبد العزيز أحمد جيرة

منجم الصوفية

تحت هذا العنوان كتب القارىء مرزوق محمد ربيع مدرس بمدرسة بيا التجارية يقول :

يقول الاستاذ الكبير الشيخ محمد الغزالى فى مجلة التصوف العدد (٢٥) « ان التصوف منجم ملىء بالذهب والتراب ومن النـاس من يغوص فى اعماق المنجم ليخرج منه وقد حمل التراب وحده وترك الذهب » .

نعم : لقد طغى الزبد على السطح وطغى بين دخل الأدعياء ودخن الجهلاء واندس فى صفوف المتصوفين الدخلاء عليه فأخفى التراب الذهب ولكن نبقى الحقيقه الخالدة تشهد بأن المعين لا ينضب والنبع لا يغيض . مصـداقا لقول ربنا تبارك وتعـالى : « **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَايَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ** » . صدق الله العظيم .

وساقتنى الاقدار يوما هنا فى قـاع الريف المصرى الى مجلس من مجالس رجال الطريق فوجدت المجلس يعج بالمثقفين فلفت ذلك نظرى وكدت أنصرف بعد قليل فأوقفنى سؤال أعقبه جواب أنقله بغير تزويق ولا ترويق .

سأل المريد شيخه ما هو الطريق الذى تراه لانتشـال أبنـاء الطرق جميعـا من وحـل الاوهام الى نور الافهام ؟ فأجاب الشيخ على الفور منشدا .

نرجو الطـريق صراطـا لا انحـراف به
ويهتـدى فيـــه بالقـرآن وادينـــا
طريقتنـا اللـــه والقـــرآن منهجنـا
وســنة المصـطفى نـــور يوالينـا

هكذا يكتب

نريدها الحجة العصماء لا دخل
على محجتها البيضاء ترديننا
نريد ميدانها للحق صولته
وللشريعة فرسانا ميامينا
فان دعونا فالقرآن دعوتنا
انا اليه سمعناه منادينا

وان مضينا على شط الحياه ففى
نور من السنة العصماء ساعينا

فقلت حقا أنه منجم .. من غاص فيه بجهل خرج بالطين ومن غاص فيه بعلم خرج بنور اليقين وفقنا الله واياكم للعمل الصالح واتباع سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

الاحتشام فى الملبس والزينة

تحت هذا العنوان كتب الاخ محمد عبد الغفار :
« الاحتشام فى الملبس والزينة »

* « أنعم الله تعالى على الناس بنعمة الثياب سترا لعوراتهم » .

وجعل منها انواعا فاخرة يتزينون بها وامتن عليهم بهذه النعمة فقال تعالى : —

« يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا » .

فأباح لهم أن يتمتعوا بما يسترهم ويزينهم منها فقال تعالى **« قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ »** ولكن الله حرم علينا ان نسرف فى زينتنا أو فى مطالب حياتنا .

* واباح الدين للمرأة أن تلبس الحرير وتتحلى بالذهب كما أباح لها أن تتطيب وتتجمل فى غير تبرج .

أما تبرج المرأة بأن تبدى محاسنها وزينتها امام من لا يحل له أن يرى ذلك منها فهو حرام .

وقد أمر الله تعالى النساء بغض أبصارهم عن غير أزواجهن فقال تعالى : —

« وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ » .

ان الاسلام يدعو الى الجمال والكمال فللناس ان يتزينوا بالثياب والزينة ولكن فى غير سرف ولا عجب ، ولكل من الرجال والنساء اللائق بهم وحرام على المرأة ان تتبرج بتزيينها أو تكشف من جسمها ما يعده الشرع من عوراتها .

الحجاب

● **تحت هذا العنوان كتبت القـارئة وفاء مختار يونس قسم اللغة العربية ـ بكلية التربية جامعة المنوفية تقول :**

الحجاب الذى حدده الاسلام أمر محبب للنفس به تحاط الفتاة بوقار وتحترم ذاتها ويحترمها الآخرين ولذلك أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأمر به أزواجه ونساء المؤمنين عامة وذلك فى قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ**) الآية من سورة الاحزاب •

نداء من الله لنبيه بأن يأمر أقرب الناس اليه وهم ازواجه وبناته بالالتزام بالحجاب لكى ينعكس الأمر النبوى على النساء المؤمنات بقبوله بدون تأويل أو تفسير وتستطرد القارئة فى رسالتها قائلة ان هناك فرق بين الحجاب والتحجب فالحجاب الاسلامى معروف لعامة الناس أما التحجب بهذا الحجاب يرجع للفتاة المسلمة حقا فلابد ان تلتزم الفتاة بالسلوك الاسلامى فى بيتها ووسط مجتمعها ولا يتأتى ذلك الا باقتناع داخلى بالحجاب •

ولذا يقول الرسول الله صلى الله عليه وسلم حينما رأى أسماء وقد ظهر شىء من جسدها غاضبا اذا بلغت المرأة الحلم لا يظهر منها الا كفيها وكعبيها وهما ليس بعورة •

وتقول القارئة أن ما نراه اليوم فى المجتمع الاسلامى تخرج المرأة فيه عارية أو شبه عارية انما هو مفسد للاخلاق وضياع للقيم الدينية السامية وبعدا عن الدين وهنا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الشأن •

ان من اشد الناس عذابا يوم القيامة نساء كاسيات عاريات وتدعو القارئة فى نهاية رسالتها جميع النساء المسلمات بالالتزام بالزى الاسلامى ففيه تحترم وتحترم ذاتها •

وفق الله الجميع لعمل الخير

اعداد / عبد العزيز أحمد جيرة

ردود

● **أرسل الاخ مرزوق عبد الجواد • الصف ـ جيزة •**

رسالة يسأل فيها عن قوله تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**) البقرة •

فهو يريد أن يعرف من هم الصابئون ؟ وهل هناك ديانة لهم واذا كانت لهم ديانة فهل لهم رسول ؟ ومن هو ؟

* والصابئون هم قوم يؤمنون بالله وأنه هو الخالق وهو واحد منزه عن كل نقص وهو الموجد لكل الاشياء ولكنهم أخطأوا فى عبادة الله حيث أنهم كانوا يتقربون لله بعبادة الكواكب والافلاك زاعمين أنها أقرب الاجسام اليه وأنها حية خالدة ناطقة وأن كل مايحدث فى العالم يكون على حسب ماتجرى به الكواكب حسب أمر الله لها فعظموا هذه الكواكب وجعلوا لها تماثيل وأصناما ترمز اليها • فهم كالمشركين الذين عبدوا الاصنام لتقربهم الى الله • وبما أن الله تعالى لم يقبل من المشركين اعترافهم به خالقا مع اشراكهم معه غيره فى العبادة فكذلك الصابئة لا يقبل الله منهم اعترافهم بأنه هو الخالق مع اشراكهم غيره معه فى العبادة قال تعالى (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**) •

وفى الحديث القدسى (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشريكه) فليست لهم ديانة ولا رسول أرسل اليهم ولا يوجد دين قائم على وجه الارض يعترف به غير الاسلام كما أخبرنا الله

على القراء

بذلك ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ، ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . هذا والله أعلم .

● **كتب الاخ . عبد الرحمـــن موسى عايد ـ الجزائر ـ الجحار ـ عنابة :**

يسرني ولأول مرة أن أكتب اليكم هـــذه الرسالة لأعبر فيهـا عـن اعجابي وتقديري لمجلتكم (الازهر) لما فيها من فوائد خلقيـة ودينية وأدعو الله أن يكافئكم على ماتقومون به من عمل في سبيل الدين والاسلام . لقـد أصبحت هذه المجلة مالكة لقلبي وقلب كل مسلم قارىء لها . ولا أستطيع أن أعبر لكم عن مدى فرحتي عندما أحصل على مجلتكم في مطلع كل شـهر .

لذا أرجو أن تزودوا الكمية التي ترسلوها الى الجزائر لانها لا تكفي القراء وأنها تنفد من السوق بسرعة .

*** شكرا لك على هذه المشاعر نحو مجلتنا ونتمنى لك مستقبلا باسما تتحقق فيـــه كل أمانيك .**

وسنتصل بتوزيع الاخبار لكي تزاد الكميـة التي ترسل اليكم لأنه هو المسئول عن توزيع المجلة .

● **كتب الاخ . محمـــود محمـــود ابراهيم ـ امبابة ـ مدينة العمال :**

أعجبني التطور الذي دخل على هذه المجلة الازهر أولا من ناحية الطباعة والورق وثانيـا من ناحية الموضوعات التي تقدمها أو معالجتها لكل الاحداث ومعايشة لها وفي هـذا التطوير الذي صارت عليه المجلة أخيرا وحرصا عـلى معالجة مشكلات المسلمين فاجأتنا المجلة بقضية من أخطر قضايا المجتمع ، وهي قضـــية الاسراف والتبذير والبذخ والانفاق عـــلى

المعدة واجابة طلباتها من أكل وشرب وأغفل الناس للدين تعاليمه وأن المسلمين ملتزمون بتطبيق هذه التعاليم انها تذكرة رائعة ووجبة شهية لكل من أراد أن يعرف تعاليم الدين ، ولعل هذا كان مناسباً • لأن الدولة تدعوا الى ترشيد الانفاق ، ولكن دون جدوى • وأرجو أن يضع المسئولين هذه التعاليم نصب أعينهم •

فتحية اعجاب لكل باحث وصاحب قلم يقدم لامته الاسلامية نفعا يقوم على العلم والدين ولكم منى الشكر والتقدير داعيا الله أن يوفقكم •

*** نشكر لك هذه الكلمات التى تنبض بالصدق • ونشكرك على مشاعرك الرقيقة وغيرتك الصادقة على الاسلام والمسلمين وسترى تطويرا أكبر فى الأعداد القادمة إن شاء الله •**

كتب الينا الاخ • ندى الشامى ــ لبنان ــ بيروت ــ ص ب ١٤٥٦٧٦ :

يريد أن يعرف كيفية الاشتراك فى المجلة ، وعن قيمة الاشتراك لمدة سنة :

*** ياأخ ندى عليك الاتصال بقسم الاشتراكات فى جريدة الاخبار والعنوان • جريدة الاخبار ــ القاهرة ــ ٢ (أ) ش الصحافة •**

فهوالذى يتولى اشتراكات المجلة نيابة عنا وارسالها لكم بطريقته وقيمة الاشتراك عن سنة كاملة هو (٣٫٣٠٠) فقط ثلاثة جنيهات وثلاثمائة مليما •

فهرس العدد

الموضوع	صفحة
● حـديث الشـهر	
للدكتور/رئيس التحـرير	١٧٣٨
دراســـات قرآنية	
● خلق الانسان فى القرآن	
للدكتور/محمـد محمـد خليفة	١٧٤٦
● عجـل الذهب	
للدكتور/عبد الباقى أحمد سـلامة	١٧٥٤
● بين العقاب والعفو	
للأستاذ/عبد الحميد الفضـــالى	١٧٦٢
دراســـات لغـوية	
● اللغة والمجتمع	
للدكتور/عبد الغفار حامد هـــلال	١٧٧١
● المادة المعجمية	
للدكتور/أمين فاخر	١٧٧١
التشريع الاســـلامى	
● ماذا بعد رمضان	
للدكتور/محمد كمـــال جعفر	١٧٨٦
● حــلاوة الايمـان	
للأستاذ/موسى محمـــد على	١٧٨٩
● وســطية الاسـلام	
للدكتور/فؤاد خدرجى العقـــلى	١٧٩٧
● خصائص النظام الاقتصادى الاسلامى	
للدكتور/سعد الدين السيد صـالح	١٨٠١
من حضـــارة الاســـلام	
● الاسلام ومشكلات المسلمين	
للدكتور/محمود حمــدى زقزوق	١٨٠٨
● وسائل اعداد الدعاة	
للاستاذ/منصـــور الرفاعى عبيد	١٨٢٢
● دراسة فى الخدمة الاجتماعية	
للأستاذ/محمد أحمــد بدوى	١٨٣١

فهرس العدد

[library stamp]

صفحة

أعلام الاسلام

● الامام النسائي
للدكتور/الحسيني هاشم ١٨٤٢
● المنحى الاسلامي عند العقاد
للدكتور/محمد رجب البيومي ١٨٤٨
● الولاية والأولياء عند ابن عربي
للدكتور/محمد ابراهيم الجيوشي ١٨٥٥
● رائد النقد الأدبي في مصر « الشيخ حسين المرصفي »
للدكتور/ابراهيم عوضين ١٨٦٠
● شخصية في سطور
بقلم/سعيد عبد الحي ١٨٧٠
● طرائف .. ومواقف
بقلم/عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٨٧٢
● صلوات
للاستاذ/محمد عبد الرحمن صان الدين ١٨٧٤
● أصدقاء الحياة
للاستاذ/محمد عبد الفتاح حمادة ١٨٧٥
● كتاب الشهر
عرض وتقديم/حمدى الليثى ١٨٧٦
● الفتاوى
اعداد الاستاذ/عبد الحميد شاهين ١٨٨٠
● قالت الصحف
للأستاذ/عاطف زهران ١٨٨٢
● أخبار العالم الاسلامي
اعداد/عبد الرحيم السايح ١٨٨٥
● هكذا يكتب القراء
اعداد/عبد العزيز احمد جيره ١٨٨٩
● ردود القراء
اعداد عبد الفتاح السيد عبد السلام ١٨٩٢

طبع بمطابع روز اليوسف

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن:
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر

فى مطلع
كل شهر
عربى

رئيس التحرير:
د. عبد المعطى محمد بيومى

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت: ٩٠٩٩٢٢/ ٩٠٥٥٠٦

• ذو القعدة ١٤٠١ هـ •
• سبتمبر ١٩٨١ هـ •

الجزء العاشر — السنة الثالثة والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

منذ ان ظهرت مجلة **الازهر بثوبها الجديد**، وظهرت مجلة **رسالة الازهر الاسبوعية** حتى انهالت الرسائل التى تشجع هذا التطوير وترى فيه تحولا جديدا **الى الافضل**.

ولكن الناس فيما يعشقون مذاهب ونحن نتوقع ذلك لان هذه طبيعة الاشياء فمن بين سيل الرسائل المعجبة التى ننشر بعضا منها فى اعداد المجلة وصلت رسالة من قارىء يعتب فيه على رفع صورة **الجامع الازهر** من واجهة الغلاف ويرى ان العودة الى نشر الصورة على الغلاف كل شهر ولو امتد ذلك **قرونا** افضل من تجديد الغلاف كل شهر.

ونحن نقدر عاطفة الازهريين **وحبهم الشديد لمعهدهم العتيق** الا أن الفن الصحفى الذى يسود فى عصرنا يقضى على الازهريين أن يستفيدوا منه فى عرض دعوتهم ومبادئهم **بأسلوب العصر، وحبنا للازهر** يقضى علينا أن لا نقتله **فى** افئدة الناس بعرضه غلاف لكل عدد.

وعلى كل حال .. فرسائل الاغلبية من القراء وكشوف التوزيع هى الضوء الذى يحدد الاسلوب.

ونحن نشكر صاحب هذه الرسالة رغم انها الوحيدة فنحن نحترم الرأى الآخر بقدر احترامنا للرأى الاول، وأمرنا شورى بيننا ان شاء الله ونلفت النظر الى ان **صورة الازهر** مازالت على ظهر الغلاف **كل عدد**.

التحرير

صورة الغلاف
غار حراء

• **من هنا بدا الطريق حيث كان النبى عليه الصلاة والسلام يتعبد تجاه الوحى لاول مرة ..**

٤ حديث الشهر

فى فلسفة الحضارة
العدل

وإقامة العدل تقتضى :

✽ تحريم الفائدة الربوية ، لانها استغلال بغير حق .

✽ رعاية الطبقة العاملة وضمان حقوقها فى حلبة الصراع بين أصحاب رءوس الاموال والعمال ، ومن ثم تهذيب الطبقية ، وبذلك يتلافى نظام الاسلام مساوىء النظم الأخرى .

على أن كلا من هذين الامرين ــ تحريم الفائدة الربوية ، ورعاية الطبقة العاملة يهم فى تحقيق الرخاء والوفرة .

فدعوى أن تحريم الفائدة يعوق حركة التنمية دعوى باطلة للاوجه التالية :

✽ ان ضمان فائدة زائدة عن رأس المال يشجع أصحاب رءوس الاموال على ايداعها فى البنوك طمعا فى الفائدة ، ومن ثم يقل حجم الاموال المستثمرة فى وجوه النشاط الانسانى فى غير البنوك .

✽ كما أن ضمان الفائدة تشجيع على القعود عن العمل والعجز عن سلوك طرق الابتكار والاكتشاف وتقليص لروح المخاطرة والاقدام .

✽ كما أن نظام الفائدة الربوية يشجع الافراد على الاستغلال وينمى فيهم روح الانانية واللامبالاة بالروح الاجتماعى العام وتضعف الاخلاق التى تؤدى الى ترابط المجتمع وتحقيق التكافل والتعاون بين أفراده (١) .

على أن مدارس علم الاقتصاد تقدمت وتطورت أبحاثها لتثبت أن الفائدة الربوية المرتفعة لاسيم فى حركة التنمية على عكس ما كانت تظنه المدارس الكلاسيكية .

---

(١) راجع الدكتور : احمد النجار . المعاملات المصرفية فى اطار التشريع الاسلامى . بحث نشرته مجلة المسلم المعاصر عدد ٨ .

بقلم : رئيس التحرير

التنمية وأثره في

يقول الدكتور : أنور اقبال قرشي :

* ان الخرافة القائلة بأن نسبة متدنية من الفائدة لا تساعد على التوفير قد افتضح أمرها باختبارات الحرب الاخيرة عندما تمكنت الولايات المتحدة من أن تؤمن التوفير بفائدة ٢٪ أكثر مما تمكنت تأديته بنسبة أكثر ارتفاعا ، وبينت النظرية الحديثة للاقتصاد ان التوفير لا يقرر مصيره نسبة الفائدة وحسب ، بل على العكس فان الذى يقرر مصيره هو نسبة التثمير (١) .

وقد أوضح اللورد « كينيس » مدى الخطأ فى النظريات القديمة التى كانت تذهب الى أن الزيادة فى التوفير تؤدى الى الزيادة فى التوظيف ، لان فردا زيد توفيره ينقص حتما من توظيف الآخرين فعلى قدر ما يزيد انسان ما توفيره بتخفيض انفاقه تهبط حتما دخول الآخرين ، فيوفرون بمقدار ما يوفر هو أكثر (٢) .

فالعبرة اذن بالتوظيف لا بنسبة التوفير .

وهكذا تتلاقى نظرية اللورد كينيس هذه حين تؤكد انه بمقدار ما يوفر انسان ما أكثر يوفر غيره أقل مع النص القرآنى الذى يعد الربا الزائد عن أصل المال زيادة غير حقيقية لانها زيادة فى أموال الناس التى أخذها بغير حق .

يقول تعالى : « وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ » (٣) .

---

(١) الاسلام والفائدة . تحليل اقتصادي ص ٦٢ بحث ضمن كتاب الاسلام والمعضلات الاجتماعية الحديثة وبأقلام عشرة من علماء الاسلام . دار الكاتب العربى ببيروت .

(٢) المصدر السابق ص ٦٣ . (٣) سورة الروم الآية (٣٩) .

والاسلام حين يمنع تحديد الفائدة انما يطلق حركة الاســتثمار من قيــد التحديد ويفتح المجال أمام أى نسبة قد يصيبها العمل الجاد المخلص فى ســبيل التنمية من قبل الافراد أو الشركات .

وخطورة النظام الرأسمالى حين يرفع سعر الفائدة ليغرى اصحاب رءوس الاموال بايداعها فى البنوك أن البنوك تمتص الاموال وتأخذها فى حوزتها وحينئذ تتركز الثروة فى يد مؤسسة واحدة من مؤسسات النشاط الاقتصادى وهى البنوك على حساب الشركات التى لا تستطيع أن تقف فى المنافسة ، اذ تهيمن عليها البنوك حينئذ وتستغلها محاولة منها أن تحقق أكبر عائد على حسابها لكى تعوض الفائدة المرتفعة التى التزمت بها هذه البنوك للمودعين .

ويلاحظ كذلك أنه كلما ارتفعت الفائــدة على الايداعات ارتفعت فى الوقت نفسه على القروض الاستهلاكية والانتاجية على حد سواء .

فالقروض الاستهلاكية مضــطرة الى دفع فائدة مرتفعة ترهق المقترض ارهاقا شديدا لانه ما اقترض الا ليستهلك ما هو فى أشد الحاجة اليه فعندما يجد نفسه مضطرا الى اعادة أصل المال الذى اقترضه مضافا اليه سعر الفائدة المرتفع فان ذلك يكون اعناتا له .

والقروض الانتاجية وان كانت تحقق من الربح ما يغطى الفائدة أو جزءا منها على الاقل فانها بالقطع لا تحقق الربح الذى كان يمكن أن تحققه أو أن استثمار القرض كان على سبيل المشاركة .

فلو فرضنا أننا اقترضــنا مبلغ مائة جنيه بفائدة ١٧٪ وحقق هذا القرض فائدة فعلية ٣٠٪ فان الفائدة الحقيقية هنا ستكون ١٣٪ بعد دفع الفائدة المحددة من قبل البنك ، أما لو استثمر هذا القرض على سبيل المشاركة فان النسبة الفعلية للفائدة ستكون ١٥٪ بدلا من ١٣٪ .

ويحتمل فى بعض الاحوال أن لا تصل نســـبة الفائدة الفعلية للقروض الانتاجية الى النسبة المسماه من قبل ، وحينئذ تكون خسارة المقترض والتزامــه بأن يسدد ما فقد من رأس المال الاصلى وقد لا يجد سبيلا الى ذلك .

ومن هنا كانت حكمة الاسلام فى تشجيع التنمية باعطاء المدين فرصـــة من الاجل للسداد دون فائدة محدودة مشروطة . واسقاط الدين عنه وجعله صدقة ان امكن .

وأثره في التنمية

قال تعالى : « وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ، وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » (١) .

والعجيب بعد ذلك كله أن الاقتصاديين يعلمون أن الربح فى الاعمال التجارية ، مرتبط بعوامل كثيرة معقدة ، ويتكيف مع أوضاع السوق ولذلك فان هذا الربح يتأرجح بين طرف وآخر بسبب تأرجح هذه العوامل والاوضاع ، فمن العدل والمنطق الا تحدد هذه الارباح تحديدا مسبقا لان ذلك يتنافى بداهة مع تغير أوضاع السوق والعوامل المرتبطة بالعمل التجارى .

ومن كل ذلك نستطيع أن نخلص الى القول بحق أن تحديد الفائدة مسبقا يضر كما رأينا بالعمل الاقتصادى ويعوق حركة التقدم العالمى على المستوى الاقتصادى والمستوى الاخلاقى والانسانى .

واذا كانت اقامة العدل فى المنهج الاسلامى تقتضى تحريم الفائدة الربوية فانها تقتضى أيضا : التعاون ورعاية الطبقة الفقيرة مما يحل مشكلة الصراع الطبقى .

ولقد حار الفكر البشرى بمذاهبه العديدة ازاء هذه المشكلة ولم يستطع مذهب منها أن يقدم لها حلا يفيد التقدم البشرى بل ان المذاهب التى حاولت حلها حتى الآن أسهمت فى تفاقمها .

فالرأسمالية أسهمت فى تفاقم الطبقية حين جاملت رءوس الاموال وأعطتها الحرية على حساب الطبقة العاملة التى لا تملك رأس المال ، ويقع عليها عبء العمل وتتعرض لاخطاره كما تتعرض لاخطار البطالة كلما تقدم العلم وتطورت المكائن والآلات فكلما انتجت الثورة الصناعية آلة جديدة استغنى فى مقابلها عن عشرات من العمال ، وكلما ازداد عدد هذه الآلات الجديدة ، كلما استشرت البطالة وكثر المتعطلون الذين لا يجدون ما ينفقون .

ولما قامت الشيوعية فى مواجهة هذا الفساد الرأسمالى نظرت الى المشكلة نظرة تحتوى على جانبين :

الجانب الأول : تشجيع الصراع الطبقى بين العمال وأصحاب رءوس الاموال للقضاء على الاقطاعيين وأصحاب العمل .

ومن أجل ذلك عملت الشيوعية على غرس مشاعر الحقد والانانية والبغض

(١) سورة البقرة الآية : ٢٨٠ .

فى نفوس العمال لاستخدام هذه المشاعر فى العنف الثورى وازكاء ناره لتحطيم النظام الاجتماعى .

يقول لينين « ان الثورة البروليتارية غير ممكنة بدون تحطيم جهاز الدولة البورجوازى بالعنف » (١) .

كما يقول ماركس :

« الشيوعيون لا يبشرون بأية أخلاق على الاطلاق ، انهم لا يضعون للناس الأمر الخلقى أحبوا بعضكم البعض ، ولا تكونوا أنانيين ... الخ .

بل بالعكس . انهم يعرفون تماما أن الانانية مثل التضحية هى فى ظل ظروف معينة ، بالشكل الضرورى لصراع الفرد من أجل البقاء » (٢) .

وأعجب من هذا يقول لينين :

« لا نحتاج الى الحب ، بل اننا أحوج الى البغض والاحقاد يجب علينا أن نتعلم البغض وأن نرضعه مع اللبن » (٣) .

٢ ــ اما الجانب الثانى بعد ازكاء الصراع الطبقى واستخدام العنف ضد الاغنياء ، تعمد الشيوعية الى ازالة الفوارق بين العمال فهى توجب الصراع بين الطبقة العاملة وأصحاب العمل ، وتحرمه بين العمال بعضهم البعض .

والقاعدة الشيوعية « من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته » كانت تهدف الى تذويب الفوارق الطبقية واعطاء الجميع ما يحتاجونه دون السماح بالتفوق الطبقى لفئة على فئة فى المجتمع العمالى .

واذا كان ظاهر ذلك الرحمة فان باطنه الاضرار بمصالح العمال أنفسهم وبمصالح المجتمع واضرار بالانتاج فى الوقت نفسه لانه مادامت الماركسية ستسوى بين الغبى والزكى وتجعل الناس سواء دون النظر الى مواهبهم وكفاياتهم ، فانها ستغمط حقوق النابغين وتشجع العاجزين والكسالى .

ولذلك تراجعت الماركسية تراجعا محدودا ازاء هذه القاعدة وسمحت ببعض الميزات وبعض الممتلكات الشخصية ، لكن ذلك لم يفد الا قليلا ، لانه دون ما تتطلع اليه المواهب ويرضى الملكات .

---

(١) اسس اللينينية : ستالين ص ٦٦ الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت .
(٢) اوجين كامنطا ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد . الاسس الاخلاقية للماركسية ص ١٦٧ ط ١ سنة ١٩٧٩ . دار الآداب ــ بيروت .
(٣) نقلا عن أنور الجندى . الفكر العربى المعاصر ص ٣٩٧ .

أمّا الاسلام فانه نظر الى مشكلة التفاوت الطبقى نظرة واقعية جمعت بين :

١ ــ انصاف النابهين وتقدير العاملين .

٢ ــ محاربة الظلم واحلال التعاون بدل التصارع .

نعم اعتبر الاسلام التفاوت الطبقى حقيقة واقعة لا منجاة منها ولا سبيل الى تلافيها فمادام الناس مختلفين فى الذكاء وفى الطموح ، مختلفين فى الرغبات وفى الميول ، فلابد أن تختلف بينهم الطبقات والدرجات .

ولكن القرآن جعل هذا التفاوت الطبقى اغراء من مغريات العمل والسعى الدائب والتنمية ليتنافس الناس فيما بينهم فى اجادة العمل والسعى الدائب للترقى من درجة الى درجة فى العلم والعمل والمستوى الاجتماعى والاقتصادى .

فنظام الطبقات فى المفهوم الاسلامى نظام كونى ليخدم الناس بعضهم بعضا ، وليجد العامل العمل عند صاحب العمل ، هذا بماله وذلك بعمله .

يقول تعالى : « **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا** » (١) .

كما يقول تعالى : « **وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ** » (٢) .

ونظام الطبقات سبيل الى تدعيم التكافل الاجتماعى ليعطف الغنى على الفقير بما فرض الله عليه من حقوق للمحرومين .

يقول تعالى : « **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ** » (٣) .

يقول ابن كثير : أى ليختبركم فى الذى أنعم به عليكم وامتحنكم به ليختبر الغنى فى غناه ويسأله عن شكره ، والفقير فى فقره ويسأله عن صبره .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون » (٤) .

---

(١) سورة الزخرف الآية (٣٢) .
(٢) سورة النحل الآية (٧١) .
(٣) سورة الأنعام الآية (١٦٥) .
(٤) تفسير ابن كثير ص ١٤٢ ج ٢٧٣ دار الفكر ببيروت .

ويعتبر التكافل فى الاسلام من أهم عوامل التنمية وأهم ضوابط التقدم الحقيقى لانه يفتح مجالات التعاون الرحبة بين أفراد المجتمع ويقضى على نزعات الشح والاحتكار والانانية .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم اليه أنفعهم لعياله » كما قال تعالى : « وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »(١) . وايجابية التكافل فى تحقيق التنمية انما تتجلى فى كثير من الاجراءات العملية المترتبة على بعض الاوامر الاسلامية . مثل انظار المعسر واسقاط الدين عنه ان أمكن .

قال تعالى : «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » (٢) .

والترغيب فى القرض الحسن بعد تحريم القرض الربوى .

قال تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (٣) .

... ...

هذه هى الخطوط العريضة والاسس العامة لفلسفة الاسلام فى التنمية وليس فيها كما رأينا مبدأ واحدا يمكن ان يعوق حركة التنمية والتقدم .

من اجل ذلك نعتقد أن العالم الحديث الذى يبحث عن نظام اقتصادى جديد بديلا عن النظم المعاصرة التى لم تستطع ان تجنبه القلق والازمات المتوالية ، لن يجد افضل من الاسلام ..

(توقيع)

---

(١) سورة الحشر الآية (٩) .
(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٠) .
(٣) سورة البقرة الآية (٢٤٥) .

دراسات قرآنية

- ومن آياته أن خلق لكم
من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها.

- عجل الذهب
غضب موسى من قومه

- الخليل ابراهيم
يجمع العرب على التوحيد

- الباحث عن الحقيقة

- الميزان الصرفي
والميزان الصوتي

- رد على مقال
النقد العربي القديم والمنهجية

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ أَزْوَاجًا»

للزوج فى لغة العرب دلالات كثيرة فهو يطلق على الاثنين ، وهو يطلق على الرجل المتزوج وعلى المراة المتزوجة ، فيقال فلان زوج فلانة ، وفلانة زوج فلان وهذا الاطلاق فى دلالاته المتعددة يشير الى معنى دقيق ، ومغزى عميق هو أن المراة خلقت من الرجل وانها جزء منه كما يظهر ذلك واضحا فى قوله سبحانه : « هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا » وقوله : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً » .

والزوجان الذكر والانثى هما أساس الحياة فى هذا الكون ودعام العمران والنظام فيه ، وكلاهما يتخم الآخر ولا يعيش بدونه سواء فى ذلك الانسان والحيوان والنبات .

ولقد كرم الله الانسان بالعقل وجعل الرابطة بين الزوجين من بنى آدم لا تقوم على صراخ الغريزة وسعار الشهوة فحسب ، ولكنها قبل ذلك تقوم على مبادىء سليمة وتهدف الى غاية كريمة هى اسعاد الزوجين ليكون المنزل الصالح ، ثم لتكون الاسرة الصالحة ثم ليكون المجتمع الصالح الرشيد ، والى ذلك يشير الله عز وجل فى قوله : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » .

والمتأمل فى هذه الآية الكريمة يلاحظ أن الثمرة الحقيقية المرجوة من الزوجية هى السكن والطمأنينة النفسية المتبادلة بين الزوجين وذلك انما يكون اذا عرف كل من الزوجين حقوقه وواجباته وأداها كاملة غير منقوصة ، وحينئذ تسير الحياة الزوجية فى منهجها السليم وطريقها المستقيم . وتنمو المودة وتزدهر الرحمة على جانبى الطريق فى جو سعيد مشوق بالامن والاستقرار ..

ومادامت المودة والرحمة التى جعلها الله بين

لكم من أنفسكم لتسكنوا إليها »

صدق الله العظيم

لفضيلة الدكتور محمد الطيب النجار

الزوجين مرتبطة بالحقوق التى منحها الله لهما والواجبات التى فرضها الله عليهما فلابد من رعاية هذه الحقوق من الجانبين معا حتى ينتظم شمل الاسرة وتؤدى رسالتها فى المجتمع الانسانى بناءة معمرة لا هدامة مدمرة .

وأن الرجل الذى يغدو الى عمله كادا كادحا، ويمكث الساعات الطويلة فى العناء المرهق والمتاعب المضنية لهو أحوج الناس حينما يروح الى بيته أن يجده مشرقا بالسعادة والنعيم ، وأن يتنفس فيه ملء رئتيه من الهدوء والصفاء ، والمرأة المؤمنة العاقلة هى التى تهيىء لزوجها حياة منزلية سعيدة فاذا اعترضتها المشاكل والعقبات أحسنت التصرف فحلت ما تستطيع حله من تلك المشاكل بنفسها . ولا تلجأ الى اخبار زوجها الا فى الامر الجليل والشأن الخطير .

فمن حق الزوج على الزوجة أن تكون أمينة بكل ما تدل عليه كلمة الامانة من معان وما تستلزمه من واجبات .. أجل . تكون أمينة على أمواله فلا تضع قرشا واحدا فى غير موضعه . ولا تضيع قرشا واحدا من مال زوجها بغير اذنه ورضاه . وكل زوجة تستطيع أن تقدر طاقة زوجها المالية فلا تكلفه بما لا يستطيع ، ولا تطالبه بما يزيد عن حاجتها ويخرج عن قدرته .. فزوجة الرجل الفقير أو الموظف الصغير لا يصح أن تطلب من زوجها أن يلبسها أثواب الحرير . أو يملأ بيتها بالفراش الوثير . أو يجملها بالحلى الفاخر كما هو الشأن عند زوجات الموظفين الكبار والأغنياء ذوى النعمة واليسار ، بل ان زوجات الاغنياء ذوى النعمة والثراء لا ينبغى لهن أن يبعثرن الاموال ذات اليمين وذات الشمال فى الكماليات أو فيما هو أقل من الكماليات . بل لابد من التوسط والاعتدال . فان الدهر بالناس قلب ، ان دام يوما لشخص ففى غد يتقلب ، والله عز وجل يقول :

« وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا » .

« ومن واجب الزوجة نحو زوجها أن تكون أمينة ــ كذلك ــ على أبنائه الصغار تقوم اعوجاجهم . وتحقق رغباتهم بقدر ما تستطيع

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ

على أســـــاس من العقل والحكمة ، وتراقب سلوكهم وتصرفاتهم وتأخذ بأيديهم الى الخلق الكريم والادب القويم » .

ومن واجب الزوجة نحو زوجها أن تـكون أمينة — كذلك — على أقواله وأخبـــاره وأن تكون صـــدرا يحفظ السر ويحيطه بالكتمان والستر حتى يتيسر لزوجها قضـــاء مآربه ولا يتمكن منه أعداؤه .. ومن واجب الزوجة أولا وآخرا أن تحافظ على عرضها أن يتلوث أو يتـدنس حتى تكون ممن قال اللـــه عنهن : « فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ » وحتى يتحقق فيها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا أمرتهـا أطاعتك ، واذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك » وقوله صلوات الله وسلامه عليه : « اذا صلت المرأة خمسها . وحفظت فرجها . وأطاعت زوجهـا قيل لها : ادخلى الجنة من أى الأبواب شئت » .

والاسلام الذى جعل للزوج هـذه الحقوق قد رسم له حدودا معلومة ومنهاجا وســطا يحفظ عليه كرامته وهيبته وهو فى الوقت نفسه يحفظ للمرأة حقها فى الحياة الهادئة والعيشـة الراضية .. فالزوجة فى نظر الاسـلام ليست آلة مســخرة يحقق الرجل بها رغبة أو يقضى منها وطرا ومأربا فحسب . ولكنهـا شريكة الرجل وعماد « أســاسى » فى اقامة المنزل ، وهى المدرسة الاولى التى يواجهها الطفل منذ فجر حياته فتغذيه بأخلاقها وترضـــعه من طبائعها وعاداتها ، وواجب الزوج أن يشعرها بكيانها وخطرها ، ويبين لها قيمة رسالتها وعظم مسئوليتها ، ويمنحها من الحرية ما يســمح به الدين الحنيف ، ولا يتنـــاف مع العقـــل والحكمة .

واذا كان الاسلام قد جعل الرجال قوامين على النســاء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم . فان هـــذه القيامة والافضــــلية من جانب الرجل لا تبيح له أن يتحكم فى المرأة كما يتحكم المالك فى السـلعة والمتاع .. ذلك بأن الاســلام قد قيد الرجل بقيود ورسم له المنهاج وأوضـــح بين يديه الحدود .. ومن ذلك ما جاء عن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تطعمها اذا طعمت ، وتكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجـر الا فى البيت » . ومعنى لا تقبح . لا تخاطبها بالكلام القبيح ولا تهجر الا فى البيت أى المضاجعة أما الكلام فلا تهجرها فيه ..

وقد بين الله عز وجل للازواج أن يتدرجوا مع زوجاتهم فى التهذيب والتأديب اذا ما علموا من الزوجة النشوز والعصيان . فيبدأ الــزوج أولا بوعظ الزوجة مبينا لها عاقبة ســـفهها وطيشها وما يترتب على ذلك من تشتيت الشمل

مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

وتفريق الوحدة وضياع الابناء ويضرب لها من الامثلة ما يجعلها تلمس بيديها عاقبة الطيش والغرور . فاذا لم يفد ذلك فعليه أن يلجأ الى هجرانها فى المضجع . ثم الى الضرب غير المبرح . فان أفاد . والا كان الفراق عن رضى واتفاق وفى ذلك يقول الله تعالى : « وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ، وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا » .

« ولقد كرر الرسول صلى الله عليه وسلم التوصية بالنساء وشدد على الرجال فى ذلك لما يعلم من أن تكوين الرجل واستعداده وتجاربه فى الحياة تجعله أقدر على الصبر والاحتمال من المرأة فقال صلى الله عليه وسلم ـ كما جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه : « استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع . وأن أعوج ما فى الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء » . وجاء فى الصحيحين ـ كذلك ـ : « المرأة كالضلع ان أقمتها كسرتها . وان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج » . وثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان المرأة خلقت من ضلع لن يستقيم لك على طريقه فان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج . وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها » .

ومن تلكم الاحاديث الشريفة يتجلى لنا أن واجب الزوج أن يكون أرحب صدرا وأوسع أفقا من الزوجة . وأنه لا ينبغى أن يحاسب الزوجة على هفواتها الصغيرة وزلاتها اليسيرة . بل يتغاضى عن مثل هذه الزلات والهفوات حتى يعيش فى جو هادىء بعيد عن الآلام والمنغصات » .

« وحينئذ يمكن أن يفهم المقصود من قوله سبحانه : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً » فالعلاقة بين الزوجين آية من آيات الله اذا عرف كل من الزوجين حقوقه وواجباته ، ولن يتوفر السكن والطمأنينة وتتحقق المودة والرحمة الا على هذا الاساس الحكيم .. هذا ، ومن الله العون وبه التوفيق » .

رئيس جامعة الازهر

أ. د. محمد الطيب النجار

عجل

من كتاب الله تعالى

غضب موسى عليه السلام وموقفه من قومه

كان موسى عليه السلام مشغولا بمناجاة ربه ، ويأخذ عنه الألواح ، بينما ضل أكثر قومه باتباع العجل وعبادته .

ولما أخبره الله تعالى الخبر « قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ » (١) غضب غضبا شديدا لحرصه عليهم ، وخوفه من تعرضهم لعقاب ربهم ، ولان الشرك بالله أعظم الخطايا وأخطرها « فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا » (٢) .

وبدأ عليه السلام بسؤالهم ومعاتبتهم وتعنيفهم .

« قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ، أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي » (٣) .

---

(١) سورة طه ٨٥
(٢) سورة طه ٨٦
(٣) سورة طة ٨٦

المراجع

كتاب الله تعالى		
تفسير القرآن العظيم	لابن كثير	المكتبة الشعبية
تفسير فتح القدير	الشوكاني	دار الفكر
تفسير القرآن الحكيم (المنار)	محمد رشيد رضا	دار المعرفة
تفسير الجامع لأحكام القرآن	القرطبي	دار الكاتب
تفسير روح المعاني	الألوسي	دار احياء التراث
تفصيل آيات القرآن الحكيم	محمد فؤاد عبد الباقي	دار الكاتب
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن	محمد فؤاد عبد الباقي	دار الكاتب
الارتباط الزمني والعقائدي بين الرسل	د . محمد وصفي	المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

الذهب

د. عبد الباقي أحمد سلامه

وقال لهم « بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي » (١) . « أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ » (١) .

اعتذار قومه ..

« قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا . وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا » .

حاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة : كما يقول الحسن البصرى : أنهم تورعوا عن زينة القبط فالقوها عنهم . وعبدوا العجل . فتورعوا عن الحقير وفعلوا الكبير . كما جاء فى الحديث الصحيح عن ابن عمر : أنه سأله رجل من العراق عن دم البعوض اذا أصاب الثوب . يعنى هل يصلى فيه أولا ؟ فقال ابن عمر : انظروا الى أهل العراق . قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى الحسين . وهم يسألون عن دم البعوضة (٢) .

ولهم اعتذار ثان .

« وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا : لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (٣) .

فلجأوا الى الاعتذار وطلب الاستغفار .

فقال الله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ » (٤) .

فاستغفر لهم موسى عليه السلام فى سبعين رجلا من قومه .. ذهبوا معه واختارهم لميقات ربه .. فأخذتهم الرجفة فماتوا .. فدعا موسى ربه فأحياهم : « وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا .. فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ .. أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا .. إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ » (٥) وقال تعالى « فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ . ثُمَّ

(١) سورة الأعراف ١٥٠ وظنوا ان الموعد قد بلغ . فظنوا موته ! فبدّلوا
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٦٢

(٣) سورة الأعراف ١٤٩
(٤) سورة الأعراف ١٥٢
(٥) سورة الأعراف ١٥٥

عجل الذهب

بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ » (١) فلم يقبل الله توبة لهم الا ان يقتلوا أنفسهم .. « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ .. » (٢) .

فعن ابن عباس رضى الله عنه قال : فقال الله تعالى ان توبتهم أن يقتل كل واحد منهم من لقى من والد وولد فيقتله بالسيف ولايبالى من قتل فى ذلك الموطن .... وفعلوا ما أمروا به فغفر الله للقاتل والمقتول .

وقال قتادة : أمر القوم بشديد من الأمر فقاموا يتناحرون بالشفار يقتل بعضهم بعضا حتى بلغ الله فيهم نقمته فسقطت الشفار من أيديهم فأمسك عنهم القتل .. فجعل لحيهم توبة وللمقتول شهادة (٣) .

وقال السدى : اجتلد الذين عبدوا العجل والذين لم يعبدوه بالسيوف حتى كانوا أن يهلكوا . حتى قتل منهم سبعون ألفا .

وقال ابن اسحق : لما رجع موسى الى قومه وأحرق العجل وذراه فى اليم خرج الى ربه بمن اختار من قومه فأخذتهم الصاعقة ثم بعثوا

(١) سورة البقرة ٥٥ ، ٥٦
(٢) سورة البقرة ٥٤
(٣) تفسير ابن كثير حـ ١ ص ٩٢
وتفسير القرطبى ج ١ ص ٤٠١

فسأل موسى ربه التوبة لبنى اسرائيل من عبادة العجل فقال : لا الا أن يقتلوا أنفسهم .. قال : فبلغنى أنهم قالوا لموسى : نصبر لأمر الله .. فأمر موسى من لم يكن عبد العجل أن يقتل من عبده .. الخ (٤) .

جهلهم :

بين الله سبحانه وتعالى أنهم ظلموا أنفسهم باتخاذ العجل وأن اندفاعهم فى هذا التيار جهل وحمق .. ولو أنهم فكروا قليلا .. ونظروا يسيرا ما وقعوا فيما وقعوا فيه .

« أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ » (٥) « أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا » (٦) « قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ » ٧ .

فعبادة غير الله لا تنبع من عقل أبدا .. وانما هو تقليد واتباع .. وانقياد للشيطان .

وحب التقليد آفة فتاكة .. فنجد بعض النساء يتشبهن بالرجال .. وبعض الرجال يتشبهون بالنساء .. وبعض المسلمين يتشبهون بالكافرين .. حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه .

ولا خير أبدا فى شىء نهى عنه الشرع ... ومع ذلك فالناس يدخنون ويشربون الخمر ويفعلون الفواحش .. تقليدا .. لا اقتناعا .

(٤) تفسير ابن كثير حـ ١ ص ٩٢ ، ٩٣ .
وتفسير القرطبى حـ ١ص ٤٠١
(٥) سورة الأعراف ١٤٨
(٦) سورة طه ٨٩
٧ سورة البقرة ٩٣

موقف موسى من هرون عليهما السلام :

لقد خشى موسى عليه السلام أن يكون أخوه هرون عليه السلام قد تهاون أو ضعف أو جبن أمام هؤلاء الذين ضلوا فاتخذوا العجل .. وليس بمعقول أن يتهمه بالاهمال أو المداراة أو الموافقة لهم على ما فعلوا . أو حتى السكوت عليهم .. فان ذلك بعيد عن مقام الرسالة .

ولشدة غضب موسى عليه السلام لحق الله نجده يتخذ مع هرون موقفا صلبا .

« قَالَ يَا هَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى » (١) « وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ » (٢) .

لقد أخذ موسى بلحية هرون وذؤابته : على العادة والعرف اكراما لا اذلالا . ولا شكا فى أنه مال مع بنى اسرائيل .

أو فعل ذلك ليسر اليه بنزول الألواح عليه .

أو ليعرف منه ما لديه .

وانما كره هرون ذلك : لئلا يظن بنو اسرائيل أنه يهينه .. فيشمتوا فيه .. وهم أعداء .. وما أقسى شماتة الأعداء .

وهرون عليه السلام فى حلم واتزان .. يجيب أخاه بموسى بالحق المقنع .. والبيان الصريح : **« يَا ابْنَ أُمَّ : لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِى .. إِنِّى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى» (٣) « ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا .. يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » (٤) .**

(١) سورة طه ٩٢ ، ٩٣ (٣) سورة طه ٩٤
(٢) سورة الأعراف ١٥٠

لقد كانا شقيقين ولكن قال له : يا ابن أم استعطافا .. وتذكيرا بحق أمه التى قضت عمرها بين المخاوف والشدائد (٥) وقال له : انى لم أقصر فى الانكار عليهم والنصح لهم . لكنهم استضعفونى وقاربوا قتلى ولم يمتثلوا أمرى . « **وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوا أَمْرِى** » ٦ .

وانما لم يطيعوه لأنه لم يكن فى قوة ارادة موسى عليهما السلام وشدة عزيمته .. والآية دليل على ذلك .. وقد اتفق عليه العلماء وأهل الكتاب ٧ .

وقد كانت اجابة هرون مقنعة ومرضية .. واطمأن لها موسى عليه السلام .. وأثرت فيه فتحول عن المعاتبة والمؤاخذة و « **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى** » ما أغلظت عليه به من قول وفعل « **وَلِأَخِى** » ما عساه يسمى تقصيرا فى مؤاخذة القوم لما توقعه من الايذاء حتى القتل .. « **وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ** » التى وسعت كل شىء **وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** » ٨ .

وبذلك يكون القرآن الكريم قد برأ هرون عليه السلام من التقصير فى الانكار على متخذى العجل وعابديه من قومه .

(٤) سورة الأعراف ١٥٠
(٥) يراجع تفسير الالوسى ج ١٦ ص ٢٥١
٦ سورة طه ٩٠
٧ تفسير المنار مجلد ٩ ص ٢٠٩
٨ سورة الأعراف ١٥١

عجل الذهب

براءة هرون عليه السلام من اتخاذ العجل :

ادعى اليهود أن هرون هو الذى اتخذ العجل لهم .. ونسبوا ذلك الى التوراة « فى الفصل ٣٢ من سفر الخروج » : (١)

١ ـ لما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من مصر لا نعلم ماذا أصابه .

٢ ـ فقال لهم هرون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذانكم وآذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها .

٣ ـ نزع كل الشعب أقراط الذهب التى كانت فى آذانهم وأتوا بها الى هرون .

٤ ـ فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا : هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر .

٥ ـ فلما نظر هرون بنى مذبحا أمامه ونادى هرون وقال : غدا عيد للرب .

٦ ـ فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للاكل والشرب ثم قاموا للعب .

٧ ـ فقال الرب لموسى : اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر .

٨ ـ زاغوا سريعا عن الطريق الذى أوصيتهم به صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يااسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر .. الخ .

هذا مافى توراتهم المحرفة . وقد جاء القرآن الكريم مخالفا لما فيها من اتهام هرون . وبرأ الله هرون فى القرآن . وهو مهيمن على كل الكتب .. يصدق منها مايكون صادقا . ويخالف ما يكون محرفا .

وان صح أن السامرى كان اسمه هرون أيضا ـ كما ذكر ابن جرير (٢) ـ فيكون هو صانع العجل .. واختلط عليهم .

أو يقال : ان اسناد الاتخاذ الى هرون عليه السلام مجازى .. لانه دعا للسامرى وقال : اللهم اعطه ما سألك على مافى نفسه .. وذلك لان السامرى قال لهرون : لن ألقى مافى قبضتى حتى تدعو لى بذلك .. وكان هرون يظن أنه يقبض على مثل مايقبض عليه القوم من الحلى .

أو أن هرون مر على السامرى وهو يصنع. فقال له : ما تصنع ؟ فقال : أصنع شيئا ينفع ولا يضر فادع الله لى على مافى نفسى .. فدعا له .. فكان . فنسب الفعل الى هرون مجازا . والفاعل هو السامرى .

وهذه اجابات احتمالية .. والقرآن صريح فى براءة هرون مما ادعته اليهود ونسبته للتوراة . « وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَرُونُ مِن قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ » (٣) لكنهم عصوه وكادوا أن يقتلوه وقالوا « لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى » (٤)

---

(٤) تفسير المنار مجلد ٩ ص ٣٦٠
الارتباط الزمنى ص ١٦٦

(١) تفسير ابن جرير جـ ٣ ص ١٦١
(٢) سورة طه ٩٠
(٣) سورة طه ٩١

غضب موسى عليه السلام

موقف موسى عليه السلام من السامرى .

هذا ثالث المواقف لموسى عليه السلام ... وكان الاول بينه وبين قومه .. والثانى بينه وبين أخيه هرون .. وسيأتى له موقف رابع مع العجل .. ذلك الاله المزيف المهزوم .

« قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ » (١) .

فأجاب فى استكبار . وعلو . وتعصب وافتخار .

« بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ .. فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي » (٢) .

فاعترف بأنه فعل ذلك عن عمد وعلم واقتناع نفسى وعقيدة راسخة .. ومصر على الاستمرار فى عبادة عجله .. اذ لم يبد عذرا كما اعتذر قومه .. ولم يعلن توبة كما أعلنوها ..

ولو قال كما قالوا « **لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** » (٣) . ولو أنه صبر على عذاب الدنيا كما صبروا وقتلوا أنفسهم : لغفر الله له وتاب عليه .

لكنه رضى الخسارة لنفسه .. فقال له موسى « **فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ .. وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ** (٤) » .

فنفاه موسى عليه السلام عن قومه .. وأمر بنى اسرائيل ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه .

قال الحسن : جعل الله عقوبة السامرى ألا يماس الناس ولا يماسوه الى يوم القيامة .

ويقال : انه خاف من موسى فهرب فجعل يهيم فى البرية مع السباع والوحش لا يجد أحدا من الناس يمسه .

وقال قتادة : بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك ــ لا مساس ــ وان مس واحد من غيرهم أحدا منهم حم كلاهما فى الوقت (٥) .

وللسامرى بعد ذلك مع العذاب موعد ... لا يتخلف هذا العذاب .. ولا يختلف موعده .

نهاية العجل .

لو كان العجل الها .. أو حتى يرضى عنه الاله .. ليسلم من التحريق والتفتيت .

لكنه عمل غير صالح .. وبقاؤه شر على الناس .. فلابد من زواله والتخلص منه .

« وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا . لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا » (٦) .

شأن الذهب أن يتحول من جامد الى سائل لا الى رماد .. لكن الله تعالى عرف موسى عليه السلام كيف يصير الذهب رمادا ..

فأحرقه حتى صار رمادا .. ونثره فى البحر .

أو برده بالمبرد .. حتى فتته ثم نسفه فى اليم نسفا .

وقال السدى : ذبح العجل .. فسال منه كما يسيل اذا ذبح . ثم يرد عظامه بالمبرد .. وحرقه .. واللحم والدم اذا أحرقا صارا رمادا .. فيمكن تذريته فى اليم » (٧) .

التعريف بالاله الحق :

والآن حصحص الحق وبطل ما كانوا يعملون .

« إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا » (٨) .

والحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة طه ٩٥
(٢) سورة طه ٩٦
(٣) سورة الأعراف ١٤٩
(٤) سورة طه ٩٧
(٥) تفسير القرطبى حـ ١١ ص ٢٤٠
(٦) سورة طه ٩٧
(٧) تفسير القرطبى حـ ١١ ص ٢٤٢
(٨) سورة طه ٩٨

دراسات قرآنية

الخليل ابراهيم

قال تعالى «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ» سورة الحج : ٢٧ — ٢٨ .

البيان

كان العرب مشتتين فى أرض الحجاز الجرداء ، يرحلون بابلهم وأغنامهم الى مهابط الامطار ، ومستقر السيول المنحدرة من الجبال والتلال ، فيرعون ماشيتهم فى الاعشاب التى انبتها الله بمياهها ، ويأوون الى أكنان مصنوعة من أوبارها وأصوافها ، حتى اذا استوعبت ماشيتهم خضراءها ، ارتحلوا بها الى منابت أخرى للكلأ والعشب فى الوديان .

وكانت أفكارهم فى رب هذا الكون ساذجة الى أبعد حدود السذاجة ، فلهذا عبدوا الاوثان وأشركوها فى العبادة مع الواحد الديان ، وقد شاءت عناية الرحمن الرحيم ، أن يجمعهم بعد شتات ، وييسر لهم الارزاق بعد صعوبة ، ويفتح قلوبهم وعقولهم على شواهد بديع السموات والأرض ، حتى يوحدوه ولا يشركوا به شيئا ، ويجعل منهم أمة مسلمة لرب العالمين ، تحمل مشاعل الحق فى ليل الجهالة والشبهات ، فتضىء للناس سبيل الهدى والرشاد .

فلهذا أمر نبيه ابراهيم أن يرحل بولده اسماعيل وأمه هاجر الى أرض الحجاز ، وأن ينزل بهما فى مكان معين منها ، شاءت عنايته أن تنشأ فى مكة المكرمة ، ليكون مشرق الهدى ومبعث الايمان والعرفان ، ففعل ابراهيم ما أمره الله به ، ولما أراد الانصراف دونهما عجبت هاجر فسألته : الى من تكلنا ؟ قال الى الله تعالى ، قالت : الله أمرك بذلك ، قال نعم ، قالت اذن لا يضيعنا ، فما أعظم ايمان هذا البيت الكريم برحمة رب العالمين .

ولما انصرف ابراهيم عائدا الى فلسطين ، أخرج الله لهما عين زمزم ، وأفاض الماء

يجمع العرب على التوحيد

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

حولها غزيرا حتى ملأ البقاع ، فحومت الطيور فوق الماء ، فلما رأت قبيلة جرهم من بعيد ، تلك الطيور تروح اليها وتغدو أرسلوا رائدهم اليها ، فرأى ما لم يكن يراه من قبل ، رأى سيدة كريمة معها رضيعها والماء يستبحر من حولها ، فسألها عن أمرها وأمر الماء الذى لم يشاهد قبل مجيئها ، فلما أخبرته بقصتها ، عرف أنها من بيت كريم على الله ، وأن هذا الماء من بركاته ، وأن هذا الحدث الجليل يخفى وراءه أسرارا سوف يظهرها رب العالمين .

ولما حدث الرائد قومه بما رأى وعلم ، أقبلوا على أم اسماعيل فى فرحة غامرة وتكريم عظيم ، وسألوها المقام حولها لينتفعوا بتلك العين المباركة ، وليقوموا بخدمتها ورعايتها وطفلها ، حتى يترعرع ويبلغ مبلغ الرجال ، فأذنت لهم .

وكان ابراهيم عليه السلام يتعهدها ويأتيها من آن لآخر ، حتى كبر ولده اسماعيل ، فأمره أن يبنى كعبة يحج الناس اليها ليعبدوه حولها ولا يشركوا به شيئا ، ويكون من وراء ذلك جلب الارزاق لأهل هذا الوادى الذى لا زرع فيه ولا شجر ، فاستجاب لربه وبنى البيت الحرام بمعونة ولده اسماعيل ، وكانا يدعوان الله تعالى أثناء بنائه قائلين :

« رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

فأنت ترى أن الغرض الاول من بنائه هو انشاء أمة مجتمعة ، مسلمة لله وحده لا شريك له ، تنحدر من اسماعيل بعد تزوجه من قبيلة جرهم ، والغرض الثانى هو أن تتجه هذه الامة المسلمة الى هذا البيت لتقيم الصلاة

الخليل إبراهيم يجمع العرب

لرب العالمين وحده لا شريك له ، والغرض الثالث أن يحج اليها الناس من مختلف البقاع لاداء المناسك ، ويتبع ذلك أن يجلبوا الارزاق الى المقيمين حوله ، وقد جاء ذلك واضحا فى آية أخرى فى سورة ابراهيم عليه السلام « رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » (٣٧) .

والغرض الرابع أن يكون هذا البيت منطلقا لدعوة للاسلام يقوم بها رسول منهم ، يتلو عليهم آياته تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، ويشاء العليم الحكيم أن يكون هذا الرسول هو محمد خاتم النبيين والمرسلين ، وهو منحدر من سلالة اسماعيل واحدى العقائل من قبيلة جرهم .

وتحقيقا لتلك الاغراض أمر الله ابراهيم عليه السلام أن يؤذن فى الناس بالحج ، وفى ذلك يقول الله تعالى « وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا » أى مشاة « وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ » أى وركبانا على كل بعير مهزول من طول السفر « يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ » أى طريق بعيد « لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ » عظيمة القدر ، مفيدة لهم فى الدنيا والآخرة .

روى ابن جرير والحاكم وصححه وغيرهما عن ابن عباس قال : « لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال : رب قد فرغت ، قال : أذن فى الناس بالحج ، قال : يا رب وما يبلغ صوتى ؟ قال : أذن وعلى البلاغ ، قال : رب كيف أقول ؟ قال : قل : ياأيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ، فسمعه أهل السماء والارض ، ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى الارض يلبون » .

« وجاء فى رواية أخرى أنه عليه السلام صعد أبا قبيس فوضع أصبعه فى أذنيه ثم نادى : ياأيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم ، فأجابوه بالتلبية فى أصلاب الرجال وأرحام النساء ، وأول من أجاب أهل اليمن ، فليس هناك حاج يحج من يومئذ الى أن تقوم الساعة الا من أجاب يومئذ ابراهيم » .

وقد استجاب الناس فى عهد ابراهيم واسماعيل الى دعوة التوحيد ، ونبذوا الاشراك وعبادة الاوثان الى عبادة الواحد الديان ، وكان طوافهم بالبيت تمجيدا لرب البيت لا لذات البيت .

تحويل كعبة التوحيد الى بيت للاوثان

وبعد فترة من عصر اسماعيل عليه السلام ، نسى أهل هذه البقعة المباركة توحيد الله فى حجهم وسائر عباداتهم ، ورجعوا الى عبادة الاوثان التى أبطلتها شريعة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وكانوا يزعمون أنهم يتقربون بها الى الله مع أن الله تعالى أقرب اليهم منها ، وحولوا الكعبة من قبلة لعبادة الرحمن ، ومطاف يذكر حوله اسم الله ، حولوها الى بيت للاصنام ، ومطاف تذكر حوله أسماء الاوثان .

أسباب تحويل التوحيد الى الاشراك

يقول الكلبى فى كتابه (الأصـــنام) : ان اســـماعيل بن ابراهيم (صلى الله عليهما) لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ، ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، وأخرج بعضهم بعضا ، فتفســحوا فى البلاد التماس المعاش •

وكان الذى ســلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجـــارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحـــرم ، وصبابة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمنا منهم بها وصـبابة بالحرم وحبا له ، وهم بعد يعظمون الكعبــة ومكــة ، ويحجــون ويعتمــرون علــى ارب ابراهيم واســـماعيل عليهما الســلام • ثم ســـلخ ذلك بهم الى أن عبـــدوا ما اســـتحبوا ، ونســـوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين ابراهيم واســماعيل غيره ، فعبدوا الاوثان ، وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم — ثم قال — وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل ينســـكون بها ، من تعظيم البيت والطواف به ، والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة ، واهــداء البدن والاهلال بالحج والعمرة ، مع ادخالهم فيه ما ليس منه ، فكانت نزار تقول اذا أهلت : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، الا شريك هو لك ، تملكه وما ملك •

ثم قال الكلبى : وكانت ربيعة اذا حجت نقضت المناسك ، ووقفت فى المواقف ، نفرت فى النفر الاول ولم تقم الى آخــر التشريق ، فكان أول من غير دين اسماعيل عمرو بن لحى وهو أبو خزاعة •

وكانت أم عمرو بن لحى تسمى فهيرة وهى بنت عمرو بن الحـــارث ، وكان الحـــارث هو الذى يلى أمر الكعبة وهو من قبيلة جرهم ، فنازعه عمرو بن لحى وقاتله ببنى اســـماعيل فظفر بهم وأجـــلاهم عن الكعبة ، ونفاهم من مكة ، وتولى حجابة البيت بعدهم •

ثم انه مرض مرضا شـــديدا فقيل له ان بالبلقاء من الشـــام حمة ان اتيتها برأت ، فأتاها فاستحم بها فبرأ ، ووجد أهلها يعبدون الاصنام فقال : ما هذه ؟ فقالوا نســتقى بها المطر ، ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة الى آخر ما ذكره الكلبى ••

قضاء الاسلام على عبادة الاوثان

ولما بعث الله خاتم المرسلين ســيدنا محمدا ، استجابة لدعوة أبيه ابراهيم ، كان أهم الاغراض فى رسالة القضـــاء على الشرك والوثنية ، وتوجيه الناس الى عبادة الواحـــد الصـــمد •

وقد استمر صلى الله عليه وسلم يجاهد فى سبيل ذلك ، حتى نصره الله على أهل مكة حماة الشرك فى الجزيرة العربية ، فانهـــارت حصونه وخضع أهله للاسلام والحمد لله رب العالمين •

ولما دخل الرسول مكة سنة ثمان من الهجرة

بعد أن دانت له ، أمر أصحابه بتطهير الكعبة وما حولها من الاصنام ، فأخرجوها وحطموها ، وأخرجوا صورتين لابراهيم واسماعيل وفى أيديهما الأزلام ، فقال صلى الله عليه وسلم « قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط » ونادى منادى الرسول بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما الا كسره ، ففعلوا ، وأرسل خالد بن الوليد الى شجرة العزى فقطعها وهدم بيتها ، وكانت معبودة قريش وجميع بنى كنانة ، وكانت أعظم ألهتهم فى نظرهم ، ثم بعث عمرو بن العاص فى سرية الى سواع فحطمه — وكان معبود هزيل — ثم بعث سعد بن زيد بن عبد الاشهل الى مناة معبودة الاوس والخزرج وغسان وغيرهم فهدمها ، الى غير ذلك .

وبالقضاء على عبادة الاوثان بمكة وما حولها ، سقطت دولة الشرك فى جميع البلاد العربية ، لانها معقل الوثنية فيها ، والمركز الاول لتقديسها .

الكعبة أول بيت وضع للناس

كانت الكعبة أول مبنى أمر الله بانشائه ليتجه الناس اليه حين عبادتهم لرب العالمين ، ولما زعمت اليهود أن بيت المقدس هو أول بيت أنشىء لذلك ، كذبهم الله تعالى فأنزل قوله سبحانه « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ » وأقام على ذلك أدلة ثلاثة ذكرها فى قوله « فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » .

فمقام ابراهيم هو المكان الذى كان يقوم فيه للصلاة ، وهو الآية الاولى على كون هذا البيت بناه ابراهيم ، فان الناس توارثوا هذه التسمية خلفا عن سلف ، فدل هذا التواتر على أن ابراهيم كان يقوم للصلاة فيه أثناء بنائه الكعبة أو زيارته لاسماعيل وأهله .

والآية الثانية أن من دخله كان آمنا ، وذلك من شرع ابراهيم ، توارثه العرب عنه جيلا بعد جيل ، فقد جعله ملاذا للخائفين ، فاذا أقام خائف فى رحابه ، أمن على نفسه من أعدائه ولو كانت بينه وبينهم دماء ، وفى ذلك يقول الله تعالى « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ » .

والآية الثالثة أن الناس يحجون اليه استجابة لدعوة ابراهيم وأذانه ، فتلك آيات ثلاث على أن الكعبة أول بيت وضع للناس وليس بيت المقدس ، فهى شاهدات بأن منشئها هو ابراهيم عليه السلام ، أما بيت المقدس فقد أنشأه حفيده سليمان ، وبينهما زمان طويل .

حكمة استقبال الكعبة

قد يقول قائل : ان استقبال قبلة معينة أثناء العبادة ، ربما يشعر أن المولى سبحانه مقيم فيها ، فلذا يتجه الناس اليها ، مع أنه

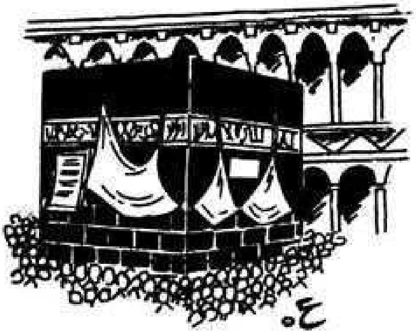

تعالى مكون الأكوان ، فهو أجل وأعظم من أن يكون له مكان ، فكيف يحل فى هذا الحيز الصغير ، والحيز مطلقا عليه محال « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك .

الجواب على هذا السؤال أنه ليس المقصود من اتخاذ القبلة أن يواجه المصلى ذات ربه فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، بل المقصود توحيد مظهر العبادة من أهل الملة الواحدة ، فكما اتحدوا فى عقيدتهم وأقوالهم وأفعالهم أثناء عبادتم ، يتحدون فى قبلتهم أثناء أدائها، حتى يتميزوا عن سواهم من أهل الباطل ، كما تميزت عبادتهم عن عبادتهم .

ومن الامور المقررة فى الاديان السماوية قبل أن يلحقها التبديل والتحريف ، أن الله تعالى لا يحل بمكان ولا يمر عليه زمان ، فهو موجود قبل خلق الزمان والمكان .

فعلى كل متدين أن يستقبل القبلة وهو يعلم أنه تعالى ليس حالا فيها بذاته ، بل يحيط علمه بها وبمن يطوفون حولها ، وهذا هو المقصود من قوله تعالى « فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ » .

فضل الحج وأسراره

دعا الله تعالى عباده لحج بيته الحرام ، وأعد لهم مائدة يختلفون اليها ، هى مائدة الغفران والرحمة والثواب الجزيل على ما بذلوا من جهد ومال فى سبيل تلبية هذه الدعوة المباركة ، روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » وبسندهما عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » وأخرج البزار عن أبى هريرة أيضا أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحجاج والعمار وفد الله ، دعاهم الله فأتوه ، وسألوه فأعطاهم » .

وبما أنه تعالى صاحب الضيافة والحاج أو المعتمر لا يراه ، فلهذا يطوف ببيت ضيافته كما يفعل المحب الهائم مع المحبوب الذى يرى نعمه ولا يرى ذاته ، وأنت فى طوافك لا تعظم البيت تعظيم المشركين ، بل تعظم رب البيت الذى لا تراه ، اذ تقول وأنت تطوف به :

الخليل ابراهيم

يجمع العرب على التوحيد

سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وتدعو الله بما شئت ، وبهذا تحول الطواف من تقديس الاوثان ، الى تقديس رب الاكوان.

وأنت حين تستلم الحجر الاسود وتقبله ، لا تجعل منه شريكا لله تعالى كما كان المشركون يصنعون ، بل أنت تعبر بذلك عن أشواق القلب وعظيم الحب لله الذى لا تراه ، ولهذا تقول حين استلامه: اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك .

وبهذا التلوين فى الذكر تحول ما كان عليه المشركون فى الطواف الى تعظيم الله وتوحيده، وهكذا سائر المناسك التى اصطبغت فى الاسلام بصبغة التوحيد ، وعادت الى شريعة ابراهيم الخالصة لله رب العالمين ، بعد أن حولها أهل الجاهلية الى شريعة الاوثان .

ولقد أكثر القرآن الكريم فى سورة الحج من التحذير من الشرك ، وحسبك قوله تعالى فيها « وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ » .

ومن حكم الحج وأسراره أنه يجمع وفود أهل الارض على توحيد الله تعالى وأن يكون موسما لتبادل الرأى فيما ينفع المسلمين فى دينهم ودنياهم ، ووقايتهم شرور أعدائهم ، وتاكيد الوحدة الدينية والفكرية التى تجمعهم ، والعمل على ازالة أسباب الفرقة بينهم ، ولهذا ذكر الله من حكم تشريعه أن يشهدوا منافع لهم ، الى غير ذلك من الحكم والاسرار ، ولو أمكن استغلال موسم الحج كما أراده الاسلام ، لكان سببا لعزة المسلمين ومنعتهم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

مصطفى محمد الحديدى الطير

دراسات قرآنية

القرآن

وفلسفة المنهج

للدكتور أحمد عبد الحميد الشاعر

* بادىء ذى بدء ـ فى معالجة هذا الموضوع ـ نضع فى تقديرنا : أن القرآن الكريم ليس كتابا فى الفلسفة بعامة ـ أو المناهج العلمية بخاصة . كما أنه ليس كتابا متخصصا فى أى علم من العلوم . وانما هو كتاب الهداية الالهية للانسان « ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ » البقرة : (٢) .

« إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا » الاسراء : (٩) .

ومادام القرآن هو كتاب الله الخالق الى الانسان المخلوق فانه ـ من البديهى ـ أن تكون تلك غايته ، وذلك هدفه .

ومن هذا المنطلق ـ حينما نقرأ القرآن ـ نجده يرسم للانسان طرق هدايته التى تدعم علاقته بكل مافى الوجود ، وفى مختلف الأبعاد وشتى المجالات . سواء فى ذلك ما بينه وبين نفسه .

أو فيما بينه وبين الله خالقه .

أو فيما بينه وبين أخيه الانسان .

القرآن وفلسفة المنهج

أو فيما بينه وبين تلك العوالم الأخرى التى يعايشها : جمادية كانت ، أو حيوانية أو نباتية .

والقرآن — فى كل هذا — يركز تركيزا أساسيا على دعوة العقل الانسانى الى التفكير السليم ، والنظر الحق . بعيدا عن الأهواء والأغراض . وبعيدا عن العادات السيئة ، والمعتقدات الفاسدة الموروثة .

ولهذا تراه : ينعى على المقلدين تقليدهم الأعمى . لأن فى ذلك التقليد . اتباعا للهوى بل خضوعا لمعتقدات موروثة ضالة مضلة .. وهذا ما عابه القرآن على المشركين وسجله عليهم بحكايته عنهم « **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ** » الزخرف (٢٢)

ويؤكد القرآن . أن ذلك التقليد المقوت هو دين الماديين الملحدين . وتلك عادتهم دائما وذلك بقوله :

« **وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ** » الزخرف (٢٣).

هذا ما سجله القرآن عليهم فى سوره المكية . أما فى سوره المدنية فحسبنا تلك الآية من سورة البقرة :

« **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** » **البقرة (١٧٠)** .

وكثيرا ما تقرع الآيات البينات سمع الانسان تحضه على سلامة التفكير ، والنظر والتدبير بقولها : « أفلا يتدبرون ، أفلا يعقلون ، أفلا يتذكرون ، وهكذا ، بل أكثر من هذا لقد أنذر القرآن ذلك الصنف من البشر الذين يهملون عقولهم .. وينقادون للاهواء . وللتقاليد العمياء . أنذرهم وتوعدهم بجهنم . لانهم — بذلك — قد كفروا بأجل نعمة الله عليهم . وفى ذلك قوله تعالى من سورة الاعراف :

« **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ . أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** » الاعراف ١٧٩ ان الأنعام هكذا خلقت خلوا من نعمة العقل والتفكير — أما الانسان فقد أكرمه الله تعالى بتلك النعمة — فاذا ما أهملها وغفل عنها — فانه — حينئذ مصير أضل من ذلك الحيوان الأعجم .

المنهج القرآنى .

ان القرآن الكريم بدعوته العقل الى التفكير لا يقف عند هذا الحد فحسب بل يمتد أمره الى ما هو أبعد من ذلك . حيث يصبح هذا

التفكير السليم أمرا مشروعا يعاقب الانسان على اهماله حسبما دلت على ذلك الآية السابقة .

يضاف الى هذا أن القرآن حينما – ينهى عن التقليد الأعجمى ، وعدم الخضوع لتلك المعتقدات البالية الموروثه – انما يرشد بذلك الى نقطة خطيرة فى المنهج السليم . تلك هى اطراح الأهوان والاغراض . وحتى يتمكن الانسان من الوصول الى الحق والصواب بتفكير هادىء رزين .

وهذا ما دعى اليه المشركين للنظر الصائب فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ذلك تقول سورة سبأ .

« قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »

سبأ ٤٦ ، ٤٧ .

والمنهج القرآنى – بعد ذلك – ينطلق بالانسان – فى تفكيره الهادىء السليم – الى شتى الطرق التى تأخذ بيده الى الحق . وتهديه الى الخير . ويصل بها الى المعرفة الصحيحة المبرأة من الشوائب والادران .

ولقد عرف الانسان – فى عصوره الحديثة – تلك المناهج العلمية المعروفة .

* **المنهج الاستنباطى .**
* **المنهج التجريبى .**
* **المنهج الاستردادى أو التاريخى .**
* **المنهج الجدلى**

وقد زعم بعض المفكرين المسلمين – أن تلك المناهج لم تعرف الا من خلال الحضارة الاوربية الحديثة .

ولكننا – بعين الحق والانصاف – نقرر : أن القرآن – وهو كتاب الهداية الربانية – قد أرشد الانسان الى تلك المناهج . ودفعه اليها دفعا .

وحسبنا – فى هذا المقام – أن نقف مع القرآن وثقة مسيره – مع المنهج التجريبى . حسبما أشار اليه فى آياته البينات .

نعلم أن المنهج التجريبى يعتمد على : الملاحظة العلمية . والتجربة المعملية .

والملاحظة العملية . يلجأ اليها الانسان – خاصة عند ملاحظة الأشياء التى لا يمكنه اخضاعها للتحكم فيها ، واجراء التجارب عليها .

والقرآن الكريم قد لفت نظر الانسان كثيرا الى تلك الملاحظات . ليرى بنفسه دلائل القدرة الآلهية ، والعظمة الربانية فى هذا الكون – وهذا النوع من المنهج الحسى – يتفق وعامة الناس . ومن ثم استعمله القرآن

القرآن وفلسفة

كثيرا فى سوره المكية والمدنية على حد سواء .

ومن ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة .

« إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » البقرة ١٦٤ .

وفى سورة عبس وهى مكية :

« فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ، وَعِنَبًا وَقَضْبًا ، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ، وَحَدَائِقَ غُلْبًا ، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ، مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ » عبس : ٢٤ — ٣٢ .

وهذا النوع من المنهج — كما أشرنا — كثير استعماله فى القرآن الكريم .

أما التجربة المعملية فانها تستعمل فى الأشياء التى يمكن للانسان اخضاعها للتجربة حيث يتأكد من فحصها ، وتكرار التجربة عليها مرات ومرات — ليصل الى النتيجة المطلوبة .

ولقد أشار القرآن الى ذلك النوع من المنهج العلمى فى أمر من أخطر الأمور فى عقيدة المسلم . وطالما حاول المشركون والماديون فى شأنه — ذلك هو البعث ، وعودة الانسان فى حياة أخرى يلقى فيها جزاؤه على ما قدم من عمل فى الدنيا : ان خيرا فخير وان شرا فشر .

فى سورة البقرة يعرض القرآن الكريم لصورتين أو تجربتين من هذا القبيل . ذلك فى صفحة واحدة يقول فى الأولى :

«أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا .

قَالَ : أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا .

فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ .

قَالَ : كَمْ لَبِثْتَ .

قَالَ : لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ .

قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ . فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ .

وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ : أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) البقرة : ٢٥٩ تلك تجربة حية لم يتدخل فيها الانسان . ولكنه عنصر منها — وشاهد عليها .

المنهج

٤٠.

أما التجربة الاخرى • فتلك التى طلب فيها ابراهيم الخليل من ربه أن يريه كيف يحيى الموت ويصورها القرآن هكذا •

« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى ؟
قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن •
قَالَ بَلَى • وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي
قَالَ • فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا • ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »
(البقرة ٢٦٠) •

وهناك صورة ثالثة تتمثل فى قصة أهل الكهف ولها سورة قرآنية خاصة باسم «سورة الكهف»

المنهج التجريبى اذن منهج قرآنى بمعنى أن القرآن أرشد اليه الانسان ولكن ليس بالاسلوب العلمى المعروف — لأن القرآن — كما أشارنا — ليس كتابا متخصصا فى علم من العلوم •

فلسفة المنهج •

ان أى انسان لا يصدر فى فكره ، وسلوك حياته عن منهج سليم — لهو انسان ضحل وسقيم •

وان أية أمة من الأمم لا تصدر فى عملها عن منهج صحيح لهى أمة فاشلة حقا •

وقيمة الحضارة تقاس — فيما تقاس — بمنهجها وفلسفته التى نبع منها •

فمثلا الحضارة المادية تقوم على المنهج التجريبى — ولكن فلسفتها فى ذلك المنهج تعتمد على أنه هو الوسيلة الوحيدة الموصلة الى المعرفة • وأن الغرض من تلك الحضارة • خدمة الانسان فى جانبه المادى الحيوان • وتحقيق صفة المادية بكل قوة •

ومن هنا كانت الحضارة المادية حضارة فاشلة فى تدعيم القيم الانسانية • ولما كانت الحضارة الأوربية من هذا القبيل • فقد فشلت — تماما — فى تدعيم انسانية الانسان ، وتحقيق كرامة الانسان •

أما المنهج التجريبى من خلال الرؤية القرآنية فهو محكوم بعقيدة ايمانية تربط الانسان بخالقه •

ثم هو محكوم بغاية نبيلة يستهدفها : أنها خدمة الانسان فى انسانيته وكرامته وقيمه أولا — وبالتالى تحقيق المتع المادية — لينتفع بها ويحمد الله عليها •

ومن هنا — كان المنهج التجريبى — كسائر أعمال الانسان — منوطا بالنية والخلقية التى تحكمه • وفى ذلك ما رواه الامام البخارى عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « انما الاعمال بالنيات • وانما لكل امرىء ما نوى » •

ولنا فى الموضوع بقية ان شاء الله ،

د : أحمد عبد الحميد الشاعر

من الباحث عن الحقيقة

للمرحوم محمد عبد الحليم عبد الله

٥

***تختلف القصة التركيبية عن الرواية التحليلية ، من حيث ان الأولى قد تلعب المصادفةفيها دورا كبيراًأوصغيرا على النقيض من الرواية التحليلية التى قد تعتمد التاريخ وتعول عليه ، فليس فى هذه محل للمصادفة ، أو مجال للاتفاق .**

وتتطلب الفنية الروائية من الكاتب أن يكون واعيا بأبعاد عمله ، فلا يعمد الى تلك المصادفات يسوقها واحدة تلو أخرى ، فالمصادفة — متى كانت على هذه المثابة — تخرج العمل الروائى عن النطاق الفنى المرسوم له ، ويصبح العمل الفنى هزيلا ذاويا لانحس فيه نضرة الفن أو رواءه .

على أن الكاتب لايستطيع بعبقرية فنية أن يجعل المصادفة طبيعية بما يضفيه عليها من لمساته ومنطقه ، والا كان من الحتم أن تتحول روايته الى عمل باهت ، فاقد الأصالة ، ممسوخ الغاية ، وذلك ماينبغى للفنان أن ينأى عن مزالقه ومهاويه ..

وأما شخصيات الرواية فقد وظفها توظيفا فنيا رائعا ، واستطاع أن يدانى بينها ، وأن يخلق جوا من الألفة ينتظم تلك الشخصيات ، ولعله بلغ حدا كبيرا من التوفيق فى هذه السبيل ، لأنه تمكن بحاسته الفنية أن يتفهم خواطرها ومايجرى بداخلها ، واخال أننا أومأنا الى ذلك فى تضاعيف الأحاديث السابقة ، لتؤكد أن الركائز الفنية فى معمارية الرواية انما تقوى وتصيب حظا من الفنية والجودة متى كان الكاتب الروائى ذا قدرة على اختيار الشخصيات المناسبة لعمله الفنى المبدع ، فاختيار الشخصية — لاريب — ملمح يدل على رسوخ قدم الكاتب وضلاعته ، وامتلاكه لزمام فنه ..

والبطولة فى شخصية « سلمان الفارسى » — رضى الله عنه — بطولة الشخصية المتمردة (١)

(١) انظر مجلة « الثقافة » عدد يونيه (١٩٧٩)

منظور الفن الروائى فى الأدب العربى

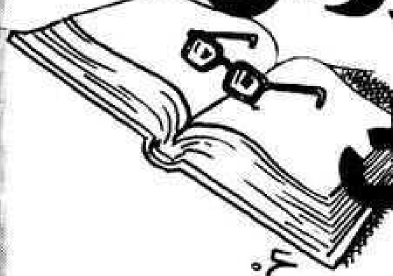

الدكتور فتحى محمد أبو عيسى

التى تمردت على ما حولها بعد أن استشعرت تغييرا من الداخل .

وتأتى نظرة الروائى الراحل بعيدة الى عديد من شخصيات الرواية ، حين يربط بينهم برباط قوى ، ويجمعهم فى اطار واحد ، لانرى غضاضة فى أن نطلق عليه اطار « التعادلية » ، ففى هذا الاطار تتعاون الشخصيات على نحو هندسى ، حتى ليبدو أن الشخصيات وتآلفها خلقت من هذا العمل الروائى بناء متماسكا لاتعتوره نتوءات تودى بجماله ، وتشوه من روعته ، تستوى فى ذلك الشخصيات الاساسية والشخصيات الثانوية .

وهاك لقطة أو موقفا ، يدل فيما يدل عليه على الالتئام بين هذه الشخصيات :

وساد صمت ، ثم سمع دق على الباب .. دق متواصل ملح قلق ، فقام الفارسى وفتح ، وكان يحمل معه مصباحا ، وعندما وقع وجه الطارق على وجه الشاب تراجع الطارق وهو يهمس : هل أنا مخطىء الى هذا الحد ؟

وتلفت حوله ، يريد أن يقول : ليس هناك صومعة أخرى .. فسارع الفارسى قائلا :

لا ، نه هنا ، وأنا ضيف عنده ، ادخل .

كان رجلا فى منتصف العمر ، تبدو عليه هيئة لتجار ، وعلى سحنته الخزى والثورة .. ودخل الى العابد فى حجرة « المنسج » ، والفارسى ينير الطريق بالمصباح ، فلما وصل اليه جلس متهالكا ، وأخذ يتكلم وهو هائج :

أفتنى يا سيدى فانى سازل ، انى حزين القلب والعقل معا ..

رد العابد فى اطمئنان كانما ليهون الأمر :

معايا أبى .. لقد جئت اليك من « الموصل » حيث هناك يشتهر اسمك .

مرحبا بك ، ولكن كيف تبكى ؟

ابنى مات فى « مصر » ، ذهب الى هناك يحمل من المنسوجات ما يتجر فيه ، فقتل .. لقى ربه .

ان هناك فتنة يا أبى تقوم حول عبادة « العذراء » ، نسينا حقيقة ديننا ، من هذا

من منظور الفن الروائي

في الأدب العربي

الذى سيضع الحد لهذا كله ؟
قال العابد (فى همس) : السماء (١) .
ذاك موقف يجمع بين شخصيات ثلاث : « سلمان » و « العابد » وهذا القادم الذى يود أن يلتمس عنده الجواب الشاف .. ومن عجب أن هذه الشخصية الأخيرة لم تحتل من رواية الكاتب سوى هذا الموقف ، ثم ابتلعتها زحمة الأحداث ، فاحتجبت عن الظهور ثانية ، غير أن التعاطف والتآلف والاتساق وحدت هؤلاء الثلاثة أو بمعنى آخر ظهرت شخصياتهم فى بوتقة واحدة ، وكلهم يقرأ أفكار الآخر ، ويتحسس ما فى نفسه .

فأما « سلمان » فأمره جلى شهير .. أقام عند هذا العابد وهو مفعم النفس بأشواق ساقته الى ملأ ود أن يحيا فيه ، كما تريد له نفسه بعد أن جاء ساعيا اليه يقطع المهامه والدروب ..

وشأن هذا القادم الجديد على « العابد » شأن « سلمان » ، اذ قادته قدماه الى الرجل عينه رجاء أن يسمع منه كلمة الخلاص فيما ساد الجو من فتن تلعب بعقائد الناس ، وتعبث بأفكارهم ، وكأن العقول — عندئذ — أضحت مهيأة لتلقى الأنباء الجديدة ، عسى أن تستأصل الداء العياء الذى سرى هنا وهناك ، وقد زاغت العقائد ، وتفاقمت الأهواء وعظمت الخطوب .

هو — اذن — التناغم الروحى والفكرى ، والاتساق الشعورى والعاطفى ، فوق الدلالة على وحدة الغاية والهدف والتطلع الى المصير .

والمتأمل فشخصيات «الباحث عن الحقيقة» لايتردد فى الحكم عليها بأنها شخصيات نامية فى العمل الروائى ، يتتابع اطرادها وتطورها من خلال المواقف وفقا للأحداث ذلك أن الشخصيات التى يمكن أن تقوم عليها اية قصة نوعان :

« نوع يمكن أن نسميه « الشخصية الجاهزة » ، وهى الشخصية المكتملة التى تظهر فى القصة — حين تظهر — دون أن يحدث فى تكوينها أى تغيير ، وانما يحدث التغيير فى علاقاتها بالشخصيات الأخرى فحسب ، أما تصرفاتها فلها — دائما — طابع واحد .

والنوع الثانى يمكن أن نسميه « الشخصية النامية » ، وهى الشخصية التى يتم تكوينها بتمام القصة ، فتتطور من موقف لموقف، ويظهر لها فى كل موقف تصرف جديد يكشف لنا عن جانب منها » (٢) .

ولئن كان « عبد الحليم » قد وفق فى تصوير الشخصيات ، ان ذلك — فى تقديرى — راجع الى أن أحداث التاريخ عنده اكتست صبغة نفسية ،حولتها من أحداث وقعت فى غابر الزمن الى أحداث « طازجة » بما تشتمل عليه من تحليل يستلهم الواقع ولايبتعد عنه .

وآفة القصة أو الرواية التاريخية — على وجه

---

(١) الباحث عن الحقيقة ٧١

(٢) الأدب وفنونه ١٩٢ د . عز الدين اسماعيل ط : السابعة

الاجمـال ــ تكمن أولا فى السرد دون الغوص والتحليل ، والاستنباط الدقيق ، والافادة من التاريخ فى رسم الشخصية ، وهكذا •• فـاذا استطاع الروائى أن يعى أحداث التـاريخ ، وأن ينظر اليها نظرة نفسية ، جاء عمله الفنى محكما ، يتسم بالحيوية والنبض •

وقد تأتى الرواية التاريخية وشخصياتها ــ عند نفر من الكتاب ــ باهتة شاحبة ، لما تنطوى عليه من « خطأ التعميم الذى يقع فيه الكاتب حين يتناولهم بالوصف وسطحية التحليـل النفسى •• لذا كان أول مايطـالب به القاص والمسرحى معا : أن ينفخ الحياة فى أبطاله ، فلا يدعهم كالدمى متشـابهة الخطوط ، مموهة الصورة ، وحيوية الأشخاص فى القصة مرتهنة بمعـرفة الكاتب لدقائق النفس وطبـائعها وانفعالاتها ، وبالقدرة على ضبطها واظهارها ، لا بالتحليل النظرى والوصف المباشر ، فذلـك أبعد ما يكون عن عمل القاص ، وانما عليه ــ انسجاما مع غرض الرواية وطبيعتها المعمارية ــ أن يرسم دواخل النفوس بالتصرفات المسلكية بالحركات والاشارات والكلمات » (١) •

والحق أن « عبد الحليم » كان فنانا ، له من النظرات النفسية فى التاريخ ما نقرؤه عـلى لسان الشخصيات فى « الباحث عن الحقيقة »•

وحول « الأسلوب » الـذى ينبغى للكاتب الروائى أن يستخدمه : نقـرر ــ بادىء ذى بدء ــ أن الاسلوب هو الاطار الخارجى الذى ينقل خبرة الكاتب ــ أيا كان ــ ومعايشـته لموضوعه ، الا أن أسلوب الرواية يختلف عـن أسلوب المقال والبحـوث ، أدبية كانت أو علمية ، كما يختلف كذلك عن كثير من الأنمـاط الكتابية ، ككتابة الخبر الصحفى ، وصـور الأحداث ، وما اليها على النحو الذى سنتبينه•

والكاتب القدير فى ذلك غير الكاتب الفج ، فالأول يعتمد على الفكرة الداخلية والثـوب الذى تلبسه ، وذلك يقتضى أن يجهد نفسه فى استواء عمله الفنى ونضجه ، أشـبه مايكون بالشىء ينضج على نار هادئة خافتة ، وأيمـا عجلة أو تسرع فى ذلك يقضى عليه بالقصـور أو الغثاثة ان فى الشكل أو فى المضمون •• وأما الثانى فقد يأتى عمله مبتسرا مبتورا من حيث انه ضئيل الخبرة ، وقد يكون استعداده غـير موات ، أو موهبته ليست متأصلة •• كل أولئك وما ماثله قد يقلل من عمله أو يعصف به •

ولعله الجدير بالتنويه أن نؤكد أن الروائى الذى لايستطيع أن ينقل أفكاره ووسوسـات نفسه فى منطقية تتقمصها شخصياته ، وأسلوب يصور الدخائل والأعماق ، وفنية تمكنه من ذلك لايستأهل أن ينتظم فى عـداد الكتاب ، اذ « ما الفن الا منطق فى رداء جميل « بيتهوفن » فى عالم الأصوات هو سيد المنطقيين بلامراء•• انه « أرسطو » الموسيقى أنغامه تنسـاب فى

---

١) الفن والأدب ١٥٢ د • ميشال عاصى ط : بيروت

منطق عجيب خلاب » (١) .

وللقالب القصصي من المرونة مايجعل الروائي في سعة تبسط أمامه منادح القول ، وتهيىء له سبله ومسالكه ، على عكس كاتب « المسرحية » ، فانه ملزم بقالب لايعدوه أو يجاوزه ، ومعنى هذا أن الروائي فنان طليق يتعامل مع عمله الروائي في أسلوب لا تستعبده السدود أو القيود ، فالغاية التي يتحراها هي أن يحقق الاثارة والمتعة ، بالاضافة الى ما يصيبه عمله من هدف وضعه نصب عينيه منذ البداية ، فحيث وقع عند تلك الغاية فلا عليه أن يصطفي الأسلوب الذي يراه ويمليه الموقف .

« ومن أجل هذا التنوع الواسع في القصة ، أصبحت أهم نوع أدبي في عصرنا ، لأنها تستطيع بصورها المختلفة أن تمثل الحياة ، وتبلورها فشتى وجوهها ، اذ لايستعصى عليها أي خط من خطوطها . ولابد أن تغدو كل قصة بناء متكاملا ، تترابط وحداته ترابطا عضويا ، فهي ليست كلاما من هنا وهناك يملأ فراغا من الصحف ، وانما هي عمل أدبي تام ، تراصت جزئياته كما تتراص اللبنات في البناء المحكم ، وقد يطول البناء حتى يصبح مجلدات » (٢) .

واذا كان الأسلوب الذي نعنيه في هذا المقام ينسحب أيضا على سمات التعبير والخصائص الفنية واللازمة اللفظية ، فان ضروريا أن يتجنب الروائي الشكل الركيك الذي يقوم على المحسنات البلاغية أو الزخرف والبهرج ، فواضح أن كل ذلك — مالم يأت عفوا — قد يكون سببا في الغض من العمل الفني ، كما أن من الحتم أيضا ألا يلجأ الى الاسلوب المعقد فكلا الأسلوبين يجشم القارىء ألوانا من المعاناة ، تسلمه في النهاية الى أن يصدف عن القراءة ويزور عنها ، وهو مايتجافى مع القصة أو الرواية الناجحة ، الذي جاء أسلوبها يصافح المشاعر ، ويعانق الوجدان ، دون ما احساس بالضجر أو الملل .

ولن يتأتى للكاتب أن يكون كذلك الا اذا نأى عما يسمى بالتعبيرات الجاهزة أو «الكليشيهات» التي تتكرر على ألسنة بعض الكتاب وتغزو أعمالهم .

فماذا كان موقف الروائي (محمد عبد الحليم عبد الله) من تلك الخطوط الفنية البارزة في رائعته « الباحث عن الحقيقة » .

ذلك مانرجو الاجابة عنه بمشيئة الله في الحلقة القادمة .

(يتبع)

دكتور فتحي محمد أبو عيسى

---

(١) فن الأدب ٢٤٨ للأستاذ توفيق الحكيم (المطبعة النموذجية)

(٢) في النقد الأدبي ٢٢٦ د . شوقي ضيف

دراسات لغوية

رد على مقال:

النقد العربي القديم والمنهجية

للدكتور محمد محمد ابو موسى

مما لا ريب فيه أننا لا ندرك منهج الدارس ومواضع اهتمامه ، وما يندس فى قلبه وعقله من أصول فكرية وأدبية توجه بحثه ، وتحليله ، وتذوقه ، وحكمه ، الا بالصبر وطول المراجعة وكذلك لا نستطيع أن نتعرف على طبع شعر شاعر الا بطول التأمل والقراءة الواسعة العميقة المتأنية فى تاريخه ، وبيئته ، ومثيراته ، وأحداثه ، وماعاناه من احوال ، وما يتصل بذلك وهو كثير ولازم ، ثم تفلية ألفاظه ، وتراكيبه ، وصوره ، وطريقة نسجه ، وكيفية رصفه ، واقامة هيئة كلامه ، وعمود شعره ، وقد ذكروا ان لكل شاعر سمتاً بنفسه ، ورفقتا برأسه ، وأن من الشعراء من يسلك فى ألفاظه وصياغاته ومعانيه سبيل سواه ، ويجعل غيره قدوة له ، ومنهم من هو متكىء على نفسه ولكنه يطور فى الاحيان بجنبات كلام سواه(1) والحكم فى ذلك صعب شديد والفصل فيه شاق بعيد . فاذا كنا نتكلم فى أدب أمة ، أو فكر أمة فناهيك عما يحتاجه ذلك من دراسة واحتشاد .

ومما لا ريب فيه أن معاهد العلم عندنا لم تتهيأ فيها الظروف الملائمة لتكوين أجيال من العلماء وأهل الدراية بثقافة الامة ، وتاريخها ، وفلسفتها ، وحكمتها وما ترامت به خواطرها فى حومة الصراعات الفكرية والادبية

(1) ينظر اعجاز القرآن للباقلانى ص١٢٣ وسمعت الكلام وجهه ومذهبه . ورفته مقاطعه ويطور بجنباته اى يحوم حوالين ويقترب منه

رد على مقال:

النقد العربي القديم والمنهجية

والسياسية وغيرها مما حفل به التاريخ ، ولا يزال كله فيما يكتبه أكثر كتابنا كالحكمة الخرساء لم تفهم أسرارها .

وهذا شيء واضح أدركه طلاب العلم في هذه المعاهد وسجلوه ، وذكروا أنهم أعدوا اعدادا وصل بهم الى أعلى الدرجات العلمية في غيبة تراثهم وتاريخهم وحضارتهم (١) .

وقد ذكر الاستاذ صلاح عبد الصبور في مقال نشرته مجلة الدوحة عدد مايو سنة ١٩٨١ وصفا لحال جيله في هذه المعاهد وأنهم تناموا عقليا وذوقيا وقد وقر في أذهانهم أنه لا خلاص الا بادراك ما عليه الفرنجة من علم وفن وذوق رغم أنهم كانوا طلابا في قسم اللغة العربية ، وأن الاسماء التي كانت تقرع آذانهم كل صباح معظمها كانت أسماء أجانب ، قال وكفى بالفرع العاتي من المستشرقين دليلا على ذلك وذكر أن أشواقهم العلمية ، وطموحاتهم الفكرية في هذه المرحلة المتوهجة من العمر توزعتها المذاهب الغربية في الفكر والفن ، وأن هذه المذاهب كان يحملها اليهم رواة غير حفظة . ومنهم من كان يفسد كثيرا مما يروى وأنهم أدركوا ذلك لما اتصلوا بالثقافة الغربية من غير حاجة الى هؤلاء الوسطاء . فأى دراسة علمية منظمة راضت هذه العقول الذكية المتعطشة الى التعرف على مسالك الابصار في دراسة تراث الامة ؟ وأى أستاذ لهم أغراهم بعطاء علمائهم ؟ وقد كان شيوخهم الذين يعلمونهم أدب العرب لا يروضونهم على الطريق الذي يلج بهم عالم الخليل ، وسيبويه ويونس والاخفش ، وقطرب ، والمازني ، والزمخشري ، وأشباههم . وانما يغرونهم بقراءة نلينو وجويدي كما يقول الاستاذ صلاح لانهم والفرع العاتي من المستشرقين أعرف بأسرار أدب العربية ، واقترنت أسماء الاعلام بما يثير الاستخفاف ، فكثيرا ما ذكر الاخفش وسيبويه والزمخشري في غير سياق المراجعة ، وجلال المدارسة ، هذا فضلا عما ارتبطت به عقلية التراث كله من أوصاف صارفة كالعناية بالجزئيات وتكرار الشاهد ، واختراع المثال ، والتزوير في الشعر لتصح القاعدة ، والكذب في الرواية وما يشبه ذلك من ضلالات شاعت وغبرت هذه الوجوه المجاهدة .

ثم ان هذا الجيل صارت اليه خلافة شيوخه ، وصاروا قوامين على الادب والفكر ، وسحقت أسماؤهم ، ونسى الناس أو جهلوا أن الوشائج بينهم وبين تراث الامة وشائج ضعيفة أساسها الجهل والمعاداة . ونسى هؤلاء في غمرة الزهو وخلافة الاسماء الساطعة أنهم لم يدرسوا هذا التراث دراسة علمية منظمة تعينهم على كشف أسراره ، واستخراج غوامضه ، وأن هذا ليس قادحا فيهم ، فقد أفرغت طاقاتهم في الفكر الغربي قديمه وحديثه كما يقول الدكتور زكي نجيب محمود وصارت

---

١) ينظر مقدمة كتاب تجديد الفكر العربي للدكتور زكي نجيب محمود.

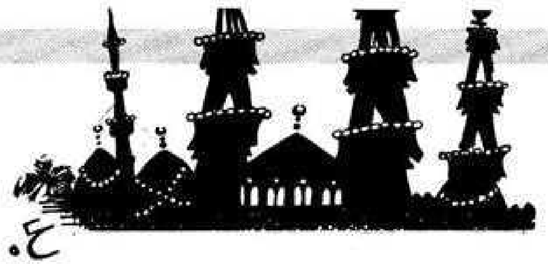

لهم منازلهم المعروفة فى التحشية حول أعلام الفكر الغربى أو الاستلال منهم ، وان كان أصحاب هذا الفكر لا يعتدون بغير عقليتهم فى التحشية على فكرهم وأدبهم . أباح هؤلاء لانفسهم أن يقولوا فى التراث ما يعين لهم من غير مراجعة ، وليس هناك من يدفع مقالتهم لان أسماءهم حلقت فى دنيا الفكر والادب ، والذى ذكره الاستاذ صلاح عبد الصبور من أنهم نموا نموا عقليا وذوقيا فى هذا الزمن ، وقد وقر فى أذهانهم « انه لا خلاص لنا الا بادراك ما عليه هؤلاء القوم من علم وفن وذوق » قد وقر حقا فى الاذهان وتلبس بها ، وصار من مسلماتها ، واذا أنكرته أنكرك الناس ، مع أنه باطل لا ريب فى بطلانه ، وحقيقة أمره أننا نعيش مرحلة تاريخية ذليلة ، نرى فيها نفوسنا ضئيلة ، وتاريخنا ضئيلا ، وتراثنا ضئيلا فى كمه وكيفه . وهذا الشعور الخاطىء الذى غشينا كان يجب الا يركب عقول أهل العلم، وانما عليهم أن تظل عقولهم صحيحة ، ترى الاشياء بأحجامها الحقيقية ، والا تتضاءل تحت شراسة ضغوط هذه المرحلة ، وكان عليهم أن يقرروا فى أذهان طلابهم أن الامة قادرة على أن تنمو نموا فكريا وحضاريا من خلال معاناتها لتراثها ، وتاريخها ، واستخراج مضمراته ، وأنه لابد أن يغمس أهل العلم عقولهم فى هذا التراث فيستخرجوا من الحقيقة القديمة حقيقة جديدة ، وأن تتفجر أقلامهم من السطور القديمة سطورا جديدة . وأن هذا ما عليه الامم التى مرت بما نمر به ، فالحق فى هذه القضية هو عكس ما قر فى الاذهان وهو أنه لا خلاص لنا بادراك ما عليه هؤلاء القوم من علم وفن .

والرواد الذين لا يكذبون أهلهم يؤكدون فى أذهانهم وقلوبهم النفرة من الانغماس فى تراث الغالبين ، ويدعونهم دائما الى العودة الى ذوات نفوسهم وأن يستخرجوا نسجهم الجديد مما بين أيديهم ، حتى يتهيأ لهم أن يظلوا متميزين .

ولما كانت الثقافة الاسلامية غالبة يوما ما وجد فيها المغلوبون من قوة الفكر وسداده ، واستقامته وجلاله ، وكثرته فى كمه وكيفه ، ما أغراهم بها ، فانصرفوا اليها ، وأداروا ظهورهم لتراثهم ، فصاح فيهم روادهم ولفتوهم الى هذا الخطر الموبق لهم حسب اعتقادهم .

وهذا صوت من هذه الاصوات .

يقول البرو القرطبى . لما وجد قومه الاسبان منصرفين الى العربية وأدبها ، وتراثها ، ومنصرفين أيضا الى محاكاة النمط الاسلامى فى السلوك كما نحاكى الآن النمط الاوربى ، « ان اخوانى فى الدين يجدون لذة كبرى ، فى قراءة شعر العرب ، وحكاياتهم ، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين .

النهج العربي القديم والمنهجية

والفلاســـفة المسلمين ، لا ليردوا عليها ، وينقضــوها ، وانما لكى يكتسبوا من ذلك أسلوبا عربيا جميـلا ، صحيحا ، وأيـن نجد الآن واحدا من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية التى كتبت على الاناجيل المقدسة ؟ ومن سوى رجال الدين يعكف على دراســة كتابات الحواريين ، وآثار الانبياء والرسل ، يا للحسرة !! **ان الموهوبين من شـــباب النصــارى لا يعرفون اليوم الا لغة العرب ، ويؤمنون بها ، ويقبلون عليها فى نهم ،** وهم **ينفقون اموالا طائلة ، فى جمــع كتبهــا ، ويصرحون فى كل مكان بأن هــــذه الآداب جــديرة بالاعجاب فاذا حدثتهم عن الكتب النصرانية اجابوك فى ازدراء بانها غــير جديرة بأن يصرفوا اليها انتباههم ،** يا للألم !! لقد نسى النصارى حتى لغتهم ، فلا تكاد تجد بين الالف منهم واحدا يســتطيع أن يكتب الى صاحب له كتابا سليما من الخطأ ، **فاما عن الكتابة فى لغة العرب فانك واجد فيهم عــددا عظيما يجيدونها فى اســلوب منمق ، بل هم ينظمون فى شعر العرب ما يفوق شعر العرب انفسهم فنا وجمالا » (١) .**

وهذا نص مهم جدا لانه يصف أثر الموقف الحضــــارى فى تشكيل الاراء ، وفى رؤية الاشياء ، فالثقافة الاسلامية اليوم عند بنيها ضئيلة فى كمها وكيفها ، وحين كانت غالبة ، ـــ **وهى هى ــ أقبل غــــير بنيها ليفيـــدوا منها** المنهج الســديد ورأوا فيهـا حيـوية وتوهجا أطفأ وهج النصرانية فى صـــدور النصارى أنفسهم . الذى وقر فى أذهاننا من **أنه لا خلاص لنا الا بادراك ما عليه الفرنجة**

باطل قد يلتبس على أذهان البسطاء من أهــل الثقافة والادب ، والذى آلم هــذا النصرانى الغيور من انصراف شبيبة النصارى الى ثقافة المسلمين هو ما حضــنا روادنا عليه فأغروا شباب المسلمين بثقافة النصارى ، وصرفوهم عن تراثهم وصـــار لا يقرأ أصول الثقافة الاسلامية وأمهات مصادرها الا قلة ضــئيلة لم تستطع أن تبعث بنص الحياة والتدفق فى محيطهـــا العميق الذى ركـد منذ زمن غير قريب .

والقافلة لاتزال تســير وعقابيل الرواذ وخلفاؤهم هم حداتها . ولن تستقيم لنا حياة أدبية ــ كما يقول شــيخ أهل العلم ــ وهو الرائد الحق ــ مولانا الاستاذ محمود شاكر ــ **ولن تصح ولن يرجى لها صــلاح حتى تقوم على قواعد راسخة ثابتة من طلب الحق صرفا ، ثم الابانة عن الحق بلا مداجاة ، ثم الافصاح عن حقيقـــة ما فى النفس بلا مــواربة ، بلا تخوف ، بلا ترقب ، القائل بالحق لا يحتاج الى التنصل من ارادة الاساءة ، فان المخطىء وان جل شانه ، والمصيب مصيب وان خفى فى الناس مكانه » .**

***

كان رجال التاريخ الذين اجتمــع حولهم العلماء والشعراء يدركون أن أهم ما يحرصون عليه هو مواصلة حيوية البحث والمراجعة فى

---

(١) تاريخ الفكر الأندلسى ترجمة الدكتور حسين مؤنس والنص مقتبس من مجلة عالم الفكر المجلد الثانى عشر ابريل ــ مايو ، يونيو سنة ١٩٨١ ص ١٨ مقال اثر الأندلس على اوربا للأستاذ عباس الجرارى .

شتى فروع المعــرفة ، لانهم كانوا من أهل الثقافة المســتنيرة الحقة ، وتاريخهم عامر بأخبار اقبالهم على العالم ، والمشــاركة فى فروعه ، حتى ان بعضهم برع فى علم النغم ، واســتخرج من الكلام لحونا عى عــن استخراجها الخاصـــة من أهل الصبغة ، كان العلم والادب أساس ســلطانهم • ولو كانوا اقطاعيين فسدة مفســدين كما يقال عنهم لما قاموا رعاة وحراسا على تأسيس حضــارة لها فى تاريخ الانسانية ما لها ، فقد تأسس كل جانب من جوانب هذه الحضارة تحت أعينهم ، وبمشاركتهم أحيانا •

وكان هؤلاء الرجال يدركون أن اللغة صورة نفوسهم ، ولسان تاريخهم ووعاء حضــارتهم ورسالتهم ، فلابد من الحفاظ عليها صــحيحة فصــيحة ، واللحن فيها كبيرة مفزعة • روت كتب الادب عن النضر بن شميل المازنى أحــد شــيوخ النحاة ، أنه أجرى الحديث مع المأمون ، حتى أخذ المأمون فى ذكــر النســاء فقال حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها ســداد من عوز » وفتح السين من ســداد • قال المازنى فقلت صــدق يا أمير المؤمنين هشيم ثم روى الحديث عن طــريق آخر وكسر السين من ســداد ، قال وكان ــ يعنى المأمون ــ متكئا فاستوى جالســا ، فقال يا نضر كيف قلت سداد ؟ قال النضر : قلت يا أمير المؤمنين الســداد بالفتح ههنا لحن • قال ويحك ؟ أتلحننى ؟ قلت انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فما الفرق بينهما ؟ قلت الســداد ــ بالفتح ــ القصــــد فى الدين والسبيل والســداد ــ بكسر السين ــ البلغة وكل ما سددت به شيئا فهو سداد ــ قال وتعرف العرب هذا قال نعم ، قال العرجى •

اضــاعونى وأى فتى اضــاعوا
ليــوم كريهــة وســداد ثغــر

قال قبح الله اللحن ، ثم أطرق مليا •• ثم سأل النضر عن ما له فأعطاه خمسين الف درهم وكتب بذلك للفضل بن سهل فلما عرف الفضل القصة أمر للمازنى بثلاثين الف درهم فأخــذ المازنى ثمانين ألف درهم لتصــــحيح هذه اللفظــة (١) •

ولم يكن المأمون رجلا طائشــا ولا قريب الغور ، حتى نقول ان هذا ســـفه اقطاعى ، وانما هو داهية من دواهى التاريخ ، ولكنــه موقن أن عزة سلطان الامة وريحها منعكس فى لغتها ، وأن التهاون فى لسان الامة تهــاون فى تاريخها وحضارتها وذات نفسها ، وهذا معنى بدهى عند رجال السياسة الذين فقهوا تاريخهم وحضــارتهم ، ورســالتهم ، والامم فى ذلك ســواء ، ولهذا ترى أن لسان أهل الرأى فى كل أمة ينزع دائما الى اللغـــة العالية ، وكأنهم يبينون بفصــاحتهم عن فصــاحة تاريخهم ، ويكشفون ببيانهم عن جوهر عزتهم ، ولا ترى غير ذلك الا حيث يكون التفريط فى الجليل •

والحياة الفكرية والادبية الان فى حاجة ماسة الى كبير قادر على معــرفة قدرها فيرعاهــا ، ويستنقذها من أحضان الموت ، فقد عى الناس وانبت ما بينهم وبين الفكر والادب والنور • والعناية بالشــعر عند هؤلاء الرجال ليس

---

(١) ينظر ديوان المعانى جا ص ١٠

رد على مقال النقد العربي القديم والمنهجية

لانه يصفهم بالشجاعة والجود والجمال أحيانا كما يقال ، وانما لانه هو الوسيلة القادرة على استخراج أدق ما في اللغة من سحر وجمال فهو الذي يثير من اللغة أعذب أنغامها وأشف وأشجى لحونها ، وأصفى وأرق صورها وصياغاتها . الشعر يصقل اللغة ، ويكشف ما انطوت عليه من قدرة رائعة تندس في غوامض النفس فتستخرج هواجسها ونوازعها ، واثارة هذه الطاقات ، واشاعتها بواسطة الشعر حتى تلامس كل قلب شيء لو تأملناه جليل . لانه ارتقاء بأخص خصائص الانسان وهي البيان وتصفية لها وتسام بها ، وهذا باب من أبواب الرقي الحضاري لا يفضله غيره . ثم هو من وجه آخر مهيىء النفوس بملكاتها البيانية الحية لتلقي كلمة الله ، ودوام الارتباط بها .

كان الخلفاء الاقطاعيون الفسدة المفسدون يدركون ذلك ويصطنعون هذا الفن الراقي في ترقية الوجدان وصقل الفطرة ، ولذلك أجازوا على الشعر جوائز سخية ، يستوى في ذلك شعر الوصف ، والنسيب والمدح والهجاء ، واذا كان المبتدئون في دراسة الادب يفهمون أن الجائزة كانت موقوفة على شعر المديح فلا يجوز لشيوخه أن يغفلوا روايات التاريخ العديدة التي تحكي جوائز رجالات الامة لغير شعر المديح ، وأنها كانت تتوخى السداد والتفوق ، وحسن الاصابة ، وكأنها كانت تمنح للموهبة ، وليس ثمنا للشعر ، بل انهم — حفاوة بالشعر في ذاته — أجازوا رواته واحتفوا بكل حفي به ، وأخبار ذلك مستفيضة . واذا جاز للبسطاء أن يفهموا أن شعر المديح هو مدح بالجود والشجاعة وجمال الوجه ، فلا يجوز لشيوخ الادب أن يغفلوا ما في شعر المديح من فيض زاخر في وصف أحوال النفوس وهواجسها ، والمواقف والبطولات وأن أعظم ما في الشعر ، وأقدره على صياغة النفس وبنائها بناء شامخا متينا هو ما في شعر المديح ، وأن أشيع ما يروى لكبار الشعراء مما مازج قلوب الناس ، وعلق بألسنتهم ، واستجاشوا به نفوسهم نحو الفعل أو الترك ، انما هو من قصائد المديح ، والفخر والهجاء ، وهذا باب واسع كما قلت في الماضي ومحتاج الى دراسة مستفيضة تستخرج الرحابة الفسيحة والعمق الجليل ، المنطوق في شعر المدح .

واذا جاز الأشباه العامة أن يفهموا أن هؤلاء الخلفاء الاقطاعيين الفسدة المفسدين كانوا يهتزون اهتزاز الغض تحت انبارح عندما يسمعون زائف المدح وزورة من تشبيههم في الشجاعة بالأسد وفي الجود بالبحر ، فلا يجوز لأهل العلم أن يغفلوا مافطر الله النفوس عليه انقباضها حين سماع كذب المديح وزائفه ، وخاصة اذا كان متورما يصف البخيل بأنه أكثر فيضا من البحر ، والرعديد بأنه يصرع الأسد . ثم ان هؤلاء الخلفاء كانوا يشيرون الى

منهاج المديح اذا ضله الشعر . تروى كتب الأدب أن الأخطل النصرانى . دخل على عبد الملك ابن مروان فقال يا أمير المؤمنين قد امتدحتك فاسمع منى ، فقال ان كنت شبهتنى بالصقر والأسد فلا حاجة لى بمدحيك ، وان كنت قلت كما قالت أخت بنى الشديد لأخيها صخر فهات فقال الأخطل ، وما قالت يا أمير المؤمنين ؟ قال هى التى تقول :

فما بلغت كف امرىء متناولٍ
بها المجدُ الا حيث مانلتَ أطولُ
ولا بلغ المهدون فى القول مدحة
ولو أطنبوا الا الذى فيك أفضل

فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول(١)

واضح أن هذا توجيه المدح الى تسجيل المساعى الحميدة ، وبعث أشواق النفوس اليها وأن على الممدوح الا يكون أقل فى جليل فعاله وكريم خصاله مما يصفه المدح ، وأن المدائح تتفاضل ليس بما فيها من تورم ومبالغات ، وانما تتفاضل بأقدار الممدوحين وسوابقهم فى الخير ، وعطائهم لمجتمعهم وأمتهم ، ولهذا المعنى قلنا فى المقال السابق اننا لم نر الشعر احتفل بالمغاليك المهازيل ولوكثر المال فى أيديهم وأننا لم نره يغمض عن رجل يذكر ويعد ولهذا ترى البحترى — وهو من كبار شعراء المديح — يمدح الفتح بن خاقان بتسع وعشرين قصيدة ، والفتح بن خاقان يعرفه من يعرف التاريخ وهو أفضل مما وصف البحترى مع جليل وصفه وقل مثل ذلك فى المتنبى ومدائحه

(١) ديوان المعانى جـ١ ص٢٦

لبدر بن عمار وسيف الدولة (٢) .

القول بزيف شعر المديح ، وأنه لعراقته فى الزيف زيف طبائع الشعراء ، وأفسد عليهم وعلينا الشعر كله حيث صيره زيفا ، وامتد ذلك الى النقد الذى استمد معظم قضاياه من تلك الاوضاع الشاذة . قول فيه من التطرف والمخالفة مايجعله يسقط وحده ، هذا فضلا عما عرف عن نقده الكلام من المعرفة الدقيقة بأحواله ويعدهم بخفى اسراره ولهم فى هذا معارف راقية بلغوا فيها شأوا عجيبا ، فقد أدركوا أن لسان الشاعر كريشة المصور يصف لك النفس الحزينة وراء الوجه الضحوك ، والنفس المستبشرة وراء الوجه الباكى . وأن الكلمات كالصور تعكس ماوراءها من صدق الضمير وتزييف الخواطر ، فقد ترى الصورة بهجة طروية فاذا أمعنت رأيت خطوطا خفية وغمغمات بعيدة ، جرت بها يد المصور الصناع فأنبأتك عن خفى مكنون وراء هذا الظاهر ، وقد تكون الصورة مكتئبة داكنة فاذا راجعت لمحت

(٢) راجع دراسة مدائح المتنبى لبدر بنى عمار وسيف الدولة فيما كتبه . وسوف تجد وجها مفردا فى تحليل شعر استاذنا الأستاذ محمود شاكر المديح وتذوق بلاغته يخالف ما جرت عليه الدراسات السطحية التى اشاعت فيه مقالة السوء

خطوطا وتسمعت لحونا أنبأتك عن خفى آخر ، هكذا التصوير ، وهكذا الشـــعر فقد يبكى الشاعر وهو طروب وأهل الصنعة يعرفون ذلك فى لحنه ، وقد يضحك وهو حزين ونقدة الكلام هم الذين يلتقطون نغمة حزنه من بين ضجيج طربه ، قال أبو بكر بن الطيب « وقد أجمعـوا أن من أحزن المصورين من صـور لك الباكى

المتضاحك ، والباكى الحزين ، والضـاحك المتباكى ، والضاحك المستبشر . وكما أنه يحتاج انى لطف يد فى تصوير هـــذه الأمثلة فكذلك يحتاج انى لطف فى اللسان والطبع فى تصوير ما فى النفس للغير (١) .

ويذكر الهيلى أن نقدة الكلام يتوســـمون الفاظه توسم أهل الفراسة فيعرفون حقـائق معانيه ، وأن المعانى أرواح تسكن داخـــل الألفاظ واذا كان أهل البصيرة يتعرفون بالنظر فى الأجسام على صفات الأرواح وأحـــوالها وطبائعها ومنازعها فكذلك نقدة الكلام كل ذلك بنحائز النفوس وقوة خواطرها (٢) .

وكانوا يفرقون بين دقائق تلتبس عنـــد الكثير فهناك من هو قادر على اخفاء صـنعته وكده ومشقته التى يبذلها فى بناء شعره حتى يظهر كأنه مطبوع . وهناك من ترى مطبوعه كالمستعمل المصنوع. قال أبو بكر «هذا أمر وان دق قلة قوم يقتلونه علما ، وأهل يحيطون بــه فهما ، ويعرفونه اليك ان شئت ، ويصـورنه لديك ان أردت ، ويجلونه على خواطـرك ان أحببت ، ويعرفونه لفطنتك ان حاولت ، وقـد قال القائل للحرب والضرب أقوام لها خلقـوا وللدواوين كتاب وحساب ولكل عمل رجالـــه : ولكل صنعة ناس . وفى كل فرقة الجاهل والعالم والمتوسط ، ولكن قل من يميز فى هذا الفـــن خاصة ، وذهب من يحصل فى هذا الشـأن الا قليلا » (٣) .

هذا بعض ماهو قائم فى صدور أهل العلم فلا يجوز لنا أن نعتقد أنهم ظلوا يحككون فى زيف ويمضغون فى زيـف ، ويتذوقون ويستعذبون الزيف ، وأنهـم كلما أمعنوا وجدوا فى الصـنعة ازدادوا اقبالا على الزيف واستحسانه .

ونسال الله العصمة من مثل هذا انه من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ولاحول ولا قوة الا بالله ، والى أن نلتقى ..

دكتور محمد محمد أبو موسى

(١) اعجاز القرآن للباقلانى ص١١٩
(٢) راجع نتائج الفكر للسهيلى ص ١٣١
(٣) اعجاز القرآن ص ١٢٥

من قضايا
اللسان
العربى

الميزان الصرفى و الميزان الصوتى

للدكتور السيد رزق الطويل

منذ فجر الحضارة العربية فى ظلال الرسالة الاسلامية الخاتمة شغل العلماء والباحثون بقضايا الاعراب ، والتراكيب كما شغلوا بقضايا التصريف ، وقد برز البصريون فى الجانب الاول كما سبق الكوفيون الى الجانب الثانى ، ولم تنل القضايا الصوتية نصيبا يذكر من عناية القوم فى هذه المرحلة ، ويرجع ذلك فى تقديرى الى أسباب عدة :

منها : أن أول ظاهرة انحراف فى اللسان العربى كانت فى الاعراب ، ولذلك شغلوا أول ما شغلوا بقضاياه ، ولم تظهر صورة الانحراف فى الاداء الصوتى بالصورة المزعجة ، التى يتجرد لها القوم .

ثانيها : قراء القرآن الكريم ، وما يعرفونه للقرآن من أداء معين ، يتطلب الاخذ بخصائص صوتية معينة مثل المد بكل أنواعه ، والاظهار ، والادغام ، والاخفاء ، والاقلاب واخراج

الميزان الصرفي والميزان الصوتي

اللسان في الذال والظاء والثاء مما عرف فيما بعد بهذه المصطلحات باسم تجويد القرآن هذا كله ملأ القلوب طمأنينة من هذه الناحية ، ولم يجعلهم يتصورون وقوع خطر على القرآن من هذه الناحية .

ثالثها : الدراسة الصوتية لابد أن تقوم على دراسة عضوية مستمدة من علم وظائف الاعضاء وأعضاء النطق أو مخارج الحروف هى اللبنة الاولى للدراسة الصوتية ، ولم يكن هذا النوع من المعرفة قد توافر للعرب فى هذه الآونة .

وكل ما لهم من دراسات هى دراسات وصفية تحكى اختلاف اللهجات العربية ، ومنها ظاهرة قراءات القرآن التى أقرها الرسول عليه الصلاة والسلام وورد بها سند صحيح وفيها جانب كبير يتصل بالدراسة الصوتية مثل التفخيم والترقيق ، والقلقلة ، والروم ، والاشمام ، وتحقيق الهمزة وتسهيلها والامالة .

فلما تقدم الزمن بالحضارة الاسلامية أخذت الانظار تتجه للدراسة الصوتية ، والبحث فى قضايا اللغة الاساسية مثل معنى اللغة ، ونشأتها ، واختلاف اللهجات .

واذا كانت قضايا الصوت العربى من ناحية الحروف وأوصافها ، وقضايا البذ (١) والتزمين(٢) لا تلفت نظر اللغويين الاوائل ، وكانوا نحاة ، ومن الموالى ، وأنى لهم أن يدركوا خصائص صوتية ليسوا هم من أهلها فان هؤلاء — أعنى الموالى — هم أنفسهم الذين تحدثوا فى هذا الباب أن تكاملت الدراسة النحوية والصرفية واستوعى على سوقها ، ومن هؤلاء علامة النحويين واللغويين أبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ هـ فى خلافة القادر العباسى(٣) فى كتابيه الخصائص ، وسر صناعة الاعراب .

لقد فجر قضايا لغوية وصوتية بالغة الاهمية ومنها قضية أصل اللغة وربط الدراسة الصوتية بالتصريفية والنحوية ، الشىء الذى نفتقده فى الكثير من دراستنا السابقة لعصر ابن جنى ، وفيما بعد عصره أيضا(٤) .

ومع ادراكنا لاهمية التصريف فى تقديم الابنية الصحيحة ، لتقوم عليها تراكيب صحيحة ، فهو مقدمة للنحو يجب أن نعرف أن الصرف نتيجة للدراسة الصوتية .

---

(١) بذل مجهود صوتى معين على مقطع معين

(٢) هو عنصر الزمن ومداه فى النطق بحروف اللغة ، والاداء الصوتى لها

(٣) معجم الادباء لياقوت الحموى ، ووفيات الاعيان لابن خلكان

(٤) يقول فى تعريف اللغة : اما حدها فانها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم ، الخصائص ﺣ ١ ص ٣١

ويقول : وذهب بعضهم الى ان اصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوى الريح وحنين الرعد ص ٤٥

المرجع السابق . واشار فى نفس هذا المرجع ص ٥٨ الى قصة طريفة حول اعرابى بايع أن يشرب علبة لبن ولا يتنحنح ، فلما تعب ، قال : كبش أملح ، ليجد فى حرف فرصة ، فقيل له : تنحنحت ، فقال من تنحنح فلا افلح ، فاعطى لنفسه بتكرير الحاءات الساكنة فرصة للتنحنح . مما يشير الى أن العلم بخصائص الحروف فطرة عند أصحاب هذا اللسان .

مفاعل مفاعيل فواعل افتعل

ومع تقدم الدراسة الصوتية فى عصرنا الحاضر ، وتلمسنا مناهج الغرب فى هذه الدراسة ، ومحاكاتهم فيما ابتكروه من معامل صوتية ، فإن هناك قضية يجب أن نضعها نصب أعيننا هى أن اللسان العربى بما له من خصائص الابانة والوضوح يختلف عن غيره تماما ، وفيه أصوات يندر ، أو ينعدم وجودها فى غيره ، كما أن القرآن الكريم لا يحفظ اللسان العربى تصريفا واعرابا فحسب ، وانما هو حافظه من ناحية الاداء الصوتى أيضا .

ومن القضايا التى يثيرها اللغويون المحدثون قضية الميزان المقطعى بدلا من الميزان الصرفى على أساس أن الميزان المقطعى يقوم الكلمة على ما هى عليه ، بعيدا عن النظر فى الاصول ، وأنه يتميز عن الميزان الصرفى بأنه يزن الاسماء المعربة والمبينة ، والافعال الجامدة والمتصرفة ، كما يزن الحروف أيضا ، وهذا على نقيض الميزان الصرفى الذى يختص بما اختصت به الدراسة التصريفية وهى الاسماء المتمكنة والافعال المتصرفة .

والوزن المقطعى بايجاز هو عبارة عن الرمز للحرف الساكن « بالصاد » وللحركة القصيرة عليه بالحاء ، والحركة الطويلة وهى التى تجلب بعدها حرف مد واوا أو ياء أو ألفا يرمزون لها بهذا (ح ح) .

فميزان الفعل « قرأ » على هذا يكون هكذا (ص ح — ص ح — ص ح) .

والفعل باع (ص ح ح — ص ح) والحرف « لو » على وزن (ص ح — ص) .

وأريد أن أناقش هذه القضية قضية الميزان المقطعى أو الصوتى الذى يراه بعض المحدثين أقوم وأهدى من الميزان الصرفى .

وأريد أن أسجل بين يدى هذا الحوار أن من الصرفيين القدماء من خرجوا على هذا الميزان الذى يراعى الاصل ، ويغض الطرف عن الواقع .

يقول الرضى فى الشافية : الا المبدل من تاء الافتعال يعنى تقول فى مثل اضطرب ،وازدرع افتعل ولا تقول : افطعل ، ولا افدعل ، وهذا مما لا يسلم ، بل تقول : اضطرب على وزن افطعل ، ومخصط (مخصت) وزنه فعلط وهراق وزنه هفعل فيعبر عن كل الزائد المبدل منه بالبدل لا بالمبدل منه » الشافية حـ ١ ص ١٨ .

وقال عبد القاهر فى المبدل عن الحرف الاصلى يجوز أن يعبر عنه بالمبدل فيقال فى وزن قال انه على وزن فال(١) .

وقد تناول الصرفيون ما هو قريب من الوزن المقطعى . ففى حديثهم عن صيغة منتهى

(١) المرجع السابق

الميزان الصرفي والميزان الصوتي ..

الجموع قالوا انها كل جمع تكسير بعد ألف تكسيره حرفان أو ثلاثة أوسطها ساكن ، وعبر عنها ابن هشام بقوله : الجمع الموازن لمفاعل أو مفاعيل كدراهم ودنانير(١) فنجد تحت هذا الضابط صيغا جمعية كثيرة مثل مساجد ــ فضائل ــ حواجز ــ صياقل مع أن لكل منها وزنا صرفيا خاصا هو على الترتيب : مفاعل ــ فعائل ــ فواعل ــ فياعل وهذا ما أسميه بالميزان النوعى .

ومن هذا الميزان النوعى الخارج عن سنن الميزان الصرفى الوزن التصغيرى ، وهو الذى عبر عنه الرضى بقوله : وقد ينكسر هذا الاصل الممهد فى أوزان التصغير ؟ اذ قصدوا حصر جميعها فى أقرب لفظ وهو قولهم : أوزان التصغير ثلاثة فعيل ، وفعيعل ، وفعيعيل . ويدخل فى فعيعل دريهم مع أن وزنه الحقيقى فُعَيْلِل وأُسَيْود وهو أفيعل ، ومطَيلِق وهو مُفَيْعِل »(٢) .

ومعنى هذا أن علاج الصرفيين القدماء لما أسميه بالميزان النوعى الذى يشمل عشرات الصيغ المختلفة فى ميزانها التصريفى يؤكد لنا وعيهم بكل احتياجات العملية التصريفية .

مزايا الوزن الصوتى :

كل ما يتميز به الميزان الصوتى أنه يزن الكلمة كما هى بصرف النظر عن الاصلى منها والزائد فهو مجرد تقدير صوتى للكلمة ، وقد يلتقى مع الميزان الصرفى فى بعض الكلمات مثل كتب لكنه يختلف عنه فى نحو « قال » و «دعاء» وهو يزن الحروف والجوامد والمبنيات والميزان الصرفى لا يتعرض لها فهو وزن ايقاعى يقرب تماما من وزن العروضيين للشعر .

وهنا أتساءل ما القيمة اللغوية لهذا الوزن الموسيقى ؟ انه لا يوصل الى شىء يعيدنى مجال العملية التصريفية ، أو يلقى الضوء على تطوراتها ؟

وهنا أقول ان الميزان الصرفى فى ايجاز بالغ يكشف أمام الصرفى عددا من الامور بالنسبة للكلمة الموزونة يترتب عليها نتائج ذات بال .

فمن الامور التى يكشف عنها الميزان الصرفى الاصلى والزائد من الحروف .

والبحث وراء الاصلى والزائد ليس جريا وراء أوهام ، أو سعيا وراء حفريات لغوية يمضى عليها الزمن انما هو كشف لامر نحن فى أمس الحاجة اليه اذا أردنا الاتصال بتراثنا العظيم من معاجم اللغة العربية فعندما أقول : استنفد على وزن استفعل معنى هذا أن أصولها هى النون والفاء والدال ومن هنا نكشف عنها فى القاموس المحيط فى باب الدال فصل النون .

كما يلاحظ الميزان الصرفى حركة الحروف ملاحظة دقيقة ، ويعطى حروف المد وضعها الحقيقى بالنسبة لاصلها ، فالالف مثلا كما

(١) أوضح المسالك ص ٥٦٢ تحقيق الشيخ محيى الدين

(٢) الشافية جـ ١ ص ١٤ تحقيق محيى الدين والزفزاف ونور الحسن

يقول الرضى : لا تأتى أصلا فى متمكن ولكن عن واو أو ياء »(١) وبناء على هذا يزن الصرفى « باع » على فعل لان الالف أصلها ياء ، وليس هذا نوعا من الحدس وانما هو اعتماد على الصور الاشتقاقية المعروفة للفعل باع ، اذ فيها : يبيع — بيع — مبيع ، فتظهر الباء المنقلبة ألفا حقيقية واقعة أما فى الميزان القطعى فبعدها حرف ساكنا مد مدة طويلة ، وحرف ساكن عليه حركة قصيرة ، فيكون هكذا (ص ح ح — ص ح) •

والميزان الصرفى يراعى ترتيب الحروف ، وبهذا يكشف عن ظاهرة لغوية قديمة هى القلب المكانى « وهى فى تقديرى تعبير عن طور من أطوار التطور اللغوى فى حياة العرب ، ولعل العربى كان يلجأ اليها رغبة فى الخفة ، أو قصد الى التنوع فى صور التعبير اللفظى ، أو أنه صور لاختلاف لهجات القبائل »(٢) •

وبهذا تتضح دقة الصرفيين فى اختيار منهج الميزان الصرفى الذى كان أداة استخدمها النحاة والصرفيون منذ فجر الدراسة اللغوية ، فسيبويه عرض لمسائل التصريف وأوزان الصيغ المختلفة اسمية أو فعلية (٣) والمبرد(٤) كذلك من بعده عرض للميزان الصرفى وذكر قدرا كبيرا من الصيغ والاوزان •

ومن مظاهر دقة الصرفيين اختيار مادة « فعل » لتكون ميزانا لكثير من الصيغ والابنية اذ وراء هذا اعتبارات علمية دقيقة ، بعضها منهجى ، وبعضها صوتى •

أما المنهجى فسأترك الحديث عنه للعلامة الرضى ، اذ يقول فى شافيته : ومعنى تركيب « فعل » مشترك بين جميع الامثال والاسماء المتصلة بها ، اذ الضرب فعل ، وكذلك القتل والنوم »(٥) وهذا يعنى أن مادة « فعل » بما تحمله من طابع العموم وعاء شامل لكل الصيغ التى تلتقى فى هيئتها ، وتختلف فى معانيها •

وأما السبب الصوتى • فمرجعه الى أن مخارج الحروف الاصلية ثلاثة وهى الشفتان واللسان والحلق ، فأخذ من كل مخرج حرفا ، الفاء من الشفتين ، والعين من الحلق ، واللام من اللسان •

وبهذا يتبين لنا أن الميزان الصرفى عمل علمى دقيق ، له آثاره التطبيقية فى الدراسة التصريفية ، ولا حرج فى أن يبتكر اللغويون المحدثون موازين أخرى لظواهر لغوية وتصريفية وصوتية قد تعن لهم ، لكن سيبقى للميزان الصرفى فى تقديرى قيمته العلمية المؤثرة •

والله يهدينا جميعا سواء السبيل •

دكتور السيد رزق الطويل

---

(١) الشافية حـ ١

(٢) كتابنا ، ابنية الافعال فى اللسان العربى ص ١٠

(٣) الكتاب لسيبويه حـ٤ من ص٢٤٢ الى ص ٢٨٥

(٤) المقتضب للمبرد حـ١ ص١٥١ وما بعدها حـ ٢ ص ٩٨ حـ ٣ ص ٢٨٢

(٥) الشافية حـ ١

● الأشهر

● من آداب وشروط الفتوى

الحرم

في الإسلام

في التشريع الإسلامي

الأشهر

هى أربعة أشهر : ثلاثة متتالية : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وواحد فرد وهو رجب الذى بين جمادى وشعبان •• احترازا عن رجب آخر كان العرب يطلقون عليه هذا الاسم فى غير هذا الموطن بفعل النسىء الذى كان شائعا آنذاك فى الجاهلية ، ويسمى الأول رجب مضر نسبة الى قبيلة مضر التى كانت تتحرى توقيته بكل حفاظ ودقة .

والحكمة فى جعل الثلاثة الأشهر الاولى متتالية هو تأمين طريق الحج وموسمه وذلك بتحريم القتال قديما والاقتتال فيه ولو بوجه حق فى شهر سابق على موسم الحج ، وهو شهر الرحيل والسفر للبيت الحرام فى مكة •• وفى شهر الحج نفسه ، وفى شهر العودة والقفول من مكة الى الآفاق •• وأما رجب فنظرا لتباعد الشقة بينه وبين موسم الحج فقد شرع الكف فيه عن القتال ونحوه ليكون كالواحة الآمنة الوارفة الظل اليانعة الثمر وسط بحر متلاطم الأمواج من لهيب الصحراء ورمالها المتوقدة بلظى الحر •• ولفح الهجير •• وفى هذا نشر للسلام بطريق حكيم •• فقد كانت العرب أهل غارات وحروب ، ومناجزات ومساجلات قتالية •• تحت تأثير البيئة الجافة الطبع ، الغليظة القلوب والاكباد ، الكثيرة الفقر والجدب والامحال •• فكانت المعارك جزءا لا يتجزأ من حياتهم البدوية ، وفطرتهم الصحراوية •• حتى ان بعض القبائل كاد يفنى البعض الآخر كما فى حرب البسوس بين الأوس والخزرج بالمدينة والتى استمرت نيفا وثلاثين عاما مايخبو لها أوار ، ولاتخمد لها جذوة الثأر •• فاقتضت حكمة الله العليم الحكيم أن يصوغ التوقيت الزمنى •• منذ اللحظة الأولى لخلق الكون ، وانشاء توقيته على هذا الوضع المحكم الهادف ، فجعل الدورة القمرية على اثنى عشر شهرا منها أربعة حرم •• تتميز عن الثمانية الأخرى بزيادة حرمة ، وميزة صيانة وقداسة •• فتزيد فداحة سيئات الآثمين فيها عن سيئاتهم فى مثلها •• كما تتضاعف حسناتهم عن حسناتهم فى غيرها •• على مستوى الزمان كله من أوله الى آخره •• وقد حكى القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى :

الحُرُم

للدكتور
محمد محمد الشرقاوى

(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) التوبة ٣٩

والمعنى كما فى الجلالين : ان شهور السنة المعتد بها عند الله اثنا عشر شهرا كما كتب ذلك فى اللوح المحفوظ يوم خلق السموات والأرض فيها أربعة حرم وتحريمها هو الدين المستقيم .. فلا تظلموا فى هذه الأشهر بالذات أنفسكم بالمعاصى فانها فيها أعظم وزرا من غيرها وان كان فى غيرها الوزر كذلك ، وقد بين ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع حين خطب الناس فى السنة العاشرة من الهجرة ومما قاله : (ألا ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السماوات والأرض .. السنة اثنا عشر شهرا .. منها أربعة حرم .. ثلاث متواليات : ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان) والمعنى كما فى الكشاف جـ ١ : ٣٩٢ : (رجعت الأشهر الى ماكانت عليه : وعاد الحج فى ذى الحجة ، وبطل النسىء الذى كان فى الجاهلية ، وقد وافقت حجة الوداع ذالحجة ، وكانت حجة أبى بكر رضى الله عنه قبلها فى ذى القعدة ، وتحريم الأشهر الأربعة هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما ، وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه .. سموا رجبا .. الأصم ومنصل الأسنة) لأنه لم يكن تسمع فيه قعقعة السلاح .

والنسىء المحظور : هو تأخير حرمة شهر الى شهر حلال آخر .. بتصرف شخصى بحت .. تبعا لمصلحة الناسىء الخاصة من هذا التأخير، وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا

الأشهر الحرم

جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة .. فيحلون لأنفسهم القتال فيه على أن يحرموا مكانه شهرا آخر .. كصفر مثلا بدلا من المحرم ، مع الحفاظ على عدد الأشهر الأربعة رقميا .. لاتعيينا وتخصيصا .. حتى يواطئوا .. أى يوافقوا العدة .. متجاوزين خصوص الأشهر .. فى حين أن الواجب مراعاة الأمرين جميعا : العدد والخصوصية .. وربما زادوا فى عدد شهور السنة العربية ككل .. فجعلوها ثلاثة عشر شهرا أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت اللازم لانجاز حروبهم ، وشفاء غل صدورهم من بعضهم بالتقتيل والتمزيق والابادة ، وفى ذلك يحكى أن كنانة كانت قبيلة مملقة فقيرة تشيع فيها الفاقة والحاجة .. فكانت تكثر الغارة على غيرها من القبائل بحثا عن القوت .. وكان فيهم رجل مطاع الرأى مسموع الكلمة يدعى : جنادة بن عوف الكندى .. فكان يقوم على جمل فى الموسم فيقول بأعلى صوته : ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه .. ثم يقوم فى العام القابل فيقول : ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه .. فجعل الله هذا النسىء زيادة فى الكفر .. لأن الكافر كلما زاد فى ضلاله زادت كمية كفره .. كما ان المؤمن كلما زادت وجدات ايمانه زادت نسبة ايمانه عن ذى قبل ، وقد حسب الجاهليون هذا النسىء حسنة من حسناتهم ، وبادرة بارعة من بنات أفكارهم .. على حين أنهم فى الضلال سادرون ، والى متاهات الغى والبوار سائرون .. وفى ذلك يقول الله تعالى : (**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**) التوبة ٣٧ أخرج ابن جرير عن أبى مالك قال : (كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا ،فيجعلون المحرم صفرا، فيستحلون فيه المحرمات ، فأنزل الله تعالى : (**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ**) ونستطيع أن نجمل المراحل التى مرت بها الأشهر الحرم فى الجاهلية والاسلام معا فيما يأتى :

١ ـ اشتملت شريعة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام على تحريم الأشهر الحرم المعروفة فى الشريعة الاسلامية ، وسرت هذه الشريعة بأحكامها تلك الى سائر العرب ، وورثوها عنهما ، لأنهما هما اللذان رفعا قواعد البيت الحرام ، وأذن ابراهيم فيه للناس بالحج ليأتوه .. (**رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا**

اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) .. فكانت الأشهر الحرم تأمينا للسالكين طريقهم الى الحج .. ذهابا واقامة وعودة .. وفى تفسير الجلالين : (ان ابراهيم عليه السلام بعد أن أتم بناء البيت .. نادى على جبل أبى قبيس : يا أيها الناس ان ربكم بنى بيتا ، وأوجب عليكم الحج اليه ، فأجيبوا ربكم ، والتفت بوجهه يمينا وشمالا ، وشرقا وغربا ، فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجالوأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك) .. فكان العرب فى الجاهلية يكفون عن القتال وتوابعه .. حتى يتسامح الرجل مع من له عليه ثأر .. تقديسا لحرمة الأشهر الحرم الأربعة ، واستمر العمل على هذا المنوال .. على الحقيقة مرة ،وعلى النسىء مرات .. حتى جاء الاسلام فأقرهم على ذلك، وسايرهم فيه ، وعاملهم على مقتضاه .. وهذه هى المرحلة الأولى .

٢ ــ والمرحلة الثانية هى مرحلة الاستثناء من قاعدة هذا الخطر العام للقتال فى الأشهر الحرم ، وذلك بمبدأ المعاملة بالمثل بعد الامتناع من جانب المسلمين عن البداءة بالعدوان ،وذلك بقوله تعالى : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) البقرة ١٩٠ عن الربيع بن أنس رضى الله عنه قال : (هذه أول آية نزلت فى القتال بالمدنية .. فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقاتل من يقاتله ، ويكف عمن يكف عنه ، وقبل قتال بدر بشهرين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية فى جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة ليترصدوا عير القريش فيها عمرو بن الحضرمى وثلاثة معه .. فقتلوه وأسروا اثنين، واستاقوا العير ، وفيها من تجارة الطائف .. وكان ذلك أول يوم من رجب ، وهم يظنونه من جمادى الآخرة ، فقالت قريش : قد استحل محمد الشهر الحرام .. شهرا يأمن فيه الخائف ، ويتذعر الناس الى معايشهم ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير ، وعظم ذلك على أصحاب السرية ، وقالوا : مانبرح حتى تنزل توبتنا ، ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير الى أصحابها .. كما رد الأسيرين .. فنزل قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ .. قُلْ : قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ .. وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) البقرة ٢١٧ .. وفى الكشاف جـ ١ ١٠٠ قصة عبد الله بن محصن السالفة الذكر.. ومعنى ذلك : أن المسلمين الى ماقبل غزوة بدر بشهرين كانوا ملتزمين بحرمة الأشهر الحرم فيما يتعلق بخطر القتال فيها مطلقا .. حتى نزلت الآيات التى تبيح لهم خرق هذا الحظر بقاعدة المعاملة بالمثل ، وجواز ارتكاب أخف الضررين .. وتأكد ذلك فى عمرة القضاء فى السنة السابعة من الهجرة .. ففى تفسير الجلالين : (لما صد المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم عام الحديبية سنة ست من الهجرة ، وصالح الكفار على أن يعود العام القابل ، ويخلى ولأصحابه مشركو مكة الحرم ثلاثة أيام ليقضوا عمرتهم ، وتجهز الرسول وصحبه لعمرة القضاء .. خاف أصحابه الا تفى لهم قريش بالعهد السابق ، وأن

يقاتلوهم •• مع كراهية المسلمين لقتالهم فى الحرم ، والاحرام ، والشهر الحرام •• فنزل قوله تعالى : ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ، وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ، فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة ١٩١ •• وفى هذه المرحلة رفع الجناح عن المسلمين فى القتال فى الأشهر الحرم معاملة للمشركين بالمثل ، وأطلقت يدهم فى قتال الذين يقاتلونهم فى الحرم أو فى الاحرام أو فى الشهر الحرام بشرط عدم الابتداء بالعدوان ، وتأيد ذلك بقوله تعالى : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة ١٩٤

والمعنى كما فى الجلالين : الشهر الحرام مقابل بالشهر الحرام فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم فى مثله ، وهو رد لاستعظام المسلمين ذلك ، والحرمات التى يجب احترامها قصاص •• أى يقتص بمثلها اذا انتهكت •• فاعتدوا على من اعتدى عليكم بمثل ما اعتدى ، واتقوا الله بترك العدوان وفى نصركم والله مع المتقين بالعون والنصر وقد فسر الكشاف آية : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ •

بأن القتال فى الشهر الحرام شىء كبير •• ولكن هناك ما هو أكبر منه ، وهو الفتنة المتمثلة فى كبائر قريش •• من صدهم عن سبيل الله ، وعن المسجد الحرام ، وكفرهم بالله ، واخراج أهل المسجد الحرام منه وهم الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه •• فهذا كله أكبر مما فعلته السرية من القتال فى الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن •• ومع هذا فقد ظن قوم أن أصحاب السرية وان سلموا من الاثم فقد حرموا من الأجر •• فنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة ٢١٨ •• وهكذا نرى فى تلك المرحلة الثانية للأشهر الحرم أن حظر القتال فيها هو القاعدة وأن المعاملة بالمثل هو الاستثناء •

٣ — لما كان الجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمة الدين ، واعزاز أهله قمة العبادات ؛ وذروة الطاعات بعد الايمان بالله والاقرار لرسوله بالبلاغ ، ونظرا لماله من أثر حاسم فى تأمين الدعوة والدعاة وحفظ الأوطان وسلامة العقائد •• حتى تمناه الرسول صلى الله عليه وسلم وتمنى القتل فيه ثلاث مرات بقوله (والله لقد وددت أن أغزو فى سبيل الله ثم أقتل ، ثم أغزو ثم أقتل ثم أغزو ثم أقتل) •• فقد نسخ حظر القتال فى الأشهر الحرم وصار مباحا فى كل شهور السنة لاعلاء كلمة الله تعالى ونصرة المسلمين ، وصار الجهاد ماضيا الى يوم القيامة بلا نسخ ولا توقيت الا على أصحاب العهود والمواثيق : ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ •• ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ فان خيف منهم الغدر والخيانة ﴿ فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ وعلى ذلك تكون المرحلة الثالثة والأخيرة فى الأشهر الحرم هى اباحة القتال فيها لغير المعاهدين وفى الكشاف ج ١ : ١٠١ :

(أكثر الأقاويل على ان آية (يسألونك عن الشهر الحرام ••) منسوخة بقوله تعالى (فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) التوبة ٤ أى اقتلوهم فى أى

مكان تجدونهم فيه من حل أو حرم •• وكان المشركون قد تبرأ الله من معاهداتهم ورسوله

فى قوله تعالى أول سورة براءة : (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر ••) ثم قال : (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين ••) أى قولوا للمشركين حينئذ ••

سيحوا فى الارض آمنين أربعة أشهر والمعنى : أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ اليهم •• أى بعد أن نكثوا عهدهم حين عدت بنوبكر على خزاعة حليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو ابن سالم الخزاعى مستجيرا بالرسول ومنشدا:

لاهم •• انى ناشد محمدا
حلف ابينا وأبيك الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا

فقال عليه الصلاة والسلام : (لانصرت ان لم أنصركم) •• كما تم النسخ بقوله تعالى : (واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة اشد من القتل) البقرة

١٩١ وقد فعل بهم ذلك عام الفتح •• كما تأكد النسخ بقوله تعالى : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) التوبة ٢٩ •• وهو عام فى كل الاشهر •• وبقوله تعالى : (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) التوبة ٣٦ وفى تفسير الجلالين : أى جميعا وفى كل الشهور •• ولم يخالف فى القول بالنسخ الا عطاء رضى الله عنه •• فانه يرى أن الأشهر الحرم لايجوز فيها القتال ولا الغزو مطلقا ــ الا فى حال رد العدوان ــ وقد روى أنه سئل عن القتال فى الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا فى الحرم ولا فى الشهر الحرام الا أن يقاتلوا فيه ومانسخت جـ ١ : ١٠١ الكشاف •• الا أنا نجد فى تفرد عطاء بهذا القول دليلا غير راجح •• فى مقابلة القول المخالف له عند جمهرة المفسرين والمحدثين والفقهاء •• ومع ذلك فنستطيع أن نقول : ان حرمة الأشهر الحرم مازالت قائمة فى غير القتال •• على معنى أن الحسنة فيها أعظم منها فى غيرها كما ان المعصية فيها أسوأ وأعظم وزرا منها فيما سواها •

وبذلك يبقى للاشهر الحرم اسمها وحرمتها وامتيازها على سائر الشهور•• وهو ما أراده الله لها يوم خلق السماوات والأرض وقد نهانا فيها بالذات عن ظلم أنفسنا •

د • محمد محمد الشرقاوى

من آداب وشروط

الفتوى

الفتوى أو الفتيا لغة هى الجواب عما يشكل من الأمور — يقال استفتيت فأفتانى بكذا ويقال أفتاه فى المسألة يفتيه اذا أجابه — قال تعالى :

١ — (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ) سورة النساء ١٢٧ •

٢ — (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا) سورة الصافات ١١ •

٣ — ويقول سبحانه حكاية عن أحد ملوك مصر الأقدمين فيما رأى من رؤيا أفزعته (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) سورة يوسف ٤٣ •

أما معنى الفتوى شرعا فهو الاخبار عن حكم الله تعالى بمقتضى الادلة الشرعية على جهة العموم والشمول •

حكم الفتوى

هو فرض كفاية اذا وجد غير هذا المفتى فى الناحية أو بمكان قريب دون مسافة القصر لكن يتعين الافتاء اذا لم يوجد غيره ممن تتضح منه الفتوى فى الناحية •

من يصلح للفتوى من الناس :

لا تصلح مرتبة التبليغ بالفتوى الا لمن اتصف بالعلم والصدق فيكون عالما بما يبلغ صادقا فيه ويكون مع ذلك حسن الطريقة مرضى السيرة — عدلا فى أقواله متشابه السر والعلانية عليه حلم ووقار وسكينة ومعرفة بأحوال الناس والمقصود بالعلم هو العلم بما فى القرآن الكريم والسنة النبوية من أحكام أو بيان •

خطورة مكان المفتى :

المفتى فى قيامه باصدار الفتوى يخبر عن الله تعالى وعن دينه فان لم يكن خبره مطابقا لما شرعه الله كان قائلا عليه بغير علم ولكن اذا اجتهد واستفرغ وسعه فى معرفة الحق وأخطأ لم يلحقه الوعيد وعفى له عما أخطأه وأثيب على اجتهاده •

لكن مما تجدر الاشارة اليه أن هذا المفتى لايجوز له أن يقول بما أداه اليه اجتهاده ولم يظفر فيه بنص عن الله ورسوله (أن الله حرم

فى الإسلام

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

كذا ـ وأوجب كذا ـ وأباح كذا) ويحرم على من يفعل ذلك الافتاء .

وكما يحرم كذلك الرأى لم تشهد له النصوص بالقبول يقول جلت كلماته (**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**) سورة القصص ٥٠ .

ويقول سبحانه (**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**)

سورة الجاثية ١٨ .

فمن النصوص السابقة يتبين التوجيه الالهى للنبى صلى الله عليه وسلم باتباع شريعة الله المنزلة عليه والعمل بها والامر لأمته باتباعه ونهيه سبحانه عن اتباع الرأى التابع من الهوى .

تحريم الفتوى بغير علم

حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم فى الفتوى والقضاء وجعله من أعظم المحرمات بل جعله فى المرتبة العليا من التحريم قال تعالى :

« **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**) سورة الأعراف ٣٣ .

فرتب سبحانه وتعالى المحرمات أربع مراتب وبدأ بأسهلها وهو (الفواحش) ثم ثنى بما هو أشد منه وهو (الاثم والظلم) ثم ذكر الشرك بالله لانه ظلم عظيم ثم جاء بعد ذلك بما هو أشد تحريما [illegible] كله وهو (القول عليه بلا علم [illegible] ول على الله سبحانه بغير [illegible] وصفاته وأفعاله ودينه وشرعه .

من آداب وشروط الفتوى في الإسلام ..

٢ ــ وقال تعالى (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) سورة النحل ١١٦ •

وهذا بيان صريح من الله سبحانه بأنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام الا بما علم أن الله سبحانه أحله أو حرمه بنص قاطع •

٣ ــ ويؤكد هذا النظر ما جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أميره (بريدة) أن ينزل الأعداء اذا حاصرهم على حكم الله وقال (فانك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك) كتاب أعلام الموقعين الجزء الاول للامام محمد ابن القيم •

فهذا نهي من النبي صلى الله عليه وسلم أن يسمى حكم المجتهد حكم الله والمراد أن الله سبحانه وتعالى حرم القول عليه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه •

من يجوز له الافتاء اذا كان مستوفيا للشروط

الفتيا أوسع من القضاء والشهادة ــ ولذا يجوز أن يقوم بها العبد والحر والمرأة والرجل ــ والقريب والبعيد والاجنبي والأمي والقارىء والناطق والاخرس بكتابته والعدو والصديق ــ لكن لا تقبل فتيا من لا تقبل شهادة له كالشهادة •

ما ينبغي للمفتي أن يراعيه عند الافتاء :

ذكر الامام ابن القيم في كتابه أعلام الموقعين عن رب العالمين كثيرا مما يجب على المفتي مراعاته نذكر بعضا منها : ــ

أولا : ينبغي للمفتي الموفق اذا نزلت به المسألة أن ينبعث من قبله الافتقار الحقيقي المجرد الى ملهم الصواب ومعلم الخير ــ وهادي القلوب أن يلهمه الصواب ــ ويفتح له طريق السداد ويدله على حكمه الذي شرعه لعباده في المسألة المعروضة عليه ــ فمتى قرع هذا الباب فقد قرع باب التوفيق ــ فاذا وجد من قلبه هذه المهمة فهي طلائع بشرى التوفيق فعليه أن يوجه وجهه الى منبع الهدى وهو النصوص من القرآن والسنة النبوية المطهرة وآثار الصحابة فان ظفر بذلك أخبر به وان اشتبه عليه بادر الى التوبة والاستغفار والاكثار من ذكر الله فان العلم نور الله يقذفه في قلب عبده والهوى والمعصية رياح عاصفة تطفىء ذلك النور أو تكاد ولابد أن تضعفه •

ثانيا : **واذا سئل المفتي في مسألة فاما أن يكون عالما بالحق فيها أو غالبا على ظنه بحيث قد استفرغ وسعه في طلبه ومعرفته أولا ــ فان لم يكن عالما بالحق فيها ولاغلب على ظنه لم يحل له أن يفتي بما لا يعلم كما قدمنا •**

واذا كان من أفتى بغير علم مرتكبا لأعظم الكبائر فكيف من أفتى بما يعلم خلافه فمن أفتى عما يعلم خلافه فهو كاذب على الله عمدا يقول جلت كلماته (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي

جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ) سورة الزمر ٦٠ كما يقول سبحانه (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ـ أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) سورة هود ١٨ .

ثالثا : وان كان المفتى يعرف فى المسألة ما قاله الناس ولم يتبين له الصواب من أقوالهم فله أن يذكر للسائل فيقول فيها اختلاف بين العلماء ويحكيه ان أمكنه للسائل .

رابعا : ان كان السائل قد حضره وقت العمل وقد احتاج الى السؤال فيجب على المفتى المبادرة على الفور الى جوابه ولا يجوز له تأخير بيان الحكم له عن وقت الحاجة ـ كما عليه أن يبين الجواب للسائل بيانا واضحا مزيلا للاشكال متضمنا لفصل الخطاب أما اذا سئل عن الحادثة قبل وقوعها فلا يجب على المفتى أن يجيبه عنها ـ وقد كان السلف الصالح اذا سئل أحدهم عن مسألة يقول للسائل هل كانت أو وقعت ؟ فان قال لا لم يجبه وقال دعنا فى عافية وهذا لأن الفتوى بالرأى لاتجوز الا عند الضرورة فالضرورة تبيحه كما تبيح الميتة عند الاضطرار وهذا انما هو فى مسألة لا نص فيها ولا اجماع فان كان فيها نص أو اجماع فعليه تبليغه بحسب الامكان فمن سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ـ هذا اذا أمن من المفتى غائلة الفتوى فان لم يأمن غائلتها وخاف من ترتب شر أكثر من الامساك عنها أمسك عنها ترجيحا لدفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما وقد أمسك النبى صلى الله عليه وسلم عن نقض الكعبة واعادتها على قواعد ابراهيم عليه السلام لأجل حدثان عهد قريش بالاسلام وأن ذلك ربما نفرهم عنه بعد الدخول فيه ـ وكذلك ان كان عقل السائل لا يحتمل الجواب عما سأل عنه وخاف المسئول أن يكون فتنة له أمسك عن جوابه .

خامسا : للمفتى أن يعدل عن جواب المستفتى عما سأله عنه الى ما هو أنفع له منه وذلك من كمال علم المفتى ونصحه ومثاله قوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) سورة البقرة ٢١٥ فسألوه عن المنفق فأجابهم بذكر المصرف اذ هو أهم مما سألوه عنه ونبههم عليه بالسياق مع ذكره لهم فى موضع آخر وهو قوله تعالى (قل العفو) سورة البقرة ١٩ وهو ما سهل عليهم انفاقه ولا يضرهم اخراجه .

سادسا : ويجوز للمفتى أن يجيب بأكثر مما سأله السائل وهو من كامل نصحه وعلمه وارشاده ومن غاب ذلك فلقلة علمه وضيق عظته وضعف نصحه ومثاله أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الوضوء بماء البحر فقال لهم (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) .

سابعا : ومن فقه المفتى ونصحه اذا سأله المستفتى عن شىء فمنعه منه وكانت حاجته تدعوه اليه أن يدله على ما هو عرض له منه فيسد عليه باب المحظور ويفتح له المباح وهذا من كمال خلق الرسل وورثتهم من بعدهم ومثاله أن عبد المطلب بن ربيعة بن

الحارث والفضل بن عباس سألا النبى صلى الله عليه وسلم أن تستعملها فى جباية الزكاة ليصيبا مايتزوجان به منعهما من ذلك وأمر محمية بن جزو وكان على الخمس أن يعطيهما ما ينكحان به فمنعهما من الطريق المحرم وفتح لهما الطريق المباح وهذا اقتداء منه بربه سبحانه فانه يسأله عبده الحاجة فيمنعه اياها ويعطيه ما هو أصلح له وأنفع منها وهذا غاية الكرم والحكمة (أعلام الموقعين للامام محمد بن القيم) .

ثامنا : وعلى المفتى اذا أفتى السائل بشىء أن ينبهه على وجه الاحتراز مما قد يذهب اليه الوهم منه من خلاف الصواب ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (**لا يقتل مؤمن بكافر — ولا ذو عهد فى عهده**) فأتبع صلوات الله وسلامه عليه الجملة الأولى بالثانية رفعا لتوهم اهدار دماء الكفار مطلقا وان كانوا فى عهدهم (**اعلام الموقعين للامام ابن القيم**) .

ومن ذلك قوله تعالى (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ**) سورة الطور ٢١ .

فلما أخبر سبحانه بالحاق الذرية ولا عمل لهم بآبائهم فى الدرجة فربما توهم متوهم أن يحط الآباء الى درجة الذرية فرفع هذا التوهم بقوله (وما التناهم من عملهم من شىء أى مانقصنا من الآباء شيئا من أجور أعمالهم بل رفعنا ذريتهم الى درجتهم ولم نحطهم الى درجتهم ينقص أجورهم — ولما كان الوهم قد يذهب أنه يفعل ذلك بأهل النار كما يفعله بأهل الجنة قطع هذا الوهم بقوله تعالى (**كل امرىء بما كسب رهين**) سورة الطور ٢١

تاسعا : ويجب على المفتى أن يذكر دليل الحكم ومأخذه ما أمكنه من ذلك ولا يلقيه الى المستفتى ساذجا مجردا عن دليله ومأخذه ومن تأمل فتاوى النبى صلى الله عليه وسلم رآها مشتملة على التنبيه على حكمة الحكم ونظيره ووجه مشروعيته ومثاله قوله صلى الله عليه وسلم (لاتنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها فانكم اذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم) فذكر لهم الحكم ونبههم على علة التحريم . ورد هذا الحديث حتى لفظ (خالتها) فى صحيح الامام مسلم القشيرى — اما باقى الحديث من لفظ (فانكم الى آخره فقد قال القرطبى ذكره أبو محمد الأصيلى فى فوائده وابن عبد البر وغيرهما) .

عاشرا : واذا كان الحكم الذى يلقيه المفتى مستغربا جدا مما لم تألفه النفوس وانما ألفت خلافه فينبغى له أن يوطىء قبله ما يكون مؤذنا به كالدليل عليه والمقدمة بين يديه ومثال ذلك ما ذكره سبحانه فى قصة زكريا عليه السلام واخراج الولد منه بعد انصرام عصر الشبيبة وبلوغه السن الذى لا يولد فيه لمثله فى العادة فذكر قصة مقدمة بين يدى قصة المسيح وولادته من غير أب — فان النفوس اذا أنست بولد من بين شيخين كبيرين لا يولد لهما عادة سهل عليها التصديق بولادة ولد من غير أب — وكذلك ذكر سبحانه قبل قصة المسيح موافاة مريم رزقها فى غير وقته وغير ابانه — وهذا

الذى شجع نفس زكريا وحركها لطلب الولـد وان كان فى غير ابانة .

حادى عشر : وعلى المفتى أن يحلف عـلى ثبوت الحكم عنده ليشعر السائل أنه على ثقة ويقين مما قاله له وأنه غير شاك فيه وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحلف على ثبوت الحق الذى جاء به فى ثلاثة مواضع من كتـابه .

أحدهما قوله تعالى (**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ**) سورة يونس ٥٣ .

والثانى : قوله تعالى (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَـرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـالِمِ الْغَيْبِ**) سورة سبأ ٣ .

والثالث : قوله تعالى (**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَـرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ**) سورة التغابن ٧ .

وقد أقسم النبى صلى الله عليه وسلم على ما أخبر به من الحق فى أكثر من ثمانين موضعا وهى موجودة فى الصحاح والمسانيد .

وقد كان الصحابة رضـوان اللـه عليهـم يحلفون على الفتاوى والرواية ومثاله قـول على بن أبى طالب كرم الله وجهه لابن عباس فى متعة النساء انك امرؤ تائه فانظر ما تفتى به فى متعة النساء فوالله وأشهد بالله لقد نهى عنها رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسلم ــ ولما ولى عمر رضى الله عنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس ان رسـول الله صلى الله عليه وسلم أحل المتعة ثلاثا ثم حرمها ثلاثا فأنا أقسم بالله قسـما لا أجـد أحدا من المسلمين متمتعا الا رجمتـه الا أن يأتى بأربعة من المسلمين يشهدون أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم أحلها بعد أن حرمها .

وقد حلف الشافعى فى بعض أجوبته فقـال محمد بن الحكم سألت الشافعى رضى الله عنه عن المتعة كأن يكون فيها طلاق أو مـيراث أو نفقة أو شهادة فقال لا والله ما أدرى .

وقال يزيد بن هارون من قال القرآن مخلوق أو شىء منه فهو والله عندى زنديق .

كما حلف الامام أحمد على مسائل من فتاويه مثاله لما قيل له أيزيد الرجل فى الوضوء على ثلاث مرات فقال لا والله الا رجـل مبتـلى يعنى بالوسواس وسئل من قال القرآن مخلوق كافر ؟ فقال اى والله .

ثانى عشر : وينبغى للمفتى أن يفتى بلفظ النص مهما أمكنه فانه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام وقد كان الصحابة والتابعـون والأئمة الذين سلكوا علىمناهجهم يتحرون ذلك غاية التحرى أما الرغبة عن النصوص بألفاظ أخرى فانها لا تفى بما تفى به النصوص من الحكم والدليل وحسن البيـان ــ والتقيـد بألفاظ النصوص عصمة وحجة بريئة من الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئلوا عن مسألة يقولون قال اللـه كذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا أو فعل رسول الله كذا ولا يعـدلون عن ذلك

من آداب وشروط الفتوى في الاسلام ..

ما وجدوا اليه سبيلا قط فمن تأمل أجوبتهم وجدها شفاء لما فى الصدور .

ثالث عشر : لا يجوز للمفتي اطلاق الفتوى فى مسألة فيها تفصيل الا اذا علم أن السائل انما سأل عن أحد تلك الأنواع بل اذا كانت المسألة تحتاج الى التفصيل استفصله ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم لمن سألته هل على المرأة من غسل اذا هى احتلمت ؟ فقال نعم اذا رأت الماء فتضمن هذا الجواب الاستفصال بأنها يجب عليها الغسل فى حال ولا يجب عليها فى حال .

رابع عشر : على المفتى أن يكون حذرا فطنا ولا يحسن ظنه بكل أحد وهذا ما حمل بعض المفتين على أنه كان يقيد السؤال عنده فى ورقة ثم يجيب فى ورقة السائل — ومنهم من كان يكتب السؤال فى ورقة من عنده ثم يكتب الجواب .

خامس عشر : وللمفتى ان كان عنده من يثق بعلمه ودينه فينبغى له أن يشاوره ولا يستقل بالجواب ذهابا بنفسه وارتفاعا بها أن يستعين على الفتاوى بغيره من أهل العلم وقد أثنى الله سبحانه فى سورة الشورى على المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم وقال تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم **(وشاورهم فى الأمر)** سورة آل عمران ١٥٩ .

حكم فتيا الفاسق :

الفاسق ان أفتى غيره لم تقبل فتواه — وليس للمستفتى أن يستفتيه لكن له أن يعمل بفتوى نفسه ولا يجب عليه أن يستفتى .

أما بالنسبة لمستور الحال فيجوز استفتاؤه وافتاؤه ويقول فى ذلك الامام محمد بن القيم فى كتابه أعلام الموقعين تقبل فتوى الفاسق الا أن يكون معلنا بفسقه داعيا الى بدعته فحكم استفتائه حكم امامته وشهادته .

من هو الذى يتخير للفتوى وما يجوز وما لا يجوز له :

والواجب أن يتخير للفتوى الأصلح فالأصلح عنده القدرة على ذلك ويجوز للمفتى أن يفتى أباه وابنه وشريكه ومن لا تقبل شهادته له وان لم يجز أن يشهد له ولا أن يقضى له .

ولا يجوز للمفتى أن يحابى من يفتيه فيفتى اباه وابنه وصديقه بشىء ويفتى غيرهم بضده محاباة فهذا يقدح فى عدالته الا أن يكون هناك ثم سبب يقتضى التخصيص غير المحاباة بأن كان فى المسألة قولان أحدهما بالمنع والآخر بالاباحة فيفتى ابنه وأباه وصديقه بالاباحة ويفتى غيرهم بالمنع — وهذا أيضا لا يمكن أن يقبله عقل فضلا عن عدالة المفتى فان الواجب عليه أن يفتى بأرجح الادلة — ولا يعقل أن يكون الترجيح تارة فى جانب الاباحة وتارة فى جانب المنع والسبب واحد فواجب على المفتى أن يكون المستفتى أيا كان عنده سواء فحكم الله واحد لا يتعدد .

ويجوز للمفتى أن يفتى نفسه كما جاز أن يفتى غيره فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم (استفت نفسك وان أفتاك المفتون) كتاب أعلام الموقعين للامام ابن القيم الجزء الرابع .

لكن لا يجوز له أن يفتى نفسه بالرخصة وغيره بالمنع بل يفتى نفسه بما يفتى غيره به

كما لا يجوز له اذا كان فى المسألة قولان قول بالجواز وقول بالمنع أن يختار لنفسه قول الجواز ولغيره قول المنع •

ولا يجوز المفتى أن يعمل بما شاء من الأقوال والوجوه من غير نظر فى الترجيح بل يكتفى فى العمل بمجرد كون ذلك قاله امام أو وجها ذهب اليه جماعة فيعمل بما شاء من الاقوال والوجوه لأنه رأى أن هذا القول يوافق غرضه وغرض من يريد محاباته فيعمل به ويفتى به ويفتى عدوه بعكسه فهذا مما يوصف بأنه حكم بالهوى والتشهى وهو من أكبر الكبائر وحرام باتفاق الأئمة •

الفرق بين الافتاء والقضاء :

يشترك علم الفتوى مع القضاء فى أن كليهما اخبار عن حكم عام شرعى — الا أن علم الفتوى لا الزام فيه ولذا يكون المفتى أقرب الى السلامة من القاضى لأنه لا يلزم بفتواه وانما يخبر بها من استفتاه فان شاء قبل قوله وان شاء تركه •

والقاضى عليه أن يتبع الحجج التى هى البينة والاقرار ونحوهما بالاضافة الى الأدلة والمفتى يعتمد ويتبع الأدلة التى هى الكتاب والسنة ونحوهما وهو يجرى مجرى الرواية لهذا يدخل المفتى فى حكم الفتوى التى يفتى بها كما يدخل الراوى لكن القاضى حكمه يخص المحكوم له فقط •

حكم فتوى القاضى :

لا فرق بين القاضى وغيره فى جواز الافتاء بما تجوز به الفتيا ووجوبها اذا تعينت — ولم يزل أمر السلف والخلف على هذا فمنصب الفتيا داخل ضمن منصب القضاء عند الجمهور الذين لا يجوزون قضاء الجاهل — فالقاضى مفت ومثبت ومنفذ لما أفتى به •

وذهب بعض الفقهاء من أصحاب الامام الشافعى والامام أحمد الى أنه يكره للقاضى أن يفتى فى مسائل الاحكام المتعلقة به دون الطهارة والصلاة والزكاة ونحوها من أمور العبادات واحتجوا بأن فتيا القاضى تصير كالحكم منه على الخصم ولا يمكن نقضه وقت المحاكمة ولأنه قد يتغير اجتهاده وقت المحاكمة أو تظهر له قرائن لم تظهر له عند الافتاء •

فان أصر القاضى على فتياه والحكم بموجبها حكم بخلاف ما يعتقد صحته — وان حكم بخلافها تطرق الخصم الى التشنيع عليه واتهامه بأنه يحكم بخلاف ما يعتقده ويفتى به •

ولهذا قال شريح القاضى حين استفتى (أنا أقضى ولا أفتى) •

وعلى العموم فان فتيا القاضى ليست حكما منه فلو حكم غيره بخلاف ما أفتى به لم يكن نقضا لحكمه •

وجه بطلان الفتوى :

تبطل فتوى المفتى اذا ما خالفت نص القرآن الكريم والسنة النبوية أو خالفت ما أجمع عليه المسلمون أو خالفت قياسا واضحا •

من آداب وشروط
الفتوى
في الإسلام

حكم خطأ المفتى :

اذا ثبت أنه اجتهد فى الوصول الى فتواه باستقصاء الادلة ولم يقصر فى محاولة الوصول الى الحق ومع ذلك أخطأ فى فتواه كان على بيت المال ضمان هذا الخطأ •

أما اذا ثبت تقصيره فى ذلك فعليه ضمان الخطأ لأنه حينئذ تجب معاملته بصفته شخصا عاديا •

آداب الفتوى :

يشترك علم الفتوى مع القضاء فى الآداب المطلوبة فيمن يعمل فيهما : —

فليس للمفتى الفتوى فى حال الغضب الشديد أو الجوع المفرط أو الهم المقلق أو الخوف المزعج أو النعاس الغالب أو شغل القلب المستولى عليه أو حال مدافعة الأخبثين — بل متى أحس من نفسه شيئا من ذلك يخرجه عن حال اعتداله وكمال تثبته وتبينه أمسك عن الفتوى لكن ان أفتى فى حالة من الحالات السابقة بالصواب صحت فتياه •

أول من قام بمنصب الفتيا فى الاسلام :

أول من قام بهذا المنصب هو سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فكان يفتى بوحى الله رب العالمين وكانت فتاويه صلى الله عليه وسلم جوامع الأحكام ومشتملة على فصل الخطاب وهى فى وجوب اتباعها وتحكيمها والتحاكم اليها فى المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم ما لم يكن نقلها متواترا باعتبارها سنة ليس لاحد من المسلمين العدول عنها ما وجد اليها سبيلا — وقد أمر الله سبحانه المسلمين عند حدوث المنازعات بالرد اليها حيث يقول

(**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**) سورة النساء ٥٩ •

الفتوى فى عصر الصحابة والتابعين :

ثم قام بالفتوى من بعد النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم فى حضرته وبأمره كما فى فتوى سعد بن معاذ حين حكمه الرسول فى بنى قريظة وهم قوم من اليهود كانوا يقيمون فى ضواحى المدينة نقضوا عهدهم مع النبى صلى الله عليه وسلم وحاربوا المسلمين وانضموا للمشركين وقد يكون افتاء الصحابة بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدث بعد غزوة الخندق اذ أمر أصحابه الا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة فقد رأى بعضهم أن المراد بذلك الاسراع لا تأخير صلاة العصر ورأى آخرون حظر صلاة العصر الا هناك فلم يصلها الا بعد العشاء الأخيرة — ولم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أحد منهم مارأى •

وعلى هذا كان اجتهاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم من التابعين والأئمة المجتهدين والعلماء العاملين منهم وان كانوا يكرهون التسرع فى الفتوى ويود كل واحد منهم أن يكفيه اياها غيره فاذا تعينت عليه بذل جهده فى معرفة حكمها

مسترشدين بما حفظوا من كتاب الله وبمـا وعوه من أحكام أثرت عن رسول الله صـلى الله عليه وسلم فيما عرضت عليه من أقضيـة وما سئل عنه من مسائل ناهجين منهجه مستنين سنته مستعينين بما مرنوا عليه من اسـتنباط أقرهم عليـه دربـة اكتسبوها من مراجعـة بعضهم بعضا فيما حـدث لهم من الأحـداث أو نزل بهم من الوقائع ولم يكن ذلك متوافرا فى كل فرد منهم بل اختص به قلة اصـطفاهم الله بما أعطاهم من نفاذ نظر وسلامة تقدير ووزن وحسن ادراك ودقة ملاحظة قد هيأ لهم ما صاروا اليه من الأهلية والقدوة والأسـوة والمتابعة فيما يفتون فى المسائل التى تعـرض عليهم والوقائع التى استجدت فيهم ولم يكن لهم سبيل الى تعرفها الا البحث عن المصلحة التى رآها الشارع فى أحكامه أين تكون لأنها دليل حكم الله فيها وكان بحثهم يقوم ٠

(أ) تارة على الحاق الشبه بشبيهه ٠

(ب) وتارة عـلى تطبيق قـاعدة عـامة استنبطوها من أحكام الشريعة العـديدة التى قامت عليها واستندت اليها ٠

(جـ) وتارة يقـوم على مراعـاة العـرف ومتابعته لأن جريان العـرف دليـل ارادتـه وقصده وان المصلحة فيه حيث لا نص ٠

(د) وتارة يقوم على المصلحة المعتبرة من الشـارع دون مقايسـة أو تطبيق لقـاعدة أو مراعاة لعرف بانين نظرهم على اطمئنـان النفس بوجودها حيث انتهى نظرهم كما هـو

واضح فيما أشـار به عمر بن الخطـاب الى أبى بكر الصديق رضى الله عنهما بضرورة جمع القرآن فلمـا أبى الصـديق أن يستجيب الى مادعاه اليه استنادا الى أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم لم يفعله رد عليه عمر رضى الله عنه بقوله (هو والله خير) ولاشـك أنه كان يعنى بالخير ما فيه صلاح الاسلام والأمة فهو قد احتج بالمصلحة ورأى أبو بكر رضى اللـه عنه أنها حجة سليمة فأقر عمر عـلى فتيـاه واقتنع بها وطلب من زيد بن ثابت القيام بهذه المهمـة ٠

من آداب وشروط الفتوى في الإسلام

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد آثر العقل فى كتابه وجعله المرجع فى النظر والاستدلال على أصول الدين وعقائده — وجعل له السلطان الأعلى فى ادراك معانى الخير والحق ودعا الى تحكيمه فى أكثر من (٣٠٠) ثلاثمائة آية من كتابه وعاب الذين لا يحكمون عقولهم وأزرى بهم ازراء شديدا لم يكن من الجائز اهمال العقل فى مجال الأحكام الفرعية اذا ما دل على تخصيص أو تقييد أو عموم أو اطلاق تحقيقا للمصلحة التى جعلها الشارع مناط أحكامه وأصل شرعه كما أن دليل العقل يكون بيانا للنص والارشاد الى تعرف مما يراد منه عنده .

*** كما أن نصوص الشريعة الاسلامية هى مرجع المفتى وعلى ضوئها يصدر فتواه فهى عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وظله فى أرضه — وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها — وهى نوره الذى به أبصر المبصرون وهداه الذى به اهتدى المهتدون — وطريقه المستقيم الذى من استقام على سواء السبيل — وكل خير فى الوجود فانما هو مستفاد منها وحاصل بها وكل نقص فى الوجود فسببه من اضاعتها وهى العصمة للناس وقوام العالم وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا فهى عماد صلاح هذا العالم وقطب الفلاح والسعادة فى الدنيا والآخرة**

يقول ربنا جلت كلماته (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) سورة الانعام ١٥٣ .

محمد عزت الطهطاوى

من حضارة الإسلام

○ هل هناك فلسفة إسلامية أصيلة ؟
○ التربية الصوفية (٤)
○ مع منهج السيرة لابن هشام تفسير للنبوة
○ وسائل إعداد الدعاة
○ هل يستعيد المسلمون حضارتهم ؟
○ السنة ومكانتها في الشريعة الإسلامية
قراءة في رسالة الغفران " دنانير ابن القارح

هل هناك فلسفة

ان هذا السؤال يذكرنا بالحملة العنيفة التى شنها عدد من المستشرقين على الفلسفة الاسلامية ، بل على العقلية العربية والاسلامية على وجه العموم . وهذه الحملة استدعت ردودا تختلف عنفا وهدوءا وموضوعية وسذاجة باختلاف من تناولوا مثل هذه الردود — غير أنه من الانصاف أن نقول : ان معظم الذين انتقصوا من قيمة الفلسفة الاسلامية من المستشرقين كانوا ضحية النظرة الضيقة الى جانب واحد أو ميدان واحد من جوانب وميادين الفكر الاسلامى ، ومن هنا فقدوا النظرة الصحيحة الى العطاء والانجاز الاسلامى فى ميدان الفكر .

ذلك أنهم نظروا الى نمط واحد من هذا الفكر ، وهو ما يتصل بالفلسفة المدرسية التى تأسّت خطا اليونان وعرفت فيما بعد بالفلسفة المشائية أو الاشراقية القائم على الأفلاطونية الحديثة ، ولذلك صغر فى عينهم القدر الذى أضافه المسلمون ولو أنهم نظروا الى ميادين أخرى لهذا الفكر ، تلك الميادين التى منها علم الكلام ، ومنها الأصول ، ومنها التصوف فى جانبيه التجريبى والنظرى — لو أنهم فعلوا ذلك لأدركوا مدى الأصالة وقدر الاضافة التى حققها المسلمون .

انهم نظروا فوجدوا فلاسفة الاسلام المعروفين قد سلكوا بدروب الفكر وتفرع المشكلات مسلك اليونانيين فحكموا على الفور عليهم بالتقليد وعلى عقليتهم بالجمود ، وأضافوا الى ذلك هذه الفرية الخبيثة التى أرادوا أن يعطوها مسحة علمية مزيفة وهى فرية العقلية السامية — عقلية الجزئيات والمنتثرات ، هذه العقلية التى لا تستطيع فى زعمهم أن تصوغ المذاهب أو تنشىء النظم أو تدرك القضايا والقوانين العامة ، ولم يقتصر طعنهم على العقلية بل تعداها الى الدين نفسه وقد خفتت أصوات هؤلاء الآن بعد هذا الجهد المتوصل من أجيال الدارسين الذين أفلحوا فى القاء الضوء على هذه الزاوية أو تلك من زوايا الفكر الاسلامى .

لقد آن الأوان لكى نعفى أنفسنا من تتبع آراء هؤلاء للرد عليها او تفنيدها . وبدلا من ذلك نلجأ الى الطريقة الفعالة المقنعة ، هذه الطريقة التى تتبنى المنهج الموضوعى لتضع يد كل منصف على مقومات الأصالة فى الفلسفة

إسلامية أصيلة ؟

للدكتور
محمد كمال جعفر

الاسلامية بشرط أن نحدد مفهوم الأصالة تحديدا دقيقا .

ويجب أن نوضح أول الامر أنه لا يعنى بالاصالة لفكرة ما أو فلسفة ما أنها نشأت عن عدم ، وأنه لم يسبق لمثلها وجود فى حضارة ما بل يقصد بالاصالة أن تتبع الفكرة أو الرأى أو القضية بايحاءات البيئة أو التراث أو الحضارة التى تحيا فيها الأمة ، لتجيب على شىء من مشكلاتها أو تعرض بعض الحلول لها .. حتى وان تكن هذه الفكرة أو تلك الفلسفة موجودة فى أمة أخرى .. وهنا يخدع الذين يأخذون بالمظهر فى التشابه فيقطعون دون فحص بوجود استعارة أو تأثر حتى وان لم تكن هناك صلات تاريخية ، مع أنه يمكن أن تتشابه فكرتان لدى أمتين ولا يكون هناك أخذ أو استعارة اذ قد يكون ذلك كتشابه الموقف الانسانى الذى وقفته كل منهما . وفى هذا الصدد نجد كثيرا من المغالات فى انكار أصالة كثير من الافكار والآراء المضمنة فى الفلسفة الاسلامية ، ومن ثم مبالغة وتطرف فى النتائج التى يتوصل اليها .

لهذا نؤثر أن نجيب فى تحديد ووضوح عن هذا السؤال : ماهى مقومات الأصالة فى الفلسفة الاسلامية ؟

وللرد على ذلك يجب أن نتذكر ما أشرنا اليه سابقا وهو أن للفكر الاسلامى ميادين أربعة هى الاصول ، وعلم الكلام ، والفلسفة التقليدية والتصوف ، واذن فحق السؤال أن يكون : ماهى مقومات الاصالة فى كل ميدان من ميادين الفكر الاسلامى ؟

وقبل أن نجيب فى ايجاز عن السؤال يجمل بنا أن نشير الى حقيقة واضحة تتحدى كل مكابر ، وان أغفلها كثير من المستشرقين ومن شايعهم عن عمد . وهى تتصل بالدور الذى أداه القرآن الكريم فى شحذ وحث العقول على التفكير والبحث والتأمل بشتى الوسائل الممكنة

هل هناك فلسفة إسلامية أصيلة ؟

فقد استعرض القرآن ملكات الفكر ووسائل المعرفة الحسية والعقلية والحدسية ، وأوحى بأهم المناهج فى البحث العلمىويطول استقصاء أمثلة هذه انظواهر فى القرآن الكريم ولكن يكفى أن نشير الى ما توحى به بعض الآيات بالنسبة لمنهج الاستقرار ذلك المنهج العلمى التجريبى الحديث ، الذى يدعى اكتشافه فى أوربا مع أنه نشأ وتطور ونضج فى المحيط العربى الاسلامى كما برهنت على ذلك دراسة جامعية لدرجة الدكتوراه أشرفنا على اعدادها وتقويمها . وهذا المنهج من حيث انبثاق فكرته قد يكون مدينا لآيات قرآنية كثيرة منها **« وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ؟ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ »** ففى هذه الآية يرد الله سبحانه على هؤلاء الذين يصفون الملائكة بأنهم اناث بهذا السؤال المفحم القاضى بأن يكون الاخبار اليقينى عن مشاهدة وملاحظة .. أليست المشاهدة والملاحظة أولى الخطوات فى منهج الاستقراء، يليها التجربة ثم الفرض ثم تحقيقه ثم النظرية ؟؟

ولا نريد أن نسترسل فى الشواهد ولكن نريد أن نصل الى هذه النتيجة .. وهى أن القرآن الكريم كان الحافز الاول والمشجع الاكبر على البحث والاستقصاء فى الدراسة والتأمل والسير فى الكون والدليل على ذلك أن النهضة الاسلامية بدأت بالعلوم التى تخدم القرآن الكريم سواء كانت علوما عربية أو علوما دينية واذن فدعاوى المستشرقين حول حجر الفكر فى القرآن أو فى الدين دعاوى لا أساس لها .

ولنعد الآن الى الاجابة عن هذا السؤال ؟ وهو أين مقومات الأصالة فى الفكر الاسلامى بميادينه الأربعة . والاجابة تبدأ أولا بتحديد « مفتاح الأصالة » ثم تثنى بذكر صور ومقومات هذه الأصالة . أما مفتاح الأصالة فى نظرنا ــ حتى فى ميدان الفلسفة التقليدية التى نعترض أن تقل فيها صور الأصالة وأمثلتها ــ فيتمثل فى حرص فلاسفة الاسلام دون استثناء على التفرقة الحاسمة فى الوجود بين الله والعالم أو بين الواجب والممكن لأن هذه النقطة ركيزة الاسلام الأساسية وهى التفرقة بين الخالق والمخلوق يقول الله تعالى **« أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ؟ »** حتى الفلاسفة الذين جنحوا الى اليونان من حيث قدم العالم لم يفتهم أن يفرقوا بين هذا القدم وقدم الاله وكذلك تفصيل يضيق عنه المقام .

أما صور الأصالة وأمثلتها فعديدة كثيرة فى كل ميدان بل أن هناك ميادين برمتها نشأت وترعرعت وتطورت دون استعانة بحضارة أو فكر أجنبى مثل أصول الفقه ، وعلم الكلام فى مراحله الأولى . لقد أنتجتهما العقلية الاسلامية الخالصة أما الأول فدعت اليه الحاجة الى التشريع واستنباط الأحكام ، فكان علم الأصول بمثابة المنطق الذى يحكم التفكير الفقهى ، كما يحكم المنطق الفلسفة كذلك نشأ علم الكلام نشأة اسلامية خالصة ، اذ كان فى الأصل محاولة للرد على الشبهات التى أثارها الخصوم ، أو أثيرت فى وجه

السذج من المعتقدين ، وهـذا لا يمنـع من أن يكون هذا العلم قد اسـتنار من غيره فى المراحل المتأخرة . فهذان علمان كما قلنا نبتا فى أرض اسلامية وتعهدتهما العقـول بالرى والانماء .

أما التصوف فهو وان كان نمطا من السلوك الفاضل والحياة الروحية الصافية والتعـالى على الماديات ، الا أنه استطاع أن يثرى الفكر الانسانى فى ميادين مختلفة وأن يضـيف الى الحضارة ما تصبح بدونه عاطلة عرجاء .

لقد استطاع الصوفية أن يضيئوا كثيرا من المفاهيم والعبارات وأن يسـلطوا الضـوء الكاشف على النفس الانسانية فى مشـاعرها وهواجسها ووساوسـها ولحظـات ضـعفها وقوتها ، وعتمتها واشراقها وقبضها وبسطها . كما استطاعوا أن يضـيفوا الى التراث الفنى والأدبى أحلى الأشعار وأرق المعـانى وألطف الدقائق لدرجة جعلت الدارسين يعتقدون أنه لا تستطيع أمة من الأمم أن تقتطع من تراثها الأدبى عطاء الصوفية ثم تجد بعد ذلك ما تفخر به على وجه الحقيقة .

ان كارل جوستاف يونج ـــ أنجب تـلامذة فرويد فى علم النفس يعترف فى كتابه عن الدين والنفس بدقة التحليلات النفسية لدى صوفية الاسلام لدرجة أنه يقول بالحـرف الواحد ! ان ما نعرضه من تحليلات نفسـية اذا قيس بما عرضه صوفية الاسلام يعتبر بمثابة عرض أطفال يحبون فى حجور هؤلاء .

ويطول استيعاب كافة الجوانب الدالة على الأصالة فى شتى ميادين الفكر الاسـلامى وحسبنا فى هذه العجـالة أن نركز ونوجـز الخلاصة عن أصالة الفلسفة الاسـلامية بقولنا ! نعم هناك فلسفة اسـلامية ، ولكن وصفها بأنها اسلامية لا يعنى بالضرورة أنهـا انبثقت عن الاسـلام مباشرة أو أن كتابهـا التزموا بالأصول الاسلامية ولكننا نصفها بأنها اسلامية من حيث انها سجلت ونبتت فى محيط يظله الاسلام وتسرى فيه نسـائمه المفعمـة بالحرية والسماحة ورحابة الصدر مما مكن أهل هذا المحيط من الانفتـاح على العـالم ، واستقبال كافة التيارات والحضـارات ، غير انهم لم يفقدوا ذاتهم فى هذا الهـدير الزاخر من الأفكار والمـذاهب ، بل انبروا للاختيـار والنقـد والتمحيص والحـذف والتعـديل والاضافة البكر .

لقد أدركوا منهـج الاسـتقراء والمنهـج الرياضى فى ميدان العلوم والفقه ، كما أعادوا عرض قضايا الانسان فى تفرد وتمييز ونقدوا المنطق الأرسطى حين اكتشفوا عقمه ، وأثروا البحث العلمى فى شتى الميـادين بما اخترعوا من تجارب وآلات .

وباختصار شـديد : اسـتقبلوا من الحضارة ما أعادوه جديدا فريدا عتيدا ، ظهر أثره فى أوربا حين تبدلت الأيـام وخفت الضياء فى هذه الأرض ، ليشرق من جديد فى أوربا بعد ظلام دامس دام قرونا .

د . محمد كمال جعفر

دنانيري

* ابن القارح واسمه (على بن منصور ولقبه دوخلة) ولد بحلب سنة ٣٥١ هـ ، وكان آخر العهد به حسب رواية معجم الأدباء بتكريت سنة ٤٦١ هـ تلقى علومه الأولى على العالم اللغوى (ابن خالويه) ثم رحل الى بغداد فأكمل تعليمه على يد نخبة من علماء عصره منهم أبو على الفارسى والمرزبانى ، ثم شد رحاله الى مواطن الحضارة فى العالم الاسلامى يؤدب الناشئة بأدبه وعلمه ، وكان أخصب أيامه فى مصر ٠

وبعد جولة هنا وجولة هناك ، وحج الى البيت ورحيل الى الموصل عاد الى مسقط رأسه (حلب) وأغلب ظنى أنه لم يجد ما يحب ويهوى فيها ٠ فكان أن كتب رسالة الى أبى العلاء المعرى فى الثلث الأول من القرن الخامس الهجرى ، وكان جوابها « رسالة الغفران » وفى مقالى هذا أورد عليك شكوى واحدة من الشكاوى التى ملئت بها رسالة ابن القارح وهى خاصة بدنانيره وكيف عالج شيخ المعرة الرد عليها ؟ وكيف أدار الحديث عنها ؟ مما يعطيك صورة عن أدبه الجم وعلمه الغزير ، وذهنه المتوقد ونظرته للحياة ٠ فى شكوى ابن القارح ؟ قال فى رسالته الى المعرى : « ومن طريف الأخبار أن بنت أختى سرقت لى ثلاثة وثمانين دينارا فلما هددها السلطان ٠ وأخرجت اليه بعضها قالت : والا لو علمت أن الأمر يجرى كذا كنت قتلته ، فاعجبوا من هريستى وزبونى » ٠

فى ذلك الحين كان ابن القارح قد تخطى السبعين من عمره ولم يتزوج ، وكان فى حاجة الى حسن الرعاية أكثر من حاجته الى القسوة عليه والنكاية به ، بل كان يحب أن يرى مكانه ولكن زامر الحى لايطرب ، فلا حلب احتفلت به ولا أقاربه أنزلوه منزلته ٠ قرأ أبو العلاء شكواه ، وأجابه عن كل سطر فى رسالته غير ما نحن بصدده من الدنانير المسروقة وقد راقتنى هذه الشكوى وراقنى تعليق أبى العلاء عليها لما فيه من طرائف ولطائف ، فهو يعلم أن خير مال جمعه ابن القارح هو من مصر ، حيث

ابن القارح

للأستاذ السيد حسن فرّون

كان يقوم بتعليم ولدين (للحسين بن جوهر الصقلى) وأنه بهما نال دنانير الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى ، نظم شعرا فحمله تلميذه (جعفر بن الحسين) الى الخليفة ، فسأله عن ناظمة فأخبره ، فأجازه بألف دينار خفضت الى خمسمائة لاعتراض أحد جلساء الخليفة ، وناهيك بما كان يناله من ابن جوهر الصقلى ، يعرف أبو العلاء هذا ويعرف أكثر منه ولذا بدأ الكلام عن الدنانير على هذا النهج :

« وسرتنى (١) فيئة الدنانير اليه فتلك أعوان تشتبه منها الألوان ، ولها على الناس حقوق ، تبر ان خيف عقوق : قال عمرو بن العاص لمعاوية : رأيت فى المنام أن القيامة قد قامت ، وجىء بك وقد ألجمك العرق ! فقال معاوية هل رأيت ثم من دنانير مصر شيئا ؟

وهذه ــ الاشارة الى دنانير ابن القارح ــ لا ريب من دنانير مصر لم تجىء من عند السوق (٢) ولكن من عند الملوك » وبهذه العبارة غمز أبو العلاء صاحبه ، ودله على أن دنانيره يقال فيها ما قيل لابن العاص فى قيامته : « هل رأيت ثم من دنانير مصر شيئا ؟ ولأن ابن القارح أديب أريب له فى رواية الشعر نصيب أورد له أبو العلاء أفانين من الشعر محورها الدنانير يستهلها فى الغفران بقوله : لو رآها (المرقس) لعلم أنها أحسن من وجوه حبائبه لما غدا الظاعن بربائبه فقال :

النشر مسك ، والوجود دنا
نير وأطراف الأكف عنم (٣)

وانها لأحسن من الوجوه التى ذكرها (الجعدى) وزعم أن حسنها بدى ، فقال :

فى فتو (٤) شم العرانين أمثا
ل الدنانير شفن (٥) بالمثقال

(١) عودة .

(٢) الرعية من الناس .
(٣) ثمر أحمر يشبه به البنان المخضوب .
(٤) جمع فتى .
(٥) جلين .

أخذت من جوائز كرام صيد ، تارة بالخدمة وتارة بالقصيد . وهنا يشير الى طريقة جمع ابن القارح المال فهو يحصل عليه من جوائز العظماء الكرماء ، مرة بالشعر كما فعل مع الخليفة ومرة بالخدمة كما يقوم بتأديب ولدى (الحسين بن جوهر) ، وابن القارح لم يلمح الى هذا فى رسالته ، ولكنى بحثت عن علة قول المعرى فوجدت تاريخ ابن القارح فيه ما نوهت به . ومعنى هذا أن أبا العلاء كان على علم تام بحياة ابن القارح وتنقلاته فى حواضر العالم الاسلامى .. ويستمر أبو العلاء فى الحديث عن الدنانير ، ويذكر أول من ضرب الدنانير فى الاسلام وهو عبد الملك بن مروان . ودنانير ابن القارح جلت عن نقد الصيوف ، وهى الرواجح لدى الميزان الوف ، حاش بعد أن تكون كما قال الفرزدق :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة
نفى الدنانير تنقاد الصياريف

وهذا البيت ينشد على وجهين : الدنانير والداهيم .

ولاهى من دنانير (أيلة) (١) باع فيها البائع نخيله ، وانما ذكروا دنانير أيلة لأنها كانت فى حيز الروم فتأتيها الدنانير من الشام . قال :

وما هبرزىّ من دنانير (أيلة)
بأيدى الوشاة مشرقا يتأكل (٢)

الوشاة : النقاشون الذين يشونه .

وتنثال الخواطر حول الدنانير ، فهى أجمل من قسمات الوجوه ، ومعاذ الله أن تقترن بحوزان (٣) واد ، سقته روائح وغداد ، ولو أخذ منها النادم على بيع كمته لأسكنت البهجة فى بيته وخلده ، وقد نجاها الله من البكور بها الى الحانات فبقيت لصاحبها ذى الحاجات .

« ودنانيره باذن الله مقدسات ، ما هن بالحرج مُلَدسات ، أى مثقلات ، والحزامة من سوسه (٤) وشيمه ، فلا يدفع الى تعارض شيئا من عيمه أى مختاراته ، وفى الكتاب العزيز : « وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُم مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ » .

وهذا قيل لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكان فى زمانه من يتحرج ، يتضمخ بالمسك ويتأرج ، فأما اليوم فلو أمن كتابى على نمى (٥) لأسرعت اليه الظن اسراع رمى .

وما عنيت بالكتابى من نسب الى توراة وانجيل دون من نسب الى القرآن البجيل .

وينصحه بالصفن بها ، فكل واحد منها دينار أعزه يبعث الرابى على الهزة كما قال سحيم :

تريك غداة البين كفا ومعصما
ووجها كدينار الأعزة صافيا

ويفرغ أبو العلاء جعبته من الأثر والخبر ، فيروى ما قيل فى الدينار لقيس بن الحطيم وربيعة بن مكدم ولا يترك الزهاد فيقول ولو ملكه (مالك بن دينار) مع زهده ، وبلوغه فى الورع أقصى جهده لجاز أن يحجأ به على دينار أبيه . والفكاهة واضحة فى أن مالك بن دينار يبخل على أبيه « دينار » به مع أن أباه اسمه دينار . وعلى هذا فدنيار ابن القارح أعلى

(١) على ساحل البحر الاحمر تسمى الآن ايلات
(٢) البيت فى وصف مُرْتَى .
(٣) نبات طيب الرائحة زهره احمر فى أصله صفرة .

(٤) طبعه .
(٥) صغار القلوس ، رومى .

شأنا من كل دينار ، وسواء أكان دينار الفرزدق أم دينار غيره من الشعراء أمثال الأخطل ، وأبى عمرو الزاهد .

ولا يفوته أن يذكر دنانير المتنبى ، فيصوغ الحديث هكذا . والعجيب لها تفر من بنان السارق فرار دنانير الشارق . وصفها أبو الطيب فقال :

وألقى الشرق منها فى ثيابى
دنانيرا تفر من البنان (١)

والمراد أن الشاعر يصف الأشعة الثاقبة من بين أوراق الشجر مستديرة بأنها دنانير تفر من اليد ، لأن الأشعة لا تثبت ، دنانير ابن القارح كذلك فما ان أخذتها سرقة ابنة أخته حتى أخذها منها بسلطان زمانه فى حلب ، وهى لمحة ذكاء من شيخ المعرة ، يقرن دنانير المتنبى وهى أشعة الشمس بدنانير ابن القارح وهى من الذهب . ومن هذا الصنيع كان حديثه عن عدتها وهى ثلاثة وثمانون دينارا ، فأمسك بالثمانين لينكر أنها أوفت على عدة أصحاب موسى ، لأن أصحاب موسى كانوا سبعين ، ولو وقع الانسان فى بئر عمقها ثمانون قامة لأنقذته ، ولو كانت سنو (زهيد) مثلها لما وصف نفسه بالسآمة ولكانت له أنهض قامة والقامة الأعوان . ولو أدركه (عروة بن حزام) وهو يقول :

يكلفنى عمى ثمانين ناقة
ومالى ياعفراء غير ثمان

لجاز أن يرق فيعيثه من هذه الثمانين ببعضها ، أو يسمح له بكلها ، لأنه كريم الطبع ، ولو صارت فى يد عروة لبلغ بها الأمنية ، لأن الناقة فى ذلك الزمان كانت ربما اشتريت بعشرة دراهم ، وفى بعض أخبار الفرزدق أن رجلا من ملوك بنى أمية أعطاه مائة من ابل الصدقة فباعها بألف وخمسمائة درهم بعد ما عنى به وزيد فى الثمن ، وقد مرت به الحكاية التى يذكرها أصحاب التاريخ أن الجمل كان يباع زمن أبى جعفر المنصورى بدرهم .. ويتابع حديثه عن الثمانين الى أن يقول :

وهى أنضر من الثمانين التى ذكرها علوى البصرة ــ صاحب الزنج ــ فى قوله :

عبرت اليهم فى ثمانين فارسا
فادركت منهم بغيتى ومراديا

ولا يترك شيئا مما قاله الشعراء أو الحكماء فى الثمانين الا حشره فى مقاله وربطه بثمانين ابن القارح الى أن يقول : ولعله قد اجتاز فى أرض الموصل بالقرية التى تعرف «بثمانين»(٢) ــ وهى قريبة من الجبل المعروف (بالجودى) فان كانت « ثمانون » القرية وطن أناس ، فهذه تجرى مجرى الوطن فى الايناس كما قال :

الفقر فى أوطاننا غربة
والمال فى الغربة أوطان

« در الذهب من خليل فانه يضىء بظل ظليل ، ويجعل هذه الثمانين قديمة أقدم من قارون وموسى ثم يجىء الى السارقة من خالها المغنى فى طلب المال ، والسائح لأجله فى السهول والجبال فيقول عنها ، وتحس عطفه عليها : وأما ابنة الأخت ــ أدام الله لها الصيانة ــ فانها أدلت على الخال ، اذ كان أحد الوالدين ، فهمت أن تأكل بيدين ، ثم

(١) البيت من قصيدة وصف شعب بوان .

(٢) سميت بثمانين لان سفينة نوح نزل منها ثمانون عند جبل الجودى فكانت القرية .

دنانير
ابن القارح

ينفى عنها أن تكون من الذين حاربوا أخوالهم من أمثال (الهجرس) وموقفه من خاله (جساس) الى أن يقول محذرا له : مخوفا اياه منها ، فقد تكون قد أخذت منه طبعه فى قرض الشعر ، فليتق معرة بيانها أكثر من اتقائه خلسة بنانها ، فهو يعلم أن الشعر ورثه (زهير بن أبى سلمى) من خاله (بشامة ابن الغدير) ولم يكن فى مزينة شعر يذكر ، حضره زهير عند الوفاة فأراد أن يعطيه شيئا من ماله ، فقال بشامة : أما يكفيك أنى ورثتك غرائب القصيد ؟ وربما يكون فى نساء حلب شواعر فلا يأمن أن تكون هذه منهن فطالما كن أجود غرائز من رجالهن ويزيده عبرة أن يقص له قصص شواعر كان لهن شعر يعتد به ويروى الى أن يقول :

وكان لى كرى من أهل البادية يعرف (بعلوان) وله امرأة تزعم أنها من (طى) فكان لا يعرف موزون الأبيات من غيره ، وكانت المرأة تحس بذلك ، وكانت تتأسف على طفل مات لها يقال له (رجب) وكانت تنشد هذا البيت :

اذا كنت من جرا حبيبك موجعًا
فلابدَّ يوما من فراق حبيب

فقالت يوما :

« اذا كنت من جَرَّا رُجَيْبٍ موجعا »

تعلمت أن الوزن مختل فقالت :

« اذا كنت من جَرَّا رُجَيْبِنَ موجعا »

فحركت التنوين ، وأنكرت تحريكه بالطبع فقالت :

« اذا كنت من جرَّا رُجَيْبِكَ موجعا »

فأضافته الى الكاف فاستقام الوزن واللفظ ، ويختم حديثه عن بنت الأخت بقوله :
وفى الكتاب العزيز :

« يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) » .

وهكذا أدار شيخ المعرة حديثه عن شكوى ابن القارح ، وداعبه حينا ، ودارسه حينا آخر ووعظه أثناء ذلك ، وذكره بما له وما كان عليه فى عبارة مواتية ، وطبع مواف ، واطلاع موفور لا يكون الا لأبى العلاء المعرى وكم فى رسالة الغفران من أدب وعلم يفيد الدارس ويسر أصحاب الأخبار .

السيد حسن قرون

---

(١) اية ١٤ سورة التغابن .

من حضارة الإسلام

التربية الصوفية

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي على القرنى

٤

الصوفية والعلم

سبق أن عرضت فى مقال نظرة الصوفية الى العلوم العصرية وانتهيت فيه الى انهم لا يعارضون هذه العلوم مادام الهدف منها الاهتداء الى الله ونفع البشرية واتخاذ الأسباب الى المتعة والقوة التى أمر الله بها فى قوله تعالى « وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ » .

وهذه العلوم تأتى بعد أن يأخذ المتعلم حظه من العلوم الموصلة الى الله . يقول الغزالى رضى الله عنه فى كتاب الأحياء ما ملخصه : العلم نوعان ، فض عين وفرض كفاية ، ففرض العين ما يدل على الله ، وفرض الكفاية ما يعين على الدنيا ، وفرض الكفاية يسقط عن الانسان اذا قام به بعض الناس ، أما فرض العين فلا يسقط عن الانسان ولو قام به جميع الناس .

وقد نقل الامام الشعرانى فى طبقاته عن الشيخ محيى الدين بن عربى فى رسالته التى أرسلها الى الشيخ فخر الدين الرازى صاحب

التربية الصوفية

التفسير « اعلم يا أخى — وفقنا الله وإياك — أن الرجل لا يكمل عندنا فى مقام العلم حتى يكون علمه عند الله عز وجل بلا واسطة » .

والصوفية هم الذين ينطبق عليهم ذلك ، ويعلق الشعرانى على ذلك قائلا « ينبغى لك يا أخى ألا تطلب من العلوم الا ما يكمل به ذاتك ، وينتقل معك حيث انتقلت ، وليس ذلك الا العلم بالله تعالى من حيث الوهب والمشاهدة » .

ولم يقصد الشعرانى — كما اعتقد — الانصراف كلية عن طلب العلوم الأخرى ولكنه يقصد عدم تضييع علوم الآخرة بجانب علوم الدنيا ، فلا مانع اطلاقا أن يجمع الانسان بين العلمية وهو الكمال المطلوب وقديما قال الأدباء : الأدب هو الأخذ من كل فن بطرف ومن تمام الأدب أن يكون للانسان علم بالله يقفه على ضرورة مراعاة الحقوق الواجبة له ويمنعه من تجاوز الحدود التى نبه عليها .

وقديما كان علماء الدين كلهم على علم بالله وخشيته له . وتاريخ الفقهاء يشهد لهم بذلك ، روى المؤرخون أن أبا حنيفة رضى الله عنه سمع أحد الناس يقول عنه : هذا الرجل يقوم الليل كله ، وكان يقوم بعضه . فقال : انى أستحيى من الله أن أوصف بما ليس فى . وظل بعد ذلك يقوم الليل كله .

وما روى عن الفقهاء والعلماء من الأخبار الدالة على خشيتهم وورعهم وصدقهم من الله وأدبهم معه وسلوكهم القويم فى حياتهم يملأ بطون الكتب ويدل دلالة قاطعة على انهم لم يحكموا الدنيا الا بعد أن أحكموا علوم الآخرة .

منهجهم فى التعلم : انهم فى حرصهم على تحصيل العلم مزجوا مناهجهم فى التعليم بالأخلاق لأنها الوسيلة الأساسية فى نظرهم لاكتساب المعارف ، وهم يبنون هذه النظرية على أساس قول الحق تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » لأن التقوى مفتاح العلم وهى المخرج من كل ضيق ، وفى الأثر « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم » .

ان للعلم ثماره الجنية طالما تخلق المتعلم بالأخلاق الحسنة المطلوبة للعلم . ومن أجل هذه الثمار الورع والخشية استمدادا من قوله تعالى « **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** » .

وتلك حقيقة واقعة ، فأعلم الناس بالله أشدهم خشية له ، لأنه أدرك مدى سطوته وسلطته وجلال هيبته وعظمته ، .

وأعلم الناس بالله أشدهم حبا له ، فمن عرف الله حق المعرفة عاين حبه لعبده ورحمته به وتفضيله عليه ورضاه عنه فأحبه وازداد حبا له « **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** » .

العلم الحقيقى اذن يثمر خشية الله وحبه ، فيظل متقلبا بين الخوف والرجاء لا ييئسه الخوف من الرحمة ولا يفقده الرجاء التزام الأدب ، ويظل مصدقا لأمر الله متحققا بدعوته

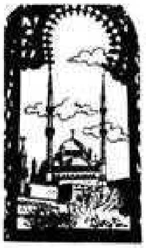

« وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » •

قيل للنورى رضى الله عنه : متى يستحق الانسان الكلام على الناس ؟ قال : اذا فهم عن الله جل جلاله صلح أن يفهم عباد الله ، واذا لم يفهم عن الله كان بلاؤه فى بلاده وعلى عباده •

وفيما يرويه صاحب كتاب اللمع عن ابراهيم الخواص رضى الله عنه قوله : لا يحسن هذا العلم الا لمن يعبر عن وجده وينطق عن فعله •

ومعنى هذا الكلام أن يكون العالم صادقا فيما يعلمه عاملا به ، قال الجنيد رضى الله عنه : كانوا يكرهون أن يتجاوز اللسان معتقد القلب •

القدوة الطيبة :

وهذا هو الورع الحقيقى الذى أثمره العلم • وهذا هو الذى نفتقده الآن فى كثير من معلمينا وواعظينا •

وكيف يثمر العلم ثماره اذا كان خارجا من لسان ليس وراءه وجدان ؟

سئل أحد وعاظ الصوفية ولعل الحسن البصرى رضى الله عنه : ما بالك تعظ فيبكى الناس وواعظ المدينة يعظ ولا يبكى أحد؟ فقال: ليست النائمة الثكلى كالنائمة المستأجرة •

وما ورد فى مطابقة القول الفعل عند الصوفية ما يقصه الطوسى فى اللمع أيضا : جاء رجل الى أحمد بن يحيى الجلاء رحمه الله تعالى وسأله عن مسألة فى التوكل وعنده جماعة فلم يجبه ودخل البيت وأخرج اليهمصرة فيها أربعة دوانيق وقال : اشتروا بها شيئا ، ثم أجاب الرجل عن سؤاله ، فقيل فى ذلك ، فقال : استحييت من الله أن أتكلم فى التوكل وعندى أربعة دوانيق •

وهذه كلمة نهديها الى علمائنا : كان حارث المحاسبى رحمه الله يقول أعز الأشياء فى دار الدنيا عالم يعمل بعلمه • وكلمة أخرى قالها سرى السقطى رضوان الله عليه : من تزين بعلمه كانت حسناته سيئات •

ومن تمام ورعهم فى ذلك ما يروى عن الجنيد رضى الله عنه : قال بعض الكبار للجنيد وهو يتكلم على الناس : يا أبا القاسم ، ان الله لا يرضى عن العالم بالعلم حتى يجده فى العلم ، فان كنت فى العلم فالزم مكانك والا فانزل • فقام الجنيد ولم يتكلم على الناس شهرين ، ثم خرج فقال : لولا أنه بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : فى آخر الزمان يكون زعيم القوم أرذلهم ما خرجت اليكم •

ولم يكن جلوس هؤلاء القوم الى الناس شهوة للتعرف أو رغبة فى الشهرة ، ولكن حرصا على صالح الناس وقصدا الى افادتهم وهدايتهم ومنفعتهم ، وليس كل أحد يصلح لهذه الرسالة يقول الجنيد : ما تكلمت على الناس حتى أشار الى وعلى ثلاثون من البدلاء

أنك تصلح أن تدعو الى الله عز وجل — والجنيد لم يقل هذه الكلمة على سبيل الافتخار ولكن تحدثا بنعمة الله .

وقد استأذن أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الرازى أبا حفص الحداد وكان أستاذه فى الكلام على الناس ، فقال له أبو حفص : وما يدعوك اليه ؟ فقال أبو عثمان : الشفقة عليهم والنصيحة لهم . فقال : وما بلغ من شفقتك عليهم ؟ فقال : لو علمت أن الله يعذبنى بدل جميع من آمن به ويدخلهم الجنة وجدت من قلبى الرضا به . فأذن له ، وشهد أبو حفص مجلسه . فلما قضى أبو عثمان كلامه قام سائل فسبق أبو عثمان فأعطاه ثوبا كان عليه . فقال أبو حفص يا كذاب اياك أن تتكلم على الناس وفيك هذا الشىء فقال أبو عثمان وما ذاك يا أستاذ ؟ قال : أما كان فيك من النصيحة لهم والشفقة عليهم أن تؤثرهم على نفسك بثواب السبق ثم تتلوهم ؟

وهذا من تمام العلم وهو أن يكون المعلم عاملا بما يعلم ، والا فلا غناء فى علمه ولا ثمرة تجنى من تعليمه ، وللصوفية فى ذلك رقائق تروى وتؤثر وتحفظ ومن ذلك ما رواه صاحب كتاب التعرف على مذهب أهل التصوف الذى استقيت منه بعض الأخبار السابقة : رأى الحسين المغازلى رويتم بن محمد وهو يتكلم على الناس فى الفقر ، فوقف عليه وقال :

وما تصنع بالسيف
اذا لم تك قتالا ؟
الا ابتعت بما حليت
هذا السيف خلخالا ؟

عبر بعبارته هذه عن حال ليس فيها ، اذ كيف يدعو العالم الى الزهد وهو ليس زاهدا ان شأنه فى ذلك شأن من يحمل السيف ولا يحسن القتال . قال بعض الكبراء : من تكلم عن غير معناه فقد تحمر فى دعواه قال الله تعالى : كمثل الحمار يحمل أسفارا .

المعصية حجاب عن العلم :

وانهم ليعتقدون أن المعصية حجاب عن العلم ومانعه من الانتفاع بثمرته وعائقة عن الوصول بصاحبها الى الكمال المطلوب . فان من تمام العلم العمل به كما قدمت ، ولا يكون العمل بالعلم الا بالتحلى بآداب ما يعلم من فضائل الصدق والطاعة والاخلاص والورع وغير ذلك من أخلاق وآداب ، وقد ورد فى كلامهم المأثور :

عالم بعلمه لم يعملن
معذب قبل عباد الوثن

وما لنا نبعد وهذا سيد الكلام يؤنب قوما يقولون مالا يفعلون فيقول لهم « **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** » ؟

ضرر ذلك العالم على المجتمع :

وأول ما يتصرف اللوم من المجتمع الى العالم حين يبتعد بعلمه عن الطريق السوى ، وحين لا يراه الناس مثلا أعلى فى نظرهم يقتدون به ويتخلقون بأخلاقه ، وكم ضل ناس كثيرون لأنهم رأوا قدوتهم من العلماء يضلون ويقولون مالا يفعلون . وكثيرا ما نسمع هذا المثل السائر « استشر عالما وبت سالما » بمعنى اعمل

باستشارته وما عليك وزر بعد ذلك مادام هذا العالم قد أفتاك صادقا أو كاذبا وحقا ذلك ، فما ذنب المستشير اذا كـان المستشـار غير أمين ؟ ولكن متى استغل الناس هـذا المثـل استغلال سيئا فقد خاب المستشير والمستشار .

وكثيرا ما تمنع المعصية من الانتفاع بنـور العلم والوصول الى هدف أسمى فيه ، فقد ورد « أن العلم ينفى خبثه » بمعنى أن العاصى غالبا لا يكتب له الاسـتمرار فى طلب العلم الـذى يهدى الى الله . والمنحرف يجرفه التيـار الى الشاطىء دون أن يجنى شيئا يذكر ، ومما يؤثر عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه أشتكى الى استاذه عدم تمكنـه من العلوم فى بعض الأحيان فنصـحه يلازمه الطـاعة ، ونظم الشافعى هذا المعنى شعرا فقال :

شكوت الى وكيع سـوء حفظى
فأرشدنى الى ترك المعـاصى
وأعلمنـى بـأن العلم نـور
ونور اللـه لا يهـدى لعاصى

ويروى الدميرى فى كتابه حيـاة الحيـوان وصية مالك بن أنس للشافعى رضى الله عنهما قائلا على لسانه : فلما أردت أن أخـرج من المدينة جئت الى مالك فودعته فقـال لى مالك حين فارقته : ياغـلام ، اتـق اللـه تعـالى ولا تطفىء هذا النور الـذى أعطـاكه اللـه بالمعـاصى . يعنى العلم وهـو قوله تعـالى « **وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَالَهُ مِن نُورٍ** » .

هذا والامام الشـافعى هـو بالمنزلة التى لا تخفى على أحد فضلا وعلما وتقى ، ولكنـه رغم ذلك يحدث عن نفسـه كثيرا بأنـه كثير الذنوب تواضعا منه وحرصـا على تحـرى الكمال ، وتروى عنه هذه القصة . قال المزنى « دخلت على الشافعى فى علته التى مات فيها فقلت : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلا ولاخوانى مفارقا ولكأس الموت شـاربا ولسوء أعمالى ملاقيا وعلى الله واردا ، فـلا أدرى روحى الى الجنة تصير فأهنيها أو الى النار فأعزيها ثم بكى وأنشد :

ولما قسـا قلبى وضـاقت مذاهبى
جعلت رجـائى نحو عفـوك سـلما
تعاظمنى ذنبـى فلمـا قرنتـه
بعفـوك ربى كان عفـوك أعظمـا
فما زلت ذا عفـوا عن الذنب لم تزل
تجـود وتعفـو منه وتكرمـا
فلولاك لم يسـلم من ابليس عـابد
فكيف وقـد أغـوى صـفيك آدمـا

وخشية العلماء الصوفية تظهر فى تواضعهم الجم الذى يبدو واضحا فى كـلام الشـافعى رضى الله عنه الذى لم يترفع أن يصف نفسه بالقسوة وعظم الذنب ، ورغم صلاحه المعروف المتواتر الذى جعله حجة ومنارة يهتدى بهـا الناس الا أنه من تمام علمه باللـه اسـتصغر عمله أمام عظمة الله .

والعارف دائما يقر بالتقصير ويقرن عملـه وطاعته بالاستغفار خشية أن يكون فيها مـالا يمكنه أن يدركه هو من دقائق الريـاء وخفى العلل . والشافعى رضى الله عنه هو الـذى يقول « من طلب العلم بعز النفس لم يفلح ومن طلبه بـذل النفس وخـدمة العلمـاء أفلح » ويقول « من أراد الآخرة فعليه بالاخـلاص فى العلم » .

العلم بحر لا ساحل له :

والعالم الصوفى كلما ازداد ادراكا بأنه لم ينل شيئا من العلم ، وليس هذا غريبا بل هـو

حقيقة واضحة ، فالعلم بحر لا ساحل له ، والله جل جلاله يقول «**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**» ويقول « **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** » وجل ثناء الله هو العليم الخبير الذى عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ماق البر والبحر ، وهو الذى يؤدب العلماء بقوله « **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** » **بعد قوله « نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ » .**

ويقص الصوفية قصة لقاء موسى مع الخضر قصا يعطى العظة والعبرة وعدم الاغترار بكثرة العلم ، ويقولون ان سبب ابتلاء الله موسى بالخضر هو ادعاؤه أنه أعلم من فى الأرض حين سئل عن ذلك ، فأخبره الله سبحانه وتعالى بأن هناك عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما . يروى بعض العلماء : سأل موسى ربه : أى عبادك أحب اليك ؟ قال : الذى يذكرنى ولا ينسانى ، قال : فأى عبادك أقضى قال : الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى . قال : فأى عبادك أعلم ؟ قال : الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدل على هدى أو ترده عن ردى . فقال : ان كان فى عبادك أعلم منى فدلنى عليه ، قال : أعلم منك الخضر . قال : اين أطلبه ؟ قال : على الساحل عند الصخرة .

واعتقاد الصوفية ذلك ليس غريبا فهو يلتقى مع تأديب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن يطلب من الله الزيادة فى العلم « وقل رب زدنى علما » سئل أحد العلماء عن معنى العلم فقال : هو الجهل ، يقصد بذلك عدم الادعاء فيه واسقاط التباهى به واظهار العجز والمواظبة على التعلم .

وحقا ذلك فالنبى صلى الله عليه وسلم يقول : اطلب العلم من المهد الى اللحد . فليس للعلم حد محدود ، أو سن يقف المتعلم عندها ولكنه بحر زاخر لا ساحل له ، ويظل الرجل عالما ما طلب العلم فمتى ظن أنه علم فقد جهل فيما يرويه الأثر الكريم ، ومن يظن فى نفسه الكمال ينقص ، وقد سمعت شيخنا العارف بالله محمد على منصور الأقدمى يردد كثيرا :

عجزت ــ أجل ــ عن درك سر وجودى
وجهلت حتى صار جهلى شهودى

وهذا المعنى مستمد من الأثر الذى يقول : العجز عن الادراك ادراك والبحث عن الذات اشراك . ولله در أبى على الثقفى المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة فى قوله « تمام العلم انقطاع الرجاء عن بلوغ كنهه » .

هذا وبالله التوفيق .

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

وسائل إعداد الدعاة

للأستاذ منصور الرفاعي عبيد

الداعية ووسائل إعداده

مما لا يختلف فيه اثنان أنه لا دعوة بلا دعاية .. والدعاية سلاح من أسلحة النصر .. والخطابة أهم أداة في هذا الميدان لأنها سلاح من أقوى الاسلحة بما لها من أثر عميق في النفوس . لذلك عنى الاسلام عناية بالغة بالخطابة وقد جعلها فرضا في صلاة الجمعة كما ندب اليها في صلاة العيدين وصلاة الاستسقاء كذلك هي وسيلة من وسائل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك قد ينشب خلاف بين الاسر أو بين الدول وقد تقودها الخلافات الى حروب وهذه المواقف تستدعي الخطابة للدعوة الى السلام والقضاء على الخلاف ..

والخطيب يستطيع أن يغير مجرى الاحداث وان ينقل الجمهور من حال الى حال وأن يحدث من الثورات ما يبدل صفحات التاريخ بفصاحته وقوة تأثيره وبلاغة أسلوبه والتاريخ الاسلامي حافل بالخطباء الممتازين الذين غيروا وجه التاريخ .

وقبل هؤلاء كان الانبياء جميعا لان الدعوة لا تنتشر الا بفكر واضح وبيان رائع . وكان سيد هؤلاء جميعا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلقد كانت خطبه شموسا تبدد غياهب الظلام وتملأ القلوب بالنور والعرفان ولقد كان ينتظر فرصة قدوم الحجيج الى الكعبة فيقف ويدعوهم الى الاسلام كان يعقد اجتماعات في البيوت المغلقة تارة والصحراء تارة أخرى

ويذهب الى الطائف ويقابل القادمين وبفضل مرونته وفصاحته وبيانه تكون له الأنصار الذين شدوا أزره واتبعوا النور الذى انزل معه •

لقد كانت الخطابة من أهم أسلحة النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى دعوته وفى تأثيره على الناس •

والخطابه • علم • وفن • وأدب • ولابد من التدريب على ذلك لان الداعية هو الذى يستطيع أن يقنع غيرمبدعوته • وهذا يحتاج الى تدريب •

والداعية : هو الذى يوصل أهداف الرسالة وأصول العقيدة وأركان الاسلام ومبادىء الأخلاق الى أذهان الناس ويحول الكلام الى عمل واقعى فى دنيا الناس • لأنه يعبر بمستمعيه جسر الخوف الى بر الأمان ويمسح بكلماته النيرة الاكتئاب الفكرى من أفكار الناس • ويبعد شبح التمزق النفسى عن الفرد ويجعله متكامل الشخصية ويرسخ فى أذهان الناس معنى الالتحام بالجماعة والايجابية فى العمل ان على الداعية أن يعبر بمستمعيه على جسر من المعرفة يوصلهم للماضى المشرق ويقص عليهم من أنباء ما قد سبق ويتلو عليهم قرآن الله الذى ينير النفس ثم يعود بهم ليربط بين ذلك وأحداث الساعة ومشاكل البيئة وأسلوب الحل لتكون المعلومة واضحة والفكرة مبسطة •

من هنا كانت وظيفة الداعية من أصعب الوظائف لأنها تحتاج الى فكر يقظ وعمل مستمر وصله بالفكر ولباقة فى العطاء وقدرة على الأداء وسعة فى الأفق وعمق فى الدراسة وبعد نظر فى حل المشاكل وفوق ذلك ابتسامة تخفى ما يعانيه من مشاكل ويحبس فى أعماقه ما يحس به أحاسيس وانفعالات قد لا تتفق مع موقفه لكنه يكبت عواطفه وينفعل بما هو فيه وليس هذا من باب التمثيل حاشا أن يكون الداعية فى هذا المستوى ولكنه جودة الاداء وفن التعامل مع الجمهور • لأن الناس لا تتقبل الا من كان يشاركها أحاسيسها لذلك كان من الامثال التى رددها آباؤنا الأوائل « ولا كل من لبس العمامة يزينها » •

لما كان الأمر كذلك فان أهم شىء فى الداعية هو حسن تربيته والعناية به من أول الأمر والخص ذلك فيما يأتى :

١ — التنبيه بفتح فصول لتحفيظ القرآن الكريم تلحق بالمساجد وترصد لها الجوائز ويتم اختيار أفضل العناصر من بين الحفظة والعناية بهم منذ الصغر • ثم المداومة على التعرف على أحوالهم وما يلاحقهم من تطورات أسرية عن طريق بحث اجتماعى كل سنة •

٢ — العناية بالمعاهد الأزهرية • الابتدائى والاعدادى والثانوى • وعمل مسابقات بينهم فى حفظ القرآن الكريم ورصد جوائز لكل من يحفظ أكثر من خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطب بعض الصحابة والمشهورين من الخطابة فى الجاهلية والاسلام •

٣ — رصد جوائز لمن فى القسم الثانوى ويعد خطبة من تلقاء نفسه ويتقدم بها للوزارة وتنال الاستحسان من ناحية الموضوع وحبكته وأدلته والشواهد لما يقول من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح •

٤ — العنايه بكليات الأزهر النظرية خاصة كلية الدعوة وأصول الدين • ورصد جوائز لمن يتقدم ببحث عن أفضل أساليب الدعوة •

والعناية بالامثلة الشعبية . والحل للمشاكل المعاصرة وطرق استنباط الفكر والدليل . ولاتغفل عن لهجات الأقاليم واعرافهم وعاداتهم فيجب دراسة هذا اللون فى الكليتين دراسة مستفيضة عميقة لان الله سبحانه يقول « وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » .

٥ — التركيز على شخصيات معينة فى الدراسة وتحليل منهجها فى الحياة كسيدنا « على بن ابى طالب » وعرض نصوص له متنوعة . وحسن البصرى . ومصعب بن عمير . وواصل بن عطاء . ودراستهم من ناحية خطبهم وتأثيرهم فى قومهم وكيف كان نهجهم فى الخطابة .

٦ — التركيز على دراسة وأساليب وسائل الاعلام والخبر المثير وكيفية ابرازه ومعالجة المواقف وكيفية التخلص وما هى الوسائل التى يحصل بها الصحفى على الخبر ليكون عند الداعية القدرة على التقاط الأخبار وطرق معالجتها . ودراسة علم الاجتماع وعلم النفس وأسلوب التأثر الانفعالى وماشاكل ذلك .

٧ — عمل مسابقات فى القرآن الكريم بصفة مستمرة ودائمة ليكون الداعية على صلة دائمة بكتاب الله .

٨ — عمل مسابقات فى الأحاديث النبوية وعلم مصطلح الحديث ومعرفة السلسلة أو كما يقولون « علم الحديث .. رواية .. ودراية » .

٩ — تاريخ الصحابة حافل بالرجال الا ماجد الذين اسهموا بدور ايجابى فى خدمة الدعوة ولابد من دراستهم لذلك يتم عمل مسابقة كل عام فى عشرين شخصية لدراسة وابراز بعض المواقف الانسانية فى حياتهم ليكون الشخص الذى يؤهل للعمل داعية على فكر دائم وصله بهؤلاء .

١٠ — طرح بعض الكتب للقراءة « أدب الدين والدنيا للماوردى وحديث عيسى بن هشام . والمال لأبى عبيدة والسياسية الشرعية . المهم تنوع القراءة فى الصيف .

لانه من المعلوم أن الأزهر هو الرافد والمصدر الذى يخرج العلماء والدعاة ومثل تلك الموضوعات تصقل الفكر وتنير السبيل .

هذا ولا ننسى أن يكون بكل مدينة وقرية حضانة اسلامية تنشىء النشء على حفظ الكثير من قصص القرآن وأهداف ذلك وأسماء أمهات المؤمنين لان ذلك سيكون من ورائه الخير العظيم وهو الذى يبرز العناصر من الاول ويعطينا النماذج التى يهيئها القدر لمثل هذا العمل .

١١ — من المعلوم أن دراسة اللغات الحية مثل الانجليزية والصينية والفرنسية وما ينتشر فى أفريقيا وكذلك اللغة اليابانية والروسية أمر مهم للداعية الذى نعده والتخصص أمر أهم لذلك نرى تخصيص معهد للغات لدراسة هذا اللون من اللغات بالاسلوب الدينى مع التدريب على الخطابة بها باللغة التى يتعلمها وفى أثناء الدراسة تكفل له الدولة ما لزميله من مرتب فى الوظيفة ونلحظ أن تأثير هذا فى الدعوة يكون أقوى وأعم وأشمل مع توفير المعلومات الكافية عن الدولة التى يدرس لغتها وأهم العادات والافكار التى تروج عندهم حتى اذا خرج كان لديه الفكرة عن تلك الديار ويا حبذا لو تم له رحله أو أكثر أثناء الدراسة والمعايشة هناك

وسائل اعداد الدعاة

لاسابيع وذلك ما يرشد اليه قوله الله تعالى « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » .

١٢ ــ أثناء الدراسة تكون هناك دراسة عن الديانات السماوية والمذاهب والافكار الوضعية مع بيان الاماكن التى تروج فيها تلك الديانات أو المذاهب وعدد المعتقين على وجه التقريب مع دراسة جغرافيا العالم الاسلامى والمناخ الاقتصادى وأهم الحاصلات والصادرات لأنه من المعلوم أن الفقر قرين الكفر وما ذهب الفقر الى بلد الا وقال له الكفر خذنى معك فهذه الدراسة أمر مطلوب ومهم جدا فى حياة الداعية .

١٣ ــ من المعلوم أن الباطل لا يروج الا فى غيبة الحق وأن أهل الحق كلما قلدوا غيرهم كانوا عالة . والاسلام يدعو أتباعه ليكونوا قادة ، لكنهم اليوم فى آخر الصف أو هم ذيل القافلة بسبب ما خيم عليهم من جهل فكرى ؛ لذلك فان الدراسة العلمية الموضوعية أمر هام جدا فى حياة الداعية .. ويا ليت التدريب للائمة ينهج هذا النهج فى دراسته المكثفة حول اقتصاد العالم الاسلامى ووسائل مواصلاته لنعرف قدرنا وقدرتنا التى حجبها عنا الاستعمار .

١٤ ــ ان وسائل اعداد الداعية يتطلب منا وضع منهج له خططه منذ اللحظة الاولى فى حياة الانسان ، فلو أننا رجعنا بفكرنا للماضى لوجدنا أن الكتاب فى القرية كان له أثر عظيم فى خلق شخصية الفرد وتكوين فكره وتثقيف الفرد تثقيفا متكاملا لأن الكتاب مع أنه كان يحفظ القرآن الكريم كان كذلك يدرب الشخص على تحسين خطه لأنه كان يقوم بكتابة اللوح المقرر حفظه ثم الحساب لأن مسائل الميراث وما تتناوله من ربع الثمن ونصف وما شاكل ذلك كان يستتبع تعلم الحساب منذ الأيام الاولى فى حياة الفرد .. ولا يغيب عن بالنا هذا الحشد العظيم فى المساجد فى ليالى رمضان والمسابقات القومية التى كانت تقام لاختيار أفضل العناصر الحافظة وابرازها أمام أبناء القرية مما يشجع الكثير على الاقبال للحفظ أكثر وأكثر ، لذلك ندعو الى احياء الكتاب واعطائه الصبغة الرسمية مع منح حفظة القرآن بعض الميزات عند دخولهم الجامعة أو المدارس الثانوية بأن يكون كل جزء له درجات تضاف الى مجموع الطالب وكلما كثر الحفظ يزاد له وهكذا ، هذا الجانب سيفتح الباب أمام الطلائع والشباب للاقبال على القرآن الكريم وحفظه فى الاجازة الصيفية . واستمرارية المتابعة لهذا الطالب الحافظ ومنحه الحوافز والزج به ليلتحق بكلية الدعوة سيكون أفضل بكثير ولا ننسى وضع منهج مبسط يتناول قضايا العصر مع التعرض لدراسة الكون والفضاء وعلم النبات والبحار والثروة المعدنية وجغرافية المجتمع الاسلامى ليكون التفتح على العالم فكريا ودراسة حية ليس بينها وبين المجتمع انفصام .. ان الدراسة كلما كانت حية تعبر عن الماضى وتلمس المستقبل وتمس الحاضر كانت محببة للنفس يقبل عليها الطالب .

ان الدراسة التحليلية للشخصيات الاسلامية

شيء مهم جدا . واذا كان أعداء الاسلام يثيرون الآن قضية المرأة ــ والمرأة ليس لها قضية ــ لأن الاسلام وضع المعايير لها وحدد المفاهيم الخاصة بشأنها وفصل نهائيا في هذا الموضوع . لكن يحلو للبعض عن جهل من جانبه وعدم فهم من الجانب الآخر يطرح هذه القضية ويشغل بها بال المسلمين ويصرفهم عن أهم قضايا الساعة . لذلك . يجب وضع مبادىء محددة مفصله واضحة تدرس للطلبة ووضع نماذج طيبة من فضليات النساء وخاصة أمهات المؤمنين وبيان سيرتهن وأسباب التعدد في حياة النبى صلى الله عليه وسلم . ان الداعية لابد ان يؤهل لزمان غير زمانه ولذلك يجب أن تكون دراسته متقدمة متطورة .

١٥ ــ التدريب في وقت مبكر وذلك أثناء الدراسة الثانوية يكون هناك فتح مجال لمن عنده قدرة على الخطابة فيتقدم لمعهده الذى يرشحه لمسجد صغير ويعهد الى شخصية لها كيانها العلمى بمتابعته وتوجيهه والأخذ بيده للتقدم في هذا الميدان .

١٦ ــ اشراك طلبة كلية الدعوة وأصول الدين في لجان المصالحات خلال فترة الصيف ومنحهم فرصة لحضور بعض الجلسات في المحاكم والاستماع الى المرافعات ثم الاطلاع على ملف القضية تحت اشراف سكرتير عام المحكمة وكذلك حضور جلسات الاستماع بمجلس الشعب وهذا تدريب له ولأمثاله ليتعود النقاش ويتدرب على ممارسة الحكم بين الناس لان الداعية كلما اتسع فكره والتصق بقضايا عصره كلما كان له أثر في تكوين شخصية ممتازة .

١٧ ــ تدريب بعض هؤلاء أثناء الاجازة الصيفية على العمل القيادى ليكون هناك الصف الثانى في رسم الخطة ومتابعة العمل ميدانا . كل هذا بجوار العمل ميدانا في حقل الدعوة والالتحام بالجمهور .

ولا يغيب عن بالنا ونحن نمهد الطريق لايجاد داعية متمرس على العمل يجيد حسن العرض ولباقة الحديث وسعة الأفق وقد تزود بالدراسة الملائمة لعصره ... ان كثيرا منهم يعزف عن العمل في هذا المجال لكثرة تبعاته وأعبائه . بل ان البعض منهم يعمل في جمعية استهلاكية ولا يقبل على العمل العظيم وهو يعرف منزلة الدعوة الى الله ــ لكنه يشعر بأن العاملين في حقلها لا يتحقق لهم أى مطلب وهم يدورون في فلك لا يخرجون من نطاقه وما يبنيه المسجد وامامه خلال سنة يهدمه التليفزيون في حلقة مدتها نصف ساعة أو ملصقات السينما في الشوارع . من هنا كان لابد من التكامل في العمل الاعلامى قدر الطاقة . نحن لا ننكر أن التليفزيون لابد أن يكون فيه ما يخدش الحياء ويهدم الفضيلة . لكن لو ان ذلك تم مرة في الاسبوع أو الشهر لاستطاع الامام ان يضع لها العلاج لكن ذلك يتم في اليوم والليلة أكثر من ساعتين ارسال تليفزيون واغانى تلهب العواطف وتؤجج نار الشهوة المسعورة أكثر من عشر ساعات وأكثر من خمس صفحات بالجرائد والمجلات يوميا فأين موقع الامام وكيف يستطيع ان يضع العلاج .

ومع ملاحظة ذلك لابد ان يكون أمام اعيننا

وسائل اعداد الدعاة

أن الجمهور قد انصرف عن المسجد لعـوامل اجتماعية ونفسـية • بينمـا المقـاهى تغص بالرواد واحيانا تضيق بمن فيها • لذلك كان العزوف عن عمل الداعية • والامر يتطلب انه مع دراسة وسائل اعداد الدعـاة •• ان يكون وضع خطة لحل مشاكل الدعاة لان الظـروف كلما هيئت لتأدية الرسالة كان الاقبال عليهـا من الاول • لانه من المعروف اننا اذا أردنا أن نهيىء المجرى للماء ازلنا الحشائش من مجرى الماء لينساب فى مسيرته حتى يصل الى هدفه • وهدف الداعية ان يصل الناس بالدين عبادة وسلوكا • فاذا تضافرت عوامل الشر لتطفىء نور الله • ويأبى الله الا أن يتـم نوره كان علينا ان نكون عدتنا بعد الله مع الامام نهيىء له المناخ لان المقادير جعلتنا أمانة المسئولية لذلك على جميع المسئولين على كافة المستويات أن يتعاونوا ويتحدوا لوضع خطة شـاملة • ترفع مستوى الداعية الذى يمـارس عمـله وتعاونه على تأدية رسـالته وبذلك تفتح الباب امام الرواد • أو تزيل الحشـائش من مجرى الماء •• والربط بين تهيئة الوسائل لاعداد الدعاة وبين اتاحة الفرصة لتهيئة المناخ للعاملين أمر مهم جدا •

لذلك أضـع فى نهـاية هذ الموضـوع تلك التوصيات الخاصة بالدعاة العاملين فى حقـل الدعوة الى الله الان • وليس كل ما قلناه هو الامل ولكن هذا جهد متواضع أسأل اللـه أن يوفق لكل خير وأضرع الى اللـه سـبحانه • ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم •

التوصيات

١ — لما كان رئيس الجمهـورية هـو رب العائلة كان من الضرورى أن يكون لرب العائلة لقاء مع فئة المفروض دينيا وقوميا فيها أنهـا تثقف النـاس فقهيـا وتحثهم على التمسـك بالاخلاق وتعمل بكل طاقاتهـا على تأسيس القيم العالية فى نفوس الناس • ولهذا •

أرى أن يحدد يوم فى كل عام تكرم فيه فئة من الائمة بتوزيع جوائز وأوسـمة عليهم لبروزهم فى أعمال ميدانيـة مبتكرة من خلال المسجد ورسالته والعمل الاجتمـاعى الرائد البناء فى دنيا الناس •

ولقد جرى العرف على تكريم المرأة فى عيد الأم وتكريم العمال فى عيدهم وتكريم المعلم فى عيده والقضاء والاطباء والحـال كذلك الى ان وصل الى رجال التمثيل ومن يدور فى فلكهم اما الأئمة فهم الفئة التى ليس لها يوم يذكر مع أن رسالتهم هى رسالة الحـق والجمـال والعدل والحب والاخاء والتعاون •

ولا ينكر دورهم القيادى أحد : وعطاؤهم المستمر بلا حدود ولكن هل يستطيع أحـد أن يعطى ويعطى دون أن يشعر به أحد : أعتقـد أن ذلك لن يكون : لاننا بشر فينـا أحاسيس وانفعالات تتأثر بالاحداث لذلك كان من آلزم الامور أن تكون هناك لفتة كريمة تسـمح بحنوها تجاعيد الزمن من على الوجه الـذى يتقابل مع الجمهور كل يوم ويواجه الشـعب بكل فئاته يوم الجمعة : وفى ذلك تكريم للدولة التى يظهر نجمها ويبرز دورها القيادى بعدد علمائها الذين أشاد القرآن بهم ونوهت السنة بفضلهم وفى هذا جاء قول الله تعالى «يَرْفَـع

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » صدق الله العظيم وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

٢ — أن الامام ورسالته هى بناء الانسان أخلاقيا والاسهام بقدر الطاقة فى العمل الاجتماعى : وكلما توافرت له سبل الراحة ازداد عطاؤه لهذا كان من أوجب الواجبات توفير السكن المناسب له ذلك لان استثمار وقت الامام خير بكثير من استثمار الاموال لان العلماء هم أعظم ثروة تستطيع الامة بهم أن تؤسس حضارة وتسهم بعقولهم فى كل عمل نافع :ولو أننا وفرنا السكن المناسب للامام لاستطاع أن يشارك بفكره فى دروس الدين واللغة العربية بالمدارس وكذلك مشاركة أهل البيئة أفراحهم والتدخل بينهم لحل مشاكلهم وظهوره فى وسط المجتمع يجعل الجمهور يرتبط به ويأتمنونه على اسرارهم ويشركونه فيما يعن لهم من آراء .

واذا كنا نطالب الامام بالعطاء فعلينا أن نوفر له ما يشعره بالامن والاستقرار .

٣ — توفير الهيبة للائمة بقصر زى معين لهم لا يلبسه الا من تخرج فى جامعة الازهر ويقبل أن يرتدى هذا الزى على أن يمنح لابسه ميزه زيادة فى توفيره واسهاما من الدولة فى احترامه كأن يمنح (أبونيه) مخفضا على جميع المواصلات درجة أولى ولا يسمح باستعماله الا فى حالة ارتداء الزى وهذا من باب التيسير على لابس الزى لسهولة التنقل .

٤ — عمل كادر خاص للائمة يطبق على الامام بعد مضى فترة من تعيينه وثبوت صلاحيته لهذا العمل وقدرته على العطاء فان ثبتت كفاءته بعد مضى خمس سنوات ينقل لهذا الكادر .

٥ — فتح باب الترقى امام الأئمة وفتح المجالات لانشاء درجات وكيل وزارة يشغلها كل من تدرج فى هذا الميدان بدأ من الامام وأرى أن يكون لمن لهم بفكره فى تقديم بحوث تخدم الفكر الانسانى وعمل الامام وتوسع الدائرة فى كافة الاتجاهات يرقى بالاختيار ويكون مثله كمثل استاذ الجامعة تكون النظرة اليه من خلال عمله وأبحاثه وبهذا نضمن عكوف الامام على القراءة والاستزادة بالمعرفة والاسهام بنتائج فكره فى عمل الامام مع منح حوافز على الاعمال الجيدة .

٦ — عمل دورات علمية بحته تكون الدراسة فيها أكاديمية وتكون على شبه الدورات الخاصة بالقيادات الادارية على أن يتناول الأئمة أثناء هذه الدورة القاء محاضرات فى المساجد الكبرى وأحاديث بوسائل الاعلام ويعقب ذلك التقدم ببحث عن موضوع له مغزاه الاجتماعى والادارى والعلاقات الانسانية والاراء الفقهية ومشاكل البيئة وطريقة حلولها وكل من يشترك فى هذه الدورة يكون له الاولوية فى الاشتراك فى المؤتمرات الدولية .

٧ — تشكيل نقابة عامة لها كيانها المعنوى وهذه النقابة تصدر مجلة أسبوعية تتناول العديد من أخبار العالم وما يجرى على الساحة الاسلامية وتهتم بالمشاكل الاجتماعية

وسائل اعداد الدعاة

وطريقة حلها عن طريق المفاهيم الاسلامية وتقوم بوسائل التعريف بالأئمة الكبار الذين خدموا الحقل الدينى وطرقتهم الاجتماعية ليكونوا قدوة وليتصل الماضى بالحاضر .

٨ ــ أن يكون الامام عضوا بلجان المصالحات ومجالس الجمعيات الخيرية التى تقع فى الحى الذى يعيش فيه ومجالس آباء مدارس الحى ومجلس ادارة المستشفى ومجلس الحى أو المدينة والقرية وما شاكل ذلك .

ولا يجوز الاعتذار بتعدد الأئمة لانه فى حالة صدور التعليمات الخاصة بذلك يمكن تنظيم العمل بحيث لو كان هناك أكثر من امام يتم التوزيع بينهم ولو لفترة زمنية تحدد بسنة مثلا المهم أن يشارك الامام فى كل عمل من شأنه رفع مستوى البيئة علميا وفكريا واجتماعيا وتأدية الخدمات للجمهور الذى يرتبط به من خلال المسجد ورسالته هذا مع ربط قيادات الدعوة الاسلامية بالاتحادات العامة والنوعية كاتحاد العمال والزراعيين والمحامين وغير ذلك ليكون هناك اثراء لكل فكر بما للاسلام من يد بيضاء على هذه الاتجاهات الفكرية التى تخدم صالح الانسانية وتدعم الروابط الاخوية بين الجميع .

٩ ــ اسهاما فى خدمة الدعوة وتيسيرا على الامام أرى انشاء غرفة عمليات بالوزارة تكون فيها المعلومات عن :

(أ) الاحصائيات السكانية لجميع قرى الجمهورية كل وحده على حدة وتوزيع السكان واماكن الكثافة السكانية والتجمعات العمالية والزراعية وما شاكل ذلك .

(ب) دور العبادة والمنطقة المحيطة بها وتجميع عادات وتقاليد كل قرية أو مدينة ووضعها فى كتيبات مبسطة يزود الامام الذى يعين حديثا .

(جـ) وضع خطط لمواجهة التيارات الفكرية مع اعداد نماذج للرد على الاسئلة التى يحتمل مواجهة الامام المعين حديثا لها .

١٠ ــ فتح باب الأبتعاث الداخلى أمام الأئمة وذلك بنقلهم على مساجد صناديق النذور بحيث لا يمكث الامام أكثر من سنتين بمسجد النذور ويرقى الى الاعلى مستوى ويكون المثل هنا هو عمداء الكليات حيث أن الواحد منهم يمكث سنتين ثم يتم تغييره ولما كانت صناديق النذور فى مجتمعنا تعطى دخلا طيبا فان من الظلم أن يستمر امام فى الأخذ مع حرمان زميله ونحن بطبيعتنا بشر ونتأثر والمال بلاشك له أثره فى تهيئة العيشة الكريمة ومنعا من حقد القلوب وانطواء النفوس على البغضاء يتم هذا العمل ليحل محل ذلك الحب المتبادل ثم يؤهل الامام نفسه لانه بعد فترة سينتقل الى مسجد أعلى وجمهور أكثر وفى حالة تنازل الامام عن حقه فى هذه البعثة الداخلية فيتم بحث حالته وتقييم فكره فان كان لاهيا لاعبا يحرم من الترقية الأدبية لمدة سنتين علاوة على حرمانه من مساجد النذور وان كان قدره هو هذا فيكتفى بالحرمان من صناديق النذور .

١١ــ ان الامام ورسالته لا ينكرها الاجاحد أو مكابر لذلك كان من العمل على تشجيع

الامام للاسهام فى كل مجالات الحياة والانتقال الى الناس والالتحام بهم فى تجمعاتهم كان من الضرورى تعيين مساعد لكل امام (مقيم شعائر) مهمة هذا المساعد هو أن يحل محل الامام فى حالة غيابه خاصة فى يوم الجمعة وعمل هذا المساعد فى مسجد مجاور وهذا المسجد يغلق فى يوم الجمعة لينتقل رواده مع المساعد الى المسجد الجامع لتأدية صلاة الجمعة مع خطبة واحد توحيداً للكلمة وجمعا للصف . وفى حالة غياب الامام وعدم قدرته على الخطبة يحل المساعد محله .

ان الامام طاقة ومن الظلم تعطيل تلك الطاقة ومن المعلوم أن الباطل لا يتحرك الا فى غيبة أصحاب هذا الحق ولا تروج الافكار السيئة الا عندما يخفت صوت الحق فلو اننا استطعنا ان نحول الافكار الى عمل بناء لخدمة هذا المجتمع العظيم لاستطعنا أن نبنى حضارة تقوم على المادة والروح تسعد الانسانية فى ظلها وتحيا آمنة تنطلق فى مواكب الخير تؤسس المدنية التى تتقدم العالم بما فيها من خير وخلق وعلم وفكر .

ان الهروب من عمل وظيفة الامام مرجعه الى سبب ذلك الركود والركنة على الرف كما يقولون والناس دائما تحسب مرتب الامام وبكم تكون ركعته فى الصلاة وهذا بلا شك له تأثير نفسى على الامام الذى يفقد الهيبة المطلوبة من جمهوره ومرد ذلك السلبية الموجودة كما أنه يكمن فى ما طرحناه من مشاكل وتوصيات والامر جد خطير يحتاج الى علاج حاسم لهذه الفئة التى ان مكنت بذلت العطاء بكل ابعاده لان رسالتها هى رسالة الحق وهم يرددون دائما قول نبيهم الكريم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » كما ان الصالحين من هذه الامة كما حكى القرآن عنهم تمنوا من الله وطلبوا منه أن يكونوا للمتقين أئمة » وصدق الله العظيم « وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا »

ونحن اذ نتقدم بهذا يحدونا امل ويدفعنا رجاء أن نجد لما قلناه حلا وأن تكون هناك أفكارا غير ما قلناه من شأنها الأخذ بيد الأئمة ليتبوؤا فى دنيا الناس المكان اللائق بهم والحل لمشاكلهم والاستماع لصوتهم ونسأل الله أن يكتب لامتنا عزا ومجدا بقيادة زعيمها وقائد نهضتها ومسيرتها الرئيس المؤمن محمد أنور السادات .

الخاتمة : ان المتغيرات الدولية تجعل الفكر الانسانى الآن يسمع اكثر مما تقرأ العين الامر الذى يجعلنا نقول بأن معظم الافكار الوافدة من الشرق أو الغرب والتى يعض عليها بالنواجذ بعض الفئات هى وافدة علينا وليست لها أصول من هنا كان الامر خطيرا للغاية لانه تجعلنا نسمع ونحلل ونضع الرد على ما نسمع وليس الامر بالهين ولا باليسير وانما هو من الصعوبة بمكان لأنه كلما كانت الافكار مدونة استطعنا قراءتها وتمحيصها وليس الحال كذلك بالنسبة للعديد من الاراء لذلك كانت رسالة الامام من أصعب الوظائف ولعل البعض يقول انها رسالة وأبادر فأقول انها رسالة فعلا وهى أعظم رسالة يحملها الانسان ويعمل فى ميدانها لان شرف العمل بعظم قدره وقدر الدعوة الى الله شرف كبير ووسام فخر على صدر العاملين فى حقله لان

سيدنا ابراهيم عندما قال الله له انى جاعلك للناس اماما طلب سيدنا ابراهيم من ربه أن يكون هذا الشرف فى ذريته وأبنائه وأحفاده فقال الله له ان هذا الشرف لا يناله الا التقى ولقد وضح القرآن لنا ذلك فى قول الله تعالى « وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » ورسالة الامام هى بالمكان الاول الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن خلال هذا تتحول دنيا الناس الى جنة يشعرون فيها بالامن والاستقرار وهذه نعمة عظيمة منحها الله للمؤمنين حيث قال جل شأنه « فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ » فالامن والاستقرار دعامتان تبحث الانسانية عنهما لان المجتمع السعيد هو الذى يعمل وبالعمل تتقدم الحياة وتزدهر المدنية والامة العاملة المنتجة يحترمها الغير وينظر اليها نظرة اجلال واكبار والامة لن تتقدم الا اذا كان فيها دعاة الخير ورسل الحق الذين جاء ذكرهم فى قول الله « فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » وكذلك قول الحق سبحانه « الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ » كل ذلك وغيره كثير يجعلنا نقول بأن الجامعة الازهرية عليها العبء الاكبر فى تهيئة فكر الامام وتوسيع مداركه الفعلية والامام بعد تخرجه يشعر انه بدأ يضع قدمه على سلم يصعد به الى العلوان ان هو اجتهد فى تحصيل العلم والبحث فى امهات الكتب والكشف عن غوامض اللغة والرجوع الى البيئة لينهل منها لان الحق سبحانه يقول وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فمع البحث والتنقيب لابد من الالتحام بأفكار الناس للتعرف على اتجاهاتهم ومقاييس تلك الاتجاهات وتحليل أبعادها لتكون الموعظة فى موقفها : ولعلنا نذكر فى هذا المقام الحسن البصرى وهو الواعظ المفوه كان يستولى على العقول ويشد انتباه الجماهير . ذهب اليه جمع من العبيد وقالوا له ياشيخنا عظ الناس ان يعتقونا فان قد أصبنا بالكلل والتعب فوعدهم خيرا ومضت مدة ولم يتكلم الامام فى عتق العبيد فذهبوا اليه فوعدهم خيرا ومضت مدة ولم يتكلم فى عتقهم وامتنعوا عن الذهاب اليه لانهم ظنوا أنه يسوف معهم ولكن وقف هذا الواعظ يوما على المنبر وتكلم فى العتق وفضائله وما له من ثواب وأجر ثم قال وأنا أبدأ بعتق عبدى فلان وبعد الصلاة أعتق

الناس عبيدهم وهلل العبيد وفرحوا لأنهم منحوا الحرية المفقودة وذهب العبيد الى الامام يشكروه وقالوا له لقد أطلت علينا الوقت وكنا قد يئسنا منك فقال لهم لم يكن عندى عبد أعتقه فكنت أجمع الثمن حتى اذا اشتريت عبدى كنت قد تعرفت على اتجاهات الناس وعرفت رأيهم ومن هنا كان لكلامى تأثير فى النفوس •

وهذا مثل يعطينا ما نسميه بالاستقرار فالامام الذى يتعرف على لهجات قومه وأفكار منطقة مسجده ويخاطب البيئة بما يتناسب مع فكرها له تأثير ووقع فى نفوس الناس : وتراثنا الشعبى غنى بالمفاهيم وقبله الدينى بما فيه من فلسفة تتفق مع كل فكر وما علينا الا أن نغوص فى أعماق هذه المفاهيم لتؤثر فى الناس بعد ان تأثرنا بمفاهيم واستخرجنا من خلال ذلك حسن التوجيه وأدب الحديث • وأمتنا اليوم وهى بحق فى حالة انتقال من ماض خيم عليه ما خيم الى حاضر مشرق وحرية ممنوحة علينا ان نبين — للناس ما هو الواجب عليهم أن يعملوه لتسعد أمتهم بهم ورسالة الامام تتطلب أن تعرف الدولة قدره وأن تضعه فى المكان المناسب له وتعمل على راحته وتهيئة المناخ الطيب لاقامته ليستقر فى تحصيل العلم والتزود منه بالقدر الذى يؤهله لهذا العمل العظيم • كذلك ليستطيع المشاركة لجماهير منطقته فى كل عمل بناء يسهم فى رقى البيئة مع افساح المجال له للسفر الى مكان الآثار والوقوف على أحوال الامم السابقة ليستطيع ضرب المثل بعد المشاهدة لأننا لا نستطيع أن نطالبه بالعطاء بينما هو قلق النفس موزع الفكر غير مستقر ان الامر يتطلب النظر فى حل مشاكل الامام ويومها سيعود المسجد مكان العمل الاجتماعى العظيم لأن المسجد مبنى ولابد للمبنى من معنى يدفع به للاسهام فى رقى البيئة وتطورها •

والأمل الآن معقود على الامام ليقوم بدوره المنوط به وعليه أن يلتحم بالناس ليوصل كلمة الخير ويهدى بخلته وسلوكه وعظاته الى طريق الهدى والرشاد والله يقول الحق ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم •

منصور الرفاعى عبيد

هل يستعيد

* منذ ستة قرون والاسلام يتراجع فكرا وقوة ، فالحضارة الاسلامية العادلة الباهرة التى تحقق بها السماء سعادة البشر ، يطوى بساطها الزاهر فى آخر ثنياته عن بلاط غرناطه بالاندلس ، بعدما ضيع الاسلام نزاع ملوك الطوائف واستعداؤهم الفرنجة على المسلمية ولسنا مع المؤرخين الذين يقولون أن سقوط غرناطه المسلمة فى غربى أوروبا عاصرته وعدلت الميزان فيه وثبة الاسلام فى القسطنطينية فى شرقيها وسيطرة خلفاء آل عثمان المسلمين على دول البلقان اذ أنه فى ظل السلاطين الاتراك تراجعت روح العروبة عن نصاعة الاسلام ، وأولى هؤلاء السلاطين ظهورهم للشعوب العربية ، وتهرأ النسيج العربى الاسلامى وسادته الطورانية التركية ، ولم تنجح محاولات جمال الدين الافغانى مع السلطان عبد الحميد فى العمل على التئام العروبة والاسلام ، حتى كانت الطامة على يد أتاتورك فألغيت الخلافة الاسلامية وتقطعت الاواصر بين المسلمين ، بعدما عبثت العنصرية التركية بتقاليد الاسلام وأصول حضارته فى المساواة والعدالة واحترام البشرية الشاملة ، أيا كان لونها أو جنسها أو موقعها أو حتى دينها ، هذه الأسس التى استجابت بها الارض للسماء وانطلقت بها الدعوة الالهية تنشر العدل والرخاء والسعادة فى كل أقطار الارض بلا أدنى تمييز ، فتتناثر الخير والرخاء على قدم المساواة بين العواصم وسائر الاقاليم ، اذ كانت أوامر الخلفاء تقضى بانفاق الخراج فى موطن جبايته لعدم حاجة بيت المال اليه ، فلم تكن سيطرة العاصمة الا تنظيما يكفل توزيع الخير بالقسطاس ، وما كان للعاصمة ولا لأهلها أن يستأثروا بما ليس من حقهم ، ولذلك تداولت السيادة بين المدينة المنورة فى الحجاز ودمشق فى الشام وبغداد فى العراق والقاهرة فى مصر وقرطبة فى الاندلس ولم يتميز أهل قطر على آخر ، فالمسلمون جميعا فى ظل الحضارة الاسلامية سواسية كأسنان المشط والعدالة للناس جميعا ، وبيت المال ينفق على الذميين المحتاجين •

وعندما تراجعت الحضارة الاسلامية وسيطرت حضارة الاستعمار الاوروبى فرقوا بين الناس ، وقسموا البشر الى غالبين ولهم الخير كله ، والى مغلوبين وعليهم الغرم كله ، وانطلقت خطى الحضارة الطاغية حتى أصبح العالم عالمين ؛ العالم الاول الصناعى المتقدم المسيطر ، والعالم الثالث الذى يستنزف حتى الموت •• وكلما تقدم الزمن ازدادت شقة الخلاف واتسع المدى بين الجانبين حتى

المسلمون ؟ حضارتهم

طالعتنا اخيرا التقارير الرسمية للامم المتحدة والبنك الدولى سنة ١٩٨٠ لتقول أن فى العالم الثالث (وأغلبه مسلمون) ٦٠٠ ستمائة مليون انسان يعيشون تحت مستوى الفقر المطلق وأن ١٢ اثنى عشر مليون انسان منهم ماتوا من الجوع سنة ١٩٧٨ ، ومازالت طواحين الحضارة المعاصرة تعمل ومازالت غيلانها تتعطش الى الدماء ، وتحتكر التكنولوجيا والعلم الحديث ، ودق ناقوس الخطر ينذر المسلمين .

وقد قامت الحضارة الاسلامية أساسيا على العقيدة ، وتطبيقا للفكر الاسلامى ، وهو فى جوهره يحترم العقل البشرى وارادة الانسان غاية الاحترام ، فالشريعة — اذ تضع الاسس وتحدد القواعد العامة — تطلق العقل ليحقق ذاته فى محيطه فى كل زمان ومكان وفى مواجهة كل ظروف التطور والتقدم الذى تحض عليه وهى تدفع الى العلم واستثمار كل الامكانات البشرية والمادية لخير الناس كافة ، وهى تحتضن العلم من أجل خدمة الانسان ،فالاسلام لا يجافى حقائق العلم الثابتة ولا يناقضها ، أما التجارب العلمية التى لم تستقر بعد فحقائق الدين اثبت منها ، وهذا هو المنطق كل المنطق وأحكام الاسلام قطعية كانت أم تأويلية لا يناقضها العلم .

أما العلمانية التى ترفع مقاطعة الدين شعارا ، وتنحدر الى مهاوى الالحاد ، وتدعى استهداف العدالة ، والمساواة العمياء بين الجماهير ، فقد فضحتها التجارب العملية حيث أدت الى سيطرة الطبقة على المجتمع كله ، وسيطرت الحزب على الشعب كله ، وتأليه

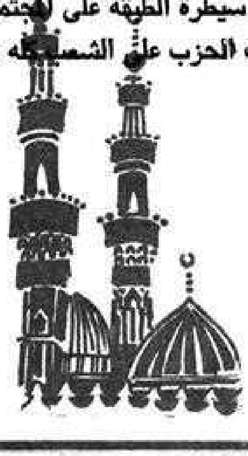

هل يستعيد المسلمون

الزعامات والقيادات ، وعبادة (المنافستو) والتعاليم ، وتسخير الدول التابعة لخدمة الدولة الام بالقهر والعنف وما أمر المجر وتشيكوسلوفاكيا وبولندة ببعيد . وليس كذلك الاسلام وهو دين حضارة المساواة والعدالة بين أفراد وطبقات الناس كافة ، أيا كان موقعهم اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وجغرافيا.

وأما الحرية التى يدعونها فقد أدت الى سيطرة رأس المال بلا قيد ولا رادع يحد من غلوائه وتسخيره الانسان حتى أمام صناديق الانتخاب ، ثم سيطرة الانسان الابيض على الانسان الاسود ، فى صورة يندى لها حتى جبين تلك الحضارة المدعاة ، فضلا عن استنزاف العالم الثالث وفرض التخلف على الانسان فيه .

هذه هى الثوابت التى يصرخ بها الواقع الحضارى العالمى المعاصر صباح مساء لكل من ألقى السمع وهو شهيد ، والتى لايمكن أن يغفل عنها أى انسان فى أدنى درجة من الوعى ، حتى ولو دوخته تهاويل الدعايات الحديثة ، ووسائل اعلام الفنية المتطورة ، وأغرقته فى دوامة تفقد الانسان وعيه .

هذه هى ايدلوجياتهم وهذه أفكارهم وخططهم وسياستهم وقد وضحت لكل ذى عينين .

أما فكرنا الاسلامى فقد أرست قواعده السماء واجتهدت فى استيعابه الامة الاسلامية فأصابت حينا ثم اخطأت أحيانا ، هذا الفكر عانى بعد صحوة الاسلام من نزعات الهوى وطموحات النفوس الامارة بالسوء ، ولكنه بفضل ما يحمل فى أعماقه من جذور وبذور اليقين ، ظل يغالب النزوات العارمة منذ حمل « معاوية » المصاحف على أسنة الرماح فى الفتنة الكبرى الى معاناة الامام الاعظم « أبى حنيفة » لاشفاقه من مسئولية القضاء ، الى ايذاء الامام « ابن حنبل » فى محنة خلق القرآن ، الى تيسير « أبى يوسف » للفتاوى فى بلاط الرشيد ، الى حملة الامام الغزالى على العقلانية فى (تهافت الفلاسفة) ، الى ردود « ابن رشد » فى (تهافت التهافت) الى الفرق المتصارعة من سنية الى شيعية الى معتزلة الى أشعرية الى أباضية الى زيدية .. الخ ، ثم الى الاتفاق على وقف الاجتهاد بماله وما عليه .

وفى ظل هذا الفكر بما يعانية كان انطلاق الحضارة الاسلامية الكاسحة ، بفضل ما يحمله هذا الفكر من جواهر لا تخبو ، وبفضل ما ترسب فى أعماق المسلمين من أصول ايمان ، دفعهم بالقصور الذاتى الى الحركة العارمة ، فازدهرت الحضارة الاسلامية وعلمت البشرية الكثير ، ومازال « المستعربون » الاسبان وهم مسيحيون ويعيش احفادهم حتى الآن فى « توليد » و « طليطلة » ، ولهم كنائسهم التى صانها المسلمون فى عهد سيطرتهم ، مازالوا يشهدون بسماحة الاسلام وعدالته وتسامحه، واحترامه لحرية الانسان وعقيدته وكرامته ، ولذلك رفضوا محاربة المسلمين أيام الصراع

حضارتهم

رغم الاغراء والتهديد .

ثم تراجعت الحضارة الاسلامية نتيجة لعوامل متعددة ، منها تراجع الجيوش الاسلامية المتحضرة أمام جحافل (الغال) البدائية المنطلقة من أحراش وسط أوروبا وشمالها ، ومنها تنازع ملوك الطوائف المسلمين حين صار بأسهم بينهم شديدا ، وحين استعانوا بأعدائهم الفرنجة على اخوانهم ومنها اضمحلال حركة القصور الذاتى الاسلامية لبعد العهد وتقادم الزمن بالنبع الاول ، ومنها اضطراب الفكر الاسلامى الصافى أمام خلاف الرأى وتباين المذاهب وبلبلة الرأى العام ، ومنها — ولعله أهمها — تصدى الاعداء وانطلاق الحضارة الشابه الناهضة فى أوروبا ومهاجمتها الاسلام بعد استيعابها أصول حضارته وثقافته وعلمه .

فقد هوجم الاسلام تحت شعار الصليبية فى الشرق ، ثم آزرت أوروبا جيوش « فرناندو » و « ايزابيلا » لتطرد ملوك الطوائف من الاندلس ، ثم لتمحو الحضارة الاسلامية هناك ثم تآمرت أوروبا على الرجل المريض (الخلافة العثمانية) لتتقاسم اشلاء الدولة الاسلامية ، ثم لم تنس بدعوى حمايته أن تحطم الاسطول المصرى المسلم فى (نوارين) فى أرخبيل اليونان ، لتقضى على كل قوة اسلامية تحت أى ادعاء ، وقد تخلت فرنسا عن محمد على رغم تحالفها معه ، ثم انقضت أوربا على العالم الاسلامى بعد الحرب العالمية الأولى احتلالا واستعمارا وندبا ووصاية ، وبعد الحرب العالمية الثانية اشبعته خداعا وكذبا وتضليلا ، حتى غرست فى قلبه اسرائيل لتعيق خطاه وتشغله وتبدد طاقاته وحتى لقد بلغ الامر اخيرا ان اختلط وتناقض ، بين هل اسرائيل غاية لتحقيق وطن اليهود ؟ أم وسيلة للقضاء على يقظة الشرق والاسلام ؟ وأخيرا وليس آخرا تحالفت الامبريالية الغربية لضرب الحركة العربية المسلمة سنة ١٩٦٧ وتخلت روسيا عن عبد الناصر أيضا رغم تظاهرها بالمساعدة . الا ما أشبه الليلة بالبارحة .

والآن فان النظرة المجردة الى الواقع المرير للعالم الاسلامى بقدر ما تسمح به هذه العجاله تكشف عن حقائق من جوانبها .

ان القوى العالمية الآن ومنها ثلاثة مراكز هى أمريكا وروسيا واتحاد أوروبا تتشبث بالسيطرة على العالم الثالث ومنه العالم الاسلامى ، ومواصلة فرض الاستغلال والتبعية عليه وهى فى هذا السبيل يأخذ بعضها بتلابيب البعض الآخر ، فى صراع مرتجاوز مدارك البشر ، فالصواريخ الذرية عابرة القارات تتململ من التربص ، وقد يخطئها الحساب فتنطلق ، والطائرات العملاقة تنوء

هـل يستعيد المسلمون...

بالقنابل الذرية ، وتدور ليل نهار فى فلك حول الارض ، وقد تختل موازينها — بغير قصد — فتسقط • هذا ما نعلمه ، وهناك — على سبيل القطع — مالا نعلمه من اسرار العلم والتكنولوجيا المحتكرة ، وهو كثير •

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى بلغ الاستغلال والاستنزاف والقهر والتبعية المفروضة على العالم الثالث الى حد موت الانسان من الجوع كما سبق ، وقدمنا من واقع التقارير الرسمية للهيئات الدولية التى تسيطر عليها ايضا القوى الكبرى ، ولعل ذلك تخطيط يراد به القضاء على الانسان حيث تحل محله الآلات الحديثة •

ومن ناحية ثالثة يعيش انسان العالم الثالث هذا مربوطا بخيط محكم حوله بشدة ، ويقوده فى تبعية واذعان للامبريالية ، يقدم ما عنده بلا ثمن ، ويستهلك ما يقدم اليه بأغلى الاثمان لحساب الانسان المتقدم المسيطر ، وهو — أى انسان العالم الثالث — فى هذا المجال واقع تحت طوفان الدعاية وتيارات الغزو الفكرى ، مما يفرض عليه أنماطا من الحياة المادية يمارسها ويقبل عليها ويعتادها ، وهو يدرى أولا يدرى أنها تكرس تبعيته ، وتقضى على أمل خلاصه ونهضته الذاتية واستقلاله ، حتى أنه ليكاد ينحدر تلقائيا الى المبالغة فى هذه التبعية ، والامثلة على هذا متعددة وصارخة ولايتسع لسردها المجال ، واذا كان لابد من اشارة فهى تتلخص فى أن تعقيدات الاسواق المالية التى تتفنن فيها الأساليب الامبريالية أدت الى زيادة مخزون وفائض البترول فى الوقت الذى انقطع فيه بترول ايران والعراق كما أدت الى أن تصر بعض الدول المنتجة للبترول على تخفيض أسعاره ، والمثل الاشد وضوحا يتمثل فيما يدور فى تجارة الاسلحة ودور الحروب المحلية فى العالم الثالث فى استهلاك الأسلحة القديمة — اذ أن الاسلحة المتطورة جدا ذات الاسرار محتكرة ولا يسمح ببيعها — وذلك بأسعار باهظة لحساب مصانع الاسلحة فى الدول الكبرى ، وأخيرا وأوضح نموذج على هذا ما يجرى الآن فى حرب ايران والعراق ، حيث تحصل ايران على السلاح الروسى من ليبيا ومن سوريا ، والسلاح الامريكى من اسرائيل ليواجه السلاح الروسى الذى يصل العراق مباشرة والسلاح الامريكى الذى يصلها من الاردن والسعودية ، وفى هذه الحالة يستفيد الشرق والغرب على حساب العالم الثالث • ويجرى مثل هذا بين لبنان واسرائيل ، وبين المغرب والجزائر ، وبين تشاد وليبيا •• الخ •

ونعود الى انسان العالم الثالث المسكين المشدود الى ساقية الحضارة المزعومة ، وهو يدور حول نفسه ويتأخر كلما خيل اليه أنه يتقدم ، وهو يملك امكانات ، منها المواد الخام وأهمها البترول ، ومنها فوائض الاموال المكدسة والتى تستفيد منها الامبريالية فى كل مكان ، ومنها القوى البشرية الهائلة التى أصبحت لكثرتها عبئا عليه ، والتى يحاول هو التخلص منها ليتخفف •

وهذه العناصر لو أتيح لها الوعى الناضج ،

أحضارتهم؟

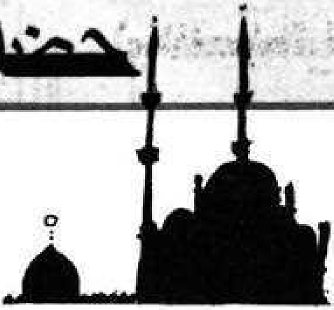

ونحيت عن سبيلها العقبـــات ، لكان لها فى المسيرة شأن آخر •

ومن هنا يبرز دور الدعاة ، ولن تصـــح الدعوة الا اذا ارتكزت على قاعدة سـليمة ، واتخذت اسلوبا صحيحا واستندت الى مقدرة لايعوزها الايمان ، وليس كالفكر الاسـلامى سبيلا للنجاة ، لا لأنه عقيدة ما يقرب من الالف مليون انسان فحسب ، ولكن لان التجـارب العملية واستقراء التاريخ ـ كما قـدمنا ـ يثبت أنه أقوم السبل لخير الانسان وسعادته ورخائه وتقدمه •

وخلاصة القول أننا أمام انسان مسـلم يعيش غالبيته فى العالم الثالث ، متخلفا مقهورا مستغلا تابعا للامبريالية العالمية ، وهو يزداد تخلفا بالموازين العالمية ـ كلما خيل اليه أنـه يتقدم ، وهو يقع ضحية غزو فكرى ثقافى لاكثر من قرن من الزمان ، وقد ارتبط بحضارة غريبة عنه يتشبث بمظاهرها ويعيشها على وهـــم ، ولكنه يزداد ارتباطا بها ، وهو واقـــع تحت ضغط طوفان اعلامى قاهر •

وهدفنا هو اعادة هذا الانسان الى الجادة اى الى حضارته الأصيلة المتلائمة مع بيئتـه ، والمتصقة بكيانه ، والمتعانقة مع روحه وفكره، وفى نفس الوقت غير المنعزلة عن الحضـارة العالمية المرتبطة بالتطور العصرى والتقـدم الحضارى •

ومن أهم السلبيات والمعوقات تلك الحـالة المتردية جدا التى وصل اليها انسان العـالم الثالث من ناحية ، ثم تشبث الامبريالية العالمية المستميت بالسيطرة عليه ، مع توافر كل وسائل التكنولوجيا الحديثة المادية والمعنوية لها مـن ناحية أخرى •

ولكن الايجابيات ـ كما قدمنا ـ متاحـة ، ومنها شهادة تاريخية واقعية بأن الفكـــر الاسلامى هو أقوم الطرق لخير الانسان ، ثم شهادة معاصرة بذلك ، آيتها ذلك الذعر الذى اجتاح العالم عنـدما أعلن أن هناك ثورة اسلامية فى ايران •

ومن الايجابيات كذلك : يقظة انسان العالم الثالث ، وعمق احساسه بالكارثة ، والتفاته الى الدين حيث لا عاصم غيره ، ولهذا هـرعت الملايين من الشباب خاصة للاحتماء بالدين ، وان تفرقت بهم السبل •

ومن الايجابيات أيضا: أنا نمتلك من مقومات الحضارة رؤوس الاموال فى بعض الـدول ، والقوى البشرية فى بعضها الآخر • والحصول على التكنولوجيا ليس ببعيد •

ويمكن أن يدرج بين الايجابيات : كثـرة الدعاة ، وغزارة انتاجهم ، وتيسير وسـائل نشر الكلمة المطبوعة والمسموعة ، وان كـانت الأمية من أبرز سمات العالم الثالث •

وبقى أن تتركز الدراسات الجـادة والمتخصصة والواقعية حول موضوع الدعوة والدعاة ، مقدرة وكفاءة ومادة وعلما

هل يستعيد المسلمون حضارتهم؟

ومنهجا وأسلوبا .

والأساس لنجاح الدعوة يكمن فى العودة الى أصول الدعوة الاسلامية ثم مسايرة انتقالها مع الزمن ومعاصرتها للاحداث ومواجهتها للتطور ، عن فهم ووعى يواجه الحاجة ولايخرج على الاصل ، ثم اقامة البناء من هذه اللبنات المضيئة لتلتقى مع واقع الانسان المعاصر بكل ظروفه وحالته التى وصل اليها والتى شرحناها .

ونستطيع أن نقول هنا أن الحاجة ماسة الى جلاء الفكر الاسلامى الصحيح ليلمع ضوءه ويسطع بريقه ، وليست هذه مهمة يسيرة بعدما وصلنا اليه .

ولكنها ليست مستحيلة التحقيق ففى التراث الفكرى الاسلامى على الزمن تلمع جواهر بين ركام القشور والانحرافات ، فاذا استطعنا الوصول اليها وتنقيتها وترتيبها والبناء عليها نكون قد اقتربنا من الغاية قدر الامكان ، المهم أن نرتب الخيوط فى استقامة وأن نجمع الحقائق فى استواء ، والا تقع فى أحابيل الخلافات الشكلية والأهواء المغرضة ، فنعود الى التشابك والاختلاط ونستأنف الدوران حول أنفسنا ويخيل الينا أننا نسير ونحن فى الحقيقة لانتقدم .

نتبع ذلك فى كل مانصل اليه من آراء وأفكار ونظريات تحيط بحياتنا المعاصرة وتوجهها وتدفعها الى ما فيه الخلاص والخير ، ونتبع ذلك فى كل مانسلكه من سبل لغرس هذه الآراء فى النفوس واقناعها بها وابلاغها الى الجماهير على نهج يعمق الايمان بها ويجعلها السلوك السائد الذى لامحيد عنه ، وليس ذلك أيضا بالأمر اليسير بعدما وصل اليه المجتمع الاسلامى من الوقوع فى براثن الحضارة الغربية عنه والارتباط بها على النحو الذى قدمنا ، الى حد يمكن القول معه — بمزيد الأسف — ان التغيير أصبح لايقل صعوبة عن تحويل انسان الجاهلية الأولى الى الاسلام .

ولذلك أصبح لزاما على الدعاة أن يعكفوا باهتمام شديد على دراسة وسائل الاسلام الاولى وأسلوب القرآن الكريم فى مختلف المواقف كتحريم الخمر مثلا أو فرض الصيام أو مقاومة الرق ، وأسلوب السنة الشريفة فى القول الرائع « **هل تعاهدنى على ترك الكذب ؟** » .

وغنى عن البيان القول بمثالية هذا الاسلوب الرائع ، بما فيه من احاطة وتقدير لاوضاع الناس ، والعادات المتمكنة من نفوسهم ، وارتباطهم بالمجتمع حولهم وتقيدهم بما رسخت فيه من تقاليد ، واستحالة خروجهم مما هم فيه طفرة واحدة ، ثم ملاينة هؤلاء الناس على ماهم فيه من أخطاء ، وتزيين الصواب أمامهم ، وجرهم اليه بخيوط ناعمة محببة الى نفوسهم ، حتى اذا لانت نفوسهم، واستجاب عصبهم ، حددت لهم القواعد الصارمة وأوضحت لهم الحدود الحازمة ، ورسمت لهم الجادة الصحيحة ، بما يحيط

بجانبيها من ثواب وعقاب ، وهكذا يمكن أن يرتفع الانسان الى المستوى الرفيع درجة فوق درجة وخطوة بعد خطوة ، وذلك السبيل الذى هو أقوم .

وبهذين المقياسين من ناحية جلاء الفكر الاسلامى وايضاح النظرية فيه ، ومن ناحية جذب الناس اليه وأسلوب ربطهم به ، نجد أننا بالرغم من كثرة الدعاة وغزارة انتاجهم لايزال بيننا وبين الهدف الكثير من المدى الواسع .

قرأت أخيرا لداعية كبير مقالا فى صحيفة أسبوعية بعنوان « الدين والسياسة » يستهله بقوله : (لاشبهة فى أن الاسلام لم يرسم للحكومة أو للدولة الاسلامية حدودا تبرز خصائصها التفصيلية ، ومايصلح من قواعد بشأنه فى بلد ، لاينجم عنه الا الفساد فى بلد آخر ، وماتستقيم به الامور فى حين تلتوى وتضطرب فى حين آخر) . وهذه مقولة صادقة فيما تقرره فى الجملة الاولى ، ولكن الحماسة غلبت الكاتب فى الجملة الثانية فعمق المعنى أكثر من اللازم ، وكان يكفى أن يقول « وما يصلح بشأنه من وسائل فى مكان أو زمان قد لايصلح فى مكان أو زمان آخر» وقد يبدو الفرق ضئيلا ، ولكنه ذو تأثير كبير اذا لوحظ ما عليه المجتمع الاسلامى الان وخاصة الشباب من حماسة واندفاع ، قد تزيده هذه الألفاظ العنيفة ثورة ، ثم ندور فى صراع لاينقل لنا الى الامام قدما ، وخاصة أن المقال كله لم يحل القضية التى فجرها وتركها .

مع أن القضية قدم لها الحل الأمثل منذ فجر الاسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين سأل معاوية فى الشام وقد رآه يلبس الثياب الفاخرة ويتخذ الحراس والحجاب ويركب الخيل المطهمة ، فقال لمعاوية ان هذه تقاليد الاقليم ، فقال عمر فى عظمة المشرع الاسلام الواعى (لا آمرك ولا أنهاك) . وقضى به عمر أيضا على خلاف مع بعض الأئمة فى ترك الأرض فى سواد العراق لأصحابها .

وكان أولى بالداعية الكبير أن يتناول جانبا من جوانب الحياة المعاصرة ، فاذا كان سليما، يشرح كيف يمكن تفسير وتأويل القواعد الشرعية تأويلا علميا سليما لتوافق عليه ، أو يشرح كيف يمكن تغيير هذا الجانب اذا كان خطأ ليطابق القواعد الشرعية ، وأن يكون التناول علميا مقنعا ، فهذا هو مانبتغيه من الدعاة فى هذه المرحلة ، مع التزام الأسلوب الاسلامى الذى سبقت الاشارة اليه .

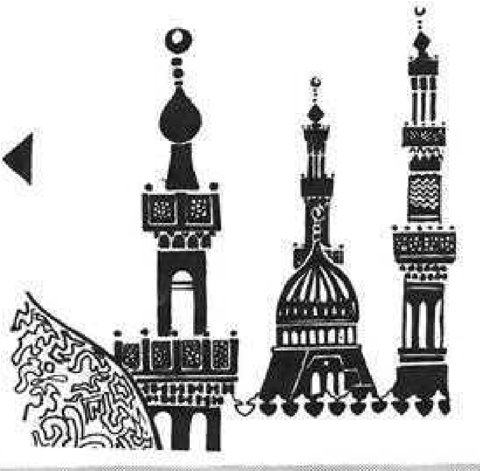

هل يستعيد المسلمون حضارتهم ؟

ومن ناحية مواكبة الفكر الاسلامى للتقدم العصرى وقيادته لهذا التقدم يقال الكثير ، فهناك من الأئمة من فهموا روح العصر وأيقنوا فهم أصول الفكر الاسلامى وألفوا بينهما على نهج رفيع ، وهناك من الدعاة من يصر على النظر الى الوراء وشد المتلقين الى الدوران حول أنفسهم .

يقول الدكتور عثمان أمين فى كتابه « رائد الفكر المصرى الامام محمد عبده » ص ١٥٩ « يعرض محمد عبده فى تفسير » سورة الفيل « وهلاك جيش أبرهة الحبشى وفيله حين أراد العدوان على الكعبة ، فيفسر هلاك الجيش يرجع الى تفشى داء الجدرى والحصبة فيه ، وهذا الذى نشأ عن سقوط كميات هائلة من الجراثيم حملتها فرق عظيمة من الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم هذه الأمراض ، ويستشهد على صحة تفسيره هذا بما رواه « عكرمة » و « يعقوب بن عتبه » من أن أول ماروئيت الحصبة والجدرى ببلاد العرب كان عام الفيل .

قال الامام محمد عبده هذا الكلام منذ مايقرب من قرن من الزمان ، ثم نشر أخيرا كتاب ملحق باحدى الصحف الدينية الكبرى بمناسبة القرن الهجرى الرابع عشر تناول فيه نفس الموضوع عالمان جليلان ، يقول أحدهما عن أصحاب الفيل (أرسل الله عليهم طيرا من البحر من أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار ، حجر فى منقاره وحجران فى رجليه ـ أمثال الحمص والعدس لاتصيب منهم أحد الا أهلكته) . ويقول الثانى (كان موتهم بما تحمله مخالب الطير وكانت تحمل حجارة جهنم لها فعل القذائف الذرية التى لم يكن قد وصل اليها عقل الانسان بعد) .

وقد يقال : انها معجزة والمعجزات خوارق ولايستغرب منها شىء ، وأنها وردت على هذه الصورة فى الغالبية الغالبة من كتب السيرة والمراجع والرواة الثقاة ، والتغيير فيها أمر يشفق منه الدعاة .

ولكن يرد على هذا ـ مع الاعتراف بالمعجزات ـ بأن معجزة الاسلام الكبرى هى القرآن الكريم الذى يخاطب الوجدان والعقل والمنطق ويحترم انسانية الانسان وعقله وفكره وحريته ، وأن المنطق والأسلوب العلمى والواقعى محترم ومطلوب فى التعاليم الاسلامية ، وأن التفسير ـ استنادا الى العلم الحديث وخاصة وأن السند التاريخى موجود فيما رواه « عكرمة » و « يعقوب بن عتبه » بأن الجيش أهلك بالوباء الذى حملت جراثيمه أسراب البعوض والذباب ـ تفسير منطقى وعصرى يخاطب انسان اليوم بما يماشى مقتضيات حياته ، وأن التفسير بالمعجزة والخوارق بعد مائة سنة من تفسير محمد عبده يعتبر عودة الى الوراء وتخلفا عن الدوران الذى أفقد المجتمع الاسلامى سيطرته على الحركة الواعية الى الأمام .

هذا بعض من كثير ولنا ان شاء الله لقاء ..

محمد التهامى

مع منهج السيرة

تفسير النبوة

للدكتور محمد إبراهيم الفيومى

يبدو لمن يقرأ تاريخ « السيرة (١) » لابن هشام (٢) : أمر يسيطر على ذهنه ويلح فى السيطرة كلما أمعن فى قراءتها ولايكاد ينتهى منها الا وهو يجد نفسه امام استفهامات تشده اليها وذلك لما يبدو للقارىء ان ابن هشام تكلف منهجه فى كتابه عن السيرة حين اراد ان يجعل الاحداث ، على مستوى العالم ، وعلى مستوى الجزيرة العربية ، وعلى مستوى القبيلة وعلى مستوى أسرة الرسول : سوابق تاريخية ذات رباط واحد هيات الذهن البشرى لطلب رسالة الرسول

(١) كتاب « السيرة النبوية » سبق الى تاليفه ابن اسحق ثم لخصه ابن هشام وهو الذى نحيل عليه الدراسة .

(٢) ابن هشام : هو الامام ابو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى الحميرى البصرى الأصل المتوفى بمصر ٢١٣ هـ .

تفسير

وتمنى بعثته ؟

كنا نظن كما بدا لنا : أن ابن هشام تكلف منهجه وأفرط فيه افراطا ، جعلنا نستخف ببعضه ، ويجاوزنا الاستخفاف الى انكار كثير منه ولا نلتفت الا الى أقله ، وكانت وسائل تشككنا فى منهجه جعلتنا نظنه أنه تكلف فهم السيرة من وراء نزعة ذاتية استبدت به فبات يرى بها مفهوما جديدا فى التاريخ والسيرة معه دائرة من دوائره ثم طال بنا الخاطر وكدنا أن نقع فى براثنه لولا أننا رجعنا وتشككنا فيما أراد الخاطر أن يفرضه علينا فأخذنا نقلب الرأى لنفهم مفهومه عن التاريخ الذى استطاع به أن يفرض على أذهاننا ألوانا من الخرافات وبقايا من الأساطير •

أراد ابن هشام : أن يقيم بناء متكاملا من الاحداث التى سبقت ميلاد الرسول ليشع ارهاصا ببعثته من غير أدنى نظر نقدى منه لاختبار الحدث اختبارا تاريخيا أو عقليا يقول ابن هشام مبينا منهجه من سيرة ابن اسحق وصنيعه معها : وأنا انشاء الله مبتدىء هذا الكتاب بذكر اسماعيل بن ابراهيم ، ومن ولد رسول الله من ولده واولادهم لا صلابهم ، الأول من اسماعيل الى رسول الله ومايعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد اسماعيل على هذه الجهه للاختصار الى حديث سيرة رسول الله ، وتارك بعض ماذكره ابن اسحق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله فيه ذكر ولانزل فيه من القرآن شىء ، وليس سببا لشىء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له • ولا شاهدا عليه لما ذكرت من الاختصار ، واشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائى بروايته ، وسنقص ان شاء الله تعالى ماسوى ذلك مثه بمبلغ الرواية له والعلم به المهم من وجهة نظره أن يكون الحدث له روايته التى تتفق مع قاعدته التى التزم بها حين بدأ كتابتها وحين اراد تهذيبها — من جهة الرواية — عن ابن اسحق (١) وهذا بلاشك جانب يتسم بالأمانة العلمية •

وكان اتجاهه هذا لا مبرر له سوى أنه أراد أن ينحى بالتاريخ منحى وجدانيا وكانت وسيلته لتحقيق مفهومه هذا عن التاريخ أنه اعتمد على مبدأين : مبدأ حققه من وراء تسجيله لأحداث السيرة وهو : « الترابط بين النبوة والأزمات التاريخية » وهذا ماجعلنا نصف النبى أولا أو الأنبياء : بأنهم مخلصون وعلى مبدأ أخلاقى : وهو التفريق بين القيم وسير الحياة الواقعية ، أو بين الأحداث والقيم •

على هذين المبدأين : قدم ابن هشام نسيجه للسيرة النبوية رابطا بين الاحداث حتى يبرز الرؤية الروحية فى الكشف عن مقدم نبى يفسر

---

(١) ابن اسحق : هو ابو بكر محمد بن اسحق ابن يسار المطلبى بالولاء ولاءه لقيس بن مخرمة ابن المطلب . وكان جده يسار من سبى : عين التمرسباه خالد بن الوليد . توفى ببغداد ١٥١ هـ

وهو ثبت فى الحديث عند اكثر العلماء . قال ابن شهاب الزهرى من اراد المغازى فعليه بابن اسحق — ذكره البخارى فى التاريخ — وذكر عن سفيان عيينه انه قال : ما ادركت احدا يتهم ابن اسحق فى حديثه . وثقة البخارى ومسلم وذكر له حديثا واحدا .

سيرة التاريخ الذى اشتدت وطأته على الامبراطورير الرومانية أكبر دولة سياسية فى هذا الوقت •

وكنا نلاحظ أن مقدمات السيرة النبوية أو ارهاصاتها انقسمت لديه الى قسمين بناء على المبدأين السابقين •

قسم يشكل الازمات التاريخية التى عاش فيها العالم والجزيرة العربية معه على أمل قلق يتوقع فيه مجىء رسول الاصلاح وتبدأ الازمات من حرب بين القبائل الى عرب بين الدولتين الفرس (١) والرومان •

وقسم يشكل تباشير مبعثه تبدأ من نبوءات اليهود (٢) والمسيحيين الى طلب الدولة الرومانية وفاقها مع المسيحية من حيث هى دين وتم ذلك بعدما بعدت مسيرة الواقع كثيرا عن قيم السماء العليا وفى محاولة الوفاق مع المسيحية مايعنى التقليل من هذا البعد •

وهكذا فى فترات الصراع والشك تبدو الحياة بأجمعها تتأرجح بواقعها بين التبشير بالدعوة والزحف الى قيم جديدة •

من وراء ذلك ، يرى ابن هاشم : أن مسيرة التاريخ تتجه نحو الكشف الروحى عن نبى قرب مبعثه ، ووفق رؤيته الروحية للتاريخ غابت عنه فروض أساسية نحو معالجة رؤيته الروحية وكاد غياب هذه الفروض عنه أن يلغى عمله وهدفه من كتابه السيرة النبوية ولا سيما مقدماتها •

الفرض الأول : أن أهل الجانب العقلى ، قد يقال من قبيل التبرير ، أن ابن هشام قدم سيرته من خلال الرواية التى حفظها عن ابن اسحق التى تقول : ان ابن هشام تصرف فيها بما وفق اليه تصرفا يتناسب مع منهج الرواية ، فهو غير ملتزم ، وليس بعد التلخيص التزام من وراء هذا التصرف كان من الممكن لابن هشام أن يعطينا تعليقا يطرق به عقولنا كما أعلى تعليقاته على ما صح من الشعر رواية أو لم يصح وكان هناك من الروايات ما هى جديرة بالتعليق متنا أى من حيث فحوى موضوعها مثل ــ رواية « شق » و « سطيح » ــ وروايات العرافة (٣) • دون عرافة أهل الكتاب • غاب عنه فرض العقل الذى سوف يرافق القارىء وهو يتتبع صفحات السيرة « وشق » و « سطيح » ربما يكونان رمزا روحيا له قيمته الانبائيه لكن يرتبط رفضهما من خلال عدم كفايتهما فى الأداء والوضوح •

الفرض الثانى : أهمل التناسق فى الأخبار الجزئيةفمثلا : حادثة (٤) الفيل يتصورها المسلم على أنها ليست حادثة ولكنها واقعة حاضرة عقيدته وحقيقة حية لها وجود فعل فى قلوب الناس على الارض كما فى السماء يمكن أن تثمر ثمارها الروحية تحت « مبدأ الايمان »

---

(١) قارن بين ماذكره عن امر الفرس باليمن ص ١٤٥ حـ ١ وبين ما ذكره عن الحبشه وقصة ابرهه ص ٣٥ ــ ٤٨ حـ =

(٢) راجع : حديث فيميون ص ٣٠ حـ ١ وخبر ابن التامر وطلبه الاسم الاعظم ص ٣٢ حـ ١ وخبر انذار اليهود برسول الله وحديث ابن الهيبان وما بشر به ص ١٤١ حـ = ١ وصفة النبى فى الانجيل ص ١٥١ حـ ١

(٣) قارن : اللهبى العائف ص ١١٨ ط (واخبار الكهان : من العرب والاخبار : من اليهود والرهبان : من نصارى ص ١٣٥ ط !

(٤) راجع حادثة الفيل وابرهه ص ٤٥ ط !

لو التفت ابن هشام الى بعض عبارات أفسدت تناسقها وأوهنت بنيانها مثل قوله فى قصة الفيل ، فلما وجهوا الفيل الى الكعبة ، أقبل نفيل بن حبيب ، حتى قام الى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه ، فقال : أبرك محمود ، أو ارجع راشدا من حيث جئت ، فانك فى بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل •

لاشك أن هذا التداخل فيه خلل يدعو الى التساؤل من هو نفيل الذى أسر الى الفيل فبرك ؟ وكيف دخل الى الفيل من بين الجنود ؟ وكيف خرج ؟ وهل يبرك الفيل مثل الجمل ؟ أليس مثل هذا العمل وفيه دلالة خوارق العادات قد يصرف الذهن البشرى المترقب بعثه نبى الاصلاح الى الظن فى نفيل أنه هو المنتظر

والا على أى أساس أجريت خوارق العادات هذه الاستفهامات تعوق المطالع عن الفهم الحقيقى لحدث الفيل • غاب عن ابن هشام أن القارىء سوف يقف كثيرا أمام عدم التناسق فى الخبر الواحد أو المشهد التاريخى الواحد ويلقى باللائمة عليه حين أغفل جانب التناسق فيه فلو افترض أهميته فى قيمة الموضوع لما أغفله •

الفرض الثالث : عدم دقة الشروح لما يريد شرحه من عبارات وذلك يبدو واضحا فى شرحه « **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ** » وخاصة أنه أتى بها فى موضعها أى بعد « شمس قريش » على أى حال ان تركه لكثير من الفروض العلمية أضعف كثيرا من قيمة جزئيات تاريخية وردت فى مقدمات السيرة النبوية •

غياب مثل هذه الفروض عن منهجه فى تحرير روايته أضعف كثيرا من قيمة مقدمات السيرة وكانت وسائل كافية لتقوية الميول الشكية لدى الانسان •

وبالرغم من تلك المآخذ : فان المنهج العام لسيرة ابن هشام يشير الى وحدة الغاية وذلك يظهر حين أراد ابن هشام أن يبين فشل التوفيق بين مطلب الفرد الروحى ومطاب المجتمع فانه ألقى أضواء على أفراد مثل : « فيمون » « وعبد الله بن تامر » « والحنفاء » من قريش •••• « وسلمان الفارسى[1] » ثم أبرز معاناتهم فى سبيل حياتهم الروحية وما وقعوا فيه من آلام صبها عليهم مجتمعهم مثل هؤلاء كانوا يرون عزاءهم فى عرفانهم الروحى الذى كان يدعوهم لمجتمع مثالى لزمن يجىء فى المستقبل ملتمسين العذر الجميل لمجتمعهم وادراكه الناقص للباطنية الروحية للتاريخ ومعنى ذلك :

ان رؤيته ليس فيها نزعة التعلق بالماضى أو الحاضر انما تتعلق بالتبشير بالمستقبل الحافل بالحقائق الآلهية من خلال ادراك باطنى لحركة التاريخ التى سوف تحدث تعديلا فى القيم وأشكال الواقعية الوثنية وبذلك بدأ التاريخ فى أنسب الاوقات التخلى عن قضية الوثنية الخاسرة •

فلم تأت سيرة ابن هشام ككتاب «الاغانى» من غير وحدة موضوعية أو « أمالى القالى »

(١) راجع سلمان الفارسى ص ١٤٢ أمر الحمس ص ١٣٤ الحنفاء ص ١٤٥ ، وراجع : فى الفكر الدينى الجاهلى د. محمد ابراهيم الفيومى ــ دار القلم الكويت ط ٢ •

للنبوة

أو غيرها من الكتب لم تأت على هـذا المنوال انما جاءت برباط آخى بين الاحداث التاريخية لخدمة غاية واحدة على أى حال ان ما قصر فيه ابن هشام أو أفرط فيه هذبه السهيلى (١) خير شروح سيرة بن هشام ولعل الـــذى شغل ابن هشام أو كتاب السيرة من بعده عن أن .. يلاحظوا ما حول الاحداث التى سبقت مقـدم النبوة من تهافت يصمها بالافتيات والانتحـال هو : رؤيته الروحية لمضمون الحـــدث دون جزئيات بنائه ، فدائما نسيج الحدث صـور تشبيهية تخضع لعوامل ثقافية تمثل عصرها ــ فالجن والشياطين والغيلان وبلاد عبقر كـان لها دوراً فى ثقافات عصرها ــ حتى فى عصرنا مازالت تطل علينا بهمزاتها لكن بصورة مهـذبة عما كانت عليه قبل الاسلام فهى قبل الاسلام كان العربى يتحدث عن علاقاته الجنسية بهـا وعن الذين تواروا فى وادى عبقر فالحـــدث بغايته وليس بجزئياته .

وللغاية ذاتها راح يجند الاحداث لـواجب التبشير التاريخى بالرسول ورسالته .

ومما ينبغى أن نشيد به أن ابن هشام كما حرص على ابراز المعنى الروحى للتاريخ فانـه كان أشد حرصا على الالتزام بمفهوم السـيرة حيث كانت الاضواء مركزة على شـخصية الرسول ومفرقة بخيوط رفيعة على شخصيات فرعية تساعد على فهم حياة الرسول وتصـور عصره وما فيه من أزمات .

ولا يـــكاد ابن هشام يقتـرب من مبعث الرسول الا وقد أوقفنا على بشائر الانجيـل (يوحنا) « يحنس الحوارى » يقول ولـكن لابد أن تتم الكلمة التى فى النـــاموس أنهم أبغضونى مجانا فلو قد جـاء المنحمنا « أى محمد » بالسريانية هذا الذى يرسله الله اليكم من عند الرب ... الخ .

« المنحمنا » بالسريانية بالعبرية البرقليطى .

ثم ينهى ابن هشام رؤيته الروحية للتاريخ بقول الله تعالى :

« وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ » .

---

(١) السهيلى : هو ابو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد بن أبى الحسن الخثعمى السبيلى المولود بمدينة مالقه ٥٠٨ هـ والمتوفى بمراكش ٥٨١ هو كتابه هو بالروض الانف : فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام .

تفسير النبوة

وتتضمن الآية معيار الرؤية الباطنية للتاريخ فى تفسيرها للنبوة وهو أمران :

ـ الكتاب ·

ـ الحكمة ·

الكتاب يشار به الى سلسلة الانبياء السابقين وما نزل عليهم من الوحى الالهى فالكتاب ووجوده بيننا يسيران الى المعنى الحقيقى من سيرة التاريخ وهو :

الاتجاه نحو السمو الالهى بفضل كمال وحى الكتاب ·

والحكمة : هى المعنى الانسانى وهو بعد آخر فى المعنى الآلهى ـ والحكمة هى : ان شئت ، قلت : العقل أو الفطرة ـ وكلاهما مصدق للآخر على مبعث النبوة ·

هذان المعياران لا يمكن أن يكون الا معيارا للنبوة فقط لانهما يشيران الى ماض أزلى يتكلم عن مستقبل بلغة اليقين كما يتكلم الانسان بلغة اليقين عن ماضيه ، فمن هنا كانت الرؤية الباطنية للتاريخ مرتبطة بالصدق واليقين ·· وهما معا الاسس المعيارية للاقرار الموثق ·

ثم ينتقل ابن هشام من المبشرات العامة التى يشير اليها التاريخ الى علامات النبوة الذاتية منها :

* الرؤيا الصادقة أى كان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح ·

* حبه الخلوة : وحبب الله اليه الخلوة فلم يكن شىء أحب اليه من أن يخلو وحده ·

فالرؤيا الصادقة مع حب الخلوة وهما أمران نفسيان يتاح للمرء من خلالهما تذكية نفسه ومحاسبة ذاته غير أن ظهور الهواتف المبشرة بصورها المادية المختلفة لتشده من تأمله الباطنى الى حقيقة وظيفته وهو أنه مبشر بالحكمة الآلهية كيلا يهيم فى أودية الشعراء وأخاديد الخيال فالهواتف التى نقلت بها سيرة ابن هشام ورمزياتها التى صادفت الرسول منذ رحلته التجارية الاولى مع ركب عمه أبو طالب الى أن وافاه الوحى هى المغزى الحقيقى من معنى النبوة حيث أن النبوة هى المعجزة الالهية هى المعرفة الكلية التى تستطيع أن تتكلم بمنطق اليقين عن الماضى ، والحاضر والمستقبل ، بدرجة واحدة وهى غاية التاريخ الدينى والانسانى أيضا ·

ونحن اذ نتابع ابن هشام فى سيرته نراه يؤكد طابع البشرية فى الرسول ويشير ·· فقط الى بعض روايات تفيد تميزها فى الرسول وتبحث فى النفس مشاعر الولاء لحبه منها :

* **دعوة خديجة له بالقيام على رحلتها التجارية ·**
* **حديث ميسرة عنه لها ·**
* **زواجه منها ·**
* **مشورته بوضع الحجر الأسود ·**

هذه الآيات فى فضائله البشرية قبل بعثته تتحدث عنه فى النفس الانسانية بأنه فى مجال البشرية له أسمى فضائلها حتى قال بعض الناس له بعد بعثته : « ماجربنا عليك كذبا ». صلى الله عليه وسلم ·

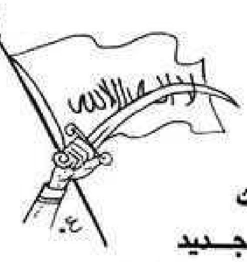

خلاصــة البحث
دعــوة الى مجــال جــديد

نخلص فى النهاية الى وجهة نظرنا عن منهج بعض كتاب السيرة حين قدموا الاحداث التاريخية وجعلوها تتحدث ـ فى شكل ارهاصات ـ عن مقدم نبى ـ دراسة هذه المحاولةعلى جانبمن الاهمية وهذه المحاولة ـ كما لاحظنا ـ اتخذت طريقين :

*** طريق يتجه نحو الكتب المقدسة لابراز نصوص تتحدث منكمال مسيرة التاريخ الدينى الذى حاول الرومان وقفه باضطهادهم للمسيح وخاصة أن هذا الطريق لفت القرآن النظر اليه حين قالبحكاية عن لسان المسيح : « وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » ٠٠ وهذا كان قبل ميلاد الرسول ٠**

* والطريق الثانىيتجه نحو تأويل الأحداث أو بعض الأحــداث تأويلا روحيا محاولين بذلك ابراز الرؤية الروحية فى مسيرة التاريخ وهذا بعضه كان قبل الميلاد والآخر بعد الميلاد وقبل البعثة ٠

وهذا الاتجاه فى نظرنا يعنى التــرابط بين النبوة والازمات التاريخية :

والازمات التاريخية بعضها أحــاط بجزيرة العرب مثل حملة أبرهة على البيت لهــدمه من حيث هو بيت وليس من حيث الدعــوة الى المسيحية والبعض الآخر أحاط بأكبر دولة فى التاريخ وهى الدولة الامبراطورية ٠

هذه الدولة تعقبت الأنبياء ، ومنهم المسيح تلاحظ فى بداية مغيبها أنها اتجهت الىالمسيحية لا نحب أن نستقضى الاســباب والاعتبارات التى وجهتها الى اعتناق المسيحية انما نود أن نقول : أن وفاق الدولة الرومانية مع المسيحية يعنى من وجهة نظرنا أنه عندما بعدت مسيرة الواقع الانسانى عن قيم السماء بدأ الاحساس الانسانى مدفوعا بقلقه الى محاولة التقليل من هذا التباعد بين القيم العليا والواقــع الوثنى بدأ يتجه الى الدين ، وهكذا فى فترات الصراع والشدة تبدو الحياة بأجمعهــا تتأرجــح بين التبشير بالدعوة والزحف نحو قيم جديدة ٠

فمن وراء هذه المحاولات ودراستهــا ينكشف لنا أن مسيرة التاريخ تتجه نحو الكشف الروحى عن نبى قرب مبعثه ٠

دكتور / محمد ابراهيم الفيومى

و السنة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ،ومن سلك طريقه واتبع سنته الى يوم الدين ..

وبعد :

فالسنة عند المحدثين : أقوال النبى صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ، وتقريراته التى تتصل بمسائل الدين ، فكل ما ثبت عنه صلوات الله وسلامه عليه ، من قول ، أو فعل ، فهو سنة ، وكذلك من السنة أيضا ما يقوله غيره أمامه من الصحابة أو يفعله ، فلا ينكره عليه أو يبلغه فيسكت عنه ، لأنه عليه الصلاة والسلام : لا ينطق الا عن وحى معصوم ، ولا يقر الا الحق الثابت .

« وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى » .

« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » .

ويرى بعض العلماء : أن من السنة كذلك : أقوال الصحابة وأفعالهم : مستندين الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ».

ورتبة السنة بعد الكتاب فى الاعتبار ، والدليل على ذلك :

١ ــ أن الكتاب مقطوع به والسنة مظنونة ، والقطع فيها انما يصح فى الجملة لا فى التفصيل ، بخلاف الكتاب فانه مقطوع به فى الجملة والتفصيل ، والمقطوع به مقدم على المظنون ، فلزم من ذلك تقديم الكتاب على السنة .

٢ ــ وأن السنة اما بيان للكتاب أو زيادة على ذلك ، فان كان بيانا فهو ثان على الوجه المبين فى الاعتبار ، اذ يلزم من سقوط المبين سقوط البيان ، ولا يلزم « من سقوط البيان

منزلتها في الشريعة الإسلامية

للأستاذ موسى محمد علي

سقوط المبين » وما شأنه هذا فهو أولى في التقدم ، وان لم يكن بيانا فلا يعتبر الا بعد أن لايوجد في الكتاب ذلك دليل على تقدم اعتبار الكتاب ٠

٢ ـ ما دل على ذلك من الأخبار والآثار ، كحديث معاذ الذى أخرجه داود في سننه ولفظه : عن أناس من أهل حمص ، من أصحاب معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما أراد أن يبعث معاذا الى اليمن قال « كيف تقضى اذا عرض لك قضاء » قال : أقضى بكتاب الله ٠ قال : « فان لم تجد في كتاب الله » ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ قال : «فان لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في كتاب الله » ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو ٠ فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ، وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » ٠

وعن شريح أن عمر بن الخطاب كتب اليه : ان جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ٠ ولا يلفتك عنه الرجال ٠ فان جاءك ماليس في كتاب الله فانظرسنة رسول الله صلى اللهتعالى عليه وسلم ، فاقض بها ٠ فان جاءك ما ليس في كتاب الله ، ولم يكن فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به ٠ فان جاءك ما ليس في كتاب الله ، ولم يكن في سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولم يتكلم فيه أحد قبلك ، فاختر أى الأمرين شئت : ان شئت أن تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم وان شئت أن تتأخر فتأخر ٠ ولا أرى التأخر الا خيرا لك (١) ٠

وعن عبد الله بن مسعود قال : أتى علينا زمان لسنا نقضى ولسنا هنالك وأن الله قدر من الأمر أن قد بلغنا ما ترون ، فمن عرض له قضاء بعد اليوم فيقض فيه بما في كتاب الله عز وجل ، فان جاءه ما ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان جاءه ماليس في كتاب الله ، ولم يقض به رسول الله صلى الله تعالى

(١) أخرجه الدارمى في باب الفتيا .

السنة ومنزلتها في الشريعة الإسلامية

عليه وسلم ، فليقض بما قضى به الصالحون • ولا يقل أنى أخاف وأنى أرى ، فان الحرام بين والحلال بين ، وبين ذلك أمور مشتبهة • فدع مالا يريبك الى مالا يريبك (١)•

والسنة راجعة فى معناها الى الكتاب ، فهى تفصيل مجمله وبيان مشكله وبسط مختصرة ، وذلك لأنها بيان له ، وهو الذى دل عليه قوله تعالى :

« وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » •

فلا تجد فى السنة أمرا الا والقرآن قد دل على معناه دلالة اجمالية أو تفصيلية ، وأيضا فكل ما دل على أن القرآن هو كلية الشريعة وينبوع لها ، فهو دليل على ذلك ، ولأن الله قال : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » وفسرت عائشة ذلك بأن خلقه القرآن • واقتصرت فى خلقه على ذلك ، فدل على أن قوله وفعله واقراره راجع الى القرآن ، لأن الخلق محصور فى هذه الأشياء ، لأن الله تعالى جعل القرآن تبيانا لكل شىء • فيلزم من ذلك أن تكون السنة حاصلة فيه فى الجملة • لأن الأمر والنهى أول ما فى الكتاب • ومثله قوله :

« مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ » •

وقوله : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » •

فالسنة اذا ، فى حصول الأمر ، بيان لما فيه، وذلك معنى كونها راجعة اليه •

أما منزلتها فانها الاصل الثانى للدين، لأن القرآن الكريم — كما هو معروف — هو الأصل الأول ، والمصدر الالهى المعتمد ، أنزله الله سبحانه وتعالى شاملا لأصول الشريعة ، وجاءت السنة مفسرة له : تبين مجمله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتفصل أحكامه ، وتوضح مشكله •

روى الامام مسلم فى صحيحه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع:

« خذوا عنى مناسككم ، فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا » •

وروى الامام البخارى فى صحيحه قوله صلى الله عليه وسلم :

« صلوا كما رأيتمونى أصلى » •

وتفسير القرآن الكريم ، وبيان أغراضه ، حق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد أن نقرأ قوله تعالى **« من يطع الرسول فقد أطاع الله »** •

وقوله سبحانه : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا » •

وقوله تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا »•

وقوله سبحانه : « قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » •

ولولا السنة النبوية الشريفة ، لأشكل علينا كثير من الآيات القرآنية الكريمة ، ولتخبطنا دون الوصول لمعانيها ، كبيان : الصلاة مثلا ، وعدد ركعاتها ، ونصاب الزكاة ومقدارها ،

---

(١) نفس المرجع السابق .

والنصاب الذى يحد فيه السارق ، وغير ذلك من الأحكام التى وضحتها السنة بعد آن جاءت فى القرآن الكريم مجملة .

روى الحاكم فى المستدرك عن الحسن قال : **بينما عمران بن حصين يحدث عن سنة نبينا** صلى الله عليه وسلم اذ قال له رجل :

يا أبا جنيد حدثنا بالقرآن .

فقال له عمران :

أنت وأصحابك تقرءون القرآن ، أكنت محدثى عن الصلاة وما فيها وحدودها ؟ أكنت محدثى عن الزكاة فى الذهب ، والابل ، والبقر ، وأصناف المال ؟ ولكن قد شهدت رغبت أنت ، ثم قال :

فرض علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فى الزكاة كذا وكذا ؟

فقال الرجل : « **احييتنى أحياك الله** » .

قال الحسن : فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين .

ويقول الامام أحمد رضى الله عنه : « **ان السنة تفسير القرآن وتبيينه** » .

وقد تستقل السنة بأحكام التشريع مثل : تحليل ميتة البحر من السمك وتحريم أكل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير :

روى الحاكم فى المستدرك ، عن عبد الله ابن صالح ، وابن مهدى — كلاهما عن معاوية ابن صالح عن الحسن بن جابر أنه سمع المقدام ابن معد يكرب يقول :

« حرم النبى صلى الله عليه وسلم ، أشياء يوم خيبر ، منها الحمار الأهلى وغيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثى ، فيقول :

بينى وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراما حرمناه وان ما حرم رسول الله كما حرم الله » أ هـ .

لهذا كانت السنة حجة بنص القرآن فيما سقناه من آيات ، وفى قوله تعالى :

« فليحذر الذين يخالفون عن أمره ، أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب اليم » .

وكانت حجة كذلك بما رويناه من أحاديث صحيحة ، ولم يخالف فى ذلك الا من لاحظ له فى الاسلام كما يقول الشوكانى :

ولقد جاء فى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم للشيخ التيجانى رحمه الله تعالى :

« أولئك الذين يهملون السنة ، أو يشككون فيها ، ويدعون الى تركها ، حكموا على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهى واجبة الاتباع — بالاعدام ، بل حكموا بالاعدام على أنفسهم ، لأنهم فضحوا جهلهم بالعلم ، والتحقيق ، والامانة ، وقولهم دليل على جهلهم بالسنة ومكانتها ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم تزل قائمة ، فانهم لم يعرفوها ، وأراحوا أنفسهم من عناء الاشتغال بها » أ هـ

وقد نبهنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهمية سنته ، وخطورة شأنها ، وضرورة العناية بها ، فيما رواه الامام أبو داود عن المقدام بن معد يكرب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

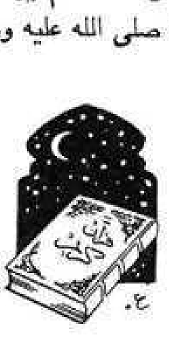

« ألا انني أوتيت القرآن ومثلـه معـه ، ألا يوشك رجل شبعان متكىء على أريكتـه يقول :

« عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه »

فواضح أن المقصود بقوله : « ومثله معه » الحديث الشريف .

وقد أظهر الرسول صلى الله عليه وسلم ، اعجابه بمعاذ بن جبل — مبعوثه الى اليمن — حينما سأله كيف تصنع ان عرض لك قضـاء ؟ قال : أقضي بما في كتاب الله .

قال : فان لم يكن في كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فان لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : اجتهد رأيي ولا آلو .

قال : فضرب رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم صدري ، ثم قال :

« الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ، لما يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

لهذا عنى المسلمون عناية بالغة بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، بما لا مزيد عليه فكانوا يتناوبون السماع وينول الواحد منهم لأخيـه وهو في الطريق لمجلس رسول الله صلى اللـه عليه وسلم :

(تعالى نؤمن ساعة) .

ويعبر سيدنا عمر رضى الله عنه عن اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بالسنة الشريفة فيقول :

« كنت أنا وجـار لي من الانصـار في بني أمية ، وكنا نتناوب النزول على رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، ينزل يوما وأنزل يوما ، فاذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الـوحى وغيره ، واذا نزل فعل مثل ذلك :

وشجعهم رضـوان اللـه عليهم على ذلك ما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه زيد بن ثابت :

« نضر الله امرءا سـمع منا حـديثا فبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى ما هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه » أ هـ .

والصـحابة كانوا يعتمـدون على الذاكرة القوية في حفظ السنة ، ولما أمن الرسـول صلى الله عليه وسلم اختلاط الحديث بالقرآن الكريم ، أذن للصحابة بكتابة السنة الشريفة .

ففي مسند الامام أحمد رضى اللـه عنه قال : حدثنا بن سعيد بسنده عن عبد الله بن عمرو قال :

« كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسـول الله صلى الله عليه وسلم » أريد حفظـه ، فنهتني قريش : فقالوا :

« انك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضـا ، فامسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« اكتب ، والذي نفسي بيده ، ما خرج منـي الا حق » .

فكتب الاحاديث التي سمعها في مجمـوعة سماها الصحيفة الصادقة .

وباتسـاع الفتـوح ، وتفرق الحفـاظ في

الأقطار ، شاعت رواية الحديث ، وازدادت العناية بالتدوين فى عهد عمر بن عبد العزيز ، الذى كتب الى أبى بكر بن حزم نائبه بالمدينة .

« انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاكتبه ، فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا تقبل الا أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم » .

ولتفشوا العلم ، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا .

وكتب مثل ذلك : الى مختلف البلدان .

واستمر الحال الى نهاية عصر بنى أمية ، كما حث أبو جعفر المنصور العلماء على جمع الحديث .

وأشار على الامام مالك بن أنس رضى الله عنه ، أن يؤلف كتاب « الموطأ » .

غير أن التدوين فى تلك الفترة ، وان كان مبوبا ، فقد ضمت الى الحديث فتاوى الصحابة منسوبة لأصحابها كما فعل مالك فى الموطأ ، ولكن فى نهاية القرن الثانى الهجرى عنى العلماء بتخليص الحديث من أقوال الصحابة ، فكان ما يعرف بالمسانيد ، ومن أشهرها مسند الامام أحمد بن حنبل ، رضى الله تعالى عنه .

أما فى القرن الثالث : فقد ظهر أعلام الحديث وأصحاب الصحاح ، حيث اختبروا الأحاديث ونقحوها .

واتبعوا فى ذلك منهجا علميا أقاموه على قواعد تمتاز بالدقة فاشترطوا : بأن يكون رواته ثقات حتى يصلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على أن يتوفر فى الراوى : الاسلام ، والبلوغ ، والضبط والعدالة .

وعنوا عناية فائقة بالكشف عن أحوال الرواة ، ووضعوهم تحت منظار : « الجرح والتعديل » حتى تطمئن الامة لتراثها ، فتأخذ صحيحه وتطرح ما ادعاه الزنادقة والمنافقون كذبا على صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه .

وعلى سبيل المثال نجد الامام البخارى رضى الله عنه ، يشترط اتصال الاسناد بأن يكون الراوى معاصرا لمن روى عنه ، والتقى به وأخذ عنه .

أما اذا لم تتوفر المعاصرة واللقاء ، فلا تقبل روايته ، على أن يكون الراوى مسلما صادقا ، غير مدلس ولا مختلط العقل ، متصفا بصفات العدالة ، ضابطا متحفظا ، سليم الذهن والاعتقاد قليل الوهم .

وأن يتخلص النص من ركاكة المعنى وضعفه وفساده ، ومخالفته للكتاب الكريم ، أو السنة المتواترة ، أو الاجماع القطعى ، ومخالفة الوقائع التاريخية المقطوع بصحتها ، ولا يكون الحديث صادرا من راو متعصب لمذهبه ، مغال فيه ، ولا يشتمل الحديث على افراط فى الثواب على عمل صغير ، أو مبالغا فى العذاب على ذنب حقير .

كما لا ينفرد بروايته راو واحد فى واقعة لو صح حدوثها لعرفها الناس ورواها كثيرون.

وهذا لا شك : دقة دقيقة مشكورة ، ومنهج واضح يستحق كل تقدير واجلال .

لهذا هدى المسلمون الى الحق فترات طويلة بسبب تفيئهم ظلال السنة النبوية ، فنعموا براحة وسعادة فى منقلب حياتهم .

وما زال المستمسكون بها يحيون حياة طيبة مباركة ، وينعمون باستقرار نفسى ووجدانى ومادى ، يحسدهم عليه الكثيرون .

أما الشاردون عن سنة رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، فتلفحهم الحياة بحرها القائظ وتبتلعهم متاهات البدع الحمقاء ، والخرافات الجوفاء ، والهوى المتبع ، والادعاءات الباطلة ، التي لا يسندها دليل ولا يدعمها فكر ناضج ، أو منطق سليم ، « فماذا بعد الحق الا الضلال ؟ » .

ذلك ان الاقتصار على الكتاب رأى قوم لاخلاق لهم ، خارجين عن السنة اذا عملوا على ما ينبني عليه من أن الكتاب فيه بيان كل شيء . فطرحوا أحكام السنة . فأداهم ذلك الى الانخلاع عن الجماعة ، وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله تعالى .

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فان أصحاب السنة أعلم بكتاب الله .

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ، ان مما أخشى عليكم زلة العالم وجدال المنافق بالقرآن .

وعن عمر رضى الله عنه : ثلاث يهدمن الدين : زلة العالم ، وجدال المنافق بالقرآن ، وأئمة مضلون .

وعن أبي قلابة قال : قال ابن مسعود رضى الله عنه :

عليكم بالعلم قبل أن يقبض ، وقبضه أن يذهب بأصحابه ، وعليكم بالعلم ، فان أحدكم لا يدرى متى يفتقر اليه ، أو يفتقر الى ما عنده ، انكم ستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعونكم الى كتاب الله تعالى ، وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم ، واياكم والتبدع ، واياكم والتنطع ، واياكم والتعمق ، وعليكم بالعتيق .

وعن عمر رضى الله عنه : انما أخاف عليكم رجلين : رجل يتأول القرآن على غير تأويله ورجل ينافس الملك على أخيه » أ هـ .

ولم يكن هذا فحسب ، بل وهناك آثار في هذا المعنى حملها العلماء على تأويل القرآن بالرأى مع طرح السنة ، وعليه حمل كثير من العلماء قول النبى صلى الله عليه وسلم :

ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا .

والكثير من أهل البدع هكذا فعلوا . طرحوا الأحاديث وتأولوا بكتاب الله على غير تأويله ، فضلوا وأضلوا .

وبعد : فان الصراعات التي نمت في المجتمع الاسلامي ، والفرق التي شوهت بأفكارها سماحة الحق ، تعود بأسبابها الى الانحراف عن السنة النبوية ، والسير وراء الأفكار المستوردة والفلسفات العقيمة ، وما نلاقيه اليوم من قلق واضطراب وما يعانيه عصرنا من متاعب ومشاكل ، مرده الى البون الشاسع بين واقعنا وهدى رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

والخروج من ذلك كله لن يكون الا بالعودة الى كتاب الله الكريم الذي لن يضل من بعده من اتبعه والى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم المشبعة المتعة :

« تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتى » .

وبالله التوفيق ..

موسى محمد على

أعلام الإسلام

- من أئمة الحديث النبوى الامام إبن ماجة

- شخصية في سطور

من أئمة الحديث النبوى

الإمام

* الامام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه الربعى القزوينى .

* ولد سنة تسع ومائتين من الهجرة .

* وكشأن أئمة الحديث فى ذلك العصر توجه بهمته الى مجالس العلم ، وأقبل على حلقاته ، يحصل ما يجد أمامه ، ويلتهم كل ما يقدمه العلماء ، حتى اذا ما أنس فى نفسه قوة على الرحيل هاجر فى سبيل العلم الى كثير من الاقطار ، وعديد من البلاد ، فارتحل الى العراق والحجاز والشام ومصر ، والكوفة والبصرة ، وغيرها من الامصار والاقطار وتعرف على مدارس الحديث المختلفة ، واستفاد من كل المناهج والنماذج حتى صار من أئمة الحديث المعدودين .

وقد أتاحت له هذه الهمة العالية والعزيمة السامية أن يلتقى بعدد من الشيوخ فى كل قطر وفى كل بلد رحل اليه ، فسمع من شيوخ البلاد كأبى بكر بن أبى شيبة ، ومحمد ابن عبد الله بن نمير ، وجبارة بن المغلس ، وهشام بن عمار ، ومحمد بن رمح ، وداود ابن رشيد وعلقمة بن عمرو الدارمى ، وأزهر ابن مروان ، ومحمد بن بشار وعمرو بن عثمان ابن سعيد وغيرهم من كبار الائمة والعلماء ..

وصح فيه قول أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلى القزوينى :

* ابن ماجه ثقة كبير متفق عليه محتج به له معرفة وحفظ ..

ثم قال : كان عالما بهذا الشأن صاحب تصانيف منها التاريخ والسنن وارتحل الى العراقين والشام ومصر ، وصفه الامام الذهبى بأنه : الحافظ الكبير ، المفسر صاحب السنن والتفسير ، ومحدث تلك الديار ومدحه الحافظ ابن كثير .

وقد ذكرنا مؤلفاته فى ثنايا التقديم لشخصيته وهى :

١ ــ كتاب السنن (المتداول الآن) .

للدكتور الحسيني هاشم

ابن ماجة

٢ ــ تفسير حافل للقرآن الكريم كما قال ابن كثير .

٣ ــ تاريخ ممتاز أرخ فيه من عصر الصحابة الى عصره ، ولم يبق من هذه الاثار القيمة الا كتاب السنن .

ولم يقتصر النشاط العلمي لابن ماجه على التأليف ، بل تعداه الى التدريس والتعليم ، فدرس وأسمع وربى وهذب .

ومن أشهر من روى عنه ابن سيبويه ومحمد ابن عيسى الصغار واسحق بن محمد ، وعلى ابن ابراهيم بن سلمه القطان ، وأحمد ابن ابراهيم ، وسليمان بن يزيد القزويني ، وأحمد بن روح البغدادي ، وغيرهم من مشاهير الرواة .

وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل ، اختاره الله الى جواره في يوم الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وصلى عليه أخوه أبو بكر وتولى دفنه مع أخيه الاخر أبو عبد الله وابنه عبدالله ابن محمد بن يزيد ، رحمه الله على ما بذل في سبيل البحث والتعليم .

سنن ابن ماجه :

من الكتب المشهورة والهامة في مجال الحديث النبوى ، هذا الكتاب القيم (سنن بن ماجه) وقد عده الحافظ أبو الفضل بن طاهر المقدس المتوفى سنة ٥٠٧ هجرية من الكتب الستة التى هى أصول كتب الحديث . وقبل ابن طاهر هذا كان المتقدمون من المحدثين يعدون عدد أصول كتب الحديث خمسة فقط ، الصحيحين وسنن النسائى ، وسنن أبى داود ، وجامع الترمذى؛ ووافقهم على ذلك كثير من محققى المتأخرين . والسبب في عدم اختيارهم سنن ابن ماجه ؛ أنه قد تفرد فيه باخراج أحاديث عن رجال

ابن ماجة

متهمين بالكذب وسرقة الاحاديث ، وبعض تلك الاحاديث لا تعرف الا من جهتهم .

أما سبب اختيار ابن طاهر ومن وافقه ، وعده من الكتب الاصول فى الحديث لما فيه من عظيم النفع وجمال الترتيب وسعة الجمع ، وحسن الانتقاء .

تقييم السنن :

لم يخلص سنن ابن ماجه ـ كغيره من السنن ـ للصحيح أو المقبول . لقد اشتمل على الصحيح والحسن والضعيف بل والمنكر والموضوع على قلته .. وهى أقل درجة من كتب السنن الاخرى لكثرة الضعف فيها ، حتى قال المزى :

« ان كل ما انفرد به ابن ماجه عن الخمسة ضعيف » .

ولكن الحافظ بن حجر تعقب هذا القول وقال : « انه » ـ أى ابن ماجه ـ انفرد بأحاديث كثيرة وهى صحيحة فالاولى حمل الضعيف على الرجال » اهـ . ولا يلزم من ضعف رجال السند أن يكون المتن (لفظ الحديث) ضعيفا لاحتمال ثبوته من طريق أخرى بسند صحيح ، ورجال ثقات .

وقال الذهبى : سنن ابن ماجه كتاب حسن لولا ما كره من ذكر أحاديث واهية ، ليست بالكثيرة . وقال فى موضع آخر :

« وانما غض من رتبة سننه ـ أى ابن‌ماجة ـ مافى الكتاب من المناكير ، وقليل من الموضوعات » .

وقد انتقد بن الجوزى بعض أحاديث فى سنن ابن ماجه ، وعدها من الموضوعات ، وعدتها كما ذكر السيوطى فى تعقيباته ثلاثون حديثا .. وقد نازع السيوطى فى التعقيبات فى هذا الحكم ، والحق أن ابن الجوزى ينبغى أن يسلم له الحكم على أكثر هذه الاحاديث بالوضع (ولعلها هى التى انتقدها أبو زرعة) وبعض الاحاديث التى انتقدها مما أجمع الحفاظ على وضعها غلطا مثل حديث « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » قال الحاكم :

دخل ثابت بن موسى على شريك بن عبد الله القاضى ، والمستملى بين يديه ، وشريك يقول : حدثنا الاعمش عن أبى سفيان عن جابر قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ـ ولم يذكر المتن ـ فلما نظر شريك الى ثابت ابن موسى قال : من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » وأراد مدح ثابت بذلك لورعه وزهده .. وظن ثابت أن هذا مما يرويه شريك بهذا الاسناد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكان يحدث به عن شريك بهذا الاسناد .. ولقد سرقه منه جماعة ضعفاء وحدثوا به عنه .

وقد روى بن ماجه هذا الحديث فى سننه عن اسماعيل بن محمد الطلحى عن ثابت بن موسى الزاهد عن شريك عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر مرفوعا . فالوضع ليس متعمدا .. ولكنه نتيجة سوء فهم أو ضعف تقدير ، ومع ذلك فقد استطاع خبراء الحديث استخراج الوضع ، ومعرفة سببه ، مما يدل على مدى دقتهم وجسمهم فى الحكم على الحديث .

وقد اشتملت سنن ابن ماجه على أحاديث عالية (قليلة الرجال) حتى صار بين ابن ماجة وبين النبى « صلى الله عليه وسلم » فيها ثلاثة رجال ، وهى ما تعرف بالثلاثيات ، قال الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، وقد وفقه الله لطبع سنن ابن ماجه طبعا متقنا وعدها عدا حاسما وتخريجها تخريجا مناسبا مختصرا « جملة أحاديثها ٤٣٤١ واحد وأربعون وثلثمائة وأربعة آلاف حديث منها ٣٠٠٢ اثنان وثلاثة آلاف حديث أخرجها أصحاب الكتب الخمسة أو بعضهم وباقيها ١٣٣٩ تسعة وثلاثون وثلثمائة وألف ، هى زوائد ابن ماجه انفرد بها عنهم (وقد سبق أن ذلك من أسباب اختياره للمرتبة السادسة) وهذه الزوائد منها ٤٢٨ ثمانية وعشرون وأربعمائة حديث ، رجالها ثقات وهى صحيحة الاسناد .

١٩٩ تسعة وتسعون ومائة حديث حسنة الاسناد .

٦١٣ ثلاثة عشر وستمائة حديث ضعيفة الاسناد .

٩٩ تسعة وتسعون حديثا واهية الاسناد.

وعدد كتب السنن سبعة وثلاثون كتابا عدا المقدمة ، وعدد أبوابه خمسة عشر وخمسمائة وألف باب .

ومن هذا يتبين لنا أن سنن ابن ماجه كتاب قيم جدير بما حكم له ابن طاهر ، وأن نسبة الضعف أو السقوط فيه قليلة وأنه من دواوين السنة القيمة .

دكتور الحسينى هاشم
الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية

شخصية في سطور

* ولد محمد بن جرير الطبرى فى طبرستان سنة ٢٢٤ هـ .

* يعد بن جرير الطبرى من اشهر المؤرخين العرب الذين كتبوا تاريخ العرب منذ العصور الأولى حتى تاريخ وفاته فى القـــرن الرابع الهجرى .

*** يعد من أئمة المفسرين لآيات القــرآن الكريم وأصحاب التفاسير المشهورة فى عالــم التفســير واخذ عنه كثــير من المفسرين واستشهدوا بآرائه .**

* كان بن جرير اماما فى فنون كثيرة منها. التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك وله مصنفات كثيرة تدل على سعة علمه وغزارة فضــله .

*** عكف الطبرى منذ نعومة أظفاره عــلى تلقى العلم من العلماء والفقهاء وهو فى ســن صغير .. وقد تحدث الطبرى عن حداثته فقال « حفظت القرآن ولى ســـبع سنين وصليت بالناس وأنا ابن ثمانى سنين وكتبت الحـــديث وأنا ابن تسع سنين » .**

* رحـــل الطبرى الى شتى الأقطـــار والأمصـــار . فرحل الى مدينـــة (الرى) وما جاورها من بلدان واخذ عن فقهائها ودرس فقه العراق على يد أبى مقاتل .

*** رحل الى بغداد وفى نيته التلمذة عــلى يد الامام أحمد بن حنبل وفى الطريق وصــله نبأ وفاة ابن حنبل فاتجه الى البصرة وأخــذ عن علمائها .**

*** رحل الى الكوفة وأخذ عن علمائها .**

*** ذهب الى بيروت حيث اتصــل بالعباس ابن الوليد المقرىء .**

* ذهب الى الفســطاط حيث التقى بأبى الحسن السراج المصرى وكان اديبا متصرفا فى فنون الكلام .

سعيد عبد الحي

الطبري

* ذكر ابن عساكر عنه « لما تقلد الخاقانى الوزارة وجه الى الطبرى مال كثير فامتنع عن قبوله ، وعرض عليه المظالم فامتنع عن قبولها .. فعاتبه اصحابه وقالوا له : لك فى هذا ثواب وتحيى سنة قد درست »« فانتهرهم وقال لهم : لقد كنت اظن لو رغبت فى ذلك لنهيتمونى عنه » .

* ذكر عنه ياقوت فى معجمه « كان الطبرى كالقارىء الذى لايعرف الا القرآن .. وكالمحدث الذى لا يعرف الا الحديث .. وكالفقيه الذى لا يعرف الا الفقه وكالنحوى الذى لا يعرف الا النحو .. وكالحاسب الذى لا يعرف الا الحساب .. وكان عالما بالعبادات جامعا للعلوم .. واذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلا على غيرها .

* قال عنه أبى حامد الاسفراييني الفقيه : « لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا .

* وقد قال الطبرى : « انى لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته » .

* من أهم ما ألفه الطبرى . كتاب جامع البيان فى التفسير ، كتاب تاريخ الرسل والملوك وكتاب تهذيب الآثار وكثير غيرها فى شتى العلوم انتقل الى ربه سنة ٣١٠ هـ رحمه الله ونفعنا بعلمه .

طرائف

حسن الصحبة

الصحبة مع اللـــه بحسن الأدب ، ودوام الهيبة والمراقبة •
والصحبة مع أولياء الله : بالاحترام والخدمة •
والصحبة مع الأهل : بحسن الخلق •
والصحبة مع الاخوان : بدوام الفرح والسرور •
والصحبة مع الجهال : بالدعـــاء لهم ، والرحمة عليهم •

نعمة العقل

سئل حكيم عن أولى الناس بالسعادة؟
فقال : أنقصهم ذنوبا •
فقيل له : ومن أنقصهم ذنوبا ؟
قال : أتمهم عقلا •

كيف يدخل أهل الجنة الجنة

يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضـــا جعدا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين سنة ، هـــم على خلق آدم طولهم ستون فى عرض سـبعة أذرع •

كن على حذر

من الكريم اذا أهنته ، ومن الاحمق اذا مازحته ومن العاقل اذا أغضـبته ، ومن الفاجر اذا عاشرته •

من ضياع العقل

من استعظم فى الدنيا شـيئا فبطر ، واستصغر من الدنيا شـيئا فتهـاون ، واحتقر من الاثم شيئا فاجزأ عليه واغتر بعدو وان قل فلم يحذره •

حقاً

كل شىء فى الوجود خـلق من أجلك ، وأنت وحدك خلقت للـــه ، ومن الضلالة أن تشغل بما خلق من أجلك عمن خلقت من أجله •

مواقف

للأستاذ

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

فقه أهل البيت

أصيب المتوكل بمرض ، فنذر ان شفاه الله أن يتصدق بمال كثير ، فلما برىء سأل العلماء عن مقدار ما يتصدق به فاختلفوا فى ذلك .

فقال محمد الباقر : ان نويت الدينار فتصدق بثمانين الفا أو الدرهم فكذلك . فسئل عن الدليل — فقال : قوله تعالى : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة » .

فعدوا وقائع الرسول ، فوجدوها ثمانين .

فلنعرف ذلك

لكل شىء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان
هى الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لاتبقى على أحد
ولايدوم على حال لها شان

« أصدق ما قاله شاعر »

أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

وقد أخذ المعنى من قول الله — تعالى- « كل شىء هالك الا وجهه » .

نصيحة

اذا نزل بك خطب مهم ، فانظر فان كان فيه حيلة فلا تعجز . وان لم تكن فيه حيلة فلا تجزع .

حق الزوجة

أن تطعمها اذا طعمت، وتكسوها اذا اكتسيت . ولاتضرب الوجه ، ولاتقبح ولا تهجر الا فى البيت .

من الجواد ؟

سئل حكيم عن الجواد ؟

فقال : من جاد بماله ، وصان نفسه عن مال غيره .

دعاء

اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها أمرى ، وتلم بها شعثى ، وتصلح بها غائبى .... وترد بها الفتن عنى ، وتعصمنى بها من كل سوء .

أين الطريق

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ماذا اقول وقد أتت ذكراكَ ... حطمت حُبك ام وادت هداكَ ؟
ماذا اضىء وليس حولى ومضةٌ ... اسمو بِهَذْى رجائها لعلاكَ
اردد النبض القديم وفى دمى ... بكر الرؤى نضجت بنار هواكَ
لكن بركان الهوى فى خاطرى ... مازال لا يدرى متى يلقاكَ
اين الطريق اليك فى زمن تنا ... فس كل ما فيه لمحو خطاكَ
لكنها فى الأرض أصل ثابت ... وفروعها تتبوأ الأفلاكَا
خطرت على السيف المثتع محبة ... للعالمين وقوضت أعداكا
فاذا الحياة كما اردت حديقة ... وثمارها غرس سقته يداكا
وإذا العقول كما بنيت منارة ... واذا النفوس كما هويت فداكا
تمضى القرون وانت محمد ... تهب الوجود المر فيض شذاكا
صنعوا من الصخر الأصم وجودهم ... ففدوا دمًى لا تستطيع حراكا
ورفضت حتى ان نرى لك صورة ... فبقيت والقرآن سر بقاكا
ما الخلد ان تبقى امام عيوننا ... لكنه ان لا نحب سواكا
ومن المحبة ان تظل قلوبنا ... برضاك مثمرة وعطر نداكا

***

يا واهب الأكوان خير رسالة ... إنا نعيش على صدىٍ نجواكا
السارقون النور من ارواحنا ... ظنوا التقدم مدفعًا فتاكا
هبوا جياعًا والعقيدة صيدهم ... هل ينصر الديان من عاداكا ؟
قد تمهل الأقدار غرًّا حاقدًا ... لكنها لا تنصر الإشراكا
إنا نسير على السيوف إليك فى ... عصر يحرق من يروم هداكا
نار الخليل تحوض افيائها ... فى كل يوم والنجاة لقاكا
«وانا النبى لا كذب ، وانا ابن عبد المطلب» تتحديان عداكا

اليك

شعر د. صابر عبد الدايم يونس

تتحديان المغمضين قلوبهم ... والرافضين سبيل من قواكا
تتكاثران مع الزمان فكلنا ... حرب على من يستبيح حماكا

هى صيحة لك فى حنين حطمت ... جيش الغرور وخلدت دعواكا
كانت بسيف ابن الوليد مضاءه ... والنصر ظل محارب يهواكا
وعلى الأسنة كان نور لهيبها ... حممًا تشل طريق من آذاكا
وتنقلت عبر القرون صواعقا ... سحقت حصون البغى وهى صداكا

يا أيها المُسْرى به للمسجد الأقصى أضاع خلافنا مسراكا
كنت الإمام لكل صاحب دعوة ... واليوم واقعنا يضلُّ رؤاكا
خارت عزائمنا وغاض يقيننا ... وتشبعت أيامنا بسواكا
حتى فقدنا طعم كل حقيقة ... فمن اليسير اليوم أن ننساكا
ولقد نُسينا والهوان سعى بنا ... للذكريات وما اقتفينا خطاكا
حتى غدونا للذئاب فريسةً ... والغاب شرعة كل من عاداكا
انظل فى قلب الجليد بلا هدًى ... يحيى موات قلوبنا لتراكا
فالحلم يسخر من تبلد روحنا ... والأمنيات أسيرة لرضاكا
فمتى رضاؤك عن بقايا أمة ... لم تستطع أن تستعيد ثراكا
غابت وراء الشمس وهى حسيرة ... لم تستمع فى بأسها لِنداكا
انا النبى لا كذب • انا ابن عبد المطلب : سبحان من قواكا
اين الطريق اليك فى زمن تنا ... فس كل ما فيه لمحو خطاكا
لكنها فى الأرض أصل ثابت ... وفروعها تتبوأ الأفلاكا

في ظلال العروبة والإسلام

تغنت بها الأكوان فى كل بقعة ... وأحنت لها الهامات كل البرية
أجل انها فجر الحياة لعالم ... أطل على ليل عميق الدجنة
هى البعث هدارا هى الشعلة التى ... أضاءت بأنوار الهدى والنبوة
أموت وأحيا فى سبيل بقائها ... وأملا سمع الكون عاشت عروبتى

***

عروبتى الشماء للمجد قمة ... وروح لأجساد من الروح جدبة
وغصن من الزيتون فى السلم ناضر ... وكل جحيم النار يوم البلية
وعنها روى التاريخ كل عظيمة ... من المجد من عزم فتى البطولة
ومنها صاح الكون قد شع نوره ... فأفعم بالأنوار كل البسيطة
وفجر فى الصحراء أعظم أمة ... فدكت عنى القيد فى كل قبضة
وهب بنوها من عميق سباتهم ... عمالقة التاريخ فى كل بقعة
ولم تك الا أمة الحق قادها ... نبى بنى فى الكون أعظم أمة
نبى من الصحراء يحكم عالما ... بحكم من الرحمن لا حكم شهوة
تساوى لديه السود والبيض لم تكن ... فوارق تدعى فى بلال وحمزة

شعر : أبوزيد ابراهيم سيد

فهذا بلال وهو عبد مجاهد ... يقول لغير الله لم أحن جبهتى
أنا المسلم الوثاب ملء جوانحى ... من الله خوف فى منامى ويقظتى
وهذا رسول الله حى بمهجتى ... ومن نوره أفعمت قلبى ومقلتى
ومن قوة الاسلام كانت سيادتى ... ومن عزة الله المهيمن عزتى

***

وهذا يهودى يقول بغلظة ... بعهد به الاسلام صلب الشكيمة
« محمد » لن يعطى طعاما بآجل ... فان رام أخذا فليجىء برهينة
فيعطيه خير الخلق ما كان عنده ... هو الدرع لا مال ببيت النبوة
وقد كان مال الكون طوع بنانه ... وتحت يد المختار أموال أمة
ولكنه الايمان والعفة التى ... بها ساد هذا الدين كل البرية

***

فقد أنجب « الفاروق » عدلا وعفة ... وعنه روى التاريخ أمجد سيرة
يهز ملوك الفرس والروم بأسه ... وان نام فوق الرمل لا فوق بردة
وكم صنع الايمان أمثال « خالد » ... وأمثال « عمار » « وزيد الدثنة »
« وسعد بن وقاص » « وهارون » جالس ... على عرشه يزهو بفتح ودولة
وأبصر فى أفق « العراق » غمامة ... فقال لها والكون يصغى لقوله

فى ظلال العروبة والإسلام

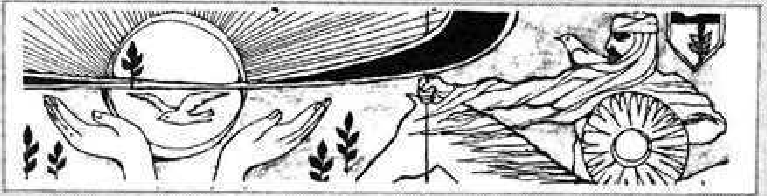

ألا أمطرى فى أى قطر أردته ... خراجك آتينى على أى وجهة

« وطارق » فى الأسبان تزحف جنده ... وتفتح فيها قلعة اثر قلعة

ويزرع أرض الغرب دين « محمد » ... فتورق بالأبطال من كل قمة

وقد كان عرش العرب فى الكون عاليا ... وعرش بنى « التاميز » طى الدجنة

***

وما عرف الاسلام يوما تعصبا ... وما كان فى الاسلام من عنصرية

فعدل وانصاف وجم تسامح ... فكم مسجد يبنى بجنب كنيسة

***

أجل انه الاسلام تحت ظلاله ... تفجر فجر السلم فى كل بقعة

وعانقت الأكوان فى ظل حكمه ... أمانا فلا جور على أى ملة

أما قيل لابن العاص والكون شاهد ... عن الرأس فلتكشف لتصلى بضربة

فيعلنها القبطى « عمرو » مبرأ ... وانى ضربت بن الكرام بدرة

ويكتب تاريخ وتروى عوالم ... عدالة اسلام ومجد شريعة

هم الناس لا استعباد يوما وكلهم ... الى هذه الدنيا أتوا دون فرقة

***

أجل يا رجال السلم والسلم فى الورى ... أمان وأحلام نأت عن حقيقه

فكم من نفوس بالحروب ولوعة ... تفنى على سبيل الدماء بنشوه

وتصنع من حمر الجماجم أكؤسا ... ومن أعين الأطفال خير تميمة

وفى كل يوم للدمار عجائب ... بتطوير صاروخ وتفجير ذرة

وانفاق أموال لازهاق أنفس ... وموتى من الجوع المرير الشكيمة

أذلك مفهوم السلام وروحه ... فناء واذلال الشعوب الوديعة

ولو أنهم لله ردوا نفوسهم ... وجاء المنهاج الالة بعزمه

لكان السلام الحق تحت ظلاله ... تجمعت الأكوان فى خير وحده

أبو زيد ابراهيم سيد
موجه اللغة العربية بادارة
أسيوط التعليمية

رسالة الأزهر

صلاح عبده الحناوى

بالأزهر المعمور تيهوا وافخروا
فسناه كالشمس المضيئة يظهر
صان الشريعة والبيان لأمة
خطبت مآثرها الحسان الأدهر
ومشى بعون الله حرا ثائرا
والحر بالأحداث لا يتأثر
قد كان فجرا للجهاد ومشرقا
لما أتاه الفاتحون وعسكروا
أشياخه كانوا ليوثا فى الحمى
خاضوا غمار الحرب لم يتقهقروا
وغدوا دعاة فضائل وقلوبهم
أصفى من الماء النمير وأطهر
قد ناصروا الحق المبين أعزة
والناصر الحق المبين سينصر

***

الأزهر العملاق مد ظلاله
فينا وها هو للرسالة ينشر
هو زينة الدنيا وقرة عصرنا
والنعمة الكبرى لمن يتبصر

حجت إليه من المشارق فتية
تبغى ورود العلم إذ هو أجدر
فهدوا به والنور ملء قلوبهم
والعلم من أفواههم يتفجر
نشروه بين العالمين فأحسنوا
والظلم من وثباتهم يتعثر
للأزهر المعمور نور ساطع
ومحبة وكرامة لا تنكر
وله على مر العصور مكانة
شماء لا تمحى ولا تتغير
مهما تطورت الحياة فرأيه
فلق يشق به العلاء ويزهر
مازال فيه لكل صاد مورد
صاف ومنه لكل علم مصدر
ولقد خطى نحو الأمام وخطوه
أضحى على مهج الزمان يسطر
عاشت بلادى فى حماه عزيزة
يعلو سماها بالمفاخر أنور

صلاح عبده الحناوى
وكيل معهد شربين الثانوى

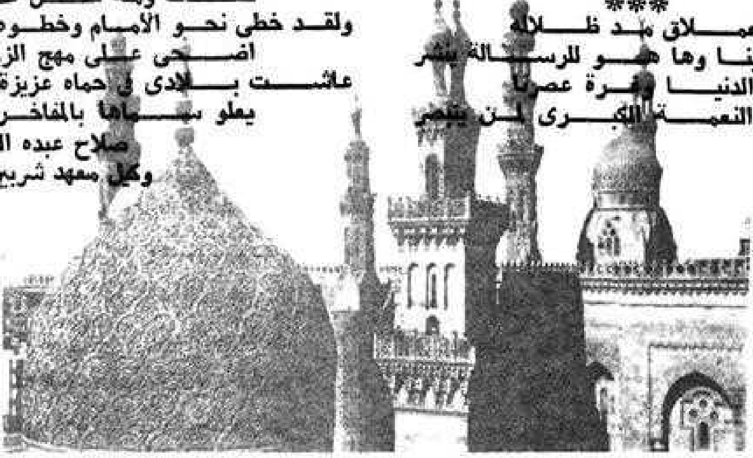

كتاب الشهر

دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين

الكتاب الذى نقوم بعرضه فى هذا العدد يعتبر مناقشة موضوعية للمستشرق « جولد تسيهر » فى كتابه « العقيدة والشريعة » الذى نقله الى العربية أساتذة لهم أقدارهم بين صفوف علماء الدين .

والذى استطاع المستشرق المجرى أن يستفرغ بين دفتيه كل مافى أحشائه من ضغائن وأحقاد ضد الاسلام .

وقد تولى مناقشة هذا المستشرق كاتب مسلم تمتزج غيرته على الاسلام بكل احساساته وومضات فكره وخلجات نفسه ويرتفع فهمه للاسلام فوق مستوى أفهام الذين لم يتزحزحوا عن الدراسات التقليدية العتيقة أو الدراسات السطحية الضحلة .

والشيخ محمد الغزالى معدود فى الطليعة المؤمنة بين من شهروا أقلامهم الحرة للذود عن الاسلام وقيمه فى تعمق ووعى وجراة ودأب وعن ايمان واخلاص . ومؤلفاته التى قاربت الثلاثين تعتبر سجلا للدراسات الاسلامية تحتل مكان الصدارة فى المكتبة الاسلامية والكتاب الذى بين أيدينا يعتبر أهم كتب الشيخ الغزالى

ولقد نال هذا المستشرق المجرى المتجنى على الاسلام مايستحق من قلم الأستاذ محمد الغزالى جزاء وفاقا .

منهج المؤلف فى تاليف كتابه : ــ

قسم الشيخ محمد الغزالى كتابه الى ثمانية أجزاء فند خلالها المزاعم التى أوردها المستشرق المجرى جولدتسيهر فى كتابه العقيدة والشريعة .. وناقشه مناقشة علمية ويقول فضيلة الشيخ عن منهجه الذى اتبعه فى تأليف كتابه ردا على جولد تسيهر .

عندما تناولت كتاب العقيدة والشريعة .. لجولد تسيهر منيت النفس بمطالعة بحث جيد فان المؤلف مستشرق لامع الاسم واسع الاطلاع ــ كما بلغنا ــ والمترجمون نفر من الأساتذة النابهين .

ويستطرد المؤلف قائلا :

اقصى ما رجوت أن أقرأ بحثا كثير الصواب قليل الخطأ ، خفى الدس أو ماكره .

عـرض وتقـديم

حمـدى الليـثى

عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين

ويقول فضيلة الشيخ : ـ

لكنى ماكدت أنتهى من الصحائف الأولى حتى ساورتنى الشكوك فلما مضيت فى متابعة المؤلف استولت على الدهشة وأوغلت فى القراءة وقد تكشف لى الأمر .

ويستطرد المؤلف قائلا .

« جولد تسيهر » منذ شرع بخط السطور الأولى فى كتابه لم يكن يملك ذرة من روح العالم المنصف . كان يخطىء فى النقد والفهم والحكم . وليعذرنى القارىء اذا قلت اننى غالبت مرارا شعور الاحتقار لهذا الرجل فعجزت لطول ما رأيت من اغراقه فى الحيرة والشرود ولطول ما يئست أن يتجرد للحق فى فصل من فصول كتابه ويقول فضيلة الشيخ لقد حرصت فى الرد على هذا المستشرق أن استوفى

تأليف الشيخ محمد الغزالى

الحقائق العلمية التى توضح ما عماه أو غاب عنه .

عرض لمحتويات الكتاب

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا هو الجزء الأول من الكتاب الذى بين أيدينا وقد نفذت الطبعة الأولى والثانية من هذا الكتاب وهذه هى الطبعة الثالثة .

كتاب الشهر

والكتاب يشتمل على ٣٥١ صفحة بدأ بكلمة للناشر ومقدمتين وضعها المؤلف .

وقد رد المؤلف ردا علميا مقنعا على جميع الشبهات التى أوردها جولد تسيهر فى كتابه « العقيدة والشريعة » والذى اشتمل على ٤٠٠ صفحة وفى هذا الجزء تمكن المؤلف بالحجج العلمية دحض جميع محاولات جولد تسيهر للمز شخصية رسول الله والوحى .

والمؤلف يذكر ، رأى المستشرق ثم يقوم بالرد عليها .

ويقول جولد تسيهر عن محمد « ص » صفحة ٢ من «كتابه العقيدةوالشريعة» فتبشير النبى العربى ليس الا مزيجا منتخبا منمعارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التى تأثر بها تأثرا عميقا ، والتى رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية على أوسع نطاق فى ميدان الاعتقاد والتشريع .

وبهوى هذا الافتراء أمام قلم المؤلف :

فيقول ردا على هذه الاكذوبة :

هذا كلام باطل ، فان محمدا ــ بلغة عصرنا ــ قبض على الفكر اليهودى والنصرانى ، وقدمه الى الضمير العالمى متهما بالتزوير على أوسع نطاق فى ميدان الاعتقاد والتشريع .

ولم يكن هذا الاتهام مبهما ولا مجملا ، بل واضحا مفصلا . ذكر فى أعقاب دعوة مسهبة حارة لتوحيد الله ، واصلاح العمل ، وترقية السلوك الفردى والجماعى . دعوة لا نظير لها فى الكتب الموجودة بأيدى من ينتسبون لموسى أو لعيسى . ويتساءل الشيخ فكيف بعد المصوب المرشد ناقلا عن المخطئين الشاردين ؟

ويقول المؤلف . والمستشرق الذكى لما لمس حرارة الاخلاص ، وقوة الصدق ، ونبل الغاية فى سيرة محمد ، أراد أن يوفق بين وفرة هذه الخلال وبين ما نسبه اليه من اختلاق الرسالة واستقاء أفكارها من الناس فقال :

لقد تأثر بهذه الأفكار تأثرا وصل الى أعماق نفسه وأدركها بايحاء قوته التأثيرات الخارجية . فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيا الهيا فأصبح ــ باخلاص ــ على يقين بأنه أداة لهذا الوحى .

أى أنه تخيل فخال . وتصور أن المعانى التى تجىء فؤاده لامنبع لها الا الوحى فاعتقد ــ مخدوعا أنه رسول وأنه مصطفى من السماء .

والحقيقة أنه لا وحى ولارسالة ، هكذا يحدثنا المستشرق المجرى « جولد تسيهر » .

ويتساءل الشيخ الغزالى :

هل هذا المستشرق ينكر الوحى جملة ؟

ويقول فضيلة الشيخ :

ان كان الأمر كذلك فلا نبوات البتة .

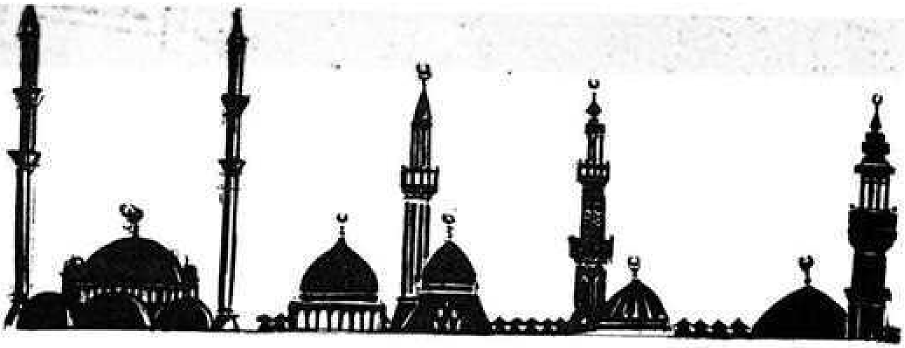

وسقطت ديانته قبل أن تسـقط الديانة التى يهاجمها وارتفعت الثقة بكل انسان زعم يوما أن ملكا جاءه ، وان وحيا نزل عليه ، فكلهم كذبة وان كان يؤمن بالوحى ويصدق انبياء اليهودية أو النصرانية وحدهم قلنا لهم : ما سر هذه التفرقة ؟

أهو تعصب لما ورثت عن آبائك وقومك ؟

لك ذلك ، ولكن لا تسـم هذا المسلك علما نزيها ولا بحثا محايدا .

وان كان اتهام نبى بالكذب ، ووصف آخر بالصدق نتيجة تقليب الدلائل الاثبات وتمحيص لحقيقتها ، فهذا مجالنا الذى لا يغلبنا فيه أحد فهات ما عندك .

ويقول الشيخ الغزالى

ان محمدا ترك بين أيدينا مايشهد بنبوته ، فما الذى تركه غيره ؟ أعنى أن جمهور الأنبياء مات من دهر بعيد ، وقد وصلت الينا أسماؤهم ومواريثهم الروحية والفكرية فقط وأنا والمسيو « جولد تسـيهر » وغيرنا من الناس لا يعرف قيم هؤلاء الرجال الا من خلال النظر الفاحص لكتبهم وتعاليمهم .

وانى لأقولها صريحة لا تتحمل لبسـا ولا التـواء اننى آمنت بمحمد بعد ثقة من أن تعاليمه طابقت ثمرات العقل الحر .

واننى لم أومن بعيش وطهارة نسبه وعفافه الا لأن محمدا الذى استيقنت من صـدقه هو الذى أكد لى ذلك .

ويستطرد الشيخ الغزالى قائلا :

ولولا احترامى للاسـلام احتراما نابعا من جهد عقلى محض لما قبلت الى قيام السـاعة أن أستمع لقصـة عيسى بن مريم على النحو الذى جاءت به .

ثم أن لمحمدا كتابا ، أرى أنه من عند الله ، ويرى المستشرقون أنـه من عند نفسـه . فلماذا لموسى وعيسى ؟

ونختم هذا العرض بهذه الكلمات التى بدأ المؤلف بها كتابه .

المستشرق المجرى الف كتابه عن الاسلام اسهاما منه فى النشاط الأمريكى لخدمة المسيحية واجابة لرغبة احدى اللجان العاملة فى هـذا الميدان ــ والامريكيون منذ دخلـوا ميدان التبشير والاستشراق ، زادوا القوى المناوئة للاسلام شراسة واصرارا . وأمدوها بسيل موصول من المال والرجال .

ومادمنا نتحدث عن مستشرق يعين بكتابته النشاط التبشيرى الأمريكى . فلتعلم أن النشاط هو محور الجامعات الأمريكية بالقاهرة وبيروت والآستانة .

وهذا النشاط أخرجته الظروف فكشف عن وجهه القناع فى بيروت لما هاج الطلبة المسلمون هناك على محاولات تنصيرهم وفرض دخول الكنيسة يوميا .

ان المسئولين عن التبشير يعملون فى غموض وتخفى وأطراح الطابع المسيحى العلنى مؤثرين الوصول الى أغراضهم تحت عناوين عائمة مثل التجديد ، الفن ، النهضة ، الحرية الخ وتحت أسماء رجراجة المفهوم أمكن الوصول — عن طريق الصحافة الى الحاق خسائر جسيمة بالاسلام والعاملين له .

ليست لهم كتب من الطراز أو بالتعبير الصحيح لم تصل الينا عن طريقهم كتب بهذا الميسم المبين غاية ما هنا لك صحائف كتبها أناس كثيرون تضمنت نتفا من تعاليم أولئك النبيين وقيمة هذه الصحائف من ناحيتى السند والمتن تشبه — معالتجوز تيمتبعض الأحاديث المروية عن الرسول محمد « ص » وهى الاحاديث التى لم ير «جولد تسيهر» أى حرج حينا وابداء الريبة فيها حينا آخر .

ويشتمل الكتاب على بقية الأجزاء التالية

الجزء الثانى تطور الفقة الاسلامى

الجزء الثالث والرابع التطور فى العقيدة

الجزء الخامس الزهد والتصوف

الجزء السادس الفرق

الجزء السابع حول الوحدة الاسلامية

الجزء الثامن المسلمون بين الاستعمار والصهيونية .

ويختم المؤلف كتابه بقوله

ولرعاة الكنائس أن ينشدوا السلام وأن يسعوا جاهدين لاقراره بيد أن كل سلام على حساب قضايا المسلمين لن يكون له وزن ولا دوام فان المسلمين أولا سيتفانون فى الدفاع عن أنفسهم ومقدساتهم .

ونحن باسم الاسلام — ما نود أن تنشب الحرب بيننا وبين أهل الكتاب لكن اذا رأينا الأحقاد كالحة والغدر بيننا فمابد من أن نذود عن حياضنا وندافع عن ايماننا . ويقرر فضيلة الشيخ الغزالى حقيقة بقوله بيد أن السلام ممكن بين المسلمين وبين المسالمين الوادعين من النصارى واليهود .

يقول الدكتور عمر فروخ فى كتابه « التبشير والاستعمار » نقلا عن مضابط مؤتمرات التبشير .

« يعلن المبشرون أنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية أكثرمما استطاعوا فى أى بلد اسلامى آخر .

لقد ظهرت مقالات كثيرة فى عدد من الصحف المصرية ، اما مأجورة فى أكثر الأحيان أو بلا أجرة فى أحوال نادرة » والمعركة بيننا وبين هذه الصحافة لن تهدأ ما بقيت مسرحا لتلك الدسائس ضد الاسلام وساحة للنيل من العاملين له والمحامين عنه .

حمدى الليثى

الفتاوى

إعداد : عبد الحميد السيد شاهين

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

س : من الاستاذ عبد الحميد شاهين مراقب البحوث الاسلامية بالازهر بعد زيارته لسريلانكا .

اعتاد المسلمون فى « سريلانكا » على أنه اذا مات الميت وتم تكفينه شدوا الكفن وتركوا رأس الميت ووجهه مكشوفا ووضعوه على منضدة وتحلق الناس حوله يقرءون الادعية المأثورة وغيرها ، وكلما فرغت جماعة دخلت جماعة أخرى .... كما أنهم يؤجلون دفن الميت الى مابعد العصر ... فما الحكم فى كل هذا ؟

ج : بعد التحقق من موت الميت يسن التعجيل بالتكفين بعد الغسل ثم الصلاة عليه ودفنه .

والتأخير قد يكون فيه مهانة للميت .

كما أن كشف الوجه والرأس غير جائز .

س : من المهندس جوى رفعت عز الدين المليجى .

أعمل مهندسا عضو هيئة قيادة أساسى للطائرة ، ولا يمكن أن تقلع الطائرة بدونى .. فهل تقع على حرمة بسبب الخمور الموجودة فى الطائرة وحملها وتقديمها للركاب لأننى مهندس جوى .. وما الحكم ؟

ج : يحرم على كل مسلم أن يشارك أو يعين على معصية ، ومن ذلك تقديم الخمور للراكبين وواضح أن هذا الحكم يشمل المهندس الجوى ولا يعفيه من المسئولية تعليمات الشركة بتقديم الخمور للركاب ، لانه أمر فيه معصية لله تعالى ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

س : من السيد فؤاد عبد الرءوف الرفاعى .

وافقت السيدة زوجتى على أن تستمر معها فى المسكن والدتى المطلقة وأختى الآنسة ورفضت بقاء أخى الشقيق الاعزب معها فى مسكن الزوجية باعتبار أن هذا مخالف للشريعة الاسلامية .. فما هو رأى الشرع فى هذا ؟

ج : من حق الزوجة على زوجها النفقة والكسوة والسكن الخاص فى مكان تأمن فيه

الفتاوى

على نفسها وعلى متاعها ، ويمكنها من الاستمتاع بالحياة الزوجية الكاملة مع المحافظة على شرفها وسمعتها .

واستمرار سكن أخ الزوج فى سكنها الخاص بالزوجية لا يوفر لها ذلك ولا يتفق مع مبادىء الشريعة الاسلامية .

س : من السيد الحاج كاش الله .

تزوجت امرأة ودخلت بها ، ثم سافرت سفرا طويلا مدته سبعة وعشرون عاما وتركتها حائضا ، ثم علمت بأنها قد وضعت طفلا بعد سفرى بنحو سنة ومات صغيرا .

وبعد عودتى قال لى أهل زوجتى : ان زوجتك قد أتت بطفل بعد سفرك بأربع سنوات ويريدون الحاق نسبه الى فما الحكم ؟

ج : الولد الثانى ليس توءما للاول لانه تخلل بينهما ستة أشهر فأكثر فليس من الحمل الاول . وحيث ان الولد الثانى قد أتت به بعد أربع سنوات من وضعها للاول وكان الزوج مسافرا سفرا طويلا وبعيدا ولا يمكن تلاقى الزوجين معا . فلا يصح الحاق نسب الولد الثانى بالزوج . لان شرط الحاق الولد بالفراش امكان تلاقى الزوجين .. وبذلك فيجب على الزوج نفى هذا الولد الثانى ، حتى لا يلحق به زورا .. وهذا هو مذهب الائمة الثلاثة : مالك ، والشافعى ، وأحمد رضى الله عنهم .

س : من السيدة زينب على .

هل للأب حق منع أولاده من زيارة أمهم المتزوجة من شخص غيره ، علما بانه متزوج من أخرى .

ج : على الاب أن يمكن أولاده الذكور من زيارة أمهم على العادة بحيث لا يؤثر ذلك على سيرهم فى أداء واجباتهم المدرسية والدينية ، بشرط أن تكون الزيارة مأمونة من المخاوف على السلوك .

وعليه أن يمكن الام من زيارة بناتها على العادة ، بحيث يهيىء لها مكانا صالحا يرتضيانه تتمكن فيه من الخلوة ببناتها ، بشرط الامان والمحافظة على الاخلاق والسلوك .

س : وهل يجوز للابناء مطالبة أمهم بالطلاق من زوجهـا الثانى لتعيش معهم بدون زوج فى الوقت الذى تعيش فيـه آمنة مستقرة مع زوجها ؟

ج : هـذا الطلب من الاولاد لا يحق لهـم ولا يصح منهم أن يتكلموا فيه اطلاقا ، اذ أن هذا تدخل منهم فى شأن غيرهم،واللجنة تنصح الام بألا يكون لهذا الكلام تأثير على علاقتهـا مع زوجها .

س : منالسيد محمد محمد عبدالرحيم هل الاكل والشرب فى الجنة حقيقـة ام معنوى ما رأى فضيلتكم فى ذلك ؟

ج : علينا أن نؤمن بما ورد فى النصـوص القرآنية والاحاديث النبوية بشـأن الجنة : « و فىالجنة ما لا عين رأت ولا اذن سـمعت ولا خطر على قلب بشر » وأن « فيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون » .

والله أعلم

عبدالحميد السيد شاهين

○ حضارة العرب

* كتب الأستاذ/أحمد بهاء الدين مقالا بمجلة العربي العدد ٢٧٠ مايو سنة ١٩٨١ تحت هذا العنوان قال فيه :

كالخيط الأبيض والخيط الأسود من الفجر ــ الذى لا ترى العين أيهما من الآخر بسهولة ويسر ــ كذلك فى مسارات الحضارات • ذلك الخيط الذى يفصل بين قمة النضوج وبداية الهبوط •

الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر يختلط على العين ثوانى أو دقائق قليلة •• ولكن تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود فيما يفصل بين وصول الحضارة الى قمة النضوج وبداية دبيب الانحلال فيها قد يستغرق أجيالا وقد يختلط على العين عدة قرون ؛ ومع ذلك قد لاتميزه العين فى الوقت المناسب •• وذلك لتقدم عوامل التقدم فى عوامل الفناء •

ان الأمر هنا كالعصا التى كان يستند عليها سليمان ــ عليه السلام ــ فلم يعرف الناس موته الا حين سقطت العصا فجأة وتحولت من خشب الى تراب • ذلك أن النمل كان يأكلها من الداخل • دون أن ترى العين ذلك •

وانجلترا ــ فى تقدير الكاتب ــ هى أهم ترمومتر للحضارة التى اصطلح على تسميتها بالحضارة الغربية المسيحية • فهى أهم مهد لهذه الحضارة فى صناعاتها . ونظمها ومؤسساتها وقوانينها ، وهى اذا كانت قد تراجعت عبر الحروب عن قوتها القديمة حين كانت تحكم وحدها خمس العالم ، الا أن أمراضها وأزماتها هى مؤشر الى أمراض وأزمات كل العالم الذى يشاركها فى صفة الحضارة الغربية المسيحية •

وفى العقل الغربى لاتستخدم معانى

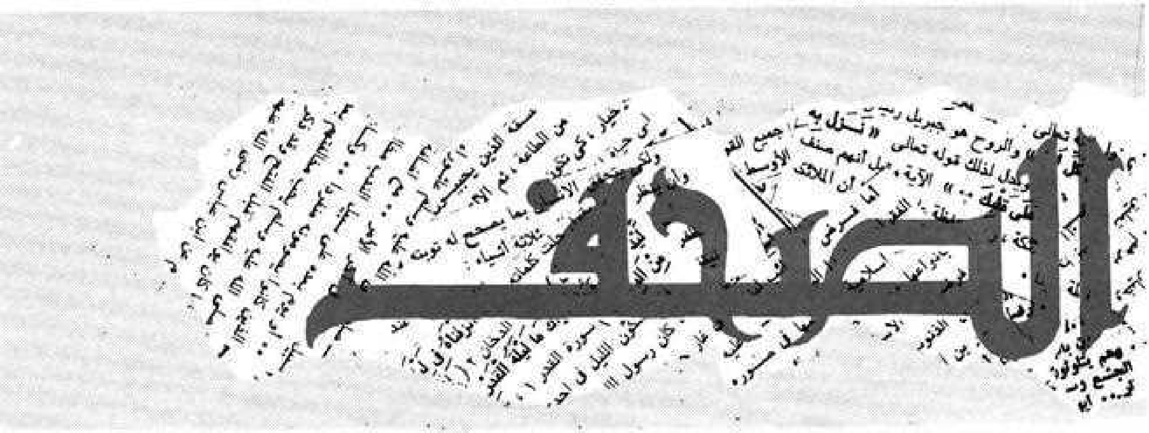

بين السماحة والإباحة

السماحة والاباحة الا فى مجال الجنس .

ولاشك أن هناك فرقا بين وصول تفسير الحرية الشخصية الى أقصى مداها ، وبين أن يكون الجنس سلعة معروضة فى «الفترينات» ودور السينما ، وكل مكان عام . وأن ينشر كخبر عادى أن فلانة الممثلة الشهيرة أو بنت الذوات المرموقة قد أنجبت من فلان ، وانها لذلك قد قررت الطلاق من زوجها !!

هل زادت السماحة فوصلت الى منطقة الاباحة . السماحة قمة قوة والاباحة بداية ضعف ؟

فالاضرابات الكثيرة . وكثرة عدد الجواسيس فى مراكز حساسة لحساب روسيا سماحة أم اباحة ؟

ان انجلترا مجتمع متحضر فيه كل مزايا التحضر وآفاته . فيه عناصر البقاء والفناء تسير على حبل مشدود بين السماحة التى تخلقها الحضارة والاباحة التى كانت دائما مقبرة الحضارات .. هل هو الخيط الأبيض مع الخيط الأسود ساعة فجر تطور جديد .. أو ساعة أفول وغروب ومغيب . وللفجر والغروب لونان متقاربان ؟

قالت

○ الفتوحات الإسلامية

*** كتب الأستاذ : محمد فهمى عبد اللطيف فى يومياته بجريدة الأخبار مقالا تحت هذا العنوان يوم ٨١/٧/٨ م قال فيه :**

لم تكن الفتوحات الاسلامية حروب غزو واستعمار وكسب للأسلوب والغنائم • وانما كانت جهادا فى سبيل الله • وتحريرا للشعوب من عبادة الطغيان • فالجيوش الاسلامية التى دخلت الشام والعراق ومصر وبلاد أفريقية كانت غايتها تحرير شعوب تلك البلاد من الاستعمار ، وانقاذها من ذله وهوانه •

ولقد خرجت الجيوش الاسلامية من الجزيرة العربية تحمل الدعوة الى ماجاورها من الأقطار والأمصار • هداية لأهلها وتحريرا لهم من استعمار الروم والفرس الذى جثم على صدورهم مئات السنين •

ونستطيع أن نلخص أسباب هذا الفتح وحقيقته كلها مجتمعة فى كلمة قالها الخليفة أبو بكر الصديق لقائده أسامة حين قال يوصيه هو وجيشه •

« لاتخونوا ؛ ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تغدروا ؛ ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاه ولابقرة ولا بعيرا الا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » •

هذه هى دعوة الاسلام التى قام عليها ومن أجلها الفتح الاسلامى • وكانت فيه السبب والوسيلة والغاية قبل كل شىء •

فتفسير الفتح الاسلامى تفسيرا اقتصاديا، وربط دوافعه وأهدافه بالحرص على الأسلاب والرغبة فى الغنائم هو فى منطق الحق والانصاب تفسير مغرض تنقض كل الشواهد والدلائل التاريخية ، كما تنقض كل البواعث والظواهر النفسية التى تجلت من وقائع هذا الفتح وسلوك قادته وجنوده •

الصحف

○ اللغة العربية وجامعة الشعوب الإسلامية

*** كتب الدكتور/كريم حسام الدين مقالا تحت هذا العنوان بجريدة الأخبار يوم ١٥/٥/١٩٨١ م قال فيه :**

ان اللغة العربية هى الرباط المتين الذى يربط المسلمين شرقا وغرباً ، وهى اللواء الذى يوحد صفوفهم ، ولم يكن غريبا أننا وجدنا القوى المعادية للاسلام تبدأ هجومها أولا على اللغة العربية ، وتعمل على اضعاف مكانتها فى نفوسنا .

وكلنا يذكر مافعله الاستعمار الفرنسى فى الجزائر ، ومحاولة الانجليز الترويج للعامية فى مصر على سبيل المثال .

ان خطورة اللغة كسلاح استراتيجى هام جعلت الغرب يهتم بنشر لغاته .

وكلنا يعرف نشاط المراكز الثقافية الفرنسية والانجليزية والألمانية وغيرها فى أنحاء العالم .

ان فرنسا تعفى الشاب من الخدمة العسكرية اذا قام بتدريس اللغة الفرنسية خارج فرنسا .

لقد طلب منى أستاذ هندى مسلم ابلاغ رجاء ملايين المسلمين فى الهند وآسيا لتقوية ارسال الاذاعة الموجهة والتى تقوم بتعليم العربية بالراديو .

ان جامعة الشعوب الاسلامية والعربية من أهم الاجهزة التى يجب أن تحمل هذه الرسالة ويجب أن تضع هذا الهدف نصب عينها لخدمة المسلمين . ولابد أن تبدأ بعمل جاد يقوم عليه المتخصصون فى تعليم العربية للأجانب وفق خطة محددة تبدأ بتعليم العربية للناطقين بلغات قريبة من العربية كالأندونيسية والماليزية والتركية ، والهاوسا والحبشية وغيرها ، من اللغات التى لها تراث ثقافى مشترك يربطها بالعربية .

ان العربية هى أقرب اللغات الى نفوس جماهير المسلمين فى أنحاء الأرض . وهى قادرة على جمع أمة الاسلام . ولتكن هذه رسالة جامعة الشعوب الاسلامية .

عاطف زهران

أخبار العالم

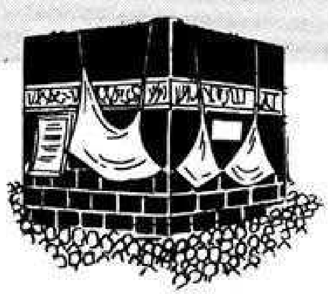

القاهـــــرة

* قرر بنك فيصل الاسلامى المصرى أن يفتح عدة فروع فى أسيوط ، وميدان الأزهر ، والاسكندرية • ويقوم بنك مصر الاسلامى بافتتاح فروع فى محافظات مصر لمواجهة الاقبال الشديد والمتزايد فى استثمار الأموال وفقا لمبادىء الشريعة الاسلامية •

القاهرة ••

* كلية أصول الدين بالقاهرة تصدر قريبا مجلتها السنوية الحافلة بمختلف الموضوعات لكبار أساتذة الكلية لمعالجة قضايا الأمة الاسلامية المعاصرة ، ومعرفة حركة التجديد فى العالم الاسلامى •

المملكة العربية السعودية

* الشركة السعودية للابحاث والتسويق تصدر باللغة العربية جريدة الشرق الأوسط ومجلة « المجلة » ومجلة سيدتى ومجلة « المسلمون » وسوف تصدر باذن الله فى ذى الحجة القادم ، لمواجهة التحديات التى تواجه المسلمين ، وتقديم الفكر الاسلامى الصحيح •

السودان ••

* منعت محافظتان من محافظات السودان الخمور وقررتا تطبيق الحد فى شارب الخمر شرعا وجدير بالذكر أن مجلس الشعب السودانى يبحث فى تشريع يكون أكثر شمولا لضمان تحشم الزى والتزام سلوك الجنسين فى الاماكن العامة •

العالم الإسلامي

إعداد محمد عبد الرحيم السايح

باكستان ..

* انخفض مستوى الجريمة فى باكستان بعد تطبيق بعض قوانين الشريعة الاسلامية صرح بذلك وزير الداخلية الباكستانى . وذكر وزير الداخلية أن الباكستان فى حاجة الى المساعدة لتعميم تعليم اللغة العربية فى كل باكستان . وقد قررت الحكومة الباكستانية ادخال مادة الاسلاميات فى المدارس الحكومية .

سلطنة عمان ..

* وافقت الحكومة بسلطنة عمان على ادراج خطة وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية لانشاء ألف مدرسة جديدة لتعليم القرآن الكريم فى مختلف مدن وقرى السلطنة جنبا الى جنب مع المعاهد والمدارس المتخصصة .

ماليزيا ..

* قررت وزارة التربية والتعليم فى ماليزيا ادخال قضية القدس ضمن المناهج الدراسية فى مختلف مراحل التعليم .

سيراليون ..

* عقدت جمعية شباب المسلمين الوطنية بسيراليون بغرب افريقيا ، مؤتمرا اسلاميا تحت شعار « التعاليم الاسلامية الحقة تأكيد للايمان والعقيدة » وقد أكد المؤتمرون : أن الشباب السيراليونى والذى يقود نشاطا مكثفا فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، قادر على انجاح خطته وتخطى العقبات التى تلاقيه رغم ضيق الامكانيات المتاحة لتحركه . وجاء فى بيان الجمعية الذى صدر فى ختام مؤتمره :

أخبار العالم الإسلامي

« أن الاسلام هو دين الحق والسبيل الى حفظ كرامة الانسان ، وتحقيق اهداف الانسانية ، وللمحافظة على القيم والاخلاقيات التى يفتقدها عالم اليوم • وفى هذا الصدد يقوم الأئمة والعلماء المسلمين فى سيراليون بالاضافة على عدد كبير من الشباب المتخرج من بعض الجامعات الاسلامية ، بدور بارز فى نشر الدعوة الاسلامية فى أوساط المسلمين الذين تبلغ نسبتهم تسعين فى المائة من مجموع السكان » •

أمريكا ••

* ناقش المؤتمر التاسع عشر لاتحاد الطلاب المسلمين بأمريكا وكندا والذى عقد أخيرا بجامعة « انديانا » ناقش موضوع « حقوق الانسان فى الاسلام » •

كندا ••

* عقد مجلس الجماعات الاسلامية فى كندا ، مؤتمره السنوى الثامن • وذلك فى جامعة « تورنتو » العريقة ، والشهيرة بمركزها الصناعى والعلمى والعمرانى ، ومدينة « تورنتو » يتواجد فيها خمسون ألف مسلم من العالم العربى والاسلامى وخاصة من لبنان وسوريا وفلسطين وباكستان • وهدف المؤتمر السنوى هو : المساهمة فى بناء مجتمع كندى تتحقق فيه المبادىء الاسلامية المثلى من العدالة والمساواة والاخاء ، ونشر الحضارة والثقافة الاسلامية ، لبناء مجتمع اسلامى كندى متين •

تنزانيا ••

* الأمانة العامة للمجلس الأعلى العالمى للمساجد ، تعتزم اقامة دورة للدعاة فى مدينة « ابادن » بتنزانيا ، لمدة شهر ولثلاثمائة داعية ، وذلك لمواجهة ازدياد الداخلين فى الدين الاسلامى •

سويسرا ••

* وافق المجلس الاستشارى للمعهد الدولى للعمل ، التابع لمنظمة العمل الدولية على ادخال الدراسات الاسلامية المتعلقة بالاقتصاد والعمل والشئون الاجتماعية ، ضمن برامج المعهد لأول مرة وذلك خلال اجتماعه الذى عقد مؤخرا فى « جنيف » •

البرازيل ••

* تم افتتاح المدرسة الاسلامية « بسانتو امارو » فى « سان باولو » بالبرازيل ، وهى تابعة للجمعية الاسلامية ، وتضم المدرسة المرحلتين الابتدائية والمتوسطة • وتم تسجيلها لدى وزارة التعليم العالى البرازيلى • وتعتزم الجمعية الاسلامية اقامة احتفال كبير لوضع حجر الأساس للمسجد التابع للمدرسة •

احمد عبد الرحيم السايح

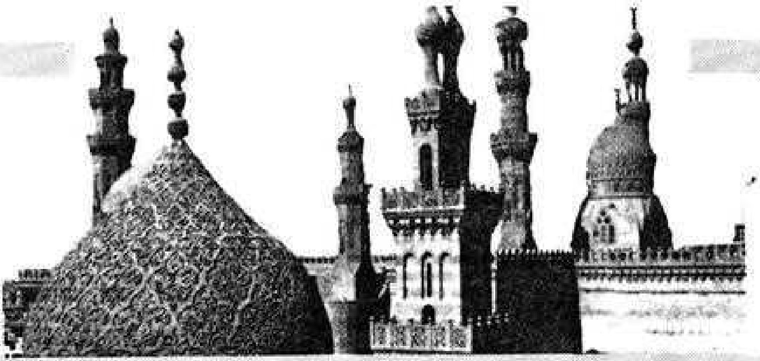

أخبار الأزهر

الدكتور فؤاد محيى الدين يسلم القلادات والأوسمة لعلماء الأزهر

* أناب السيد رئيس الجمهورية السيد الدكتور أحمد فؤاد محيى الدين نائب رئيس مجلس الوزراء بتسليم القلادات والاوسمة الى علماء الازهر الشريف الذين كرمهم السيد الرئيس محمد أنور السادات بمنحهم هذه القلادات والاوسمة فى زيارته الماضية لجامعة الازهر . وقد قام الدكتور فؤاد محيى الدين مساء يوم السبت ١٥ شوال الماضى بقاعة الاجتماعات بالازهر بتسليم قلادة النيل العظمى لاسم المرحوم الشيخ محمد عبده .. وقام بتسلمها أحد ورثته .

* ثم سلم فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر قلادة الجمهورية من الطبقة الاولى .

وتسلم فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الازهر وسام الجمهورية .

* وعقب هذا الحفل عقدت اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الالفى للازهر اجتماعها الثانى برئاسة فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر وناقشت الاقتراحات المقدمة من اللجنة التحضيرية للعيد الالفى للأزهر .

أخبار الأزهر

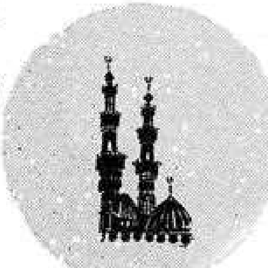

اقتراحات اللجنة التحضيرية للاحتفالات بالعيد الألفى للأزهر :

*** تقدمت اللجنة التحضيرية للاحتفال بالعيد الالفى للازهر بعدد من الاقتراحات قام فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس هذه اللجنة بعرضها على اللجنة العليا للعيد الالفى · للنظر فيها واختيار ما تراه مناسبا ومن هذه الاقتراحات :**

١ ــ يبدأ الاحتفال فى الجمعة الاولى من شهر رمضان ١٤٠٢ هـ القادم بصلاة الجمعة فى الجامع الازهر ويدعى الى هذه الصلاة السيد رئيس الجمهورية وقادة الامة الاسلامية بدعوة من الامام الاكبر الذى يؤم المسلمين فى هذه الصلاة الجامعة ·

٢ ــ قد يرى أن يكون هذا الحفل مناسبة مواتية لجمع قادة المسلمين وتوحيد كلمتهم فى ظل قيم الاسلام ومبادئه ·

٣ ــ الاعداد من الآن لاصدار « ألفية الازهر : الازهر فى ألف عام » باللغة العربية وغيرها من اللغات الحية على أن يوزع قبل بدء الاحتفال على الجامعات والهيئات العلمية والسفارات والمراكز الثقافية والاعلامية فى مختلف أنحاء العالم ·

٤ ــ يكون العيد الالفى للازهر مناسبا لاصدار قرارات العمل بقوانين الشريعة الاسلامية ·

٥ ــ التراث : يكون العيد الالفى للازهر مناسبة طيبة لدعوة الدولة لتخصيص ميزانية كافية ليتولى الازهر نشر كتب التراث الاسلامى والعربى وتيسيرها للتداول ·

٦ ــ يقترح اتخاذ الاجراءات من الآن لاصدار طوابع بريد وعملات تذكارية من فئات مختلفة ذهبية وفضية ومعدنية تخليدا لهذه الذكرى التى لا تتكرر الا كل ألف عام كما يتخذ الاجراء أيضا من الآن لاعداد ميداليات ونياشين توزع بهذه المناسبة ·

٧ ــ يوزع رئيس الجمهورية على الاعلام من رجال الازهر السابقين والعاملين أوسمة ونياشين تقديرا لجهودهم الواضحة المتميزة فى خدمة الازهر ·

٨ ــ يتم التنسيق مع أجهزة الاعلام المختلفة لتشارك مشاركة فعالة فى هذا الاحتفال بتخصيص سهرات رمضانية فى الاذاعة المسموعة والمرئية لتقديم دراسات تعرف بتاريخ الازهر وبأعلامه اظهارا لدورهم التاريخى علميا وسياسيا ولتقديم بحوث تضع حلولا اسلامية لمشكلات الحياة المعاصرة فى جوانبها المختلفة وللاعلان عن مسابقات فى حفظ القرآن الكريم على المستوى الوطنى والعالمى كما تخص برامج اذاعية موجهة الى كل الجهات فى العالم بلغاتها تعرف بالازهر وبقيم الاسلام ومبادئه ·

تقوم دور النشر باصدار الكتيبات التى تقدم لها من اللجان المختصة بالازهر لتوزع على كافة المستويات فى مصر والعالم بأسعار رمزية

كما تفسح الصحف صفحات لمقالات وبحوث فى التعريف بالازهر ودوره التاريخى على مدى أيام الاحتفالات •

٩ ـ تعد لكبار المدعويين برامج لزيارة مناطق مصر السياحية الاسلامية •

١٠ ـ اتخاذ كافة الاجراءات من الآن لاعداد الجامع الازهر والجامعة والمناطق المحيطة بهما والمناطق الاسلامية التاريخية اعدادا يلائم جلال الاحتفال صيانة وترميما ونظافة وتجميلا •

١١ ـ يعد من الآن لاقامة مهرجانات ومسابقات ومباريات رياضية عقب عيد الفطر المبارك يدعى للمشاركة فيها شباب الجامعات والمعاهد المصرية والاجنبية على أعلى المستويات •

١٢ يقترح أن تقوم السفارات والقنصليات المصرية فى الخارج بالاحتفال بهذا العيد الالفى فى مقارها أو مقار المراكز الاسلامية يوم الجمعة الاول من رمضان تاريخ بدء الاحتفال ويدعى اليه كبار رجال الدول كما يدعى اليه المهتمون بالحياة العلمية من رجال الجامعات •

١٣ ـ مشاركة كافة المحافظات باقامة احتفالات اقليمية بالعيد الالفى للازهر بالتنسيق مع المناطق التعليمية الازهرية وفروع جامعة الازهر •

١٤ ـ تمنح جامعة الازهر بهذه المناسبة الدكتوراه الفخرية لبعض الملوك والرؤساء وقادة الفكر الاسلامى •

١٥ ـ دعوة الجامعات والهيئات الاسلامية والعالمية الى مصر للاشتراك فى الاحتفال بالعيد الالفى للازهر •

١٦ ـ اعداد معارض علمية وثقافية وفنية اسلامية تظهر حضارة الاسلام فى كثير من مجالات الهندسة والصناعة •

الدفعة الأولى من حركة المعارين والمبعوثين

✽ اعتمد فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر الدفعة الاولى من حركة المعارين والمبعوثين الى الدول العربية وشملت هذه الحركة :

✽ السعودية : ١٢٨ مدرسا للابتدائى و١٥٦ مدرسا للثانوى •

✽ اليمن الشمالية : ١٢٤٣ مدرسا •

✽ قطر : اثنين فقط •

✽ الكويت : ٢٧ مدرسا •

✽ دولة الامارات العربية : ٢٠ مدرسا •

✽ هذا ويتوالى اعلان الدفعات الاخرى حسب احتياجات الدول العربية والاسلامية من المدرسين الازهريين •• بالاضافة الى المدرسين المتعاقدين تعاقدا شخصيا والحاصلين على أجازات بدون مرتب •

✽ يسافر السيد الدكتور / محمد حمد حسن بدراوى الاستاذ المساعد بقسم النسا والتوليد بكلية طب الازهر بنين على رأس وفد الى انجلترا فى الفترة من ١٦ ـ ١٨ سبتمبر الحالى •• وذلك لحضور مؤتمر الرضاعة بادنبرة •

✽ كما سافر السيد الدكتور محمد محمد حسين الذهبى المدرس بكلية الصيدلة جامعة الازهر الى بلفاست بايرلندا فى الفترة من ١٨ ـ ٢٩ أغسطس الماضى حيث حضر مؤتمر الصيدلة العالمى المنعقد هناك •

أيامنا

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ / صبرى عليوه أحمد ـ أمين خزنة بصيدلية بنها يقول :

ان أيامنا التى نعيشها مقسمة الى خمسة أيام وهى كالآتى :

١ ـ يوم مفقود
٢ ـ يوم مشهود
٣ ـ يوم موعود
٤ ـ يوم مورود
٥ ـ يوم ممدود •

ثم بدأ يعرف كل يوم على حده حيث أن لكل يوم منهم دلالة ومضمون معين ينطبق عليه فمثلا عندما بدأ يعرف **« اليوم المفقود »** فقال : أنه أمسك الذى فاتك مع ما فرطت فيه من جنب والعبرة من أمسك الذى فاتك هو أن تنشر صحيفة عملك اليومية أمام عينيك لكى ترى وتنظر وتحاسب نفسك قبل أن تحاسب من الله عز وجل وحسابك لنفسك بأن تتساءل أكنت فى هذا الامس مطيعا لربك حق الاطاعة محسنا الى نفسك حق الاحسان لم ترتكب اثما ولم تأت منكرا أو كبيرة من الكبائر وهذه حالة وأما الحالة الثانية وهى ان ترى أمسك ملىء بالاوزار والذنوب والاثام وعمل المنكرات والمحرمات وهنا ندمت أشد الندم على ما فرطت فى جنب الله وان كنت فى أمسك مستقيما مع ربك وعقيدتك وشريعتك ودينك الاسلامى الحنيف حمدت الله وطلبت ودعوت لنفسك بالاستمرار والزيادة فى الطاعات وعمل الصالحات وعقدت النية على أن يكون أمسك هو باذن الله يومك وغدك وبعد غدك الى ان ترحل من الدنيا الفانية الى الدار الآخرة وهى الباقية •

« وأما اليوم المشهود » هو اليوم الذى أنت فيه فتزود فيه بطاعة الله وقربك منه بعمل ما هو صالح أى أتبع ما أمر الله به وأبعد عما نهى الله أيضا عنه وعليك أخى المسلم أن تكون فى يومك هذا أشد ايمانا وتمسكا بالله من أمسك المفقودوانظر الى هذا الامس وتفحصه بعين نافذة بصيرة وكل ما لم يسعفك عمله فى أمسك المفقود تحصله من يومك المشهود ولا يحملنك التزامك بالطاعات وعمل الخيرات طول الامل فتترك وتؤجل من الاعمال الصالحة

الى غد فما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير .

« **وأما اليوم المورود** » هو : اليوم الآت أى الغد وحذارى ان تنتظره لكى تقدم فيه لله الاعمال الصالحة وترضيه سبحانه وتعالى فرب مؤملا أملا لا يبلغه ومنتظر غدا لا يدركه فكما لا تؤجل عمل اليوم المشهود الى اليوم المورود فأيضا تذكر ان هناك ..

« **اليوم الموعود** » وهو : آخر أيامك فى دنيا الحياة الفانية وان هذا اليوم ليس بعد للانسان من دار الا الجنة لمن اتقى وعمل صالحا وتزود من دنياه لآخرته والنار لمن عصاه وابتعد عن شريعته التى شرعها له فى كتابه المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم وفى هذه الحالة لا ينفع ندم ولا استغفار حيث يكون ..

« **اليوم الممدود** » : وهو يوم الدين والحساب والجزاء والثواب والعقاب يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم أدى ما فرض عليه وينتظر الاجر والحصاد فى هذا اليوم الذى تترهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب شديد لان حالة الانسان اما نعيم دائم أو عذاب مخلد فيه ولذلك نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وصى ابى ذر الغفارى من هذه الايام قائلا (جدد السفينة فان البحر عميق وأكثر من الزاد فان السفر طويل وخفف الحمل فان العقبة كئود وأخلص العمل فان الناقد بصير) فليأخذ كل منا العبرة والعظة لنفسه من نفسه من أمسه ليومه ومن دنياه لآخرته ومن شبابه لشيخوخته وفى النهاية من أحسن وعمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ودعائى بالنجاة من هول هذا اليوم أمين يا رب العالمين .

التقدم المادى والروحى

*** تحت هذا العنوان كتب القارىء أحمد محمود من أبناء محافظة أسيوط يقول :**

فى حقيقة الامر ان الحديث عن التقدم الروحى والمادى ليحتاج منا فى البداية

هكذا يكتب

التقدم المادي والروحي

التصديق بهذه القضية وهى (أن التقدم المادى اذا لم يصحبه التقدم الروحى انتهى الى ماهو شر من التأخر) وهذه قضية صـادقة فى جملة بليغة موجزة تحوى فى مضـمونها الكثير لاننا نعلم تمام العلم والمعرفة ان شريعة ديننـا الحنيف تنظر دائما الى حياة أفضل ومستقبل منير لا خوف عليه ولا رهبـة منه وذلك لمن اتخـذها شريعـة تجمـع القواعد والاسس والقوانين التى تنظم حياته وعلاقتـه بربه ومجتمعـه وأهله وذويه أى أنهـا بمعنى أعم وأشمل وزارة عدله فى ظلمه أو وزارة حيـاته فى عمره .

لان هذه الشريعة السمحاء كما نعلم جميعا أنها منزلة فى كتاب مقدس من عند الخالق الكبير الذى يعلم ماتبدون وما تكتمون فهو الذى خلق هذا الخلق بكل ما فيه من كائنات حية وغيرها وبالتالى نزل للانسان كتابا كريما ينظم له هذه الحياة التى يعيشـها لانه يعلم طبيعة هذه الكائنات وهذا الانسان الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

وحينمـا نأتى لننظر فى هـذا الكتاب وتلك الشريعة السمحة نجدها كاملة لا نقص ولاعجز فيها فهى تنزيل من حكيم حميد لا يأتيـه أى الكتاب (القرآن الكريم) الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أنظر معى أخى المسلم : فضل الله الانسان على جميع خلقه وكرمه وجعل له هذا الدستور ليتعامل مع بنى خلقـه من البشر لا مفاضـلة بينهم لجنس أو لون أو سـلطان على الآخـر الكل سواسية كأسنان المشط لا فضـل لعربى على أعجمى الا بالتقوى والعمل الصالح .

ونظرا لان هذا الدستور جاء من عند اللـه فقد منح الانسان القوانين التى تجعله يعيش منعما اذا أتبع هذا الدستور فى منهجه أعطى لربه حقه ولنفسه حقها أى أعطى للدنيا نصيبها وللآخرة أيضا نصيبها ولكن اذا اختـل الامر وأصبح الانسان دنياويا لا شىء يهمه سـوى متاع الحياة الدنيا خسر دنيـاه وآخرته لان متاع الحياة الدنيا فان والآخرة خير لمن اتقى.

فعلى المسـلم أن يعطى لكل ذى حق حقـه حتى يصل بنفسه فى النهـاية الى ما هو طيب وخير وينال الفـوز بالجنـة فى الآخـرة يوم لا ينفع فيـه مالا ولا بنون الا من أتى اللـه بقلب سليم .

وهذه كلمة موجزة نبدأ فى شرحها فى العدد القادم ان شاء الله .

بلدى

بلدى بالعلم و « بالأزهر » — فى كل الكون هو الأنور
مفتاح العلم وقبلته — وملاذ الدين على الأعصر
شمخت فى الجو مآذنه — تدعو لله هو الأكبر
بلدى فى الروعة لا يحكى — سبحان الخالق قد صور
بستان الكون اذا أضحى — وعروس الليل اذا أقمر
بلد التاريخ هنا بلدى — والوطن الحر به نفخر
الفن ترعرع فى بلدى — وبلاء الحرب له يذكر
بلدى بالحب سنحفظه — حصنا للوحدة لا يقهر
بالسلم ستسعد يا بلدى — بقيادة قائدنا « أنور »

أحمد قاسم أحمد
رئيس قسم الامتحانات بادارة قنا التعليمية

ردود

* كتب الأخ : أحمد أبو دهان ــ المغرب ــ أزغتقان ــ مراكش

تحية اسلامية عربية مغربية خالصة من أخيكم .

اننى بعد اطلاعى باستمرار على مجلة الازهر واعتزازى بمستواها الرفيع انتاجا وفنا ــ يسعدنى أن أبعث اليكم برسالتى هذه وأقترح عليكم بأن أكون من كتاب هذه المجلة ــ على أن أراسلها اذا وافقتم من حين لآخر بمقال أو بحث أو تحقيق أو دراسة ، تتناسب ومستواها المشرف باعتبارها ميدان من ميادين الفكر الاسلامى اجتماعيا واقتصاديا انطلاقا من تراثنا الحضارى واخذا بواقعنا المعاصر الحالى موضوعيا وأيدلوجيا نقدا وتحليلا ــ خدمة منا ومنكم للثقافة والفكر والعقيدة السمحاء نقلا وعقلا علما ومنهجا .

* نشكرك يا أخ أحمد على هذا الشعور الطيب نحو مجلتنا واعتزازك بها . ونحن نرحب بكل مقالات ترسلها الينا على أن تتناسب مع رسالة مجلة الازهر على أن ترسل بالبريد المسجل على العنوان التالى :

جمهورية مصر العربية ــ القاهرة ــ ادارة الازهر ــ مجلة الازهر .

* كتب الاخ . ربيع عمر بشير ــ مكة المكرمة ــ السعودية ــ ص. ب ٢٢٢٨ .

تحية طيبة وبعد ..

أرجو التكرم بافادتى بقيمة الاشتراك السنوى فى المجلة بالبريد الجوى وكيفية الاشتراك ولكم منى فائق الاحترام والتقدير .

على القراء

* نشكرك يا أخ ربيع على اهتمامك نحو مجلتنا وعليك الاتصـــال بقسم الاشتراكات فى جريدة الاخبار ٠
والعنوان : جريدة الاخبار ــ القاهرة ــ ٦ أ ٣ ش الصحافة ــ فهو الذى يتولى اشتراكات المجلة نيابة عنا وارسالها لكم بطريقته وقيمة الاشتراك الســنوى هو مليمــ جــ
(٣٫٣٠٠) فقط ثلاثة جنيهات وثلاثمائة مليمـا ٠

* كتب الاخ حنبلى عباس عمر ــ الوزن ــ نيجيريا ــ ص٠ ب٠ ٥٣ ٠
كتبت اليكم هذه الرســـالة طالبا منكم المساعدة وأرجو منـكم أن ترسلوا الى بعض الكتب من الحديث والتفسير وكتب التوحيـد والســـيرة النبوية والكتب الادبية وغيرها من الكتب المفيدة ٠

لقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه) ٠

* يا أخ حنبلى المجلة ليست فيهـــا كتب للاهداء وعليك الاتصـــال بمجمع البحوث الاســـلامية فهو الذى يتولى اصدار الكتب والعنوان ــ مدينة ناصر ــ القاهرة ــ مجمع البحوث الاسلامية ٠

* كتب الاخ ٠ محمـــد الامير احمـــد ــ القاهرة ــ حدائق حلوان ٠
أرجو التفضل بالافادة عن جواز الاقتراض من وزارة الاســـكان بفائدة حددتها الوزارة بـــ ٥ ٪ تحصـــل المبلغ على مدة ٢٥ ســـنة أو ٣٠ ســـنة لبناء شقة بمنزلى لاسكان أحد ابنائى الذى بلغ من العمر ٣٥ ســـنة وتعطل زواجه تبعا لذلك ٠ هل يمكن اعتبار تلك الفائدة مصاريف تحصيل ادارية أسوة بما تفعله وزارة

الاوقاف فى القرض الحسن اذا كانت اجراءات تلك الوزارة جائزة شرعا .

* أجاب فضيلة الشيخ أحمد حسن مسلم عضو لجنة الفتوى بالازهر ـ فقال كل قرض بفائدة ربا والربا حرام شرعا ـ وخير للسائل أن يتصرف بالحكمة فى حدود الواضح من الاحكام الشرعية مما يرضى الله ورسوله فيبيع ما يمكن بيعه مما يملكه فيما لا حاجة تدعوا لبقائه حتى يستطيع أن يدبر أمره الحالى المتعلق بمثل ما سأل عنه . واذا صدقت النية وصح الاتجاه الى الطريق المشروع فان الله سبحانه وتعالى يجعل للمتقين من كل ضيق فرجا ويرزقهم من حيث لا يحتسبون اقرأ من قوله تعالى (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب**) .

عبد الفتاح السيد عبد السلام

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة

● حديث الشهر
بقلم رئيس التحرير ١٨٩٨

دراسات قرآنية

● ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها
لفضيلة الدكتور محمد الطيب النجار ١٩٠٦

● عجل الذهب
للدكتور عبد الباقي أحمد سلامة ١٩١٠

● الخليل ابراهيم يجمع العرب على التوحيد
لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير ١٩١٦

● القرآن وفلسفة المنهج
للدكتور أحمد عبد الحميد الشاعر ١٩٢٣

دراسات لغوية :

● الباحث عن الحقيقة
للدكتور فتحي محمد أبو عيسى ١٩٢٨

● رد على مقال النقد العربي القديم والمنهجية
للدكتور محمد محمد أبو موسى ١٩٣٣

● الميزان الصرفي .. والميزان الصوتي
للدكتور السيد رزق الطويل ١٩٤١

في التشريع الاسلامي

● الأشهر الحرم
للدكتور محمد محمد الشرقاوي ١٩٤٨

● من آداب وشروط الفتوى
للمستشار محمد عزت الطهطاوي ١٩٥٤

من حضارة الاسلام

● هل هناك فلسفة اسلامية أصيلة
للدكتور محمد كمال جعفر ١٩٦٦

● دنانير ابن القارح
للأستاذ السيد حسن قرون ١٩٧٠

● التربية الصوفية
للأستاذ عبد الشيخ فرغلي على القرني ١٩٧٥

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
• وسائل اعداد الدعاة للأستاذ منصور الرفاعي عبيد	١٩٨١
• هل يستعيد المسلمون حضارتهم للمستشار محمد التهامي	١٩٩٢
• تفسير للنبوة للدكتور محمد ابراهيم الفيومي	٢٠٠١
• السنة ومنزلتها فى الشريعة الاسلامية للأستاذ/موسى محمد على	٢٠٠٨
من أعلام الاسلام	
• الامام ابن ماجة للدكتور الحسينى هاشم	٢٠١٦
• شخصية فى سطور « الطبرى » بقلم سعيد عبد الحى	٢٠٢٠
• طرائف ومواقف اعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٢٠٢٢
شعر :	
• أين الطريق اليك للدكتور صابر عبد الدايم يونس	٢٠٢٤
• فى ظلال العروبة والاسلام للأستاذ أبو زيد ابراهيم سيد	٢٠٢٦
• كتاب الشهر عرض وتقديم حمدى الليثى	٢٠٣٠
• الفتاوى اعداد عبد الحميد السيد شاهين	٢٠٣٥
• قالت الصحف للأستاذ عاطف زهران	٢٠٣٨
• أخبار العالم الاسلامى للأستاذ/أحمد عبد الرحيم السايح	٢٠٤٢
• أخبار الأزهر للأستاذ الشافعى عبد الراضى	٢٠٤٥
• هكذا يكتب القراء للأستاذ/عبد العزيز أحمد جبرة	٢٠٤٨
• ردود على القراء للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام	٢٠٥٢

طبع بمطابع روز اليوسف

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن:
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر
عربى
رئيس التحرير:
د. عبد المعطى محمد بيومى
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت: ٩٠٩٩٢٢٠ / ٩٠٥٥٠٦
ذو الحجة ١٤٠١ هـ
اكتوبر ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

فى هذه الكلمة القصيرة نحاول أن نلقى نظرة على محتويات هذا العدد ومدى مناسبتها للعصر وواقع الأمة الاسلامية .

ففى هذا العدد يتحدث حديث الشهر عن مستقبل الاسلام بين الحضارات العالمية ، ويورد من الاسباب العلمية الواقعية مايبعث على التفاؤل الجاد والثقة بهذا المستقبل .

وفى هذا العدد أيضا عدة مقالات تتحدث عن بعض مناسك الحج وما يحتاج اليه الحاج فى رحلة العمر ومنها مقال أشبه بأن يكون « مؤتمرا عاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه فى حجة الوداع ، اذ كان المسلمون يسألون فى أهم أمور حياتهم والرسول صلى الله عليه وسلم يجيب :

وأهمية هذا المؤتمر أن الأسئلة الاسلامية والاجوبة النبوية اشتملت على أهم ما يلزم للحياة الاسلامية فى كل عصر منذ حجة الوداع وحتى الآن .

وبهذا يتفوق هذا المؤتمر النبوى على أحدث مؤتمر صحفى يمكن أن يعقد فى العالم المعاصر .

هذا الى جانب مؤتمر عقد بين أساتذة جامعة الأزهر وبعض الباحثين الايطاليين حول الاسلام وقضايا العصر وغير ذلك من الأبواب الثابتة .

التحرير

صورة الغلاف
الكعبة المشرفة

الجزء الثانى عشر ـ السنة الثالثة والخمسون

حديث الشهر

٥ في فلسفة الحضارة

مستقبل

في مقالات سابقة حاولنا أن ندرس فلسفة الحضارة في ضوء الواقع العالمي المتغير ودور الاسلام الذي يمكن أن يؤدي الكثير لانهاض العالم وتقدمه علـــى أساس سليم يزاوج بين المادية والروحية ويراعي احتياجات الانسان جميعـــا لا يغفل منها ولا يعلي حاجة منها على حساب حاجة واستندنا في كل هـــذا على القرآن الكريم والسنة النبوية فهما المصدران الأصليان قبل تفرع الآراء وتنـــوع الاجتهادات •

وفي هذا المقال نحاول أن نلقي نظرة على مستقبل الحضارة الاسلامية بين حضارات العالم المعاصر •

ولكي نستطلع مستقبل دين ما أو حركة اجتماعية أو سياسية لابد أن نوازن موازنة موضوعية بين عناصر ثلاثة :

١ ــ الواقــع •

٢ ــ العقبــات •

٣ ــ الامكانات •

وعلى ضوء هذه الموازنة نستطيع أن نرى مستقبل الاسلام ولسنا بحاجـــة الى القول أن واقع الاسلام الآن يفرض نفسه ويفرض مفاهيمه على بقاع العالم الذي يتطلع بشوق ولهفة الى معرفة الاسلام والاقتراب أكثر من ذي قبل •

ولست أيضا في حاجة الى تأكيد هذا ، فالمتتبع للأحداث العالمية وتطلعـــات الكتاب والمفكرين في أنحاء العالم يدرك مدى حرص الجميع على معرفة حقـــائق الاسلام خاصة بعد أن ظهرت بعض التيارات الســـــياسية التي تعلن أنها على

بقلم رئيس التحرير

النهضة الاسلامية

الاسلام وبعضها حق وبعضها مدع بالباطل وبعضها يفيد الاسلام وبعضها الآخر يلحق بالاسلام أكبر الأضرار .

ولعل آخر ما يمكن الاستئناس به هنا ما قاله نائب رئيس تحرير «الفيجارو» الفرنسية فى لقاء معه أثناء زيارته لكلية أصول الدين بالقاهرة يوم ١٤/٩/٨١ فى محاولة منه لمعرفة حقائق هذا الدين العجيب قال :

« أنتم هنا تقومون بعمل عظيم » كما قال « نريد أن نفهمكم وأن نعرف الاسلام والعالم الاسلامى عن قرب » .

فالقوائم العالمى اذن ممهد لعرض الاسلام وتعريف حقائقه والمقارنة بينه وبين الحضارات الأخرى .

ـ واذا كانت هناك عقبات أمام انتشار النهضة الاسلامية وانتشار الفهم الحقيقى للاسلام فهى عقبات يرجع معظمها فى الحقيقة الى الذين يعرضون هذا الدين ويمثلونه وليس صعبا أو بعيدا أن يدرك هؤلاء أن عرض هذا الدين يتطلب شيئا من سعة الأفق وعرض مافى الاسلام من يسر وسهولة وملاءمة للفطرة الانسانية وبعد عن الغلو والتضييق والعمل على فهم الحقائق العالمية التى تفرض أسلوبا معينا من الدعوة الرقيقة الحانية التى تركز على بناء الانسان

حديث الشهر

والمجتمع بناء فريدا .

أما المبادىء الاسلامية التى يقوم عليها الاسلام فليست أمامها عقبة على الاطلاق لأن هذه المبادىء ملائمة للانسان فى كل مكان وزمان ويستطيع الاسلام بمبادئه الكلية وقواعده العامة أن ينشىء أمة فاضلة ومدنية تتضاءل أمامها جميع المدن المثالية فى الفكر العالمى ، فى جميع حقبه وعصوره .

فالعقبات التى تعترض طريق الاسلام اذن عقبات يمكن التغلب عليها بدرجات متفاوتة .

هذا عن الواقع والعقبات ..

أما عن امكانات النهضة الاسلامية فهى امكانات عديدة ومتنوعة فهى :

* **امكانات ترجع الى المسلمين أنفسهم .**
* **وامكانات ترجع الى الاسلام ذاته .**
* **وامكانات أخرى ترجع الى الظروف العالمية .**

فالمسلمون يمثلون كتلة ضخمة من السكان بلغت حوالى ألف مليون نسمة يقطنون أرضا متصلة وهم فى هذه الآونة أصبحوا أكثر استقلالا فى مجال الاقتصاد بفضل ما توفر لهم من أرصدة نجمت عن عوائد البترول وبالتالى أصبحوا أكثر حرية فى اتخاذ القرار الذى يحسن أوضاع بلادهم على الأقل كما أصبحوا أكثر استعدادا لاقامة المؤسسات التى تساعدهم على النهوض بمجتمعاتهم وتقويتها .

بل ان المسلمين فى هذه الفترة أصبحوا قوة ضغط تعمل لها القوى الكبرى الحسابات والخطط .

كذلك ازداد الوعى بين الشعوب الاسلامية نتيجة انتشار التعليم عن ذى قبل وازدياد الاحتكاك بين أبناء المسلمين وغيرهم من شعوب العالم ، وبذلك أصبحوا أكثر ادراكا لقضية التخلف وضرورة التقدم .

مستقبل النهضة الإسلامية

ومن ناحية أخرى فان كثيرا من الشعوب الاسلامية قد أصبحت متطلعة أساس الاسلام ، وبذلك أصبحت هذه الشعوب مهيأة أكثر من أى وقت مضى لحركة الاصلاح على أساس الاسلام .

أما فيما يتعلق بامكانات التجديد التى ترجع الى الاسلام ذاته فمن المعلوم أن الاسلام احتوى على خاصيتين :

*** الخاصية الأولى : أنه دين ختم الله به النبوات ولم يعد أمام العقل الانسانى أن ينتظر من تأخذ بيديه لحلول مشكلاته ولم يعد أمامه لحل هذه المشكلات وتشكيل الحياة وتخطيطها الا النصوص التى تركها الرسول صلى الله عليه وسلم لارشاد الناس الى ما يقيم حياتهم على الأفضل .**

*** الخاصية الثانية : بالاضافة الى ختم النبوة هى العموم والشمول فالاسلام رسالة شاملة لكل أغراض الحياة عامة لكل البشر فى كل الأوقات .**

ولذلك جاءت نصوص القرآن نصوصا عامة لاتقف عند التفاصيل والأحكام الجزئية ، لأن هذه التفاصيل تتغير من وقت الى وقت ومن بيئة الى أخرى وبالتالى فان الاسلام يضيق على المسلمين بالتفاصيل والاحكام الفرعية بل يتركها لاختياراتهم وظروفهم طالما ساروا على ضوء القواعد الكلية وفى اطارها خاصة فى أمور المعاملات والنظم وشئون الحياة المتغيرة .

بل ان السنة النبوية الشريفة التى أحال عليها القرآن بيان وتفصيل ما أجمله كما قال تعالى : « **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** » .

ولم تقيد الناس بشكل خاص فى أمور المعاملات ونظمها الجزئية الدنيوية الا ما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن فيه ضررا على الحياة البشرية كتحريم الربا واباحة السلم والاجارة .. الخ ..

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بأمور دنياكم » .

حديث الشهر

القواعد العامة : وهذه العمومية فى النصوص تشكل فى حد ذاتها امكانية كبرى للاجتهاد الذى يمثل هو الآخر مصدرا لاستمرار الاحكام بعد الكتاب والسنة مباشرة وهو ضمانة مؤكدة لاستمرار الاسلام لأن وقائع الحياة وأحداثها المتجددة لا تنتهى ، ونصوص الدين متناهية ولا يمكن قياس اللامتناهى مع المتناهى الا بالاجتهاد واستخلاص الحلول للامور اللامتناهية من القواعد الشرعية العامة .

ولذلك نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قاضيه على اليمن معاذ ابن جبل عندما سأله بم تقضى : قال : بكتاب الله . قال : فان لم تجد : قال : فبسنة رسول الله . قال : فان لم تجد : قال : أجتهد . قال : اجتهد رأيى ولا آلو . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدر معاذ قائلا الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما يحبه الله ورسوله .

وقد حمل أئمة الاسلام عبر العصور واجبهم ازاء ضرورة الاجتهاد فقدموا الحلول لمشكلات عصورهم وبيئاتهم فساروا بالاسلام موجهين للحياة ، ولم يغلق باب الاجتهاد الا عندما ضعفت الهمم عن العلم وكلت العقول عن الحرية والتحصيل .

ولكن استعادة العلماء لدورهم فى هذه الفترة وتحملهم أمانة الاجتهاد أصبح أمرا مقدورا عليه بفضل التعاون بينهم وامكان الاجتهاد الجماعى فيما بينهم اذا تعذر الاجتهاد الفردى .

وقد بدت بالفعل ملامح الاجتهاد فى هذا العصر فى أكثر من موقف منها تخطيط النظام الاسلامى العام فى الباكستان وتقنين قانون المعاملات المدنية فى الاسلام فى مصر وغير ذلك وبما يمهد الطريق أمام حركة التجديد والنهضة .

ـ أما امكانات التجديد التى ترجع الى الظروف العالمية ، فان القوى العالمية الآن فى موقف مناسب للنهضة الاسلامية اذا أحسنت استغلال الظروف والاستفادة من المتغيرات .

مستقبل النهضة الإسلامية

فالحضارة الغربية من ناحية بدأت تشيخ وتهرم ويتبين فسادها ولم تعد المسألة بالنسبة لها الا مسألة وقت بمقدار ما يظهر النظام الاسلامى بشكل واضح وجلى .

لأن هذه الحضارة بعد أن وفرت الوفرة والرخاء فى الجانب المادى وقفت عاجزة عن أن ترضى مطالب الروح والسكينة للانسان ، وبذلك عجزت عن أن توفر الاستقرار المنشود للبشرية ، وقد تنبأ بهذه النهاية فلاسفة الغرب أنفسهم .

اذ قال برتراند راسل « انتهت حضارة الرجل الابيض » ومن ناحية أخرى فان أمريكا بدأت تعانى من عجز عام وضعف فى مواجهة الظروف العالمية وكأن عقدة فيتنام وهزيمتها هناك أمام مجموعة من المجاهدين الذين لايملكون الا الاصرار أعطاها الدرس لامكانية تكرار هذه الهزيمة فى مواجهة شعوب أخرى .

وقد اتضح عجز الولايات المتحدة فى الفترة الأخيرة وضوحا تاما أمام بعض الظواهر والمواقف فى أفغانستان وايران ومواجهة خطط الاتحاد السوفيتى الرامية الى التوسع والسيطرة .

أما الاتحاد السوفيتى فقد أخذ هو الآخر يفقد أعصابه بعد أن تعددت محاولاته للسيطرة والنفوذ مرة بالفكر الايديولوجى ومرة أخرى بمحاولات اغراء الشعوب بالمساعدات المشبوهة حتى اذا فشلت هذه المحاولات جميعا لم يبق أمامه الا استعمال القوة والزحف بها على الشعوب كما فعل مؤخرا فى أفغانستان المسلمة .

ولكن هذا الأسلوب نفسه يثير حركة النهضة الاسلامية ويعجل بقيامها لأنه يثير الشعوب الاسلامية للمقاومة ويشحذ همتها للجهاد والتجمع ويوقظ الشعور الدينى .

وهذا الأسلوب سبق أن جربه الاستعمار الاوربى من قبل ففشل ولذلك لن يفيد الاتحاد السوفيتى فى محاولة ايقاف حركة الاسلام .

ونعتقد أن تجربته فى أفغانستان لن تكون أحسن حظا من تجربة أمريكا فى فيتنام لأنه لا يمكن أن نغفل هنا تأثير الاسلام فى اشعال روح الجهاد .

هذه أهم الامكانات المتاحة أمام النهضة الاسلامية وهى كما نرى امكانات يكفى بعضها فقط لبعث نهضة كبرى فى العالم ينتظرها العالم ويأمل فيها .

على أن هناك شروطا قد تعجل بالافادة من هذه الامكانات اذا لاحظها الدعاة والراغبون فى التجديد .

*** اذا تعاملوا مع الأحداث بذكاء ووعى .**

*** اذا لم يمكنوا أعداءهم منهم وعطوا بقدر امكانهم على تقليل الدعاية ضدهم عن طريق سد الذرائع أمام الدعاية المضادة .**

*** اذا نجحوا فى ترويض القوى العالمية التى لا تريد كتلة ثالثة تؤثر على التوازن الدولى بين القوتين الكبرتين .**

*** اذا لم يتعجلوا قطاف الثمر قبل الأوان واذا أخذوا امتهم الى حيث يريدون برفق وأناة « فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » .**

*** اذا تجنبوا التشدد والمغالاة فى حركة اليقظة فان الغلو من شانه أن يصرف الذين اعتادوا أنماط الحياة الغربية زمنا طويلا .**

وعلى ضوء هذه الامكانات والشروط نستطيع أن نثق فى مستقبل الاسلام فى مطلع القرن الخامس عشر من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

عبد المنعم ...

دراسات قرآنية

- ترتيب القرآن الكريم حكمة وإعجاز

- نظرات ابن هبيرة في التفسير والحديث

- معجزات متجددات

- الإسلام والشعر

دراسات قرآنية

ترتيب حكمة

اختص الله القرآن الكريم بأن جعل له صورتين : صورة مسموعة متلوة ، وصورة مكتوبة مجموعة فى المصحف ، فالاولى لها طرق فى الاداء الصوتى خاصة بها ، والثانية لها رسم املائى خاص بها وكذلك كان لترتيب القرآن الكريم صورتان : الاولى : هى ترتيبه بحسب النزول .. الذى امتد الى نيف وعشرين سنة .. والثانية : هى الترتيب الخاص بالمصحف بالنمط الذى هو عليه الآن بين أيدينا ..

مقاصد الترتيب :

فترتيب النزول كان له مقصد تؤكده طبيعة الدعوة .. فهو فى ذلك منهج اعداد وتوجيه يتخذ منه الداعى أسلوب عمل فى دعوته .. وفيه تثبيت لفؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم .. وفيه مراعاة لحال المقبلين على الدين الجديد ، واجابة على ما يجول بأذهانهم من الخواطر والتساؤلات ولو أننا تتبعنا منهج الدعوة الاسلامية فى سنواتها المكية لوجدناها تركز أهدافها فى ترسيخ مفهوم العقيدة السليمة فى قلوب الناس .. ورفض عبادة الاصنام والطواغيت .. مستخدمة أسلوب الدعوة الى التفكر والتدبر فى ملكوت الله تعالى وخلقه ، ملقية بضوء الموعظة والعبرة . من خلال قصص الانبياء والرسل ، وفوز المؤمنين وهلاك وخسران المشركين ..

وفى المدينة كان الاستقرار ، فكان منهج النزول تأسيسا لدولة وبيانا لاحكام ونظم يتم بها التعايش فى اطار المنهج الالهى .

أما ترتيب القرآن الكريم على ما هو عليه فى المصحف اليوم فهو ترتيب لمنهج حياة مستقرة تستمد منه الامة المؤمنة نظمها .

والقرآن الكريم كما يقول محقق كتاب « أسرار ترتيب القرآن » : « وهو الكتاب الذى يعطيك من كل وجهة من وجهتى ترتيبه منهجا عاليا جامعا مانعا محكما ، لا يأتيه

القرآن الكريم وإعجاز

للأستاذ رشدى محمد ابراهيم

الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو فى ترتيبه النزولى منهج لتأسيس دعوة وأسلوب اقناع بعقيدة وطريقة تبشير وانذار ، ودحض كامل لمنطق الالحاد المريض ، وهو فى ترتيبه المصحفى أسلوب حياة ، وبناء حضارة .. ودستور للعالم كله محيط بكل صغيرة وكبيرة من حاجاته ومطالبه .. أحكم ترتيبه من هذا الوجه ليكون هداية للمؤمنين » .

علم المناسبات :

ولقد عرف سر ترتيب القرآن قديما بعلم المناسبات وما عرف منه فانما هو مافى ترتيب المصاحف ، أما أسرار ترتيب النزول فلم يتعرض لها أحد فى كتاب .. وعلى الرغم من أن ما كتب فى علم المناسبة قليل الا أن بعض ما كتب فيه يعد نموذجا .. وهو مندرج تحت قائمة التراث من ذلك كتاب « نظم الدرر » للبقاعى وكتاب « البرهان فى مناسبة ترتيب القرآن » لأبى جعفر بن الزبير ، ثم كتاب « تناسق الدرر فى تناسب السور » للسيوطى .

ونحن ــ من فوق هذا المنبر ــ نستنهض همم الباحثين فى جامعاتنا أن ينفضوا ركام السنين عن هذا التراث ، ويعيدوا اليه الحياة ، فالمكتبة القرآنية فى حاجة الى كل كلمة واعية ، والى كل دراسة ناهضة .. وجهد مخلص ..

الترتيب توقيفى :

ولقد جرى نقاش حول ترتيب القرآن الكريم فى المصاحف التى لدينا الآن .. هل هو ترتيب توقيفى من الله تعالى ، أو هو توفيقى من اجتهاد الصحابة رضى الله عنهم ونحن مع أصحاب الرأى الاول .. لان التلاحم الاكيد بين سور القرآن وآياته .. والتسلسل الذى

ترتيب القرآن الكريم

تمليه السلاسة .. ويقره منطق البيان ، ويزيد أوجه الاعجاز اعجازا لايمكن أن يكون الا من عند الله تعالى يؤكد ذلك أن جبريل عليه السلام كان يعرض القرآن على الرسول عليه الصلاة السلام فى رمضان .. وأنه عرضه عليه فى آخر مرة عرضتين .. ولاشك أن هاتين العرضتين كانتا على الترتيب الذى أثبته عليه زيد بن ثابت فى المصحف الامام لان زيدا كان صاحب العرضة الاخيرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ..

نماذج لأسرار الترتيب :

ثبت لدينا أن الترتيب أمر توقيفى من الله تعالى لا تظهر أسراره الا للمتأمل ولو أخذنا نموذجا تطبيقيا على هذا الترتيب المبنى على التسلسل والتلاحم ، والترابط الأكيد ، لأدركنا أن هذا ليس فى طوق البشر .

والنموذج الذى اخترناه من قصار السور . وهو يبدأ بسورة الزلزلة فالعاديات ، فالقارعة فالتكاثر ، فالعصر ، فالهمزة ، فالفيل ، فقريش وأخيرا سورة الماعون .

هذه تسع سور من القصار ، ولو تتبعنا التناسب بينها لوجدنا أنه لا يخفى على صاحب عقل مابين قوله تعالى فى الزلزلة « **وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا** » وقوله فى العاديات « **إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ** » من المناسبة والعلاقة ، كما أنه ذكر فى الزلزلة جزاء الانسان على الخير والشر وذكر فى العاديات أن الانسان بطبعه يحب الخير ويغالى حتى الهلاك ، وهذا الحب هو الذى يوجهه الى ما فيه فلاحه أو هلاكه . وغدا نكتشف عن نواياه الخفية « **أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ** » ..

ثم تأتى سورة القارعة ، لتزيد الامر تفصيلا ، فأعمال الانسان التى أجملها فى الزلزلة وذكر مصدرها فى العاديات أبرزها — هنا — موزونة والموازين اما ثقيلة ، واما خفيفة .. وأيضا لما ختم سورة العاديات بقوله « **إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ** » كأنه قيل : وما ذاك ؟ ما حقيقة هذا اليوم ؟ .. فأجاب « القارعة » وتقديره ستأتيك القارعة على ما أخبرت عنه بقولى « **إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ** » .

ثم تجىء سورة التكاثر وهى بمثابة التعليل المباشر لخاتمة القارعة كأنه لما قال هناك « **فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ** » قيل ما علة ذلك ؟ فجاء الجواب لانكم « **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ** » فاشتغلتم بدنياكم وملأتم موازينكم بالحطام فخفت موازينكم بالآثام .

ولهذا جاءت سورة العصر بعد التكاثر لتبين أن الانسان فى خسر وهذا بيان لخسارة تجارة الدنيا ، وربح تجارة الآخرة ، ولهذا أعقبها بسورة الهمزة .. للتوعد فيها بمن جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده .. ثم تأتى سورة الفيل .. ويظن القارىء أنه لا صلة بينها وبين سابقتها .. حيث أن هذه تروى حدثا تاريخيا شهدته الجزيرة العربية .

حكمة وإعجاز

لكنك اذا أنعمت ، وكررت البصر تجد أن الله تعالى لما ذكر حال الهمزة اللمزة الذى جمع المال وعدده ، وتعزز بماله واشتد ساعده ، أعقب ذلك بذكر قصة أصحاب الفيل ، الذين كانوا أشد منهم قوة ، وأكثر أموالا ، وعتوا . وقد جعل كيدهم فى تضليل ، وأهلكهم بأصغر الطير وأضعفه ، وجعلهم كعصف مأكول ، ولم يغن عنهم مالهم ولا عزهم ولا شوكتهم ولا فيلهم شيئا .. فمن كان عزه وقوته بالمال والهمز للناس باللسان فهو أقرب الى الهلاك والمذلة والمهانة .

ثم تأتى سورة قريش بعد الفيل وهى شديدة الاتصال بها لتعلق الجار والمجرور فى أولها « لايلاف » بالفعل فى آخر الفيل ، فكأنه فعل ذلك بأصحاب الفيل لايلاف قريش ، ولتأمين طريق تجارتهم فى رحلتى الشتاء والصيف وقد كان من أهداف أبرهة فى حملته حرمان قريش من تجارتها هذه .

وأخيرا تأتى سورة الماعون مرتبطة بسورة قريش فانه لما ذكر الله تعالى فى سورة قريش « **ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ** » ذكر هنا ذم من لم يحض على طعام المسكين ، فهى ترشد الى الطريق السليم لاستعمال المال وبذله فى عون اليتامى ، واطعام المساكين فسمى مانع الماعون مكذبا بالدين .. وأيضا لما قال هناك « **فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ** » ذكر هنا من سها عن صلاته ، وتوعده بالويل .. والله أعلم .

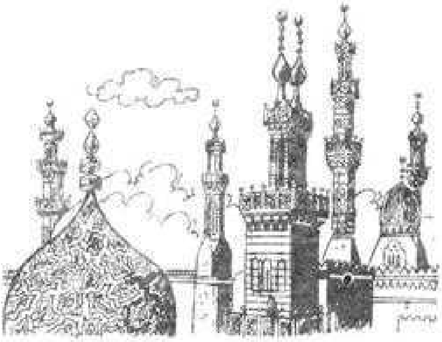

فهل يبقى بعد هذا الترابط الذى الذى لمسناه ، والتسلسل الذى وجدناه، والحكمة السامقة ، والحجة الماحقة للمعجزة الخارقة ، ما يحيك فى الصدر او يوغره ، اللهم الا ما كان عن كبر أو الجهل مصدره .

أعاننا الله من شرهما .. آمين .

رشدى محمد ابراهيم

نظرات ابن هبيرة في التفسير و

*** سبق أن عرضنا فى مقالة سابقة لمعالم حياة الوزير العادل ابن هبيرة وشيوخه ، وأخلاقه ، وآثاره العلمية وثناء العلماء عليه وتخصص هذه المقالة لبيان نظرات ابن هبيرة فى التفسير وفقه الحديث .**

وقد كان ابن هبيرة ــ رحمه الله ــ يعقد فى داره بعد صلاة العصر من كل يوم مجلسا يجتمع فيه مع الفقهاء والمحدثين والادباء ويتداول معهم فيما يعترضه من مشكلات علمية وعملية ، ويفصح لهم بما يفتح الله عليه فى التفسير والحديث والفقه ، وقد حفظ لنا ذلك تلميذه الامام ابن الجوزى فى كتاب صنفه بعنوان « المقتبس من الفوائد العونية » ذكر فيه الفوائد التى سمعها من الوزير ابن هبيرة ، واشار فيه الى مقاماته فى العلوم.

ونعرض لبعض نماذج من تفسيراته ، فيها دلالة قاطعة على تدبره للقرآن وعمق نظرته فيه :

* ففى تفسير قوله تعالى (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ

فقه الحديث

للدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد

مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ • وَلاَتَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) •

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) الأنعام : الآيات ١٥١ ــ ١٥٣)•

يقول ابن هبيرة : هذه الآيات محكمات ، وقد اتفقت عليها الشرائع • وانما قال فى الآية الآولى (لعلكم تعقلون) وفى الثانية (لعلكم تذكرون) وفى الثالثة (لعلكم تتقون) ، لان كل آية يليق بها ذلك ، فانه قال فى الاولى (أن لاتشركوا به شيئا) والعقل يشهد ان الخالق لاشريك له ، ويدعو العقل الى بر الوالدين ، ونهى عن قتل الولد ، واتيان الفواحش ، لأن الانسان يغار من الفاحشة على ابنته وأخته ، فكذلك هو ، ينبغى ان يجتنبها ، وكذلك قتل النفس ، فلما لاقت هذه الامور بالعقل ، قال (لعلكم تعقلون) •

ولما قال فى الآية الثانية (ولا تقربوا مال اليتيم) والمعنى : اذكر لو هلكت فصار ولدك يتيما ، واذكر عند ورثتك ، لو كنت الموروث له ، واذكر كيف تحب العدل فى انقول ؟ فاعدل فى حق غيرك ، وكما لا تؤثر ان يخان عهدك فلا تخن ، فلاق بهذه الاشياء التذكر فقال (لعلكم تذكرون) •

وقال فى الثالثة : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه) فلاق بذلك اتقاء الزلل ، فلذلك قال (لعلكم تتقون) •

* وفى تفسير قوله تعالى (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا

نظرات في التفسير وفقه الحديث

(إِلاَّ مَاكَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (التوبة : الآية ٥١) يقول ابن هبيرة :

لم يقل « الله » ماكتب علينا ، لانه أمر متعلق بالمؤمن ، ولا يصيب المؤمن شيء الا وهو له ، ان كان خيرا فهو له فى العاجل ، وان كان شرا فهو ثواب له فى الآجل .

* وفى تفسير قوله جل شأنه (لَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ) (الكهف : الآية ٣٩) يقول ابن هبيرة رأيت لها ثلاثة أوجه :

أحدها : ان قائلها يتبرأ من حوله وقوته ، ويسلم الامر الى مالكه .

والثانى : أنه يعلم أن لاقوة للمخلوقين الا بالله ، فلا يخاف منهم ، اذ قواهم لاتكون الا بالله ، وذلك يوجب الخوف من الله وحده.

والثالث : أنه رد على الفلاسفة والطبائعيين الذين يدعون القوى فى الاشياء بطبيعتها ، فان هذه الكلمة بينت ان القوى لايكون الا بالله .

* وفى تفسير قوله عز وجل (أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ..) (الفرقان الآية ٨)

يقول ابن هبيرة : العجب لجهلهم حين أرادوا أن يلقى اليه كنز أو تكون له جنة . ولو فهموا علموا ان كل الكنوز له وجميع الدنيا ملكه أو ليس قد قهر أرباب الكنوز ، وحكم فى جميع الملوك ! وكان من تمام معجزته أن الاموال لم تفتح عليه فى زمنه لئلا يقول قائل : قد جرت العادة بأن اقامة الدول ، وقهر الاعداء بكثرة الاموال . فتمت المعجزة بالغلبة والقهر من غير مال ولاكثرة أعوان . ثم فتحت الدنيا على أصحابه ، ففرقوا ما جمعه الملوك بالشره، فأخرجوه فيما خلق له ، ولم يمسكوه امساك الكافرين ؛ ليعلموا الناس باخراج ذلك المال ان لنا دارا سوى هذه الدار ، ومقرا غير هذا.

وكان من تمام المعجزات للنبى صلى الله عليه وسلم : أنه لما جاءهم بالهدى فلم يقبل سل السيف على الجاحد ، ليعلمه ان الذى أتبعثنى قاهر بالسيف بعد القهر بالحج .

ومما يقوى صدقه ان قيصر وكبار الملوك لم يوفقوا للايمان به لئلا يقول قائل : انما ظهر لان فلانا الملك تعصب له فتقوى به ، فبان ان أمره من السماء لا بنصرة أهل الارض .

* وفى تفسير سورة الضحى يقول ابن هبيرة : توالى فيها قسمان ، وجوابان مثبتان ، وجوابان نافيان .

فالقسمان : (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى).

والجوابان النافيان (مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى)

والجوابان المثبتان (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) .

ثم قرر بنعم ثلاث ، واتبعهن بوصايا ثلاث:

كل واحدة من الوصايا شـــكر النعمة التى قوبلت بها •

فاحداهن : (أَلَمْ يَجِــدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ؟) وجوابها (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) •

والثانية : (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ؟) فقابلها بقوله (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) وهـــذا لأن السائل ضال يبغى الهدى •

والثالثة : (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ؟) فقابلها بقوله (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) •

وانما قال : (وما قلى) ولم يقل : وما قلاك لان القلى بغض بعد حب ، وذلك لا يجــوز على الله تعالى ، والمعنى : ما قلى أحدا قط •

ثم قال (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى) ولم يقل خير على الاطلاق ، وانما المعنى خير لـــك ولمن آمن بك •

وقوله (فآوى) ولم يقل : فآواك ، لانـــه أراد : آوى بك الى يوم القيامة •

ويتبين لنا أثر هذه النظرات التفســـيرية فيمن جاء بعده من المفسرين بصفة عامة وبعض المعاصرين لنا بصفة خاصة •

من نظرات ابن هبيرة فى الحديث النبوى :

*يعد ابن هبيرة أحد العلماء الأجلاء الذين شرحوا الأحاديث المتفق عليها بين الامـــام البخارى ومسلم ، والأحاديث التى انفرد كل منهما بها ، وكتابه « الافصاح عن المعـــانى الصحاح » هو شرح لكتاب « الجمـــع بين الصحيحين » للحميدى (المتوفى ٤٨٨ هـ) الذى يعد أوثق الكتب فى هذا المجال •

ولابن هبيرة استنباطات دقيقة وعميقـــة من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فى الافصاح منها :

* فى قول الرسول صلى الله عليه وســـلم (اذا دخل رمضان سلسلت الشياطين) قـــال ابن هبيرة : ان الشياطين للعاصى فى غـــير رمضان كالمجاز يقول : سول لى ، وغـــرنى• فاذا سلسل الشيطان قل عذر العاصى •

* وفى حديث عائشة رضى الله عنها (كان أكثر صوم رسول الله صلى الله عليه وســـلم فى شعبان) قال ابن هبيرة :

ما أرى هذا الا على وجه الرياضـــة لان الانسان اذا هجم بنفسه على أمر لم يتعوده صعب عليه ، فدرج نفسه بالصوم فى شـــعبان لاجل رمضان •

* وفى قوله صلى الله عليه وسلم : (أعوذ بك من شر مالم أعمل) •

قال ابن هبيرة له معنيان :

أحدهما : ان الانسان يبلغه أن الرجل قـــد عمل الشر فيرضى به أو يتمنى أن يعمل مثله ، فهذا شر مالم يعمل •

والثانى : أن الرجل قد لايشرب الخمـــر ،

نظرات
في التفسير
وفقه الحديث

فيعجب بنفسه كيف لايشرب ، فيكون العجب بترك الذنب شر مالم يعمل .

* وفي تحديد ليلة القدر قال ابن هبيرة بعض أن عرض وجهات النظر الاخرى الصحيح عندى : ان ليلة القدر تنتقل فى أفراد العشر ، فانه حدثنى من أثق به أنه رآها فى ليلة سبع وعشرين ، وحدثنى أمير المؤمنين المقتضى لامر الله : أنه رآها . فأما أنا فكنت فى ليلة احدى وعشرين وكانت ليلة جمعة ، فواصلت انتظارها بذكر الله عز وجل ، ولم انم تلك الليلة ، فلما كان وقت السحر – وانا قائم على قدمى – رأيت فى السماء بابا مفتوحا مربعا عن اليمين القبلة ، قدرت أنه على حجرة رسول الله صلى الله على وسلم ، فبقى على حاله – وأنا أنظر اليه – نحو قراءة مائة آية ، ولم يزل حتى التفت عن يسارى الى المشرق لأنظر هل طلع الفجر ؟ فرأيت أول الفجر . فالتفت الى ذلك الباب فرأيته قد ذهب . وكان ذلك مما صدق عندى مارأيت فالظاهر من ذلك : تنقلها فى ليالى الافراد فى العشر فاذا اتفقت ليالى الجمع فى الافراد فأجدر وأخلق بكونها فيها .

واجتهاده فى تحديد ليلة القدر انفرد به ، وهو صادر عن رصد للواقع واستقراء له ، تطمئن نفوسنا اليه ، ونقول به تأييدا له .

* وذكر أبو بكر التيمى بن المرستانية (المتوفى ٥٩٩ هـ) ، فى الكتاب الذى جمعه فى مناقب الوزير وفضائله أنه سمع الوزير يقول : وقد قرىء عنده (أن رجلا قال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أيكم قال ذلك ؟ فقال الرجل أنا يارسول الله ، ولم أرد بذلك الا الخير . فقال صلى الله عليه وسلم رأيت بضعا وثلاثين ملكا يبتدرونها) فطفقت والجماعة عندى أفكر فى معنى تخصيص هذا العدد من الملائكة ، فنظرت فاذا حروف هذه الكلمات بضع وثلاثون حرفا اذا فكك المشدد ، ورأيت أنه من عظم ماقد ازد حمت الملائكة عليها ، بلغوا الى فك المشدد فلم يحصل لكل ملك سوى حرف واحد ، فصعد به يتقرب بحمله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د . فؤاد عبد المنعم احمد

**

معجزات متجددات

للدكتور عبد الرحمن الرفاعي

ان أشرف شيء فى هذه الحياة هو العلم ، وأكرم الناس هم العلماء ، لأنه بالعلم والعلماء سعادة البشرية جميعا ، والعلوم منقسمة الى علوم تخدم شئون الدنيا وعلوم تخدم شئون الحياة الأخرى الأبدية .

ومن يوم أن عرف الانسان الكتابة والقراءة ، وهو يدون معارفه فى كتب وصحف ليأخذ الجيل اللاحق ما وصل اليه الجيل السابق ، وهو فى كل ذلك يضيف الى التراث ما يجد من خبرات ومعلومات ويحذف ما لا يتلاءم ويتسق مع الحقائق الجديدة. وظاهرة الاضافة والتنقيح والحذف هذه تجرى فى كل العلوم والفنون ولكافة العلماء حتى العباقرة منهم .

ولكن كتابا واحد فى التاريخ الانسانى كله مستثنى من هذه القاعدة .

لم يحدث فيه تنقيح ولا تبديل ولا اضافة ولا حذف :

لا تبديل لكلمات الله

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

مع أن من علمه للبشرية لم يتلق علما على أحد ولم يلتحق بمعهد ولا مدرسة ، بل كان فى قرية خالية من العلم تماما ، الذين يمكنهم مجرد الكتابة فيها يعدون على اصابع اليد « **وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ** »

أى لا حظ له فى القراءة ولا فى الكتابة .

« **مَاكُنْتَ تَدْرِى مَاالْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ** » .

وهذا الكتاب الكريم لم يقتصر على مادة متخصصة بعينها ، وانما أحاط احاطة تامة وصادقة كل الصدق بكل شيء علما .

« **مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ** » .

معجزات

فتكلم بعمق وصدق فى كل العلوم التى تتصل بالدنيا : من تاريخ الأمم الخالية « وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ » .

ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ » وكذا فى علم الطب ــ فى الفروع الدقيقة منه « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا » .

وفى علوم الفلك والكواكب :

« وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ » الخ ..

وفى علوم النبات ، والحيوان ، والقانون والحرب والسلام ، وعلم الأخلاق ، واللغة وحقوق الأفراد والجيران والشركاء والمعاملات بل جميع ما يتصل بشئون الانسانية فى دنياها ثم علوم الآخرة من بعث ونشر وحساب وما يترتب عليه .

ومع كل هذه البحار الهادرة المتدفقة ، هو يتحدى العرب وغير العرب ، فى عصره الأول وفى جميع عصور التاريخ بأن يعارضوه ، أو ينقضوه فى أى مادة من مواده التى تزداد اشعاعا وضياء كلما أضيفت الى معارف الانسانية معلومات واختراعات ورقيا جديدا فى كل ميادن العلوم والاكتشافات .

فهل يمكن أن تجتمع كل هذه الخصائص والمميزات فى كتاب بشرى ، أو هل اجتمعت ؟؟ سمعنا عن التوراة المحرفة ، والانجل المبدل وكتب الالحاد فى روسيا والصين ، فهل كلها أو بعضها ، أو أى كتاب فى الدنيا أو فى التاريخ يضارع هذا الكتاب العظيم بل هل يحمل معه أى دليل كا من فى ذاته يدل على صدقه كما يدل هذا القرآن المبين لماذا لانه ليس كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه كتاب الله رب العالمين .

لنا نحن المسلمون أن نتباهى به ، وأن نشهره فى وجه كل باطل ، وأن نقيم به الدليل الصريح الصادق على رسالة الرسول ، وعلى وحدانية ربنا عز وجل ، وعلى أن المسلمين هم أعظم أمة على الأرض ، لأنها الأمة الوحيدة التى تملك ناصية الحق بدليل هذه المعجزة المتجددة يوما بعد يوم حتى نهاية العالم وانى أنادى كل مسلم ان يقرأ القرآن ، وأن يحفظه ، وأن يستمع اليه ، وأن يعلمه أولاده لأن فيه سعادته وعزه وفخره فى الدنيا وفى الآخرة .

لان قراءته عبادة ، واستماعه عبادة ، والايمان بكل ما فيه من أحكام وشرع ووعد ووعيد نجاح وفلاح وفوز من ضياع الدنيا والآخرة .

متجددات

ولقد اندثرت الكتـــاتيب وكانت هى العماد الأساسى لتحفيظ القرآن والقراءات المتواترة وشملت قلوب المؤمنين رجفة على دستور الدنيا والآخرة ، ولكن الذى نزل الذكر له حـــافظ ، فقام الأزهر الشريف بعلمائه وشيوخه الأماجد بنشر معاهد القرآن والقراءات فى أنحاء هذا البلد الطيب وسارع المسلمون والاطهـار من أساتذة الجامعة والضباط والصناع الى حلق التحفيظ بالمســـاجد يحفظون كتاب ربهم ، ليتحقق عهد الله :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » .

وهذا واجب على أمة الاســلام أن يأخذوا بأيدى الضـــــالين الى نور الحــق وبرهان التوحيد .

ولكن توجـــد فى النفس بعض الخواطر والآمال :

منها : أن العالم الاســـلامى اهتز بشرا وفخرا بكتابه العظيم ، عندما قيض الله تعالى أهل الخير لتسجيل تفسير هذا القرآن الكريم بالتليفزيون بواسطة الامام الشــيخ متولى الشـــعرواى ، وأفاق الناس كأنهم عرفوا القـــرآن لأول مرة ، وسرى فى النفـــوس الاعجاب بفضيلة الامام ، ويا ليتنا نعرف أن هذا النور الفياض انما يعود الى ذات الكتاب الكريم .. لانه كـــلام لله .. وياليت أهل الخير فى جهاز الاعلام الذين يرجون السعادة التى لا يساويها أى عرض من أعراض الدنيا يلقون نظرة على الأزهر الشريف فســـوف يفاجـأون بعشرات الاعـــلام : فى التـــاريخ الاســـلامى المجيـــد الذى بهر الدنيـــا ، وفى الحديث ، وفى الأخلاق ، وفى كل علم مفيد .

وانى أدل المنتجين الـــذين يحرصـــون على الحصول على أكبر ربح أن يولوا وجـــوههم شطر العلماء لانتاج شرائط اسلامية توزع فى كافة العالم الاسلامى ، بدل هذه المسلســلات التى تهدم ، وتجلب اللعن من الله وأهل الله .

انك ان خرجت من هذا البلد الطيـــب فلن تجد مجدا تفخر غير الأزهر الشريف حامــل لواء القرآن .

واننا تطفلنا على اجتهادات الأمم الاخرى فلن نجد فيها الا مايسىء الى مشـــــاعرنا وطبائعنا وأخلاقنا وليس فيها غناء .

أما القرآن فيكفى أن نعرف أن كل جملـــة فيه تسمى آية ، أى معجزة لســـائر البشر ، سواء أكانت آية كونية كالكـــواكب والبحـــار وخلق الليل والنهار أو آية خلقيـــة ، أو آيـــة تضبط السلوك الانسانى نسأل اللـــه التوفيق والهداية .

عبدالرحمن محمد الرفاعى

الإسلام

قبل الخوض فى هذا الموضوع أريد أن أبين موقع الشعر فى العصر الجاهلى، وسوف يكون هذا التبيين موجزا بحيث يعطى العنوانات الرئيسية فى هذا الجانب أما التفصيل فان مجاله البحوث التى تدور فى مجال البحث الادبى للعصر الجاهلى .

كان الجاهليون يعتزون بالشعر والشاعر ، أما اعتزازهم بالشعر فلأنه سجل تاريخهم الذى يسجل وقائعهم ، وأحداث الحياة التى تمر عليهم ، كما أنه يسجل النظم الاجتماعية التى تعارفوا عليها ، واعتبروها تراثا يعتزون به ، ويستمسكون بأصوله وقواعده . يقول الجاحظ : « كل أمة تعتمد فى استبقاء مآثرها، وتحصين مناقبها ، على ضرب من الضروب ، وشكل من الاشكال . وكانت العرب فى جاهليتها تحتال فى تخليدها بأن تعتمد فى ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها » (١) .

وأما اعتزازهم بالشاعر فلأنه اللسان الذى يعبر عن أمجادهم ، ويرفع عقيرته بالدفاع عنهم ، والذود عن مآثرهم ، والحث على الاستزادة من الامجاد والمآثر ، ولذا « كانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعون فى الأعراس ، ويتباشر الرجال والولدان ، لأنه حماية لاعراضهم ، وذب عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، واشادة بذكرهم ، وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ فيهم ، أو فرس تنتج » (٢) .

ولكن الشعر ــ قبل ظهور الاسلام بفترة وجيزة ــ تحول الى نواح تدل ــ من الناحية الخلقية ــ على الانحدار بالشعر فى اتجاه يخالف الخلق السليم ، والطبع المستقيم .

فلما جاء الاسلام وجد الشعر يتربع على عرش الادب ، ولكنه رأى أن المجالات التى يطرقها الشعراء تخالف المبادىء القديمة التى يدعو الناس اليها ، ليبنى المجتمع على أساس من الخلق الفاضل ، فكان لابد فى هذا المجال أن يقوم الاسلام بدور الموجه لجموح الشعر،

(١) الحيوان ١/٧١

(٢) العمدة لابن رشيق ١/٦٥

والشعر

للدكتور النبوي عبد الواحد شعلان

فيحول وجهته الى الناحية التى تخدم المبادىء الدينية ، وتقوى الخلق المستقيم فى النفوس.

وقد استجاب الكثير من الشعراء لهذا التوجيه ، وبقى منهم مجموعة ظلوا سادرين فى غيهم ، ولم يستجيبوا لداعى الدين ، وبالتالى لم يتأثروا بما رسم من أصول . وليس أمر عدم التأثر بما رسم الاسلام مقصورا على الشعراء الذين لم يدخلوا فى الاسلام ، وانما يشملهم ويشمل غيرهم ممن أسلموا ظاهرا ، ولم يدخل الايمان فى قلوبهم.

ولما وجد الرسول صلى الله عليه وسلم الشعراء المكيين يقفون منه موقف العداء اتخذمنهم موقفا حاسما ، لا لأنهم يتهجمون على شخصه ، وانما لأنهم يحرضون الناس على المسلمين ، ويبعدونهم عن الدخول فى الدين ، ويتوعدون من يفكر أو يحاول التفكير فى الدخول فى هذا الدين ، وهذا هو الذى أحفظ الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم .

ويؤيد هذا الذى قلت مايروى من أن أبا عزة الجمحى كان يستنفر المشركين ويحرض قريشا على قتال الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأسر يوم بدر ، وجىء به الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فشكا اليه الفقر والعيال ، فرق له الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخلى سبيله بعد أن عاهده ألا يعين عليه بشعره ، فأمسك مدة ، ثم عاد الى حالته الاولى ، فأسر يوم أحد ، فخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بمثل خطابه الاول ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمدا مرتين ، ثم قتله صبرا ، وقال : لا يلسع المؤمن من جحر مرتين (١) .

كما أنه أمر بقتل كعب بن الأشرف اليهودى، لانه شبب بنساء الرسول صلى الله عليه وسلم ونساء الصحابة ، وبكى على أصحاب القليب الذين أصيبوا ببدر من قريش ، وهو القائل — بعد رحلة الى مكة يحرض فيها قريشا على الرسول صلى الله عليه وسلم — فى التشبيب بأم الفضل بنت الحارث (٢) :

---

(١) العمدة ٦١/١ وتاريخ الطبرى ٥٠٠/٢
(٢) تاريخ الطبرى ٤٨٨/٢

الإسلام والشعر

أر احل أنت لم تحلل بمنقبة
وتارك أنت أم الفضل بالحرم
صفراء رادعة لو تعصر انعصرت
من ذى القوارير والحناء والكتم
يرتج مابين كعبيها ومرفقها
اذا تأدت قياما ثم لم تقم
أشباه أم حكيم اذ تواصلنا
والحبل منها متين غير منجذم
احدى بنى عامر جن الفؤاد بها
ولو تشاء شفت كعبا من السقم
فرع النساء وفرع القوم والدها
أهل التحلة والايفاء بالذمم
لم أر شمسا بليل قبلها طلعت
حتى تجلت لنا فى ليلة الظلم

وليس معنى ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكره الشعر ، أو لايقبل على سماعه أو لايثيب على جيده ، أو لا تتأثر نفسه بمافيه من عاطفة ، ان هذا كله لايصح أن يخطر ببال انسان ، فقد روى ابن عائشة يرفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به فى بواديها ، وتسل به الضغائن من بينها (١) كما يروى عن اسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها قالت : مر الزبير بن العوام رضى الله عنه بمجلس لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وحسان ينشدهم ، وهم غير آذنين لما يسمعون من شعره ، فقال : مالى أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة ؟ لقد كان ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه ويجزل عليه ثوابه ، ولايشتغل عنه اذا أنشده (٢) .

ولمعرفة الشعراء باعجاب الرسول صلى الله عليه وسلم بالشعر دافعوا عنه بكل شدة ؛ لأنهم يعرفون أن الحق بجانبهم ، فقد روى أنه بينما كان حسان ابن ثابت ينشد الشعر فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فجاء عمر فقال : يا حسان ، تنشد شعرك فى مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام !!!

فرد عليه حسان بقوله : أنشدت فيه ، وفيه من هو خير منك (٣) .

بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشترك فى الاستماع الى الشعر ويبدى رأيه فى بعض ألفاظه ، فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على كعب بن مالك الانصارى وهو فى مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ينشد الشعر ، فلما رآه كأنه انقبض ، فقال : ماكنتم فيه ؟ فقال كعب : كنت أنشد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنشد ، فأنشد حتى أتى على قوله :

مُقَاتَلُنَا عن جِذْمِنا كلَّ فخمة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتقل عن جذمنا ، ولكن قل : مقاتلنا عن

(١ ، ٢) العمدة ١/٢٨

(٣) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ١٥ ، والعمدة ١/٢٨

ديننا (١) • فهو هنا يوجه الشاعر الى أن الدفاع أصبح مقصورا على الدين لاغير •

وهو صلى الله عليه وسلم قد استمع الى كعب بن زهير فى قصيدته (بانت سعاد) وأظهر اعجابه بها قولا وفعلا ، أما قولا فلأنه كان ينبه أصحابه الى بعض المقاطع التى ينشدها كعب ، وأما فعلا فلأنه قد خلع عليه بردته بعد الانتهاء من القصيدة (٢) • وهكذا نراه قد عفا ، وأجزل العطاء •

وأما شدة تأثر نفسه الشريفة بما فى الشعر من عاطفة فيؤيده ما يروى من أن قتيلة بنت الحارث بن النضر قالت ترثى أخاها النضر بن الحارث :

ياراكبا ان الأثيل مظنة
من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ به ميتا بأن تحية
ما ان تزال بها النجائب تخفق
منى اليك وعبرة مسفوحة
جادت بدرتها وأخرى تخنق
هل يسمعن النضر ان ناديته
ان كان يسمع هالك لاينطق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه
لله أرحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا
رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد وأنت نسل نجيبة
فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما
من الفتى وهو المغيظ المحنق

(١) الاغانى ١٦/٢٣٢

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١/٩٩
والشعر والشعراء لابن قتيبة ١/١٥٤

أو كنت قابل فدية فلنأتين
بأعز مايغلو لديك وينفق
والنضر اقرب من أخذت بزلة
وأحقهم ان كان عتق يعتق

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل النضر بعد أن انتهى من معركة بدر ، فلما سمع الرسول الكريم قول قتيلة السابق قال : لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته (٣)

ومن ادراك الرسول صلى الله عليه وسلم القيمة الحقيقية للشعر فى نفوس العرب اتخذ منه ومن رجاله حماة للدين يدفعون عنه المتهجمين كما يدافع المجاهدون بسيوفهم ، وكان فرسان هذه الحلبة حسان بن ثابت ، والنابغة الجعدى وكعب بن مالك ، وعبد الله ابن رواحة •

روى فى هذا الشأن أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للانصار : مايمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ فقال حسان ابن ثابت : أنا لها ، وأخذ بطرف لسانه ، وقال : والله مايسرنى به مقول بين بصرى وصنعاء (٤) •

وقد عرفه أبو بكر الصديق رضى الله عنه المواطن التى يستخذون منها ، فكان يصوب اليها سهام قوله ، وقد عرف القرشيون أثر توجيهات أبى بكر لحسان •

ولم يكن أثر الشعر الاسلامى فى نفوس القرشيين بأقل من أثر السيوف فى أجساد رجالهم ، فقد سجل الشعر عليهم اندحارهم يوم بدر ، وفرار بعضهم خوفا من سيوف

(٣) الاغانى ١/١٩ والعمدة ١/٥٦
(٤) الاغانى ٤/١٣٧

المسلمين التى حصدتهم حصد الثمار جان قطافها : يقول حسان فى هذا الشأن مسجلا قتل أبى جهل وفرار أخيه الحارث ، وذلك فى قصيدته التى بدأها بقوله :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة
تسقى الضجيج ببارد بسام

وفيها يقول :

ان كنت كـاذبة الذى حدثتنى
فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم
ونجا برأس طمرة ولجام
وبنوا أبيه ورهطه فى معرك
نصر الآله به ذوى الاسلام
لولا الآله وجريها لتركته
جزر السباع ودسنه بحوامى

وقد كان لهذه الأبيات أثرا سىء فى نفوسهم، كما كان لها أثر سىء فى الحاق الفضيحة بهم عند جيرانهم ، فقد روى أن ابن الاشعث لما صار الى رتبيل ، تمثل رتبيل بقول : حسان ابن ثابت فى الحارث بن هشام :

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم
ونجا برأس طمرة ولجام

فقال له ابن الأشعث : أو ما سمعت مارد عليه الحارث بن هشام ؟ قال : وماهو ؟ فقال : قال :

الله يعلم ما تركت قتالهم
حتى رموا فرسى بأشقر مزبد
وعلمت أنى ان أقاتل واحدا
أقتل ولا يضرر عدوى مشهدى
فصددت عنهم والأحبة فيهم
طمعا لهم بعقاب يوم مرصد

فقال رتبيل : يامعشر العرب ، حسنتم كل شيء حتى حسنتم الفرار . (١)

أما أثر الشعر فى مجال الدعوة الاسلامية فيتضح فى موقف قدوم وفد بنى تميم على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان هذا الوفد — شأنه كل الأعراب — فيه جلافة طبع وخشونة قول ، فقد طرقوا باب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم ينتظروا خروجه ، وفيهم نزلت آيات من سورة الحجرات ، ثم لما جلس الرسول اليهم طلبوا منه أن يأذن لخطيبهم وشاعرهم ، فأذن ، فقام عطارد ابن حاجب بن زرارة فافتخروا بقومه ،وعدد ما لهم من عزة وقوة ، فأشار الرسول صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس فقام وخطب مبينا ما فضل الله به المسلمين من الدين ، كما وضح قوة المسلمين التى تأتيهم من الله ، ثم قام شاعر الوفد الزبرقان بن بدر فقال :

نحن الكرام فلا حى يعادلنا
منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم
عند النهاب وفضل العز يتبع

---

(١) الاغانى ١٦٩/٤ وما بعدها

الإسلام والشعر

ونحن نطعم عند القحط مطعمنا
من الشواء اذا لم يؤنس الفزع
ثم ترى الناس تأتينا سراتهم
من كل أرض هويا ثم نصطنع
فننحر الكوم عبطا فى أرومتنا
للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا الى حى نفاخرهم
الا استفادوا وكان الرأس يقتطع
انا أبينا ولن يابى لنا أحد
انا كذلك عند الفخر نرتفع
فمن يقادرنا فى ذاك يعرفنا
فيرجع القول والأخبار تستمع

فلما فرغ الزبرقان ابن بدر من قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : قم ياحسان فأجب الرجل فيما قال ، فقال حسان:

ان الذوائب من فهر واخوتهم
قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته
تقوى الاله وكل الخير يصطنع
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم
أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة
ان الخلائق فاعلم شرها البدع
ان كان فى الناس سباقون بعدهم
فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم
عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا

الى آخر هذه القصيدة الطويلة الرائعة التى توجد فى كتب الأدب والتاريخ (١) .

فلما سمع وفد بنى تميم خطيب الرسول وشاعره قال الأقرع بن حابس :ان هذا الرجل ـ يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم ـ لمؤتى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا : وأصواتهم أعلى من أصواتنا ، فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم .

وهكذا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعجب بالشعر الجيد ويستمع اليه ، ويثبت عليه ، ويتأثر منه .

ومن كل ما سبق تتضح الفرية التى تقول أن الاسلام قد طامن من قدر الشعر وينخدع بعض الناس حين يسمعون أصحاب هذه الفرية يحتجون بقول الله تعالى :« **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ** » فهذا القول من الله عز وجل يحط من قدر الشعراء فى رأى

(١) الطبرى ٣/ ١١٥ وما بعدها والاغانى ٤/ ١٤٨

الإسلام والشعر

أصحاب هذه الفرية الضالة المضلة ، كما يحتجون أيضا بأن الله عز وجل نفى الشعر عن نبيه فى قوله تعالى « **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ** » (١) .

أقول أما أصحاب هذه الدعوى فانه يكفى فى ردهم الى الصواب تذكيرهم بأن هذا جاء فى القرآن الكريم انما هو خاص بشعراء الكفار الذين وقفوا من الاسلام موقف العداء ، وكذلك الذين لم يلتزموا الجانب الأخلاقى الذى رسمه الدين ، ولو كان هؤلاء منصفين حقا لأكملوا النص القرآنى وهو : « **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** » . (٢)

ونفى الشاعر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس غضا من شأن الشعر كما يزعم المضللون ، وانما لتكون المعجزة القرآنية التى بهرتهم أوقع فى نفوسهم .

أما حجة من يدعى قلة الشعر أو ضعفه فى صدور الاسلام فانه يكفى فى ردها أن يرجع أصحابها الى كتب التاريخ والأدب مثل تاريخ الطبرى والكامل لابن الأثير وطبقات ابن سعد والأغانى والعقد الفريد وغير ذلك كثير من الكتب التى تروى الكثرة الكثيرة من الشعر .

على انه يمكن أن ترد قلة الشعر فى نظر هؤلاء الى قلة الفنون التى يطرقها الشعراء ، فمثلا شعر الخمر والغزل الفاضح لم يعد لها مجال فى ذلك المجتمع الذى ينبنى على الأسس الأخلاقية ، وكذلك شعر استنفار القبائل للثأر والفخر الذى يورث العداوة ويزرع الحقد كل هذا لم يعد يصلح فى مجتمع تقوم أركانه على المودة والتآلف .

النبوى عبد الواحد شملان

---

(١) سورة يس الآية ٦٩
(٢) سورة الشعراء الآية ٢٢٧

في التشريع الإسلامي

- ماء زمزم
في ضوء السنة النبوية

- الأمية الفقهية
وتقنين الشريعة
الإسلامية

- هكذا سئل
الرسول
صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع

- رد على كتاب (الخمر خطر محقق)

دراسة تحليلية

ماء

ماء زمزم منحة ربانيــة ، فيهـا من الغذاء والشفاء والخير والبركة ما فيها. انها المنحة التى منحهـا اللــه تعــالى لاسماعيل عليه السلام فى وقت كان أشد حاجة الى الماء ، ومنحة لكل المسـلمين الذين يردونها ويسعدون بالشرب منها ، فهى سقيا من الله تعالى .

فعندما ترك ابراهيم عليه السلام اسماعيل وأمه ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ، فنادته أم اسماعيل قائلة :

يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انس ولا شيء ؟

لقد قالت ذلك مرارا ، وهو لا يلتفت اليها . فقالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت: اذن لا يضيعنا . فلما نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها ، فانطلقت تبحث عن الماء ، فوجدت الصفا أقرب جبل اليها ،فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا ، فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود ، حتى جاوزت الوادى . ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا؟ فلم تر أحدا ، ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

فذلك سعى الناس بينهما . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت : صه ـ تريد نفسها ـ ثم تسمعت أيضا ، فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث ، فاذا هى بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه ، وتقول بيدها هكذا . وجعلت تغرف من الماء فى سقائها ، وهو يفور بعد ما تغرف .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم أولو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا » رواه البخاري لقد شربت أم اسماعيل وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة . فان هاهنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه . وان الله لا يضيع أهله .

« أهل الحرم فى رعاية الله »

ويمكن أن نستنتج مما سبق : قوة ايمان السيدة هاجر . ومدى توكلها على الله سبحانه

في السنة النبوية

زمزم

في ضوء السنة النبوية

دكتور أحمد عمر هاشم

وتعالى . واعتمادها عليه ، حيث انها عندما سألت ابراهيم عليه السلام . وعرفت أن ذلك عن أمر من الله تعالى . أيقنت أنها وولدها لن يمسهما السوء . ولن يضيعا . فعندما سألت ابراهيم عليه السلام قائلة : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . عندئذ قالت : اذن لا يضيعنا .

وبهذا الايمان القوى ، واليقين العظيم ، والتوكل على الله ، كانت حرية بما منحها الله وأهلها به أن تكون أما لنبى الله اسماعيل عليه السلام ، ولهذه الامة الكريمة .

كما يستنبط أيضا ، أنها مع ايمانها وثقتها فى الله ، واخبار ابراهيم عليه السلام لها بأن ذلك عن أمر من الله تعالى حيث اطمأنت واستبشرت فلم تخف الضياع .. مع كل هذا كانت تسعى وتبحث عن الغوث وعن الماء . وباشرت الاسباب الى جانب الايمان والتوكل على الله سبحانه وتعالى ، فأخذت تسعى سبع مرات بين الصفا والمروة .

ويتضح كذلك من قول الملك لها ـ كما جاء فى صحيح البخارى :

« لا تخافوا الضيعة فان هاهنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وأن الله لا يضيع أهله » .

يتضح ذلك أن الله تعالى حافظ أهل هذا البيت . وحافظ لبيته وحافظ لامة هذا البيت قبلتها .. ولقد جعله الله تعالى مثابة للناس وأمنا . وجعل من دخله كان آمنا . وأحاطه بالعناية والخير . تجبى اليه ثمرات كل شىء .

بعد ذلك ولى « اسماعيل » عليه السلام أمر البيت . ثم وليه بعده ابنه « نابت » ثم وليه بعده « مضاض بن عمرو الجرهمى » ومن بعده الى ابنه الحارث ، ثم الى عمرو بن الحارث . وكان مع جرهم بنو قطوراء وهما ابنا عم .

ماء زمزم
في ضوء السنة النبوية

ورئيس جرهم مضاض ، ورئيس قطوراء السميدع وقد وقعت الحرب بينهم وانتهت وأسفرت بنصر جرهم .

ولما بغى جرهم بمكة وأكلوا مال الكعبة أخرجهم الله من البلد الحرام على أيدى بنى بكر من كنانة وغبشان من خزاعة .

وقد عرفت مكة المكرمة حتى منذ عهد الجاهلية لا يستقر فيها ظلم ولا بغى ، ولايبغى فيها أحد الا أخرجته ، ولا يريدها أو يقصدها أحد بسوء الا هلك حتى قيل :

« انها ما سميت ببكة الا أنها كانت تبك أعناق الرجال اذا أحدثوا فيها » السيرة لابن هشام .

وقال ابن هشام : أخبرنى أبو عبيدة أن بكة اسم لبطن مكة لانهم كانوا يتباكون فيها أى يزدحمون ، يعنى فى الطواف بالكعبة والدعاء والسعى بين الصفا والمروة .

ولما غلب الجراهمة على أمرهم ، وهموا بالخروج عمد عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى الى غزالين من ذهب ، وسيوف وأدرع فجعلها فى « زمزم » وطمها أى دفنها وسواها ، وذهب بقومه الى اليمن . وقيل : بل دفنتها السيول .

حفر زمزم :

وظلت « زمزم » منذ ذلك العهد مدفونة ومجهولة الى أن قيض اللهتعالى لها عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك قبل ميلاد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وفيما رواه ابن اسحاق ، بشأن حفر زمزم أن عبد المطلب قال : انى لنائم فى الحجر اذ أتانى آت ــ أى فى المنام ــ فقال : احفر طيبة « سميت بذلك لانها للطيبين والطيبات من ذرية ابراهيم » قال : قلت : وما طيبة ؟ فقال : ثم ذهب عنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال : احفر برة . قال : قلت : وما برة ؟ « وسميت بذلك لانها تفيض للابرار وتفيض عن الفجار » . قال : ثم ذهب عنى ، فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر المضنونة قال :

قلت : وما المضنونة ؟

(وسميت بذلك لأنه يضن بها على غير المؤمنين ، فلا يتضلع منها منافق) .

قال : ثم ذهب عنى ، فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه ، فجاءنى فقال :أحفر زمزم ، قال قلت : وما زمزم ؟ .

قال : لاتنزل **(أى لاينتهى ماؤها ولا يفرغ)** ولا تذم **(أى لا تكون قليلة الماء)** .

تسقى الحجيج الأعظم ، وهى بين الفرث

والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل .

ومعنى العلامات السابقة : بين الفرث والدم التشبيه لها باللبن فهو يخرج من فرث ودم (١) . وأما الغراب الاعصم : فهو الذى فى جناحه ريشة بيضاء . وأما قرية النمل ، فقد قال عنها السهيلى

« أما قرية النمل أيضا ففيها من المشاكلة والمناسبة أن زمزم هى عين مكة التى يردها الحجيج والعمار من كل جانب فيحملون اليها البر والشعير وغير ذلك ، وهى لا تحرث ولا تزرع ، وقرية النمل لا تحرث ولا تبذر وتجلب الحبوب الى قريتها من كل جانب » . فلما تعين لعبد المطلب موضعها ، غدا بمعوله ومسحاته وحفر هو وابنه الحارث حتى وصل الى الماء فكانت « زمزم » ، وكان عبد المطلب يسقى الحجيج من زمزم ويحمل ماءها الى عرفة .

فضائل ماء زمزم وفوائده :

❋ ومما ورد فى فضل ماء زمزم : ما جاء عن أنس بن مالك : كان أبو ذر رضى الله عنه يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة ، فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم .. » الخ الحديث رواه البخارى

(١) اخرج الازرقى ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم ، فبينما هو على ذلك اذ نحرت بقرة عند الحزورة فانفلتت من الذابح تجرى حتى غلبها الموت فى موضع زمزم فجزرت فى ذلك الموضع فاقبل غراب يهوى حتى وقع فى الفرث فبحث عن قرية النمل فقام عبد المطلب فحفر هناك .

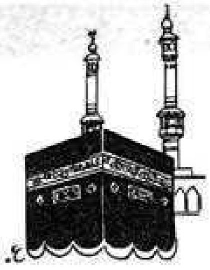

فى صحيحه . وقد علل العلماء وشراح الحديث غسل صدره الشريف بماء زمزم لفضله على جميع أنواع المياه الا الماء الذى نبع من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فانه ليس من الماء الذى على وجه الارض بل هو من المعجزات .

❋ ومن فضائل ماء زمزم وفوائده : أنه يشبع الجائع ، ويروى الظمآن وفيه شفاء بأمر الله تعالى وارادته ففى الحديث : «زمزم طعام طعم وشفاء سقم » رواه ابن أبى شيبة والبزار من حديث أبى ذر .

وفى صحيح الامام مسلم من حديث أبى ذر «انها طعام طعم» أى مشبع ، وزاد الطيالسى من الوجه الذى أخرجه منه مسلم « وشفاء سقم » .

❋ ولا تقتصر فوائد الشرب من ماء زمزم على الشبع والرى والشفاء فحسب ، بل انها تشمل سائر ما يطلبه المؤمن من ربه بصدق وايمان واخلاص ، فهى تفيد فى كثرة الرزق وكثرة العلم وكل ما شرب له ، فقد جاء فى المستدرك من حديث ابن عباس مرفوعا : « ماء زمزم لما شرب له » واختلف فى ارساله ووصله ، وارساله أصح ، وله شاهد من حديث

جابر . وفيما رواه الدارقطنى والحاكم وصححه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ماء زمزم لما شرب له ان شربته لتستشفى شفاك الله ، وان شربته لشبعك أشبعك الله وان شربته لقطع ظمئك قطعه الله وهى هزمة جبريل وسقيا الله اسماعيل » ورواه الحاكم وزاد فيه : « وان شربته مستعيذا أعاذك الله » قال : فكان ابن عباس اذا شرب من ماء زمزم قال : « اللهم انى أسألك علما نافعا ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء » .

* ومن فوائده : شربه لعطش يوم القيامة، وكان عبد الله ابن المبارك اذا شرب من ماء زمزم استقبل الكعبة وقال : اللهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ماء زمزم لما شرب له » وها أنا أشربه لعطش يوم القيامة ثم يشرب . رواه البيهقى باسناد صحيح .

*** شرب ماء زمزم من السنة :**

قال السائب رضى الله عنه : اشربوا من سقاية العباس فانه من السنة . وفى الشرب منه تأس برسول الله صلى الله عليه وسلم

ويصح الشرب منه فى جميع الاحوال من قيام وقعود أو ركوب قال ابن عباس رضى الله عنهما : « سقيت رسول الله صى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم » قال عاصم : فحلف عكرمة : ما كان يومئذ الا على بعير رواه البخارى . وعند أبى داود من رواية عكرمة عن ابن عباس أنه أناخ فصلى ركعتين ، فلعل شربه من زمزم كان بعد ذلك ، ولعل عكرمة انما أنكر شربه قائما لنهيه عنه لكن ثبت عن على عند البخارى « أنه شرب قائما » فيحمل على بيان الجواز اهـ من فتح البارى للحافظ ابن حجر .

*** من الصحابة من شرب زمزم فكفته عن الطعام :**

ذلكم هو الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه وحديث اسلامه مذكور فى صحيح البخارى ، وأنه أقام بالمسجد ، واستغنى بزمزم عن الطعام والشراب ثلاثين من بين يوم وليلة ... ووقع فى رواية أبى قتيبة : « فجعلت لا أعرفه ، وأكره أن أسأل عنه وأشرب من ماء زمزم وأكون فى المسجد » اهـ من فتح البارى جـ ٧ ص ١٧٥ .

*** من الائمة المحدثين من شرب زمزم لأجل العلم :**

وذلكم هو الامام محمد بن اسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر الملقب بامام الائمة المولود سنة ثلاث وعشرين ومائتين والمتوفى سنة احدى وعشرين وثلاثمائة . مرآة الجنان جـ ٢ ص ٢٦٤ . لقد كان هذا الامام الجليل يحفظ فقهيات الحديث كما

في ضوء السنة النبوية

يحفظ القارىء السورة .

وكان يحفظ أسانيد الاحاديث ومتونها حفظا جيدا وقال ابن حبان : لم أر مثل ابن خزيمة فى حفظ الاسناد والمتن فهو اذا قد جمع بين حفظ الاسناد والمتن وحفظ الفقهيات من الاحاديث ، وانها لمقدرة فذة استحق بها أن يلقب بامام الائمة . وقيل لابن خزيمة يوما : من أين أوتيت العلم ؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماء زمزم لما شرب له » وانى لما شربت ماء زمزم سألت الله علما نافعا « النجوم الزاهرة » ج ٣ ص ٣١١ .

*** ومن العلماء من شرب زمزم لحوائج أخرى :**

منهم الشيخ الامام عبد الوهاب الشعرانى، فقد ذكر أنه لما حج سنة سبع وأربعين وتسعمائة ، وشرب من ماء زمزم فى سبع وخمسين حاجة له ولاخوانه قال : « فقضى الله جميع ما كان منها من حوائج الدنيا ، ونرجو من كرم الله قضاء الحوائج الاخروية ، فان قضاء حوائج الدنيا عنوان للآخرة » اهـ من كتاب لواقع الانوار للشيخ الشعرانى ص ٢٤٢ .

* ومن ذلك ما ذكره العلامة الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر عن نفسه ، فقال : وأنا شربته مرة ، وسألت الله وأنا فى بداية طلب الحديث أن يرزقنى الله حالة الذهبى فى حفظ الحديث ثم حججت بعد مدة تقرب من عشرين سنة وأنا أجد من نفسى المزيد على تلك المرتبة فسألت رتبة أعلى منها فأرجو الله أن أنال ذلك .

* ومن ذلك ــ أيضا ــ ما نقل عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه قال : شربت من ماء زمزم لثلاث : شربته للعلم ، وشربته للرمى ، فكنت أصيب عشرة عشرة ومن عشرة تسعة ، وشربته للجنة وأرجوها . من كتاب الجامع اللطيف ص ٢٦٦ للشيخ العلامة جمال الدين القرشى المكى .

*** شفاء ماء زمزم للحمى :**

جاء فى صحيح البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء »

وفى حديث ابن عباس : « بماء زمزم » من رواية أبى جمرة ، قال : « كنت أجالس ابن عباس بمكة فأخذتنى الحمى » وفى رواية أحمد « كنت أدفع الناس عن ابن عباس فاحتسبت أياما فقال : ما حبسك ؟ قلت الحمى ، قال : أبردها بماء زمزم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء أو بماء زمزم » شك همام كذا فى رواية البخارى من طريق عامر العقدى عن

في ضوء

ماء زمزم

همام ، وقد تعلق به من قال بأن ذكر ماء زمزم ليس قيد الشك راويه فيه • وممن ذهب الى ذلك ابن القيم •

وتعقب بأنه وقع فى رواية أحمد عن همام : « فأبردوها بماء زمزم » ولم يشك • كذا أخرجه النسائى وابن حبان والحاكم من رواية عفان ، وان كان الحاكم وهم فى استدراكه • وترجم له ابن حبان بعد ايراده حديث ابن عمر فقال : ذكر الخبر المفسر للماء المجمل فى الحديث الذى قبله وهو أن شدة الحمى تبرد بماء زمزم دون غيره من المياه وساق حديث ابن عباس ، وقد تعقب على تقدير أن لا شك فى ذكر ماء زمزم فيه ، بأن الخطاب لأهل مكة خاصة لتيسر ماء زمزم عندهم •• اه من فتح البارى جـ ١٠ ص ١٧٦ •

* ومما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى زمزم فنزعوا له دلوا ، فشرب ثم مج فى الدلو ، ثم صبه فى زمزم ، ثم قال : « لولا أن تغلبوا عليها لنزعت معكم » رواه الطبرانى •

وفى رواية أنه غسل وجهه وتمضمض منه ثم أعاده فيها ، وروى أن الذى نزع له الدلو هو العباس بن عبد المطلب •

*** لماذا سميت بزمزم ؟**

وسميت زمزم لكثرتها ، يقال : ماء زمزم أى كثير ، وقيل : لاجتماعها •

وعن مجاهد : انما سميت زمزم ، لانها مشتقة من الهزمة ، والهزمة بالعقب فى الارض وقال ابن هشام : والزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع •

وقيل : لانها زمت بالتراب حين نبع الماء لئلا يأخذ يمينا وشمالا ولو تركت لساحت على الارض حتى تملأ كل شىء وكذا نقل عن ابن عباس ، وقيل : سميت بذلك لزمزمة الماء وهو صوته قاله الحربى ، وقيل : لان الفرس كانت تحج فى الزمن الاول فتزمزم عليها •

وقال المسعودى : والزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء •

*** آداب الشرب من زمزم :**

يستحب لمن أراد الشرب من زمزم أن يستقبل القبلة ، ويذكر اسم الله ، ويتنفس ثلاثا خارج الاناء ، بأن يشرب على ثلاثمرات وأن يتضلع منها ، والتضلع : هو أن يشرب حتى ترتفع أضلاعه كناية عن كثرة الشرب ، وأن يحمد الله بعد الشرب • وأن يصحب شربها حسن الاعتقاد فى فوائدها ومنافعها باذن الله تعالى وارادته وأن يرش على البدن من ماء زمزم •

وقال سماحة الشيخ عبد الله بن حميد

الرئيسى العام للاشراف الدينى على المسجد الحرام فى كتابه « هداية الناسك الى أهم المناسك » : « ويشرب من ماء زمزم لما أحب ويتضلع منه ويرش على بدنه وثوبه ويقول : بسم الله اللهم اجعله لنا علما نافعا ورزقا واسعا وريا وشبعا وشفاء من كل داء ،واغسل به قلبى واملأه من خشيتك . وقال ابن العربى وهذا موجود فيه الى يوم القيامة لمن نوى العلم والرزق والشفاء لمن صحت نيته وسلمت طويته ولم يكن به مكذبا ، ولا يشربه مجربا ، فان الله مع المتوكلين وهو يفضح المجرمين .

وقال ابن عرفة : انما لم يكن عذبا ، ليكون شربه تعبدا لا تلذذا نقلا من كتاب هداية الناسك اهـ .

وروى ابن ماجه والحاكم عن ابن عباس أنه قال لرجل : « اذا شربت من زمزم فاستقبل القبلة ، واذكر اسم الله وتنفس ثلاثا وتضلع منها فاذا فرغت فاحمد الله ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم » البداية والنهاية جـ ٢ ص ٢٤٧ .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان اذا شرب من ماء زمزم قال : « اللهم انى أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء » وقال الخطيب فى المغنى والكمال الدميرى قال الحاكم هو صحيح الاسناد ، ثم قال رحمه الله : وينبغى أن يزاد على ذلك « وقلبا خاشعا وذرية طيبة » . قال العلماء : ولا يقتصر على هذا الدعاء بل يدعو بما أحب من أمور الدنيا والآخرة ، ويجتنب الدعاء بما فيه مأثمة اهـ . « الجامع اللطيف » للعلامة جمال الدين القرشى المكى .

*** هل يجوز نقل ماء زمزم الى البلاد ؟**

ذكر صاحب كتاب « الجامع اللطيف فى فضائل مكة وأهلها » قال : يجوز نقل ماء زمزم الى البلدان للتبرك به ، باتفاق المذاهب الاربعة بل ذلك مستحب عند الشافعية والمالكية . وقال الملا رحمه الله — فى المتفرقات ، من الاوسط — ويجوز الاغتسال والتوضؤ بماء زمزم على وجه التبرك ولا يستعمل الا على طاهر ، ويكره الاستنجاء ، ويستحب حمله الى البلاد اهـ .

ومما يستدل به على ذلك أن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها حملت من ماء زمزم فى قوارير ، وقالت : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حمله فى الاداوى والقرب » أخرجه الترمذى فى جامعه .

دراسات لغوية

ماء زمزم في ضوء السنة المحمدية

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استهدى سهيل بن عمرو من ماء زمزم ، فبعث له براويتين • أخرجه الطبراني بسند رجاله ثقات •

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يصبه على المرضى ويسقيهم منه ، وأنه حنك به الحسن والحسين رضى الله عنهما مع تمر العجوة •

اقتراح ...

واذا كانت فضائل ماء زمزم وفوائده بهذه المثابة ، واذا تبين لنا جواز نقله ، وأن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قد حملته فى قوارير ، وقالت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حمله ، فهل من الممكن تعبئة بعض ماء زمزم بطرق علمية صحية ، على حسب ما يراه المسئولون ، ليعم نفعه بعض البلاد الاسلامية ليتمكن من شربه والانتفاع به من لا يستطيع الحج والعمرة ، لمرض أو لغير ذلك من الاعذار؟

ومن الواضح أن ماء زمزم منحة ربانية ، وأن فى شربه عبادة الى جانب ما له من فوائد عديدة ، ولذا فليس فى بيعه ، ونقله الى البلاد الاسلامية مقصد من مقاصد التجارة والربح بل يكون القصد من نقله عموم الانتفاع به ابتغاء وجه الله •

وأما العائد المالى من ثمن ما يباع فمن الممكن أن يرصد لمشاريع تحفيظ القرآن الكريم والفقراء والعاملين عليه ، أى الذين يقومون بتعبئته ، والله الموفق والهادى الى سواء السبيل •

دكتور أحمد عمر هاشم

الأمية الفقهية

وتقنين الشريعة الإسلامية

للدكتور عبد الله مبروك النجار

الشريعة الاسلامية ــ شريعة الله ــ أوحى فيها عناصر القوة والخلود لتكون منطلقا لخير البشر ومصدرا لسعادتهم فى الدنيا والآخرة ، ليس فيها مسلك مغلق ، ولا فكر مبهم ، ولا مبدأ ينافى العقل ، ولا قاعدة تجافى المصلحة .

وقد أودع الله أسرار شريعته فى كتابه الكريم ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، أما الكتاب فقد ضمنه مبادىء التشريع الراقية ، التى تستوعب كافة أوجه النشاط البشرى فى جوانبه الروحية ، والاخلاقية . والمادية ، وأسلوب عربى مبين ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

وأما سنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ التى أثرت عنه فى أقواله وأفعاله وتقريراته ، فانها تقرير للكتاب ، وتأكيد لما فيه ، وهى تتناوله بالشرح والتبيين ، فتوضح الغامض ، وتفسر المجمل وتشرح المبهم ، وتقيد المطلق وتخصص العام ، وترسم بالسلوك المحمدى

الأمية الفقهية
وتقنين الشريعة الإسلامية

المنهج الواضح لكتاب الله • فالكتاب والسنة هما جوهر الشريعة ، ومصدر احكامها ، وهما الأصل الذى يكشف عن حكم الله فى افعال عباده • والضابط الذى ينظم مسيرة البشر وفق مشيئة السماء •

الشريعة الاسلامية نظام شامل للدين والدنيا :

ولما كانت الشريعة الاسلامية هى الحلقة الاخيرة فى صلة السماء بالارض ، والغاية التى مهد لها كل الانبياء ، والدرة الخاتمة التى اكتمل بها عقد الرسالات ، فقد خصها الله بالعمومية والشمول فكانت عامة : حيث جاءت وافية بأحكام المكلفين بها ، لم تترك جانبا من الجوانب التى تهم الفرد فى حياته أو بعد مماته الابينته ، فلم تطرق الارض شريعة أكمل منها، ولا جاء رسول بمثلها ، يقول ابن القيم « حوت الشريعة الاسلامية كل ما يحتاج اليه من بعث اليهم الرسول من الانس والجن ، فى اصول الدين وفروعه ، فهى شافية لاتحوج الى سواها ، ولا يخرج فعل لمكلف عن محتواها ، كما لا يخرج حق تحتاجه الامة فى علومها واعمالها عما جاءت به » راجع اعلام الموقعين جـ ٤ ص ٣٣٥ •• وكانت شاملة ، لأنها قد حوت كل ما يترتب على خصوصية الحياة من علاقات تمتد لتشمل صلة الانسان بربه ، وصلته بنفسه ، وعلاقاته مع الناس ، وتتسع لتتناول بالتفصيل أحكام كل صلة وابعاد كل علاقة ، بالقدر الذى يغطى كل جوانب الحياة الدنيا والآخرة ، بحيث لا يفلت مسلك أيا كان من الخضوع لحكم الله ، ولايتأبى فعل لعبد عن مراد الحق سبحانه ، ولا يرد عمل لمكلف مهما بلغ قدره الا وقد أظله حكم الشارع بالحل أو بالحرمة ، حتى ولو كان مثقال الذرة قال تعالى « **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** » الزلزلة : ٧،٨

احكام الشريعة لا تقبل التبعيض ولا التجزئة:

ولهذا كان نظام الشريعة كاملا متكاملا •• وكانت أحكامها فى مجال العمل لا تقبل التبعيض ولا التجزئة ، شرعت للدين والدنيا فأقامت العبادات ، وأرست نظاما مزيدا للمعاملات ، لم تهمل الأمور اليسيرة ، وهى تتناول القضايا الخطيرة ، فهى تحث على الأخذ بمحاسن العادات والوصول بالمجتمع الى الكمال الانسانى ، وهى تصون حياة الناس من الفساد والتهريج بالمحافظة على مقوماتها ، وضروراتها الخمس ، وهى : الدين والنفس والمال والعقل والعرض ، فتلك أمور كلية لا يستقيم للحياة معنى بدونها ، كل هذا دون ارهاق وعنت ، بل مع اليسر والرحمة ، ولهذا ــ أيضا ــ كانت جديرة بأن تحكم حياة الناس الى ان يرث الله الارض ومن عليها •

الفقه الاسلامى وتطور مدلوله :

الشريعة ــ اذا ــ هى ما شرعه الله لعباده من الأحكام ، على هيئة نصوص عامة فى كتاب الله وسنة رسوله ، أما الفقه فهو كما يقول ابن خلدون فى مقدمته : « معرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والاباحة ، وهى متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة . فاذا استخرجت الأحكام من تلك الادلة قيل لها « فقه » .

وقد كان مدلول الفقه الاسلامى يطلق فى أول الأمر العلم بجميع الأحكام الشرعية ــ عملية وغير عملية ــ ومعرفتها معرفة تفصيلية مستمدة من الكتاب والسنة وغيرهما من الأدلة سواء ما كان منها متعلقا بالعقائد أم بالاخلاق أم بأفعال المكلفين .

ثم تخصص هذا التعميم ، بعرف الفقهاء ، واصبح مدلول انفقه مقتصرا على الجانب العملى من الأحكام الشرعية ، وهو جانب العبادات والمعاملات يقول الغزالى فى المستصفى : « الفقه عبارة عن العلم والفهم ، وقد صار يعرف العلماء عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين خاصة » وبناء على هذا العرف المخصص خرج من مدلول الفقه احكام العقائد والأخلاق وأصبح تعريفه : انه العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من الأدلة التفصيلية ، ويكون معناه أخص من الشريعة لأنها تشمل كل جوانب الأحكام .

مرونة الفقه الاسلامى واستيعابه لمشاكل العصر :

والفقه الاسلامى كعلم له أصوله ، يقوم على فهم نصوص الشريعة ، فهما يقترن بالعمل والتطبيق ومواكب الحياة فى وقائعها المتجددة واحداثها المتطورة ، ولما كانت هذه الوقائع وتلك الاحداث غير متناهية ، فقد اتسمت مصادره بالمرونة والثراء ، حيث جمعت بين النقل والعقل وظهر الرأى بجانب الكتاب والسنة كدليل له ضوابطه تبنى عليه الأحكام وكان الأمر كما يقول الشهر ستانى : « نعلم قطعا ويقينا ان الحوادث فى القيادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر ولا العد ، ونعلم قطعا انه لم يرد فى كل حادثة نص ، ولا يتصور ذلك أيضا ، والنصوص اذا كانت متناهية . والوقائع غير متناهية . وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى ، علم قطعا ان الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة نص يوضح حكمها » راجع الملل والنحل ج ١ ص ٣٣ ، ٣٤ .

وبذلك اكتسب الفقه الاسلامى مرونة وثراء

الأمية الفقهية وتقنين الشريعة الاسلامية

وقدرة على مواجهة ما يستجد فى حياة الناس.

مفهوم الرأى واطلاقاته فى الفقه الاسلامى :

وليس المراد بالرأى — هنا — اتباع الهوى والحكم بغير ما أنزل الله بل المراد به لغة العقل والتدبير ، وفى اصطلاح الفقهاء معناه أخص من ذلك ، يقول ابن القيم : « خص الفقهاء الرأى بما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه مما تتعارض فيه الامارات » ويطلق ويراد به معنيان :

أولهما : الرأى بمعنى الاجتهاد ، اى استخراج الأحكام الشرعية من نصوص الكتاب والسنة وهو بهذا المعنى يسمى « فقه الكتاب والسنة » .

ثانيهما : الرأى بمعنى الادلة الشرعية — ما عدا الكتاب والسنة — من الادلة التى تبنى عليها الأحكام ، كالاجماع والقياس ، والاستحسان والمصالح المرسلة والعرف ، والسياسة الشرعية ، وبمقتضى هذا المعنى يقوم الرأى على فهم مقاصد الشريعة ، وابتداء احكامها على أصول وقواعد يمكن للعقل البشرى أن يدرك اسرارها ، ويجب لذلك تقصى فروع الشريعة فى كل ما يجد من أمور الدين والدنيا ، وتوصيفها من الناحية الشرعية، واعطائها الحكم المناسب .

الفقه الاسلامى غريب بين أهله :

كان لابد من تقرير تلك الحقائق العلمية ، ونحن بصدد التعرض لواحدة من المشاكل التى تواجه المجتمع الاسلامى فى سعيه الصادق نحو شريعة ربه ، ليستمد منها تشريعه ، وينظم على ضوئها سلوكه ، ويصنع من فقهها قانونه ، بعد أن أصبح هذا أملا غاليا وأمنية صادقة بات كل منصف اليوم يبحث عنها .

فالأمر لم يقف عند حد الواجب الشرعى المطلوب على سبيل الجزم والتأكيد ، والذى وصف الشارع تاركه بالكفر فى آية والظلم فى أخرى ، والفسق فى ثالثه ، قال تعالى : « **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** » المائدة آية ٤٤ ، وقال تعالى « **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** » المائدة آية ٤٧ .

بل تعداه الى الواجب السياسى فأصبح مطلبا شعبيا يرجوه الناس ، وتؤكده الدساتير فى عديد من البلاد العربية ، ومنها دستور مصر الدائم والصادر عام ١٩٧١ ، وفضلا عن ذلك فالشريعة الاسلامية هى أساس تراثنا الحضارى واستقلالنا الذاتى ، واستقرارنا القانونى .

ومن المفروض أن تلقى هذه الغاية النبيلة من فقهاء الشريعة ، ما يلائمها من النشاط ، وما يليق بها من وسائل التحقيق ، بالدراسة المنهجية الجادة ، والعرض الدائم لرأى الفقه فيما تقتضيه التطبيق من مسائل ، بأسلوب سهل وفكر واضح ، يقرب مسائلة للعامة ، ويعمق دراسته للخاصة ، ليجد الرجل العادى

مسألته . والمتخصص بقيته ، وحتى تزول عن الفقه الاسلامى هذه الغربة التى يعانيها بين أهله وعشيرته .

مظاهر الأمية الفقهية فى المجتمع الاسلامى :

الامية ـ نسبة الى الأم ـ صفة تعنى عدم العلم بالقراءة والكتابة ، يقول السجستانى صاحب تفسير غريب القرآن : « كان الموصوف بها على أصل ولادته لم يتعلم شيئا » ووصفها بالفقه تخصيص يصور حالة الفقه الاسلامى فى مجتمعه ، فالناس لا يعلمون عنه شيئا ، وان شئت فقل ان علم الناس بالفقه يشوبه القصور تارة ، والتشويه أخرى ، والقلة ثالثة ، وعلى هذا النحو تتجسد القضية ، وتتحدد ابعادها فى ثلاثة مظاهر :

أولها : يقوم على نوع من التصور القاصر ، مفاده : أن محتوى الفقه الاسلامى لا يعدو أن يكون متضمنا لضروب العبادات التى يتقرب الناس بها الى ربهم ، وان معناه قاصر على أمور العقيدة وما يتصل بها من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وفقط ، أما المعاملات وشئون الحياة . فلم يصل الى علم أصحاب هذا التصور بعد ، انها تدخل فى نطاق أحكامه.

ثانيها : يقوم على نوع من الفهم المشوه لحقائق الفقه الاسلامى خاصة : أن محتواه يتضمن بجانب العبادات نوعا من العقوبات ، لكنها فى نظر أصحاب هذا هذا الفهم ، عقوبات قاسية ، وجزاءات غليظة ، ذهب مع الأيام انسجامها مع الواقع ، فاذا ما وردت كلمة « الفقه الاسلامى » الى مسامعهم ، خطر فى رءوسهم الخالية ، رجم الزانى وجلد الشارب. وقطع يد السارق ، وتخيلوا أن الاسلام يترصد للناس ويتربص بالافراد ليقطع الأيدى ، ويزهق الانفس بالحجارة .

ولولا الأمية التى يعانون منها فى فهم احكام الله ، لعلموا أن نظام التجريم والعقاب فى الفقه الاسلامى ، يقوم على دعائم قوية ترمى الى المحافظة على دين الله وارواح الناس وأموالهم وأعراضهم وعقولهم فى حدود الرحمة والعدالة ، وهو فى اطار تحقيق تلك المقاصد يقوم على موازنة دقيقة تستهدف غايتين : المنع من ارتكاب الجريمة والتقليل من توقيع العقوبة .

فى سبيل تحقيق الغاية الأولى :

أوجد الاسلام البدائل المشروعة وييسر طرق الوصول اليها ، حتى لا يستبد بريق الجريمة الأخاذ بما ركب فى النفوس الضعيفة من غرائز تستحث على ارتكابها ، وما من محرم فى الاسلام الادلة ما يقابله فى اشباع الحاجة من البديل الحلال .

يلمس هذا من يستقرىء أنواع الجرائم فى

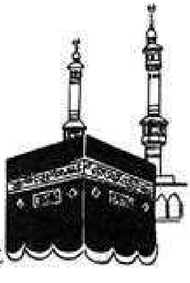

ع.

الفقه الاسلامى ، وعلى سبيل المثال ، فالحق سبحانه قبل أن يحرم الزنا أوجد له بديلا حلالا يشبع فى النفس الحاجة التى تدفعها الى ارتكاب الجريمة ، وهو النكاح ، وسهل طريق الوصول الى هذا البديل الحلال ، فما هو الا ايجاب وقبول وشاهدين ، ويتم العقد وتتحقق احكامه ، ولم يجعل الشارع من سلطان المادة وقصر ذات اليد عائقا يمنع منه ، يقول صلى الله عليه وسلم : « التمس ولو خاتما من حديد وقال لمن أراد الزواج ولم يكن له مال ، وانما كان يحفظ بعضا من آى الذكر الحكيم : « زوجتكها بما معك من القرآن » • وهكذا أوجد الاسلام البدائل • وألغى العوائق ، وسهل طريق الحلال •

ولو أن المجتمع يفهم الاسلام فهما جيدا ، لألغى ما اختلقه البشر من مظاهر تسلط المادة فى الزواج ، والاسراف عند عقده ، فهى بعيده عن روح الشريعة الغراء وفهمها الصحيح •

وفى مجال المنع من السرقة : هيأ الاسلام فى المجتمع المناخ الصالح الذى يقتل فى النفس جرثوم الجريمة ويميت فيها النوازع الشاذة للمال الحرام • فأوجد فرص العمل الشريف ، ورعى الى السعى فى مناكب الارض بالزراعة والصناعة والتجارة ، وغير ذلك من وجوه النشاط البشرى ، فسد بذلك أبواب البطالة والعوز ، وأكد حقوق الفقراء لدى الاغنياء ، لا تأكيد مَنٍّ واستجداء ، بل تأكيد حق يعضده الشرع ، وتؤازره الحرب ، وكانت حكومة أبى بكر الصديق رضى الله عنه هى أول حكومة تعلن الحرب لصالح الفقراء على من منعوا الزكاة ، كما أرسى للتكامل الاجتماعى مبادىء بلغت منتهاها . ووصل مداها الى الحد الذى جعل عمر بن عبد العزيز ينادى فى دولة الاسلام يوما من اعوزه الدين فسداد دينه على بيت مال المسلمين ، فلما سددت ديون الناس جميعا ، نادى ثانية : من كان يملك الرغبة فى الزوج • ولم يعط القدرة ، فمهره فى بيت مال المسلمين ، فسددت الديون ، وتزوج الشباب فلا جوع ولا عرى ولا حقد ، وهكذا سدت منافذ الجريمة •

وفى سبيل تحقيق الغاية الثانية :

قرر الفقه الاسلامى مبادىء دقيقة ، وضوابط أكيدة ، تمنع توقيع العقوبة على جان قد يتطرق الاحتمال الى براءته ، أو ينتاب اسناد الجريمة اليه أدنى شبهة •

تأمل قصة ماعز والغامدية اللذين ارتكبا الفاحشة ، وجاء الأول الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — مقرا بجريمته ، اربع مرات فى أربعة مجالس ، والرسول يرده ليذهب حيث لا يراه عساه يرجع عن اقراراه ، ولما رآه بعد هذا مستقرا على ما أقر به ، جعل الرسول يلقنه الرجوع ، ويطرح عليه خمس أسئلة من شأن كل واحد منها أن يفسح أمامه فرصة كاملة للعدول ، فلما أجاب عليها بما يقتضيها ،

الأمية الفقهية
وتقنين الشريعة الإسلامية

بات اسناد الجريمة اليه أمرا مؤكدا ، وأصبح تنفيذ العقوبة أمرا لازما . حينئذ أمر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ به ، فرجم ما عز ، قالوا : ولما أحس ألم الحجارة ترك الحفرة وحاول الفرار ، فلاحقه المنقذون ، ونقلت واقعة فراره الى المبعوث رحمة للعالمين ، فقال: هلا تركتموه ليتوب فيتوب الله عليه ! . وفى هذا الصدد قرر الفقهاء : أن المقر بالزنا اذا عدل عن اقراره قبل الحد أو فى وسطه قبل اقراره وخلى سبيله ، راجع الهداية ج ٢ ص ٩٦ .

وقد حصل مع الغامدية ما حدث لماعز ، لكنها كانت حاملا ، فأمهلها صلى الله عليه وسلم مرة حتى تضع حملها ، وثانية حتى يفطم طفلها ، فلما جاءت به ، وفى يده كسرة من خبز أقام الرسول عليها الحد .

وهكذا .. فالفقه الاسلامي لا يتصيد الناس بالعقاب كما يفهم البعض ، لأن له نظاما عقابيا متكاملا ، هذه بعض سماته ، وتلك هى مفاتيح الرحمة فيه .

ثالثها : يقوم على الفهم الواعي لمبادىء الفقه الاسلامي . والتخصص فى مختلف أبوابه وفروعه من رجال تفرغوا له وعكفوا على دراسته : هم الفقهاء والباحثون فى ميدانه العظيم ، لكن نسبتهم قليلة فى ساحة من يعنون بالفكر الاسلامي عامة ، وبالتالى فان الانتاج العلمي المتخصص والذى يقوم على الدراسة المنهجية مازال فى حاجة الى استكمال ، ولازالت هناك موضوعات كثيرة ينقصها التأصيل الفقهى ، ورأى الفقهاء القاطع ، ومنها على سبيل المثال : أعمال الجمارك والسمسرة ، وأنشطة البنوك ، وغير ذلك من الموضوعات التى تنظم بقوانين وضعية ، فتطبيق الشريعة الاسلامية يعنى أول ما يعنى ، ايجاد البديل الشرعى لكل هذه الموضوعات بأسلوب واضح وتفكير منظم ، حتى لايتعذر التفسير ، ويتعثر القاضي فلا يجد فى المكتبة الفقهية ما يسعفه .

الأمية الفقهية ومنهج الدعوة الحاضر :

هذه هى المشكلة . وتلك هى مظاهرها ، التى لا يجب أغفالها فى وقت بدأت النية تتجه فيه اتجاها صادقا نحو شريعة الله للاحتكام اليها ، وهذا جدير بأن يستحث كل من يملك التحدث باسم الاسلام فى أى منفذ من منافذ اعلامه ، أن يقدم للناس الجانب العملى للشريعة ، والصورة المتكاملة للفقه الاسلامي . فى عباداته ومعاملاته ، فى مرونته وشموله لكل سلوك يصدر ، ولكل فعل يحصل من أمور الدين والدنيا ، للحياة ولما بعد الحياة ، فلا يوجد عمل الا وقضى الشارع فيه بالحل أو بالحرمة .

لكن أين هذا ، وما تسمعه من الخطباء على المنابر ، وتقرؤه من موضوعات فى المجلات

الأمية الفقهية
وتقنين الشريعة الإسلامية

الاسلامية ؟ اعط سمعك لما يقال فوقها ، وقلب نظرك فيما ينشر على صفحاتها ، واصبر نفسك على ماتراه منها وتسمعه، وابحث عن موضوعات الفقه الاسلامي — وهى موضوع الساعة فلن تجد منها الا النذر اليسير •

فهل يتفق ذلك الاهمال لجانب أحكام الحياة فى شريعة الله مع منهج الدعوة اليها كما أراده الحق سبحانه ، ورسمه لسيد الدعاة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ذلك ما نود أن نلمسه تحليلا •

الدعوة الى الله منهج وغاية :

ان من يتأمل جوهر الدعوة الى الله على ضوء ما ورد لشأنه فى القرآن الكريم من آيات ، يدرك أنها تقوم على ركنين أساسيين : هما منهج الدعوة ، وغايتها :

اما المنهج : فهو تبليغ الرسالة ، واعلامها للناس ، كما امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، عقيدة ، وشريعة ، عبادات يتقربون بها الى ربهم • ومعاملات ينظمون بها شئون حياتهم ، وقد امر الله نبيه ان يبلغ منهج ربه كاملا ،ودون اهمال لجانب على حساب آخر فيه، وذلك فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم •

قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** » المائدة : آية ٦٧ ، وقال تعالى : « **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** » النحل : آية ٤٤ ، وقال تعالى : « **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** » العنكبوت : آية ١٨ •

« والمنهج هو الحد الذى ينبغى ان يقف عنده طموح أى داعية ، لأنه القدر الذى رسمه الله لنبيه • ولن يكون هناك داعية أعظم منه صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : « **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ** » الشورى : آية ٤٨ ، وقال تعالى : « **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** » النور : آية ٥٤ ، وقال تعالى : « **فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** » المائدة : آية ٩٢ ، وقال تعالى : « **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** » التغابن : آية ١٢ ، وقال تعالى : « **فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ** » النمل : آية ٩٢ ، وقال تعالى : « **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ** » **الغاشية:** آية ٢١ وقد فطر الله الخلق على منهج دينه القيم ، فاذا ما بلغ اليهم كاملا على نحو ما أراد الله ، أثمر واتصل نوره بالقلب ، وأضاء فيه نور الايمان ، قال تعالى : « **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** » الروم : آية ٣٠ •

أما غاية الدعوة : فهى الهداية وخلق الاعتقاد فى القلب ، وأمرهما لا يدخل تحت قدرة البشر وانما تنفرد به ارادة الخالق سبحانه . لا يشاركه فيه احد من خلقه أيا كان ، يقول الامام محمد عبده : فى تفسير قول الله تعالى : **« لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ »** الغاشية : آية ٢٢ : حدد الله الأمر الذى بعث لأجله نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو تذكير الناس بما نسوه من أمر ربهم . وليس فى سلطانه عليه السلام أن يخلق الاعتقاد فيهم ، ولا من المفروض عليه ان يقوم رقيبا على قلوبهم لأن الله هو المسيطر عليها ، وصاحب السلطان على ما تسر ، وهو الذى يحول بين المرء وقلبه ، قال تعالى : **« وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ »** الأنفال : آية ٢٤ . وقد بين الحق سبحانه هذا المعنى لنبيه فى أكثر من آية ، قال تعالى : **« لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ . وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ »** البقرة : آية ٢٧٢ ، وقال تعالى : **« إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ »** القصص : آية ٥٦ وقال تعالى : **« إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ »** النحل : آية ٣٧ . وقال تعالى : **« وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ »** يونس : آية ١٠٠ ، وقال تعالى : **«وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ »** يونس : آية ٩٩ وقال تعالى : **« إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ، وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا »** الكهف : آية ٥٧ ، وامتن المولى على نبيه بأنه هو الذى الف بين قلوب المؤمنين وخلق فيها روح الألفة والمحبة ، وهذا ما لا يستطيع أحد أن يفعله حتى ولو انفق أموال الأرض جميعا ، قال تعالى : **« وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ »** الأنفال : آية ٦٣ ، وقال تعالى : **« وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا »** السجدة : آية ١٣ .

تلك هى ركائز الدعوة ، وذلك هو مضمونها، ووالله لو أن القائمين على أمرها ، انتزموا حدود المنهج فأتقنوه ، عقيدة وشريعة ، عبادات ومعاملات ، ثم قدموه للناس نظاما متكاملا للدين والدنيا ، لنجحوا فى مهمتهم ، ولأثروا عقول الناس بالفهم الصحيح للاسلام وما تحويه شريعته الغراء من مبادىء وأحكام .

أما حاجة الفقه الاسلامى ، الى مجلة راقية يختص بها ، وتتفرد بنشر أبحاثه ، وتتابع قضاياه وموضوعاته ، فى اطار من الموضوعية ، والتخصص ، فقد أصبحت ماسة .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ » الأنفال: آية ٢٤ .

صدق الله العظيم .

عبد الله مبروك النجار

رد على كتاب :

الخمرة ذات

كنا نظن أن حديث الخمرة قد بلـغ مداه ، فلم تعد هناك حاجة الى ايضـاح مفاسدها،بعد أن شاعت أخطارها الماحقة فى تحطيم الفرد جسميا وانهيار المجتمع اخلاقيا ولكن الذين يجندون الخمـرة لم ييأسوا من الدعاية لها فى منطق تأثيرى لا يواجه القارىء مواجهة سافرة ، حيث يكون الحديث خالصا للخمرة بل يأتى فى طيات أحاديث أخرى وهذا منحى خطـر من مناحى التأثير النفسى ، اذ يوهـم القارىء أن الكاتب لا يدعـو الى شىء كريه ، وانما يذكر تجارب صحيحة ، قد آمن بنتائجها فهو يذيعها ليستفيد منهـا الناس ، ومن هذه التجـارب المزعومة نجاح الخمرة فى تهدئة الاعصاب ووقف تصلب الشرايين وانتفـاع المسنين من المعمرين بأثرها الطبى الحميد ! هـكذا يزعمون !

وقد انتشر بين القراء كتاب (حياتنا بعـد الخمسين) للاستاذ سلامة موسى ، وتعددت طبعاته ، وللكاتب شهرة تجعل مؤلفاته كثيـرة التداول ، وقد تحدث عن أثر الخمرة فى صلاح النفس والجسم معا فى مواضع كثـيرة من الكتاب ! ، لم يكتف بموضع أو موضعين بـل جعل يبدىء ويعيد فى تسجيل ما يزعمـه من منافع الخمرة ، وهذا التكرار الممل مما يسقط الاسلوب الكتابى لدى الناقد الادبى ، ويخيل الى أن المؤلف لا يهمه أن يوصم بالتكرار الممل فى الأسلوب ، ولكن يهمه أن يدعو الىَ تمجيد شراب منكر حرمه الاسلام ، فهو لايفتأ يتحدث عن أهمية الخمر ملخصا مكررا ، ومعى الطبعة الأخيرة من كتابه وقد صدرت عن دار المعارف فى سلسلة اقرأ رقم (٣٧٢) وقد تكرر بهـا الحديث عن جدوى الخمر فى صـفحات ١٩ ،

للدكتور محمد رجب البيومي

خطر محقق

٢٣ ، ٢٥ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ وغيرها من الصفحات ، حتى لكأن هناك اصرارا من الكاتب على أن تكون الخمرة علاجا شافيا من الأوصاب ولو أنه اقتصر على فصل واحد يعدد فيه ما توهمه من محاسن ، لاستطاع القارىء الحصيف أن يلمح وجوه الخطل فيما يقرر ، ولكنه يكتب بأسلوب اعلامي ولو سرت مع الدقة لقلت بأسلوب تهريجي — يعتمد على الاثارة الانفعالية لاعلى الاقناع السديد — والى القارىء نماذج مما قال : جاء فى ص ٨٠ (بقيت كلمة هنا أقولها عن الخمور ، وهى أنها ضرورية لكل من جاوز الستين لأنها توسع الشرايين فى الشيخوخة ، جميع الأوربيين يشربونها ، وهم أطول أعمارا وأحسن صحة منا ، ثم هى تفكك العقد التى تحدثها مشكلات الحياة ، كما أنها تجعلنا نستغرق فى نوم عميق طول الليل نستيقظ فى صباحه ونحن منتعشون بعد الراحة) وجاء فى ص (٦٧) تكرير هذا المعنى بأفكاره دون ألفاظه ، وكان فى أحد القولين ما يغنى دون الآخر اذ لا جديد ، والتكرار معيب فى الحديث العادى فكيف فى كتاب علمى؟ وجاء فى ص (٦٣) : أن المدمنين أنفسهم لا تنقص أعمارهم عن المتنعين ، وعلى القارىء أن يتذكر معارفه وأصدقاءه ممن كانوا يشربون الخمر لكى يقف بنفسه على الحقائق . الى مثل هذا اللغو وهو كثير كثير .

وفى ص ٢٥ : أن الشاعر خليل مطران ، نحيف ضامر يتأنق كل يتأنق فى طعامه ولكنه يأكل كأنه عصفور . وقد قال لى ذات مرة أن جملة ما يأكله فى العام كله لا يزيد على رغيفين ، وهو أقل من رأيت من الناس طعاما وعشاؤه كأس من الخمر مع ما يتنقل به معها من لقيمات لذيذة .

الخمرة

خطر محقق

وليس المجال مجال تتبع لكل ما قال الأستاذ سلامة موسى ، ولكننا نذكر الخلاصة التى تكررت معانيها دون جديد لنجهز عليها بالدليل، ولن نذكر فى مجال التنفير ماقاله رجال الاسلام من ذوى الاختصاص لأن هؤلاء المكابرين يعدون أقوالهم دفاعا عن عقيدة يضطرون للايمان بها ، وتأييدا لكتاب يدينون بأنه جاء من عند الله ، ولو كانت لديهم ذرة من انصاف لنظروا الى القول لا الى القائل ولواجهوا الأدلة مواجهة فكرية تؤمن بالمنطق السديد ، ولا تتلمس التعلات المريضة لتدحض الحق بالباطل ، أجل لن نذكر ما قاله رجال الاسلام من ذوى الاختصاص ولكننا نذكر ما قاله أفذاذ الباحثين من رجال العلم الأوربى حين واجهوا المسكرات بعامة مواجهة موضوعية فعرفوا خطرها الذريع على الأفراد والشعوب وعقدوا المؤتمرات السنوية فى أمريكا وفرنسا وبلجيكا ليتحدثوا عن مضار الخمور صحيا ونفسيا واجتماعيا ؟ وبديهى أن هؤلاء المسيحيين الكبار لن يتهموا بممالأة الاسلام ، وفى أقوالهم ما كان يجب أن يعيه مؤلف (حياتنا بعد الخمسين) لأن مثله لا يجهل من هؤلاء ؟

لقد أجرى هؤلاء الباحثون عدة تجارب على الحيوان والانسان ، وثابروا كل المثابرة على معاودة هذه التجارب ، وتكرارها ليطمئنوا الى ما لا تزيد وراءه من التحقيق وسننقل هنا بعض ما أجروه من البحوث ، وقام بتسجيله الأستاذ محمد أحمد الغمراوى فى عددى ١٠٣ ، ١٠٩ من مجلة الثقافة الصادرين فى ١٧/١٢/١٩٤٠ و ٢٨/١/١٩٤١ وللأستاذ الغمراوى مقالات أخرى شافية تكشف ما اهتدى اليه العلم فى تشخيص مضار الخمور وليتها تجمع فى كتاب .

(أ) ان الذين يقولون أن الخمرة تطيل العمر وتهدى المرض فى الشيخوخة وهو ماألح عليه الأستاذ سلامة موسى فى أكثر من موضع يجب أن يعلموا أن العلامة الأمريكى (الدكتور استوكارد نشر بحثا علميا ضمنه خلاصة تجاربه العلمية ممهدا بما بذله من الاحتياطات كى يحصل على النتائج الصحيحة ، وقد ذكر أنه أجرى بحوثا شملت (١٣٠٠) أرنب تشمل خمسة أجيال سقى نصفها الكحول وترك النصف الأخر ، فوجد الأجيال المتفرعة من أصول سليمة لم تذق الكحول قد عاشت عيشة طبيعية ، ولم يكن فى خلقة أحد منها تشويه ما) أما الأجيال التى نسلت من أصول كحولية فكانت مع قلة عدد أفرادها ضعيفة ذات تشويه واضح ، وكان التشويه أظهر منه فى كل جيل يتأخر .

(ب) ان العلامة الدكتور (برتوليه) السويسرى قد تخصص فى بحث الأثر الهادم للغدد التناسلية من جراء الكحول ، فقام بتشريح غدد المئات من الموتى ذكورا واناثا

ممن يشربون الكحول ومن يمتنعون ، فوجد انضمارا وتقلصا فى الغدد التناسلية للكحوليين وعرض النتيجة على هيئة علمية فقررت أن الغدد التناسلية أشد الأعضاء تأثرا بالكحول ، وان نسبتها فى السائل المنوى أشد ارتفاعا حتى تبلغ أحيانا ما يقرب من مثلها فى الدم ، وبناء على ذلك فان الحيوان المنوى يتأثر بالكحول ولو حدث حمل أثناء السكر ، لجاء الطفل مصابا بعاهة ظاهرة فى الجسم أو باطنه فى النفس ، وقد تتبعوا الاحصائيات المحصصة فوجدوا نسبة الأغبياء فى أولاد المدمنين كثيرة جدا بالنسبة لأولاد الممتنعين ، وقد قام بهذه الاحصائيات الدقيقة أعلام كبار من رجال الطب فى مقدمتهم الدكتور الأمريكى (مكنول) وله مؤلف ضخم يجمع هذه الاحصائيات مشفوعة باستنتاجه الدقيق •

(جـ) أجرى العلامة الدكتور (باركس) تجربة على عدد من الجنود متماثلين فى العمر والبيئة والمعيشة اذ حدد لهم عملا يعملونه ، وقسمهم الى طائفتين ، طائفة أباح لها أن تشرب الخمرة أثناء النهار وطائفة حرم عليها الشراب فوجد أن الطائفة التى تشرب تنشط قليلا عند الشراب ثم يأخذها الفتور فتمضى اليوم متثاقلة أما الطائفة الأخرى فتستمر على قدر متناسب من العمل وتنتج أكثر من الطائفة الشاربة ثم رأى الدكتور أن يعكس الوضع فشرب من لم يشرب وامتنع من شرب فى يوم آخر فكانت النتيجة كالاولى ينشط الشاربون بدءا ثم يكسلون ولا ينتجون ماينتظر ويمضى الممتنعون فى عملهم الطبيعى دون مفارقة وينتجون الكثير ويأخذون أجرا أكثر لان الجزاء بقدر الانتاج ولعل الذين قرأوا كتاب الاستاذ سلامة موسى يعاودون هذه النتائج ويرجعون الى مصادرها فى أبحاث العلماء ليهتدوا الى الصواب •

ونحن نذكر أن الولايات المتحدة قد حرمت الخمرة فى الفترة ما بين سنتى ١٩١٩ ، و ١٩٣٣ للسبب الآتى ، لأن الكبار من رجال الأعمال قد لمسوا ظاهرة البطء الكسول فى الانتاج لدى من يتعاطون الخمور ، وكان المستر هنرى فورد صاحب مصانع فورد الشهيرة من أقوى المنادين بتحريم الخمر ، اذ لمس لمس العيان أن الخمر تذهب بقوى العمال ، وتراخى من نشاطهم تراخيا لا يتفق واطراد الانتاج وأنه لاعلاج للكساد الاقتصادى بغير البعد عن المسكرات بعامة والخمرة فى طليعتها ، وما كادت صيحة المستر هنرى فورد تتردد فى آفاق الولايات المتحدة حتى جاوبتها صيحات المؤيدين من أصحاب الزراعة فى الجنوب ، اذ لاحظ القائمون على استثمار الارض أن الفلاحين المدمنين يتكاسلون عن العمل تكاسلا يذهب بخير الأرض وأن حالتهم النفسية تنحدر الى هوان وضيع يهوى بالكرامة الانسانية تصرفا وسلوكا ، وقد نجحت هذه الصيحات الجادة فصدر قانون التحريم ! ولكن المتجرين بالخمور قد ألفوا العصابات السرية لتهريب الخمور كما نرى اليوم فى عصائب المخدرات فأخذت قوى الشر تجلب الخمور من أوربا وأفريقيا فى المستعمرات الكرمية ذات

الخمرة

خطر محقق

المساحات الشاسعة ، لأن القائمين على الزراعة هناك قد رأوا أن يستغلوا الموقف للكسب الحرام فأكثروا من الكروم اكثارا ، وأداروا عمليات التهريب ، فشغلوا الأمن الامريكى اذ أنشئت أساطيل هائلة لا عمل لها غير توريد ما حرمه القانون حتى اضطرت الحكومة بعد أربعة عشر عاما الى تحريم التحريم ، وأظهر رجال المصانع استياءهم البالغ لما حدث ، وأنشئت الجمعيات الخيرية داعية الى الاستمرار فى مكافحة هذه السموم ومانظن أن حركة شديدة كهذه كانت بغير هدف حيوى واضح التدليل ، حتى نتجاهل الحقائق السافرة حين نعلن أن الخمر ذات نشاط وحفز واقبال •

وقد تحدث الأستاذ سلامة موسى عن الشاعر خليل مطران بما يخالف الواقع مخالفة تامة ! واذا كان حديثه عن عارفيه جميعا ينحو هذا المنحى المتجنى على الحقائق فعفاء على ماكتب فى كل مؤلفاته ! لأن أصدقاء مطران جميعا يعرفون أنه كان يشرب الخمر فى شبابه ثم أصيب بانتكاسه صحية قاسية هدته الى أن يترك الخمر بعدها ، فامتنع فى كهولته عنها امتناعا صارما ، وقال فى ذمها قصيدة شهيرة جمعت بين ما جمع من شعره فى الجزء الرابع ص ١٩٤ والديوان منتشر ذائع فليقرأ المنصفون قوله من قصيدته •

دع الخمر نصح أخٍ إنها
لتوهى القلوبَ وتُردى النُّهَى
وحيث وجدت دمارًا وبؤسا
ولم تدر ماتاهُما ظَنَّها
اما هى تلك التى أضعفت
شعوبا ، ودكّت بها مُدنها
وكلُ أولي العزم قد سبّها
وما فى ذوى الحزْم من سنّها
طلاقا لشمطاء توُهى القوى
وتثكل أمّ الوحيد ابنها
طلاقا بتاتا بلا رجعةٍ
وحسب امرىء جنةً جنها

ولعل الشاعر الكبير كان يرد على أمثال سلامة موسى حين قال :

ولا تقبلوا ترهات غواة
ترى سوءها وترى حسنها
تعظم عن سفهٍ نفعها
وترفع من ضَعةٍ شانها
اليس لوفرة أرزائها
تجوّز خالقهُا لعنها

ولغير مطران فى الخمر شعر ثالب ذام ! ولاتنكر ان الماجنين من الشعراء قد أسرفوا فى مديحها ! ولكننا نمنع ان تستشهد بمطران فى هذا المجال وكانه من كبار الدعاة •

دكتور محمد رجب البيومى

هكذا سُئِلَ الرسول ﷺ في حجة الوداع

للدكتور مصطفى محمد أبو عمارة

لقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى دين الله فى مكة والمدينة ، واستغرقت دعوته ثلاثة وعشرين عاما ، لم يتمكن رسول الله خلالها من الحج سوى فى العام العاشر من الهجرة .

على خلاف بين العلماء هل حج رسول الله قبل الهجرة أم لا ؟ وقد جاء فى حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما الذى أخرجه مسلم وغيره : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ، ثم أذن فى الناس فى العاشرة أن رسول الله حاج ، فقدم المدينة بشر كثير ، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله

.. هكذا سُئل

صلى الله عليه وسلم (١) ، فلما سمع الناس باستعداد رسول الله وافاه فى الطريق خلائق لايحصون ، بلغ عددهم كما يقول أبو زرعة الرازى : مائة ألف وأربعة عشر ألف حاج ، كانوا من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وشماله ، من البصر ، وأبو زرعة الرازى الذى ذكر هذا العدد يقول عنه النووى : لم يحفظ أحد من حيث رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل حفظه (٢) .

وكانت هذه الحجة الفريدة التى حجها رسول الله صلى الله عله وسلم فرصة سانحة أمام أكبر عدد من المسلمين سألوا فيها قائدهم عما يعن‌لهم من مشكلات ، ويستوضحون فيها أمور دينهم ، وسأعرض بعضا من تلك الأسئلة التى وجهت للرسول صلى الله عليه وسلم وأجاب عنها ، فكانت اجابته ارشادا وتوجيها للمسلمين .

*** السؤال الأول :**

لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة (٣) نفست (٤) أسماء بنت أبى بكر وولدت محمدا فأرسلت الى الرسول تسأله : كيف تصنع ؟ فقال : اغتسلى واستثفرى (٥) بثوب وأحرمى .

فأفاد رسول الله فى اجابته : أن المرأة النفساء تغتسل للاحرام ، ويصح منها هى والحائض جميع أفعال الحج الا الطواف بالبيت .

*** السؤال الثانى :**

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا قال يارسول الله : مايلبس المحرم من الثياب ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يلبس القميص ، ولا العمائم ، ولا السراويلات ، ولا البرانس ، ولا الخفاف الا أحد لا يجد نعلين ، فليلبس خفيه وليقطعهما أسفل من الكعبين ، ولا تلبسوا من الثياب شيئا من زعفران أو ورس (٦) . ولا تتنقب المرأة الحرام ، ولا تلبس القفازين (٧) .

وهذا السؤال يشعر بأنه كان فى المدينة قبل الاحرام ، ولم يعرف اسم السائل .

وقد أفاد هذا الحديث عدة محظورات من الملبس يحرم على المحرم استعمالها ، وهى ، **القميص** والمراد به كل ما يحيط بالبدن ، **والعمامة** : المراد بها كل ما يحيط بالرأس .

والسروال . معروف ، **والخف** : المراد به كل ما يستر الرجل ، **والبرانس** : المراد به كل ثوب رأسه لاصق به .

ونهى الرسول أيضا عن لبس الثياب التى يوضع عليها الطيب أثناء الاحرام ، .

وجاء النهى أيضا عن أن تلبس المرأة

---

(١) مسلم جـ٨ ص ٢٣٦ كتاب الحج باب حجة النبى .
(٢) المجموع للنووى جـ ٧ ص ١٠٥ .
(٣) اسم مكان بأطراف المدينة أحرم منه النبى .
(٤) أى جاءتها الولادة .
(٥) أى تشد فرجها بقماشة عريضة متينة وتوثق طرفيها فى شىء تشده على وسطها .

(٦) نبات أصفر طيب الرائحة يصبغ به .

نقابا ، أى لا ينبغى للمرأة أن تستر وجهها بالنقاب ، كما لا ينبغى لها أن تلبس القفازين أى (الجاونتى) فى يديها .

* **السؤال الثالث** : عن جابر رضى الله عنهما قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضبع فقال : هو صيد ، ويجعل فيه كبش اذا صاده المحرم . أخرجه أبو داود فأشعر هذا الحديث أن المحرم اذا صاد الضبع أثناء احرامه لزمه ذبح كبش .

* **السؤال الرابع** : عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم : فقال يارسول الله : ما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة . أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن .

* **السؤال الخامس** : لما انتهى الرسول من سعيه قال : لو انى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدى ليحل وليجعلها عمرة .

فقام سراقة بن مالك فقال يارسول الله : ألعامنا هذا أم لأبد ؟ فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة فى الأخرى وقال : دخلت العمرة فى الحج مرتين ، بل لأبد أبد. فقول الرسول : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت .. الخ دليل على جواز فسخ الحج ، وقوله : **(دخلت العمرة فى الحج)** دليل على جواز فعل العمرة فى أشهر الحج ، وردا لما كان يعتقده أهل الجاهلية من أن العمرة فى ذى الحجة من أفجر الفجور .

* **السؤال السادس** : عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ضباعة بنت الزبير أتت للنبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله : انى أريد الحج أفأشترط ؟ فقال : نعم ، قالت كيف أقول ؟ فقال قولى : لبيك اللهم لبيك ، محلى من الأرض حيث تحبسنى .

فأفاد هذا الحديث أن الانسان الذى به علة وأراد الحج ، له أن يشترط فى احرامه أى أنه اذا اشتدت به العلة فى أى مكان من الأرض أثناء الحج له أن يتحلل من احرامه ولا اثم عليه .

* **السؤال السابع** : عن عبد الرحمن ابن يعمر أن ناسا من أهل اليمن أتوا للنبى صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة فسألوه : كيف الحج : فأمر مناديا فنادى : الحج عرفة ، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج ، أيام منى ثلاثة . فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ، ومن تأخر فلا اثم عليه . أخرجه أبو داود والترمذى .

فأفاد هذا الحديث أن من أدرك عرفة قبل طلوع فجر يوم النحر فقد أدرك الحج ، والا فاته .

* **السؤال الثامن** : عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن امراة من جهينة جاءت الى

النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : ان امى نذرت أن تحج ، فلم تحج حتى ماتت ، أفاحج عنها ؟ قال نعم حجى عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية ؟ اقضوا الله ، فالله أحق بالوفاء . أخرجه البخارى فأرشد هذا الحديث الى جواز الحج عن الميت ، وحج البنت عن أمها المتوفاة .

* **السؤال التاسع** : عن أبى رزين العقيلى قال : قلت يارسول الله : ان أبى شيخ كبير لايستطيع الحج والعمرة والظعن ، قال : حج عن أبيك واعتمر . أخرجه النسائى

أفاد هذا الحديث جواز النيابة فى الحج لمن فقد شرط الاستطاعة .

* **السؤال العاشر** : عن خال أبى سويد قال : لقيت النبى صلى الله عليه وسلم بين عرفة والمزدلفة ، فأخذت بخطام ناقتة ، فقلت : ما يقربنى من الجنة ويباعدنى من النار ؟ فقال : أما والله لئن أوجزت المسألة لقد أعظمت وطولت . أقم الصلاة المكتوبة ، وأد الزكاة المفروضة ، وحج البيت ، وما أحببت أن يفعله بك الناس فافعله بهم ، وما كرهت أن يفعله بك الناس فدع الناس منه ، خل عن خطام الناقة . ذكره الطبرى فى القرى وعزاه الى أبى ذر .

* **السؤال الحادى عشر** : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بمنى للناس يسألونه ، فجاء رجل فقال يارسول الله : لم أشعر فحلقت قبل أن أنحر ، فقال اذبح ولا حرج ، ثم جاءه رجل آخر فقال يارسول الله : لم أشعر فنحرت قبل أن أرمى ، فقال : ارم ولا حرج ، .

قال : فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شىء قدم ولا أخر الا قال : افعل ولا حرج .

فدل هذا الحديث على جواز التقديم والتأخير فى أعمال يوم النحر .

* **السؤال الثانى عشر** : عن أبى أمامة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند الجمرة الوسطى ، أى الأعمال أفضل ؟ قال : كلمة حق عند سلطان جائر أخرجه ابن ماجه والطبرانى .

* **السؤال الثالث عشر** : عن حفصة رضى الله عنهما قالتقلت للنبى صلى الله عنيه وسلم : ما شأن الناس حلوا ولم تحل من عمرتك ؟

قال : انى قلدت هديى ، ولبدت رأسى فلا أحل حتى أحل من الحج .

فدل هذا الحديث على أن القارن لا يتحلل من احرامه حتى يتحلل الحاج المفرد ، فالقارن لا يتحلل بالطواف والسعى ، بل لابد من الوقوف بعرفة والرمى والحلق والطواف تماما كما يفعل الحاج المفرد .

* **السؤال الرابع عشر** : عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى ركبا بالروحاء فقال : من القوم ؟ قالوا : المسلمون ، فقالوا : من أنت ؟ قال : رسول الله ، فرفعت امرأة صبيا فقالت : ألهذا حج ؟ قال نعم ولك أجر . أخرجه مسلم

فدل هذا الجواب على جواز الحج عن الصبيان وثبوت الأجر لهم وبهم ، وكان هذا اللقاء ـ لقاء الركب بالرسول ـ ليلا ولذا لم يعرفوا الرسول ، ويحتمل أن يكون نهارا ولكنهم لم يعرفوا الرسول لحداثة اسلامهم .

* **السؤال الخامس عشر** : عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم ارحم المحلقين . قالوا والمقصرين يارسول الله ؟ قال : اللهم ارحم المحلقين . قالوا والمقصرين يارسول الله ؟ قال : والمقصرين . أخرجه البخارى ومسلم

والشاهد فى هذا الحديث أن الصحابة رضوان الله عليهم سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو للمقصرين من المحلقين .

* **السؤال السادس عشر** : عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اى الحج أفضل ؟ قال : العج والثج . أخرجه الترمذى وقال حسن غريب .

والعج : رفع الصوت بالتلبية ، والثج : اراقة الدماء .

* **السؤال السابع عشر** : بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقه بين مكة والمدينة ، ولما كان بموضع يقال له القاحة ، عرض لأصحابه مشكلة صيد فاستفتوا فيها الرسول .

فعن أبى قتادة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجا ، وخرجوا معه ، فصرف طائفة منهم فيهم أبو قتادة ، فقال : خذوا ساحل البحر حتى نلتقى ، فأخذوا ساحل البحر ، فلما انصرف أحرموا كلهم الا أبو قتادة لم يحرم (١) فبينما هم يسيرون اذ رأوا حمر وحشى فحمل أبو قتادة على الحمر فعقر منها أتانا (٢) فنزلوا فأكلوا من لحمها ، وقالوا : أنأكل لحم صيد ونحن محرمون ؟

---

(١) جاء فى رواية (الا اباقتادة) بالنصب لانه مستثنى من كلام تام موجب امام الرفع فعلى اعتبار الا بمعنى لكن ، وابو قتادة مبتدأ ، ولم يحرم خبر .

(٢) أتانا : اى انثى .

في حجة الوداع

فحملنا ما بقى من لحم الأتان ، فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : انا كنا قد أحرمنا وقد كان أبو قتادة لم يحرم ، فرأينا حمر وحشى فحمل عليها أبو قتادة فعقر منها أتانا ، فنزلنا فأكلنا من لحمها ، ثم قلنا : أنأكل لحم صيد ونحن محرمون ؟ فحملنا ما بقى من لحمها ، قال : هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار اليها ؟ قالوا : لا ، قال : فكلوا ما بقى من لحمها (١) • أخرجه البخارى فأرشد هذا الجواب الى أن المحرم يباح له أكل الصيد مادام لم يساعد على صيده بقول أو بفعل ، وفيه اشارة الى أن المحرم لا ينبغى له أن يشير الى الصيد يصطاده الحلال •

وهناك أسئلة كثيرة غير ما سبق ذكره أحجمنا عن ذكرها خشية السآمة فى الطول وهكذا يتبين لنا أن حجة الوداع كانت ارشادا وتوجيها للمسلمين •

أضف الى ذلك الخطبة الجامعة التى ألقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجته هذه على هذا الجمع الحاشد ، سواء فى يوم عرفة ، أو فى يوم النحر ، وقد بين النبى فى هذه الخطبة عدة أمور :

أولا : حرمة الدماء والأموال والأعراض •

ثانيا : اهدار الثأر وحرمة الربا •

ثالثا : حقوق الناس : ما لهن وما عليهن •

رابعا : دعوة الى الاعتصام بالكتاب والسنة •

خامسا : اشهاد الله والناس على تبليغ الرسالة •

وهكذا أعلنت حقوق الانسان وحفظت كرامته من خلال هذه الخطبة الجامعة التى رسمت الطريق ، وحددت المعالم وبينت حدود الله •

دكتور
مصطفى محمد أبو عمارة

(١) الاصح ان هذا كان فى عمرة الحديبية •

من حضارة الإسلام

- الأزهر في الجزر البعيدة
- فلسفة السعادة في الإسلام
- الدين ضرورة حتمية
- الصراع الحضاري في مجال نقل العقائد والآراء

الأزهر

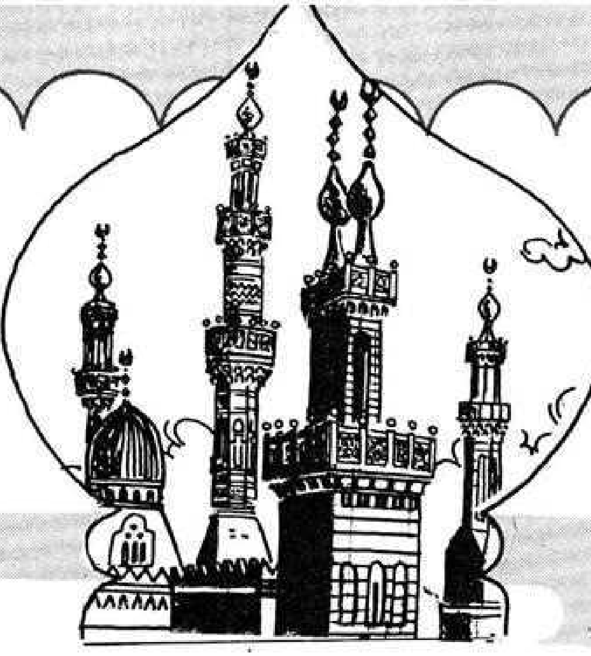

بعض المشاهد .. والعادات .. والتقاليد

لو يعلم الازهر الشريف ما يلقاه أبناؤه وممثلوه من ترحاب وتكريم وحسن استقبال فى هذه الاقطار البعيدة — الشرق الأقصى — لأرسل فى كل يوم ممثلا له ، ليلمس بيده نبضاتَ القلوب المفعمة بالحب والوفاء والولاء والتقدير لهذا الأزهر المعمور ، الذى لمست كل اقطار الدنيا فضله ودوره فى سبيل الحفاظ على دين الاسلام وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولغة القرآن والعقيدة الحقة منذ أكثر من ألف عام .

ولعل مولانا الامام الاكبر فضيلة الدكتور شيخ الازهر ، قد لمس بيده نبضات هذه القلوب الحبيبة التى التقى بها فضيلته فى أقطار .. باكستان .. ماليزيا .. اندونيسيا وقد كان أمل مسلمى فيليبين أن يصل ركب فضيلته كذلك الى جنوب جزر الفيلبين .. التى أتناول ذكرها مع الاخوة القراء فى هذه السطور .. وفى سطور أخرى سبقت . وعندها تتكامل الصورة ، وتعم الفرحة مسلمى الشرق والأقصى عامة .. وبالأخص أصحاب الجراح وضحايا التعصب المسلح فى أقصى جنوب جزر الفيلبين .. ولايزال الامل يحدوهم فى أن ينالوا قسطا من عطف الأزهر الشريف مستقبلا كالذى ناله اخوتهم فى الأقاصى شعوب الدول الثلاث التى زارها فضيلة الامام الاكبر فى رحلته الاخيرة.

وقبل أن أبدأ رحلتى مع القارىء العزيز .. على صفحات مجلة الازهر .. أقول : اننى تركت باب التعبيرات الأدبية .. الى غيرى من الأدباء والشعراء .. وأهل الفضل فى ذلك .. كما تركت أبواب العلوم والفنون الى من هم أكفأ منى فى عرضها .. أما أنا فقد اخترت لغة

فى الجزر البعيدة

من يوميات مبعوث أزهرى

عند مسلمى الفيليبين »

بقلم إسماعيل عبده الشال

بسيطة لأنها صدرت من قلبى .. وقد احتبستها فى نفسى منذ عودتى من جزر الفيلبين عام ١٩٦٥ م .. وأردت الآن أن أفصح عنها .. علها تنير الطريق أمام مسافر .. أو دارس للمنطقة الاسلامية أو مبعوث الى هذه الاقطار البعيدة .. أو يتلقفها طالب فيلبينى .. محب لوطنه .. فتكون اشارة لهم على الطريق .. ان أرادوا اصلاح الأحوال فى بلادهم .

وما حملنى على كتابة هذه الصفحات .. الا أننى قرأت كل ماكتب عن الفيليبين .. فى الصحف .. وماكتبه الاستاذ أنيس منصور فى كتابه .. وماكتب غيره .. ولكنى وجدت أن ماعندى يعبر فى صدق .. لأننى قد عايشت المسلمين فى هذه البلاد .. ولذا كتبت عنهم .. بعد أن بذلت معهم جهدا من البلاء .. فى سبيل خلق جو أفضل .. وحياة أعز .. بذلك تكمل الصورة التى أنقلها عن مسلمى الفيلبين .. وبعدها ان قدر الله لى لقاء آخر .. سآخذ بيد القارىء فى رحلات أخرى الى جزر اندونيسيا . وهى بلاد تحبنا ونحبها .. بعد حصولها على الاستقلال فى أعقاب حرب فلسطين .. ومن الله أستمد العون .. ومنه أطلب التوفيق ..

وهيا بنا مع يوميات مبعوث أزهرى .

ليال .. فى مانيلا .. العاصمة

كان من المقرر أن أصل مانيلا فى يوم الاثنين ٨ اكتوبر ١٩٦٢ .. حسب الخط الذى رسمته لنا شركة مصر للطيران .. وأننا سنتخذ ليلتين فى (بانكوك) للراحة .. على نفقة الشركة .. وأن مندوب الشركة فى تيلاند

● فى الجزر البعيدة
بعض المشاهد ... والعادات ... والتقاليد

« الأستاذ فوزى » سيكون فى انتظارنا ليسهل لنا كل صعب ، وسيرشدنا الموظف المصرى الى الهوتيل الذى سننزل به ليلتين ، فى بانكوك عاصمة تيلاند •• أو سيام •• أو بلد الأفيال •• وحينما هبطت بنا الطائرة فى مطار بانكوك •• سألنا عن مكتب شركة الطيران •• وعن الاستاذ فوزى •• الذى لقيناه بعد جهد •• وكان العجب أنه لايعرف عن وصولنا أى شىء •• وسرعان مازاغ منا فى هذا المطار الفسيح •• وتركنا لاندرى كيف نعمل وما حولناه من عملة لايكفينا ليلتين •• على نفقتنا •• كما أن المامى وقتها باللغة الانجليزية كان شبه معدوم •• لأننى تعلمت فقط قبل سفرى •• اللغة الأندونيسية •• موقف حرج •• فى أرض غريبة •• ولذا فضلت متابعة رحلتى الى الفيلبين •• رأسا •• وبدون راحة •• حتى لاينفد مامعى من مال •• قبل أن أصل الى مقر عملى ، استشرت راكبا مصريا كان معى منذ خرجت من القاهرة •• وساعدنى مشكورا •• فحجزت على طائرة يابانية متجهة رأسا الى مانيلا •• عن طريق هونج كونج •• مرت بنا فى أخطر منطقة للصواعق الخارقة فى الشرق الاقصى •• حتى نزلت بنا فى مطار هونج كونج •• وبعد نصف ساعة كنا فوق بحر الصين •• وعلى مشارف مطار مانيلا •• فى شمال جزر الفيلبين •• وفى الحادية عشر مساء نزلنا أرض المطار •• ولامؤنس لنا الا الله فى رحلتنا •• ونبل رسالة الازهر الشريف الى هذه الجزر •• وفى المطار تذكرت ماحذرنى منه فى القاهرة طلاب الفيلبين « يوم سفرى » فقد نصحونى أن أكون على حذر من سائقى سيارات الأجرة « وأنهم كثيرا ماسلبوا ونهبوا وأضلوا الاغراب فى متاهات مانيلا كذلك تذكرت رقم تليفون شقيق زميل الدراسة الفيلبينى — يوسف لقمان — فطلبته ليخرجنى من المطار — وبعد ساعتين أوصلنا الى هوتيل (سمبا جيتا) الشهير فى مانيلا •• قضينا فيه يوم السبت •• ويوم الاحد •• وهو يوم عطلة نهاية الأسبوع •• ولم نتمكن من الاتصال بالسفارة المصرية الا فى صباح يوم الاثنين •• وبعد ذلك تغير الحال وبدأنا نحس جمال المدينة العظيمة .

٢ — أول احتفال وطنى نشهده

قبل أن تعرف السفارة المصرية أين كنا •• حاولنا أن نخرج الى الأماكن القريبة من الفندق •• لنكتشف أين نكون الآن •• خرجنا بعد مغرب الاحد •• بالقرب من مكان الفندق فلفت نظرنا وجود احتفال شعبى كبير •• أقامته احدى الجمعيات الوطنية فى كرنفال عجيب لم نشهده من قبل •• وأزياء شعبية لم نرها فى حياتنا •• شد ذلك انتباهنا . فوقفنا نرقب حفلهم الشيق •• وما أن لمحنا القائمون على هذا الحفل الكبير •• ورأوا شكل الغربة على وجوهنا •• فألحوا علينا بأن نكون ضيوف شرف هذا الحفل •• مع أنهم لم يعرفوا عنا اكثر من أننا سواح •• أوزوار لمدينتهم •• وكان هذا أول تكريم لنا فى جزر

عند مسلمي الفيلبين..

الفيلبين •

وبعد وصول الأستاذ عبد المنعم الخضرى•• القائم بالأعمال فى السفارة المصرية فى مانيلا•• بدأنا نشعر بالراحة •• وسرعان ما خرج بنا من هذا المأزق •• وفرج عنا مشكورا ما كان قد لحق بنا من آلام السفر المتواصل •• وكم كان تعجبه للطريقة التى حضرنا بها •• وكذا سوء تصرف الشركة ومندوبها معنا فى مطار بانكوك •• ومايحدث مثل ذلك كثيرا مع غيرنا •• وما أكثر ما أهملت الشركات •• وبعض المندبين غيرنا •• فذاقوا مرارة الاسى •• فى أرض غريبة •• حينما يهملهم مندوبو شركات الطيران « وليس معهم من المال مايكفيهم » ولا من المعرفة بالبلاد التى نزلوا بهاأوتخلفوا فيها.

٣ ـ أولى المشاهد فى جزر الفيلبين

حينما التقيت فى القاهرة بطلاب الفيلبين الدارسين بالازهر •• وذلك فى مدينة البعوث الاسلامية عقب صلاة الجمعة ٥ أكتوبر ٦٢ •• وهو يوم سفرى •• كنت قد سألتهم عن أقرب مطار أنزل فيه بالنسبة لمقر عملى فى مدينة مراوى •• فام يدلنى أحد •• لأن أكثرهم لايعرف غير طريق السفر بالبحر ، ولكنهم أشاروا على بالنزول فى مطار المحافظة المجاورة ـ كوتباتو ـ ولولا أننى سألت موظفى السفارة المصرية « فى مانيلا » والذين تكرموا بتصحيح طريق الوصول •• لدخلت فى متاهة واسعة باتساع رقعة هذه الجزر •• وفى اليوم المحدد للسفر •• صليت الفجر •• ثم حضرت

سيارة السفارة المصرية فنقلتنى الى المطار الداخلى للعاصمة •• وهناك أودعت جسدى داخل طائرة صغيرة تشبه أتوبيسا كبيرا •• وفى الجو •• ومع مشرق الشمس •• تكشف لى منظر الجزر الكثيرة المنتشرة على صفحة المحيط الهادى •• ومن نافذة الطائرة •• رأيت الأحزمة البيضاء والخضراء •• التى تحيط بالجزر •• فتفصل بين زرقة السماء وزرقة المياه •• كذلك الاعداد الهائلة من أشجار الجوز • التى تشبه النخيل فى بلادنا •• والتى كانت تقترب منا تارة ؛ كما كانت تتباعد عنا أخرى •• كلما دنت الطائرة من جبل •• أو كلما تباعدت عنه •• وأشجار الموز المتكاثفة بأعدادها الكثيرة التى تتنوع بتنوع استعمالاتها •• فمنه نوع يأكل فاكهة كالذى نأكله فى بلادنا •• ومنه مايسلق فى الماء •• وغيره ما يقلى فى الزيت •• وكذا نوع آخر

فى الجـــزر البعيـــدة ....

يعتبر موزا طبيا للمرضى ، أما مناظر الأرض الزراعية .. على طريقة المصاطب الكثـــيرة لأحواض الأرز المنتشرة ، فوق سطوح الجبال « وسطوح الهضاب » والعجيب أنهم يزرعونه لاكثر من مرة فى العام الواحد .. وفى جـــزر اندونيسيا كانوا يزرعونه فى بعض المناطـــق ثلاث مرات فى العام الواحـــد ، لأن الطبيعة كانت تساعدهم وكذلك رعاية الله تعالى لـــم تنساهم .. فالأرز هو المحصول الوحيد الذى يعتمدون عليه فى غذائهم الرئيسى للوجبـــات الثلاث .. أما مناظر الشلالات الضـــخمة .. ومساقط المياه المرتفعة والمنحدرة من الجبـــال الكبيرة .. والتى تنحدر مياهها فى قوة هائلـــة «كان منظرها يتكرر بتكرار الجبال» وقد كان فى وسع أهل البلاد أن يستغلوها فى توليد طاقات كهربائية .. لانارة المدن وادارة المصانع .. كما فى شلالات مدينة اليجن .. وسرعـــان مامرت نصف مجموعة الجزر الفيلبينية « السبعة آلاف » ، حتى أصبحنا فوق شمال جـــزيرة ميندانو الكبرى .. أرض الكفاح .. وأرض الجهاد .. والتى حفظ أهلها للاسلام مجـــده فوق أرضها .. منذ وصوله اليها فى القـــرن الثـــالث عشر الميـــلادى .. وحتى الآن وصمدت الجزيرة المسلمة لمطارق الاســـتعمار الاسبانى .. واليابانى .. والأمـــريكى .. ولاتزال هذه الجزيرة تقاسى آلام التعصـــب الصليبى .. وكم تكررت فى كل يوم مـــواكب الشهداء فى أرضها .. على مرأى ومسمع .. من العالم الغربى المتحضر .. الذى تهـــزه أخبار انتحار أحد الكثالكة .. فى أيرلنـــدة الشمالية .. أو أخبار سجن أحد الصحفيين فى روسيا الشيوعية .. ولايهزهم مايجرى على أرض جزيرة ميندانو .. مما تشيب له الولدان .. وشهب الاذاعات العالمية لوصـــف ونقل مايجرى لغير المسلمين .. وتغض بصرها عمـــا يحدث من قتل .. وسحق .. للمســـلمين فى الأقليات التى يعيشون فيها مضطهدين .

٤ ــ فى مطار مدينة اليجن

بعد المشاهد الجميلة المتتالية .. لمناظـــر الجبال الخضراء .. التى كانت تتحرك عـــلى الأرض بالمئـــات .. وكذا الجزر الكثيرة التى كانت تمر تحت الطائرة الصغيرة ..وهكذا حتى وصلنا الى مطار مدينة (كاجايـــان) فى أرض سيبو .. بالقسم الاوسط من أقسام جمهورية الفيلبين الادارية الثلاثة (لوزون ــ فيسايس مندانو) والتى شهدت بطولات اسلامية ..فى الحرب المقدسة .. مع الرحالة ماجـــلان .. الذى قرأنا عنه فى كتب الجغرافية .. والـــذى كانوا يعرفوننا عن رحلته .. بأنها من العلامات الدالة على كروية الأرض ..، مع أنه كان قـــد حمل معه عددا من القساوسة .. والكهنة .. ومئات الأناجيل .. التى أحضرها معـــه .. ليلغى بها وجود القرآن الكـــريم .. وأمة الاسلام فى هذه الجزر .. والا فما معنى ماكان يقصده بذلك ؟؟؟.. مع أن المظهر الخـــارجى لرحلته كان هو البحث عن طريق جديد للتجارة .. واكتشاف جزر التوابل .. ولكن الايـــام كشفت عن السر الحقيقى للرحلة ــ التى قتل

فيها الرحالة ماجلان •• وعلى أرض جـزيرة سيبو هذه ، وبيد ملك مسلم لجزيرة صغيرة •• كما ظهر الهدف الحقيقى للاسبان ، وهـو •• اقامة مجموعة من المستعمرات تتبع التـاج الاسبانى (١) •• وتنتشر المذهب الكاثوليكى •• وتحول المسلمين اليه •• بعد تنصـيرهم فى هذه الجزر ــ وقد علق على ذلك •• انطونيـو دى مرجا سنة ١٩٦٠ بقوله : « انه لولا وصول الأسبان •• لكان من الصعب اقتلاع الاسـلام من هذه الجزر •• وقد واجه الاسبان مشـاقا هائلة فى الحرب فى ميندانو وصولو » •

وقد كان الأسبان يعتبرون حربهم سـنة ١٥٦٥ ضد المسلمين فى جنوب شرق آسـيا جزءا من الحرب الصليبية التى شنوها قبـل ذلك بسنوات ضد جنس آخر وفى مناخ آخـر وفى أرض أخرى •• ولكى يظهر الأسبان ذلك الاستمرار •• وصفوا مسلمى الفيلبين بأنهـم (بربر) •• (مورو) لكى يؤكدوا انتماءهم الى نفس الجنس الذى ينتمى اليه العـرب •• والبربر فى شمال افريقيا •

تذكرت هذه الفقرة •• من تاريخ الاسـلام فى هذه الجزر •• ونحن الآن نتوجه بالطائرة الى مطار مدينة اليجن •• فى شمال جـزيرة ميندانو •• وفى المطار وجدت شرطيا يقـف بجوار سيارة جب •• وما أن رآنى أنـزل الى المطار ، ورآنى غريبا •• حتى اقترب منى ••

(١) انظر •• كيف اختار الاسبان اسم فيلب الثانى ملك الاسبان وقت الغزو •• فاطلقوه على هذه الجزر ــ فيلبين ــ تيمنا باسمه ــ وتمسكا بتبعيتها لهم •

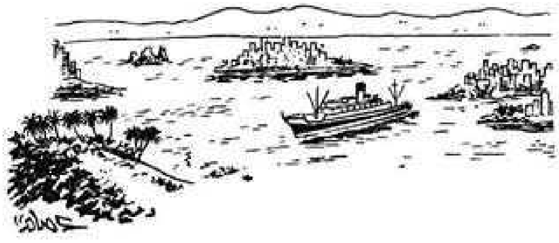

وأبرز ورقة صغيرة •• رأيت فيها اسمى •• مكتوبا بحروف لاتينية •• أشار بهـا الى •• فتعاملت معه بالاشارة كذلك ، وهززت رأسى •• وكأنى أقول له •• نعم •• هو أنا •• ــ وقد كانت السفارة المصرية قد أرسلت الى محافظ لاناو •• بموعد وصولى ــ أودعت جسـدى وكتبى داخل هذا الجيب •• صامتا •• بدون كلام •• لأن كلانا لايفهم كلام الاخـر •• وسارت السيارة فى طريق جبلى غير معبـد •• الا فى المنطقة القريبة من المحافظة الاساسـية لاناو •• ولولا زيارة فضيلة الامام الراحـل الشيخ محمود شلتوت ، والتى سبقت وصولى بعام واحد •• وكان خوف المسلمين على حياة الأمام الراحل •• وضعف صحته وتقدم سـنه •• كل ذلك جعل المسلمين يجتهدون فى تعبيـد هذا الطريق ــ مؤقتا ــ لمناسبة زيارة شـيخ الازهر للمنطقة الاسلامية •• ولولا ذلك •• لخشيت الهاوية على نفسى •• وانقلاب الجب من قمم هذه الجبال الموصلة الى مدينة مراوى سيتى •

٥ ــ دعوة للقضية الفلسطينية

عقب وصولنا الى مدينة مراوى بأيام •••

بعض المشاهد ... والعادات ... والتقاليد ...

وصل الى المدينة مندوبون عن المؤتمر الاسلامى .. لتعريف المسلمين فى الفيلبين .. بما يلقاه اخوانهم عرب فلسطين على أيدى اليهود المغتصبين .. والدعوة الى مناصرة القضية الفلسطينية .. والمندوبان هما .. الأستاذ (حيدر الحسينى) .. الفلسطينى .. والاخر .. الأستاذ (انعام الله خان) . من الباكستان .. ثم وقف الاستاذ حيدر الحسينى .. يخطب فى الميدان العام بالمدينة .. فاجتمع حوله مايقرب من سبعة آلاف مواطن فيلبينى .. افترشوا أرض الميدان الفسيح .. وجلسوا منصتين .. يستمعون الى المأساة التى يحياها اخوتهم شعب فلسطين .. لاول مرة عام ١٩٦٢ .. فى قصة يائسة .. لم يعهدها تاريخ الاسلام الطويل .. الا فى موجات التتر .. التى زحفت على أرض العرب ، والاغتصاب الصليبى لبيت المقدس، وقف الرجل الفلسطينى يحكى مأساة شعب مسلم .. فقد أرضه ـ ودياره .. وأمواله .. وأصبح غريبا فى وطنه لاجئا على أرضه .. ومايلقاه شيوخه ونساؤه وأطفاله وشبابه من ظلم وقهر فاق كل تصور.. وذكر الرجل .. كيف كان بنو صهيون .. وعصابات الهاجاناه .. يتراهنون على نوعية الجنين الذى تحويه بطون الحوامل من النساء العربيات المسلمات « نظير نصف ليرة » أو حبة تفاح .. ومادلالة ذلك الا على التسلط .. والقهر .. والاستهتار بالقيم الانسانية .. عند من فقدوها .. وقد كان الألم يبدوا واضحا فى نفوس الشعب الفيلبينى ، والذى كانت الدموع تلمع فى عيونه الصغيرة .. عند سماع كل مأساة .. كما كان العويل يسمع فى أرجاء الميدان .. فرقا على ما أصاب اخوانهم عرب فلسطين .. وطوال الفترة مابين المغرب والعشاء والرجل يحكي جراح شعبه .. بينما المسلمون يولولون وينوحون .. وقد خيم الصمت على مدينة مراوى .. عاصمة لانا والجنوبى .. كما عم الحزن بيوت المسلمين .. لما سمعوه لاول مرة عن مأساة شعب فلسطين .. وكان هذا اللقاء بمثابة أول مؤتمر شعبى يعقد لشرح قضية فلسطين فى هذا الشرق البعيد ، وفى قلب جزيرة ميندانو المسلمة .. التى اصبحت فيما بعد مسرحا للمقاومة الباسلة .

من حياة المسلمين فى جزر الفيلبين وبعض عاداتهم ..

(أ) فى افراحهم ..

كانت هناك عادة سيئة .. تسود المجتمع المسلم فى مناسبات الزواج .. فأغنياء المسلمين فى الفيلبين كانوا يتأففون من دعوة عالم أو حتى امام مسجد ليعقد عقود زواج أولادهم .. لأن ذلك كان خاصا فقط بفقراء المسلمين.. وماذلك الا للفارق الاجتماعى بين الاغنياء والفقراء ، وبين السلاطين .. والعاديين .. وتتخلص هذه الفروق فى كلمة (مراتبات) (١) تعنى الفرق بين الطبقات .. ولهذا كان الأغنياء يطلبون القاضى الكاثوليكى ليعقد عقود الزواج

(١) مراتبات : من أصل الكلمة العربية مرتبة

.. عند مسلمى الفيلبين ...

لأبنائهم ؟؟ أنظرا لما تتطلبه هذه المراتبات • وهذه العنجهية الفارغة ، وقد حاول الزميل الدكتور عبد الله شحاته .. مبعوث الفيلبين الى الفيلبين فى شهر رمضان عام ٦٢ أن يصحح هذا الوضع .. أثناء زيارته للمنطقة .. غير أن الوقت لم يسعفه .. وقد حاربه علماؤهم ... واستمر تسلط هذا الفهم الخاطىء يسيطر على أذهان الأغنياء .. وشاء الله تعالى .. أن أجلس مع محافظ المدينة المسلم الحاج عبد الغفور ألنتو .. فحكى لى ذلك .. ثم حدث أن دعانى الى حفل زواج أحد أقربائه .. فى قريته .. وقد عرف أننى أثور على هذا الفهم الخاطىء .. وأريد أن أصححه .. كذلك المفهوم العجيب الذى أطلقه علماؤهم على .. المهر .. فقد أفهم أرباع العلماء .. عامة المسلمين أن الصداق (المهر) هو الصدقة .. وبذلك يوزعه ولى الأمر على العلماء والأقرباء والفقراء .. وتخرج بعد ذلك الزوجة الى منزل زوجها فقيرة .. حتى من ملابسها .. ومن حليها .. ويكون أثاث المنزل .. قدرا صغيرا .. وحصيرا من سعف أشجار الجوز ... وموقدا بدائيا بينما يشترك الجميع فى أكل صداق الزوجة الذى حوروه الى صدقة .

كان ذلك من مساوىء عادات بعض المسلمين فى مراسيم الزواج .. والذى بانتهائهم من توزيع مهور بناتهم .. كانت تنتهى مراسيم حفل الزواج .. سمع الرجل رأيى فى ذلك .. وأريته فزعى وتعجبى من كيفية خروج الصداق عن معناه .. وأعلمته أن المهر الذى جعله الله حقا للزوجة .. فى نظير تسليم نفسها الى زوجها .. واحلالها لبعلها .. والنهى قال الله عنه فى سورة النساء : (وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا • أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) صدق الله العظيم .. ذلك فى المهر .. وهو الصداق .. الذى حور معناه علماء المسلمين .. فى بعض الأماكن .. وتجمد رأى بقية العلماء . مجاملة أو جبنا أو خوفا من التغيير .. وحتى لايسدوا بابا من أبواب أرزاقهم .. وخوفا من زعمائهم ، ويوم أن صحبنى المحافظ .. الى قريته .. لأصحح لهم هذا الفهم .. وأدعوهم الى الحق . سألنى ان كانت عندى شجاعة الحق .. كى أعلن لهم حكم الله فى هذا الصداق ..؟ فأجبته باستعدادى .. وسافرت معه فى سيارته عصر يوم الزواج .. لأنقذ بقية المهر الذى وزعوا نصفه صدقة قبل وصولنا .. وبقى الناس فى انتظار وصول المحافظ لتوزيع النصف الأخير من هذا المهر ــ كما تعودوا ــ وما أن وصلنا حتى أعلن لهم المحافظ .. أنه أتى بمبعوث الازهر .. وأنه لايريد أن يقرهم على خطأ تعودوه .. وعليهم أن يستمعوا للاستاذ المصرى الذى جاء ليعلمهم ، فوقفت بينهم

أشرح لهم •• أن الصداق •• هو المهر •• وأنه حق للزوجة •• لا حق وليها •• ولايصح أن يوزع صدقة على أحد •• وأنه ملك للزوجة •• تشترى به أثاث بيتها •• أو أرضا لنفسها •• أو حتى حليا تتزين بها لزوجها •• أو تحفظه لنفسها •• وأنه لايحق لاحد أن يتصرف فيه بغير رضاها •• والا تعرض لوعيد الله •• الذى ختم به الآية السابقة •• فى سورة النساء : (فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا •• أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) ثم وقف المحافظ وأعلن على الحاضرين أن مابقى معه من مهر •• سيجعله تحت تصرف الزوجة •• ولمصلحتها وبين لهم •• أنه أحضر معه رجل دين من بلد الازهر ليبين لهم ماخفى عنهم •• وأن عليهم أن ينصرفوا الى مساكنهم •• وبعد أن عرفوا أن المهر صار حقا للزوجة •• بدأت أرى فى عيونهم غضبا •• لما سمعوه منى ، وكنت ألمح فى وجوههم الاستعداد للنيل منى •• لأننى حرمتهم من مصدر كانوا يستفيدون منه •• قبل ذلك •• ولما كنت أتعجل المحافظ وأطلب منه عودتى الى مقر عملى •• كنت أرى اصراره على الانتظار •• حتى يتم انصراف الحاضرين « فعلمت أنه بذلك كان يحافظ على حياتى» حتى عدت سالما فى منتصف الليل ، وأطنان المياه تنزل من السماء على طريق العودة •• ونجوت من خطر أكيد •• كان ينتظرنى •• جراء كلمة حق •• لم يجرؤ عليها أحد قبلى •• وتم سرورى حينما غيرت هذه العادة وآمل أن يكونوا قد تمسكوا بها •• ونشروها •• وعلموها لمن بعدهم •

(ب) •• فى أتراحهم ••

عقب وصولى الى مدينة مراوى •• استأجرت منزلا •• ومنازلهم من الخشب •• حتى لا تحدث الكوارث •• مع اقبال الزلازل •• فتهلك الناس ان كان من المسلح الثقيل •• كما يسهل عليهم اعادة بنائها مرة أخرى •• وينبيها •• النجارون •• وهى عبارة عن صناديق خشبية كبيرة •• تقام على أعمدة خشبية قوية وغليظة •• ويتم الصعود اليها عن طريق سلم خشبى خارجى •• ولم تكن هذه المساكن تحوى أى حجرات •• بل كانت كلها حجرة واحدة يسكنها أكثر من أسرة •• ولهذا عبرت عنها _ بالصناديق الكبيرة •• وأخيرا تعلموا ضرورة الفواصل لبناء الحجرات أما الفضاء الموجود أسفل هذه البيوت • فكانوا يستغلونه فى انشاء حوانيت صغيرة •• أو حجرات يسكنها أصحاب البيوت•• أويستعملها الأغنياء جراجات لسيارتهم الخاصة •• استأجرت هذا البيت بعد أن عدلته فأصبح شقة جميلة •• وفى احدى الأمسيات •• صعد الى صاحب المنزل ، وأخبرنى بأن شقيقه يحتضر •• فنزلت لأساعده وأطبب معه مريضه وأجامله •• ولم أكن أدرى أنه قد فارق الحياة ، الا حينما رأيتهم يشدون حبلا بين خشبتين •• علقوا عليه ستارة تفصل •• بينهم وبين ميتهم •• ثم بدأوا حديثا عاديا •• لا أثر

فيه لحزن على ميت .. أو لفراق رجل منهم واكثر من ذلك .. وجدتهم قد فرشوا مائدة وأعدوا عليها طعامهم وشرابهم . والتفوا حولها يأكلون ويشربون .. وكأن شيئا لم يحدث !!! فجعلت أقلب النظر فى وجوههم .. ولا أدرى .. أهى عادتهم فى أمثال ذلك ؟؟ أم أنه ايمان عميق بالقضاء الالهى ؟؟؟

صعدت الى مسكنى وأنا أفكر فيما رأيت !!! وفى الصباح الباكر فوجئت مرة أخرى بصاحب البيت يدق الباب .. قبيل الشمس .. يطلب منى انهاء موضوع أخيه ..الميت.. فاستدعيت مترجما ماهرا كان قد تعلم العامية فى مصر كأهلها ــ فقال ان عادتهم هنا .. أن يغسل الميت .. عالم ..!!! سبحان الله .. وكيف يطيق لغريب مثلى أن يقلب فى أجساد موتاهم فتوسلت اليهم بالبحث عن غيرى .. فأنا ضعيف عن القيام بعمل .. لايقدر عليه .. الا غسال متمرس ماهر فى تقليب أجساد الموتى ونجوت من مطب .. ماكنت أتصور أن ألقاه.. فى رحلتى .. فى وسط قوم .. كان علماؤهم يأكلون منهم كل شىء .. ويصنعون لهم كل مايطلب منهم .. ثم حضرت معهم موكب الجنازة .. التى سارت الى المقابر الشرعية القريبة من المسجد .. والتى لايميزها شىء من شجر أو حجر أو بناء أو قباب ، أرض فسيحة .. عند قدم جبل أو سطح تل .. ليس فيها من أثر القبور .. غير حجر يقف عند رأس اللحد .. يبين فقط أن هنا جسدا يرقد تحت هذا التراب .. وتمر الجنازة عادية .. الى المسجد ثم الى المقبرة .. محمولة على سرير ، والناس يمشون فى خضوع .. بعضهم يقرأ القرآن ــ غير أننى شاهدت جنازة .. محمولة على سرير .. وعند رأس الميت يركب معها صبى معه مصحف شريف يقرأ فيه القرآن بصوت جميل .. والناس فى سكون حتى يصلون الى المقابر ــ وقد وصل جارنا الى قبره فأنزلوه الى لحده .. وهالوا التراب عليه .. ثم وقف عالم يلقنه ويدعو له .. وأخيرا أحضروا له وعاء فيه ماء فنثره على القبر .. ثم بدأ أفراد أسرة الميت .. يبرزون خطابات بيضاء مغلقة ومحشوة بشىء من المال .. يوزعونها على الحاضرين .. ولما سألتهم عن سر ذلك ؟ قالوا : انهم تعودوا أن يوزعوا عند القبر بعض مال الميت ترحما عليه .. ولما أفهمتهم أن مال الميت قد انتقل بموته الى ورثته .. وأن عليهم أن يحفظوا هذا المال لأطفاله اليتامى ، فهم أولى بمال أبيهم .. وظننت أنهم قد اقتنعوا بما قلته .. لما شاهدته من عصبيتهم عند اختطاف هذه الأظرف الدسمة من أيدى الحاصلين عليها .. غير أننى وجدت أنهم قد وضعوها ثانية فى جيوبهم . بعد أن أقنعوا أنفسهم بأنهم أولى بها حتى من الرحمة لأخيهم .. أو حتى من حفظ حياة أطفاله اليتامى .

.. فى الجزر البعيدة

وصار ما رأيته مادة أصحح مفهومها لأبنائى طلاب معهد ميندانو العـــربى .. ورغم أن العادات التى توارثوها .. كانت متمكنة منهم الا أننى أشهد أنهم كثيرا ما تجاوبوا عنـــد الدعوة لتصحيحها .. لثقتهم بالازهـــر .. ومبعوثيه .. ويذكرن ذلك بالحرب الأهلية التى نشبت بين عمدة مدينة (جناس) وبين شـعبه فى الشاطىء المقابل لمدينة مراوى .. من جهـة البحيرة انواسعة فى الشاطىء الاخر .. الذى يبعد عن متر عملى بحوالى ثلاث ساعات .. عبورا بزورق بخارى .. ويومهـــا طلب منى المحافظ .. أن أذهب للاصـــلاح بينهم .. ورجانى أن ألبس لذلك الزى الازهرى الرسمى .. لأنه أدعى لتسهيل مهمتى .. ويومها أبحرت لهم .. ورس الزورق بعيدا عن الشـــاطىء بحوالى سبعين مترا .. عبرتها فى الماء .. بعد أن خلعت حذائى .. وشـــمرت ثيابى الى صدرى .. وعدت وقد اصلح الله بينهـــم ، أقول ذلك .. حتى يسمعنى كل من خرج الى هذه الأماكن من بعدى .. والى اللذين ينتظرون دورهم .. حتى يسعوا الى مايخلد ذكرهم فى البلاد التى يبعثون اليها .. لأن الناس هناك لاينسون جهاد الشرفاء .. فى سبيل تصحيح العقائد .

(ج) من حفلات تخرجهم .

تنتشر المدارس الاسلامية .. بانتشـــار الجزر والقرى .. وذلك لتعليم أبنائهم ديـــن الاسلام ولغة القرآن وتاريخ الامة الاسلامية ورغم أن هذه المدارس كلها تعتبر خاصـــة .. بمصاريف زهيدة .. يلجأ اليها المسلمون .. لأن المدارس الحكومية لا تفرق بين المســـلم وبين الكاثوليكى .. وكـــلاهما يلقن جـرعة مسيحية متساوية ، ولهذا .. قد يجمع أبنـــاء المسلمين بين الدراستين .. حتى لا يحرموا من مواصلة التعليم فى المدارس الحكومية .. ولايضيع دينهم الحبيب .. ويتحملوا كثـيرا منهم الجهد بين الدراستين ويتحملوا مـع ذلك القهر .. والتعسف .. والتعصب .. والشعور بأنهم من جنس أقل من غيرهم من بنى وطنهم وعلى المتخرج من المدارس الاسلامية .. التى لاتعترف بها الحكومة الفيلبينية اما أن يســعى للحصول على منحة دراسية فى البلاد العربية والاسلامية .. أو يعمل فى احدى هذه المدارس .. أو يعمل فى صناعة أو تجارة أو زراعـــة ــ ولهذا يطمع المسلمون فى أن ترعاهم الــــدول العربية والاسلامية .. حتى لايضيعوا فى دولة لاتعترف بتعليمهم الدين والعربى .. ومع أول حفل للتخرج أحضره .. وقد جاء امتحان آخر العام .. ولم أعودهم على النجاح بمثـــل ما تعودوه .. حينما يشترونه بثمن .. ظهرت النتيجة .. بنجاح سبعة ورسوب اثنين كانـــا من كبار السن .. فى امتحان شهادة الثانويـــة

عند مسلمي الفيلبين

بمعهد ميندانو العربى .. جاءنى صاحب المعهد .. وسألنى .. ماذا يفعل ؟ .. سألته فى أى شيء ؟ قال فى الطالبين .. الراسبين فقلت له لابد من الاعادة .. قال : ستصبح فضيحة .. فقلت فماذا تقصد ؟؟ قال : لابد من ظهورهم فى موكب الاحتفالات مع اخواتهم .. والا سقطوا من أعين الناس .. وأخيرا رجانى .. أن أعطيهم فرصة للاحتفال مع اخوانهم بالتخرج .. وبعدها يستعدون لامتحان الاعادة .. كل ذلك وهو يعلم أن شهادات التخرج كلها تحت يدى .. وكنت أظن ان حفلات التخرج عبارة عن توزيع الحلوى .. والمثلجات .. فى منازلهم فقط .. غير أننى فوجئت بأن فناء المعهد الواسع قد لبس ثوبا جميلا .. واقواس النصر .. والاعلام الملونة المرتفعة لحوالى أربعين مترا فى الجو وكأنها شراع السفن الجميلة الملونة بأزهى الألوان ، أما الطرقات المؤدية الى المعهد .. فقد جهزت كل أسرة بوابة رفعت عليها الاعلام الملونة متسابقة فى ذلك .. وبدأ الجميع ينتظر يوم حفل التخرج .. بينما قسموا فناء المعهد بأعداد المتخرجين .. ونصب كل متخرج خيمة ملونة جميلة ، وزين المكان بالأعلام العالية من الحرير الملون .. والمناديل المزركشة .. وأعلام النقود الورقية والفضية .. بأعداد جنونية .. كما زين المتخرجون بيوتهم بالأعلام الوطنية والشراع الملونة .. واشترك الجميع فى اعداد مسرح الحفل .. أمام مبنى الادارة بأعلام النقود الفضية والورقية كذلك والورود وقطع السجاد الفاخر .. وبعض الاوانى الذهبية والفضية .. ومع بزوغ فجر يوم احتفالهم .. تسمع دق الطبول .. فى بيوت الخريجين .. ومع الشمس تخرج المواكب لتدور فى طرقات المدينة .. وقد جهزت كل أسرة خريجها بثياب زفاف حقيقة .. للأولاد وللفتيات .. افراح حقيقية ، لنوالهم قسطا من علوم الدين .. وسط احتفالات وطنية .. ورقصات شعبية تعم المدينة وطرقاتها ويحمل كل متخرج مظلة كبير مزينة بقطع النقود من أكبر الفئات .. وهكذا حتى يصل الموكب الى فناء المعهد فى نهاية المطاف .. وفى عصر اليوم بينما يكون كل متخرج فى مكانه الخاص .. وتحت خيمته المزركشة .. فى فناء المعهد .. وسط أحبابه وأفراد أسرته ينادى مدير المعهد .. فيصعد الطلاب الى كراسى معدة فوق المنصة الجميلة .. ويحمل المدير معه .. سلة مزينة .. فيها أوراق بيضاء معقودة بحزام أخضر .. وكأنها شهادات التخرج .. حتى يتم اعدادها لاحقا .. وبعد توزيع المأكولات

الأزهر .. فى الجزر البعيدة

من يوميات مبعوث أزهرى

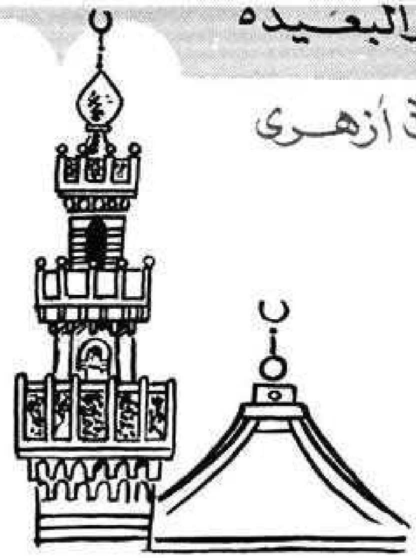

والمشروبات ينادى على كل متخرج .. فتعزف الموسيقى .. وتدق الطبول .. ويصعد الى مكانه فى المنصة وبين يديه أطفال يرقصون رقصات شعبية عجيبة .. حتى يصل الى مكانه فتنهال الصور الذى يأخذها عند تسلمه شهادته وهو فى ثيابه الوطنية ـ الشبيهة بثياب العرس وهكذا .. يستمر هذا الاحتفال العظيم .. وذلك الكرنفال العجيب .. الذى يظهر أفراح المسلمين بهؤلاء المتخرجين .. من المدارس الاسلامية .. وقد يصل سن المتخرج منهم الى سن الاربعين والخمسين .. الا أنه التفانى فى محبة الاسلام واللغة العربية .. والعلوم الدينية .. وبعدها من تمكن منهم بأن يصل حباله بحبال الجامعات الاسلامية والعربية .. فى العالم العربى والاسلامى فيأتى اليها بطريق منحة دراسية .. أو يأتى اليها متسللا .. أو يعمل فى حرفة أخرى ان لم يستطع الخروج من بلده .. أو يعمل معلما لمن يأتى بعده وهكذا تتجدد أفراحهم .. ومعها احتفالاتهم بتجدد النجاح .. وهى صور عشتها ونقلتها من قلب جزيرة ميندانو .. من مدينة مراوى سيتى بجنوب الفيلبين .

ومع حلقات أخرى من حلقات : التعريف بشعب الفيلبين المسلم ، ومع شعب اندونيسيا كذلك .. وهم الذين يتطلعون الى من يأخذ بيدهم ، ومن يساعدهم فى أن يحفظوا تراث الاسلام فى أرضهم .. التى يكتب لهم بعد الحروب الطاحنة .. والغزوات المتتالية على أمتهم .

والى اللقاء ان قدر الله لنا ذلك .. لنلتقى حول أخبار أشقائنا فى أطراف الارض « فى أقصى جنوب شرق آسيا .. وادعو الله معى بأن يحفظ لهم دينهم .. وينصر كفاحهم .. وأن يحفظ أمة الاسلام من كل كيد وبغى » آمين .

اسماعيل عبده الشال

فلسفة السعادة في الإسلام

بقلم الدكتور سعد الدين السيد صالح

فى بداية الحديث نتساءل ما هى السعادة ؟ وكيف يمكن تحقيقها ؟ اما عن ماهية السعادة فهى من الامور التى لايمكن ان يضع لها الانسان تعريفا محددا فهى من قبيل اللامعرفات فى المنطق كالحب والكره وغيرها من الاشياء التى تعاش وتحس دون أن يمكن ضبطها بتعريف جامع مانع ٠

وأما عن كيفية تحقيق السعادة وبيان أسبابها ، فهى تختلف من انسان لآخر فكل واحد يتصور من وجهة نظر خاصة ويراها فى شىء معين ، وهى فى حقيقة الأمر قد تكون ساقطة بين وجهات النظر المختلفة ، والاشخاص لا يعرفون فكل واحد منهم يظن أن الآخر فى سعادة بينما الواقع ان كليهما محروم منها ٠

فلسفة السعادة ...

ـ **فالمحروم** من المال قد يظن ان السعادة فى امتلاك المال وجمعه وأن أصحاب الاموال هم السعداء ، ولكن سرعان ما يتبدد هذا الوهم حين يصبح هو الآخر من اصحاب الاموال فتضيع منه السعادة :

ذلك أن المال قليله وكثيره قد يكون سببا من أسباب فقدان السعادة والاستقرار ، فالقليل منه لا يشفى الغليل ولا يرضى النفس ، فصاحب الالف يحاول أن يجمع بجواره الآلاف وصاحب المليون يحاول أن يجعله ملايين وكثرته لا حدود لها ، تلك هى حقيقة الانسان وقد وضحها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه « لو كان لابن آدم واديا من ذهب لتمنى ان يكون له ثان ، ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب » تلك حقيقة واقعية ومن هنا كان المال سببا من اسباب التوتر والقلق الدائم وعدم الاستقرار فأين السعادة فى رحابه ؟

ـ ومن وجهة النظر الثانية **نجد أن صاحب المال** قد يظن فى لحظة من لحظات التشتت ان المحرومين هم السعداء ، ظنا منه انهم يعيشون فى استقرار وأمان من التوتر الذى يسببه المال وهكذا ضاعت السعادة بين اصحاب الاموال وبين المحرومين منها .

ـ **والمريض** قد يظن ان السعادة فى الصحة وحدها بينما يتمنى الصحيح لو كان مريضا لشىء آخر يراه فى المريض هو محروم منه .

والماشى على قدميه قد يحسد راكب السيارة بينما يتمنى هذا الراكب لو استطاع ان يمشى بضع خطوات ، ولكنه لايستطيع ، بل قد يكون المشى هو علاجه من بعض الامراض ، ولكنه لا يطيقه .

وهكذا قد ينظر بعض الناس الى شخص ما على أنه مثال اعلى للسعادة ولكنهم حينما يقتربون من هذا الشخص ويعيشون حياته يجدونه فاقدا تماما لهذه السعادة بالرغم من أنه يعيش فى سعادة فى نظر الآخرين .

ـ وقد يظن بعض الناس ان السعادة فى منصب أو فى مركز اجتماعى مرموق ، ولكنه حين يصل الى مثل هذا المركز يتمنى لوعاد من حيث أتى حيث لا مسئوليات ولا مهام ، وقد يحسد بعض المغمورين ويظن أنهم فى سعادة من هموم المسئوليات .

ـ والمحرومون من الاولاد قد يظنون ان السعادة فى وجودهم ، ولكن هذا الوهم سرعان ما يتبدد حين يرزقه الله بولد قد يكون سببا فى شقائه وتعاسته لسبب أو لآخر .

واذا كان المال والبنون هم زينة الحياة الدنيا كما أخبرنا القرآن الكريم ، فانهما يكونان من أهم أسباب السعادة ، ومع ذلك وجدنا أن السعادة فى رحابهما وحدهما وهم لايمكن ان يتحقق .

واذا كان الامر كذلك فأين السعادة ؟

والحق ان كثيرا من الاتجاهات الفلسفية قد عالجت هذا الموضوع وسوف نبين وجهة نظرهم أولا ثم نوضح الحل الاسلامى لمشكلة السعادة

من واقع الفلسفة القرآنية •

ــ وقد حاولت الفلسفه **الوجودية** : أن تجيب على هذا السؤال اين السعادة ؟ فادعت ان الانسان مخلوق بائس قلق محـــروم من السعادة ، بل هو ــ فى نظرهم ــ أقـــل من الحيوانات ، لأن الحيوان يأكل ويشرب وينام ويكون سعيدا ، ولكنه لايحتاج الى شىء أكثر من اشباع شهوات بدنه ، ولكن الانسان يخلق لنفسه دائما حاجيات جديدة لا يشبع منهـا أبدا ، ومهما وصل الى ما يريد فهو يتطلع الى المزيد ، انهيريد أن يصل الى اللانهاية ، ولكنه عـــلى وعى تام بتناهيه وبموته ، ومن هنا أصيب الانسان بالتوتر الدائم والقلق الرهيب الذى أفقده كل معنى من معان السعادة • ومن هنا بدأ الانسان عند الوجودن الملحده كلغز مثير للاسى والحسرة ، انه يبدو موجودا من أجل شىء لا يستطيع أبدا أن يبلغه ومن هنـا فقد كل معانى السعادة ، بل ان الانســـان فى نظرهم هو احد اخطاء الطبيعة فهو مخلـــوق بائس أو هو ــ كما يقول سارتر ــ ألم وعذاب لاطائل من ورائه •

واما الماركسين فقد رأت ان السعادة تكون فى اشباع شهوات الانسان البدنية وتوفير كل الحاجات المادية وحسب ، ولكنها وقعت فيمـا وقعت فيه الوجودية ، ذلك ان الماديات لاحـد لها والانسان محدود متناهىومن هنا لايستطيع الوصول الى كل ما يريد مما يصـــيبه بالقلق والحسرة والتوتر •

ــ وهناك حل ثالث لمشكلة السعادة اقترحه بعض المفكرين يقوم على الادعاء بأن اشـباع دافع اللانهائية عند الانسان يكون بأن يعتبر نفسه متحدا مع شىء آخر أكبر منه ــ ويوجه اخص مع المجتمع ــ ويقول هؤلاء المفكرون انه لا أهمية لكونى أتالم أو افشل أو امـــوت فالانسانية والكون سيستمران ومعنى هـــذا أنه لا أهمية لسعادة الفرد مادام المجمـــوع سيكون سعيدا •

هذه بعض الحلول لمشكلة السعادة الانسانية التى وضعها بعض الفلاسفة بمقتضى العقـل البشرى القاصر الذى لايعصمه شرع أو دين•

وسوف نحاول الآن ان نقيم هذه الحلـول لكى نصل الى الحل الاسلامى لمشكلة السعادة•

وأول ما نلاحظه على هذه الفلسفات أنهـا اعتبرت الانسان مادة وحسب ومن هنا حاولت تحقيق السعادة له من خلال اشباع شـهواته البدنية وحسب ، وبما ان الماديات لا حدود لها انتهت هذه الفلسفات الى الاخطاء التى وقعت فيها حين وصفت الانسان بالقلق والتوتر •

ذلك ان الانسان ليس مادة وحسب وانمـا هو مادة وروح ولابد من التوازن بين اشباع كلا العنصرين والاحدث الاضطراب والفســاد

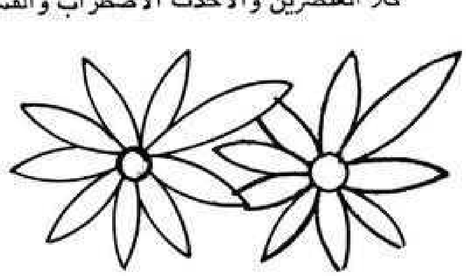

فلسفة السعادة..

فى حياة الانسان ولكن هؤلاء الفلاسفة استبقوا الجانب المادى فى الانسان وتركوا الجانب الروحى ، ومن هنا وصفوا الانسان بالقلق والبؤس وأفقدوه بفلسفتهم كل معانى السعادة وهذا هو السر فى الفراغ الروحى وفى القلق النفسى الرهيب الذى شاهده فى المجتمعات الغربية والشيوعية معا .

وأما هؤلاء الذين أرادوا أن يحققوا سعادة الفرد من خلال سعادة المجموع فهم أيضا يهربون من المشكلة وبدلا من ان يحلوا لغز السعادة ، فانهم ينكرون البديهيات ، أى ينكرون حقيقة ان الانسان كفرد يرغب فى السعادة لنفسه ، وليس لأى شىء آخر .

ومن هنا يبدو لنا تهافت هذه الحلول .

وأما الحل الاسلامى لمشكلة السعادة فهو يتمثل فى فهم الانسان لمعنى وجوده وفلسفة حياته ، واذا مافهم الانسان الحكمة الحقيقية من وجوده وصل الى السعادة القصوى حتى ولو كان فى قمة الألم الظاهرى .

فالحكمة من وجود الانسان فى الدنيا –كما بين لنا القرآن الكريم – هى الابتلاء والاختبار والامتحان (**الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**) (**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**) .

ومعنى هذا ان كل ما يقع فى الحياة هو ابتلاء واختبار للانسان .

– فالمال الذى يظن بعض الناس أنه قمة السعادة هو ابتلاء واختبار وامتحان ، فاذا ما اعطاه الله لانسان ما فهو يبتليه هل يؤدى فيه حق الله أم لا .

وان سلبه من الانسان وأعطاه الفقر فهو يختبره هل يصبر على بلاء الله أم لا .

ومن هنا لا ينبغى ان يكون وجود المال أو فقدانه سببا من اسباب السعادة أو فقدها ، لأن الامر يستوى مادام الانسان فاهما الحكمة من وجوده .

– والاولاد هم الآخرون ابتلاء واختبار وامتحان ، فان أعطاك الله اياهم فهو يمتحنك بهم هل تشكر الله على نعمته أم تكفر بها وان منعك اياهم فهو يبتليك هل تصبر على قضاء الله أم لا .

والصحة والعافية هى ابتلاء ، فان أُعطاك الله الصحة والسلامة فهو يبتليك هل تستعملها فيما يرضى الله أم فيما يغضبه وهل تشكره على هذه النعمة أم تكفره .

وان منعك اياها واعطاك الامراض والبلايا تصبر على بلاء الله أم لا .

وهكذا فكل مايقع فى الحياة هو ابتلاء واختبار للانسان ولا ينبغى ان يظن الانسان ان وجود اسباب السعادة من المال والبنون والصحة هى غاية فى ذاتها بحيث اذا فقدها

في الإسلام

يصاب بالقلق والحسرة ويفقد سعادته .

كلا انها كلها اختبار وامتحان للانسان وبدون فهم هذه الحقيقة تكون مصدرا للتعاسة والقلق .

ولذلك حين نعي الى بعض الصحابة ابنه وعائله الاكبر قال : الحمد لله اللهم ان كنت قد ابتليت فى ولد فقد عافيت فى أولاد .

وقطعت قدم احد العارفين فقال الحمد لله اللهم ان كنت قد ابتليت فى عضو فقد عافيت فى اعضاء ، ومن هنا يشعر الانسان بالسعادة وهو فى قمة الالم الظاهرى .

اذا ليست السعادة فى المظاهر المادية ، وانما السعادة الحقيقية لاتكون الا فى الايمان اليقينى بقضاء الله وبالتسليم لقدره وحكمته، وفى معرفة الانسان أنه يعيش لفترة محدودة متناهية هى حياة الابتلاء وأنه سوف ينتقل حتما الى حياة الجزاء وهى الحياة الابدية التى سوف يلقى فيها السعادة الحقيقية جزاء ماقدم فى الدنيا .

واذا كان الموت فى الفلسفات الملحدة مسببا من أسباب فقدان السعادة واصابة الانسان بالتوتر الدائم ، لأنهم يعتقدون ان ما فى العالم ليس الا لغوا باطلا لا معنى له فان الموت فى الاسلام يكون سببا من اسباب السعادة لأنه ينقل الانسان من حياة متناهية محدودة لايستطيع الانسان ان يصل فيها الى كل مايريد الى حياة أبدية يصل الانسان فيها الى السعادة القصوى بل الى كل مايريد لأنها حياة لا نهائية « خالدين فيها ابدا » .

ومن هنا يرد القرآن على هؤلاء الماديين الذين حطموا سعادة الانسان فى الدنيا ولا يريدون له ان يحققها فى الآخرة ، يرد عليهم بقوله : « **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ** » .

فالسعادة الحقيقية لايمكن أن تكون إلا فى رحاب الايمان بوجود الله ، وفى الالتزام بما أمر والانتهاء عما نهى ، وفى الايمان بالبعث بعد الموت ، وبمعنى آخر فالسعادة لاتكون الا يفهم الانسان لفلسفة وجوده من خلال كتاب لايضل ولايزل وهو القرآن الكريم الذى أرشد الانسان الى الحكمة من خلقه وحل لغز السعادة حلا لامعقب بعده فالمال والبنون والصحة ، والمركز المرموق وغير ذلك من اسباب السعادة الحقيقية بل لابد معها من الايمان الذى اشرنا اليه وبدون ذلك تتحول اسباب السعادة هذه الى اسباب للتوتر والقلق .

د . سعد الدين السيد صالح

الدين

هل يستطيع الانسان أن يحيا بغير عقيدة دينية ؟

وهل يكون سعيدا بهذه الحياة ؟

يجيبنا الفيلسوف الشهير كانت Kant عن هذا السؤال بقوله « لنأخذ حالة انسان فاضل يجد نفسه خاضعا لالحاح الاعتقاد بأنه لا يوجد اله ، ولا حياة أخرى وراء هذه الحياة ، فكيف يقدر مصيره تقديرا مستمدا من القانون الخلقى الذى يوحى اليه العمل ؟ انه يرى أن ذلك الاعتقاد لن يجلب له أى فائدة شخصية . لا فى هذه الحياة ولا فى حياة أخرى وراء هذه الحياة ، بل انه على العكس يرى أن ارادته يمكن أن تكون باعثة على الخير حين توجه القوانين الاذلية جميع طاقاته ، فهو مجبر فى كل أفعاله .. وسيجد آخرين ممن يحيطون به يخادعون ويغدرون ويستعملون العنف والقسوة على حين يكون هو نفسه أمينا مسالما .. ولا يعدم فيمن حوله بضعة أفراد فضلاء مثله . ولكنهم يتعرضون لقسوة الطبيعة التى لا تحفل بالقيم المثالية .. وبعد هذا يتساوى الجميع — أشرارا وأخيارا — حينما يدهمهم الموت ويلقى بهم فى قبور فسيحة بلا تفرقة ، انه لن يستطيع الاستجابة للقوانين السلوكية بسبب المصير الى ظلام العدم اللانهائى ، واذا أراد أن يتجنب هذا ، وجب عليه الايمان بوجود خالق للكون هو الله .. » كما يقدر أنه « اذا كان للوجود الانسانى قيمة فلابد أن يكون للعالم غاية .. ولابد من وجود سيد أعلى يشرع فى مملكة خلقية من الشرائع ذات الأهداف المثالية مايتسنى به تحقيق الخير الأسمى تحت رعايته . وسيطرته على الكون كله » ويقود فى بحث آخر قصور الارادة الانسانة عن تحقيق القانون الخلقى ، وأن الله وحده هو الذى تتحقق فيه الصلات المطلقة بين الارادة الالهية والقانون الخلقى .

وفى كلام » كانت « ما يغنى عن الرد على القائلين بأن القوانين الخلقية النابعة من الضميرحينما يلتزمها الانسان تغنيه عن العقيدة الدينية ، ان القوانين الخلقية لا تقوم على مجرد السلطة المقارنة لها بل تقوم على ادراك ما يصاحب تطبيقها من منفعة وما ينشأ عن تركها من أضرار ، ولكن من الذى يحدد المنافع

ضرورة حتمية

للأستاذ علي عبد العظيم

ويوضح الاضرار ؟ فكم من عمل ظاهره النفع أو ظاهره الشر ولكنه ينتج عكس ما توقعناه منه وقد تكون المنفعة خاصة بالفرد ولكنها ضارة بالمجتمع ، وقد تكون منفعة وقتية يعقبها ضرر كبير — ومن العجيب أن دوركايم Durkkeim يرى فى كتابه التربية الخلقية « أن القاعدة الخلقية يجب أن يكون الباعث على احترامها واجبا دون النظر الى النتائج التى تترتب عليها ، وهذه أحلام فلاسفة لو فرضنا تحققها فى بضعة أفراد ممتازين فانه لا سبيل الى تحقيقها فى المجتمعات ، ثم لنا أن نتساءل عمن يضع لنا القوانين الخلقية ؟ ان الفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلماء النفس اختلفوا وسيظلون مختلفين فى تقويم الفضائل وتحديد الرذائل فبأى آرائهم نأخذ ونحن مطمئنون الى أن ما أخذناه هو الصواب ؟ ان الايمان هو الذى يعطينا هذا التحديد الدقيق .

يقول ول ديورانت Will Duront ان الشك يبعث على التوقف والضيق والايمان يدفع الى البسط والانطلاق ويحسن الشهية والدورة الدموية والواقع أن كل متشكك يشكو معدته ، وان الاعتقاد الدينى أمر طبيعى ، وهو ينشأ مباشرة من الدوافع الفطرية والعاطفية من التعطش الى حفظ الذات وبلوغ الامان والاطمئنان ، وفى بعض الاحيان يغمرنا الشكر على النعمة حتى نود أن تكون لروح العالم آذان تسمع بها آيات شكرنا » ويقول نيتشة : « ان الطريقة التى تنقلب بها المصائب حظوظا حسنة أغرته بالاعتقاد فى الله .. ثم يقول « ان الدين لم ينزع عن الموت مافيه من ألم فحسب بل ملأ الحياة جمالا بالطقوس والبناء والنحت والنقش والدراما . لقد حول الدين مأساة الحياة الحقيرة الى رحلة شاعرية يحج فيها المرء الى نهاية شريفة وبغير الدين تصبح الحياة سخيفة » .

ان ضعف الوازع الدينى يؤدى الى انهيار خلقى يبدو واضحا فيما يعانيه العالم الآن من انهيار سلوكى نلمسه فى انتشار طوائف الخنافس والهيبيز والوجوديين وجماعات الساخطين ..

الدين

ومستعمرات العراة وانتشار المسكرات والمخدرات وتعدد حوادث الانتحار .. ومن هنا ندرك سر تساؤل توماس هاردى Thomas Hardy عن الكآبة التى أخذت فى الاستيلاء على الشعوب المتحضرة حين تخلت عن اعتقادها فى سلطة خيرة هى سلطة الدين .

ومن أهم آثار الدين أنه يبدد الاحزان ويسوق العزاء ويفتح أبواب الرجاء ويبعث فى النفوس الثقة والسكينة والاطمئنان ، وتبارك الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم والمشاهد فى حضارتنا الحديثة وتعقدها وتشابكها ومشكلاتها العديدة أنها تثير القلق النفسى وتنشره مع ما يصحبه من انهيار الاعصاب وانتشار ضغط الدم وتصلب الشرايين والذبحة الصدرية .. الى غير ذلك من الامراض . ولا علاج للقلق النفسى الا فى تمكن العقيدة الدينية فى النفوس ... وهذا ماقرره العلامة النفسى الشهير « هنرى لانك » مع أنه بدأ حياته ملحدا ولكن أحداث الحياة وما قام به من تجارب عديدة وما شاهده فى علاج مرضاه رده الى الايمان بالله وقد سجل هذا كله فى كتابه « العودة الى الايمان » قال فيه : « لقد أجريت مع معاونى عشرات الآلاف من التجارب النفسية على نحو عشرة آلاف انسان تلبية لطلب مؤسسة كارينجى التى وضعت بين أيدينا مائتى ألف دولار لاجراء هذه التجارب ، ونتيجة لهذه التجارب بدأ ادراكى لاهمية العقيدة الدينية بالنسبة لحياة الانسان ، ووجدت من نفسى استعدادا لمضاهاة تجاربى السابقة على مرضاى بالنتائج الباهرة التى انتهت اليها الاختبارات العظيمة التى توليت الاشراف عليها ، وقد استخلصت من هذه الاختبارات العديدة نتيجة هامة هى **ان كل من يعتنق دينا أو يتردد على دار للعبادة يتمتع بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين له أو لايزاول أى عبادة** » .

أليس هذا مصداقا لقوله تعالى : « **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** » . والاسلام يقرر الصلة الوثيقة بين الخالق والمخلوق ويوضح التبادل القائم بين الله المهيمن على كل شىء والمؤمن المعتمد على ربه الواثق به حيث يجد فى ظله الامن والسكينة والاطمئنان ، فالمؤمن يذكر ربه فى عبادته وربه يذكره برحماته ، وهو سبحانه راض عن عباده وهم عنه راضون « **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** » والسلام الشامل قائم بين الله وعباده ، فقد اختار لهم الاسلام دينا .. والاسلام مشتق من السلام وتحية المؤمنين فيما بينهم السلام وختام صلواتهم السلام . وتحيتهم فى الجنة السلام هدية من ربهم الذى سمى نفسه بالسلام ، والمؤمن يشعر دائما أنه موضع كرامة الله وأنه خليفة الله فى أرضه وحامل أمانته بين خلقه وان جزاءه البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة كما قال سبحانه : « **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ**

ضرورة حتمية

الآخرة خير ولنعم دار المتقين » .

ولهذا يحيا المؤمن فى سلام ويلقى ربه فى سلام وهو واثق أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وهو واثق أيضا أن مع العسر يسرا ، وأنه «ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » .. فلا قلق ولا اضطراب ولا تمزق ولا انحلال ، لان رحمة الله محيطة به من حيث يدرى ولا يدرى «إن رحمة الله قريب من المحسنين » ومن ثم يطوى المؤمن حياته راضيا عن ربه مرضيا عنه منه «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

وبعض الفلاسفة يرى فى القانون ما يغنى عن الدين لان عقابه سريع لا ينتظر بعثا ولا نشورا ولان عامة الناس يخشون العقاب المادى العاجل ولا يأبهون بالعقاب الآجل ، وأنه مادامت عين القانون ساهرة قوية فان المجتمع يستطيع أن يعيش فى أمن وسلام دون الحاجة الى دين يحميه .

والى هؤلاء نقول ان الدين يغنينا فى تطبيقه عن القانون ولا يغنينا القانون عنه بأى حال فالحاكم فى الشريعة الاسلامية يطبق القوانين مع مراعاة العدالة المطلقة فى تطبيق أحكام الحدود والمعاملات والاحوال الشخصية فى هذه الحياة ويترك عقاب الآخرة لله ، على أن الله سبحانه قد يعجل بالعقوبة فى الدنيا قبل الآخرة فان المجرمين « لهم عذاب فى الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشق ، ومالهم من الله من واق » .. قال تعالى : «لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون » .

ونلاحظ ان القانون لا يعاقب الا على الظواهر لانه عاجز عن علم الضمائر وقد يفلت من عقابه المجرمون اذا أحسنوا اخفاء جرائمهم ، ولكن الله الذى لاتخفى عليه خافية يأخذ كل مجرم بجريرته . فاذا أفلت من عقاب القانون فانه لا يفلت من عقاب الله « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

والقانون يعاقب ولكنه لا يكافىء ، ومن الناس من تخيفه العقوبة ومنهم من تجذبه المثوبة والله سبحانه يعاقب المسيئين ويثيب الطائعين « إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم » .

وهناك جرائم لا يعاقب عليها القانون مثل الكذب والنفاق والبخل ولكن الله توعد عليها بالعقاب لانها جرائم تلحق أشد الضرر بالافراد والجماعات . ومواد القانون قد تكون ظالمة وقد تكون ناقصة ، وقد تحمى الطائفية والعصبية العنصرية والمذهبية فى كثير من الدول وهى مع هذا غير ثابتة .. فكثيرا ما تتغير من جيل الى جيل ، ولكن الشعائر الدينية ثابتة مستقرة بما تقرره من فضائل وما تحظره من

الـــديـن ضرورة حتمية

رذائل وهى تصلح الظواهر والضمائر وتعنى بالاجساد والارواح • والقانون يمثل سلطان الحاكم • وربما كان هذا الحاكم ظالما أو طاغية وقد يكون موضع السخط أو التشهير ، ومهما بلغت قوة الحاكم فهو محدود العمر محدود المعرفة محدود الجاه والسلطان ، أما الــدين فيرد الامور كلها الى حاكم عادل مطلق السلطان لا يحده زمان ولا مكان •• ولا تخفى عليـه خافية ولا يعجزه شيء فى الارض ولا فى السماء وسعت رحمته كل شيء وأحاط بكل شيء علما « وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً » •

وحاكم الدولة قد يجامل ويحابى وقــد يتعصب ، ولكن الله سبحانه لا يحــابى ولا يتعصب والحاكم قد يحتجب عن رعيتــه وراء الاستار والاسوار وقد يحيط نفسه بالحجاب والحراس ولكن الله قريب من عباده يسمع دعوة المؤمن اذا دعاه « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَــادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ » •

ومن هنا نجـزم بأن القانون والفلســـفة والعلوم لا تستطيع أن تحل محل الدين فالدين ضرورة حتمية لكل مجتمع سواء كان متحضرا أم متخلفا فانه يغنى عن غيره ولا يغنى عنـه سواه وفى هذا يقول ماكس نوردو Max Nordeau

« ان الاحساس الدينى أصيل فى الطبيعـة البشرية يجده الانسان غير المتحضر كما يجده أعلى الناس تفكيرا وأعظمهم حدسا ، وستبقى الديانات ما بقيت الانسانية • وسوف تتطور بتطورها وسوف تتجاوب دائما مع درجــة الثقافة التى تبلغها الجماعة » •

« ونلاحظ أن الشــعوب الراقية علميا الآن يتعرض شبابها لألوان من التمزق والضياع لأن قلوبهم من الدين خواء ولهـــذا ترتفع فيهم نسبة الانتحار » •

ولهذا أعلن هنرى لنك بعد آلاف التجارب : « أنه لا يوجد بديل كامل يحل محــل تلك القوة الهائلة التى يبعثها الايمان بالخـلاق العظيم وناموسه الخلقى الالهى فى قلــوب الناس » •

ولقد أهاب الدكتور ولسن الرئيس الأسبق للولايات بالشعب الامريكى أن يعود الى الدين قبل فوات الاوان ، وقال فى ندائه للشــعب « اننا اذا لم ننقذ حضارتنا المادية بالروحانيات فلن نستطيع البقاء بماديتها العميــاء ، وهى لا يمكن أن تنجو من مصيرها الرهيب الا اذا سرى الروح الدينى فى جميع مسامها ، ذلك هو الامر الذى يجب أن تتنافس فيه معابدنا ومنظماتنا السياسية وأصحاب رءوس أموالنا وكل فرد خائف من الله محب لبلده » •

ولقد أعلن المارشال مونتجمرى القــائد الانجليزى العظيم الذى غير مجرى الحــرب العالمية الثانية النداء التالى على جيشــه « ان الجيش اذا سار على غير مرضاة الله فانــه يسير على غير هدى ، ان خطــر الانحطاط الخلقى فى أفراد الجيش أعظم من خطر العدو ولهذا لا نستطيع أن ننتصر فى معركة الا اذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شيء » هــذا كلام مونتجمرى •

وكلنا نعرف فى مصر مدى تأثيــر النداء الربانى العظيم « الله أكبر » فى معركة العبور على الرغم من قوة العدو، وما يملكه من التحصــينات المنيعة والأسلحة الفتاكة •

على عبد العظيم

من حضارة الإسلام

القيادة

أمانة ورسالة

من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم

للواء أركان حرب
محمد جمال الدين محفوظ

من المبادىء التى تستخلص من سنة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم فى القيادة واعداد القادة أن القيادة أمانة ورسالة ، وأن اعداد الرجال ليكونوا قادة من أسمى مهام القيادة ، وأن قيمة أية قيادة تقاس بمقدار ما صنعت وقدمت لأمتها من رجال صالحين لتولى القيادة .

فالقائد الذى يريده الاسلام هو القائد المعلم الذى يدرك مسئوليته نحو رجاله فيجعل على رأس اهتماماته اعدادهم للقيادة ، وتعهدهم بالتدريب والتوجيه ، ومن ذلك مثلا أن يفوض اليهم بعض السلطات والصلاحيات ويعهد اليهم ببعض المهام ، ويسند اليهم

القيادة

القيادة فى غيابه وهو مطمئن الى قدرتهم على النهوض بأعبائها ، ويتحدث عنهم ويشيد بأعمالهم ويفخر بهم •

أما القائد الذى لا يرضى عنه الاسلام فهو القائد السلبى الذى لا تصل به قدراته أو قد لا يصل ايمانه وادراكه لمسئوليته الى حد السعى الى اعداد غيره للقيادة ، فنراه لا يحفل بأكثر من تصريف الامور ، ويترك معاونيه ومرءوسيه لعوامل الصدفة فى التعليم ، وبعض القادة من هذا النمط يركز كل الامور فى يده ، ويحسب أن من صالحه أن يقال عنه ان الامور تختل لو غاب عن قيادته ، وقد ينطوى هذا السلوك على سوء النية والحقد وكراهية النجاح لغيره فيتضاعف ضرره •

الأسوة الحسنة :

أى أن القائد المسلم صاحب مدرسة ورسالة ويدرك تمام الادراك أن قيامه باعداد أجيال من القادة ، من أسمى واجباته ، وأمانة فى عنقه فنراه يقبل على أداء الواجب ، وعلى الوفاء بالامانة بكل حماسة واخلاص وحيوية دافقة •

ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسوة الحسنة ، يقول الله تعالى : « **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** » •

فلقد كان عليه الصلاة والسلام هو المعلم الذى تنزل عليه الوحى برسالة الاسلام ليبلغها للناس ، وصاحب المدرسة التى تخرج فيها قادة أمم ، وعباقرة حروب ، ورجال اصلاح ، وعلماء وفلاسفة ، ورواد حضارة •

ولم يكن هذا الايجاز الرائع أمرا يسيرا او هينا ، يكفى أن نقارن بين حال العرب قبل الاسلام وحالهم بعد الاسلام حتى ندرك السر فى ذلك التحول الكبير •

فلقد حمل الرسول صلى الله عليه وسلم الامانة وبلغ الرسالة وجاهد حق الجهاد ، فكانت مدرسته خير مدرسة وحدت بين الناس، وجمعت قلوبهم على الحق ، وقادتهم الى الخير ، وحملت مشاعل الحرية والنور والحضارة للانسانية جمعاء ، وحقق العرب بعد الاسلام فتوحات امتدت — فى أقل من مائة عام — من حدود الصين شرقا الى شاطىء الاطلسى غربا •

وقد بلغ عدد قادة الفتح الاسلامى مائتين وستة وخمسين قائدا منهم مائتان وستة عشر قائدا من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وأربعون من التابعين باحسان رضوان الله عليهم أجمعين •• هؤلاء هم الذين حملوا رايات المسلمين شرقا وغربا ، وهم قادة فتح العراق والجزيرة • وقادة فتح المشرق الاسلامى وقادة فتح الأندلس والبحار •

القائد وصفات المقاتل :

وأول ما يقرره الاسلام لبناء القادة هو أن يتحلى القائد بصفات المقاتل ، فلا يقود المقاتلين الا مقاتل • وهذا ما جرت عليه سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى تدريب المسلمين على الرماية وركوب الخيل والقتال بها والطعن بالرماح وغيرها من أسلحة القتال وأساليبه ، وقد ضرب عليه السلام القدوة والمثل للقائد المعلم فكان يشاركهم فى التدريب

ويقيم بينهم السباق والمنافسة فيه .

المشاركة فى التخطيط الحربى :

ومن أهم ما يفيد فى اعداد القادة اشتراكهم فى التخطيط للمعارك بالتفكير والمناقشة وابداء الرأى ، ويدخل ذلك فى نطاق مبدأ الشورى الذى طبقه الرسول القائد صلى الله عليه وسلم خير ما يكون التطبيق حتى قال عنه أبو هريرة رضى الله عنه : « ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ففى غزوة بدر استشار أصحابه فى مبدأ دخول المعركة ضد قريش واستقر الرأى على قبول المعركة . وعندما وصل الجيش الى مكان المعركة نزل عليه السلام على مشورة الحباب ابن المنذر وانتقل بالجيش الى حيث أشار ، وفى غزوة أحد استشار أصحابه فى مبدأ البقاء فى المدينة ولقاء قريش فيها أو لقائهم خارجها، فاستقر الرأى على الخروج واستجاب عليه الصلاة والسلام للرأى وقال لهم : « لكم النصر ما صبرتم » .

ومن أهم النتائج التى تحصل من المشاركة فى التخطيط الحربى ـ علاوة على التدريب على فن التفكير وابداء الرأى ـ تدريب القادة على المبادأة والتصرف السليم فى المواقف التى تواجههم دون الحاجة الى الرجوع الى القيادة العليا وخاصة فى المواقف المفاجئة أو التى لا تحتمل التأخير ، وذلك لان مشاركتهم فى مرحلة التخطيط تتيح لهم معرفة واسعة بفكر القائد ونواياه وأهدافه،واحاطة وافية بجوانب الموضوع تمكنهم من اتخاذ القرار السليم فى المواقف بهدى تفكيرهم وحده .

قيادة العمليات القتالية المحدودة :

ان تولى القيادة الفعلية يعد تتويجا للجهود التى تستهدف اعداد القادة ،.وهو انتقال من المرحلة النظرية الى مرحلة التطبيق العملى ، وقد حرص الرسول القائد المعلم أن يكون ذلك تحت اشرافه وتوجيهه ، فعهد الى أصحابه بتولى القيادة فى أشكال متعددة من أعمال القتال المحدودة (وهى ما يسمى بالسرايا)مثل دوريات الاستطلاع ودوريات القتال والاغارات وهى تعد مقدمة لتولى مهام أكبر منها .

ومن خصائص هذه الاعمال أنها محدودة الاهداف والقوة ، اذ تتراوح القوة التى تتألف منها من بضعة أفراد الى بضع مئات ، وهى تفيد القائد من جوانب كثيرة نذكر منها دراسة طبيعة الارض والطرق واستطلاع أحوال العدو والدخول معه فى تجربة القتال الفعلى لسبر أغواره واختبار قوته وقدراته القتالية فضلا عن تنمية الثقة بالنفس .

قيادة وحدات الجيش تحت القيادة العليا للرسول :

وهى صورة أخرى لمنهج الاسلام فى اعداد القادة ، فقد كان الرسول القائد عليه الصلاة والسلام يعين أصحابه فى قيادة الوحدات التى

القيادة

يتألف منها الجيش الذى يقوده بنفسه ، فمثلا فى غزوة بدر كان الجيش يتألف من كتيبتين : كتيبة المهاجرين يقودها على بن أبى طالب وكتيبة الانصار ويقودها سعد بن معاذ ، وفى غزوة الفتح كان الجيش يتألف من أربعة أرتال يقودها أربعة من القادة هم الزبير بن العوام وخالد بن الوليد وسعد بن أبى عبادة وأبو عبيدة بن الجراح .

وهذا الاسلوب يفيد القادة من عدة نواح نذكر منها ما يلى :

١ ـ مباشرة القيادة الفعلية تحت اشراف القائد الاكبر والافادة من ملاحظاته وتوجيهاته .

٢ ـ اتاحة الفرصة العملية لملاحظة أسلوب القائد المعلم فى القيادة الحربية من حيث التخطيط للمعركة وادارتها والتصرف فى مواقفها ، وهى فرصة ممتازة للتعلم على الطبيعة ، واكتساب « الخبرة القتالية » فى الوقت نفسه .

والجدير بالملاحظة أن هذه « الدورة التدريبية العملية » لاعداد القادة امتدت من بداية الصراع مع الاعداء حتى نهايته فى عصر النبوة . أى أكثر من سبع سنوات ، فاننا لو راجعنا سجل الغزوات التى قادها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه (٢٨ غزوة) وأنعمنا النظر فى التوزيع الزمنى والكمى فسوف نخرج بالحقائق التالية :

السنة الثانية للهجرة : ٨ غزوات .

السنة الثالثة للهجرة : ٤ غزوات .

السنة الرابعة للهجرة : ٣ غزوات .

السنة الخامسة للهجرة : ٤ غزوات .

السنة السادسة للهجرة : ٣ غزوات .

السنة السابعة للهجرة : ٢ غزوتان .

السنة الثامنة للهجرة : ٣ غزوات .

السنة التاسعة للهجرة : ١ غزوة واحدة.

ويدل ذلك على أن الرسول صلى الله عليه وسلم باشر القيادة الحربية بنفسه طوال فترة الصراع ، بل وفى كل سنة من سنواتها بلا استثناء ، كما يدل أيضا على التركيز على قيادة أكبر عدد من هذه العمليات فى العام الاول للصراع (السنة الثانية هجرية) وهذا التركيز له دلالة لا تخفى على القائد الفطن الخبير بفنون القيادة الحربية اذ يتيح للقادة المرءوسين أوسع الفرص للتدريب فى زمن قصير .

تولى مركز القائد الثانى :

وفى بعض العمليات العسكرية كان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن يختار القائد الذى يتولى قيادتها يعيد معه « قائدا ثانيا » بل وثالثا أحيانا ليتولى القيادة اذا أصيب القائد الاصلى أو استشهد أو غاب عن المعركة لأى سبب .. ومن ذلك أنه عليه السلام عين عمير بن هشام قائدا ثانيا مع على بن أبى طالب فى قيادة كتيبة المهاجرين وحمل رايتها فى غزوة بدر ، وعين جعفر بن أبى طالب قائدا ثانيا

أمانة ورسالة

ويليه عبد الله بن رواحة مع زيد بن حارثة الكلبى الذى عينه لقيادة غزوة مؤتة .

تولى القيادة المستقلة للعمليات الكبيرة :

وتلك أرقى صور اعداد القادة .. حيث يباشر القائد مسئولية القيادة كاملة لاحدى المعارك الهامة .. وقد أتاح الرسول القائد صلى الله عليه وسلم تلك الفرصة لأصحابه فى غزوة مؤتة حين عين زيد بن حارثة الكلبى لقيادة جيش المسلمين الذى كان يتألف من ثلاثة آلاف مقاتل .. وكان موقع المعركة يبعد عن المدينة أكثر من خمسمائة كيلومتر (على حدود الشام) الأمر الذى كان يترك للقائد حرية المبادرة كاملة لبعده عن مركز القيادة العليا فى المدينة

رعاية القادة الموهوبين :

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على الاشادة بمن يثبتون كفاءتهم ، وبمن تظهر مواهبهم فى القيادة الحربية بحيث تبشر بمستقبل باهر لهم ، ومن أمثلة هؤلاء خالد ابن الوليد .. فانه مما يثير العجب أن الرسول صلى الله عليه وسلم أشاد بخالد بأن سماه « سيف الله » وهو مرتد على رأس جيش المسلمين منسحبا من مؤتة .. وكان المسلمون فى المدينة يتلقون العائدين بالنكير والتشهير . ويحثون فى وجوههم التراب ، ويصيحون بهم أينما وجدوهم : يافرار ! يا فرار ! .. فررتم من سبيل الله !!

ان الرسول القائد عليه الصلاة والسلام قد قدم بهذا صورة رفيعة لتصرف القائد الأعلى الذى يحرص على ألا يدع مثل هذا الموقف يقضى على المستقبل العسكرى لقائد لديه من الملكات والقدرات والمواهب ما يجعله كفؤا لتولى القيادة الحربية على أعلى المستويات .

فالرسول لم يواجه ذلك الموقف الذى ساد فيه الاتجاه العام « بالادانة » بالأساليب المعتادة والتى يلجأ اليها البعض والتى تتراوح بين السكوت أو التبرير أو المحاكمة — وان انطوت على ظلم — ارضاء للشعور العام .

والجدير بالذكر أن خالد بن الوليد لم يكن معينا من قبل الرسول للقيادة فى غزوة مؤتة فيقول قائل أنه ينصر قائدا هو المسئول عن اختياره .. وهو من ثم المسئول عن ارتداده أو فراره ، ولكن خالدا أختير للقيادة بالاجماع بعد استشهاد قادة الجيش الثلاثة الذين عينهم الرسول لتولى القيادة بالتعاقب .

وهكذا واجه الرسول الموقف بما لم يكن فى حساب أحد ، وبما لا يمكن أن يصل اليه فكر أعظم القادة ، فسمى خالد بن الوليد « سيف الله » .. ولا غرابة فى ذلك فالرسول هو الينبوع الفياض من تلك الفطرة العلوية التى فطرها الله لهداية الامم وقيادة الرجال ، بل لقيادة القواد الذين يروضون الامم والرجال ولقد شهد التاريخ العسكرى لخالد بن الوليد بالعبقرية العسكرية ووضعته أعماله الرائعة فى فتوحات الاسلام فى عداد القادة العظماء فى التاريخ ووجه العبقرية فيما فعل الرسول

القيادة أمانة ورسالة

وفراسته وعرفانه الشامل بخصائص النفوس وسبره العميق لاغوار الطبائع والافكار ... يكمن – كما يقول الاستاذ العقاد – فى أنه صلوات الله وسلامه عليه أطلق ذلك الاسم على خالد مبكرا أثر أول معركة يشترك فيها بعد اسلامه بشهرين أو ثلاثة ، وقبل أن يقوم بأعماله الحربية البارزة فى التاريخ .

ولو أن خالدا رضى الله عنه قضى نحبه فى السنة العاشرة للهجرة أو بعد ذلك بقليل لعجب المؤرخون كيف سمى « سيف الله » ، وفيم استحق هذا اللقب الذى لا يعلوه لقب فى الاسلام ، ولكن النبى وحده . قد عرف قبل الحادية عشرة للهجرة أنه حقيق بهذا اللقب على أوفى مداه ، وسماه به قبل أن يهزم المرتدين (فى عهد أبى بكر) وقبل أن يهزم الفرس والروم .. وقبل أن يصون للاسلام جزيرة العرب ويضم اليها العراق والشام ، وهى الأعمال الجسام التى من أجلها يدعى اليوم سيف الاسلام .. وانما هو البصر العلوى الذى يلمح هذه القدرة فى معدنها حيث ينظر الناس فيرون خالدا مرتدا من غزوة مؤته فيطلق عليه ذلك اللقب الرفيع فيحفظ له مستقبله العسكرى العظيم الذى كان جديرا به .

والواقع أن قرار خالد بعد توليه القيادة مباشرة بالانسحاب كان من وجهة نظر « فن الحرب » قرارا سليما تماما . وكان هو الحل الأمثل لتخليص جيش المسلمين من الفناء فى معركة غير متكافئة .. والمعروف أن الانسحاب يعد من أصعب العمليات العسكرية وأخطرها اذ كيف يمنع القائد جيش الاعداء من مطاردته وهو منسحب والاجهاز عليه ؟ .. ذلك هو الاختبار الحقيقى لكفاءة القائد وعبقريته الحربية . وهذا بالضبط ما أظهره خالد ابن الوليد ، فقد صمد فى المعركة حتى المساء . ثم بدل مواقف الجيش تحت الليل .. فنقل الميمنة الى الميسرة ، ونقل الميسرة الى الميمنة وجعل المؤخرة فى وضع المقدمة والمقدمة فى موضع المؤخرة ، ورصد من خلف الجيش على طائفة يثيرون الغبار ويكثرون الجلبة عند طلوع الصباح ، فلما طلع الصباح على الفريقين اذا بالأعداء من طوائف الغسانيين والروم يرون قبالتهم وجوها غير الوجوه .. وأعلاما غير الاعلام .. واذا بالجلبة مع هذا الاختلاف فى الوجوه والاعلام توهمهم أن مددا جديدا أقبل على جيش المسلمين ، وكانوا قد ذاقوا منهم أمر المذاق بغير مدد وهم مفاجأون فكيف يكون حالهم وقد أتاهم المدد ؟

وهكذا .. وبهذه الخطة البارعة فى خداع الاعداء استطاع خالد أن ينجو بالجيش من المطاردة ويخلصه من الفناء.

لواء : محمد جمال الدين محفوظ

الصراع الحضاري

في مجال

نقل العقائد والآراء

بقلم دكتور مصطفى غلوش

ان منهج الاسلام فى الجـــانب « الاعــلامى » يظهر فى منهج «التبليغ» ونقل « الدعوة » المراد اعتقادها • وقد وضح ذلك فى منهج الرسل والأنبيــاء • وتجلى فى (دعوة) خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم •

ومن هنـــا وجب علينـــا أن نلفت النظر الى (مناهج) نقل العقائد والأراء من حضارة الى أخرى • ومن مجتمع الى مجتمع • بل ومن (عقيدة) الى مناخ (عقيدة) منافسة • حتى يتسنى للمشتغل بحركة الصراع العقـــائدى والمذهبى : أن ينتخب ما ينفعه منـــه • وأن يلتفت الى : ما يصادمه • فيقاومه • أو يظاهر عليـــه •

ويكفينا فى هذا المضمار أن نســتحضر قول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه • عندما وصف له رجل من رعيته فى مجـــال (المباهاة) بأخلاقه : هذا رجل لا يعرف الشر • فقال عمر رضى الله عنه : ذاك أحرى أن يقع فيه •

معنى انتقال العقيدة والرأى : ــ

مما لاشك فيه أن لكل حضارة انســـانية

الصراع الحضاري ...

خصائصها التي تتميز بها عن غيرها (١) وتبدو هذه الخصائص في صورة المعتقدات الخاصة . والتراث القومي والفنون والآداب وشتى مناحي المعرفة العلمية والثقافية .

ونحن نتفق مع من يذهب الى : أن الفكر الانساني متصل الحلقات (٢) فهذا ــ عندما ــ يزيد معنى : استمرار النبوات . وضوحا . والذي يعنينا هنا : أن من هذه الخصائص ما تعتقده الحضارات (سرا) تحرص عليه . فلا تزيعه ولا تفشيه (٣) .

ومنها ما تتصور أنه يحقق لها (الريادة) والزعامة الحضارية . فنخرج منه بالقدر الذي يرشحها لهذه الزعامة (٤) .

ومنها ما تعتبر أن نشره في الحضارات الأخرى . يحقق لها روح التبعية والالتقاء لأغراض اقتصادية بحته . (٥) .

ونود الاشارة هنا الى أن هذا الانتقال اذا كان خاصا بالفكر العقائدي أو الثقافي . فاننا لا يمكننا أن نجري عليه (قواعد) الانتقال الحضارية التي يمكن أن نلاحظ بالنسبة للعلوم الطبيعية أو الفنون الأخرى (التشكيلية) . التي يمكن (حسها). اذ مدار البحث المادي جلي وتغيره ظاهر .

وعليه : فالانتقال الحضاري المحسوس والمحدود بقوانين المادة كالعمارة والرسم ... الخ . يمكننا أن نحدد : متى انتقلت ؟ وكيف .. ؟ .ودواعي الانتقال وهيئته ومناشطه .. الخ . فقد أتاح لنا (تاريخ العلوم) امكانية تتبع هذا الانتقال بدقة وتفصيل . فمثلا : نستطيع أن نلم اليوم بتفصيل : كيف نشأ علم (الجبر) ومتى وأين .. ودور كل حضارة في تطوره .

واذا راعينا ذلك : فانني أعتقد أن هذا (يكاد) يكون مستحيلا في الجانب الفكري للعقائد الحضارية .

لأن محاولة فصل العصور العقائدية والثقافية على نحو محدود ومفصل لا يمكن أن يتاح لنا . بسبب : تغلغل العقائد والآراء والمذاهب في العواطف والصدور على صورة لا يمكن رؤية حركتها المباشرة على النحو الذي يتيح لنا رؤية(بناء) تبدو فيه العمارة (الفارسية) . مثلا .

ومن هنا فانه اعلاء منا لمنهج التصادق العلمي . فان حديثنا عن الحضارات الفكرية العقائدية وحركة انتقالها . لا يمكن أن يكون

---

(١) راجع تفصيل ذلك ص ٣٠ من ك (فجر الاسلام) د/احمد امين .

(٢) راجع ص ٢٢ جـ ١ من ك (نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام)د/علي سامي النشار الطبعة السابقة ــ دار المعارف .

(٣) لوحظ ذلك قديما عند (الفراعنة) وعلومهم السرية . وحديثا : في حفاظ الدول الكبرى على اسرار القنبلة الذرية واخواتها .

(٤) كما نلاحظه في عصرنا الحالي من تمركز حركات التبشير المسيحية حول موارد الثروات الطبيعية من معادن ومناجم في افريقيا وغيرها .

(٥) وقد لوحظ ذلك في حركات النشر الماركسي التي تقوم به الدول الشيوعية .

فى مجال نقل العقائد والآراء ...

الا بطريق « التقريب » .حيث أن هذا – كما نعتقد – صار (خصيصة) لهذا الاتصال الحضارى .

سمات فارقة بين نقل العلوم والعقائد : –

تتسم الحركة الحضارية التى ترتبط بالفنون والعلوم المحسة . وكل (فن) يلتقط بالحس بالسمات الآتية : –

١ – ضبط حركة الانتقال وتأصيل عصرها وتاريخها ورعايتها .

٢ – سرعة الانتقال . لاعتمادها على المشاهد .

٣ – الخضوع للذوق العام الفطرى فى القبول والرفض . وحاجة الانسان لهذه الحضارة فى أمور الحياة المختلفة .

٤ – يحرك الرغبة فى (نقلها) الاطلاع عليها وعلى تقدمها فتشرئب النفس الى الاستفادة منها فى موطن حضارة المطلع عليها .

أما فيما يختص بالحضارة الفكرية والقضايا العقائدية . فان الأمر يبدو مختلفا . لأن تحديد العصور الفكرية والعقائدية أمر (صعب). لاستقبال (العقائد) بمنهج العاطفة والوجدان والعقل .. فلا نستطيع اخضاعها لنفس الأقيسة والمعايير التى تتحكم فى الحضارة المادية . ولذلك تتسم بالسمات الآتية : –

١ – صعوبة ضبط عصر انتقالها والتاريخ المحدود لها .

٢ – صعوبة الانتقال بين الحضارات لاحتياجها الى (مجهود) فى الاقناع والتلقى . واصطناع الدعاه والتلاميذ والمعجبين .

ويقول الدكتور محمد البهى فى هذا العدد :

والجماعة الانسانية لا تنتقل من ظاهرة الى : نقيضها فجأة . وبالأخص فى المظاهر العقلية . بل من بين الظاهرة السابقة لجماعة (؛) والأخرى اللاحقة لها : تدخل الجماعة – الحضارية – من حال . تختلف من القرب والبعد من أخرى الظاهرتين . وتكون هذه الحال (المردودة) أشبه بحال الانتقال) (١) .

كيفية انتقال العقائد : –

ونحن هنا لن نساير حركة الانتقال فى عمومه الحضارى . بل سنحاول الاشارة الى : كيفية انتقال العقائد والآراء الفكرية من حضارة الى أخرى . ووسائل هذه العقائد فى انتقالها . والدوافع التى لوحظت محركة لهذا الانتقال .

وسندرك بعد الفراغ من اتمام ما نود سوقه فى هذا الشأن – وقد يطول – أننا

---

(١) أنظر ص ٧٢ من ك (الجانب الالهى) د/محمد البهى ط ٤ .

الصراع الحضاري

لو تتبعنا انتقال أى (عقيـــدة) أو (فكرة) فســـنجدها نقلت (بقـوانين) النقـل التى سنذكرها وأحب التنبيه عـنى أننى أعنى هنـا بالنقل .. فالنقل العمد الذى يفصح عن (نية) النقلة .. فالنقل (العفوى) رغم تقـديرنا لدوره . فاننا فقـط ـ نركز على التنبيـه فيما يختص بخط (النقل) العمدى .

صعـوبة نعترف بها : ـ

اذا تمهد هذا كلـه . وكنا نتمنى أن نثرى هذه المقدمة لحاجتنا الى عناصرها فيما بعـد . ولكننا نكتفى بهذا . حتى لاتحـول (المقال) الى (بحث) تخصصى . مكانه غـير هـذه الصفحات .

فاننا نسأل أنفسنا : كيف تنقــل العقائد والآراء من حضارة الى حضارة .

وكيف ينهج (الناقل) فى نقله : الطـريق الذى يوصله ؟

وهل لابد للعقيدة أو الفكرة المنقولة : عقلية كانت أو أسطورية من (ناقل) يتطلع بمهمـة (النقل) . أم أن الامر قد يحدث بتلقائيـة (عفوية) غير مقصودة لذاتها ؟ .

ونعترف : أننا اذا حاولنا الاجابة عن هـذا التساؤل فاننا لا ندعى أننا سندلى بجـواب (حاسـم) فى هذا الشـأن .. وان كان ذلك لا يحملنا على الاغضاء عـن الجـواب . فقد نكون بذلك من الممهدين لاثراء المكتبة العربيـة فى هذا المجال بعدما اشتد ظمؤها .. ولعـل ذلك يرجـع الى أن الكثير (يثبط) الهمم من دراسة (عمومية) هذا المنهج . اذ البـدرات التى انتثرت على هيئة تقويم (لدعوة) معينة (قوم) مخصوصين بخصوص (عقيدة) بالذات لا تكفى فى (سبر) حركة العقـائد والآراء والمذاهب حضاريا .

ويقول الدكتور أحمد فـؤاد الاهوانى فى تصوير هذه الصعوبة .

لعل أصعب مايواجهه الباحث فى تاريخ أمة ـ حضارة ـ هو : تاريخ عقلها فى نشـوئه وارتقائه . وتاريخ دينها وما دخلـه من آراء ومذاهب .. أما الفكرة . فاذا حاولت أن تعرف كيف نبتت ؟ .. وكيف تمت ؟ .. وما العوامل فى ايجادها ؟ وما العناصر التى غذتهـا ؟ .. وما الطوارىء التى طرأت عليها فعدلتهـا أو صـقلتها ؟ .. أعياك ذلك .. وبلـغ منك فى استخراجه الجهد ..(1)

كيف يكون النقل ؟

نحن نتصور أن العقائد مطلقـا (تنقل) باحدى الكيفيات الآتية :

أولا : البث العمدى للعقيدة .

ثانيا : النقل العفوى .

أولا : البث للعقيدة بطريق العمد :

نلاحظ أنه عندما تريد حضارة أن (تنقل)

(1) راجع ص ٢ من مقدمته على الجزء الرابع من ك (ظهور الاسلام) لاحمد أمين .

في مجال
نقل العقائد والآراء

عقيدتها الى حضارة أخرى .. فانها تلجأ في سبيل ذلك الى أن تنشر وتبث (العقيدة) في الحضارة الأخرى .

ومن طرائف النفس البشرية هنا .. أنها بالرغم من حبها لذاتها فلا تسعد النفس للمشاركة في مسكن أو مأكل أو جاه أو مال وقد يشد الانسان في هذه الدائرة الى كثير من المفاسد والاوضار الاجتماعية .. فيظهر الشح والأثرة والانانية والظلم والسلب .. الخ .

ولكن مقعد الطرافة هنا .. أن هذا الانسان يجب أن يشارك من كل البشر في (عقيدة) التى يعتقدها .. ويسعد لذلك أيما سعادة .

وبهذه (الخصلة) النفسية .. نجد الانسان في حضارته يتحرك لينشر عقيدته أيا كان لونها أو وصفها أو قربها أو بعدها عن (الوحى) . وغالبا : لا يرى في عقيدته ـ خاصة اذا كانت مرتبطةبالدين عنده ـ جانب الباطل ان احتوته.

ورحلة الانسان في (بث) عقيدته ونشرها. طويلة حتى لا يكاد يخلو عصر من عصور البشرية من (محاولة) لهذا البث العقائدى . ومازال يحفظ لنا تاريخ الانسان نشاطه في هذا (النقل) . وكيف كان يتحين الفرصة أثناء حركته (للرعى) أو الهجرات الموسمية .. الخ ..

النقل البثى بطريق الآداب :

بل قد وصلنا كيف كان (بث) العقدى متصلا حتى لقد شاهدنا (قوما) يجيدون لغة وتقاليد وعادات الحضارات الاخرى .. وينقلون اليها بطريقة (هادئة) دون أن يفصحوا عن نيتهم . ويجلسون في نوادى القوم ونجعتهم .. ويسوغون الافكار والآراء في قوالب معينة .. وحتى تبدو وكأنها غير مقصودة .. فتتسلل (العقيدة) المراد نشرها ، في طيات القصيدة أو القصة أو الأسطورة . الى المحيط الحضارى المستهدف . فتحدث أثرها وتؤتى ثمارها .

فـرق هام :

وهذا الطريق الذى يقصده (ناقل) العقيدة يختلف عن طريق (السرية) وعن طريق (الدعوة) .

اذ النقل السرى : لا يظهر فيه الناقل على أى صورة .. بل يظهررجاله وتلاميذه ودعاته.

أما (البث) : فان الناقل هو الذى يظهر ويعن عقيدته في قوالب (مستترة) .. بحيث لا تبدو في قوله أو أسلوبه (البثى) .

وأما الدعوة للعقيدة : فتمتاز بالافصاح والاعلان عن العقيدة التى يراد نقلها الى الحضارة الاخرى .. وأبرز مثال لذلك . هو : دعوات الرسل والأنبياء .. فانهم يجاهرون بها .. داعين الى اعتقادها .

الصراع الحضاري
في مجال نقل العقائد والآراء

علاقة النقل بالسياسة :

وقد تتعلق (الدعوة) بالسياسة .. فنجد بعض الحكام والاباطرة .. يوجهون دعاتهم لنشر (عقائد دينية) . التى قد تكون سببا فى توطيد الحكم السياسى لهؤلاء .. كما لوحظ فى فكرة (الحق الالهى) فى الحكم .. الخ .

علاقة ناقل الحق بالجهر :

ومما يلفت نظرنا : أن نقل العقائد الى الحضارات الاخرى ــ خاصة الدينى منها ــ لا تأخذ شكل (الدعوة) فى الاغلب الا اذا كانت تحتوى على (الحق) .. فتواجه الحضارة الاخرى فى قوة وجلاء .. معلنة قصدها ولو تعرضت للاضطهاد والتنكيل .. وقد تبدى هذا جليا فى (دعوات) الانبياء . ودعاة الاصلاح المخلصين .

أما اذا أحس الداعى أن ما يريد نقله ... يحتوى على (فاسد) فانه (ينفر) من (العلن) ويلجأ الى طريق (البث) فى صوره المختلفة .

وستظهر هذه الصورعند حديثنا عن : وسائل الانتقال فى مقال آت ان شاء الله تعالى) .

ثانيا : النقل العفوى :

فى هذا المضمار لا نستطيع اغفال (نقل) يتم بلا عمد .. وانما بتلقائية وعفوية .

وخير مثال على هذا النوع : ما فعله التجار المسلمون مع (الهند) التى تعبد (الاوثان) . أنهم لم يتعمدوا نقل الاسلام لهذه البقاع . فانما أظهروا (سلوكا) أمينا .. وصدقا ... فتعجب الهنود ولما سألوهم عن علة هذا .. أخبروهم : أن دينهم (الاسلام) يأمرهم بذلك .

وهكذا دخل الاسلام هذه المناطق تلقائيا .

كما أنه قد يخالط رجل رجلا فى سفر أو غيره .. فتنتقل (الفكرة) من أحدهما للاخر . بلا اعمال أو تدبير .

يتبع

دكتور مصطفى غلوش

دور الأزهر القيادى وشعوب العالم

مازلت جامعة الازهر تجـذب اليها الكثيرين خاصة فى هذه الفترة من حياة العالم اذ يفد اليها العلماء المتخصصـون ليديروا مع أساتذة الازهر النـدوات العلمية والحوار الفكرى حول أهم قضايا العالم المعاصر .

وقد اجتمعت فى كلية أصول الدين بالقاهرة هذه الندوة التى ضمت بعض اساتذة جامعـة الازهر وبعض الباحثين فى مركز بحوث فبراير ٧٤ للبحوث والتسجيل بروما .

وبناء على توجيهات السـيد الاسـتاذ الدكتور/محمد الطيب النجار رئيس جامعـة الازهر ، وانطلاقا من دور الازهر القيادى لكل شعوب العـالم ، أجتمعت اللجنة المكونة من بعض اساتذة جامعة الازهر والوفد الممثـل لمركز بحوث فبراير ٧٤ الايطالى فى الساعـة الحادية عشرة صباح يوم السبت ١٩٨١/٨/٢٢ الموافق ٢٢ من شوال ١٤٠١ هـ بكلية أصول الدين

وتكونت اللجنة الممثلة للجامعة من :

١ ــ السيد الاستاذ الدكتور/محمد السعيد عبد ربه ــ عميد كلية الشريعة والقانـون ــ بالقاهرة
٢ ــ السيد الاستاذ الدكتور/عبد الرحمـن الكردى ــ عميد كلية اللغة العربية ــ بالقاهرة
٣ ــ السيد الدكتور/عبد المعطى بيومى ــ وكيل كلية أصول الدين ــ بالقاهرة
٣ ــ السيد الدكتور/عمارة نجيب ــ الاستاذ المساعد بكلية اصول الدين بالقاهرة
٥ ــ السيد الدكتور/ضياء الكـردى ــ الاستاذ المساعد بكلية أصول الدين
٦ ــ السيد الدكتور/أحمد عمر هاشـم ــ الاستاذ المساعد بكلية أصول الدين بالقاهرة

٧ ــ **السيد الدكتور/عبد الموجود محمد عبد اللطيف** ــ المدرس بكلية اصول الدين ــ بالقاهرة
٨ ــ **السيد الدكتور/محمد على السماحى** ــ المدرس بكلية اصول الدين ــ بالقاهرة
٩ ــ **السيد الدكتور/أحمد أحمد أبو السعادات** ــ المدرس بكلية اصول الدين ــ بالقاهرة

ومثل الجانب الايطالى وفد مكون من أربعة افراد وهم :

السيدة رئيسة الوفد ، السكرتير العام للمركز ، وعضو متخصص فى دراسة تاريخ الاديان وعضوان آخران ، وقد قام بسكرتارية الاجتماع وبالترجمة من اللغة العربية الى اللغة الانجليزية والعكس « السيد محمد كامل عبد الرحمن » من ادارة العلاقات الثقافية بالجامعة .

وقد بدأ الاجتماع بالشكر المتبادل بين الجانبين وبترحيب جامعة الازهر واستعدادها لمناقشة كل من يتعلق بالاديان ، ثم بدأ الجانب الايطالى فى توجيه الاسئلة على النحو التالى :

(س) ما أثر الاسلام فى التحول الاجتماعى ؟

وتولى الاجابة عن هذا السؤال السيد الدكتور/عبد المعطى بيومى وكيل كلية اصول الدين قال :

من المعلوم ان الاسلام دين مرن ، جاء بقواعد كلية لاتفترض شيئا محددا فى الفنون أو المجتمع أو فى النواحى الاجتماعية ، وانما اشترط ان تكون هذه التقاليد أو العلوم أو الفنون دائرة فى فلك الخالق ومرتبطة به وان تمكن الانسان من تعمير الارض وتعمير الارض عبادة ، وكل ما يساعد على تعميرها ويجعلها أكثر رفاهية هو فى صالح الاسلام وهذا من ناحية العلوم .

أما من ناحية التقاليد الاجتماعية فالاسلام يضع اساسا لها وهى أن تكون دائرة فى الناحية التى تحفظ للانسان انسانيته وتميزه كأشرف المخلوقات ، وأى تقليد يرفع من شأن الانسان يوافق عليه الاسلام وأى تقليد يخل بكرامة الرجل أو المرأة لا يوافق عليه الاسلام ، فالاسلام اذن يشجع التحول الاجتماعى فى مجال التقاليد طالما كانت هذه التقاليد تحترم حرية الانسان وكرامته .

أما بالنسبة للفنون الشعبية : فالاسلام أيضا يعطى هذه الفنون الحرية فى أن تعبر عن تطلعات الشعوب وآمالها وآلامها طالما كانت

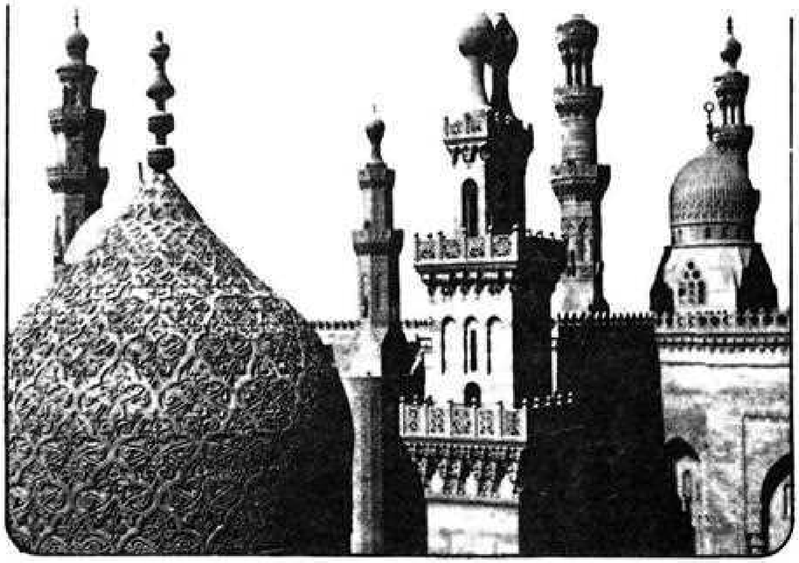

ملتزمة بالاخلاق والقيم التى جاء بها الاسلام وبالنسبة للتطور الاجتماعى فالاسلام لايفترض نظاما اساسيا معينا انما يقيم نظام المجتمع على ثلاثة أسس هى : العدالة ، الشورى ، المساواة .

فاذا توفرت هذه الاسس الثلاثة كان للمجتمع أن يتخذ أى شكل من أشكال النظم .

ويلاحظ ان المساواة هنا تعنى المساواة فى الحقوق والواجبات والمساواة فى تطبيق القانون الاسلامى العام .

كما أن الاسلام يشجع التحول الاجتماعى باستمرار الى الافضل فى اطار شرائع الاسلام وهى الايمان بالله والتزام الاحكام والالتزام بكل مايحفظ على الناس دينهم وهى الدين ، النفس ، العرض ، العقل ، والمال .

وهذا كله فى صالح التقدم البشرى ولا يقيد حرية الانسان .

ثم اثار اعضاء الوفد نقطة اخرى وهى :

أنه فى العلوم الانسانية يوجد جدل كبير جدا عن مشاكل العلاقة بين الدين والعالم الحديث فمنذ آلاف السنين قال كثير من الأوربيين أنهم يساندون النظرية التى تقول ان أمام التكنولوجيا التى تقوم عليها الحضارة الغربية فان تدين الانسان سوف يختفى من وقت لآخر وفى السنوات الاخيرة ظهرت ابحاث ودراسات برهنت العكس . وفى ايطاليا ثبت ان الحضارة الحديثة لم تدمر أسس الاديان ولكن على العكس زاد انتشار الدين لان الحضارة الحديثة لم تقوى على اجابة كل الحلول لمشاكل الانسان لذلك فان الحضارة الحديثة لاتستطيع

دور
الأزهر القيادى وشعوب العالم

ان تعطى السعادة الكاملة للانسان ولكنها تستطيع ان تعطيه فقط الوسائل والادوات لتكنولوجيا ، وتعطيه أيضا رفاهية معينة ولكنها لاتستطيع ان تحل مشاكل الانسان الروح . لذلك ففى كل انحاء العالم زاد انتشار الدين والعبادة .

وكان تعليق اساتذة الازهر على هذا :

ان الاسلام يساعد فى حل مشكلات الانسان وايجاد الحلول الدائمة لها ، من القاعدة العريضة التى بناها وعلى هذا ، فان الحضارة الحديثة تزيد فى ايمان المؤمن لانه لاينظر للحضارة الحديثة على أنها ستحل مشكلاته حيث ان الاسلام قد حلها والدين غير منفصل وانما يضع الاسلام حلا للمشاكل الاجتماعية وعلى هذا ليس لدى الاسلام مانع فى تطور الحضارة بل ان قوة ايمان المؤمن تزيد عن طريق العلم الحديث ، ولكن الحضارة الحديثة التى ليس لديها قواعد ثابته كالاسلام لن تحل المشاكل الاجتماعية للانسان وهناك تحفظ وحيد للاسلام على التكنولوجيا المدمرة فى مجال الحرب ، فالاسلام لايشجع انتاج الاسلحة النووية التى لاتفرق بين محارب وغير محارب لان فلسفة الاسلام فى الحرب الايكون هناك مساس بالعزل من السلاح، أو المنشئات المدنية أوالاقتصادية وكان الرسول عليه السلام يوصى اصحابه الا يمسوا شجرة أو أى شىء آمن ، والاسلام أيضا ربط بين الدين والعلم فلا توجد فجوة بين الاسلام والحضارة الحديثة .

ثم كان سؤال آخر من الوفد الايطالى عن انتشار الاسلام فى أنحاء العالم وكيفية اتصال الاسلام بذوى اللغات المختلفة والشعوب المسلمة غير العربية .

وتولى السيد الاستاذ الدكتور/عبد الرحمن الكردى ــ عميد كلية اللغة العربية الاجابة . فقال سيادته :

الاسلام دين عام لكل الشعوب ، لانه جاء بما يناسب العقل البشرى . ويقوم على اساس عقلى بحت فى اثبات وجود الله ، وهذا هو اساس الايمان . وعلى هذا فلا تقف اللغة عثرة فى ايصال الدين لاى مجتمع بشرى ، وان

الرسول عليه السلام أمر اصحابه بتعلم لغات الشعوب الاخرى لنقل الاسلام اليها .

وحاليا ينتشر الاسلام بدعاته الذين يجيدون اللغات الاجنبية المختلفة ويذهبون الى الدول الاخرى كما ان المراكز الاسلامية المنتشرة فى جميع انحاء العالم بها دعاة يوضحون الاسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا ، هذا الى جانب الكتب التى تقوم بترجمتها الدوائر العلمية لشرح الاسلام والاسلام لايفرق فى التعامل بين جنس وآخر أو طبقة وآخرى وانما الكل سواسية فى نظر الاسلام وهذه الدول الاجنبية ترسل طلبة ليدرسوا الاسلام بالازهر الشريف وجامعته العريقة .

وليس لدى الاسلام مانع من اجراء الحوار مع أى ثقافة لان اساسه العقل ويحترم التفكير العقلى السليم وقائم على أسس عقلية فى اثبات وجود الله وصفاته الوحدانية .

ثم تحدث احد اعضاء الوفد الايطالى فقال:

الاسلام منذ البداية عنصر أساسى للانسان، يوجه حياته الاجتماعية ، وهو دائما يزود العلوم ، واساس أيضا فى عملية الاقتصاد ، وعلى هذا فشخصية الاسلام شخصية ايجابية ولذلك فهو يأخذ كثير من نشاط الرسول عليه السلام ، ودعوته عالمية للتحدث لجنس البشرى كله فكيف ينظر الاسلام الى الوحدة والاخوة فى كل مكان .

وتولى السيد الدكتور/ضياء الكردى الاستاذ المساعد باصول الدين ــ الاجابة .

فقال : ينظر الاسلام الى الوحدة والاخوة على اساس العدالة المطلقة بين جميع الدول والالوان وأهل الكتاب بلا تفرقة .

وهذه هى دعوة القرآن الكريم . وعلى هذا تتحقق الاخوة بين طبقات المجتمع الاسلامى كما هو مشاهد منه .

وفى القرآن الكريم :

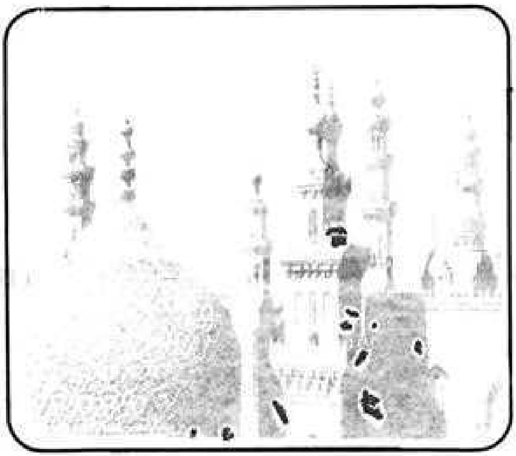

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » .

وفي الحديث : **« الناس سواسية كأسنان المشط »** .

« لا فضل لعجمى على عربى الا بالتقوى » .

ثم وجه السيد الدكتور/ضياء الكردى سؤالا للوفد الايطالى عن مصدر الالزام لديهم ؟

وكانت اجابة الوفد الايطالى :

نود أن نبدأ القول بالمصادر المختلفة للالزام :

أولا ــ كوننا مواطنين ايطاليين .

ثانيا ــ كوننا كاثوليك .

ولذلك يجب القول أنه في المجتمع الغربى وبخاصة في ايطاليا ــ توجد فروق بين منظمات الدولة ومنظمات الكنيسة ، ومنظمات الكنيسة تعتمد على (العهد الجديد) وكمواطنين ايطاليين مطلوب منا ان نعمل ونحترم الدستور الايطالى الذى له مبدءان هما .

المساواة والديمقراطية . وكمواطنين ايطاليين يطلب منا تحقيق هذين الامرين ، وهذا هو عملنا الذى يجب ان نجيب به كمواطنين ايطاليين .

والنقطة الثانية : كوننا كاثوليك مطلوب منا ان نتبع مثال المسيح ونكمل عمله ، عمله الذى حللته الاحداث التاريخية وأظهرت أنه مات من أجل البشرية وعمله ظاهر لكل قانون بشرى وأنه وراء القانون البشرى .

ويقال في (العهد الجديد) **أعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله** .

ونحن مطلوب منا ان نكمل عمل السيد المسيح وننتظر النهاية .

سؤال آخر لجامعة الازهر :

هل اذا تغير الزام الدولة (والدستور قابل للتغيير) يتغير تبعا لذلك الالزام الدينى ؟

وكانت اجابة الوفد الايطالى :

أنه خلال التاريخ وفي آلاف السنين الماضية

دور الأزهـــر القيـادى وشـــــعوب العـــالم

تغير الدستور وتغيرت الدولة كثيرا . ولكـــن الالزام الدينى للكنيسة ظل كما هو ، واذا كان قانون الدولة ضد الزام الكاثوليك فان الـــزام الكاثوليك جاء قبل الدولة ومثال لذلك ان أول المسيحيين الذين نسميهم شهداء ماتوا لانهـــم واجهوا بايمانهم طغيان الدولة الرومانية التى كان لديها آلهة كثـــيرين والذين طلبـــوا من المسيحيين أن يعبدوا الامبراطورية • وهـــذه حقيقة موجودة فى (العهد الجديد) لان الحكام الرومانيين ارادوا ان يخدعـــو وان يضللوا المسيحيين •

والخلاصة أن المسيحيين فى العـــالم ولكنهم ليسوا فوق العالم •

ثم سؤال آخر لجامعة الازهر عن ســـبب تسمية هذا المركز الايطالى بمركز (بحـــوث فبراير ٧٤) •

وكانت الاجابة على النحو التالى :

ان اسم مركزنا هو اسم شهر فى العام وفى هذا الشهر تجمع آلاف من الناس فى روما ذات يوم وتناولوا الاشياء السيئة الموجودة فى روما كالفقر والبطالة وعدم المساواة وكانت هـــذه المرة الاولى لالاف الاقطار المختلفة ووجهـات النظر ان تناقش فى مؤتمر عام ، ومن هـــذا المؤتمر ولدت سياسات وأنشطة كثيرة ، وكان رد الفعل هو انشاء هذا المركز من اجل تحسين أحوالنا باستخدام العلم ثم بدأنا فى الانتشار فى العالم ثم قدم الوفد الايطالى رسالة مكتوبة لاساتذة جامعة الازهر وهذه ترجمتها •

فى اطار التعاون بين مركز بحوث فبراير ٧٤ الايطالى وجامعة الازهر فان اهتمامنا هـــو دراسة وبحث الاديان والتحول الاجتماعى •

وفيما يخص الاسلام ، فأنه يبدو لنا طـــرح موضوعان يمكن مناقشـــتها فى المناســـبات المختلفة •

١ ــ الاسلام والتجـــديد : ويعنى ذلك دراسات حول العلاقة بين الاسلام والقيـــم

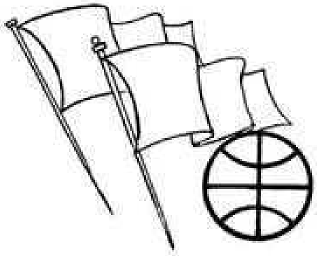

الأزهـــر
وشعوب العالم

الدينية والقيم الناتجه من التكنولوجيا الغربية دراسات حول العلاقة بين الدين والحيـــاة الاجتماعية وبصفة خاصة مشاكل القانـــون والاقتصاد والاتصال ٠

٢ ــ الاسلام ومشاكل التطور فى العالم ، وبصفة خاصة انتشار الاســـلام ، تطـور النظريات ، صورة الاسلام فى الدول غـــي العربية ٠

ونعتقد ان كل هذا يمكن تحقيقه عن طريق:

١ ــ لقاءات مع الاســـاتذة والمحاضرين ومجموعات من الطلبة ٠

٢ ــ تبادل المعلومات ولقاءات مع كلية من الكليات الجديدة كالهندسة والاقتصاد والتجارة وكليات أخرى ٠

٣ ــ مقابلات مع اساتذة أو أى تعاون آخر مع مركزنا ٠

٤ ــ امكانية عقد مؤتمر قبل نهاية سبتمبر عن الدين والتحول الاجتماعى ٠

٥ ــ حلقات دراسية ، مؤتمرات ، دراسات عامة وابحاث مع اساتذة الجامعة وتعقـــد فى أماكن مختلفة ٠

٦ ــ تبادل المنح الدراسية ٠

ونعتقد ان النتيجة الاساسية سوف تكـون معرفة أحسن وأعمق للاسلام فى الغرب ٠

ونشكركم على حسن تعاونكم ٠٠

أعلام الإسلام

● فقه الإمام البخاري

● شخصية في سطور خالد بن الوليد

فقه الإمام

المحدثون والفقه في عصر البخاري وشيوخه

في ذلك العصر كثر تدوين الحديث والأثر في بلدان الاسلام ، وكتابة الصحف والنسخ حتى قل من يكون من أهل الرواية الا كان لهم تدوين أو صحيفة أو نسخة .

فطاف من أدرك من عظمائهم ذلك الزمان — بلاد الحجاز والشام ، والعراق ، ومصر ، واليمن ، وخراسان ، وجمعوا الكتب وتتبعوا النسخ ، وأمعنوا في غريب الحديث ، ونوادر الأثر فاجتمع باهتمام أولئك من الحديث ، والآثار ما لم يجتمع لأحد قبلهم ، وخلص اليهم عن طريق الحديث شيء كثير حتى كان يكثر من الأحاديث مائه طريق فما فوقها .

فكشف بعض الطرق ما استتر في بعضها الآخر ، وعرفوا محل كل حديث من الغرابة والاستنباط وأمكن لهم النظر في المتابعات ، والشواهد ، وظهر عليهم أحاديث كثيرة لم تظهر على أهل الفتوى من قبل ، قال الشافعي ، لأحمد ، أنتم أعلم بالأخبار الصحيحة منا ، فاذا كان خبر صحيح فأعلموني ، حتى أذهب اليه كوفيا كان أو بصريا أو شاميا — حكاه بن الهمام . وذلك بأنه كم من حديث صحيح لا يرويه الا أهل بلد خاصة كأفراد الشاميين والعراقيين أو أهل بيت خاصة ، كنسخة »بريد عن أبي برده عن أبي موسى : فمثل هذه الأحاديث يغفل عنهاعامة أهل الفتوى .

واجتمعت عندهم آثار فقهاء كل بلد من الصحابة والتابعين وكان الرجل فيما قبلهم لا يتمكن من جمع حديث بلده وأصحابه ، وأمعنت هذه الطبقة في هذا الفن ، وجعلوه شيئا مستقلا بالتدوين والبحث وناظروا في الحكم بالصحة والانقطاع على من سبقهم ،

(محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة)
أبو نعيم بن حماد الخزاعي

البخاري

للدكتور الحسيني هاشم

فقد كان سفيان ووكيع وأمثالهما ، يجتهدون غاية الاجتهاد ، فلا يتمكنون من الحديث المرفوع المتصل الا من دون ألف حديث ، كما ذكر أبو داود السجستاني فى رسالة الى أهل مكة .

وكان أهل هذه الطبقة يروون دون ألف حديث فما يقرب منها ، بل صح عن البخارى أنه اختصر حديثه من ستة آلاف حديث .

وعن أبي داود أنه اختصر سنته من خمسة آلاف حديث ، وجعل أحمد مسنده ميزانا يعرف به حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فما وجد فيه ، ولو بطريق منه ــ فله أصل ، والا فلا أصل له ، فكان هؤلاء ، عبد الرحمن بن مهدى ، ويحيى بن سعيد القطان ، ويزيد بن هارون ، وعبد الرزاق ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، ومسدد ، وهناء ، وأحمد بن حنبل ، واسحق بن راهويه ، والفضل ابن دكين ، وعلى بن المدينى وأقرانهم ، وهذه الطبقة ، هى الطراز الأول من طبقات المحدثين. يرجع المحققون منهم بعد أحكام فن الرواية ومعرفة مراتب الأحاديث الى الفقه وأحكامه .

منهج المحدثين فى استنباط الأحكام

لم يكن فى ذلك العصر من الرأى أن يجتمع على تقليد رجل ممن مضى : مع ما يروون من الأحاديث والآثار والمناقشة فى كل مذهب من تلك المذاهب ، فأخذوا يتتبعون أحاديث النبى (صلى الله عليه وسلم) وآثار الصحابة والتابعين والمجتهدين ، على قواعد أحكموها فى نفوسهم .

قال الدهلوى : وأنا أبينها لك فى كلمات يسيرة ، كان اذا وجد فى المسألة قرآن ناطق فلا يجوز التحول عنه الى غيره .

واذا كان القرآن محتملا لوجوه ، فالسنة قاضية عليه ، فاذا لم يجدوا فى كتاب الله ، أخذوا سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سواء كان مستفيضا دائرا بين الفقهاء ، أو لم يعملوا به ، ومتى كان فى المسألة حديث ، فلا يتتبع فيها خلاف أثر من الآثار ، ولا اجتهاد أحد من المجتهدين .

واذا فرغوا جهدهم ، فى تتبع الأحاديث ، ولم يجدوا فى المسألة حديثا أخذوا بأقوال جماعة من الصحابة والتابعين ، ولا يتقيدون بقوم دون قوم ، ولا ببلد دون بلد كما كان يفعل من قبلهم .

فان اتفق جمهور الخلفاء والفقهاء على شىء فهو المقنع ، وان اختلفوا أخذوا بحديث أعلمهم ، وأورعهم ، أو أكثرهم ضبطا ، أو ما اشتهر عنهم . فان وجدوا شيئا يستوى فيه قولان ، فهى مسألة ذات قولين ، فان عجزوا عن ذلك أيضا تأملوا فى عمومات الكتاب والسنة وايماءاتهما وحملوا نظير المسألة عليها فى الجوانب اذا كانتا متقاربتين بادىء الرأى ، لا يعتمدون فى ذلك على قواعد الأصول ، ولكن على ما يخلص الى الفهم ، ويثلج به الصدر ،

كما أنه ليس ميزان التوتر عدد الرواة ، ولا حالهم ، ولكن اليقين الذى يعقبه فى قلوب الناس ـ كما كان الحال عند الصحابة ـ وكانت هذه الأصول مستخرجة عن صنيع الأوائل وتصريحاتهم ـ عن ميمن بن مهران قال : كان أبو بكر اذا ورد عليه الخصم نظر فى كتاب الله فان وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به وان لم يكن فى الكتاب وعلم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى ذلك الأمر سنة قضى بها ، فان أعياه خرج فسأل المسلمين ، وقال : أتانى كذا وكذا ، فهل علمتم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قضى فى ذلك القضاء ؟ فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيه قضاء فيقول أبو بكر : « الحمدلله الذى جعل فينا من يحفظ سنة نبينا فان أعياه أن يجد فيه من سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به . وعن شريح أن عمر بن الخطاب كتب اليه : ان جاء لك شىء فى كتاب الله فاقض به ، ولا يلفتك عنه الرجال . فان جاءك ما ليس فى كتاب الله فانظر سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاقض به ، فان جاءك ما ليس فى كتاب الله ، ولم يكن فيه سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به ، فان جاءك ما ليس فى كتاب الله ، ولم يكن فيه سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يتكلم فيه أحد قبلك . فاختر

أى الأمرين شئت ، ان شئت أن تجتهد برأيك ، ثم تقدم فتقدم ، وان شئت تتأخر فتـأخر ، ولا أرى التأخير الا خيرا لك».

وبالجملة ، فلما مهدوا الفقـه عـلى هـذه القواعد ، فلم تكن مسألة من المسائل التى تكلم فيهـا من قبلهـم ، والتى وقعت فى زمانهم ، الا وجدوا فيها حديثا مرفوعا متصلا أو مرسلا أو موقوفا صحيحا أو حسنا أو صالحا للاعتبار أو وجدوا أثرا من آثار الشيخين (أبو بكـر وعمر) أو سائر الخلفاء وقضاة الأنصار، وفقهاء البلدان ، أو استنباطا من عموم أو ايمـاء أو اقتضاء فيسر الله لهم العمل بالسنة على هذا الوجه .

وكان أعظمهم شأنا ، وأوسـعهم روايـة ، وأعرفهم للحديث مرتبة ، وأعمقهم فقها (أحمد ابن محمد بن حنبل ، ثم اسـحق بن راهويه ، وهما من أساتذة البخارى ومعاصريه ، وكان ترتيب الفقه على هذا الوجه يتوقف على جمع شىء كثير من الأحاديث والآثار حتى سـئل أحمد ، يكفى الرجل مائة ألف حـديث يفتى ؟ قال : لا حتى خمسمائه ألف حـديث قـال : (أرجو . مراده الافتاء على هذا الاصل ، ثـم أنشأ الله تعالى قرنا آخر ، فرأوا أصحابهم قد كفوهم مئونة جمع الأحاديث ، وتمهيـد الفقه على أصلهم ، فتفرغوا لفنـون أخـرى كتمييز الحديث الصحيح المجمع عليه بين كبراء أهل الحديث كزيد بن هرون ، ويحيى بن سعيد القطان وأحمد واسحق وأضرابهم .

وكجمع أحاديث الفقـه ، التى بنى عليهـا فقهاء الأمصار وعلماء البلدان مذاهبهم .

وقد حكم على كل حديث بما يسـتحقه . وكالشاذة من الأحاديث التى لم يرووهـا . أو طرقها التى لم يخرج من جهتها الأوائل مما فيه اتصال أو علو سند ، أو رواية فقيـه عن فقيه . أو حافظ عن حـافظ ، ونحـو ذلك من المطالب العلمية ، وهؤلاء : البخارى ومسـلم وأبو داود ، وعبده بن حميد والدارمى ، وابن ماجه وأبو يعلى والترمـذى ، والنسـائى ، والدار قطنى ، والحاكـم والبيهقى والخطيب والديلمى ، وابن عبد البر وامثالهم .

وكان أوسـعهم علما ، وأنفعهم تصـنيفا ، وأوسعهم ذكرا رجال أربعة :

البخـارى ، مسـلم ، أبـو داود السجستانى ، أبو عيسى الترمذى).

ــ أولهم أبو عبد الله البخارى ، وكان غرضـه تجريد الأحـاديث الصحاح المستفيضة المتصلة من غيرها ، واستنباط الفقه والسيرة والتفسير منها ، فصـنف « جامعـه الصحيح .. ووفى بما شرط قال الدهلوى : وبلغنـا أن رجـلا من الصالحين رأى رسول الله (صلى اللـه عليه وسلم) فى منامه ، وهو يقول : (مالك اشتغلت بفقه محمد بن أوزلس وتركت كتابى ؟

قال : يارسول الله ، وماكتابك ؟

قال : صحيح البخارى) ولعمرى انه نال من الشهرة والقبول درجـة لا يرام فـوقها .

دكتور : الحسينى هاشم

شخصية في سطور

سيف خالد

* هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم أبو سليمان وقيل أبو الوليد القرش المخزومى .

* كان خالد موصوفا فى قومه بالشجاعة : مقدما عندهم فى الحروب عارفا بأصول الحرب حسن الطبع عنفوان الشجاعة أحد بالشدة متسرع الى العاقبة :

وقد حضر بدر وأحد والخندق مع المشركين ضد المسلمين .

* اختلف المؤرخون فى وقت دخول خالد الاسلام فقال بعضهم أنه أسلم سنة ٨ هـ ثمان للهجرة وقال بعضهم سنة ٥ هـ خمس وقال بعضهم سنة ٧ هـ سبع وهو الصحيح . فقد كان اسلامه بعد غزوة الحديبية وكانت فى ذى القعدة سنة ٦ ست هجرية .

* لما أسلم خالد أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة مؤته لغزو الروم وفى هذه الغزوة استشهد زيد وكان أمير الجيش ثم أخذ الراية بعده جعفرين أبى طالب فاستشهد أيضا ثم أخذ الراية بعده عبد الله ابن رواحه فاستشهد أيضا ثم اتفق المسلمون على دفع الراية الى خالد ابن الوليد فأخذها وقاتل بها حتى اندق فى يده سبعة أسياف ثممازال يدافع القومحتىانحازوا عنه ثم عاد بجيش المسلمين وفى هذه الغزوة سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا من سيوف الله (سيف الله) .

* وقد شهد خالد بن الوليد منح مكة مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأمره يومئذ ان يدخل من اسفل مكة من الليط ومعه اسلم وغفار ومزينة وصهينة وقبائل انعرب .

* وقد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو العرب حول مكة الى الاسلام .

* حضر خالد بن الوليد غزوة حنين مع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان على مقدمه الرسول . وجرح خالد يومئذ فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث فى جرحه فبرىء .

* حضر خالد بن الوليد حروب الردة فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأبلى فيها بلاء حسنا فحارب طليحة وانتصر عليه وحارب ام زمل من بنى فزاره فقتلت وتفرق جمعها وحارب مسيلمة وقضى عليه واتباعه .

الله
بن الوليد

* أمره أبو بكر الصديق بالتوجه الى العراق وهناك كانت وقعة الحفير قرب خليج البصرة أول وقعة لخالد فى العراق وكان اسم صاحبها هرمز وقد انتصر فيها خالد على الفرس ولما انهزم هرمز أرسل الى كسرى ملك الفرس فأمده بجيش عظيم بقيادة قارن والتقى المدد بجيش هرمز فاجتمعوا فى الثنى وهو اسم نهر وسار اليه خالد وقاتلهم وهزمهم .

*** ثم قصد خالد بعد ذلك الحيرة وصالحه اهلها بعد مناوشات خفيفة وفتحها فى شهر ربيع الأول سنة ١٢ اثنى عشر من الهجرة ثم سار خالد الى دومة الجندل ثم كانت وقعة الحصيد والخنافس ومضيح البر شاء وغيرها .**

* بعث ابى بكر الصديق رضى الله عنه كتابا الى خالد بن الوليد ان يتوجه الى الشام واستخلف خالد المثنى بن حارثة الشيبانىوقال له (ارجع رحمك الله الى سلطانك غير مقصر ولا وان) وعندما اجتمع المسلمون فى اليرموك كان عددهم سبعة وعشرين الفا منهم الف صحابى وكان الروم فى مائة الف وفى رواية انهم كانوا فى مائتى الف .

*** وعندما تهيأ المسلمون للقاء العدو قام خالد فيهم فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه « هذا يوم من أيام الله لاينبغى فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم وارضوا الله بعملكم فان هذا يوم له ما بعده ، لاتقاتلوا قوما على نظام وتعبيه وأنتم متساندون ، فان ذلك لايحل ولا ينبغى وان من ورائكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون انه رأى من واليكم ومحبته » قالوا هات فما الرأى : فاشار عليهم بان يتناوبوا الأمارة العامة .**

* توفى خالد بن الوليد فى حمص بالشام وكان قد اتخذها مقرا له بعد أن أتم فتوحه فى العراق والشام وتوفى سنة ٢١ احدى وعشرين هجرية فى خلافة عمر .

*** ولما حضرت خالد الوفاه قال « لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى بدنى موضع شبر الا وفيه ضربة أو طعنة وهاأنا أموت على فراشى كما يموت البعير فلا نامت اعين الجبناء ، وما من عمل ارجى من لا اله الا الله وأنا متَرّس بها » .**

رحم الله خالد ورضى عليه

طرائف

تفسير دقيق

قال تعالى : « يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ، فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » .

ويقول فى تفسيرها بعضهم : إنما خص هذه الأعضاء دون غيرها بالذكر ، لأن السائل اذا سأل البخيل ، زوى عنه وجهه ، فان ألح عليه أزور عنه بشق جنبه الذى يليه ، فان ألح ولاه ظهره .

عدة فى الدين والدنيا

قال على بن أبى طالب ــ كرم الله وجهه ــ :

عليكم باقتناء الاخوان فهم عدة فى الدين والدنيا ، ألا ترى الى قول الله ــ عز وجل ــ حكاية عن أهل النار فى النار « فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ » .

إن زاد برك على برهم

قال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة :

كبرت يا معن ! قال : فى طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : انك لجلد ، قال : على أعدائك ، قال : وان فيك لبقية ، قال : هى لك يا أمير المؤمنين ، قال : فاى الدولتين أحب اليك ؟ هذه ام دولة بنى أمية ؟ ، قال ذلك اليك يا أمير المؤمنين ، ان زاد برك على برهم كانت دولتك أحب الى .

إذا استطعت

كتب رجل الى ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ يسأله عن العلم فأجابه : ان العلم أكثر من أن أكتب به إليك ، ولكن اذا استطعت أن تلقى الله كاف اللسان عن أعراض المسلمين ، خفيف الظهر من دمائهم ، خميص البطن من أموالهم ، لازما لجماعتهم فافعل .

في مواقف

للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أجوبة حكيمة

قال رجل ليحيى بن أكثم : أيها القاضى كم آكل ؟

قال : فوق الجوع ودون الشبع .

قال : فكم أضحك ؟ قال : حتى يسفر وجهك ، ولا يعلو صوتك .

قال : فكم أبكى ؟ ، قال : لا تمل البكاء من خشية الله ــ تعالى ــ .

قال : فكم أخفى عملى ؟ قال : ما استطعت .

قال : فكم أظهر منه ؟ قال : ما يقتدى بك فى البر ، ويؤمن عليكقول الناس .

علاقة المحبة

علاقة المحبة اتباع المحبوب فى الامر والنهى ، قال بعضهم :

تعصى الاله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته
ان المحب لمن يحب مطيع

هذه الدنيا

عن على ــ كرم الله وجهه ــ قال : انما الدنيا مطعوم ، ومشروب ، وملبوس ، ومشموم .

فأشرف المطعوم : العسل وهو مذقة ذباب !

وأشرف المشروب : الماء ويستوى فيه البر والفاجر !

وأشرف الملبوس : الحرير وهو نسيج دودة !

وأشرف المشموم : المسك وهو دم . حيوان !

دعاء

« اللهم انى أعوذ بك من شر الخلق ، وهم الرزق ، وسوء الخلق .

الاسلام يتحدى

التعريف بالمؤلف : ـ

من هؤلاء القلة « وحيد الدين خان » الذى يدخل اسمه لأول مرة حقل اللغة العربية بنشر تلك الكتاب « الاسـلام يتحـدى » وان كان لاسمه رنين مدو فى شبه القارة الهندية ، باعتباره ثالث اثنين ، يتولون قضية الاسلام المعاصر فى وجه الزحف الفكرى .

أبو الاعلى المودودى ، وأبو الحسن الندوى ووحيد الدين خان ، وحسبنا أن نقرأ هذا الكتاب الجديد لندرك أنه يمثل عقلا وثقافة ومنهجا ، يختلف بها مؤلفه عن جميع من عرفنا من الكتاب المعاصرين : ـ

منهج المؤلف فى تأليف كتابه : ـ

قسم المؤلف كتابه الى تسعة أبواب تضمنت ١٦٣ صفحة غير الفهارس والغلاف الداخلى للكتاب .

وقد استخدم المخرج كافة وسائل الابراز على الغلاف الخارجى للكتاب لجذب انتباه القارىء .

وهذه هى الطبعة السادسة لهذا الكتاب وقد نفذت الطبعات الخمس السابقة وقد قام بترجمته الى العربية « ظفر الاسلام خان » .

ويثبت المؤلف بكتابه المنهج الذى اتبعه فى تأليف الكتاب اذ يقول : ـ

ان الطريقة التى اتبعتها فى تأليف « كتاب الاسلام يتحدى » ذات وجهين : ـ

فكرية ، وتجريبية ، وبعبارة أخرى :فلسفية وعملية ، ان صح التعبير وقد راعى المؤلف الطريقة الثانية وهى التجريبية أو العلمية .

ويستطرد المؤلف معللا اتباعه هذا المنهج اذ يقول : ـ

ان مكتبتنا تزخر بمجلدات ضخمة من الكتب التى وضعت على المنهج الاول :

على حين يوجد نقص شديد فى الكتب من المنهج الثانى .

ويقول المؤلف :

عرض وتقديم حمدى الليثى

مدخل علمى إلى الإيمان

تأليف وحيد الدين خان

أننى أشعر بأن المضمار الفسيح الذى هيأته الدراسات العلمية الحديثة لاثبات الدين، هو تصديق لما جاء فى القرآن، فى سورة النمل « **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا** » .

عرض لمحتويات الكتاب

الدين ومشكلات الحضارة

هذا هو الباب الثامن من كتاب الاسلام يتحدى .

يقول المؤلف : —

من الحقائق المعروفة لرجال القانون أن الدساتير الرائجة فى هذا العصر تفتقد أية أسس علمية أو نظرية تجيز بقاءها ويرى الاستاذ « فولر » Fullar أن « القانون لم يكتشف عن نفسه بعد ! » .

ويستطرد المؤلف قائلا :

لقد وضعت كتب لا حصر لها حول هذا الموضوع بالذات وبذلت عقول جبارة من علمائنا أوقاتها فى سبيل البحث عن مقومات القانون وكما يقول محرر « موسعة تسامبرز » لقد أعطى القانون أهمية علم هام ، حتى رفع من شأنه الى أقصى الحدود ولكن كل هذه الجهود لم توفق فى الحصول على صورة متفق عليها من القانون . وقد تشعبت بهم السبل ؛ حتى قال خبير فى التشريع : « لو طلبت من عشرة خبراء، أن يعرفوا القانون فعليك أن تستعد لسماع أحد عشر جوابا ! » وقد انقسم خبراء التشريع الى مدارس فكرية كثيرةويرجع السبب وراء هذا الاختلاف بين خبراء التشريع فهو عدم توصلهم الى أساس صحيح يمكن اقامة صرح التشريع عليه . أنهم يجدون أن القيم التى يحاولون جمعها فى هيكل الدستور

الى الايمان ...

يستحيل وضعها في ميزان واحد ومثل رجل القانون في محاولته هذه كمثل الرجل الذي يزن مجموعة من الضفادع بمجموعة أخرى مماثلة ، فكلما وضع مجموعة في كفة وجد أن ضفادع الكفة الثانية قد وثبت الى الماء مرة أخرى !

ومن ثم باءت كل الجهود ـ التي استهدفت الحصول على الدستور المثالي ـ بالفشل الذريع .

ويعبر الاستاذ « وفريدمان » عن هذه المشكلة قائلا « وأنها الحقيقة : أن الحضارة الغربية لم تجد حلا لهذه المشكلة غير أن تنزلق من وقت لآخر . من نهاية الى نهاية أخرى » .

المرأة والمجتمع :

يقول المؤلف بالباب الثامن :

ان الاسلام لا ينظر الى المرأة والرجل نظرة واحدة ، فهو يحرم العلاقات الحرة بينهما ـ وقد أخذ العلماء عند بدء العصر العلمي يسخرون من هذه القوانين وأطلقوا عليها : « مخلفات العصر الجاهلي » وقالوا بشدة : أن الرجل والمرأة متساويان ، ويرثان النسل الانساني بطريقة متساوية ، ولسوف تكون جريمة كبرى لو أقمنا العقبات في طريق علاقتهما الحرة .

وقد أنتجت هذه الفكرة مجتمعا جديدا في الغرب ، بيد أن التجارب الطويلة المريرة التي مرت بها الانسانية بعد هذه الاباحة هي أقصى ما عاناه البشر فقد ثبت بعد هذه التجارب أن المرأة والرجل لا يتساويا فطريا ولا طبيعيا ، وأي مجتمع يقوم على أساس مساواتهما سوف يسبب خرابا ودماء عظيمين للحضارة البشرية .

(أ) ان أول حقيقة في هذا الامر هي أن الرجل والمرأة يختلفان كل الاختلاف في نوعية كفاءاتهما الطبيعية واعتبارهما متساويين انما هو مخالفة كبرى لقوانين الطبيعة في حد ذاتها .

(ب) لقد أباح مشرع الاسلام « تعدد الزوجات » وأثيرت ضجة كبرى ضد هذا التشريع وأطلق عليه ـ هو الآخر ـ أنه « تذكار العصر الجاهلي » ولكن جاءت التجارب العملية لتثبت أنه كان تشويها مناسبا للطبيعة الانسانية لان سد باب تعدد الزوجات انما هو فتح لعشرات الابواب الفاجرة ، غير الشرعية .

ويستطرد المؤلف قائلا : ـ

وسوف أشير هنا الى النشرة الاحصائية التي نشرتها هيئة الامم المتحدة في عام ١٩٥٩ لقد أثبتت هذه النشرة بالارقام والاحصائيات: أن العالم يواجه الآن مشكلة « الحرام أكثر من الحلال » شأن المواليد ! وجاء في هذه الاحصائية أن نسبة الاطفال غير الشرعيين

"الإسلام يتحدى"

قد ارتفعت الى ستين فى المائة . وأما فى بعض البلاد وعلى سبيل المثال « بناما » فقد جاوزت هذه النسبة الخمسة والسبعين فى المائة ، أى أن ثلاثة عن طريق الحرام من كل أربعة مواليد! وأرفع نسبة لهؤلاء الاطفال غير الشرعيين موجودة فى أمريكا اللاتينية .

وتثبت هذه النشرة أيضا أن نسبة الاطفال غير الشرعيين تصل الى « العدم » فى البلدان الاسلامية وتقول النشرة : أن نسبة هؤلاء الاطفال أقل من واحد فى المائة فى جمهورية مصر العربية مع أنها أكثر البلاد الاسلامية تأثرا بالحضارة الغربية فما السبب التى تحمى الدول الاسلامية من هذه البلية ؟

يقول محررو هذه النشرة الاحصائية : أن البلدان الاسلامية محفوظة من هذا الوباء لأنها تتبع نظام « تعدد الزوجات » لقد استطاع هذا القانون الالهى الحكيم أن يحمى بلادنا الاسلامية من كارثة محققة فى هذا العصر .

ويشتمل الكتاب على الابواب التالية :

الباب الاول قضية معارضى الدين .

الباب الثانى نقد قضية معارضى الدين .

الباب الثالث طريق الاستدلال العلمى .

الباب الرابع الطبيعة تشهد بوجود الله .

الباب الخامس دليل الآخرة.

الباب السادس اثبات الرسالة .

الباب السابع القرآن صوت الله .

الباب الثامن الدين ومشكلات الحضارة .

الباب التاسع الحياة التى ننشدها .

ونختم هذا العرض بما ختم به المؤلف كتابه يقول (كريس موريسون) رئيس أكاديمية نيويورك سابقا .

« أن الاحتشام ، والاحترام ، والسخاء ، وعظمة الاخلاق ، والقيم والمشاعر السامية ، وكل ما يمكن اعتباره « نفحات الهية » لا يمكن الحصول عليها من طريق الالحاد .

« فالالحاد نوع من الانانية ، حيث يجلس الانسان على كرسى الله » .

« لسوف تقضى هذه الحضارة بدون العقيدة والدين » .

« سوف يتحول النظام الى فوضى » .

« سوف ينعدم التوازن ، وضبط النفس ، والتمسك » .

« سوف يتفشى الشر فى كل مكان » .

« انها لحاجة ملحة أن نقوى من صلتنا وعلاقتنا بالله » .

هذا وجزى الله المؤلف عن الاسلام خيرا وتقبله من الصالحين .

حمدى الليثى

■ عرض وتحليل

الاقتصاد

المنهج والتطبيق :

الحمد لله رب العالمين جعل لنا الاسلام شرعة ومنهاجا ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين جاءنا بالهدى سراجا وهاجا ، اما بعد :

فالكتاب الذى نعرض ونحلل مادته اليوم ، هو كتاب مفيد وفريد .. لأنه كتاب يتحدث عن **العدل الالهى فى الاقتصاد الاسلامى ..**

ويضم الكتاب — على قلة عدد صفحاته — عددا من الموضوعات والمباحث المهمة ، ففى مقدمته يتحدث كاتبه عن **رسالة العدل الألهى الى الناس أجمعين** مستهديا بقوله تعالى فى سورة الحديد :

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ » ..

سورة الحديد ٥٧ : ٢٥

— ويوضح لنا أن القسط هو العدل ، ومنه (العدل الاقتصادى) المضبوط بهداية السماء « كتابا وضميرا » وبالمقاييس العادلة التى تدخل فى طاقة الناس بحسب عصرهم وعلومهم .

وأما الناس : فيشمل : المتدين منهم (مسلما — أو نصرانيا — أو يهوديا) — كما يشمل الحائر الذى لم يهتد الى الدين الصحيح بعد .

***

— ثم يتحدث عن رسالة العدل الاقتصادى .. وأنه شرع من أجل كل (الناس) فى كل زمان ومكان ، مستهديا بقوله تعالى فى سورة الشعراء :

« أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » .

سورة الشعراء ٢٦ : ١٨١ — ١٨٣

ويوضح لنا مفهوم « البخس » بأنه انتقاص القيم عن حقها الآلهى ماديا أو معنويا ، وأن

لكتاب :

الاقتصاد الإسلامى قرآنى .. نبوى .. متجدد

بقلم الأستاذ
أحمد اسماعيل يحيى

تأليف الأستاذ زيدان أبو المكارم حسن من علماء الأزهر

الوزن بالقسطاس المستقيم .. يعنى أننا لو وضعنا المبيع فى احدى كفتى ميزان القيمة العادلة — سواء كان هذا المبيع سلعة أو خدمة ، فيجب أن يكون مساويا لما فى كفة الميزان الأخرى من ثمن — سواء كان الثمن ذهبا أو غيره .

***

— أما المبحث الذى اختار له المؤلف عنوان : « **بناء الاقتصاد الاسلامى** » والذى **تتضمنه الصفحات من ٧ — ٤٦** فيضم البحث الذى تقدم به المؤلف الى المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الاسلامى .. ويشير فيه المؤلف الى الصراع الاقتصادى فى العصر الحديث ، وأنه بعد الحرب العالمية الثانية كان الصراع فى أوربا ، وأمريكا دائرا بين الشرق والغرب على الصعيدين العقائدى ، والاقتصادى ، ويتبعها الجانب السياسى .. وأن هذا الصراع قد تحرك الى سائر أمم العالم ، فمنها ما خضع للشرق ، ومنها ما خضع للغرب .. ومنها ما لا يزال يصارع متمسكا شخصيته وقيمه المتميزة — يعنى يهم العرب والمسلمين — الذين يرفضون فى اباء أن يذوبوا فى أحد الاتجاهين ، لأن لديهم شعورا قويا بشخصية أمتهم بين الأمم ، وشخصية عقيدتهم بين العقائد ، وأن لهاتين الشخصيتين

أثرهما فى الاقتصاد .. **ويشرح لنا الأستاذ الشيخ زيدان أبو المكارم حسن : كيف أن (المادية الاقتصادية) قد تسربت الى أوربا وأمريكا من الفكر اليهودى فى فترة مبكرة قبل القرن العشرين !؟ وأما فى هذا القرن الأخير فقد سيطرت الصهيونية على الاقتصاد فى أوربا وأمريكا** بلؤم وخبث أخضع كليهما فى الشرق والغرب الى شىء واحد هو : (فائض القيمة) !؟ .

***

ويتساءل المؤلف : ما موقف الاسلام من فائض القيمة ؟ وينبهنا — فى أسلوب تربوى رفيع — الى ضرورة البحث عن اجابة علمية سليمة لهذا السؤال المهم .. ويلفت الأنظار الى أن أكثر الباحثين فى الاقتصاد الاسلامى يلتمسون تحديد معالم الاقتصاد الاسلامى من مصادر أربعة هى : —

— النصوص القرآنية والنبوية .

— ما دونه أئمة الفقة الاسلامى ، ومن تابعهم من المقلدين .

— ما وصل اليه وطبقه الخلفاء ، والحكام المسلمون ، من تنظيمات اقتصادية .

— ما وصل اليه الفكر الاسلامى فى التاريخ ، والفلسفة ، وألوان المعرفة الانسانية فى هذا الشأن .

— ويشير المؤلف الى خطأ هذا المنهج ، وأنه لا يصح الاعتماد فى مجال استخلاص الأصول الحقيقية للاقتصاد الاسلامى الا على المصدر الأول فقط ، وهو (المنهج القرآنى النبوى) اذ هو الميزان الذى توزن به المصادر الأخرى فما وافقه منها فهو اسلامى مستقيم، وما خالفه فهو خطأ ، أو انحراف لا يمثل الاسلام الصحيح !!؟ .

— ولا يتعجل المؤلف فى الاجابة على موقف الاسلام من (فائض القيمة) قبل أن يعرض علينا الأساس (الآلهى) للاقتصاد قبل الاسلام فى كلمات قليلة مفيدة ، فيقول : —

— ان الله عز وجل قد وضع أساس الحياة الانسانية من قبل الاسلام فى رسالة كل رسول ونبى منذ الأزمان السحيقة كما قال فى سورة الحديد :

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) .

الحديد ٥٧ : ٢٥

ويضرب لنا المثل على أن العدل هو الغاية الأولى وأن المرشد اليه هو الكتاب والميزان ، برسالة سيدنا شعيب عليه السلام ، اذ هو فى الحق رسول الاقتصاد الآلهى من بين الأنبياء جميعا .

قال تعالى فى سورة هود :

الإسلامي

« وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ، وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » .

هود ١١ : ٨٤ — ٨٥

وهكذا بعد أن دعا شعيب الى عبادة الله وتوحيده نراه قد اتجه الى اصلاح الاقتصاد باقامته على ضابطين هما : (ايفاء الكيل والميزان بالعدل) و (الامتناع عن بخس أشياء الناس) .

وبذلك جعلنا المؤلف نرى بوضوح أن العدل يستخدم الوسائل العلمية لقياس الأشياء من الناحية المادية وأنه يحرم البخس .. والبخس هو انقاص في القيمة يتحقق به زيادة يأخذها طرف من آخر بغير حق .. وذلك هو الربا في الاسلام .. وهو الذي يسمى بالاصطلاح الحديث : (فائض القيمة) .. ولا جدال بنص الآية السابقة أن (الاقتصاد الالهي) قبل الاسلام لا وجود فيه لفائض القيمة لأن الاقتصاد الالهي يحرم البخس .

ويستطرد المؤلف مدللا على صحة استنتاجاته ببراهين قوية علمية سليمة ، ثم يعرض لنا في سهولة وبساطة ثلاثة أنواع للقيمة هي : —

— القيمة الظالمة .

— القيمة المبخوسة (المظلومة) .

— القيمة العادلة .

— والقيمتان : الأولى والثانية : هما الوسيلتان اللتان يتذرع بهما المستغلون وسارقوا الجهود لاغتصاب الحقوق واهدار قيمة العمل .

وأما (القيمة العادلة) فانها تمثل (العدل الاقتصادى) .. وهذا العدل الاقتصادى هو أساس الهى جاء الاسلام ليثبته ويطبقه .. ونحن نجد ذلك مقررا في القرآن الكريم ففي سورة المطففين يقول تعالى : —

« وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ » . « ٨٣ : ١ — ٧ » .

ويقول تعالى في سورة الأنعام :

« قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا » ..
الى قوله تعالى : لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ، ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

« ٦ : ١٥١ — ١٥٣ » .

***

وهكذا يخرج علينا المؤلف بالحقيقة الناصعة ، فيقرر أن فائض القيمة : هو الربا ، وأن نصوص القرآن والسنة ترفض رفضا قاطعا أن تقر فائض القيمة ، لأنه زيادة ظالمة وربا محرم .

ويذكرنا الآيات التى تحرم جميع أنواع الربا قليله وكثيره ما كان أضعافا مضاعفة ، وما كان أقل من ذلك .. وأن الأساس الشرعى فى المعاملات هو (تساوى القيمة المالية) لكل من البدلين اللذين وقعت عليهما المعاملات .

وأما الزيادة على القدر المتساوى بين البدلين فهى ربا حرام لا يجوز قبوله ، وأن عقاب المصر على الربا — حيث يرفض التوبة ورد الزيادة — يصل الى محاربته ، فتصادر أمواله ، وان امتنع يعاقب بالقتل ، ان لم يندفع الا بذلك .

— ثم يسوق المؤلف النصوص النبوية التى تحرم الربا (١) ويقرر أن السنة النبوية حرمت أنواعا من المعاملات التى كانت معروفة فى التجارة والمبادلات ، وهى المعاملات التى كانت منحرفة عن القيمة العادلة وواقعة فى الربا (أى فائض القيمة) .

— ومن هذه المعاملات التى حرمتها الأحاديث النبوية :

١ — الغش : باظهار الجيد واخفاء الفاسد الردىء .

٢ — الاحتكار : لانه افتعال ظروف غير طبيعية لرفع الاثمان أو خفضها .

---

(١) فى صفحة ٣٥ من الكتاب ذكر المؤلف حديثا نبويا : عن عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — عن النبى صلى الله عليه وسلم — قال : (الربا ثلاثة وسبعون بابا ، ايسرها مثل ان ينكح الرجل أمه ، وان اربى الربا : عرض الرجل المسلم) رواه ابن ماجه مختصرا والحاكم بتمامه وصححه .

الإسلامى

٣ ـ تلقى الركبان : لأن الشراء من الريفى، أو البدوى قبل أن يدخل السوق ويعرف الأسعار : يبخسه حقه ويمكن (السمسار) من فائض القيمة وهوربا •

٤ ـ بيع المضطر : لأنه يبخس القيمة على البائع •

٥ ـ النجش : لأن التظاهر بالشراء بقيمة أعلى من الحقيقة يوقع المشترين الحقيقيين ويغرر بهم •

٦ ـ بيع الغرر : لما فيه من الجهالة ، وفقدان وسائل التقدير الصحيح ، ولابد من العلم الصحيح للوصول الى التقدير الصحيح•

٧ ـ بيع العينة : لأنه يؤدى الى الربا بالخداع والاحتيال •

٨ ـ بيع الدابة المصراة : التى تحلب أياما لأنه تغرير وخداع يزيد فى القيمة بغير حق •

٩ ـ بيع ما لم يقبض : لما ينشأ عن ذلك من تنازع واحتكار وبخس للقيمة •

ـ وواضح مما ذكر هنا وغيره أن الهدف من التحريم هو منع الربا الذى ينشأ عن الاخلال بحق (القيمة العادلة) ومعنى ذلك محاربة (فائض القيمة) لاقامة (العدل الالهى) •

ـ ويقرر المؤلف أن الاسلام يمتاز على غيره بأن المذهب الاسلامى يقوم على أساس العدل الاقتصادى ، ويحرم فائض القيمة ، ويكرم العمل •• وأن من التخريف العلمى أن يقال : ان أنواع الاقتصاد تنحصر فى مذهبين تتفرع منهما جميع المذاهب ، وهما (الرأسمالية والشيوعية) •

***

وفى خاتمة البحث يتساءل المؤلف :

وما السبيل الى تنفيذ (المنهج القرآنى ، النبوى ، المتجدد) فى الاقتصاد فى العصر الحاضر ؟؟•

ـ لكنه لا يتركنا بعد السؤال ساهرين حائرين ، بل يقول : ان تطبيق العدل الاقتصادى يقتضى من الناس ما يلى : ـ

١ ـ أن يسود العدل كل التصرفات الاقتصادية وذلك يستلزم تعبئة كل وسائل

الاقتصـــــاد

التغيير الاجتماعى من تربية منزلية ومدرسية وجامعية ، ومن توعية عن طريق كل وسائل الاعلام والوعظ لتصل الى كل فرد فى كل مجال وأن نستخدم كل وسائل التغيير الحكومى من تخطيط وسياسة وقانون ومراقبة ، فضلا عن الوصول بأفراد المجتمع الى ضمير اجتماعى يقظ يدرك الانحراف ويتعاون بسرعة على كشفه وتعديله نحو الاستقامة .

٢ ــ أن يقوم العلم بواجبه فى خدمة أجهزة العدل لينال كل فرد حقه فى : (قيمة العمل الذى ينهض به ــ حقه فى الثروة (الطبيعية العامة للأرض التى تمثل رقعة وطنه باعتبار هذه الثروة العامة حقا لجميع المواطنين بالتساوى) .

٣ ــ أن يكون للعقوبات والتشريع دور قوى فى ضرب المخالفين ليكون القانون حارسا للعدل الاقتصادى .

٤ ــ أن يقوم بالتنفيذ جيل عالم بالمعاملات ، تربى على العدل والنزاهة والأمانة .

٥ ــ ضرب كل أنواع التلاعب بالقيم ــ الظاهر منها والخفى ــ الوطنى والقومى والعالمى .

ــ والكتاب كما رأينا ــ ليس مجرد توضيح للمنهج القرآنى النبوى ، وانما هو صرخة اصلاح لخير كل الناس ــ ففى مبحث ثالث

يضع المؤلف **أمامنا تقريره الذى قدمه الى وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر** العربية بشأن مادار فى المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الاسلامى الذى عقد فى مكة المكرمة **فى الفترة من ٢١/٢٦ صفر ١٣٩٦ هـ الموافق ٢١/٢٦ فبراير ١٩٧٦ م** ــ بناء على توصية من كلية الاقتصاد والادارة بجامعة الملك عبد العزيز .. وهو المؤتمر الذى أسهم فيه الكاتب ببحوثه وتوصياته ، من بين سبع وعشرين من الأساتذة العلماء والخبراء أبناء مصر .

***

وكان الغرض من هذا التقرير هو دراسته وتوجيهه الى الجهات المختصة ، بهدف الاستفادة مما جاء به من أفكار وتوصيات : تخدم العملية التعليمية .

وقد ضمن الكاتب تقريره نقاطا عديدة مهمة أبرزها : تلخيصه لتوصيات لجان المؤتمر ، والبحث المقدم من المؤلف .

وقد كان من أهم توصيات ومقترحات لجان المؤتمر : ما نلخصه للقارىء فيما يلى : ــ

١ ــ التوصية بترسيخ مفاهيم الاسلام الاقتصادية التى ترتكز على الاعتقاد بأن الكون لله ، وأن المال مال الله ، وأن الانسان مستخلف على ما تحت يده من نعم الله ، وأن الملكية الخاصة ــ التى أقرها الاسلام ــ

مقيدة بوسائل الكسب المشروعه ، والانفـاق المشروع ، وأداء حق المال ، وأن الاقتصـاد الاسلامى يحقق التوازن والتكافل .

٢ ــ التوصية بوضـع معجم لمصـطلحات الاقتصاد الاســلامى بكل اللغـات ، وحصر المراجع والموضـوعات ، والاجتهـادات التى تغذى الاقتصاد الاسلامى .

٣ ــ الاستفادة من وسائل التحليل العلمى الرياضى فى دراسة الاقتصاد الاسلامى .

٤ ــ التوصـية بضرورة تدريس الفقـه الاسلامى فى المعاملات وأصوله بالجامعات .

٥ ــ دعوة الحكومات الاســلامية الى دعم البنوك الاسلامية القائمـة ونشر فكـرتها وتوسيع نطاقها والعناية بتدريب العاملين فيها على أسس علمية اسلامية .

❋❋❋

٦ ــ تأكد فرضية الزكـاة والاهتمـام بها كأداة اقتصـادية تحقـق العـدل والتكـافل الاجتماعى .

٧ ــ عمل مسح شامل للخبرات فى مجـال الاقتصاد الاسلامى ، وتشجيع هذه الخبرات على الاســهام فى البحث العلمى بالـــدول الاســلامية .

ــ كذلك فقد تضمن تقرير الأستاذ الشيخ زيدان أبو المكارم حسن عدة ملاحظات جديرة بالعناية والدراســة والتطبيـق تجيب على السؤال الذى يحير شباب المسلمين وهو : ــ

ما بال بلادنا متخلفة فقيرة ضعيفة برغم أن عقيدتنا صحيحة وأن نبينا هو خاتم الأنبياء؟؟

وما بال بلاد غيرنا متقدمة قويـة برغم أن بعض هذه البلاد تنكر الأديان وتحاربها ! ؟

ــ ومن هنـا كانت توصيات الشـيخ أبو المكارم بأن الاجابة على السؤال تقتضى من المسئولين عن التربية ألا يتركوا الشباب نهبا للحيرة وأن يفتح أمامهم سبيل التفكير العلمى السليم ليصلوا الى الحق فى قضية الاقتصاد ، وتعليمهم أن الاقتصاد الاسلامى هو اقتصاد له شخصيته المتميزة يقوم على العدل للنـاس جميعا وأنه فى حاجة الى الاعتراف به وبمبادئه وأصوله وفروعه وتطبيقاته !؟

وينادى المؤلف •• بأن تقرر وزارة التربية والتعليم على طلابها مادة (التربية الاقتصادية) فى مناهج الدراسة بكافة مراحلها •• وأن تكون من المواد الفعالة التى تؤثر على سلوك الأجيال الجديدة لتستخرج للوطن من شبابنا جيـــلا يقدس العمل ويحتقر الكسب الانتهازى الطفيلى ولا يتعامل بالربا المحرم ولا يسـعى اليه •• وأن تسلك الوزارة فى سبيل تحقيق هذا الهدف كل الطرق بشكل متكامل وعلمى وفعال .

وننتقل بالقارىء مع المؤلف لنجده فى المبحث الرابع من كتابة يضع بين أيدينا المنهج الصحيح للوصول الى الأحكام الصحيحة •• وأن مـن

الاقتصاد الإسلامي

الضروري أن نتفق على الأصول قبل أن تضيع منا في زحام المجتهدين بحثا عن اصدار الاحكام على الفروع الاقتصادية (في الانتاج والتوزيع والاستهلاك والتخطيط والادارة والمحاسبة .. الخ) وأنه قد سار شوطا طويلا مهد به الطريق لفهم معنى الاقتصاد في الاسلام أوضحها في خطته في بحوث الاقتصاد الاسلامي في مؤلفاته ومن بينها : (كتاب بناء الاقتصاد في الاسلام ١٩٥٩ م ـ مذهب ابن عباس في الربا ١٩٧٣ م ـ علم العدل الاقتصادي ١٩٧٤ م ـ الاقتصاد الاسلامي المنهج والتطبيق ١٩٧٧) وفيها جميعا يصر الكاتب على أن المنهج الصحيح هو المنهج القرآني النبوي مع ضرورة النظر بعين التقدير لما في مراجع (الفقه الاسلامي) من خير وفير وعلم غزير لدراستها والاستفادة بها .. والمؤلف يرى من واجبه في هذا المبحث أن يدعو المفكرين والباحثين الى المنهج الصحيح .. وها هو قد بلغ ، وهو لا يترفع عن سماع النصيحة من القادرين عليها .. فهو يود أن تعم الهداية الالهية وأن ينتشر العدل الاقتصادي وأن ننتفع بنور الهداية القرآنية والنبوية في كل ناحية من حياتنا .

وفي المبحث الخامس يذكر لنا المؤلف موقف الفقهاء المسلمين من قضية الاقتصاد ويطرح على الصفحات تلك المناقشة التي وقعت في الجلسة التمهيدية بأمانة ، ويثير قضية خطيرة يقول فيها « ان جميع الفقهاء الاسلامين قد أخطأوا في تطبيق النصوص القرآنية والنبوية في شئون المعاملات والاقتصاد .. وقد عارضه في ذلك عالمان أحدهما سعودي والآخر مصري » ..

لكن المؤلف يتقدم الى المؤتمر باقتراح أن يبحث فقهاء المسلمين : معنى الربا في القرآن والسنة حتى يقدموا تعريفا جامعا مانعا له ضوابط واضحة تبين الحلال والحرام حتى يتمكن الاقتصاديون الفنيون أن يضعوا حلول المشكلات الاقتصادية لبلاد المسلمين في دائرة الحلال .. وان كان المؤلف يقف الى جانب من يقول بعجز الاقتصاديين وحدهم عن حل المشاكل ..

ثم يتحدث المؤلف معقبا على رأى أثير في المؤتمر بخصوص الزكاة وأنها أداة اقتصادية غير الضرائب وأنها تمتاز عن الضرائب بأنها عبادة لها ثواب بينما الضرائب أمر دنيوي وليس عبادة .. والمؤلف يعارض ذلك فيقول ان الذي يدفع الزكاة جبرا بدون نية ليس له

ثواب أما من يعطى ماله قاصدا به اعزاز الاسلام تحت أى اسم فانه يعبد ربه ، وعمله عبادة بغير شك ..

ويعود المؤلف فينادى بضرورة تقوية المركز الاقتصادى للمسلمين ، وأن يكون هناك فترة انتقالية مما نحن عليه الآن فى سلوكنا الاقتصادى الى ما يجب أن نكون عليه وفقا المنهج القرآنى النبوى فى الاقتصاد الاسلامى .. وأن تحظى هذه الفترة الانتقالية بعناية الجميع .

ولا يفوته فى نهاية المبحث أن يضع بين أيدى الباحثين بعض الأصول الأساسية التى تجب مراعاتها .. كما يذكر عددا من النصائح والتوصيات للباحثين والاقتصاديين الفنيين ؟؟

***

وفى المبحث السادس : يتحدث المؤلف عن **المؤتمر العلمى السنوى الاول للاقتصاديين المصريين** الذى قررت اقامته **الجمعية العمومية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع بالقاهرة خلال شهر مارس ١٩٧٦ م وقد لاحظ المؤلف أن** المنطلقات العقائدية للباحثين كانت محصورة فى مذهبين هما **الرأسمالية والاشتراكية وما تفرع منهما من مسميات ..**

ويحرض المؤلف الجهات المسئولة بالأزهر لتلقى بدلوها ليكون للمذهب الاسلامى سهم صائب فى مثل هذه البحوث التى تعرض فى مثل هذه المؤتمرات .. وأن هذا العمل هو **فرض عين على علماء الأزهر** ، ومنهم كفايات علمية وفقهية كبيرة .

أما الاقتصاديون الفنيون فيدعوهم المؤلف باسم العلم الصحيح أن يكون المذهب الاسلامى بين ما يدرسون وألا تقتصر دراساتهم على المذهبين الرأسمالى والشيوعى فقط .. وألا يستغرقهم الجانب المادى دون أن يكون للجانب المعنوى نصيب ، وأنه لابد من العناية بالاقتصاد الاسلامى الذى يحقق العدل .

***

وفى المبحث السابع والاخير يحدثنا المؤلف عن التفوق الاقتصادى .. من يخطط له ؟ ومن ينفذه ؟؟

ثم يدعو الى رسم استراتيجية حضارية شاملة ، ووضعها موضع التنفيذ بالعمل المخلص الجماعى المنسق ، وهى دعوة يتفق فيها المؤلف مع بعض المفكرين المخلصين من الاقتصاديين الفنيين والخبراء .

وتنتهى سطورا آخر صفحات الكتاب والمؤلف لايزال ينادى فى اصرار أن تقدم للناس قوانين الاقتصاد الآلهى . وأن يكون المذهب الاسلامى مذهبا معترفا به عند الاقتصاديين — شأن المذهب الرأسمالى . والمذهب الشيوعى — وأن تنال هذه المذاهب حقها العادل من الدراسة ، والموازنة والنقد .. ليتوصلوا الى الحق والعدل ؟؟

أحمد اسماعيل يحيى

النهوض بالدعوة الإسلامية

*** أجرت جريده اللواء الاسلامى فى عددها الاول يوم ٥ رمضان ١٤٠١ هـ حديثا مع فضيلة الشيخ محمد الغزالى . تطرقت فيه الى الحديث عن الدعوة الاسلامية وكيفية النهوض بها فقال فضيلته :**

ان الاسلام دين متحرك ، ولا يحده مكان واحد . وقد عرف المسلمون هذه الحقيقة فى دينهم منذ أن بدأت مسيرة الاسلام . ولذلك فان الدعوة الاسلامية أثرت فى سيرهم ومسالكهم .

ربما لم يكونوا عارفين بلغات الناس واختلاف ألسنتهم ، ولذلك لم ينقلوا تعاليم الاسلام الى هذه اللغات المختلفة .. لكن هناك لغة عالمية معروفة أتقنها المسلمون الاوائل اتقانا بالغا . هى لغة الاخلاق .. فان المسلمين الاوائل عرضوا الاسلام على مختلف الشعوب من خلال حكم عادل ، ومعاملة طيبة ، وعطاء مبذول ، ورحمة واسعة .. ومن هنا انتشر الاسلام وتفتحت القلوب له . وعرف ذلك كثير من كتاب الغرب المنصفين .

الصحف

تقديم عاطف زهران

ومع تجدد الحضارة البشرية واتساع نطاق الصلات العالمية ، ينبغى أن تأخذ الدعوة الاسلامية أساليب جديدة . وهذه الاساليب يجب أن تعرف طبيعتها مع طبيعة التقدم العالمى الكبير الذى وصلنا اليه الآن .

لقد اختصرت المسافات والازمنة فى هذا العصر . وذلك يجعلنا نفكر تفكيرا جادا فى أن تكون دعايتنا عن الاسلام قائمة على الحقائق، وعلى النماذج الرفيعة للانسانية الرقيقة .

ويجب تيسير تعليم اللغة العربية ، ونقل الآخرين الى منابعنا التقليدية الاسلامية الاصيلة لكى يروا ما عندنا .

ان علماء الاسلام والمسئولين عن الدعوة اليه مكلفون لعدة أمور لكى تنجح دعوتهم .

الامر الاول : أمر ايجابى يعتمد على كشف النقاب عن تعاليم الاسلام من مصادرها الصحيحة .

والامر الثانى : الرد بحكمة وهوادة على الاكاذيب والمفتريات التى أطلقها أعداء الاسلام ضده ، وملأت الآفاق بدخان لا أصل له .

قالت

المسلمون والحضارات المعاصرة

*** حول هذا العنوان كتب سماحة الشيخ أبى الحسن الندوى مقالا مطولا بصحيفة الرائد الهندية الصادرة فى ١٣ شعبان سنة ١٤٠١ هـ نقتطف منه مايلى :**

ان قضية الاقتباس من حضارة سابقة أو معاصرة والاستفادة منها • ليست قضية غريبة فهناك حضارات فى كل زمان تقوم وتزدهر تسنح لأمم وشعوب بتنظيم الحياة ، وتذليل عقباتها ، ثم تأتى أمم ومجتمعات فتستفيد من هذه التجارب ، وتقتبس من هذه المنجزات والمعطيات للعلم البشرى •

ولكن هذا الاقتباس يحتاج الى عناصر وركائز بدونها يتحول هذا الاقتباس سريعا الى موقف التقليد الخانع والتطبيق المطلق •

من أهم هذه العناصر الاعتزاز بالدين • والاعتداد بالشخصية • وأن يكون هذا المقتبس فخورا بها عاضا عليها بالنواجز • لا يعدل برسالته رسالة ، ولا بشخصيته شخصية •

فالشريعة السمحة لا تمنعنا من الاقتباس من الحضارات •• من مرافق الحياة مما نحتاج اليه من علوم وحكم وآداب • ولكنها قضية الاقتباس لا قضية التقليد والتطبيق •

وان لكل أمة قامة وقيمة •• فليكن لباسنا مطابقا لقامتنا وقيمتنا • نأخذ الحضارة الغربية فنصهرها صهرا جديدا فى بوتقتنا • ونبعد عنها عناصر المادية وعناصر اللا دينية وعناصر الشهوانية ، وعناصر الانانية ، ونخضعها لأغراضنا ولمدنياتنا وبرسالتنا •• وهذا هو الاقتباس الكريم • وهذا مافعله الصحابة رضى الله عنهم فى القليل الذى اقتبسوه من الحضارة الرومية والحضارة الايرانية •

وهناك نوع آخر من مواقف الأمم من الحضارات الأخرى •• هو موقف التقليد الخانع •• والتطبيق الذى لا اختيار فيه ولا ابتكار •

وهذا هو مصطفى كمال أتاتورك قائد تركيا يقول عنه مترجم حياته :

« ان مصطفى كمال كان يعبد الاله الجديد (الحضارة الحديثة) بحماس •• ولهفة • وكان له عابدا وفيا •• وقد نشر هذه الكلمة (الحضارة) من أقصى البلاد الى أقصاها » •

ان مركزنا ليس مركز المقلدين • ولكنه مركز القادة •• يجب أن نكون روادا فنأخذ مالابد منه من الحضارة الغربية ، ولكن نصبغها بالصبغة الاسلامية الجميلة ، الفاضلة الكريمة المتزنة •

ان الانسان يحن لان يرى هذه الحضارة الاسلامية ويعيشها ، ولكن لا يجدها متميزة ملموسة فى بلد اسلامى • الا بقايا من الحضارة الاسلامية بقيت كآثار تاريخية •

الصحف

الحدود الإسلامية هدية الله إلى البشرية

*** كتب الاستاذ على القاضى مقالا تحت هذا العنوان بمجلة (الضياء) التى تصدر فى دبى فى العدد العاشر نقتطف منه بعض فقراته :**

يتهم الغربيون الحدود فى الاسلام بأنها لا تراعى أحوال المجرم النفسية ، وأن المجرم مريض يحتاج الى علاج لا الى عقوبة . وهذا كلام ليس له ضابط .. وقد جربوا ألوانا من العلاج الذى يقولون به فلم يندهم شيئا ... وازدادت الجرائم ولا تزال تزداد فى كل مجتمع من المجتمعات المتحضرة .

والحدود الاسلامية هى علاج حقيقى للمنحرف .. حقيقة أنها عقاب قاس .. ولكنه عقاب لجرم قاس أيضا .

وهو علاج ناجح ومفيد للشخص نفسه .. كبتر الجزء المريض من جسم الانسان فبالرغم من قسوته فهو أرحمة بعينها لانها ستبقى على الكل سليما يؤدى رسالته فى الحياة . والذى لا يصلح فيه الا هذا لابد من بتره فذلك خير له وللمجتمع .

ولقد راعى الاسلام شخصية المجرم فأعفى غير المسئول من العقاب كالمجنون والمضطر وما الى ذلك .. فالزانى المحصن عقوبته الرجم وغير المحصن عقوبته الجلد .. وهكذا .

وقد سد الاسلام بذلك أبوابا كثيرة من الفساد لم تستطع المجتمعات المتحضرة ايقاف تيارها .

فقد بلغ عدد الفتيات اللاتى اغتصبن فى أمريكا خلال عام ١٩٧٥ م ٥٥ ألف فتاة طبقا للتقريرات الرسمية . والتقريرات غير الرسمية ترفع هذا العدد الى ثلاثة أضعاف .

وهذا مما جعل مؤتمر مكافحة الجريمة المنعقد فى جامعة دمشق عام ١٩٧٢ م يقرر أن :

(التشريع الاسلامى هو أجدى تشريع فى مكافحة الجريمة — وأن المؤتمر يهيب بالدول أن تقترب تشريعاتها من التشريع الاسلامى لمكافحة الجريمة) .

وحين تطبق الحدود الاسلامية ، ونسد المنافذ أمام الشفاعة والمحسوبية . فاننا نكون بذلك قد أقمنا سورا منيعا لا يفكر فى اقتحامه الا صنف شاذ التكوين من البشر أو شاذ الدوافع — وهم قلة — وحينئذ تقوم الحدود بعلاجهم العلاج المناسب لجرائمهم .

أخبار العالم

المملكة العربية السعودية

* تبرعت هيئة صندوق التضامن الاسلامى بمبلغ عشرة آلاف دولار لمنظمة الاغاثة الاسلامية العالمية برابطة العالم الاسلامى وقد بعثت الهيئة شيكا بالمبلغ الى معالى الأمين العام للرابطة الذى أعرب عن شكره وتقديره لصندوق التضامن على تبرعه الكريم ..

الكويت

* أصدر وزير التربية الكويتى قرارا باستخدام قسم الارشاد الدينى لطلبة المنح الدراسية بادارة التعليم الدينى تتحدد اختصاصاته على النحو التالى :

١ ـ العمل على تعميق الوعى الدينى الصحيح لطلبة المنح وذلك بتشجيعهم على القراءات الدينية المثمرة وحفزهم على الاستمرار فيها .

٢ ـ توجيه وارشاد طلبة المنح الى السلوك الذى يتفق مع الدين الاسلامى الحنيف وتأكيد هذا السلوك فى حياتهم العامة .

٣ ـ دراسة ما قد يكون هناك من ظواهر سلوكية وعقائدية لا تتفق مع الدين الاسلامى والعمل على تقويمها واقتراح العلاج اللازم .

٤ ـ دعم وتقوية العلاقات بين طلبة المنح والانشطة الدينية بما يحقق التماسك بالقيم والسلوك الدينى السليم .

الأقطار العربية المصدرة للنفط

* طالب الدكتور عدنان مصطفى الأمين العام المساعد لمنظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط (الاوبك) ببدء التحرك العربى لحيازة التقنية النووية تمهيدا لاستغلالها فى تلبية الطلب المستقبلى على الطاقة فى الوطن العربى .

الإسلام

وقال فى ورقة العمل التى تقدم بها الى المؤتمر العربى الرابع للثروة المعدنية ان أى قرار يتخذ بشأن استغلال الطاقة النووية لابد له ان يستند الى المعرفة التامة بمقدار وفرة مصادر الوقود النووية ازاء برامج عمل المفاعلات النووية المقرر تشغيلها لتوليد الطاقة المطلوبة وحث الدكتور مصطفى المنظمة العربية للثروة المعدنية ومنظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط على التعاون لتحقيق رؤية عامة لمصادر اليورانيوم العربية ٠

وأشار الى وجود جهود جادة ومنهجية لاستكشاف تقييم وجود اليورانيوم فى مناطق محدودة هى الجزائر والمغرب وموريتانيا والصومال ومصر وفى العام الماضى تم توقيع عقود عديدة لاستكشاف الاورانيوم فى السعودية والسودان والاردن ٠

وتذكر ورقة العمل ان مجمل الاحتياطى العربى المؤكد لاوكسيد اليورانيوم يقدر بحوالى ستين ألف طن الا ان استخلاص اليورانيوم من الفوسفات الذى دخل فى حيز الاستغلال الاقتصادى يرفع الكميات الممكن استخلاصها كنتاج ثانوى من الفوسفات الرسوبى العربى الى ٣٫٦ ملايين طن ٠

وقد أوصى المؤتمر العربى الرابع للثروة المعدنية الذى اختتم مؤخرا باجراء دراسات مبدئية لجدوى اقامة مشاريع عربية مشتركة فى مجالات التحرى والتنقيب عن توضعات اليورانيوم واستغلاله من مصادره المؤكدة حليا واستخلاص واستثمار اليورانيوم كناتج ثانوى من حامض الفوسفوريك المصنع من خامات الفوسفات فى الاقطار العربية ٠

باريس

*** عقدت فى مقر منظمة اليونسكو بباريس ندوة عن « الاسلام والفلسفة والعلوم » وذلك**

أخبار العالم الإسلامي

ضمن مشاركة منظمة اليونسكو فى الاحتفال بذكرى العالم العربى ابن سيناء . واستمرت الندوة ثلاثة أيام لبحث ثلاثة أيام لبحث ثلاثة موضوعات رئيسية هى : الاسلام ونهضة العلوم العقلية من علوم وفلسفة ، والثانى ، تأثير الفلسفة الاسلامية على الفكر العلمى الانسانى . والثالث : ابن سيناء والفكر المعاصر .

رومانيا

* طلب الدكتور « انج اون » سفير رومانيا بالقاهرة من وزارة الأوقاف المساهمة فى الرعاية الدينية والثقافية لنحو نصف مليون مسلم يقيمون فى رومانيا . وصرح الدكتور عبد الله عبد الشكور وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة بأن السفير طلب أن تشترك مصر فى معرض الحضارة الاسلامية الذى تقيمه رومانيا فى نهاية العام الحالى .

جامايكا

* انطلاقا من أهداف رابطة العالم الاسلامى وحرصها على تقصى الحقائق عن احوال المسلمين فى مختلف أقطار العالم وبخاصة الاقليات والجاليات الاسلامية التى تعيش فى الجزر والمناطق النائية فقد قام الدكتور علاء الدين خروفة مدير المكتب بزيارة خاصة الى المسلمين فى كل من جامايكا وجزر البهاما الواقعة فى البحر الكاريبى والمحيط الاطلسى فى أمريكا الوسطى وذلك بناء على توجيهات معالى الشيخ محمد على الحركان الامين العام لرابطة العالم الاسلامى .

وقد قام مدير المكتب بجولة استغرقت أسبوعا اجتمع خلالها بالجاليات الاسلامية فى المدن الرئيسية فى جامايكا وهى مدينة كينغستون العاصمة ومدينة اسبان ومدينة بورت ماريا .

كما زار الأماكن التى يتخذها المسلمون كمساجد أو دور للعبادة وخاصة مسجد الرحمن فى مدينة اسبان ومسجد الأكرام فى مدينة بورت ماريا وقد ألقى مدير المكتب خطبة

الجمعة وبعض المحاضرات الدينيــة ثم وقف على أحوال المسلمين والمصاعب التى يواجهونها فى نشر الدعوة بسبب قلة وجود المســـاجد والأئمــة والدعـــاة والمعلمين لتثقيف ابنــاء الجاليات فى تلك البلاد ٠

كما وقف على ما يتحملــه المســلمون من مشاق فى سبل العيش الضـــنك ورغم قلتهم فانهم يتصدون للتيارات المعادية للاســـلام وخاصة يقفون بصلابة امام حملات التبشــير النصرانى والفئات المرتدة كالاحمدية والبهائية والقاديانية وفى زيارته الواقعة الى الشــمال الشرقى من الكاريبى فى المحيط الاطلسى وجد جالية الاسلامية تقوم بنشر الدعوة فى الجزيرة ولهم دار يتخذونها مركزا لاجتماعاتهم واقامة شعائرهم الدينية ٠

وقد رفع مدير المكتب تقريرا عن زيارته هذه لمعالى الشيخ محمد على الحركان ضمنه نتائج جــولته واتصـــالاته بالمسلمين واحتياجاتهم وخاصة بناء المساجد وتوفير الدعاة ٠

باريس

* **معجزات القرآن على مر العصور هــو موضوع المعرض الذى تقيمه حاليــا منظمــة اليونسكو فى العاصمة الفرنسية ٠٠ وتتصــدر المعروضات مخطوطة للقرآن الكــريم قــام بنسخها الخطاط العراقى ابن البواب فى سنة ٣٩٠ هـ كما يتضــمن المعرض ١١٥ مخطــوطة اسلامية من مصر والمغرب والاندلس وتركيا وايران والهند والصين ٠**

وابو الحسن على ابن البواب خطاط عربى مشـــهور توفى فى ٤١٣ هجرية حفظ القــرآن ونسخه بيده ٦٤ مرة احداها بالخط الريحــانى اهداها للســلطان ســليم الأول الى جــامع « لالالى » بالآستانة ٠

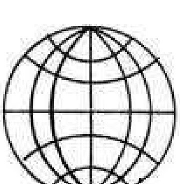

أخبار الأزهر

جلسة طارئة لبحث وسائل نشر الدعوة الإسلامية

* عقد فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر اجتماعا طارئا بمكتبه فى منتصف الشهر الماضى وحضره كبار المسئولين بالازهر والاوقاف ومدير الوعظ بالازهر وتناول الاجتماع بحث وسائل التعاون بين وزارة الاوقاف والازهر فى نشر الدعوة الاسلامية • وقد تم الاتفاق على النقاط الآتية : شغل الاماكن الشاغرة فى ٦٣ مسجدا بمختلف أنحاء الجمهورية من السادة الوعاظ فوق عملهم الاصلى • وذلك لأداء خطبة الجمعة ودرس بعد صلاة الجمعة وبعد صلاة العصر من يوم الاثنين من كل أسبوع •

أبدى الازهر استعداده فى المشاركة مع وزارة الاوقاف فى نشر الدعوة الاسلامية •

توجه تعليمات الى أصحاب الفضيلة مديرى الوعظ والمناطق الازهرية بالتعاون مع مديرى مديريات الاوقاف بشأن انتداب العدد المطلوب لاداء خطبة الجمعة والدروس الدينية بعد الصلاة •

يكون هذا الندب مستمرا بصفة دائمة مع متابعة من يقع عليه الندب لأداء العمل •

يقوم مجمع البحوث الاسلامية بابلاغ مناطق الوعظ والمناطق التعليمية فى أنحاء الجمهورية بضرورة التعاون مع السادة مديرى مديريات الاوقاف فى ملء المساجد الشاغرة •

بالنسبة للمناطق التى ليس بها مناطق وعظ يندب لها من القاهرة معمنح من يندب لها بدل سفر يصرف من وزارة الاوقاف فوق المكافئة المقررة لأداء الخطبة والدرس •

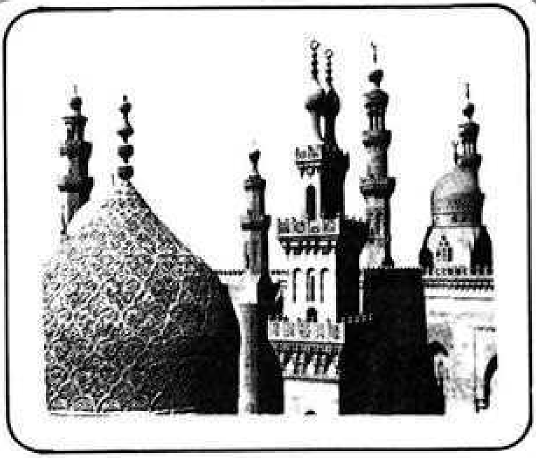

إعداد

الأستاذ الشافعي عبد الراضي

إجتماعات العيد الألفي للأزهر

* تواصل اللجنة التحضيرية للاحتفال بالعيد الالفى للازهر اجتماعاتها الاسبوعية برئاسة فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الازهر وقد ناقشت اللجنة خلال الاسابيع الماضية عدة موضوعات من أهمها اعداد المدعوين للمشاركة فى الاحتفال واقامتهم واعاشتهم .

واتفقت اللجنةعلى أنتكون الاعداد ٢٠٠ من كبار الشخصيات الممثلة فى رؤساء الجامعات الاسلامية ووزراء الاوقاف على مستوى الدول الاسلامية ، ١٥٠٠ من خريجى الازهر الذين ذهبوا الى بلادهم وبعضهم الذين يعملون فى مناصب مرموقة .

و ٢٠٠٠ من شباب جامعة الازهر منهم حوالى ٥٠٠ فتاه ، ١٠٠٠ من شباب جامعات مصر بمعدل ١٠٠ شاب من كل جامعة .

هذا ومن المقرر أن تنتهى اللجنة فى القريب العاجل الى الاتفاق على أماكن اقامة هؤلاء الضيوف وتوفير وسائل المواصلات اللازمة لهم .

ومن المنتظر أن تشترك المدن الجامعية بجامعتى القاهرة وعين شمس مع جامعة الازهر وبيوت الشباب بالقاهرة فى عملية الاقامة للضيوف .

أخبار الأزهر

مجمع البحوث الإسلامية يجتمع للنظر فى الاحتفالات بالعيد الألفى للأزهر

* عقد مجلس مجمع البحوث الاسلامية بالازهر اجتماعه الدورى خلال الشهر الماضى برئاسة فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر وذلك للنظر فى الاحتفالات بالعيد الالفى للازهر • وما الذى يجب على السادة أعضاء المجمع أن يقدموه فى هذه المناسبة الفاضلة •

وقد قدم الاعضاء حوالى ٤٠ موضوعا للمناقشة لاختيار الموضوع المناسب للعيد الالفى للازهر وأختير من بين هذه الموضوعات موضوع « الازهر ورسالته » •

على أن يكون هذا البحث من حق الباحثين فى مصر وخارجها على مستوى دول العالم الاسلامى • هذا ومن المقرر أن يعرض هذا البحث فى مؤتمر الابحاث العلمية والتراث خلال الاحتفال فى شهر رمضان القادم •

قوافل علماء الأزهر تجوب أنحاء الجمهورية

* بتوجيه من فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر يجوب علماء الازهر ووعاظه برئاسة فضيلة الدكتور الحسينى هاشم الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية •

يجوب أنحاء الجمهورية لتبصير الناس بأحوال دينهم وازالة الشوائب التى قد تحول بين الفهم الصحيح للدعوة الاسلامية وتوضيح الاهداف النبيلة التى يدعو اليها الاسلام من اصلاح المجتمع واسعاد البشر •

مليون جنيه نفقات طبع كتب التراث

* عقدت اللجنة المنبثقة عن اللجنة التحضيرية للاحتفال بالعيد الالفى للازهر برئاسة فضيلة الاستاذ حلمى محمود الامين العام للمجلس الاعلى للازهر وقدمت هذه اللجنة تصورا عاما لميزانية الاحتفال ومن أهم هذه الاعتمادات المقترحة • اعتماد مليون جنيه نفقات طبع كتب التراث الاسلامى •

وسوف تعرض هذه التصورات على اللجنة العليا لتعطى قرارها النهائى فى ذلك •

الإستفتاء على إجراءات مبادئ
الوحدة الوطنية

* ادلى فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر بصوته فى الاستفتاء على اجراءات مبادىء الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى وذلك أمام لجنته الانتخابية بقسم شرطة النزهة بمصر الجديدة.

وقد أدلى فضيلة الامام الاكبر بكلمة للصحفيين قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

فى الواقع الحفاظ على الوحدة الوطنية لأى أمة انما هو حفاظ على كيانها وذاتها فليست هناك أمة تخلو منوحدتها الوطنية أو تهتز فيها أركان العلاقة الوثيقة بين أفرادها وهيئاتها ثم تكون محتفظة بمقومات الامة .

الامة انما تعنى تماسكا وتلاحما وترابطا بين أفرادها وهيئاتها وجماعاتها ومؤسساتها كلها حتى يمكن أن يقال أنها أمة . والمولى عز وجل حينما خاطب المؤمنين انما خاطبهم بقوله : **« ان هذه أمتكم أمة واحدة »** .

اذن الامة من أخص خصائصها الوحدة ولا كيان لها الا بوحدتها . وما يعتريها من هزات أو ما الى ذلك هى أمور طارئة على كيان الامة . وعلى الامة اذا صحت وثاقتها وتراصت قوائمها وصلحت عناصرها أن تدفع عن ذاتها وعن كيانها كل هذه العوامل التى تهدد وحدتها أو تحاول أن تقضى على روابطها أو تحاول أن تقضى على تماسكها وصلابتها .

ثم قال فضيلته : ان لكل أمة هدف ولكل أمة حضارة .. ولكل أمة قيم ولابد من طبيعة البشرية أن يكون هناك تحديات لهذه الاهداف وتحديات لهذه القيم . ومحاولة لفض هذه الحضارة لتقوم مقامها حضارة أخرى .

اذن لابد من أن تكون الامة متماسكة أمام هذه التحديات لكى تقوى عليها وتحافظ على كيانها ..

هكذا يكتب

الحج

تحت هذا العنوان كتب القارىء على محمد من أبناء الدقهلية يقول :

الحج ركن من أركان الاسلام الخمس التى حدثنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف (بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نص الحديث الشريف يتضح لنا أن الحج هو الركن الاخير للاسلام ومقرون بالاستطاعة والاستطاعة هنا بكل ما تؤديه من معنى أى الاستطاعة المادية والجسمانية وما الى غير ذلك ، وأيضا الاستطاعة الايمانية لان المسلم عندما تنضج ثمرة اسلامه ولا ينقصها الا الحج سوف يعود من أداء هذه الفريضة كيوم ولدته أمه خاليا من الذنوب والآثام والكبائر وكل ما يغضب الله عز وجل وتجده تطبق الحديث الشريف القائل (من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) .

فيجب على كل حاج لبيت الله الحرام أن يصبح بعد حجه مثالا للرجل المسلم الذى يطبق على نفسه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى يكون قدوة لغيره من المسلمين وفى الوقت نفسه يستفيد من أداء الفريضة وينال ثوابها ويمنح فضلها وتؤدى هى فى حياته دورها بأن تكفه عن كل ما يغضب المولى عز وجل وتدفع به الى كل ما هو خير وصلاح

القراء

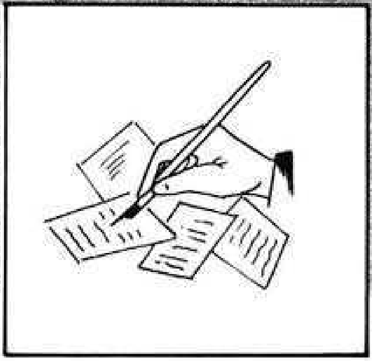

وأشرقت النفوس

لدينه قبل دنياه . وكثير من الذين أدوا فريضة الحج ولم ينال أحد منهم سواء الذهاب والعودة بل انه أصبح بعد حجه رجل له نظرة خاصة به فى المجتمع سواء كانت هذه النظرة فى صالحه أو ضده وهنا لنا وقفة نقول فيها لابد على الحاج أن يتذكر دائما تلبيته ونطقه « لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك الى آخرها » ومعنى التلبية أن الانسان لبى نداء ربه بألا يعود الى ذنب أبدا أو كبيرة من الكبائر فلا ينس عهده مع ربه ويتذكر دائما كل ما مر به خلال أدائه الفريضة من زيارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسعيا بين الصفاء والمروة والطواف ليدفعه تذكره عن فعل المنكر وكل ما يغضب الله الكريم وأخيرا رزقنا الله وإياكم أداء الفريضة ووفق المسلمين العائدين من الحج للعمل بما يرضى الله العظيم آمين يارب العالمين .

اعداد : عبد العزيز أحمد جيره

هكذا يكتب

الأزهر

في عيده الألفي

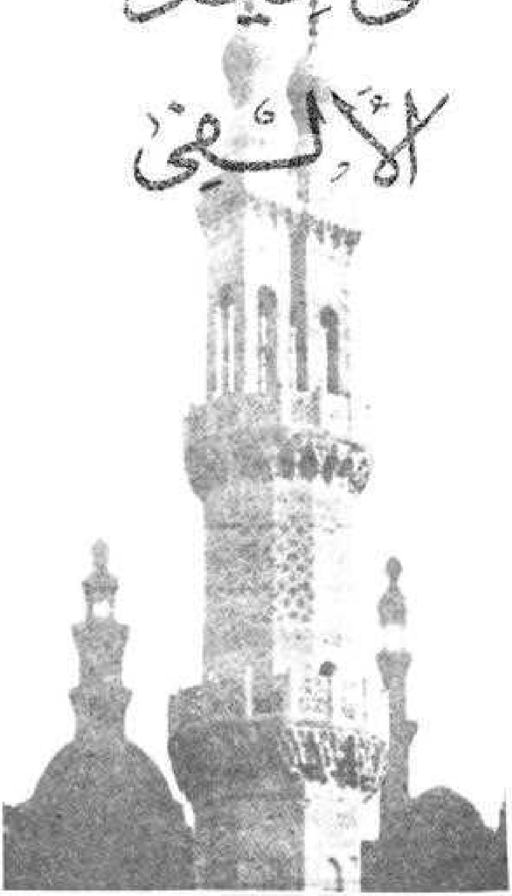

ألفا من الأعــوام !! حى الأزهرا
شق الظــلام بنوره إذ نورا
وعلت مصــابيح الهدى بمآذنه
هتفت تنادى المسلمين « الأكبرا »
يا « مســلمون » الله أكبر من هنا
من أرض مصر«الأزهر»تعلو الذرى
نجم الهدى فى أرض مكة اذ بدى
يدعو القلوبلتستقيم على البرى(١)
والركب يحبوا فللمدينة يقصــد
ركب المســيرة بالهدى قد بشرا
علم ونور يحــدوان مســيرة
قد قادها حــق وعدل فى الورى
هذا النبى « محمد » نور الهــدى
صــلوا عليه وســلموا تبق العرى
هذى المدينة قــد علتها الأنجم
صحب النبى يعلمون الأصــفرا
فرض الصــلاة لربهم حتى الزكاة
حتى المنام على اليمين ليشــكرا
حتى السلام على العدا ان سلموا
فى حكمة تحدوا النداء الأزهرا (٢)

---

(١) التراب ــ ويقصد هنا وجه الارض
(٢) الابيض المستنير (صفة)

القراء

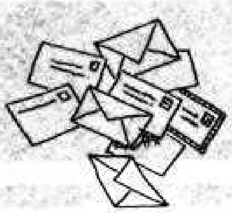

قصيدة شعرية : عبدالباسط سعيد مصطفى

ذاك السبيل على المدى فتتابعا
سلف يسلم للخلائف أنهرا
تجرى العلوم مثابة فى قلبه
تهدى النفوس سبيلها تهدى الورى
لكن وفى ظلم الشقاق الكافر
فى غرة ، ظن العدو لتكفرا
غرس الشكوك فى علمنا وعلومنا
حتى « القرآن » الأسلم قد حورا
اذ بالعناية من اله حافظ
قد ألهمتنا بقلب مصر الأزهر » (١)
حرس على الاسلام من اعدائه
قبس مضىء قد هدى من فى السرى
شرق وغرب قد تجمع علمه
فى مجمع ـ يحوى المعارف ـ أزهرا
واليوم يصحو مجدنا من كبوة
هزت كيان العالم والأشهرا
واليوم يحدو ركبنا فى عزة
دين ودنيا أيقظا من فى الثرى
يا أزهرا اربا بنفسك معلنا
سيف العلوم تجاهد كل الغرى

انبذ خيانة من يثبط جهدنا
ويميت فينا فكرنا والأنورا (٢)
علم على الأكوان قد رام العلا
ذاك الفتى من جد فى خير الورى
فى صدره يحوى العلوم النافعة
فى سعيه ، هدى الاله لينشرا
يا من غفا عن واجب لا يرعوى
نادى منادٍ للعلا هيا أكبرا
يا من تنصل من علوم الأزهر
من دفنها قم فأحيها هيا انشرا
طيب الكلام من اللسان الذاكر
يا من سها عن ربه هيا انكرا
والركب يسعى للأمام مكللا
بعزيمة من ديننا فقم وانشرا
يا أزهرا دع من يخون الواجبا
ثم استقم ، وانبذ خلافا سافرا
ياأزهرا، ياقلعة قم شامخا
دع من يعادى ديننا والفجرا
ما حل علم من علومك واديا
الا وكان اليابس قد اشجرا
عَزْمَ الرجال الشامخين الحوم
لا تركنوا : قوموا فحيوا الأزهرا

(١) اسم الازهر الشريف

(٢) العلم الهادى

بريد القراء

إعداد: عبد الفتاح السيد عبد السلام

كتب الأخ ـ عبد اللـــه على الموافى ـ المالحة ـ المنصورة

يسرنى ان اكتب لسيادتكم هذه الرســالة راجيا أن أعبر عن اعجابى الشـديد وتقديرى الذى لا تفى الكلمات به لما تجنيــه من ثمــار طيبة عظيمة من مجلتنا الجامعة ولا أسـتطيع أن أصف فرحتى لحظة حصولى على عدد منها أول كل شهر عربى ٠

وادعو الله عز وجل أن يجزل لسـيادتكم وجميع العاملين بالمجلة الثواب على هذا الجهد الطيب المبارك وأن يوفقكم الى كـل عمل ينمى قواعد الدين فى قلوب المؤمنين ٠

* نشكرك يا أخ عبـد الله على هذا الشعور الطيب نحو مجلتنا ونسأل اللــه أن يوفقــك ويوفقنا لخـدمة الـدين ٠ وستجد الاجابة عن سـؤالك فى مجـلة رسالة الأزهر الملحق الأسبوعى للمجـلة فى باب مشكلات وحلـول فهو البـاب الخاص بالأسئلة والرد عليها ٠

كتب الأخ ـ جـابوريس عبد القــادر ـ الجزائر

تحية ملؤها العطر والفرحة والسلام الكامل الذى يحتوى على كل معنى الصداقة والأخوة بعد سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ٠

لقد طالعت مجلة الأزهر وقد نالت اعجابى لما فيها من علم لذا أطلب من سيادتكم اشتراكى فى المجلة وكيفية الاشتراك وقـدره عـن سنة كاملة ٠

● نشـكرك يا أخ جـابو على هذه الكلمات التى تعبر عن صـدقك نحـو مجلتنا ٠ وبالنسبة لطلب اشتراككم فى المجـلة فعليكم الاتصال بقسـم الاشتراكات فى جريدة الأخبار ٠ وعنـوانه ٠ جـريدة الأخبار ـ القاهرة ـ ٦ أ شارع الصحافة فهو الذى يتولى اشتراكات المجلة نيابة عنا وارسالها لكم بطريقته ٠

وقيمة الاشتراك عن سنة كاملة هــو (٣٫٣٠٠) ثلاثة جنيهات وثلاثمائه مليم

كتب الأخ مدحت رمضان ثابت ـ مدرسـة أسيوط الاسلامية الاعدادية ـ أسيوط

من قلب أسيوط أرسل التهانى والشـــكر العميق وانى أكتب الرسالة لأعبر فيهـا عـن اعجابى لمجلة الازهـر مجلة كـل المسـلمين فهى حقا المنارة التى يطل عليها الانسان المسلم لما فيها من فوائد دينيه وخلقيه لصالح الاسلام والمسلمين وكذلك فقد أعجبنى التطور الهـائل الذى دخل عـلى هـذه المجـلة من ناحيـة الموضوعات ومن ناحية تغطيتها بصورة حسنه تستحق الشكر العميق والثناء الوفـير تحيـة اعجاب لمجلتكم الغراء (الازهر) أختتم كلمتى على أن يوفقنا ويوفقكم الله لما فيـه الخـير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

● نشـكرك يا أخ مدحت على هـذه الكلمـــات الصــــادقة وعـــلى اعجابك بمجلتنا ونسأل الله أن يوفقــك فى دراستك لتصل الى ما نتمناة وسترى تطورا أكبر من ذلك فى المجـلة قريبـا ان شاء الله ٠

فهرس العدد

الموضوع | الصفحة

- كلمة التحرير ٢٠٥٧
- حديث الشهر
  للدكتور عبد المعطى محمد بيومى ٢٠٥٨

دراسات قرآنية

- ترتيب القرآن
  بقلم رشدى محمد ابراهيم ٢٠٦٦
- نظرات ابن هبيرة فى التفسير والحديث
  للدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ٢٠٧٠
- معجزات متجددات
  بقلم طبيب عبد الرحمن الرفاعى ٢٠٧٥
- الاسلام والشعر
  للدكتور النبوى عبد الواحد شعلان ٢٠٧٨

فى التشريع الاسلامى

- ماء زمزم فى ضوء السنة النبوية
  للدكتور أحمد عمر هاشم ٢٠٨٦
- الأمية الفقهية وتقنين الشريعة الاسلامية
  للدكتور عبد الله مبروك النجار ٢٠٩٥
- رد على كتاب « الخمرة » ذات خطر محقق
  للدكتور محمد رجب البيومى ٢١٠٤
- هكذا سئل الرسول صلى الله عليه وسلم
  للدكتور مصطفى محمد ابو عمارة ٢١٠٩

فى حضارة الاسلام

- الأزهر فى الجزر البعيدة
  للأستاذ اسماعيل عبده الشال ٢١١٦
- فلسفة السعادة فى الاسلام
  للدكتور سعد الدين السيد صالح ٢١٢٩

فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

- **الدين ضرورة حتمية**
  للأستاذ / على عبد العظيم ٢١٣٤
- **القيادة أمانة ورسالة**
  للواء أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ ٢١٣٩
- **الصراع الحضارى فى مجال نقل العقائد والآراء**
  للدكتور مصطفى غلوش ٢١٤٥
- **دور الأزهر القيادى وشعوب العالم** ٢١٥١

أعــلام الاســلام

- **فقه الامام البخارى**
  للدكتور الحسينى هاشم ٢١٦٠
- **شخصية فى سطور**
  بقلم سعيد عبد الحى ٢١٦٤
- **طرائف ومواقف**
  للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٢١٦٦
- **كتاب الشهر**
  عرض وتقديم الأستاذ حمدى الليثى ٢١٦٨
- **نظرة فى كتاب الاقتصاد الاسلامى**
  بقلم الأستاذ / أحمد اسماعيل يحيى ٢١٧٢
- **قالت الصحف**
  اعداد الأستاذ / عاطف زهران ٢١٨٢
- **أخبار العالم الاسلامى**
  للأستاذ / أحمد عبد الرحيم السايح ٢١٨٦
- **أخبار الأزهر**
  اعداد الأستاذ / الشافعى عبد الراضى ٢١٩٠
- **هكذا يكتب القراء**
  اعداد الأستاذ / عبد العزيز أحمد جيره ٢١٩٤
- **ردود على القراء**
  اعداد الأستاذ / عبد الفتاح السيد عبد السلام . . . ٢١٩٨

طبع بمطابع روز اليوسف